أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٦٥) محرم ١٤٤٢ هـ - سبتمبر ٢٠٢٠م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

أميرا الإنسانيّة

دبلوماسيّون أكَّدوا على مواقفهِ العُروبيّةِ والإنسانيّة

● صِناعةُ الحَلال

مجلة الوعى الإسلامى  www.alwaei.gov.kw  alwaeiq8@gmail.com  موقع مجلة الوعي الإسلامي 

جديدنا



الحوارات والاختلافات الفقهية

إصدار نفيس من إصدارات مجلَّة الوعي الإسلامي، تضمَّن جانبًا مشرقًا لاختلافات العلماء الفقهية بشكل علمي، مسلطًا الضوء على تاريخ الحوارات والاختلافات الفقهية مع بيان حِكمها وأسبابها وضوابطها، مقرونًا بنماذج تطبيقية لها، وأصل هذا الكتاب أطروحة جامعية.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الهجرة النبوية.. المفاهيم والقيم

تعيش الأمة الإسلامية أوضاعا غير عادية في هذه الأيام التي تتداخل فيها الصراعات العسكرية والسياسية، وتنتشر فيها الأمراض والأوبئة في معظم بلدان العالم الإسلامي، فما أحوجنا ونحن نستقبل عاما هجريا جديدا إلى التفاؤل والعمل الجاد للخروج من الفتن والمشكلات والأوبئة، وتجاوز العقبات والأزمات، ومواجهة التحديات والنكبات، ما أحوجنا لقراءة أحداث الهجرة ووقائعها الجسام التي كانت بمنزلة نقطة تحول كبرى في تاريخ البشرية جمعاء.

فالمتصفح لأحداث هذا المنعطف التاريخي المهم يدرك كيف أرسى بأحداثه العظام مبادئ الحق والعدل والأمن والسلام، فصار نبراسا ينير الطريق للعالم، ولا سيما في ميداني الحرية والسلام اللذين يكثر عنهما الحديث في ظل تداخلات في المفاهيم.

إن حب الوطن والحنين إليه هو مما فطر الإنسان عليه، واضطرار الإنسان إلى مفارقة وطنه والخروج منه يترك في النفس لوعة وفي المشاعر تهيجا، مهما كانت الغاية من مفارقته، والإنسان عندما يفارق وطنه على أمل العودة يعلل نفسه بأنس اللقاء بعد الفراق، أما إذا لم يكن له أمل في العودة، فإنه يرى كل شيء بعين الحزن واليأس والألم.

لقد اقتضت حكمة الله جل جلاله أن تكون أم القرى (مكة المكرمة) محلا لبيته الحرام الذي جعله الله للناس آمنا، ينعم في جنباته الناس بالسكينة والطمأنينة، جعله الله مقصدا للزوار ومحطا للأنظار، يقصده الناس من أرجاء شتى لينعموا بهدوء النفس وراحة القلب، ولكن نبينا ﷺ، الذي ولد ونشأ وتربى في جنباته، قد أمر بتركه، والهجرة منه امتثالا لأمر الله، ولتحقيق تغير أراده الله للبشرية بأسرها؛ فكانت الهجرة المباركة.

إن الناظر بعين البصيرة للهجرة النبوية المباركة يدرك أن الهجرة سبيل أغلب الأنبياء الذين كلفوا بنشر الدعوة الإسلامية، فلم يكن نبينا محمد ﷺ أول من هاجر من الرسل، بل سبقه بالهجرة رسل كرام على الله، خرجوا بدينهم امتثالا لأمر الله عزوجل؛ فسنوا بذلك الهجرة لمن أتى بعدهم من الأنبياء والمصلحين، لإقامة دين الله القويم للخلق، يبحثون في هجرتهم عن البذور الطيبة الصالحة لريها والعناية بها، فهي طريق إبراهيم وموسى عليهما السلام، اللذين تركا أرضهما وهاجرا إلى حيث يستطيعان إقامة شرع الله ونشر دعوته في العالمين.

هذا، ولا بد من العلم الجازم بأن الهجرة كانت ترفع شعارا ساميا، هو نشر دين الله، وإعلاء كلمة التوحيد، ولم تكن يوما للأهواء والعصبيات.

وختاما، ونحن نستقبل عاما هجريا جديدا، لا يسعنا إلا أن نكون على قدر المسؤولية العظيمة تجاه ما تركه لنا المهاجرون الأولون، الذين تركوا أوطانهم، وهجروا ديارهم لنشر هذه الدعوة الصافية، وتعاليم هذا الدين الحنيف الذي شكلت مبادئ الحرية والسلام أولى ركائزه، هي ذاتها الركائز التي حرص صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح على ترسيخها في العالم عموما، وفي بلده الكويت -الذي أحبه- خصوصا، سائلين الله أن يكون هذا العام عام خير عليه، وعلى الأمة الإسلامية، وأن يمتعه الله بموفور الصحة والعافية والتمكين.

الوعي الإسلامي

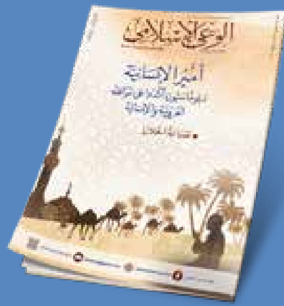
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٦٥/ محرم ١٤٤٢ هـ
العام السابع والخمسون
سبتمبر ٢٠٢٠م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد: ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان: ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر: دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



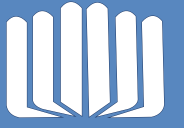
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس: ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي، فلسطين: دينار أردني، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

الهجرة إلى الداخل

الدروس المستفادة من الهجرة النبوية عديدة وتلهم كل مسلم في حاضره ومستقبله ففيها العزيمة والثبات والصدق والأخوة والتعاون والتخطيط الواعي الدقيق لكن فيها أيضا ما يمكن أن نسميه بالهجرة إلى الداخل ومحاسبة النفس لتنقية ما فيها من شوائب رسبتها الحياة المادية التي نحياها بإيقاع سريع لا يكاد يبين من فرط سرعته.

الهجرة إلى الداخل تعني فيما تعنيه أن يتفرغ المرء لإصلاح نفسه وإبصار عيوبه قبل أن يلتفت لغيره ويعدد أخطاءه.

وليحقق ذلك لابد أن يمعن النظر في سلوكه في الغيب وليس في الظاهر فقط، فالمرء إن اطمأن إلى الخلوة قد يرتكب مخالفة، لكن إن اطمأن إلى أنه مسافر -طال العمر أو قصر- إلى الآخرة تدبر الأمر وأحسن التفكر في الحال والمآل.

من هنا علينا إعادة القراءة في درس الهجرة النبوية العظيم وفي كل مرة سنخرج بنتائج تفيد حاضرنا ومستقبلنا.

التحرير

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي **(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**



دار الإعلام العربية

دبلوماسيون وخبراء أكدوا على مواقفه العروبية والإنسانية..

لمصر في قلب سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الصباح مكانة خاصة، فدائما ما كان سموه سندا وعونا لمصر وشعبها، حريصا على رفعتها، مقدرا لمكانتها، قاطعا الطريق على أي خطر أو إساءة إليها.. لذا فقد أحبه المصريون، واعتبروه من أهم حكماء الأمة وأبرز رموزها الإنسانية.

وتتعدد المواقف النبيلة لسمو أمير البلاد في دعم مصر الشقيقة، ومساندتها في تخطي مختلف الأزمات خاصة بعد مرورها بثورتين خلال العشرة أعوام الأخيرة، كان سموه من أحرص الزعماء على أن تنهض سريعا وتستعيد مكانتها.. في الصفحات التالية نستعرض قليلا من تلك المواقف التي يصعب حصرها، مصحوبة بآراء لدبلوماسيين ومفكرين وخبراء عن الدور المهم لسمو الأمير وعلاقته المحورية مع مصر.

ارتبط سمو أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في قلوب المصريين بمواقفه الإنسانية وأياديه البيضاء والعديد من المعانى الإيجابية، كيف لا وهو القائل دوما: «مصر عزيزة على قلوبنا وستبقى دائما عزيزة» لتبقى هذه العبارة تجسيد حي لما يكنه سمو الأمير لمصر والمصريين من محبة.

إسم المشروع	الجهة المنفذة للمشروع	سنة التوقيع
تنمية شمال سيناء باستصلاح ٤٠٠ ألف فدان شمال سيناء	وزارة الموارد المائية والرى	١٩٩٣
معالجة واستخدام مياة الصرف الصحى لمدينة الشروق(مرحلة اولى)	وزارة الإسكان والمرافق والتنمية العمرانية (هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة)	٢٠٠٦
محطة العين السخنة لتوليد الكهرباء	شركة شرق الدلتا لإنتاج الكهرباء	٢٠١٠
محطة توليد كهرباء جنوب حلوان (مرحلة أولى)	شركة الوجه القبلى لإنتاج الكهرباء التابعة للشركة القابضة لكهرباء مصر	٢٠١٢
محطة توليد كهرباء جنوب حلوان (مرحلة ثانية)	شركة الوجه القبلى لإنتاج الكهرباء التابعة للشركة القابضة لكهرباء مصر	٢٠١٦
الربط الكهربائي بين جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية	الشركة المصرية لنقل الكهرباء	٢٠١٥
توسيع شبكات توزيع الغاز الطبيعى فى محافظتى القاهرة والجيزة (المرحله الثانيه)	الشركة المصرية القابضة للغازات الطبيعية	٢٠١٢
تطوير نظام التحكم والإرشادات على خط السكة الحديد بنها - الزقازيق-الاسماعلية - بورسعيد٨٧٤	الهيئة القومية لسكك حديد مصر	٢٠١٣
محطة أسيوط (الوليدية) الحرارية لتوليد الكهرباء	شركة الوجه القبلى لإنتاج الكهرباء التابعة للشركة القابضة لكهرباء مصر	٢٠١٤
توسيع محطة غرب القاهرة البخارية ٦٥٠ ميجاوات	شركة القاهرة لإنتاج الكهرباء التابعة للشركة القابضة لكهرباء مصر	٢٠١٤

صوت الحكمة

وعلى مدار عقود طويلة سواء منذ تولي سموه إمارة الدولة، أو من قبل ذلك وهو يقود الدبلوماسية الكويتية ساند سموه مصر في شتى المواقف خاصة في حرب أكتوبر التي وصفها بأنها ملحمة مجيدة شهدت امتزاج الدماء الكويتية والمصرية، وجسدت بصورة جلية، الروابط الوثيقة والتاريخية والوطيدة التي تجمع البلدين.. وقبلها كان لسموه دور بارز في دعم مصر وسوريا والأردن بعد نكسة ١٩٦٧م، وحديثا في قضية سد النهضة كان لسمو الأمير موقف واضح وحاسم بوقوف الكويت مع مصر في كل ما يصون مصالحها ويحفظ حقوقها وأمنها المائي.

وتنظر مصر إلى الشيخ صباح الأحمد باعتباره صوت الحكمة وأحد أبرز رموز العمل الدبلوماسي المحلي والعربي، وهو الملقب بشيخ الدبلوماسيين لطول الفترة التاريخية التى أمضاها وزيرا للخارجية واتسمت بالثراء في العمل الدبلوماسي وطبعت بصمات واضحة على شخصيته لتحوله إلى أحد حكماء العرب، وأحد أبرز رعاة وقادة العمل الإنساني في العالم أجمع، خصوصا بعد أن رعى ٤ مؤتمرات لدعم الشعب السوري واللاجئين، نجحت في تخفيف حدة معاناة المتضررين من الأزمة، ومكنتهم من تجاوز آثارها بأقل الخسائر.



وسعى سمو الأمير إلى حل المشكلات بين الأشقاء العرب منذ حقبة الستينيات من القرن الماضي مثل الخلاف المصري - اليمني، والخلاف المصري - السعودي، إضافة إلى جهده الدائم من أجل القضية الفلسطينية.

دعم متواصل

كما ساند سموه مصر بعد اجتيازها ثورتين خلال العشرة أعوام الأخيرة وما نتج عنهما من تراجع اقتصادي حاد، فبادر سموه بتقديم دعم عاجل إلى مصر بقيمة ٤ مليارات دولار،

تتكون من مليار دولار هبة، ووديعة بملياري دولار في المصرف المركزي المصري، ومليار دولار مشتقات نفطية.

وهذا بخلاف مساهمات كويتية غير مباشرة من خلال الصندوق الكويتي للتنمية والذي يقوم بتمويل أكثر من ٥٢ مشروعا مصريا في مجالات النقل والزراعة والكهرباء والصناعة ومياه الشرب والصرف الصحي بإجمالي تمويل ٣،٦٨٢ مليار دولار تقريبا.

وفي وقت سابق، وصف سفير دولة الكويت بالقاهرة، محمد صالح الذويخ، العلاقة بين الكويت ومصر بأنها ماضية على درب التقدم والاستمرار، بسواعد القيادتين السياسيتين والشعبين «الشقيقين»، اللذين لم يألوا جهدا في توطيد العلاقة، وتحقيق التعاون المنشود والبناء بينهما.

وأضاف أن الكويت قيادة وشعبا، دأبت بما تملي عليها عروبتها، على الوقوف بجانب مصر مساندة لها، وداعمة لقضاياها، ومؤكدة حرصها على أن تعيش مصر وشعبها الكريم في كنف السلام والاستقرار والتنمية المستدامة، باعتبار أن استقرار مصر وسلامها هو استقرار للأمة العربية.

وشدد على أن ما يجمع البلدين والشعبين «تاريخيا» أكبر من أن يوجز بكلمة أو يوصف بتعبير، مشيرا إلى وشائج الأخوة والعروبة والمصير المشترك والتعاضد في المواقف والمجالات كافة.

ونوه بالزيارة التي قام بها الرئيس عبد الفتاح السيسي إلى الكويت في أغسطس الماضي، ولقائه سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، والتي أعقبتها زيارة لرئيس مجلس الوزراء الكويتي «السابق» الشيخ جابر المبارك للقاهرة، مؤكدا أن هذه الزيارات تأتي في سياق السعي المشترك لتعزيز العلاقات الثنائية «المتميزة» التي تجمع بين البلدين.



رمز الإنسانية والعطاء

إلى ذلك، أكد دبلوماسيون وخبراء أن الكويت ومصر بينهما تعاون كبير في كافة المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، انطلاقا من الدعم الكبير الذي تحظى به علاقة البلدين من سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، مؤكدين أن العلاقات المصرية الكويتية تعتبر نموذجا يحتذى به، إذ يؤكد السفير حمدي صالح نائب وزير الخارجية المصري الأسبق، أن الشيخ صباح الأحمد الجابر أمير دولة الكويت؛ عرف دوما بمواقفه الإيجابية نحو قضايا الأمة العربية عامة وما يخص مصر خاصة، وينطلق ذلك من المسؤولية القومية والوطنية التي حملها سموه على عاتقه.

أضاف: يتشارك سمو الشيخ صباح الأحمد مع القيادات العربية بشكل عام ومصر بشكل خاص النظرة العربية لحل المشكلات الملحة والقضايا المستعرة في سوريا والعراق وليبيا ولبنان وغيرها من الدول العربية.. ويحرص دائما على إسهام الكويت في دعم الفئات المنكوبة سواء اللاجئين في سوريا والعراق اليمن وغيرها من الدول التي تعاني من أزمات سياسية واقتصادية.

وسعت الكويت تحت قيادة سمو الأمير لدعم الدول الأكثر تضررا من فيروس كورونا في الآونة الأخيرة؛ هو ما يجعلنا نؤكد أن على المواقف الإنسانية المقدرة لسمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، رمز الإنسانية والعطاء العربيين.

صوت الحكمة

وقال السفير محمد العرابي وزير الخارجية المصري الأسبق، إن العلاقات السياسية الدولية بين الكويت ومصر متميزة منذ الأزل، وتنامت أكثر في عهد سمو الشيخ صباح الأحمد، فمنذ كان سموه صباح وزيرا للخارجية الكويتية، جسد صوت الحكمة بمواقفه المتزنة والحكيمة إزاء كل القضايا، ولجوؤه إلى تغليب الحلول السلمية في مختلف النزاعات، وهو ما يجعلنا نستشهد بأرائه في حل كثير من النزاعات الحديثة.

أضاف أن كويت الخير تحت قيادة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد قامت بدعم جهود التنمية المصرية من خلال صندوق التنمية الكويتي بإنشاء مشروعات كثيرة، وهذا دليل على وجود قدر كبير من الحكمة


السفير محمد العرابي

والتواجد في دول أخرى.
أضاف الوزير الأسبق: عملت في الكويت خلال الفترة من ١٩٧٨م وحتى ١٩٨٢م ولمست عن قرب السياسة المتوازنة للشيخ صباح الأحمد بغض النظر عن قمة بغداد التي قضت بقطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر بعد معاهدة السلام؛ لكن كان هناك علاقات متزنة ومتوازنة تحافظ على العلاقات مع مصر، مؤكدا أن الكويت دولة شقيقة تربطنا بها مشاعر عربية ووجدانية، لافتا إلى أن الكويت تتبنى سياسة متوازنة تجاه كل القضايا كما ساندت مصر كثيرا في حرب ١٩٧٣م.
وتابع العرابي في عام ٢٠٠٩م قامت مصر والكويت بإنشاء مبادرة عربية وهي إقامة قمة عربية اقتصادية كل عامين، وعقدت الدورة الأولى في الكويت عام ٢٠٠٩م واقترحت الكويت فكرة إنشاء صندوق لدعم الصناعات الصغيرة والمتوسطة من أجل دعم الشباب العربي في إيجاد مشاريع لبناء مستقبلهم، ليكون رأس مال الصندوق ٢ مليار دولار، وقدمت الكويت نحو ٥٠٠ مليون دينار اسهاما منها في رأس مال هذا الصندوق، وعقدت الدورة الثانية في مدينة شرم الشيخ في مصر عام ٢٠١١م، والدورة الثالثة في الرياض عام ٢٠١٣م.

السفير العرابي: ساند مصر في حرب ١٩٧٣م ورفض التخلي عنها بعد القطيعة العربية


السفير حسين هريدي

سند دائم لموقف مصر

من جهته، قال السفير حسين هريدي مساعد وزير الخارجية الأسبق: «على المستويين الشخصي، والقومي، أتمنى من صميم قلبي شفاء صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الصباح، الذي يعد من أكثر وأعظم الساسة الكويتيين الذين وقفوا إلى جانب مصر في المحن، ونحن نكن له كما نكن لكل الكويتيين كامل الاحترام والتقدير والمودة».
وأشار هريدي إلى دور صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد في تدعيم العلاقات المصرية الكويتية منذ أن كان نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية، مؤكدا أن الدور الذي قام به سمو الأمير سيسجله التاريخ، كما أنه أيضا شاهدا عليه عندما كان يعمل دبلوماسيا في السفارة المصرية في الكويت، وكان يرى انحياز سمو الأمير المطلق لكل المواقف المصرية عندما كان يمثل الجانب الكويتي في الاجتماعات المشتركة بين البلدين.
ويضيف مساعد وزير الخارجية الأسبق: «بعيدا عن سياق العلاقات المصرية الكويتية، فسمو الأمير كان من أكبر الداعمين للتضامن العربي، ومن أكبر الداعمين لانخراط دول التعاون الخليجي في الدفاع عن القضايا العربية وعن الشعوب العربية وفي مقدمة ذلك القضية الفلسطينية، فحضرة صاحب السمو الأمير صباح الأحمد الجابر الصباح له مكانة كبيرة في تاريخ العرب، وفي تاريخ العلاقات المصرية الكويتية».

اتفاق في الرؤى

إلى ذلك، يقول الخبير الاقتصادي خالد الشافعي إن التاريخ يكشف عن توافق تام بين الكويت ومصر على المستويين الرسمى والشعبى؛ كما أن بينهما خصائص تجمعهما، وتؤكد إدراك كل طرف لأهمية الطرف الآخر، فضلا عن التأثير والدعم المتبادل بين البلدين والاتفاق في الرؤى حيال القضايا المختلفة على الساحة الإقليمية والدولية، فضلا عن ذلك هناك تبادل تجاري كبير بين البلدين.
ويوضح أن من أهم مجالات العلاقة بين مصر والكويت هو المجال الاقتصادي، حيث إنه من المبادئ الراسخة لديهما التوظيف المستمر للموارد والاستثمارات في مساعدة الشعوب ودفع العلاقات قدما وتنميتها، لافتا إلى أن الكويت تبادر دائما بتبني مشروعات وبرامج دعم الدول الشقيقة، لذلك تم إنشاء الصندوق الكويتى للتنمية العربية عام ١٩٦١م والذى تزامن مع استكمال الكويت لاستقلالها معبرا عن هذا التوجه ومجسدا له.
ويتابع: لم يتوقف الدعم الكويتى لمصر على مر التاريخ، وفى كافة المجالات خاصة المجال الاقتصادي، فتشير التقديرات إلى أن نسبة الاستثمارات


خالد الشافعي

الكويتية في مصر تبلغ نحو ٢٥٪ من حجم الاستثمارات العربية في مصر، وتحتل المرتبة الثالثة بين هذه الاستثمارات، فضلا عن أن هناك نحو ١٢٣٠ شركة كويتية تعمل في مصر في مجالات مختلفة ومتنوعة، وعلاوة على ذلك، تفتح الكويت أبوابها للكوادر المصرية، وهو نوع آخر من التعاون الاقتصادى والدعم غير المباشر للاقتصاد المصري بتوجيهات صاحب السمو، حيث وصل حجم الجالية المصرية في الكويت إلى ما يقارب ٧٠٠ ألف مصري يسهمون في مجالات التنمية المشتركة وتتجاوز تحويلاتها ٤ مليارات دولار سنويا، وتعد الجالية العربية الأولى في الكويت.

ويوضح الشافعي أن التقديرات تشير إلى أن حجم الاستثمارات الكويتية الحكومية والخاصة في مصر شهدت نموا بشكل مطرد خلال الآونة الأخيرة، حيث تبوأت الكويت المرتبة الرابعة ضمن قائمة الدول الأكثر استثمارا في مصر، والثالثة عربيا، باستثمارات تصل إلى نحو ١٦ مليار دولار، فضلا عن استثمارات مصرية بالسوق الكويتى تقدر بنحو ١,١ مليار دولار، ويعد ذلك إحدى ثمار الجهد المشترك لتعزيز هذه الاستثمارات، فضلا عن الدور المحوري الذي تقوم به اللجنة المشتركة المصرية الكويتية التى تشكلت عام ١٩٩٨م، وعقدت العديد من الاجتماعات، كان أحدثها اجتماع الدورة الثانية عشرة بالكويت خلال ديسمبر الماضي برعاية سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، هذا بالإضافة إلى اجتماع اللجنة القنصلية المشتركة في القاهرة.

ويشير في تصريحات لـ«الوعي الإسلامي» إلى أن الصندوق الكويتي غطى أغلب المجالات التنموية في مصر خلال السنوات الماضية بتعاون يعكس متانة العلاقات الحكيمة التي ربطت بين البلدين فضلا عن الروابط التاريخية المشتركة.

خالد الشافعي: نحو ٢٥٪ من حجم الاستثمارات العربية في مصر كويتية

ويستكمل الخبير الاقتصادي: بلغ عدد المنح والمعونات الفنية نحو ١٨ منحة بقيمة ١٧,٣ مليون دينار نحو ٥٦ مليون دولار، وتنوعت المشاريع التي مولها الصندوق في مصر بين تطوير النقل البحري وصناعة الأدوية والصرف الصحي ومحطات الكهرباء والمياه وتوسيع شبكات الغاز الطبيعي علاوة على تطوير السكك الحديدية وإنشاء محطات لتوليد الكهرباء وتحلية المياه.

تنمية اقتصادية واجتماعية

أما الخبير الاقتصادي ماهر هاشم فيقول: الكويت تحت قيادة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد من أكبر الدول التي تستثمر في السوق المصري بحجم استثمارات يصل لنحو ٤ مليارات دولار. حيث تعتبر العلاقات الاقتصادية والتجارية، أحد أهم روافد التعاون المشترك


ماهر هاشم

بين البلدين الشقيقين، خاصة في ظل النمو المضطرد الذي شهدته خلال السنوات القليلة الماضية؛ حيث تجاوزت الاستثمارات الكويتية المتراكمة في القطاعين العام والخاص في مصر الـ ١٥ مليار دولار، إضافة إلى عمل نحو ١٢٢٨ شركة كويتية في مجال التجارة والاستثمار في مصر، وهو ما ساهم في زيادة حركة تنقل الأفراد بين البلدين، بمعدل ٦٥ رحلة جوية أسبوعيا، ونحو ١٨٠ ألف زائر كويتي سنويا، في حين ازداد حجم التبادل التجاري بين البلدين بشكل ملحوظ، ليصل إلى نحو ٤ مليارات دولار أمريكي.

وعلى الجانب التنموي والتعاوني: يذكر الخبير الاقتصادي، أن البلدين وقعا منذ عام ١٩٦٣م وحتى عام ٢٠١٨م، نحو ١١٤ اتفاقية تعاون ومذكرة تفاهم، وهو ما يعكس مدى عمق وقوة العلاقات بين البلدين الشقيقين، فضلا عن الشراكة الطويلة والمثمرة بين مصر والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية منذ نشأته عام ١٩٦١م؛ حيث بلغ عدد المشروعات الممولة من قبل الصندوق الكويتي نحو ٥٢ مشروعا في مختلف القطاعات التنموية والحيوية في مصر.

ويؤكد أن حكومة الكويت بادرت بتوجيهات من سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد بمساندة مصر اقتصاديا عقب تولي الرئيس عبدالفتاح السيسي الحكم، حيث أودعت بالبنك المركزي المصري ما قيمته ٤ مليارات دولار، لتعزيز الاحتياطي النقدي.

دعم رسالة الأزهر

وعلى الصعيد الإنساني، بدأ عضو هيئة كبار العلماء الدكتور محمود


د. محمود مهنا

مهنا تصريحه لـ«لوعي الإسلامي»، قائلا: أول شيء أحب أن أتحدث فيه، هو أن مصر بإسلامها وعروبتها تقدر العالمين وتحترم الجميع وخاصة دولة الكويت التي تشتبك معها في الدين واللغة والعلاقات الأخوية.

وأكد أن دولة الكويت شعبا وجيشا وقفت جنبا إلى جنب مع مصر في حرب السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م ضد إسرائيل؛ فكانت الكويت مع مصر سندا في السلم والحرب والشدة والرخاء وكل ما يصيب الكويت، ولم تنس مصر الجميل أبدا فبادرت في المشاركة في ردع العدوان والغزو العراقي حتى استعادت الكويت سيادتها الكاملة على أراضيها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ (الحجرات:١٠).

أضاف: شهدت العلاقات الكويتية المصرية تطورا كبيرا خلال عهد صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد، ومن ذلك التعاون الديني، حيث شهد

د. محمود مهنا: إنشاء ٥٠ معهدا أزهريا تجسيد لإيمان سمو الأمير برسالة الأزهر الشريف

العمل الديني تنسيق واسع بين وزارتي الأوقاف في البلدين، وكذلك كان لتوجيهات سمو الأمير أكبر الأثر في دعم التعليم الأزهري في مصر، حيث ساهمت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، في إنشاء ٥٠ معهدا أزهريا، فكانت الكويت وما زالت من الداعمين للأزهر ورسالته، إيمانا من سمو الأمير برسالة الأزهر الشريف ووسطيته ودوره العالمي.

حقق معاني الأخوة

وفي سياق متصل، قال د. أيمن أبو عمر وكيل وزارة الأوقاف لشؤون الدعوة، إن الكويت ومصر بينهما مواقف إنسانية ممتدة تجسد التراحم والتلاحم الذي نصت عليه الشريعة الإسلامية، مؤكدا أن قدرة الأمة على مواجهة التحديات ومقاومة المكائد ودوام دولتها ونجاح رسالتها لن يكون إلا بقيامها متآلفة متحابة فيما بينها صفا واحدا كالبنيان، قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ (آل عمران:١٠٣): فلا نصر لأمة متفرقة مشتتة، متباغضة متنافرة، لا نصر إلا بصف مرصوص، وقلوب متآلفة.

وأوضح أبو عمر، أن الإسلام جاء ليدعو إلى ترسيخ معاني الأخوة والوحدة والتآلف بين جميع أبناء الأمة وهو ما نشاهده بين المواقف النبيلة بين البلدين مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾، وينتج من هذه الأخوة الحب والتعاون والوحدة

د. أيمن أبو عمر: حقق معاني الأخوة والإنسانية عالميا فاستحق محبة الجميع

والقوة، «عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، وجاء أيضا في الحديث الصحيح: يقول النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه، ويقول ﷺ: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» ويقول ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

أضاف أبو عمر: يتجسد ذلك في المواقف الخيرية والإنسانية لسمو أمير دولة الكويت، والذي يعول مئات الأسر الفقيرة وتصلها مساعدات شهرية بتوجيهات من سمو الأمير، لذلك لم يكن غريبا أن نرى جمعا غفيرا من هذه الأسر يلهج بالدعاء لسمو الأمير، أن يحفظه ويعافيه ويبارك في أجله.


د. أيمن أبو عمر





للإنسانية أمير.. المواقف الدولية لصاحب السمو

منذ تسلمه مسؤولية العمل العام وبداية العمل في المجال السياسي منتصف خمسينيات القرن العشرين كان لصاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، بصماته الواضحة وإنجازاته الملموسة في كل موقع تولى مسؤوليته على المستويين الداخلي والخارجي من أجل مصلحة الكويت وطنا ومواطنين، رغم صغر حجمها الجغرافي وعدد السكان إلا أنها من الدول المؤثرة بشكل فاعل في النظام السياسي الدولي، ويرجع ذلك إلى سياستها الخارجية الفاعلة على المستويين الإقليمي والدولي.

فمنذ استقلالها في عام ١٩٦١م، حددت الكويت أهداف سياستها الخارجية، ووسائل وأدوات تحقيقها، وهنالك مجموعة من المرتكزات والأسس التي قامت عليها سياستها الخارجية، وأهمها: التوازن وعدم الانحياز، والحياد الإيجابي، وكذلك المساعدات الاقتصادية وديبلوماسية الوساطة.

عندما نتحدث عن ديبلوماسية الوساطة يجدر بنا أن نقول: إن دور الوسيط من أهم خصائص سياسة الكويت الخارجية، وكانت أول تجربة

للوساطة قد حدثت في منتصف الستينيات من القرن الماضي، وذلك في ملف الوساطة بين مصر والسعودية لحل الصراع العسكري الذي ظهر بين الدولتين على الأراضي اليمنية، حيث استضافت الكويت في عام ١٩٦٦م متمثلة في الخارجية الكويتية تحت قيادة سمو الشيخ صباح الأحمد، اجتماعات بين الأطراف المصرية والسعودية واليمنية آنذاك، بتنظيمها لقاء جمع جميع الأطراف المتحاربة في الشطر الشمالي من اليمن الذي كان منقسما، حيث انعقد اللقاء بين الجمهوريين والملكيين مع ممثلي مصر والسعودية لوضع حد للحرب الأهلية اليمنية التي كانت مشتعلة آنذاك. وفي عام ١٩٦٨م، أسهمت الخارجية الكويتية تحت قيادته بجهود وساطة لحل قضية المطالبة الإيرانية بالبحرين، إذ نظمت اجتماعات بين مندوبي البلدين في مقر الممثلية الكويتية في جنيف، نتج عنها اتفاق الطرفين على عرض القضية على



الأمم المتحدة، والتي انتهت بإجراء استفتاء شعبي واستقلال البحرين في عام ١٩٧١م.

وفي عام ١٩٦٩م بذل سموه جهودا واضحة، من خلال محاولة توسط من أجل الوصول إلى حل للنزاع الحدودي بين العراق وإيران، حول السيادة على شط العرب، وكذلك ضمن أعمال جامعة الدول العربية، شارك في جهود تسوية الصراع المسلح الذي اندلع بين الجيش الأردني، وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية في سبتمبر من عام ١٩٧٠م.

وفي عام ١٩٧١م سعى إلى حل النزاع بين باكستان وإقليم البنغال الذي كان جزءا من الجمهورية الباكستانية قبل أن ينفصل عنها في بداية السبعينيات من القرن العشرين، وقد أعقبت تلك المساعي جهود لتطبيع العلاقات بين باكستان وبنغلاديش.

وأيضا إثر تجدد الاشتباكات العسكرية بين شطري اليمن المنقسم، ما بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية، قام بزيارة الدولتين في أكتوبر عام ١٩٧٢م.

كما أنه في عام ١٩٨٠م، قام بوساطة بين سلطنة عمان و«جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية» أدت إلى توقيع اتفاق خاص بإعلان المبادئ خفف حدة التوتر بين الدولتين، ثم توسط لحل الخلاف الحدودي بينهما في عام ١٩٨٢م، إلى أن تمت دعوة وزيري خارجية الدولتين إلى الكويت، حيث بدأ الحوار هناك في ٢٥ أكتوبر ١٩٨٤م إلى أن تم توقيع


الأشقاء وتكريم خليجي



اتفاق المصالحة بين الطرفين برعاية الكويت ممثلة في الشيخ صباح الأحمد، ونص على إعلان انتهاء الحرب الإعلامية واحترام حسن الجوار وإقامة علاقات دبلوماسية بينهما في ١٥ نوفمبر ١٩٨٤م.

وكذلك في عام ١٩٨٢م، قاد عملية وساطة بين الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى والمملكة العربية السعودية أدت فيما أدت إلى إعادة العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين بعد انقطاع دام لأكثر من سنة، وكذلك في عام ١٩٨٣م، قاد وساطة بين بغداد وطهران لوقف الحرب العراقية - الإيرانية، ولم تكن تلك الوساطة الأولى التي يقودها، فمنذ أن اندلعت الحرب، استمرت جهود الخارجية الكويتية لوقف الحرب، وقد تنوعت بين جهود منفردة، وأخرى بالتعاون مع الإمارات العربية المتحدة، إضافة إلى العمل من خلال المنظمات العربية والإقليمية والدولية.

وبين أعوام ١٩٨٦-١٩٨٩م عمل على تشكيل لجنة تسوية لحل الخلاف بين الجمهورية التركية والجمهورية البلغارية، لحل مشكلة الأقلية التركية في بلغاريا، حيث جرى تنظيم اجتماعات لوزيري خارجية تركيا وبلغاريا في الكويت.

وكذلك خلال الحرب الأهلية في لبنان، كانت الكويت هي الطرف المقبول لدى كافة الأطراف المتنازعة في الساحة اللبنانية، واختارت جامعة الدول العربية سموه ليترأس اللجنة السداسية عام ١٩٨٨م، (مكونة من وزراء خارجية الكويت والجزائر وتونس والأردن والإمارات والسودان) التي شكلتها جامعة الدول العربية، والتي كانت مهمتها تحقيق التوافق بين مختلف الأطراف المتنازعة في لبنان لوقف الحرب الأهلية اللبنانية، وفي ذلك الوقت عقدت اللجنة اجتماعات في تونس، سعى فيها الشيخ صباح الأحمد إلى تقريب وجهات النظر، وعندما عقد مؤتمر القمة العربي غير العادي السادس في الدار البيضاء بالمغرب في مايو ١٩٨٩م، قرر الملوك والرؤساء العرب بعد اطلاعهم على تقرير أعده الشيخ صباح الأحمد، أن يعيدوا تشكيل اللجنة السداسية، حيث تم اختصارها بلجنة ثلاثية. هذه الجهود التي بذلها بصفته رئيسا للجنة السداسية شكلت فيما بعد روح اتفاق الطائف، ومهدت الطريق بدورها أمام قيام هذا الاتفاق وإنهاء الحرب في لبنان.

كذلك كانت للشيخ صباح الأحمد مواقف سديدة لحل الخلاف بين النظامين الحاكمين في العراق وسورية الذي كان نتاج انقسام حزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان يحكم كلا البلدين، وجولات أخرى لحل الخلافات بين النظامين الأردني والسوري في ثمانينيات القرن الماضي، ومحاولة تقريب وجهات النظر بين المملكة العربية السعودية وجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية، كما عمل على إزالة الخلافات التي كانت تضرب العلاقات الإماراتية السعودية، الذي أعقبها صدور قرار من جامعة الدول العربية نص على قطع العلاقات العربية مع النظام المصري، اكتفت دولة الكويت بتطبيق القرار دون أن تمارس ضغوطا اقتصادية على مصر ودون أن تنجر لحرب إعلامية وسياسية مع النظام المصري، إذ امتازت سياسة الكويت الخارجية التي تولاها صباح الأحمد آنذاك بهامش كبير من المناورة والمرونة السياسية.

ولم يغب الوضع الإنساني العالمي عن اهتمام سموه، فقد حرص على المشاركة في القمة الإنسانية العالمية التي استضافتها مدينة إسطنبول التركية خلال شهر مايو ٢٠١٦م وأكد فيها أن القمة مؤشر واضح على تفاعل المنظمة الدولية والعالم بأسره مع التحديات الخطيرة التي

يواجهها المجتمع الدولي.

مبادرات إنسانية دولية لصاحب السمو

إن الأعمال الخيرية الكويتية سواء من الحكومة أو الشعب، تغرس في نفوس الشعوب الصديقة لدولة الكويت نوعا من الإحساس بالتضامن الأخوي الإنساني، الأمر الذي يتطلب إعادة تعريف دولة الكويت وفق المفاهيم الإنسانية، أصبحت دولة الكويت تكتسب مفاهيم إنسانية جديدة أكثر من كونها مجرد نظام سياسي بالمفهوم التقليدي، فقد تولت الكويت زمام المبادرات الدولية في العمل الخيري الإنساني، واستحقت تكريم الأمم المتحدة لسمو أمير البلاد بتسمية سموه «قائدا للعمل الإنساني» ودولة الكويت «مركزا للعمل الإنساني»، خصوصا بعد أن استضافت الكويت المؤتمر الدولي للمانحين لدعم الوضع الإنساني في سورية لثلاث دورات متتالية، فقد حرص سمو الأمير خلال عام ٢٠١٦م، على مواصلة نشاطه السياسي ولقاءاته بقادة العالم وحضور المؤتمرات والفعاليات العالمية في خلق حشد دولي كبير، وأعلن سموه في المؤتمر عن مساهمة الكويت بمبلغ، ٣٠٠ مليون دولار على مدى ثلاث سنوات في دعم الوضع الإنساني للشعب السوري الشقيق. كما أنه في عام ٢٠١٥م، تبرعت دولة الكويت بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار لدعم الوضع الإنساني للشعب السوري. وفي عام ٢٠١٤م أعلن سموه مضاعفة مساهمة دولة الكويت الطوعية السنوية الثابتة لصندوق الأمم المتحدة المركزي للاستجابة للطوارئ الإنسانية إلى مليون دولار، وأيضا تبرعت دولة الكويت بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار أميركي من القطاعين الحكومي والأهلي لدعم الوضع الانساني للشعب السوري الشقيقة. كما استضافت الكويت في ديسمبر ٢٠١٣م، قمة مجلس التعاون لدول الخليج العربية في دورتها الـ ٣٤ ومنتدى حوار التعاون الآسيوي الأول في أكتوبر ٢٠١٢م الذي أعلن صاحب السمو خلاله تبرع دولة الكويت بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار لمصلحة برنامج تمويل مشاريع إنمائية في الدول الآسيوية غير العربية. وكذلك وفي نوفمبر من نفس العام استضافت الكويت القمة العربية الإفريقية الثالثة التي حضرها رؤساء وممثلو نحو ٦٠ دولة حيث أعلن سموه في كلمته السامية بافتتاح القمة عن توجيه المسؤولين في الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية بتقديم قروض ميسرة للدول الإفريقية بمبلغ مليار دولار على مدى السنوات الخمس المقبلة.

وفي عام ٢٠١٢م، أعلن سموه في مؤتمر قمة الاتحاد الإفريقي عن تبرع دولة الكويت بتكاليف تجهيز المقر الجديد للمفوضية العامة للاتحاد الإفريقي في العاصمة الإثيوبية، وفي العام نفسه أطلق سموه مبادرة لتنمية الدول الآسيوية غير العربية الأقل نموا، عبر برنامج من ملياري دولار، تساهم فيه دولة الكويت بـ ٣٠٠ مليون دولار. كما أعلن سموه عن عزم دولة الكويت تخصيص جائزة مالية سنوية بمبلغ مليون دولار، باسم المرحوم الدكتور عبدالرحمن السميط، تختص بالأبحاث التنموية في إفريقية.

وخلال مؤتمر المانحين لإعمار شرق السودان، الذي عقد في الكويت في ديسمبر ٢٠١٠م، جرى الإعلان عن مساهمة دولة الكويت بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار أميركي لمنطقة شرق السودان، على أن يقدم المبلغ، من خلال الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية. كما تبرع سموه بمبلغ مليون دينار كويتي لمشروع رحلة الأمل، التي ساهمت في إبراز وجه الكويت الإنساني.

ولم تنس الكويت القضية الفلسطينية التي اعتبرتها قضيتها العربية الأولى منذ بدايتها، وحتى اليوم، فاستمر الدعم الكويتي للفلسطينيين، وازدادت وتيرته في





عهد صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد، وتبرع سموه في عام ٢٠٠٩م، خلال القمة بمبلغ ٣٤ مليون دولار لتغطية احتياجات وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا). تبعها في مارس من العام نفسه تقديم مبلغ ٢٠٠ مليون دولار للسلطة الفلسطينية تدفع على مدى ٥ سنوات ضمن برنامج إعادة إعمار غزة وفي نوفمبر ٢٠١٢م وقعت دولة الكويت اتفاقية مع البنك الدولي تساهم بموجبها بمبلغ ٥٠ مليون دولار لدعم البرنامج الفلسطيني للإصلاح والتنمية الذي يشرف عليه البنك.

واستضافت الكويت في عهد صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد القمة الاقتصادية والتنموية والاجتماعية العربية الأولى في يناير ٢٠٠٩م التي شهدت أول مبادرة تنموية عربية طرحها سمو أمير البلاد متمثلة في إنشاء صندوق لدعم وتمويل المشاريع التنموية الصغيرة والمتوسطة في الدول العربية برأسمال قدره مليارا دولار تساهم الكويت فيه بحصة تبلغ ٥٠٠ مليون دولار.

كما أعلن سمو الأمير في القمة الثالثة لمنظمة البلدان المصدرة للنفط (أوبك) في نوفمبر٢٠٠٧م عن تبرع دولة الكويت بمبلغ ١٥٠ مليون دولار لدعم برنامج يمول البحوث العلمية المتصلة بالطاقة والبيئة والتغير المناخي، وكذلك أنشأت دولة الكويت صندوق الحياة الكريمة، وساهمت بمبلغ ١٠٠ مليون دولار في رأسمال الصندوق لمواجهة انعكاسات أزمة الغذاء العالمية على الدول الأقل نموا. وأيضا أطلق سموه في مؤتمر القمة العربية الذي عقد في الكويت مطلع عام ٢٠٠٩م، مبادرة دعم وتشجيع المشروعات الصغيرة والمتوسطة الحجم، برأسمال ملياري دولار، وأمر سموه بتقديم مبلغ ٥٠٠ مليون دولار لتفعيل انطلاقة هذه المبادرة.

جولة صاحب السمو في أسواق المباركية

على الرغم من أنه ليس مألوفا للشعوب العربية أن يروا حكامهم بينهم بصفة مباشرة، وبعيدا عن الأشكال الرسمية والاستعدادات المسبقة، فإنه في ليلة فريدة من نوعها من شهر فبراير عام ٢٠١٦م، قام سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، برفقة سمو الشيخ جابر المبارك الحمد الصباح رئيس الوزراء، وعدد من وزراء الدولة بالذهاب إلى أسواق المباركية، حيث التقى سموه بالمواطنين وسط السوق، والتف المواطنون من الرجال والنساء والشباب والأطفال حوله، وأخذوا يلتقطون صورا معه، وينشدون ويصفقون ترحيبا بسموه، كما ألقت مواطنة قصيدة مدح لسمو الأمير وللكويت، وسط فرحة وسعادة عارمة، وزغاريد النساء والبنات والتصفيق بتواجد صاحب السمو بينهم يستمع إليهم، ويتبادل أطراف الحديث معهم.

وهذا ليس بغريب على الأسرة الحاكمة في دولة الكويت، فمنذ أن عهدناهم وهم يختلطون بالشعب في الأعياد والمناسبات كالأفراح والتعازي وغير ذلك، لا نجد فرقا بين الحاكم والمحكوم، كما كانت هذه محاولة لبث نوع من الأنس والطمأنينة لدى المواطنين، وأيضا بمنزلة إعلان ضمني بأن حكام الكويت ما زالوا على العهد مع رعيتهم، وهذا البعد الاجتماعي هو الذي يعمق اللحمة المجتمعية، وينعكس على الترابط الاجتماعي بين مختلف مكونات الشعب الكويتي بشكل عام.

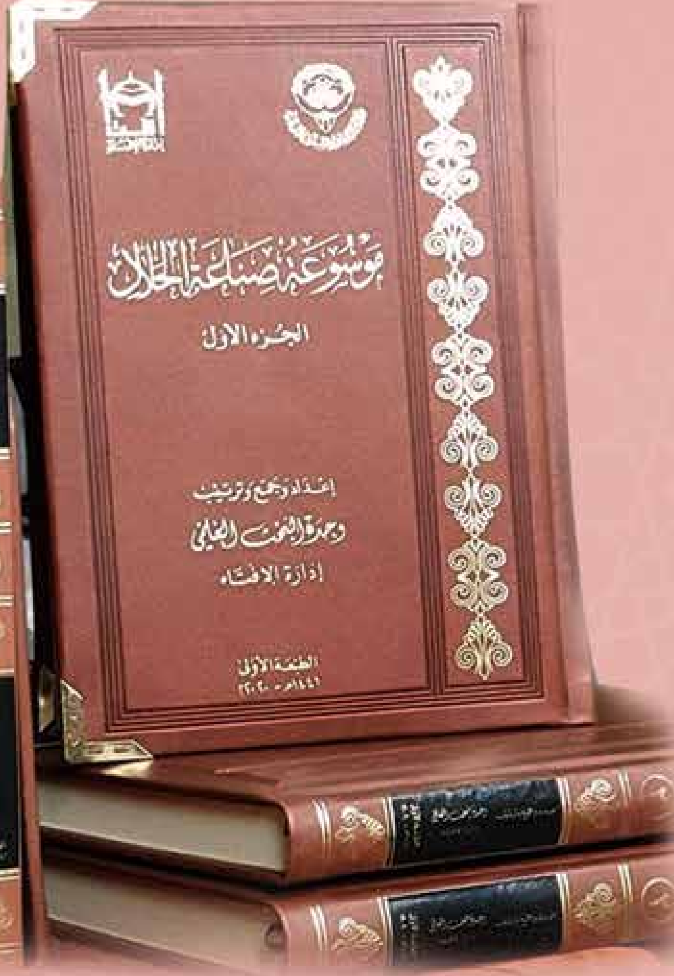
إن مسيرة سمو أمير البلاد ستبقى مسطرة ومضيئة في تاريخ الكويت، بإنجازاته وخدماته وإسهاماته التي قدمها لوطنه وشعبه والعالم العربي والإسلامي، وستظل نموذجا يحتذى في كل بلدان العالم، وأخيرا نود أن نؤكد على أنه رغم كل ما سبق ذكره آنفا من إنجازات تفخر بها الكويت والكويتيون، فإنها تبقى حروفا قليلة في صفحات كتاب صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح.



إعداد
علاء عبد الفتاح

أهدتها إدارة الإفتاء بالأوقاف الكويتية للعالم الإسلامي

«صناعة الحلال».. موسوعة فريدة



أهدت إدارة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت طلبة العلم ومحبيه الموسوعة الأولى من نوعها في عالمنا الإسلامي. وهي (موسوعة صناعة الحلال) التي استغرق العمل فيها أكثر من ثلاثة أعوام؛ حيث شملت مئات الفتاوى الصادرة خلال ثلاثة عشر قرنا، وهي تحتوي على أبواب كثيرة، مثل الأطعمة والأشربة والطب والتداوي والزينة ومستحضرات التجميل والمواد المضافة وغير ذلك.

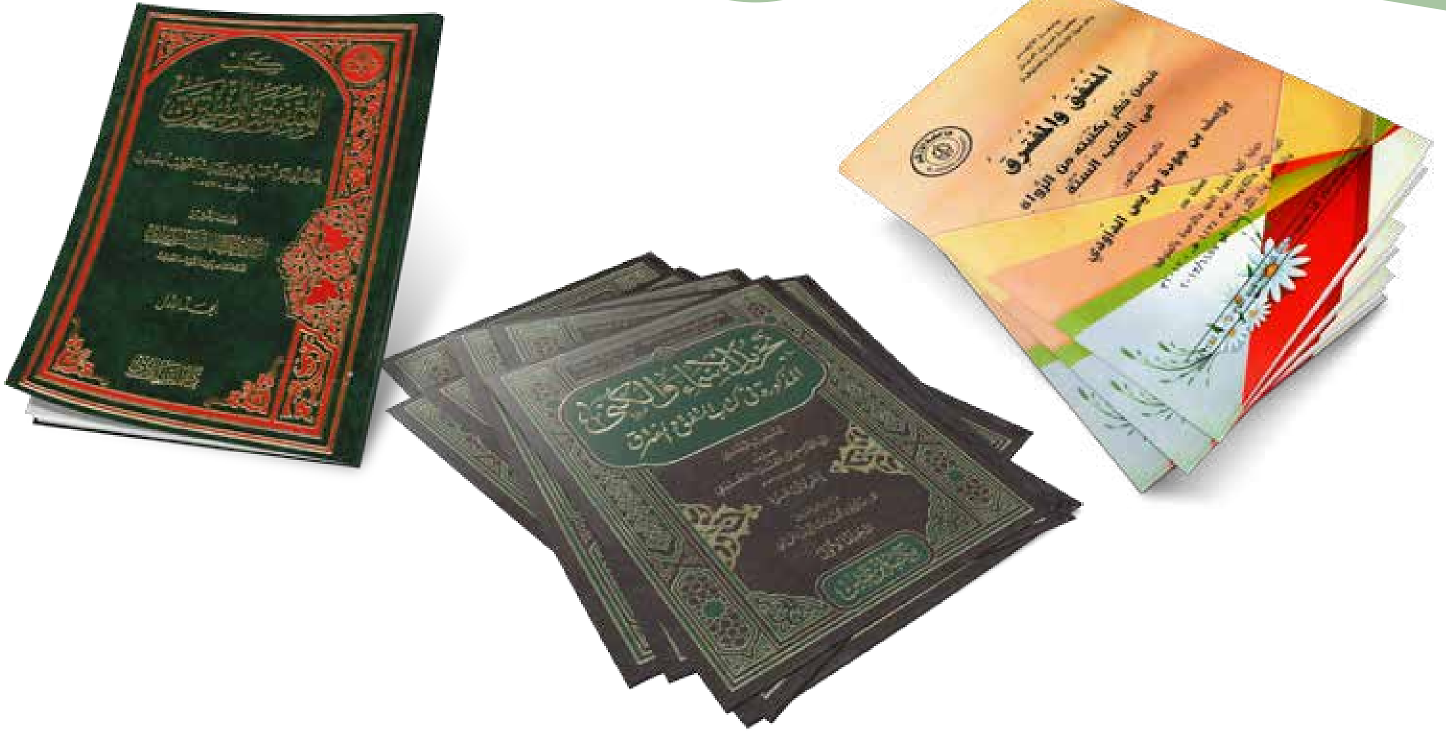
وبذلك تكون موسوعة صناعة الحلال هدية الإفتاء إلى المهتمين بصناعة الحلال وخدماته على مختلف فروعها.

«الوعي الإسلامي» حادثت الخبير في صناعة الحلال د. هاني منصور المزيدي الذي علق بقوله: سعيد جدا بتلقي نسخة من موسوعة صناعة الحلال، والموسوعة جديرة بأن يستفيد منها كل من يعمل في هيئة الحلال أو الإشراف على الحلال أو أي شركة استيراد تعمل في أي دولة مسلمة أو غير مسلمة ولا أبالغ إن قلت إنه ينبغي ألا يخلو بيت من بيوت المسلمين من موسوعة صناعة الحلال والتي تعد الأولى من نوعها في العالم واستمرار لسلسلة من الإنتاج المفيد من قبل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت في العصر الحديث بعد الموسوعة الفقهية (٤٥ مجلد). والموسوعة تبدأ بشرح منهجيتها في التأليف ومرجعيتها وجوانب التأليف، ثم تدخل في المصطلحات وصناعة الحلال على أساس أن الإنسان الذي يشرع في قراءة المجلدات تتكون عنده معرفة باللغة التي تستخدم في الكتاب.

وأضاف المزيدي أن الموسوعة تعد سفر مبارك تم إنجازه وإخراجه بهذه الصورة المفيدة من قبل جهود بذلت من قبل إدارة الإفتاء بالوزارة، وهو عبارة عن جمع للفتاوى التي تتعلق بجميع جوانب صناعة الحلال سواء كانت بالمواد أو أساليب الإنتاج أو مصادر المنتجات من دولة مسلمة أو غير مسلمة. وليس لدي أدنى شك أن هذه الموسوعة المكونة من ثلاث مجلدات ستتبعها مجلدات مكملة تغطي الجوانب الفنية، والتقنية، والتطبيقية، والمعايير الدولية في مجال صناعة الحلال لكي تكتمل الموسوعة وتخدم بشكل رئيسي هيئات الإشراف على الحلال في الدول غير المسلمة. كما أود أن ألفت انتباه طلبة العلم إلى أن موسوعة صناعة الحلال أرض خصبة لرسالة ماجستير أو دكتوراه، وتكون رسالة البحث تتعلق بمراجعة كاملة لكل الفتاوى المدرجة في موسوعة صناعة الحلال مع وضع الترجيح المعتبر من حيث الأدلة في كل موضوع فيها ونفي ما جانب الصواب منها.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٤٧)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمت لهم ترجمة وجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الدهلوي):

١- جمال الدين الدهلوي (ت:٧٥٠هـ):

هو جمال الدين عبدالله بن محمد الدهلوي.

من مصنفاته: (العباب في شرح اللباب في النحو، و(شرح تنقيح الأصول للمحبوبي)(١).

٢- صدر الدين الدهلوي (ت:٨٢٥هـ):

هو صدر الدين أبو الفتح محمد بن يوسف بن علي الدهلوي، صوفي.

ولد في دهلي بالهند سنة: (٧٢١هـ)، واستقدمه فيروز شاه البهمني إلى كلبركة سنة: (٨١٥هـ)، فسكن بها يدرس ويفيد إلى أن توفي.

من مصنفاته: (المعارف شرح العوارف للشهاب السهروردي)، و(تفسير القرآن)، و(آداب المريدين)، وغير ذلك(٢).

٣- سعد الدين الدهلوي (ت:٨٩١هـ):

هو أبو الفضائل سعد الدين محمود بن محمد الدهلوي، فقيه نحوي من علماء دهلي بالهند.

من مصنفاته: (إفاضة الأنوار في

إضاءة أصول المنار)، و(المقصد في النحو) أهداه إلى الملك الأشرف(٣).

٤- عبدالحق الدهلوي (ت:١٠٥٢هـ):

هو أبو محمد عبدالحق بن سيف الدين ابن سعدالله الدهلوي الحنفي، كان محدث الهند في عصره.

ولد بدهلي في الهند سنة: (٩٥٩هـ)، وجاور في الحرمين الشريفين أربع سنوات، وأخذ عن علمائهما.

من مصنفاته: (زبدة الآثار في أخبار قطب الأخيار)، و(أخبار الأخيار في أسرار الأبرار)، و(جذاب القلوب إلى ديار المحبوب) في أحوال المدينة المنورة، و(فتح المنان في مذهب النعمان)، و(مفتاح الغيب في شرح فتوح الغيب للجيلي)، و(مقدمة في مصطلح الحديث)، و(ثبت في مشايخه وأسانيده عنهم)، وغيرها من المصنفات التي كتبها باللغة الفارسية والعربية(٤).

٥- نور الحق الدهلوي (ت:١٠٧٣هـ):

هو نور الحق بن عبدالحق الدهلوي الهندي الحنفي، فقيه، محدث.

تولى القضاء بأكبر آباد، من مصنفاته: (شرح الجامع الصحيح للبخاري)، و(شرح الجامع الصحيح لمسلم)، و(زبدة التواريخ)(٥).

٦- ولي الله الدهلوي (ت:١١٧٦هـ):

هو ولي الدين أبو عبدالعزيز أحمد بن عبدالرحيم بن وجيه الدين الفاروقي الدهلوي الهندي، فقيه حنفي من المحدثين.

ولد بدهلي سنة: (١١١٤هـ)، أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواتهما، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار، زار الحجاز وحج وأقام بالحرمين مدة، وأخذ عن علمائها.

من مصنفاته: (الفوز الكبير في أصول التفسير)، و(فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير)، و(حجة الله البالغة)، و(إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء)، و(الإرشاد إلى مهمات الإسناد)، و(الإنصاف في أسباب الخلاف)، و(عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد)، و(المسوى من أحاديث الموطا)، و(شرح تراجم أبواب البخاري)، و(تأويل الأحاديث)، توفي بدهلي(٦).

٧- رفيع الدين الدهلوي (ت:١٢٣٣هـ):

هو رفيع الدين الدهلوي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، عارف باللغات العربية والفارسية والأردية.

ولد بدهلي سنة: (١١٦٣هـ) ونشأ بها، وتوفي بها.

من مصنفاته: (تكميل الأذهان)، و(تفسير آية النور)، و(دفع الباطل)، و(أسرار المحبة)، ومجموعة رسائل(٧).

٨- سراج الهند الدهلوي (ت:١٢٣٩هـ):

هو سراج الهند عبدالعزيز بن ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي العمري الفاروقي، مفسر عالم بالحديث.

ولد سنة: (١١٥٩هـ)، من مصنفاته: (فتح العزيز في تفسير القرآن)، و(بستان المحدثين)، و(التحفة الاثنا عشرية)، و(تنوير العينين في رفع اليدين)، ورسائل(٨).

٩- محمد الدهلوي (ت:١٢٤٧هـ):

هو محمد بن إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي، عالم بالكلام والحديث، هندي.

من مصنفاته: (الإدراك لتخريج أحاديث الإشراك) في علم الكلام، و(إنجاح الحاجة شرح سنن ابن ماجه)(٩).

١٠- عبدالغني الدهلوي (ت:١٢٩٦هـ):

هو عبدالغني بن أبي سعيد العمري، المجددي الدهلوي، الهندي، ثم المدني، الحنفي.

ولد ببلدة دهلي سنة: (١٢٣٥هـ)، ونشأ بها، وقرأ على جماعة من العلماء، ثم هاجر إلى الحرمين الشريفين، وتوطن المدينة المنورة.

من تصانيفه: (إنجاح الحاجة حاشية على سنن ابن ماجه)، و(رسالة في تخريج أحاديث مكتوبات الإمام الرباني) توفي بالمدينة المنورة، ودفن بالبقيع(١٠).

١١- أبو الفيض الدهلوي (ت:١٣٥٥هـ):

هو أبو الفيض وأبو الإسعاد عبدالستار ابن عبدالوهاب بن خدايار الدهلوي البكري الصديقي الحنفي.

ولد بمكة سنة: (١٢٨٦هـ)، وكان من المدرسين بالحرم المكي.

من مصنفاته: (فيض الملك المتعالي، بأبناء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي)، و(أعذب الموارد، في برنامج كتب الأسانيد)، و(سرد النقول في تراجم الفحول)، و(ولاة مكة بعد الفاسي)، و(الأزهار الطيبة النشر في ذكر الأعيان من كل عصر)، و(بغية الأديب الماهر) ثبته، و(نثر المآثر فيمن أدركته من الأكابر)، وغير ذلك، توفي بمكة(١١).

١٢- رحمة الله الدهلوي (ت:١٣٠٦هـ):

هو رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الدهلوي، عالم، فقيه، متكلم.

من مؤلفاته: (إظهار الحق في الرد على النصارى)، و(التنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعث والحشر والميقات)، و(النصر في تأييد صلاة العصر)، توفي بمكة(١٢).

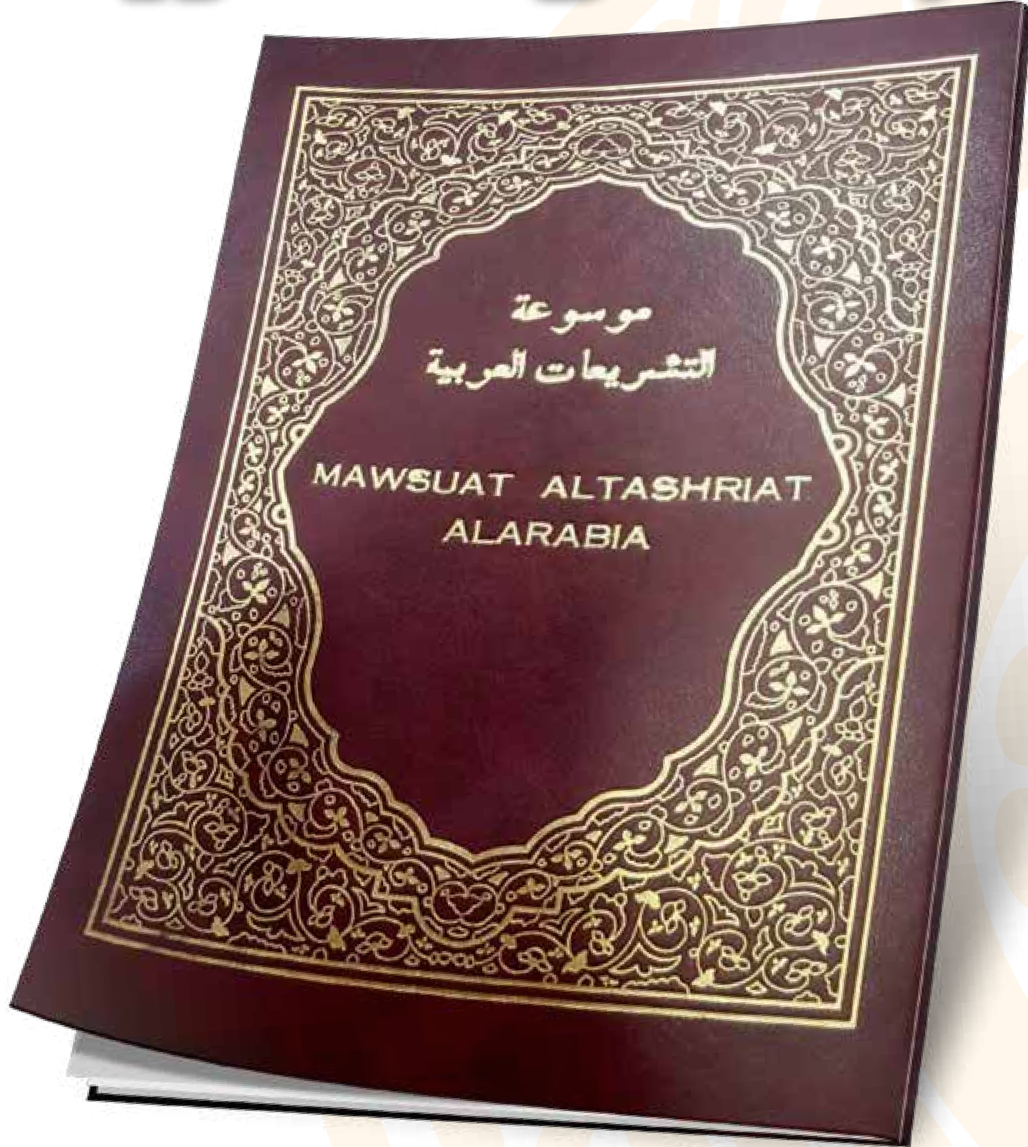
الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (١٢٦/٤) ومعجم المؤلفين (١١٨/٦).
٢- انظر: إيضاح المكنون (٤/١) والأعلام للزركلي (١٥٤/٧) ومعجم المؤلفين (١٣٠/١٢).
٣- انظر: الجواهر المضية (١٦٢/٢) والأعلام للزركلي (٦/٦)، وفيه ذكر اسمه: (عبدالله بن عبدالكريم)، ومعجم المؤلفين (١٩٥/١٢) وترجم له أيضا: (٢١٥/٤).
٤- انظر: هدية العارفين (٥٠٣/١) والأعلام للزركلي (٢٨٠/٣) ومعجم المؤلفين (٩١/٥).
٥- انظر: هدية العارفين (٤٩٩/٢) وإيضاح المكنون (٣٥٤/١) ومعجم المؤلفين (١٢٠/١٣).
٦- انظر: هدية العارفين (٥٠٠/٢) والأعلام للزركلي (١٤٩/١) ومعجم المؤلفين (١٦٩/١٣)، وترجم له أيضا: (٢٩٢/٤).
٧- انظر: معجم المؤلفين (١٦٩/٤).
٨- انظر: إيضاح المكنون (١٨٢/١) (١٦٦/٢) والأعلام للزركلي (١٤/٤) ومعجم المؤلفين (٢٤٣/٥).
٩- انظر: الأعلام للزركلي (٣٨/٦) ومعجم المؤلفين (٥٨/٩).
١٠- انظر: هدية العارفين (٥٩٥/١) وإيضاح المكنون (١٣١/١) ومعجم المؤلفين (٢٧٤/٥).
١١- انظر: الأعلام للزركلي (٣٥٤/٣) ومعجم المؤلفين (٢٢٢/٥)
١٢- انظر: هدية العارفين (٣٦٦/١) ومعجم المؤلفين (١٥٣/٤).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

موسوعة التشريعات العربية



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «موسوعة التشريعات العربية» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالموسوعة

وهي موسوعة عربية بلسان عربي، شاملة جامعة لكل التشريعات المعمول بها في الدول العربية الأعضاء في جامعة الدول العربية، جامعة علمية متنقلة.. سفر متنقل لحاضر العرب الشامل اقتصاديا واجتماعيا وفكريا وتراثيا وتقاليد... ووفق كتاب غينيس للأرقام القياسية سنة: (١٩٩٩م)، كتاب: (٢٠٠٢م، ص:١٥٥): فهي أكبر كتاب في العالم إذ يتكون من: (٢٠٠) مجلد.

وصاحب هذه الفكرة والموسوعة هو الأستاذ محمد بن يونس المحامي صاحب موسوعة التشريعات الليبية.

صاحب الموسوعة

محمد أبو بكر بن يونس الورفلي، صاحب أكبر موسوعة في العالم. ولد في بنغازي في ليبيا سنة: (١٩٣١م)، ودرس بمدارسها، حتى نال الشهادة الثانوية، ثم التحق بكلية الحقوق جامعة عين شمس، وتخرج فيها سنة: (١٩٥٧م)، وفي السنة الموالية التحق بسلك القضاء في ولاية برقة ثم تولى منصب رئيس النيابة العامة لولاية برقة، وأصبح من أوائل أعضاء هيئة التدريس في كلية الحقوق بالجامعة الليبية عند افتتاحها. وبسبب اهتماماته الرياضية، انتخب رئيسا لنادي النجمة الرياضي بمدينة بنغازي.

وفي سبعينيات القرن الماضي عين عميدا لبلدية بنغازي، ثم محافظا لها سنة: (١٩٧١م)، ثم وزيرا للخدمة المدنية، ثم سفير ليبيا بجامعة الدول العربية.

له موسوعتان: الأولى: (موسوعة التشريع الجزائري) وأتمه سنة: (١٩٨٢م)، في ٢٥ مجلدا، تحوي جميع التشريعات النافذة المفعول في الجزائر. أما الثانية فهي موسوعة التشريعات العربية، التي تتضمن جميع النظم والتشريعات النافذة المفعول بها في جميع الدول العربية وعلى جميع مستويات التشريع الصادرة باللغة العربية، وأكبر موسوعة دولية في مجال التشريع في العالم، الذي استطاع أن يدخل بها موسوعة غينيس للأرقام القياسية، التي شهدت في ١٩٩٩/١٠/١٤م بأن «أكبر موسوعة في العالم هي موسوعة التشريعات العربية لصاحبها محمد أبوبكر بن يونس». وقد ربا عدد مجلداتها على مئتي مجلد، يضاف إليها الفهارس والملاحق التي تقع في مئة وعشرين ألف صفحة، ووزنها أربعة قناطير، ومعها أول فهرس عام للتشريعات العربية.

دعاه الأزهر الشريف مع مئتين وخمسين شخصية إسلامية من العالم الإسلامي كله، لحضور المؤتمر الإسلامي الكبير، الذي انعقد في القاهرة سنة: (١٩٨٣م) بمناسبة العيد الألفي لإنشاء الأزهر الشريف. حصل على عديد من الأوسمة والشهادات التقديرية من ملوك ورؤساء وسلاطين العالم العربي، وقد وافته المنية في القاهرة بتاريخ: (٢٠٠١/١٠/٣٠م)، رحمه الله.

محتوى الموسوعة

- تشريعات الدول التي تنتظمها الموسوعة: حيث إنها تشمل جميع التشريعات العربية المعمول بها في جميع الدول العربية الأعضاء في جامعة الدول العربية.
- تضم الموسوعة جميع الدساتير العربية والقوانين والنظم والأظهرة والمراسيم والأوامر والأنظمة والقرارات الملكية والجمهورية وقرارات مجالس الثورة والقرارات الصادرة من مجالس الوزراء والقرارات الوزارية والوزيرية التي تنظم المسائل التشريعية وتتضمن قواعد عامة مجردة دون تلك التي تتناول شؤونا فردية أو أوضاعا خاصة.

وبسبب الحركة الدائمة في سلك التشريع وتغير التشريعات واستبدالها أو تحديثها وصعوبة مسايرة هذه الحركة النشطة؛ فإن الموسوعة لم تتضمن من التشريعات سوى المعمول به وحده بكل ما طرأ عليه من تعديل أو إضافة مدمجة في ذات المتن مع الإشارة إلى سنة التعديل وتاريخ صدوره في الجريدة الرسمية.

فهذه الموسوعة تنطوي على استخلاص كامل لكل التشريعات النافذة في كل دولة؛ يوفر للباحثين ولرجال التشريع بالذات والعاملين في حقله والدارسين في مجاله صورة واضحة للمعمول به من التشريعات حتى يتسنى لهم الوصول إلى مواطن النقص وأوجه البتور فيه ونواحي التعديل والإصلاح المرجوة.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي على نسخة مكونة من: (١٠٣) مجلدات، منها ثلاثة مجلدات عبارة عن فهارس. وهي في متناول قرائها الأفاضل والمهتمين بعلم القانون والتشريع.

المصادر

- موسوعة التشريعات العربية.
- موقع alwasat الإلكتروني، مقال بعنوان: في مثل هذا اليوم رحل رجل القانون محمد أبو بكر بن يونس، لمحمد عقيلة العمامي، (٢٠١٩/١٠/٣٠م).



هشام الصباغ
باحث لغوي

مفكر المغرب وفيلسوفه

عبدالله كنون

● عالم ومفكر مغربي، وذاكرة مغربية حقيقية، عمل على إعادة بناء الأدب المغربي، وتجاوز مظاهر التقليد، وهو أحد المؤسسين لذاكرة الثقافة المغربية في أبعادها الإسلامية واللغوية والوطنية.. ساهم في إرساء قواعد النهضة العلمية والأدبية في الوطن العربي، كما أنه أحد أعمدة اللغة العربية فيه.

● عايش ذروة هجوم الفكر الغربي، الذي يعتمد «العقل» ويطلق «الأخلاق»، على العالم الإسلامي، ورأى أن الاندماج في الحضارة الغربية من دون ضوابط سيؤدي، لا محالة، إلى أن نفقد هويتنا؛ فعمل على إيجاد إطار فكري لذلك الصراع، يتشكل من خلاله وعي نخبوي بضرورة الإصلاح المجتمعي الشامل، معتمدا في ذلك الموروث الإسلامي يتخلله تجديد وانفتاح على مستجدات العصر.

● من قادة الفكر والعلم والعمل الوطني، لم يكتف بمسايرة الركب الحضاري والثقافي، الذي قدر أن تبدأ انطلاقته من المشرق العربي، لكن قادته مواهبه ومؤهلاته وشخصيته إلى السبق، والتفرد، والتميز عن أقرانه وخلانه، فكان مثالا نادرا للعصامية، وكان نسيج وحده حقا وصدقا.

● خلف أثرا واضحا في الدراسات الأدبية، وفي كتابة التراجم، وفي تحقيق المخطوطات، وفي إصدار الصحف والمجلات وإدارتها والإشراف عليها وتزويدها بالمادة المتنوعة الغنية، وفي العمل الأكاديمي والمجمعي، وفي الدعوة الإسلامية بالحكمة وبالعقل السديد وبالأناة والحلم وسعة الصدر واستنارة البصيرة.

● «جمع بين خلال الشيوخ؛ من سعة العلم والأدب وكمال العقل والمروءة وبعد النظر وسداد الرأي والرزانة والحلم والوقار، إلى خلال الشباب؛ من النشاط والحزم وفكاهة الحديث وحسن المحاضرة وطرافة النكتة مع صحة العقيدة والكرم والشهادة والوطنية الموزونة بميزان الشرع المحمدي المكتسبة من القرآن وسيرة الرسول ﷺ» (كما وصفه الدكتور تقي الدين الهلالي).

● جمع بين الأصالة والمعاصرة، والتوفيق بين العلم والدين، وكذا النقد والشعر، والدراسة مع التحقيق، وذلك راجع لرؤيته الإصلاحية التي اتسمت بالشمولية والعلمية والموضوعية والموازنة، واعتمدت الاستفادة من الأصول والأخذ بإيجابيات الحاضر، مع الاستئناس بالتراث، بعيدا عن الاستئصال والماضوية.

● مؤسس النهضة التعليمية في طنجة، وباعث الروح العربية والإسلامية في أبنائها، ومنشئ أول مدرسة حرة بها وهو الأمين العام لرابطة علماء المغرب.. وهو الكاتب، والمؤرخ، والصحافي، والشاعر.. وهو عضو العديد من المجامع العلمية واللغوية والإسلامية.. إنه عبدالله ابن الشيخ عبدالصمد ابن التهامي كنون.

مولده ونشأته وتعليمه

● في مدينة فاس يوم السبت ٢٠ من شعبان ١٣٢٦هـ الموافق ١٦ سبتمبر ١٩٠٨م، ولد كنون لأسرة سنية محافظة.

● في مرحلة صباه المبكر، تلقى تعليمه من أربعة مناهل: الأول: على يد والده العلامة الفقيه، وفي بيت الأسرة في طنجة، التي استقرت بها بعد تعذر هجرتها إلى الشام من فاس إثر قيام الحرب العالمية الأولى، إذ كان والده عالما ضليعا، متبحرا، مشاركا، له قدم راسخة في العلوم والمعارف المتنوعة؛ والثاني: علماء طنجة في مساجدها التي كانت بمنزلة جامعات مفتوحة تعج بالعلم والعلماء وشداة المعرفة من كل الأعمار والفئات وقتئذ؛ والثالث: في بيوت بعض العلماء في علوم معينة. والرابع: من خلال إغراق نفسه في قراءات حرة لكل ما يصل إلى طنجة من كتب ومجلات وصحف.

● حفظ القرآن صغيرا، وأتقن حفظ المتون، وأجاد رواية الحديث والشعر، وتبحر في علوم الشريعة واللغة العربية والتفسير والتاريخ، واهتم بالأدب والشعر والصحافة، ثم لحق بـ «القرويين» ليتلقى علوم عصره على كبار المشايخ يومئذ، فغدا في فترة وجيزة، عالما بالشريعة وأركانها، وباللغة وأسرارها، ولم يبلغ عقده الثاني بعد.

● فـي سـن مـبـكـرة احـتـك كـنـون بالثقافة الأوروبية عبر دراسته للغتين الفرنسية والإسبانية، كما بدأ الكتابة فـي المـجـلات والـصـحـف المـغـربـيـة، فكتب في «الرسالة» و«الميثاق» (لسان جماعة العلماء بالقرويين التي كان عضوا في مجلس إدارتها)؛ ما أكسبه شهرة واسعة في المغرب والمشرق.

.. عن فكر كنون الإصلاحي

● يؤمن بـأن التجديد سنة كونية واجتماعية وتاريخية، ولذلك اعتمد منـهـجـا مـعـاصـرا لا يـتـعـارض مع الأصـــول.. اتسـم فـكـره الإصـلاحـي باعتماد أسلوب التـدرج في ترتيب الأولويات ومراعاة الزمان واستحضار الجانب السيكولوجي أثناء الخطاب، وبمحاربة الثقافة غير المنسجمة مع منظومة الإسـلام، والدعوة للتوفيق بين معطيات الدين وامتيازات الواقع؛ أي الربط بين الدين والعلم والفلسفة.

● المنهج الإسلامي عنده هو الضامن للعلم والعمل والإخلاص والصبر، كون الإسلام هو الإطار الضروري لتدبير قضايا المجتمع، والمحدد الأساسي للمشروع الإصلاحي.

● حصر أهداف العملية الإصلاحية فـي عـزة الإسـلام وشـرف العروبة، وكـرامـة الإنـسـان، وحـريـة الـوطـن. ورأى أن الإصـلاح الـذي لا يتوخى معنى الأصالة، يجب الحذر منه؛ لأنه يهدف إلـى إضعاف مقومات الأمة ومحو شخصيتها وبالتالي استتباعها، «وهـو مـا يفرض علينا، الـربـط بين فكرة الإصلاح والمسوغ الديني، إذ إن الإصلاح منهج تغيير حضاري مؤصل بالكتاب والسنة، ولا يعارض الحداثة، كونهـا جـزءا مـن مـشـروعـه مـا لم تصطدم بقطعيات النص وتتحرر من الخلفيات الإيديولوجية التغريبية».

● نـادى بإسـلامـيـة المـعـرفـة؛ أي إخضاعها لقراءتي العقل والوحي، وركز على ضرورة إحداث تعليم يساهم في نهضة الأمة الإسلامية، ويقضي على برامج التعليم الاستعمارية التي تعتمد على تغييب الدين الإسلامي في المناهج الدراسية، وتغريب التعليم والمسـاهـمـة فـي انـحـطـاطـه، وذلـك لإيمانه بأن «إصلاح المجتمع مرتبط بإصلاح التعليم»؛ فعمل على إنشاء مدارس حرة، بمبادرات فردية، وانكب على تطوير التعليم الإسلامي ودمجه في المدارس الحكومية، وطعمه بالمواد الحديثة دون المساس بجوهره، وأعاد الاعتبار لجامعة القرويين.

المسار العملي

● اشتغل ابـتـداء مـن سنة ١٩٣٦م بـالـتـدريـس، حـيـث أسـس مـدرسـة «عبدالله كنون» الحرة والمعهد الديني بطنجة، كما عمل سنة ١٩٣٧م مديرا للمعهد الخليفي، ثم أستاذا بالمعهد العالي، وبكلية أصول الدين بتطوان.. تقلد منصب وزير العدل في الحكومة الخليفية بين سنتي ١٩٥٤ و١٩٥٦م، ثم عين عاملا بطنجة سنة ١٩٥٧م وقدم استقالته عام ١٩٥٨م.

● تـرأس كنون تحرير مجلة «لسان الـديـن» كـمـا عـمـل مـديـرا لجـريـدة «المـيـثـاق» وسـاهـم فـي تحرير مجلة «الإحياء».. وحظي بعضوية مجموعة من الهيئات منها: المجمع العلمي بـدمـشـق، مـجـمـع الـلـغـة الـعـربـيـة بالقاهرة، رابطة علماء المغرب، هيئة القدس العلمية، مجمع اللغة الأردني، المجمع العلمي الـعـراقـي، أكاديمية المملكة المغربية.

إرث كنون.. و«النبوغ المغربي»

● مؤلفات كنون متعددة، في الأدب والشعر، وفي الفكر والإصلاح، وفي الشريعة والـواقـع، منها: «ذكـريـات ومشـاهـيـر رجـال المـغـرب»، و«أدب الفقهاء»، و«مدخل إلى تاريخ المغرب»، و«جـــولات فـي الـفـكـر الإسـلامـي» و«النبوغ المغربي في الأدب العربي».. والأخـيـر حجة فـي بـابـه، وقـد أثنى عليه الدكتور طه حسين ثناء جميلا، وهو المعروف بأنه قلما يرضيه شيء.

● وجد كنون الأدب المغربي متجاهلا لـدى معظم المهتمين بتأريخ الأدب العربي، سواء من المشارقة أو غيرهم، فكانت الحاجة لإخـراج ذلك النبوغ للعلن وإلقاء الضوء عليه، فكان مؤلفه «النبوغ المغربي في الأدب العربي»، بقصد بيان اللبنة التي وضعها المغرب في صرح الأدب العربي، وبرع كنون في تأريخ الأدب المغربي من جوانبه الفكرية والسياسية.

إسهاماته مع «الوعي»

● لـلـعـلامـة عـبـدالله كـنـون ثـلاث مـشـاركـات مع المجلة، جـاءت تحت عـنـاويـن: «آيـة الإسـراء والمـعـراج» (ع:٧٩، رجـب ١٣٩١هـ/أغـسطس ١٩٧١م)، «مدرسة الإحسان» (ع:٨١، رمضان ١٣٩١هـ/ أكتوبر ١٩٧١م)، «المعراج رحلة إلى السماء» (ع:٩١، رجب ١٣٩٢هـ/ أغسطس١٩٧٢م).

وفاته

● بعد ٨١ عاما قضاها في خدمة الإسلام والمسلمين، توفي عبدالله كنون في ٩ يوليو ١٩٨٩م في مدينة طنجة بـالمـغـرب، بـعـد حـيـاة حافلة بالعطاء.

المصادر والمراجع

١ - كتاب «علماء وأعـلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢ - موقع الجزيرة.
٣ - المكتبة الشاملة.
٤ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد / تركي محمد النصر

فائدة في «الوسوسة في النية»

قال العلامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى: «لو أراد (الإنسان) إخلاء أفعاله عن نيته، لعجز عن ذلك، ولو كلفه الله الصلاة والوضوء بغير نية، لكلفه ما لا يطيقه، ولا يدخل تحت وسعه.

وما كان هكذا فلا وجه للتعب في تحصيله، وإن شك في تحصيل نيته، هذا نوع جنون؛ فإن نوع علم الإنسان بحال نفسه، أمر نفسي فكيف يشك فيه عاقل من نفسه؟

ومن قام ليصلي صلاة الظهر خلف الإمام، كيف يشك في ذلك؟ ولو دعاه داع إلى شغل في تلك الحال لقال: إني مشغول أريد صلاة الظهر.

ولو قال له قائل في وقت خروجه إلى الصلاة: أين تمضي؟ لقال: إلى صلاة الظهر خلف الإمام.

فكيف يشك عاقل بهذا من نفسه وهو يعلمه يقينا؟!»

انظر: ذم الموسوسين: (ص/٨).

انقطاع تعلق الروح بالبدن

قال العلامة السفاريني رحمه الله تعالى: «واعلم أن الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وانتقال من دار إلى دار. وهو من أعظم المصائب... فهو المصيبة العظمى، والرزية الكبرى، وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكير فيه وترك العمل له، مع أنه فيه عبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن أفتكر»

انظر: البحور الزاخرة في علوم الآخرة: (١١/١).

خير الكلام

قال الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى: «لا خير في الكلام إلا في تسع: تهليل، وتكبير، وتسبيح وتحميد، وسؤالك عن الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك القرآن»

انظر: الصمت لابن أبي الدنيا: (ص/٢٤٦).

رقة القلوب

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: «فأما رقة القلوب فتنشأ عن الذكر، فإن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته، ويذهب بالغفلة عنه»

انظر: لطائف المعارف: (ص/١٦).

احرص على الحلال

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «القليل من الحلال يبارك فيه، والحرام الكثير يذهب ويمحقه الله تعالى»

انظر: مجموع الفتاوى: (٢٨/٦٤٦).

مشاركة: يعقوب الجناع

القلوب ظروف

قال أبو الخير الأقطع -وهو أحد الزهاد العباد- رحمه الله تعالى: «القلوب ظروف: فقلب مملوء إيمانا فعلامته الشفقة على جميع المسلمين والاهتمام بما يهمهم ومعاونتهم على أن يعود صلاحه إليهم، وقلب مملوء نفاقا فعلامته الحقد والغل والغش والحسد»

انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر: (١٦١/٦٦).

رسالة إلى معلمي العربية

قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى: «لقد قلنا حتى انشقت من القول حناجرنا، وكتبنا حتى نضب مدادنا وتكسرت أقلامنا، ولم نر لما كتبنا وقلنا نتيجة ولا أثرا، فلم يبق علينا إلا أن نخاطب هؤلاء المعلمين، معلمي العربية، بالصراحة وبالقلم العريض، فنقول لهم:

إنكم حانثون بعهد العروبة ما دمتم تتساهلون في فحوص العربية، وتدرسونها على طريقة قديمة، على أصول جافة تنفر التلاميذ منها وتبغضها إليهم، وما دمتم لا تصطنعون في تدريسها الطرق المصطنعة في اللغة الفرنسية مثلا، النحو الفرنسي يدرس غالبا على شكل جميل تطبيقي يستطيع به الطالب أن يقرأ بلا خطأ ويكتب بصحة ويحلل ما يقرأ، وتدرسون أنتم النحو على طريقة ما أدري والله ما هي، وما أظنها تصلح لتدريس لغة الزنوج! تحفظون التلاميذ التعاريف بالحرف وتقسرونهم على استظهارها قسرا، دون أن تعلموهم كيف يطبقونها على القراءة والإنشاء، فيرون اللغة ونحوها شبحا مخيفا، فينفرون عنها ولا يستمرئونها ما عاشوا».

انظر: البواكير: (٨٤/١).

الأقدار غالبة

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: «الأقدار غالبة، والعاقبة غالبة، فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال، ولهذا شرع الدعاء بالثبات على الدين، وحسن الخاتمة»

انظر: شرح السنة: (١٣٠/١).

أثر الانفعال النفسي

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «الانفعال النفسي له أثر كبير في إضعاف الإنسان، فأحيانا يتوهم الصحيح أنه مريض فيمرض، وأحيانا يتناسى الإنسان المرض وهو مريض فيصبح صحيحا، فانفعال النفس بالشيء له أثر بالغ»

انظر: القول المفيد: (١٠٠/١).

صومعة المؤمن

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «نعم صومعة الرجل بيته؛ يحفظ فيه لسانه وبصره»

انظر: الزهد لابن أبي عاصم: (ص/٤٦).

أصول الخطايا

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر: وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره. والحرص: وهو الذي أخرج آدم من الجنة. والحسد: وهو الذي جرأ أحد ابني آدم على أخيه. فمن وقي شر هذه الثلاثة فقد وقي الشر؛ فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد»

انظر: الفوائد: (ص/١٠٦).



إعداد: التحرير



شجرة مثمرة

قديما كانت حواف الترع والجداول حافلة بأشجار التوت والجميز، نأكل منها كما نشاء، لا يعترضنا أحد، فقد كانت ملكا للجميع، لماذا لا نعود إلى زراعة الأشجار المثمرة مثل النخيل والتوت والجميز صدقة جارية، يستظل بها المارة والمسافرون، ويأكل منها الفقراء والمساكين، والطير ، ونسمع من بين أغصانها زقزقة العصافير التي تطرب لها النفس، بدلا من زراعة الأشجار غير المثمرة؟! لقد زرع لنا الأجداد أشجارا ننتفع بها اليوم، ومن الواجب علينا أن نزرع مثلها لأبنائنا وأحفادنا، لينتفعوا بها، ولا أطلب من الدول غرس هذه الأشجار، فالدولة مثقلة بالهموم، ولكن أطلب من نفسي ومن كل إنسان أن يغرس شجرة مثمرة لوجه الله تعالى، صدقة جارية، ومساهمة يسيرة في تجميل وجه بلادنا العظيمة.

د. يحيي محمود سنبل



كفاح ورد جميل

هناك كثير من المفكرين والعظماء والمبدعين وأساتذة الجامعات ممن يشار إليهم بالبنان لهم قصة كفاح تبين كيف نجحوا وتغلبوا على معوقات النبوغ والتميز، ومنهم من هم من أسر بسيطة، ومنهم أيتام كافحت عليهم أمهاتهم وربتهم فأحسنت تربيتهم فلهم منا كل شكر وتقدير، وأمام كفاح الآباء والأمهات لتعليم أبنائهم، يحرص هؤلاء الأبناء البررة على تقدير آبائهم وأمهاتهم، ويفتخرون بهم في المجالس والمنتديات العلمية؛ فهذا يباهي بأن أباه كان يعمل عملا بسيطا، وذاك يفتخر ويعتز بأن أمه كانت تعمل عملا شريفا بسيطا من أجل إكمال تعليمه، وهكذا يكون الكفاح ورد الجميل في أبهى صوره.

د. محمد عباس عرابي

المهيمن

لعلا المهيمن رقنا يا ساقي
وامنح كؤوس العشق للعشاق
وامنحني نهر الحب دون توقف
فأنا العليل وحبه ترياقي
أغرقني فيه لكي أطهر مهجتي
نجاة هذا القلب في الإغراق
حدث عن الرحمن في عليائه
حدث عن الجبار والخلاق
حدث عن المتعال في ملكوته
حدث عن الآيات في الآفاق
حدث عن الإكرام في إمهاله
حتى تتوب جماعة الفساق
حدث عن القهار نفث بلائه
هز الممالك كيف حين يلاقي؟!
حدث عن القدوس جل جلاله
حتى تسيل مدامع ومآقي
جهل الكثير جلاله فتباعدوا
والبعد عنه بداية الإخفاق
ننسى العبادة في أداء عبادة
فالقلب مشغول من الأعماق
نرجو الرضا ممن سواه ودونه
ورضاؤه الأعلى على الإطلاق

أبواليزيد محمد الشاذلي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:



alwaeiq8@gmail.com





الحجامة في السنة النبوية

الحجامة هي سحب الدم الفاسد من الجسم الذي سبب مرضا معينا أو قد يسبب مرضا في المستقبل بسبب تراكمه وامتلائه بالأخلاط الضارة عن طريق محجم، إما بتشريط الجلد واستخراج الدم من مكان التشريط، أو بالضغط على مكان الألم دون تشريط.

وقد ثبت بالأبحاث فعالية الحجامة في علاج العديد من الأمراض التي يشكو منها الكثير من الناس مثل الصداع المزمن والآم الظهر والبواسير والمفاصل والنقرس وارتفاع ضغط الدم والأمراض النسائية.. وغيرها.

والحجامة مارسها المسلمون الأوائل وقصدها الرسول ﷺ بحديثه الذي رواه البخاري وابن ماجه عن ابن عباس «الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار وأنهى عن الكي»، وقال ﷺ في حديث رواه أحمد والطبراني والحاكم «خير ما تداويتم به الحجامة».

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس قول الرسول ﷺ: «إن خير ما تحتجمون فيه يوم سابع عشرة أو تاسع عشرة ويوم إحدى وعشرين».

ولقد حوت السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تبين الثناء على الحجامة وترشيحها كأفضل وسيلة للوقاية أو العلاج من الأمراض، فقد ورد ذكرها في أكثر من خمسة وعشرين حديثا صحيحا.

وقد احتجم الرسول ﷺ مرات عدة طوال حياته، إما وقاية وإما علاجا، وبذلك تكون الحجامة سنة من سنن الرسول ﷺ الغائبة عن أذهاننا والتي لم تأخذ حقها من الاهتمام والاعتراف بها كمعالجة ناجحة للعديد من الأمراض.

والحجامة التي تركها الكثير من الناس وقللوا من أهميتها تدرس الآن في الجامعات الأوروبية كعلم ينال عليه الطالب شهادة جامعية كمعالج بالحجامة، كما لها العديد من المراكز المتخصصة.

د. محمد محمود العطار

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw





مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

 alwaeiq8@gmail.com

 @Alwaei_Alislami

 مجلة الوعي الإسلامي

 موقع مجلة الوعي الإسلامي





الدليل التوعوي

للتعامل مع #فيروس_كورونا

شاهد الآن

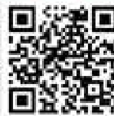




يوتيوب



فيس بوك



تويتر



تيلجرام



انستقرام



الموقع الإلكتروني

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٦٦) صفر ١٤٤٢ هـ - أكتوبر - ٢٠٢٠ م

رُبّانُ السَّفِينَةِ

مجانًا مع العدد: براعم الإيمان


مجلة الوعى الإسلامى


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي


جديدنا



الثمر المستطاب في الحكم والمواعظ والآداب

كتاب لطيف جمع فيه مُعدُّه الدكتور تركي محمد النصر خُلاصَةَ الحِكم والمواعظ والآداب المنتشرة في المَراجع التاريخيَّة والفقهيَّة والحديثيَّة والأدبيَّة والثقافيَّة، وانتقى منها أطايبَ الثَّمر؛ ليُقدِّمه للقرَّاءِ الكرام على مختلف ثقافاتهم؛ ليكون دالًّا على مَعالي الأمور، باعثًا على صواب التَّدبير وحُسنِ التَّقدير.
وهذا هو الجزءِ الأول من هذه السلسلة الأدبية، ويليه الجزءِ الثاني قريبًا إن شاء الله.

الافتتاحية



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

«أمير الحكمة والمكارم»

عرفت منطقتنا عبر تاريخها العديد من الشخصيات التي تركت بصمة ناصعة وأثرا طيبا في مجال معين من المجالات؛ على الصعيد الإنساني، أو الاقتصادي، أو السياسي، أو الاجتماعي، ولكن قلما تجتمع هذه الصفات كلها في شخصية واحدة كما اجتمعت في أميرنا الوالد سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح شافاه الله وعافاه.

فكل من عرفه أو تعامل أو عمل معه يدرك حكمته المتدفقة، ومواقفه الإنسانية، التي أضحت آثارها شاهدة للعيان في مختلف أرجاء العالم، فقد كان وما زال -عافاه الله- يسعى في دروب الإصلاح، وسبل الوئام، ونشر المحبة والرحمة والسلام محليا وإقليميا ودوليا، حاملا بذلك نبراس الإنسانية التي صار يعرف كأمير لها.

صاحب السمو أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي تولى مقاليد حكم دولة الكويت منذ قرابة عقد ونيف من الزمن، أسس خلالها منظومة من العلاقات السياسية والاقتصادية والدولية ساعيا من خلالها إلى تقوية موقف بلاده والمنطقة العربية، وخدمتها من خلال رؤية متكاملة متزنة، الأمر الذي أوصل بلاده إلى بر الأمان في ظل أحداث سياسية وعسكرية تعصف بالمحيطين الإقليمي والعربي، ولا غرو في ذلك! فقد صقلته الخبرة السياسية من خلال توليه العديد من الوزارات السيادية والمناصب المرموقة قبل وصوله إلى سدة حكم دولة الكويت حرسها الله.

فأميرنا سليل أسرة شيدت وطنا عظيما، ودولة لها مكانتها المرموقة بين دول العالم لمواقفها الخيرية ومساعيها الإنسانية والإصلاحية النبيلة.

فبالإضافة إلى تكريمه كقائد للعمل الإنساني من قبل الأمم المتحدة -هذا اللقب الذي استحقه بجدارة- فإنه سما ببلاده سياسيا، ولم يوفر جهدا لرأب الصدع الذي اتسع بين الأشقاء، وكان دائما مفتاحا للخير ومغلاقا للشر حيثما حضر -عافاه الله.

لقد كرس أميرنا الوالد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه جهوده للعمل الإنساني العالمي، فأغاث الملهوفين، وأعان الفقراء والمنكوبين، ومد يد العون لهم من منطلق إسلامي وإنساني، متمثلا بذلك قول نبينا ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه البخاري).

لقد وازن صاحب السمو حفظه الله ورعاه بين كافة الأصعدة، وكلما نظر الناقد إلى جانب رأى وكأنه كرس له جميع وقته وجهد، فإنه كما سما بالكويت في مجال السياسة الخارجية، وكما أبرز دور بلاده في المجالين الإغاثي والإنساني؛ فإنه أولى اهتماما رائدا وحنكة وحكمة لحفظ أمن البلاد واستقرارها الداخلي من خلال إرساء قواعد العدل والمساواة في المجتمع الكويتي الذي أحبه وأعانه.

وزرع صاحب السمو حب المسؤولية في كل فرد من أفراد المجتمع؛ ليحافظوا على أمن بلادهم واستقرارها وازدهارها التي قل نظيرها في المحيط العربي، وذلك من منطلق الواجب الوطني والإيماني، فالكويت هي البيت الكبير للأسرة الكويتية الواحدة؛ والجميع شركاء في حفظ أمنها واستقرارها.

سائلين الله لبلدنا والأمة الإسلامية مزيدا من الاستقرار والأمن والإيمان، ولأميرنا كمال العافية، وأن يجعل الله الصحة له شعارا، والسلامة له دثارا.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٦٦/ صفر ١٤٤٢ هـ
العام السابع والخمسون
أكتوبر ٢٠٢٠م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد











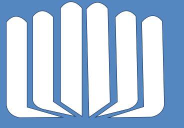
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي، فلسطين: دينار أردني، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

تكافل ورحمة

تظهر الأزمات فيما تظهر المعادن الثمينة، وتميزها عن أي سلوك يعتاد عليه المرء في الأوقات الطبيعية، وقد أظهرت أزمة كورونا مدى التكافل والرحمة بين سكان الكويت، فرأينا الجمعيات الخيرية تنشط ويقضي المنتسبون إليها جل وقتهم في الميادين يوزعون السلال الغذائية ويخففون عن المأزومين بسبب الجائحة، حتى إن البعض كان يفاجأ بسلة غذاء أمام باب مسكنه ولا يعرف من أتى بها.

بعض أصحاب العقارات أيضا لعبوا دورا مهما، إذ تنازلوا عن حقهم في القيمة الإيجارية عندما علموا بالظروف الصعبة التي يعاني منها مستأجرو وحداتهم السكنية، والبعض الآخر خفض القيمة الإيجارية مساهمة منه في تخفيف العبء عن ساكني العقارات.

اللافت للنظر أيضا أن البسطاء قاموا بتقسيم ما وصل إليهم من مساعدات فيما بينهم، فمن وصلت إليه سلة غذائية اقتسمها مع جاره الذي لم يصله شيء، ومن وصلته مساعدة مالية فعل الأمر نفسه مع من لم يصله..

إنها الكويت التي تتمثل منهج القيم الإسلامية وتظهر أحسن ما فيها وقت الأزمات.

حفظ الله الكويت وكل من يعمل على نشر الخير ومساعدة الناس.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



علاء الدين عبدالفتاح
صحافي

أمير الكويت ربان السفينة

بموجب الدستور الكويتي يعتبر أمير البلاد أبا للسلطات يتولى الفصل بينها في حال وقوع الخلافات، حددت ذلك المادة ١٠٧ من الدستور التي أعطت الحق لأمير الكويت بحل مجلس الأمة حيث تنص هذه المادة على أن للأمير أن يحل مجلس الأمة بمرسوم تبين فيه أسباب الحل، على أنه لا يجوز حل المجلس لذات الأسباب مرة أخرى، وإذا حل المجلس وجب إجراء الانتخابات للمجلس الجديد في موعد لا يتجاوز الشهرين من تاريخ الحل، وإن لم تجر الانتخابات خلال تلك المدة يسترد المجلس المنحل كامل سلطته الدستورية ويجتمع فورا كأن الحل لم يكن ويواصل أعماله إلى أن ينتخب المجلس الجديد.

وقد تدخل أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أكثر من مرة عبر سنوات حكمه فأصدر مراسيم بحل مجلس الأمة كانت طوق النجاة للخروج بالبلاد من أزمات سياسية عاشتها على مدى فترات كثيرة، وجاءت دعوته في كل مرة إلى أن يبقى الحوار بين السلطتين التشريعية والتنفيذية تحت قبة البرلمان وفي ظل ما يحكمهما من مبادئ ونصوص الدستور والعودة إلى الحوار الهادئ البناء وفق معاني الديمقراطية بجوهرها الأسري.

تجسد هذا الأمر في المرسوم الذي قضى بحل مجلس الأمة في عام ٢٠٠٦م، وجاءت كلمة الأمير إلى الشعب الكويتي تدعو إلى مراعاة ما يحيط بالبلاد من تحديات ومخاطر توجب على الجميع العمل على صيانة أمنها واستقرارها.

وهذا نص الخطاب..

بسم الله الرحمن الرحيم

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب؛

الحمد لله الذي تفرد بكل كمال وتفضل على عباده بجزيل النوال بيده الخير كله، فله الحمد على كل حال وفي كل حال.

إخواني وأبناء وطني الكرام؛

لقد أفاء المولى القدير على بلدنا الكريم بفيض من نعمه وفضله، وعاش أهله الطيبون منذ نشأته إخوة متحابين تحكمهم ثوابت راسخة تعارفوا عليها وارتضوها، وحرصوا جميعا على ترسيخها وصيانتها فكانت الكويت وأصبحت كما نعرفها رمزا ونموذجا للوحدة الوطنية والتلاحم والتكاتف، عصية على كل من أراد بها سوءا وشرا وقد عاش الكويتيون معاني الديموقراطية وجوهرها في إطار الأسرة والأهل والفريج والديوانية قبل أن تنطلق المسميات والمصطلحات التنظيرية المستحدثة، فالديمقراطية ممارسة متجذرة في وجدان أهل الكويت تكرست عبر الأجيال المتعاقبة.

إخواني المواطنين؛

لاشك بأنكم تتابعون ما تشهده الساحة من مظاهر وممارسات ضمن إطار الجدل الدائر حول مسألة تعديل الدوائر الانتخابية ولعلكم تعرفون بأننا أول من بادر بطرق هذا الموضوع، انطلاقا مما تلمسناه من ضرورة إعادة النظر في النظام الانتخابي الحالي وعليه فقد كلفت لجنة وزارية مطعمه بعدد من الشخصيات التي تتمتع بالخبرة والنزاهة والحرص على المصلحة الوطنية لتتولى دراسة هذه المسألة.

وقد كان الأمل أن تشبع الأمر بحثا ونقاشا بأن يبقى الحوار بين السلطتين التشريعية والتنفيذية تحت قبة البرلمان وفي ظل من يحكمهما من مبادئ ونصوص الدستور والقانون، وفي إطار ما تم التوافق عليه من ثوابتنا الوطنية الأصلية بمراعاة ما يحيط ببلدنا من تحديات ومخاطر توجب علينا جميعا أن نعمل على صيانة أمنه واستقراره وقد تابعنا جميعنا حالة الشحن والتأجيج التي شغلتنا عن باقي أولوياتنا، وما دأب عليه البعض من ممارسات انحرفت عن المسار البرلماني السليم، والتي باتت تشكل تهديدا لأمن الوطن واستقراره، بما انطوت عليه من مظاهر الفتنة والشقاق وهز الثقة بين أبناء المجتمع الكويتي وإضعاف وحدتنا الوطنية وهي السياج الحامي والحصن المتين لكويتنا الغالية.

ولاشك بأن هذه الأجواء المشحونة التي تغيب فيها الحكمة والعقلانية ويسود فيها التشكيك والتصعيد لا تسمح بالتوصل إلى حلول عملية مدروسة لمسالة مهمة تشكل أحد أهم محاور العمل الوطني.

إخواني وأبناء وطني الكرام؛

لقد انتظرت طويلا أملا في انجلاء هذه الغيمة عن سماء وطننا العزيز، من خلال حوار إيجابي بناء تحت قبة البرلمان، ولكن بعد أن حجب غبار الصراعات والمساجلات نور الحقيقة وامتزجت المصالح الخاصة بالمصالح العامة، وطغى التشكيك والتجريح وتسجيل المواقف على تحكيم العقل والمنطق مما أضحى يشوه صورة الديمقراطية الكويتية ويهدد الموروث من ثوابتنا الوطنية المعهودة.

إن هناك حدودا ينبغي التزامها للجمع بين موقع المسؤولية وأمانة المسؤولية وإن الحكيم من اتعظ بتجارب غيره وبماضيه وارتقى فوق تطلعاته الذاتية إلى آمال الوطن ومستقبله وصيانة أمنه واستقراره.

وعلينا أن نقبل الرأي الآخر كما علينا أن نتشاور لا أن نتخاصم، وأن نختلف لا أن نتعادى، وأن ننتقد بلا تشهير، وأن نحاسب بلا انتقام، فكلنا من الكويت نبدأ وإليها ننتهي وهي الباقية ونحن الزائلون.

إن وطننا أمانة في أعناقنا ولن يصنع مستقبله غيرنا، ويكون ذلك بسلاح الوحدة الوطنية وبعدة المودة والتآلف والتعاون، ومد جسور الثقة والتآخي ونبذ التعصب والتحزب والمزايدات.

إخواني؛

إن الأمواج العاتية لا تعرف صديقا، وإن العواصف لا ترحم عزيزا، وفي بعض المواقف يجد المسؤول نفسه أمام قرار يجبر على اتخاذه، وفاء بالأمانة التي يحملها في عنقه لمسؤوليته أما الله وأما الشعب الذي أولاه ثقته.

إن غايتنا جميعا وطن ثابت الأركان، وكويت شامخ البنيان يحتوينا بالأمن والاستقرار.

ومن أجل ذلك كان لزاما علي أن اتخذ قرارا صعبا ما كان بودي أن أتخذه ولكنني رأيت من واجبي حفاظا على أمن وطننا وسلامة أبنائه أن أتخذ قرارا صعبا ما كان بودي أن أتخذه، ولكنني رأيت من واجبي حفاظا على

أمن وطننا وسلامة أبنائه أن أتخذ قرارا بحل مجلس الأمة حلا دستوريا يتيح لنفوسنا جميعا أن تهدأ ولقلوبنا أن تطمئن ولعقولنا أن تفكر بما فيه مصلحتنا وخير وطننا في الحاضر والمستقبل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي عام ٢٠٠٨م ثارت أزمة بين الحكومة ومجلس الأمة تقدمت الحكومة على إثرها باستقالتها لأمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، وبعد اجتماع الأمير مع رئيس الوزراء -آنذاك- الشيخ ناصر المحمد الأحمد الصباح، ونائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع الشيخ جابر المبارك الصباح، ثم لقائه ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، واجتمع بعد ذلك مع رئيس مجلس الأمة السابق جاسم محمد الخرافي رأى الأمير من أجل حلحلة أزمة استقالة حكومة الشيخ ناصر المحمد والتوتر في العلاقة بين مجلس الأمة والحكومة ضرورة حل مجلس الأمة، ووجه هذا الخطاب إلى الشعب الكويتي..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

صدق الله العظيم

الحمد لله الذي لا يحمد غيره. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده.

إخواني وأخواتي وأبناء وطني؛

أتحدث إليكم اليوم حديث الأب إلى أبنائه. والقائد إلى شعبه. حديث ينبع من قلب محب يمتزج برغبته الصادقة. وثقته العالية بضرورة تحقيق تطلعات أبناء هذا الوطن في العيش بأمن وأمان. ورخاء وازدهار. في رحاب وطن عزيز الجانب. مرفوع الهامة. مصان الاستقلال. يعتز أبناؤه بوحدتهم الوطنية التي هي السياج الحامي لأمنه واستقراره.

إن من حق كل مواطن أن يتمتع بالأمن والأمان، والحرية والاستقرار، وأن يستفيد من خيرات وطنه.

ومن الواجب عليه أن يحفظ هذا الوطن ويبنيه. كما بناه وحفظه الآباء والأجداد. ومن حق هذا الوطن علينا أن يكون التآزر والتعاون رائدنا. وأن نمارس أعمالنا في إطار من الدستور وقوانين الدولة. وأن تقوم السلطات الدستورية بواجباتها ضمن اختصاصاتها وصلاحياتها. تحقق لأبناء الوطن المزيد من التنمية والنهوض بقطاعات الأمن، والتعليم، والصحة، والإسكان، والخدمات الأخرى.

لقد كانت توجيهاتنا دوما للإخوة في السلطتين التشريعية والتنفيذية. وبكل المناسبات التي تجمعنا معهم، تنصب نحو التعاون المثمر، والارتقاء بالحوار والعمل معا من أجل الوطن وأمنه واستقراره، والتقيد بالدستور والقانون واحترام أحكامهما وتطبيقها على الجميع، والتمسك بحب الوطن والإخلاص والوفاء له، باعتباره وطنا للجميع وليس لفئة دون أخرى.

وكنا ندعو لمعالجة الأخطاء بالتحاور والالتزام بمكارم الأخلاق التي تخلو من التجريح والترفع عن أسلوب التهديد والتطاول على الآخرين، والابتعاد عن مظاهر التجاذب والتأزيم، والمساس بالذمم دون دليل لأن مثل هذه الممارسات الخاطئة تتنافى مع تعاليم شريعتنا الإسلامية السمحاء وقيمنا الاجتماعية ونظامنا القانوني، ولم يكن لها وجود في يوم من الأيام ضمن سلوكيات حياتنا. فالديمقراطية التي ندعو لها تعني الحكمة في الحوار، دون الاندفاع نحو التعسف باتخاذ القرار، وعدم تجاوز الأصول البرلمانية التي رسمها وحددها الدستور والحفاظ على مبدأ الفصل بين السلطات.

لقد دعانا الله إلى حفظ كرامة الإنسان، واحترام الكلمة وحب الوطن، فقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

وكان حريا بنا في خطاباتنا البرلمانية والإعلامية أن تكون لجمع الصف ووحدة الكلمة والحفاظ على وحدتنا الوطنية التي هي السياج الواقي لأمن الوطن ورفعته وعزته وإبراز الجانب الإيجابي في ممارستنا اليومية، وانتهاج أسلوب النقد البناء لأخطائنا واجتهاداتنا.

فللصحافة ووسائل الإعلام الأخرى دورها الإيجابي في خلق رأي عام مستنير. يسهم في جهود التنمية الشاملة ويعزز الولاء للوطن ويرسخ الوحدة الوطنية وينمي القيم الفاضلة لمجتمعنا دون اللجوء إلى الصخب وتأجيج المشاعر بهدف الإثارة والخروج عن الحرية المسؤولية والتعرض بالإساءة إلى المؤسسات والأشخاص، الأمر الذي يستلزم وقفة تأمل، وتقييما للارتقاء بالممارسة الإعلامية، لتقوم بدورها الفاعل في بناء الوطن.

إخواني وأخواتي وأبناء وطني؛

إن الظروف والأوضاع المحلية والتطورات الإقليمية والدولية المحيطة بنا، تفرض علينا أن نقف مع أنفسنا وقفة جادة نسترجع من خلالها ما عملنا وما يجب أن نعمله

من أجل أمن وسلامة وطننا. فنحن لسنا بعيدين عن هذه المتغيرات، وحري بكل مواطن غيور على وطنه أن تكون تلك الأوضاع دافعا للعمل الوطني الجاد، ونبذ الخلافات، وأن تتوحد صفوفنا حتى نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا. فنحن في هذا الوطن أخوة متحابين، لا مكان فيه للتعصب لطائفة أو قبيلة أو لفئة ما على حساب الوطن. الولاء بيننا لله ثم إلى الوطن الذي نعيش على أرضه نحميه بوحدتنا الوطنية، ونبني أسواره بتعاضد أبنائه، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

فما يجري في العديد من دول المنطقة، هو عبرة وعظة تدفعنا الى نبذ خلافاتنا والانصراف إلى تنمية وطننا مستفيدين مما أفاء الله به علينا من نعم كثيرة. وما نتمتع به من حرية في القول والفعل وديمقراطية في أسلوب الحياة نحسد عليها.

إخواني وأخواتي وأبناء وطني؛

إننا نؤمن إيمانا راسخا بقيمة الديمقراطية، فهي نعمة من النعم التي وهبها الله منذ نشأت الكويت، وعلينا أن ندرك بأن أي شكل من أشكال المشاركة الشعبية التي نختارها لأنفسنا. يجب أن تقاس بما تحققه من عطاء للوطن، وما ترسمه لنا من صور المستقبل الذي نريد. وكنا نأمل وفق هذا المفهوم من الأخوة في السلطتين التشريعية والتنفيذية إنجاز وتحقيق الكثير من تطلعات شعبنا خلال الفترة الماضية.

وقد صبرت على ذلك طويلا لعل وعسى أن تهدأ النفوس ويتغلب العقل على العواطف، وترقى مصلحة الوطن فوق كل المصالح، إلا أن شيئا من هذا لم يتحقق.

وإزاء ذلك ومن منطلق المسئولية المنوطة بنا، وحماية لوطننا ومواطنينا من تصرفات غير مسؤولة تجاوزت حدودها وبلغت مداها، ولم تأخذ في الحسبان تجارب الماضي، ولم تعد العدة لأحداث المستقبل، وحفاظا على وحدة الوطن وتماسك بنيانه، وبناء على المادة ١٠٧ من الدستور. فقد قررت حل مجلس الأمة، ودعوة الشعب الكويتي الكريم إلى اختيار مجلس نيابي، يقوم بدوره في الحفاظ على وطنه وتنميته.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ومجددا اندلعت أزمة جديدة في العام ٢٠٠٩م كان سببها عدم تقيد البعض بأحكام الدستور والقانون وما قررته المحكمة الدستورية بخصوص استخدام الأدوات البرلمانية للرقابة على أعمال السلطة التنفيذية، وهنا تدخل أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح لنزع فتيل الأزمة فأصدر مرسوما بحل مجلس الأمة، وتوجه بخطاب إلى الشعب الكويتي جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

صدق الله العظيم

أحمد الله الذي هو على كل شيء رقيب، وأصلي وأسلم على أشرف رسله، أعظم من أدى الأمانة، وحدد معالم الطريق، فتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

إخواني وأبناء وطني؛

أتحدث إليكم اليوم حديث القلب، حديث الأب، كما هو حديث المسؤول عن مستقبل وطن وشعب، لا ينشد لأبناء وطنه إلا المنعة والقوة والازدهار، والحفاظ على العهد الوطيد الذي يجمع كلمتهم، ويضمن أمنهم، ويحفظ استقرارهم، ذلك العهد، هو وحدتهم الوطنية التي تعرفون جميعا أنها إذا انفرط عقدها لا قدر الله، فليس بعدها إلا انهيار بنائهم، وذهاب ريحهم.

إخواني وبني وطني؛

لقد كان مقتضى النعمة الوافرة التي أكرم الله بها أهل الكويت، يحتم أن يجيء شكرهم عليها ظاهرا وباطنا، وأن يكون الحفاظ عليها وحراستها، هو الشغل الشاغل لكل فرد على أرض الكويت الطيبة، هذه الأرض المعطاء التي لم تبخل على أحد قط. ولكنني بكل الأسف، أصارحكم كما يصارح الأب أبناءه، بأن بعضا منا، قد غرتهم نعم الله فاعتادوها، وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم.

وتناسوا أمن سفينة الوطن الغالي التي هي حصن الجميع، وراحوا يتبارون في مماحكات وممارسات محمومة -أيا كانت مقاصدهم- تهدد سلامة الوطن واستقراره ووحدة أبنائه، ويعرضون شعبا بأكمله للخطر الذي ليس وراءه خطر.

ولاشك أنكم أيها الإخوة، تابعتم مثلي بكل استياء وألم ما تشهده الساحة البرلمانية من ممارسات مؤسفة شوهت وجه الحرية والديمقراطية الكويتية، وهي ميراث صنعه الآباء والأجداد، وسيبقى موضع اعتزاز وفخر لنا جميعا، ولم يعد خافيا أيها الإخوة أن تلك الممارسات قد أفسدت التعاون المأمول بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، وأشاعت أجواء التوتر والتناحر والفوضى بما أدى إلى تعثر مسيرة العمل الوطني

في البلاد، وامتدت طويلا، وامتد معها صبر المواطنين بلا جدوى.
أقول ذلك بكل الحزن والأسف، بعد أن تجاوزت هذه الممارسات كل الحدود وأضحت سبيلا إلى استفزاز مشاعر الناس وتحريضهم، وسببا في إذكاء رماد الفتنة البغضاء، لعن الله من يوقظها.

إخواني وأبناء وطني الكرام؛
لقد تلمست خلال لقاءاتي المتعددة مع المواطنين في مختلف مناطق البلاد، مشاعر القلق والاستياء، والتي باتت تقض مضاجعهم وتؤرقهم، فكلنا يدرك ما آلت إليه الأمور من تداعيات جراء الخلل المتفاقم الذي يشوب العمل البرلماني، بما انطوى عليه من انتهاك للدستور وللقانون، وتجاوز لحدود السلطات الأخرى، وتدني لغة الحوار على نحو غير مسبوق، وانتهاج سبل التعسف والتشكيك والتصيد والقدح بذمم الناس وأخلاقهم، وممارسة المزايدات والاستعراضات المشبوهة على مختلف المنابر والتجمعات، واستغلال وسائل الإعلام لإثارة الجماهير وشحنهم، وشق الصف تحقيقا لغايات قصيرة ضيقة، على حساب مصلحة الوطن.
ولعلكم أيها الإخوة تابعتم وتتابعون طبيعة وظروف وملابسات استخدام الاستجوابات والتهديد بتقديمها تحت مختلف الحجج والذرائع، وما انطوى عليه ذلك من خروج عن المقاصد السامية التي استهدفها الدستور، وانصراف عما ينتظره المواطنون من إنجازات حقيقية تلبي حاجاتهم الفعلية ومعالجة قضاياهم المهمة.
وبعيدا عن الاعتبارات الدستورية والقانونية المتعلقة بتلك الاستجوابات ومدى انطباق الضوابط القانونية بشأنها، فهل من المستغرب أن يتساءل المواطن عن طبيعة تلك الاستجوابات والممارسات وغاياتها الحقيقية؟! وعما إذا كانت تصب فعليا في مصلحة الوطن؟! وعما إذا كانت تحقق أهداف من شرعها؟!.
ألم تكن مناسبة الاحتفالات بأعياد الوطن وزوال الاحتلال الآثم، وتذكر نعمة التحرير والاستقلال كافية لنتذكر حاجتنا لأن نكرس وحدتنا الجامعة ونحافظ على أمن بلدنا ونشحذ الهمم لبنائه ونمائه؟!

إخواني و أبنائي؛
لاشك بأن هناك بعض أوجه القصور في أداء الأجهزة الحكومية بما يستوجب العمل الجاد من أجل الارتقاء بأداء الجهاز الحكومي والعمل على تسريع إنجاز المشاريع التنموية والاستجابة لتطلعات المواطنين وضمان مستقبل أجيالهم القادمة في وطن آمن مزدهر، ولكن هل يمكن أن يتحقق الإنجاز المطلوب في ظل أجواء مشحونة بغيوم الشد والتوتر والتعسف والتشكيك والترهيب؟!.
إن ممارسة النائب لحقوقه الدستورية في استخدام أدوات الرقابة البرلمانية حق لا جدال حوله، بل هي ممارسة رقابية محمودة، ما دامت في إطارها الصحيح، بما في ذلك توجيه الاستجوابات، ولكن كل حق مهما كان نوعه له شروط وضوابط لا يجوز إغفالها أو القفز عنها، ولعل أهمها أن يكون منضبطا بإطاره القانوني السليم، وملتزما بروح المسؤولية ومحققا لغاية وطنية، وبعيدا عن الكيدية والشخصانية وإلا صار الحق أشبه بالباطل.
إن الله سبحانه وتعالى هدانا إلى دستور ارتضيناه جميعا، واستقيناه من تعاليم ديننا الحنيف وشريعتنا السمحاء، وهل هناك أسمى من شرعة الله في تنظيم الحقوق والواجبات وصون مصلحة الوطن والمواطنين، فدستورنا في حقيقته منظومة قواعد قانونية لم تأت مضامينها جزافا وعلى إطلاقها لتفتح باب الفوضى والعبث وهدر الوقت والجهد دون طائل، وإنما جاءت لتكفل الممارسة الديمقراطية الواعية السليمة، التي ينبغي أن ندرك بأنها على أهميتها فهي أداة وليست هدفا بحد ذاتها، وأن نحرص على أن تكون سبيلا متقدما في الممارسة السياسية بكافة سلطات الدولة وحصنا حصينا للوحدة الوطنية ومشعلا يضيء طريق التقدم والرقي لأبناء هذه الأرض الطيبة.
وهل يليق أن تتحول قبة البرلمان إلى ساحة للجدل العقيم والخلافات وافتعال الأزمات؟!، تعج بها الممارسات الشخصانية وعبارات التشكيك والإهانة بين أبناء المجتمع الواحد، خروجا عما ألفه أهله وما جبلوا عليه من قيم فاضلة قوامها الاحترام والتقدير؟! وهي المنبر القدوة الذي تلتقي به آمال الشعب ومحط أنظاره، والذي يتشرب منه أبناؤنا القيم الديمقراطية وتبادل الحوار المسؤول وقبول الرأي الآخر.
إن ما آل إليه الوضع أيها الإخوة من تراجع وتردد في الممارسة الديمقراطية وما ترتب على ذلك من تداعيات باتت تمس ركائز ومقومات امن مجتمعنا واستقراره، يجعلوني استشعر الخطر.. نعم بكل أمانة أقول لكم إنني أستشعر الخطر كل الخطر، ولاسيما أن مناخا مضطربا بل متفجرا يضرب الواقع الإقليمي والدولي في شتى صوره الأمنية والسياسية والاقتصادية

جميعا، ولاشك أن هذا الوضع المعقد يحتم علي باعتباري أبا محبا مخلصا لجميع أبناء هذا الوطن، وقائدا مسؤولا عن شعب بأكمله أن أرجع إليكم وأنتم أهلي وعزوتي.

إنني معكم دائما، ولم أكن يوما بعيدا عن تلمس هواجسكم وتفهم ضجركم وطول صبركم، وانتظاركم للأمل في إصلاح العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، والارتقاء بأدائهما للمستوى المنشود، ووجهت رسائل واضحة لأصحاب الشأن، آملا الاستجابة للنصح تجنبا لما أبغض وأكره وقد فاض الكيل.

وأجد لزاما علي هنا أيها الإخوة أن أتوجه بعتاب كبير، هو عتاب الأب وهو عتاب ولي الأمر إلى مؤسساتنا الإعلامية بوسائلها المختلفة، التي طالما حملنا لها كل الاحترام والرعاية، وعولنا على دورها الإيجابي في التنوير والتوحيد والتنمية، حيث تم استغلال بعضها كمعاول هدم لمجتمعنا ولثوابتنا الوطنية.

وإني على ثقة في أن روح المسؤولية الوطنية لدى المخلصين من رجال الإعلام كفيلة بإدراك خطورة الاستمرار في النهج الحالي، واتخاذ وقفة تصحيحية جادة تجسد الحرص على الالتزام بهذه المهمة المقدسة التي هي مهمة الشرفاء وحدهم، ويعملوا على تكريس الحرية المسئولة حتى لا يكون الندم حين لا ينفع الندم.

إخواني وبني وطني؛

يعلم الله أن القرار الذي اتخذته اليوم لم يكن يسيرا على قلبي، بل هو قرار حتمي تمليه علي أمانة المسؤولية، حيث أصبح اللجوء إلى الخيار أمرأ ملحا وعاجلا ومن الأمور التي تستوجبها المصلحة الوطنية وهو أن الجأ إلى حل مجلس الأمة، وفقا لأحكام المادة (١٠٧) من الدستور، ودعوة الشعب الكويتي إلى انتخاب مجلس نيابي جديد، ينهض بمسؤولياته الجسام في صيانة أمن الوطن وسيادته، ويتحمل مسؤولية التطوير والتنمية في روح من التعاون الواعي بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، فذلك هو حجر الزاوية في نماء كل وطن، وهو مركز الانطلاق إلى كل هدف.

إننا في هذا البلد ننعم بنهر كريم من العطاء المتدفق من الحرية والديمقراطية والألفة، وقد حبانا الله من نعمه وأفضاله الشيء الكثير، وهي نعم تستوجب الحمد والشكر ويحسدنا الكثيرون عليها، ولن نسمح لكائن من كان أن يدنس هذا النهر ويلوثه، وما أحرانا كلنا أبناء الكويت بأن نحكم دائرة السياج لحماية هذه النعم العظيمة، وأن تلتقي قلوبنا وتلتف سواعدنا لنكون جميعا درعا حصينا لوطننا ومكتسباتنا وثوابتنا الوطنية، فكويتنا الغالية تستحق ذلك وأكثر.

وإذ نؤكد إيماننا المطلق الراسخ وتمسكنا بالنهج الديمقراطي الذي تعاهدنا عليه، فإن علينا جميعا أن نتفهم ونعي دواعي بعض المطالبات المتطرفة التي عبر عنها الكثيرون مؤخرا إزاء الممارسات النيابية السلبية، والتي عكست حالة الرفض والإحباط التي يشعر بها المواطن.

وليعلم الجميع أنني ومن منطلق أمانة المسؤولية الوطنية التي أحملها، وهي أمانة وطن وشعب لن أتردد في اتخاذ أي خطوة في صيانة أمن الوطن واستقراره والحفاظ على مصالحه وحماية ثوابته ومكتسباته، فليس هناك أكبر وأهم وأغلى من الكويت وأهلها الأوفياء.

إخواني وبني وطني؛

أتوجه إليكم أن تعينوني بقوة، وإنني على ثقة تامة بأنكم حريصون على ممارسة واجبكم الوطني المسؤول في حسن اختيار من يمثلكم في صون مصلحة الكويت حاضرا ومستقبلا، وتحقيق تطلعاتكم في وطن آمن مستقر مزدهر، فالكويت هي أمنا الحنون، وأنتم أهلها وأحق بها، فعضوا عليها بالنواجذ، وتوحدوا حولها وتجردوا من الذاتية الضيقة والعصبية البغيضة.

فالكويت العزيزة تستحق أن نفديها بكل غال من روحنا ودمنا، ومن عزمنا وإرادتنا، وأن نتجاوز من أجلها المصالح الضيقة، والكويت هي يومنا، وهي أمسنا، وهي مستقبلنا المعمور بالأمل بإذن الله.

فليحفظ الله الكويت من كل مكروه ويديم عليها نعمة الأمن والأمان، وليعين أهلها المخلصين على النهوض بأحلامها الكبيرة لتعتلي مكانتها المستحقة، سائلين المولى القدير أن يتغمد بمغفرته وواسع رحمته شهداء الكويت الأبرار ويسكنهم فسيح جناته.

اللهم إنا نسألك العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وأن تهبنا نورا نمشي به في الناس.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾.

صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وهكذا كان تدخل أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح بما يخوله إياه الدستور الكويتي في كل مرة ومع كل أزمة تدخلا حكيما جنب البلاد كثيرا من المشاكل ووصل بسفينتها إلى بر الأمان.



عبدالسلام الشبراوي

أمير الكويت.. داعما للشباب

«العلم أساس نجاح أجيال المستقبل والشباب الكويتي ثروة لا تعادلها ثروة».. كلمات أطلقها صاحب السمو أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح فكانت نبراسا على مدار ١٤ سنة في رعاية الشباب والاهتمام بهم.

ويعتبر سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد أن العلم أساس نجاح أجيال المستقبل، وأن «العلم والمعرفة هما أساس بناء الإنسان الكويتي، الذي هو ثروة الوطن الحقيقية، والتي لا تعادلها ثروة، وعدته لمستقبل واعد بإذن الله تعالى».

ويذكر صاحب السمو «إن ما ننشد تحقيقه هو إحداث نقلة نوعية في نظامنا التعليمي، من النموذج التقليدي القائم على الحفظ والتذكر، إلى نموذج تعليمي نشط ومتميز، مبني على التفكير والإبداع، والتفاعل، واكتساب المهارات والخبرات، مما يسهم في جعل وطننا الكويت مواكبا للتطور العلمي والتقني، ومشاركا فعالا في نهضة العصر الحديث، عصر الاقتصاد القائم على العلم والمعرفة. وإن ما نصبو إليه أيضا هو وضع آلية تطوير مستمرة لنظامنا التعليمي، تمتد من مراحل رياض الأطفال إلى الجامعة، مرتبطة بما يستجد من علوم حديثة، لتعمل على تطوير المناهج، ورفع كفاءة أداء المعلمين والمعلمات، وتحسين بيئة التعلم المتاحة لأبنائنا. كما أن علينا أن ننمي في نفوس طلابنا وطالباتنا مهارات البحث العلمي، والتحليل الأكاديمي، واكتساب القدرات منذ الصغر».

كما أعطى سمو الأمير توجيهاته باستكمال تنفيذ مشاريع تعليمية ضخمة منها جامعات جديدة مثل جامعة الشدادية، بالإضافة إلى دعم إنشاء المدارس ومراكز البحث العلمي، ودعم التبادل الثقافي والحضاري بين الطلاب الكويتيين والأجانب، ورفع عدد المبتعثين الكويتيين إلى الخارج.

وبمبادرة من صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد تم إنشاء مركز صباح الأحمد للموهبة والإبداع في مايو ٢٠١٠م، بهدف رعاية أبناء الكويت من المبدعين والموهوبين وتقديم الدعم اللازم لهم. وجاء إنشاء

المركز منسجما مع خطة التنمية الاستراتيجية للدولة، حيث يجسد المركز اهتمام دولة الكويت بأبنائها الموهوبين والمبدعين، وتبني أفكارهم وإبراز إنجازاتهم بما يسهم في تعزيز ثقافة الابتكار والتحديث والتقدم في المجتمع الكويتي. ويهدف إلى بناء مسار واضح المعالم يؤدي إلى تعظيم المساهمة في تقدم المعرفة والإنجاز للإنسانية.

إشراك الشباب في القرار

ومنذ تولي سمو الشيخ صباح الأحمد مقاليد الحكم تعددت الإنجازات لمصلحة الشباب، فصاحب السمو يعتبر الشباب عماد الوطن وذخيرة المستقبل. من هذا المنطلق يؤكد سموه أن الشباب الكويتي هو الثروة الحقيقية للوطن وهو مركز الاهتمام وأمل النهوض بالبلاد إلى مزيد من الرفعة والتقدم. ولذلك فإن الدولة قيادة وحكومة لا تدخر وسعا في سبيل توفير مراحل التعليم المختلفة للشباب، سواء التعليم العادي أو الفني، مع ابتعاث المتفوقين منهم في بعثات خارجية لاستكمال دراستهم العليا كما أنها تعمل على توفير الوسائل والبرامج اللازمة لتدريب الشباب للإسهام بكل جهوده وطاقاته الإبداعية في تلبية احتياجات مختلف الوزارات والإدارات الحكومية، بالإضافة إلى سوق العمل في القطاع الخاص. وكلما توجه صاحب السمو بكلمة للشباب ركز على موضوع العلم كأفضل سلاح في المستقبل، ومن أقواله المأثورة: «إن ثروة الكويت الحقيقية في أبنائها، وهي ثروة لا تعادلها أي ثروة، فهم عماد المستقبل وأمل الوطن، وعلى سواعدهم تبنى الإنجازات وتحقق الطموحات، وعليهم أن يتسلحوا بسلاح العلم الحديث في





عصر الثورة المعلوماتية، الذي تتسابق فيه الأمم لتأخذ لها مكانا في مسيرة التقدم. ولذلك فلا بد أن يكون لنا نصيب من هذا التطور من خلال نقلة نوعية في نظامنا التعليمي».

وانطلاقا من هذا الاهتمام شمل سموه برعايته السامية مؤتمر الشباب لإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن وجهة نظرهم، وأصدر توجيهاته باتخاذ الإجراءات العملية الجادة لترجمة توصيات المؤتمر وإخراجها إلى حيز التنفيذ، واعتبار الوثيقة الوطنية للشباب، المتضمنة عشر توصيات، تمثل انطلاقة لشراكة شبابية في اتخاذ القرار.

ووفقا لتوجيهات سمو الأمير تحتفل وزارة الدولة لشؤون الشباب بيوم الشباب الكويتي ١٣ مارس كل عام، حيث تم تسليم الوثيقة الوطنية «الكويت تسمع» في مثل هذا اليوم عام ٢٠١٢م، كمبادرة سامية من سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، وإنشاء مكتب وزير الدولة لشؤون الشباب في يناير ٢٠١٣م، وتخصيص ١٣ مارس يوما للشباب الكويتي تكريما لتلك الفئة التي تمثل أكثر من ثلثي التركيبة السكانية في المجتمع الكويتي.

ويعتبر هذا اليوم يوما داعما ومحفزا لشباب الكويت، ومشجعا على مشاركتهم في تنمية هذا الوطن الغالي والسعي لإبراز طاقاتهم لرسم مستقبل الكويت وتشكيل حضارتها، وليكون رمزا لشباب المستقبل ليقتدوا بشبابها، ويفخروا بحضارتها، وفي هذا اليوم يتم الإعلان عن الفائزين





بجائزة الكويت للتميز والإبداع الشبابي والتي تعد أكبر جائزة في مجال دعم الشباب وتحظى برعاية من سمو الأمير.

وتمكنت وزارة الشباب وبنجاح من إحداث نقلة نوعية في مستوى تنمية الشباب في البلاد عن طريق تنفيذ خطتها الاستراتيجية، وهذا النجاح انعكس إيجابيا على تحسن ترتيب الكويت في المؤشرات العالمية المتعلقة بتنمية الشباب، ومن أبرزها مؤشر تنمية الشباب العالمي لدول الكومنولث، حيث ارتقت الكويت من المرتبة ١١٠ إلى المرتبة ٥٦ عالميا في مجال تنمية الشباب من بين ١٨٣ دولة حول العالم.

ومن أبرز الإنجازات التي حققتها الوزارة بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة في الدولة في تنفيذ خطتها الإستراتيجية التي جاءت ترجمة واستجابة لتوجيهات سمو أمير الكويت والدعم المتواصل للشباب، ولتوصيات «الكويت تسمع» وصولا لرؤيتها «شباب متمسك ومرتق بالقيم الوطنية، مبدع وشريك في التنمية المستدامة»، تنفيذ ٨٢ في المئة من التوصيات التي تتعلق بقطاع واسع من الخدمات والمشاريع التي يرغب الشباب في تحقيقها، كما استطاعت إنجاز أكثر من ٩٠ مشروعا موجها للشباب، فضلا عن المبادرات الشبابية التي هدفت إلى تمكين ودعم الشباب في البلاد.

وتسعى وزارة الشباب لتعزيز قيم الانتماء والمواطنة من خلال اهتمامها بالعمل التطوعي لما له من أثر اقتصادي على المجتمع، كما قامت بإطلاق مشروع «أيادينا» كمظلة لمشاريع الوزارة التطوعية واستطاعت من خلاله توفير ما يقارب ٥٧٨ ألف دينار، عبر تنفيذ بعض الخدمات المجتمعية عن طريق المتطوعين، حيث شارك ٢١٥٧ متطوعا في هذه الأنشطة التي قدمتها الوزارة لمصلحة الوزارات والمؤسسات الأخرى.

الشباب والعمل التطوعي

استمر الدعم الكريم السنوي لأمير الكويت لمشاريع وأنشطة فريق الغوص الكويتي مما كان له الأثر الكبير في استكمال الفريق لأعماله البيئية، وذلك من خلال مشاريع وبرامج ساهمت بشكل فعال ومتميز في حماية وتأهيل البيئة البحرية والسواحل الكويتية، ونشر حب العمل التطوعي، استكمالا لمسيرته المباركة منذ عام ١٩٨٦م، والتي شملت الكثير من الإنجازات في عدة مجالات وحصل خلالها على الجوائز البيئية العالمية والتي كان آخرها جائزة مؤسسة الطاقة العالمية ومقرها النمسا، وجائزة الكويت للتميز والإبداع الشبابي والمقدمة من وزارة الدولة لشؤون الشباب في مجال التطوع برعاية وحضور صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد.

وحفاظا على سلامة الملاحة البحرية تمكن الفريق من انتشال ٢٣ قاربا وسفينة وقطعة بحرية بوزن إجمالي ٩٧٩ طنا بمواقع متعددة ضمن مشروع انتشال السفن والقوارب والقطع البحرية، وكان من أبرز العمليات تعويم وسحب مقطورة حديدية تزن ٩٠٠ طن، وسحب عوامة بحرية بوزن ٢ طن، وانتشال عوامة كبيرة بوزن ٥ أطنان.

ودشن فريق الغوص الكويتي، وبالتعاون مع شركة البترول الكويتية العالمية، حفلا أقيم في جزيرة كبر والمركز العلمي حول دعم وإنجاز مشروع المرابط البحرية في أهم مواقع الشعاب المرجانية ضمن مشروع تثبيت وصيانة المرابط البحرية بحضور قياديي الشركة وفريقها البيئي، كما استكمل الفريق الصيانة الدورية الشاملة لـ ٧٦ مربطا بحريا لتأمين الرسو الآمن للقوارب واليخوت حول الجزر وأهم مواقع الشعاب المرجانية برعاية شركة إيكويت للبتروكيماويات.

حماية جون الكويت

أولى فريق الغوص الكويتي أهمية كبرى للوضع البيئي في جون الكويت، وتمثل في المراقبة المستمرة للحالة البيئية للجون والقيام بخطوة عملية من خلال مباشرة رفع وإزالة المخلفات من الجون بهدف حماية مكونات البيئة البحرية بدعم ورعاية من بيت التمويل الكويتي، وتكللت جهود الفريق بالنجاح، حيث تم رفع ٤٤٥ طنا من المخلفات الضارة للبيئة البحرية من شباك صيد مهملة ومخلفات



بلاستيكية وخشبية، كما تمت إزالة وانتشال ١٨ سفينة وقاربا وقطعة بحرية بوزن إجمالي ٩٤٨ طنا.

توعية مجتمعية

كذلك استمر الفريق في حملته المتميزة «الحملة المتنقلة لتنظيف الشواطئ» لمدة ٦ أشهر بالتعاون مع وزارة التربية ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي وبلدية الكويت ووزارة الشؤون الاجتماعية والعمل والهيئة العامة للبيئة وشركة البترول الكويتية العالمية ومؤسسة البترول الكويتية وشركة المشروعات السياحية وإدارة سوق شرق، بهدف نشر الوعي البيئي وأهمية المحافظة على البيئة الساحلية بمشاركة العديد من مدارس الكويت والجامعات والمؤسسات الحكومية والتطوعية والشركات ومؤسسات المجتمع المدني، وتحتوي الحملة على ورشة ميدانية لتنظيف سواحل الكويت وعرض للمعلومات البيئية ومسابقات بأساليب وطرق شيقة للطلاب والطالبات، وأقام الفريق ورشة استراتيجيات التطوع لمعلمي ومعلمات وزارة التربية بهدف نشر قيمة التطوع في المجتمع، وألقى الكثير من المحاضرات وعمل الزيارات والمعارض في مدارس وجامعات الكويت.

مبادرة «بحرنا»

كما أطلق فريق الغوص الكويتي مبادرة «بحرنا» التي تسعى وتهدف إلى المحافظة على البيئة البحرية بتكويناتها المختلفة من شواطئ وجزر وشعاب مرجانية وكائنات بحرية وساحلية، وهذه المبادرة جاءت للحاجة الماسة إلى العمل المشترك من أجل البيئة البحرية، حيث لها أهداف استراتيجية، وهي المحافظة على البيئة البحرية والعمل على التوعية البيئية لدى جميع شرائح المجتمع وتشجيع العمل التطوعي، إضافة إلى إرساء شراكة محلية وعالمية، وهي ضمن الالتزام البيئي العالمي لفريق الغوص الكويتي، ومن المتوقع أن يساهم في هذه المبادرة قطاعات وفئات كثيرة من المجتمع، حيث تسعى المبادرة لتوعية وشراكة أكثر من ١٧ ألف طالب وطالبة، كما تسعى لتنظيف ٦٠ موقعا من سواحل الكويت وجزرها، وتشمل معاينة ومراقبة الشعاب المرجانية بالكويت بمساحة ١٣ ألف متر مربع وتسجيل ٦٠٠ قراءة لحالة المرجان بالتنسيق مع جامعة كوينز لاند بأستراليا. وفي مجال رفع المخلفات وانتشال القوارب من المتوقع انتشال ١٥٠ قاربا ورفع ٥٠ طنا من المخلفات وشباك الصيد من على الشعاب المرجانية.

وشكر فريق الغوص الكويتي كل المساهمين والداعمين لهذا النجاح الكبير، والذي كان على رأسهم دعم أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد وولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، والجهات الحكومية والأهلية والخاصة والمتطوعين.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث









سلسلة الأعلام المتشابهة (٤٨)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «المباركفوري»

١- عبدالرحمن المباركفوري (ت:١٣٥٣هـ)

هو محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم ابن بهادر الأنصاري المباركفوري، عالم مشارك في أنواع من العلوم.

ولد في بلدة مباركفور بمديرية أعظم كره سنة ١٢٨٣هـ، ونشأ بها، وقرأ العلوم العربية والمنطق والفلسفة والهيئة والفقه وأصول الفقه على علماء كثيرين.

وله مؤلفات باللغتين العربية والأردية، أما بالعربية فهي: «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»، و«أبكار المنن في تنقيد آثار السنن»، وأما بالأردية فهي: «تحقيق الكلام في وجوب القراءة خلف الإمام»، و«خير الماعون في منع الفرار من الطاعون»، و«المقالة الحسنى في سنية المصافحة باليد اليمنى»، و«الحق المبين في سنية المصافحة باليمين»، و«القول السديد فيما يتعلق بتكبيرات العيد».. وغيرها من المصنفات.

أصيب في آخر عمره بمرض في عينيه، ثم توفي في شهر شوال[1].

٢- عبيدالله المباركفوري (ت:١٤١٤هـ)

هو عبيدالله بن عبدالسلام الرحماني المباركفوري، عالم، فقيه، محدث.

ولد سنة ١٣٢٧هـ، وتلقى علومه على كبار الأساتذة في الهند، وتخرج في المدرسة الرحمانية في دهلي، وعين مدرسا فيها، واضطر أثناء استقلال الهند إلى ملازمة بيته والاشتغال بالتأليف والإفتاء نتيجة لضياع المدرسة







الرحمانية.

وهو قائد جماعة أهل الحديث في شبه القارة الهندية؛ ونظرا لمكانته العلمية عينته جمعية أهل المركزية بالهند مشرفا أعلى ومستشارا لها لسنوات طويلة. كما شغل منصب نائب رئيس هيئة الأحوال الشخصية لمسلمي الهند.

وله مؤلفات عديدة باللغتين العربية والأردية، على رأسها: «مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح»، وله بالأردية: «تاريخ المنوال»، و«فضائل الصيام وأحكامه»، و«حكم التأمين في الإسلام»، إضافة إلى فتاوى ومقالات في مجلات وجرائد قديمة.

توفي يوم ٢٢ في شهر رجب بوطنه مباركفور بمديرية أعظم كره عن ٩٥ عاما[٢].

٣- صفي الدين المباركفوري (ت:١٤٢٧هـ)

هو صفي الدين بن عبدالله بن محمد أكبر المباركفوري الأعظمي، أحد علماء الحديث بالهند.

ولد في قرية «حسين آباد» سنة ١٩٤٣م، وشارك في ندوات ومحاضرات في مختلف أرجاء الهند وفي بلاد العالم الإسلامي، وعمل بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمدة عشر سنوات.

من مصنفاته: «الرحيق المختوم» في السيرة النبوية، و«المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير»، و«روضة الأبرار في سيرة النبي المختار»، و«منة المنعم في شرح صحيح مسلم»، و«بهجة النظر في مصطلح أهل الأثر»، و«إتحاف الكرام في شرح بلوغ المرام».

توفي عقب صلاة الجمعة في شهر ذي القعدة بالهند[٣].

المتفق والمفترق في اسم «السهارنفوري»

١- عصمة الله السهارنفوري (ت:١١٠٠هـ)

هو عصمة الله بن أعظم بن عبدالرسول السهارنفوري، عالم بالحساب، مؤرخ، عارف باللغات العربية والتركية والإنكليزية والفرنسية.

ولد بالقاهرة في ١٤ في شهر ذي الحجة.

من مصنفاته: «حلي الأيام في خلفاء الإسلام»، و«خواطر في الإسلام»، و«الجامعة العثمانية»، و«السياحة الأوروبية»، و«صيانة الإسلام في وجود خلافة آل عثمان العظام»[٤].

٢- أحمد علي السهارنفوري (ت:١٢٩٧هـ)

هو أحمد علي بن لطف الله السهارنفوري، أحد كبار المحدثين والفقهاء.

ولد سنة ١٢٢٥هـ، بمدينة سهارنفور، ونشأ بها، وقرأ على أساتذة بلده، ثم سافر إلى دهلي، وسافر إلى مكة لأداء الحج، وقرأ الأمهات الست، وأقام في الحرمين الشريفين سنتين.

وعاد إلى الهند، وقام بتدريس الحديث ونشره، وأسس المطبعة الأحمدية بدهلي.

من مصنفاته: «حاشية على صحيح البخاري»، و«حاشية على جامع الترمذي»، و«حاشية على مشكاة المصابيح».

توفي بالفالج لست ليال خلون من جمادى الأولى بمدينة سهارنفور[٥].

٣- خليل السهارنفوري (ت:١٣٤٦هـ)

هو خليل أحمد بن محمد علي بن أحمد علي الحنفي السهارنفوري، الشيخ العلامة الفقيه.

ولد سنة ١٢٦٩هـ، في قرية نانوته من أعمال سهارنفور، ونشأ ببلدة أنبيتهه.

اشتغل بالعلوم من صباه، ودرس في دار العلوم الإسلامية بديوبند، ثم في سهارنفور، فدرس علوم الآلة، وفنون العربية، والعلوم العقلية والنقلية، رحل إلى الحرمين، وحج عدة مرات.

من مصنفاته: «بذل المجهود في حل أبي داود»، و«المهند على المفند»، و«تنشيط الأذان)»، و«مطرقة الكرامة على مرآة الإمامة»، و«هدايات الرشيد في إفحام العنيد»، و«إتمام النعم على تبويب الحكم».

توفي بعد العصر من يوم الأربعاء في السادس عشر من ربيع الآخر في المدينة النبوية، ودفن في البقيع[٦].

الهوامش

١- انظر: مذكرة حياة المحدث محمد عبدالرحمن المباركفوري للأستاذ عبد الكبير المباركفوري، ومعجم المؤلفين (١٦٦/٥).

٢- انظر: تتمة الأعلام لمحمد خير رمضان (٤٢/٢)، وتكملة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان (٣٦٨/١).

٣- انظر: موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

٤- انظر: معجم المؤلفين (٢٨٢/٦).

٥- انظر: نزهة الخواطر للحسني (٩٠٧/٣).

٦- انظر: نزهة الخواطر للحسني (١٣٣/٨)، وأعلام المحدثين في الهند للأستاذ عبدالماجد الغوري، ص:٧٢.

هشام الصباغ
باحث لغوي



صوت وحدة لبنان الشيخ حسن خالد

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

ساع إلى جمع الكلمة ووحدة الصف، وحام للوحدة والاعتدال، وبان لجسور التحاور والتلاقي والتصالح بين جميع اللبنانيين في ظلمة الحرب الأهلية؛ فكان صوت وحدة لبنان؛ شعبا وأرضا، الذي أراده سيدا حرا عربيا مستقلا لا مكان فيه لأي نفوذ إقليمي أو دولي.. جعل موقع دار الفتوى مرجعا وطنيا للبنانيين بمختلف طوائفهم وانتماءاتهم، وحافظ على مسافة واحدة من الجميع.

● مدفوعا بوازعه الديني ومنطلقا من قاعدة علمية (إذ كان دارسا لعلمي المنطق والتوحيد، اللذين تركا أثرا على مناحي تفكيره وطريقة عمله وأسلوبه بالاستماع وقدرته على الحوار)، بذل وسعه؛ وطنيا وسياسيا، في الظروف الاستثنائية الصعبة التي عاشها لبنان خلال مدة حروب الفتن الطائفية بين عامي ١٩٧٥م و١٩٨٩م، ما جعل له أعداء لا يرضون عن دوره الديني والوطني في الحفاظ على وحدة لبنان وشعبه.

● قامة وطنية وروحية رفضت الخضوع للضغوط الخارجية، وواجه الظلم والهيمنة وأدوات القمع في أصعب مراحل وطنه.. رجل لا يستطيع أن يضبط عروبته وإسلامه في مساحة ضيقة، مؤمن بأن ما فرقه الاستعمار يستطيع أي يجمعه بالتواصل والتعايش والمشاركة والحوار.. انتصر للبنان وعروبته وللعيش المشترك بين أبنائه.. هو أحد «الكبار الذين لا يرحلون بل يخلّدون في ذاكرة الوطن».. إنه الشيخ المفتي حسن خالد.

نشأته وحياته العلمية والعملية

● من مواليد بيروت عام ١٩٢١م، وفيها استهل تعليمه الأولي في مدرسة عمر الفاروق، التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية.. بعد حصوله على شهادة الابتدائية تابع دراسته المتوسطة والثانوية في الكليّة الشرعية في بيروت (أزهر لبنان حاليا)، وتخرّج فيها سنة ١٩٤٠م.

● فور تخرجه كلفته المديرية العامة للأوقاف الإسلامية بوظيفة خطيب في بعض مساجد بيروت، ثم ارتأى مفتي الجمهورية اللبنانية إرساله، رفقة بعض زملائه، إلى مصر لمتابعة تخصصه العالي في العلوم الدينية؛ فقصد القاهرة والتحق بكلية أصول الدين (التابعة للأزهر الشريف)، وتخرج فيها حاملا الشهادة «العالية» (الليسانس) عام ١٩٤٦م.

● بعد حصوله على «عالية» الأزهر، عاد إلى بيروت وعُيِّن كاتبا في محكمة بيروت الشرعية، ثم ترقى إلى درجة رئيس قلم، ثم عينته الحكومة قاضيا في محكمة عكار الشرعية، بعد نجاحه في اختبارات اختيار قضاة المحاكم الشرعية، ثم نقل عام ١٩٦٠م إلى محكمة محافظة جبل لبنان.. وخلال فترة عمله قاضيا، كان يدرّس مادتي المنطق والتوجيه في الكلية الشرعية في بيروت (أزهر لبنان) ويلقي خطب الجمعة في بعض مساجد بيروت.

● تولى أيضا رئاسة: مجلس القضاء

الشرعي الأعلى في لبنان، واللقاء الإسلامي (وهو لقاء أسبوعي يجتمع فيه رؤساء الحكومات والوزراء والنواب المسلمون)، والمجلس الإسلامي الشرعي الأعلى في لبنان. كما كان نائبا لرئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ونائبا لرئيس الهيئة الإسلامية الخيرية العالمية في الكويت، وعضو المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضو المجمع الفقهي في منظمة الدول الإسلامية في جدة، وعضو مجمع البحوث الإسلامية في مصر.

اختياره للفتوى

● تميز بنشأة دينية أثرت في مناحي تفكيره وحررته من الارتباط بأي اتجاه حزبي أو مصالح شخصية، وبشدة محافظته على العادات والتقاليد والأخلاق، وبتورعه في عمله وتصرفاته إلى أدق الأمور، وبالتفكير المنفتح المتحرر؛ إذ تركت دراسته للفلسفة الإسلامية ولعلوم الكلام والمنطق أثرها في سعة مناهج التفكير لديه وسماحة البحث الحر والابتعاد عن التعصب، ولكنه ينتهي دوما إلى التمسك بأخلاق الدين والتقيد بمناهجه. كما كان جريئا في الحق؛ يعلن رأيه دون مهاودة أو مساومة.

مؤلفاته

● كان الشيخ، رحمه الله، يتمتع بثقافة دينية أهلته لها دراساته الأزهرية، ومن خلال هذه الأهلية قام بتأليف مجموعة من المؤلفات الإسلامية القيمة يربو عددها على ثلاثة عشر كتابا تعالج الكثير من القضايا الشرعية الإسلامية المهمة، منها: «الإسلام والتكامل المادي في المجتمع» و«أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية» و«أحاديث رمضان» و«الزواج بغير المسلمين» و«موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية».

من أقواله يرحمه الله

● «إن ما ينبغي على اللبنانيين فعله هو وقف موجة الاقتتال الدائرة بينهم، وتسليم كل ما لديهم من أسلحة إلى الدولة.. وإن لم يلتق المسيحيون والمسلمون كشعب في ظل دولة واحدة وإرادة واحدة ورؤية مستقبلية واحدة، فسيبقى لبنان ملكا للأعداء، ومسرحا لنشاط شياطين الإنس والجن».

● إن التباغض والتنازع والتقاتل شرعة الغاب وشرعة الشعوب المتخلفة (...) أما الشعوب التي تعتز بأنها تنتمي إلى شرعة السماء وهديها (...) فقد اختارت لها هذه الشرعة المنهج الذي ينبغي أن تبني عليه سلوكها؛ فقالت بصوت أزلي جليل وخيم: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾ (المائدة:٣٢).

التقديرات والأوسمة

● نال الشيخ، رحمه الله، العديد من الأوسمة من لبنان والأردن وتشاد والاتحاد السوفيتي وأميركا، كما نال الدكتوراه الفخرية في القاهرة بعد محاضرة ألقاها في الأزهر الشريف في قاعة الإمام محمد عبده، وأقام الرئيس جمال عبدالناصر على شرفه مأدبة عشاء تكريما له عام ١٩٦٧م، وأيضا نال شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة جن جي بالصين عام ١٩٧٦م.

إسهاماته في «الوعي»

● كان للشيخ خمس مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «الحج» (ع٣٦، ذو الحجة ١٣٨٧هـ، فبراير ١٩٦٨م)، و«حكم الإسلام في كتاب: نقد الفكر الديني» (ع٦٢، صفر ١٣٩٠هـ، أبريل ١٩٧٠م)، و«الشخصية المسلمة ضمان للسلام» (ع٧٣، محرم ١٣٩١هـ، فبراير ١٩٧١م)، و«الإسراء والمعراج» (ع٧٩، رجب ١٣٩١هـ، أغسطس ١٩٧١م)، و«حديث عن لبنان» (ع١٦٢، جمادى الآخرة ١٣٩٨هـ، مايو ١٩٧٨م).

وفاته

● مسيرة مديدة من العطاء في العديد من المجالات الدينية والوطنية والعربية والإسلامية، توقفت يوم الثلاثاء ١٦ مايو ١٩٨٩م، حين اختطفته يد الغدر، إثر عملية تفجير غادرة ومروعة طالت موكبه خلال مغادرته دار الفتوى راح ضحيتها ١٦ شخصا، فكان استشهاده دفاعا عن وحدة لبنان أرضا وشعبا، وتمّ دفنه بمقبرة الأوزاعي في اليوم التالي لوفاته، وبعد وفاته بأربعة أعوام افتتحت مؤسسة تحمل اسمه هي «مؤسسة الشهيد حسن خالد للتربية والتعليم».

المصادر والمراجع

١ - كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢ - طريق الإسلام.
٣ - بوابة الحركات الإسلامية.
٤ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

مجلة أحمد



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

التعريف بمجلة أحمد

وهي مجلة نصف شهرية، تصدر في أول ومنتصف كل شهر هجري، وهي مجلة موجهة للأطفال، من أجل جيل مسلم، تطبع في دار الحدائق ببيروت، وتصدرها مؤسسة خيرية في لبنان. صدرت لأول مرة في عام (١٩٨٦م).

أهداف المجلة

لقد حملت المجلة إلى جانب عنوانها شعارا بعنوان: من أجل جيل مسلم، ومن هنا يتضح جليا هدف المجلة، وهو إنشاء جيل مسلم مشبع بالقيم الأخلاقية والثقافية التي تؤهله لأن يكون في المستقبل الإنسان المثالي الذي يمثل حقيقة المسلم الذي يحبه الله، وقد استخلصنا هذه الأهداف من محتوى المجلة ومن أبوابها المتنوعة.

محتوى المجلة العام

تنوعت أبواب المجلة ومحتواها تنوعا يبعد السآمة والملل عن الأطفال، كما أنها عززت مواضيعها برسومات توضيحية زادت من الشعور بالرغبة في قراءة كل صفحة منها، كما أنها جعلت مواضيعها شيقة وجذابة.

فلقد تنوعت أبوابها بين مواضيع دينية وأخلاقية وعلمية وأدبية وحكايات وقصص جميلة، كما خصصت صفحات منها للتسلية المفيدة كألغاز حسابية ولغوية وفكرية.

أبواب المجلة

وسنذكر أبواب أحد أعدادها على سبيل المثال لا الحصر، فقد جاءت أبواب العدد (١٠٤)، للسنة الخامسة، الصادر يوم الجمعة، (١٠) شعبان، سنة (١٤١٢هـ)، الموافق لـ (١٤) فبراير، سنة (١٩٩٢م).

- روضة الإيمان. مهتدي. صندوق الدنيا. عارف. من مفكرتي.
- رسائل الأصدقاء. بأقلامنا. فكر. رياضة. اضحك.
- نادي التاريخ. استطلاعات أحمد. مفتش اللغة.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة مكونة من (٩) أعداد، وهي في متناول أطفالنا الأعزاء.

المصادر

مجلة أحمد.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

إعداد / د. تركي محمد النصر

الصعب الممتنع

قال العلامة ابن الصلاح معلقا على قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» متفق عليه، (وهذا قد يعد من الصعب الممتنع، وليس كذلك، إذ معناه والله أعلم: لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام مثل ما يحب لنفسه والقيام بذلك يحصل: بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا ينقص النعمة على أخيه شيئا من النعمة عليه وذلك سهل على القلب السليم وإنما يعسر على القلب الدغل، عافانا الله وإخواننا أجمعين.. آمين).

انظر: صيانة صحيح مسلم (٢٠٣/١)

القلوب ثلاثة

قال العلامة محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى: (واعلم أن القلوب ثلاثة: قلب خال من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه، لأنه قد اتخذه بيتا ووطنا وتحكم فيه بما يريد، وتمكن منه غاية التمكن.

الثاني: قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه، لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هناك إقبال وإدبار، ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال. وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر، ومنهم من هو تارة وتارة.

الثالث: قلب محشو بالإيمان، قد استنار بنور الإيمان، وانقشعت عنه حجب الشهوات، وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدره إشراق، وإيقاد لو دنا منه الوسواس لأدركه الاحتراق، فهو كالسماء المحروسة بالنجوم، فليس للشيطان عليه سلطان ولا هجوم).

انظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٤٨/١).

المثابرة والاستمرار على طلب العلم

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (يتعين على طالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم والصبر عليه، وأن يحتفظ به بعد تحصيله، فإن العلم لا ينال براحة الجسم، فيسلك المتعلم جميع الطرق الموصلة إلى العلم، وهو مثاب على ذلك؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «من سلك طريقا يلتمس به علما؛ سهل الله له طريقا إلى الجنة».

انظر: العلم: (ص/٩).

مشاركة: يعقوب الجناع

لا تحقرن شيئا

قال العلامة الشبشيري رحمه الله: حكي عن بعض الملوك أنه كتب ورقة يذكر فيها: (ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، ويل لحاكم الأرض من حاكم السماء، اذكرني حين تغضب؛ أذكرك حين أغضب).

انظر: الجواهر البهية للشبشيري (ص/١٤٣).

التشبث بالمخلص

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إذا رزقك الله ود امرئ مسلم، فتشبث به ما استطعت).

انظر: كتاب الزهد لوكيع: (ص/٣٣٤).

من روائع الإمام الشافعي رحمه الله

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

- ينبغي للرجل أن يتوخى لصحبته أهل الوفاء والصدق، كما يتوخى لوديعته أهل الثقة والأمانة!
- أظلم الظالمين لنفسه: الذي إذا ارتفع جفا أقاربه، وأنكر معارفه، واستخف بالأشراف، وتكبر على ذوي الفضل.
- إذا اجتمع في الصبي: الحياء والرهبة؛ رجي فلاحه.
- من سأل صاحبه فوق طاقته فقد استوجب الحرمان.
- لا ينفعك من جار السوء التوقي.
- من عرف نفسه لم يضره ما قيل فيه.
- من لم يكن عفيفا لم يزل سخيفا، ومن اتهم بالمعاصي لم يزل خائفا ذليلا، ومن عف أمن، ومن شرهت نفسه طال همه، ومن أكثر المناكح لم يسلم من الفضائح.
- ثلاث خصال من كتمها ظلم نفسه: العلة من الطبيب، والفاقة من الصديق، والنصيحة للإمام.
- المخدوع من اغتر بالأماني.
- أربعة أشياء قليلها كثير: العلة والفقر والعداوة والنار.
- الآمال قطعت أعناق الرجال، كالسراب خان من رآه، وأخلف من رجاه.
- غضب الأشراف يظهر في أفعالها، وغضب السفهاء يظهر في ألسنتها.
- من العجب أن يشغل المرء نفسه بشيء التدبير فيه إلى غيره.
- من غلب عليه حب الدنيا وشهوتها ألزمته العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع.
- من لم تنفعك صداقته فلا تغتم بعداوته.

انظر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبدالبر: (ص/٩٩)



إعداد: التحرير



فكرتي

نشأت من اليقين أن لكل زمان أهله ولكل عصر مشكلاته وأن القرآن مهيمن وأن السنة أوسع من حياتك وعلى العلماء في كل تخصص أن يكونوا على يقين أن عبوديتهم استخراج الحلول في كل مجالات الحياة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ ﴾ (النساء:٨٣).

الأولى

القرار قرارك

الاختيار لك ومنك بين العاجلة والآخرة قال الله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (التوبة:٦٩).

وعن عمرو بن عوف الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»، أخرجه البخاري كتاب الجزيه باب - الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب.

احذر من أن تكون مثلهم

حالكم مثل حال الذين مضوا من المنافقين والكفار من الأمم المهلكة قبلكم، في الاستمتاع بالحياة الدنيا والغفلة عن الآخرة، والجرأة على الحق، واستحقاق العقاب، وذلك أنهم كانوا أعظم منكم قوة أيها المخاطبون، وأكثر أموالا وأولادا، فتمتعوا بنصيبهم الذي قدر لهم من حظوظ الدنيا.

فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضا من نصيبهم في الآخرة، وطيباتها، وأفرغوا كل جهد لهم في التمتع بالملذات والشهوات، ونسوا حق الله عليهم ولم يلتزموا بطاعته، واستخفوا بأنبيائهم وسخروا منهم، فكذلك كنتم بعدهم مثلهم انتفعتم بنصيبكم الذي قدر لكم من متاع الدنيا وزينتها، وحرصتم عليه وجعلتم الاشتغال به غاية الغايات، كما تمتع الذين من قبلكم. ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ۚ﴾: أي ودخلتم أيها المنافقون والكافرون في الباطل وانغمستم فيه كانغماس الذين مضوا قبلكم من الأمم.

عن ابن جريج، عن عمر بن عطاء، عن عكرمة، عن ابن عباس قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ..﴾ الآية، قال: قال ابن عباس: ما أشبه الليلة بالبارحة! ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم، لا أعلم إلا أنه قال: والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه.

استنفدتم طيباتكم من المآكل والمشارب والملابس، والمفارش وأنواع المتع والشهوات، وتمتعتم بتلك اللذائذ واستعجلتموها في الدنيا، فليس لكم حظ ولا نصيب منها في الآخرة؛ لأنكم لم تكونوا مؤمنين حتى تنالوا النعيم الأبدي الخالد، بل اشتغلتم بشهوات الدنيا ولذائذها، وقضيتم حياتكم في لهو الشهوات وحمأة المعاصي، وعميت أبصاركم عما ينفعكم في الآخرة من الإيمان بالله والعمل في مرضاته، ففي هذا اليوم -وهو يوم القيامة- يجازيكم الله عذاب الذل وعقاب الهوان؛ لأنكم كنتم في الدنيا تستعلون وتتكبرون بغير استحقاق لكم في ذلك الصلف والكبر، وتستنكفون أن تعترفوا بأنكم خلق الله وعباده؛ فترفعتم عن الإيمان بالله إلها واحدا، ومع هذا الكفر الصريح الدائم منكم كنتم مستمرين على الفسق خارجين عن طاعته -سبحانه- فقد جمعتم بين ذنب القلب بالكفر، وذنب الجوارح بالعصيان والفسق.

محمد محمود عبدالمهدي



القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

alwaeiq8@gmail.com





الوظائف المناعية للرئتين

سبحان الله العظيم، عجائب مخلوقاته وقدرته لا تنتهي، فكثير من الناس يظنون أن وظائف الجهاز التنفسي تقتصر على تبادل الغازات بين الهواء الذي يتم استنشاقه، وبين الدم، حيث يصل الأكسجين للدم، ويتم طرد ثاني أكسيد الكربون في هواء الزفير. لكن الجهاز التنفسي له وظائف مناعية جليلة.

يقول الدكتور وليام جانونج أستاذ علم وظائف الأعضاء بجامعة كاليفورنيا: الممرات التنفسية لها دور أكبر من توصيل الهواء، فهي تقوم بترطيب الهواء، وتبريده إذا كان ساخنا، وتدفئته إذا كان باردا، ليصل إلى الحويصلات الهوائية ودرجة حرارته تقترب من درجة حرارة الجسم. الشعب الهوائية لها إفرازات تحتوي على أجسام مضادة من النوع، ومواد أخرى تقاوم العدوى، وتحافظ على الجهاز المخاطي المبطن لها سليما. الحويصلات الهوائية تحتوي على خلايا مناعية تسمى (الملتهمات الكبيرة) لها دور مهم في المناعة الرئوية، هذه الخلايا كغيرها من الخلايا المناعية تأتي من نخاع العظام. هذه الخلايا تلتهم البكتيريا والجسيمات الصغيرة. وتقوم بإعداد الأجسام الغريبة للهجوم المناعي، وتفرز مواد تجذب خلايا مناعية أخرى وهي الخلايا ذات الأنوية متعددة الأشكال، وتقوم بإفراز مواد أخرى تستحث تكوين الخلايا المناعية من نوع الخلايا الأحادية والخلايا المحببة في نخاع العظام.

عالم عجيب، حراسة مشددة، وما يعلم جنود ربك إلا هو، والإنسان لا يشعر بشيء مما يحدث داخل جسمه، ولا يشعر بنعم ربه عليه.

ويضيف الدكتور جانونج: خلايا الماكروفاج (الملتهمات الكبيرة) عندما تلتهم مقادير كبيرة من المواد الموجودة في دخان السجائر فإنها تفرز موادا مدمرة خارج الخلايا مما يسبب الالتهاب، وهذا ما يحدث أيضا مع جسيمات السليكا والأسبستوس. هناك آليات متعددة تعمل لمنع الأجسام الغريبة من الوصول إلى الحويصلات الهوائية، الشعر الموجود في فتحتي الأنف يحجز الجسيمات التي يربو قطرها عن عشرة ميكرومترات، ومعظم الجسيمات الأخرى تلتصق بالغشاء المخاطي المبطن للأنف والبلعوم، ولا تستطيع أن تواصل السير مع تيار الهواء الذي يتحرك في مسار منحنى، وفي البلعوم نجد اللوزتين اللتين تمثلان تجمعا من الخلايا للمفاوية المناعية النشطة تتصدى للجسيمات والميكروبات. الجسيمات الصغيرة التي يتراوح قطرها بين ٢ و١٠ ميكرومترات تسقط على جدران الشعب الهوائية، ويؤدي ذلك إلى رد فعل يتمثل في ضيق الشعب الهوائية والسعال للتخلص من هذه الجسيمات. كما أن هذه الجسيمات يتم طردها من الرئتين بواسطة الأهداب الدوارة، الممرات الهوائية من الثلث الأمامي للأنف إلى الشعب الهوائية الصغيرة مهدبة هذه الأهداب تتحرك بمعدل يتراوح من ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ دورة في الدقيقة، الآلية الهدبية تطرد الجسيمات بمعدل ١٦ مليمتر في الدقيقة، الجسيمات التي يقل قطرها عن ميكرومترين تصل إلى الحويصلات الهوائية حيث يتم التهامها بواسطة الماكروفاج، أهمية هذه الآليات الدفاعية ندركها عندما نتذكر أن الهواء في المدن الحديثة يحتوي كل ليتر منه على الملايين من جسيمات الغبار. هناك مرض ينتج عن وجود خلل في حركة الأهداب يسمى (متلازمة كارتجينر) «حيث يصاب هؤلاء المرضى بالتهاب مزمن بالجيوب الأنفية، وتمدد الشعب الهوائية.

سبحان الله العظيم، الذي أتقن كل شيء، له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه.

د. يحيى محمود سنبل

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسّل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

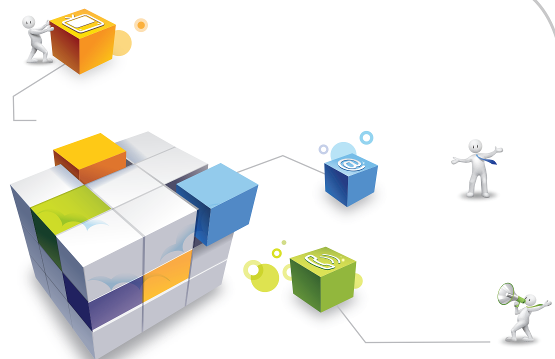
- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com







www.alwaeialshababy.com

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسـلامي»
رئيس التحرير: فهد الخزّي



Shabab alwaei
@alwaeialshababy
alwaeiq8@gmail.com

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٦٧) ربيع الأول ١٤٤٢ هـ - نوفمبر - ٢٠٢٠ م

مجانًا مع العدد: براعم الإيمان

خيرُ خلفٍ لخيرِ سَلفٍ

- اللهمَّ ارحمْ أميرَ الإنسانيَّة
- القيادةُ بالحُبِّ والرَّحمة



موقع مجلة الوعي الإسلامي



alwaeiq8@gmail.com



www.alwaei.gov.kw



مجلة الوعي الإسلامي

جديدنا



الثمر المستطاب في الحكم والمواعظ وا لآداب

كتاب لطيف جمع فيه مُعدُّه الدكتور تركي محمد النصر خُلاصَةَ الحِكم والمواعظ والآداب المنتشرة في المَراجع التاريخيَّة والفقهيَّة والحديثيَّة والأدبيَّة والثقافيَّة، وانتقى منها أطايبَ الثَّمر؛ ليُقدِّمه للقرَّاءِ الكرام على مختلف ثقافاتهم؛ ليكون دالًّا على مَعالي الأمور، باعثًا على صواب التَّدبير وحُسنِ التَّقدير.

وهذا هو الجزءِ الأول من هذه السلسلة الأدبية، ويليه الجزءِ الثاني قريبًا إن شاء الله.



فهد محمّد الخزّي
رئيس التحرير

خيرُ خلف لخيرِ سلف

ودَّع في الأيام القليلة الماضية دنيانا الفانية رجلٌ ما انفكَّ يسعَى في دروب الإصلاح والسَّلام، ارتبط اسمه بإغاثة الملهوفين، وإعانة المنكوبين، أحبَّهُ الكويتيون والعرب وغير العرب، رجلٌ سعى في نشر المحبَّة والرَّحمة محليًا وإقليميًا ودوليًا، وحملَ نبراسَ المحبَّة على عاتقه..

رحل أميرُ الإنسانية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصُّباح عن عالمنا الفاني، وغاب رحمه الله في شَخصه وذَاته، وبقي بيننا في أفعَاله وصفاته، ورحم الله القائل:

قَدْ مَاتَ قَومٌ وَمَا مَاتَتْ مَكارِمُهُمْ ... وَعاشَ قَومٌ وهُمْ في النَّاس أمواتُ

فسبحان المتوَحِّد بالإماتَةِ والإحياءِ، الذي كتبَ علَى كُلِّ نفسٍ الموتَ والفناءَ، وتفرَّد بالحياةِ والبقاءِ. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾. ورحمَ الله مَن قال:

ولَوْ كانَتِ الـدُّنْيا تَـدُومُ بـأَهْلِهَا ... لكـانَ رسـولُ الله فـيها مُخـلَّدا

إنَّ الموتَ حق والدار فانيةٌ، ولكن بركةَ العملِ الصَّالح؛ لا تنقطع بانقطاع الأجل، ومصداقُ ذلك: ما جاءَ في قوله ﷺ: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملهُ إلَّا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جَارية، أو علمٍ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له» (مُسلم).

ومنَ الأعمَالِ الصالحة التي نحتسبُ عندَ الله أجرهَا لأميرنا الراحل: اهتمَامهُ بذوي الاحتيَاجات الخاصَّة؛ فأنشأ الهيئة العامة، واهتمَّ اهتمامًا بالغًا بالشباب وأمر بإنشاء وزارة تعتني بشؤونهم وتنظمها، وشجَّع الاقتصاد الإسلاميّ ممَّا أدى إلى تحوُّل العديد منَ البُنُوك إلى النِّظام الإسلامي.

إنَّ مَناقبَ الأمير الرَّاحل كَثيرَةٌ وَفيرةٌ، وَصَنائعَ المَعْرُوف عَنْهُ مَأخُوذَةٌ وَمَشْهُورَةٌ، ممَّا أدَى إلَى اخْتيار الكُويت (مَركزًا للعَمَل الإنْسانيِّ) وَسُمِّيَ سُمُوُّهُ (قائدًا للعَمَلِ الإنْسانيِّ) نَسْأَلُ اللهُ سُبْحَانَهُ أنْ تَكُونَ هذه الأعمال الصالحة سَائقًا لَهُ إلى جَنَّة الرَّحْمَن.

رَحِمَ اللهُ سُموَّ الأميرِ وَأَسْكَنَهُ فَسيحَ جَنَّاته، وَأَلْهَمَ القُلوبَ المَفْجوعَةَ بِفرَاقه الصَّبرَ والاحْتساب وَالرِّضا بقضاءِ الله وَقَدَره، وَأعْظَمَ الله أَجْرَهُمْ وعوَّضَهُمْ خيرًا، وَمَا نَقولُ إلَّا مَا يُرضي رَبَّنا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

ولكن عزاءنا جميعًا بأميرنا الراحل يتمثلُ بأخيه وخليفته سمو الشيخ **نواف الأحمد الجابر الصباح** حفظه الله ورعاه وسدد إلى الحق خطاه، والذي ولي إمارة دولة الكويت في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر لعام ألفين وعشرين ميلادية، ونقف معه بإذن الله صَفًّا وَاحِدًا مُؤَيِّدينَ لَهُ وَمُناصرينَ، حَولَهُ تَجْتَمِعُ كَلمتُنا، وَبِقيادَته نواصلُ بِنَاءَ دَولَتنا، كما ندعو الله أن يوفّق ولي عهده الأمين الشيخ **مشعل الأحمد الجابر الصباح** حفظه الله.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٦٧/ ربيع الأول ١٤٤٢ هـ
العام الثامن والخمسون
نوفمبر ٢٠٢٠م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



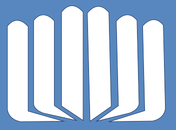
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

معادن الرجال

لا تظهر معادن رجالات الدولة إلا وقت الشدائد ولا تظهر صور تماسك الشعب وقيادته إلا في وقت المحن. وما رآه العالم أجمع من حزن الشعب الكويتي بل من يسكن أرض الكويت الطيبة على رحيل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح قائد العمل الإنساني الحكيم ما هو إلا دليل على حب الشعب لحاكمه من أسرة الصباح إذ حكم فعدل بين الناس وجنب البلاد شر الفتن المحيطة بالمنطقة بحكمة مشهود لها وما رآه العالم أجمع من مبايعة وانتقال للسلطة إلى سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح المشهود له بالصلاح والعفاف والوقوف أمام الصعاب بقوة وحسم، ما هو إلا دليل آخر على حب الناس للحاكم الراشد وتمسكهم بالحكم الرشيد.

التحرير

الاشتراكات

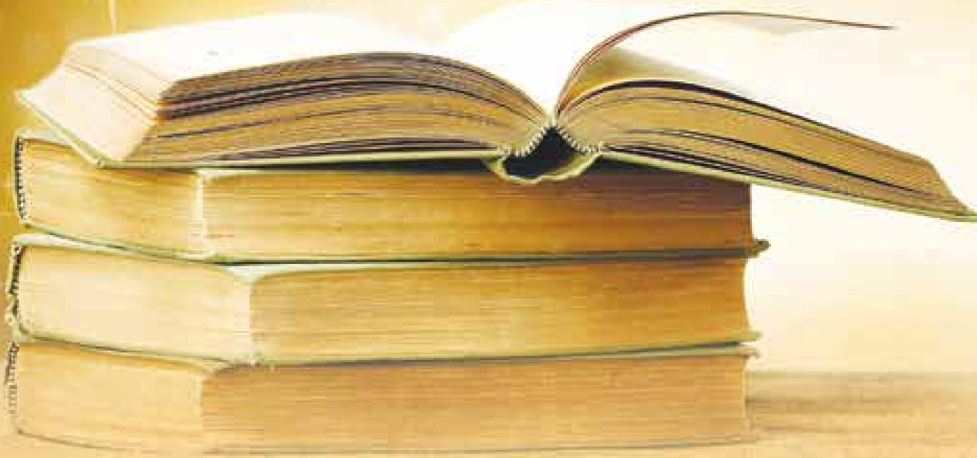
• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



د. الحسن حما
أكاديمي بجامعة محمد الخامس



إشكالية توظيف الدرس اللساني العربي الحديث في قراءة القرآن (٢-٢)

استكمالا لما بدأناه في عدد سابق عن إشكالية توظيف الدرس اللساني العربي الحديث في قراءة القرآن الكريم، نتكلم اليوم عن إشكالية توظيف اللسانيات الحديثة في التحليل.

يستدعي محمد شحرور في تحليله آليات تفسيرية تستقى من اللسانيات المعاصرة، وجملة من المفاهيم ذات حمولات إيديولوجية (idéologie)، تكشف عن مشارب فلسفية متعددة عند المؤلف، كما هو الأمر في حديثه عن نظرية المعرفة القرآنية الموسوم عنده (ب) «جدل الإنسان والمعرفة الإنسانية»، وهي التي تقابل (ب) «النظرية المعرفية الانعكاسية المادية التي تقول إن المعرفة الإنسانية تنطلق من الواقع المادي القائم على صراع المتناقضات الداخلي»[١]، وهذه النظرية التي تلتقي من حيث المنطق مع نظرية المعرفة القرآنية في منظوره، فقد لخصها في قدرتها على تقديم التفسير العلمي القادر على الإجابة عن تلك الأسئلة عن طريق طرح مقولة «نفخة الروح من الله تعالى»، ويدعي شحرور أن هذا الفهم المادي لنظرية المعرفة القرآنية يرد على أوهام ذوي الفهم المثالي للقرآن، الذين يرفضون نظرية التطور والارتقاء ويسخرون من نظرية داروين بزعم أنها غير علمية[٢]، وبهذا فشحرور يتبنى نظرية داروين، إذ أرجع وجود الإنسان إلى التطور الذي استمر ملايين السنين (البث)، حيث إن المخلوقات الحية بث بعضها من بعض طبقا للقانون الأول للجدل، وتكيفت مع الطبيعة وبعضها من بعض طبقا للقانون الثاني للجدل[٣].

هذه الأطر المرجعية في التأسيس المعرفي ستتضح في تحليله للآيات القرآنية التي لها علاقة بنشأة الإنسان والتي تبحث في التواجد الإنساني في الأرض، ونسوق مثالا لذلك مسألة




الهبوط الآدمي من الجنة، فالمهندس يقول إن فعل «هبط» القرآني لا علاقة له بهذا الأمر، إذ فعل هبط عنده يحيل إلى الانتقال المرحلي، أي انتقال من مرحلة إلى أخرى، ويستبعد أن تكون له علاقة بالنزول والهبوط الآدمي من الجنة، يقول: يجب علينا أن نفهم قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٣٨)، على أنه انتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى، وليس المعنى «انزلوا منها»، ونحن نقول: إن الله أنزل ونزل القرآن، ولا نقول أهبط وهبط القرآن، وقد استعمل الكتاب فعل «هبط» في مجال الانتقال المكاني أو الكيفي؛ في مجال الانتقال المكاني أي من مكان إلى آخر على الأرض في قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود:٤٨)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة:٦١). هنا يجب أن نفهم أن ﴿ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾ انتقال كيفي أو مكاني أو هما الاثنان معا، وكل ذلك حصل على الأرض وجنة الخلد ليس لها أي علاقة بذلك لأنها أصلا لم توجد بعد[٤]. لكن البحث المعجمي في دلالة «هبط» يحيل إلى «النزول والانحدار»[٥]، وبهذا فشحرور يخالف منهجه السابق القائم على الاستقراء التام للمعاجم اللغوية، ثم إن بعض المفسرين رجحوا هذا المعنى اللغوي، فقد وأورد الزمخشري في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم﴾، قال: «اهبطوا» بالضم: أي انحدروا إليه من التيه. يقال: هبط الوادي إذا نزل به، وهبط منه، إذا خرج[٦]. وهو ما تكرر عنه في عدد من المفاهيم، إذ يعطيها الباحث دلالات يدعي أنها مستقاة من اللسان العربي، لكن العودة إلى المعاجم العربية تؤكد لنا عكس ذلك.

أما فيما يخص توظيفه للآليات اللسانية المعاصرة، فالمنهج البنيوي يبدو واضحا لديه في خطواته التحليلية للنص القرآني. وفي هذا الصدد، تنبغي الإشارة إلى أن المهندس شحرور عمل على تكييف المنهج البنيوي[٧] في أسسه وآلياته بما يخدم منهجه، ولذلك فإنه لم يوظف هذا الأخير بشكل استنساخي وإنما استفاد من الخطوات المنهجية التي تعتمدها اللسانيات الحديثة. ومن مقوماتها «رفض منهج التأمل الباطني (Introspection) الذي يعني ملاحظة ما يجري في الشعور من خبرات حسية أو عقلية أو انفعالية، وبالتالي العمل على وصفها وتحليلها وتأويلها»[٨]. وهذا يتقرر عند شحرور في مواطن عدة من دراساته، يقول: «وندعو إلى رفض الاعتراف بالمعرفة الإشراقية الإلهامية الخاصة بأهل العرفان وحدهم أو من يسمون: بأهل الكشف أو أهل الله»[٩].

ثم إن التمييز بين المصطلحات التي بحثها والوصول إلى ما تقرر عنده جاء من خلال البحث المادي في المعاجم بعيدا عن التأويل والبحث في المفردات في النسق (système) القرآني والعلائقي للنص. «فالمنهج البنيوي (Structuralisme) يركز أساسا على الجانب المادي والكلية والتفاعل والمدخلات والعمليات والمخرجات».

إن هذا المنهج يبحث العلاقات التفاعلية بين عناصر النسق (système) ثم يجزئها ثم يحلل ثم يركب، ويفعل هذا من دون أن يفكر في ربط النص أو الخطاب اللغوي بصاحبه أو إطاره «الزمكاني» أو الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أنتجته. فقراءة النصوص إذن قراءة متوالية محايثة (immanente) وليست تأويلية، كما أنه من ركائز هذا المنهج كذلك الانطلاق من ضرورة «إخضاع المادة اللغوية لصرامة الدراسة العلمية من خلال إزاحة حقيقتها المعطاة في التجربة التاريخية أو المجتمعية أو التطورية». وشحرور استند إلى هذا حينما عمل على إبعاد كل الدلالات والحمولات المعرفية المتعارف عليها عند علماء التفسير وأهل اللغة، لجملة من المفاهيم التي تناولها (القرآن، الكتاب، الذكر، النبوة، الرسالة، الفرقان...) ليحل مكانها دلالات أخرى تستبعد التجربة التاريخية والمجتمعية، وإن كان الهدف من الدرس اللساني هو التعامل مع النص الأدبي من الداخل وتجاوز المرجع الخارجي واعتباره نسقا لغويا في سكونه وثباته. وقد حقق هذا المنهج نجاحه في الساحتين اللسانية والأدبية، حينما انكب عليه الدارسون بشغف كبير للتسلح به واستعماله منهجا وتصوروا في التعامل مع الظواهر الأدبية والنصية واللغوية؛ غير أن عملية نقل وتحويل هذا المنهج إلى الدراسات القرآنية، أدت بشحرور إلى السقوط في الخطأ المنهجي الذي أشار إليه أحد الباحثين بقوله: «بلا نص ولا دلالة ثابتة ولا تفسير نهائي للنص، لا تفسير مفصل أو موثوق به اللعب الحر للغة، فكل القراءات

إساءة قراءات إلى آخر تلك المتاهات التي أدخلتنا فيها الحداثة الغربية ومدارسها النقدية»[10].

أهمية الوعي بلغة القرآن

إن إدراك طبيعة القرآن يسمح بالكشف عن نواظمه المعرفية والمنهجية، ولا يتأتى هذا الإدراك من دون الوعي بلغة القرآن، فهي لغة منضبطة على مستوى دلالات الألفاظ والعائد المعرفي لكل مفردة، بحيث تعني دلالة واحدة دون ترادف أو اشتراك أو تضاد[11]، فلغة القرآن عربية نعم ولكن ليست كأي عربية أخرى وإلا أوقع ذلك في كثير من اللبس والخطأ، فقد تحكم في بعض الأحيان تصور بأنه ما دامت لغته عربية فيجب أن نأخذه بمفاهيم العرب»[12]، لأن الاستخدام الإلهي للغة هو غير الاستخدام الكلامي البشري، فلكي يكون القرآن مرجعا مطلقا ارتقى الله بلغته ومفرداته فوق الاستخدام اللساني العربي والتراثي محققا مفهوم «اللغة المثالية» بلا مترادف أو مشترك أو نحو ذلك، غير أن التراث التدويني لم يعالج اللغة القرآنية بهذا المنظور، الذي يجعل موقع كل حرف في بنائيته الكتابية كموقع النجوم في البنائية الكونية، إذا اهتز موقع واحد أو خرج عن مداره اهتزت البنائية كلها»[13].

وهذه مسألة في غاية الخطورة، إذ من دون التفريق بين الاستخدام القرآني للغة والاستخدام البشري لها، تكون قراءتنا للقرآن بعيدة عن خطابه. وقد أدى إغفال هذا الفارق المنهجي في الدلالات اللغوية ما بين القرآن الكريم والكلام العربي، إلى فرض التراث التدويني منطقه هو على القرآن.. ونتج وما زال ينتج عن ذلك خلط كبير، يمتد ليؤثر على قضايا تشريعية وعبادية. ففي لغة القرآن «الأمي» هو «غير الكتابي» (على حد تعبير أبي القاسم حاج حمد) وفي مجمل التراث هو الذي يجهل القراءة والكتابة. فتم إلباس معنى الآية التي تشير إلى أن النبي «لا يخط بيمينه» مع معنى ما يشار إليه بالأمي»[14].

وثاني هذه المحددات المنهجية هو ما يعرف عندهم بوحدة القرآن البنائية، فالقرآن جسم واحد وعضو واحد والله سبحانه قد نفى أن يكون القرآن مفرقا مجزءا[15]. والوحدة البنائية تعني أن هناك علاقة رابطة بين أحرفه وبين الكلمة والأخرى، وبين الآية والآية وبين السورة والسورة داخل ما بين الدفتين[16].

إن القراءة البنائية للقرآن الكريم مدخل معرفي لتجاوز الخلل المنهجي الذي يعرفه العقل المسلم، أو لنقل إعادة بناء العقل المسلم على أصول المنهجية المعرفية القرآنية وعلى مسلمات قرآنية والقواعد المنطقية غير أن غيابها الطويل أو تناسي التعامل معها يجعل الجهود المطلوبة لبنائها أقرب إلى الكشف منها إلى إعادة البناء والتشكيل[17].

الهوامش

١- الكتاب والقرآن؛ قراءة معاصرة، ص:٢٥٣.

٢- الكتاب والقرآن، مرجع سابق، ص:٢٥٣

٣- المرجع السابق، ص:٢٩٠.

٤- شحرور محمد، المرجع السابق، ص:٢٩٠. ثم إنه هنا يحاكم زمان القرآن بزمان البشر من دون اعتبار للاختلاف الموجود بينهما.

٥- انظر مادة «هبط» ففي «مختار الصحاح» ورد فيها «هبط نزل والهبوط بالفتح الحدور»، وعند «مقايس اللغة» جاء فيها «هبط: الهاء والباء والطاء: كلمة تدل على انحدار. وهبط هبوطا. والهبوط: الحدور»، وفي «لسان العرب» لابن منظور المجلد السابع، دار صباد بيروت، فصل الهاء، جاء «(هبط) الهبوط نقيض الصعود»، وفي «المعجم الوسيط» «هبط هبوطا نزل وانحدر».

٦- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، بدون سنة، طبعة دار الفكر، بيروت، الجزء الأول، ص:٢٨٥.

٧- يتطابق تطبيق الدكتور شحرور للمنهج البنيوي، مع الغايات الفلسفية المصاحبة لظهور هذا الاتجاه النقدي في الدراسات الأدبية، إذ ظهور البنيوية (ولعلها ما زالت) إنما المراد منها أن تشكل منهجية لها إيحاءاتها الأيديولوجية بما أنها تسعى لأن تكون منهجية شاملة توحد جميع العلوم في نظام إيماني جديد من شأنه أن يفسر عليما الظواهر الإنسانية كافة، علمية كانت أو غير علمية. من هنا كان للبنيوية أن ترتكز مرتكزا معرفيا (أبستيمولوجيا). فاستحوذت علاقة الذات الإنسانية بلغتها وبالكون من حولها على اهتمام الطرح البنيوي في عموم مجالات المعرفة: الفيزياء، والرياضيات، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، والفلسفة والأدب. وركزت المعرفة البنيوية على كون «العالم» حقيقة واقعية يمكن للإنسان إدراكها. ولذلك توجهت البنيوية توجها شموليا.. إدماجيا يعالج العالم بأكمله بمن فيه الإنسان؛ أنظر: د. الرويلي ميجان، ود. البازغي سعد، «دليل الناقد الأدبي» الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء -المغرب، ص:٦٧-٦٨.

٨- عزت أحمد، «أصول علم النفس»، ط.المكتب المصري، ط. مزيدة ومنقحة، بدون سنة، ص:٤٢،٦٢،٦٣.

٩- الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، مرجع سابق، ص:٤٣.

١٠- حمودة عبدالعزيز، ذو الحجة ١٤١٨هـ/ أبريل ١٩٩٨م، «المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك»، سلسلة «عالم المعرفة»، رقم ٣٢، ص:٣٤.

١١- محمد أبو القاسم حاج حمد، «أبستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج»، دار الهادي، بيروت -لبنان، ط١، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص:٢٧٣.

١٢- طه جابر العلواني، «مقدمة في إسلامية المعرفة»، مرجع سابق، ص:٨١.

١٣- محمد أبو القاسم حاج حمد، «أبستمولوجية المعرفة الكونية إسلامية المعرفة والمنهج»، مرجع سابق، ص:٢٧٣.

١٤- المرجع نفسه، ص:٢٧٤.

١٥- طه جابر العلواني، «مقدمة في إسلامية المعرفة»، مرجع سابق، ص:٨٦.

١٦- نفسه، ص:٨٧.

١٧- طه جابر العلواني، «نحو منهجية معرفية قرآنية»، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص:٢٨٠.



عبدالعظيم إبراهيم
رئيس مركز إحياء البحوث والدراسات بالقاهرة

نحو معجم جغرافي للقراءات القرآنية



من رحمة الله الكريم بعباده أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليجنبهم الزيغ والفجور، وقد ختم الرسل الكرام بأفضل رسول وأكمله سيدنا محمد عليه وعليهم جميعا صلوات الله تعالى وسلامه، كما ختمت الكتب بأعظم كتاب وأحكمه، وأجمعه وأبلغه، ألا وهو القرآن العظيم المحفوظ في الصدور والسطور، وهو منبع الهدى والنور، لا يتطرق إليه زيادة ولا نقصان، فقد تكفل بحفظه الرحيم الرحمن.

وقد قام نبينا ﷺ بمهمة البلاغ والبيان أحسن قيام، فدعا إلى الله جل وعلا على بصيرة، وبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، فقد آتاه الله القرآن ومثله معه، ففتح الله القدير بهذا البشير النذير أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، وهدى به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة، وشرح به الصدور، وأنار به العقول، ولم يقبضه إلى جوار ربه الكريم حتى ترك الناس على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها

إلا هالك.
وقد هيأ الله الكريم رجالا صالحين، ليخلفوا النبي ﷺ في الدعوة إلى رب العالمين، فقام أصحاب رسول الله بخدمة هذا القرآن مبلغ جهودهم، فبذلوا جهودهم في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ونشر هذا الدين ونصره، وكان القرآء في المقدمة دائما، فهم أولى الناس بالجهاد في سبيله، لما حفظوا وعلموا من كتاب الله تعالى، ولما تدبروا وفهموا من معانيه، ولما توفي النبي، واتسع الفتح الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، ودخلت شعوب كثيرة في الإسلام؛ أصبحت الحاجة لتعليم هؤلاء معالم هذا الدين الجديد، وكان تعليم القرآن وقراءاته أهم ما يشغل بال الداخلين في الدين الجديد، فتفرق الصحابة الكرام وانتشروا في آفاق الدنيا للتعليم والإقراء.
فمنهم من نزل مصر، وجمع فيهم الإمام الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى كتابا سماه: «در السحابة فيمن نزل بأرض مصر من الصحابة».
ونزل بعض الصحابة في الديار الليبية، فألف الشيخ أحمد سالم كريم القطعاني كتابا سماه: «الإهابة فيمن دفن بأرض ليبيا من الصحابة».
بل ما زال الصحابة الكرام يتفرقون في الأمصار حتى وصلوا ديار المغرب الأقصى، وجمع فيمن نزل منهم بأرض المغرب العلامة الكبير الشيخ أبو رأس المعسكري كتابا سماه: «در السحابة فيمن نزل بأرض المغرب من الصحابة».
ودخلوا أوائل بلاد الترك، وأوائل بلاد الهند حتى قال الإمام الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في كتابه «البداية والنهاية»: «إنه ما جاء أوائل عصر عثمان ﷺ إلا وقد كان الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- قد دخلوا أكثر أقطار الأرض، فوصلوا إلى ديار الهند، وبلاد الترك، ورحلت جموعهم حتى نزلوا ديار المغرب الأقصى" أ. هـ.
وظهرت في الأمصار الإسلامية مدارس لتعليم القرآن الكريم وقراءاته، وكان على رأسها في كل مصر جماعة من الصحابة الذين نزلوا فيه، ومع الوقت تحدرت النسبة إليها، ويميل الكثير من الباحثين إلى تقسيم هذه المدارس إلى: مدرسة المدينة، ومدرسة مكة، وجمعها بعضهم في مدرسة الحجاز، ومدرسة الكوفة، ومدرسة البصرة، وجمعها بعضهم في مدرسة العراق، ومدرسة الشام، وزاد بعضهم مدرسة مصر، ومدرسة المغرب، ومدرسة الأندلس.
وتلقى التابعون عن الصحابة القرآن كذلك، ونقلوه إلى تابعي التابعين، كل كما قرأ.
وفي عصر التدوين كان من أهم ما اعتنت به الأمة هو ضبط القراءات المنقولة عن رسول الله ﷺ، وتصدى لعلم القراءات وتدوينه الأئمة الأعلام من المتقدمين، ولا يختلف في أن القراءات القرآنية من أغنى تراثنا الثقافي والفكري العربي والإسلامي، ولاسيما في علوم اللغة العربية، كالأصوات والتصريف والمعجمات.
ولا أبالغ إذا قلت: إن القراءات هي محور العلوم كلها، فهي محور الاختلاف بين المفسرين في تفاسيرهم، والفقهاء والأصوليين في مسائلهم، والنحاة في مذاهبهم، واللغويين في ظواهرهم ومعاجمهم، فهي قطب الرحى الذي تدور حوله العلوم، ولب الأصول، وإنما حرم الوصول من ضيع الأصول، وفي لجة البحر ما يغني عن الوشل»[1].
إن هذا العلم -بما سلف من الوصف- معلمة شاهدة على إعجاز هذا القرآن، وربانية مصدره من وجوه كثيرة، من أبينها أنه لم يسلمه خلف قراءاته وتعاور مرويه إلى تناقض أو تناف، أو إحالة أو فساد، بل كان تعدد حرفه واختلاف أشكال فرشه، وهو نفسه الدليل على تناسق مادته، واطراد حقيقته، وكمال دلالته..
وقد استنفدت في خدمة هذا العلم نفائس الأعمار على تطاول الأعصار والأمصار، وتوالت عليه الخلوف الكريمة تبث أنفاسها الطيبة في أرجائه وأنحائه، مما أثمر وجوها من كثير العناية، وضروبا من أثير الاهتبال، وكانت الرواية والدراية، والبحث والدراسة، والتنقيح والتحرير، والإتقان والتجويد، والأخذ والتعليم، والحفظ والتدوين.. فضاءات رحيبة من العطاء الباهر، والإسهام الزاهر[2].
والأمة اليوم -وهي تستشرف غدا جديدا- مدعوة إلى خدمة تراثها القرائي، بجهود صادقة مخلصة، والوقوف على المجالات التي لم تنل حظها من العناية والبحث، من خلال تقييم الرصيد، وتسطير الخلاصات، واستشراف المستقبل.

ملخص المشروع

هذا المعجم يبين لنا تاريخ انتشار قراءة كل إمام من أئمة القراءات في بلدان العالم الإسلامي، فمثلا بلد كالديار المصرية يبين المعجم لنا القراءات التي انتشرت فيها من بداية دخول الإسلام فيها حتى العصر الحديث، مع بيان أسباب حلول القراءات محل بعضها البعض، وهل هي أسباب سياسية أو هي أسباب تتعلق بنشاط أصحاب هذه القراءة؟

ثمار المشـــروع

- معرفة أكثر القراءات انتشارا في العالم الإسلامي.
- معرفة مدى نشاط أصحاب القراءة الواحدة في نشرها، وهذا مترتب على النقطة السابقة.
- معرفة مدى اهتمام كل بلد من بلدان العالم الإسلامي بعلم القراءات.
- معرفة مدى تقارب لهجات أصحاب القراءة الواحدة في بلدان العالم الإسلامي، وهذا يفيد من يعملون في حقل علم اللغة.
- التيسير على من يعملون في مجال تحقيق النصوص معرفة قراءة المؤلف أو معرفة قراءة بلده في الوقت الذي كان يعيش فيه، حتى يراعي ذلك عند إخراج النص المحقق.
- كذلك من الثمار المجنية لهذا المشروع معرفة مظان مخطوطات كل قراءة من القراءات.

هل جل التفاسير كتبت على رواية حفص عن عاصم؟

إن الإمام القرطبي -رحمه الله- وإخوانه من المغاربة والأندلسيين لم يفسروا القرآن على رواية حفص، بل على قراءة نافع المدني بروايتي قالون وورش، وجلهم فسروه من رواية ورش، وهذا أحد مطبات التحقيق لدى المحققين المعاصرين، الذين أعياهم البحث في القراءات، وتاريخ انتشارها، فزين لهم الأمر على أن التفسير لا يقع إلا على رواية حفص عن عاصم، وساعدهم على كل هذا وجود برامج طباعية لرواية حفص عن عاصم دون غيرها من القراءات الأخرى، جاهزة تطبع برسمها ونقطها وشكلها وعد آياتها، دون تنضيد جديد، فأسقطت وهما على الباحث المحقق القاصر، وغابت عنه حقيقة العلم الجلي، وهو أن القرآن الكريم تناوله كل مفسر حسب قراءة أهل بلده، والله الموفق للصواب.

وكذا المشارقة في بلاد الشام ومصر، من مفسري القرن الخامس حتى القرن العاشر، كان تفسيرهم للقرآن على قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، فالتفاسير المتداولة مثل: تفسير الإمام ابن كثير، وتفسير الإمام أبي الثناء الأصفهاني «أنوار الحقائق الربانية إلى تفسير اللطائف القرآنية»، وتفسير الجلالين، وغيرها من التفاسير المصنفة في الفترة المملوكية، والمتداولة بين الناس، فسرت كتاب الله العظيم وفق هذه القراءة.

الهوامش

١- الوشل: بالتحريك - الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة، يقطر منه قليلا، لا يتصل قطره. ينظر: (لسان العرب «وشل» ٧٢٥/١١).

٢- ينظر: جهود العلماء في خدمة القراءات القرآنية للدكتور توفيق العبقري ٥٠٧/١، ٥٠٨، ضمن أعمال مؤتمر جهود الأمة في خدمة القرآن وعلومه.



محمد إبراهيم خاطر
كاتب وباحث

أخلاق الرسول قبل البعثة

اشتهر بين الناس أن الرسول ﷺ كان يلقب بالصادق الأمين بين قومه بمكة قبل البعثة، أما بقية صفاته ﷺ فلم تنل حظها من الذيوع والانتشار بين الناس لكي يتأسوا بالنبي ﷺ، الذي اصطفاه الله عزوجل وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين.

والصفات التي سنتحدث عنها صفات اشتهر بها العرب في الجاهلية، وصفات تحلى بها الأنبياء والرسل قبل النبي ﷺ، وهي صفات تظهر بجلاء أهمية ومركزية العمل الصالح، ومنه فعل الخير المتعدي الذي يصل نفعه إلى الناس في رسالة الرسول ﷺ ورسالات الأنبياء عليهم السلام.

والسيدة خديجة، رضي الله عنها، عندما جاءها النبي ﷺ خائفا فزعا، بعد أن نزل عليه جبريل،

عليه السلام، بالوحي في غار حراء، لم تصف الرسول ﷺ وتثني عليه بصفات تتعلق بشخصه أو بخلوته وتعبده لله عز وجل، وإنما وصفته بأوصاف جميعها يتعلق بتعاملاته مع الناس، وأقسمت أن الله عز وجل لن يخزيه بسبب هذه الأوصاف!

ففي حديث بدء الوحي الذي ترويه أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: «.. فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع. قال لخديجة: أي خديجة، ما لي، لقد خشيت على نفسي. فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» (صحيح البخاري).

والصفة الأولى التي وصفت بها السيدة خديجة، رضي الله عنها، النبي ﷺ هي «إنك لتصل الرحم»، وفي ذلك إشارة إلى إحسان النبي ﷺ لرحمه وقرابته؛ وصلة الرحم في الإسلام لها منزلتها الرفيعة عند الله عزوجل، ففي الحديث الشريف: «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت بلى يا رب، قال فهو لك. قال رسول الله ﷺ فاقرأوا إن شئتم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ (محمد:٢٢)» (صحيح البخاري).

والصفة الثانية هي «وتصدق الحديث»، والصدق من الصفات الفاضلة اللازمة للتعامل مع الناس، وهذه الصفة تنم عن سلامة الصدر وحب الخير للآخرين والنصح لهم، وقد اشتهر الرسول ﷺ بين قومه بالصادق الأمين الذي لم يجربوا عليه كذبا.

والصفة الثالثة هي «وتحمل الكل»، وتعني أن النبي ﷺ كان يصلح أحوال العاجزين عن إصلاح أمورهم بأنفسهم، ويعين الفقراء والضعفاء والأيتام بالمال.

والصفة الرابعة هي «وتكسب المعدوم»، وتعني أن النبي ﷺ كان يعين الفقراء والمعوزين ويساعدهم على قضاء حوائجهم بإعطائهم ما يحتاجون إليه من مال.

والصفة الخامسة هي «وتقري الضيف»، في إشارة إلى إكرام الرسول ﷺ للضيوف، وهي الصفة التي امتدح الله عز وجل بها الخليل إبراهيم عليه السلام، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾ (هود:٦٩).

والصفة السادسة هي «وتعين على نوائب الحق»، وهي صفة تجمع الصفات السابقة، وتدل على أن الرسول ﷺ كان يهب لنجدة كل من يحتاج إلى المساعدة، ويعين كل من نابه شيء من مصائب الدنيا.

ووصف السيدة خديجة، رضي الله عنها، للرسول ﷺ بأصول مكارم الأخلاق وخاصة المتعلق منها بالتعامل مع الناس دون غيرها من الصفات، فيه إشارة لأهمية حسن الخلق في التعامل مع الناس، وأنه من الأعمال التي يحبها الله عز وجل ولا يخزي صاحبها.

ومن خلال استقراء السيرة النبوية العطرة نجد أن النبي ﷺ قضى عدة أعوام في التجارة، حرص خلالها على نشر الأخلاق الفاضلة في المجتمع الجاهلي من خلال العمل بالتجارة مع عمه أبي طالب والمتاجرة بأموال السيدة خديجة، رضي الله عنها، وهي ذاتها الأخلاق التي أثنت بها السيدة خديجة، رضي الله عنها، على النبي ﷺ عندما جاءها فزعا بعد نزول الوحي عليه لأول مرة.

وهذه الفترة الطويلة التي عمل فيها النبي ﷺ بالتجارة قبل البعثة، والتي تضمنت إعداد النبي ﷺ للرسالة وغلب عليها الجانب الأخلاقي في التعامل مع الناس، تمثل جوهر الرسالة، وقد عبر النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق (وفي رواية: صالح الأخلاق)».

وما أحوج المسلمين اليوم للاقتداء بالرسول ﷺ في حرصه على نفع الناس وقضاء حوائجهم، والتقرب إلى الله عزوجل بفعل الأعمال الصالحة التي يصل نفعها إلى الآخرين.



د. ناجي عبدالله الخرس
إمام وخطيب - الكويت

حفظ النبي ﷺ للعهد ووفاؤه بالوعد





قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ (المائدة:١)، وقال جل ذكره وتقدس اسمه: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾ (الرعد:٢٠)، وقال جل وعلا: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ (النحل:٩١)، وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ (الإسراء:٣٤).

والآيات في ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ (الصف:٢-٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف،

وإذا ائتمن خان»[1]؛ فالوفاء من شيم النفوس الشريفة، والأخلاق الكريمة، والخلال الحميدة، يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه الظنون. وعن ذلك يقول القائل: «الوعد وجه والإنجاز محاسنه، والوعد سحابة والإنجاز مطرها».

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله»[2]. ولله در القائل:

إذا قلت في شيء نعم فأتمه
فإن نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا.. تسترح وترح بها
لئلا يقول الناس إنك كاذب

وقال أعرابي: «وعد الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل».

أما عن وفائه بالعهود، فقد ثبت عنه ﷺ أنه لما جاءه رسولا مسيلمة الكذاب وقالا عنه إنه رسول الله، قال لهما رسول الله ﷺ: «لولا أن الرسل لا تقتل، لضربت أعناقكما»[3].

وثبت عنه ﷺ أنه لما جاءه أبو رافع، وقد أرسلته إليه قريش فأراد المقام عنده، ولا يرجع إليهم، قال: «إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن ارجع إلى قومك، فإن كان في نفسك الذي بها الآن فارجع»، قال: فذهبت ثم أتيت النبي ﷺ فأسلمت[4].

وثبت عنه أيضا ﷺ أنه رد إليهم أبا جندل للعهد الذي كان بينه وبينهم في صلح الحديبية بأن يرد إليهم من جاءه منهم مسلما. والمقصود من أخيس، أي: لا أنقض العهد، من خاس الشيء في الوعاء إذا فسد. والمعنى أن العهد يراعى مع الكافر كما يراعى مع المسلم، وأن الكافر إذا عقد لك عقد أمان فقد



وجب عليك أن تؤمنه ولا تغتاله في دم ولا مال ولا منفعة.

وقال ﷺ: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة؛ رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[5].

والمقصود برجل أعطى بي ثم غدر، أي: عهد باسمي وحلف بي أو أعطى الأمان باسمي أو بما شرعته من ديني ثم غدر، أي: نقضه.

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه، قال: «اخرجوا باسم الله، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع»[6].

أما عن وفائه ﷺ فنذكر له حفظ الجميل مع أهل بيته؛ ومثال ذلك خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، فهي التي آزرته، وجاهدت معه، وواسته بنفسها، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم كان من مارية، رضي الله عنها، وقد أرسل الله إليها السلام مع جبريل، وهذا أمر لا يعرف لامرأة سواها.

تقول عائشة، رضي الله عنها: «ما غرت على امرأة للنبي ﷺ كما غرت على خديجة، هلكت (أي: ماتت) قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها»[7].

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال: كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟ قالت بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: يا عائشة، إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان».

الهوامش

١- رواه البخاري ومسلم.
٢- جاء في المستطرف، ج١، ص:٣٢٥.
٣- صحيح الجامع برقم ٥٣٢٠، وأبو داود برقم ٢٧٦١.
٤- رواه أبو داود برقم ٢٧٥٨.
٥- رواه البخاري برقم ٢١٩٩، ٢٢٣٦.
٦- رواه أحمد، ج١، ص:٣٠٠.
٧- رواه البخاري برقم ٣٨١٥.

محمود سعيد عيسى
باحث في الدراسات الإسلامية والتربوية



القيادة بالحب والرحمة

ما زالت جوانب شخصية الرسول الكريم ﷺ معينا ثرا لا ينضب، وسراجا منيرا لا يخبو، يقتدي ويهتدي بها المسلمون في كل عصر. ولعل من أبرز جوانب شخصية الرسول الكريم ﷺ جانب القيادة الرحيمة والحكيمة؛ فما زال الرسول الكريم ﷺ يتعهد المسلمين المستضعفين في مكة، ثم في المدينة، يكلؤهم ويرعاهم ويربيهم بروح الحب والرحمة والصفح والإحسان، حتى غدا المجتمع الإسلامي مجتمعا متماسكا فاعلا مؤثرا يتحدى أعظم الإمبراطوريات في ذلك العصر، ويتفوق عليها اجتماعيا وعسكريا وأخلاقيا.

ولا شك أن التمكين لهذا المجتمع الإسلامي الناشئ كان من تدبير ولطف إلهي، ولكن هذا التدبير الإلهي لم يخرج عن النواميس الكونية التي سير الله بها الكون والبشرية؛ فقد هيأ الله تعالى لتلك العصابة المستضعفة قائدا عظيما رحيما يتصف بأنبل الصفات الإنسانية، استطاع أن ينتشلها من مدارك الدنو والجاهلية إلى مدارج السمو والإنسانية.

كان الرسول الكريم ﷺ يتصف بسجايا ومناقب أهلته ليحتل هذا المكان الأسنى في تاريخ المسلمين والبشرية، فقد كان يتمتع بذكاء وقاد وبصيرة نافذة وإحساس مرهف وقلب واع يقظ، امتلك القدرة على تفهم مشاعره والتعبير عنها، وتفهم مشاعر الآخرين والتعامل معها كأحد أهم أساليب إدارة العلاقات.

فقد كان الرسول الكريم ﷺ لا يتردد في التعبير عن عاطفته تجاه أصحابه، فعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك. فقال: أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، والحاكم.. وغيرهم)؛ فالرسول الكريم ﷺ الرحيم بأمته الحريص عليها لا يلقي الوصية إلزاما على معاذ، بل يستخدم وسائل كثيرة من وسائل التأثير: فمن التواصل الجسدي عندما يأخذ بيده، إلى التأثير العاطفي من خلال مناداته باسمه، ومن ثم التأكيد على حبه له؛ فلا يملك معاذ وغيره ممن يسمع هذا الكلام إلا أن يتمسك بهذه الوصية الصادرة من محب صادق.

ويؤكد القرآن الكريم على هذا الجانب العاطفي ورقة القلب في شخص الرسول الرحيم الرفيق بالناس وأثره على ائتلافهم وازدحامهم عليه ﷺ، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ (آل عمران:١٥٩).

ولعل أحد أعظم الاختبارات الكبرى للمجتمع الإسلامي في بداياته كان «معركة حنين»، فقد ظهر الجانب القيادي للرسول الكريم ﷺ من خلال مواجهة الأعداء الخارجيين والقضاء على الخلافات الداخلية، فبعد فتح مكة اجتمعت أكبر القبائل العربية القريبة من مكة، وفي مقدمتها «هوازن» و«ثقيف»، يقودها مالك بن عوف على قتال المسلمين خشية أن تتوطد دعائم الفتح المبين، فسارع الرسول ﷺ إلى ملاقاتهم بحشد عظيم من المسلمين، كما انضم إلى الجيش الطلقاء من أهل مكة والبدو من الأعراب، حتى بلغوا اثني عشر ألفا، فقال من غفل عن أمر العدو المتربص كما غفل عن أسباب النصر الحقيقية: لن نغلب اليوم من قلة. لكنها كثرة لم تغن شيئا، فولوا مدبرين أمام وابل سهام العدو المتربص بهم.

ويقف الرسول الكريم ﷺ رابط الجأش وحوله لفيف من المهاجرين وأهل بيته ومعشر من الأنصار يجالد بهم الأعداء، ولم يطل الوقت حتى ولى الأعداء مدبرين تاركين خلفهم مغانم هائلة، وتحولت الهزيمة الوشيكة إلى نصر مبين.

وشرع الرسول الكريم ﷺ يوزع الغنائم، بعد أن تأنى في توزيعها بضع ليال، ويعطي للأعراب ورؤساء مكة عطاء من لا يخشى الفقر؛ يتألف قلوبهم التي لما تزل متعلقة بالدنيا، ويحرم

الأنصار فلا يعطون بعيرا ولا نقيرا.

وهنا تجد قلوب الأنصار على فعل رسول الله ﷺ الذي يرونه إهمالا لهم وإغفالا عن جهادهم، وتعصبا لقبيلته وتحزبا لها، حتى قال قائلهم: «لقي والله رسول الله قومه!». فها هم يعودون بأجساد مثخنة بالجراح من ضربات السيوف وطعنات الرماح، وبجيوب خاوية من الغنائم والأعطيات، وهم الذين قاتلوا في بدر، وقاتلوا في أحد، وحوصروا في المدينة وزلزلوا زلزالا شديدا، فصبروا ونصروا وجاهدوا في الله حق جهاده وبايعوا وفتحوا.

وتصل إلى الرسول ﷺ مقالة أنصاري: «إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله عزوجل» (أخرجه البخاري ومسلم وأحمد)، فيتألم حتى يحمر وجهه، لكنه يصبر، ويأتي سعد بن عبادة زعيم الأنصار يبلغ رسول الله ﷺ موجدة الأنصار وما وغر في صدورهم من الغيظ والكمد، فيسأله الرسول ﷺ عن موقفه: فيقول: «ما أنا إلا امرؤ من قومي».

إذن الأمر عام والتوضيح مهم، فيأمر رسول الله فيجتمع بالأنصار في حظيرة، ويكلمهم كلام المحب، المربي، المدرك فداحة الأمر، وجلل الخطب، فيخطب فيهم:

«يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، لله ولرسوله المن والفضل».

فالرسول الكريم ﷺ يظهر فضل الله عليهم، فالله يمن عليهم أن هداهم للإسلام، فالنجاة من الضلال لا تقارن بمال، والخلاص من الإحن والعداوات القديمة التي ما فتئت تتجدد من شرارة غضب لا يقدر بثمن، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤).

لكنه ﷺ يريد أن يسمع منهم، يريد أن يستحثهم ليظهروا ما في دواخلهم من موجدة لحرمانهم وهم الذين حرموا أنفسهم من قبل إيثارا للرسول الكريم ولمن هاجر إليهم.

«ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله؟ ولله ولرسوله المن والفضل».

لكن الإيمان المكين والحب المكنون يمنعانهم من البوح بما قد يعكر صفو الود، فيشرع ﷺ يظهر ما حاك في نفوسهم من الغوائل والوساوس وهو القائد المنصف العادل الناجح، يعي مشاعر المقودين، فيبين ﷺ فضل صنيعهم وإيثارهم وسبق إيمانهم:

قال: «أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم؛ أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك».

ومن ثم يوضح الرسول الكريم ﷺ الأسباب الكامنة لتقسيم الغنائم تلك القسمة:

وأولها: تأليف للقلوب التي لما يتمكن الإيمان منها، وحسبك قول صفوان ابن أمية وهو من أشد أعداء المسلمين وتآمر على اغتيال الرسول ﷺ: «لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي» (رواه مسلم).

وثانيها: يعود لفضلهم وتقدمهم ولكونهم عمدة الإسلام، ولثقة الرسول الكريم ﷺ بهم، ويقينه برسوخ إيمانهم.

وثالثها: يذكرهم بغاية الجهاد ألا وهي إعلاء كلمة الله تعالى، لا التكالب على المغانم والأسلاب، وطلب الأجر من الله في الآخرة، والآخرة خير وأبقى.

«وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟!».

ثم يظهر الرسول الكريم ﷺ الانتماء إلى تلك العصبة من المؤمنين، ويؤكد مشاعره تجاههم التي طالما ذكرها لهم في أقواله وتبينوها في أفعاله، تلك المشاعر التي لا تقف عند السامعين من الأنصار، بل تتعداها إلى أبنائهم، وفلذات أكبادهم، وأبناء أبنائهم:

«أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة؛ لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

وأمام هذا الحب العظيم والفضل الجليل الذي يصغر أمامه كل عرض الدنيا ترق القلوب شفقة، وتهمع العيون تأثرا:

قال: «فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا، ثم انصرف النبي ﷺ وتفرقوا» (رواه أحمد).

إنها خطبة بليغة تفيض بمعاني الرقة والمحبة والذوق الرفيع، آتت أكلها وغيرت قناعات المخاطبين وبددت هواجسهم، وطردت وساوسهم؛ فانجلى ما ران على شغافها من أدران، وظهر ما وقر في سويدائها -كعهدها- من الحب والإيمان، كما أكدت عظمة قيادة الرسول ﷺ القائمة على الاقتناع به، والإيمان برسالته، والحب المتبادل بينه وبين أصحابه رضوان الله عليهم.



إعداد
علاء عبد الفتاح

الكويت لا ينضب معينها
صباح بعد صباح

فقدت الإنسانية أميرا لها ذاع صيته في أرجاء المعمورة بكل خير، فقد توفى الله أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، عن عمر يناهز ٩١ عاما، وقد كان، رحمه الله، الأمير الخامس عشر لدولة الكويت، والخامس بعد استقلال البلاد عن بريطانيا العظمى. وهنا لمحة عن حياته وتاريخ حكمه للكويت.

ولد الشيخ صباح الأحمد الجابر المبارك الصباح، في ١٦ يونيو عام ١٩٢٩م، وهو الابن الرابع من الأبناء الذكور لأمير الكويت العاشر الشيخ أحمد الجابر الصباح، من والدته السيدة منيرة العيار، وهو الأخ غير الشقيق لأمير الكويت السابق الشيخ جابر.

وتلقى الشيخ صباح تعليمه في المدرسة المباركية، وهو أول وزير إعلام في الكويت، وثاني وزير خارجية في تاريخها، كما أنه ترأس وزارة الشؤون الخارجية للكويت طيلة أربعة عقود من الزمن، ويعود له الفضل خلالها في توجيه السياسة الخارجية للدولة، والتعامل مع الغزو العراقي للكويت في عام ١٩٩٠م.

المناصب والمسؤوليات

تولى الشيخ الراحل العديد من المسؤوليات، بدءا برئاسة دائرة الشؤون الاجتماعية والعمل ودائرة المطبوعات والنشر، وانتهاء بإمارة الكويت، وبين المنصبين تولى وزارات مختلفة، كما عين وزيرا للإرشاد والأنباء سنة ١٩٦٢م، وتولى منصب وزير الإعلام بالوكالة مرتين: الأولى في الفترة بين ١٩٧١-١٩٧٥م، والثانية بين ١٩٨١-١٩٨٢م، إضافة إلى منصبه وزيرا للخارجية، وبين الفترتين عُين نائبا لرئيس مجلس الوزراء مطلع عام ١٩٧٨م.

ورغم تعدد الوظائف والمسؤوليات التي تولاها فقد كان المنصب الذي عرف به فترة طويلة هو وزارة الخارجية، التي تولاها ابتداء من ٢٨ يناير سنة ١٩٦٣م، واحتفظ بها في جميع الوزارات التي تلت ذلك التاريخ، وجمع معها مناصب أخرى في بعض الفترات. وفي عام ١٩٩٢م، تولى منصب النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية، ثم أصبح في ١٣ يوليو ٢٠٠٣م، رئيسا لمجلس الوزراء.

وتولى الشيخ صباح مقاليد الحكم في ٢٩ يناير ٢٠٠٦م، بعد نقل مجلس الأمة سلطات الأمير سعد العبدالله السالم الصباح، إلى مجلس الوزراء بسبب أحواله الصحية، وبايعه أعضاء مجلس الأمة بالإجماع، بعد اختياره من مجلس الوزراء لهذا المنصب عقب تسلمه السلطات الأميرية.

مهندس السياسة الخارجية للبلاد

يعرف الشيخ صباح بأنه هو من شكل السياسة الخارجية للكويت التي اتسمت بالإصلاحية والتوازن بعد الغزو عام ١٩٩١م، وشهدت سنوات حكمه استخدام الشيخ صباح الدبلوماسية لحل القضايا الإقليمية، مثل المقاطعة المستمرة لقطر من قبل السعودية والبحرين والإمارات بالإضافة لمصر، واستضافة مؤتمرات رئيسية من أجل توفير المنح لمصلحة دول مزقتها الصراعات مثل العراق وسورية.

وبعد سقوط نظام صدام حسين في العراق في عام ٢٠٠٣م، أعاد الشيخ صباح، رحمه الله، العلاقات الخارجية للكويت إلى توازنها المعهود بعد عودة العلاقات الدبلوماسية مع العراق.

وقام الشيخ صباح الأحمد بالتوسط بين الإمارات وعُمان في الأزمة التي ظهرت بين البلدين في عام ٢٠٠٩م.

كما تحدثت تقارير عديدة عن محاولة الشيخ صباح، رحمه الله، قيادة وساطات بين السعودية وإيران حتى عام ٢٠١٤م، كما استضافت الكويت في عهده مؤتمرا لتسوية الصراع في اليمن في عام ٢٠١٦م.

كان الشيخ صباح، رحمه الله، يصنف على أنه حر التوجه والفكر، حيث تمكن بعد معركة طويلة من تمرير قانون بالبرلمان يمنح النساء حقوقهن السياسية، لكنه لم يسمح بتشكيل الأحزاب السياسية. وانخرط الأمير الراحل في العمل السياسي من موقعه عضوا في الأسرة الحاكمة ومسؤولا في الحكومة والسلطة التنفيذية، وكان جزءا من المشهد العام للسياسة الكويتية، وإحدى واجهاتها الخارجية، لكن في عهده عرفت الكويت صداما بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، بسبب استجوابات مجلس الأمة المتكررة لأعضاء الحكومة، فقام بحل المجلس عدة مرات.

وكان الديوان الأميري قد أعلن إبان فترة علاج الشيخ صباح، رحمه الله، عن تولي ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الصباح (٨٣ عاما - أخيه غير الشقيق)، مسؤوليات الأمير بشكل مؤقت، والذي كان قد تولى سابقا مسؤوليات في الحكومة نيابة عن أخيه، وقد نادى مجلس الوزراء بسمو الشيخ نواف الأحمد أميرا للكويت، وأدى سموه اليمين الدستورية أمام مجلس الأمة ليصبح الأمير السادس عشر الذي يقود البلاد إلى الخير بمشيئة الله.



التحرير

انتقال للسلطة أبهر العالم

بعد رحيل أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح انتقل مسند الإمارة إلى أخيه صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح ليصبح الأمير السادس عشر للكويت من أسرة آل صباح، وجاء انتقال السلطة في صورة سلسلة أبهرت المتابعين للشأن الكويتي وعكست عراقة الديمقراطية الكويتية وتجذرها في نفوس الكويتيين شعبا وأسرة حاكمة، وأكدت على احترام دستور البلاد وقوة تأثيره.

وقد أدى صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه صباح الأربعاء ٢٠٢٠/٩/٣٠م اليمين الدستورية في الجلسة الخاصة التي عقدها مجلس الأمة لتأدية سموه رعاه الله القسم.

وقال سموه حفظه الله في نطق القسم: «أقسم بالله العظيم أن أحترم الدستور وقوانين الدولة وأذود عن حريات الشعب ومصالحه وأمواله وأصون استقلال الوطن وسلامة أراضيه».

هذا وقد ألقى حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه كلمة هذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ صدق الله العظيم. الحمد لله والصلاة والسلام على

رسول الله.. الإخوة رئيس وأعضاء مجلس الأمة المحترمين؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. إنه قضاء الله وقدره وإنه وحده سبحانه الذي لا يحمد على مكروه سواه، نحمده تعالى ونشكره في المحنة والبلاء كما نحمده في الفضل والرخاء، فقد رحل عنا إلى دار الآخرة رمز شامخ من رموزنا الخالدين قدم الكثير لوطنه وشعبه وأمته.. ترك إرثا غنيا زاخرا بالإنجازات والأعمال المشهودة محليا وعربيا وإسلاميا ودوليا، نستذكر بكل الاعتزاز والاهتمام توجيهاته السديدة ونصائحه الأبوية التي تعكس عشقه لكويتنا الغالية وأهل الكويت الكرام والتي ستظل نبراسا هاديا لنا ونهجا ثابتا».

الإخوة رئيس وأعضاء المجلس المحترمين؛ تعرضت الكويت خلال تاريخها الطويل إلى تحديات جادة ومحن قاسية، نجحنا بتجاوزها متعاونين متكاتفين وعبرنا بسفينة الكويت إلى بر الأمان، ويواجه وطننا العزيز اليوم ظروفا دقيقة وتحديات خطيرة لا سبيل لتجاوزها والنجاة من عواقبها إلا بوحدة الصف وتضافر جهودنا جميعا مخلصين العمل الجاد لخير ورفعة الكويت وأهلها الأوفياء.

وإذ نشير إلى هذه التحديات فإننا نؤكد اعتزازنا بدستورنا ونهجنا الديمقراطي ونفتخر بكويتنا دولة القانون والمؤسسات وحرصنا على تجسيد روح الأسرة الواحدة التي عُرف بها مجتمعنا الكويتي والتزامنا بثوابتنا المبدئية الراسخة، وإنني إذ أتصدى لحمل المسؤولية الجسيمة بروح الأمل والطموح لأعاهد الله وأعاهد شعب الكويت وأعاهدكم أن أبذل غاية جهدي وكل ما في وسعي حفاظا على رفعة الكويت وعزتها، وحماية لأمنها واستقرارها وضمانة لكرامة ورفاه شعبها، متسلحا بدعم ومساندة أهل الكويت المخلصين سائلا الله العون والسداد والتوفيق.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي يوم الثلاثاء ٢٠٢٠/١٠/٧م أصدر سمو أمير الكويت أمرا أميريا بتزكية الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح وليا للعهد، وكان وزير شؤون الديوان الأميري الشيخ علي جراح الصباح صرح بأن أسرة آل صباح قد باركت تزكية حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه للشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح وليا للعهد.

وبايع مجلس الأمة بالإجماع الخميس ٢٠٢٠/١٠/٨م، سمو الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح، وليا للعهد في جلسة خاصة، وجاءت نتيجة التصويت على المبايعة بموافقة إجمالي الحضور البالغ عددهم ٥٩ عضوا.

وقال رئيس مجلس الأمة مرزوق علي الغانم في كلمة له عقب التصويت: «نبارك لسمو الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح مبايعة مجلس الأمة له بالإجماع وليا للعهد».

وأدى سمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح اليمين الدستورية في جلسة مجلس الأمة الخاصة عملا بالمادة (٦٣) من الدستور والمادة (٧) من قانون توارث الإمارة، وذلك بعد مبايعة سموه من أعضاء مجلس الأمة.

وقال سمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح أثناء أدائه اليمين الدستورية: «أقسم بالله العظيم أن احترم الدستور وقوانين الدولة وأذود عن حريات الشعب ومصالحه وأمواله وأصون استقلال الوطن وسلامة أراضيه وأن أكون مخلصا للأمير».

وأضاف سموه في كلمة عقب أداء اليمين الدستورية: «بالأمس القريب بكت الكويت وأهلها ومن يعيش على أرضها قائدها ووالد الجميع الشيخ صباح الأحمد، رحل المغفور له تاركا إرثا ومآثر ستبقى خالدة في ذاكرة الأجيال، ونشكر الله على ما منَّ به علينا من نعم لا تعد ولا تحصى».

وتابع سموه: «أعاهد الله والأمير والكويتيين على أن أكون العضد المتين لأمير البلاد، والكويت ستواصل مسيرتها الريادية كدولة دستور ونهج ديمقراطي».

وأكد سموه في ختام كلمته، أن دولة الكويت ستظل باقية على التزاماتها الخليجية والإقليمية والدولية.

واستنادا إلى المادة (٦٣) من الدستور يؤدي نائب الأمير قبل مباشرة صلاحياته في جلسة خاصة لمجلس الأمة اليمين المنصوص عليها في المادة (٦٠) مشفوعة بعبارة وأن أكون مخلصا للأمير.

أما المادة (٦٠) من الدستور التي جاء ذكرها في المادة سالفة الذكر فقضت بأن «يؤدي الأمير قبل ممارسة صلاحياته في جلسة خاصة لمجلس الأمة اليمين الآتية: «أقسم بالله العظيم أن أحترم الدستور وقوانين الدولة وأذود عن حريات الشعب ومصالحه وأمواله وأصون استقلال الوطن وسلامة أراضيه».

وتنص المادة (٤) من الدستور على أن «الكويت إمارة وراثية في ذرية المغفور له مبارك الصباح».

ويعين ولي العهد خلال سنة على الأكثر من تولية الأمير ويكون تعيينه بأمر أميري بناء على تزكية الأمير ومبايعة من مجلس الأمة تتم في جلسة خاصة بموافقة أغلبية الأعضاء الذين يتألف منهم المجلس.

وفي حالة عدم التعيين على النحو السابق يزكي الأمير لولاية العهد ثلاثة على الأقل من الذرية المذكورة فيبايع المجلس أحدهم وليا للعهد، ويشترط في ولي العهد أن يكون رشيدا عاقلا وابنا شرعيا لأبوين مسلمين.

«وينظم سائر الأحكام الخاصة بتوارث الإمارة قانون خاص يصدر في خلال سنة من تاريخ العمل بهذا الدستور وتكون له صفة دستورية فلا يجوز تعديله إلا بالطريقة المقررة لتعديل الدستور».

وهكذا تمضي الكويت لاستكمال مسيرتها بسواعد أبنائها مستنيرة بنبراس الآباء والأجداد.



إعداد: عبدالسلام الشبراوي



نواف الأحمد.. قريب من الناس

بعد توديع الكويت أميرها الخامس عشر الشيخ صباح الأحمد الصباح، رحمه الله، وفي صفحة جديدة من سجل الأسماء المشرقة التي تولت حكم الكويت، ينتقل حكم الكويت إلى صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، باعتباره الحاكم السادس عشر للبلاد، وفقا للدستور وأحكام قانون توارث الإمارة.

وكان مجلس الوزراء الكويتي أصدر بيانا نادى فيه سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح أميرا للبلاد، خلفا للأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح.

كما أعلن المجلس الحداد الرسمي ٤٠ يوما وإغلاق الدوائر الرسمية ٣ أيام.

وتُلي إعلان مجلس الوزراء على التلفزيون الحكومي.

وينص الدستور الكويتي على أن ولي العهد يصبح بشكل تلقائي أميرا للبلاد ويتولى السلطة بعد أداء اليمين في مجلس الأمة.

وقال نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء أنس الصالح، عقب اجتماع للمجلس «عملا بأعمال الدستور بشأن أحكام توارث الإمارة، فإن مجلس الوزراء ينادى الشيخ نواف الأحمد أميرا لدولة الكويت. تعلن دولة الكويت الحداد الرسمي لمدة أربعين يوما».

وتنص المادة الرابعة من الدستور، والمادة الأولى من قانون توارث الإمارة على أن «الكويت إمارة وراثية في ذرية مبارك الصباح».

وتنص المادة ٦٠ من الدستور على أن «الأمير يؤدي، قبل ممارسة صلاحياته، في جلسة خاصة لمجلس الأمة، اليمين الآتية: أقسم بالله العظيم أن احترم الدستور وقوانين الدولة، وأذود عن حريات الشعب ومصالحه وأمواله، وأصون استقلال

الوطن وسلامة أراضيه».
وعلى مدار ١٤ عاما وليا للعهد، لازم أخاه الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد، في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحكم، شهدت الكويت خلالها مواقف فاصلة ولحظات حاسمة من تاريخها، وقف إلى جواره فيها سندا وداعما ومشجعا ومشاركا في صنع القرار، واليوم جاء دوره ليتحمل المسؤولية الكبرى في سدة حكم الكويت. وطوال الأعوام الـ١٤ الماضية كان سمو الشيخ نواف الأحمد وليا للعهد وفقا للأمر الأميري الذي أصدره سمو الأمير الراحل في السابع من فبراير عام ٢٠٠٦م، بتزكية سمو الشيخ نواف الأحمد لولاية العهد لما عهد في سموه من صلاح وجدارة وكفاءة تؤهله لتولي هذا المنصب.

المولد والنشأة

ولد صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد في ٢٥ يونيو ١٩٣٧م، في مدينة الكويت، بفريج الشيوخ، وهو النجل السادس لحاكم الكويت العاشر المغفور له بإذن الله الشيخ أحمد الجابر المبارك الصباح، الذي حكم الكويت في الفترة من عام ١٩٢١م ولغاية عام ١٩٥٠م.
ونشأ سموه وترعرع في بيوت الحكم منذ ولادته، وهي بيوت تعتبر مدارس في التربية والتعليم والالتزام والانضباط وإعداد وتهيئة حكام المستقبل.

الدراسة والتعليم

درس سموه في مدارس الكويت المختلفة، وهي مدارس حمادة وشرق والنقرة، ثم في المدرسة الشرقية والمباركية، وواصل سموه دراساته في أماكن مختلفة من الكويت، حيث تميز سموه بالحرص على مواصلة تحصيله العلمي، وظلت هذه الصفة تلازمه فيما بعد، وتجلت بتشجيع سموه لطلبة العلم في مختلف مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي والعالي، انطلاقا من رؤيته بأهمية التحصيل العلمي الذي يعتبر أساس تقدم المجتمعات ورقيها.



قريب من الشعب

وطوال مسيرته السياسية كان سمو الشيخ نواف قريبا من المواطنين، فكانوا يشاهدونه في مناسباتهم المتنوعة، ويستقبلونه في ديوانياتهم لمشاركتهم أفراحهم أو التعزية بمصابهم، كما كان يستقبلهم لتلمس حاجاتهم وتلبية متطلباتهم.

سجل حافل

للشيخ نواف تاريخ حافل بالإنجازات في العمل السياسي امتد لأكثر من نصف قرن، بذل خلالها مع إخوانه من حكام الكويت، جهودا جبارة لتعزيز مكانة الكويت بين الدول المتقدمة والمتطورة، كما أضحى عطاؤه وخبرته في المجالات التي تولى قيادتها محل احترام وتقدير من الجميع.

مناصب وإنجازات

منذ استقلال الكويت كان لسمو أمير البلاد بصمة في العمل السياسي، وتدرج في مناصب عدة ففي ١٢ فبراير عام ١٩٦٢م عينه الأمير الراحل الشيخ عبدالله السالم الصباح ،رحمه الله، محافظا لحولي، وظل في هذا المنصب حتى ١٩ مارس عام ١٩٧٨م، ثم عين وزيرا للداخلية في عهد الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، رحمه الله، حتى ٢٦ يناير ١٩٨٨م، وتولى بعدها وزارة الدفاع.
وبعد تحرير الكويت من الغزو العراقي عام ١٩٩١م، تولى سمو الشيخ نواف الأحمد حقيبة وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ابتداء من ٢ أبريل ١٩٩١م، واستمر في ذلك المنصب حتى ١٧ أكتوبر ١٩٩٢م، وفي ١٦ أكتوبر ١٩٩٤م تولى سموه منصب نائب رئيس الحرس الوطني



واستمر فيه حتى ١٣ يوليو ٢٠٠٣م، حيث تولى وزارة الداخلية مرة ثانية، ثم صدر مرسوم أميري في ١٦ أكتوبر من العام ذاته بتعيين سموه نائبا أول لرئيس مجلس الوزراء وزيرا للداخلية، وبقي في هذا المنصب حتى تعيينه وليا للعهد في عام ٢٠٠٦م.

وكان لسمو الشيخ نواف إنجازات بارزة قبل توليه ولاية العهد، منها تحويل منطقة حولي، التي كانت عبارة عن قرية، إلى مركز حضاري وسكني متميز يعج بالنشاط التجاري والاقتصادي.

استراتيجية أمنية

وحين أسندت إلى سموه حقيبة وزارة الداخلية، كان الهاجس الرئيسي له هو حفظ الأمن والاستقرار للوطن والمواطنين، وحرص على مجاراة العصر ومواكبة التقدم العالمي في مجال الأمن، إذ عمل على تطوير وتحديث كل القطاعات الأمنية والشرطية وتوفير الإمكانات المادية للنهوض بالمستوى الأمني وإدخال الأجهزة الأمنية الحديثة ورسم استراتيجية منظومة أمنية متكاملة لمكافحة الجريمة وضرب أوكارها في مختلف مناطق وحدود الكويت.

وحرص سموه على الاستفادة من الثورة المعلوماتية في العالم من خلال توظيف تطبيقاتها التكنولوجية المتقدمة في عمل الأجهزة الأمنية المختلفة مثلما فعل بكل الوزارات التي تولى مسؤوليتها.

كما وضع استراتيجية أمنية دقيقة لمنظومة شاملة تحمي الحدود برا وبحرا، إذ ترصد المنظومة الإدارية كل شبر من أرض الوطن، فيما تغطي القواعد البحرية المياه الإقليمية والجزر، أما المراكز الحدودية فتغلق الطرق أمام المتسللين، وضبط كل من تسول له نفسه العبث بأمن البلاد واستقرارها.

وخلال توليه وزارة الدفاع حقق فيها سموه نقلة نوعية من خلال تطوير العمل بشقيه العسكري والمدني، وتحديث وتطوير معسكرات الوزارة ومدها بكل الأسلحة والآليات الحديثة لتقوم بواجبها الوطني في الدفاع عن الكويت وحمايتها من المخاطر الخارجية.

وعندما تعرضت البلاد إلى محنة الغزو عام ١٩٩٠م، ساهم سموه في القرارات الحاسمة لمواجهة الاحتلال، وجند كل الطاقات العسكرية والمدنية من أجل تحرير الكويت، وأدى دورا في قيادة المقاومة وتأمين وصول الشرعية للمملكة العربية السعودية الشقيقة إلى جانب قيادته للجيش.

وحققت الرؤية الأمنية الثاقبة لسموه ثمارها، خصوصا في التعامل مع الحوادث الإرهابية في البلاد كالتي حدثت في يناير عام ٢٠٠٥م، حيث قاد سموه بنفسه المواجهة ضد الإرهابيين، وكان موجودا في مواقع تلك الأحداث لاستئصال شأفة الإرهاب في البلاد من جذورها.

جهود إقليمية

وعلى الصعيد الإقليمي، أولى سمو الشيخ نواف الأحمد أهمية كبرى لأمن دول الخليج العربي من خلال مشاركته في اجتماعات وزراء الداخلية للدول الأعضاء في مجلس التعاون الخليجي، حيث تحقق قدر كبير من التنسيق الأمني بين أجهزة الأمن في الدول الشقيقة بهدف مجابهة المخاطر التي تهدد المنطقة ودولها، وعلى رأسها الإرهاب.

وأكد سموه أن الأمن العربي وحدة واحدة وكل لا يتجزأ، وانطلاقا من هذه الرؤية الاستراتيجية كانت مشاركات سموه في اجتماعات وزراء الداخلية العرب التي أسفرت عن إجماع عربي على محاربة الإرهاب ودعم جهود العمل الأمني المشترك وأهمية تبني الحلول العلمية الشاملة لمواجهة مخاطر الإرهاب والمخدرات وغسل الأموال والفساد وسائر القضايا الأمنية الأخرى.

وكان سموه خير العضد والمساند للأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في جهود المصالحة

الخليجية وجهود المصالحة اليمنية.

ويرى سمو ولي العهد أن القوة والمنصب يجب أن يسخرا لنصرة الضعيف والمظلوم، وأن الناس سواسية تحت القانون، وأن البلد مسؤولية الجميع، ويحرص على تعزيز الفضائل والقيم والإيمان بأهمية وحدة وتكاتف أبناء الكويت جميعا إيمانا بأن قوة الكويت في وحدة أبنائها وأن تقدمها وتطورها مرهونان بتآزرهم وتلاحمهم وإخلاصهم في العمل.

أوسمة وتكريم

تقلد سمو أمير الكويت عددا من الأوسمة خلال مسيرته السياسية، ففي عام ٢٠٠٨م تقلد وسام الاستحقاق المدني من إسبانيا، وفي عام ٢٠١١م تقلد وسام المحرر الجنرال سان مارتين من الأرجنتين، وفي عام ٢٠١٨م منح قلادة الكنعانيين الكبرى من الرئيس الفلسطيني محمود عباس خلال زيارته الرسمية للكويت.

مواجهة الغزو

حين تعرضت الكويت للغزو العراقي الغاشم عام ١٩٩٠م، ساهم سمو الشيخ نواف الأحمد في القرارات الحاسمة لمواجهة الغزاة، وجند كل الطاقات العسكرية والمدنية من أجل تحرير البلاد، وأدى دورا بارزا في قيادة المقاومة وتأمين وصول الشرعية للمملكة العربية السعودية الشقيقة إلى جانب قيادته للجيش، إذ كان يشغل وقتها منصب وزير الدفاع.

بصمات إنسانية

ترك سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد بصمات إنسانية واضحة حين تولى حقيبة وزارة الشؤون الاجتماعية، إذ سارع إلى اتخاذ قرارات إنسانية



لرعاية الأرامل والأيتام والمسنين، وكان نصيرا للطفل والمرأة والأرملة والمسن والعامل.

محاربة الفساد

وفي ١٩ يوليو الماضي، صدر أمر أميري بتكليف الشيخ نواف الأحمد الصباح بالاضطلاع «ببعض اختصاصات صاحب السمو الأمير الدستورية مؤقتا».

ومنذ توليه هذه الاختصاصات، خاض الشيخ نواف الأحمد معركة بارزة ضد الفساد، وقال في خطاب للشعب الكويتي إنه «لا حماية لفاسد أيا كان اسمه أو صفته أو مكانته.. أدعو الإخوة في الحكومة ومجلس الأمة إلى اعتماد التدابير الفاعلة والتشريعات الكفيلة بردع الفاسدين والقضاء على مظاهر الفساد وأسبابه».

رعاية الثقافة والأدب

امتدح الأدباء والمثقفون والفنانون صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد، الذي سيواصل مسيرة العطاء بنجاح، فهو تسلم راية الوطن، وسيعمل على رفعته ونهضته، كما عُرف عن سموه في كل المناصب التي تقلدها سابقا.

وقالوا، عبر تصريحات متفرقة، إن سموه ربان سفينة الأدب والثقافة والفنون في الكويت، فهو الرجل الداعم لمعظم الفعاليات الفنية والثقافية منذ كان وزيرا للإعلام، فقد مد جسور التعاون مع أهل الفن والثقافة، ولم يدخر وسعا في تذليل كل الصعوبات التي تعترض مشوارهم.

وقدم سموه كل الدعم لبعض الفعاليات، وشهد الطفرة الثقافية التي تحققت خلال الفترة الماضية من خلال افتتاح العديد من المراكز الثقافية والمسارح المتطورة.

وأجمع المثقفون والفنانون على أن سموه خير خلف لخير سلف، وسيحمل الأمانة بكل قوة وجسارة.

ويحظى صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، بتقدير واسع ومحبة في قلوب الكويتيين داخل الأسرة الحاكمة وفي الأوساط السياسية والشعبية.



عايد الجاسم
كاتب وباحث دراسات إسلامية

سيرة شرف

سيرة عطرة ومشرفة، وتاريخ زاخر بالإنجازات والأعمال والنجاحات المهمة التي تحققت على يديه في كل مهمة أُسندت إليه، وبكل عمل قام به.. إنه حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه.

يشهد التاريخ على إنجازاته الكثيرة، وتؤكد الناس على نجاحاته المتعددة، منذ بدايات عمله السياسي والحكومي، في مسيرة عمل طويلة تجاوزت أكثر من نصف قرن من العطاء المتواصل.

ترك سمو الشيخ نواف الأحمد في كل وزارة أو عمل أو مهمة أُسندت مسؤوليتها إليه بصمة واضحة في العمل والإنجاز وتطوير الأداء.

لم يتغير نهجه وطريقته في العمل، رغم إختلاف أعمال الوزارات والجهات التي أُسندت مسؤوليتها إليه في مسيرة عمله الطويلة، فقد كان حريصا على رفعة هذا الوطن وإعلاء مكانته عاليا والنهوض في أداء الجهات التي تولى مسؤوليتها وتقديم أفضل الخدمات والتسهيل على المواطنين.

عند الحديث عن تأسيس دولة الكويت الحديثة يبرز اسم الشيخ نواف الأحمد كأحد أهم مؤسسي الدولة الحديثة، لبصماته الواضحة ومساهماته الفاعلة في نهضة وبناء وتقدم الوطن.

شارك الشيخ نواف الأحمد بالعمل الحكومي في العام ١٩٦١م عندما عُين محافظا لحولي والتي شهدت في عهده تطورا وازدهارًا لافتا في الخدمات والمشاريع والتنمية، إذ



استمر في منصبه نحو ١٦ عاما حتى عين في العام ١٩٧٨م وزيرا للداخلية، ليستمر في هذا المنصب لغاية ١٩٨٨م، وبعدها عين وزيرا للدفاع، ثم عين وزيرا للشؤون الاجتماعية والعمل في العام ١٩٩١م، وبعد ذلك تولى منصب نائب رئيس الحرس الوطني في العام ١٩٩٤م، ثم عاد في العام ٢٠٠٣م ليتولى منصب النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية، ليستمر في منصبه إلى أن عُين وليا للعهد في العام ٢٠٠٦م.

علاقة الشيخ نواف الأحمد بوزارة الداخلية لها أوجه متعددة فهو يعتبر أحد مؤسسي هذه الوزارة بشكلها الحديث، وقد شهدت في عهده تطورات متسارعة سواء على مستوى الكوادر البشرية أو الأجهزة والمعدات الحديثة، أو على صعيد مجالات العمل المختلفة.

احتلت قضية الأمن والحفاظ على استقرار البلد مقدمة اهتمامات سمو الشيخ نواف الأحمد، فقد كان سموه حريصا على توفير الأمن والأمان والاستقرار للوطن والمواطنين، انطلاقا من أن الشعور بالأمان سيعود بإيجابياته على مجالات الحياة المختلفة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو تنموية، بالإضافة إلى أن الاهتمامات في القضية الأمنية واكبه توفير دعم لكل القطاعات الأمنية المختلفة وتزويدها بالمعدات والأجهزة الحديثة والمتطورة، فضلا عن الاستفادة من تقنيات التكنولوجيا المتطورة.



عبدالله الظفيري
صحافي وباحث دراسات إسلامية

مسيرة حافلة

تحفل مسيرة سمو أمير البلاد الشيخ نـواف الأحمد الجابر الصباح بإنجازات مشهودة وتاريخ مضيئ زاخر بالعطاء والبناء والتضحية من أجل الكويت وأهلها.

اتسم تاريخ سموه في العمل السياسي بتجربة ثرية امتدت سنوات طويلة من العمل في مجالات مختلفة ومهام متنوعة تميزت بالنجاح والتقدم والازدهار.

هذه المسيرة الناصعة بالحكمة والخبرة والثقة والثبات والرؤية الثاقبة جعلت من سموه خير خلف لخير سلف، كقائد حكيم قادر على قيادة سفينة الكويت بكل اقتدار إلى بر الأمان ونحو تحقيق المزيد من النهضة والتقدم والتطور في البلد.

يدرك صاحب السمو أمير البلاد أن الكويت مرت بتحديات كثيرة طوال تاريخها الطويل، لكنها نجحت بتجاوزها بالتعاون والتكاتف، لذلك يولي سموه أهمية لوحدة صف أبناء المجتمع وضرورة العمل المخلص لرفعة الوطن باعتباره الوسيلة لتجاوز التحديات والظروف الحالية.

يقول سموه في النطق السامي الذي ألقاه أمام مجلس الأمة عقب تأدية سموه القسم الدستوري: «تعرّضت الكويت خلال تاريخها الطويل إلى تحديات جادة ومحن قاسية نجحنا بتجاوزها متعاونين متكاتفين وعبرنا بسفينة الكويت إلى بر الأمان، ويواجه وطننا العزيز اليوم ظروفا دقيقة وتحديات خطيرة لا سبيل لتجاوزها والنجاة من عواقبها إلا بوحدة الصف وتضافر جهودنا جميعا، مخلصين العمل الجاد لخير ورفعة الكويت وأهلها الأوفياء».

ورغم هذه التحديات التي مرت بها الكويت إلا أنها ظلت متمسكه بالنهج الديمقراطي والالتزام بدولة الدستور والقانون، وهذا ما شدد عليه صاحب السمو الذي أكد: «اعتزازنا بدستورنا ونهجنا الديمقراطي، ونفتخر بكويتنا دولة القانون والمؤسسات وحرصنا على تجسيد روح الأسـرة الـواحـدة التي عـرف بها مجتمعنا الكويتي والتزامنا بثوابتنا المبدئية الراسخة».

تَحمُّل أمانة المسؤولية ليست بالأمر السهل، لكن صاحب السمو بما يملكه من خبرات ومسيرة عمل حافلة قادر على مواصلة مسيرة البناء والتقدم والتنمية في كل المجالات. يقول صاحب السمو: «إنني إذ أتصدى لحمل المسؤولية الجسيمة بروح الأمل والطموح لأعاهد الله وأعاهد شعب الكويت وأعاهدكم أن أبذل غاية جهدي وكل ما في وسعي حفاظا على رفعة الكويت



وعزّتها وحماية لأمنها واستقرارها وضمانة لكرامة ورفاه شعبها، متسلحا بدعم ومساندة أهل الكويت المخلصين، وسائلا الله العون والسداد والتوفيق».

يولي صاحب السمو قضية الأمن أولوية قصوى، فسموه يعتبر أن المحافظة على أمن الكويت هو «قمة الأولويات»، ويشير إلى تضحيات الشعب الكويتي وبذله الروح والدم والغالي والنفيس من أجل الدفاع عن الوطن. يقول سموه: «إن المحافظة على أمن الكويت وتعزيز استقرارها مسؤولية الجميع وهي هدفنا الأعلى وهي قمة الأولويات، وقد أكد الشعب الكويتي حرصه على كيان الوطن وقدم أغلى التضحيات وبذل الـروح والدم والغالي والنفيس فداء له وحفاظًا على سيادته وجسد أروع صور الوحدة الوطنية والتلاحم مع قيادته في تجـاوز كافة التحديات والمخاطر التي تزخر بها صفحات تاريخ الكويت الناصع حرة أبية عزيزة الجانب عالية الراية».

وليست وحدها قضية الأمن هي ما يوليها صاحب السمو أهمية ومتابعة، إنما توجد العديد من القضايا الأخرى هي، كما يقول سموه: «قضايا التعليم والشباب والإصلاح الإداري والتركيبة السكانية والخدمات والإصـلاح الاقتصادي الذي يجب أن ينطلق من إصلاح الأجهزة الحكومية ومعالجة الهدر في المصروفات وضبط وتجفيف منابع الفساد وأدواتـه إلى جانب القضايا الأخرى المهمة».

ويطمئن صاحب السمو أن الكويت ستظل بخير بتلاحم وتعاون أبنائها وأنها قـادرة على تجاوز كل العقبات والصعاب التي تواجهها.



سند عضيد وحافظ أسرار الأميرين

مشعل الأحمد الصباح وليا للعهد في الكويت

معين الكويت من الرجال المخلصين الأقوياء الأمينين لا ينضب ومن هنا أصدر سمو أمير دولة الكويت الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، مرسوما أميريا بتزكية شقيقه سمو الشيخ مشعل الأحمد، وليا للعهد.

ونقلت وكالة الأنباء الكويتية الرسمية «كونا» عن وزير شؤون الديوان الأميري الشيخ علي جراح الصباح، أن أسرة آل صباح «باركت» تزكية أمير البلاد للشيخ مشعل وليا للعهد، و«تمنت له التوفيق والسداد ليواصل عطاءه المعهود في خدمة الكويت».

وبعد أن تم إرسال الأمر الأميري إلى مجلس الأمة (البرلمان) جرت مبايعة ولي العهد في جلسة خاصة وتنص المادة الرابعة في الدستور على أن «الكويت إمارة وراثية في ذرية مبارك الصباح، ويعين ولي العهد خلال سنة على الأكثر من تولية الأمير».

وتوضح المادة ذاتها أن «تعيين ولي العهد يكون بأمر أميري بناء على تزكية الأمير ومبايعة من مجلس الأمة تتم في جلسة خاصة، بموافقة أغلبية الأعضاء الذين يتألف منهم المجلس».

وسمو الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح (٨٠ عاما) هو الأخ غير الشقيق لسمو الأمير الجديد الشيخ نواف الأحمد، وكان يشغل منصب نائب رئيس الحرس الوطني بدرجة وزير منذ ١٧ عاما، ويعد الرئيس الفعلي بسبب مرض رئيس الحرس عميد أسرة الصباح الشيخ سالم العلي.

وكان سمو ولي العهد الأمين الشيخ مشعل الأحمد مرافقا دائما للأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، خلال جميع رحلاته العلاجية، ومن ضمنها رحلته الأخيرة إلى الولايات المتحدة.

والشيخ مشعل هو الابن السابع للشيخ أحمد الجابر المبارك الصباح، الذي حكم الكويت في الفترة بين ١٩٢١ وحتى ١٩٥١، والأخ غير الشقيق للشيخ جابر الذي حكم الكويت ٢٨ عاما.

ولم يتول الشيخ مشعل أي حقيبة وزارية، وظل بعيدا عن المعارك السياسية التي خاضها كثيرون من أفراد الأسرة الحاكمة، وأدت إلى تقويض فرص ترقي بعضهم في المناصب.

وكتب الشيخ فيصل الحمود الصباح: نبايع سمو ولي العهد الأمين الشيخ مشعل الأحمد حفظه الله على السمع والطاعة بالعسر واليسر، بالمنشط والمكره،

وأشكر سموه على الكلمة الطيبة التي قالها بحقي أمام الجميع وهذه كلمات وسام فخر وشرف لي ونسأل الله له التوفيق والسداد».

كما هنأ الشيخ ناصر الصباح سمو أمير الكويت وولي عهده الأمين وتفاعل أبناء دولة الكويت مع قرار تزكية أمير الكويت الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، للشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح وليا للعهد، وتوافقت معظم رؤى نشطاء موقع تويتر، على أن الشيخ مشعل الأحمد رجل يحب الحق ويحترم القانون، فضلا عن شخصيته المتواضعة.

وقد هنأ العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز، وولي عهده الأمير محمد بن سلمان خلال اتصالين منفصلين، الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح، بتزكيته وليا للعهد في دولة الكويت، بحسب ما أوردته وكالة الأنباء السعودية «واس».

وقالت الوكالة: إن الشيخ مشعل عبر عن شكره وتقديره للملك سلمان وولي عهده على صادق مشاعرهما الأخوية تجاه الكويت وشعبها، مشيرا إلى عمق العلاقات الأخوية الراسخة بين البلدين.

فعلى المستوى الشعبي غرد كثيرون معربين عن سعدتهم بتولي سمو الشيخ مشعل ولاية العهد منهم المحامي عبدالله الضعيان: «نبايع حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله ورعاه- ونبايع أخاه وعضيده سمو الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله ورعاه- ولي العهد.. وفقهما الله وسدد خطاهما لأمن وأمان دولة الكويت وشعبها الكريم».

ونشرت المحامية الكويتية أريج عبدالرحمن على حسابها على موقع تويتر، مقطع فيديو للشيخ مشعل الأحمد الصباح خلال إلقائه كلمة في اجتماعه الأخير مع الحرس الوطني لتوديعهم. حيث كان نائبا لرئيس الحرس الوطني بدرجة وزير.

وعلقت: كلمة جميلة لولي العهد الشيخ مشعل الأحمد في اجتماعه الأخير مع الحرس الوطني لتوديعهم تدل على شخصية متواضعة جدا، وخاصة أنه عاصر الأحداث السياسية السابقة ولم يكن طرفا في إثارة الأزمات في البلد، الله يوفقه يارب ويسدد خطاه ويقول الكاتب السياسي الكويتي عبدالرحمن العجمي: إن الشيخ مشعل الأحمد «يمثل قيمة أمنية كبيرة في الكويت، فهو رجل الأمن الأول في الكويت، وله خبرة في العمل الأمني دون السياسي، إضافة إلى أنه أحد أكثر الأشخاص احتراما داخل الأسرة الحاكمة في الكويت، ما يرشحه لإنهاء العديد من حالات صراع الأقطاب داخل الأسرة، التي سببت سقوط عدة حكومات».

لكن من هو الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح؟ يعد الشيخ مشعل الأحمد الصباح واحدا من أقطاب الأسرة الحاكمة في الكويت، ومن أبرز الشخصيات في البلاد، وهو المولود عام ١٩٤٠م لأمير الكويت آنذاك الشيخ أحمد الجابر الصباح، والابن السابع له من زوجته مريم بنت مريط الحويلة، التي تنتمي إلى قبيلة العجمان، إحدى أكبر القبائل من ناحية الحضور السياسي والاجتماعي في الكويت.

وولد الشيخ مشعل في الكويت عام ١٩٤٠م. ودرس في المدرسة المباركية، وهي مدرسة كان يدرس فيها أبناء الشيوخ والأعيان، قبل أن يذهب للدراسة في كلية هندون للشرطة في بريطانيا، التي تخرج فيها عام ١٩٦٠م.

التحق بوزارة الداخلية وتدرج في المناصب حتى أصبح رئيسا للمباحث العامة آنذاك برتبة عقيد منذ عام ١٩٦٧م وحتى عام ١٩٨٠م، وقد تحولت في عهده إلى إدارة «أمن الدولة».

كذلك عين من قبل الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، عام ١٩٧٧م رئيسا لديوانية شعراء النبط.

كما عين بموجب المرسوم رقم (٢٠٠٤/١٢) الصادر في ١٣ أبريل ٢٠٠٤م نائبا لرئيس الحرس الوطني بدرجة وزير.

ويعتبر الشيخ مشعل الأحمد أحد موئسسي الجمعية الكويتية لهواة اللاسلكي والرئيس الفخري لها.

وتدرج الشيخ مشعل الأحمد في السلك الأمني بوزارة الداخلية في الكويت، حيث عمل رئيسا لجهاز المباحث العامة بين أعوام ١٩٦٧ و١٩٨٠م.

وأنشأ الشيخ مشعل جهاز «المباحث السياسية» الذي تحول إلى جهاز أمن الدولة، وهو الجهاز المختص بالمخابرات الداخلية والخارجية في الكويت.

وفي عام ٢٠٠٤م قرر أمير البلاد الأسبق، الشيخ جابر الأحمد الصباح، تعيين الشيخ مشعل الأحمد نائبا لرئيس جهاز الحرس الوطني، خلفا للشيخ نواف الأحمد الصباح، الذي أصبح بعد عامين فقط وليا للعهد.

وشهد جهاز الحرس الوطني في عهد الشيخ مشعل الأحمد طفرة كبيرة على مستوى التسليح والتنظيم، وتحول إلى قوة أمنية وعسكرية مهمة، إضافة إلى اضطلاعه بأدوار جديدة في حراسة المنشآت النفطية والأمنية، في ظل التهديدات التي كانت تواجه البلاد بسبب سقوط نظام الرئيس العراقي صدام حسين في ذلك الوقت.

قضى الشيخ مشعل معظم حياته المهنية في المساعدة في بناء أجهزة الأمن والدفاع في البلاد ويملك الشيخ مشعل الأحمد اهتماما كبيرا بالتراث والشعر وهوايات في الصيد والفروسية، وسبق له أن تولى رئاسة «ديوانية شعراء النبط» عام ١٩٧٧م.

ووصفته وكالة «رويترز»، في تقرير لها، بأنه «شخصية قوية ابتعد عن المعارك السياسية والأدوار العامة، وقضى معظم حياته المهنية في المساعدة في بناء أجهزة الأمن والدفاع في البلاد».

وبقي الشيخ مشعل مرافقا شبه دائم للشيخين صباح الأحمد الصباح، أمير الكويت الراحل، والشيخ نواف الأحمد الصباح، أمير الكويت الحالي، في رحلات علاجهما، حيث يوصف دوما بأنه «العضيد» وحافظ أسرار أخويه اللذين توليا منصب الإمارة.



د. عطية الويشي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية الزائر
كلية القانون الكويتية العالمية

كويت الخير.. وأمير الإنسانية

قد تبدو الكويت لبعض الناس بلدا صغيرا محدود المساحة والتعداد البشري، بمقاييس الجغرافية التقليدية، حتى لكأننا لا نكاد نرى موضعها على خريطة ذلك العالم المترامية أطرافه! ولكن من يدقق نظره ويرجع بصره كرة بعد كرة يجد أن هذه الفرضية الجغرافية التقليدية تحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر؛ وذلك إذا اعتبرنا بمجموعة من المعطيات الجيوسياسية غير المعتادة في تعريف الدول وتقييم أدوارها الفاعلة في الساحة الدولية. وهنا أود أن أتوسل بمصطلحين جديدين «الجغرافية السائلة» و«الخرائط الشفافة»، قمت بنحتهما من تلك البقاع التي تشبعت بخير الكويت حتى بدت مصبوغة ببصمة بلد الخير وكأنها قد باتت جزءا من خريطتها، ومكونا جوهريا من هويتها الإنسانية!

ولعلنا لا نبالغ حين نكتب عن أهمية إعادة تعريف دولة الكويت بل لا نكون أكثر مبالغة إذا قلنا إن النظر إلى الكويت من هذا الزاوية سوف يضعنا أمام حقائق كثيرة خفية عن كثير من الناس، بل وسيوفر لنا معايير جديدة يمكن أن تسهم في إعادة ترسيم خريطة العالم وفق معطيات القيم الإنسانية؛ والتي هي في الحقيقة تعريفات ومفاهيم أقرب إلى منطق التحليل السليم والنظر المستقيم بغرض سعينا بطريقة منهجية إلى وضع توصيف دقيق لما يمكن تسميته «الدولة الإنسانة».

وأريد التركيز، في هذا السياق على نقطتين الأولى تتعلق باستمداد القوة والطاقة من مصادر الربوبية الحافظة من كل مكروه وشر. والنقطة الثانية: الاستثمار الأخروي في مجال العمل الخيري والإنساني بمختلف مساراته التنموية. وإلى جانب مصادر الطاقة والقوة التقليدية، استطاعت الكويت تأمين وجودها تأمينا مستداما من خلال تلك الاكتشافات النوعية الضامنة لبقاء الدول مستقلة حرة كريمة.

وكأنني بحدود دولة الكويت وهي تسيل بالخير وتنصهر بالتضامن حتى تتجاوز حدود كثير من الدول تجاوزا مرضيا دون مطامع سياسية ولا أغراض أيديولوجية ولا توسعات مذهبية؛ وبطبيعة الحال، سنجد مثل هذه التوسعات تشف لنا عن الخريطة الحقيقية لدولة الكويت... وهي خريطة مغايرة تماما لمفاهيم الجغرافية التقليدية، متفردة بطبيعتها السائلة وحدودها الشفافة

عن غيرها من خرائط بقية الدول ذات الحدود المتشحة بأبراج المراقبة والأسلاك الشائكة والجيوش العسكرية المدججة بأسلحة الحروب.

ونحن إذ نرى بأم أعيننا مناطق في بلدان عديدة تتنابها الكوارث، وتتغشى شعوبها هموم الفقر والجهل والمرض.. ثم نجد حكومات البلدان التي تنضوي هذه المناطق تحت رعاياتها تقف عاجزة قاصرة اليد عن الوفاء باحتياجات مواطنيها ورعاياها! فإذا ببلد مثل الكويت، مجتمعا ودولة، حكومة وقيادة، تبادر إلى الوفاء باحتياجات الأهالي في تلك المناطق، وتزودهم بضرورات المعيشة بل وتوفر لهم ما يزيد عن تلك الضرورة من رغد العيش ورفاهية الحياة. فحينئذ ليس بغريب القول: إن الكويت كانت حاضرة هناك، وأهلها شاركوا أهل هذه المناطق همومهم وآلامهم وآمالهم.. فكيف نفصل هؤلاء الرعايا عن مفهوم الجغرافية السكانية لدولة الكويت، تلك الجغرافية التي نحاول أن نعيد ترسيم حدودها استنادا إلى تلك المعطيات الإنسانية والأخلاقية الحقيقية.

وهنا لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت إن المسافة الفاصلة هنا بين الحقيقة والمجاز لا تكاد توجد، ولاسيما مع هذا التخاطر الوجداني المتسارع إلى سد كل حاجة، وتكميل كل نقص إلى درجة تقاسم حظوظ الحياة بين أهل الكويت ونظرائهم في الخلق أو إخوانهم في الدين في بلدان عديدة.. فلقد قدمت الكويت يد العون والمساعدة حتى إلى أولئك تسببوا في الإضرار بمصالحها يوما من الأيام، ليس لشيء سوى أن الكويت قد آلت على نفسها صناعة الخير وتصديره إلى محتاجيه في كل بلدان العالم، وذلك في سياق إنساني فريد لا يعكس احترام سيادة تلك الدول واحترام خصوصيات شعوبها فحسب، بل وتمكين تلك الشعوب من ممارسة حقها في الحياة بلا أدنى من أو أذى.

من صباح الإنسان إلى أمير الإنسانية

إن محاولة الرابط بين شخصية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رحمه الله وبين الهوية الإنسانية لدولة الكويت إنما تستند إلى معطيات ذات جذور ممتدة في تاريخنا المعاصر، وهي رؤية تحاول أن ترصد «صباح الأحمد» «الإنسان» وهو بعد لم يزل شابا قدر له الانغماس في دواليب العمل الإنساني، محليا وإقليميا ودوليا، منذ سنوات شبابه الأولى حتى صارت تلك اللفتة الأممية بتقليده قائدا للعمل الإنساني.

ولد صباح الأحمد الجابر الصباح رحمه الله في ٨ محرم ١٣٤٨هـ/١٦ يونيو ١٩٢٩م، وقد ولد في ظروف سياسية إقليمية ودولية بالغة الصعوبة؛ فقد جاء مخاض ميلاده على وقع الصدى الذي دوى بسقوط دولة الخلافة العثمانية، وبروز المد القومي العروبي كشعور تعويضي عن تفكك الرابطة الإسلامية. ثم كانت الصدمة باحتلال فلسطين سنة ١٩٤٨م، الأمر الذي أسهم في تعبئة الشعور العربي والإسلامي بقيمة الرابطة الأخوية وتبعاتها التضامنية.. وهكذا نشأ صباح الأحمد رحمه الله متشبعا بتلك الروح السائدة في أوساط بلاد العروبة والإسلام؛ ولعل هذه الروح قد أسهمت في تكوينه الروحي والفكري والسياسي بصورة مبكرة.

ومن لطائف الأقدار الإلهية، أن يكون استقلال الكويت ١٩ يونيو ١٩٦١م متوافقا مع بلوغ رشدها الحضاري بصدور الدستور في ١١ نوفمبر سنة ١٩٦٢م، وهي تطورات جاءت متزامنة مع بلوغ الشيخ صباح الأحمد رحمه الله اثنتين وثلاثين سنة، وهو السن الذي شجع أمير دولة الكويت آنذاك الشيخ عبد الله السالم، رحمه الله، ليسند إلى صباح الأحمد «الشاب» مسؤوليات كبارا تبدو أكبر من سنة، ولكنه كان عند حسن الظن به! فبعد نجاحه في أول تجربه بالعمل السياسي في ١٩ يوليو ١٩٥٤م، وهو في الخامسة والعشرين من عمره، إذ عمل عضوا ضمن «اللجنة التنفيذية العليا» وهي لجنة أشبه مجلس الوزراء، عهد أمير الكويت، الشيخ عبد الله السالم الصباح، سنة ١٩٥٥م إلى الشيخ صباح الأحمد رحمه الله برئاسة «دائرة الشؤون الاجتماعية والعمل»، ولقد كانت تلك الدائرة: هي المجال الذي كشف عن الجوانب الإنسانية في شخصية الشيخ صباح الأحمد رحمه الله، فقد كان يبدي اهتماما بالمشاريع الاجتماعية.. وقام باستحداث مراكز التدريب الفني والمهني للفتيات ورعاية الطفولة والأمومة والمسنين وذوي الاحتياجات الخاصة وتشجيع قيام الجمعيات النسائية ورعاية الشباب وإعداده نفسيا واجتماعيا[1]. وقد كان تعيينه لتلك المسؤولية الاجتماعية النجابة الخليقة بدور يتفق مع ما تراءى لهم من مواهب وملكات وقدرات يمكن أن تستثمر في خدمة الدولة الناهضة. وقد ظل رئيسا لدائرة الشئون الاجتماعية حتى سنة ١٩٦١م، خلال تلك المدة كان الشيخ صباح الأحمد رحمه الله قد تمرس في العمل الاجتماعي بمختلف قطاعاته؛ وقد كان بديهيا أن تمثل تلك التجربة الثرية في مجالات العمل الاجتماعي والخيري المحلي إضافة نوعية إلى خبرة الشيخ صباح الأحمد رحمه الله ، تلك الخبرة التي أخذت تنمو وتتراكم على الصعيد الإقليمي والعالمي، ولاسيما بعد تقلده وزارة الخارجية الكويتية اعتبارا من ٢ فبراير ١٩٦٣م حتى فبراير ٢٠٠١م، ثم رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية حتى ١٣ يوليو ٢٠٠٣م.

الجهود الإنسانية في المنطقة العربية

في مطلع الستينيات من القرن العشرين، كانت الأوضاع الاجتماعية في إقليم الجزيرة العربية وبلدان الخليج متواضعة للغاية، ولم يكن ثمة بلد متهيئ للنهوض وفق معطيات الدولة الحديث سوى الكويت، فقد بدأت تجربة ديموقراطية ذات طبيعة ملائمة للخصوصية الحضارية الإسلامية، وكان المجتمع الأهلي متهيئا للتجاوب مع متطلبات الدولة الحديثة في حدود معطيات الهوية العربية والإسلامية. ولقد أسهمت قوة المجتمع الأهلي إلى وجود مساحة تضامنية مشتركة لا تخلو من الندية المتعاونة بين

كل من المجتمع والدولة في نموذج كويت ما بعد الاستقلال بصفة خاصة.

ومع تقلد الشيخ صباح الأحمد رحمه الله منصب الخارجية، عهدت إليه بجوار الوزارة: رئاسة اللجنة الدائمة لمساعدة الخليج العربي، تلك اللجنة التي دشنت سنة ١٩٦٢م بمرسوم أميري صادر عن الأمير الأسبق المرحوم الشيخ عبد الله السالم الصباح (ت: ١١ رجب ١٣٨٥هـ/٢٤ نوفمبر ١٩٦٥م)، وقد حددت طبيعة تلك اللجنة بصبغة إنسانية مجردة من خلال إعطاء منح «لا يترتب على منحها أية شروط سياسية أو اقتصادية»[٢]. وعلى الصعيد الإقليمي الصغير، كانت جهود الشيخ صباح نحو تكثيف المساعدات الكويتية في مجال التعليم والخدمات الصحية في بلدان عربية عدة؛ وبصفة خاصة كانت للكويت بصمات خيرية مبكرة في منطقة الخليج العربي؛ فعلى سبيل المثال، أنشأت الكويت مكتبا لها في دبي للإشراف على الخدمات التي تقدمها ومنها الخدمات الاجتماعية والتنموية، وحتى عام ١٩٦٩م كان للكويت في الإمارات ٤٣ مدرسة وما يقرب من ٨٥٠ مدرسا ومدرسة تتولى الكويت دفع رواتبهم بالكامل، وكانت الكويت تتكفل بمصاريف هذه المدارس بما فيها الوجبات الغذائية التي تقدم للطلاب، وقد ظلت المقررات الدراسية الكويتية معتمدة في الإمارات لعدة سنوات بعد الإعلان الرسمي عن قيام دولة الإمارات العربية المتحدة سنة ١٩٧١م[٣].

وحين تولى الشيخ صباح رئاسة اللجنة استطاع تعزيز ميزانيتها نتيجة التوسع في تقديم تلك المساعدات لتمتد من إمارات الخليج إلى بلاد اليمن بشطريه الشمالي والجنوبي وسلطنة عمان وجنوب السودان.. وكانت طبيعة المساعدات في مجال الخدمات الاجتماعية والعامة؛ وذلك من خلال إجراء مسح اجتماعي شامل من أجل التعرف على احتياجات المنطقة التي تشتد فيها الحاجة إلى الخدمات العامة[٤]، وبخاصة بعدما أوضحت تقارير منظمة اليونسكو مدى الحاجة الشديدة التي كانت تعاني منها تلك الإمارات في مجالات الخدمات العامة[٥].

الكويت وأنسنة المصالحات السياسية

في أحد تجليات المواقف الإنسانية للشيخ صباح الأحمد رحمه الله إبان وزارته الخارجية، أنه قام بدور الوسيط النزيه في مختلف النزاعات الإقليمية والدولية، حتى لقد أحصت بعض الدراسات قيام الشيخ صباح الأحمد رحمه الله بتسع عشر وساطة تصالحية ناجحة خلال ٥٢ سنة[٦]. وفيما يلي أمثلة على تلك المساعي والوساطات التي تعكس الجوانب الإنسانية المتجذرة في شخصية:

فبين عامي ١٩٦٥م و١٩٦٦م، قام الشيخ صباح الأحمد رحمه الله بالوساطة بين مصر والسعودية لحل الصراع العسكري الذي ظهر بين الدولتين على الأراضي اليمنية[٧].

وفي عام ١٩٦٨م، أسهمت الخارجية الكويتية تحت قيادته بجهود وساطة لحل قضية المطالبة الإيرانية بالبحرين، إذ نظمت اجتماعات بين مندوبي البلدين في مقر المثلية الكويتية في جنيف، نتج عنها اتفاق الطرفين على عرض القضية على الأمم المتحدة، والتي انتهت بإجراء استفتاء شعبي واستقلال البحرين في عام ١٩٧١م[٨].

في عام ١٩٦٩م بذل جهود واضحة من خلال محاولة توسط من أجل الوصول إلى حل للنزاع الحدودي بين العراق وإيران، حول السيادة على شط العرب[٩].

وفي عام ١٩٧٠م، ضمن أعمال جامعة الدول العربية، شارك صباح في جهود تسوية الصراع المسلح الذي اندلع بين الجيش الأردني وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية في سبتمبر من ذلك العام، والذي عرف بأحداث أيلول الأسود[١٠].

وقد سعى الشيخ صباح الأحمد رحمه الله في عام ١٩٧١م إلى حل النزاع بين باكستان وإقليم البنغال الذي كان جزءا من الجمهورية الباكستانية قبل أن ينفصل عنها في بداية السبعينيات من القرن العشرين، وقد أعقبت تلك المساعي جهود لتطبيع العلاقات بين باكستان وبنغلادش[١١].

وفي عام ١٩٧٢م، إثر تجدد الاشتباكات العسكرية بين شطري اليمن المنقسم ما بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، قام بزيارة الدولتين في أكتوبر من نفس العام وأثمرت الزيارة توقيع اتفاق سلام بينهما واتفاقية أخرى للتبادل التجاري[١٢].

واستطاع صاحب السمو من خلال مواقفه المعتدلة وإسهاماته الإيجابية في الوساطة أن يصل إلى حلول عادلة بين أطراف الحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٥م[١٣]. وفي عام ١٩٨٠م، قام بوساطة ناجحة بين سلطنة عمان وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية أدت إلى توقيع اتفاق خاص بإعلان المبادئ خفف حدة التوتر بين الدولتين، ثم توسط لحل الخلاف الحدودي بينهما في عام ١٩٨٢م، إلى أن تمت دعوة وزيري خارجية الدولتين إلى الكويت في ٢٥ أكتوبر ١٩٨٤م من أجل الحوار، وقد تم بالفعل توقيع اتفاق المصالحة بين الطرفين برعاية الكويت ممثلة بالشيخ صباح الأحمد رحمه الله[١٤].

وبين أعوام ١٩٨٦م-١٩٨٩م عمل على تشكيل لجنة تسوية لحل الخلاف بين الجمهورية التركية والجمهورية البلغارية، لحل مشكلة الأقلية التركية في بلغاريا، حيث جرى تنظيم اجتماعات لوزيري خارجية تركيا وبلغاريا في الكويت[١٥].

ولقد كان في كل تلك الوساطات يأخذ بزمام المبادرة بنفسه، وكان نجاحه نابعا من مصداقية الكويت في مواقفه المتوازنة تجاه مختلف الدول[١٦].

ومن المهم التنويه بأن طبيعة وزارة الشؤون الخارجية التي تولاها الشيخ صباح ما يزيد على أربعين عاما، قد أسهمت في تشبعه بروح التفاعل الدبلوماسي مع مختلف القضايا التي تشتجر في ساحة التفاعلات الدولية، وخلال تلك مدة استوزاره في الخارجية عاين عن كثب طبيعة الهموم والمشكلات التي تواجهها بعض الشعوب. ولاشك أن لتجربة العمل بالخارجية تأثيرا كبيرا على ترسيم خريطة وعي الشيخ صباح الأحمد رحمه الله بمختلف القضايا الإنسانية، وتحسسن آلام كثير من الشعوب وهمومها

وملامسة احتياجاتها.. وقد تبلور هذا الشعور وتتوج في صيغته الأكثر عملية حينما تقلد مسؤولية منصب أمير دولة الكويت ٢٩ يناير ٢٠٠٦م.

الأمير قائدا للإنسانية

منذ أن تولى الشيخ صباح الأحمد رحمه الله مهام منصبه أميرا لدولة الكويت، وكأنما توفرت كافة الشروط الإنسانية في شخصية سياسية للمرة الأولى، وليكون منصب الأمير شاهدا على تتويج مسيرة حافة بالعطاء الإنساني في أكمل معانيه وأشمل دلالاته عبر التاريخ المعاصر.. تلك المسيرة التي ثمنتها الهيئة العامة للأمم المتحدة في لفتة تكريمية تاريخية لجهود دولة الكويت ممثلة في شخص أميرها الإنسان، ذلك الرجل الذي استطاع أن يعيد تعريف «الكويت» وفق منظومة جديدة من المصطلحات اللائقة بجهود ذلك البلد مجتمعا ودولة حكومة وشعبا وقيادة.

وقد جسد الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون تلك المعاني والقيم الإنسانية التي أكسبت دولة الكويت طابعا فريدا في توصيف الأمم وتعريف رجالها المتفردين، إذ أكد السيد بان كي مون في كلمته التي ألقاها خلال الاحتفالية التي أقيمت بهيئة الأمم المتحدة، ٢٠١٤/٩/٩م، على أن «الكويت أظهرت كرما استثنائيا تحت قيادة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رحمه الله ورغم صغر مساحة البلاد لكن قلبها كان أكبر من الأزمات والفقر والأوبئة». مشيرا إلى أن «المبادرات التي قامت بها الكويت دفعت المجتمع الدولي إلى جمع المزيد من المساعدات بفضل جهود سمو أمير البلاد مما ساعد الأمم المتحدة في القيام بوظيفتها الإنسانية وأن الدعم المستمر لسمو الأمير مكننا من ذلك»[17]. ووصف بان كي مون سمو أمير الكويت بأنه قائد إنساني، وقال: «إن صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح لعب دورا مهما على الصعيد الإنساني، ما جعل الكويت مركزا إنسانيا»[18].

وخلال تلك الاحتفالية، أفصح حضرة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد رحمه الله عن فلسفة العمل الإنساني الكويتي، ومجالاته الحيوية، حيث من جهته أكد سمو الأمير أن «دولة الكويت ومنذ استقلالها وانضمامها إلى منظمة الأمم المتحدة سنت لها نهجا ثابتا في سياستها الخارجية ارتكز بشكل أساسي على ضرورة تقديم المساعدات الإنسانية لكافة البلدان المحتاجة، بعيدا عن المحددات الجغرافية والدينية والإثنية، انطلاقا من عقيدتها وقناعتها بأهمية الشراكة الدولية وتوحيد وتفعيل الجهود الدولية؛ بهدف الإبقاء والمحافظة على الأسس التي قامت لأجلها الحياة: وهي الروح البشرية»[19].

إنني في لحظة كتابة هذه السطور أستحضر عديدا الجمعيات الخيرية ومؤسسات المجتمع المدني، والمراكز الكويتية المختصة بالعمل الإنساني في أكثر من خمسين بلدا متوزعة على ثلاث أو أربع قارات من هذا العالم.. وتنطلق أنشطة تلك الجمعيات والمراكز والمؤسسات من مبادرات فردية ومؤسسية في زراعة أعمال البر والخير الإنسانية في مختلف بقاع العالم برعاية كويتية رسمية.

ولقد كانت الدولة تقوم في مختلف المسارات بدور الحارس الداعم والضامن الموثوق في مختلف أنشطة العمل الإنساني؛ ولذلك لم تتأثر مؤسسات العمل الخير والإنساني الكويتية بموجة الإغلاق والتوقيف أو التجميد، بالعكس ازدادت أنشطتها انتشرت خريطة عملها؛ وذلك بالنظر إلى إنسانية أعمالها وشفافية مناشطها وفوق كل ذلك أنها كانت تمثل الكويت مجتمعا ودولة وحكومة وهيئات ومؤسسات عامة وخاصة.. هذا الامتزاج العملي الإنساني تحت رعاية الدولة قد أسهم في صيانة هذا الدور الإنسانية وأمن مساراته الإنسانية بلا أدنى شائبة أو شبهة.

ولقد كانت مثل هذه الأنشطة الخيرية الإنسانية بمثابة بصمة جغرافية إضافية بل كانت تسميدا لتلك الحقول التي ستشف عن معان انتمائية وجدانية، وانطباعات ولائية كامنة في نفوس أناس ليسوا كويتيين بالمفهوم التقليدي للهوية والجنسية، بل كانت تلك الجهود الخيرية والاجتماعية الكونية، التي لا نظير لها، تمهيدا لإمارة إنسانية اسمها: الكويت، وأميرها: صباح الأحمد الجابر رحمه الله.

الهوامش

١- مجموعة مؤلفين: صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت وقائد مسيرتها، منشورات مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، ٢٠٠٦م، ص١٠ و١١. مجموعة كتاب ومحررين: الشيخ صباح الأحمد الصباح.. قائد إنساني، منشورات مركز المعلومات والأبحاث بوكالة الأنباء الكويتية كونا، الكويت، سبتمبر ٢٠١٤م، ط٣، ص٣٦ و٣٧ و٣٨.

٢- مجموعة مؤلفين: صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت وقائد مسيرتها، ص٢٠.

٣- مجموعة مؤلفين: المرجع السابق، ص٢١.

٤- المرجع السابق، ص٢٠.

٥- المرجع نفسه.

٦- محرر الشؤون المحلية ومركز المعلومات في «القبس»: الكويت واحتواء المشاكل.. سياسة النفس الطويل، جريدة القبس الكويتية، ٧ أكتوبر ٢٠١٧م، السنة ٤٦، العدد ١٥٩٣٠.

٧- محرر الشؤون المحلية ومركز المعلومات في «القبس»: الكويت واحتواء المشاكل.. سياسة النفس الطويل.

٨- مجموعة مؤلفين: صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت وقائد مسيرتها، ص٢٢.

٩- مجموعة مؤلفين: المرجع السابق، ص٣٦.

١٠- محرر الشؤون المحلية ومركز المعلومات في «القبس»: الكويت واحتواء المشاكل.. سياسة النفس الطويل.

١١- مجموعة مؤلفين: صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت وقائد مسيرتها، ص٣٦ و٣٧.

١٢- محرر الشؤون المحلية ومركز المعلومات في «القبس»: الكويت واحتواء المشاكل.. سياسة النفس الطويل.

١٣- مجموعة مؤلفين: صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت وقائد مسيرتها، ص٢٨.

١٤- مجموعة كتاب ومحررين: الشيخ صباح الأحمد الصباح: قائد إنساني، ص٤٢ و٤٣. خليل بيضون: أكبر انتصار دبلوماسي لسياسة الكويت الخارجية، مقال بجريدة الأنباء الكويتية، الثلاثاء ٥ يناير ١٩٨٢م، العدد ٣٤٦٦، ص٣٣، بتصرف يسير.

١٥- مجموعة مؤلفين: صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت وقائد مسيرتها، ص٣٧.

١٦- مجموعة مؤلفين: المرجع السابق، ص٣٦.

١٧- نقلا عن: موقع وكالة الأنباء الكويتية: كونا، ٢٠١٤/٩/٩م.

١٨- مجموعة كتاب ومحررين: الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح قائد إنساني، ص٨١.

١٩- نقلا عن: موقع وكالة الأنباء الكويتية: كونا، ٢٠١٤/٩/٩م.



نادر أبو الفتوح
صحفي مصري

الأمير الراحل في عيون مفكرين وسياسيين وعلماء

قائد حكيم، أمير الإنسانية، مدافع عن قضايا الأمة الإسلامية، مسيرة عطاء في حب بلاده، رسخ حرية الرأي والرأي الأخر، كلمات صدرت عن علماء ومفكرين وإعلاميين وسياسيين وغيرهم من الرموز في مختلف المجالات في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» عن الراحل سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله أمير الكويت، كلمات صادقة عبرت عن مواقف ومبادرات صدرت من سمو الأمير تجاه وطنه وشعبه وأمته العربية والإسلامية، لتظل هذه المبادرات الإنسانية علامة في تاريخ العمل الإنساني والاجتماعي، تقدم النموذج والمثل الأعلى لقائد حكيم يعلي من القيم الإنسانية، وسعى طوال تاريخه لبناء الإنسان فكريا ووجدانيا، ضمن مشروع كبير لبناء وطن قوي ودولة حديثة.

قائد حكيم

في البداية يقول الدكتور سامي الشريف وزير الإعلام المصري الأسبق في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله من الشخصيات العربية والإسلامية المؤثرة، اكتسب مكانته من خلال قيادته الحكيمة لشعب ودولة الكويت، ومن خلال مواقفه المؤيدة للقضايا العربية والإسلامية، وأطلقت عليه الأمم المتحدة أمير الإنسانية لمبادراته الاجتماعية والإنسانية في تقديم الدعم للمحتاجين في دول العالم، وسمو الأمير تاريخ مشرف في قيادة بلده وله إسهامات كبيرة في مختلف المجالات، ونتج عن ذلك بناء دولة حديثة مؤثرة تحترم حرية الرأي والرأي الآخر، وتعد نموذجا مشرفا في ذلك، وتعد مبادراته الإنسانية نموذجا فريدا في تبني قضايا الإنسان لكونه إنسانا، لأن هذه المبادرات تسهم بالفعل في تغيير الحياة الاجتماعية للكثير من الأسر للأفضل، بما ينعكس على مستقبل الأجيال المقبلة، ويرسخ قيم المودة والرحمة والتكافل ليس فقط داخل الكويت، لكن تخطى ذلك ليغير


د. سامي الشريف

حياة الكثير من الأسر الفقيرة في دول أخرى.

موقف مع سمو الأمير

وأضاف الشريف قائلا: أتمنى لسمو الأمير الصحة والسلامة ليستمر في قيادة بلاده، ويكون سندا للأمة العربية والإسلامية، وقد شرفت بلقاء وتكريم سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله لي في عام ٢٠١٧م، ومنحني جائزة المعلوماتية، وخلال هذا التكريم عبرت عن امتناني وتقديري لمواقف سمو الأمير تجاه مصر فرد سموه قائلا «مصر ستبقى في القلب».

مدافع عن قضايا الأمة الإسلامية

ومن جانبه قال الدكتور نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية الأسبق وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن مواقف سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله مع مصر والأمة العربية والإسلامية لا تنسى، فهو قائد حكيم أدى دورا كبيرا في خدمة الإسلام والمسلمين داخل وخارج الكويت، وله العديد من الإنجازات على المستوى


د. نصر فريد

العالمي، ومواقف سمو أمير الكويت دليل على الحكمة والإنسانية التي توارثها القائد الحكيم جيلا بعد جيل، وقد تجسدت هذه الصفات في مواقف سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله عبر تاريخه في العمل السياسي طوال العقود الماضية، وأدعو الله عزوجل أن يديم عليه نعمة الصحة والعافية، لأن مواقفه الإنسانية سوف تخلد في التاريخ، فهو مدافع دائما عن قضايا الأمة الإسلامية، وبذل جهدا سيذكره التاريخ في خدمة المسلمين، سواء داخل البلاد الإسلامية، أو المسلمين الذين يعيشون في خارج العالم الإسلامي، وهذه الجهود كانت تصب في الأساس لنشر الوسطية والاعتدال ونشر سماحة الإسلام.

الأمير الإنسان المتواضع

ومن جانبه يقول الكاتب والمؤرخ المصري عباس الطرابيلي في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إنه في فترة الستينيات اقترب من سمو الأمير صباح الأحمد رحمه الله وكان سموه وقتها وزيرا للإعلام، ويروي الطرابيلي أن سمو الأمير كانت تربطه علاقة قوية بالإعلاميين والكتاب في مصر والدول العربية، وكان يحرص دائما على عقد لقاءات مطولة مع الصحفيين للحديث عن قضايا الأمة، بل كان يحرص في كثير من الأحيان على استضافة الصحفيين في منزله، وكان يتدخل بشكل عاجل لمساعدة ومساندة الصحفيين ليس في الكويت فقط بل في كل البلاد العربية.

ويضيف الطرابيلي أنه لمس تواضع الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله وهذا أهم ما يميز هذا القائد الإنسان، وأن تواضعه هو سر حب المواطنين له سواء في الكويت أو في البلاد العربية، مؤكدا أن إنجازات سمو الأمير صباح الأحمد رحمه الله استمرت على مدار عقود في كل المناصب التي تولاها، فهو أحد حكماء العرب ورمانة الميزان، وكان له دور كبير في مواجهة التحديات التي واجهة الأمة العربية في الفترة الأخيرة، ودائما تكون حكمة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله هي حائط الصد أمام التحديات والمحن والشدائد التي تمر بها الأمة العربية، ويكفي أن قلوب الملايين في العالم تعلقت بسمو الأمير، تجسد ذلك في الفترة الأخيرة من دعوات عبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل بالدعاء بالصحة والعافية لسموه.

وفي سياق متصل يقول الشيخ محمود التهامي نقيب المنشدين المصريين في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إنه عندما يزور الكويت أشعر أن إنسانية سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله أمير الكويت، قد تجسدت في الجميع، ونرى الكثير من المظاهر التي تؤكد على القيم الإنسانية والمبادئ والأخلاق، فهذا القائد الحكيم يقود أمته إلى الخير والبناء والتعمير، ويعمل بكل جهد لبناء الإنسان من ناحية الفكر والثقافة والأخلاق، ولذلك نرى أن قلوب ملايين المسلمين تتعلق بسمو الأمير وتدعو له بالصحة والعافية وطول العمر، لأن سموه يقدم نموذجا فريدا في الإنسانية وأعمال الخير والبر، وله مبادرات في ترسيخ القيم الإنسانية في كل أنحاء العالم.

رعاية الدعاة وحفظة القرآن

ومن جانبه يقول الشيخ عمرو جبريل رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بدولة الكاميرون في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن هذا القائد الحكيم حجز لنفسه مكانة في قلوب الناس، وهنا أستطيع أن أقول إن سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله قدم الكثير والكثير لرعاية العلماء والدعاة وحفظة القرآن الكريم وطلاب العلم في كل دول العالم الإسلامي، وهناك عدد كبير من طلاب العلوم الدينية يدرسون على منح من الكويت في الجامعات الإسلامية الكبرى، كما أن



سمو الأمير عمل بكل جهد على تكريم الدعاة والأئمة، ليس في الكويت فقط بل في كل دول العالم، هذا بجانب مسابقات القرآن الكريم التي كانت تعقد تحت رعاية سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله ، وهذه المسابقات لها دور كبير في اكتشاف المتميزين من الحفظة وأصحاب الأصوات الحسنة، وكل ذلك يمثل خدمة لأهل القرآن وطلاب العلم.

ويضيف أن عطاء سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله شمل جميع المجالات، من مبادرات لدعم المسلمين في كل بلاد العالم، وتشجيع حفظة القرآن الكريم في العالم الإسلامي، بالتزامن مع مبادرات إنسانية لرعاية الفقراء والمحتاجين والمرضى، وهذه المساعدات الإنسانية تخطت الحدود، ويكفي أن نشير إلى دور صندوق الزكاة الكويتي في رعاية طلاب العلم وحفظة القرآن الكريم، بجانب أعمال كثيرة لا يمكن أن تنسى، لأنها بالفعل صدرت من قائد مخلص لشعبه وأمته.

قائد العمل الإنساني

ومن جانبه أكد الدكتور محمد البشاري الأمين العام للمجلس العالمي للمجتمعات المسلمة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن الحديث عن إنسانية ومواقف سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله تتطلب مجلدات، لأن مسيرة حياة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد رحمه الله مسيرة حافلة بالعطاء وزاخرة بالإنجازات، تسجل بأحرف من نور جهود بارزة على مدار ٦٦ عاما قضاها في خدمة بلاده، ودفاعا عن قضايا أمته ودعم القضايا الإنسانية وجهود السلام حول العالم، ولقد استطاع سموه بمبادراته المتعددة التي ساهمت في التخفيف من مآسي المحتاجين والمعوزين، ومسح دموع اليتامى، والمساهمة في بناء ما دمرته الحروب مكنته من تبوئ حب واحترام الجميع، وتوجت مبادراته الإنسانية، التي كانت لها أصداء عالمية بتكريم رفيع من الأمم المتحدة بمنحه لقب «قائد للعمل الإنساني»، وهو لقب تم اعتماده خصيصا له، نظرا لجهوده في العمل الإنساني، إذ لم يتم منح مثل هذا اللقب لأحد من قبل، وبذلك جعل من دولة الكويت الشقيقة (مركزا للعمل الإنساني)، في ظل تواصل مسيرة العمل الخيري الكويتي حول العالم، حتى بات هذا الجانب من أبرز الركائز الفعالة والناجحة للسياسة الكويتية الخارجية.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقـام تـشتمـل علـى اسـم الكـاتب واسـم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



د. هشام طه محمود سليم
كاتب وباحث

اللهم ارحم أمير الإنسانية

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم
بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ
وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥
ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ
إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن
رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ
١٥٧ ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

كل نفس ذائقة الموت

لقد فقدت أمتنا الإسلامية والعربية «أمير الإنسانية»، قائد العمل الإنساني،

الساعي بالإصلاح بين الدول المتنازعة، المحب للخير، المحب للسلام، صاحب الابتسامة الطيبة، سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح صاحب الأيادي البيضاء على الدول المتضررة من الكوارث والنكبات، حتى إنه -عليه رحمة الله- يعطى الأولوية دائما للجانب الإنساني على الجانب السياسي.

وعزاؤنا أننا جميعا كمؤمنين نعلم علم اليقين أن الموت هو الحقيقة الواقعة على المخلوقات كافة، وقد نبهنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز إلى ذلك بقوله عز وجل: ﴿... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨).

ومن ثم فجميع المخلوقات حتى الملائكة، وحتى الرسل والأنبياء لابد أن يذوقوا الموت، يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ (الرحمن ٢٦- ٢٧).

فالله سبحانه وتعالى وحده هو الباقي، الله وحده هو الحي الذي لا يموت.

وما دام الموت هو قدر الجميع، فهو إذن أمر لابد منه، ولا محيد عنه، وليس أمامنا إلا التسليم بقضاء الله سبحانه، وليس أمام كل منا إلا الاستعداد ليوم لقائه جل وعلا بالعمل الصالح.

الموت انتقال من رحمة الله إلى رحمة الله

على الرغم من أن جميع البشر يكرهون الموت باعتبار أن الموت أمرًا مجهولا، وباعتبار أن الإنسان عدو لما يجهل، إلا أن الإنسان المؤمن ينبغي أن يبقى على يقين وإيمان دائم بأنه يتقلب بين رحمات الله سبحانه وتعالى في كل مراحل حياته.

فالإنسان المؤمن في حياته الدنيا غارق في رحمة الله سبحانه وتعالى، يحفظه بحفظه ويكلؤه برعايته، وهو من ناحية أخرى يملؤه اليقين والإيمان بأنه إذا حضرته سكرات الموت وانتقل إلى حياته الأخرى، فإنه أيضا يتقلب في رحمة الله التي وسعت كل شيء، إذ إنه لا يزال في معية الله سبحانه وتعالى، يقول الله عزوجل: ﴿... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٥٦)، بالتالي فإن الموت ليس نهاية المطاف، وإنما بداية لحياة أخرى تحمل للمؤمن البشرى بالنعيم المقيم.

الموت والحياة ابتلاء من الله يختبر به إيمان عباده

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)﴾ (الملك:١-٢).

فالدنيا دار ابتلاء، ويخطئ الإنسان حين يعتقد أنه أتى إليها عبثا، أو أنه أتى إليها ليدخل الجنة دون جهد يبذله، ودون عناء يكابده، حيث لو كان الأمر كذلك فكيف إذن يمتاز المصلح من المفسد؟ ولو كان الأمر كذلك لادعى جميع الناس الصلاح، وأنهم جميعا يستحقون جنة الخلد.

لذلك كان لابد من الابتلاء والاختبار بأنواعه كافة حتى يتبين المؤمن بحق، من الكافر بحق، ومن أهم تلك الابتلاءات الموت والحياة.

فالله وحده هو المحيي المميت، هو وحده القادر على إيجاد المخلوقات من العدم، وهو وحده القادر على انتزاع أرواحها، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ (الأنعام: ٩٥).

وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يضع تلك القاعدة صريحة في مواجهة البشر كافة -قاعدة ضرورة الابتلاء حتى يقيم الحجة على الكاذبين الذين يدعون الصلاح- يقول تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ (العنكبوت: ٢-٣).

إذن لابد من الابتلاء والاختبار، منذ خلق آدم عليه السلام، وإلى أن تقوم الساعة على آخر البشر، حتى تثبت الحجة على كل إنسان فيستحق ما سيلقاه من جزاء في الآخرة إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا فشر، فيثبت مدى صدقه أو كذبه حين قال إنه مؤمن.

فليس الإيمان مجرد كلمة على اللسان يطلقها، وإنما الإيمان قول يصدقه العمل، فلفظ الإيمان يحتاج إلى دليل على أن قائله صادق وليس كاذبًا فيما يدعيه، ومن هنا كان لابد من ابتلاء كل إنسان بما يطيقه من الابتلاءات في كل لحظة من لحظات حياته الدنيا حتى يكون جديرا بنيل محبة الله له، والفوز بالجنة برحمته سبحانه.

وتبقى البشرى من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين الصالحين تدفعهم دفعا إلى العمل الصالح ونشر الخير بين الناس، وإلى الصبر على مصائب الدنيا، حيث يقول



الله في كتابه العزيز: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ (يونس: ٦٢-٦٤).

وبشر الصابرين

حقا إن مصيبة الموت هي أكبر المصائب التي تواجه الإنسان، فلا شيء يعادل الحزن على فقد الأحبة من الأقارب، ومن الأعزاء، أصحاب السيرة الطيبة، والقلوب الطاهرة، والوجوه البشوشة المضيئة.

إلا أن رسول الله ﷺ يعلمنا ما يجب علينا حال فقد الأحبة، وحال مواجهة المصائب، فيأمرنا بأن نصبر ونحتسب الأجر على الله سبحانه وتعالى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري» قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي -ولم تعرفه-، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» (رواه البخاري: رقم ١٢٣٦).

فإذا التزم الإنسان بالصبر، وإذا رضي بقضاء الله سبحانه، أنزل الله السكينة على قلبه، وملأه بالرضا، ورزقه إيمانا ويقينا لا ينفد في الدنيا، وأنعم عليه بالحسنات وبالدرجات العلى في الآخرة.

إنا لله وإنا إليه راجعون

ما أجمل تلك الآية الكريمة التي تبشر المؤمنين الصابرين في حالة مواجهتهم للمصائب المتنوعة من خوف أو جوع أو نقص في الأنفس أو الثمرات، حين يملؤهم اليقين بأن جميع أمر الله خير لهم، فيحتسبون الأجر والثواب عليه سبحانه وتعالى وحده قائلين: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة:١٥٦)، وهنا يمنحهم الله سبحانه وتعالى العديد من المنح يوضحها نص الآية الكريمة بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧).

وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له» (صحيح مسلم: رقم ٢٩٩٩).

فاللهم تغمد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح برحمتك وعفوك ورضوانك، اللهم بارك في حسناته، وارزقه الدرجات العلى من الجنة.. آمين.



مياسة النخلاني
باحثة وقاصة يمنية

الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

رجل الخير والسلام

لا يذكر اسم الكويت إلا ويذكر أنها بلد محب للخير والسلام، لعبت وتلعب دورا بارزا بإغاثة المناطق المنكوبة في شتى بقاع الأرض، تغيث القريب قبل البعيد، وتعين الأخ قبل الصديق.

ففي اليمن على سبيل المثال لم يكن دور الكويت الإغاثي آنيا أو حديثا، بل إنه دور متأصل امتد لعقود ماضية، فبعد قيام ثورة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م، كان اليمن للتو قد خرج من رداء الإمامة، الذي فرض العزلة والجهل على الشعب اليمني لعقود طويلة، حينها كان اليمن يعاني بشكل خاص من عجز حاد في قطاعي الصحة والتعليم. لذا، ومنذ الستينيات التي مثلت البدايات الأولى والمباشرة لقيام العلاقات اليمنية - الكويتية، ساهمت الكويت في تحسين وتطوير القطاع التعليمي والصحي في اليمن بمبادرة أخوية نحو الشعب اليمني، حيث قامت ببناء مستشفى الكويت في صنعاء، والذي يعد من أبرز المشاريع الصحية التي أنشأتها الكويت في اليمن، بالإضافة إلى خمسة مستشفيات أخرى؛ منها: المستشفى العسكري في صنعاء، ومستشفى الحديدة العام، وعدد من المستوصفات الطبية، والمعهد الصحي، وبنك الدم، والمختبر المركزي.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إنها خصصت ميزانية سنوية لتسديد أجور وحاجيات العاملين والمتطلبات في مستشفى الكويت وفي جامعة صنعاء، بالإضافة إلى تمويل نفقات وأجور واحتياجات مدرسين وأساتذة جامعيين وأطباء وممرضين.

كما بنت عددا من المستشفيات في كل من: عدن ولحج وأبين، بالإضافة إلى مركزين صحيين في شبوة والمهرة.

وأنشأت سكنا للموظفين في المستشفى ولطلبة المعهد الصحي، وقامت ببناء كلية للشرطة بجميع تجهيزاتها في صنعاء، وسلمتها هدية للحكومة اليمنية، إلى جانب عدد من المستوصفات الصحية في مناطق مختلفة من الجمهورية. أما في المجال التربوي والتعليم العالي، فقد

قامت الكويت ببناء عدد من المدارس في مناطق مختلفة من اليمن.

كما ساهم الصندوق الكويتي في تمويل مشروع توسيع وتطوير ميناء عدن، وتمويل الطاقة الكهربائية، وتمويل طرق رئيسية في عدة محافظات، وإنشاء عدة مشاريع في جزيرة سقطرى، أهمها مشروع إنشاء رصيف ميناء سقطرى، ومشروع كلية المجتمع، التي تحمل اسم «كلية الشيخ صباح الأحمد الصباح».

توالت العقود، وشاء الله تعالى أن يخوض اليمن حربا أخرى ويتعرض لنكبة موجعة ليعيد الزمن نفسه وتقف الكويت مرة أخرى، كعادتها، بجانب الشعب اليمني وقفة أخوية حقيقية بعيدا عن ضجيج الإعلام.

فمنذ أن بدأت الحرب في اليمن أواخر ٢٠١٤م، إثر استيلاء الحوثيين على العاصمة صنعاء، وما أعقبها من حرب أهلية طويلة، مصحوبة بحصار جوي وبري وبحري لليمن، وطلعات جوية متعددة دمرت البنية التحتية الهشة ليجد الشعب نفسه معزولا ومحاصرا، كانت للشيخ صباح الأحمد، رجل الخير والسلام، وقفته الإنسانية، إذ تبنى العديد من الوساطات والمبادرات التي من خلالها حاول جاهدا جمع الأطراف المتحاربة على طاولة المفاوضات والحوار للوصول بالبلاد إلى بر الأمان وتجنيبها المزيد من الدمار.

وفي الوقت نفسه كان حاضرا على الأرض اليمنية المنكوبة عبر المؤسسات الخيرية التي تواجدت بتوجيهاته منذ الأشهر الأولى لبداية الحرب تغيث وتضمد وتسعف.

فخلال السنوات الماضية، وبتوجيهات مباشرة من أمير الكويت الشيخ صباح الأحمد، برزت عدة جهات خيرية كويتية، قدمت - ولا تزال - العديد من المشاريع الخيرية والإغاثية للمناطق المتضررة والأكثر تضررا من الحرب،



منها على سبيل المثال لا الحصر:

- جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية، التي أطلقت الحملة الخيرية الإغاثية للشعب اليمني تحت شعار «قوافل الخير لإغاثة اليمن»، وذلك لتقديم الدعم الغذائي والدوائي العاجل والإيواء للنازحين والمرضى المتأثرين من أعمال العنف، خصوصا في الحديدة والمناطق المنكوبة.

- جمعية الرحمة الكويتية، التي قامت بتمويل بناء مدينة سكنية للنازحين في الخوخة بمحافظة الحديدة.

- فريق غطاء الرحمة التطوعي الكويتي، الذي سارع إلى تقديم إعانات مالية عاجلة لضحايا الحرب، كما قدم يد العون عبر مشروع تفريج كرب لعشرات الحالات التي تعاني من أمراض أو ظروف اقتصادية خانقة.

- جمعية الهلال الأحمر التي تواجدت منذ الأيام الأولى للحرب ونفذت العديد من المشاريع الطبية والإغاثية منها:

١ - إطلاق حملة إنسانية بعنوان «جسد واحد» في محافظة تعز، وهي المحافظة الأكثر تضررا من الحرب، حيث أقامت عددا من المخيمات الطبية لاستقبال الجرحى قبل نقلهم إلى المستشفيات في تعز.

٢ - توزيع التجهيزات الطبية لعدد من مستشفيات المدينة.

٣ - توفير كراسي متحركة وعكازات إلى جانب تراكيب صناعية لعدد من الحالات مع العلاج الطبيعي في مدينة عدن، وعمل مركز غسل للكلى بمستشفى «الصداقة» في عدن.

٤ - القيام بحملة لمكافحة انتشار الكوليرا مع المنظمات الإنسانية والعالمية في عدة محافظات.

٥ - تبني مشروع رعاية الأيتام، إذ كفلت الجمعية عددا من الأيتام مدة عام في محافظة عدن.

٦ - توزيع عدد من حاضنات الأطفال الخدج في عدد من المستشفيات اليمنية.

٧- الهيئة الكويتية اليمنية للإغاثة عبر حملتها «الكويت إلى جانبكم»

والهيئة الكويتية اليمنية للإغاثة هي مؤسسة يمنية أسست في سبتمبر ٢٠١٥م، وهي امتداد لنشاط عمل الجمعية الكويتية للإغاثة التي مقرها في الكويت، تم تأسيسها بمنحة ومكرمة الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي بادر في ٢٠١٥م بإعانة الشعب اليمني، حيث تم إنشاء هذه الهيئة لكي تكون الحامل وتوصل هذه المنحة الى الشعب اليمني، ومنذ تأسيسها وحتى عام ٢٠١٨م، نفذت الهيئة الكويتية اليمنية للإغاثة خلال عدة مراحل العديد من المشاريع

مستهدفة كل المحافظات اليمنية من دون تمييز أو تحيز، حيث استهدفت عددا من المحافظات اليمنية، وتوزعت المشاريع في القطاعات التالية:

• قطاع الغذاء

قامت الهيئة بتوزيع عدد من السلال الغذائية المتكاملة في المحافظات المتضررة من الحرب.

كما قامت بإغاثة المتضررين من إعصاري شابالا وميج اللذين ضربا محافظات الساحل الشرقي، وهي: «حضرموت - شبوة - سقطرى»، حيث قامت بتوزيع سلال غذائية ومواد إيوائية للصيادين وأسر الصيادين، وتوزيع قوارب صيد ومحركات للصيادين العاملين في القطاع السمكي.

• قطاع التعليم

قامت الهيئة الكويتية اليمنية للإغاثة بتأهيل وترميم عدد من المدارس الابتدائية والثانوية والفصول التعليمية لذوي الاحتياجات الخاصة، وعدد من المعاهد والجامعات التي تضررت بسبب الحرب.

كما قامت بتوزيع الحقائب المدرسية والمستلزمات المدرسية من اثاث مدرسي، إلى جانب دعم قطاع التعليم، ممثلا في وزارة التربية والتعليم، بتمويل ورش العمل والندوات الهادفة والبرامج التدريبية لتمكين الكوادر التعليمية من أجل إعادة تشغيل الحركة التعليمية في المرافق التعليمية.

ووفرت الهيئة مولدات كهربائية كبيرة لمطابع الكتاب المدرسي في «عدن - حضرموت»، وذلك لإعادة تشغيل المطابع المتوقفة بسبب الحرب، وقامت بدعم مستلزمات الطباعة للكتاب المدرسي.

• قطاع الصحة

قامت الهيئة الكويتية اليمنية للإغاثة بتوفير مولدات كهربائية كبيرة للمستشفيات والمراكز الصحية، وذلك لضمان الاستمرار في تقديم الخدمات الصحية للمرضى، كما عملت على ترميم وإعادة تأهيل المراكز الصحية والمستشفيات المتضررة جراء الحرب بعدن.

وسيرت الهيئة عددا من القوافل الطبية للمناطق المتضررة، بالإضافة إلى توفير سيارات إسعاف لعدد من محافظات الجمهورية وحافلات نقل وتوفير عيادات متنقلة وأجهزة طبية ومحاليل مخبرية ومولدات كهربائية للمرافق الصحية، وتوفير الأدوية الخاصة بأمراض: الفشل الكلوي والكوليرا وحمى الضنك والسكر والسرطان، والعديد من الأدوية المتعلقة بالأمراض الأخرى.

• قطاع المياه

نفذت الهيئة عددا من المشاريع في مجال المياه، وتركزت تلك المشاريع في صيانة الآبار وتوصيل خطوط «أنابيب» المياه وتركيب مضخات وغاطسات، وتوزيع مياه صالحة للشرب والاستخدام.

• قطاع الإيواء

استهدفت الهيئة الكويتية اليمنية للإغاثة النازحين، حيث وفرت لهم الغذاء ومستلزمات الإيواء الطارئة والعاجلة، ووزعت فرشات وبطانيات، وأدوات الطبخ، واستهدفت مراكز وتجمعات النازحين، كما قامت بتوزيع الخيام وتوفير قوافل طبية ومساعدات إيوائية.

كما عملت الهيئة على إعادة تأهيل وترميم عدد من المساكن والمنازل المتضررة بسبب الحرب.

أخيرا لا يمكن أن ننسى أن الكويت هي الدولة الشقيقة الوحيدة التي شاركت اليمن الاحتفال بذكرى الوحدة اليمنية لهذا العام من خلال وضع علم اليمن مصحوبا بجملة «يمن واحد» على القنوات التلفزيونية الكويتية الرسمية، والذي استمر عرضه لعدة أيام برسالة واضحة بأن اليمن سيستعيد تماسكه وسينجو من هذه الأزمة بقلب رجل واحد، وإننا أيها الأشقاء بجانبكم نساندكم وندعمكم حتى النهاية.

المصادر

١- الخليج أونلاين https://alkhaleejonline.net/ مجتمع/ ضجيج-الإمارات-أزعج-اليمنيين-وسخاء-مساعدات-الكويت-لا-يتوقف

٢- جولدن نيوز http://golden.news/articles/١٧٧٧٧/

٣- عدن لنج https://www.google.com/amp/s/m.adnlng.info/٨٨١٢١/amp/

٤- https://alnouri.org/donation-projects/-٣٨ الموقع الإلكتروني لجمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية

٥- صحافة نت https://sahafahnet.html.com/show٦٩٨٦٤٦٥

٦- https://al-ain.com/amp/article/relief-kuwait-yemen العين الإخبارية

٧- http://sahafahnet.com/show٦٤٣٨٠٧٥.html صحافة نت

٨- https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/٢٠١٨/٠٩/١٥/١١٧٣٧٢٨.html صوت الوطن



د. أمان محمد قحيف
أستاذ جامعي

العقل والشرع.. نور على نور

أحسست أنني بحاجة ماسة إلى استعارة التعبير الذي استخدمه أبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ/١١١١م) -يرحمه الله- عندما أراد أن يبين طبيعة العلاقة بين الوحي والعقل فقال: «الشرع والعقل.. نور على نور»، لقد أحسست أنني بحاجة إلى استخدام هذا التعبير عندما فكرت في مناقشة الترهات والتلفيقات التي تذاع وتشاع عن ديننا الحنيف في العديد من الساحات الثقافية والإعلامية الأجنبية.

القراءة المتأنية للأساليب التي تتناول بها بعض المؤسسات الإعلامية والثقافية في الغرب قضية الدين -خاصة الإسلام- تمدنا بما يفيد بعدم وعي القائمين عليها بطبيعة الإسلام وجوهر تعاليمه وسمو غاياته؛ إذ ينتهي المتابع الحصيف لما يتم تداوله وتناوله عن الإسلام عبر تلك المؤسسات إلى أن العقل الغربي يتصور أن النكوص الحضاري والتراجع العلمي والمعرفي الذي تعاني منه بعض الدول العربية والإسلامية يعود في الأساس إلى ما يطرحه الإسلام وما يتمحور حوله من أسس ومبادئ.. ولا تكف تلك المؤسسات عن صب تلك المغالطات على ذهن المتلقين لخطابها الثقافي والإعلامي ليل نهار.. ويسعى هؤلاء من دون كلل أو ملل إلى الترويج لرؤيتهم المغلوطة وثقافتهم المبتسرة المتعلقة بالدين الحنيف.. وبمراجعة أطروحاتهم حول الإسلام يتبين أن لهم في هذا السياق فريتين هما:

أولا: الزعم بأن التشريع الإسلامي لا يتوافق من حيث المعنى والمبنى مع التفكير المنطقي السليم، وأنه يناهض، ويناقض العقل والعقلانية، ويتضاد مع التفكير الحر المستنير!

ثانيا: الزعم والترويج لمغالطة مؤداها أن الإسلام ضد العلم، ويكره الروح العلمية، وأنه لا يحبذ دراسة الطبيعة والوجود إلا في إطار ما يخدم الفرائض والعبادات.. بالتالي توهموا أن الإسلام والعلم نقيضان لا يجتمعان.

من هنا تزعم تلك المؤسسات دوما أن الإسلام صبغ الثقافة، والفكر، والعقل، في العالم العربي والإسلامي بصبغة الجمود والتقليد بما يشيعه من أجواء تناقض وتعادي التجديد والاجتهاد، والتطوير في الفهم والاستيعاب لقضايا الكون والوجود.. لينتهي زعمهم الباطل إلى أن العقل والشرع لا يتفقان في الإسلام شأنهما في أي ديانة أخرى.

ولإثبات سطحية هذه الرؤية وتهافتها نقول: الحق أن وسائل الإعلام والمنابر الثقافية هناك تردد تلك الأفكار المغلوطة انسياقا خلف بعض المتعصبين من المستشرقين القدامى الذين كتبوا عن الإسلام وفق هواهم وأشاعوا عنه ما يخدم أغراضهم ويحقق آمالهم ومصالح السياسات الاحتلالية -وليس الاستعمارية- البغيضة، مبتعدين بذلك عن الموضوعية والحيادية وعن دراسة الإسلام دراسة علمية منهجية رصينة. واللافت أن تلك المؤسسات تتعامل مع الإسلام على هذا النحو المغلوط ولا تستجيب بحال من الأحوال لما طرحه المستشرقون المنصفون الذين تخصصوا في دراسة ديننا وحضارتنا وثقافتنا وقدموا رؤاهم وتحليلاتهم حول مجتمعاتنا في حيادية نادرة وموضوعية لا تخطئها العين البصيرة ولا تغيب عن العقل اللبيب، ونذكر من هؤلاء المنصفين:

١ - «فرانز روزنتال» الذي اهتم بدراسة التراث الإسلامي، وتحدث كثيرا عن عظمة الإسلام كعقيدة وثقافة وحضارة.. وأثنى على العطاء العلمي للعرب والمسلمين وأبرز دورهم في مسار الحضارة الإنسانية.

٢- «توماس كارلايل» صاحب كتاب «الأبطال» الذي زكى شخصية النبي محمد ﷺ، وأشاد بأخلاقياته، وقيمه، ورسالته، وروعة المبادئ الإسلامية التي نشرها بين المسلمين.

٣ - «زيجريد هونكه» التي بذلت جهودا كبيرة في الرد على مفتريات المغرضين، فكتبت كتابين غاية في الدقة والأهمية، أحدهما عنوانه «شمس العرب تسطع على الغرب»، وجاء الثاني بعنوان: «الله ليس كذلك».. ووجهت سهام نقدها في الكتابين صوب أولئك النفر من المستشرقين -المتحاملين- الذين عملوا على تشويه الوعي الديني لدى المسلمين عن طريق غض الطرف عن المزايا العديدة والمتعددة في التشريع الإسلامي، وأشاعوا عن الإسلام ما ليس فيه -من تحجر وتعصب وكراهية للآخر- معتمدين في ذلك على بعض الفتاوى المتشددة والآراء الشاذة التي رفضها الوجدان الإسلامي ونفر منها أهل الثقة من علماء الأمة، ولفظها عموم المسلمين، فماتت وخرجت من التاريخ.

٤ - «روجيه جارودي» الذي كان زعيما للفكر الاشتراكي، ودرس بقية الديانات السماوية والوضعية -اليهودية، والمسيحية، والبوذية، والهندوسية- فوجد أن الإسلام هو الأرقى والأسمى والأكثر اتفاقا مع العقل المفكر، فما كان منه إلا أن اهتدى بنور الله وأعلن إسلامه ودخل في الدين الحنيف؛ ليوجه بذلك صفعة لأصحاب الهوى وعشاق المصالح من المستشرقين المتنطعين وتلامذتهم الناسجين على منوالهم من أبناء جلدتنا.

٥- «مراد هوفمان» وهو فيلسوف ودبلوماسي ألماني كان يعمل سفيرا لألمانيا بالجزائر، ومر بتجربة تتشابه كثيرا مع تجربة «جارودي»، فدرس الإسلام دراسة متأنية، وانتهى به المطاف إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ، وأصبح من كبار الدعاة إلى الله، ويعد حاليا من أبرز المنتقدين للحضارة المادية التي آمنت بالمادة ولا شيء سواها.

ولا نشك في أن المنصفين من المستشرقين كثر وفوق العد، غير أننا نرى أن المتعصبين منهم هم الأعلى صوتا والأكثر تأثيرا برغم افتقادهم للوعي الكافي بجوهر الإسلام وكنه بنيته العقائدية.. ويؤخذ على هؤلاء المتعصبين افتقارهم الشديد للوعي بطبيعة تاريخنا ومحتوى الفكر الديني والحضاري في ثقافتنا.. ويدلل على ذلك ويبرهن عليه حديثهم -المشوه- حول طبيعة العلاقة بين الإسلام من جهة والعقل والعلم من جهة أخرى.

ولو كان هؤلاء المتعصبون من ذوي العلم الحقيقي والمعرفة الراسخة لأدركوا أن المسلمين بنوا حضارة كبيرة ورائدة كانت تعتمد على المنهج العلمي في بحث الأمور ودراسة القضايا والمشكلات، ولعلموا أيضا أن حضارتنا أنجبت العديد من العلماء الذين سبقوا العالم أجمع إلى العديد من المكتشفات العلمية والدراسات العملية، ونذكر من هؤلاء جابر بن حيان (ت:١٩٤هـ/٨١٤م) الذي نبغ في الكيمياء، ونجح في تحسين الورق، وتحسين الزجاج، وله العديد من الإنجازات العلمية التي تتلمذ عليها الغرب لمدة طويلة.. ومنهم الحسن بن الهيثم (ت:١٠٤٠م) وهو عالم كبير في الرياضيات والبصريات والفلك.. ومنهم ابن النفيس (ت:١٢٨٨م) الذي سبق علماء الدنيا قاطبة إلى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى، وله مكتشفات أخرى متعددة... وغيرهم كثير.

والشاهد هنا أنه لولا أن الإسلام حض المسلمين على العلم ودفعهم إلى ممارسة البحث العلمي ما ظهر هؤلاء الأفذاذ في حضارتنا وما تهيأت لهم أسباب النبوغ والتفوق.

ولو كان المتعصبون من الغربيين من ذوي العلم الرصين والمعرفة الحقة لأدركوا أن علماء الإسلام ومفكريه قد أكدوا -منذ أزمنة بعيدة- وجود صلة قوية وعلاقة حميمة بين الوحي والعقل في الإسلام، وكشفوا عن عمق وأصالة

الاتفاق والتوافق بين العقل والنقل في دين الله، وأشاروا إلى عظمة ووجاهة موقف الإسلام الحنيف من العلم والمعرفة.

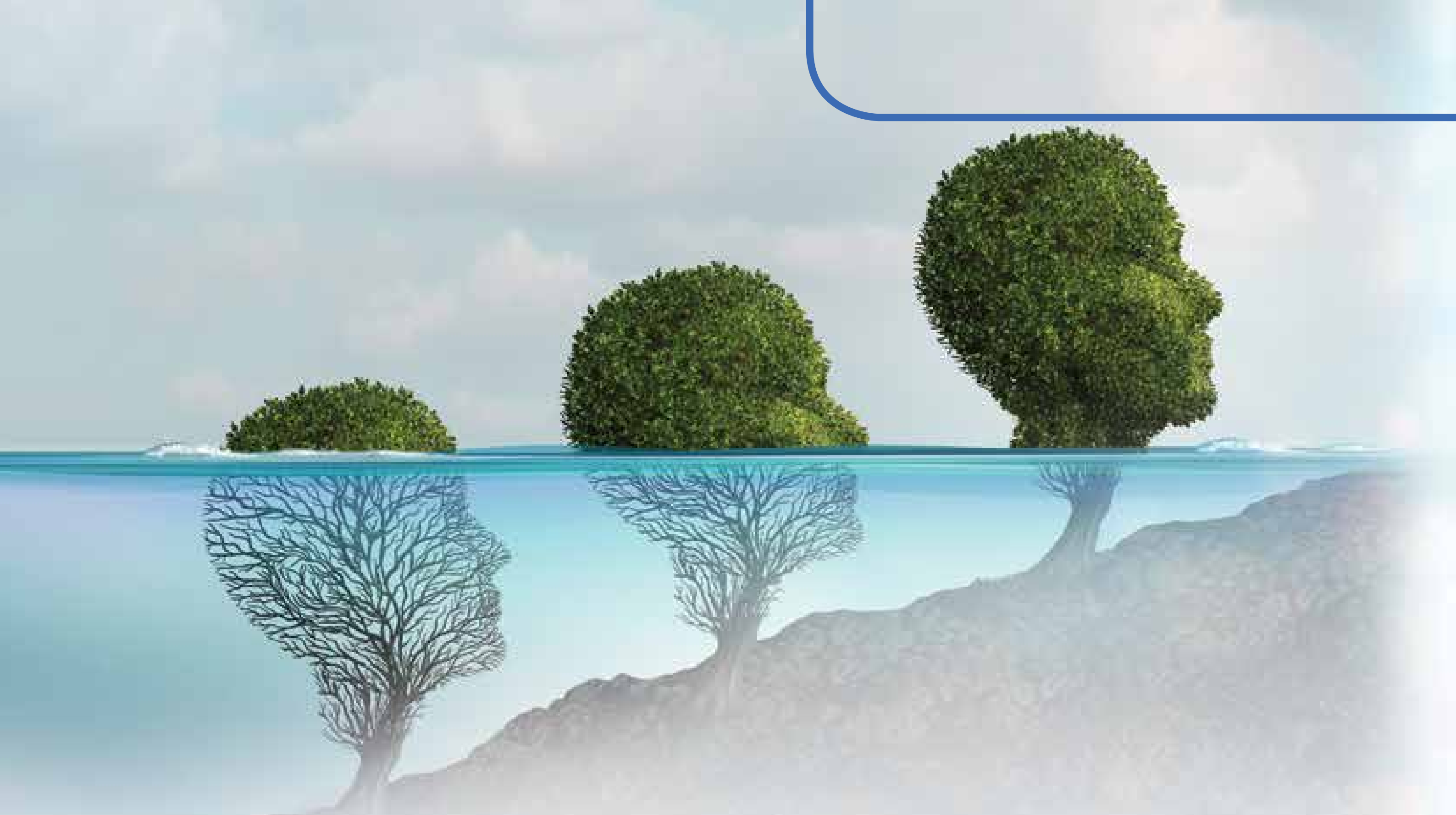
والمعلوم أن مفكري الإسلام ودعاته وفلاسفته قد عالجوا هذه القضية تحت عنوان ما سمي في مؤلفاتهم ودراساتهم بـ«التوفيق بين الفلسفة والدين»، أو «الاتصال بين الحكمة والشريعة»، أو «درء تعارض العقل والنقل»، أو «اتفاق صريح المعقول مع صحيح المنقول».. فقد وردت معالجات متنوعة لتلك القضية عند الكندي (٢٥٦هـ/٨٧٣م)، والفارابي (٣٣٩هـ/٩٥٠م)، وابن سينا (٣٧٠هـ/١٠٣٦م)، وابن تيمية (٧٢٨هـ/١٣٢٨م)، وابن القيم (٧٥١هـ/١٣٥٠م).. وغيرهم من علماء أصول الفقه والعقيدة والتوحيد الذين تناولوا هذه القضية شرحا وتفصيلا.

ولقد كان الفيلسوف الفقيه ابن رشد الحفيد (٥٩٥هـ/١١٩٨م) قد خصص كتابا مهما لمعالجة هذه القضية سماه «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال»، وكان حجة الإسلام «أبو حامد الغزالي» (ت:٥٠٥هـ/١١١١م) قد سبقه إلى بيان أهمية بل ضرورة المزاوجة بين العقل والنقل لفهم التجربة الدينية والوصول إلى اليقين في القضية الإيمانية، قال الغزالي في هذا المعنى: «وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر؟!... كيف يهتدي للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر؟... فمثال العقل البصر السليم عن الآفات والأدواء، ومثال القرآن الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء، المستغني بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء؛ فالمعرض عن العقل اكتفاء بنور القرآن مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان؛ فالعقل مع الشرع نور على نور»[1].

الشاهد هنا أن دور العقل حاضر في العقيدة والحضارة والثقافة الإسلامية؛ فالمسلم عرف الله تعالى بالعقل، وعلم صدق النبي ﷺ بالعقل، وفهم الشرع بالعقل، وبنى حضارته وعمر دنياه بالعقل.. بالتالي لم يقف الشرع من العقل موقفا سلبيا ولم يتخذه خصما ولا عدوا، ولم يجعله نقيضا ولا ضدا كما يزعم بعضهم!!.. وكيف يتأتى ذلك والعقل والشرع في ملة المسلمين وتراثهم نور على نور، كما قال أبو حامد الغزالي يرحمه الله؟!

ونظرا لأصالة هذه الرؤية ومطابقتها لروح التشريع الإسلامي ظلت تنتقل من جيل إلى جيل من حملة الأقلام وصناع الثقافة في عالمنا العربي والإسلامي.. بالتالي فهي حاضرة دوما في الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل، بل إنها تعد إحدى القضايا الأساسية التي اتفق عليها الفكر الإسلامي بتفريعاته





وتنويعاته فباتت ظاهرة الوضوح في فكر الفلاسفة والمتكلمين والأصوليين والفقهاء من المحدثين.

فهي ظاهرة الوضوح عند الطهطاوي (ت:١٨٧٣م) الذي أكد عدم رفض الإسلام للأخذ بما أنجزته الحضارة الحديثة في مجال العلم، وأوصى بنشر التعليم بين شباب الأمة من الجنسين، وأوضح أن الإسلام لا يقف موقفا سلبيا من تعليم المرأة وتنوير عقلها في إطار ما تجيزه الشريعة وتحض عليه من طلب العلم والمداومة على التعلم[٢].. وهي واضحة كذلك عند محمدعبده (ت:١٩٠٣م) الذي ألف كتابا سماه «الإسلام دين العلم والمدنية» للرد على أحد المستشرقين الذي ادعى على الإسلام -ظلما وبهتانا- أنه ضد العلم والعقل والتمدن، فانبرى الشيخ محمد عبده للرد عليه، ونجح في إبطال مزاعمه وتكميم أفواه مدرسته الفكرية التي كانت تروج لتلك الترهات والخرافات[٣].. وضرب ابن باديس (ت:١٩٤٠م) بسهم في تلك القضية حيث ركز على إبراز تفاعل الإسلام إيجابيا مع التفكير العقلاني الوسطي من خلال العديد من المؤلفات التي كتبها ونشرها. ثم جاء العقاد (ت:١٩٦٤م) فانبرى يبين الموقف الناصع للإسلام من عملية البحث العلمي والتفكر والتدبر وألف كتابا ذاع صيته وانتشر ذكره وتعددت طبعاته، ألا وهو كتاب «التفكير فريضة إسلامية»، وفيه ركز العقاد على أن القرآن الكريم لم يقف حجر عثرة في طريق إعمال العقل بل طالب الإنسان بالتفكر والتدبر والتأمل، وحضه على ذلك ودفعه إليه وطلب منه عدم تعطيل عقله خوفا من أي سلطة كانت، دينية أو دنيوية[٤].. وكشف العقاد عن مجالات العلم الذي يحض الإسلام المسلمين على تعلمه وطلبه فقال: «العلم الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي حياة أو غير ذي حياة»[٥].

وانطلاقا من هذا التوافق والاتفاق بين علماء الأمة القدامى والمحدثين حول مكانة العلم في الإسلام ظل الاجتهاد والتجديد سنة من سنن المسلمين الحضارية والثقافية عبر تاريخنا الطويل.

وخلاصة القول: إن الدين الإسلامي الحنيف أبعد ما يكون عن مناقضة العقل أو مخاصمة العلم لأنه اعتبر العقل أشرف الملكات الإنسانية وأسماها، ونظر إلى العلم باعتباره الأداة الرئيسة والأكثر فاعلية في إعانة الإنسان على تدبر حركة الكون وفهم قوانينه وصولا إلى الإيمان بوجود الخالق الأعظم الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا.. من هنا نؤكد أن الشرع والعقل متوافقان، ويتكاملان في بيان صدق القضية الإيمانية وصوابها.. أي إنهما بتعبير الغزالي نور على نور.

الهوامش

١- الغزالي. الاقتصاد في الاعتقاد. مكتبة الإيمان. مصر. الطبعة الأولى. ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م. جـ١. ص١١، ١٢.

٢- راجع في ذلك. الطهطاوي. المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين. تحقيق الدكتور محمد عمارة.

٣- انظر محمد عبده. الإسلام دين العلم والمدنية، وراجع أيضا. محمد عبده. رسالة التوحيد.
تحقيق. محمود أبو رية. دار المعارف. مصر.

٤- العقاد. التفكير فريضة إسلامية. دار الهلال. القاهرة. انظر ص١٨.

٥- المصدر نفسه. ص٦٠.

قضايا

د. ياسر مصطفى يوسف
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف



السطحية أزمتنا

للمسلمين كما غيرهم أزماتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، ويتشارك المسلمون مع من سواهم في بعض أو جل تلك الأزمات؛ نظرا لطبيعة الحياة والعصر الذي هم فيه جميعا، ولا يهمنا من أزمات الغير ومعرفتها والوقوف عليها إلا بمقدار ما يدفعنا إلى توقيها وتحاشيها وتجنبها، على ما يقول أبو فراس:

عرفت الشر لا للشر
لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر
من الخير يقع فيه[1]

على أن أزمة واحدة من تلك الأزمات هي قاسم مشترك بين الجميع، وهم مقتسم بين الكل، تحضر في شتى الشؤون، وتبرز من بين ركام كل القلاقل والمشاكل الحياتية، ألا وهي أزمة السطحية، وهي أوضح ظهورا وأقوى حضورا في حياة المسلمين من غيرهم، وهي العامل الرئيس في تأخرهم وتناحرهم وتدابرهم وطمع الأعداء فيهم، وعليه وجب التنبيه إليها، والتحذير منها، وبسط القول

في بذل العلاج لها.

إن السطحية اليوم تتجلى في كثير من أفعالنا وتصرفاتنا، وتتغلغل في كم كبير من شؤون حياتنا اليوم، وإليك بعض الأمثلة.

كثيرون منا يقرأون القرآن صباح مساء، ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار، ويؤدون الختمات ذوات العدد، ثم لا يرجعون من كل ذلك إلا بالثواب، وهو وإن كان مطلبا حقا وغاية حميدة إلا أنها لا تكفي، وهل أنزل القرآن فقط للتبرك به وطلب الثواب بقراءته أو رفعه على الرفوف أو إقامته بين الكتب في المكتبة؟ أليست هذه سطحية في القراءة؟ أليس قراءته قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات:١٢)، ثم وقوعه في لحم أخيه المسلم قطعا لطريق القرآن أن يكون فعالا في حياة الإنسان، أليس مروره على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٨)، ثم عدم تورعه عن أموال الناس -بفتوى أو غيرها- هو سطحية مقيتة في التعامل مع آي الكتاب.

أليس لي أعناق الآيات وتحميل عباراتها ما لا تطيق من تفسيرات وتأويلات وعدم اعتماد القواعد والضوابط المرعية في فهمه وتفسيره هو سطحية لا تأتي إلا بشر؟

العملية التعليمية تتمثل في كمية أو نوع المعلومات التي تساق للمتعلمين

وإذا انتقلنا إلى جانب العبادات وتناولنا أهم عبادة على الإطلاق وهي الصلاة، وجدنا أن السطحية تغتالها أيما اغتيال، وتجردها من فوائدها المتوخاة منها، وتجعل منها مجرد طقوس وحركات تؤدى ثم لا يلوي منها أو بعدها المصلي على شيء.

يدخل في الصلاة ثم يخرج منها كما دخل.. فلا هو طهر نفسه من أدرانها، ولا هو ارتقى بروحه في معراجها، ولا أكسب قلبه هدوءا من وجبة الحياة وضوضائها.. ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء المنكر فليست بصلاة.

وقل مثل ذلك في باقي العبادات، كالحج مثلا، فكثيرون ممن يحج بيت الله لا يعقلون الهدف المرسوم والموسوم من ذلك، ولا يدركون البعد الروحي لنسكه، فتراه أضعف وأوهى وأقل تمسكا بعد الحج -إلا ما رحم ربي- وما ذلك إلا لأن حجه كان صوريا، شكليا، سطحيا.

دعونا نتحول إلى جانب العلوم.. وهو هنا الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، على اعتبار أن العلم هو الوسيلة المتعينة إلى معرفة الله تعالى وعبادته حق العبادة، وهي بدون العلم محض أخطاء ومظنة ضياع.

علومنا اليوم متعددة، ووسائلها المساعدة من كتب ومؤلفات، ومعاهد وجامعات، ووسائل تواصل وما إلى ذلك، كثيرة ووفيرة، لكن تعاملنا معها قائم على أساس من السطحية.. سطحية التفكير، سطحية التعليم، سطحية التفعيل في حياتنا.

ثمة مشكلة عندنا في العملية التعليمية تتمثل في كمية أو نوع المعلومات التي تساق للمتعلمين على شكل وجبات سريعة أو أنها خالية من أي تعريف بحقيقتها، وعلى ماذا قامت؟ وكيف نشأتها؟ وبماذا توصلنا إليها؟ وأين ومتى نفعلها؟ إلى غير ذلك من الأسلحة الملحة التي بغيابها وفقد الإجابة عنها يقال فيها: إنها سطحية لا غير.

إن المعلومات التي تعلمناها في المدارس والجامعات وتلقيناها عن أشياخنا ومدرسينا -جزاهم الله عنه خير الجزاء- تحتاج إلى تجديد وإعادة نظر، بقصد التفعيل لا التعطيل، وإلا كان ذلك علما منسيا وفهما سطحيا.. ومن هنا قال أيوب السختياني: إذا أردت أن تعرف خطأ معلمك فجالس غيره[٢].

إن فقد الربط بين المعلومات السابقة واللاحقة يصيب المعرفة في مقتل، ويعدم فيها الرقي والبناء.

وبعض شبابنا اليوم يعانون من انفصام لا في الشخصية بل في الحصيلة المعرفية، فما تلقوه بالأمس لا يتوافق مع المعطيات التي على الأرض.

كما أن بعض باحثينا اليوم يبحثون في قضايا اجتماعية وسياسية وشرعية وغيرها، وهم مسوقون إلى ذلك بدافع غير واضح.. إنهم لا يعرفون ما يريدون، وبعضهم يكون محكوما بتصورات سابقة تعيق عملية الحكم الصحيح على المسألة المبحوثة، لا فرق بينه وبين آحاد الناس العوام الذين تتصرف المنتديات بعقولهم، وتتولى توجيه أفكارهم يمنة أو يسرة.



والدليل على رغبتنا الأكيدة في تناول الأشياء بالسطحية أن ثمة دعوات تتعالى هنا وهناك تنادي بضرورة القراءة السريعة، كحل وتشجيع على الإكثار من القراءة ومطالعة الكتب وزيادة منسوب الثقافة.

والحق أن هذه الدعوة لم تؤت أكلها ولم تجن ثمارها كما كان متوقعا لها من أهلها، بل أضرت الأمة -رغم نبلها- أكثر من أن تفيدها. فظهرت على السطح ثقافة سطحية مهزوزة غير مستقرة، ومعلومات غير مؤكدة، وحقائق غير مثبتة.

وعلى مستوى الدراسة الأساسية والجامعية أمست القضية لافتة للنظر، ومستدعية تحفزا وتفكرا وتأملا فيما تشتمل عليه من سلبيات لا تخفى على عاقل، فما يأخذه الطالب في تلك المراحل لا يعدو أن يكون أمشاجا من المعلومات، يحفل بها حتى حين، فإذا ما غادر الطالب قاعة الامتحان أرخى عليها سدول النسيان وأغلق دونها باب الاستذكار ونافذة الاستحضار.

وإذا ما برز هذا الطالب إلى الحياة العملية عانى وعانت الأمة من ورائه، لأنه سطحي في تعليمه، ضعيف في تحصيله، غير متمكن من معارفه استحضارا وتفعيلا، فكيف ينفع الأمة؟ لأن فاقد الشيء لا يعطيه[٣].

وإذا توجهنا صوب مشاكلنا الاجتماعية فإن الحديث هناك ذو شجى وذو شجون، فبمقدار ما هي -أي مشاكلنا الاجتماعية- كبيرة وواسعة وخطيرة ومؤثرة في تأخرنا ونهضتنا تكون دراستها ومعالجتها من قبلنا على جانب كبيرة من السطحية وعدم الفاعلية وعدم الجدية، ولعل مأتانا في ذلك من قبل ضعف الإحساس بخطورة الوضع أو قلة المعلومات وضعفها بين أيدينا.

نقرأ في الصحف ونطالع في وسائل الإعلام حديث أصحاب الشأن عن ارتفاع نسب الطلاق في المجتمعات الإسلامية، ويتحفوننا بالأسباب التي تؤدي إلى ذلك، ويعرضون قراءاتهم في ذلك، وهم مشكورون عليه. إلا أن كل ذلك لا يعني حتى الآن غوصا في عمق المشكلة، ولا يستحق أن يسمى بعد ذلك وصف دواء لداء.

إن المسألة أعظم من عدم توافق الشريكين، وأبعد من تدخل أهل كل منهما في مشاكلهما.. إنها تتمثل في ضعف الصلة بالله الذي ينعكس على علاقة الزوجين ببعضهما البعض. أو لم يقل بعض السلف رضي الله عنهم: «إني لأرى أثر معصيتي على زوجتي ودابتي وخادمي».

إن التفكير السطحي الغالب على حياتنا يحضر في مسألة اجتماعية خطيرة أخرى، وهي انصراف الأبناء عن دراستهم، وزهدهم في أهليهم، وانقطاعهم عن العبادة، وانشغالهم

بما لا ينفع من الملاهي.. هذا ونحن لم نتحدث بعد عمن ارتهن منهم لرفقاء السوء، وارتمى في أحضان المخدرات.

يأتي علماء الاجتماع وغيرهم ليمتعوا عقولنا بقراءات فذة، ويملوا علينا تفسيرات أقل ما يقال عنها: إنها سطحية، مكرورة، مملة، غير معمقة. في الجانب الاقتصادي يبقى الانحدار مستمرا ومتمثلا في سطحية القراءة وهشاشة التحليل؛ لأنه لا يقوم على قراءة سليمة للوقائع الاقتصادية، ولا ينطلق من رغبة أكيدة في دفع عجلة الإنتاج، وتقليل نسب البطالة، وفتح أبواب من العمل جديدة.

إن من السطحية في ذلك رمي الأخطاء على الآخرين وتحميلها الأسباب والمسببات، وذلك لا يحل مشكلة، ولا يسمن ولا يغني من جوع.

أيها السادة:

أبعدوا عنا المنظرين، ودعونا من السطحيين، في قراءاتهم، في تفكيرهم، في تحليلهم، في مباشرتهم للأفعال.

إياكم من السطحية.. إن على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات، فوجود منخفضي الفكر وضعيفي الربط يزيد المشكلة تعقيدا.

إن السطحية بؤرة فيها كل المضار، وهي دهليز إلى التدليس وتسور الحقائق، وانقلاب على الصورة الصحيحة للحياة، على ما قال البحتري:

إذا ما الجرح رم على فساد
تبين فيه تفريط الطبيب[٤]

إن تساهلنا مع السطحية سيودي بنا في النهاية إلى درجة من الفساد لا ينفع معها التقويم، فلنحذر ذلك.

إن استمرارنا للسطحية بقصد أو دون قصد سيبلد تفكيرنا وإدراكنا،

نحن نرجو العثور على من يتغلب على عادة التفكير العادي التقليدي

ونمسي لا نعرف معروفا ولا ننكر منكرا، وقد حكوا أن رجلا قرأ على الأصمعي فجعل يغلط، والأصمعي ساكت لا يرد عليه، فقيل له: لم لا ترد عليه، فقال: لو علمت أنه يفلح لرددت عليه.

نحن اليوم بأمس الحاجة إلى أناس ذوي تفكير عميق؛ لا يكتفون بنظرة واحدة، ولا يعتمدون على إحساس أولي، ولا يقنعون بقراءة عابرة للأحداث.

نحن مفتقرون إلى من يغوص في أعماق الحس والمعلومات، ويوجد ربطا محكما ووثيقا بين المقدمات والنتائج.. بين الأسباب والمعطيات.

نحن نرجو العثور على من يتغلب على عادة التفكير العادي التقليدي، متسلحا في ذلك بكثرة التجارب وبعد النظر وصدق المحاولة والرغبة الأكيدة في تجاوز المرحلة، فهل نوفق إلى ذلك؟

ولعل القارئ يقول: قد صدعت رؤوسنا بحديثك عن السطحية، فكيف نتفاداها ونتوقاها؟ وإنني لن أكثر في بسط الحلول للخروج من بؤرة السطحية، بل سأجمل ذلك فيما يلي:

إن للخروج من عباءة السطحية خطوات خمس جادة تتمثل في:

١- معرفة مكمن الخطأ، وقد قيل: «إن معرفة المشكلة ومكانها نصف الطريق إلى حلها»، وكثيرون لا يعرفون أنهم في مشكلة، ويعانون في ذلك من جهل مركب كجهل توما صاحب الحمار القائل:

قال حمار الحكيم توما
لو أنصفوني لكنت أركب
لأنني جاهل بسيط
وراكبي جاهل مركب[٥].

٢- تصور المشكلة تصورا واقعيا، وقد قال علماء الأصول: الحكم على الشيء فرع عن تصوره[٦].

٣- الاستماع إلى الأفكار المطروحة.

٤- سبر وتقسيم تلك الأفكار.

٥- اعتماد القطعي منها.

أرأيتم كيف حضر علم أصول الفقه معنا هنا؟ وهل علمتم جدية المرض الذي يفعل فعله في مفاصل حياة مجتمعاتنا؟ فلنعمل إذن على تدارك الأمر قبل فوات الأوان.

الهوامش

١- ديوان أبي فراس الحمداني (حسب الرواية المغربية) من إعداد الدكتور محمد ابن شريفة، طباعة مؤسسة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري، طبعة عام ٢٠٠٠م، ص:٢٨٤.

٢- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الذهبي، بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م، ٦١٨/٣.

٣- فصول في الثقافة الإسلامية الفاعلة، تأليف الدكتور ياسر مصطفى يوسف، طبعة خاصة عام ٢٠١٩م، ص:١٢٣.

٤- ديوان البحتري، طبعة دار صادر، عام ١٩٦٢م، من قصيدة أولها:

أمنك تأوب الطيف الطروب
حبيب جاء يهدى من حبيب، ٤٤٠/١.

٥- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، تأليف: شهاب الدين الحسيني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ٢٩٧/٣.

٦- شرح الكوكب المنير، لابن النجار الحنبلي، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ٥٠/١.



د. إسماعيل عبدالفتاح
أكاديمي تربوي



شبكات التواصل الاجتماعي

وصفة لعلاج سلبياتها

شبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت لها أهمية بالغة في حياتنا المعاصرة، ومن هنا كان التساؤل الرئيسي لأفضل كتاب اختير في معرض القاهرة الدولي للكتاب عن شبكات التواصل الاجتماعي[١]، وهو: هل تهدد شبكات التواصل الاجتماعي والإنترنت الأمن القومي والإنساني؟! وكانت الإجابة من خلال صفحات الكتاب، حيث قدمت وصفة عربية كاملة لحماية مجتمعاتنا وأبنائنا من التأثيرات السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي والإنترنت، نوضحها من خلال صفحات مجلة «الوعي الإسلامي» الواسعة الانتشار. ولم لا؟! فالإعلام نافذتنا على العالم وعلى المعلومات وعلى البيانات والإحصاءات، وهو وسيلة جيدة للترفيه عن الوجدان، ولذلك له آثار عديدة على النفس والسلوكيات والوجدان والعقل أيضا.

ومن أهم آثاره تأثيره الرهيب على الأمن، فالأمن هو المحك الرئيسي لكل العمليات الأخرى، اجتماعية وسياسية واقتصادية ومعلوماتية وترفيهية بمختلف الجوانب، فإذا تأثر الأمن اختل النظام العام سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ولذلك فدور الإعلام الرئيسي هو: الحفاظ على أمن المجتمع والمواطن، وعدم التأثير السلبي على الأمن والاستقرار بأي صورة وبأي شكل. كما أن الإعلام البديل، كالإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، بصفتها شكلا جديدا وحديثا وحيويا للإعلام وللاتصال، له أهمية قصوى في مجال أمن المجتمع والأفراد والشعوب والدول.

- ولا يخفى على أحد في العالم أجمع أهمية الإعلام الجديد أو البديل في ترسيخ الأمن بمفهومه الشامل، والبعد عن الممارسات التي تؤثر بالسلب على الأمن الوطني أو القومي أو الشخصي أو الفردي، فهو ضرورة اجتماعية، وذاك منطلق أساسي للنظام العام، وتلك أساليب

الرقابة قد ابتكرت لحماية السلم والأمن للفرد والمجتمع من أي أخطار تهدده.

- والشبكات الاجتماعية عبارة عن خدمة شاملة تتيح للمتعلم مشاركة الأنشطة والاهتمامات وتكوين صداقات، والبحث عن اهتمامات وأنشطة لدى متعلمين آخرين، بالإضافة إلى تقديمها مجموعة من الخدمات، مثل: المحادثة الفورية، والرسائل الخاصة، والبريد الإلكتروني، والفيديو، والتدوين، ومشاركة الملفات.. وغيرها من الخدمات، فالمواقع الإلكترونية الاجتماعية على الإنترنت تعتبر الركيزة الأساسية للإعلام الجديد أو البديل[٢]، التي تتيح للأفراد أو الجماعات التواصل فيما بينهم عبر هذا الفضاء الافتراضي، فهي إعلام من نوع جديد وبديل عن الأنساق الاتصالية القديمة، أو هي بمنزلة نسق اتصالي جديد يتناسب مع الطريق السريع للمعلومات والسماوات المفتوحة وعالم العولمة، إنه إعلام العصر الجديد المعاصر، فهو طريق جديد وبديل للإعلام التقليدي[٣].

- أما عن أهمية شبكات التواصل الاجتماعي[٤]، فتتعدد ويمكن إيجازها فيما يلي: أنها شبكات عالمية، وفرضت نفسها - وبقوة - داخل المجتمعات العربية خلال السنوات العشر الأخيرة، كما أن أغلبها متاح للجميع وبالمجان، وأنها صممت أساسا لتكون سهلة الاستخدام ومن دون تعقيدات. وعملت على تكوين مجتمعات افتراضية جديدة. وأنها جمعت لأول مرة بين النص المكتوب والمقطع المرئي، ثم عملت على تحويل المستخدم لها من متلق للمعلومات، كما في وسائل الإعلام التقليدية، إلى منتج للمعلومات ومشارك فيها.

والكثير من الشباب يستخدمون هذه الشبكات للدردشة، ولتفريغ الشحنات العاطفية، ويتبادلون وجهات النظر الثقافية والأدبية والسياسية عبر تلك الشبكات. فهي مصدر جديد وجيد للحصول على المعلومات. ويستخدمها من يشاء لنشر الأخبار والآراء بشكل حر للتعبير عن وجهات نظره بعيدا عن مقص الرقيب، بل يمكن الاستفادة منها في العديد من الخدمات التعليمية والثقافية والإخبارية، وهي بمنزلة سجل أرشيفي موثق عبر شبكة الإنترنت، يمكن الاستفادة منه في توثيق المعلومات بالصوت والصورة.

- وهناك سلبيات تجعل هذه الشبكات تؤثر على الأمن: ومنها[٥]: الإدمان، فعندما يعتاد الشخص على استعمالها يصاب بالإدمان، وبالتالي تسبب له في وقت لاحق «أمراضا نفسية عصرية»، من: قلق وعدم استقرار وحيرة وعصبية.. وغيرها. وتبني عادات ومعتقدات غريبة عن مجتمعنا العربي والإسلامي؛ فالشباب إذا تعطلت هذه الشبكة أو توقفت لفترة معينة سيفقدون تركيزهم ويبقون قلقين إلى أن يعود الوضع كما كان عليه، وهنا يكمن الخطر. كما أنها تسبب الانعزال عن العالم الواقعي، فمع تزايد استخدام الشبكات الاجتماعية قلت الحاجة إلى التعامل مع الناس على أرض الواقع، وهذا قد يفقد المستخدمين الكثير من مهارات التواصل مع المجتمع ومع الناس من حولهم. وتؤدي إلى التحريض على الشجار والخلاف والنزاع، ويصل الأمر إلى التهديد والقتل. وتساعد على انتشار الفساد وزرع القيم الفاسدة والإباحية عن طريق أناس يريدون نشر القيم الفاسدة والأفكار الخاطئة وغيرها. لذلك يجب أن نربي أبناءنا على القيم النبيلة وتحصينهم فكريا وروحيا وسياسيا ودينيا. ولابد من مقاومة المحتوى الإباحي للإنترنت ولجميع شبكات التواصل الاجتماعي كما قامت بذلك كل دول العالم الغربي والشرقي المتقدم والنامي[٦]. ومن السلبيات هدر الوقت، حيث يقضي الشباب جل وقتهم على الشبكات من دون أي فائدة ويتخلون عن: واجبات مدرسية، واجبات جامعية، طاعة الوالدين، واجبات تتبع للعمل وغيرها. وكذلك تؤدي إلى مشاكل زوجية متعددة لبعض الأمهات أو الآباء. ومن السلبيات أن هذه البرامج تنقل البيانات عبر الإنترنت، وبالتالي فهذه البيانات يمكن قراءتها ومعرفة الرسائل والتجسس عليها من قبل الهاكرز وشبكات الاتصال وأجهزة الأمن بسهولة جدا.

- ومن المشكلات السلبية التي تشكلها هذه الشبكات[٧]: الانعزالية، كما أن الإنترنت تشكل بيئة سهلة لإنشاء المعلومات ونشرها من دون معرفة من كتبها، وهذا شجع على إثارة النعرات، وكذا تسهيل التوجه اللاأخلاقي فرديا، كما أن التعامل الفردي مع الإنترنت يؤدي إلى حالات من الاستخدام غير السوي، وذلك مع ازدياد حالات استغلال الأطفال واليافعين. كما تساعد الشبكات على نشر الشائعات، وأحيانا تنشر صورا معدلة يكون فيها الجسد لشخص والرأس لشخص آخر باستعمال

برامج تحرير الصور. وسهلت إدمان اللعب، وسهلت من عملية تزوير المعلومات وكذلك سرقة المعلومات والاستخدام غير المأذون، كما سهلت الغش في المدارس والجامعات، كما سببت مشاكل في حماية الإنتاج الفكري، وتيسر عملية نشر التوجهات الاجتماعية المرفوضة، وتيسر عمليات الاحتيال، ومنها: الاحتيال الصحي بترويج أدوية أو علاجات مشكوك في أمرها، أو المبالغة في تأثيرها، والاحتيال التجاري. ومن أبرز السلبيات غياب الرقابة وعدم شعور بعض المستخدمين بالمسؤولية. وهناك بعض النقاشات التي تبتعد عن الاحترام المتبادل وعدم تقبل الرأي الآخر. ومن السلبيات ظهور لغة جديدة بين الشباب بين العربية والإنجليزية من شأنها أن تضعف لغتنا العربية وإضاعة هويتها، وانعدام الخصوصية الذي يؤدي إلى أضرار معنوية ونفسية ومادية.

- ولا بد أن نستفيد من الإيجابيات ونتفادى السلبيات حتى ننعم بذلك التواصل من دون مشاكل أو آثار قد تعود بالضرر علينا، وخصوصا الأضرار الأمنية.

- ولما باتت شبكات التواصل الاجتماعي جزءا لا يتجزأ من حياتنا، فلا نستطيع أن نسمح للأبناء باستخدام هذه الشبكات من دون قيود. فمن الممكن استخدام الشبكات التي تشفر البيانات المرسلة عبر الإنترنت، مع الرقابة على الأبناء حين يستخدمون هذه الشبكات وتحديد وقت الاستخدام والمحتوى الذي يشاهده الأبناء للاستفادة منها بأكبر قدر مستطاع، وأن نجتنب الأفكار الفاسدة وأصدقاء السوء لكي لا يفسدوا حياتنا. والتأكيد على عدم الاستعجال بالرد والمشاركة والتفكر قبل الوثوق. إن ما يصلح على أرض الواقع من أخلاقيات يصلح أيضا في العالم الافتراضي؛ فهذا نداء مهم لكل أب وأم، ولكل معلم ومعلمة، ولكل مرب ومربية، وكل مسؤول تربوي أو إعلامي أو أمني، ولكل المسؤولين عن الشبكات الاجتماعية: عليكم بتربية أبنائكم وبناتكم على القيم الصالحة والأخلاق النبيلة وعلى كيفية استخدام شبكات التواصل الاجتماعي إيجابيا لكي لا ينجرفوا ويفسدوا فكريا وأخلاقيا واجتماعيا.

- وعن الإجابة عن السؤال الذي بدأنا به: هل تهدد شبكات التواصل الاجتماعي الأمن القومي والإنساني؟! نعم! نجد أن كل ما ينتج على الإنترنت ومن تقنياته قد يمثل تهديدا للأمن القومي، وهذا لا يقتصر على شبكات التواصل الاجتماعي فقط، فيمكننا شيطنة الإنترنت، بل يمكننا شيطنة الهاتف، وقد حدث ذلك بالفعل من قبل. يمكننا أن نجد مبررا لكل ما نعتقده، هل هناك تأثير؟ نعم. هل هناك تهديد أمني؟ نعم، وتجربة الإمارات العربية المتحدة في دخولها لشبكات التواصل الاجتماعي عبر مؤسساتها الرسمية بصورة فعالة هي النظرة إلى الحقيقة رغم ما يراه البعض تهديدا أمنيا. فلا تهاون في حق المجتمع وحق الشعب وحق الدولة في العيش آمنين مستقرين في حياتهم العامة والخاصة، فالحرية أن تلتزم بالمبادئ الشرعية والقانونية التي تعيش في إطارها. نعم، إننا مع إجراءات الحماية الأمنية للمجتمع من مخاطر الإعلام البديل أو الجديد (النت وشبكات التواصل الاجتماعي)، وفقا لمعايير حرية الإعلام وعدم الاعتداء على الخصوصية، وباستخدام الأدوات التقنية الإلكترونية الحديثة للحماية والفلترة والمراقبة، فمن يخاف من المراقبة هو ذاته الذي يهدد الأمن، ومن يخاف من الحماية والفلترة هو ذاته الذي يحب أن يلعب في الظلام.. كل ذلك بالشرع والقانون.

- ومن هنا نصل إلى العلاج الذي يحمينا من المخاطر السلبية للشبكات:

١ - يجب استخدام كل النظريات الإلكترونية والعلمية والتقنية الخاصة بالحماية والفلترة لحماية شبكات التواصل الاجتماعي من العبث بأمن الوطن والمواطن، مع التأييد التام لخطوات وزارات الداخلية العربية في ذلك، اقتداء بالدول الكبرى التي سبقتنا إلى ذلك.

٢ - وضع ميثاق شرف لحماية المجتمع، وآخر لحماية الأطفال من مخاطر شبكات التواصل الاجتماعي، أسوة بميثاق الشرف العربي حول الفضائيات.

٣ - عدم الخوف من صيحات أصحاب الحنجرة العالية التي تطلب الحرية المطلقة للإعلام التقليدي والبديل، والرد عليهم بقوة بتجارب أميركا وإنجلترا وبقية الدول.

٤ - الاستعداد الدائم من جهاز خاص يتبع الإعلام الأمني في الرد الفوري على شبكات التواصل الاجتماعي على كل ما يهدد الأمن الشخصي أو الفردي أو الاجتماعي أو الإنساني أو الوطني أو القومي، من متخصصين من مختلف التخصصات، لدرء أي خطر وللقضاء على الإشاعات والقضاء على التهديدات، على أن تمثل كل الجهات الوطنية في هذا المكتب.

٥ – أهمية وجود رقابة دقيقة وذكية من جانب أولياء الأمور، خصوصا في ما يتعلق بشبكات التواصل وإجراء حوارات هادئة بين الأب والأم والأبناء لمتابعة شؤون الأسرة، إلى جانب ضرورة تواصل الأسرة مع الشرطة فور تعرضها لأي نوع من أنواع الابتزاز(٨).

٦ – ضرورة التعريف أكثر بأهمية الشبكات الاجتماعية، عن طريق عقد اللقاءات والمؤتمرات لذلك، لأن الإعلام عن المخاطر والسلبيات، بجانب الإيجابيات، يزيد الوعي بالاستخدام الآمن لهذه الشبكات، مما يزيد من قدرة الفرد على التعامل الإيجابي معها ومع ما تبثه.

٧ – تضمين المقررات التعليمية المختلفة أهمية شبكات التواصل الاجتماعي والتحذير من مخاطرها، وكيفية التعامل مع محتوياتها، خصوصا الخطرة منها.

٨ – ضرورة استخدام أجهزة الحماية والاسترداد.

٩ – توجيه الدعوة إلى وزارات الأوقاف والدعوة في الدول العربية من أجل إلزام الدعاة بمخاطبة الناس بـ«اللين والحسنى» عن أهم الاستخدامات السيئة للشبكات الاجتماعية.

١٠ – ضرورة سن القوانين والتشريعات، التي تجرم الاستخدام السيئ للشبكات الاجتماعية.

١١ – ضرورة تشجيع الباحثين وطلاب الدراسات العليا على إجراء المزيد من الأبحاث والدراسات عن مختلف شبكات التواصل الاجتماعي وتأثيراتها المختلفة على الفرد والمجتمع.

١٢ – تشجيع الشباب على ابتكار شبكات تواصل اجتماعي عربية، تهدف في المقام الأول إلى خدمة الشباب العربي، مع رصد مكافآت مالية كبيرة لتشجيع الشباب على الابتكار.

١٣ – وفي مجال التأثير الحي للسياسات الإعلامية على أمن الفرد والوطن نرى ما يلي:

أ – إعادة النظر في السياسات الإعلامية المعاصرة، والعمل على إعادة صياغة تلك السياسات لتكون مرتكزة إلى العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم والسنة النبوية، وأن يعاد تأصيل سماتها وأهدافها ووظائفها استعدادا لتطبيق النظام الإسلامي المتكامل العادل، الذي يشمل النظام الإعلامي في الإسلام، الذي يحترم الحق في الخصوصية والحرية المسؤولة للإعلام.

ب – التوصية بإعادة تأهيل كوادر الإعلام من إذاعيين ومقدمي برامج وفنيين ومنتجين وكتاب تأهيلا مركزا ليكونوا مصلحين ورجال دعوة وسياسة من الدرجة الأولى ليقدموا رسالتهم الإعلامية الإسلامية الشاملة في شتى ميادينها على أكمل وجه.

ج – قيام أهل الاختصاص باستكمال ما بدأنا به، حيث إن الموضوع بحاجة إلى قدرات وطاقات كبيرة متخصصة لإنضاج وتجهيز السياسات والبرامج المؤصلة شرعيا إلى أن تتحد هذه الطاقات في أيد صاحبة صلاحية لإخراج هذه السياسات والبرامج إلى واقع التطبيق.

ونكتفي بهذه الروشتة الحيوية، التي يطبق كثير من الدول العربية بعض مبادئها، ولكن ندعو إلى التعاون والتكاتف العربي من أجل التطبيق العملي والعلمي الكامل لتلك الحماية.

الهوامش

١ – الكتاب الفائز كأحسن كتاب ٢٠١٦م ووزعت الجائزة في حفل ختام معرض القاهرة الدولي ٢٠١٧م، هو كتاب: الدكتور إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي، شبكات التواصل الاجتماعي وتأثيرها على الأمن القومي والإنساني، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٦م، الروشتة لعلاج السلبيات في صفحات ١٤٠–١٤٢.

٢ – علياء سامي عبدالفتاح، الإنترنت والشباب: دراسة في آليات التفاعل الاجتماعي، سلسلة اتجاهات حديثة في الإعلام، القاهرة، دار العالم العربي،٢٠١١م، ط٢، ص:٢١ وما بعدها.

٣ – راجع: شريف درويش اللبان، مداخلات في الإعلام البديل والنشر الإلكتروني على الإنترنت، سلسلة اتجاهات حديثة في الإعلام، القاهرة، دار العالم العربي، ٢٠١١م، ص:٤٩ وما بعدها، وص:١٠٠ وما بعدها.

٤ – راجع: صفوان علي السلمي https://etec٣٣١.wordpress.com/٢١/٠٤/٢٠١٣/

٥ – راجع: علياء سامي عبدالفتاح، الإنترنت والشباب، مرجع سابق، ص:٨٧-٨٩.

٦ – راجع: دينا عمر فرحان مرعي، مكافحة المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت: المشكلة والتأثير وأساليب المكافحة، سلسلة اتجاهات حديثة في الإعلام، القاهرة، دار العالم العربي، ٢٠١٣م، ص:١٥٢ وما بعدها؛ وراجع آليات وتشريعات وإجراءات مكافحة الإباحية الإلكترونية في الدول الغربية (ص:٢٧٤ وما بعدها)؛ وفي الدول العربية (ص:٣٠١ وما بعدها).

٧ – راجع : موقع عبدالله سالم فواز المالكي؛ وأيضا موقع http://shbakat١.blogspot.com

٨ – توصيات اللقاء الموسع حول «الآثار الإيجابية والسلبية لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي» بمناسبة الأسبوع العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة، بالتعاون مع مركز الدراسات النسوية في نابلس؛ راجع: https://www.nablustv.net/internal.asp?page=details&news



فاطمة الشيباني
باحثة تربوية



ثقافة التسامح والوئام

كتاب «خطاب الأمن في الإسلام وثقافة التسامح والوئام» لعبدالله الشيخ المحفوظ ولد بيه، صدر عن أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية - الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٩، عدد الصفحات ١١٦ صفحة.

لا يختلف اثنان في أن التسامح يعد مطلبا لدى مختلف دول العالم خصوصا تلك التي تعيش حالة عدم الاستقرار وكل أشكال التدمير، تدمير البنيان والإنسان، ولأهمية ذلك ارتأيت التوقف مع هذا الكتاب القيم، خاصة وأن صاحبه يعد من أبرز علماء ودعاة التعايش بين الأديان والحضارات.

في الفصل الأول المعنون بـ «مصطلح الأمن» توقف فيه الشيخ ولد بيه مع مصطلح الأمن ومعناه ضد

الخوف، وهو عدم توقع مكروه في الزمن الآتي. وقد اعتبر الشيخ أن أول شرط ليذوق الإنسان طعم الحياة الاجتماعية أن يكون آمنا في مجتمعه يمكن أن يتبادل المنافع بيعا وإجارة وغيرها. كما ذهب إلى أنه في جو الأمن تتبلور المواهب ويجد الفكر الإنساني فرصة سانحة للإبداع. وهنا يخلص إلى أن الأمن كفيل بإعطاء البلاد المناعة وضمان استقرارها الذي يعتبر ضرورة حيوية، فبدون الاستقرار لا يمكن لأي بلد أن يحقق نموا اقتصاديا متوازنا ولا يمكن أن تكون له جاذبية على المستوى الاقتصادي.

وفيما يخص الفصل الثاني الذي يحمل عنوان «الأمن الثقافي» يرى الشيخ ولد بيه أن الأمن الثقافي للمجتمع يعني وجود قيم وتصورات تفرز ضوابط سلوكية من شأنها أن تشبع الأمن في النفوس وتجافي الجنوح في العنف. يقول موضحا ذلك «إن الأمن الثقافي هو اتخاذ السبل والتدابير بكل الوسائل التثقيفية وفي مقدمتها التعليم والتربية والإعلام الجماهيري لإيجاد تلك القيم والتصورات لضبط، وكبح جماع النفوس الميالة إلى العنف، وترجيح كفة التسامح، وحسن تقبل الغير، وباختصار إيجاد الروح الاجتماعية والتعايش البناء بين أفراد المجتمع، كما يعني وجود ثقافة لدى أفراد مجتمع ما تساعد على الأمن والطمأنينة، وهو بذلك يقابل ما يسمى بثقافة العنف».

وقد قدم الشيخ ولد بيه توجيها مهما، وهو أن الأدوات والآليات التي ترسخ ثقافة الأمن لا ينبغي أن تكون موسمية، بل يجب أن تكون دائمة ومستمرة لبلورة ثقافة تصالحية ومتفتحة تدمج العناصر الإيجابية المستوردة بالموروث الثقافي في تكامل وانسجام لا تصادمي -حسب الإمكان- في مواءمة بين العراقة والمعاصرة وبين القديم والحديث لتصل الأمة إلى تجديد ليس مرادفا للتدمير ولا الانسلاخ، بل هو تطور واع.

وتمحور الفصل الثالث حول موضوع «التشريع الجنائي الإسلامي» بعد حديث عن التقاليد والأعراف لدى الأمم السابقة، تحدث عن الأمة الإسلامية التي تلقت الشريعة الخاتمة والتي حباها الله بنظام شامل كامل في أصوله دقيق في فروعه وتفاصيله فنظم الحياة الإنسانية أروع تنظيم ورتبها على أحسن نسق فكفلت الحقوق وحددت الواجبات فقامت العدالة على سوقها.

ويرى الشيخ ولد بيه أن من أهم النظم الاسلامية، نجد التشريع الجنائي الذي كفل حياة آمنة حماية ووقاية حماية للمجتمع من شر الإجرام، ووقاية له من الجريمة، وإصلاحا للمجرم نفسه، فكانت العقوبات في كل نوع من الجرائم متناسبة مع آثار الجريمة على المجمع ومتوازية مع درجة الضرر اللاحق بالفرد والجماعة في تسلسل رائع وسلم متدرج ونظام لا يحيف ولا يطغى.

أما فيما يتعلق بالفصل الرابع تناول فيه موضوع «الحيز الجغرافي الآمن»، لقد بين الشيخ ولد بيه أن الدين الإسلامي لم يكتف بالأمن بالنسبة للأفراد والجماعة، ولكنه قرر إيجاد حيز جغرافي آمن يكون قاعدة لممارسة شعائر هذا الدين وحده وبخاصة شريعتي الحج والعمرة. فالذي لا خلاف فيه هو أنه لا يتصور أن يتم الحج في ظل الفوضى ولهذا دأب النبي ﷺ وخلفاؤه على قيادة الحج بأنفسهم أو تعيين من يقوده حيث يحج الناس.

وأما الفصل الخامس والأخير فقد تحدث فيه الشيخ بن بيه عن «صعوبة الحفاظ على الأمن في هذا العصر» لكون هذا العصر يعرف اضطرابا وتجاوزات غير مألوفة، الأمر الذي يحتم على مسؤلي الأمن اليقظة لمواجهة هذا الاضطراب.

وهنا يرى أنه لابد من اتفاقيات الأمن الاجتماعي والذي يعني التزام أطراف متعددة بالتضامن لحماية أمنها جميعا، وهو تقليديا يعني أن يوقع طرفان فأكثر على اتفاقية عدم اعتداء أي منهما على الآخر، ثم يوقعان على اتفاقية بالتزام كل منها بالدفاع عن الآخر إذا تعرض إلى اعتداء من أي جهة أخرى. ويكون ذلك بتبادل المعلومات الأمنية والدفاعية، وكذلك تبادل المعلومات الاستخبارية حول أنشطة العدو المحتمل والتنسيق في كل ما يحقق الأمن والاستقرار.

ختاما؛ يمكن القول إن تحقيق التعايش بين الجنس البشري رهين بوجود قيمة ذات أهمية كبرى وهي قيمة التسامح، فبدونه ستعم الفوضى هنا وهناك مما يخلق قلقا لدى البشرية جمعاء، ومن هنا نؤكد على أن التسامح كان وسيبقى الوسيلة الأنجع للوقوف في وجه كل ما من شأنه تفكيك تماسك المجتمعات والدول.



أحمد منصور
باحث في التربية وديداكتيك اللغة الإنجليزية

الجودة في انتقاء المدرسين



لا يختلف اثنان على الدور الرئيسي المنوط بالمنظومة التربوية والتعليمية في تحقيق الرقي للمجتمعات العربية والإسلامية كافة، وتنمية رأس المال البشري والمشروع الإصلاحي الثقافي والحضاري، إذ لا تتحدد مكانة الدول إلا بمقدار ما تملكه من المعرفة والعلم وكيفية تسليمها إلى الأجيال اللاحقة من أجل مواجهة تحديات العصر.

ويتطلب إنجاح هذا المشروع مدرسين حاملين لمشعل التغيير ورافعين لمكانة المهنة، يتم انتقاؤهم وفق معايير الجودة والإتقان. لأن المدرسين ذوي الجودة العالية يؤثرون إيجابيا وبشكل عميق على أداء المتعلمين وتحصيلهم الدراسي، وذلك جنبا إلى جنب مع سماتهم الشخصية والعوامل السوسيو-اقتصادية والبيئة والأقران وغيرها.. واستنادا إلى دراسة أجراها «هاتي» (٢٠٠٩م)[1]، فإن خصائص المدرس تحدث تغيرات كبيرة في التحصيل الدراسي للمتعلمين بنسبة ٣٠ في المئة.

وعامة، يتم انتقاء المدرسين اعتمادا على المعدلات التي حصلوا عليها في المراحل التعليمية التي تسبق ولوجهم إلى مراكز التكوين أو الجامعات المهنية المتخصصة. وتشترك مجموعة من الدول على الصعيد العالمي والعربي في الغالب في اعتماد مقاييس ومعايير متقاربة تضم القدرة المعرفية والمعدل التراكمي والشخصية والاختبارات الكتابية والمقابلات. وغالبا ما يسقط الساهرون على عملية انتقاء المدرسين في الذاتية والعمومية، أي أنهم يعتمدون بالأساس على خبراتهم الشخصية السابقة في المجال في تحديد الأداء الوظيفي للمترشح وسمات شخصيته خصوصا في المقابلات، كما أن المعدلات المحصلة المعتمدة لا ترسم صورة واضحة حول إمكانية النجاح والجودة في التدريس.

وفي ذات السياق، أثبتت دراسة «إلينور» (٢٠١٥م) أن المدرس الفعال يتوفر فيه صفات متميزة ترتبط

بالبنيات السيكولوجية من قبيل القدرة المعرفية أو الذكاء، والانبساطية، والمقبولية الاجتماعية، ويقظة الضمير، وتنظيم الذات، والمرونة[٢]. وإذ تهدف هذه الورقة إلى المساهمة في فهم هذه البنيات التي تميز المدرسين ذوي الجودة العالية، وعلاقتها بمهنة التدريس اعتمادا على مجموعة من الدراسات[٣]، وتحديد خارطة طريق أولية في انتقاء المدرسين.

القدرة المعرفية أو الذكاء

بنية سيكولوجية تصف مهارات الشخص الأساسية العقلية أو الدماغية، وهي عموما تضم التخطيط وحل المشكلات والتفكير المجرد وسرعة التعلم والتعلم من التجارب. وتشمل مجالات رئيسية: القدرة الحسابية (حل المشكلات الرياضية والاشتغال بالأعداد)، والقدرة اللفظية (حل المشكلات اللغوية من فهم لمعاني الكلمات واستخدامها بفاعلية وفهم المعلومات التي تعتمد لغة المنطق)، والقدرة الكمية (معالجة المعلومات كميا) والقدرة الاستدلالية (تطوير مهارة التفكير المنطقي اعتمادا على الاستدلال الاستنباطي والاستقرائي)، والقدرة الفضائية (التفكير المجرد وحل المشكلات البصرية)، ونضيف أيضا، على سبيل المثال، تحكم المدرس في الإستراتيجيات الفعالة وبيداغوجيا التدريس والقوانين المنظمة للمهنة. وعموما فإن الشخص الذي يتفوق في هذه الاختبارات يحصل على درجات عالية من القدرة المعرفية.

وقد أثبتت مجموعة من دراسات «إلينور» وآخرين (٢٠١٥م) أن المستوى المعرفي هو السمة الأكثر أهمية في انتقاء المدرس، كما أن هناك ارتباطا وثيقا بين القدرة المعرفية للمدرس وتعلم المتعلم وإنجازاته، وبالمقابل فإن المدرس الذي يعاني ضعفا على مستوى القدرة المعرفية يؤثر سلبا على أداء المتفوقين (Wayne & Youngs, ٢٠٠٣ ; Gronqvist & vlachos, ٢٠٠٨)، إذ إن الدول التي تحتل المراتب الأولى في التعليم، مثل كوريا الجنوبية وفنلندا وسنغافورة وهونغ كونغ توظف مدرسيها من الثلث الأعلى من خريجي المدارس[٤].

الانبساطية

وهي عنصر أساسي من شخصية المدرس الناجح وتعني نزعته ليكون اجتماعيا وحنونا وحيويا ومتحمسا وواثقا. ففي معظم الأحيان يتفق المتعلمون على أن المدرس الذي يحظى بشعبية كبيرة يتميز بالدفء وروح الدعابة والحماس. وعامة، يوظف مفهوم الانبساطية في مقابل الانطوائية، وهي لا تعني بالضرورة المبالغة في الاعتماد على العالم الخارجي. غير أن المدرس الانبساطي يشحن قواه الدافعة من متعلميه وزملائه في العمل، ولا يخاف أو يخجل من التحدث في تجمعات كبيرة أو تكوين صداقات، ودائما ما يتعلم عن طريق المحاولة والخطأ.

المقبولية الاجتماعية

وعادة ما يتم تعريفها بميل الفرد ليكون عطوفا وودودا ذا علاقة جيدة وقريبا من المتعلمين، وأنه يشجع على التعاون ويتجنب الصراع ويعمل مع الآخرين بشكل سلس، كما يتميز بالثقة في الذات والإيثار. وخير ما جاء في هذا الباب «أن ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له»[٥]، مصداقا لقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢).

وبالنظر إلى الدور المحوري الذي تلعبه المؤسسات التعليمية في الانفتاح على العالم الخارجي وربط جسور التواصل بينها وبين الأسرة وجمعية آباء وأمهات المتعلمين إلى جانب مجموعة من الجمعيات الشريكة الأخرى، فإنه من واجب المدرس الفعال أن يعمل جاهدا على تكريس هذه الوساطة. و«يرتبط التدريس الفعال بقدرة المدرس وإبداعه في إحداث الإثارة العقلية والفكرية لدى التلاميذ، بالإضافة إلى العلاقة الإيجابية بين المدرس والتلاميذ وأثرها النفسي والعاطفي في تحفيز التلاميذ على التعلم»[٦]. وقدمت دراسة «كاربن» و«هاموند» صورة واضحة لأهم سلوكيات المدرس التي حددها الطلاب ذوي اضطرابات انفعالية وسلوكية باعتبارها تساهم في تطوير العلاقات الإيجابية مع مدرسيهم، ومنها التحلي بالصبر والودية، وامتلاك حس الدعابة والابتسامة والإنصات إلى متعلميه[٧].

يقظة الضمير

ويتميز المدرس ذو المعدلات المرتفعة من يقظة الضمير بأنه منظم، وجاد ومثابر في أداء واجباته، ويسعى دائما إلى التخطيط لأهدافه وتحقيقها بشكل جيد. ومن صفاته أيضا، الالتزام بالواجبات والتركيز وتحمل المسؤولية والكفاءة والاقتدار، وهو عامة، يرتبط «بالاستقلالية والكفاية والإنجاز»[٨]. وحبذا لو ترتبط هذه البنية السيكولوجية بالإيجابية في تحمل المسؤولية والإيثار من أجل تحقيق النفع والدعم والعون للآخر. وفي سياق «حض المسلم على الإيجابية والتفاعل مع قضايا وهموم مجتمعه، جاء في الحديث عن

النعمان بن بشير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» (رواه البخاري)[٩].

تنظيم الذات

«وتتجسد في مجموع الأفكار والمشاعر والأفعال التي يتم بناؤها إراديا وتدريجيا من قبل الفرد في تحديد وتحقيق الأهداف التي تتميز بالتكيف»[١٠]. فالمدرس المنظم لذاته يرسم أهدافا واقعية وقابلة للتحقيق، ويدير وقته بفاعلية، ويسيطر على دوافعه، ويسير مهامه بشكل أفضل، كما أنه يسعى باستمرار وراء التغذية الراجعة حول طريقة تدريسه من لدن المتعلمين والزملاء ومن ثمت العمل على تحسين طريقة عمله. وغالبا ما يرتبط التنظيم الذاتي بأداء المهمة التدريسية بنجاح لأنه يشعر المدرس بالاندماج والاستقلالية في الفصل الدراسي. ويعتبر رسم أهداف دقيقة ومركبة على نحو فعال ومناسب للمتعلمين وللدروس، ووضع إستراتيجيات واضحة لتحقيقها، خاصية من خصائص المدرس الفعال.

المرونة

وهي «القدرة على التعامل مع المواقف الصعبة والمحن ومواجهة التحديات الكامنة في مهنة التدريس»[١١]. إن نجاح المدرس واستثماره في طاقته البدنية والنفسية والعقلية رهين بقدرته على تجاوز التجارب الأكثر إجهادا وإرهاقا، وتحسين قدرته على العطاء على المدى الطويل (التي قد تصل إلى ٤٥ سنة من مزاولة المهنة)، وزيادة معدل الرضا والأداء الوظيفي. ولا تقتصر مرونة المدرس فقط داخل الفصل الدراسي بل أيضا في قدرته على التعامل مع مشاكله العائلية والعاطفية والمادية والصحية والبدنية، إذ غالب ما ينتج عن ترابط هذه الأحداث الانهيار وممارسة العنف والاستقالة من الوظيفة. وقد أكدت دراسة حديثة على أن اعتبار هذه المشاكل السالفة الذكر من أهم أسباب العنف[١٢]. وقد يشاع أن المدرس المرن يعيش حالة نفسية وعاطفية مستقرة خالية من أي أحداث سلبية، غير أنه في الحقيقة استطاع تطوير ذكائه العاطفي ومراكمة خبراته في المجال.

خلاصة

وختاما، إن أنظمتنا التربوية والتعليمية بالعالم في حاجة إلى تطوير إجراءات ناجحة وناجعة وفعالة في تحديد دقيق لميزات المدرسين الذين سيزاولون مهامهم بنوع من الجدية والتفاني، كما أنهم سيساهمون في إعادة المكانة لهذه المهنة الشريفة مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١). ونؤكد على أن مشوار الألف ميل في إصلاح منظومتنا التربوية العربية والإسلامية لا يتأتى إلا من خلال توظيف أمثل للموارد البشرية، غير أن جدوى تحسين عمليات انتقاء المدرسين يبقى رهينا بمجموعة من المتغيرات المرتبطة بتجويد المناهج الدراسية والمقاربات البيداغوجية وطرق التدريس والعمل على توفير مناخ صفي صحي وتحسين الظروف السوسيو-اقتصادية وإحلال السلم والسلام.

الهوامش

١- Hattie, J. (٢٠٠٩). Visible learning A synthesis of Over ٨٠٠ Meta-Analyses Relating to Achievement. London: Routledge.

٢- إلينور سوتيل وتيري بولز وجون هاتي ودانييل ن. أريفين، البنيات السيكولوجية في اختيار المدرس: الشخصية والمرونة وتنظيم الذات والقدرة المعرفية، ٢٠١٥. Australian Journal of Teacher Education، ٤٠ (٤). http://dx.doi.org/١٠,١٤٢٢١/ajte.٢٠١٥v٤٠n٤,٤، ترجمة أحمد منصور والشريف الهلالي وحميد شيبوب ورشيد المشهور، مجلة مدارات التربية والتكوين، العدد ٢/٣، ٢٠١٦، ص١٩٧-٢٢٦.

٣- انظر على سبيل المثال نموذج العوامل الخمسة للشخصية المعتمد دوليا والذي وضعه كل من «كوستا» و«ماكري»، McCrae, R. R., & Costa, P. T. (١٩٨٧). Validation of the five-factor model of personalityacrossinstruments and observers. Journal of Personality and Social Psychology, ٥٢(١), ٨١. http://dx.doi.org/١٠,١٠٣٧/٠٠٢٢-٣٥١٤,٥٢,١,٨١

٤- انظر تقرير «ماكينزي» حول المدارس ذات الأداء العالي، Barber, M., & Mourshed, M. (٢٠٠٧). How the World's Best Performing School Systems Come out on Top. New York: McKinsey &Company.

٥- تفسير القرطبي.

٦- مولاي مصطفى البرجاوي، التعليم الفعال: الماهية والمؤشرات الدالة والإستراتيجيات البيداغوجية، مجلة علوم التربية عدد ٦٢، يونيو ٢٠١٥م، نشر بدعم من وزارة الثقافة، ص٦٥.

٧- Capern, T., & Hammond, L. (٢٠١٤). Establishing Positive Relationships with Secondary Gifted Students and Students with Emotional/ Behavioural Disorders: Giving These Diverse Learners What They Need. Australian Journal of Teacher Education, ٣٩(٤). http://dx.doi.org/١٠,١٤٢٢١/ajte.٢٠١٤v٣٩n٤,٥

٨- هشام الحسيني، العوامل الخمسة للشخصية: وجهه جديدة لدراسة وقياس بنية الشخصية، ص ١٧٢، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

٩- صلاح فضل توقة، دعوة هادئة للإصلاح والتغيير، مجلة «الوعي الإسلامي»، عدد ٦٢٤، ٢٠١٧م، ص٢٢.

١٠- إلينور وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص٢٠٢.

١١- إلينور وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص٢٠٣.

١٢- الشريف الهلالي وشيد المشهور وحميد شيبوب وأحمد منصور، النف المدرسي: تمثلات الفاعلين التربويين، دراسة ميدانية، ٢٠١٥م، مطبعة أميمة، فاس، المغرب.

مصطفى القلاوي
باحث دراسات إسلامية











الكفاية المهنية ضرورة شرعية

الإسلام منهج حياة متكامل، أراد الله أن يشيد به حضارة تكون خير حضارة لخير أمة أخرجت للناس، ولقد فقه سلفنا الصالح هذا الأمر جيدا، وفهموا رسالة الإسلام على هذا النحو، فسادوا به الدنيا، وسعدت بهم البشرية جمعاء. لكن عندما فرط كثير من المسلمين في فهم دينهم، بأن رأوه لا يعدو مجموعة أوراد تقرأ وشعائر تؤدى دون فهم لمقاصدها وإدراك لمضامينها، أخرجوه – بقصد أو من دون قصد – من ميادين الحياة كلها، مما نجم عنه تخلفهم وانزواؤهم ونزع مهابتهم من قلوب أعدائهم، فصاروا في مؤخرة الركب يستشرفون منحة أو عطية أو هبة من هنا أو من هناك، يقيلون بها عثراتهم أو يسدون بها جوعتهم، بعد أن كانوا أئمة الدنيا سنين، لكنهم تركوا دنياهم وأعمالهم يستحوذ عليها أعداؤهم، بزعم مغلوط أن الدنيا والآخرة لا تجتمعان.

لقد أراد الله أن تكون للمسلمين حضارة يقيمون بها أمة عرفت البشرية عظمتها، وأمر بأداء كل عمل له أثر في إقامة تلك الحضارة، وسيثيب – سبحانه – من قام بذلك واجتهد، كما أنه سيعاقب – بلا ريب – كل من أساء الفهم فيه وتكاسل وانصرف عنه.. ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ (النجم:٣١).

ولا يخفى على لبيب أن تحقيق أي مجد أو تأسيس أي حضارة يفتقر

إلى ممارسة المهن والحرف التي يظهر أثرها في عمران البلاد وسد حاجات العباد، ورد العادي وزجر الغاصب، وتقوية شوكة المسلمين في كل المجالات وشتى المناحي.

ولما كان لتعلم المهن وإتقان الحرف من المجد والسؤدد ما يشهد به القاصي والداني، فقد بين الله ما علمه كثيرا من أنبيائه وصفوة رسله، من حرف وصنائع كانوا، ولا يزالون، بها قدوة لأممهم، فقد قال سبحانه لنوح عليه السلام: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ (هود:٣٧)، وقال عن داود عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾ (سبأ:١٠-١١)، فكان يصنع الدروع ويحكم صنعته بإتقان.

ولما تعجب العرب -في الجاهلية- من اشتغال النبي بالأعمال الدنيوية وممارسة المهن، ونظروا إليها نظرة متدنية: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ (الفرقان:٧) أنكر الله عليهم تعجبهم مبينا أن هذا من شيم الأنبياء السابقين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ (الفرقان:٢٠) ولا غرابة من هذا.

وجاء الإسلام منددا بتلك النظرة المتدنية إلى امتهان الحرف وممارسة الأعمال اليدوية، وجعل أفضل ما يعمل الآدمي، فردا أو جماعة، أن يأكل من عمل يده، وجاء المثال السابق لنبي الله داود، عليه السلام، ليبرز مكانة العمل واحتراف المهن، لاسيما أن نبي الله داود، عليه السلام، ما كان في حاجة إلى هذا، حيث كان نبيا ملكا، بيد أنه كان يأكل من كسب يده. عن المقدام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود، عليه السلام، كان يأكل من عمل يده»[١]، وكذلك سائر الأنبياء ما كانوا عالة على أحد.

ولقد أصاب سلفنا حين أعدوا احتراف المهن ومزاولة العمل مروءة وكمال عقل، فعن حبيب التميمي أن معاوية رضي الله عنه سأل رجلا من عبد القيس: ما تعدون المروءة فيكم؟ قال: «الحرفة والعفة»[٢]، وفي رواية - قالوا: العفاف في الدين والإصلاح في المعيشة[٣]. ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن «من عقل الرجل استصلاح معيشته»[٤]، ويبين عمر رضي الله عنه من نفسه موقع من لا يمارس مهنة ولا يزاول عملا قائلا: إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا؛ سقط من عيني[٥]. ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأمقت الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة[٦].

كما أن احتراف المهن والاشتغال بنافع الأعمال من أجلى صور استخلاف الأرض وإعمارها، وهذا إتيان بمطلب شرعي معتبر ومقصد سماوي أصيل، فقد قال سبحانه على لسان نبيه صالح عليه السلام: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ (هود:٦١)، وذلك لأن صلاح الدنيا صلاح للفرد والمجتمع، حيث لا استقامة لصلاح فرد بفساد دنياه.

يقول الإمام الماوردي: «واعلم أن صلاح الدنيا معتبر من وجهين:
أولهما ما ينتظم به أمور جملتها.
والثاني: ما يصلح به حال كل واحد من أهلها».

«فهما شيئان لا صلاح لأحدهما إلا بصاحبه؛ لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال أمورها لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها، ويقدح فيه اختلالها؛ لأن منها ما يستمد، ولها يستعد. ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام أمورها لم يجد لصلاحها لذة، ولا لاستقامتها أثرا؛ لأن الإنسان دنيا نفسه، فليس يرى الصلاح إلا إذا صلحت له ولا يجد الفساد إلا إذا فسدت عليه؛ لأن نفسه أخص وحاله أمس. فصار نظره إلى ما يخصه مصروفا، وفكره على ما يمسه موقوفا»[٧].

ولما كان لصلاح الدنيا تلك المكانة السامقة نالت من بركة دعاء النبي ﷺ قسطا وافرا، فقد كان ﷺ يدعو لصلاح الدنيا كما يدعو لصلاح الآخرة سواء بسواء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»[٨].

بيد أن صلاح الدنيا لا يتحقق بالدعوات الصالحة فحسب، ولا بالأمنيات المبتورة العمل والجهد، إنما لصلاحها أسباب معروفة منها

احتراف المهن النافعة، والاشتغال بالأعمال الصالحة، التي تؤدي إلى صلاحها وتجعلها أكثر يسرا وكرامة. ولا يقول فطن إن إصلاح الدنيا اغترار بها في كل الأحوال، وإن السعي لذلك عمل مذموم، فقد ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، فقال رضي الله عنه: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها.

وحكى مقاتل أن إبراهيم الخليل، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، قال: يا رب، حتى متى أتردد في طلب الدنيا؟ فقيل له: أمسك عن هذا فليس طلب المعاش من طلب الدنيا.

وقال سفيان الثوري، رحمة الله عليه: مكتوب في التوراة: إذا كان في البيت بر فتعبد وإذا لم يكن فاطلب، يا ابن آدم حرك يدك يسبب لك رزقك.

وقال بعض الحكماء: ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون العرض فيها.

وقال بعض الأدباء: ليس من الحرص اجتلاب ما يقوت البدن.

وقال محمود الوراق:

لا تتبع الدنيا وأيامها
ذما وإن دارت بك الدائره
من شرف الدنيا ومن فضلها
أن بها تستدرك الآخره(٩)

ولما كان الجانب المهني والتقني موضع تنافس الحضارات اليوم، وبقدر ما تملكه أي أمة في هذا المجال تنال قسطا من الرقي والإكبار والتقدير، وبقدر تخلفها فيه يفتح عليها أبواب الضعف والتبعة بما يؤثر على حياتها الاقتصادية والسياسية والفكرية ويكدر صفوها، أصبح من الواجب علينا - نحن المسلمين - التفوق في هذا الجانب وامتلاك مقوماته، لتحقيق المنعة للأمة كي تستمر خيريتها، ولتظل رائدة على غيرها بما تملكه من منهج ورسالة ومقومات القيادة.

إن أهنأ العيش وأطيبه أن يصنع الفرد متطلباته، ويؤدي بنفسه واجباته، فلا ينتظر عطاء من أحد، ولا يتشوف لمنحة من الآخر، «فعن رافع بن خديج» رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال ﷺ: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور».(١٠)

وما كسى الأمر زينة وبهاء ويحفز عليه أن العبد المحترف لمهنة محبوب عند الله، شريطة أن تقوم مهنته وعمله على الضوابط الشرعية ولا تخالفها، فعن سالم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب المؤمن المحترف».(١١)

كما أن الاشتغال بالمهن والعمل على طلب المعيشة فيه تكفير للذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة»، قالوا: فما يكفرها يا رسول الله؟ قال ﷺ: «الهموم في طلب المعيشة».(١٢)

كما تعد الكفاية المهنية وإتقان الصنائع إعانة على أداء الفرائض والواجبات التي يطالب بها المسلم، لاسيما الواجبات المالية، مثل الزكاة والحج والنفقة على الزوجة والأولاد وصلة الأرحام، بل وفي الدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله، فإذا رسخ في النفس فضل القيام بهذه الواجبات ثبت كذلك فضل ما يعين عليها ويحافظ على دوامها وبقائها، عملا بالقاعدة الأصولية: ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب.

وهذا ما رمينا إليه بسهم، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

الهوامش

١- صحيح البخاري، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده (٣/ ٥٧)، رقم:٢٠٧٢.

٢- السنن الكبرى للبيهقي، كتاب: الشهادات، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، (١٠/ ٣٢٩)، رقم:٢٠٨١٣.

٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، (١٧١/٨).

٤- مسند الحارث: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في العقل، (٢/ ٨١١)، رقم:٨٣٤.

٥- المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت:٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان) ١٤١٩هـ، (١١٧/٧).

٦- مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الزهد، (١٠٨/٧)، رقم:٣٤٥٦٢.

٧- أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي ابن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت:٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة: الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م، (ص:١٣٢).

٨- صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، (٢٠٨٧/٤)، رقم:٢٧٢٠.

٩- أدب الدنيا والدين، ص:١٣١.

١٠- مسند أحمد مخرجا، مسند الشاميين، (٥٠٢/٢٨)، رقم:١٧٢٦٥.

١١- شعب الإيمان، (٤٤١/٢)، رقم:١١٨١؛ المعجم الأوسط، (٣٨٠/٨)، رقم:٨٩٣٤.

١٢- المعجم الأوسط للطبراني، (٣٨/١)، رقم:١٠٢.



وليد عبد الماجد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر

قراءة نقدية لإبداعات عدد ذي القعدة ١٤٤١هـ

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ما تفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.

قراءة في قصة «عابر سبيل» للقاصة إسراء منير



في قصة من أجمل القصص التي ينشرها هذا الباب، تطل علينا إسراء منير بنص مبدع؛ حبكا وسبكا، يتناول قضية من أهم القضايا التي شغلت الفكر الإسلامي منذ قرون، وهي مسألة القضاء والقدر، تلك المسألة التي حيرت الأفهام، وانقسم الناس جراءها إلى مؤمن بها ومنكر لها، ولذا كان الإيمان بالقدر خيره وشره ركنا من أركان الإيمان في ديننا الحنيف.

● يأتي العنوان، وهو أولى العتبات النصية في هذه القصة، معبرا عن محتوى القصة، وفيه نوع إيهام من شأنه تحفيز الذهن ليتساءل القارئ عن ذلكم العابر: هل هو عابر سبيل على وجه التحقيق، أم هو تعبير مجازي فحسب؟

● اعتمدت القصة على العبارة القصيرة المكثفة المصقولة، وهنا تبتغي الإشارة إلى ضرورة اهتمام القاص المبدع بالسرد واللفظ على حد سواء، وليس يغني أحد جناحي القصة عن الآخر، ولا يمكن أن يحلق النص في سماء الإبداع من دون الجمع بين هذين الجناحين.

● لم أجد مسوغا لاستهلال القصة الذي قالت فيه الكاتبة: «أحب الحكايات، اعتادت أمي أن تقص علي إحداها قبل نومي، كبرت، لكن الطفلة التي تحب الحكايا داخلي لم تكبر.. وفي كل رحلة كانت تمر بي حكايات المسافرين والمارين في الطرقات، يرحلون وتبقى آثار حكاياتهم بي ناشبة»، ولا أدري ماذا قصدت بهذا الاستهلال البعيد عن فحوى القصة، وعلى الرغم من أن الكاتبة قالت إن السيدة التي استضافتها في بيتها تركت حكايتها في نفسها أثرا لا يزول، فإن ذلك لم يكن مبررا لهذه البداية، وربما قصدت شيئا لا نعلمه.

● نجحت الكاتبة في تقديم صورة حقيقية للمجتمع الذي تعيش فيه، فنراها تنقل لنا وضع القاهرة المزدحمة يوم الخميس ومعاناة الخارجين منها، وكذا أوضاع المواصلات وصورة الريف المصري، ومعاناة الطبقة الكادحة التي تعالج شظف العيش.

● زاوجت القصة بين الوصف والحوار، ولم يلمس القارئ صعوبة في الانتقال من الوصف إلى الحوار ومن الحوار إلى الوصف، كما اعتمدت على تصاعد الأحداث حتى وصلت إلى نهاية القصة بعدما اكتشفت البطلة أنها قد سيقت بقدر الله إلى منزل هذه السيدة الفقيرة لتمنحها علبتي دواء لولدها المريض.

● القصة جيدة جدا، وهي أنموذج صريح للقصة البديعة ذات الرسالة.



عمرو طه
قاص مصري

دوامة



كنت شاردا ولم أستطع التفكير في أي مكان يمكن أن يؤويني هذه الليلة، بعدما قالت لي صاحبة المنزل إنها لا تستطيع أن تصبر عليَّ أكثر من ذلك، وإنني لم أدفع إيجار سكني منذ أكثر من ثلاثة أشهر.

أعرف جيدا أنها امرأة ذات قلب كبير، لكنها الحاجة فقط، فهي أيضا لديها أولاد وحياة بأكملها هي المسؤولة عنها، وقد كانت هذه الغرفة مع غرفة أخرى يسكنها بائس مثلي، هما فقط كل ما لديها لكي تطعم وتعيل أولادها من دخلها.

وفي ظهيرة يوم من أيام يوليو وبعدما حاولت البحث عن مصدر للدخل ولكن كالعادة دون جدوى، حينها استجمعت نفسي على أنه لابد لي من التفكير في مكان ألجأ إليه لكي أنام فيه بعد هذا اليوم الشاق.

وجدت نفسي بعد السير طيلة النهار دون أن أشعر أمام البحر، أطلقت العنان لنظري على مدى البحر، منظر بديع، خلاب، بحر، سماء، راحة، سعة، وهذا بعكس ما بداخلي من ضيق.

عدت إلى نفسي مرة أخرى لكي أنتبه بأن الشاطئ مليء بالمراكب والسفن، وهنا أيقنت أنه لا يوجد مكان يؤويني هذه الليلة، ماذا أفعل؟ أين أذهب؟ أخذت أنظر خلفي وأمامي، يميني ويساري، وهكذا.. دوامة، هي الحياة.. نجاهد فيها بأنفسنا لكي لا تجذبنا داخلها.

وفيما كان وقت خروج العمال من الميناء بعد انتهاء عملهم في الفترة المسائية وأثناء ازدحامهم وتهافتهم على الخروج، جاءتني فكرة بأن أنام في إحدى هذه السفن إلى الصباح.. وبالفعل دخلت إلى إحدى السفن دون أن يراني أحد، واتجهت إلى زاوية أسفل السفينة، توسدت حذائي، وبسبب التعب والإرهاق لم أشعر بنفسي، فاستغرقت في النوم.

شعرت بحركة السفينة تهبط وتصعد للأعلى. حينها تخيلت أنني أحلم، لكنها استمرت فشعرت بفزع شديد لم يحدث لي من قبل، كنت أريد أن أعرف ماذا يحدث.. حاولت أن أعرف دون أن يراني أحد لكي لا أتعرض لمشكلة في السفينة.

هنا تأكدت أن السفينة تحركت من مكانها وهي الآن، أو بالأدق أنا الآن في اتجاهي لإحدى البلاد الأخرى.

في ذلك الوقت شعرت بالارتباك والفرحة في نفس الوقت، قلت لنفسي إنني سوف أصل إلى بلد آخر، فلربما أستطيع أن أجد عملا ويكون لي دخل شهري أو أسبوعي أو حتى يومي، وهذا وحده كاف لكي يكون لي غرفة، وحينها أستطيع أن أسد رمقي ببعض الطعام.

أحسست براحة كبيرة بداخلي، ما جعلني أنام مرة أخرى دون أن أشعر.

رأيت في منامي أنني في مكان بعيد كل البعد عن حياتي القاسية، مكان لم أره منذ سنين طويلة، منذ طفولتي بالتحديد، مكان كنت أشعر فيه براحة وطمأنينة غريبتين عن هذا العالم الذي يأكلني كل يوم وكل ساعة، بل وكل لحظة.

خلال رحلة حياتي كنت وبسبب التعب والمعاناة نسيت ذلك المكان ونسيت الراحة والطمأنينة..

هذا المكان ما كان إلا نفسي عندما كنت طفلا.

أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر



جدران الأدب

الحواجز والجدران في كثير من الأحيان تقيد صاحبها، تشعره بالسجن والحبس، لكن دعنا نتخيل أول جدار يبنيه إنسان.. هل كان الهدف منه أن يسجن نفسه أو غيره؟ ليس هذا بالطبع. بالتأكيد كان يبحث فيه عن فائدة ما.. عن الدفء مثلا، أو الأمان والحماية، فليس ثمة حاجة في هذا التوقيت للسجن والحبس.. ربما مر وقت طويل إلى أن ظهرت تلك الحاجة! إذن ليس كل جدار سجنا، قد تكون مقيدا بجدار ما، لكنك لست مسجونا فيه.

هذه الازدواجية في وظيفة الحوائط والجدران هي باعث الإشكال، كل حائط ذو وجهين بالضرورة (الأمن/السجن)، يغريك أحد وجهيه ويهددك الآخر، فتبقى في داخله، أو قد تنشغل بتحطيمه، من دون أن تسأل نفسك السؤال الأهم: ماذا أريد؟

لماذا هذا السؤال؟

لأنك قد تنشغل بتحطيم كل الحوائط، فتفقد مصدر الأمن لك، أو تحبس نفسك داخلها فتفقد النفس والحرية، لا بد أن تفهم طبيعة الجدار أولا، هل هو الجدار الحامي فتحافظ عليه، أم الجدار المانع الحابس فتحطمه؟

والحقيقة مهما كنت بارعا في تحطيم الحوائط، لا يمكنك تحطيمها جميعا، لا يمكنك أن تتخلى عن كل مصادر الأمن في العالم، لمجرد إرضاء هوس التحرر.

من هنا نستطيع أن نفهم قضية الحرية والالتزام في الأدب، هذا مصطلح شهير بين النقاد والأدباء، وكثيرا ما يكثر حوله الجدل والنزاع، ففريق ينحاز للحرية، ويرى الالتزام ضربا من القسر والإلزام لا ينبغي أن يلتفت إليه المبدع، وعليه أن ينطلق في كل الميادين من أجل الفن نفسه، وفريق آخر ينحاز إلى الالتزام ظانا أن الحرية انفلات من القيم الأخلاقية والدينية، إشكالية كبيرة في الأدب لا أدعي أني سأميط اللثام عن صوابها.. ولكني أرى أن التوازن مطلوب، أن نفكر: أي جدران تحبسنا فنتحرر منها، وأيها يحمينا ويعطينا الأمان؟

والإشكالية الكبرى: هي مقابلة الحرية بالالتزام، فهذا الشكل في التناول يفرض ابتداء مناقضة أحدهما للآخر، أو أن الحرية معادية للالتزام، والحق: أن الالتزام وليد الحرية، وهو لا ينمو إلا في أحضانها، ولا يترعرع ويفرع إلا في تربتها الخصيبة.

إن الالتزام لا يكون قسرا أو إكراها، وإلا.. فهو «إلزام» لا «التزام»، وشتان ما بينهما.

الالتزام ابن الاختيار، والإلزام ابن الإجبار. الأول ثمرة من ثمرات الوعي والإدراك واليقظة والمسؤولية، والثاني من ثمرات التغييب والإملاء والتسيير، وشتان ما بينهما.

إن كل أديب «ملتزم» هو أديب حر شريف، وإن كل أديب «ملزم» هو أديب «مسيس» مستعبد، مبيع أو مشترى، وشتان ما بينهما.

قد تختلف مع أديب يلتزم فكرا غير فكرك، أو يدعو إلى رؤية غير رؤيتك، ولكنك لا تملك إلا أن تحترمه؛ لأنه مخلص لمبدئه الذي يدعو إليه. تجل فيه هذا الإخلاص؛ لأنه يعتقد أنه الحق، ولكنه ما إن يتذبذب ويتملق، ما إن يحابي ويداجي، حتى يسقط من عينك، وإن كان يرمي بسهمك، وينطق باعتقادك؛ لأن حرارة الصدق خبت فيما يقول، والصدق عمود كل كلام مؤثر مقنع[1].

والالتزام قد يكون بأفكار دينية (إسلامية أو غيرها) وقد يكون بأخلاق أو مبدأ فلسفي أو فكر سياسي، فهناك ملتزمون بالماركسية، والوجودية وحتى

الصهيونية!! ولا ينبغي تصدير الفكرة على أنها تقليد إسلامي فقط لخدمة الأيديولوجيات والتوجهات والفلسفات القديمة.

فإن أشهر دعاة الالتزام في الأدب هو الفرنسي سارتر، فقد عرف الأدب الملتزم فقال: مما لا ريب فيه أن الأثر المكتوب واقعة اجتماعية، ولا بد أن يكون الكاتب مقتنعا به عميق اقتناع، حتى قبل أن يتناول القلم. إن عليه بالفعل أن يشعر بمدى مسؤوليته، وهو مسؤول عن كل شيء، عن الحروب الخاسرة أو الرابحة، عن التمرد والقمع. إنه متواطئ مع المضطهدين إذا لم يكن الحليف الطبيعي للمضطهدين[٢].

ويشير سارتر إلى الدور الكبير الذي يلعبه الأدب في مصير المجتمعات، فالأدب مسؤول عن الحرية، وعن الاستعمار، وعن التطور، وكذلك عن التخلف.

فالأديب ابن بيئته، والناطق باسمها، وكلمته سلاحه، فعليه تحديد الهدف جيدا، وتصويبها عليه بدقة، فـ«الكاتب بماهيته وسيط، والتزامه هو التوسط»[٣].

ولا بد أن نفهم أن الأدب لا يلتزم، فهو يتسع لكل الأشكال والألوان والثقافات والأفكار، ينظر إلى الوسيلة قبل الغاية، ويقبل الشكل وإن خلا من المضمون، لكن الأديب من حقه أن يلتزم.. يلتزم بدينه، بفكره، بأخلاقه، بمجتمعه وأعرافه.

لسنا نكتب لأنفسنا، إن من ورائنا قارئا يجب أن نحترمه بعقائده وأخلاقه وعاداته وأفكاره، الكاتب يستهين بنفسه حين يستهين بالقارئ.

وقد وجدنا قديما الأدب يتجسد في مشاركة الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية، ومواقفهم الوطنية، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك، إلى حد إنكار النفس في سبيل ما يلتزم به الأديب شاعرا أم ناثرا. واطلاعنا على أدبنا القديم وشعرائه، يعرفنا أنهم كانوا في العهود والأعصر العربية، في الجاهلية والإسلام كافة، كانوا أصوات جماعاتهم. كذلك قبل كل واحد منهم أن يعاني من أجل جماعته التي ينطق باسمها، إلى حد أنك إذا سمعت صوت أحدهم وهو يرتفع باسم جماعته أو قومه، لا يمكنك إلا أن تحس هذا الالتزام ينساب عبر الكلمات، يصور هذا الإيمان وتلك العقيدة دون أن يساوره أدنى شك أو حيرة أو تردد في تحديده للمشكلات التي يواجهه، والتي تتعلق بمصيره ومصير سواه من أبناء قومه في القبيلة أو الحزب أو الدين، يدفعه إيمان راسخ بضرورة حل إشكالية القضايا التي كان يواجهها في حينه[٤].

إن الأديب الملتزم كالطائر السابح المنطلق، لا قيد يمسكه، ولا غل يلتف حول يديه، أو جناحيه، أو عنقه؛ إنه يمضي في هذا الفضاء الرحب الفسيح، شاديا للحرية والبهاء والجمال.. وهو مع ذلك له قدر في السماء لا يتجاوزه إلى الفضاء!

لكن الأديب الملزم هو كالطائر الحبيس، لا يشفع له في سجنه جمال قفصه، أو أعمدة الذهب التي صنع منها هذا القفص، أو نفاسة الأسورة التي وضعت في معصمه؛ إذ حسبه عارا أنه سجين، لا يحلق إلا في هذا القفص الذي أريد له أن يحلق فيه.

الالتزام إذن ليس قيدا كما يدعي أعداؤه، بل هو الحرية عينها، ولكنها الحرية الواعية المسؤولة، الحرية التي تحمل رسالة تريد إبلاغها، وليست الحرية الزائفة المنطلقة على غير هدى.

وفي ذلك يقول سارتر: «حرية الاختيار قسمة مشتركة بين الكتاب جميعا، ملتزمين وغير ملتزمين، وهي أساس المطالبة بالالتزام».

يقول توفيق الحكيم: «الالتزام المثمر للفنان -في رأيي- هو الالتزام الذي ينبع من طبيعته، وهنا لا يتعارض الالتزام مع الحرية؛ بل هنا ينبع الالتزام نفسه من الحرية. لذلك لم أقل لأديب أو فنان: التزم؛ بل قلت وأقول: كن حرا»[٥].

ويقول أيضا في موطن الدفاع عن الحرية التي هي حارسة الالتزام وهي مصدره الحقيقي: «إن الأديب يجب أن يكون حرا؛ لأنه إذا باع رأيه، أو قيد وجدانه، ذهبت عنه في الحال صفة الأديب؛ فالحرية هي ينبوع الفن، وبغير الحرية لا يكون أدب ولا فن... يجب أن يكون الالتزام جزءا من كيان الأديب، ويجب أن يلتزم وهو لا يشعر أنه ملتزم، مثله مثل حمام زاجل ينقل رسالة وهو حر طائر، لا يشعر بقيد في ساقه، ولا بغل في جناحه»[٦].

إن بين الكاتب وبين القارئ ميثاقا فيه حرية، وفيه التزام، أما الحرية: فللكلمة التي يكتبها له فيها حرية التأليف، وحرية الاختيار والتوجيه، وحرية النقد، وأما الالتزام: فهو أن يبحث عن الحقيقة فيما يكتب، وأن ينشد الحق فيما يدعو إليه مع احترام حرية الآخرين في القبول والرد، وألا يستطيل بحريته إلى جدرانهم.. حرية والتزام.. حق وواجب.

الهوامش

١- مقال: الالتزام في الأدب، د. وليد قصاب.

٢- جان بول سارتر، الأدب الملتزم، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م، ص:٤٤-٤٥.

٣- المصدر نفسه، ص:٤٦.

٤- يونس فقيه، ملامح الالتزام القومي في شعر نزار قباني، دار بركات للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص:٢١.

٥- فن الأدب لتوفيق الحكيم، ص:٢٩٣.

٦- فن الأدب لتوفيق الحكيم، ص:٢٩٢.



د. أبو زيد بيومي
عضو اتحاد كتاب مصر

القراءة والسلوك



عندما نزل الوحي على النبي محمد ﷺ بقول الله تعالى «اقرأ» وهي أول ما نزل من القرآن لم يكن ذلك مجرد أمر بقراءة ما ينزل فقط، وإنما هو فعل سيترتب عليه تشريع كامل، أنزله الله لعباده ليصلح به أحوالهم في الدنيا والآخرة، وهو ما يعني أن قراءة هذا التشريع لا تغني إلا إذا عمل الإنسان بما جاء فيه، والتزم بأوامر الحق ونواهيه.

كما أن الله تعالى اختتم هذا التنزيل الأول بقوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:٥)، في إشارة صريحة إلى أن الله هو صاحب الفضل في كل ما توصل ويتوصل إليه الإنسان من العلم، وتمام هذا الفضل لا يكون إلا بالعمل به.

فالله أودع في الإنسان القدرة على القراءة والفهم. كما أودع فيه القدرة على التطبيق والتنفيذ. ولذلك فلا حجة له إذا لم يقرأ وإن

كانت قراءته سماعا، ولا حجة له إذا لم يعمل بما قرأ.
ومن هنا فإن من الخطأ أن يظن البعض أن الهدف من القراءة هو مجرد التسلية، وأن من يقرأ هو شخص خارج عن إطار عصره. أو هو شخص حالم يهرب من الواقع بالقراءة. ولكن الحقيقة التي لا يعرفها إلا أولو البصائر والألباب أن القراءة هي فعل إيجابي، خاصة إن أكسبت صاحبها سمات سلوكية وعقلية يستطيع من خلالها معرفة الواقع على حقيقته، معرفة من شأنها أن تؤهله لمواجهة هذا الواقع والتعامل معه كما ينبغي.
ولذا كانت مشيئة الله أن تكون للشرائع السماوية كتب تحمل المنهج الواجب اتباعه، والعمل به. ومن هنا فقد وصف الله بعض أهل الكتاب ممن انحرفوا عن منهجه بعد أن عرفوه، بقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة:٥).
كما وصف الله تعالى من أعرض عن تطبيق منهجه بعد أن جاءته الآيات بقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ (الأعراف:١٧٥-١٧٦)
من ناحية أخرى خص الله العلماء بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر:٢٨). وهي خصوصية لمن علم، فكان علمه سببا في معرفة قدر الله وقدرته من خلال آياته في الكون، فكانت ثمرة هذا العلم الخشية. ولاشك أن الخشية يترتب عليها أفعال وتصرفات عملية وتطبيقية على أرض الواقع.
والنبي ﷺ يقول: «الدين المعاملة». فالدين بتعاليمه، لا يكون دينا بمجرد قراءة هذه التعاليم، وإنما يكون دينا إذا جعله المسلم منجها عمليا يظهر أثره في المعاملات.
ويبين عبدالله بن مسعود رضي الله عنه منهج الصحابة بقوله: «كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلمهن، ونعمل بهن، ونعلمهن، ونعلم حلالهن وحرامهن، فأوتينا العلم والعمل».
ولما كان الأمر كذلك، فقد واجه كثير من العلماء صنوفا من العذاب، في سبيل العمل بما علموا، فلم يكن علمهم مجرد كتب حملتها عقولهم، وإنما كان منهجا ساروا عليه في حياتهم، والتزموا به في أفعالهم وأقوالهم، فكانوا دعاة على مستوى الفعل والتطبيق، جنبا إلى جنب مع الدعوة من خلال القول والتأليف والتحقيق.
ولذا لا تكون القراءة حقيقية إلا إذا دخلت حيز التطبيق. ويلزم لهذا التطبيق مجموعة من العوامل تضمن صحته وبقاءه:
أولها: الفهم السليم لما نقرأ، فليس كل من يقرأ يفهم فهما سليما، فقد يقرأ قراءة مجزوءة يترتب عليها منهج مشوه يدفع صاحبه لارتكاب أخطاء جسيمة، ثم يسند أخطاءه إلى أولئك الذين قرأ لهم أو نقل عنهم.
ثانيها: الإحاطة قدر الإمكان بجميع أو معظم وجهات النظر المطروحة في قضية ما، حتى يكون بإمكانه أن يميز الخبيث من الطيب.
ثالثها: الرجوع إلى الأعلم فالأعلم من أهل التخصص، ممن يعرف عنهم سعة الاطلاع مع الأمانة، فالله تعالى يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:٧٦). على أن يكون في رجوعه إليهم طالبا للحق، والحق فقط، بعيدا عن الأهواء والأغراض.
رابعها: أن يكون التطبيق مناسبا لمقتضى الحال. وكونه مناسبا لمقتضى الحال لا يعني تضييع القاعدة الأصلية أو الإخلال بها، وإنما تغيير الطريقة التي يتم التطبيق بها في إطار القاعدة.
ومن هنا فإن القراءة هي منهج سلوكي عملي، فالمسألة ليست فقط في: «كم قرأت؟»، ولكن أيضا «ماذا طبقت مما قرأت؟»، فضلا عن كيفية التطبيق.



سالم بن عميران
باحث وناقد أدبي



الفصحى والمكاتبات الإلكترونية

عد فن المكاتبات من الفنون الأصيلة في الأدب العربي، وتعرف المكاتبة بأنها مخاطبة الغائب بلسان القلم، وقد تطور هذا الفن في العصرين الأموي والعباسي وحظي باهتمام كبير من الخلفاء والولاة، وقد وصفت المكاتبات بأنها ترجمان الجنان ونائب الغائب في قضاء أوطاره ورباط الوداد مع تباعد البلاد(١).

وبعد التقدم العلمي الكبير في هذا العصر، وثورة المعلومات وبزوغ فجر العولمة؛ انتشرت المكاتبات الإلكترونية بصور وأساليب مختلفة، وصار لها دور محوري في مواقع التواصل الاجتماعي؛ وأضحت اللغة العربية الفصحى تواجه تحديات ومخاطر جمة تهدد أسسها وكيانها؛ فظهرت دعوات مشبوهة تدعو إلى هجرانها في المكاتبات الإلكترونية؛ وفي ذلك هدم لأسس وقواعد مكث علماء اللغة ردحا من الزمن يقررونها في كتب النحو والصرف والإملاء.

وكان من آثار تلك الدعوات استفحال الضعف اللغوي في المنتديات والمجموعات، حتى إنه لم يعد مقصورا على العامة من المثقفين والمبتدئين؛ بل طال -أيضا- حملة الأقلام من ذوي الاختصاص في اللغة والأدب! فشاعت في مكاتباتهم الأخطاء الإملائية والنحوية والأسلوبية، ورصدت في بعض المنتديات الأكاديمية أخطاء في القواعد الأساسية في الإملاء كعدم التفريق بين التاء المربوطة والمفتوحة وهاء الضمير، والتمييز بين حالات الهمزة، وفي النحو والصرف: المعربات بالحروف وأحكام العدد، وفي الكتابة: عدم التفريق بين حرفي الضاد والظاء، وإشباع حركة الضمة والكسرة بواو أو ياء..

أما استعمال اللغة العامية والألفاظ الدخيلة في المكاتبات الإلكترونية فباتت ظاهرة مقلقة، وأشنع مساوئها الخلط بين العاميات المنتشرة على امتداد الوطن العربي؛ كالعامية المصرية والعراقية والشامية والخليجية..

ويزداد الأمر سوءا عند استعمال الألفاظ الدخيلة إلى جانب العامية والفصحى، ومن أكثر الألفاظ الدخيلة انتشارا في المكاتبات الإلكترونية كلمات مثل: (أوك) بدلا من أؤكد، و(يس) و(نو) بدلا من نعم

ولا، و(بليز) بدلا من فضلا، و(باي) بدلا من وداعا..

فإلى من تشتكي الفصحى إذ هجرها ذووها؟! والتحديات والمخاطر تحاصرها من كل اتجاه، وهي ترمقهم بطرف منكسر؛ من سيعيد لها مجدها وشبابها، ولسان حالها يقول كما عبر عن ذلك شاعر النيل:

أيهجرني قومي عفا الله عنهم
إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى
لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حافل
بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فإما حياة تبعث الميت في البلى
وتنبت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده
ممات لعمري لم يقس بممات[٢]

إن من واجبنا جميعا نحو هذه اللغة الالتزام بها في مكاتباتنا سواء أكانت شخصية أو رسمية، ورقية أو إلكترونية؛ حفاظا على قواعدها من الإهمال وإعلاء لشأنها من التدني والاندثار.

وقد بين كثير من الأدباء والكتاب -قديما وحديثا- أن طريقة المكاتبة هي طريقة المخاطبة البليغة مع مراعاة أحوال الكاتب والمكتوب إليه والنسبة بينهما[٣]؛ يقول إبراهيم بن محمد الشيباني: إذا احتجت إلى مخاطبة أعيان الناس وأوساطهم أو سوقتهم فخاطب على قدر أبهته وجلالته، وعلو مكانته وانتباهه، وفطنته، ولكل طبقة من هذه الطبقات معدن ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في مراسلتك، فلا تكتب لمن أصيب في ماله أو في عياله كما تكتب لمن فرغ ووفر ماله[٤].

وذكر الأديب السيد أحمد الهاشمي في كتابه القيم (جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب) خمس خواص يجب أن تتضمنها الرسالة الخاصة في المكاتبة وهي:

- السذاجة: التي تجعل الكلام بعيدا عن التكلف والزخرفة والبهرجة المفتعلة.
- الجلاء: «الوضوح» حيث يخلو الكلام من الغموض والتعقيد فيتصف بالوضوح.
- الإيجاز: ويعني خلو الكلام من الحشو والتطويل.
- الملاءمة: أي التناسب بين الكلام ومنزلة المرسل إليه.
- الطلاوة: والمقصود بها العذوبة وجودة العبارة وسلامة المعنى وسلاسة القول[٥].

وذكر -رحمه الله- أن المكاتبات كانت في العصرين الأموي والعباسي تتسم بعبارات جزلة بليغة متناسقة الموضوع والأسلوب، وبقيت كذلك بل زادت حسنا وجمالا ومراعاة لمقتضى الحال إلى أوائل القرن الرابع، ثم تغلب عليها الضعف تدريجيا بتضاؤل ملكة اللغة والبلاغة في الكتاب وتقاصر هممهم عن استيفاء أداتها: لتغلب الأعاجم من الديلم البويهيين والترك السلجوقيين على سلطان الخلفاء في الشرق، وتغلب البربر على شمالي إفريقية والأندلس في الغرب، فلم يعد في الملوك والأمراء من يعنيهم أمر العربية وبلاغتها. ومازالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أيدي الأعاجم من التتار فكان ذلك ابتداء اضمحلال الكتابة واللغة[٦].

أما في هذا العصر فانتشرت المكاتبات الإلكترونية انتشارا كبيرا على مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات؛ ومما ساعد في ذلك ما يمتاز به الفضاء الإلكتروني من خصائص لا تتوافر في المكاتبات الورقية من حيث سرعة الوصول للمخاطب وسهولة النقل والكتابة وغيرها من الميزات التي ساهمت فيها التقنيات الحديثة في مجال الاتصال؛ وهذا يحتم على علماء اللغة والمجامع اللغوية في هذا العصر أن يضعوا حلولا عاجلة لمعالجة تفشي الضعف اللغوي في المكاتبات الإلكترونية توائم تلك التطورات العلمية الحديثة، ومن المقترحات في ذلك:

- وضع قواعد لغوية ميسرة للناشئة في النحو والإملاء في أهم الموضوعات التي يكثر فيها الخطأ مثل: المعربات وحالات الهمزة، والتاء المربوطة والمفتوحة، والحروف التي تنطق ولا تكتب..
- الاهتمام بفن الإنشاء في المراحل الأولى من التعليم ويخصص له الزمن الكافي من الحصص الدراسية ضمن خطط مادة اللغة العربية حتى يستطيع الطالب أن يعبر عما يجول في خلده تحدثا وكتابة.
- الاهتمام بالقراءة الحرة وتحفيز الطلاب عليها من خلال المسابقات مثل: مسابقة تلخيص كتاب في كل شهر.
- تقديم نماذج أدبية راقية من الأدب العربي من الشعر والنثر حتى يستطيع المتعلم اكتساب الملكة اللغوية والأدبية التي تؤهله للكتابة[٧].
- السعي إلى دمج التقنيات العلمية الحديثة في تعليم اللغة العربية ونشر آدابها، والاستفادة في ذلك من البرامج الإلكترونية الحديثة في عالم الاتصال.
- أن يربى النشء على الثقافة الذاتية النزيهة؛ لا ثقافة النسخ واللصق، وأن يكتب ما يمليه عليه ضميره؛ وأن يساهم المختصون في اللغة والأدب بالتوجيه من خلال إنشاء صفحات خاصة للأطفال تنشر فيها إبداعاتهم باللغة العربية الفصحى[٨].

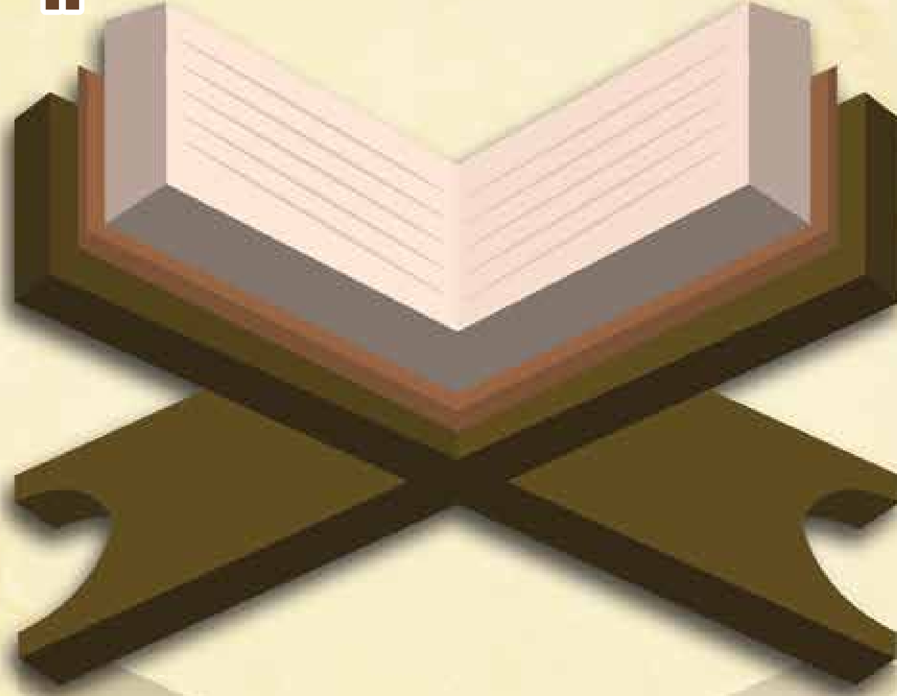
الهوامش

١- ينظر: محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي: ضوابطه وأنماطه، دار الأندلس، السعودية، ط٥، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص١٧٤.
٢- ديوان حافظ إبراهيم، د.ت، ص٤٠.
٣- ينظر: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر الأدب في أبيات وإنشاء لغة العرب، د.ت، ص٢٤.
٤- فن التحرير العربي، المرجع السابق، ص١٧٤.
٥- ينظر: جواهر الأدب، المرجع السابق، ص٢٤.
٦- ينظر: المرجع نفسه، ص٣٤٤.
٧- يقول العلامة ابن خلدون: «إن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه»... ابن خلدون، المقدمة، ص٦٤١.
٨- لملحق مجلة الوعي الإسلامي (براعم الإيمان) جهود مشكورة في هذا المجال تنشر فيه إبداعات الأطفال من الرسائل والقصص الهادفة للأطفال بأسلوب جميل ولغة فصيحة وصور رائعة.



د. محمد جمعة الدربي
باحث معجمي ومحقق لغوي

وقف البيان في المعجم التجويدي



سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن قول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل:٤)؛ فقال: «الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف»[١]. ومعرفة الوقوف قبل تجويد الحروف من قبيل ذكر الخاص قبل العام؛ فمن تجويد الحروف معرفة حدودها وحقوقها وقطعها ووصلها؛ والوقف من مباحث علم التجويد بعد معرفة مسائل المخارج والصفات؛ وقد تضمنت بعض كتب التجويد بابا للوقف كما في كتاب «هداية القاري إلى تجويد كلام الباري» للشيخ عبدالفتاح المرصفي، وكتاب «فن الترتيل وعلومه» للشيخ أحمد الطويل.

والغرض من الوقف هو بيان المعنى وتوضيحه؛ فكل وقف مقصود هو وقف بيان؛ وقد قيل: من وقف فقد فسر. ولكن بعض مؤلفات الوقف والابتداء في القرآن الكريم وصفت مواضع معينة من الوقوفات بأنها «وقف بيان»! فما المقصود بهذا الوقف؟ وما موقف المعاجم التي اهتمت بمصطلحات علم التجويد منه؟

يبدو أن أبا حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ) هو أول من استعمل (أو أول من وصلنا عنهم) هذا المصطلح. وأبو حاتم «في باب الوقف والابتداء هو الإمام المقتدى به في هذا الفن»[٢]، وهو صاحب عبارة: «من لم يعلم الوقف لم يعلم ما يقرأ»[٣] أو «من لم يعرف الوقف لم يعلم القرآن»[٤]؛ وقد ألف كتابا كبيرا في الوقف والابتداء لا يزال في حكم المفقود، ولكن النقول تتناثر عنه في مصنفات الوقف والابتداء وغيرها من كتب التراث اللغوي العربي؛ وقد أعدت هيكلة كتابه وضيقت دائرة الجمع إيمانا بأن استيعاب القليل خير من خطف الكثير؛ فاقتصرت على سبعة كتب فقط من مصنفات الوقف والابتداء، هي: «إيضاح الوقف» لابن الأنباري، و«القطع» للنحاس، و«المكتفي» للداني، و«علل الوقوف» للسجاوندي، و«التنبيهات» للزواوي، و«منار الهدى» للأشموني، و«المقصد» للأنصاري. وتأكد لي خطورة الاكتفاء بكتب الوقف عند محاولة استقصاء وقوف أبي حاتم؛ حيث وجدت بعض الإشارات عن وقوف أبي حاتم في كتب أخرى لا تحمل عنوان الوقف مثل: «تهذيب اللغة» للأزهري،

و«دقائق التصريف» لابن سعيد المؤدب، و«الهداية إلى بلوغ النهاية» لمكي، و«تفسير القرطبي»، و«لسان العرب» لابن منظور، و«غايات البيان في معرفة ماءات القرآن» للجعبري، و«مغني اللبيب» لابن هشام الأنصاري، و«حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام» لعبدالقادر البغدادي، و«تاج العروس» للزبيدي.

وعلى الرغم من تضييق دائرة الجمع كان الحصاد تسعة وتسعين وألف موضع «وقف» اشتملت على الأنواع والأوصاف الآتية: تام، وتمام، وكاف، وحسن، وجيد، وجائز، وصالح، ومفهوم، وواضح، وممكن، ومحبوب، ومستحسن، وأتم، وأحسن، وتام حسن، وتام جيد، وكاف حسن، وكاف جيد، وكاف مفهوم، وجيد حسن، ولحن[٥].

ولكن يلفت النظر حقا وصف أبي حاتم الوقف في ثلاثة مواضع من مجموع ١٠٩٩ بأنه وقف بيان، وقد نقل المواضع الثلاثة أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، وأيدته مصادر أخرى من المصادر السبعة أو غيرها؛ فقال في الموضعين الأول والثاني:

«أبو حاتم: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ (غافر:٢٨) وقف بيان وليس بالتمام»[٦]، وفي «المرشد» للعماني: «قال أبو حاتم: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وقف البيان لا بالتمام ولا بالكافي»[٧]، وزاد الأنصاري (ت٩٢٦هـ) فقال: «﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ قال أبو حاتم: هو وقف لمن قال: إنه لم يكن من آل فرعون لكنه كتم إيمانه منهم. ومن قال: كان منهم، وقف على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، وهو على التقديرين وقف بيان لا كاف ولا تام: أي بين قوله ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ بماذا يتعلق؛ فعلى الأول يتعلق بـ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾، وعلى الثاني يتعلق بـ﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾؛ لأنه نعت له (ا.هـ)، ولا أحب الوقف عليهما لما فيه من (الفصل) بين القول ومقوله»[٨].

وما نقله الأنصاري عن أبي حاتم يوضح سببا لتسمية وقف البيان بهذا الاسم، وتعليق الأنصاري يوضح أن وقف البيان غير الوقف اللازم.

وقال النحاس في الموضع الثالث: «وقال أبو حاتم: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ (الممتحنة:١) وقف بيان»[٩]. والوقف هنا بيان؛ لأنه يدفع توهم التحذير ويبين معنى العطف.

وفي «المرشد» للعماني (ت بعد ٤٥٠هـ)، وهو أوسع كتاب في تراث الوقف والابتداء من حيث النقل عن السجستاني أو من حيث توجيه الوقوف وتعليلها، إشارة إلى موضع رابع عند قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (غافر:٣٥) «قال أبو حاتم: ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ وقف بيان؛ لا يوقف عليه لا بالتمام ولا بالكافي، ولكن الوقف عليه أحسن منه على قوله: ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾؛ قال: والتمام ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾»[١٠]، والوقف هنا بيان؛ لأنه يبين تعدد الأوجه الإعرابية في جملة ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ التي قد تكون اعتراضية وقد تكون خبرا، كما يبين الأوجه الإعرابية في ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ التي يمكن إعرابها بدلا مما قبلها أو مبتدأ.

وفي «المرشد» للعماني مواضع أخرى لوقف البيان لم يصرح فيها بالنقل عن أبي حاتم ولا عن غيره، وفيه أيضا موضع يوهم أنه لأبي حاتم[١١]!

ولم تذكر لنا مصادر المواضع الأربعة تعريفا جامعا لمصطلح وقف البيان عند أبي حاتم؛ وليس هذا الوقف بدعا من أنواع الوقوف؛ فقد «اصطلح الأئمة لأنواع أقسام الوقف والابتداء أسماء.. وأكثر ما ذكر الناس في أقسامه غير منضبط ولا منحصر»[١٢].

ويكفي أن الوقف على ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ في قول الله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح:٩) تام أو تمام عند أبي حاتم، مع أنه عند أكثر علماء الوقف والقراءات وقف بيان -وسماه الهذلي وقف تمييز- إيماء إلى مرجع الضمير للتفريق بين ما يجب للرسول وبين ما يجب لله؛ إذ التسبيح لا يجب إلا لله[١٣]!

وقد جعل الشيخ زكريا الأنصاري وقف البيان قسما مستقلا عن أقسام الوقف الأخرى[١٤]؛ والواقع أنه يتداخل مع بعض هذه الأقسام؛ فيقال: وقف البيان التام، ووقف البيان الكافي، ووقف البيان الحسن. ويقال أيضا: وقف بيان الفواصل، ووقف بيان مرسوم الخط. وعرف الدكتور محمود روزن وقف البيان بأنه «الوقف على كلمة لها تعلق لفظي بما بعدها؛ للإشارة إلى معنى معتبر قد لا يفهم إلا بالوقف، ثم الاستئناف بما بعدها»[١٥]! وأفضل تعريفه بأنه «الوقف لمعنى معتبر على كلمة يستأنف بمتعلقها بعدها»، والمعنى المعتبر قيد لإخراج الوقف القبيح أو التعسفي.

ويصعب الاتفاق مع المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ علم التجويد؛ حيث جعل وقف البيان مرادفا للوقف اللازم وبديلا عنه؛ فقال: «وقف البيان، ويسمى بالوقف اللازم أو الواجب، وعلامته: «م». وهو الوقف على كلمة تبين المعنى، ولا يفهم هذا المعنى بدون هذا الوقف، ومثاله: الوقف على لفظ ﴿قَوْلُهُمْ﴾ من ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (يونس:٦٥).. وكالوقف على كلمة ﴿يَحْزَنُونَ﴾ من ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ (البقرة:٢٧٤-٢٧٥)»[١٦]!

والوقف اللازم يكون في الموهم وصله معنى فاسدا، أما وقف البيان فقد يقع في غير اللازم مثل الوقف على رؤوس الآيات،

ومنها الفواصل السبع المبنية على السكت في سورتي الحاقة والقارعة- لبيان أنها فواصل وإن جاز الوصل لتحقق التعلق اللفظي والمعنوي في جلها، والمثال الواضح هو قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ (الماعون:٤). وكذلك السكتات اللطيفة الأربع الثابتة عن حفص عن عاصم، وإحداها رأس آية في سورة الكهف، وقف بيان لا وقف لزوم، بل قد يقع وقف البيان للإشارة إلى رسم الكلمة في المصحف أو توضيح وجه لا يظهر من الرسم مثل قول الله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٧٨)، وقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ﴾ (الكهف:٤٩)، وقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ﴾ (الفرقان:٧)، وقوله: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المعارج:٣٦)؛ فقد وقف أبو عمرو على الألف «ما»، ووقف نافع وحمزة على اللام «مال»، واختلف عن الكسائي»[17]، والقراء السبعة «كلهم شدد اللام في ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ (النمل:٢٥) غير الكسائي فإنه خففها ولم يجعل فيها أن، ووقف (ألا يا) ثم ابتدأ (اسجدوا)»[18]، أضف إلى ذلك أن علامة الوقف «م» علامة مميزة للوقف اللازم، في حين لا توجد علامة في المصحف الشريف مميزة لوقف البيان. ويمكن القول: إن كل وقف لازم هو وقف بيان، وليس كل وقف بيان وقفا لازما.

ولعل الحديث عن وقف البيان في المعجم التجويدي خطوة لدراسة التأليف المعجمي لمصطلحات الوقف والابتداء في سبيل معجم شامل لمصطلحات علوم القرآن؛ فهل من مجيب؟

الهوامش

١- «الكامل في القراءات» للهذلي (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال الشايب، مؤسسة سما للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م. ص:٩٣.

٢- «منار الهدى في بيان الوقف والابتدا» للأشموني (من القرن ١١)، تحقيق: عبدالرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ط، ٢٠٠٨م، جـ١/١٣٢.

٣- «الكامل في القراءات»، ص:١٣٢.

٤- «لطائف الإشارات» للقسطلاني (ت٩٢٣هـ)، تحقيق: الشيخ عامر عثمان ود. عبدالصبور شاهي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط ١٩٧٢م، جـ١/٢٤٩.

٥- راجع الخواص المميزة لكل وقف في: «الوقف والابتداء» لأبي حاتم، جمع وتحقيق ودراسة: د. محمد جمعة الدربي، الحضارة للنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠١٥م، ص٢٤٣-٢٤٨.

٦- «الوقف والابتداء» لأبي حاتم، ص:٤٠؛ ومثله في: «الإيضاح في القراءات العشر» للأندرابي (ت بعد ٥٠٠هـ)، مخطوط جامعة إسطنبول، ورقة ١٤١.

٧- «المرشد» للعماني، تحقيق: الأزوري، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، ج ٣/٦٤٣.

٨- «المقصد» للأنصاري، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م، ص:٣٣٨، وما بين المعقوفين وقع بالضاد المعجمة!

٩- «الوقف والابتداء» لأبي حاتم، ص:٤٨.

١٠- «المرشد للعماني»، ج ٣/٦٤٥.

١١- «المرشد للعماني»، ج ٣/٧٣٠.

١٢- النشر لابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، مراجعة علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، (د.ت) جـ١/٢٢٥.

١٣- «الوقف والابتداء» لأبي حاتم، ص:٤٥-٦٥؛ و«الكامل» للهذلي، ص:١٣٢؛ و«النشر» لابن الجزري، ج ١/٢٣٢- ٢٣٣؛ و«منار الهدى» للأشموني، ص:٢٨؛ و«وقف البيان في القرآن الكريم»، دراسة مصطلحية، عدد ١٣، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط١، ٢٠١٢م، ص:١٩٠، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٤، ٢١٧.

١٤- «المقصد» للأنصاري، ص:٥-٦.

١٥- «وقف البيان في القرآن الكريم»، ص:٢٠١، ولا يخفى طول التعريف! وراجع انتقادي في مقالي: «على هامش الوقف القرآني»، مجلة الربيئة الجزائرية.

١٦- المعجم التجويدي، د.عمر خليفة الشايجي، دار الصديق، السعودية، ط١، ٢٠٠٩م، ص:٣٩٣-٣٩٤.

١٧- «التذكرة» لابن غلبون (ت٣٩٩هـ)، تحقيق: د. سعيد صالح زعيمة، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٠م. ج ٢/١٠٦-١٠٨؛ و«النشر» لابن الجزري، ج ٢/١٤٦؛ و«منار الهدى» للأشموني، تحقيق: عبدالرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ج ١/١٨٧.

١٨- «السبعة» لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ص:٤٨٠.



فاطمة عبدالرؤوف
باحثة تربوية

منهج النبي ﷺ في بناء الطفل المبدع

تعد التربية والبناء من الركائز الأساسية التي اعتمدها النبي ﷺ في نشر الدعوة الإسلامية ومنحها جذورا عميقة في الوجدان الجمعي للأمة فالطفل الذي يولد على الفطرة إذا تمت تربيته وبناؤه على هدي هذه الفطرة التي جاء الإسلام ليزيل الغبش الذي أحاط بها، وصل الطفل لمرحلة الاستفادة القصوى من كافة إمكانياته وتم توظيف هذه الإمكانيات بدرجتها القصوى لتحقيق النفع والخيرية سواء على المستوى الفردي أو على مستوى الجماعة.

عندما تتحقق هذه الاستفادة القصوى من الإمكانيات الفطرية للطفل ويتم توظيفها بالشكل المناسب نصل لمرحلة الطفل المبدع.. والمقصود بالإبداع هنا القدرة على التأمل والاختيار وعدم التقيد بالشائع المألوف إلا لو كان حقا فيتم اختياره لأنه الحق وليس لأنه الشائع.

والمقصود بالإبداع أيضا القدرة على التفكير بشكل غير تقليدي وغير نمطي في القضايا والمشكلات الحياتية أو تلك المتعلقة بالعلوم أو الآداب ومن ثم القدرة على صناعة حلول وأفكار إبداعية غير نمطية وما يتعلق بذلك من القدرة على التأمل والتحليل والتجريب وبهذا فإن الإبداع يشمل قطاعات واسعة من الحياة.

وعندما قص القرآن قصة هؤلاء الفتية الذين تأملوا وتفكروا حتى اهتدوا إلى



الإيمان ثم فكروا بشكل إبداعي تعد التربية والبناء من الركائز الأساسية التي اعتمدها النبي ﷺ في نشر الدعوة الإسلامية ومنحها جذورا عميقة في الوجدان الجمعي للأمة فالطفل الذي يولد على الفطرة إذا تمت تربيته وبناؤه على هدي هذه الفطرة التي جاء الإسلام ليزيل الغبش الذي أحاط بها، وصل الطفل لمرحلة الاستفادة القصوى من كافة إمكانياته وتم توظيف هذه الإمكانيات بدرجتها القصوى لتحقيق النفع والخيرية سواء على المستوى الفردي أو على مستوى الجماعة.

عندما تتحقق هذه الاستفادة القصوى من الإمكانيات الفطرية للطفل ويتم توظيفها بالشكل المناسب نصل لمرحلة الطفل المبدع.. والمقصود بالإبداع هنا القدرة على التأمل والاختيار وعدم التقيد بالشائع المألوف إلا لو كان حقا فيتم اختياره لأنه الحق وليس لأنه الشائع.

والمقصود بالإبداع أيضا القدرة على التفكير بشكل غير تقليدي وغير نمطي في القضايا والمشكلات الحياتية أو تلك المتعلقة بالعلوم أو الآداب ومن ثم القدرة على صناعة حلول وأفكار إبداعية غير نمطية وما يتعلق بذلك من القدرة على التأمل والتحليل والتجريب وبهذا فإن الإبداع يشمل قطاعات واسعة من الحياة.

وعندما قص القرآن قصة هؤلاء الفتية الذين تأملوا وتفكروا حتى اهتدوا إلى الإيمان ثم فكروا بشكل إبداعي في الواقع الذي يعيشون فيه وعدم قدرتهم على مواجهة هذا الطغيان ومن ثم فكروا في الحلول الممكنة حتى اتخذوا خيار الهجرة واختاروا هذا الكهف كمرحلة أولى كان في الحقيقة يضرب نموذجا للتفكير الإبداعي المؤمن وبمنهجية مختلفة في اختيار الحل كان موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام وقد قص القرآن للجماعة المؤمنة وللمربي بل وللناشئة قصة «الفتى إبراهيم» في إيمانه وبحثه وتفكيره ثم في خيار المواجهة وإبداعه في استخدام طريقة تجبر قومه على التساؤل علهم ينفضون ذلك التفكير النمطي المقلد الذي كرس حالة الكفر والشرك.

قام النبي ﷺ بتربية جيل كان بمنزلة الضمير لهذه الأمة وكان أهم ما يميزه أنه جيل مبدع بالمعنى الواسع الشامل للإبداع.

فما أهم الركائز التي اعتمدت عليها منهجية النبي ﷺ التربوية لصناعة هذا الطفل وبناء هذا الجيل؟ وتحديدا ما الأسس التي أرساها النبي ﷺ في تربية الطفل المسلم بدءا من سن التمييز أي مرحلة الطفولة المتوسطة

وصولا لما يطلق عليه مرحلة المراهقة تلك المرحلة بالغة الأهمية والتي تشكل البناء الأولي للشخصية وكيف يصبح الإبداع أحد الملامح الأساسية لتلك الشخصية في تعاملاتها وفي أفكارها وفي مواجهتها للمشكلات؟

بيئة صالحة

لعل أهم الركائز على الإطلاق توفير بيئة تربوية حاضنة طيبة وصالحة، فتلك البيئة الصالحة تضاعف النبوغ بل وتجعل من أنصاف النوابغ نوابغ، بينما تعمل البيئة الفاسدة على قتل النبوغ والإبداع أو تحويل هذا الإبداع لطرق سلبية منحرفة، وبدهي أن البيئة الصالحة ترتكز على والدين صالحين لذلك حث النبي ﷺ على حسن اختيار الزوجين بحيث يأتي الدين والخلق على رأس هرم أولويات الاختيار لا للسعادة الشخصية فقط وإنما لأثره البالغ في تربية الطفل.

ومن الجدير بالذكر أن البيئة الصالحة وإن كانت تعتمد بصورة أساسية على والدين صالحين إلا أن غياب أحدهما أو كلاهما لأي سبب لا يعني أن البيئة غير صالحة لنمو طفل مبدع مادام تم توفير بيئة حاضنة بديلة مشبعة بالحب والحنان والأمان؛ لذلك حث النبي ﷺ على رعاية اليتيم وإكرامه والحنو عليه ومنحه الحب الصادق؛ حيث قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئا» (أخرجه البخاري).

ومن النماذج القرآنية التطبيقية لأطفال مبدعين نشأوا في مثل هذه البيئة الحاضنة البديلة السيدة مريم بنت عمران.

ومن النماذج التي تعهدها النبي ﷺ بالتربية البديلة أنس بن مالك الذي قص علينا بعض ملامح تلك البيئة الصالحة التي نقصدها، فهي ليست فقط تلك البيئة التي تقام فيها شعائر الدين وأحكامه، وإنما تلك البيئة التي تتمثل قيمه العليا كالحرية والمسؤولية والتسامح أيضا، فعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا لم صنعت؟ ولا ألا صنعت؟». رواه البخاري.. فإذا كانت منهجية النبي ﷺ لا تعتمد على التوبيخ حتى في أدنى درجاته كقول «أف» وتعتمد كذلك على تقليل الأوامر والنواهي للحد الأدنى إلا أنها تعتمد بشكل أساسي على التوجيه غير المباشر والاحترام والثقة وهي تربية رفيعة يحتاجها الطفل حتى يصبح إنسانا سويا صالحا.. هذا الصلاح الذي يعد الأساس المتين لبناء إنسان مبدع بصورة حقيقية.

الدعاء

توفي رسول الله ﷺ وابن عباس الصحابي الجليل لا يتجاوز خمس عشرة سنة، وقد روي له ١٦٦٠ حديثا. كان النبي ﷺ يعتمد على الدعاء جنبا إلى جنب مع التربية والتوجيه لصناعة ذلك الجيل الرباني المبدع، فهو يدعو لعبدالله بن عباس ويقول «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» رواه أحمد. النبي ﷺ لا يكتفي بالدعاء لابن عباس فحسب وإنما يتعامل مع جميع مكونات شخصية ابن عباس وأهمها المكون العاطفي؛ فعن ابن عباس قال: «ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة» وفي رواية: «علمه الكتاب» رواه البخاري.

فالنبي ﷺ يدعو ويعلم أمته الدعاء، وكان دعاؤه خيرا كله، ولكننا نلاحظ محتوى هذا الدعاء تحديدا، فهو يدعو لعبدالله بن عباس، وقد لمح فيه ملامح النبوغ والإبداع المبكر، بأن يرزقه الله الحكمة وعلم الكتاب والقدرة على التأويل، وهي مهارات إبداعية من الطراز الأول، لا تتوافر إلا للقليلين، وكان منهم حبر الأمة عبدالله بن عباس.. ونلاحظ هنا أن النبي ﷺ دعا له وهو يراه ويسمعه، بل ويلمسه ويضمه، وهي منهجية مقصودة لصناعة هذا الطفل.

الدعاء والاستعانة بالله هو أمر لازم للمربي المسلم كما يعلمنا النبي ﷺ فمهما بذلنا من جهد يبقى ناقصا يهدده الهوى ووسوسة الشياطين وجهود المفسدين إلى أن تداركه العناية الإلهية الرحيمة.

التشجيع وبث الثقة

لا يمكن صناعة طفل مبدع بينما يعاني من افتقاد الثقة أو حتى اهتزازها، ولنتأمل في هذا السياق شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي أسلم في نحو العاشرة من عمره، وكان في يوم ما «الطفل علي» ثلث الأمة الإسلامية وحده، والمتأمل لقصة إسلامه يدرك أنه إزاء طفل مبدع حقا.. فعندما أسلم «علي» كان في مرحلة الطفولة المتوسطة، ولكن قدراته العقلية والفكرية تدل على عبقرية وإبداع؛ لذلك فلا عجب أن بادر النبي ﷺ بدعوته للإسلام رغم صغر سنه.. تعامل النبي ﷺ معه بثقة وهو يأتمنه على مثل هذا الأمر الجلل. لم يسلم من باب التقليد، ولكنه سأل واستمع بانتباه كامل وفكر بعمق، قبل أن يعلن وبكامل إرادته إسلامه[1].

وفي هذا السياق يمكننا أن نفهم موقف عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

ومنهجيته في تشجيع ابنه عبدالله، وبث الثقة في نفسه، فلقد كان عبدالله ابن عمر جالسا في مجلس النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: هي النخلة، قال: فذكرت ذلك لعمر قال: لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي من كذا وكذا» (رواه مسلم).

يمكننا أن نفهم أيضا كيف صلى عمرو بن سلمة إماما بقومه وهو ابن سبع سنين، فأولوية الإمامة بأكثرية الحفظ، حتى لو كان الحافظ طفلا؛ فالطفل في الإسلام له شخصيته التي ينبغي أن تمنح الثقة الكافية حتى تنمو وتنضج.. هذه الثقة التي جعلت مقتل طاغية كأبي جهل يقتل يوم بدر على يدي غلامين من الأنصار هما: معاذ ابن عمرو بن الجموح.. وكان الآخر هو معاذ بن عفراء.. هذان الصبيان كانا بجوار الصحابي الجليل عبدالرحمن ابن عوف ولم يتوقع تلك الشجاعة منهما، وكل منهما يسأله على حدة أين أبو جهل؟ فهذان الصبيان شديدا الطموح فكل منهما يطمح لرأس أكبر طاغية في معسكر الكفر.. بل إننا لو تأملنا ما يحكيه معاذ بن عمرو بن الجموح عما قام به في هذا اليوم لأدركنا مقدار الشجاعة والقوة التي رسختها التربية في وجدان هذا الغلام: «جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني، فلما أمكنني حملت عليه فضربته فقطعت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي وبقيت معلقة بجلدة بجنبي وأجهضني عنها القتال فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها»[٢].

على أن الشجاعة لا تتجلى فقط في ميدان القتال؛ فالشجاعة في مواجهة الحياة هي أهم خصيصة تربى عليها الطفل في المدرسة النبوية؛ فعمير ابن سعد لم يكن بعد قد بلغ الحلم، ولكنه كان حريصا على حضور مجلس النبي ﷺ والتفاعل معه، حتى إنه كان يشعر بأنه يرى الآخرة رأي العين، فذهب يحكي ما يشعر به لزوج أمه «الجلاس» وكانت العلاقة بينهما تشبه العلاقة بين الوالد وولده، فالجلاس يكفل عميرا ويحبه ويحسن معاملته، ولكن الجلاس لم يدخل نور الإيمان إلى قلبه؛ لذلك لم يجد غضاضة في كشف حقيقة مشاعره من الرسول ﷺ والرسالة، ويشكك عميرا في حقيقة الإسلام.. كان الطفل عمير في مواجهة صعبة مع الحياة بين إيمانه الذي تغلغل في قلبه رغم صغر سنه، وحبه لزوج أمه سنده في الحياة.. وببراءة طفل نقي هدد الجلاس بأنه سوف يخبر النبي ﷺ بما قاله عله يتراجع ويراجع إيمانه، ولكن الجلاس بدا شديد القسوة وهو يحاصره نفسيا، ويسخر منه ويقول له إن النبي ﷺ لن يصدقه وهو الطفل ويتهم رجلا بقامة الجلاس.. هنا تتجلى شجاعة عمير الذي أصر رغم هذه الحرب النفسية التي يواجهها ورغم مشاعر الحب والتعاطف مع من رباه، أصر على أن يكون صوت الحق هو الأعلى داخله، فيذهب ويحكي للنبي ﷺ الذي توقف في مواجهة الجلاس حتى نزل القرآن يصدق عميرا الطفل الشجاع.. وقتها فقط واجه النبي ﷺ الجلاس فأقر بخطيئته، ولامس الايمان شغاف قلبه فحسن إسلامه، وظل يذكر لعمير أنه كان السبب الذي لولاه لبقي على نفاقه فازداد حبا له[٣].

على أن هذا التحفيز النبوي يراعي تماما نوعية الذكاء الخاص بكل طفل؛ وفي ضوء ذلك يمكننا فهم الإبداع الخاص بالصحابي الجليل زيد بن ثابت الذي قتل أبوه يوم بعاث وله ١١ سنة، وعندما هاجر النبي ﷺ كان عمره ١٦ سنة ويحفظ ١٧ سورة.. كان زيد لديه قريحة علمية فذة وقدرة كبيرة على الدرس والتعلم، فكان أن وجهه النبي ﷺ لتعلم العبرية حتى أجاد تعلمها في فترة وجيزة.

نستطيع القول إذن: إن النبي ﷺ قام على صناعة أطفال مبدعين سواء كان هذا الإبداع على مستوى المهارات أو مستوى التفكير والتعلم أو على مستوى العلاقات الاجتماعية عن طريق عملية تربية متواصلة ومتبادلة تقوم على الحب والحوار والثقة وتحمل المسؤولية.. عملية تربوية تعتمد الابتسامة والبساطة والتحفيز المستمر والعطاء بمعناه الواسع.. تربية تتجاوز النمطية في التفكير وكبت الإبداع.. تربية إبداعية تتحسس نقاط القوة لتنميتها وتساعد الطفل على اكتشاف قدراته وأهدافه وتمنح الذكاء الوجداني قيمته التي لا تقل عن الذكاء العقلي وتستثمر الذكاء الحركي واللغوي.

تربية تراعي المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل والمراهق وخصائصها.. وتلك هي التربية التي نطمح للاقتداء بها إذا أردنا تربية جيل مبدع يستطيع تغيير النهوض بأمتنا.

الهوامش

١- لمزيد من التفاصيل في قصة إسلام علي ابن أبي طالب مراجعة سيرة ابن اسحاق.

٢- سير أعلام النبلاء.

٣- للمزيد مراجعة أسباب النزول في قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ (التوبة:٧٤).



د. أنس الحسيسن
أستاذ اللغة العربية بجامعة تطوان

كيف نعزز حضورها في زمن الانفجار الإعلامي؟

اللغة العربية وأطفالنا

تمر حياة الإنسان بعدة مراحل، أولاها الطفولة، التي فيها تتشكل شخصية الطفل، لاسيما في مجال اللغة، التي يتعلمها انطلاقا من البيت، والمدرسة، والمحيط الخارجي. يضاف إلى هذا عنصر الإعلام، الذي أصبح يؤثر تأثيرا قويا في أقوال وسلوك الطفل من خلال ما يسمعه ويشاهده ويقرأه، الشيء الذي جعل الشركات تركز في ما تسوقه وتبثه من مواد إعلامية على هذه الشريحة الغضة القابلة للتشكيل والتشكل بحسب الرغبات المعلنة والأهداف المضمرة.

في هذا الوضع، بينت الإحصاءات الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن ٤٠ في المئة من الأطفال العرب هم من الشريحة العمرية من صفر إلى ١٤ سنة، هم في حاجة إلى أن يكونوا من صلب اهتمامات اللغويين لتحصينهم وحمايتهم من كل المؤثرات الناجمة عن ثورة المعلومات في زمن هيمنة النظام الاقتصادي الجديد وما رافقه من انفجار معرفي.

الخطابة أسلوب للتواصل

إن الخطابة أسلوب من أساليب التواصل، وتتم بواسطة الحديث، الذي هو أول طرق التواصل، يستخدمها الإنسان في حياته اليومية. ويتعلم الإنسان الحديث منذ أن يرى النور داخل أسرته الصغيرة قبل أن يتمدد ليشمل مئات الأفراد خارج البيت. وهي أيضا دوحة من الفنون الأخرى، ذلك أن من يستطيع إلقاء حديث جذاب أمام حشد من الناس يملك موهبة لا يتمتع بها إلا القليلون، وهذه الموهبة يمكن التدرب عليها وتنميتها مثل أي فن آخر(١).

ومن قراءة التاريخ نجد أن فن الخطابة قد لقي اهتماما على المستوى الرسمي في الحضارات القديمة اليونانية والشرقية، وبعد ذلك الحضارة العربية الإسلامية. فقد أدرك خبراء التربية والسياسة أهمية وتأثير الخطابة، وكان التدريب عليها يمثل جزءا من مناهج التعليم لأبناء الطبقة الراقية.

وفي عصر الشاعر هومبير، كان

الهدف من التعليم هو خلق رجال قادرين على الحديث وقادرين على العمل. وفي صدر الإسلام نبغ خطباء كثيرون كان الأثر البالغ في إيصال رسالتهم إلى الآخرين وعلى رأسهم علي بن طالب رضي الله عنه، ويكفي تصفح كتاب نهج البلاغة للوقوف على قوته الخطابية.

بيد أن العصر الحديث لم يعط للخطابة القدر نفسه من الاهتمام، ولم يهتم المشاهير بالتدرب على الإلقاء، لكن على الرغم من عدم الاهتمام الكافي من الباحثين وعلماء التربية على المحدثين بموضوع الخطابة والإلقاء فإن قيمة الخطابة ظلت، وستظل ملحوظة، مما جعلها تجد طريقها إلى بعض المناهج، حيث إنها تتدخل في كل الميادين الحياتية، ومن ضمنها اللغة والإعلام، ويضع بعض المختصين مواصفات للخطابة الفصيحة منها:

- وضوح اللفظ: إذ من الضروري أن يجيد الخطيب لفظ كل حرف، وينطق به نطقا سليما وواضحا وصحيحا.

- القدرة على النطق من خلال التنفس: إن التنفس هو القوة المحركة للكلام كالبنزين بالنسبة إلى السيارة، فالحديث الجيد يلزمه تنفس منتظم. وهذا من مقومات الخطابة المؤثرة.

- نبرة الصوت: وتعني تغيير نبرة الصوت من كلمة لأخرى ومن جملة لجملة، وذلك له أثره في المعنى العام، إذ قد يتغير المقصود بتغير نبرة الصوت.

- ميزان سرعة الإلقاء: من القواعد العامة ألا يكون الحديث سريعا، ولا بطيئا، سواء كان الأمر يتعلق بحديث عادي أو بخطابة في مشهد خاص، فالإلقاء يجب أن يتراوح بين السرعة أحيانا والبطء أحيانا أخرى حسب الموقف، والجملة التي يراد إلقاؤها، ويبقى الموقف برمته في حدود المعقول الممكن متابعته بسهولة[٢].

الطفل واللغة

يستعمل الطفل العربي مع أولى مراحله لغة بلده الأصلي، وفي الحديث الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»[٣]. وما يفوه به الطفل العربي والإسلامي من كلمات هو نابع من اللغة العربية، التي هي لغة الكتاب، كما أنها لغة الخطاب والتواصل بين أبناء الأمة العربية والإسلامية، إضافة إلى أنها لغة التواصل الحضاري بين شعوب الدول العربية والإسلامية، التي حملت إليهم الإسلام وجعلت للعرب مكانة الأستاذية بين الشعوب. كما أن اللغة العربية هي لغة التواصل، التي حملت تراثنا العلمي، ولغة العلم والأدب والكنوز العلمية والأدبية. وقد نبهنا القرآن العظيم إلى مكانة اللغة العربية، التي اختارها الله لكتابه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (يوسف:٢)، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥).

إن الطفل أول ما يرتبط به هو اللغة، ويغذي بها موسوعته الفكرية مع أولى سنوات عمره، بنوعية الكلمات، التي يلتقطها. وإذا كانت رديئة، فستصبح مع الوقت جزءا من شخصيته، وعندما يعتاد الطفل على سماع الكلمات القاسية والجارحة للمشاعر، فإن قاموسه اللفظي سيتغذى بها حتما، ويختزنها ليتحدث بها مع إخوته وأصدقائه، ويوظفها حتى في سن الرشد، ومن هنا تكمن أهمية ما يتلقاه الطفل من لغة منذ الصغر، التي يبني بها شخصيته، وسيتواصل بها مع القادم من حياته. واللغة العربية هي أكبر من مجرد اصطلاحات أو تواصل، بل هي انتماء، وهي أداة من خلالها تحفظ هوية الأمة، ومن دونها تنسلخ عن تاريخها.

ومن أهم التأثيرات التي تتركها الكلمات الساقطة، التي يسمعها الطفل في البيت، أنه يدخل في عزلة وانطوائية، وهذا حتما سيؤدي إلى ضعف في التحصيل، والتواصل، والتمكين، والمواجهة، والمشاركة، وعلى العكس من هذا عندما يسمع الطفل خطابا مشحونا بالكلمات المختارة والجيدة، ستصب لا محالة في تنمية الطفل، وسيكون متوازنا نفسيا وفكريا واجتماعيا.

الخطاب الإعلامي

يعد الخطاب الإعلامي صنفا من بين أهم أصناف الخطابات اللغوية المتغلغلة في أعماق الحياة الاجتماعية المعبرة عن كل مجالاتها الحياتية، وهو منتوج لغوي إخباري متنوع داخل بنية اجتماعية - ثقافية محددة، وهو شكل من أشكال التواصل الفعال في المجتمع. إن الخطاب الإعلامي هو رسالة اتصالية تحوي عددا من المعطيات الجدية، التي قد تكون صادقة وشفافة، كما يمكن أن تكون محرفة ومضللة، وتقاس كمية معطياته بمقياس وحدة المعلومة[٤].

إن للإعلام بمختلف مشاربه دورا في الحفاظ على الينابيع الصافية للغة العربية وتجديدها وتطويرها والارتقاء بها، وكلما تبوأت اللغة المكانة اللائقة بها في الإعلام بأنواعه المتعددة، فإنها باستطاعتها أن تفرض وجودها الكامل في الحياة العامة،

وتصبح لغة الحياة، وهي بذلك لا تكتفي بإيصال الرسالة الإعلامية بغض النظر عن جودة تأثيرها إلى أداة فعالة لتحقيق غايات ترتبط بالتربية والدين والمواطنة والحقيقة وقيم المجتمع، وهذا من صميم أهداف الإعلام التربوي، الذي أصبح يملك وسائل اتصال حديثة ومتنوعة وبإمكانه توصيل المواد التعليمية إلى أفراد المجتمع بدءا من الأطفال(٥).

ومن ضرورة العناية باللغة العربية، فتح المجال أمامها لتثبت مكانتها في وسائل الإعلام، لتكون لغة مؤثرة في الرأي العام، ولها الحظوة والقبول من القطاعات العريضة من الشعوب العربية والإسلامية. ومن التحديات، التي تواجه العربية في الإعلام، عدم مراعاة الدقة، والتساهل في إفشاء الأخطاء، وإسقاط الرقابة اللغوية، والخلط بين الفصحى والعامية على النحو الذي يشيع الرداءة اللسانية والإسفاف اللغوي، ويفسد اللغة إفسادا ظاهرا ملموسا. ووسائل الإعلام ليست حمالة حطب، وإنما هي منابر لها مضامين قيمية بصفة رئيسية، وقد وجدت لأداء رسالة نبيلة.

وقد تلقت اللغة العربية ضربات قوية خلال السنوات العشرين الأخيرة، كان لها انعكاس مباشر على البنيات اللسانية والوظيفية للغة العربية، ذلك أنه في ظل الثورة التكنولوجية التي من مظاهرها انفجار شبكات التواصل الاجتماعي والرقمنة، أصبحت اللغة العربية من أسرع اللغات نموا عبر مختلف منصات التواصل الاجتماعي في العالم، إلى جانب ذلك عملت الهواتف الذكية والتطبيقات المتنقلة على انتشار المحتوى الرقمي الناطق بالعربية في عدد كبير من الدول العربية. ومن خلال بحث أجراه المهدي العامري (أستاذ بمعهد الإعلام والاتصال بالرباط) على أن كتابة العربية بالحروف اللاتينية تضعها في حال تمزق وتشرذم لغوي يفرضه واقع التخلف التكنولوجي وضعف حركة الترجمة ونقل العلوم عن الغرب من لدن سائر أقطار العالم العربي. ومن شأن هذه العنف اللغوي أن يفقد لغة الضاد كيانها وهويتها العميقة وقيمتها الاعتبارية في العالم، بل يجعلها لا تقاوم الصمود أمام الغزو الثقافي الهجين، الذي قد يفقدها ريادتها بين لغات المعمورة.

كيف نحمي ونقوي الرصيد اللغوي للطفل في ظل تعدد القنوات؟

إن الطفل، ومع واقع الانتشار الواسع للقنوات الإذاعية والتلفزية والإلكترونية، بما فيها العامة والخاصة، وما يعترضه في خضم هجمات المنادين من أهل جلدته بتكريس العامية، وتشجيع لدراسة العلوم باللغات الأجنبية، التي لابد من انفتاح الطفل العربي والإسلامي عليها ضمن رؤية استراتيجية تحفظ التوازن وتلبي غايات التطور، وصولا إلى المشاركة في الإنتاج؛ إنتاج العلوم والمعارف بدلا من الركون والعطالة والاستهلاك.

ومن أجل ذلك ندلي بهذه الاقتراحات:

- زيادة الوعي لدى المجتمعات العربية والإسلامية بكون اللغة العربية حامية وحاملة للهوية والتراث والثقافة.
- تشجيع الطفل على تنمية خياله بأفلام الرسوم المتحركة، وهو الذي يجعله يحلل ما حوله من أحداث ومواقف، ويفعل عمليات التفكير العليا لديه، كالاستدلال والمقارنة والاستنتاج والتحليل، مما نفتقده في المدارس غالبا، وبلغة فصيحة وسليمة من الأخطاء.
- تنبيه الأطفال إلى خطورة بعض ألعاب الفيديو، التي لا تكرس إلا لغة العنف والقتل.
- تخصيص مزيد من الحصص الخاصة بالأطفال في برامج التلفزيون، وعرضها في أوقات مناسبة، يكون الهدف منها تقديم أنشطة ثقافية باللغة العربية لتدريب الأطفال على التواصل بلغة الضاد، وهذا يدخل ضمن الإعلام التربوي.
- توسيع إنشاء قنوات خاصة تعنى بالطفل وبلغته وبتوعيته في كل البلاد العربية والإسلامية، وهو ما يطلق عليه بصحافة الأطفال.
- إنجاز مسابقات ثقافية على شكل حوارات باللغة العربية داخل المؤسسات التعليمية، وتخصيص منح تشجيعية للفائزين.
- مطالبة الصحافيين بمضاعفة العناية باللغة العربية وسلامتها وتحسين أدائهم بها، خصوصا حين نقل المباريات الرياضية، التي تستأثر باهتمام كثير من الأطفال.

الهوامش

١- عبدالعزيز أشرقي، الدليل العملي للتواصل الإداري والاجتماعي، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، ط/٣، ٢٠١٢م، ص:٣٢.

٢- المصدر السابق.

٣- مسند البزار ١٤/٣٧١.

٤- عبدالسلام أندلوسي، الخطاب الإعلامي.. الأسس والمرتكزات، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ٢٠١٦م، ص:٦٨.

٥- نورالدين الأمني الجعباق، الإعلام ودوره في الحياة المدرسية، مطبعة الضفة، تطوان، ٢٠١٧م، ص:١٥.



خالد ربيعي
باحث لغوي

تنزيه القرآن عن سفه الغلمان

أنزل الله، جل وعلا، القرآن الكريم هدى ونبراسا ونورا للناس، يهديهم وينير طريقهم، ويرشدهم ويبين لهم سبل الرشاد.

وقد أمرنا الله تعالى بتدبر آياته وأحكامه، والاعتبار بالحوادث والقصص... ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر:٢)، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (النساء:٨٢)، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ (النازعات:٢٦).. وأمرنا بتلاوته وحثنا على الفهم والتفكير في خلق الله دائما ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ (المزمل:٢٠)، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر:١٧)، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ (الإسراء:٧٩).

وحثنا المولى، عزوجل، على تعظيم كتابه واحترامه والحفاظ عليه، وحفظه والعمل بما جاء به من أحكام وأوامر، لأنه نبراس لكل مريد، وهدى لكل ضال.

وحذرنا ربنا، تبارك وتعالى، من إهمال القرآن وتركه والانشغال بالدنيا وملذاتها وشهواتها عن تلاوته وتدبر معانيه، وتوعد في أكثر من موضع من يستهينون بآيات الله ويستهزئون بها بعذاب شديد وعقاب أليم ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (التوبة:٦٥)، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ (البقرة:٢٣١)، ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ (الكهف:٥٦).

وأمرنا الخالق، سبحانه وتعالى، بالابتعاد عن القوم الذين يستهزئون بآيات الله وعدم الجلوس معهم، حيث قال عز وجل: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ (النساء:١٤٠)،

وقال متوعدا المستهزئين



بالعذاب والهلاك: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (الجاثية:٩).

وقد تعددت في أيامنا، للأسف الشديد، طرق الإهمال والسخرية واللامبالاة تجاه كتاب الله العظيم، فالبعض يهمل تلاوته، والبعض لا يفتح «المصحف» إلا في شهر رمضان، والبعض يتخذ من بعض الآيات مادة للتندر والاستظراف وإضحاك الآخرين، غير منتبه ولا عابئ بما أعد الله من عذاب وهلاك لمن يفعل ذلك، وغير مدرك لخطورة إضحاك الناس بكلام فيه سخرية واستهزاء وكذب وافتراء، وقد قال الرسول ﷺ في ذلك «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ويل له» (سنن الترمذي).

ومن صور الإهمال وعدم إجلال كتاب الله الكريم:

❖ من المسلمين من يقتني مصحفا أو أكثر في بيته، لكنه لا يكاد يطلع فيه إلا خلال شهر رمضان، كأن القرآن لا يتلى أو يقرأ إلا في شهر الصوم فقط، ويظل «مركونا» يعلوه التراب، مع الأسف، لا ينفض عنه إلا عند الحلف عليه أحيانا أو عند البحث عن آية معينة.

❖ يحرص البعض على وجود مصحف على مكتبه «للزينة» فقط، ليترك بهذا «الديكور» انطباعا لدى المتعاملين معه بأنه رجل دين، رغم أنه لا يكاد يفتحه أو حتى ينظر فيه!

❖ كثير من أصحاب السيارات يضعون مصحفا صغيرا «في علبته» على التابلوه «أمام السائق»؛ اعتقادا بأنه (المصحف المحفوظ دوما في علبته) سيحفظه ويرعاه ويجنبه الحوادث وغوائل الأيام!

❖ انتشرت مؤخرا ظاهرة استخدام «آيات القرآن» في رنات الهاتف، وهذا قمة الجهل والاستخفاف والانتهاك لقدسية آيات الله عز وجل، فمن المحتمل أن يرن الهاتف في الخلاء، وهو بالطبع مكان محظور فيه ذكر اسم الله أصلا، فضلا عن كراهية الكلام فيه!

طرق علاج الظاهرة

الشواهد والأمثلة، مع الأسف، كثيرة، وليس هذا مجال حصرها، بقدر ما هي علامات وأدلة على سوء أدب واحترام لأجل كتاب على وجه الأرض.

وما السبيل إلى مكافحة هذا الأمر المشين، من الاعتداء والسخرية واتخاذ آيات الله هزوا؟

في رأيي أن هناك جهات عديدة تقع على عاتقها مسؤولية الدفاع عن كتاب الله تعالى، والحث على احترامه وتوقيره وتبجيله.

فعلى الأب والأم أيضا مسؤولية تنبيه الأبناء إلى ضرورة تعهد كتاب الله بالحفظ والمتابعة منذ الصغر، وحث أبنائهما على الاهتمام بالتلاوة وارتياد حلقات التحفيظ في المساجد وتعلم علوم القرآن، وغرس احترام كتاب الله والعناية به وتوقيره في كل زمان ومكان، لأن في ذلك فضلا في الدنيا والآخرة؛ امتثالا لقول المعصوم ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وعلى الأئمة والدعاة دور أساسي في التوجيه إلى الاعتزاز بكتاب الله وتلاوته، وحث الآباء على تشجيع الأبناء على حفظ القرآن والمحافظة عليه من العبث، والدعوة إلى امتثال أوامر الله في كتابه منذ الصغر، لأن «من شب على شيء شاب عليه».

والمعلمون في مدارسهم عليهم أن يكونوا قدوة لطلابهم وأن يشربوا قلوبهم حب كتاب الله ويحثوهم على ضرورة تلاوته والعمل به واحترام آياته، وعدم إهماله أو العبث بآياته أو استخدامها «رنات» على هواتفهم وبيان خطأ ذلك وأثره.

وأساتذة الجامعات؛ لاسيما متخصصي العلوم الشرعية وأهل اللغة العربية، عليهم حث طلبة العلم على هذا الأمر وغرس حب واحترام وتوقير آيات الله فيهم، ليغرسوها بدورهم في نفوس طلابهم عندما يناط بهم أمر التدريس مستقبلا، ففاقد الشيء لا يعطيه.

ووسائل الإعلام عليها الدور الأكبر والأهم في التنبيه إلى ضرورة إعطاء كتاب الله حقه من التوقير والاحترام وضرورة العناية به «مكانا ومكانة»، والدعوة إلى عدم الاكتفاء بتلاوته فقط في شهر رمضان، وتوضيح عقوبة الساخرين أو المهملين أو المستهزئين بآيات القرآن، على سبيل الاستطراف أو الاستظراف!



فهد الشمري

«الأخوة الإنسانية لتعزيز الأمن والسلام»- كرواتيا



في مبادرة منها للتأكيد على أهمية تعزيز قيم الأخوة الإنسانية؛ بوصفها أهم ركائز تحقيق السلام العالمي والوئام المجتمعي، نظمت رابطة العالم الإسلامي في العاصمة الكرواتية زغرب مؤخرا مؤتمرا حول الأخوة الإنسانية لتعزيز الأمن والسلام، بحضور ورعاية كوليندا غرابار كيتاروفيتش رئيسة الجمهورية ورئيسي الوزراء والبرلمان في جمهورية كرواتيا، والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد العيسى.

شهدت جلسات المؤتمر حضورا لافتا لعدد من كبار القادة الدينيين والمفكرين والأكاديميين والقادة السياسيين، حيث أكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد العيسى على ضرورة الالتفاف الحقيقي حول قيم الأخوة الإسلامية، التي تلغي الحواجز السلبية وتردم فجواتها، وتبني في المقابل الجسور وتسهل الحوار والتفاهم والتعاون.

وأضاف العيسى أن الإنسانية تمتلك قيما مشتركة تكفيها لإحلال السلام والوئام في عالم اليوم، مشددا على ضرورة احترام دساتير وقوانين وثقافة البلدان التي نعيش أو نقيم على أراضيها، على أن المطالبة بالخصوصية الدينية تتم وفق الإجراءات القانونية؛ فالدول المتحضرة تفتخر بتنوعها الذي يعزز من قوتها ويزيدها مناعة، شريطة أن تكون حذرة من أي تدخل يستهدف أيا من مكوناتها الوطنية بدافع ديني أو غير ذلك.

وحول مبادرة الصداقة والتعاون بين الأمم والشعوب من أجل عالم أكثر تفاهما وسلاما، ومجتمعات أكثر وئاما واندماجا، قال الشيخ الدكتور محمد العيسى: لقد أطلقنا هذه المبادرة وقمنا بتفعيلها مباشرة ببرامج عملية مع شركائنا حول العالم من جميع الأديان والثقافات، مؤكدا أن أساس هذه

المبادرة يرتكز على المبادئ الإنسانية المشتركة، لاسيما قيم عدالتنا التي لا تزدوج معاييرها مطلقا.

وختم الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي كلمته بالإشارة إلى أهمية ألا يقتصر دور قادة الأديان على مخاطبة الروح والعاطفة فحسب، بل يجب أن يخاطبوا المنطق والواقع ليسهموا بفاعلية في سلام عالمهم ووئام مجتمعاتهم.

بدورها، أشادت رئيسة جمهورية كرواتيا بمبادرة رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع الأبرشية الكرواتية والمشيخة الإسلامية الكرواتية بتنظيم هذا المؤتمر، وبالحضور الإسلامي الإيجابي في جمهورية كرواتيا، داعية إلى تعزيز قيم الحوار والاحترام في المجتمعات.

وأضافت: هذه فرصة مهمة لنا جميعا لبناء عالم تسوده المحبة ويقوم على الأخوة، حتى يتسنى لنا التعاون في خدمة العالم، انطلاقا من هذه الوحدة الإنسانية التي أرادها الخالق.

من جانبه، أكد رئيس المشيخة الإسلامية في جمهورية كرواتيا الشيخ الدكتور عزيز حسانوفيتش على التزام رابطة العالم الإسلامي بمسؤوليتها العالمية في الإسهام في صناعة السلام كما دعت قيم الإسلام، مثمنا جميع الجهود المبذولة في مواجهة كل أشكال الصراع والتطرف وازدراء أتباع الأديان من أي طرف كان.

الجدير بالذكر أن المشاركين في مؤتمر «الأخوة الإنسانية لتعزيز الأمن والسلام» طالبوا بسن التشريعات اللازمة لتجريم كل أساليب وممارسات الكراهية والعنصرية والتهميش والإقصاء؛ باعتبارها جريمة بحق الإنسانية والوطن والفرد والجماعة، داعين المؤسسات الفاعلة والمؤثرة في المجتمع الدولي والداخل الوطني إلى تعزيز مفاهيم الأخوة الإنسانية والوطنية، وتعميق المشتركات الجامعة، والتعاون في مواجهة كل التحديات، وتحويل المبادرات الإيجابية إلى برامج عملية مؤثرة كإنشاء مركز عالمي للتواصل الحضاري ليكون جسرا للتعارف والحوار والتفاهم والتعاون بين كل مكونات المجتمع الإنساني، ومكانا حاضنا للمبادرات ذات الصلة بتعزيز القيم الإنسانية والمجتمعية وردم الفجوات الدينية والثقافية والعرقية.

من جهة أخرى، يقام المؤتمر العلمي الأول لرعاية الأيتام «التجارب السابقة وآفاق التنمية»، وهو مؤتمر دولي متخصص في رعاية الأيتام وتمكين الأرامل، ويسلط الضوء على القضايا المتعلقة بقطاع رعاية الأيتام، والتحديات التي تواجه الأيتام والأرامل والمؤسسات العاملة معهم.

ويوفر المؤتمر، الذي ينظم على مدى يومين خلال الفترة ٤ - ٥ نوفمبر ٢٠٢٠م، مساحة للباحثين والأكاديميين والمختصين لتبادل نتائج البحوث والخبرات في معالجة مسائل: الحوكمة، والسياسات للمنظمات العاملة مع الأيتام، والقوانين والتشريعات التي تحمي حقوقهم، ودور مقدمي الخدمات الاجتماعية والمهنية في تمكين وتأهيل الأيتام والأرامل، والتنمية المستدامة وإعادة إعمار قطاع رعاية الأيتام.

ويهدف المؤتمر إلى حشد الجهود وتحفيز الأفكار النقدية والابتكارية المتنوعة، لتعزيز رفاه الأيتام والأرامل حول العالم.

كما يهدف إلى تقديم توصيات البحوث النوعية والكمية التي تخدم المؤسسات المهتمة بالأيتام في تطوير السياسات، واقتراح المشاريع، وتحسين الأنظمة والتشريعات الإقليمية والعالمية الخاصة بالأيتام.

كما يهدف إلى توفير آلية لتبادل الخبرات والمعارف والتحديات بين المهنيين والأكاديميين المختصين في شؤون الأيتام والأرامل.

محاور المؤتمر

تشمل مواضيع المؤتمر المحاور التالية:

١- الحكومة والسياسات في المنظمات العاملة مع الأيتام.

٢- القوانين وحقوق الأيتام.

٣- تمكين وتأهيل الأرامل والأيتام.

٤- إعادة الإعمار والتنمية المستدامة لقطاع رعاية الأيتام.

٥- العنف ضد الأيتام والأرامل.

٦- الصحة العامة للأيتام والأرامل.

٧- تعليم الأيتام والأرامل.

٨- عمالة الأطفال الأيتام.

٩- الأيتام ذوو الاحتياجات الخاصة.

١٠- الأيتام المشردون والرعايا المؤسسية.

١١- الكفالة والموارد المالية للأيتام.

يذكر أن المؤتمر ينظم من قبل اتحاد رعاية الأيتام، وهو منظمة غير حكومية مسجلة في تركيا والمملكة المتحدة، بالشراكة مع العديد من المنظمات الإنسانية والمؤسسات الأكاديمية في الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا وأوروبا والولايات المتحدة الأميركية، وسيشتمل على حلقات نقاشية يتاح للخبراء والمختصين من خلالها نقاش القضايا والتحديات في قطاع رعاية الأيتام.



التحرير

عبدالرحمن عبدالخالق في ذمة الله

«موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار» (الحسن البصري).

وبموت العلماء يقبض العلم كما أخبر النبي ﷺ فيما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

وقد رحل عن عالمنا واحد من هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين ضربوا بسهم وافر في العلم الشرعي والبحث العلمي وهو الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق -رحمه الله- الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى في ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٠ بعد حياة حافلة بالعطاء والعلم والدعوة إلى الله تعالى عن عمر يناهز واحد وثمانين عاما.

ولد الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق في محافظة المنوفية بمصر في ٥ نوفمبر ١٩٣٩م الموافق ٢٣ رمضان ١٣٥٨ هجريا، وأتم دراسته في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وانتقل إلى الكويت عام ١٩٦٥م، حيث عمل مدرسا بمدارس الكويت في الفترة ما بين



١٩٦٥م و١٩٩٠م، وبعدها عمل في مجال البحث العلمي في جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، وأم المصلين في مساجد الكويت وكان يقصده المصلون من أنحاء الكويت للصلاة خلفه والاستماع إلى خطبه ومواعظه ودروسه.

وصدر مرسوم أميري بتاريخ ٣١ أكتوبر ٢٠١١ بمنحه الجنسية الكويتية، وقد استقبلت الأوساط الإسلامية الخبر بكثير من الترحيب والقبول حيث يحظى الشيخ بمكانة واسعة وسط الدعاة والتلاميذ.

وترك الشيخ وراءه تركة كبيرة من الأعمال والمحاضرات والمؤلفات التي زادت على ٦٠ مؤلفا تدعو إلى المنهج الإسلامي ومحاربة البدع والخرافات وتحارب الإلحاد وتدعم القضية الفلسطينية.

ومن هذه المؤلفات:

- الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي.
- السلفيون والأئمة الأربعة رضي الله عنهم.
- أضواء على أوضاعنا السياسية.
- الطريق إلى ترشيد حركة البعث الإسلامي.
- منهج جديد لدراسة التوحيد.
- العقبات التي تعترض بناء الأمة الإسلامية.
- الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها.
- أثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في العقيدة.
- المسلمون والعمل السياسي.
- كلمات مضيئة في الانتفاضة الفلسطينية.
- شيخ الإسلام ابن تيمية والعمل الجماعي.

وكان آخر ما نشره الشيخ -رحمه الله- قبل وفاته على صفحته الشخصية مقالا حذر فيه من التطبيع مع الصهاينة وبين مخاطره على الإسلام والمسلمين.

رحم الله الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق وجزاه خيرا على ما قدم لخدمة الإسلام والمسلمين وعوض الأمة خيرا.



د. مجدي محمد حسن
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

عبد الرحمن السليم في أمان الله



فجعت الأمة وطلاب العلم في الأيام القليلة الماضية بفراق ثلة من أهل العلم، وبقية من السلف الصالح - ومنهم الشيخ عبد الرحمن السليم - أبو فهد - الذي تعاملت معه سنوات طوالا عن قرب في إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف، فلمست فيه تمسكه بالسنة عن علم وفقه، والتزامه للدعوة إلى العقيدة السلفية، فقها ومنهاجا، وكان من عطايا الله له التوفيق إلى تأويل الأحلام، فكان رحمه الله مسددا وموفقا ومرشدا وناصحا.

هذا إلى جانب سعيه الدؤوب في قضاء حوائج الناس سواء من المواطنين أو المقيمين، فكان رحمه الله لا يمل من سعيه وشفاعته لأهل المعروف والإحسان، وأصحاب المناصب والسلطان، فكان لا يتأخر ويسعى لمساعدة الآخرين، ولا شك أنه يعلم بعظم أجر من أغاث ملهوفا، وأعان صاحب حاجة.

ولقد عاينت عن قرب إسهاماته في إغاثة الملهوفين داخل الكويت وخارجها، والله ما رأيته قط يتحدث عن نفسه أو يزكي نفسه، وهذا من أخلاق المؤمنين.

لقد كان الشيخ عبد الرحمن السليم - أبو فهد - له مناظراته العلمية، وإذا ما حدث خلاف في الرأي، فلا يغضب ولا يعادي، بل كان يتألف القلوب ولا ينازع الأمر أهله، ويجتمع الكل في ديوان - السليم - بحطين، علماء وطلاب علم، مطبقا القول المأثور: الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

لقد ضرب في مشارق الأرض ومغاربها معلما ومدرسا لطلاب العلم، من العرب ومن غير العرب، وناشرا للعلم الشرعي، ويلتف حوله الطلاب لينهلوا من علمه وفقهه، ونرجو من الله أن ينال أجر الشهادة بمرضه الذي توفي به، كما أخبر النبي ﷺ: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله» متفق عليه

الأخ العزيزأبو فهد يعز علينا فراقك، ولكنها سنة الله في الخلق، غفر الله لك ولوالديك وألهم أهلك ومحبيك الصبر، وبارك في ذريتك.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٤٩)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «الكاندهلوي»

١- محمد إلياس الكاندهلوي (ت:١٣٦٥هـ)

هو محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي، الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا أبي بكر الصديق، عالم، فقيه، محدّث.

ولد سنة ١٣٠٣هـ، ونشأ في كاندهلة عند والده، وتلقى علومه على كبار الأساتذة في الهند؛ فحفظ القرآن وهو صغير، ولازم الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وارتحل إلى ديوبند، وحضر دروس الشيخ محمود حسن، وقرأ على أخيه الشيخ محمد يحيى، واتصل بالشيخ خليل أحمد السهارنفوري.

وهو قائد جماعة «جماعة التبليغ» في شبه القارة الهندية؛ وتأثر به وكان من تلامذته الشيخ أبو الحسن الندوي.[1]

٢- محمد يوسف الكاندهلوي (ت:١٣٨٤هـ)

هو محمد يوسف بن محمد إلياس ابن محمد إسماعيل الكاندهلوي، أحد علماء الحديث بالهند.





ولد سنة ١٣٣٥هـ، ونشأ في أسرة علمية عامرة بالعلم والورع، حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، وتلقى الكتب الستة من والده الشيخ محمد إلياس، وأخذ عن كبار شيوخ الحديث كالشيخ عبدالرحمن كامل، وابن عمه الشيخ محمد زكريا الذي أشرف على تعليمه وتربيته حتى تخرج من الحديث سنة ١٣٥٤هـ.

حج ثلاث حجات واعتمر مرتين.

من مصنفاته: «أماني الأحبار شرح معاني الطحاوي»، و«حياة الصحابة».

توفي يوم الجمعة في ٢٩ من شهر ذي القعدة[٢].

٣- محمد زكريا الكاندهلوي (ت:١٤٠٢هـ)

هو محمد زكريا الكاندهلوي، الإمام، العلّامة، شيخ الحديث بالهند.

ولد لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان في «كاندهلة» سنة ١٣١٥هـ، في بيت عريق في العلم والدين، فقرأ مبادئ اللغة الأردية والفارسية على عمه الشيخ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي صاحب دعوة التبليغ المشهورة، وحفظ القرآن، ثم انتقل مع والده إلى سهارنفور، المركز العلمي الكبير، وأقبل على العلم، واشتغل به بهمة عالية وقلب متفرغ، وبدأ درس الحديث الشريف على والده، فقرأ عليه الصحاح، كما قرأ صحيح البخاري وسنن الترمذي على الشيخ خليل أحمد السهارنفوري.

من مصنفاته: «لامع الدراري على جامع البخاري» «أوجز المسالك في شرح موطأ مالك»، و«الأبواب والتراجم لصحيح البخاري»، و«الكوكب الدري في شرح جامع الترمذي»، و«أسباب سعادة المسلمين وشقائهم في ضوء الكتاب والسنة» وغيرها من المصنفات.

توفي بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع[٣].

المتفق والمفترق في اسم «اللكنوي»

١- أبو العياش اللكنوي (ت:١٢٢٥هـ)

هو أبو العياش محمد عبدالعلي ابن نظام الدين محمد السهالوي الأنصاري اللكنوي الهندي، عالم بالحكمة والمنطق حنفي.

من مصنفاته: «تنوير المنار» فقه، و«شرح السلم» منطق، و«فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت» في أصول الفقه، و«حاشية على شرح الصدر الشيرازي للهداية»، ومثلها «العجالة النافعة».

توفي بمدراس رحمه الله تعالى[٤].

٢- أبو الحسنات اللكنوي (ت:١٣٠٤هـ)

هو أبو الحسنات محمد عبدالحي ابن محمد عبدالحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، عالم بالحديث والتراجم، من فقهاء الحنفية.

ولد سنة ١٢٦٤هـ

من مصنفاته: «الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»، و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية»، و«التعليقات السنية على الفوائد البهية»، و«الرفع والتكميل في الجرح والتعديل»، و«ظفر الأماني في مختصر الجرجاني» في مصطلح الحديث، و«التعليق المجد على موطأ الإمام محمد»، و«فرحة المدرسين بأسماء المؤلفات والمؤلفين»، و«طرب الأماثل بتراجم الأفاضل»، و«إنباء الخلان بأنباء علماء هندستان»[٥].

الهوامش

١- انظر: الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله: للشيخ أبي الحسن الندوي، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٣٣/١).

٢- انظر: موقع ويكيبيديا، الموسعة الحرة، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٣٣/١).

٣- انظر: تتمة الأعلام لمحمد خير رمضان (١٥٥/٢) وتكملة معجم المؤلفين لمحمد خير رمضان (٤٨٣/١).

٤- انظر: هدية العارفين (٥٨٦/١) والأعلام للزركلي (٧١/٧).

٥- انظر: هدية العارفين (٥٨٥/١) والأعلام للزركلي (١٨٧/٦).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

مجلة الشبل

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

خير خلف لخير سلف

- القيادة بالحب والرحمة
- اللهم ارحم أمير الإنسانية

www.alwaei.gov.kw



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الشبل» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بمجلة الشبل

هي مجلة سعودية تصدر كل أسبوعين، موجهة للأطفال، تأسست عام (١٩٨١م)، على ترويستها إشارة إلى أن محرريها نخبة من المربين، تعتمد المجلة على الشخصيات الكرتونية المنفصلة. عدد الصفحات التي تحمل رسوما كرتونية تصل إلى: (١٦) صفحة من بين: (٤٠) صفحة ملونة ذات قطع ٢٧×٢١ سم. وقد اتسمت المجلة بالطابع الديني، الذي يحوي أحاديث صحيحة وكلام أهل العلم. وقد كتب على الغلاف إشارة إلى القصة الرئيسية في المجلة. شعارها على الغلاف: مجلة الطفل العربي المسلم.

أهداف المجلة

لقد حملت المجلة إلى جانب عنوانها شعارا بعنوان: مجلة الطفل العربي المسلم، ومن هنا يبرز هدف المجلة، وهو إنشاء جيل مسلم مشبع بالعقيدة الصحية والقيم الأخلاقية والثقافية التي أساسها الدين الإسلامي الصحيح، لتكون عونا له في بناء شخصيته المستقبلية، التي تمثل حقيقة المسلم الصالح المحب للخير، وقد استخلصنا هذه الأهداف من محتوى المجلة ومن أبوابها المتنوعة.

محتوى المجلة العام

تنوعت أبواب المجلة ومحتواها بين قصص تاريخية وأحاديث نبوية شريفة ومواضيع فكرية هادفة وقصص اجتماعية مربية، كما احتوت قصائد شعرية مناسبة للأطفال.

أبواب المجلة

وسنذكر أبواب أحد أعدادها على سبيل المثال لا الحصر، فقد جاءت أبواب العددان: (٣١-٣٢)، للسنة السابعة، الصادر يوم: (١٥) رمضان، سنة: (١٤٠٩هـ)، الموافق لـ (٢١) أبريل، سنة (١٩٨٩م).

- كاريكاتير. معرض الفن. مع الأصدقاء. فكر وامرح. مثل من تراثنا.
- موسوعة الطوابع. حديقة الإيمان. الشبل الصغير. ألوان.
- منوعات. مسابقات الشبل. وجوه وبلدان.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة مكونة من (٢٠) عددا، وهي في متناول أطفالنا الأعزاء.

المصادر

مجلة الشبل.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.



هشام الصباغ
باحث لغوي

الإمام الرباني
أبو الحسن الندوي

■ عربي الأرومة، حسني النسب، هندي الجنسية، عالمي العطاء.. عاش للإسلام، وعمل له، وبه اعتصم، ومن أجله كتب وصنف وتعلم وعلم، وسافر وأقام؛ فهو شغله في نهاره، وحلمه في ليله، وزاده في سفره، وأنيسه في إقامته فاستحق أن يكون شيخا للأمة ولسانا لها ناطقا بالحق وداعيا إلى الخير.

■ عقله وقلبه منشغلان باستمرار بقضايا الأمة ومحاولة إحياء رسالة الإسلام الحضارية، وتصفيته مما شابه من أهل البدع والانحراف.

■ أهمه وشغل باله تقوية الجبهة الداخلية للمسلمين في مواجهة الغزو الخارجي، فكان تكوين الفرد المسلم وتصحيح مفاهيمه وتقويم سلوكه.. هي اللبنة الأساسية في منهجه في تغيير واقع الأمة.

■ وُهب فراسة المؤمن، وحكمة الشيخ المجرب، وتوقد القلب الحي النابض، وتقوى العابد الزاهد؛ فهو فقيه متمكن، وداعية متفرد، ومرب جليل، ومفكر أمين، وخطيب مفوه، وأديب ذواقة.

■ جمع بين محبة الناس وتقدير الحكام، وألقى الله محبته في سويداء القلوب، فلا عجب بعد ذلك أن يكون أمة في رجل، وأن يكون حقا بركة عصره وفريد دهره.

■ عالم رباني يدلك على الله منطقه، ويذكرك بالآخرة سلوكه، ويزهدك في الدنيا حاله.. الاعتدال سمة تفكيره وسلوكه وحياته؛ فهو قديم جديد، وتراثي عصري، وسلفي صوفي.. في لين الحرير وصلابة الحديد.. إنه الشيخ أبو الحسن الندوي.

مولده ونشأته وتعليمه

■ ولد بقرية «تكية» بمديرية «رأي بريلي» في الولاية الشمالية بالهند في ٦ محرم سنة ١٣٣٣هـ، لأسرة ذات أصل عربي نفيس ولها باع عريق في العلم؛ فهو علي أبو الحسن بن عبدالحي بن فخر الدين الحسني (ينتهي نسبه إلى عبدالله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ابن أبي طالب)، هاجر جده الأمير قطب الدين محمد المدني إلى الهند في أوائل القرن السابع الهجري.

■ لُقِّب أبوه بـ«ابن خلكان الهند» وذلك لأنه من أصحاب المصنفات المشهورة («نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر في تراجم علماء الهند وأعيانها» في ثمانية مجلدات عن أعلام المسلمين في الهند، وطبع أخيرا باسم «الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام»).. وأمه من المؤلفات، الحافظات للقرآن الكريم، المقرضات للشعر.

■ على يد أمه بدأ تعليمه من البيت، فحفظ بمعاونتها القرآن الكريم، ثم بدأ في تعلم اللغتين الأردية والفارسية.. وهو لم يزل دون العاشرة، توفي أبوه عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م فتولَت أمه تربيته، وساعدها أخوه الأكبر عبدالعلي الحسني، الذي كان طالبا في كلية الطب بعدما تخرج من دار العلوم ندوة العلماء ومن دار العلوم ديوبند.

■ بدأ تعلم اللغة العربية على يد خليل بن محمد الأنصاري اليماني عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، كما استفاد من عميه عزيز الرحمن ومحمد طلحة في دراسة اللغة العربية وآدابها، وتوسع في دراستها وتخصص فيها على يد الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي..

■ التحق بجامعة «لكهنؤ» في القسم العربي عام ١٩٢٧م، وكان أصغر طُلاب الجامعة سنا، وحصل على شهادة فاضل أدب في اللغة العربية وآدابها.. كما عكف على دراسة اللغة الإنجليزية في الفترة ما بين ١٩٢٨-١٩٣٠م مما مكنه من قراءة الكتب الإنجليزية في المواضيع الإسلامية والحضارة الغربية وتاريخها وتطورها، والاستفادة منها مباشرة.

■ التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٢٩م، وحضر دروس الحديث الشريف للمحدث حيدر حسن خان، كما درس كتاب الجهاد من صحيح مسلم على شيخه خليل الأنصاري، ولازمه سنتين كاملتين فقرأ عليه الصحيحين، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وقرأ عليه دروسا في تفسير البيضاوي، كما قرأ على شبلي الجيراجبوري الأعظمي بعض

كتب الفقه.. ودرس تفسير القرآن، وعلومه، والفقه، والتجويد على رواية حفص.

حياته العملية

■ في سنة ١٩٣٤م، عين مدرسا في دار العلوم لندوة العلماء، حيث درّس التفسير والحديث والأدب العربي وتاريخه.. وفي سنة ١٩٦١م، اختير أمينا عاما لندوة العلماء، وشارك في تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند سنة ١٩٦٤م، وتأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند سنة ١٩٧٢م، كما كان عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضوا في المجلس الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس المجمع الإسلامي في لكنهؤ (الهند)، ورئيس مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية ببريطانيا، وعضوا في مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة والأردن، ورابطة الجامعات الإسلامية بباكستان.

■ حصل على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة ١٤٠٠هـ، كما حاز جائزة الشخصية الإسلامية الأولى لعام ١٤١٩هـ في دبي.

منهجه الفكري

■ وهب الله الندوي همة عالية، وجلدا على تحمل التبعات ونفسا صادقة، وقلبا حيا بالإيمان، ولسانا نظيفا، وعقلا كبيرا، وحرصا شديدا على تربية النشء وإعداد العلماء والدعاة. وكان

■ فقهه الدعوي يرتكز على تعميق الإيمان في مواجهة المادية، وإعلاء الوحي على العقل، وتوثيق الصلة بالقرآن الكريم والسنَّة والسيرة النبوية، وإشعال الجذوة الروحية، والانصراف إلى البناء لا الهدم، وجمع كلمة الأمة لا تفريق صفوفها، واستحياء التاريخ الإسلامي وبطولاته، ونقد الفكرة الغربية والحضارة المادية، ونبذ القوميات والعصبيات الجاهلية، وتأكيد عقيدة ختم النبوة، ومقاومة الفتنة القاديانية، والتصدي للردة الفكرية، وتأكيد دور الأمة المسلمة في هداية البشرية، والشهادة على الأمم الأخرى، وبيان فضل الصحابة ومنزلتهم؛ لأنهم الجيل المثالي في هذه الأمة، والاهتمام بقضية فلسطين؛ لأنها قضية المسلمين جميعا، والعناية بالتربية الإسلامية الحرة التي تستمد فلسفتها من الإسلام، وترشيد الصحوة الإسلامية، والاهتمام بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

مؤلفاته

■ مؤلفاته كثيرة جدا باللغات: العربية والإنجليزية والأوردية، تجاوزت المئة والخمسين كتابا ورسالة، نذكر أهمها بالعربية هي: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» - «مذكرات سائح في الشرق العربي» - «الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنَّة» - «إذا هبت رياح الإيمان» - «الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية» - «أسبوعان في المغرب الأقصى» - «إلى الإسلام من جديد» - «بين الدين والمدنيّة» - «تأملات في القرآن الكريم» - «التربية الإسلامية الحرة» - «حديث مع الغرب» - «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» - «رسائل الإعلام» - «رسالة التوحيد» - «روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة» - «سيرة خاتم النبيين».

إسهاماته مع «الوعي»

■ للعلامة أبي الحسن الندوي مشاركات عدة مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «القرآن بين الإيمان والتطبيق» (ع:٨٤، ذو الحجة ١٣٩١هـ، يناير ١٩٧٢م)، «محطم الأقفال» (ع:٨٧، ربيع الأول ١٣٩٢هـ، أبريل ١٩٧٢م)، «كيف يستعيد المسلمون مجدهم القديم» (ع:٩٣، رمضان ١٣٩٢هـ، أكتوبر ١٩٧٢م)، «دور الإسلام في العصر الحديث» (ع:١٠٥، رمضان ١٣٩٩هـ، سبتمبر ١٩٧٨م)، «الدعوة إلى الله وبعض سماتها» (ع:١٦٩، محرم ١٣٩٦هـ، ديسمبر ١٩٧٨م).

غروب شمس الندوي

■ في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك (٢٣ رمضان ١٤٢٠هـ)، وفي يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وفي آخر يوم من السنة الميلادية (٣١ ديسمبر ١٩٩٩م) التي يعتبرها الكثيرون نهاية القرن العشرين، وقبل صلاة الجمعة، توضأ الشيخ واستعد للصلاة، وشرع يقرأ سورة الكهف كما تعوّد كل جمعة، وافى الأجل المحتوم العلم المفرد، وغادر دنيانا إلى الدار الآخرة في قريته القريبة من مدينة لكنهؤ بالهند.. رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

المصادر والمراجع

١ - كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٣ - إسلام ويب.
٤ - إسلام أون لاين.

إعداد / د. تركي محمد النصر ❖

فضل الصمت

❖ قال وهيب بن الورد رحمه اللّه: (وجدت العزلة: سكوت اللسان).
❖ قال محمد بن النضر الحارثي رحمه اللّه: (كان يقال: كثرة الكلام تذهب الوقار).
❖ قال محمد بن عبدالوهاب الكوفي رحمه اللّه: (الصمت يجمع للرجل خصلتين: السلامة في دينه، والفهم عن صاحبه).
❖ قال رجل لوهب بن منبه: إن الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه، وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم. فقال: لا تفعل، فإنه لابد للناس منك ولابد لك من الناس، لهم إليك حوائج ولك إليهم حوائج، ولكن كن فيهم: أصم سميعا، وأعمى بصيرا، سكوتا نطوقا.

انظر: حسن السمت في الصمت للسيوطي: (ص/٨٠).

صنوف المال

❖ قال معاوية رضي الله عنه لصعصعة بن صوحان: إنما أنت هاتف بلسانك، لا تنظر في أود الكلام ولا في استقامته: فإن كنت تنظر في ذلك فأخبرني عن أفضل المال.
فقال: واللّه يا أمير المؤمنين، إني لأدع الكلام حتى يختمر في صدري، فما أرهف به ولا أتلهق فيه حتى أقيم أوده، وأحرر متنه، وإن أفضل المال لبرة سمراء في تربة غبراء؛ أو نعجة صفراء في روضة خضراء؛ أو عين خرارة في أرض خوارة.
قال معاوية: للّه أنت، فأين الذهب والفضة؟
قال: حجران يصطكان، إن أقبلت عليهما نفدا، وإن تركتهما لم يزيدا.
❖ وقيل لأعرابية: ما تقولين في مئة من المعز؟ قالت: قنى. قيل لها: فمئة من الضأن؟ قالت غنى. قيل لها: فمئة من الإبل؟ قالت: منى.
❖ وقال عبداللّه بن الحسن: غلة الدور مسألة، وغلة النخل كفاف، وغلة الحب ملك.

انظر: العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي: (٣٤٨/٢).

من بركة التقوى

قال العلامة ابن عثيمين رحمه اللّه تعالى: (ولا شك أن الإنسان كلما ازداد علما ازداد معرفة وفرقانا بين الحق والباطل، والضار والنافع، وكذلك يدخل فيه ما يفتح اللّه على الإنسان من الفهم؛ لأن التقوى سبب لقوة الفهم، وقوة يحصل بها زيادة العلم... ويدخل في ذلك أيضا الفراسة: وهي أن اللّه يعطي المتقي فراسة يميز بها حتى بين الناس، فبمجرد ما يرى الإنسان يعرف أنه كاذب أو صادق، أو بر أو فاجر حتى أنه ربما يحكم على الشخص وهو لم يعاشره، ولم يعرف عنه شيئا بسبب ما أعطاه اللّه من الفراسة).

انظر: العلم: (ص/٨).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

عالم يصف عالما

وصف العلامة محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي العلامة ابن عبدالقوي بقوله: (القدوة الفهامة الأمجد، سيبويه زمانه، بل قس عصره وسحبان أوانه، ومخجل الدر بنظمه والضحى ببيانه، والبحر بفيض علمه والمزن بسيل بنانه، الإمام القدوة شمس الدين أبو عبدالله، محمد بن عبدالقوي المرداوي، الفقيه المحدث النحوي، الحنبلي الأثري، رضوان الله عليه).

انظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب: (ص/٨).

لا تحقرن شيئا

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه، ولا شيئا من الخير أن تفعله).

رواه ابن المبارك في الزهد، رقم: (٧٩).

صلاح القلب

صلاح القلب في خمسة أشياء: (قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين، وأكل الحلال، وهو رأسها).

وقال بعضهم: (استسقيت جنديا فأسقاني شربة؛ فصارت قسوتها في قلبي أربعين صباحا)

انظر: الجواهر البهية في شرح الأربعين النووية، للشبشيري، (ص/٢٢)

فائدة حديثية

ليس لتميم بن أوس الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين إلا حديث واحد (الدين النصيحة)، ولم يولد له إلا بنت واحدة وهي رقية ولم يرو النبي ﷺ عن صحابي غيره كما في حديث الجساسة الذي رواه مسلم.

انظر: المنهج المبين في شرح الأربعين للفاكهاني (ص/٢٥٢)، المعين على تفهم الأربعين لابن الملقن (ص/١٧٠).

تعلمت الحلم من نفسي

سئل الأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من نفسي. قيل له: كيف ذلك؟ قال: كنت إذا كرهت شيئا من غيري لم أفعل بأحد مثله.

انظر: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (١٠١/٧).

يوم من رمضان

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: (تالله لو قيل لأهل القبور: تمنوا؛ لتمنوا يوما من رمضان).

انظر: التبصرة: (٧٨/٢).





إعداد: التحرير

في عالم الثعابين

في عالم الثعابين ثلاثة آلاف وخمسمائة نوع يقسمها العلماء إلى خمس عائلات، منها عائلة ثعابين البحر، وعائلة الثعابين الطائرة. ليست كل الثعابين سامة كما يعتقد كثير من الناس، فأقل من عشر هذه الأنواع هو السام، والإنسان عرضة لأذى الثعابين الذي يتمثل في عضتها وما تحقنه من سم في جسمه، وإذا تعرض الإنسان لعضة ثعبان فإن هناك العديد من العوامل التي تحدد خطورة هذه العضة: عوامل تتعلق بالضحية وتتمثل في عمره وحجم جسمه وحالته الصحية، فإذا تعرض طفل لعضة ثعبان فإن الخطورة تكون أكثر، واحتمال الوفاة يكون أعلى، لأن السم يتوزع في جسم صغير.

سم الثعابين يؤدي إلى تكسير كرات الدم الحمر، ويضعف عضلة القلب، ويؤثر في الأعصاب. وإذا كان الثعبان ساما أدت عضته إلى ألم شديد في مكان العضة، وحمى، ونزيف تحت الجلد، ونزيف من جميع فتحات الجسم، وفقدان الإحساس بالزمان والمكان وتشنجات، وضيق بحدقة العين. وتحدث الوفاة بعد مدة تتراوح من ست ساعات إلى يومين. إذا لم يتلق المريض العلاج المناسب وبأقصى سرعة. الإسعافات الأولية تتمثل في وضع رباط أعلى مكان العضة إذا كانت العضة في الأطراف، وفك الرباط قليلا كل عشرين دقيقة لمدة دقيقة أو دقيقتين لتجنب حدوث غرغرينة بالأطراف وتشريط خفيف مكان العضة، للتخلص من الدم الذي يحتوي على السم، مع مراعاة تجنب إصابة أي وعاء دموي، والتوجه للمستشفى بسرعة لأخذ الأمصال المضادة لسم الثعبان، بجرعات قد تصل إلى خمس عشرة قنينة، حسب حالة المريض، ويجب على الطبيب ألا يخاف من هذه الجرعات الكبيرة، ويجب إعطاء هذه الجرعات الكبيرة للأطفال وصغار البالغين، إذا استدعى الأمر ذلك.

د. يحيي محمود سنبل



وصايا لحياة سعيدة

- أي بني: لا ترفع صوتك عند التحدث ولا تعامل أحدا بعصبية واستعلاء.
- نصائح الوالدين والمعلمين هدايا قيمة فتقبلها برضا وشكر.
- كرر دائما(حاضر) عندما يطلب منك أحد شيئا في مقدورك، و(آسف) عندما تخطئ، و(من فضلك)عندما تطلب، و(شكرا) في كل موقف ولجميع الناس.
- تفوقك في الدراسة مردوده عليك وحدك فاحرص عليه بشدة. • الشهادة الدراسية ليست النهاية، بل يجب أن تطور ذاتك وترتقي بمهاراتك.
- الحياة مليئة بالأشياء الجميلة، ولكنها لا تأتي دون جهد ومال، فاعمل واكسب.
- قم على أداء شئونك الخاصة، ولا تتوقع من أحد أن يفعلها نيابة عنك.
- لا تسهر أكثر من العاشرة مساء، واعتمد على نفسك في الاستيقاظ.
- اختلاف الآراء طبيعة الحياة؛ فاحترم الرأي الآخر دون أن تتنازل عن مبادئك.
- كافئ نفسك عند الإنجاز، وعاقبها عند الإخفاق.
- لا تغضب، وإذا غضبت لا تتخذ قرارا إلا بعد أن تهدأ.
- ابتسم فهذا لا يكلفك شيئا، وسامح الناس يسامحك الله.
- لا تصدق كل ما تسمع، ولا تنفق كل ما تملك، واقرأ في كل وقت.
- اسمع ضعف ما تتكلم؛ فلك أذنان ولسان واحد.
- لا تعد بما لا تقدر عليه، ولا تهدد بما لا تستطع تنفيذه.
- سافر كثيرا، ووسع دائرة معارفك، واجعل الصلوات نقطة انطلاقك ومحطـ ارتحالك.
- كل شخص تقابله يملك شيئا مميزا فحاول أن تتعلم منه.
- لا تغادر الدنيا دون أن تترك أثرا لا ينسى.
- اسأل عما لا تعرف؛ فالسؤال حق لا عيب فيه.

د. منير لطفي



القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

alwaeiq8@gmail.com



العلاج بالتجاهل

يقولون بالتجاهل نتفادى نصف المشكلات التي قد تواجهنا، وبالصمت نتجاوز الحماقات، وبالعفو تسود المحبة وراحة البال، فما أعظم التجاهل والصمت والعفو في علاج المشكلات، فحري بنا في عصر انحدار القيم والأخلاق أن نتخلق بالقيم الأخلاقية، تفاديا للمشكلات الاجتماعية والأخلاقية المتفشية بكثرة في كثير من المجتمعات في هذا الزمان!

والتجاهل فن رائع لا يتقنه إلا محترفو السعادة والعقلاء، والتجاهل أفضل كثيرا من نقاش لا يثمر بشيء، وقال الحكماء: تجاهل المسيء تؤجر، وتجاهل المحبط تنجح، وتجاهل الحزن تسعد، وتجاهل الألم تنسى، فالمرء كي ينجح في حياته يحتاج إلى التجاهل والثقة، وهو أبسط شيء يفعله المرء عندما تتزاحم التفاهات، وإن من أبسط قواعد السعادة التجاهل عن كل كلمة جارحة، وكل فعل مؤلم، ويجب على المرء أن يتعود التجاهل؛ تجاهل بعض الأحداث، وبعض الأفعال، فليس كل أمر يستحق الوقوف، والتجاهل صدقة جارية على فقراء الأدب، وهو دواء لكل جاهل.

والصمت علاج ناجع للمشكلات حيث قالوا ملكت نفسي لو ملكت منطقي، خاصة وأن البلاء موكل بالمنطق، والصمت متعب لكنه يبقى أرقى وسيلة للرد على كثير من الكلام، والصمت يكسبك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار، وعلى أرصفته تموت الأشياء التي لطالما تمنينا الحديث عنها، وقد يرى البعض أن الصمت هزيمة، لكنهم لا يعرفون أن الصمت أقوى من أي كلام؛ فهيبة الصمت أقوى من ألف كلام ورحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم، والصمت حصن من غير حائط، ويغني عن الاعتذار للآخرين، وبفضله نسمع أخطاء، ونتجنب الوقوع فيها، وصدق القائل: ما ندمت على سكوتي مرة، وندمت على الكلام مرارا، فأجمل به لعلاج المشكلات!

والعفو قمة الأخلاق ففي الحديث الذي رواه أحمد «يا عقبة بن عامر؛ صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك» العفو والصفح تنقلب العداوة إلى صداقة قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ❖ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥).

وصدق الله العظيم القائل ﴿فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ (البقرة:١٠٩).

د. محمد عباس عرابي



مسك الختام

قطع المفازة

لولا بقية من أمل، وفضلة من رجاء في سعة رحمة الله تعالى ومرضاته ما ربح المتاجرون، ولا سعد المكدودون، ولانقلبت الدنيا في عيونهم سحابة قاتمة سوداء وتحولت أوقاتهم إلى ليل طويل سرمدي.

فكم من غائب ينتظر، وكم من موعود يرتجى، وكم من حبال يرجو أهلها وصلها، أو صغير تحسب أمه الساعات أن يكبر ويشب فيبلغ مبلغ الرجال، وكم من ناهد تنام وتصحو على حلم ورغبة أن يخطبها كفؤها وأن تزف إلى محب كريم، وكم.. وكم.

ويشتاق المؤمنون إلى دار الكرامة والمقامة، فيجدون كل الجد، ويسعون لكي يبلغوها ويظفروا بها، ويأنسوا إليها ويدندنوا حولها.

بهذا تدفع الحياة، وتمضى الليالي بلا كلال أو سأم، وتنقشع الهموم لا تلوي على شيء ليبقى جل هم المؤمن أن يفارق الدنيا كريما، ويبقى على ظهرها عزيزا، فكل نعيم دون الجنة حقير وكل عذاب دون النار يسير.

وليست مفارقة الحياة ببأس من بقاء فيها مدخول أو هم وارد موصول، بل قد يكون في المفارقة معانقة لرحمة الله ومثوبته وتحقق المأمول والموعود، وانقشاع السحابة الباردة ورسو السفينة عند شاطئها ومرساها وموعود ما في المصاحف يشنف الآذان ويهدهد الجنان، ويقوي العزم ويبدد الهم، ويجلو الصدور ويطيب الخاطر وينير الدرب، ويقطع المفازة كما قال الشاعر:

إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى ... وآتاهم موعود ما في المصاحف

إن زمان الفوت قد يدرك إن استقام العبد على الطريقة، واستدام التعب، واستنفر الهمة، وأخلص القصد.. عندها حتما سوف يوهب، ويمنح، ويعطى، ويفتح عليه من كوامن العلم، وأسرار اللطف، ودقائق الفهم ما يجلّي ظلمة الأشياء ويمسح غبار القلق ويغسل أحزان الجسد بل وأدرانه كذلك.. فليتأمل العاقل.

علي الخطيب
باحث دراسات إسلامية

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

 alwaeiq8@gmail.com

 @Alwaei_Alislami

 مجلة الوعي الإسلامي

 موقع مجلة الوعي الإسلامي





#والداك_رحمة

وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

 Kwt.awqaf   @kwt_awqaf

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٦٨) ربيع الآخر ١٤٤٢ هـ - ديسمبر - ٢٠٢٠ م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

حُبُّ النَّبيِّ وَنصرَتِه

- الكويت ترفض الإساءة
- الرَّسُولُ والتَّنمِيةُ البَشَريَّة


مجلة الوعى الإسلامى


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي


جديدنا



العلم سفينة النجاة من الفتن

إصدار فكري إيماني من سلسلة إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي»، يبرز دور العلم وأهميته في مواجهة الفتن والخروج منها برسوخ واتزان، وذلك يتأتى من خلال الفهم الصحيح للدين الحنيف. ويأتي هذا الإصدار للدكتور محمد فريد فراج ليبين هذه المعاني السامية، ويحمل الإصدار رقم مئة وواحد وتسعين من سلسلة إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي».

الافتتاحية



فهد محمّد الخزي
رئيس التحرير

نبي الرحمة وقائد الأمة ﷺ

لا ريب في أن كل قضية إلى انمحاء وطموس، وكل أمر إلى نسيان ودروس، وكل باطل إلى اندحار ونكوص، ولكن سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام في انتصار وائتلاق، وانتشار وانطلاق، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧). فالأمة الإسلامية المباركة إنما تسنمت قمم السؤدد والإباء، وساقت الإنسانية إلى مرابع الحضارة والعلياء، وأفياء الأمن والاستقرار والإخاء، أوان استعصامها بسيرة نبيها الغراء وشمائله الفيحاء.

ويوم أن حادت أمة الإسلام عن نبعها الدفاق، وهدي نبيها الرقراق؛ فاءت إلى يباب التبعية والوهن، وصارت والتنافر والتناثر في قرن، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن سيرة نبينا المؤنقة البلجاء، تعطر الأقطار والأرجاء، بما انهمرت به من حقائق المهابة والجمال، والخشية والجلال، والحكمة في الأقوال والفعال؛ لأنها المكنز التأريخي، والمنهل الحضاري، والمنهاج العلمي، والمعراج العملي الذي يبوئ الأمة السؤدد والمهابة، والتوفيق والإصابة، ولا يكمل إيمان المرء إلا بتمام الطاعة؛ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥). ويقول نبينا ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة».

لقد وعد الله نبينا ﷺ بأن يتكفل بكل مستهزئ بجنابه الكريم، فقال تعالى في كتابه العزيز مخاطبا نبيه محمدا ﷺ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ (الحجر:٩٥)؛ فالأمر عندنا معلوم والشأن فيه محسوم... ولكن، مع كل هذا الجلاء في سيرة خير الورى والبهاء، لا ينفك عفاكلة الشقاق ودهماء الآفاق ينشرون أباطيلهم وحقدهم الأرعن عبر الحملات والشبكات، ويطالون في النيل والبهتان رموز النبوات، وعظماء الرسالات، وشريف المقدسات، خصوصا حيال الجناب المحمدي الأطهر وهديه الأزهر.. خابوا وخسروا:

والله لو جاءوا بكل عتادهم ... ليشوهوا وجه الجمال لخيبوا

إن السيرة النبوية، على صاحبها أزكى صلاة وتحية، هي مناط العز والنصر، وأجلى لغات العصر، التي تؤصل للأمة الفوقية والتمكين، ولا بد لنا من التعريف بهدايات السيرة المشرقة، وإشراقات معانيها ومراميها، كيف لا! وصاحبها ﷺ يقول: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (البخاري في الأدب المفرد)... بل لا بد للأمة من استشعار الأخلاق المحمدية في سياساتها، وفكرها، وثقافاتها، واقتصادياتها، وإعلامها؛ لأنها المرشد الأمين الهادي، والقائد الأمثل والمرشد البارع لمواردها البشرية وطاقاتها الكامنة منذ انطلاق الدعوة المباركة، وتستمر قيادته لأمته بسننه الناطقة إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ (النور:٥٤).

والله ما ذرأ الإله ولا برى ... خلقا ولا خلقا كأحمد في الورى

فعليه صلى الله ما قلم جرى ... أو لاح برق في الأباطح أو قبا

وختاما: لن تترجم نوابض الحب والإحساس، ومقاصد الأنفاس إلا في اتباع خير الناس، حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (آل عمران:٣١-٣٢).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٦٨/ ربيع الآخر ١٤٤٢هـ
العام الثامن والخمسون
ديسمبر ٢٠٢٠م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



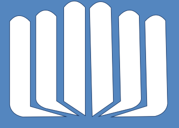
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠درهام • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمـة العـــدد

لماذا نحبه ونقتدي به؟

هو النبي لا كذب.. هو ابن عبد المطلب. هو النبي الذي أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة بالعالمين، وكما قال الحسن بن الفضل: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي ﷺ، فإنه قال فيه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨) وقال في نفسه عزوجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:١٤٣).

وهو النبي الذي لا نؤمن حتى يكون أحب إلينا -ومن قبله الله- من أولادنا ووالدينا والناس أجمعين، وهو النبي الذي ود لو يلقانا من فرط حبه لنا نحن الذين آمنا به ولم نره.

وهو النبي الذي لاقى العذاب حتى يبلغنا الرسالة المنجية، والذي حدث بالطائف خير دليل، وهو من دعا لخصومه بالهداية ودفع عنهم العذاب.

وهو النبي الذي كفى به قدوة في حركاته وسكناته حتى نهتدي في الدنيا ونظفر في الآخرة، وهو الشفيع المشفع فينا حيث لا ينفع مال ولا بنون. أسباب كثيرة تدفعنا لحب لا يعرفه الآخرون، ولم يذوقوا حلاوته حتى يقتربوا من سيرته، ﷺ.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك باسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



عيسى العبيدلي
وكيل الوزارة المساعد للإفتاء
والبحوث الشرعية

جهود الشيخ د. عبدالستار أبو غدة في استئناف العمل في الموسوعة الفقهية بعد توقفها


يوسف جاسم الحجي


محمد ناصر الحمضان


الشيخ مشعل الصباح

تعد الموسوعة الفقهية التي صدرت عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، أبرز إنجاز فقهي في العصر الحديث، قصد به إخراج الفقه الإسلامي في ثوب جديد مبتكر، يناسب العصر، ويلبي متطلباته، وقد شهد بذلك جمع من الفقهاء والعلماء في مختلف أقطار العالم الإسلامي، ومن ذلك ثناء الشيخ عبدالعزيز بن باز، رحمه الله تعالى، على هذا الإنجاز، بقوله: «هذا مشروع جيد خدمتم به الفقه الإسلامي».

وقد مر إنجاز هذا المشروع في دولة الكويت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مدتها خمس سنوات، بدأت من من عام ١٩٦٧م إلى عام ١٩٧١م، تم فيها تشكيل لجنة عليا للإشراف على المشروع، برئاسة السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وعضوية آخرين، منهم السيد وكيل الوزارة آنذاك، والمستشار الثقافي للوزارة، والأمين العام للموسوعة الفقهية، وهو الشيخ مصطفى أحمد الزرقا، رحمه الله تعالى، وتم فيها اعتماد الخطة العملية لتنفيذ هذا المشروع، كما تمت الاستعانة بمجموعة من الخبراء والباحثين والمساعدين العلميين، بالإضافة إلى استقطاب مجموعة من العاملين في مجال الفقه الاسلامي ليتولوا مهمة كتابة البحوث، وفي هذه الفترة تكونت مكتبة فقهية مستقلة للموسوعة

الموسوعة الفقهية نتاج جهد علمي جماعي تكاملي، وتمويل رسمي


الشيخ مصطفى الزرقا


الشيخ بدر المتولي عبدالباسط


د. عبدالستار ابوغدة

الفقهية، كما تم فيها كتابة خمسين بحثا، واختير منها تسعة نماذج لنشرها في طبعة تمهيدية لتلقي الملاحظات، وانتهت هذه الدورة أواخر عام ١٩٧١م.

المرحلة الثانية: بدأت من عام ١٩٧٧م إلى عام ٢٠٠٥م، تم فيها تشكيل اللجنة العامة للموسوعة الفقهية، بالقرار الوزاري رقم ٧٧/٨ بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٣٩٧هـ الموافق ١٩٧٧/٣/١م، برئاسة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وعضوية بعض الإداريين في الوزارة، وبعض الخبراء المختصين في الفقه، وبعض المستشارين العاملين في مجال القضاء، وكان للسيد يوسف الحجي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، والسيد محمد ناصر الحمضان، وكيل الوزارة بها آنذاك دور فاعل في دفع عجلة المشروع، كما اختير الشيخ بدر المتولي عبدالباسط، رحمه الله تعالى، أمينا عاما للمشروع، والدكتور عبدالستار أبوغدة، رحمه الله تعالى، نائبا له، ومن أبرز ما بدأت به اللجنة: أ- وضع خطة منقحة للكتابة الموسوعية، وخطط أخرى عملية للأعمال الموسوعية المساندة، كفهرسة المراجع الفقهية، وتحقيق كتب ورسائل التراث الإسلامي. ب- الإفادة من رصيد الدورة السابقة، وقد دشن هذا المشروع بعقد مؤتمر صحفي، بتاريخ غرة رجب ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٩/٥/٢٧م، وذلك للإعلان عن استئناف العمل به، بعد فترة توقف دامت سبعة أعوام.

وفي هذه الفترة أسست مطبعة الموسوعة الفقهية، واشتريت أجهزة المكروفيلم والمكروفيش، وأنشئ نظام للفهرسة، كما توسعت الموسوعة في استكتاب الفقهاء من الخارج، وقد صدر في هذه الفترة أربعة وعشرون جزءا من مجلدات الموسوعة الفقهية.

ثم توقف العمل في هذه الدورة بسبب الغزو الغاشم على دولة الكويت عام ١٩٩٠م، ثم استؤنف العمل بهذا المشروع، وقد تم تعيين الشيخ مشعل مبارك الصباح رئيسا لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية، وأُنيطت به مهمة الإشراف الإداري على المشروع، وتمت الاستعانة بمجموعة من الخبراء والباحثين ليتولوا مهمة استكمال إنجاز الأبحاث الفقهية وفق المنهجية المعتمدة سابقا، وقد استحدثت إدارة مستقلة للإشراف المباشر على سير العمل في هذا المشروع تحت مسمى «إدارة البحوث والموسوعات الإسلامية»، وتم في هذه الدورة استكمال إصدار الأجزاء المتبقية من الموسوعة الفقهية، التي انتهت إلى المجلد الخامس والأربعين، وذلك في ١٨ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥/٥/٢٧م، وبذلك قد احتوت الموسوعة على أكثر من ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) مصطلح فقهي، التي هي عبارة عن ألفاظ عنوانية لأبواب ومسائل فقهية مشهورة، منسوبة إلى القائلين بها من فقهاء المذاهب المعتبرة، والمدعمة بأدلتها من الكتاب والسنة وغيرهما، ومعروضة وفق نظام الاتجاهات الفقهية.

ومن الجدير بالذكر هنا بيان الدور النشط والحيوي الذي قام به الدكتور



عبدالستار أبوغدة، رحمه الله تعالى، المتمثل في إعادة النظر في منهجية كتابة الموسوعة الفقهية، للخروج بخطة جديدة للنهوض بها، وإعادة إحيائها، بعد فترة توقف استمرت سبع سنوات، مستفيدا في ذلك من خبرة الشيخ مصطفى أحمد الزرقا، ورصيد إنجازات الدورة الأولى، حيث قام بدراسة التجارب السابقة في مجال إنجاز هذا المشروع، أوضح نقاط القوة ونقاط الضعف فيها، واستبعد كل جوانب القصور والخلل التي من شأنها أن تعوق مسيرة المشروع أو تتسبب في إيقافه، ثم رسم خارطة طريق لمن تسمو همته من المسؤولين للنهوض بهذا المشروع من جديد، وذلك ما سهل الطريق أمام السيد/ يوسف الحجي، رحمه الله تعالى، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية آنذاك، عندما أخذ على عاتقه إحياء هذا المشروع، وإعادة بنائه، وقد يسر كافة الصعوبات والعقبات ليتفرغ الجهاز العلمي بالموسوعة للإنجاز والاستمرار والإبداع، كما كان له دور في ترشيح الشيخ بدر المتولي عبدالباسط ليكون أمينا عاما للمشروع، وذلك لمعرفته الخاصة به منذ أن كان يحضر رسالة الدكتوراه بالأزهر، في كلية الشريعة في القاهرة، وذلك يدل على ما يتمتع الدكتور عبدالستار من تميز في التخطيط وحسن الإدارة.

استفاد د. عبد الستار والفريق العامل معه مما تم إنجازه في الدورة الأولى

وقد كان من أبرز ما يميز هذه المنهجية الجديدة عن سابقاتها، ما يلي:

(١) اعتماد طريقة الاتجاهات الفقهية لبيان المسائل وأحكامها، وهي تختلف عن فصل المذاهب

وتكرار المسألة، حيث تحصر الآراء المتعددة في المسألة متبوعة بما يندرج تحت كل اتجاه من مذهب أو أكثر.

(٢) اعتماد آلية دقيقة في مراجعة الأبحاث المكتوبة، تبدأ بالتحكيم، ثم باللجنة العلمية ولجنة الاعتماد، وتنتهي بلجنة الإخراج المطبعي، مما أكسب هذه الأبحاث الموسوعية الموثوقية والمصداقية، كما جعلتها تسير على نسق واحد من حيث الصياغة.

كما قام الدكتور عبدالستار أبو غدة بمراجعة العديد من الأعمال العلمية الموسوعية المساعدة، كفهارس المراجع الفقهية، وتحقيق بعض كتب ورسائل التراث الإسلامي، ووضع المقدمات لها، وإلى جانب ذلك فقد شغل عضوية هيئة الفتوى ولجنة الأمور العامة المتفرعة عنها من عام ١٩٨٢م إلى عام ١٩٩٠م، وهي الفترة التي تعاملت معه فيها مباشرة، حيث كنت أشغل مهمة نائب مقرر هيئة الفتوى، وقد استفدت من خبراته العلمية والعملية، ومن توجيهاته وملاحظاته، وذلك من خلال أسلوبه في المناقشات العلمية، ومن خلال مراجعته لمحاضر الجلسات، وتدقيقه عليها.

ومما يؤكد تميز الدكتور عبدالستار في الجانب العلمي، ما شهدت



عيسى أحمد العبيدلي

به لجنة المناقشة في تقريظها لرسالته المعنونة بـ(الخيار وأثره في العقود)، التي نال بها درجة العالمية (الدكتوراه) بمرتبة الشرف الأولى، من كلية الشريعة والقانون بالأزهر الشريف، فمما جاء في تقريظها: «وقد ناقشته اللجنة في الكثير من مباحثها العلمية، وأمورها الشكلية، فظهر لها، في وضوح، رجحان عقله، وبيان فضله، وفهمه لما قرره، وتثبته مما كتبه وحرره».

أبرز ما يميز المنهجية الجديدة اعتماد الاتجاهات الفقهية لبيان المسائل وأحكامها

كما أثنت لجنة المناقشة على رسالته بما يلي: «.. إنها لرسالة من النوع الخطير القوي، والطريف الغني، تمتاز بخطورة موضوعها، وجودة صنعها، ودقة بحثها، وروعة أسلوبها، ووفرة عناصرها، وحسن ترتيبها، وجمال تنسيقها، وسلامة طبعها، مع صحة المعلومات، وصدق الإحالات، وكثرة المراجع الأصلية، والمصادر الوثيقة، والمقارنة التامة في القضايا الفقهية، والمسائل الخلافية، والأمور الاصطلاحية».

هذا ما رأينا بيانه تقديرا لمكانة هذا العالم الفقيه الموسوعي الدكتور عبدالستار أبو غدة، رحمه الله تعالى، الذي حباه الله تعالى من الهمة العالية، والفطنة، والنباهة، ودقة الملاحظة، وعرفانا بفضله ودوره المميز في إنجاز هذا المشروع النافع، الذي وافته المنية يوم الجمعة ٦ من ربيع الأول ١٤٤٢هـ الموافق ٢٣/ ١٠/ ٢٠٢٠م.

وختامًا أسأل الله لكل من ساهم في إنجاز هذا المشروع - من خبراء، وباحثين، ومسؤولين إداريين، ومساعدين علميين، ومراجعين ومدققين، وكذلك كل من أنصف وأثنى على هذا المشروع، أو أبدى ملاحظاته ونقده البناء له بقصد إيصاله إلى رتبة الكمال المنشود- الجزاء الأوفى والثواب العظيم، إنه جواد كريم.

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي



الكويت تنتصر لرسول الله

منزلة النبي ﷺ في قلوب المسلمين لا تضاهيها منزلة فهي منزلة عظيمة تصغر وتتضاءل أمامها كل الأشياء حتى ما جبلت القلوب على محبتها بالفطرة كمحبة العبد لنفسه أو محبته لزوجه وولده ووالديه وماله، وكيف لا؟ ومحبته ﷺ أصل عظيم من أصول الدين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في فتاويه: «محبة الله ورسوله ﷺ من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين وكما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة».

وجوب محبة النبي ﷺ

قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله في مختصر منهاج القاصدين: «واعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله ولرسوله ﷺ فرض» فمحبة النبي ﷺ مقرونة بمحبة الله تعالى؛ قال بعض السلف: ادعى قوم المحبة، فأنزل الله آية المحبة: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (آل عمران:٣١).

وقد قرن الله سبحانه وتعالى محبته بمحبة رسول الله ﷺ في مواضع كثيرة



من القرآن منها: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب:٦).

يقول الإمام ابن القيم في شرحها: «هو دليل على أن من لم يكن الرسول ﷺ أولى به من نفسه، ليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أمورا منها: الأول: أن يكون أحب إلى العبد من نفسه؛ لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول ﷺ أولى به منها، أي أولى به من نفسه وأحب إليه من نفسه، فبذلك يحصل له اسم الإيمان، ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم، وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه، والتسليم لأمره، وإيثاره على ما سواه.

وجاء في الحديث: عن زهرة بن معبد، عن جده، قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» (أحمد).

وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» (النووي).

وعن أنس، قال: قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (البخاري)

فمحبة النبي ﷺ فرض على كل مسلم ومسلمة، وبدونها لا يصح الإيمان، فهي أصل من أصوله، وإذا كانت محبته من أصول الإيمان فإن بغضه أو نتقص محبته كفر مخرج من الملة.

عداء الكفار للنبي ﷺ

عداء الكفار للنبي ﷺ عداء وكراهية ممتدة منذ بعثته وإلى قيام الساعة، فهو عداء متوارث وممتد ومتجدد، هدفه تشويه سيرة النبي ﷺ والحط من قدره ليصدوا الناس عن الإيمان بالله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ (البقرة:٢١٧) فهم على نهج أسلافهم سائرون وهذا ليس عجيبا فالكفر كله ملة واحدة وإن تعدد المسميات وهدفهم واحد لا يتغير: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢)، ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ (النساء:٨٩).

فالاستهزاء بالنبي ﷺ أسلوب لم يتخلف عنه الكافرون في الصد عن دين الله منذ بعثة النبي ﷺ إلى يومنا هذا.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ (الأنبياء:٣٦).

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾(الفرقان:٤١).

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (الأنعام:١٠).

وهو عقيدة لا تتبدل أعلنوها أم أسروها ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران:١١٨).

شارلي إبيدو تشعلها فتنة

تصر مجلة الكاريكتور الفرنسية «شارلي إبيدو» على أن تستفز مشاعر وعضب المسلمين في أنحاء العالم وتعرض المجتمع الفرنسي لضغوط واضطرابات وأعمال عنف يصعب السيطرة عليها، وذلك بنهجها العدائي للإسلام والمسلمين عندما تنشر وتكرر نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ.

وهذا النهج المعادي للإسلام والمسلمين اتخذته «شارلي إبيدو» عندما اقحمت نفسها في أزمة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة

للرسول ﷺ والتي نشرتها صحيفة «جيلاندز بوستن» الدنماركية عام ٢٠٠٦م حيث اعتذرت للمسلمين الصحيفة في وقت لاحق عن نشر هذه الرسوم المسيئة إلا أن «شارلي إبيدو» أعادت نشرها مرة ثانية، وفي مارس من نفس العام نشرت على صفحاتها «مانيفستو – ١٢» وهو نداء موجه للشعب الفرنسي لمحاربة محاربة الإسلاموية بوصفها توتاليتارية دينية تهدد الديمقراطية بعد الفاشية والنازية والستالينية.

وفي نوفمبر من العام ٢٠١١م، أصدرت الصحيفة عددا خاصا تحت عنوان «شريعة إيبدو»، أعلنت فيه النبي محمد ﷺ «رئيس تحريرها الشرفي»، ناشرة رسمة ساخرة مع تعليق: «١٠٠ جلدة إن لم تموتوا من الضحك».

وفي ١٩ سبتمبر ٢٠١٢م قررت «شارلي إيبدو» نشر رسوم كاريكاتورية للرسول ﷺ وذلك بعد مرور أسبوع على اندلاع موجة احتجاجات ضد الفيلم الأميركي المسيء «براءة المسلمين».

٢ سبتمبر ٢٠١٥م، أعادت صحيفة شارلي إبيدو الفرنسية نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة مكتوب اعلاها «لن نستسلم أبدا»[1].

وما تلبث «شارلي إيبدو» في أكتوبر أن تكرر إساءتها للرسول ﷺ عمدا وعن علم بمكانته ﷺ في قلوب أكثر من المليار ونصف المليار مسلم، وهي مكانة ليست قابلة للتفاوض أو المهادنة، وذلك رغم نتاجها المدمر، فمجلة (شارلي إيبدو) تعيد نشر الرسوم المستهزئة والمسيئة للرسول ﷺ، ثم يقوم مدرس فرنسي بعرض وتوزيع هذه الرسوم على طلابه في وجود طالب مسلم ينتصر للنبي ﷺ بذبح هذا المدرس، فتشعل فرنسا ويستثار المسلمون نصرة لنبيهم ووسط هذه الأجواء وإمعانا في الاستهزاء بالنبي ﷺ تنشر صحيفة (لانوفال ريبوبليك الفرنسية)، على صفحتها الأولى، غلاف مجلة (شارلي إيبدو) الذي يحمل الرسوم المسيئة، ووضعت العنوان الرئيسي «غير مسمى» والذى كان سببا في وقوع حوادث عنف، لم تتوقف بعد.

وتزداد الأجواء التهابا ويزداد غضب المسلمين في كل أنحاء العالم وفي غضون ذلك تقوم فرنسا بإعادة نشر الرسوم المسيئة للنبي ﷺ، على قاعات البلديات في مونبلييه وتولوز وسط حراسة مشددة.

وفي خضم هذه الأحداث يصدر الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون تصريحات داعمة لهذه الرسوم تزيد الموقف تأزما واشتعالا.

الكويت.. إلا رسول الله

إلا رسول الله.. هكذا هبت جموع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها معلنة عن غضبها من الرسوم المسيئة للرسول ﷺ، وتصريحات ماكرون المهاجمة للإسلام والداعمة لهذه الرسوم، فهذا موقف لا يجب السكوت فيه، فقد تعالت الأمة على ضعفها وجمعت شتاتها لتعلن عن نصرتها لرسول الله ﷺ مهما كلفها الأمر، فالشأن هنا شأن عقيدة لا يصح السكوت فيه لا مكان فيه للمواءمات السياسة أو المصالح الاقتصادية، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة:٢٤).

وقد أخذت الكويت موقع القيادة وزمام المبادرة، في نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه تجاه الإساءة الفرنسية وكانت أول دولة إسلامية وعربية تعلن عن موقفها الرافض لهذه الإساءة، ويمكن تتبع موقف الكويت من خلال النقاط التالية:

أولا: على المستوى النيابي: دعا رئيس مجلس الأمة الكويتي مرزوق الغانم، الحكومة الكويتية إلى استنكار الإساءات المقصودة لرموز الإسلام، والتحرك العملي ضمن المحيط الدبلوماسي لحظر الإساءة لكافة المعتقدات حول العالم، وفي هذا الصدد أعلن أعضاء مجلس الأمة عن رفضهم لهذه الرسوم من خلال تصريحات إعلامية أو عبر صفحاتهم الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي.

ثانيا: على المستوى الحكومي: أعلنت دولة الكويت عن موقفها الرسمي في بيان بثه الموقع الرسمي للخارجية الكويتية أعربت وزارة الخارجية في بيان لها بأن دولة الكويت قد تابعت باستياء بالغ استمرار نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ وأعربت الوزارة في هذا الصدد عن تأييدها للبيان الصادر عن منظمة التعاون الإسلامي والذي يعبر عن الأمة الإسلامية جمعاء وما جاء به من

مضامين شاملة رافضه لتلك الإساءات والممارسات وحذرت الوزارة من مغبة دعم تلك الإساءات واستمرارها سواء للأديان السماوية كافه أو الرسل عليهم السلام من قبل بعض الخطابات السياسية الرسمية والتي تشعل روح الكراهية والعداء والعنف وتقوض الجهود التي يبذلها المجتمع الدولي لوأدها وإشاعة ثقافة التسامح والسلام بين شعوب العالم.

واختتمت الوزارة بيانها بالتحذير من مغبة الاستمرار في دعم هذه الإساءات والسياسات التمييزية التي تربط الإسلام بالإرهاب لما تمثله من تزييف للواقع وتطاول على تعاليم شريعتنا السمحة الرافضة للإرهاب فضلا عما تمثله من إساءة بالغة لمشاعر المسلمين حول العالم.

كما أيدت الكويت البيان الصادر عن منظمة التعاون الإسلامي الرافض لاستمرار نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ.

وفي لقائه مع السفيرة الفرنسية بالكويت، أكد وزير الخارجية الكويتي الشيخ أحمد ناصر الصباح، على ضرورة وقف الإساءات للأديان السماوية كافة والأنبياء عليهم السلام في بعض الخطابات الرسمية والسياسية التي من شأنها بث روح الكراهية والعداء بين الشعوب والتأكيد أيضا على أهمية إشاعة ثقافة التسامح والسلام بين الجميع، كما شدد على رفض الكويت لأي سياسات من شأنها ربط سماحة الدين الإسلامي بالإرهاب والمساس بشريعتنا السمحة.

هذا، ويحسب لدولة الكويت أنها أول دولة عربية تتخذ موقفا رسميا وصريحا ضد تصريحات ماكرون والرسوم المسيئة للنبي ﷺ.

ثالثا: على المستوى الشعبي: عبر الكويتيون عن غضبهم العارم من الإساءة للنبي ﷺ وظهر ذلك من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، كما دشن الكويتيون أيضا دعوة لمقاطعة البضائع والشركات والمتاجر الفرنسية، نصرة للنبي ﷺ، وكان الشعب الكويتي أيضا سباقا في هذا المضمار آخذا بزمام المبادرة في مقاطعة المنتجات الفرنسية، فقام اتحاد الجمعيات التعاونية وعددها لا يقل عن خمسة وسبعين فرعا، برفع المنتجات الفرنسة من جميع فروعه، وعلى درب المقاطعة صارت المتاجر في كل محافظات الكويت، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قام الكويتيون بالتوعية ونشر قوائم البضائع والشركات الفرنسية التي يجب مقاطعتها، كما امتدت حملة المقاطعة إلى مقاطعة الصيدليات للأدوية وأدوات التجميل الفرنسية، كما قام نحو أربعمئة وثلاثين من وكالات السفر في الكويت بتعليق إصدار تذاكر الطيران إلى فرنسا.

رابعا: إعلاميا: لم تخرج وسائل الإعلام عن موقف الكويت شعبا وحكومة، في رفض الإساءة للنبي ﷺ ومازالت تفرد مساحات واسعة لتغطية هذا الحدث ودعم حملة المقاطعة.

خامسا: دعويا: بين علماء الكويت واجب الأمة والرأي تجاه إساءة الكفار للنبي ﷺ، وأيدوا حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية بنية نصرة النبي ﷺ، وذلك عبر وسائل الإعلام ومن خلال منصات التواصل الاجتماعي.

وتعتبر حملة مقاطعة المنتجات الفرنسية في الكويت هي أقوى حملات المقاطعة، وخسارة الاقتصاد الفرنسي منها خسارة كبيرة، حيث يبلغ حجم التبادل التجاري بين الكويت وفرنسا ما يقرب من واحد وعشرين مليار دولار، كما يستثمر الصندوق السيادي الكويتي أكثر من ستة مليارات دولار في فرنسا.

ولا يقف حد نجاح حملة المقاطعة الكويتية للبضائع الفرنسية عند حد الخسائر الاقتصادية لفرنسا فقط وإنما قدم الكويتيون شعبا وحكومة أنموذجا حضاريا للعالم في غضبة المسلمين لنبيهم وهبتهم لنصرته والدفاع عنه ﷺ، ولا سيما في ظل الحملة الغربية على الإسلام والمسلمين ونعتهم بالتطرف والإرهاب.

كما يمثل هذا الموقف في بداية حكم أمير الكويت الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، بادرة خير وتأكيدا على هوية الكويت الإسلامية وثبات مواقفها تجاه قضايا الأمة الإسلامية ووقوفها إلى جانبها.

وحري بالكويت التي شرفت الأمة بموقفها أن تقوم بمشروع دعوي حضاري لمخاطبة الغرب للتعريف بنبي الإسلام ﷺ ومكانته لدى المسلمين، وإطلاق جائزة بحثية سنوية بكل اللغات تحمل اسم أمير الإنسانية الراحل صباح الأحمد، تركز على التعريف بسيرة ودعوة النبي ﷺ.

الهوامش

تواريخ الأحداث من موقع ويكبيديا.

إسلام لطفي
دار الإعلام العربية



الرسول ﷺ والتنمية البشرية

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧) تثبت هذه الآية الكريمة وغيرها من آيات التنزيل الحكيم أن رسالة النبي محمد ﷺ قوامها الرحمة والتسامح ليس للمسلم فقط، ولا حتى للإنسان عامة.. بل وحتى الحيوان والجماد كذلك.. والمتتبع لسيرة الرسول ﷺ يرى بوضوح أن في كل توجيه فعلي أو قولي أو تقريري، ركيزة مهمة من ركائز التنمية البشرية التي تدور في فلكها مدارس التنمية العصرية.. فقد استخدم ﷺ العديد من أساليب التشويق والتحفيز ومخاطبة العقول والقلوب، واهتم بالكفاءات والمتميزين في مختلف المجالات؛ وعزز مهارات الاتصال والتواصل، ووجه بتحديد الأولويات، واستخدم كثيرا أساليب العصف الذهني والتفكير الإبداعي في التعامل مع صحابته رضوان الله عليهم.. مزيد من التفاصيل في السطور التالية:

في البداية، يقول الدكتور أسامة إبراهيم أستاذ الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر: إن الله تعالى ميز الإنسان بالعقل، ووهبه نعمة التفكير، وحباه ملكة الإبداع، فلا تنفك هذه الملكات عن الإنسان العاقل، ولا يتصور أن تخلو حياة الإنسان من التفكير والإبداع، فعملية التفكير نتاج عقلي، وإبداع فكري، وانجذاب نفسي، واستلهام ذكي، وقد حثنا القرآن الكريم على التفكير والتفكر، وأعلى من شأن العقل والعقلاء؛ وقد وردت مادة «فكر» في القرآن الكريم قرابة عشرين مرة بصيغ مختلفة، منها قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة:٢١٩)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ (الروم:٨)، وقوله تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف:١٧٦)، وكذا حث النبي ﷺ على الإبداع وعدم التقليد حين قال: «لا تكونوا إمعة،

تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا» (رواه الترمذي بسند حسن).

عصف ذهني

ويضيف د.أسامة: عزز النبي ﷺ من أهمية إعمال العقل في مشكلة ما للتوصل إلى حلها، والتفكير هنا عملية ذهنية ينظم بها العقل خبرات الإنسان ومعلوماته من أجل اتخاذ قرار معين إزاء مشكلة أو موضوع محدد، والتفكير الإبداعي هو عملية ذهنية مصحوبة بانفعال صادق ينظم بها العقل خبرات الإنسان ومعلوماته بطريقة خلاقة تمكنه من الوصول إلى ما هو جديد ومفيد، فهو تفكير يسعى إلى حل المشكلات والإجابة عن التساؤلات بطريقة بديعة مبتكرة.

ويوضح أن من أهم قيم الإبداع والتفكير الابتكاري التي أولاها النبي ﷺ عنايته ورعايته، وحث على حسن استثمارها: «قيمة الوقت»، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (أخرجه البخاري)، وعنه، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (أخرجه الحاكم وصححه)، وكان ﷺ يراعي مواهب النشء، ويحفزهم على استثمار مواهبهم، والاستفادة من ميولهم، يقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني... (متفق عليه)، واكتشف ﷺ نبوغ زيد بن ثابت رضي الله عنه المبكر، وتلمس مواطن الإبداع لديه، فتعلم السريانية في أقل من شهر، يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود، وقال: «إني والله ما آمن يهود على كتابي» فتعلمته، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب له إذا كتب وأقرأ له إذا كتب إليه (أخرجه الترمذي بسند صحيح)، وضم رسول الله ﷺ عبدالله بن عباس رضي الله عنهما إلى صدره، ودعا له: «اللهم علمه الكتاب»، وفي لفظ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، وفي رواية: «اللهم أعط ابن عباس الحكمة، وعلمه التأويل»، فهذا أسلوب نبوي رشيد يعمل على رعاية نبوغ ابن عباس، وتنمية مواهبه، وتربية ملكاته العقلية، واستخراج إبداعاته العلمية، فقد قضى ابن عباس طيلة حياته في طلب العلم وتعلم الفقه وتعليمه.

ويتابع أستاذ الحديث خلال حديثه لـ«الوعي الإسلامي»، كان ﷺ يلقي السؤال على صحابته الكرام ليختبر أفهامهم، ويشجعهم على عصف أذهانهم، وإعمال عقولهم، ويشبه لهم الأمور المعقولة في صورة محسوسة لاستثارة العقل وتنشيط الذهن وتوقد الذكاء لديهم، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبدالله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله، أخبرنا بها؟ فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة» قال عبدالله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: «لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا» (متفق عليه).

د.أسامة: كان ﷺ يختبر صحابته ويشجعهم على عصف أذهانهم وإعمال عقولهم

ويتابع: كان ﷺ يظهر مواهب صحابته الكرام ويعلن عنها، ليحفزهم من جانب، وحتى يتأسى بهم الآخرون، ويقتدوا بهم من جانب آخر، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» (أخرجه الترمذي بسند صحيح).

كما أثنى ﷺ على الحباب بن المنذر رضي الله عنه لما أشار عليه بمكان نزولهم في بدر، وقال له: «لقد أشرت بالرأي»، كما كانت فكرة الخندق التي أشار بها سلمان الفارسي رضي الله عنه على النبي ﷺ فكرة إبداعية لما هاجم الأحزاب المدينة، وقال له: «إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا»، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وحفر فيه بنفسه تشجيعا للصحابة، وترغيبا لهم في المسارعة إلى حفره، حتى فرغوا منه.

وعن أفضل وسائل تنمية الإبداع التحفيز، يشير إلى أن النبي ﷺ كان يستخدم هذه الوسيلة مع أصحابه الكرام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز،

وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (رواه مسلم)، ومن أدل الأحاديث التي تبين ذلك حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله ﷺ، على قوم من أسلم يتناضلون بالسوق (يعقدون مسابقة للرمي)، فقال: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا، وأنا مع بني فلان» لأحد الفريقين، فأمسكوا بأيديهم، فقال: «ما لهم» قالوا: وكيف نرمي وأنت مع بني فلان؟ قال: «ارموا وأنا معكم كلكم» (رواه البخاري).

وبين أن من أساليب التفكير الإبداعي الذي علمه النبي ﷺ لصحابته أسلوب السؤال والمساءلة، والنقاش والمناقشة، والحوار والمحاورة، وكلها كفيلة بإطلاق إبداعات العقل، وتحفيز الفكر واستثارة الذهن واستنباط الفقه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك» قالت: قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عزوجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ (الانشقاق:٦-٨)



قال: «ذاك العرض؛ يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك» (متفق عليه)، هذا وقد كان النبي ﷺ مبدعا، ويحث صحابته على التفكير المبدع، وكانت رسالته رسالة الإبداع ﷺ.

تعزيز المسؤولية الاجتماعية

أما الدكتور عبدالحميد زايد أستاذ علم الاجتماع بجامعة الفيوم، فيقول: إن الدين الإسلامي ينظر لتمام التدين من خلال مدى التزام السلوك بمصالح الجماعة.

وأضاف أن الأحاديث النبوية تجعل الإنسان يأخذ في سلوكه أن العمل الجماعي وصالح الأمة والمجتمع هو الأساس لصلاحية هذا العمل من عدمه، مثلما قال الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون، شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (صحيح مسلم)، مؤكدا أن إماطة الأذى عن الطريق هي إحدى شعب الإيمان، وقال رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به)، وهذا تعزيز للمسؤولية المجتمعية وتحفيز للتكافل الإنساني».

وأضاف زايد، أن المجتمع الإسلامي من وجهة نظر السنة النبوية كجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فهذا يعني أن كل وحداته تساوي كل لا يتجزأ، وأن توجيه السلوك الإنساني لابد وأن يكون لصالح المجتمع، مشيرا إلى أن الصالح الخاص يظل مشروعا فقط إذا لم يتعارض مع الصالح العام.

وأكد أن الوعي الاجتماعي يتطلب نشر التراث الإسلامي ومضمونه بالسنة النبوية الشريفة المطهرة والنموذج الإسلامي الأصيل، والوعي بإمكانية تطبيق هذه السيرة في التنشئة وتحرير الإنسان من كل معضلات ومشكلات العصر الفردية، والقيم المتحررة التي تتعارض مع القيم الروحية للدين الإسلامي، مشددا على ضرورة أن نأخذ من السنة النبوية الشريفة أو نستنسخ النموذج والقدوة في العمل الجماعي المنظم الذي يهدف إلى التنمية المستدامة.

وشدد على ضرورة أن يتكاتف المجتمع المدني والمدارس والمساجد لتبيين الرؤية الإسلامية والعبرة من السيرة النبوية والسلوك النبوي في صلاح حال المجتمع.

توظيف العنصر البشري

وفي سياق متصل، أكد أستاذ الأدب العربي بكلية التربية جامعة عين شمس د. حسام عقل، أن النبي ﷺ استطاع أن يوظف العنصر البشري



توظيفا متنوعا ودقيقا وفاعلا، وبدأ الأمر بما يسمى باصطفاء المواهب أو اصطفاء العناصر النابهة، فعندما زار ﷺ بني النجار سأل عن أكثرهم نباهة وذكاء فدلوه على شاب أصبح فيما بعد زيد بن ثابت كاتب الوحي، الذي طلب منه الرسول ﷺ أن يتعلم لغة اليهود حتى يقف على مكاتباتهم وثقافاتهم ورؤاهم.

أضاف أن أصحاب النبي ﷺ كانوا ذوي طبائع متنوعة، فكان فيهم من يأخذ بالرخص، ومن يأخذ بالعزائم كابن عمر، واستطاع قائد هذه المنظومة الرسول الكريم ﷺ، أن يوظف كل واحد فيما يناسبه من المهام والوظائف والأعباء، فهناك من كان يجيد أمور المال ويتولى الخزانة وما يتعلق بها، ومن كان يجيد أمور القضاء والفصل بين المتخاصمين، ومن كان يجيد فن المفاوضة، مؤكدا أن الرسول ﷺ أجاد توظيف هذه العناصر كل في موضعه.

وتابع: تعلم الخلفاء من بعده ﷺ أن يفيدوا من هذه القدرات الخاصة، فعندما بدأت مفاوضات الفتح مع مقوقس حاكم مصر تحديدا، أرسل المسلمون «عبادة بن الصامت» ليكون متحدثا رسميا باسمهم، مستفيدين من هيئته الظاهرية، فكان أسود اللون في تأكيد لرسالة المساواة التي لا تفرق بين الأعراق والألوان.. كما وضعت السنة النبوية مجموعة من المبادئ الإدارية يمكن أن يستفاد منها في حشد الطاقات الملائمة والكفاءات المناسبة وتكريس عمليات الرقابة على منظومة العمل وسيره، لافتا إلى أن ذلك يكون على اختيار أساس الكفاية والكفاءة ولا علاقة له بالوساطة بالفروق والتوصيات وروابط القرب.

نشر الأمل والتفاؤل

أما الدكتور أشرف الشامي خبير

د. حسام عقل: وظف ﷺ العنصر البشري توظيفا متنوعا ودقيقا وفاعلا

التنمية البشرية، فأوضح أن حياة النبي ﷺ زاخرة بالكثير من المواضع التي تدل على مهارات التخطيط واتخاذ القرار، منها هجرة رسول الله ﷺ، فكان ﷺ يخطط في فكرة اختيار الصديق ورفيق الطريق، والراحلتين، ومن يحضر لهم الطعام وكيف، فضلا عن اختيار الراعي الذي يقوم بإزالة آثار الأقدام، وهذه العوامل تعد قمة في التخطيط والمهارات.

وأضاف أن تضليل الكفار وذهاب الرسول ﷺ ناحية اليمين عكس الطريق، يعتبر مهارة في التخطيط، لافتا إلى أنه رغم معاملة المشركين له، بدأ دعوته من جديد في المدينة، بنصر من أهلها فهذا يعد أيضا قمة في الأمل والتفاؤل.

وفي الحديث الشريف، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى

د. الشامي: حث على اتباع مهارات التخطيط واتخاذ القرار ونشر التفاؤل

ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عزوجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا».. وهذا لفظ مسلم.

فقد عرض عليه ﷺ عذابهم واستئصالهم فسأل لهم التأخير لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئا، وهذا قمة الأمل والتفاؤل.

وتابع أن سيرة الرسول ﷺ مليئة بنشر روح التفاؤل والبشارة، مثل حادثة الخندق مع الصحابة في الصحراء، والرسول ﷺ يقول: «فتحت عليكم فارس وفتحت عليكم رومية».

وشدد على ضرورة الاقتداء والاستفادة من روح السنة النبوية المشرفة، بالتخطيط للحياة، حيث إن طالب الجامعة عليه أن يحدد ويخطط لمستقبله ويكتب أهدافه، خاصة بعد تخرج الكثير من الطلبة وهم لا يملكون رؤية مستقبلية عن حياتهم، بالإضافة إلى رب الأسرة، عليه أن يخطط بمهارة كيف يدير المنزل ولا يسير في حياته بشكل عشوائي، وأن يعلم الفرد أن هناك بارقة أمل حتى ينظر للجانب المشرق في الأمر، مشيرا إلى أن النظرة للموضوع هي التي تحدد الأمل والتفاؤل، ليعلم الجميع أن لكل أزمة جانبها المشرق.

ملف خاص



عبدالسلام الشبراوي

حب النبي ﷺ ونصرته

تظل محبة المسلمين لدينهم ونبيهم ﷺ ساكنة في أعماق نفوسهم متخللة شغاف قلوبهم، فما ذكر ﷺ في مجلس إلا لهجت الألسنة بالصلاة والسلام عليه وخفقت القلوب شوقا إليه، وكيف لا وهو الحبيب المحبوب والشفيع المرتجى الذي لا يكتمل إيمان مؤمن حتى يكون أحب إليه من الدنيا وما فيها، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (رواه البخاري).

فمحبة النبي ﷺ من أصول الإيمان، وهي مقرونة بمحبة الله عزوجل، وتوعد الله من قدم عليها شيئا من الأمور المحبوبة في الطبع؛ من الأقارب والأموال، والأوطان وغير ذلك، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة:٢٤).

ولا يكون المؤمن كامل الإيمان حتى يقدم محبة الله ومحبة رسوله ﷺ على محبة جميع الخلق، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١) فالمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات وفي جميع الأحوال، فإذا كان هذا الحب صادقا فإنه يحمل صاحبه على متابعة النبي ﷺ، والعمل بسنته؛ فإذا تعارضت طاعة الرسول ﷺ في أوامره، مع داع آخر يدعو إلى غيرها من الأشياء المحببة إلى النفس، فإن قدم المرء طاعة الرسول ﷺ وامتثال أوامره على ذلك الداعي؛ كان ذلك دليلا على صحة محبته للرسول ﷺ، وإن قدم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من هذه الأشياء المحبوبة طبعا، دل ذلك على عدم إتيانه بالإيمان التام الواجب عليه.

لقد رفع الله سبحانه وتعالى قدر نبيه ﷺ فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤)، قال بعض أهل التفسير: أي أنعم على من آمن مع النبي ﷺ، ووجه هذه المنة أن الرسول ﷺ يدعوهم إلى ما يخلصهم من عقاب الله تعالى ويوصلهم إلى ثوابه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وهو من جنسهم عربي مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة، ويكونوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة فكان ذلك أقرب إلى تصديقه والوثوق به، لا ملكا ولا عجميا، وقرئ شاذا: (من أنفسهم) بفتح الفاء، أي من أشرافهم لأنه ﷺ كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم، ولم أذكر في التفسير قراءة شاذة إلا هذه لكونها في شرف الرسول ﷺ(1).

وهذا الكلام من الخطيب الشربيني -رحمه الله- يدل على مدى حبه وتوقيره للنبي ﷺ حبا جعله يتنازل عن منهجه في تفسيره للقرآن الكريم بعدم تضمينه قراءات شاذة إلا في هذا الموضع لكونه في شرف الرسول ﷺ.

وبلغ من شرف الرسول ﷺ أن الله سبحانه أخذ العهد والميثاق على الرسل من قبل أن أدركوه أن يؤمنوا به وينصروه قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ (آل عمران:٨١) الرسول هنا محمد ﷺ في قول علي وابن عباس رضي الله عنهما. واللفظ وإن كان نكرة فالإشارة إلى معين، كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (النحل:١١٢-١١٣) فأخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وينصروه إن أدركوه، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم(2).

طريق الجنة

إن محبة محمد ﷺ طريق إلى الجنة، وبوابة إلى حب الله عزوجل، وعبور إلى منازل الرضوان، ودليل على إيمان المرء وإخلاصه لله، ومن كانت محبة رسول الله ﷺ متربعة في قلبه فهو معه في الآخرة، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى قيام الساعة؟ فقام النبي ﷺ إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال: «أين السائل عن ساعته؟» فقال الرجل: أنا يا رسول الله قال: «ما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها كبير شيء ولا صلاة ولا صيام أو قال: ما أعددت لها كبير عمل إلا أني أحب الله ورسوله فقال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب» أو قال: «أنت مع من أحببت» قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام مثل فرحهم بهذا» (رواه ابن حبان).

إذا نحن أدلجنا وأنت إمامنا
كفى بالمطايا طيب ذكرك حاديا
وإن نحن أضللنا الطريق ولم نجد
دليلا كفانا نور وجهك هاديا

فجزاء محبته ﷺ هو أن محبه سيكون معه ﷺ في الجنة، وسيكون قريبا منه في المنزلة والدرجة، عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إنك لأحب إلي من نفسي وأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في

البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت ألا أراك. فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩) فدعا به فقرأها عليه» (رواه الطبراني في الأوسط).

دليل المحبة

المحبة عاطفة تملأ شغاف القلب وتقود صاحبها إلى اتباع ما يحب والامتثال لأمر من يحب، لذلك فإن محبة رسول الله ﷺ تتمثل في الشوق إلى لقائه في جنة عرضها السموات والأرض، وتحتاج من المسلم أن يتوج هذه العاطفة باتباع منهج النبي ﷺ والتزام سنته في عبادته وأخلاقه ومعاملاته وكل أمور الحياة، عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل». فقلت: يا رسول الله، أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: «أوغير ذلك؟» قلت: هو ذاك. قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» (صحيح مسلم).

إن صحابة رسول الله ﷺ قد ضربوا أروع الأمثلة في صدق محبتهم لرسول الله ﷺ فقدموا من أجله الغالي والنفيس، فكل شيء يهون عليهم مقابل حب رسول الله، فالمال والولد والزوجة بل النفس تهون مقابل حب رسول الله ﷺ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة، وقالوا: قتل محمد، حتى كثر الصراخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار متحزمة، فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها (أخبرت بمقتلهم)، لا أدري أيهم استقبلت به أولا، فلما مرت على آخرهم قالوا: أبوك، زوجك، أخوك، ابنك، فتقول: ما فعل رسول الله؟ يقولون: أمامك، حتى دفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذا سلمت من عطب!» (رواه الطبراني).

وروى ابن هشام في السيرة أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم إذ مر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو مستنتل من الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال: «استو يا سواد». فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني. قال: فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال استقد، قال: فاعتنقه فقبل بطنه! فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له: استو يا سواد»[٣].

نصرة واجبة

ويظل الصراع بين الحق والباطل سجالا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي كل مرة يحاول أعداء الإسلام النيل من النبي ﷺ ينبري المسلمون ويجتمعون على قلب رجل واحد لرد الإساءة والدفاع عن الرسول ﷺ وليثبتوا للعالم أجمع أن حب نبيهم ﷺ لا يساوم عليه، وأن من تجرأ على الإساءة للحبيب ﷺ فلا عذر له، ولا تهاون معه حتى يعتذر صاغرا عما اقترفته يداه.

لكن هل ستظل محبتنا لنبينا مقتصرة على ردود أفعال لما يقوم به غير المسلمين من افتراءات وكيد وإساءة تحت مسمى حرية التعبير ذات المعايير المزدوجة؟! أم أننا ينبغي علينا البحث عما أوصل للغرب هذه الصورة المشوهة عن الإسلام ونبي الإسلام ﷺ والمسلمين، لنقدم صورة حقيقية مشرفة تليق بنا وبديننا، بخلاف الواقع الذي نعيشه بعيدا عن هدي النبي ﷺ وروح الإسلام؟

إن مجالات نصرة الإسلام والذب عن النبي ﷺ تشمل جوانب كثيرة من حياة المسلمين بدءا من امتثال أخلاقه وتعاملاته على المستوى الشخصي، وتنطلق بعد ذلك لتشمل الجوانب العلمية والمعرفية والتربوية والمشاريع الإعلامية التي تسهم في تحسين صورة المسلمين، نعم لقد آتت المقاطعة -وهي رد فعل امتناعي- ثمرتها، فكيف لو اتخذنا مبادرات إيجابية وتقدمنا خطوات إلى الأمام سعيا لكسب الآخر وتعريفه بديننا وأخلاق نبينا ﷺ؟ هل نفعل أم أننا سننتظر إساءة قادمة لنرد وندافع ونشجب ونندين؟!

متى نحمل لواء المبادرة ونكون نحن الفاعلين لا المفعول بهم على الدوام؟!

الهوامش

١- تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني- ج١- ص٢٦٢- بتصرف يسير.
٢- تفسير القرطبي- ج ٥- ص١٨٩.
٣- السيرة النبوية لابن هشام- ج١- ص٦٢٦.



عبدالله الظفيري
صحافي وباحث دراسات إسلامية

غضبة كويتية دفاعا عن النبي

شهدت الكويت تحركات في اتجاهات ومجالات متعددة، لكن غايتها واحدة وهي الدفاع عن الإسلام ورسول الله محمد ﷺ. فقد أثارت الرسوم المسيئة التي نشرت في فرنسا لرسولنا الكريم غضبة كويتية؛ رسمية وشعبية مشتركة، جرى التعبير عنها بالبيانات الحكومية الرسمية الرافضة والمندِّدة في نشر هذه الرسوم، وبالمواقف والتحركات الشعبية من مواطنين ومؤسسات مجتمعية، والتي اتخذت مسارات وأشكالا متعددة. لقد تنوعت الوسائل المتبعة بالكويت في الدفاع عن الإسلام والرسول ﷺ، سواء على الصعيد الرسمي أو الشعبي، فالموقف الحكومي كان واضحا في إدانة واستنكار هذه الرسوم من خلال البيان الذي أصدرته وزارة الخارجية الكويتية والذي تضمن عبارات استياء ورفض لنشر الرسوم والإساءة لمشاعر المسلمين حول العالم. أما على المستوى الشعبي فإن كل أطياف وفئات المجتمع الكويتي تحركت، كل منها بطريقته الخاصة، وبوسائله المتاحة للدفاع عن الإسلام ومقام النبوة، وإيصال رسالة رفض واستياء لما قامت به فرنسا من نشر الرسوم المسيئة. ولم تتوقف حملات الدفاع عن الإسلام والرسول على بيانات الإدانة والاستنكار التي أصدرتها مؤسسات المجتمع المدني من جمعيات النفع العام والجمعيات الخيرية والاتحادات المختلفة والنقابات العمالية وغيرها من جهات مجتمعية، إنما اتخذت إجراءات عملية في اتجاه نصرة النبي والدفاع عن المقدسات الإسلامية. البعض دشن حملات مقاطعة للمنتجات والبضائع الفرنسية، وآخرون أطلقوا مشاريع دعوية للتعريف في الشريعة الإسلامية السمحة والسيرة النبوية، وهناك من استثمر في التكنولوجيا الحديثة وشبكات التواصل الاجتماعي لتوجيه حملات لنصرة النبي والدفاع عن الدين، وغيرهم اتجه لتقديم شكاوى في المحاكم والمنظمات الدولية. السلطة التشريعية ممثلة في مجلس الأمة تفاعلت مع هذا الحدث عبر البيانات التي أصدرها النواب لإدانة واستنكار الإساءة إلى مقام النبوة، ومن خلال المقترحات التي قدمت في هذا الشأن والتي منها أن تقوم الحكومة بوضع برامج محلية وعالمية لتوضيح رسالة الإسلام العادلة وسيرة الرسول الكريم وتبيان حسن خلقه العظيم للبشرية. بعض جمعيات النفع العام والجمعيات الخيرية قررت اتخاذ خطوات عملية للرد على الرسوم المسيئة والدفاع عن الرسول محمد ﷺ من خلال إطلاق مشاريع دعوية باللغة الفرنسية تهدف إلى نشر رسالة الإسلام السمحة والتعريف في سيرة النبي، انطلاقا من أن الشعوب الغربية بحاجة إلى معرفة سماحة النبي الكريم الذي جاء رحمة للعالمين، والذي وصفه الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

الدفاع عن مقام النبوة واجب على الجميع؛ حكومات وشعوب، قال الله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح:٩).

حوار/ نادر أبو الفتوح
باحث وصحافي



مهاجري زيان لـ"الوعي الإسلامي":

بالحوار والتعايش السلمي نتجاوز أزمة الرسوم المسيئة

يتعرض أبناء المسلمين في أوروبا حاليا لمصاعب كثيرة، نتيجة نشر الرسوم المسيئة وما صاحبه من ردود فعل، ومحاولات إلصاق الإرهاب بالإسلام كذبا وافتراء، لأن الإسلام هو دين السلام والرحمة والتعايش السلمي وقبول الآخر.

في ظل هذه الأجواء كان لابد أن تكون هناك توعية بالمخاطر التي يتعرض لها المسلم في الخارج، وأن يقدم خطابٌ دعوي للمسلمين في الخارج يحثهم على عدم الاندفاع في ردود الفعل، بل يوجههم للطريق الصحيح من خلال الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، وضرورة التواصل مع قادة الرأي العام والإعلام لبيان سماحة الإسلام.

أجرت «الوعي الإسلامي» حوارا مع الشيخ مهاجري زيان رئيس الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية، تناول جهود الهيئة في توعية أبناء المسلمين لتجاوز هذه المحنة وعدم الانسياق وراء الدعوات التي تؤدي إلى الصدام.. وإلى نص الحوار:

● في البداية، ماذا عن جهود المراكز الإسلامية لتوعية أبناء المسلمين في أوروبا للتعامل مع هذه الأجواء الصعبة؟

- في الحقيقة جهود المراكز الإسلامية في أوروبا لا تقتصر على رد الفعل، لدينا برامجنا وخططنا

التواصل مع الإعلام وقادة الرأي العام ضرورة لبيان مخاطر المساس بالأديان

التي نعمل على أساسها على مدار العام، ونحن دائما نتوقع مثل هذه الاستفزازات ونقدم خطابا دعويا يرسخ قيم التعايش السلمي وقبول الآخر، وننصح أبناء المسلمين في الخارج بالاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأن أي استفزازات لا تسحب على كل المجتمع، بل هي تصرفات من أشخاص، وإذا كنا ندين ونرفض مثل هذه الاستفزازات، التي تجرح مشاعر المسلمين وتتعدى على الأديان والمقدسات، فإننا نقوم بالموقف الحكيم والعاقل، من خلال التواصل من الرأي العام والإعلام وكل الجهات، ونصحح الرأي والمغالطات بكل ما هو متاح عمليا وقانونيا.

● وما هي الرسالة التي توجهها للمسلمين في الخارج لمنع التصادم أو

التأثر بأي ردود فعل؟

- تقصد الجالية في أوروبا، فمنهجنا هو التعايش السلمي وقبول الآخر وعدم التأثر بردود الفعل، لأن رد فعل المسلم الذي يعيش في بلاد المسلمين، يختلف عن رد فعل المسلم في بلاد أغلبها من غير المسلمين، لسنا في حاجة للصدام أو العنف، بل نهدف إلى التواصل مع المعتدلين ونصحح الصورة لدى الجميع، نرفض هذه الرسوم المسيئة، ونطالب بوقف نشرها واتخاذ الإجراءات القانونية، لكن دون أي عنف أو مساس بالآخر، ولذلك أنصح المسلمين في أوروبا بعدم التأثر بردود الفعل، لأننا يجب أن نكون سفراء وأن نواجه الأزمة بالعقل والحوار.

● وهل هناك خطوات على أرض الواقع في هذا الجانب؟

- دخلنا في مساع مع كل الجهات الدولية والإقليمية، وعلى رأسها الأمم المتحدة، لاقتراح يوم دولي للإشادة بالأنبياء والرسل، وعدم الإفلات من العقوبة عند المساس بهم، لأن عدد المسلمين كبير في فرنسا وبلجيكا وغيرهما، وأصحاب الديانات في هذه المجتمعات يشكلون جزءا كبيرا، وبالتالي أي إساءة للأديان قد تقسم المجتمع، وتضر بالاستقرار والتعايش، وبالتالي تضر بالتنمية والاقتصاد.

● وما هي التحذيرات التي توجهونها للأقليات المسلمة في الخارج فيما يتعلق بالتعامل مع نشر الرسوم المسيئة؟

- هي ليست تحذيرا، لأن الجالية المسلمة تملك من الوعي والفهم ما يجعلها جزءا فعالا في مجتمعاتها بأوروبا، ولكن هناك توجيهات بضرورة التعامل الأمثل مع هذه الأزمة، ويتمثل ذلك في عدم الانسياق وراء الدعوات التي تدفع للصدام.

● وكيف ترى ردود الفعل داخل البلاد الإسلامية؟

- رد فعل طبيعي يعكس تأثر جموع المسلمين من الإساءة للرسول الكريم ﷺ، والمؤكد أن ردود الفعل في العالم الإسلامي أحدثت صدى كبيرا في أوروبا، وأكدت أن التعرض للأديان جريمة كبرى قد تؤدي لمزيد من الصدام والعنف، وهذا مرفوض، سواء داخل الدول الإسلامية أو داخل المجتمعات التي يعيش فيها المسلمون كأقليات.

●وكيف ترى دور المنظمات والمؤسسات الدينية الكبرى؟

- دور المنظمات الإسلامية الكبرى يتمثل في التواصل مع المنظمات والهيئات الرسمية الكبرى في أوروبا، وأن يكون هذا التواصل مستمرا وليس رد فعل لاستفزازات من فترة لأخرى، لأن دور المؤسسات الدينية يخفف الكثير من الضغوط على أبناء المسلمين في أوروبا، ولابد أن تقوم تلك المنظمات بحملات توعية بجوهر الإسلام من خلال الإعلان في الصحف والمجلات الدولية الكبرى، لأن هذه المنظمات تحمل صفة الرسمية وتمتلك من الأدوات ما يمكنها من التأثير على صناع القرار في أوروبا.

بالحوار والتعايش السلمي وتصحيح المفاهيم والاعتراف بالآخر.. سنتجاوز أزمة الرسوم المسيئة

نسعى مع كل الجهات الدولية لاقتراح يوم دولي للإشادة بالأنبياء والرسل وعدم الإفلات من العقوبة عند المساس بهم

● وهل وسائل الإعلام في العالم الإسلامي قامت بدورها في هذه الأزمة؟

- دور وسائل الإعلام في العالم الإسلامي في هذه الأزمة ينبغي أن يخاطب الغرب وأن يعمل على الوصول لغير المسلمين، ولا يكتفي بردود الفعل المحلية، ولذلك ينبغي أن تكون هناك مطبوعات وصحف إسلامية باللغات الأجنبية، بل ينبغي أن تكون هناك مواقع لهذه الصحف باللغات الإنجليزية والفرنسية، وهذا من ناحية سوف يصحح صورة الإسلام ويبين مدى تأثير نشر هذه الرسوم على مشاعر المسلمين في كل أنحاء العالم، ومن ناحية أخرى سوف تلعب دورا في توعية أبناء المسلمين في الخارج، وتقدم لهم خريطة طريق للتعامل الأمثل مع الأزمات والمحن التي يتعرضون لها في المجتمعات التي يعيشون فيها.

● هل يمكن أن نقول إن هناك دروسا مستفادة من هذه الأزمة؟

- بالقطع نحن لدينا تجارب عديدة، ولابد أن نستفيد من كل المحن والأزمات التي نواجهها، وهذه الأزمة تعلمنا منها أن الخطاب الدعوي يجب أن يركز على الواقع، وأن نعمل بكل جهد في المراكز الإسلامية على تأهيل أبناء المسلمين على التعامل مع مثل تلك الأحداث، وألا نتأثر بردود الفعل الغاضبة، لأن أي تصرفات سلبية قد تؤدي لمزيد من الأزمات، كما أننا في حاجة لتدريب الأئمة والدعاة والخطباء في المراكز الإسلامية على توعية المسلمين بهذه القضايا، كما أننا في حاجة للدعاة الذين يدركون فقه الواقع، ويجيدون اللغات الأجنبية المختلفة، ولديهم القدرة على التواصل مع وسائل الإعلام هنا في أوروبا.

الفاروق عبدالعزيز
منتج وناقد ومخرج سينمائي





نحو منهج عملي للرد على الإساءة

لم يتوقف الصراع بين الناس في الأرض يوما ولن يتوقف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إنها سنة الله في التدافع بين الإصلاح والإفساد، بين الخير والشر، ولذا لم يتوقف الاستهزاء بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم من قبل، ولم يتوقف عند خاتمهم رسول الله إلى العالمين محمد ﷺ..

هذا الاستهزاء كان هو القاسم المشترك الأعظم بين ما نطق به لسان عبدالعزى بن عبدالمطلب الشهير بأبي لهب، ولسان عمرو بن هشام الشهير بأبي جهل في القرن الأول، وما صورته ريشة بعض الفنانين في العديد من الصحف في عصرنا هذا.

لم يتوقف الاستهزاء بعد أن قتل أحد المستهزئين عام ٢٠١٥م.

ولم يتوقف الاستهزاء بعد أن حدثت بعد حوادث الاعتداء على المستهزئين والتي أدت إلى وفاة بعضهم.

لقد واجه كتاب الله الحكيم الاستهزاء، الذي هو من شيم السفهاء، بتعليم رسوله ﷺ خلقا عظيما للمقاومة ألا وهو التعالي والتجاهل والصبر على ما يصيب الإنسان من ضيق صدر وحزن نتيجة الاستهزاء والتكذيب.

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر:٩٥).
﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأنبياء: ٤١).
﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام:٣٣).
﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٩٩).
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ (الحجر:٩٧).
﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (المزمل:١٠).
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤).
امتثل نبي الرحمة رسول الله إلى العالمين محمد ﷺ لما علمه إياه ربه فأعرض بخلقه عن الجاهلين، وصبر على ما يقولون، وركز جهاده على إنجاز التكليف الإلهي بنشر دعوة الله في الأرض، وهذا هو الواقع الذي يعيش العالم في ظله اليوم.
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب:٤٥-٤٦).
لم يبعث نبي الله ﷺ قتالا ولا لعانا ولا هجاء ولا مستهزئا بأحد، بل هو بشير ونذير وصفه ربه بأنه سراج كالشمس، النجم المولد للضياء، وكالقمر المنير العاكس للضياء؛ ضياء ونور.
ولذا رأيناه في محنة الطائف بعد سبه ورجم قدميه الشريفتين بالحجارة، يرفض تخيير جبريل عليه السلام له قتل من اعتدوا عليه داعيا ربه قائلا: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» (رواه البخاري)، فاستجاب الله لدعائه فخرج من صلب أبي جهل الصحابي الجليل عكرمة، ومن صلب أمية بن خلف الصحابي الجليل صفوان، وخرج من صلب الوليد بن المغيرة الصحابي الجليل، سيف الله المسلول، خالد.
ومن صلب هذه الأحزاب اليمينية المتطرفة المعادية للإسلام، خرج نائب رئيس لأحدها مسلما، وكذلك أحد أعضائه المخضرمين، ولن أفاجأ على الإطلاق عندما يخرج من صلب الحزب نفسه رئيسه الذي أعلن عن مسابقة دولية برعايته للاستهزاء برسول الله محمد ﷺ لكن هل كتب علينا حقا ودوما انتظار الإساءة بعد الإساءة؟
لقد شاركت في صناعة تجارب «ثلاث» بعمق أكتفي بذكر عناوينها:
كانت التجربة الأولى في العام ١٩٩٤م لإطلاق المشروع التلفزيوني الدولي «العقل المسلم» في كندا، لمجابهة الصورة النمطية السلبية عن الإسلام خاصة في الغرب، ثم الحصول، بعد جهد استغرق ثلاثة أعوام، على موافقات للشراء المسبق من أكثر من عشر قنوات دولية!
وفي العام ٢٠٠٤م كانت التجربة الثانية لإطلاق المشروع الدولي المؤسسي، المتفق مع هذه الرؤية الإستراتيجية «الخاتم ﷺ»، والوعود العظيمة التي رافقته لعامين!
أما التجربة الثالثة فكانت في العام ٢٠١٨م لإطلاق المشروع الدولي المؤسسي، المتفق مع هذه الرؤية الإستراتيجية «هذا نبينا: أخلاق لزماننا».
ولا تعجب إذا أخبرتك أن أيا من هذه المشاريع الثلاثة لم ينطلق!
وبعد ربع قرن اكتشفت أن العامل السلبي المشترك بين هذه المشروعات، والذي أدى إلى إجهاضها في نهاية المطاف، هو أن الوعي بالأهمية القصوى للعمل الإعلامي الاحترافي كمرادف للعمل الخيري المباشر مفقود تماما لدى كثير ممن التقيت أو عرفت من فاعلي الخير إلا قلة قليلة.
فالمتبرع يشعر بأن الأجر المؤكد ينتظره إذا أعطى لمشروع حفر بئر أو بناء مسجد على أهمية هذا كله، في حين أن الأجر قد يبدو بالنسبة له غير موثوق منه إذا أعطى لمشروع إعلامي بهذا التوصيف الاستراتيجي.. هذه خلاصة ليست قاصرة علي، بل يشاركني فيها مسؤولون في العمل الخيري، كما صرحوا لي.
واليوم تتداعى جمعيات وأفراد للبحث عن مادة تجابه بها هذه الإساءة الفرنسية الأخيرة بدلا من الاستنكار والإدانة والغضب والصراخ. حسنا، بأي مادة ستجابه؟ وكيف ستؤثر وإلى أي مدى؟ بفيلم قصير أعد على عجل أم بورقة دعوية؟ ببيان شجب أم بخطبة عصماء؟
أعرض التجارب مستذكرا الضرورة القصوى التي شعرنا بها جميعا وقتها بأن تكون لدينا إجابة مستدامة عن سؤال لا يبدو، حتى الآن، أن هناك إجابة عنه وهو:
ماذا سنفعل عندما يحين موعد الإساءة القادمة؟

عايد الجاسم
كاتب وباحث دراسات إسلامية





الكويت ترفض الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم

كعادتها دائما، تقف الكويت في المقدمة للدفاع عن القضايا العربية والإسلامية، فهذه سياستها الثابتة والراسخة منذ عقود، والتي لم تتغير أو تتبدل تجاه التعاطي مع قضايا الأمة. ولم يكن الموقف الذي اتخذته الكويت؛ رسميا وشعبيا، إزاء نشر الرسوم المسيئة للنبي محمد ﷺ في فرنسا مفاجئا أو غريبا على هذا البلد الثابت في مواقفه، إنما هو انعكاس طبيعي للمواقف المشرفة تجاه القضايا العربية والإسلامية، والذي جسده كثير من الأحداث والمواقف خلال سنوات طويلة. ولا يدل الانسجام والتوافق بين الموقفين الرسمي والشعبي إلا على أن سياسة الكويت الخارجية تستند إلى مبادئ أصيلة وثوابت راسخة، يتصدرها الحرص الدائم على مصالح الأمة والدفاع عن ثوابتها وقضاياها. صحيح أن الكويت ليست البلد الوحيد الذي أدان واستنكر الإساءات الفرنسية لمقام النبوة، لكن موقفها اللافت والمتقدم في التعبير عن الرفض والإدانة للرسومات المسيئة حظي بإشادات واسعة، كونه عبر عن الرأي الشعبي الرافض لأي إساءة إلى الدين والرسل. هذا الموقف المميز للكويت وأهلها دفع الآخرين إلى الحذو حذو الكويت والسير في دربها واتباع منهجها القوي والواضح في الدفاع عن الثوابت



العربية والإسلامية. لقد شكل بيان وزارة الخارجية الكويتية، الذي أدانت فيه نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ، موقفا رسميا حازما إزاء عدم القبول بأي إساءات إلى الدين الإسلامي ومقام النبوة. واستخدمت الخارجية الكويتية عبارات واضحة ومباشرة في التعبير عن الاستياء البالغ من استمرار نشر الرسومات المسيئة، محذرة من دعم تلك الإساءات واستمرارها، سواء للأديان السماوية كافة أو الرسل عليهم السلام من قبل بعض الخطابات السياسية الرسمية التي تشعل روح الكراهية والعداء والعنف وتقوض جهود إشاعة ثقافة التسامح والسلام بين شعوب العالم. وعلى الرغم من أن البعض يربط بين الإسلام والإرهاب في محاولة للإساءة إلى الدين، فإن توالي المواقف العربية والإسلامية الرسمية والشعبية الرافضة لمثل هذا الطرح والمحذرة من تأثيراته يشكل خط دفاع مهم عن الإسلام والمسلمين. وعبرت الكويت في معرض إدانتها نشر الرسوم المسيئة عن خطورة السياسات التمييزية التي تربط الإسلام بالإرهاب لما يمثله ذلك من تزييف للواقع وتطاول على تعاليم الشريعة الإسلامية السمحة الرافضة للإرهاب، فضلا عما تمثله من إساءة بالغة لمشاعر المسلمين حول العالم. الانتفاضة الرسمية والشعبية التي شهدتها الكويت في كل فئاتها ومؤسساتها للدفاع عن الإسلام والرسول ﷺ مثار فخر واعتزاز، وتحمل رسائل عديدة؛ أهمها أن رسولنا ﷺ خط أحمر والدفاع عنه واجب على الجميع.

محمد عبدالباقي
باحث دراسات اسلامية



محمد ﷺ قدوتي

خلق الله الإنسان في هذه الدنيا ووضع له منهجا يسير عليه ودستورا كفل له السعادة في الدنيا والآخرة، كما أن الإنسان يصنع آلة ويضع معها كتالوجا يصف فيه كيفية التشغيل والصيانة لهذه الآلة، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بدستور لأنه يعلم خلقته وصنعته، قال الله تعالى:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤).

والقوانين التي وضعها الإنسان لتنظم حياة الناس ولتكون المرجع لكل الناس يحتكمون إليها، ولكن يظل هذا المنهج وتلك القوانين حبرا على ورق، وتفقد أثرها وفائدتها كونها معطلة؛ لذا بعث الله محمدا ﷺ ليكون قدوة وأسوة للناس في جميع أمور حياتهم يرجعون إليه ويحتكمون إلى سنته وشريعته قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

وضع الله في النبي محمد الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، والصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ، وهو التشبيه البليغ للسيدة عائشة حينما وصفته للسائل عن أخلاقه بقولها «كان خلقه القرآن».

إذا ذكر رسول الله ذكرت الأخلاق والصدق والأمانة والعفو والعفاف والوفاء...

وهذا أمير الشعراء شوقي في تعداد بعض أخلاق النبي ﷺ العظيمة، وخصاله الكريمة، وشمائله المباركة:

زانتك في الخلق العظيم شمائل
يغرى بهن ويولع الكرماء
والحسن من كرم الوجوه وخيره
ما أوتي القواد والزعماء
فإذا سخوت بلغت بالجود المدى
وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادرا ومقدرا
لا يستهين بعفوك الجهلاء

وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة
في الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك في مرضاته
ورضا الكثير تحلم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هزة
تعرو الندي، وللقلوب بكاء
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما
جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا بنيت فخير زوج عشرة
وإذا ابتنيت فدونك الآباء
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما
في بردك الأصحاب والخلطاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء
يا أيها الأمي حسبك رتبة
في العلم أن دانت بك العلماء
الذكر آية ربك الكبرى التي فيها
لباغي المعجزات غناء

كان الصحابة يتعلمون منه أمور دينهم ودنياهم، فكان مثالا في الصدق، ونبه المربون إلى ذلك، عن عبدالله بن عامر: دعتني أمي يوما (أي: نادتني أمي ذات يوم)، وذلك وهو صغير، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها (أي: تنادي عليه) تعال أعطيك، (أي: أقبل عندي لأعطيك شيئا)، ولم تسم هذا الشيء، فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟». قالت: أعطيه تمرا (أي: أرادت أن تعطيه تمرا)، فقال لها رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة»، ينبه النبي الآباء والمربين إلى أهمية القدوة في حياة الأبناء.

قال ابن حزم: من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ، وليستعمل أخلاقه، وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به بمنه، آمين.

كان ﷺ مثالا وقدوة في التربية والتعليم والتوجيه، لاسيما مع المخطئين والعصاة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» (البخاري).

وعن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله، ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة، لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» (مسلم).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: ادنه، فدنا منه قريبا. قال: فجلس قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» (أحمد والطبراني والبيهقي).

لا يتخيل إنسان أن يكون هذا التصرف أو رد الفعل من أي معلم إلا أن يكون رسول الله محمد ﷺ، إنه المعلم الأول والمربي الذي لم تأت البشرية بمثله.

كان يقول عن نفسه: «إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، وإنما بعثني معلما وميسرا»، كان مربيا حكيما ومعلما حليما ﷺ، وإذا أردنا الحديث عن النبي القدوة المربي المعلم وأخلاقه فإننا سنحتاج إلى مقالات عدة، ولكن نكتفي بهذه الشواهد، فما أحوجنا أن نتعرف أولا على نبينا ونقرأ عن قدره وخلقه ومكانته ﷺ، فما أساء من أساء إليه إلا لجهله وعدم معرفته.

محمد ثابت توفيق
كاتب وقاص



الرسول ﷺ وجوع أبي هريرة

بعد هجرة الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه من مكة إلى المدينة، صار بلا أهل، ومرت به بعض أيام وليال بالغة الصعوبة، عانى فيها من الجوع حتى ليضع على بطنه حجرا أملس يحاول أن يجعل ظهره مفرودا به ويتقي به بعضا من طوفان شعوره بالجوع المرير؛ إلا أن الأخير بلغ به ذات مرة حتى ليقسم أنه كان يضطر إلى وضع بطنه كله على الأرض، أو كما قال في الحديث الشريف الذي رواه البخاري تحت رقم ٦١١٤: «أللّه الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع».

ومع مرور وقت ذلك اليوم، صار الجوع يشتد بأبي هريرة رضي الله عنه حتى غلب الحياء عليه فلم يستطع أن يسأل كبار الصحابة الكرام عن طعام مباشرة؛ فقعد على الطريق الذي يخرجون منه، فمر به أولا أبو بكر الصديق فبادر بسؤاله عن معنى آية من القرآن الكريم قائلا: «ما سألته إلا ليشبعني»، إن أبا هريرة لا يريد في الحقيقة أن يعرف معنى الآية، وإنما قصد أن ينظر أبو بكر، رضي اللّه عنهما، إليه فيعرف مقدار جوعه فيدعوه إلى طعام لديه، لكن الصحابي الجليل أجاب ثم مضى وتركه.

وبعد قليل جاء عمر بن الخطاب فكرر أبو هريرة الموقف معه، وأجاب الفاروق أيضا ثم مضى وترك أبا هريرة، رضي اللّه عنهما، وبعد قليل مر الرسول ﷺ (أو أبو القاسم كما قال أبو هريرة، وهو يحب أن يدعو الرسول العظيم بلقبه)، وقبل أن ينطق الأخير بكلمة: «تبسم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي».

ثم قال:

- «يا أبا هر».

قلت:

- «لبيك يا رسول اللّه».

قال:

- «الحق»!

(ومضى فتبعته).

إن الرسول العظيم ليدعوه إلى المسير خلفه، إذ إنه تبسم حين رأى أبا هريرة وعرف ما يعانيه، أو ما في نفسه كما قال الصحابي رضي الله عنه؛ فبالرحمة التي أعطاها اللّه تعالى لرسوله العظيم فهم ما يعانيه أبو هريرة وأثر في

نفسه ووجهه فدعاه لكي يسير خلفه، وبالفعل مضى ﷺ يتبعه الصحابي الجليل حتى أتيا إحدى حجرات نساء الرسول ﷺ، فاستأذن منها في أن يدخل الصحابي فأذنت رضي الله عنها، إذ كان الرسول العظيم يحب أن يعلم نساءه بوجود ضيف معه قبل إدخاله وفي ذلك تعظيم لشأنها وحرص على أن تبدو غرفهن في خير حال.

كان الرسول ﷺ كثيرا ما يهدى إليه لبن أو شيء من طعام من جيرانه من الأنصار أو ميسوري الصحابة، رضوان الله عليهم، فما كان هدية كان يشرب أو يطعم منه، وما كان صدقة كان يتركه لغيره من الصحابة؛ إذ حرمت عليه وأهله ﷺ الصدقات، وكان من نصيب أبي هريرة أن وجد الرسول ﷺ قدح لبن مهدى إليه، فسأل أولا عن مصدر القدح فلما عرف أنه هدية قال:

- «أبا هر»؟!

(إنه يناديه بالكنية الأحب إليه، والتي أطلقها الرسول ﷺ بنفسه عليه لشدة حنان ورحمة أبي هريرة بقطة صغيرة وجدها في ليلة شاتية فوضعها في كمه طلبا لدفئها).

أجاب أبو هريرة على الفور:

- «لبيك يا رسول الله».

(إنه ليحب أن يطيع أوامر الرسول العظيم من شدة محبته له ﷺ، وذلك لرحمة الرسول العظيم به وببقية أصحابه، وأيضا تقديره لهم وحرصه على إراحتهم وعدم تكليفهم إلا بما يحبون، والتدرج والرفق بهم إن كان الأمر جديدا عليهم).

قال الرسول العظيم لأبي هريرة:

- «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي».

إن أهل الصفة كثيرون، ألجأتهم شدة الفقر إلى الإقامة في المسجد، ولذلك فحينما يهدى للرسول العظيم، ولو قليل لبن، يتذكرهم قبل نفسه ﷺ؛ محبة منه لأصحابه، وإيثارا لهم. يقول الصحابي الجليل:

- «وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل، ولا مال، ولا على أحد، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم. ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها!».

قال أبو هريرة رضي الله عنه في نفسه إن قدح اللبن قليل على كثرة أهل الصفة وتمنى لو شرب بعضه ليقوي نفسه به قبلهم، ولكنه أسرع إلى تنفيذ أمر الرسول ﷺ.

ويضيف الصحابي الجليل:

– «فإذا جاءوا أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد. فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت».

ومن أدب الرسول العظيم أن يجعل لأهل الصفة على حالهم من يخدمهم في بيته ﷺ وهو ما توقعه أبو هريرة، وقد كان، وما أعظم أن يكون أبو هريرة خادما لرسول الله، فقال له:

- «يا أبا هر».

قلت:

- «لبيك يا رسول الله».

قال:

- «خذ فأعطهم».

قال:

- «فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده».

إنها بركة رسول الله ﷺ إذ حلت وجاءت على القوم كلهم بإذن الله تعالى فشرب أهل الصفة حتى ارتووا وأخذ الرسول العظيم القدح واضعا إياه على يده مدركا ما بنفس أبي هريرة فقال:

- «أبا هر».

فأجابه الصحابي قائلا:

- «لبيك يا رسول الله».

فقال ﷺ:

«بقيت أنا وأنت».

فقد شرب القوم جميعا وارتووا.

قلت (أي الصحابي الجليل):

«صدقت يا رسول الله».

قال ﷺ:

- «اقعد فاشرب».

إن الرسول العظيم وهو يعاني من الجوع ما يعاني منه صحابته الكرام يبديهم ويفضلهم على نفسه الشريفة، فيصف أبو هريرة بقية الموقف فيقول:

«فقعدت فشربت».

فقال ﷺ:

- «اشرب».

يقول أبو هريرة:

- «فشربت، فما زال يقول: اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا».

إن أبا هريرة شرب بناء على الأمر النبوي العظيم حتى لم يعد يجد في نفسه حاجة للمزيد برغم أنه في بداية الموقف كان متيقنا أنه لن يبقى له من اللبن شيء؛ هنا قال الرسول العظيم:

- «فأرني».

فأعطيته القدح، فحمد الله تعالى، وسمى وشرب «الفضلة».

من أجل روعة مثل هذه المواقف، وما أكثرها في حياة الرسول العظيم وصحابته الكرام، وإبلاغه رسالة ربه كاملة، رغم ما لاقاه من محن وصعاب، فداه أصحابه بأنفسهم وكل ما يملكون، ولا يزال مئات الملايين من المسلمين على العهد رغم معاداة الجاهلين بالمنهج النبوي وحياة الرسول العظيم له.



د. حسن بلحبيب
باحث دراسات اسلامية

كسر العادة للحبيب محمد ﷺ في القرآن الكريم

الأحكام ثلاثة: شرعية كالواجب والحرام، وعقلية كالحساب، وأحكام العادة ككون النار محرقة وصعوبة النعاس مع الخوف. وقد ورد في القرآن الكريم خرق لنظام حكم العادة، تأييدا للرسل الكرام عليهم السلام، وإثباتا لصدق دعوتهم، ومن أمثلة ذلك ما حدث لنبينا ﷺ، وهي معجزات باهرة، أثبتت صدق النبي الخاتم ﷺ، وأقنعت الكثير من الناس باتباع نهجه القويم، ومن أمثلة ما اشتمل عليه القرآن الكريم من ذلك:

١- انشقاق القمر

جرت العادة الثابتة أن القمر جسم واحد، ولا يقدر أحد من الخلق مهما كان على قسمته نصفين، ولكن لما كذب كفار قريش النبي ﷺ، وطالبوه بدليل مادي على صدقه عليه السلام في التبليغ عن رب العزة والجبروت، يشاهدونه بأم أعينهم، شق الله تعالى القمر نصفين، وعن معجزة انشقاق القمر يحدثنا عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمنى، فقال: «اشهدوا»، وذهبت فرقة نحو الجبل[1]. فأنزل الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ (القمر:١-٢).

قال ابن كثير: «ومعجزة انشقاق القمر له ﷺ من دلائل النبوة الحسية»[2].

٢- الرياح والجنود التي لا ترى

كان المسلمون في الضفة الأخرى من الخندق الذي حفروه ليحول بينهم وبين أحزاب الكفر، التي اجتمعت عليهم من كل ناحية لاستئصالهم واستئصال دين الحق معهم، حتى إن المسلمين وصلوا حالة صعبة من الخوف، يصفها الله تعالى بالزلزال الشديد. ولكن الله تعالى بعد تمحيص أهل الإيمان من أهل الشك والكفر، أرسل على معسكر الخبث والمكيدة جنودا لا نراها، وريحا عاصفة خرق الله تعالى

بها لنبيه الكريم العادة، بحيث توالت على المشركين فقط ولم تصل إلى المسلمين، وليس بين الفئتين من الناس إلى خندق أرضي، فيا عجبا، أي ريح هذه! هجمت على الكفار بعنف، فقلعت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وشردت إبلهم، وأرعبت قلوبهم، فارتدوا خائبين خاسرين إلى جحورهم. ولم تمس المسلمين! والفئتان معا في البقعة الجغرافية نفسها، فهل بعد هذا جحود؟ أليس هذا الخرق وحده كاف لاتباع دين الإسلام؟!

وفي هذا أنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب:٩).

٣- الإسراء والمعراج

كان الإسراء تسلية للنبي ﷺ من جهة، ودليلا على صدقه من جهة أخرى، لأن الكفار كذبوه، ثم امتحنوا صدقه، فسألوه عن وصف بيت المقدس، وهم يعلمون علم اليقين أنه لم يره من قبل، فوصفه عليه السلام حجرا حجرا، فسألوه عن قافلة لهم في الطريق، فحدد مكانها، وعدد رجالها، ومن أي القبائل هم، ووصف الإبل، وذكر وصف الجمل الذي يتقدم القافلة، وما يحمل، بل وحدد الزمن الذي تصل فيه القافلة، فوصلت في الوقت الذي حدده عليه السلام، « فكان ذلك كله دليلا على ثبوت إسرائه، وكان الإسراء دليلا على المعراج في السماء»[٣]. وذكر القرآن ذلك: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١).

إن الإسراء والمعراج خرق للعادة، وقد جعله الله تعالى تصديقا لرسوله الكريم ﷺ.

٤- النعاس والمطر والملائكة

قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ١١ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾ (الأنفال:١١-١٢)، أسند الله تعالى فعل الإغشاء إلى ذاته العلية، فهو الذي أغشى الصحابة الكرام بالنعاس، وما كان لهم أن يجلبوا لأنفسهم سنة من نوم في موقف كهذا، يقول القرطبي: «وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها، فكان النوم عجيبا مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم»[٤].

أما نزول المطر فهو منة أخرى من الله عزوجل على المؤمنين كان لها شأن عظيم في انتصارهم على المشركين، روى ابن المنذر وأبو الشيخ من طريق ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن المشركين غلبوا المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمئ المسلمون وصلوا مجنبين محدثين، وكان بينهم رمال فألقى الشيطان في قلوبهم الحزن، وقال: أتزعمون أن فيكم نبيا، وأنكم أولياء الله وتصلون مجنبين محدثين؟ فأنزل الله من السماء ماء فسال عليهم الوادي ماء فشرب المسلمون وتطهروا وثبتت أقدامهم» [٥]. وخرق العادة في هذا المطر المبارك، علاوة على كونه جاء في وقت دقيق جدا، هو كونه للمؤمنين طلا وعلى الكافرين وبالا، وفي هذا يقول ابن القيم في الهدي النبوي: «وأنزل الله عزوجل في تلك الليلة مطرا واحدا فكان على المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلا طهرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض وصلب الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المنزل، وربط على قلوبهم فسبق رسول الله وأصحابه إلى الماء فنزلوا عليه شطر الليل وصنعوا الحياض، ثم غوروا ما عداها من المياه. ثم نزلت الملائكة عند اللقاء بين الجيشين، وانتصر المسلمون انتصارا ظاهرا».

وخلاصة القول إن القرآن الكريم منبع ثر، وإعجازه لا ينفد أبدا، وإن إيلاء مثل هذه الظواهر المعجزة بعض الدراسة والاهتمام، لحري أن يلين صدور قوم شاكين، ويذهب وسواس قلوبهم، إذ كيف تكون الريح نفسها، والمطر هو عينه، على المؤمنين بشارة فرج وجالبة يسر، وعلى الكافرين إنذار وبل وإرساء هزيمة. فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. وصلى الله وسلم على حبيبنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠).

٢- ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الجيزة، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٨، ص٥٨٨.

٣- ينظر: الإيمان، عبدالمجيد الزنداني وآخرون، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٦٨.

٤- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، لبنان، (د ت)، ص٣٣٣-٣٣٤.

٥- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، (د ت)، ص ج٩، ص٥٠٨.



د. أبو المعاطي الرمادي
جامعة الملك سعود بالرياض

رحمة النبي ﷺ بالأطفال



الرحمة في اللغة هي الحنان، والحنَّان بالتشديد ذو الرحمة، وتحنَّن عليه ترحم عليه، والعرب تقول حنانك يارب وحنانيك يارب بمعنى واحد، أي رحمتك. (مختار الصحاح)، والرحمة اصطلاحا صفة من الصفات التي يتصف بها الله تعالى والإنسان، لكن البون شاسع بين رحمة الله تعالى ورحمة عباده؛ فرحمة الله هي الصفة التي بها الإنعام والتفضل والإحسان، وهي رحمة وسعت كل شيء، ما نعلمه ومالا نعلمه، فنعم الله تعالى رحمة، وتفضله علينا رحمة، وإحسانه إلينا رحمة، وفروضه رحمة، وعطاؤه رحمة، ومنعه رحمة، في حين لا تتعدى رحمة الإنسان العطف والرقة، فهي رحمة محدودة بإدراكه القاصر الذي لا يمكن أن يتساوى بإدراك رب العباد، جل شأنه وتعالت عزته. ضرب النبي ﷺ نموذجا للرحمة الفريدة في تعامله مع الأطفال، نموذجا يفوق -بما يكمن فيه من إنسانية- النظريات التربوية الحديثة الداعية إلى اللين في التعامل، والرافضة للشدة الباثة في نفس الطفل بذور العنف المنعكس أثره على المجتمع بشكل أو بآخر؛ لأنها ليست مجرد لين ورقة تهدأ بهما النفوس، وتسر لهما القلوب، بل فعل خالق لسلوكيات سوية وتصرفات حياتية تنعكس على علاقات البشر وأفعالهم.

وهي رحمة -مع بساطة صورها- لها تأثيرها العظيم في النفوس؛ لأنها «عملية»، استعان ﷺ بالمواقف الحياتية اليومية البسيطة لغرس بذورها في نفوس الأطفال، وتعليمهم كيف يكون التعامل السامي بين البشر، وهو ما يجعلنا نقول عن رحمته ﷺ إنها درس في الإنسانية الراقية.

تجلت رحمة النبي بالأطفال في تعامله مع أبنائه وأحفاده، ففي علاقته ﷺ بابنه إبراهيم الرحمة كلها، في أسمى معانيها وأجمل صورها. فعن أنس رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحـدا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان ابنه إبراهيم مسترضعا في عوالي المدينة، وكان ينطلق، ونحن معه فيدخل البيت فيأخذه فيقبله ثم يرجعه» (أخرجه مسلم).

وعنه - أيضا- أنه قال: «دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي يوسف القين وكان ظئرا (المرضعة والمراد هنا زوجها) لإبراهيم فأخذ رسول الله إبراهيم ولده وقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجـود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال عبدالرحمن ابن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله، فقال: يا بن عوف إنها الرحمة، وقال إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (أخرجه البخاري).

ومن رحمته ﷺ بأبنائه حمله إياهم، حتى في أثناء الصلاة، فقد كان يحمل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، ابنة ابنته زينب على عاتقه، يضعها إذا ركع، ويعيدها على عاتقه إذا قام، حتى يقضي صلاته، وانحنائه للحسن والحسين ابني فاطمة -رضي الله عنها- حتى يركبا على ظهره، فيزحف بهما وهو يقول: ما أروع جملكما! وإطالته السجود وهما فوق ظهره بالمسجد حتى لا يحرمهما من اللعب. عن عبدالله بن شداد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا، فتقدم رسول الله فوضعه، ثم كبر للصلاة فصلى، فسجد بين ظهراني صلاته سجـدة أطالها،

قال أبي: فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، وأنه يوحى إليك، قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته (أخرجه النسائي). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليدلع لسانه للحسين بن علي فيرى الصبي حمرة لسانه، فيبهش إليه، أي يسرع إليه. (حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة).

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا إلى الطعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يده فجعل الغلام يفر هاهنا وهناك، فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال: حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط. (أخرجه البخاري، والترمذي، وابن ماجه).

ومن مظاهر رحمته بالأطفال كان ﷺ يأكل معهم ولا يتأذى منهم، ويتعامل مع أذاهم برقة عجيبة. فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: عثر أسامة بعتبة الباب فشج وجهه، فقال ﷺ: «أميطي عنه الأذى فتقذرته، فجعل يمص عنه الدم ويمجه عن وجهه، ثم قال لو كان أسامة جارية لحليته وكسوته حتى أنفقه» (أخرجه ابن ماجة). وعنها رضى الله عنها أنها قالت: «أتى رسول الله بصبي فبال على ثوبه، فدعا بماء فأتبعه» (أخرجه البخاري).

ويرتبط برحمته ﷺ رفضه غلظة القلوب مع الأطفال. فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: نعم، قالوا لكننا والله ما نقبل، فقال رسول الله ﷺ: أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة» (أخرجه مسلم).

وتأففه من الأقرع بن حابس الذي لم يقبل أبناءه قط، ظانا أن ذلك من الرجولة والخشونة المطلوبة لتربية الأبناء. عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «قبل النبي الحسن بن علي – رضي الله عنهما– وعنده الأقرع ابن حابس، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله وقال: من لا يرحم لا يرحم» (أخرجه البخاري).

ولم تكن رحمته ﷺ قاصرة على أبنائه فقط، فقد كان رحيما بأطفال المسلمين وغير المسلمين، يداعبهم، ويحملهم، ويصبر على أذاهم، ويهنئ بميلادهم، ويباركهم، ويسعد إذ يأتونه يحنكهم ويسميهم. فقد كان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة، ويقول: (يا زوينب، يا زوينب مرارا). (أخرجه الضياء المقدسي، وصححه الألباني)، ويداعب الصبيان، فعن يوسف ابن عبدالله بن سلام قال: «سماني رسول الله يوسف، وأقعدني في حجره، ومسح على رأسي»، وعن عبدالله بن جعفر –رضي الله عنهما– قال: «مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي، قال: أظنه قال ثلاثا، كلما مسح قال: اللهم اخلف جعفرا في ولده» (أخرجه الحاكم في المستدرك)، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت أذناي هاتان وبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ أخذ بيديه جميعا، بكفي الحسن أو الحسين، وقدميه على قدم رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يقول: ارقه «أي اصعد» قال: فرقى الغلام، حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ: افتح فاك، ثم قبله، ثم قال: اللهم إني أحبه فأحبه»، ويدلل أخا أنس ويداعبه. فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ، يقال له أبو عمير –وهو فطيم– كان إذا جاءنا قال: يا أبا عمير ما فعل النغير؟ (أخرجه البخاري). وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد أنها قالت: «أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعلي قميص أصفر، فقال رسول الله: سنه سنه، قالت فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبى من ذلك، قال رسول الله ﷺ دعها، ثم قال ﷺ أبلي وأخلقي أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي»، أي أبلي وأخلقي كثيرا من الثياب، وهو دعاء بطول العمر. (أخرجه البخاري)، وروي عن عبدالله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله، وعبيدالله، وكثير بن العباس، ثم يقول: «من سبق إلي فله كذا وكذا، قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم» (أخرجه أحمد).

ووقف بين يديه ذات مرة محمود بن الربيع، وهو ابن خمس سنين، فمج ﷺ في وجهه مجة من ماء من دلو يمازحه بها، فكان ذلك من البركة، وأنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي إلا تلك المجة، فعد بها من الصحابة. (أخرجه البخاري).

إن الرحمة لا تتنافى مع الخشونة؛ فنبينا ﷺ الرحيم بالأطفال، هو نفسه من كان يعلمهم ركوب الخيل، والمبارزة بالسيف، ليفرق لنا بين الرحمة والتدليل، وبين القسوة واللين، ويبين لنا أهمية اجتماع خشونة الجسد مع لين القلب. وهو صادق في بيانه؛ فالرحمة القارة في القلب تهذب القوة، وتكبح جماحها، ولا أدل على ذلك من طبيعة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم في حروبهم التي حكمتها رحمة زرعها رسول الله ﷺ في قلوبهم، فلم يمثلوا يوما بجثث قتلاهم، ولم يبالغوا يوما في بطش بأعدائهم، كانوا رحماء بالضعفاء والنساء والأطفال، وهم لهم عدو، تسبق رحمتهم ضربات سيوفهم.

إن رحمة النبي ﷺ بالأطفال درس عملي في التربية، سبق به رسولنا الكريم ﷺ النظريات التربوية كافة، وتفوق عليها بالإنسانية الكامنة في رحمته، والهدف المنشود من ورائها، فما أعظمه من نبي، وما أروعه من رسول!.

ملف خاص



د. عبدالمنعم مجاور
باحث دراسات اسلامية

فن المقاطعة دلالات اجتماعية.. وأبعاد اقتصادية

على الرغم من أن المسلم لا يهمه من الدنيا إلا ما يوصله إلى مبتغاه من رضا الله عزوجل وجنته في الآخرة؛ فإن ذلك لا يعني تركه ميدان الدنيا لغيره؛ يمتلكها ثم لا يلبث أن يتخذ من أدوات امتلاكه لها وسيلة لإيذاء غيره ممن تركوا له ميدانها الفسيح يرتع فيه كما يشاء، وقد حثنا ديننا الحنيف على الدخول في كل مجال من شأنه أن تقوى به شوكة الإسلام، ويهاب جانبه؛ فإن كنا لا نؤذي غيرنا، ولا نبدأ بالعدوان على سوانا فإن ذلك لا يعني أن نأمن غدر غيرنا، أو نستسلم له استسلام الطائع المختار؛ لأن ذلك ليس من مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء، بل هو يتعارض مع ما أمرنا الله به في قوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٦٠) فالله سبحانه قد أمر المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوى؛ تلك التقوى المانعة من الابتداء بالعدوان، لكنه الأمر بإعداد القوة حفاظا على جانب الرهبة المانعة لاعتداء الغير «فكل ما تعده لصديقك من خير أو لعدوك من شر فهو داخل في عدتك» (تفسير القرطبي)، ص١٨٤. فإعداد القوة، وأخذ الحيطة، والاستعداد الدائم ليس معناه العدوانية، وإنما يدخل في إطار الدفاع عن النفس، وحفظ الهيبة في قلوب الأعداء، وتلك وصاة رسول الله ﷺ وهي ما عناها مكحول ابن عبدالله عندما أنكر على من يلومه في ربط الجياد وحبسها بقوله:

تلوم على ربط الجياد وحبسها
وأوصى بها الله النبي محمدا.

وما تمر به الأمة الإسلامية الآن من وهن، وضعف الجانب قد أطمع فيها أعداءها فبدأ بعضهم بالتطاول والإساءة إلى نبينا الكريم، ظنا منه أن تلك الأمة قد تودع منها، فغطت في سبات عميق لن تفيق منه ولو بعد دهور، ولكنه وجد غير ما توقع، ورأى غير ما ظن، فاستفز عند الشعوب نخوتها، وحرك فيها غيرتها على دينها وعلى نبيها، فما كان منها إلا أن استخدمت سلاحا سلميا مشروعا، هو سلاح المقاطعة؛ ذلك السلاح البتار الذي أثبت أن تلك الأمة لديها من الأوراق الكثير الذي تستطيع به تغيير قواعد اللعبة إن جاز التعبير.

لقد بدأ التراجع عن تلك العنجهية المقيتة، وتغيرت لغة الخطاب العنصري

المستعلي لمجرد أن قالت الأمة في أيام قلائل: «إلا رسول الله» تلك الحملة التي بدأت تنتشر كالنار في الهشيم غيرة على رسول الإسلام، ودفاعا عنه من ناحية، وبعد أن تحولت إلى كرة ثلج تكبر كلما تدحرجت؛ لتثبت أن هذه الأمة لا تزال على قيد الحياة، ولم يكبر عليها أربع تكبيرات كما كانوا يظنون.. أمة تمرض لكنها لا تموت من ناحية أخرى.

لقد كشفت هذه الأزمة عن أمور مستترة، وعن حقد دفين كان متواريا، كنا نحسه لكننا لم نكن -للأسف- نعيره من الاهتمام ما يستحق، ولكن «رب ضرة نافعة» فقد لمت هذه الأزمة الأمة بعد شتات، ووحدتها على هدف بعد تفرق، ولفتت أنظارنا إلى دلالات كثيرة كنا نمر عليها مرور الكرام؛ فلتلك المقاطعة دلالات اجتماعية، وأبعاد اقتصادية ينبغي لنا أن نتوقف عندها بالدراسة والتحليل؛ فمن الدلالات الاجتماعية للمقاطعة التي أسميتها «فنا» إذ هي فن؛ لأنها نوع من الاحتجاج السلمي، يلجأ إليه المظلوم للفت النظر إلى ظلمه، وهي حق شرعي مكتسب، لا ينكره شرع، ولا يرفضه قانون وضعي بل هو حق تكفله دساتير العالم وقوانينه، وهي فن في اختيار توقيتها، وفي تفعيل أدواتها بالشكل المؤثر الفاعل، ولعل أهم الدلالات الاجتماعية المنبثقة من تلك المقاطعة يمكننا تلمسها في أنها أظهرت أن وجدان الشعوب الإسلامية والعربية وجدان واحد وإن باعدت بينهم المسافات؛ فالأمة الإسلامية جسد واحد كما جاء في حديث النبي ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم. ومن تلك الدلالات الاجتماعية ما يظهر من أن الأمة لديها من الإرادة ما تستطيع به أن تدافع عن مقدساتها، وحرماتها إذا أتيح لها ذلك، إضافة إلى أن هذه الأزمة قد كشفت عن حب الأمة لنبيها ودفاعها عنه بكل ما تملك، وخاصة فئة الشباب الذين هم عماد أية أمة وعصب الحياة فيها مما يعزز امتلاكنا طاقة بشرية تستطيع أن تستعيد أمجاد هذه الأمة الغابرة؛ فقد رفض الجميع الإساءة لنبيهم؛ من كان منهم ملتزما بهديه ﷺ أو من شغلته دنياه فأصبح بعيدا عن هدي نبيه؛ لقد انبرى الجميع للدفاع عنه، مما يستوجب الوقوف عند هذه الظاهرة كثيرا؛ إذ بها دلالة على أن الخير كامن في نفوس شباب الأمة على اختلاف مشاربهم، يحتاج فقط لمن يوجهه التوجيه الصحيح إذا صدقت النوايا، وتوحدت الإرادات.

أما عن الأبعاد الاقتصادية فقد كشفت هذه الأزمة عن امتلاك هذه الأمة مقدرات عالية، ولديها إمكانات كبيرة تجعل الآخر يحسب لها ألف حساب؛ فتحت وطأة توقف مصانعهم، وإفلاس شركاتهم بدأ التراجع بعد الصلف، والتبرير بعد الإصرار على تلك الرسوم المسيئة وإعادة نشرها، وسيعقب ذلك اعتذار وراء اعتذار، ولكنه ليس اعتذارا مغلفا بالاعتراف بالخطأ بقدر ما هو اعتذار مصلحة، وخوف من أن يؤثر الوضع الاقتصادي على الأوضاع الاجتماعية والحسابات السياسية.

ومن تلك الأبعاد التي يلتقي فيها الاجتماعي بالاقتصادي التأكيد على الجانب الإنتاجي، وخاصة المشاريع الصغيرة والمتناهية الصغر في عالمنا العربي؛ لأنها توفر فرص عمل تؤدي للاستقرار الاجتماعي، وتقضي على البطالة من ناحية اجتماعية، وتعد محورا اقتصاديا مزدوجا؛ فكل منتج وطني نكتفي به عن غيره المستورد؛ هذا من ناحية، ويوفر لنا تلك العملة الصعبة التي كانت ستخرج من السوق إلى بلد المنتج المستورد من ناحية أخرى، هذا، ناهيك عن توفير السيولة، وإعادة تدوير ذلك المال الذي يعمل على إنعاش الاقتصاد، وتهدئة الأسعار، وتقليل معدلات التضخم.

على أن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن ذلك التأثير الذي أحدثته تلك المقاطعة ليس كله إيجابيا؛ إذ على الرغم من أن المقاطعة أثبتت جدارة وفاعلية كبيرة، وقد سعدنا بذلك التأثير الذي نستطيع إحداثه فإن مما يحز في النفس أن ذلك التأثير القوي يحمل في طياته ضعفا مخيفا لمن يحاول أن ينظر للموضوع من زاوية أخرى أكثر عمقا؛ ذلك أن تأثير مقاطعة العرب والمسلمين على منتجات الغرب واقتصاده يقف دليلا على أننا أمة مستهلكة وأن تأثيرنا ينبع من استهلاكنا لا من إنتاجنا.. هذه زاوية.. والزاوية الأخرى هي أن الغرب يدرك أننا مجرد سوق استهلاكي لو تحول إلى منتج سيصيب اقتصادهم بالشلل؛ لذلك لن يعطونا فرصا كي ننتج؛ لأن إنتاجنا يعني باختصار توقف استيرادنا منهم؛ فلو أنتجنا لنافسنا منتجاتهم أو لاكتفينا ذاتيا على أقل تقدير؛ ومن ثم ستغلق أسواقنا في وجه تلك المنتجات المستوردة، وفي هذه الحالة ستكسد تلك المنتجات، فتكون الخسائر مزدوجة؛ خسائر من عدم تصديرهم منتجاتهم وبضائعهم إلينا، ومن ثم غياب مصادر دخل تقوم عليها بنية اقتصادهم.. ولو أنتجنا لامتلكنا قرارنا، ولأصبحت لنا إرادة حرة كما أرادها لنا ديننا.. ولأصبحنا في موقع الفعل لا رد الفعل، وليس هذا الأمر ببعيد لو استعدنا ثقتنا بأنفسنا، ووضعنا الأهداف العامة للأوطان فوق الأهداف الشخصية المحدودة، فهل ترانا نفعل؟!



الزهراء عبدالحميد محمد
كاتبة وباحثة تربوية

أضواء على رحلة الإسراء والمعراج

إذا كان للجسد قدراته القاصرة فإن للروح قدراتها القاهرة، وإن طاقات الروح لما تحدث عنها العلم، وأثبتها الدين وأكدتها التجارب وأظهرت بعضها الشواهد.

فمثلا تمارس الروح بعض طاقاتها أثناء النوم وهي ما زالت حبيسة الجسم الترابي، ولكنها منطلقة عنه، إلا أنها مرتبطة به فلا تنطلق الانطلاق التام الذي يتم عند الموت، فالنوم طرح روحي مؤقت، والموت طرح روحي دائم، قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ (الزمر:٤٢).

ففي النوم ترى الروح عجبا، ترى آلاف المشاهد وتستعرض مئات المناظر، تسمع ملايين الكلمات وتتحدث مئات الأحاديث في برهة تقل عن أصغر وحدات الزمن، ولاشك أنه قد حدث لكل إنسان منا مرة أو أكثر أن رأى في منامه منظرا بشكله أو مكانا بذاته أو حادثا منفصلا.

وبعد فترة طالت أو قصرت يتذكر الحلم حيث يرى في الحقيقة المنظر الذي رآه في منامه بشكله ولم يكن قد سبقت له رؤيته ويرتاد المكان بذاته ولم يكن قد سبق له زيارته، أو يرى الحادث واقعا فعلا دون أن يكون قد وقع قبلا، ولقد كان رسول الله ﷺ قبل بعثه بالرسالة (رسالة الإسلام) كان يرى الحلم ليلا فإذا به يتحقق كما رآه.

ولقد أجمعت كتب السيرة ورواة التاريخ أن حلم سيدنا رسول الله ﷺ كان يقع حتما وسريعا وواضحا وكاملا، وهذا حديثه الشريف يشير إلى صحة الحلم وحقيقته من المؤمن فيقول «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة».[١]

والمتأمل يتأكد له أن ما يقع في الحلم الصادق، والذي يتحقق فعلا ليس بخيال أو توهم أو حديث باطن أو هلوسة، حيث إن رؤية المكان أو الحادث وقعت حقيقة ورآها بعينه فعلا بعد رؤيته في الحلم، وهذا يؤكد أن رؤيته في الحلم كانت مشاهدة، ولكنها لم تتم بحاسة البصر الإنسانية، فلا تعليل ولا رأي إلا أنها رؤية روحية.

ومن الجلاء البصري بعض العلاج الروحي ومن ذلك ما يتم في رقية المريض، ينظر الراقي إلى المريض ويمسح بيده الطاهرة على مكان المرض أو يقرأ للمريض بعض الآيات القرآنية أو يدعو له فيشفى بإذن الله.

ولاشك أن السنة النبوية قد أكدت ذلك فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها كان رسول الله إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: «اللهم رب الناس أذهب البأس اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»[٢] وكذلك قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات»[٣].

الاتصال الروحي والجلاء السمعي

ومما يقرب من الاتصال الروحي الجلاء السمعي، فمن المعروف أن طاقة الأذن البشرية باعتبارها جهاز السمع تختص بسماع الأصوات ذات الذبذبات المحددة وحتى هذه فإنها لابد أن تكون على بعد مناسب، وإلا ما أدركتها، ولا تلتقط إلا قلة لا تكاد تذكر من الذبذبات الصوتية بما يناسبها، ولكن أحيانا ما يسمع أصحاب المواهب أكثر وأبعد وأعجب مما يسمع الناس، والأنبياء يسمعون ما لا يسمعه الناس كالوحي.

ولقد تأكد العلماء من وجود ظاهرة يتم فيها تبادل الأفكار عن بعد وهو ما يسمى بالتخاطب (أي إلقاء خاطرة شخص في خاطر آخر) أو التخاطب بالفكر وكلها مسميات لظاهرة احتار العلماء في تفسيرها عند إسنادها للجسد.

جلاء بصري وجلاء سمعي

أجمعت كتب التاريخ الإسلامي وكتب سيرة الولاة على أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يخطب لصلاة الجمعة على منبر سيدنا رسول الله فقطع عمر خطابه حيث قال (يا سارية الجبل.. الجبل من استرعى من الذئب ظلم) فالتفت الناس من المصلين بعضهم إلى بعض، ثم قال له سيدنا علي رضي الله عنه بعد أن فرغ من صلاته ماذا سنح لك في خطبتك؟ قال عمر رضي الله عنه وما هو؟ قال علي رضي الله عنه قولك (يا سارية الجبل... الجبل) قال سيدنا عمر وهل كان ذلك مني؟ قال علي نعم، فقال عمر وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وقد ظفروا وإن جاوزوا هلكوا فخرج مني ما تزعم أنك سمعته، فقال فجاء البشير بالفتح بعد شهر فذكر سارية فيما بعد أنه سمع في ذلك اليوم في تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر ينادي (يا سارية الجبل.. الجبل) فعدلنا إليه ففتح الله علينا.

إن ما شاهده أو أحس به عمر كان على بعد سفر بعيد وارتحال طويل،

وهذا سارية وهو في ميدان المعركة كله استغراق في أمور القتال في الكر والفر تصفو روحه في نشطة جلاء سمعي فيسمع سيدنا عمر بن الخطاب من هذا البعد الشاسع (الجبل.. الجبل) ثم نشطة تخاطر إذ يحس أيضا بأنه يطلب إليه بأن يعدل إليه أي يعدل إلى الجبل ويعود إليه ليقاتل فيفعل وينتصر.

إنه لا شك جلاء بصري وجلاء سمعي وتخاطر بين عمر بن الخطاب وسارية رضي الله عنهما.

رؤيا الأنبياء

هذا، ورؤيا الأنبياء حق وصدق وليست من النوعين السابقين، لقد كان النبي ﷺ يرى الرؤيا فيصدقها الله تعالى ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ (الفتح:٢٧).

وسيدنا (إبراهيم) عليه السلام عندما رأى في المنام أنه يذبح ابنه فقد اعتزم على تنفيذه حيث أخبر ولده، وقد آمن ولده كذلك بحقيقة الحلم وضرورة تنفيذه وهم كل منهما من ناحيته بالاستجابة عندئذ أعلن الله سبحانه وتعالى لهما أن إبراهيم وولده عليهما السلام قد صدقا الرؤيا وقد استجابا، ففدى الله إسماعيل بذبح عظيم قال تعالى ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (الصافات:١٠٢-١٠٧).

ولاشك أن الأنبياء والرسل هم صفوة مختارة من الله وهم أصحاب رسالة وأهل تبليغ، وقد عرفنا أن الله سبحانه وتعالى أرى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه، ولا يمكن أن نقول بأن إبراهيم أوتي وساطة روحية نستطيعها نحن عامة البشر.

رؤيا الحبيب محمد ﷺ

إن ما يراه سيدنا محمد إن كان مناما فهو رؤيا حق، وكان يرى الرؤيا فتجيء مثل فلق الصبح كما سبق، وأما إذا كانت رؤية لجبريل عليه السلام أو تلقيا منه أو إلقاء في الروع فهي وحي من الله، وفي ذلك يقول ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي»[٤] والنفث أحد أنواع الوحي وقد كان يأتيه مثل صلصلة الجرس وهي أشد أنواعه جاءه مرة وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقل على زيد حتى كاد يرض فخذه.

إن ما حدث لسيدنا محمد في الإسراء والمعراج حيث طوي المكان وانعدم الزمان كان أمرا عجيبا بالنسبة إلى مألوف البشر ومألوف الناس فهو حدث عجيب غريب تقف فيه العقول غير أنه ليس من قبيل الرؤيا المنامية بحال.

وعلينا أن نقف في هذا الحدث الخارق عند النص القرآني في توثيقه، وعندما يجيء النص القرآني بحدث فليس لنا

كلمة «العبد» تطلق على الجسم والروح فلا معنى للقول إن الإسراء كان بالروح فقط

إلا أن نؤمن به لأنه ورد من الله وليس لعقولنا أن تبحث البحث الجاري في قوانين الأرض وقوانين البشر، ولكن نحاول أن نفهم قوانين الله، وما دام الله هو الذي قال فالأمر الذي يجب على المؤمن هو أن يسلم به، وبعد ذلك على عقله أن يبحث في قياسات هذا التسليم أو في مبررات هذا التسليم فإنه يجد المبرر الأول للتسليم أنه آمن بالله وأنه يتلقى عن الله ولعقله بعد ذلك أن يجول بطاقاته إلى أن يستأنس به بأن هذا الحدث يمكن أن يكون.

وليس لنا أن نخضع فعل الله إلى قانون البشر، ولذلك استهل الله سبحانه الحديث عن الإسراء بقوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ (الإسراء:١). ومعنى ذلك أن قانون الله في الفعل ليس مثل قانون البشر في الفعل، ثم بعد ذلك هو أن الذي أسرى به هو الله ومحمد ﷺ أسرى به وما دام الله هو الفاعل فلا غرابة ولا عجب.

وأختار الله لفظا يعطي حيثية تلك التجربة وهو (بعبده) وكلمة العبد تطلق على الجسم والروح فلا معنى لمن يقول بأن الإسراء كان بالروح فقط، ولا معنى لمن يقول بأن هذا داخل في ظاهرة الجلاء البصري التي يقول بها علماء الروح وما وراء المادة.

الإسراء في القرآن

تعرض القرآن الكريم لحديث الإسراء صراحة في أول آية من سورة الإسراء فقال جل شأنه ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ

﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

وتعرض القرآن لحديث المعراج ضمنا والتزاما في الآيات الأولى من سورة النجم، وحدث الإسراء نقلة أرضية أما حدث المعراج فهو نقلة سماوية، تخطى محمد ﷺ الأرضين والسماوات العلا، ووصل إلى ما لم يصل إليه نبي مرسل ولا ملك مقرب.

حينما صعد رسول الله إلى الملأ الأعلى وتنقل في السماوات السبع وجاوزها إلى سدرة المنتهى بعد أن التقى بالأنبياء وبالملائكة يراهم ويتكلم معهم، وكان بصحبة جبريل في رحلتيه الأرضية والسماوية، وبعد سدرة المنتهى توقف جبريل وانتهى حده وزج برسول الله في سبحات من النور وارتقى إلى ما يناسب ذلك الملأ الأعلى.

لم يستطع جبريل عليه السلام وهو أقرب الملائكة إلى الله أن يصل إلى هذه المكانة بل إن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ عندما وصل إلى سدرة المنتهي وطلب منه أن يتقدم قال جبريل: «إذا تقدمت أنا احترقت».

وذلك لأن الأنوار في هذا المكان بالذات لا يستطيع أن يتحملها حتى أعظم الملائكة (جبريل) عليه السلام، وفي هذا المكان الجليل الشأن والعظيم القدر فرضت الصلاة فدل ذلك على قدرها وجلال شأنها وقيمتها العظمى كركن من أركان الدين.

كانت الصلاة التي فرضها الله على أمة محمد ﷺ هي الصلاة الجامعة لكل الصلوات السابقة وكانت خمسين صلاة، فما زال الرسول ﷺ يسأل ربه التخفيف حتى صارت خمسا وبقيت في الثواب خمسين، وتختلف عن بقية

الصلاة هدية الله للمؤمنين ليتقربوا بها إليه ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾

الفرائض في أنه فرضت عن الله سبحانه وتعالى مباشرة وغيرها كان بطريق الوحي.

وكانت الصلاة هدية لأمة محمد ﷺ لأنه كان في القرب من الله، ولذا فالصلاة تقرب المؤمنين من ربهم فهي (هدية القرب للقرب)، قال تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ (العلق:١٩)، ويقول ﷺ «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[٥].

فالله تعالي حيا محمدا وكرمه حيث قربه في الملأ الأعلى وأراد أن يكرم أمته فحمله هدية (هي الصلاة) يحملها إلى أمته في هذه المناسبة الجليلة حتى تقربهم من الله تعالى كما كان للرسول ﷺ حظه العظيم في القرب منه سبحانه وتعالى.

وقد كان المعراج له عليه السلام ثلاث منازل: من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - ثم من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى - ثم منها إلى قاب قوسين أو أدني.

فكذلك الصلاة لها ثلاث منازل: القيام - ثم الركوع - ثم السجود - والسجود كما ذكرنا هو نهاية القرب ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ (العلق:١٩).

تمحيص للمؤمنين

كان هذا الحدث العظيم تمحيصا للمؤمنين وكشفا عن خبايا المنافقين وتطهيرا للمسلمين من أصحاب النفوس الضعيفة ومن في قلوبهم مرض.

إن رسول الله ما كاد يرجع من رحلتيه المباركتين الإسراء والمعراج حتى عزم على الخروج للقاء القوم وليخبر أصحابه بما رأى فاعترضته أم هانئ رضى الله عنها لتخوفها من تكذيب القوم له بسبب غرابة الواقعة، ولكن الرسول ﷺ لم يسمع لتخوف أم هانئ فإن ثقته بالحق الذي جاء به والحق الذي وقع له جعلته يصارح القوم بما رأى كائنا ما كان رأيهم فيه، وقد ارتد بعضهم فعلا واتخذها بعضهم مادة للسخرية والتشكيك ولكن هذا كله لم يكن ليقعد الرسول ﷺ عن الجهر بالحق الذي رآه والذي آمن به.

وفي هذا مثل لأصحاب الدعوة أن يجهروا بالحق ولا يخشوا فيه لومة لائم ولا يخافوا وقعه في نفوس الناس.

لقد جهل أولئك الكفار والمنافقون أن طبيعة النبوة هي اتصال بالملأ الأعلى على غير قياس أو عادة لبقية البشر وأن حادث الإسراء والمعراج ليس أغرب من الاتصال بالله وبالملأ الأعلى أو التلقي عنه عن طريق نزول جبريل عليه السلام.

ولقد عرف ذلك الأصفياء من المؤمنين ومنهم أبو بكر رضي الله عنه وصدق في قوله حين رد المسألة المستغربة لدى الكفار من قريش والمنافقين إلى طبيعتها فيقول لهم: «إني لأصدقه في أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء».

أرجو الله أن يبصر المؤمنين بطبيعة دينهم وبهدى رسولهم ﷺ.

الهوامش

١- رواه البخاري رقم (٦٩٨٩).
٢- متفق عليه.
٣- رواه مسلم.
٤- رواه الطبراني عن أبي أمامة.
٥- رواه مسلم.



أميرة الشناوي كيوان
كاتبة وباحثة تربوية

ذكرى الإسراء تجديد للأمل والرجاء

كانت رحلة الإسـراء والمعـراج تسرية عن الرسـول ﷺ وتشريفا ونظرة حانية من رب العزة لينطلق في طريق الدعوة بكل قواه، فقد تعاهد الطغيان والظلم والغدر من قريش تجاه النبي والمؤمنين، ولكنهم لم يستسلموا، ولم تهن عزائمهم أو يضعف إيمانهم بالله، بل صبروا وصابروا على الدعوة إلى هذا الدين القويم.

لقد كانت رحلة الإسراء والمعراج تقربا له وتكريما، فقد أعطي بها وفيها ما لم يعط أحد من الأنبياء قبله، حيث أكرمه الله بإمامة الأنبياء في بيت المقدس، وفرضت الصلاة عليه وعلى أمته وعددها خمس في الفعل وخمسون في الأجر؛ فالإسراء والمعراج منهاج للحياة

وجهاد للنفس، فسبحان الله القائل: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١)، وكما قال الإمام البوصيري في همزيته المباركة:

فطوى الأرض سائرا والسماوات العلا فوقها له إسراء
فصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء
وترقى به إلى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء

وكما قال شوقي:

يتساءلون وأنت أطهر هيكل بالروح أم بالهيكل الإسراء
بهما سموت مطهرا وكلاهما نور وروحانية وبهاء

دروس وعبر

إن أول شيء نتعلمه من الإسراء والمعراج هو التوبة الخالصة من كل ذنب، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ قد شق صدره قبل الإسراء، وهذا بالنسبة إلينا التوبة؛ لأن التوبة أول سلم في معراج السالكين إلى الله، ولأنها واجبة من كل ذنب، وتجب ما قبلها، وتضع المسلم في مرتبة البراءة والطهارة والنقاء، يقول الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣١)، وبعد أن يبدأ العبد بالتوبة لابد أن يسأل عن الغاية من التوبة، وفي القرآن الكريم الإجابة: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ (النجم:٤٢)، ولذلك كانت بداية الرحلة التوبة الخالصة ونهايتها إلى الله سبحانه وتعالى.

ما الذي نجنيه من الحدث؟

لقد جنى المسلمون من هذه الرحلة أعظم الفوائد وأطيب الثمرات، منها أن الله تعالى لا يتخلى عن عباده المؤمنين الصادقين مهما ألمت بهم الشدائد وأحاطت بهم المحن، فقد جرت سنته معهم أن يجعل لهم من الشدة فرجا، ومن الضيق مخرجا، ومن العسر يسرا، ومن الذل عزا، ومن الخوف أمنا، ومن الهزيمة نصرا، وقد أثبتت الرحلة أن من صفات المؤمنين التصديق والتسليم والإيمان والإذعان والنجاح في الامتحان، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء:٦٠).

وكذلك الترغيب في الجهاد وبيان فضل الاستشهاد في سبيل الله، يتجلى ذلك في بعض المشاهد التي مثلت للنبي في مسراه، والتي تضمنت الكثير من العظات والعبر التي ترغّب في الخير وتنفّر من الشر.

وبالإسراء أصبحت القدس مهبطا للرسالات وجزءا من المقدسات الإسلامية، وأصبح مسجدها المبارك أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وفي هذا إشارة إلى حمايتها وتطهيرها من كل دنس أو احتلال أجنبي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وقد تجلى في هذه الرحلة أن الصلاة عماد الدين، ومعراج الواصلين، ومناجاة لرب العالمين، ونورا للبصائر، وتهذيبا للنفوس، وطهارة للقلوب والجوارح، وشكرا لرب العالمين، وصلة بين العبد وربه، ولمكانة الصلاة في الدين فرضت ليلة الإسراء والمعراج من فوق سبع سماوات. وتجلى في هذه الرحلة أيضا أن الحياة عقيدة وجهاد، فلا عقيدة بلا جهاد يحمى حماها، ولا جهاد بلا عقيدة يدافع عنها ويناضل في سبيلها.

ومن دروس هذه الذكرى درس اليقين، واليقين هو قوة الإيمان، لأنه دليل على حسن الثقة بنصر الله القائل في كتابه العزيز: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم:٤٧)، وقد لاقى رسول الله صنوف الاضطهاد ولكنه كان واثقا بنصر الله فكانت مرحلة الإسراء واليقين.

من عبر الإسراء أيضا التمسك بالسنن الكونية حتى مع الخوارق، لأن منهج الإسراء كان متمسكا بالأسباب والمسببات، فكان البراق كوسيلة انتقال وكان يمكن أن تتم الرحلة من دون هذه الوسيلة، لكن الله أراد أن ينبه أمة الإسلام إلى حتمية الإيمان بقوانين الله في كونه والتي لا تبديل لها.

وقضية الثبات في مواجهة الأحداث ثقة في النصر الموعود وما علينا إلا التماس الأسباب، فعلى الرغم من تتابع الابتلاءات نجد النبي ﷺ يثبت أمامها في شموخ وفي صبر عظيم واحتساب صادق إذ يقول ﷺ: «إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي».

وما جاء في كتب السيرة من إمامة رسول الله للأنبياء



يبين أن أمة الإسلام لها القيادة ولها الزمام لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:١٤٣).
وقد ضرب الرسول مثلا للأسلوب المثالي في الدعوة وكيف يخاطب عقولا باغية مستكبرة بآية أكبر كآية الإسراء والمعراج، لذا ذكرت كتب السيرة أن النبي ﷺ حدث قومه عن الإسراء أولا حتى إذا استوعبت قلوبهم هذا الحديث انتقل إلى حديث المعراج حتى يضمن منهم الوعي والانتباه أولا وآخرا، وهذا هو الشأن الذي ينبغي أن يكون عليه الداعون إلى الله.

من ينقذ أولى القبلتين؟

عندما ننظر في سورة الإسراء نجد أن الله ذكر قصة الإسراء في آية واحدة فقط، ثم أخذ في ذكر فضائح اليهود وجرائمهم في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ (الإسراء:٢-٥)، ثم نبههم بأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، فربما يظن القارئ أن الآيتين ليس بينهما ارتباط، والأمر ليس كذلك، فإن الله تعالى يشير بهذا الأسلوب إلى أن الإسراء إنما وقع إلى بيت المقدس لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الإنسانية لما ارتكبوا من الجرائم التي لم يبق معها مجال لبقائهم في هذا المنصب، وأن الله سينقل هذا المنصب فعلا إلى رسوله ﷺ ويجمع له مركزي الدعوة الإبراهيمية.
فقد آن الأوان لانتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة؛ من أمة ملأت تاريخها بالغدر والخيانة والإثم، إلى أمة تتدفق بالبر والخيرات، ودستورها كتاب الله يهدي للتي هي أقوم.
وعندما تظلنا هذه الذكرى المباركة علينا أن نراجع موقعنا بين الأمم، وموقفنا من ديننا الإسلامي ومبادئه وشريعته

ومـا نحن عليه مـن تـراخ واستسـلام لما فـرضـه علينا أعداؤنا من اغتصاب القدس والأرض التي باركها الله وتشريد أهلها ومطاردتهم في كل مكان، وليذكر المسلمون أن الأقصى أولـى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ظل مصونا منذ عهد عمر بن الخطاب وظل المسلمون حراسا له وسدنة لأعتابه وقد ازدهرت فيه حلقات العلوم الإسلامية.

ولكن ما حال الأقصى اليوم؟ وماذا فعل به مغتصبوه؟ فواجب على المسلمين؛ أفرادا وحكاما، أن يتخلوا عما وقعوا فيه من خلاف وتناقضات فرقت جمعهم وأضعفت كيانهم، وليعملوا جميعا على إنهاء هذه الفرقة استقرارا للإخوة الإسلامية واستمرارا لنمو الأمة وسيادتها مستذكرين قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦).

وعد بالنصر

لقد أكد الرسول ﷺ طبيعة الصراع بين المسلمين واليهود وبشرنا بأننا منصورون عليهم في قوله عليه السلام: «لا تقوم الساعة حتى يقابل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعالى فاقتله» (رواه مسلم عن أبي هريرة).

إن مسؤولية أرض الإسراء والمعراج مسؤولية أمة بأكملها تهفوا قلوب أبنائها صباحا ومساء إلى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وهي مسألة عقيدة ووجود وهوية لا مسألة أرض وحدود، ولو كانت القضية خاصة بشعب معين لانتهت منذ مئات السنين، والمعركة في أرض الإسراء لن يحسمها إلا الجهاد المقدس في سبيل الله طال الزمن أم قصر، ونحن نتذكر قول صاحب الإسراء عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك. قيل: يا رسول الله، أين هم؟ قال بيت المقدس وأكناف بيت المقدس» (رواه أحمد).

إن العدل والرحمة والشفقة والرأفة والسلام من مبادئ الإسلام الأساسية في صلب ديننا، لكن حين تستخف طائفة أو فئة بهذه المبادئ ضاربة بها عرض الحائط مستخفة بالحقوق الثابتة والراسخة لأمتنا، فإن الإسلام يفرض علينا الدفاع عن أرضنا وإخواننا ومقدساتنا وتأديب الفئة المعتدية حتى تفيء إلى أمر الله ويعود الحق إلى أصحابه.

أليس اليهود هم الذين اعتبروا ظهور الإسلام خطرا كبيرا يهددهم فعمدوا إلى الإساءة إليه بكل السبل؟! ولكن باءت محاولاتهم بالفشل الذريع، وصدق فيهم قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ : (الحشر:٢).

أليسوا هم اليهود الذين أثاروا زعماء الجزيرة العربية ضد سيدنا محمد ﷺ ودعوته، بل عمدوا إلى محاولة قتله أكثر من مرة فحماه الله من مكرهم وخبثهم وأفشل كيدهم؟! أليسوا هم اليهود الذين حرضوا أبا لؤلؤة المجوسي على قتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟! أليسوا هم اليهود الذين ساهموا بفاعلية في إيقاع الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه؟! أليسوا هم اليهود الذين أسسوا ودعموا ومولوا الجمعيات المشبوهة في زمن العثمانيين بعد أن منحوهم الأمن والأمان فساهموا في إسقاط الخلافة؟ !

إن المسلم الحقيقي لن ينسى كل ذلك وسيظل صوب الواجب نحو القدس يتردد صداه عبر الزمان في القلوب والآذان.

الغاية والأمل

إن الإسـراء يعني العمل الدائب والمثابرة التي لا تعرف التخاذل، سواء في أمر العلاقة بالله أو العلاقة بالناس، من أجل المكانة الأعز التي ينبغي أن يحتلها مجتمع المسلمين. إن الموقف يحتم علينا أن نحتفل بالذكرى المتلئة بالمواعظ والعبر بأن تتحرك في عزم الرجال وعزيمة الأبطال وفطنة العلماء وحكمة المؤمنين المتقين إلى إسراء صادق لا غاية لنا فيه إلا الله وإعلاء كلمته ورفع شأن دينه وهو القائل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٤٠)، فهل نرى مع الذكرى جديدا يحقق الأمل ويدني الغاية البعيدة؟!

ومع ذلك، فلن نفقد الأمل في عودة الذاكرة واستعادة اليقظة لهذه الأمة العظيمة التي عرف أعداؤها قدرها - سابقا - فهابوها وعندما ضعفوا واستسلموا تداعى عليهم الأعداء كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فهل ننتبه قبل فوات الأوان؟



التحرير

خطبة الجمعة المذاعة والموزعة

هذا رسول الله ﷺ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا، وأشهد أن محمدا عبده المصطفى ورسوله المجتبى ونبيه المرتضى، أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين وحجة على الخلائق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه؛ الذين عاشوا على سنته وذبوا عن شريعته وماتوا على ملته، وسلم تسليما مزيدا.

أما بعد:

فأوصيكم - عباد الله - ونفسي بتقوى الله؛ فإنه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (الحديد:٢٨).

أيها المسلمون:

لقد أكرم الله تعالى العالمين بإرسال خاتم النبيين: محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي ﷺ؛ عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أشرف الناس نسبا وأكرمهم

حسبا، وهو أكملهم خلقا وأعظمهم خلقا؛ قال واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» (رواه مسلم). وفيه قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وأحسن منك لم تر قط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء

إنه خاتم الأنبياء، وصفوة الأصفياء، وسيد المرسلين، وحجة الله على العالمين، وخطيبهم إذا وفدوا، وإمامهم إذا وردوا، صاحب الحوض المورود، وحامل اللواء المعقود، والمكرم بالمقام المحمود، ذو الغرة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، ما أقلت خيرا منه الغبراء، ولا أظلت أكرم منه الخضراء؛ قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة، ولا فخر» (رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه).

محا الله - عز وجل - به الكفر، وعلى أثره يحشر الناس يوم الحشر؛ فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا الماحي الذي يمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب» (رواه البخاري ومسلم). والعاقب: الذي ليس بعده نبي.

بعثه الله على فترة من الرسل، وانتكاس في الفطر، وانحراف في الملل، فهدى به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وكثر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة، فوحد به العرب بعد تفرق، وجمع شملهم بعد تمزق، حتى أضحوا خير أمة أخرجت للناس، وصاروا سادة الأمم بعد أن كانوا رعاة للغنم.

هل تطلبون من المختار معجزة
يكفيه شعب من الأجداث أحياه

زكاه الله في عقله ودينه وهدايته فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم:٢)، وزكاه في لسانه وصدقه وأمانته فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم:٣)، وزكاه في صدره فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح:١)، وزكاه في فؤاده فقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (النجم:١١)، وزكاه في سمعه فقال: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ (التوبة:٦١)، وزكاه في بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم:١٧)، وزكاه في علمه فقال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (النجم:٥)، وزكاه في خلقه باطنا وظاهرا فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، وزكاه كله فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

معشر المؤمنين:

إنه ﷺ الرحمة المهداة والنعمة المسداة، والبشير النذير والسراج المنير، وصفه ربه بقوله الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، بل رأف بالإنس والجن والحيوان قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧). شرح الله صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره في الحياة وبعد الممات، فجمع اسمه مع اسمه في التشهد والأذان وفي الصلوات.

أغر عليه للنبوة خاتم
من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

جمع المكارم كلها، وضم المحامد جلها؛ فهو الجواد الذي لا يرد سائلا، والكريم الذي لا يحرم نائلا، أوسع العالمين كفا وندى، وأجود البرية نفسا ويدا؛ عن أنس رضي الله عنه قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة» (رواه مسلم).

ذاك رسول الله ﷺ: نبي المرحمة والملحمة، رحمة وحكمة، علم وعمل، عزة وتواضع، أقام الله به الملة العوجاء، وأخمد به حروب الجاهلية الشعواء، فتح به أعينا عميا وآذانا صما، وأنار به العقول وشرح به الصدور، فتح به أبواب الجنة وطرق العلم النافع والعمل الصالح، فأصلح به الدنيا والآخرة، والقلوب والأسماع والأبصار والأمصار.

شهد الأنام بفضله حتى العدا
والفضل ما شهدت به الأعداء

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بهدي رسوله الكريم، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب وفعل أثيم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يتولى الصالحين، والعاقبة لعباده المتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ورحمته للعالمين، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، واعملوا بطاعته ورضاه.

معشر المسلمين:

إن من واجبنا الشرعي تجاه النبي ﷺ أن نقوم بحقوقه من الإيمان به، ومحبته وتقديمها على محبة الخلق كلهم، وتقديم أمره وقوله على أمر غيره وقوله، ومن حقه على الناس أن يُحب ولا يُسب، وأن يُطرى بالخير ولا يُذكر بالشر، وأن يُحسن إليه ولا يساء، وأن يُنصر ويُوَقّر ويُبَجّل بلا غلو ولا جفاء؛ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١). ومن صدقت محبته: صدق اتباعه وطاعته.

وإن ما نراه ونسمعه من محاولات لتشويه سمعته، وإساءات رخيصة للنيل من شخصه وأتباعه ومن رسالته؛ لهي إساءة للخير والحق والفضيلة، ودعوة للشر والباطل والرذيلة، وانتقاص لمن وصفه الله بأنه رحمة للعالمين، وانتهاك لحرمة من جعله الله خاتما للنبيين، فوجب على المسلمين أن يدافعوا - بالطرق المكنة المشروعة - عن شريعته، ويذبوا عن ملته، ولا يحيدوا عن سنته.

عباد الله:

إن المسلمين يتابعون باستياء بالغ الرسوم المسيئة إلى النبي ﷺ، التي تتحدى مشاعرهم وتستثير ضمائرهم، وتنال من دينهم، وتسيء إلى نبيهم، وهم يرفضون تلك الإساءات الرخيصة المتكررة، ويدينون بشدة تلك الممارسات المسيئة المتهورة، التي لا تصدر عن عقل وحكمة، ولا عن وعي وفطنة، ويدعون إلى وقفها وترك التطاول على الإسلام والإساءة لنبيه عليه الصلاة والسلام، واحترام مقدسات المسلمين وقيمهم.

ومما يجب أن نتنبه له أن محبة النبي ﷺ ينبغي أن تكون بلا غلو ولا جفاء؛ فإن محبته ﷺ لا تسوغ للمحب أن يتجاوز الحدود الشرعية والضوابط المرعية؛ وقد كفى الله رسوله المستهزئين، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ (الحجر:٩٤-٩٥)، وهذا وعد من الله لرسوله ﷺ، ألا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة. وقد فعل سبحانه؛ فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله. وإن مبغضه لإلى هلاك وذل مهين، فهو المقطوع من كل خير في العالمين، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر:٣). والله ناصر نبيه وناصر أتباعه وأوليائه، وخاذل مبغضيه ومنتقصيه وأعدائه.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، اللهم ارزقنا محبته، وارزقنا اتباعه وطاعته، وأحينا على سنته، وتوفنا على ملته، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات؛ الأحياء منهم والأموات، إنك قريب سميع مجيب الدعوات، اللهم ارفع عنا البلاء والوباء والغلاء. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واصرف عنا كل شر وسوء في الدنيا والدين، اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، اللهم وفق ولي أمرنا وولي عهده وولاة أمور المسلمين لما تحب وترضى، وخذ بنواصيهم للبر والتقوى، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغث قلوبنا بالإيمان واليقين، وبلادنا بالأمطار النافعة يا رب العالمين، اللهم واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا، سخاء رخاء، دار عدل وإيمان، وسائر بلاد المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



مياسة النخلاني
كاتبة وقاصة

الرسول ﷺ زوجا

إن المرء قد يتجمل ويتكلف للناس خصالا طيبة ومعاملة حسنة وخلقا مستقيما خارج بيته، في ساعات قليلة من يومه، فإذا عاد إلى مسكنه وأهله فلن يستطيع التكلف والتجمل سائر يومه، فتظهر نفسه على طبيعتها وتنطلق أخلاقه على سجيتها، فالمؤمن الصالح يتمثل حياة النبي ﷺ مع أزواجه وحسن عشرته لهن، ويتحمل ما يصدر من هفوات، ويصفح عما يبدر من أخطاء، ممتثلا قول الله سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، وليس المعروف كف الأذى عن النساء إنما المعروف تحمل الأذى منهن.

وقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا وأدبا، وأحسنهم عشرة، وأفضلهم معاملة، قال عنه ربه

تبارك وتعالى مادحا وواصفا خلقه الكريم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، ومن جميل خلقه ﷺ حسن معاشرته لأزواجه، وهو القائل ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (رواه الترمذي).

وكانت معاملة النبي ﷺ لأزواجه ينبع منه الرفق واللين والعطف، يرى فيها الناظر حسن العشرة، وجميل الصفات، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن موقف وقع لها لمست فيه الرحمة والعطف: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق، فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبوبكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبوبكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، (فتيمموا)، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: «فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فأصبنا العقد تحته» (رواه البخاري).

وهذا من رحمته ﷺ، أن يوقف الجيش كله لأن عقدا لزوجه انقطع، ولا يريد أن يدخل على قلبها الهم والحزن، فقام يلتمسه بنفسه وقام أصحابه معه، ولم يبرح ذلك المكان حتى وجدته.

المجالسة والمؤانسة

وكان ﷺ إذا دخل بيته يملأ البيت أنسا وسرورا، فيسلم عند دخوله ويدعو بالخير، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح جلس في مصلاه، وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس، ثم دخل على نسائه امرأة امرأة، يسلم عليهن، ويدعو لهن، فإذا كان يوم إحداهن جلس عندها» (أخرجه الطبراني في الأوسط).

وفي المساء كان يدخل عليهن ويؤانسهن ويحدثهن، تقول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن» (رواه البخاري).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الذي كان يقع في أول النهار سلام ودعاء محض، والذي في آخره معه جلوس واستئناس ومحادثة»[١].

وفي الليل كن يجتمعن رضي الله عنهن في بيت واحد، فيأتيهن ﷺ ويحادثهن ويؤانسهن، ويأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها[٢]، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلا في تسع، فكن يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها» (رواه مسلم)، حتى إنه عند زواجه بزوجة جديدة لم يترك المرور على نسائه والسلام عليهن؛ فقد تزوج بزينب بنت جحش وخرج إلى حجر نسائه فسلم عليهن جميعا. (رواه البخاري).

العدل

أما عدله ﷺ بينهن والمبيت عندهن، فهو أشهر من أن ينكر، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسْم من مكثه عندنا، وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس[٣]، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها» (أخرجه أبوداود)، قال الصنعاني: «فيه بيان حسن خلقه ﷺ، وأنه كان خير الناس لأهله»[٤].

ولم ينقل عن نبينا ﷺ في يوم من الأيام أنه ضرب امرأة، أو حقرها، أو أهانها، فعاشت زوجاته معه عيشة كريمة ملؤها المحبة والوئام، فلا صخب بينهم ولا صياح ولا صراخ ولا عنف، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب خادما له قط، ولا امرأة له قط، ولا ضرب بيده شيئا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله» (أخرجه أحمد).

حياة كريمة عشنها معه ﷺ، لم يُعرف ولو مرة واحدة أنه أهان إحداهن ولو بكلمة، وكم كان يحصل منهن الهفوات رضي الله عنهن

تجاهه، ولكن ما وجدن منه غير الصفح والإحسان والعفو والتجاوز.

وفاء لا مثيل له

لقد أخذت كل زوجة من أزواج النبي ﷺ حقها، حتى من ماتت منهن في حياته ﷺ -وهي خديجة رضي الله عنها- لم يزل يذكرها ويثني عليها وفاء لها وردا لجميلها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق، قد أبدلك الله عزوجل بها خيرا منها، قال: ما أبدلني الله عزوجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزوجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء» (رواه البخاري).

وبلغ من وفائه لخديجة رضي الله عنها أنه كان يكرم صديقاتها ويحتفي بهن، تقول عائشة رضي الله عنها أيضا: «جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي، فقال لها رسول الله ﷺ: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال! فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان» (البيهقي).

وكان ﷺ إذا رأى شيئا يذكره بخديجة رق قلبه رقة شديدة، تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة أدخلتها بها على أبي العاص، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها»، فقالوا: نعم»(أخرجه أبوداود)

أي وفاء هذا الذي لم يبدله مرور الأيام والليالي والأعوام، لكنها أخلاق النبوة التي امتلأ بها قلب النبي ﷺ وترجمتها أفعاله، فهو لا ينسى الود ولا يتنكر للجميل ومن أسداه.

مراعاة حالات الضعف

الإنسان في حياته يمر بفترات فيها أفراح وأخرى فيها أحزان، وقد كان رسول الله ﷺ، بجانب زوجاته، يواسي الحزينة، ويعطف على المريضة، فلا يترك أي واحدة منهن وحيدة تعاني مما نزل بها، بل يقف بجانبها، ويسمع شكايتها، ويتعرف على مشاكلها، ثم يعطيها الدواء الناجع، والبلسم الشافي؛ فهذه عائشة رضي الله عنها عندما حاضت في الحج، دخل عليها ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما لك؟ أنفست؟»، قالت: نعم، قال: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم؛ فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت»(البخاري).

فهو هنا ﷺ يسلي خاطرها، ويطيب نفسها، ويذكرها بأنها ليست وحدها في هذا الأمر، بل هو شيء كتبه الله على بنات آدم، ثم بعد ذلك علمها كيف تعمل حتى تتم نسكها.

وهذه أم المؤمنين صفية رضي الله عنها كانت معه ﷺ في سفر، فأبطأت في المسير، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: «حملتني على بعير بطيء، فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها ويسكتها»(النسائي).

فهذه اللمسة الحانية التي أضفاها ﷺ على أم المؤمنين صفية من خلال مسحه لدموعها، وكلماته الرحيمة التي خفف بها من بكائها، يبين قدر المواساة التي كان ﷺ يواسي بها زوجاته رضي الله عنهن.

ومن ذلك ما كان يفعله ﷺ مع عائشة رضي الله عنها؛ فإنه كان يضع فاه على موضع فيها عند الشرب، ويستاك بالسواك الذي استاكت به، تقول رضي الله عنها: «كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في فيشرب، وأتعرق العرق[5] وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في»(رواه مسلم).

وتقول: «كان نبي الله ﷺ يستاك، فيعطيني السواك لأغسله، فأبدأ به فأستاك، ثم أغسله، وأدفعه إليه»(رواه أبوداود).

ويدخل على أم المؤمنين صفية رضي الله عنها وهي تبكي؛ لأن حفصة عيرتها بأبيها؛ لأنها كانت ابنة يهودي، فيطيب خاطرها بكلام يشرح الصدر، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟»، فقالت: قالت

لي حفصة: إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: «إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟»، ثم قال: «اتقي الله يا حفصة» (الترمذي)[٦].

التواضع ولين الجانب

عاش النبي ﷺ مع زوجاته عيشة ملؤها التواضع، فلم يتعال على زوجاته أو يترفع عليهن، كما يفعل كثير من الأزواج، سئلت عائشة: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ فقالت: «كان يكون في مهنة أهله -تعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة»، وفي رواية أخرى: «ما كان إلا بشرا من البشر؛ كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم»(رواه أحمد).

وحث ﷺ الأزواج على التواضع والملاطفة والمضاحكة بين الزوجين لأنها تدخل السرور على النفوس، وتحبب الزوجين بعضهما إلى بعض، يقول النبي ﷺ لجابر بن عبدالله لما تزوج: «هلا جارية تلاعبها وتلاعبك، أو تضاحكها وتضاحكك»(البخاري).

إظهار المحبة

وكان من هديه ﷺ أنه يظهر حبه لزوجاته، ويصرح بذلك الحب ولا يجد غضاضة في ذلك، وخاصة حبه لعائشة رضي الله عنها، فعن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة قلت: من الرجال؟ قال: أبوها قلت: ثم من؟ قال: عمر فعد رجالا، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم»(البخاري).

فهو ﷺ يظهر حبه وعاطفته لعائشة رضي الله عنها؛ ويعطيها ما تتمنى سماعه من زوجها وحبيبها، وهذا مقام عال في التعامل بين الزوجين؛ وروى ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال لها: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟»، قلت: بلى والله، قال: «فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة».

فالزوجة تحب من زوجها أن يشعرها بحبه لها ويصرح لها بذلك، ويطيب خاطرها بالكلام الطيب والفعل الجميل.

وكان ﷺ يلتمس العذر لمن أخطأت منهن ولا يدفعه الخطأ إلى التعنيف أو الهجر أو العقاب، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت(البخاري).

هذه الصور الناصعة من الأخلاق العالية والنماذج الرفيعة من المعاملة الطيبة من النبي ﷺ مع نسائه تظهر قيمتها أكثر عندما تعلم كيف كان العرب يعاملون المرأة في هذه البيئة، فهي عندهم جزء من متاع البيت لا يعيرونه اهتماما ولا يعطونه قيمة، فهي ممنوعة من الإرث محجوبة من العطايا، بل كانوا يرثونها فيما يورث من مال الميت ومتاعه، ويعدون نصرها بكاء وبرها بهم سرقة.

ما أحوجنا إلى العودة إلى الينبوع الصافي والمعين الثر من سيرته ﷺ نأخذ منها ما يصلح بيوتنا ويدخل السعادة عليها، فنلتمس الأعذار ونخفف الوطأة ولا نشدد النكير، فتلك أخلاق النبوة التي دعا إليها رسولنا ﷺ.

الهوامش

١- «فتح الباري»؛ لابن حجر (٩/ ٣٧٩).
٢- تفسير ابن كثير (١/ ٥٧٦).
٣- «من غير مسيس»؛ أي: من غير جماع؛ كما هو موضح في رواية أخرى: «من غير وقاع»، وهو المراد هاهنا؛ عون المعبود (٦/ ١٢٢).
٤- سبل السلام: (٣/٢٥٨).
٥- «أتعرق العرق» هو العظم الذي عليه بقية من لحم.
٦- قوله: «إنك لابنة نبي»؛ أي: هارون بن عمران عليه السلام، «وإن عمك لنبي»؛ أي: موسى بن عمران عليه السلام، «وإنك لتحت نبي» الآن، «ففيم تفخر عليك؟»؛ أي: في أي شيء تفخر حفصة عليك؟، ثم قال: «اتقي الله» أي: مخالفته، أو عقابه بترك مثل هذا الكلام الذي هو من عادات الجاهلية. تحفة الأحوذي للمباركفوري (١٠/ ٢٦٩).

د. جمال عبد اللطيف محمود
دكتوراه في فلسفة التربية - مصر



بين السنة النبوية والقوانين الوضعية

حق الإنسان في المحاكمة العادلة

يعيش المجتمع اليوم في ذروة التقدم العلمي والانفجار المعرفي، فلم يحدث في عصر من العصور أن عاش الإنسان في وسط الاختراعات العلمية مثلما يحدث اليوم، فمنذ أن خلق الله الكون وجعل الإنسان خليفته في الأرض سخر الله له الكون وسخر الإنسان الكون من أجل تحقيق ذاته.

وعلى الرغم من سيطرة الإنسان على الكون دون سائر المخلوقات إلا أنه يعاني العديد من المشكلات التي لا يستطيع أن يسيطر عليها أو يجد لها حلولا، ومنها مثلا التلوث البيئي وانتهاك حقوق الإنسان.

فمنذ أن أعلنت الأمم المتحدة عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في العاشر من ديسمبر عام ١٩٤٨م، وأصبح العصر الذي نعيشه يسمى بعصر حقوق الإنسان فقد تبارت جميع الدول خاصة دول العالم المتقدم إلى تطبيق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وتظهر في المحافل الدولية ما يتمتع به مواطنيها من حقوق كبيرة، وفي نفس الوقت نجد أن دول العالم العربي الإسلامي قد حاولت أن تهتم بالمحافظة على حقوق الإنسان وتطبيق هذا الإعلان ظاهريا على الأقل تخفيفا من الضغط الغربي عليها.

ومن الموضوعات التي شغلت الشريعة الإسلامية -متمثلة هنا في السنة النبوية- والقوانين الوضعية موضوع ضمانات المحاكمات العادلة للإنسان، وقد سبقت السنة النبوية العالم بأسره في وضع ضمانات للمحاكمات العادلة للإنسان مهما كان انتماؤه الديني، كما وضعت القوانين الوضعية العديد من الضمانات، وهذا ما نورده في السطور التالية.

حق الإنسان في محاكمة عادلة في السنة النبوية

إن السنة النبوية قد أخضعت جميع أفرادها للقضاء، للحاكم والمحكوم، الرجال والنساء دون محاباة لأحد على حساب أحد، فلكل شخص له حق في المحاكمة العادلة، و«يجب أن يقوم القضاء على العدل المطلق والمساواة التامة بين الناس في الحقوق العامة»[1].

لذلك نجد الرسول ﷺ جعل من نفسه قاضيا لحل مشكلات المجتمع بكل طوائفه وفئاته، «ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عزوجل وإلى محمد رسول الله ﷺ»[٢]، فتولى النبي ﷺ فض الخصومات والمنازعات بين أهل المدينة.

وقد قرر النبي ﷺ أن لكل شخص له الحق في المطالبة بحقه، عن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلا أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ فهم به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالا»[٣]، فهذا الرجل قد استدان منه النبي ﷺ فجاء إلى النبي وأغلظ له القول، فأراد الصحابة الفتك به بسبب سوء سلوكه لكن النبي ﷺ رفض لأنه صاحب حق وأنه دائما صاحب قول قوي، ومن ثم وجب على الإنسان أن يدافع عن حقه بكل الوسائل المتاحة حتى يتمكن من الحصول عليه.

وقد أعلن النبي ﷺ أن القاضي يحكم ما بين الناس على أساس ما توافر أمامه من أدلة، فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: «إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها»[٤]، فالنبي يقر أنه بشر فيقضى ما بين الناس على الظاهر من الدلالة والبراهين وأنه لا يعلم ما يخفى من الأمور ومن ثم وجب على الفرد نفسه أن يكون بداخله دافع نحو المطالبة بحقه دون أن يكون في داخل نفسه دوافع الاستيلاء على أموال الغير لأنه بذلك يعرض نفسه لعذاب الله في الآخرة.

فالقاضي يحكم بين الناس بما يرى وبما يتوافر له من أدلة، فإن اجتهد على بلوغ الحقيقة له أجر حتى ولو لم يصل إليها. عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[٥]، فيجب على القاضي أن يتحرى البحث عن الحقيقة حتى يحكم بالعدل بين المتخاصمين، فالاجتهاد شرط ضروري للوصول إلى صاحب الحق الفعلي، ومن ثم فلا يجوز إصدار الحكم دون ذلك الاجتهاد فله بذلك أجران عند الله، أما إذا أخطأ بعده فإن له أجر جراء محاولته الوصول إلى الحقيقة.

ولقد تعددت سبل السنة النبوية في حفاظها على حق الإنسان في المحاكمة العادلة والتي يمكن توضيحها فيما يلي:

التوجيه النبوي للحفاظ على حق الإنسان في المحاكمة العادلة

١- توفير الأدلة

تستند السنة النبوية في إقرارها لحق الإنسان في العدالة على عدد من القواعد، ويأتي في مقدمتها توافر الأدلة الكافية التي تثبت هذا الحق. عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه»[٦]، حيث لا يقبل قول الإنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه بل يحتاج إلى بينة»[٧]، أي دليل على صحة القول، وقد وضح الرسول ﷺ العلة من الاحتياج إلى أدلة وهو حق الناس في حماية أموالهم وأعراضهم؛ لذلك فوجب على المدعى أن يأتي بدليل شاهد أو يحلف المدعى عليه بأنه صاحب حق، وإلا فإنه ليس بصاحب حق.

ولقد حكم النبي ﷺ بالشاهد واليمين، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قضى بيمين وشاهد [٨]، فحكم الرسول ﷺ بناء على ما توافر أمامه من أدلة وبراهين تثبت حق أحد المتقاضين على حساب الآخر.

ومن أهم الأدلة التي تثبت حق الإنسان هي توافر شهود عدل يشهدون لصالح المجني عليه. عن زيد بن خالد الجهني أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء الذى يأتي بشهادته قبل أن يسألها»[٩]، أي خبر الشهود الذي يبحث عن توفير المحاكمات العادلة لأصحابها دون أن يسأل ذلك فيحركه الضمير الإنساني تجاه الغير، فلربما يكون هو في نفس الموقف فيحتاج إلى من يشهد معه ليقر حقوقه.

كما أن القاضي لا يستطيع أن يحكم إلا بما يراه من أدلة أمام عينيه. عن عبدالله بن عتبة قال: «سمعت عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة»[١٠].

إن انقطاع الوحي ليس معناه الغيب عن تحقيق العدالة مطلقا، بل إنه دافعا للقاضي بأن يتحرى كل الوسائل والأدلة العملية بكل دقة من أجل أن يرد الحق إلى ذويه لأنه ليس مجالا ليصحح الأخطاء كما كان الوحي على عهد النبي ﷺ، ومن هنا كانت مهمة القضاء مهمة صعبة تحتاج إلى رجال من نوعية خاصة تستطيع أن تحقق العدالة.

إن التربية النبوية لم تكتف بتوفير الأدلة المادية فحسب، بل إنها خاطبت الضمير الإنساني الذي يجب أن يرفض ما ليس له حق فيه، حتى ولو أنه قد أثبت زورا بالدليل المادي أنه صاحب حق فيه. عن سالم، عن أبيه، قال: قال النبي ﷺ: «من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»[11]، فيوضح النبي ﷺ أنه يمكن للفرد أن يستخدم عقلة في إثبات حق أو ملك ليس له وقد ينجح في ذلك ولكن ذلك لا يعفيه من عقاب الله في الأخرة.

فخاطبت التربية النبوية الضمير الإنساني من أجل توفير محاكمة عادلة لأفرادها فلاحقت المغتصب للحق بعذاب الآخرة وبدعوات الأفراد المظلومين في الدنيا، عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليكم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[12].

كذلك من أجل الحفاظ على أدلة المحاكمة سليمة حذر الرسول من التزوير في القول والشهادة. عن عبدالرحمن بن أبى بكرة، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر -ثلاثا-: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور». وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[13]. فجعل النبي شهادة الزور وفعلة من أكبر الذنوب علي العبد فتضاهي الكفر وعقوق الوالدين، بل إن النبي عندما تحدث عن شهادة الزور وقول الزور اعتدل، فجلوسه ﷺ هو اهتمام بهذا الأمر، ويفيد تأكيد تحريمه وعظم قبحه[14]، فاعتمد النبي في البداية على إثارة اهتمام المستمعين، وهو أسلوب تربوي حيث بدأ بسؤال ثم بالإجابة عليه لتركيز انتباههم وبيان أهمية ما يقال، ومن ثم يتم فهمه وتحقيقه، وأنه أمر يحتاج إلى انتباه، ومن ثم يعون ما يقوله ويطبقونه في حياتهم.

٢- حق الإنسان في الدفاع عن نفسه

أقرت السنة النبوية حق الإنسان في الدفاع عن نفسه كوسيلة من وسائل تحقيق المحاكمة العادلة، ولبيان أسباب ارتكاب المذنب لذنبه، ومن ثم يتضح العلة من فعله على الرغم من أنه قد يكون هناك قرائن ودلائل تثبت ارتكابه لجرم ما.

عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: ما هذا ياحاطب؟ قال: لا تعجل علي يارسول الله، إني كنت امرءا من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدا يحمون قرابتي وما فعلت ذلك كفرا، ولا ارتدادا عن ديني. فقال النبي ﷺ: إنه قد صدقكم. فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه. فقال: إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[15]، فالناظر إلى هذه الحادثة قد يرى فيها البعض أنها جريمة خيانة عظمى للوطن وإخبار الأعداء بما ينوون عمله، ومن ثم فإنها تستوجب الإعدام، لكن التربية النبوية حريصة على أن يبرز المتهم دوافعه لهذا الفعل على الرغم من ثبات قيامه به من أجل إيضاح أسباب قد لا تكون واضحة، وهذا ما حدث بالفعل، فأبدى حاطب أسبابا أقنعت النبي ﷺ بوجهة نظرة، ومن ثم قرر النبي عدم التعرض له أو عقابه، بل وأوصى أصحابه بمعاملته معاملة حسنة، مما ترك أثرا نفسيا طيبا لدى صاحب القضية وكل المحيطين من حوله بأن التربية النبوية تسعى إلى إيجاد حلول للفرد تمنع عنه العقاب لتحقق أهدافها في الحياة في إنشاء مجتمع صالح.

٣. مراعاة الحالة النفسية للقاضي

راعت السنة النبوية الحالة النفسية للقاضي حتى لا ينعكس ذلك بالسلب على حكمه بين المتخاصمين. عن أبي بكرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان»[١٦]، فمن حق المتقاضي أن تتم مقاضاته في ظروف طبيعية حتى يحصل على حقه، ولا تتحقق هذه الظروف إلا إذا كان القاضي في حالة نفسية طبيعية، فالمعروف أن الغضب يؤثر على الفرد وعلى اتخاذه للقرار، ومن هنا فإنه قد ينعكس ذلك بالسلب على حكمه مما يترتب عليه ضياع حق من حقوق الناس.

وهذا له أهمية في الوقت الحاضر حيث ينبغي للمتقاضي الحصول على حقه مهما اختلفت الظروف ومن أجل ذلك وضعت السنة النبوية للقاضي عدة تدابير تتحقق من خلالها توفير المحاكمة العادلة.

(أ) استخدام القاضي لعقله

أوضحت السنة النبوية أنه على قضاتها استخدام عقولهم، بالإضافة إلى الأدلة في حالة القضايا الملتبسة وعدم وجود أدلة كافية تحسم القضية لأحد الطرفين، وأن يلجأ إلى ما يسمونه بذكاء الحيلة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك. وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى. فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها. فقضى به للصغرى»[١٧]، فاستخدام القاضي لعقله جعله يصل إلى الحقيقة، فالأم الحقيقية ترفض أن يقتل ابنها، وتسعى إلى أن يعيش ابنها، حتى ولو كان بعيدا عنها، فاتضح بذلك أن صاحب الحق قد يتنازل أحيانا عن حقه خوفا من ضياعه أو اندثاره حتى يحين الوقت المناسب لاسترداده.

(ب) التأكد من الحالة الصحية للمذنب

قد يعترف الجاني بجريمته ولكن على القاضي ألا يأخذ بهذا الدليل أو كأسلوب وحيد وفردي لتطبيق أحكام القانون عليه، بل إنه يجب على القاضي أن يتأكد من صحة الجاني أو جنونه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى رجل رسول الله ﷺ وهو في المسجد فناداه، فقال: يارسول الله إني زنيت. فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي ﷺ فقال: أبك جنون؟ قال: لا، قال: فهل أحصنت؟ قال: نعم، فقال النبي ﷺ: اذهبوا به فارجموه»[١٨]، فعلى الرغم من اعتراف المتهم بجريمته إلا أن النبي ﷺ أراد أن يتأكد من مدى عقلية المعترف أو جنونه، ويمكن تطبيق ذلك في العصر الحديث بتوقيع الكشف الصحي على المتهم واختبار صحة قدراته العقلية حتى تتناسب الحكم الصادر عليه وحالته الطبيعية وبذلك تتحقق المحاكمة العادلة للفرد.

(ج) التأكد من فعل الجريمة

إن واجب القاضي الأساسي أن يتأكد من فعل المجرم لجريمته، وذلك تفاديا لحدوث خطأ أو جهل من الجاني لمعنى الجريمة المعترف بها، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: لما أتى ماعز بن مالك النبي ﷺ قال له: لعلك قبلت، أو غمزت، أو نظرت، قال: لا يارسول الله قال أنكتها؟ لا يكني، قال: فعند ذلك أمر برجمه»[١٩]، فالنبي ﷺ لم يكتف باعتراف المتهم بل أراد منه توضيح معنى الجريمة التي تستوجب تطبيق العقوبة، ولكن هذا التأكد لا يأتي بحمله بالقسوة على الاعتراف، عن ابن عباس أن رسول ﷺ قال: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٢٠]، فلا يجوز إكراه الفرد على الاعتراف بجريمة حتى ولو كان هناك شكوكا حوله بارتكابه للجريمة فالاعتراف لا يكون نابعا إلا من شعور الفرد بالذنب وليس بضغوط عليه.

مفهوم حق الإنسان في محاكمة عادلة

يظهر مفهوم الحق في محاكمة عادلة في الكثير من دساتير وقوانين الدول الديمقراطية كما ينص عنه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة في المادة ١٠ تحت نص: «لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظرا عادلا علنيا للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه»[٢١].

ضمانات المحاكمة العادلة

تتنوع ضمانات تحقيق محاكمة عادلة إلى نوعين

أولا: ضمانات محاكمة عادلة قبل المحاكمة.

ثانيا: ضمانات محاكمة عادلة أثناء المحاكمة.

وسوف نعرض فيما يلي هذه الضمانات بالتفصيل

أولا ضمانات محاكمة عادلة قبل مرحلة المحاكمة

الحق في الحرية

لكل إنسان الحق في الحرية الشخصية، فلا يجوز إلقاء القبض عليه إلا طبقا لأحكام القانون على نحو بعيد عن التعسف، وعلى أن يتم ذلك على يد موظفين مختصين، ولا ينبغي في الأحوال العادية احتجاز المتهمين بارتكاب أفعال جنائية إلى حين تقديمهم إلى المحاكمة(٢٢).

الحق في الاستعانة بمحام قبل المحاكمة

لكل شخص يحتجز أو يحتمل أن تنسب له تهمة، الحق في الحصول على مساعدة من محام يختاره لحماية حقوقه ومساعدته في الدفاع عن نفسه إذا كان غير قادر على دفع النفقات اللازمة لتوكيل محام؛ فيتعين انتداب محام كفء مؤهل للدفاع عنه ويجب أن يمنح هذا الشخص مساحة زمنية وتسهيلات كافية للاتصال بمحاميه كما يجب أن يمنح فورا الحق في الاتصال به حتى تضمن له محاكمة عادلة(٢٣).

حق المحتجز في محاكمة عادلة خلال مدة زمنية معقولة أو الإفراج عنه إذا لم تتم محاكمة الشخص المحتجز في غضون فترة زمنية معقولة، يحق له أن يفرج عنه إلى حين تقديمه للمحاكمة، والإفراج عن المحتجز المحبوس على ذمة قضية بسبب عدم بدء المحاكمة في غضون فترة زمنية معقولة لا يعني وجوب إسقاط التهمة عنه، بل أن يفرج عنه إلى حين محاكمته، وهو ما نصت عليه المادة ٩ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية(٢٤).

الحق في المعاملة الإنسانية وعدم التعرض للتعذيب

إن حق كل فرد محروم من الحرية في أن يعامل معاملة إنسانية مكفول في الكثير من المعايير الدولية والمنصوص عليها في معاهدات حقوق الإنسان، وكذلك في المواثيق التي ليس لها طابع المعاهدة، وتفرض هذه المعايير الدولية واجبا على الدولة إزاء ضمان حد أدنى من معايير الاحتجاز والسجن وحماية حقوق كل محتجز أثناء حرمانه من الحرية، وألا يعرض للتعذيب أو سوء المعاملة بشكل يحترم الكرامة الأصيلة في الشخص الإنساني(٢٥).

ثانيا: ضمانات المحاكمة العادلة أثناء المحاكمة

تتعد الضمانات التي وضعها القانون الوضعي والقوانين الدولية لضمان حق الإنسان في المحاكمة العادلة أثناء سير المحاكمة نفسها وتتمثل فيما يلي:

الحق في المساواة أمام القانون

تنطوي ضمانات المساواة في سياق مراحل المحاكمة على جوانب عدة فهي تحظر استخدام القوانين التمييزية، وتشمل حق كل فرد على السواء في اللجوء إلى المحاكم، وأن تعامل المحاكم جميع الأفراد على قدم المساواة فالكل سواء أمام القانون، وهذا حق كل إنسان، ومعنى الحق في المساواة أمام القانون أن تخلو القوانين من التمييز، وأن يبتعد القضاة والموظفون عن تطبيق القانون على أي نحو يميز بين إنسان وآخر(٢٦).

الحق في المحاكمة أمام محاكمة مختصة

من المبادئ والشروط الأساسية للمحاكمة العادلة أن تشكل المحكمة التي ستضطلع مسؤولية نظر القضية والفصل فيها تشكيلا قانونيا وأن تكون مختصة بنظر القضية وتتوفر فيها الاستقلالية والحياد.

إن الضمان الأساسي الأول للمحاكمة العادلة ألا تصدر الأحكام من مؤسسات سياسية، بل بواسطة محاكم مختصة مستقلة محايدة مشكلة بحكم القانون، وحق الفرد في أن تنظر قضيته محكمة عندما يتهم بارتكاب فعل جنائي، مع توفير الضمانات اللازمة لتأمين العدالة، إنما هو أمر من صميم التطبيق الصحيح للقانون، ولكل من يواجه محاكمة جنائية أو دعوى قضائية الحق في أن يحاكم أمام محكمة مختصة ومستقلة ومحايدة مشكلة بحكم القانون(٢٧).

الحق في النظر المنصف والعلني للقضية

يشمل الحق في النظر المنصف للقضايا جميع الإجراءات والضمانات الخاصة بالمحاكمة العادلة المحدد في المعايير الدولية، ولكن مداه أوسع نطاقا، ويشمل هذا الحق الامتثال للمعايير الوطنية شريطة أن تتفق مع المعايير الدولية وربما تفي المحاكمة بجميع الضمانات الإجرائية الوطنية والدولية، ومع هذا لا تفي بمعيار النظر المنصف، كما يعد الحق في النظر العلني للقضايا ضمان أساسي لعدالة واستقلالية التقاضي، وهو وسيلة لحماية الثقة العامة في نظام العدالة (٢٨)

الحق في افتراض براءة المتهم

من المبادئ الأساسية للحق في المحاكمة العادلة افتراض براءة أي شخص يتهم بارتكاب فعل جنائي

إلى أن يثبت إدانته طبقا للقانون بعد محاكمة عادلة، ويجب أن يظل افتراض البراءة قائما ما لم يثبت العكس، ولا ينطبق الحق في افتراض البراءة على معاملة المتهم في المحكمة وتقييم الأدلة فحسب، بل ينطبق أيضا على معاملته قبل المحاكمة، فهو ينطبق على المشتبه فيهم قبل اتهامهم رسميا بارتكاب أية جريمة تمهيدا لتقديمهم للمحاكمة، وتستمر هذه الحقوق قائمة إلى أن يتم تأييد حكم الإدانة بعد استنفاذ مراحل الاستئناف[٢٩].

تميزت السنة النبوية عن القوانين الوضعية ليس في أفضلية السبق الزمني فقط؛ بل في عدة أمور من أهمها أنها كانت دائما تفترض براءة المتهم وتضع حزمة من الإجراءات الهامة من أجل التأكد من القيام المتهم بالجريمة، كما أن كل الضمانات التي قدمتها القوانين هي متضمنة ضمنيا في الشريعة الإسلامية وزادت عليها بأشياء لم تتواجد في القوانين الوضعية.

الهوامش

١- محمد بكر إسماعيل، الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة، ط٢، القاهرة، دار النار، ١٩٩٧م، ص٣٢٤.

٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، مرجع سابق، ص٩٥.

٣- البخاري، صحيح البخاري، ج١، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهبة المقبوضة وغير المقبوضة، مرجع سابق، ص٥٧٣.

٤- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، مرجع سابق، ص٤٨٥.

٥- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، مرجع سابق، ص٤٨٦.

٦- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه، مرجع سابق، ص٤٨٥.

٧- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٢، مرجع سابق، ص٤.

٨- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب القضاء باليمين والشاهد، مرجع سابق، ص٤٨٥.

٩- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب بيان خير الشهود، مرجع سابق، ص٤٨٧.

١٠- البخاري، صحيح البخاري، ج١، كتاب الشهادات، باب الشهداء العدول، مرجع سابق، ص٥٨١.

١١- البخاري، صحيح البخاري، ج١، كتاب المظالم والغضب، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض، مرجع سابق، ص٥٣٧.

١٢- البخاري، صحيح البخاري، ج١، كتاب المظالم والغضب، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، مرجع سابق، ص٥٣٦.

١٣- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، مرجع سابق، ص٣٧.

١٤- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ص٧١.

١٥- البخاري، صحيح البخاري، ج٢، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، مرجع سابق، ص٢٧٧.

١٦- البخاري، صحيح البخاري، ج٣، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، مرجع سابق، ص٣٩٤.

١٧- البخاري، صحيح البخاري، ج٣، كتاب الفرائض، باب إذا ادعت المرأة ابنا، مرجع سابق، ص٣٠٢.

١٨- البخاري، صحيح البخاري، ج٣، كتاب الحدود، لا يرجم المجنون والمجنونة، مرجع سابق، ص٣١١.

١٩- البخاري، صحيح البخاري، ج٣، كتاب الحدود، باب هل يقول الإمام، مرجع سابق، ص٣١٣.

٢٠- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، مرجع سابق، ص٣٩٠.

٢١ - الأمم المتحدة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، نيويورك، الأمم المتحدة، في ١٠ ديسمبر١٩٤٨م.

٢٢ - أحمد فتحي سرور، الحماية الدستورية للحقوق والحريات، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٩م، ص ٧٤.

٢٣ - علي عبد القادر القهوجي، القانون الدولي الجنائي أهم الجرائم الدولية المحاكم الدولية الجنائية، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، ٢٠٠١م، ص ٣٤٨.

٢٤ - على عبد القادر القهوجي ، المرجع السابق،ص٣٥٠.

٢٥ - علي عبدالقادر القهوجي، المرجع السابق، ص٣٥٦.

٢٦ - علي عبدالقادر القهوجي، المرجع السابق، ص٣٨٠.

٢٧ - محمد سعادى، حقوق الإنسان، الجزائر، دار ريحانة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص١٧.

٢٨ - ديفد فيسبورت، دليل المحاكمات العادلة، منظمة العفو الدولية، ص٧١.

٢٩ - عوض محمد عوض، المبادئ العامة في قانون الإجراءات الجنائية، الإسكندرية، منشأة العارف، ١٩٩٤م، ص٥٩٦.



شاهد كدميري
باحث في قسم الشريعة الإسلامية
بحرم الوافي الجامعي - كيرلا - الهند

الإساءة تجعل العدالة البشرية على وشك المنية!

يا ليتها تعود إلينا مرة أخرى، لترتفع في ظلها ثقافة عليا، ولتمتلئ في جوها سلامة الأمة، ولينبثق من طيها شعاع الهمة، حتى تحكم عليها سلطة قوامها العدل والحق، وعمادها البشر ممن لا تأخذهم المشاعر، ولا تعجبهم المفاخر، ولا تطاردهم الأنانية فيما ينطقون ويحكمون.

ولله در من سبقت بنا فترتهم الجميلة، وفيها بزغت للكائنات شمس العدالة، وبرز لخلق الله أصل السعادة، ودفن في بطن الأرض أهل الحماقة، نعم.. كانت هي فترة تسوية بين العرب والعجم، والغني والفقير، وفترة تفرقة بين الظالم والمظلوم،

والقاتل والمقتول، والسارق والمسروق، حيث رسول الحق أعلن فيها بأنه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها، وصاحب العفو عفا عن أهل الطائف عندما طردوه ورموه بالأحجار.

وللأسف زماننا بعيد كل البعد من زمانهم المزين بالقيم، والمكمل بالحكم، والمحكم بالأمن، والمتوج بالعدل، وإذا بنا في زمان لا يعرف القاتل فيه لم قتل، ولا يعرف المقتول فيم قتل، وكأن شياطين الإنس والجن تلعب بعقولهم، لتجفف من ألبابهم مناهل الرشد، ولتسيل بمجرى دمائهم بحار الحسد، ولتصب على سطح صدورهم أمطار الحقد.

ويا ترى، وقعنا بين يدي صرخات أطفال لا تسمعها إلا الصخور، وصيحات أرامل تعلو من وراء الجدار، فمنهم من يلقون حتفهم غرقى في الآلام، ومنهم من يشرد، لا لأن أحدا منهم سفك الدماء، ولا لأنهم نالوا من أعراض الآخرين، فبأي ذنب اقترفوه يعانون ما يعانون؟! أليست كل هذه مما لا ينبغي أن يحدث لأحد ما على وجه الأرض؟! هل أصبحت علامات القيامة تطل على البلاد والعباد، للإيذان بقرب أوانها أن تقوم على ساقها؟! وهل ماتت السلامة والعدالة بكل مكان، أم كادت كلتاهما أن تفارق أرواحهما؟! فيا لها من حسرة تعيشها الأمة المسلمة في ربوع الأرض، ويا لها من معاناة يعانيها المسلمون في سائر بقاع العالم، ولكن الحزن جله بل كله لا يتعلق بما يعانونه من آلام في الجسد والقلب، بل هو ما يقوم به البعض من الإساءة للمسلمين ودعمهم لكل من يأخذ زمامها، والتي ربما يخجل من القيام بها إبليس الذي هو ألد الخصام لأمة محمد ﷺ، وكأن الرأفة والرحمة لم تولد في قلوبهم مع ولادة أنفسهم كطبيعة الحال، وإلا فكيف يمكنهم أن يتجرؤوا بالإساءة على فرد لا يرد معه فرد، وعلى إنسان سجله الإعلام كأول إنسان في قائمة الأخيار، وعلى سيد لم يخلق قبله وبعده من يشابهه في شيمه،، لا والله، لا يستطيع أحد بعد تعرفه بكل هذه الصفات المعروفة لخاتم الرسل وسيد بني آدم، أن يقلل من شأنه وأن يضم إليه ما لا يليق به من الأوصاف. فالويل كل الويل للأيادي السوداء التي تتطاول عليه لتمزيق عرضه، والأنامل التي تتحرك عليه لتمثيل كرمه، وبرؤية تلك الرسوم والسطور المزيفة يقهقه باستمرار أولئك البشعون، ويصرون على جعل شخصيته العظيمة أضحوكة بين أظهر الناس من دون خجل.

المؤمنون بعدالة الله متفائلون وموقنون بالنصر

وعلى الرغم مما ينسجه الأعداء من الحيل والمكر ليقللوا من شأن حبيب الله ﷺ ودينه القويم، إلا أنهم في الحقيقة لا يعلمون أن كل ما يعملونه محض سفاهة لا تتيسر لهم بها سبل الوصول إلى مرادهم، بل كلها بالعكس تتطرق إلى وصول شهرة النبي ﷺ لكل زاوية من زوايا الأرض، وانتشار دينه السمح في كل أفق لا تعرف له الحدود، وبما أن الرسول ﷺ وعده الله بنصره إلى الأبد، فباطلة هي المحاولات التي يصدرها هؤلاء الماكرون، وفائتة هي المجاهدات التي يبذلها المغترون، وأما المؤمنون الذين يتابعون نهج نبيهم ﷺ، إذا انهالت على وجوههم صفعات الدنيا كلها فلا هم يحزنون، وإذا انصبت على رؤوسهم سلسلة عذاب الناموس التي بناها البشر للبشر فلا هم متشائمون، بل هم في عدالة الله متفائلون حتى يوم يقوم الحساب ويؤتى كل ذي حق حقه، فسلاما للذين تحلوا بالصبر في سبيل الحق، لينالوا ما يستحقونه من الجزاء في محكمة الله.

ملف خاص



د. مصطفى البعزاوي
أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الأول/ وجدة

التواصل النبوي وأثره في البناء الحضاري

إذا كان الاقتداء بالرسول ﷺ واجبا مكملا لشروط الإيمان في جوانب العبادة والتزكية والسلوك، فإن الاقتداء به ﷺ في ترسيخ قيم التعايش والتفاعل الحضاري واجب شرعي أيضا، لأن طاعة الله ورسوله تكون في الأمور كلها، مما يلفت النظر، ويدفع الباحث إلى الوقوف على أساليبه المنهجية في تعاملاته كلها، وآدابه في خطاباته وتواصله مع الناس.

والناظر في السيرة المحمدية العطرة سيقف على جملة من القضايا التي يظهر فيها التسامح النبوي والتواصل الحضاري الذي كان منهجا للرسول الكريم، وما أحوج الإنسانية اليوم جمعاء لاقتباس هده المعالم الكبرى التي تعزز ترسيخ القيم والتعايش خاصة مع الآخر، غير المسلم.

ومن هنا، فإن الرسالة المحمدية جاءت بدعوة إنسانية عالمية خاتمة بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبعد أن اتضح الأمر بوجوب تحقيق عالمية هذا الدين، جاءت رسائل النبي ﷺ إلى ملوك وزعماء عصره في البلدان والحضارات المجاورة، يحملها رسل عظام ثقات من الصحابة، للدعوة إلى الإسلام.

وقد اتسم تعامله ﷺ مع هؤلاء بإنزالهم منازلهم، ففي كل كتبه يصف الملك أو الأمير أو الزعيم بالعظمة، ولم يتحرج ﷺ من وصف رجل غير مسلم بهذا الوصف، فيصف هذا (بعظيم الروم)، وهذا (عظيم الحبشة)، ويصف ذاك (بعظيم الفرس)، وذاك (بعظيم القبط).. وغير ذلك.

وفي هذا السياق، سيتناول المقال جملة من الرسائل المحمدية التي يستفاد منها التواصل النبوي الحكيم وتفعيل رووح التسامح مع الآخر

وهي على النحو التالي:
١- رسالته ﷺ إلى كسرى ملك فارس (٥٩٠م-٦٢٧م)، وهذا نصها:
«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك».
٢- رسالته ﷺ لهرقل قيصر الروم (٦١٠م-٦٤١م) الإمبراطور البيزنطي، وهذا نصها:
«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين».
٣- رسالته ﷺ إلى النجاشي حاكم بلاد الحبشة، وهذا نصها:
«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة: سلام عليك إني أحمد الله إليك، الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عزوجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى».
٤- رسالته ﷺ إلى المقوقس ملك مصر، وهذا نصها:
«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعوة الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين.
وقد اختلف تلقي الملوك لهذه الرسائل، فأما هرقل والنجاشي والمقوقس، فتأدبوا وتلطفوا في جوابهم، وأكرم النجاشي والمقوقس رسل رسول الله ﷺ، وأرسل المقوقس هدايا إلى رسول الله ﷺ وأما كسرى لما قرئ عليه الكتاب مزقه، فدعا رسول الله عليه أن يمزق ملكه، وكذلك كان.
وهذه الرسائل النبوية يستفاد منها ما يلي:

من حيث الشكل، نجد:
- الرسول ﷺ قد استعمل في رسائله عبارات الشكر والاحترام والرأفة، بعيدا عن أنماط السخرية والاستخفاف، كما نبه إلى بعض نقاط التقاطع بين المسلمين وأهل الكتاب، ليتم التقارب بين الفريقين، فيصدروا جميعا عن إيمان واحد وكلمة سواء.
- خطابه ﷺ قد تميز بالحكمة والكياسة والابتعاد عن لغة التهديد، أو ما يوحي بطمعه في ملكهم، إذ ما كان ﷺ يهمه متاع الدنيا، ولو كان غرضه ذلك لاستجاب لقريش يوم عرضت عليه الملك والسيادة والمال، مقابل أن يتخلى عن دعوته، لكنه أجاب: «يا عم (يعني أبا طالب)، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا

الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته».

أما إذا تأملنا مضمون تلك الرسائل والكتب، فإننا سنقف على دلالات عميقة، منها:

- أن هذه الكتب والرسائل النبوية كانت دعوة إلى تحقيق التعايش السلمي بين الأمم والأديان، وتجليا عمليا تطبيقيا لسنة الله في التعارف الحضاري، ومنهاجا نبويا لترسيخ القيم النبيلة، قيم التعايش والسلام والخير والتواصل الحضاري، والأمن الاجتماعي، والسلام العالمي بين الأمم والشعوب، وذلك من خلال تكرار عبارات: (أسلم)، (تسلم)، و(آمن)، و(الإسلام)، و(السلام)، و(أدعوك بدعاية الإسلام)، و(السلام على من اتبع الهدى)، و(يؤتك الله أجرك مرتين)، ذات الدلالات العميقة في كل كتبه ﷺ.

- أنها جاءت لتجسد جوهرا في الإسلام هو الإقرار بسنة الاختلاف في الآراء والمعتقدات والأصول، الذي يعترف بالآخر، ويدعو إلى التعايش معه ولا يقصي أحدا، ويدعوا البشرية جمعاء إلى الوحدة والتوحيد لتعود إلى الإسلام دين الإنسانية والسلم والسلام العالمي، من خلال سنده المتين الذي تقوم عليه رسائله ﷺ.

- أنها شكلت للأمراء والملوك الذين وجهت إليهم حافزا إلى البحث في الإسلام الذي دعاهم الرسول ﷺ إليه، والتعرف على حقيقته، مع العلم أن الإسلام لم تكن قد رسخت أقدامه بعد في أرض الجزيرة، ولم تتوطد له زعماء العالم يومئذ أهل القوة والبطش والسلطان.

وقد كان موقنا ﷺ كل اليقين أن الله مظهر دينه، ومتمم كلمته، ومنجز ما وعده من النصر والفتح، وأن كل ما عليه لكي ينجز الله له وعده أن يبلغ دعوته إلى الناس كافة، وألا يألو في ذلك جهدا، ولا يدخر وسعا.

- أنها أثبتت لهم أن مصير هذه الدعوة سيكون إلى ظهور، فما إن وصل الخبر حتى انتشر وذاع في كل الأطراف، وأخبر بها الداني القاصي، ويبدو أن ذلك كان تمهيدا لقبول الدعوة الجديدة فيما بعد، فحينما قدم الصحابة الكرام إلى تلك البلاد بعد سنوات قليلة كان تقبل الدين الجديد سهلا جدا، والدخول فيه قريبا كالثمر الداني وإذا اتضحت بعض من معالم التواصل النبوي الحضاري، فسيرته ﷺ حافلة بمعطيات أخرى تترجم للقيم السالفة منها:

- ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه (أي ما بالك؟) قال قال رسول الله ﷺ: لا تزرموه (أي لا تقطعوا عليه بوله) دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عزوجل والصلاة وقراءة القرآن - أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلا من القوم، فجاء بدلو من ماء فشنه عليه.

وأخرجه الإمام البخاري مختصرا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه «فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

فهذا مثل من منهج الرسول ﷺ التربوي الرحيم وتواصله البناء، فعلى الرغم من شناعة المخالفة التي ارتكبها ذلك الأعرابي فإن النبي ﷺ ينهى أصحابه عن معاملته



بالقسوة ويأخذه باللين والهدوء، ويبين له أن تلك المخالفة التي ارتكبها تتنافى مع قدسية المساجد والأهداف التي بنيت من أجلها برفق وأسلوب حسن.

ففي هذا الحديث بيان لرفق النبي ﷺ بالأعرابي وحسن تعليمه له، وذلك لأن الأعرابي كان يجهل ذلك الحكم بطبيعة الحال ولهذا السبب لم يعنفه النبي ولم يوبخه، بل دعاه وعلمه برفق الأمر الذي يجهله.

ولاشك أن هذه المعاملة الرحيمة ستترك أثرا طيبا في نفس ذلك الأعرابي، وهذا الأثر الطيب سيقوده إلى الإسلام إن كان لم يسلم بعد، كما سيقود الآخرين ممن يسمعون بهذا الخبر، إضافة إلى أنه يعد تربية بالقدوة الحسنة للمسلمين كي يعاملوا الكفار باللطف والرحمة ليألفوهم إلى الإسلام، كما يشير إلى ذلك قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث: «فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

ومن الأمور المهمة التي يجب استحضارها في هذا المقام شهادات بعض من المستشرقين المنصفين حول التواصل النبوي، وفيما يلي بعض الأقوال التي تشيد بشخص الرسول ﷺ وتمدحه:

١- إدوار مونته

«عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظا على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم».

٢- المفكر الفرنسي لامارتين

«هذا هو محمد ﷺ الفيلسوف، الخطيب، النبي، المشرع، المحارب، قاهر الأهواء، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد ﷺ بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد ﷺ؟»

٣- مايكل هارت

«إن محمدا كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي... إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معا يخوله أن يعتبر أعظم شخصية أثرت في تاريخ البشرية».

٤- الدكتور زويمر الكندي

«إن محمدا كان ولاشك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضا بأنه كان مصلحا قديرا وبليغا فصيحا وجريئا مغوارا، ومفكرا عظيما، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء».

يظهر من خلال هذه الآراء أن المدح له هنا إنما يتجلى في عبقريته كرجل مصلح ذكي، شعاره التواصل الفعال وتعزيز جمالية الدين الإسلامي.

فمن خلال ما سلف، لابد من ترسيخ هذه القيم النبيلة في الزمن المعاصر وخاصة مع الآخر وقبوله والتواصل معه بلين ورأفة لبناء مسيرة التعاون والتقارب والتفاهم والحوار.



د. محمد عطية متولي
إمـام وخـطـيـب أول بـوزارة
الأوقاف الكويتية



على المستويات الرسمية والشعبية في الكويت

مــوقف مشـــرف للنصرة

تعد الاعتداءات المتكررة على الإسلام ونبيه ﷺ أحد الانتهاكات التي يواجهها المسلمون في العصر الحديث وقد صدرت من جهات عدة بدافع الحقد أو الجهل أو كليهما، وعلى ما في هذه الاعتداءات من شر وما تدل عليه من خبث وسوء إلا أنها مؤشر تقاس به حرارة الإيمان وصدق الولاء لله ولرسوله ﷺ وقد كان للكويت موقفها المشرف بين الأمم على كافة المستويات الرسمية والشعبية ومؤسسات المجتمع المدني وبين يديك عزيزي القارئ استعراض لهذه المواقف.

١- بيان وزارة الخارجية الكويتية:

أعربت وزارة الخارجية في بيان لها بأن دولة الكويت قد تابعت باستياء بالغ استمرار نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ وأعربت الوزارة في هذا الصدد عن تأييدها للبيان الصادر عن منظمة التعاون الإسلامي والذي يعبر عن الأمة الإسلامية جمعاء وما جاء به من مضامين شاملة رافضة لتلك الإساءات والممارسات.

وحذرت الوزارة من مغبة دعم تلك الإساءات واستمرارها سواء للأديان السماوية كافة أو الرسل عليهم السلام من قبل بعض الخطابات السياسية الرسمية والتي تشعل روح

الكراهية والعداء والعنف وتقوض الجهود التي يبذلها المجتمع الدولي لوأدها وإشاعة ثقافة التسامح والسلام بين شعوب العالم.

واختتمت الوزارة بيانها بالتحذير من مغبة الاستمرار في دعم هذه الإساءات والسياسات التمييزية التي تربط الإسلام بالإرهاب لما تمثله من تزييف للواقع وتطاول على تعاليم شريعتنا السمحة الرافضة للإرهاب فضلا عما تمثله من إساءة بالغة لمشاعر المسلمين حول العالم.

استعملت وزارة الخارجية لغة ديبلوماسية راقية تخاطب أصحاب الضمير الحر ورعاة السلم والأمن الدوليين لكي ينتبهوا إلى الآثار الضارة التي يمكن أن تصيب جهودهم المبذولة لنشر ثقافة التعايش التي لا يمكن أن تتم إلا باحترام الآخر وعدم النيل من مقدساته كما نبهت إلى خطورة ربط الإسلام بالإرهاب لما يمثله ذلك من عدوان على الحقيقة من ناحية وجلب لعداوة المسلمين من ناحية أخرى.

كما رفض مندوب الكويت لدى اليونسكو هذه الإساءات لأنها تقوض الجهود الرامية لنشر السلم واحترام الأديان وبث الكراهية ومما يحسب لمندوبية الكويت لدى اليونسكو أنها قادت (تحركا عربيا إسلاميا العام الماضي لإقرار قرار بأحد اللقاءات الدولية التابعة لليونسكو يندد بالممارسات العنصرية ضد الإسلام (إسلاموفوبيا) وتم إقراره بالإجماع).

٢- رئيس مجلس الأمة:

دعا رئيس مجلس الأمة الحكومة إلى «استنكار الإساءات المقصودة لرموز الإسلام، والتحرك العملي ضمن المحيط الديبلوماسي لحظر الإساءة لكل المعتقدات حول العالم»، مستنكرا «قيام بعض الصحف بنشر رسوم كاريكاتورية تحمل إساءات للرسول الكريم ﷺ».



وزارة الخارجية

اعربت وزارة الخارجية في بيان لها بأن دولة الكويت قد تابعت بإستياء بالغ استمرار نشر الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم واعربت الوزاره في هذا الصدد عن تأييدها للبيان الصادر عن منظمة المؤتمر الإسلامي والذي يعبر عن الامه الاسلاميه جمعاء و ما جاء به من مضامين شامله رافضه لتلك الاساءات والممارسات

وحذرت الوزاره من مغبه دعم تلك الاساءات واستمرارها سواء للاديان السماويه كافه او الرسل عليهم السلام من قبل بعض الخطابات السياسيه الرسميه و التي تشعل روح الكراهية والعداء والعنف وتقوض الجهود التي يبذلها المجتمع الدولي لوأدها واشاعه ثقافه التسامح والسلام بين شعوب العالم

واختتمت الوزاره بيانها بالتحذير من مغبه الاستمرار في دعم هذه الاساءات و السياسات التمييزيه التي تربط الاسلام بالارهاب لما تمثله من تزييفا للواقع وتطاولا على تعاليم شريعتنا السمحاء الرافضه للارهاب فضلا عن ما تمثله من اساءه بالغه لمشاعر المسلمين حول العالم.

MOFAKUWAIT | WWW.MOFA.GOV.KW | 22225555

وكانت دعوة رئيس مجلس الأمة إلى التحرك العملي الذي يتجاوز الشجب والاستنكار وهما يمضيان بمرور الوقت إلى إجراءات تتم بالتوافق مع الأعراف الدولية ويمكن ملاحظة مواثيق حقوق الإنسان التي وافقت عليها الدول المنضمة للأمم المتحدة هذه الإجراءات تتجاوز الانفعالات المؤقتة لتصبح مؤسسات قائمة تنافح عن الإسلام وقيمه بصورة حضارية تبرز محافظتنا على ثوابتنا وعدم التفريط فيها.

قوى المجتمع المدني وجمعيات النفع العام

١- جمعية النجاة:

وكشفت جمعية النجاة عن أنها اتخذت خطوات عملية وذلك عبر مشاريع دعوية متخصصة تهدف للتعريف بسيرة الرسول ﷺ باللغة الفرنسية، ويأتي ذلك من واقع دورها في نشر رسالة الإسلام السمحة وسيرة النبي ﷺ، بحسن الحوار والموعظة الحسنة انطلاقا من قول الله تعالى، ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ (النحل:١٢٥).

وفي التعريف بسيرة المصطفى ﷺ باللغات الأجنبية كشف للزيف والافتراء الممنهج الذي يوجه للإسلام ونبيه ودعوة للمسلمين الذين نشأوا في الغرب وللغربيين أن يعرفوا الحقيقة دون تزيد أو نقصان وفي الغرب رغبة في القراءة وحب للمعرفة ربما أثمرا عن تغيير المواقف إن لم يكن اقتناعا بهذا الدين وحق أتباعه في الحياة ففي الانتفاع بما جاء به من قيم الحق والعدل والخير والجمال والعمران وما فيه من توجيهات تفيد البشرية جمعاء.

ومن المهم الاستفادة مما وفرته وسائل التواصل من تيسير عرض الأفكار وسهولة الوصول إلى المتلقي على أن تكون الرسالة واضحة تراعي خلفيات المستقبل الثقافية والدينية والاجتماعية وتبدأ بالأصول التي يتفق عليها أصحاب الفطرة السليمة أيا كان مكانهم وزمانهم.

وأشار البيان إلى إبراز موقف المصطفى ﷺ من القضايا التي تؤرق



الغرب ويتهم الإسلام زورا وبهتانا بالعنف والظلم والوحشية.

٢- اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية الكويتية:

استنكر اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية التصريحات التي تخالف النظم والقوانين والأعراف الدولية بشأن احترام الأديان والمقدسات، وتتنافى مع أبسط أسس التعايش السلمي والتعاون الكريم بين الأمم والأديان والحضارات المختلفة، وهي الرسالة التي جاءت في قلب دعوة النبي ﷺ، إذ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، وقال عزوجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

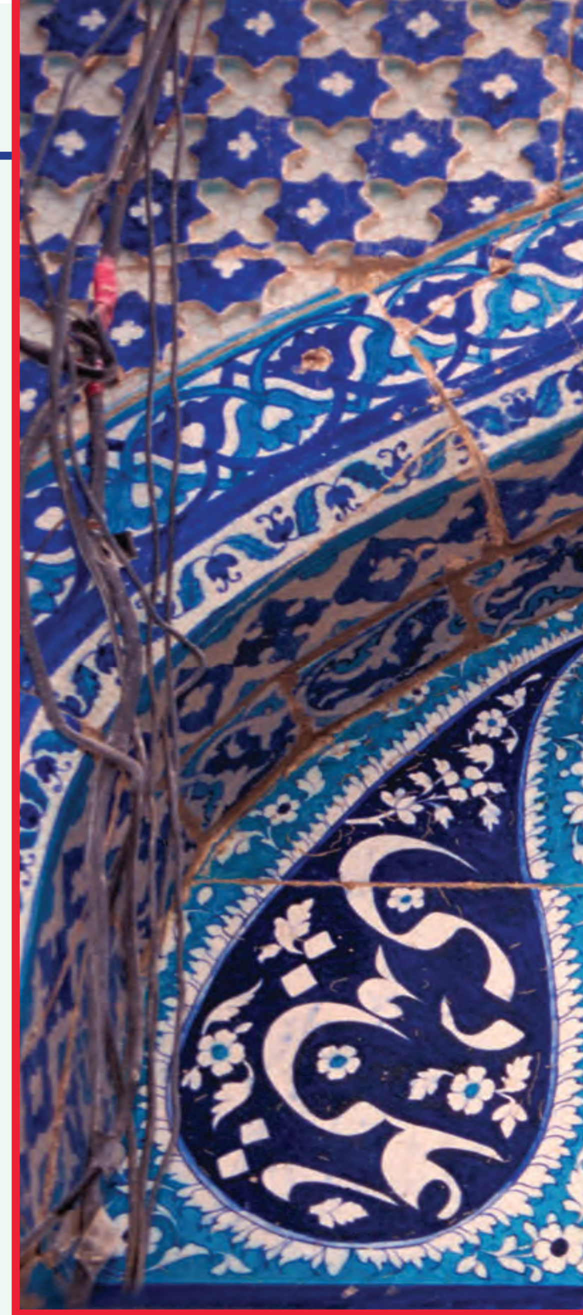
وهذه نقطة جديرة بالعناية في إطار تصحيح المفاهيم المغلوطة إذ إن احترام القانون والأعراف الدولية مما يتشدق به الغرب ويدعو له في كل محفل بل إنه دائما ما يوجه اللوم للعالم الإسلامي ويصفه بانتهاك هذه الأعراف.

ومما يؤسس لعدالة قضيتنا أن الإسلام دائما يدعو لقيم التعايش تجد ذلك مبثوثا في الكتاب والسنة كما تجده في مسيرة الحضارة الإسلامية التي استوعبت غير المسلمين في رحابها وحصلوا على حقوقهم كاملة غير منقوصة، و(يدعو اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية الكويتية جميع الجهات المسؤولة، الرسمية، والشعبية، وبالتعاون بين الجميع، إلى استخدام جميع الوسائل السلمية والإعلامية والدبلوماسية والحقوقية الممكنة للتعبير عن هذا الرفض الرسمي والشعبي لمثل هذه التجاوزات، بما يتسق ومنهجية الكويت الراسخة في العمل السلمي والإغاثي والإنساني والدبلوماسي).

إن التنسيق بين كافة الجهود الرامية إلى دفع الأذى عن الإسلام ونبيه ﷺ هو السبيل الوحيد بعد الإخلاص لكي يظهر للعالم مكانة النبي ﷺ وحاجة البشرية لدينه وتعاليمه

٣- اتحاد عمال البترول وصناعة البتروكيماويات:

وكان للاتحاد موقفه الرافض لهذه



الإساءة وأعلن بيانا جاء فيه إن الاتحاد وجميع النقابات الأعضاء التي تمثل جموع العاملين بالقطاع النفطي يرفض أي مساس بمقام النبي ﷺ تحت الذريعة التي يتشدق بها أعداء الإسلام والمسلمين وهي حرية الرأي ولكنها في حقيقة الأمر دعوة كريهة للتعصب الأعمى والكراهية ضد الإسلام والمسلمين وضد كل القيم الإنسانية والحضارية التي تدعو للتعايش السلمي ولا تندرج أبدا تحت عباءة حرية الرأي والتعبير.

إن الاتهامات الكاذبة للإسلام ونبيه ﷺ لا يمكن قبولها بدعوى حرية التعبير فحرية التعبير تكشف عن الحق وتدعو للخير والمحبة فكل كذب ونشر للكراهية يمثل عدوانا على الحرية والتعبير لا يمكن للعقلاء أن يقبلوه.

٤- جمعية المعلمين الكويتية:

(طالبت الجمعية أهل الميدان التربوي من معلمين ومعلمات، بممارسة دورهم ورسالتهم في التصدي لكل ما من شأنه المساس بديننا الإسلامي الحنيف وبالمنزلة الرفيعة الكريمة لرسولنا الكريم ﷺ ونشر وتعليم سيرته العطرة).

وللمعلمين والمعلمات دورهم في تربية النشء على محبة النبي ﷺ والتخلق بأخلاقه والدفاع عنه.

٥- جمعية أعضاء هيئة التدريس بجامعة الكويت:

رأت الجمعية أن الرسوم الكاريكاتورية متى مست العقيدة ومقدسات المسلمين لا تعتبر حرية تعبير عن الرأي بحال من الأحوال، فللحرية حد تقف عنده وهو ذلك المتمثل بحرية الآخرين. إن حرية التعبير عن الرأي تقف عند حدود حرية العقيدة، وهذا ما قررته كل الأنظمة المعتبرة وهذا ما أكدته المحاكم في دول العالم المتحضر، ومنها المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان في ستراسبورغ والتي تعتبر أحكامها ملزمة لدول الاتحاد الأوروبي وفقا لاتفاقية إنشاء المحكمة.

فللحريات مجال تعمل فيه ولها حد تقف عنده وتجاوزها لهذا لحد يعد عدوانا على الآخرين وتشتد آثار العدوان كلما طالت العقائد.

٦- اتحاد الجمعيات التعاونية:

أكد رئيس اتحاد الجمعيات التعاونية أن المقاطعة الاقتصادية الجماعية وسيلة مشروعة لنا للرد على المعتدين على ديننا ومن يسيء إلينا، مشيرا إلى أنه تمت مخاطبة الجمعيات التعاونية والتنسيق معها عبر تعميم صادر إليها لمقاطعة السلع ورفعها من الأسواق والوقوف صفا واحدا.

وبين أنه تمت الاستجابة الفورية من أكثر من ٥٠ جمعية تعاونية، موضحا أنه تم التواصل مع الاتحاد التعاوني العربي باعتبار اتحاد الجمعيات التعاونية يشغل منصب نائب رئيس الاتحاد لإصدار بيان يندد بما قام به الرئيس الفرنسي ويدعوه للتراجع عن الإساءات المستمرة.

وقد استخدمت أمم كثيرة سلاح المقاطعة للتعبير عن احتجاجها على إجراء ما ينتقص من كرامتها وكان لهذا السلاح جدواه الاقتصادية مما أدى للضغط على الطرف الآخر ودفعه إلى تغيير مواقفه وكان بيان اتحاد الجمعيات التعاونية معليا الولاء لرسول الله ﷺ.

ختاما

١- ليسوا سواء: لا ينبغي أن تنسينا المواقف المتطرفة ضد النبي ﷺ ورسالته بعض المواقف المعتدلة من غير المسلمين تجاه المسلمين وقضاياهم.

٢- على المسلم الذي يعيش في الغرب أن يقدم نموذجا صالحا في الفكر والسلوك يدفع الآخرين إلى الإعجاب به ومن ثم التساؤل ما هو العامل الرئيس المكون لهذه الشخصية الفريدة وهذه دعوة بالقدوة ولها أثرها البالغ والسريع فإن الغربي يميل إلى النظر إلى الأفعال قبل الأقوال كما يميل إلى المقارنة بينهما.

٣- التواصل مع المنصفين من الغرب الذين يحملون صورة صحيحة عن الإسلام وإن لم يدينوا به ودعوتهم إلى الرد على الدعاوى الباطلة التي تثار حول الإسلام فهم أقدر على مخاطبة بني جنسهم.



فهد الشمري
صحفي وباحث

من علامات حب الرسول ﷺ

اقتداء وحب لقاء

ياله من طمع حميد حين نطمع في أن نكون مع رسول الله ﷺ؛ فالحياة الدنيا عرفناها وخبرناها لعب ولهو وزينة وتفاخر وإنما الحياة الحقة لهي الآخرة.. دار الحيوان، حيث خلود نسأل الله أن يكون في الجنة مع صفيه وحبيبه. وحين نتأمل هذه الأقوال الموحية نعرف حقا طريقنا، وحين نعرفه لا نحيد عنه برحمة الله.

فعن أنس رضي الله عنه أن أعرابيا قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: ما أعددت لها؟ قال: حب الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت (متفق عليه، وهذا لفظ مسلم).

وفي رواية لهما: ما أعددت لها من كثير صوم، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب (متفق عليه).

يقول الشيخ الداعية محمد صالح المنجد على موقعه الرسمي: لمحبته ﷺ أهمية عظيمة جدا، وتستطيع يا أخي المسلم أن تتلمس هذه الأهمية في هذا الحديث الصحيح المخرج في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه: «أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: متى الساعة يا رسول الله؟. أعطني خبرا، ما هو الموعد الذي تقوم عنده الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ بأسلوب المعلم المدقق في تعليمه، الذي يريد لفت نظر المتعلم عن غير المهم إلى الأهم، فأجابه عن سؤاله بسؤال مقابل، أراد منه لفت نظره إلى المهم في الموضوع، ليس هذا مهما بالنسبة إلى المسلم أن يعرف موعد قيام الساعة بالضبط، لو كان مهما لأخبر به، فقال ﷺ لهذا الرجل: «ما أعددت لها؟».. الرجل يقول: متى الساعة يا رسول الله؟ فأجاب: «ما أعددت لها؟» (سؤال مقابل) قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة (أي: يا رسول الله، أنا أؤدي الواجبات، نعم، أصلي الصلاة الواجبة، والصيام الواجب، والزكاة الواجبة أؤديها، لكن ليس عندي نوافل كثيرة، ليس عندي صلاة كثيرة نافلة، وقيام ليل كثير، وصدقة نافلة كثيرة، ولا صيام تطوع كثير «ولكني أحب الله ورسوله»)، وهذا الصحابي لا يكذب على رسوله ﷺ إنه يخبر بالحقيقة يقول: «ولكني أحب الله ورسوله». قال: «فأنت مع من أحببت». قال أنس: «ففرحنا يومئذ فرحا شديدا»؛ لأن الرسول ﷺ يقول: أنت مع من أحببت.

ويقول الباحث الداعية محمد شعبان أبو قرن في بحثه المنشور في «صيد الفوائد»: محمد ﷺ.. لولاه لهلكنا ومتنا على الكفر واستحققنا الخلود في النار.. به عرفنا طريق الله، وبه عرفنا مكائد الشيطان، شوقنا إلى الجنة، ما من طيب إلا وأرشدنا إليه، وما من خبيث إلا ونهانا عنه، ومن حقه علينا أن نحبه.

ويعدد الأسباب فيقول: يحشر المرء مع من أحب.. وبهذا الحب تلقى رسول الله ﷺ على الحوض فتشرب الشربة المباركة الهنيئة التي لا ظمأ بعدها أبدا.

وفي قصة ثوبان بن بجدد (أو جحدر)، مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، درس مفيد؛ فثوبان كان قد سبي من أرض الحجاز، فاشتراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعتقه؛ فلزم ثوبان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه، وحفظ عنه كثيرا من العلم.

طال عمر ثوبان، واشتهر ذكره، وكان يكنى أبا عبدالله، (ويقال: أبو عبدالرحمن)، وقد وقع له موقف مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نزلت بسببه آية عظيمة من آيات كتاب الله تعالى، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ (النساء:٦٩).

فقد قال الكلبي: نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه، يعرف في وجهه الحزن، فقال له رسول الله: «يا ثوبان، ما غير لونك؟». فقال: يا رسول الله، ما بي من ضر ولا وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف ألا أراك هناك؛ لأني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وأني وإن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك أحرى ألا أراك أبدا، فأنزل الله تعالى هذه الآية (ا.هـ).

وهذا من شدة حبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعلقه به ورغبته الشديدة في ملازمته في الدنيا والآخرة، فبين الله تعالى أن السبيل لتحقيق هذه الغاية العظمى من صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة هو طاعة الله ورسوله والالتزام بالأوامر والنواهي الواردة منهما، فهذا سبيل صحبة هذه الطبقة الراقية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهم أفضل رفقة يصحبها المرء ويأنس بها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المرء مع من أحب» (متفق عليه).

لكن إذا كانت هذه هي الحالة مع ثوبان ومن عاصر ومن اتبع بإحسان ومن آمن بالغيب، فما هو الحال مع عموم العالمين؟ وكيف يحصل لهم النفع برسالة خاتم المرسلين؟

لقد عاش المعاهدون له صلوات الله وسلامه عليه في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرا

بذلك العهد من المحاربين له حتى المنافقين، فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوراة وغيرها. وأما الأمم النائية عنه، فإن الله عز وجل رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

حتى الجماد أحبه ﷺ فلما فقده الجذع الذي كان يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر حن إليه وصاح كما يصيح الصبي، فنزل إليه فاعتنقه، فجعل يهذي كما يهذي الصبي الذي يسكن عند بكائه، كان الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحن إلى رسول الله ﷺ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

ولأنه لم يرنا مع شدة حبه لنا وخوفه علينا كان يود أن يرانا فيحذرنا بنفسه، لتكون العظة أبلغ وأنجح، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله ﷺ: وددت أني لقيت إخواني. قال: فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أوليس نحن إخوانك؟! قال: بل أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني» (أخرجه أحمد).

وربما لا يعرف بعضنا أن ذوق حلاوة الإيمان له طريق مضمون دلنا عليه الرسول الكريم، ففي باب فضل الحب في الله والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه وماذا يقول له إذا أعلمه، أورد المصنف -رحمه الله- الحديث الأول وهو:

حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار» (الحديث أخرجه مسلم والبخاري).

أي: إن ثلاثا من الأوصاف والخلال إذا تحققت ووجدت واجتمعت في الإنسان فإنه يجد حلاوة الإيمان، والإيمان كما ذكرنا في بعض المناسبات له لذة، وله حلاوة، وله طعم، كما جاء معبرا بذلك عنه في بعض الأحاديث، ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا. وهذه مكافأة يمنحها الله عز وجل لكل من آثر الله ورسوله على هواه.. فيحس أن للإيمان حلاوة تتضاءل معها كل اللذات الأرضية، ولأن من أحب شيئا أكثر من ذكره، فكلما ازداد العبد لرسول الله ﷺ حبا ازداد له ذكرا، ولأحاديثه ترديدا، ولسنته اتباعا، ومع هذا تزداد حلاوة الإيمان.

وكذلك عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده، والناس أجمعين» (أخرجه البخاري).

قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

قال: بصراحة، يا رسول الله، أنا أحبك أكثر من أي شيء إلا من نفسي، أنا أحب نفسي أكثر منك.

فقال ﷺ: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك.. لا يكتمل إيمانك يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنك الآن أحب إلي من نفسي.

فقال: الآن يا عمر.

عمر بن الخطاب في حقيقة الأمر يحب رسول الله ﷺ أكثر من نفسه، لو أن عمر والرسول ﷺ كانا في موقف، بحيث أنه لابد أن يقتل أحدهما لينجو الآخر، فالظن بعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سيقدم نفسه فداء له ﷺ، وهذا ما كان يحصل منه في المعارك، لكن عمر كان في تلك اللحظة غافلا عن هذه المسألة وغير منتبه، أو كان يجهل هذه المسألة، فلما علمه الرسول ﷺ الصواب، بادر فورا إلى الإذعان وإلى تقرير الحقيقة التي رسخت في نفسه، أو أنه قد ذهب عنه ذهوله عن هذه الحقيقة فأظهرها، فقال: أنت يا رسول الله أحب إلي من نفسي.

قال ابن حجر -رحمه الله- معلقا على هذا الحديث: «وفيه فضيلة التفكر؛ لأن الإنسان قد يكون في حقيقة الأمر يحب الله ورسوله أكثر من أي شيء، لكن في الواقع الذي يمارس فيه الأشياء قد يكون يحب أشياء أكثر من الله ورسوله». يقول المنجد: فعندما يفكر هذا الرجل هل أنا أحب الله ورسوله أكثر أم الوظيفة أم الزوجة أم الولد؟

حينما يفكر يصل إلى نتيجة، هذا يدل على أهمية التفكر في هذه القضايا، عندما يواجه الإنسان المسلم أمرا يحبه جدا، فليسأل نفسه هذا السؤال: هل أنا أحب الله ورسوله أكثر أم أحب هذه القضية؟ هذا التفكير يقوده للإيمان بهذه المسألة.

ولنسأل أنفسنا كيف نعرف أننا نحب الرسول ﷺ؟ إن محبة الرسول ﷺ تظهر بجلاء إذا اتبعت المستحب من سنته، أكثر مما تظهر المحبة عندما تتبع الواجب من سنته فقط؛ لأن أكثر الناس قد يتبعون الواجب، لكن القلة هم الذين يتبعون المستحب، ولذلك كثير من الناس عندما تأتي وتناقشه في أمر من الأمور، فتقول له: إن هذا الأمر واجب، فيقول: لا يا أخي ليس واجبا هذا سنة!

والاقتداء به ﷺ عام، سواء كان في الأمور الشاقة أو في الأمور البسيطة، لو فعل رسول الله أمرا شاقا على النفس كالقيام إلى صلاة الفجر مثلا، فيجب علينا أن نقوم لصلاة الفجر ونتوضأ، حتى ولو كان الجو باردا والماء باردا، ينبغي أن نقوم ونسبغ الوضوء على المكاره، ونقوم إلى المساجد لصلاة الفجر، إذا كنا نحب رسول الله ﷺ، كما هو الحال في هذا الجانب، فإن اتباع رخصه ﷺ، والأخذ بالرخص التي ترخص بها ﷺ هو أيضا من الأمور الواجبة، فالذي يقول مثلا: أنا ما أقصر في صلاة السفر، لا آخذ بالرخصة، فنقول له: أنت مخطئ، وأنت على شفا هلكة وعلى ضلالة، إذا نبذت الرخصة، لاعتقادك بأنك أنت لا تفعلها، وإنما هي خاصة بالرسول.

وانظروا إلى هذا الحديث الذي روته عائشة، رضي الله عنها، عند الشيخين: «صنع رسول الله ﷺ شيئا ترخص فيه، فتنزه عنه قوم (قالوا: لا، نحن لسنا كالرسول لا نترخص)، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه (قام يخطب في الناس) ثم قال: ما بال قوم يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية أنا أخشى الناس لله، يقول ﷺ، لو كان هذا الأمر من خشية الله لفعلته، ولو كان واجبا لما تركته، فنقتدي بالرسول ﷺ في جميع الأشياء، سواء كانت عزيمة أو كانت رخصة، سواء كان أمرا شاقا أم صعبا، سهلا أم عسيرا، نقتدي به، لا نفرق، لا نقول: نأخذ بالأصعب، ولا نقول: نأخذ بالأسهل، لا، نأخذ بما فعل الرسول، سواء كان سهلا أو صعبا.

ومن كتاب «الحاوي في تفسير القرآن الكريم» اخترنا هذا المقطع المفيد: أمر ﷺ بالمحبة لله فيما شرعه من الأحكام، فقال: أحبوا الله لما أسدى إليكم من نعمه، وأحبوني لحب الله، فدل ذلك على فرض الحب لله وإن تفاضل المؤمنون في نهايات فضائله، ومن أفضل ما أسدى إلينا من نعمه المعرفة به، فأفضل الحب له ما كان عن المشاهدة، والمحبون لله على مراتب من المحبة؛ بعضها أعلى من بعض، فأشدهم حبا لله أحسنهم تخلقا بأخلاقه مثل العلم والحلم والعفو وحسن الخلق والستر على الخلق، وأعرفهم بمعاني صفاته، وأتركهم منازعة له في معاني الصفات كي لا يشركوه فيها، مثل الكبر والحمد وحب المدح وحب الغنى والعز وطلب الذكر، ثم أشدهم حبا لرسوله إذ كان حبيب الحبيب وأتبعهم لآثاره أشبعهم هديا لشمائله، وقد روي أن رجلا قال: يا رسول الله، إني أحبك. فقال: استعد للفقر. فقال: إني أحب الله. فقال: استعد للبلاء. والفرق بينهما أن البلاء من أخلاق المبلي وهو الله تعالى المبتلي، فلما ذكر محبته أخبره بالبلاء ليصبر على أخلاقه، كما قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ (المدثر:٧) فدل على أحكامه وبلائه، والفقر من أوصاف رسول الله ﷺ، فلما ذكر محبته دله على اتباع أوصافه ليقتفي آثاره.

ومن علامة المحبة كثرة ذكر الحبيب، وهو دليل محبة المولى لعبده وهو من أفضل مننه على خلقه، وفي الخبر أن لله في كل يوم صدقة يمن بها على خلقه، وما تصدق على عبد بصدقة أفضل من أن يلهمه ذكره. وفي حديث سفيان عن مالك بن معول قيل: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: اجتناب المحارم، ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله. وقد أمر النبي ﷺ بكثرة الذكر لله كما أمر بمحبة الله، لأن الذكر مقتضى المحبة، فقال: أكثر من ذكر الله حتى يقول الناس إنك مجنون. وقد روينا: أكثروا من ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون. وفي حديث أبي سلمة المدني عن أبيه عن جده: أتانا رسول الله ﷺ ذات يوم إلى مسجد قباء، فذكر حديثا فيه طول قال في آخر: من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله. وقد أخبر أن الذاكرين هم السابقون المفردون، ورفعهم إلى مقام النبوة في وضع الوزر، ورفع الذكر إن كان الذكر موجب الحب في قوله: سيروا سبق المفردون، قيل: من المفردون؟ قال: المستهترون بذكر الله، وضع الذكر عنهم أوزارهم يردون القيامة خفافا، ومن أعلام المحبة: حب لقاء الحبيب على العيان.



د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة

حرية التعبير بين الحقيقة والأهواء

إن التعامل بين الناس لابد أن يقوم على الاحترام المتبادل، بلا مساس بالأديان والمقدسات وجعلها مادة للسخرية والاستهزاء، والإسلام يقرر هذه الحقائق ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون:٦)، والمجتمعات من قديم تتعدد فيها الأعراق والأديان واللغات، فلابد إذن من تقبل الآخر لنستطيع العيش في سلام.

والنصرانية قامت على الأخلاق الحميدة والعفو والتسامح والاحترام، وجعلتها أسسا للتعامل بين الناس، وسلوكيات محمودة للتعايش مع الآخرين.

وأقل درجات الاحترام بين الناس تتمثل في البعد عن ألفاظ الإهانة والتجريح، والبعد عن اللفظة القاسية، والمعاملة التي تخدش الشعور. قال السيد المسيح عن احترام الآخرين: «ومن قال يا أحمق يكون مستحقا لنار جهنم» (متى ٢٢ :٥).

وأخلاق المسيح تأبى الإساءة قولا وفعلا، وتترفع عن الإيذاء، وهي تقوم على التسامح والعفو «وأما أنا فأقول لكم، لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا» (متى ٣٩ :٥).

ويقول: «وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (متى ٤٤ :٥).

ويقول: «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السماوات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم» (متى١١-٥:١٢).

وفي سفر يشوع بن سيراخ (٢٧:٣١): «الاستهزاء والتعيير شأن المتكبرين والانتقام يكمن لهم مثل الأسد».

فهذه آيات كثيرة وغيرها في الكتاب المقدس تنهى عن الإساءة والإهانة والتعيير والاستهزاء، فكيف يخرج علينا الغرب بهذه الأخلاق الفجة المشينة؟

أهذه هي أخلاق المسيح التي تتفق مع أخلاق رسالات السماء؟!

لقد استندت إلى هذه النصوص ليس من قلة النصوص الإسلامية في هذا الجانب، ولكن لنعلم أن السلوكيات الفجة في أوروبا التي ينبع منها الإساءة والاستهزاء والعنصرية، لا تنتمي للإنجيل، بل للأهواء التي لا تقيم وزنا للدين والرموز المقدسة، في الوقت الذي يدعمون فيه الخروج على الدين والانحلال منه باسم الحرية.

والسؤال الآن: لماذا هذه الدعوات التي تؤجج روح الكراهية؟ وتحرض على إيقاظ الفتن وإثارة الأحقاد في نفوس الناس؟

أليست المبادئ التي قامت عليها دعوات الحرية في العصر الحديث هي: الحرية والمساواة والإخاء؟

ولايزالون يتشدقون بها ويزعمون أنها مبادئ لاتزال تنبض بالحيوية، وتسير على ضوئها سياساتهم في الداخل والخارج.

رب ضارة نافعة

إن حملات الإساءة والتشويه التي تظهر بين الحين والحين تدفع الشعوب الغربية إلى البحث لمعرفة الحقيقة عن النبي ﷺ ورسالة الإسلام، وتكثر المتابعة، والقراءة، والبرامج الثقافية، والاحتكاك الثقافي والمعرفي للنخبة في محاولات منهم لإرواء غليل جهلهم بالنبي ﷺ ورسالته.

ومن ناحية أخرى أثارت عواطف المحبة للرسول ﷺ وأظهرتها، ووحدت مشاعر الأمة، وأيقظتها من سباتها العميق، وكشفت عن أن رصيد محبته ﷺ لا يخبو ولا يقل، بل يزداد برغم طول الأمد من بعثته ﷺ.

دوافع مرضية

أكدت دراسة علمية أعدها استشاري الطب النفسي د. رامز طه أن أسباب الإساءة للرسول ﷺ عن طريق الرسوم الكاريكاتورية -طبقا لمعطيات علم النفس السلوكي الحديث- تحت غطاء أكذوبة حرية التعبير، ما هي إلا ظاهرة مرضية، فرسوم هؤلاء الرسامين تظهر ضعف مستواها الفني وركاكتها، وأنهم أسقطوا من خلالها انفعالات مريضة وأفكارا مشوهة، تصنف ضمن الاضطرابات النفسية.

وقال د. رامز طه: أدهشني ما توصلت إليه من نتائج بوجود دلالات لنزعات عدوانية وتعصب، وإسقاطات جنسية تصل إلى حد الهوس الجنسي، ودلالات أخرى تشير إلى الاغتراب، وأخطاء في التفكير والاعتقاد، كالمبالغة والتعميم والتصلب والجمود.

ويعتبر دراسته ردا مناسبا بمنهج ولغة الغرب، حيث إن الاحتجاج والغضب لا يكفي لمخاطبة العقل الغربي، بل لابد من أبحاث ودراسات وفق منهج علمي

متطور يصف الداء والدواء.

وأوضح أن الكاريكاتور يعتبر أحد أنواع الرسم الحديث الذي يعتمد على التحريف والمبالغة المقصودة للتعبير عن الأفكار والمفاهيم، والدوافع والصراعات اللاشعورية، وهذه المبالغة هي التي تؤثر في المشاهد وتحرك خياله، وتعطي للفكرة قوة تأثير عالية، وتبرز المعاني وتغرسها في ذهن الفرد.

فعلى سبيل المثال: أظهرت كثير من هذه الرسوم المبالغة في حجم الرأس، وتأكيد ملامح الوجه بصورة قبيحة، ويعتبر هذا دلالة على اهتمام الرسام بالمظاهر الخارجية، ويعتبر أيضا انعكاسا لعدوان مكبوت يصاحبه اعتراف لاشعوري بقوة الشخص المرسوم ومكانته، وظهر في رسوم أخرى عدم وجود الفم مطلقا مع بقاء ملامح الوجه الأخرى ويعتبر ذلك من دلالات اللاشعورية على ميل الرسام لرفض الاستماع للآخر، هروبا، أو لقوة الحجة، للاستمرار في إنكار الحقيقة التي جاء بها الرسول ﷺ.

وقال: إن هذه الرسوم تشير إلى انتقال الغرب من مرحلة الإسلاموفوبيا إلى الإسلاموكوست والتي تعني: كي وحرق مشاعر المسلمين، على الرغم من أنه لم يصدر من المسلمين ما يشوه أو يسخر من أي عقيدة، وأنه تقع على المسلمين مسؤولية توصيل معلومات موضوعية تساعد على تصحيح صورة الإسلام الناتجة عن نقص المعلومات عنه.

إن تكرار حملات الإساءة والتشويه وإظهار مشاعر العداء تعني الشعور بالدونية مع استشعار عظمة الإسلام الذي ينتشر هناك بسبب اختلاط المسلمين بغيرهم، مما أثار مشاعر الخوف من ازدياد انتشاره وتأثيره.

خطاب إلى الغرب

لقد أنصف الإسلام غير المسلمين وفرق بين الظالم منهم والمسالم ولم يضعهم كلهم في سلة واحدة وأكد القرآن الكريم الدعوة إلى التعايش الآمن والسلم الاجتماعي بين المسلمين وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:٧٥).

وقال سبحانه: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)﴾ (آل عمران:١١٣-١١٥).

وأخرس ألسنة اليهود عندما قذفوا السيدة العذراء البتول مريم عليها السلام، ودافع عنها وعن المسيح، قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ (النساء:١٥٦).

وجعل الإيمان بعيسى عليه السلام وجميع أنبياء الله ورسله ركنا من أركان الإيمان مع حسن الاعتقاد فيه وفي مريم عليهما السلام، فقال ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» (متفق عليه).

والجهاد في سبيل الله لم يكن لمحو العقائد أو هدم الكنائس والمعابد، بل للحفاظ عليها وتأمين المستضعفين قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٤٠).

لقد دافع النبي ﷺ عن المسيح وأمه، وسائر الأنبياء، وعاشت الدنيا كلها في ظلال الإسلام حياة التسامح وتقبل الآخر في وجوده داخل المجتمع المسلم أو حوله طالما كانوا مستأمنين وليسوا محاربين، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨).

لقد فعل النبي ﷺ كل هذا وغيره في مقابل ماذا؟ لم يكن ذلك لنيل غرض دنيوي أو مغنم عسكري، أو تنشيط حركة التجارة والاقتصاد، أو ليستميل قلوبهم إلى الإسلام، بل لأن هذه هي حقيقة أخلاق رسالة الإسلام، وهذه هي أخلاق النبوة: نقاء وطهر وشفافية وعفاف ورحمة وعدالة وعفو وتسامح، واحترام للآخر، وعدم مساس بكرامته، كان يجب على الغرب أن يذعن ويقر بالفضل للحضارة الإسلامية بالأندلس والتي كانت جسرا للغرب وصلوا من خلاله إلى ما حققوه من حضارة في العصر الحديث، فالغرب لم يولد متحضرا، بل تعلم وتحضر من خلال حضارة الإسلام التي أرسى قواعدها محمد رسول الله ﷺ الذي بعث للناس كافة.



علاء عبدالفتاح

مواقف أخرى لمعلم البشرية ﷺ



العبر والدروس المستفادة من سيرة خير البشر ومعلم البشرية لا تنتهي، والمعين المبارك لا ينضب، ومن المؤسف اعتبار سيرة رسول الله ﷺ مجرد رواية للناس يستأنسون بها، بينما هي في الأساس علم كامل بأبوابه وفصوله كما تقول د. ليلى حمدان في بحث قيم لها على موقع تبيان.

فالسيرة «علم دقيق، علم في روايته وإسناده وضبطه، علم في مدلوله وفقهياته ودلالته على علوم الإسلام من عقائد وغيرها».

وقد قدم النبي ﷺ أمثلة شاملة لجوانب الكمال البشري.. في تعامله مع زوجاته ومع أبنائه وبناته ومع أحفاده وأقاربه، ومع الجيران والضيوف والمستضيفين، ومع خواص أصحابه، ومع شرائح اجتماعية مخصوصة، كالمسلمين الجدد، والمستفتين، والأعراب، والعصاة المذنبين والمنافقين والشرائح العامة في المجتمع. ومنها تعامله مع عموم النساء وكبار السن والصغار وذوي العاهات وذوي الهيئات والنابغين والأغنياء وأصحاب البلاء والفقراء والمتخاصمين والأعداء بل وغير البشر، كالجن والدواب.

تضيف د. ليلى حمدان: وأهم ما يقتدى به من سيرة رسول الله ﷺ القوة في طاعة الله تعالى وعبادته، ثم كثرة ذكره لله وشدة تضرعه ودعائه له سبحانه مع هذه القوة في العبادة.

فهو رسول الله ﷺ الذي جمع بين خشوعه وبكائه عند ذكر الله من جهة، وبين قوة العمل لله من جهة أخرى.

وكان رسول الله ﷺ رجلا يدرك شؤون المجتمع وشؤون النفس البشرية إدراكا حكيما، يزدان بكفاءة إدارية وسياسية وعسكرية واجتماعية، صاحبا لأصحابه، زوجا لأزواجه، أبا لأبنائه، جدا لأحفاده، رحيما بالضعفاء، عادلا مع الرعية، قائدا معلما لجيوشه ومتبعا للشرع مع القريب والبعيد، مبصرا لمكامن الخطر ومفاصل القوة في الفرد كما في نسيج المجتمع.

إنه رسول الله ﷺ قد كساه جمال الرجال، واكتمل وسامة ومروءة، تتفجر العظمة من ثنايا مظهره، وهو مع ذلك إذا التفت إلى أحد، لم يلتف إليه بطرف عينه أو بزاوية بسيطة، بل يقبل عليه ويلتفت إليه جميعا، مما يؤثر في نفسية المتلقي؛ فتنفرج أساريره ويأمن ويسكن له.

وتلفت د. ليلى حمدان إلى أن الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، زرع بذلك أول درس في الاحترام والاهتمام بمن يحاوره، ثم أردف روعة الإقبال روعة أخرى في فن الحوار، حيث لم يقاطع رسول الله ﷺ أحدا يتحدث معه، بل ينصت للمتحدث باهتمام حتى ينتهي من حديثه، ليجيبه بعد ذلك بأجوبة مستوعبة له من دون أن يطيل الكلام.

آثار الهمة

وانعكست آثار همته ﷺ على سكونه وحركته، فكان إذا سار كأنه منحدر من صبب، دلالة على نشاط حامل الهم والمسؤولية، الذي يمشي لهدف واضح، ومشية الرجل لها بصمة خاصة بشخصيته، وكان سيد الخلق ﷺ يمشي مشية الوقور المهاب تبعث في صدر الناظر التقدير والاحترام، كما أنها مشية رياضية تبعث في الجسد النشاط والحركة له ولناظره.

ورسول الله ﷺ جمع بين الهيبة والبشاشة، متبسم الوجه يحبه من يلقاه، يظهر جليا اهتمامه بمظهره وشعره وعطره ولباسه فلقن الأمة دروسا في صفة ظهور المسلم وتهذيبه، بالمواقف العملية البصيرة.

وقد باع رسول الله ﷺ واشترى وآجر واستأجر وشارك غيره فكان قدوة يقتدى به في معاملات المال والتجارة وشهدت له بذلك أمنا خديجة، رضي الله عنها، ومن تعامل معه من قبل أن يبعث نبيا حتى لقب بـ«الأمين»، ويروى أنه قدم عليه شريكه قال: أما تعرفني؟ قال: أما كنت شريكي؟ فنعم الشريك كنت لا تداري ولا تماري.

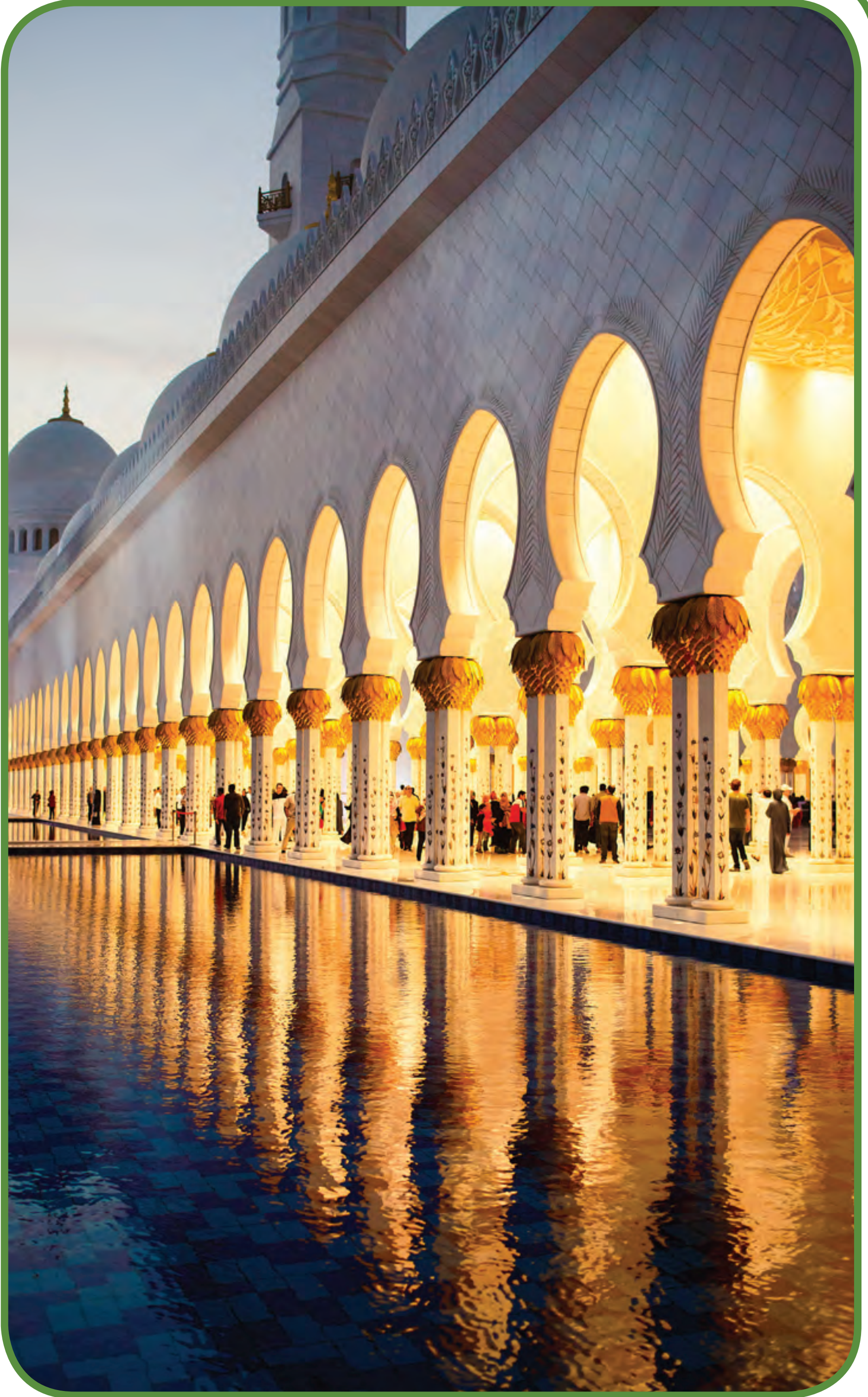
وهو يعود المريض ويشهد الجنازة ويجيب الدعوة ويمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف في حوائجهم، وسمع مديح الشعر وأثاب عليه.

وهو حليم رحيم بالصغير والكبير، تبصر في سيرته الفقه العظيم في التعامل مع المخطئ والمقصر والمسيء. وتأمل قول أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أفا قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟

معاملات رفيعة

وترك ﷺ مع أم أيمن وزيد بن حارثة وأسامة بن زيد، رضي الله عنهم، معاملات رفيعة المرتبة ودروسا من الفهم اللبيب وحسن الاستيعاب والحكمة.

لقد قدم لنا رسول الله ﷺ نماذج



ضرورية جدا في فن التعامل مع الناس على اختلاف مراتبهم الدنيوية، وحاجاتهم وظروفهم، فكان كل درس عظيما يشعرنا بدرجة الضياع التي وصلنا لها.

ومواقف إحسانه واستيعابه للخدم ولأهله لا تزال منارات مشرقة في عظمة مكانته ﷺ.

فقائد معركة بدر الكبرى يستمع لقصة أم زرع ليؤنس زوجته رضي الله عنها.

وقائد فتح مكة تزوره صديقة خديجة وهو عند عائشة رضي الله عنهما، فتقول: أنا جثامة المزنية، فقال: بل أنت حسانة المزنية كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ فقالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال! فقال ﷺ: «يا عائشة، إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان».

أقام دولة للإسلام امتد نورها إلى اليوم، ولم يكن يجد مشكلة في أن يعترف بحبه لزوجته، فقال عن خديجة: «إني قد رزقت حبها». وتوفي ﷺ ورأسه على صدر زوجته عائشة، رضي الله عنها.

هو النبي العظيم الذي لم تشغله هموم الدولة والغزو والجهاد وتجهيز الجيوش ونشر الدعوة في العالم وإرسال الرسائل إلى كسرى وقيصر ومتابعة الأمور العظيمة، لم يشغله ذلك عن مراعاة مشاعر زوجاته واستيعاب غيرتهن وحاجاتهن، فقدم دروسا من فن التعامل مع الزوجات في كل مواقف الأزواج في الشدة والرخاء.

ونشاهد مراعاته ﷺ الأحوال النفسية والطباع الشخصية، من دون أن يكون في هذه المراعاة أثر سلبي في إحقاق الحق.. كما في قصة عائشة، رضي الله عنها، حين غارت فكسرت قصعة الطعام التي أرسلتها إحدى أمهات المؤمنين فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: «غارت أمكم»... ونلاحظ كيف كان رد رسول الله ﷺ المشع بالحكمة: «غارت أمكم»، عندما أخذت طبق الثمر الذي أرسلته له الأخرى وهو في بيت عائشة، فألقت بالطبق فانكسر.. فضحك رسول الله ﷺ لغيرتها. ولكنه في الوقت

نفسه أمرها بأن تأتي بطبق آخر وتجمع الثمر فتغسله فيأكله ثم يأمر أن تعطي طبقها للأخرى بدلا من الذي كسرته.. ويحدد رسول الله ﷺ بذلك منهجا عاما في التعامل مع النساء والتعامل مع النفسيات من دون إضرار بميزان الحق.

نجاح مدو

ويرى الباحث السنوسي محمد السنوسي في بحثه عبر موقع إسلام أون لاين أن النبي ﷺ «هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي»، فعهدنا برجال التاريخ إما أن يكونوا من ذوي الإسهام في جانب الروح زهدا وورعا وتقوى، وإما في جانب المادة توسعا وملكا.. وقلما نجد من يجمع بين الأمرين، ولو بالحدود الدنيا. أما النبي ﷺ فكان مثالا في الأمرين؛ لأن حياته تجسيد لرسالته، ورسالته جامعة بين الأمرين معا: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

كما أن أثر محمد عليه الصلاة والسلام «لا يزال قويا متجددا» وهذا ملحوظ لا شك فيه، مهما عرا المسلمين من وهن وضعف؛ فما دام كتابهم محفوظا، فإن جذوتهم ستظل متقدة، وقوتهم ستظل قابلة للانبعاث، رغم ما يتراكم عليهم من المحن، وما تأخذ الشدائد من قوتهم. إن هذا التجدد مرتبط بما تختص به رسالة محمد ﷺ من أنها الرسالة الخاتمة، فلا رسالة بعدها؛ ولهذا كانت أمته صاحبة تلك الرسالة قادرة على التجدد على الدوام، وعلى العطاء باستمرار. والتاريخ خير شاهد؛ فقد مرت على المسلمين محن وأزمات كانت كفيلة باستئصال غيرهم، مثل محن التتار والصليبيين؛ لكن الله سلم وأمدهم بمدده، وحفظهم حتى استعادوا عافيتهم، وقهروا عدوهم، بل حتى دخل بعض هؤلاء الأعداء في «الدين» الذي غلبوا أهله من قبل!

تغيير البيئة للأفضل

كما أنه ﷺ نشأ في بيئة ليس لها سابق عهد بالحضارة والمدنية، بخلاف من أثروا في تاريخ الإنسانية، الذين «ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية، ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا».

أما النبي ﷺ فقد نشأ «في مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم، بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن. وقد نشأ في ظروف متواضعة، وكان لا يقرأ ولا يكتب».

نعم، إن رسالة النبي ﷺ لم تكن نتيجة تراكمات حضارية للواقع الذي نبتت فيه، حتى لا يزعم زاعم أن صاحب الرسالة قد ورث الأمر عن أجداده، أو تعلم في رحاب حضارة سابقة. فكان اختيار الله تعالى لهذه البقعة من الأرض، فيه حكمة قاطعة بأن تلك الرسالة العظيمة المعجزة ليست إلا وحيا يوحى، وبلاغا من الله إلى عباده: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩﴾ (العنكبوت: ٤٨-٤٩).

وهو ﷺ استطاع أن يوحد العرب وكانوا من قبل قبائل متفرقة متناحرة، لم تجمعهم رابطة، ولم ينتظمهم ملك؛ وما عرفوا الوحدة إلا في ظل الإسلام، وما نعموا بالأخوة إلا بفضله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ (آل عمران:١٠٣).

فالنبي ﷺ (كما يرصد هارت) «استطاع، ولأول مرة في التاريخ، أن يوحد بينهم، وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعا بالدعوة إلى الإله الواحد. ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية؛ فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالي شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين، وإلى الشمال الغربي واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية. وكان العرب أقل بكثير جدا من كل هذه الدول التي غزوها وانتصروا عليها».

والحديث السابق يضع أيدينا على عوامل قوة كامنة في رسالة الإسلام، وعلى ما ينبغي أن تكون عليه حياة المسلمين؛ حتى يحرزوا من التأثير مثل ما أحرز نبيهم ﷺ.. وهم جديرون بهذا ما تمسكوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم.



حسن عباس
كاتب صحفي

رسول الله .. القدوة الحسنة

إذا ما رغبنا في التحدث عن صفاته وكيف امتلأت قلوبنا بمحبته، لنفدت الصحف وجفّت الأقلام في الحديث عن سيد الأنام ﷺ.

ومَن منّا لا يقرأ سيرته إلا وامتلأ بحبه، واتّبع نهجه، وسار على خطاه.. فلو كانت الدنيا كلها أظلمت، وكان ثمة نور واحد يضيء الأرض؛ لكان رسول الله.

ومن هنا يتحقق مبدأ الإيثار في الحب، فيكون حب رسول الله في قلوبنا يفوق كل ما سواه، حتى إنه يفوق حب الإنسان لأقاربه وماله ونفسه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمنُ أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[1]، ولا يكون المؤمن مؤمنا كاملًا حتى يقدم محبة الرسول ﷺ على محبة جميع الخلق، وهذا بالطبع سوف يحمل صاحبه إلى اتباع الرسول والعمل بسنته في القول والفعل والامتثال لأوامر الله عزوجل.

ثناء الله على رسوله ﷺ

الله عزوجل حين وصف نبيه ﷺ كان وصفًا يليقُ بمقامه، حتى إنك إذا تمعّنت قول الله عزوجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، رقّ قلبُك ودمعت عينك وأضاء صدرك بحبه ﷺ.. فلم ينل أحد في الدنيا هذه المكانة من الكمال البشري غيره، فكان خير قدوة في الأخلاق.. وزكّى الله تعالى دعوة نبيه ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى:٥٢)، فإذا كانت القُدوة في القرآن محصورة في الأنبياء والصالحين، فقد جمع رسول الله ﷺ فضائل السابقين واللاحقين، وجمعت رسالته ما تفرق في الشرائع السماوية السابقة.

وفي موضع آخر يرشد الله عزوجل الباحثين عن الحق إلى طريق القدوة الحسنة، فيقول سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)، فإذا كان قدوتنا بهذه المكانة والمنزلة، كان حري بنا السير على خطاه، وتعظيمه في نفوسنا، ونصرته من خلال إحياء سنّته.

فإذا كان نبينا على خُلق عظيم كان الاتباع والاقتداء به سليما وموزونا، لا غلو فيه ولا تفريط، فترى إشارة الله عزوجل إلى رفعة ومحبة رسوله تتمثل في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (التوبة:٢٤)، وهذا يدل على الأمر الرباني بحب رسول الله واتباع سنته.

كيفية الاقتداء بالنبي

طاعة الرسول ﷺ

إن من واجبنا الاقتداء بالنبي ﷺ وسيرته؛ وجعلها المثل الأعلى للإنسان الكامل في جميع جوانب الحياة، واتباعه دليل على محبة العبد لربه، وربط الله تعالى اتباع نبيه وطاعته بنيْل محبة الله، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١)، فسيرة الرسول ﷺ كانت سيرة حية أمام أصحابه في حياته وأمام أتباعه بعد وفاته، وكانت نموذجاً بشرياً متكاملاً في جميع المراحل وفي جميع جوانب الحياة العملية، ونموذجاً عملياً من خلال أقوله وأفعاله. والاقتداء يكون بالاتباع والامتثال للسنة الشريفة، والاهتداء بهديه ﷺ. فقد قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف:١٥٨).

الاقتداء به في أخلاقه

فقد كان نبينا ﷺ أحسن الناس خلقًا وتواضعًا كما وصفه الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، ومن صور أخلاقه ﷺ:

- الصادق الأمين.. فكان صادقًا فلم يعرف الكذب في حياته جاداً أو مازحا، فقد أخبرنا أن المؤمن قد يعصي، لكنه لا يكذب أبداً، فقال ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[2].

- صبره.. كان النبي ﷺ أصبر الناس على الأذى، وكان حظه من البلاء هو النصيب الأوفر، فقد قضى ثلاثاً وعشرين سنة، يدعو إلى عبادة الله وحده دون كلل أو ضجر، رغم أن الكفار كانوا يجدون في دعوته تسفيها لعقولهم وتقويضاً لسلطانهم

ونفوذهم، فيحاولون إعاقة انتشارها، وما كان رسول الله إلا أن استمر في دعوته وصبر رغم أنه أوذي وتعرض لأنواع التعذيب والمخاطرة، فكانوا كلما أمعنوا في إيذائهم له، احتمله في ثبات وجلد وصبر، حتى أقبل المشركون على دين الله أفواجاً يحملون شعاره، ويفدونه بأغلى ما يفتدى به عزيز. فكان الصبر حليفه، الدائم، كلما بلغ به الضيق مبلغه تذكّر قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ (ق:٣٩)، حتى ضرب لنا مثلا في الصبر على الأذى وقوة التحمل والجلد.

- تواضعه.. كان رسول الله ﷺ جم التواضُع، لا يعتريه كبر ولا بطر على علوِّ منزلته ورِفعة قدره، فكان يخفض جناحه للمؤمنين ويجلس بينهم كواحد منهم، ولا يُعرف مجلسه مِن مجلس أصحابه؛ يجلس بين ظهرانيهم فيجيء الغريب فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله يجلس بين ظهري أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله أن نجعل له مجلسًا يعرفه الغريب إذا أتاه»[٣]، ومن أبرز مظاهر تواضعه ﷺ ما نجده في تعامله مع الضعاف من الناس وأصحاب الحاجات؛ فلم يكن يرى عيبًا في نفسه أن يمشي مع العبد، والمسكين، والضعيف، والمحتاج يواسيهم ويساعدهم في قضاء حوائجهم.

- كرمه.. فلم يكن كرم النبي ﷺ لكسب محمَدة أو للمباهاة واجتلاب المادحين، بل كان في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فهو يعطي أحوج ما يكون إلى ما يعطيه، ويبذل الكثير وهو محتاج إلى القليل، وكان ينفق في سبيل الله ما استطاع أن ينفق، وكان يعطي العطاء الجزيل، فلا يستكثر ما أعطى، وما سُئل عن شيء قط إلا وأعطاه، حتى إنه كان يستحي أن يرد سائله خالي اليدين.

- رحيم بالخلق.. فكان ﷺ أرحم الناس بالناس وأرأفهم بهم، حتى إن رحمته تعدت إلى الجماد والحيوان، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حُمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمرةُ فجعلت تفرِش، فجاء النَّبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردُّوا ولدها إليها»[٤].

وكان ﷺ رحيمًا ليِّنا بالأطفال، فانظر إلى رحمته وهو يواسي طفلاً لموت عصفوره الصغير، فيقول أنس بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يدخل علينا ولي أخ صغير يُكنى أبا عُمير، وكان له عصفور يلعب به فمات، فدخل عليه النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينًا، فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نغره -أي عصفوره الصغير- فراح النبي ﷺ يهوِّن عليه حزنه ويقول: يا أبا عمير ما فعل النغير؟!.

الاقتداء بالنبي ﷺ في عبادته

عندما نتأمل في سيرة النبي ﷺ نرى من خلالها أنه ضرب لأمته مثلاً

أعلى في العبادة والاتباع لأمر الله عزوجل، فكان المثل الأعلى، والقدوة الصالحة، التي ينبغي على كل مسلم الاقتداء بها، ومن صور عبادته:

- ذكره لله.. كان النبي ﷺ أكثر الناس ذكرًا لربه جل وعلا، تنام عينه ولا ينام قلبه، وكان يحث على هذا فيقول: «سبق المُفرِّدون». قَالُوا: وما المفردون يارسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»(٥).

- قيامه بالليل.. فكان قدوة في عبادة الله، يقوم من الليل يتعبَد لله حتى تتورّم قدماه، فتقول له عائشة رضي الله عنها: لم تصنع هذا وأنت رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول ﷺ: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».

- شجاعته.. فالسيرة النبوية مليئة بالمواقف والأحداث التي تدل على قوته وشجاعته التي تجلَّت في أروع صورها، فكان مدافعًا عن الحق وناصرًا للمظلوم، فكان يتصدر المواقف والمصاعب بقلب ثابت وإيمان راسخ عند الشدائد والنوازل، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة، فخرجوا نحو الصوت، فأراد الناس أن يعرفوا سبب الصوت، وبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم النبي ﷺ على فرس، رافعاً سيفه قائلاً لهم: «لم تراعوا لم تراعوا»، أي: لا تخافوا ولا تفزعوا.
لقد كانت مواقف النبي ﷺ مضرب المثل، فشجاعته لم تكن في غير محلها، فهو شجاع في موطن الشجاعة، قوي في موطن القوة، رفيق في موطن الرفق.

في حقيقة الأمر إن حب نبينا ﷺ يُولد مع كل نفس بشرية سوية تستطيع التمييز بين الخير والشر، والتفرقة بين الحق والباطل، فكل من عرف رسول الله وجد حبه نابعًا في قلبه بشكل تلقائي لا إرادي، والأمثلة على ذلك كثير حتى على ألسنة المستشرقين الذين درسوا سيرة نبينا الكريم، وإذا ذكرنا المستشرقين فلابد وأن نشير إلى المؤلف مايكل هارت الذي قد قام بتأليف كتاب «الخالدون المئة» والذي تناول أعظم مئة شخصية كان لها تأثير إيجابي على البشرية عبر التاريخ، وقد جاء خاتم الأنبياء والمرسلين على رأس تلك القائمة، وذكر مايكل هارت أن «محمدا كان الرجل الوحيد فى التاريخ الذى نجح بشكل أسمى وأبرز فى كلا المستويين؛ الدينى والدنيوى... إن هذا الاتحاد الفريد الذى لا نظير له للتأثير الدينى والدنيوى معًا يخوله أن يعتبر أعظم شخصية أثرت فى تاريخ البشرية».
ويقول أيضًا العلامة الفرنسي ساديو لويس: «لم يكن محمد نبي العرب بالرجل البشير للعرب فحسب، بل للعالم لو أنصفه الناس، لأنه لم يأت بدين خاص بالعرب، وأن تعاليمه الجديرة بالتقدير والإعجاب، تدل على أنه عظيم في دينه، عظيم في صفاته، عظيم في أخلاقه، وما أحوجنا إلى رجال للعالم أمثال محمد نبي المسلمين».

نظرة المستشرقين نحو خاتم النبيين

أما المستشرق الكندي الدكتور زويمر فيقول في كتابه «الشرق وعاداته»: «إن محمداً كان ولاشك من أعظم القواد المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضا بأنه كان مصلحا قديرا، وبليغا فصيحا، وجريئا مغوارا ومفكرا عظيما، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء».
وقال الكاتب الإنجليزي برنارد شو في كتابه «محمد»: «إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائما موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع الديانات، خالدا خلود الأبد، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق في حل مشكلاتنا، بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها».

وهناك الكثير من الآراء والأقوال التي شهدت بفضل رسول الله ﷺ على البشرية وسيادته على العالم بأخلاقه وهديه، وقد تجمعت فيه أسمى مكارم الأخلاق، وكل الصفات الحميدة، فتعلق الناس به، وتركوا في حبه كل ما كان يربطهم بحياة الجاهلية الأولى، فصدق الله عزوجل حين قال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

الهوامش

١- صحيح البخاري، كتاب الإيمان (١٥).
٢- أخرجه البخاري، كتاب الأدب (٥/ ٢٢٦١)، رقم (٥٧٤٣).
٣- سنن أبي داود (٤٦٩٨).
٤- رواه أبو داود (٢٦٧٥).
٥- أخرجه البخاري (١٧٢٨)، وابن ماجه (٣٠٤٣).

د. رياض العيسى



الشيخ نور الدين عتر في ذمة الله

في يوم الأربعاء السادس من شهر صفر سنة: (١٤٤٢هـ)، الموافق: (٢٣) من شهر سبتمبر سنة: (٢٠٢٠م) ترجل فارس من فرسان علماء الأمة الإسلامية، ومحدث من محدثي الديار الشامية، وهو الشيخ المحدث المحقق نور الدين عتر رحمه الله تعالى، والذي رحل في وقت هز فيه العالم الإسلامي.

اسمه ونسبه

وهو الشيخ نور الدين بن محمد بن حسن عتر، حسني الأب وحسيني الأم. حلبي المولد والنشأة، مصري التحصيل العلمي والدراسة، دمشقي المقام والسكنى.

نشأته وتعلمه

تعلم في الثانوية الشرعية في مدينة حلب الشهيرة بالخسروية، وتخرج فيها سنة: (١٩٥٤م)، ثم سافر إلى جامعة الأزهر طالبا للعلم عندما بلغ السابعة عشرة، وبرز فيها متميزا بالجد والإخلاص في الطلب، والتفوق بالمرتبة الأولى على دفعته، وتخرج فيها سنة: (١٩٥٨م).

ثم حصل على الشهادة العالمية الدكتوراه من شعبة التفسير والحديث بجامعة الأزهر سنة: (١٩٦٤م)، بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، وكانت أطروحته بعنوان: (الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه والصحيحين)، والتي تعد نموذجا في الدراسة والمنهج، بل إن الكثير من الباحثين في مناهج الحديث ساروا على طريقته في التبويب ودراسة الأسانيد ومناهج المحدثين.

أبرز شيوخه

وكان نور الدين رحمه الله موضع تقدير واهتمام أساتذته لما رأوا فيه من النجابة والهمة والتقوى، ومنهم:

الشيخ مصطفى مجاهد (ت:١٣٨٩هـ)، والشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد (ت:١٣٩٢هـ) والشيخ محمد المكي الكتاني (ت:١٣٩٣هـ) والشيخ محمد أبو شهبة (١٤٠٣هـ)، والشيخ محمد محمد السماحي (ت:١٤٠٤هـ) والمحدث حبيب الرحمن الأعظمي (ت:١٤١٢هـ) والشيخ عبدالله سراج الدين (ت:١٤٢٢هـ)، رحمهم الله تعالى، وقد اعترف شيوخه بتفوقه ونبوغه منذ شبابه في حلب، إلى أن تخرج في جامعة الأزهر أستاذا متخصصا في علوم القرآن والسنة.

صفاته ومآثره

وكان نور الدين رحمه الله تعالى يولي طلاب العلم عناية خاصة ويظهر اهتماما بهم غير مسبوق، فكثيرا ما كان يعود الطلاب ويتفقد أحوالهم، ويوجه في قضاء حوائجهم، وكثيرا ما كان يهديهم نسخا من كتبه تشجيعا لهم على الدراسة وطلب العلم، وكان يقدم لبعضهم المال بطي صفحات كتاب يهديه إليهم.

وهو صاحب الفضل الكبير في نشر العلم الشرعي عموما والسنة النبوية خصوصا بين النساء والفتيات، حيث أشرف على برامج تحفيظ السنة النبوية لهن في حلقات تعقد في البيوت والمساجد، ومن ثم تطورت بعد أن ضاقت عنها البيوت لتضمها حلقات المساجد وتحتضنها أروقة المدارس القديمة، منها «دار الحديث النورية». وبهذا النهج انتشرت السنة النبوية في معظم البيوت الدمشقية.

وأفاد من صحبة الشيخ وعلمه الكثير من الطلاب والطالبات، وتميز منهم العلماء الذين يشار إليهم في تخصصاتهم العلمية، وانتشر تلامذته في شتى بلاد العالم، وكثير منهم من يقف على مسؤوليات جمة في بلدانهم، يضيق المجال هنا عن ذكرهم. كما ترك الشيخ من المؤلفات المهمة التي تنهض بحال المسلم وشخصية طالب العلم، تأليفا وتحقيقا، بالإضافة إلى محاضرات قيمة محفوظة في وسائل مرئية ومسموعة.



أهم مصنفاته تأليفا وتحقيقا

١- الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين.
٢- منهج النقد في علوم الحديث.
٣- إعلام الأنام في شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام.
٤- الحج والعمرة في الفقه الإسلامي.
٥- أصول الجرح والتعديل وعلم الرجال.
٦- ماذا عن المرأة.
٧- فكر المسلم وتحديات الألف الثالثة.
٨- إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق للنووي.
٩- علوم الحديث لابن الصلاح.
١٠- شرح علل الترمذي لابن رجب.
١١- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني.
١٢- الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي.

ومما يذكر: أن للشيخ نور الدين رحمه الله إسهامات وجهودا علمية وحديثية في مجلة: (الوعي الإسلامي) و(الموسوعة الفقهية الكويتية)، ولعلها ترى النور قريبا في كتاب مستقل إن شاء الله تعالى.

وقد كرمته مدينته دمشق التي أحبته، وخرجت بشيبها وشبابها في جنازة مهيبة بعد أن صلي عليه في مسجد: (أرسلان الدمشقي)، ثم دفن في مقبرة (أرسلان الدمشقي).

رحم الله تعالى الشيخ نور الدين عتر، وجزاه عنا وعن الأمة خير ما جزى معلما عن طلابه وعالما عن أمته.



الشيخ فلاح مندكار الى رحمة اللّه



بعد حياة دعوية حافلة بالنشاط والعلم؛ ودَّعت دولة الكويت في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر ٢٠٢٠م الشيخ الداعية، فضيلة الدكتور فلاح مندكار، الذي توفِّي عن عمر ناهز السبعين عامًا.

اسمه وكنيته

هو أبو محمد، فلاح بن إسماعيل بن أحمد مندكار.

مولده ونشأته وطلبه العلم

ولد رحمه الله في دولة الكويت عام (١٩٥٠م)، ونشأ في أسرة طيبة أعانته على التفرغ لطلب العلم الشرعي، فرحل إلى أهل العلم في بلاد الحرمين للأخذ عنهم، واستأنف دراسته الجامعية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وذلك عام (١٩٧٦م)، ولازم العلماء خلال دراسته الجامعية والعليا؛ العقيدة، والحديث، ومصطلح الحديث، والفقه وأصوله، والقواعد الفقهية، والنحو والصرف والبلاغة، والتجويد.

مؤهلاته العلمية

تدرَّج الشيخ فلاح مندكار رحمه الله تعالى في طلب العلم الأكاديمي، فحصل على:

١. شهادة البكالوريوس بدرجة الامتياز.
٢. شهادة الماجستير، بدرجة الامتياز.
٣. شهادة الدكتوراه، بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

شيوخه

طلب الشيخ فلاح مندكار رحمه الله العلم على ثلة من علماء بلاد الحرمين، وتأثر بهم، ونهل من غزير علمهم، ومن أبرزهم:

١. سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز رحمه الله، قرأ عليه الأصول الثلاثة وكتاب التوحيد.
٢. فضيلة الشيخ المحدّث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، وقد حضر له الكثير من المجالس العلمية، وجمعتهما مودة وصداقة.
٣. فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، وقد درس عليه بعض الأبواب في الفقه.
٤. فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، وقد حضر له الكثير من المجالس العلمية.
٥. فضيلة الشيخ المحدّث حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله، قرأ عليه صحيح البخاري وأجازه فيه، كما قرأ عليه العديد من الكتب العلمية والحديثية ككتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيرها.
٦. فضيلة الشيخ المحدث الدكتور عبدالمحسن ابن حمد العباد.
٧. فضيلة الشيخ المفسر محمد بن المختار الشنقيطي رحمه الله.
٨. فضيلة الشيخ المفسر أبو بكر بن جابر الجزائري.

وغيرهم كثير من أهل العلم والفضل.

صفاته وأخلاقه

عُـرفَ الشيخ فلاح رحمه الله بحسن الخلق ورقي الأدب، وكان حريصًا على الإفادة والاستفادة، وكان متواضعًا مع طلابه وإخوانه، وكان يسعى في قضاء حوائجهم، كما عُرف عنه غيرته على الكتاب والسنة وعقيدة أهل السنة والجماعة، فحظي عند أهل العلم وطلابه بالمكانة الرفيعة، والتقدير، والاحترام.

جهوده العلمية والدعوية

كان الشيخ رحمه نشيطًا في مجال الدعوة والتأليف والتحقيق، وقد شارك كثيراً في الدورات العلمية، والأنشطة الدعوية التي تقام في الكويت والتي يستفيد منها طلاب العلم.

كما تميز رحمه الله بالنشاط العلمي، من خلال التدريس في مختلف المحافل الأكاديمية وحلقات المساجد وغيرها.

مؤلفاته ونتاجه العلمي ترك الشيخ فلاح مندكار رحمه الله تعالى العديد من المؤلفات العلمية التي يغلب عليها الجانب العقدي، ومن أبرز مؤلفاته وتحقيقاته:

١. نزعة التكفير، خطورتها وعلاجها.
٢. الرقى الشرعية بين التنزيل والتطبيق.
٣. الاعتقاد الواجب نحو الصحابة.
٤. الاعتقاد الواجب نحو القدر.
٥. الأخلاق الإسلامية.
٦. الملل والنحل. وغيرها.

هذا وقد عمَّ خبر وفاة الشيخ رحمه الله تعالى الأوساط العلمية والرسمية في الكويت والعالم الإسلامي.

وفي هذه المناسبة تتقدَّم أسرة تحرير مجلة الوعي الإسلامي بأحر التعازي، سائلة الله للفقيد الرحمة، ولأهله ولمحبيه الصبر والأجر.

رحم الله الشيخ فلاح مندكار، وأسكنه فسيح جناته،، آمين.









سلسلة الأعلام المتشابهة (٥٠)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (القلقشندي)

١- القلقشندي (ت: ٧٩٠هـ)

هو علي بن أحمد بن أحمد القلقشندي، المصري، الشافعي، نسابة.

من مصنفاته: (قلائد الجمان في التعريف بقبائل عربان الزمان)[1].

٢- شهاب الدين القلقشندي (ت: ٨٢١هـ)

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي الشافعي، المؤرخ الأديب البحاثة.

ولد في قلقشندة من قرى القليوبية، سنة (٧٥٦هـ)، ونشأ بها وناب في الحكم.

وهو من دار علم، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء.

من مصنفاته: (صبح الأعشى في صناعة الإنشا)، في فنون كثيرة من التاريخ والأدب ووصف البلدان والممالك، ومختصره: (ضوء الصبح المسفر)، و(حلية الفضل وزينة الكرم







في المفاخرة بين السيف والقلم)، و(نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب).
توفي في شهر جمادى الآخرة بالقاهرة[٢].

٣- زين الدين القلقشندي (ت: ٨٢٦هـ)

هو زين الدين عبدالرحمن بن محمد ابن إسماعيل القلقشندي المقدسي الشافعي، فاضل، شاعر.
ولد سنة (٧٨٢هـ) ونشأ وتعلم بالقدس، وأحب الحديث، فسافر في طلبه إلى دمشق ونابلس ومصر وغيرها، وأفتى وحدث، وصار مفتي بيت المقدس.
من مصنفاته: (تعليقات على شرح سراج الدين البلقيني لصحيح البخاري)، و(تفسير سورة الفاتحة)، ومن شعره قصيدة أولها: (سيف الجفون على العشاق مسلول) عارض بها (بانت سعاد)، توفي بالقدس[٣].

٤- أبو بكر القلقشندي (ت: ٨٦٧هـ)

هو تقي الدين أبو بكر عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن علي، ابن القلقشندي، محدث، من فقهاء الشافعية.
ولد بالقدس سنة (٧٨٣هـ).
من مصنفاته: (مشيخة) ذكر فيه شيوخه (٦١) شيخا وأسانيده عنهم، و(عوالي القلقشندي)، توفي بالقدس[٤].

٥- أبو الفضل القلقشندي (ت: ٨٧١هـ)

هو تقي الدين أبو الفضل عبدالرحمن ابن أحمد بن إسماعيل بن محمد القلقشندي الشافعي.
ولد بالقاهرة سنة (٨١٧هـ)، قرأ الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث الكبيرة، وتصدر للإملاء بالأزهر، غير متقيد بكتاب ولا غيره، فوقع في أوهام أحصاها عليه السبكي المؤرخ.
من مصنفاته: (الأمالي المطلقة)، توفي بالقاهرة[٥].

٦- برهان الدين ابن القلقشندي (ت: ٩٢٢هـ)

هو أبو الفتح وأبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي بن أحمد ابن إسماعيل بن محمد القرشي القلقشندي الشافعي، عالم بالحديث، انتهت إليه الرياسة وعلو السند في الكتب الستة.
أصله من قلقشندة في القليوبية بمصر، ولد بالقاهرة سنة (٨٣١هـ)، ولي قضاء الشافعية بالقاهرة مرتين، من مصنفاته: (أربعون حديثا)، و(أسانيد ابن القلقشندي)، و(مشيخة ابن القلقشندي)، جمعها أحد تلاميذه، توفي عاشر جمادى الآخرة بالقاهرة[٦].

الهوامش

١- انظر: هدية العارفين (٧٢٦/١) والأعلام للزركلي (١٧٧/١) ومعجم البلدان (١٠/٧).
٢- انظر: الضوء اللامع (٨/٢) والأعلام للزركلي (١٧٧/١) ومعجم البلدان (٣١٧/١).
٣- انظر: الضوء اللامع (١٢٢/٤) والأعلام للزركلي (٣٣٠/٣) ومعجم المؤلفين (١٧١/٥).
٤- انظر: الضوء اللامع (٦٩/١١) والأعلام للزركلي (٦٩/٢).
٥- انظر: الضوء اللامع (٤٦/٤) والأعلام للزركلي (٢٩٦/٣).
٦- انظر: الضوء اللامع (٧٧/١) والأعلام للزركلي (٥٣/١) ومعجم المؤلفين (٦١/١).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة حيوانات جاء ذكرها في القرآن الكريم



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «سلسلة حيوانات جاء ذكرها في القرآن الكريم» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف

هي سلسلة قيمة جمعت الحيوانات التي ذكرت في القرآن الكريم، فأفردت كل جزء من السلسلة بحيوان واحد، حيث تذكر الآية التي ذكر فيها الحيوان، ثم تعرفه تعريفا كاملا، مع دعم هذه التعاريف بالرسومات المناسبة لكل حيوان. وهي سلسلة موجهة للصغار بالدرجة الأولى، ويستفيد منها الكبار، طبعت هذه السلسلة القيمة سنة: (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، بدار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني.

وقد كتب موضوعاتها محمد حسن أبو دنيا، وصمم رسوماتها عبدالشافي السيد.

الأهداف

من محتوى هذه السلسلة القيمة يتضح هدفها جليا وهو تيسير فهم ومعرفة هذه الحيوانات التي ذكرها القرآن، حتى يكون القارئ للقرآن الكريم على علم ودراية وفهم بهذه الحيوانات، خصوصا أن بعض الحيوانات ذكرت بغير أسمائها المعروفة عندنا في هذا الوقت، مثل كلمة قسورة التي ذكرت في سورة المدثر والتي تعني الأسد.

المحتوى العام

الحيوانات التي ذكرها صاحب السلسلة رتبها ورتب أعدادها حسب ترتيب الأحرف الهجائية، فبدأ أول جزء من هذه السلسلة بحرف الألف، ومن الحيوانات التي يبدأ اسمها بحرف الألف الأسد.

فعنوان الجزء الأول من هذه السلسلة هو: الأسد.

ثم يذكر الآية التي ذكر فيها الأسد مثل قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ (المدثر:٥٠-٥١).

ثم يقوم بشرح الألفاظ في الآية، مثل:

حمر: حمير وحشية.

مستنفرة: هائجة نافرة.

قسورة: كلمة معناها الأسد.

ثم بعد ذلك يعرف الأسد، فيذكر جنسه وأسماءه وأماكن تواجده، وحجمه، واسم الأنثى منه، وبعض صفاته الجسمية، والمفارقات بينه وبين الأنثى، كما يذكر بعض صفاته الخاصة مثل الشجاعة، ثم يذكر قصة طريفة ممتعة عنه.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة من هذه السلسلة الماتعة، وهي في متناول أطفالنا الأعزاء، ولكل مهتم بهذا اللون من السلاسل.

المصادر

سلسلة حيوانات جاء ذكرها في القرآن الكريم.

هشام الصباغ
باحث لغوي



الشيخ الموسوعي

محمد بن سليمان الأشقر

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ مربٍ للأجيال، ومثال يحتذى في الصبر والصدق والعمل المتواصل.. اشتهر بالدقة، والهدوء، وطيب الأخلاق.. حياته حافلة بالعمل والعطاء والانجازات التي تتضاءل أمامها أعمال بعض كبار حملة الإجازات العلمية العليا.

■ امتطى صهوة جواد العلم، وركض في مضمار كبار الكتاب، وأضاف إلى نتاج من سبقه من المباحث الدينية واللغوية ما أثرى المكتبة الإسلامية في قضايا الفكر واللغة والاقتصاد والأنظمة الاجتماعية.

■ لا تزال كتبه مراجع مهمة تطلب وتدرس، وتدور حولها الرسائل والنقاشات، ولا تزال جوانب عديدة من حياته في حاجة إلى البحث والدراسة وتسليط الأضواء.. فهو شخصية متعددة العطاءات، غزيرة الإنتاج، وجديرة بكل عناية واهتمام.

■ من أكناف بيت المقدس، من الأرض المباركة، من فلسطين.. إنه العالم الإسلامي الكبير الحنبلي المذهب، والفقيه الأصولي المتمكن الشيخ محمد بن سليمان الأشقر.

برقة.. المولد والنشأة

■ في يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٠م ولد الشيخ محمد بن سليمان بن عبدالله بن محمد (وهو الأشقر) بن سليمان دغلس، في قرية من قرى نابلس بفلسطين تسمى «برقة»، لأب من بيت بسيط لـ «آل دغلس» الذين هم من «الحفاة» الذين هم فرع من «الروقة» من قبيلة «عتيبة».

■ أسبغت برقة -الواقعة في منطقة جبلية على سفح جبلين أحدهما شرقيها والآخر شماليها، والتي تحيط بها بساتين الزيتون والتين وسائر الأشجار المثمرة، والتي تمتاز ببرودة الهواء وطيبه، وبها عيون كثيرة طيبة عذبة الماء- ثراء بيئتها على تكوين الشيخ الأشقر؛ فأخذ من طبيعتها الشموخ والتنوع واللين والشدة والعذوبة واللطف والطيب.. كل في موضعه.

■ وفي برقة «نشأت في كنف والدي. وكان والدي، رحمه الله، أميا، إلا أنه كان يحب أهل العلم والإيمان ويبرهم، وحرص على تعليم أولاده وحملهم على مكارم الأخلاق، وكان أكثر عمله في الزراعة. ووالدتي، حفظها الله، كذلك في حرصها على تربية بنيها على حب العلم والدين. وقد قرأت القرآن من دون معلم» (كما جاء على لسانه، رحمه الله).

■ وفي مدرسة قريته الابتدائية تلقى تعليمه الأولي، وتخرج فيها عام ١٩٤٤م، ليلتحق مباشرة بالدراسة الثانوية (يكمل الشيخ): «ثم التحقت بالدراسة الثانوية في المدرسة الصلاحية بنابلس، حيث مكثت بها أربع سنين».

إلى السعودية

■ بعدما أتم دراسته الثانوية في فلسطين، سافر إلى السعودية، وهناك (وعلى لسانه أيضا):

«عملت في التدريس الابتدائي سنة في المدرسة الفيصلية في مدينة بريدة (١٣٦٩هـ)، وعملت في التجارة بالرياض (١٣٧٠هـ)، وعندما افتتح معهد الرياض الديني الثانوي (١٣٧١هـ) بادرت إلى الالتحاق به إلى أن تخرجت في كلية الشريعة بالرياض (١٣٧٦هـ) في الفوج الأول».

أشياخه

■ وفي كلية الشريعة بالرياض تتلمذ الأشقر على يدي كوكبة من العلماء، وعن تلك المرحلة في الكلية يقول الأشقر: «أخذت فيها العلم عن مشايخ أجلاء، فأخذت التفسير وأصوله وأصول الفقه على الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والفقه والعقيدة على الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والفرائض على الشيخ عبدالعزيز بن رشيد، والحديث على الشيخ عبدالرحمن الإفريقي، والنحو على الشيخ عبداللطيف سرحان والشيخ إبراهيم الضبع.. وغيرهم، رحم الله الموتى منهم وحفظ الأحياء وجزاهم عنا أحسن الجزاء».

مشعل علم

■ كلية الشريعة أعدته وهيأته لحياة عملية تشع علما وحكمة، فيقول الشيخ: بعد تخرجه فيها: «ثم عملت في التدريس بمعهد شقراء العلمي. وأسندت إلي إدارته عام ١٣٧٧هـ. نقلت بعدها للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، وكنت أول من درس بها من خريجيها، فبقيت كذلك من ١٣٧٨هـ إلى ١٣٨٣هـ، ثم التحقت بالتدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فبقيت فيها سنتين».

إلى الكويت

■ لم يكن لمشكاة علم كالشيخ الأشقر؛ أن تغيب عن سماء الكويت، التي سعت إلى استقطابه واجتذابه، ليضيف نور مشكاته إلى أنوار نظرائه من العلماء الذين تضعهم الكويت دائما نصب أعينها منه.

■ يقول الشيخ عن قصده الكويت: «أراد الله تعالى لي النقلة إلى أرض الكويت، حيث أسندت إلي أمانة مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية اثني عشر عاما (١٣٨٥-١٣٩٧هـ).

■ وخلال عمله في أمانة وزارة الأوقاف حصل الشيخ على درجتي الماجستير والدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الأزهر، وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان: «أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية».

الموسوعة والفتوى

■ بعدما استأنفت وزارة الأوقاف الكويتية العمل في مشروع الموسوعة الفقهية، تحول الشيخ للعمل مع العاملين فيه، كما اختير عضوا في لجنة الفتوى الشرعية بالكويت منذ سنة ١٩٦٩م ثم نائبا لرئيس لجنة الأمور العامة فيها.

مؤلفاته

■ وهب الشيخ الأشقر، رحمه الله، قلما مداده بحر محيط، أثرى من خلاله المكتبة الإسلامية بعدد من المؤلفات المتميزة في شتى العلوم وفروعها، نذكر منها على سبيل المثال: في التفسير: «زبدة التفسير من فتح القدير» (وهو مختصر تفسير الشوكاني)، وفي اللغة: «معجم علوم اللغة العربية»، وفي الفقه وأصوله: «الفتيا ومناهج الإفتاء»، وفي تحقيق التراث: «صحيح مسند الإمام أحمد على شرط البخاري»، وفي الدعوة والتزكية: «كيف تدخل في الإسلام؟» (مختصر للدعاة)، وفي الاقتصاد: «الاستصناع»، وله أبحاث في الفقه الطبي وفي قضايا الزكاة المعاصرة.

مساهمته مع «الوعي»

■ كانت للشيخ مساهمتان مع المجلة جاءتا تحت عنواني: «منزلة العبادة» (ع:٧١، ذو القعدة ١٣٩٠هـ، ديسمبر ١٩٧٠م)، و«رحلة الفهرسة عبر تاريخنا» (ع:٧٥، ربيع الأول ١٣٩١هـ، أبريل ١٩٧١م).

وفاته

■ وافته المنية يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة لعام ١٤٣٠هـ الموافق ١٥ نوفمبر ٢٠٠٩م. ودفن يوم الإثنين بعد صلاة الظهر بمسجد مقبرة سحاب في ضواحي مدينة عمان بالأردن.. رحمة الله على الشيخ محمد الأشقر، وجزاه الله على ما قدم للأمة خير الجزاء وأوفاه، وبارك له في مؤلفاته.

المصادر والمراجع

١ – كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢ – إدارة الإفتاء الكويتية.
٣ – ملتقى أهل الحديث.
٤ – الألوكة.
٥ – الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

❖ إعداد / تركي محمد النصر

خطورة الحسد

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «إن الحاسد يقع في محاذير:

أولا: كراهيته ما قدره الله؛ فإن كراهته ما أنعم الله به على هذا الشخص كراهة لما قدره كونا ومعارضة لقضاء الله عز وجل.

ثانيا: أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب؛ لأن الغالب أن الحاسد يعتدي على المحسود بذكر ما يكره وتنفير الناس عنه، والحط من قدره وما أشبه ذلك.

ثالثا: ما يقع في قلب الحاسد من الحسرة والجحيم والنار التي تأكله أكلا، فكلما رأى نعمة من الله على هذا المحسود؛ اغتم وضاق صدره؛ وصار يراقب هذا الشخص كلما أنعم الله عليه بنعمة حزن واغتم وضاقت عليه الدنيا».

(انظر: العلم، ص:٥٤)

ما شيء هو أهون من الورع

قال حسان بن أبي سنان رحمه الله: «ما شيء هو أهون من الورع؛ إذا رابك شيء فدعه» (رواه ابن أبي الدنيا، في الورع، ٥٠٢/٦).

قال العلامة الشبشيري معلقا: «وهذا سهل على من سهله الله عليه، وصعب على كثير من الناس، أثقل من الجبال».

(انظر: الجواهر البهية للشبشيري، ص:٢٩)

فضل السكوت

❖ جاء رجل إلى سلمان، فقال: أوصني. قال: لا تتكلم. قال: لا يستطيع من عاش في الناس ألا يتكلم! قال: فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت.

❖ قال وهب بن منبه رحمه الله: «اجتمعت الأطباء على أن رأس الطب: الحمية، واجتمعت الحكماء على أن رأس الحكمة: الصمت».

❖ سئل عبدالله بن المبارك عن قول لقمان لابنه: «إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب» فقال ابن المبارك: «إن كان الكلام من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب».

❖ قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس؛ فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة».

(انظر: حسن السمت في الصمت للسيوطي، ص:٨٢)

إظهار النعمة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومن لبس جميل الثياب إظهارا لنعمة الله كان مأجورا».

(انظر: مجموع الفتاوى، ١٣٩/٢٢)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

وصية عظيمة

قال عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل لأبيه يوما: أوصني يا أبت. فقال: «يا بني، انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير».
قال العلامة ابن مفلح الحنبلي رحمه الله تعالى: «وهذه وصية عظيمة، سهلة على المسؤول، سهلة الفهم والامتثال على السائل، وفاعلها ثوابه دائم مستمر؛ لدوامها واستمرارها، وهي صادقة على جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعا، سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق، وأنها يثاب عليها، ولم أجد في الثواب عليها خلافا».

(انظر: الآداب الشرعية، ١/١٠٤)

الغيبة شأنها خطير

قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع له كتابه، فلا يرى فيه صلاته ولا صيامه، ويرى أعماله الصالحة، فيقول: يا رب هذا كتاب غيري، كانت لي حسنات، ليس في هذا الكتاب!
فيقال له: إن ربك لا يضل ولا ينسى.. ذهب عملك باغتيابك الناس».

(انظر: بحر الدموع لابن الجوزي، ص:١٢٣)

اجتناب المعاصي

قال سهل بن عبدالله رحمه الله: «أعمال البر يعملها البر والفاجر ولا يجتنب المعاصي إلا صديق».

(انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠/٢١١)

الحرص على الطاعات

قال إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى: «كانوا يحبون إذا دخلوا مكة ألا يخرجوا حتى يختموا القرآن».

(انظر: مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٨٨٦٢)

المهلكات أربع

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «المهلكات أربع: أنا، ونحن، ولي، وعندي».

(انظر: بحر الدموع لابن الجوزي، ص:١٤١)

حال المؤمن المخلص

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «المؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشا، وأنعمهم بالا، وأشرحهم صدرا، وأسرهم قلبا، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة».

(انظر: الداء والدواء، ١/٤٥٩)

الدعاء

قال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى: «الدعاء سلاح الأقوياء والضعفاء، وملاذ الأنبياء والأصفياء، وبه يستدفعون البلاء».

(انظر: مجموع مؤلفاته، ١/٣٣٩)

بريد القراء

إعداد: التحرير

من كلمات عبدالله بن عباس

عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ابن عم النبي ﷺ، ولد في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنوات، وعندما توفي الرسول ﷺ كان له من العمر ثلاثة عشر عاما، دعا له الرسول ﷺ أن يزيده الله فهما وعلما.

فعن ابن عباس قال: وضعت لرسول الله وضوءا، فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل»، ومن كلمات ابن عباس التي تدل على سعة علمه وتفقهه في الدين وحكمته:

١- لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله، وتصغيره في عين معطيه، وإخفاؤه عن الناس.

٢- إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن قال بعد ذلك شيئا برأيه فما أدري أفي حسناته يجده أم في سيئاته.

٣- اجتنبوا أبواب الملوك فإنكم لا تصيبون من دنياهم شيئا إلا أصابوا من آخرتكم ما هو أفضل منه.

٤- التفكر في الخير يدعو إلى العمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه.

٥- أربع من كن فيه ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر.

٦- أفضل الحسنات إكرام الجليس.

٧- إن لله تعالى من خلقه صفوة: إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا أنعموا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا.

٨- العمل الصالح مع قلة الذنوب أفضل من العمل الصالح مع كثرة الذنوب.

٩- مثل علم لا يظهره صاحبه كمثل كنز لا ينفق منه صاحبه.

١٠- سيأتي على الناس زمان يكون همة أحدهم بطنه، ودينه هواه، وسيفه لسانه.

١١- إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوب نفسك.

١٢- تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها.

١٣- العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء بأحسنه.

١٤- إذا ترك العالم قول لا أدري أصيبت مقاتله.

١٥- لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلب.

١٦- من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يحب.

حسن عثمان حسن

تفريق الأطفال وهم يلعبون.. لماذا؟

تفريق الأطفال وهم يلعبون وطردهم من أمام بيوت الجيران، ظاهرة متفشية في مجتمعاتنا منذ عقود عدة، فكم من معارك ومشاجرات بسبب لعب الأطفال أمام بيوت جيرانهم الملاصقة لبيوتهم، وأمام هذه الظاهرة نهمس في أذن الجيران الذين ينزعجون من أدنى حركة أو همس يصدر من الأطفال الذين يلعبون أمام بيوتهم: تبين السنة النبوية أن النبي ﷺ كان لا يفرق الأطفال وهم يلعبون بل كان يجلس في الظل عندهم ينتظر، وكلما رأوه، وهو يتابعهم، وينظر إليهم ويعجب ببهجتهم وحركتهم، يزدادون فرحة وسرورا، فقد ورد في الحديث الشريف: يقول أنس بن مالك رضي الله عنه أتاني رسول الله ﷺ ذات يوم وأنا ألعب مع الغلمان (أو قال: مع الصبيان)، فسلم علينا، ودعاني، فأرسلني في حاجة، وقعد في ظل حائط، أو جدار، حتى رجعت إليه، فبلغت الرسالة التي بعثني فيها، فلما رجعت، قال: «لا تخبر أحدا»، فلما أتيت أم سليم، قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني النبي ﷺ في حاجة له، قالت: وما هي؟ قلت: سر، قالت: احفظ على رسول الله ﷺ سره. قال: فما حدثت به أحدا بعد (سنن أبي داود).

فلنقتد بالهدي النبوي في إدخال البهجة على الأطفال، وهم يلعبون، وعدم تفريقهم أو منعهم من اللعب.

د. محمد عباس عرابي



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com





صناعة التسامح

التسامح من أجمل الصفات التي يجب أن نتحلى بها لكن التسامح أصبح نادرا هذه الأيام ولكي تكون متسامحا فعليك بالصبر الجميل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٣).

والتسامح لا يعني التهاون وتضييع الحقوق وإنما يعني العفو عند المقدرة والعفو في موقف القوة ولذا عفا يوسف عليه السلام (وهو عزيز مصر) عن إخوته، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (يوسف:٩٢).

والشخص المتسامح شخص يخالط الناس ويصبر على أذاهم وليس بالشخص المنعزل، والشخص المتسامح يحب الرفق ويعمل به لذا قال ﷺ: «إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله» (رواه مسلم).

والتعاون طريق للتسامح فأنت أحيانا تتعاون مع أشخاص قد لا تعرفهم وقد يختلفون عنك في الأفكار والدين والقيم كأن تكون عضوا بفريق علمي يقوم بالدراسة وإجراء التجارب للوصول إلى ما ينفع البشرية.

ولذا قال ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس» (رواه ابن حبان)، والتسامح يعني عدم التكبر في العلم والاستفادة من خبرات الآخرين حتى من غير البشر فالغراب علمنا الدفن، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ (المائدة:٣١).

والهدهد علمنا التثبت من الأخبار وأن يكون مصدر الخبر موثوقا به وأن تتحمل كل المتاعب والمهالك في سبيل أن تأتي بخبر يصل إلى مرتبة النبأ والنبأ اليقين فالهدهد كان معرضا للذبح وللعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (النمل:٢٢).

والنملة علمتنا أن نقدر الموقف التقدير السليم، فالشجاعة ليست تهورا، والانسحاب أحيانا يكون مطلوبا للمحافظة على الحياة وحماية المجتمع. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل:١٨).

كما أن التماس الأعذار وحسن الظن نوع من التسامح فها هي النملة تلتمس لسليمان وجنوده العذر وتحسن بهم الظن «وهم لا يشعرون».

والشخص المتسامح صادق اللسان نقي القلب حسن الخلق، ولذا قال ﷺ: «خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق. قيل: ما القلب المخموم؟ قال: هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد» (الترغيب والترهيب).

عمرو عبدالتواب



vie éternelle. Des savants, des historiens et des personnalités de différentes époques et de différents pays ont écrit de nombreux livres sur sa personne. Nul doute que l'on écrira encore à l'avenir sur la vie et l'œuvre du Prophète Mouhammad, tant cette vie est une source inépuisable d'enseignements.
Mouhammad, le dernier des Prophètes, est né dans le désert d'Arabie, en 570, soit environ six cents ans après Jésus-Christ ('Isâ), au sein de la tribu la plus honnête de ce peuple, dans la famille la plus noble et la plus respectée de cette tribu.

L'Orphelin Solitaire

Mouhammad était un orphelin. Son père était mort avant même sa naissance. Il fut élevé dans le désert conformément à la coutume arabe de l'époque. En 576, quand il eut l'âge de six ans, il perdit également sa mère, Âminah. Il fut dès lors placé sous la tutelle de 'Abd al-Muttalib, son grand-père, et plus tard, c'est son oncle Abû Tâlib qui l'éleva.
Bien des années plus tard, le Prophète fera le récit d'un événement extraordinaire qui lui arriva, alors qu'il était tout jeune enfant placé chez sa douce nourrice Halîmah : des anges, sous la forme de deux hommes vêtus d'une tunique d'une blancheur éclatante, vinrent à la rencontre de Mouhammad. Ils tenaient un bassin en or rempli de neige. S'étant saisis de lui, ils lui fendirent la poitrine, en sortir le cœur qu'ils ouvrirent à son tour pour en extraire un caillot noir qu'ils jetèrent au loin. Puis ils lavèrent son cœur et sa poitrine avec la neige. Selon les savants, cet épisode est évoqué par les premiers versets de la sourate « L'épanouissement », dans laquelle Dieu dit à Mouhammad :
« N'avons-Nous pas épanoui ta poitrine ? Ne t'avons-Nous pas soulagé du fardeau qui te pesait sur le dos, et n'avons-Nous pas rehaussé ton prestige ? » (L'épanouissement XCIV, 1-4)
Mouhammad avait l'habitude de garder, sous un soleil de plomb, les moutons et les chèvres aux environs dans les collines entourant La Mecque. Le soin que Mouhammad mettait à garder les troupeaux contenait un signe plus profond, qui démontrait la sagesse et la protection de Dieu préparant le futur Prophète qui devrait prêcher la foi musulmane aux gens

Digne de Confiance

Jeune homme, Mouhammad était connu de tous comme al-Amîn, « celui sur qui on peut compter », grâce à son honnêteté et à son noble caractère. Son oncle l'aimait profondément et l'emmenait avec lui en Syrie, lorsqu'il s'y rendait pour ses affaires. De cette façon, Mouhammad put apprendre à gagner sa vie en tant que commerçant. Il menait ses affaires avec succès. Bien qu'il fût relativement pauvre, son honnêteté et sa nature généreuse faisaient qu'il était aimé et qu'il avait la confiance de tous ceux qui le connaissaient.
A cette époque vivait à La Mecque une des femmes les plus honorables. Elle s'appelait Khadîjah, et était une riche commerçante. Mouhammad travailla pour elle ; et lorsqu'il atteignit l'âge de vingt-cinq ans, il reçut de sa part une demande en mariage indirecte. Bien qu'elle fût son aînée et déjà deux fois veuve, Mouhammad accepta son offre. Ils se marièrent en 595 et vécurent heureux. Khadîjah donna au Prophète deux garçons et quatre filles : al-Qâsim, 'AbdAllâh, Zaynab, Ruqayyah, Umm Kulthûm et Fâtimah. Malgré la perte de leurs deux fils en bas âge, Khadîjah et Mouhammad vécurent une vie de famille heureuse.



أميمة عتيق
كاتبة ومترجمة

les Merites attribues

Les Mérites attribués à notre Prophète (SWS):
Lorsque Les musulmans mentionnent le nom de Dieu et des Prophètes, les musulmans, par dévotion religieuse, Ils ajoutent les formules d'eulogies afin d'en honorer la sacralité.
Allâh — Subhâna-Hu wa Ta'âlâ (qu'Il soit glorifié et exalté)
Le Prophète Mouhammad — Sallâ Allâhu 'alay-hi wa sallam (sur lui la Paix et la Bénédiction de Dieu)
Tous les prophètes — 'alay-him as-salâm (sur eux la Paix).

Afin de render cette article plus facile à utiliser pour les non-musulmans, la référence explicite à la louange a été omise.

Ces dernières années, la figure du Prophète Mouhammad a été au centre de discussions et de débats au sein des cercles médiatiques, scientifiques et culturels de l'Orient et de l'Occident, du monde musulman et non musulman. Considéré comme une personnalité qui a laissé de profondes traces dans l'histoire de l'humanité, il suscite curiosité, discussions, stimulant la confrontation des opinions et ce, non seulement par rapport à l'époque où il vécut, mais également aux époques successives, jusqu'à arriver aux situations actuelles. Le Prophète Mouhammad est toute la personnalité que Dieu a dotée de toutes les beautés et élévations spirituelles. Ses qualités étaient les meilleures et les plus rares. Il possédait une intelligence éveillée, et était du plus grand cœur. De quelque côté que l'on puisse le contempler, il rayonne, servant de modèle aux hommes de son temps et aux générations suivantes. Ce modèle offre un exemple inspiré de bonté pour l'enfant et l'adolescent, l'homme mûr et le vieillard, l'orphelin et le parent, le riche et le pauvre, le commerçant et le guerrier, l'homme d'Etat, l'enseignant et le religieux. le Prophète Mouhammad peut être comparé à l'étoile qui guide le caravanier.Tous peuvent s'y référer, indépendamment du temps, du pays, de la situation économique, de l'appartenance sociale et du niveau culturel qui sont les leurs. Sur la voûte céleste, les étoiles sont plus brillantes lors des nuits obscures; le Prophète Mouhammad peut être comparé à l'étoile qui guide le caravanier.
Celui qui se laisse conduire par cette étoile ne perd jamais le droit chemin, dans la vie terrestre de même que dans la

كتب باللغة الفرنسية عن الإسلام















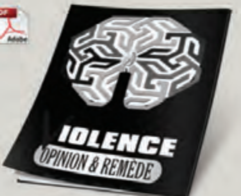

















1 / 2



www.islam.com.kw/discoverislam

Découvrire la carte intelligente de l'Islam

EDC

IPC










موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

 alwaeiq8@gmail.com

 @Alwaei_Alislami

 مجلة الوعي الإسلامي

 موقع مجلة الوعي الإسلامي

العدد ٦٦٨ - السنة ٥٨ - ربيع الآخر ١٤٤٢ هـ - ديسمبر ٢٠٢٠م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٦٩) جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ - يناير ٢٠٢١ م

جائزة مع العدد: براعم الإيمان

في عهد سمو الأمير نواف الأحمد

الكويت تستكمل مؤسساتها الدستورية

- إدارة الموارد البشرية.. رؤية مفاهيمية
- أبناؤنا وقراءة القصص





موقع مجلة الوعي الإسلامي


alwaeiq8@gmail.com


www.alwaei.gov.kw


مجلة الوعي الإسلامي

جديدنا



العلم سفينة النجاة من الفتن

إصدار فكري إيماني من سلسلة إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي»، يبرز دور العلم وأهميته في مواجهة الفتن والخروج منها برسوخ واتزان، وذلك يتأتى من خلال الفهم الصحيح للدين الحنيف. ويأتي هذا الإصدار للدكتور محمد فريد فراج ليبين هذه المعاني السامية، ويحمل الإصدار رقم مئة وواحد وتسعين من سلسلة إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي».



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

التنمية البشرية.. رؤية ورسالة

لقد كرم الإسلام الإنسان ورفع مكانته بين الكائنات، وجعل ما في هذه الدنيا مسخرا للإنسان ليؤدي رسالة ربه التي خلقه لأجلها، وهي إعمار الأرض ونشر دين الله فيها.

وللقيام بهذه المهمة العظيمة لابد أن يحمل ثلة من الناس المخلصين هذا الأمر على عاتقهم، وهذه الثلة العاملة هي ما بات يعرف اليوم بـ (الموارد البشرية)، مما أدى إلى زيادة الاهتمام بها وتقديم الرعاية والعناية لها، لأن النجاح والتقدم والازدهار تعتمد بشكل أصلي على المنظومة العاملة في كل مؤسسة أو وزارة أو دولة، سواء كان هذا النجاح اقتصاديا أو ثقافيا أو إداريا أو سياسيا.

فالموارد البشرية تتميز عن غيرها من العناصر المكونة للحضارة بأنها تتمتع بإمكانيات ومواهب لا يمكن وجودها في أي من العناصر الأخرى، كالصدق والأمانة والوفاء بالعهد، والشجاعة، إلى غير ذلك من أخلاق لا يمكن تصورها عند غير البشر.

ومن أصول ديننا الحنيف -إضافة إلى ما قررته العديد من الدراسات الحديثة- أن مكارم الأخلاق التي تممها الإسلام لدى الموارد البشرية هي الأصل في كل نجاح وتطور وتقدم، قال نبينا ﷺ: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) (رواه أحمد) حيث لا فائدة ترجى من الثروات الهائلة، والمصانع الضخمة، والمؤسسات العملاقة إلا إذا كانت تسوسها أياد أمينة قادرة على النهوض بها وتطويرها.

لقد نظر الإسلام -منذ بزوغ فجره- بعناية فائقة دقيقة إلى الموارد البشرية، ونماها عقديا وإيمانيا من خلال إرسال الأنبياء والرسل ليبينوا لهم سبب وجودهم، ولتنمية الشعور لديهم أنهم إنما خلقوا لعبادة الله وإقامة دينه وخلافته في الأرض وإعمارها وتنميتها. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠) وهذه الوظيفة التي منحها الله للإنسان من أهم الوظائف التي تميز بها البشر عن المخلوقات الأخرى كافة في هذا العالم الفسيح.

ثم رسخ الإسلام الدعوة إلى التعلم والمعرفة النافعة للقيام بأعباء هذه المهمة الجليلة والرسالة العظيمة، وتوالت آيات القرآن بالحث عليه والأمر به وإقرار فرضيته، وميز المتعلمين فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(الزمر: ٩). لا غرو! فغياب العلم والمعرفة عن الموارد البشرية يجعل من وجودهم عبئا على مجتمعاتهم، حيث يسود الجهل ويتقدم في ظل فوضى عدم المعرفة؛ فيحدث الضلال والإضلال.

كما شجع الإسلام أتباعه -بعد أن بين لهم طريق العلم وفضله- على وجوب تفعيل دور العقل في التخطيط وحسن التدبير، وجعله -أي: التخطيط- عنصرا أصيلا من عناصر النجاح والتقدم والتفوق على جميع المستويات (الأسرية، والمجتمعية، والدولية)، وفي كافة المجالات (الاقتصادية والتعليمية والسياسية... وغيرها).

وختاما: فإن العمل -بعد توافر (الأمانة والعلم والتخطيط)- هو المحور الأساسي الذي تدور عليه تنمية الموارد البشرية، وتؤهلها للقيام بدورها في جميع المجالات التي تتطلبها الدولة والمجتمع.

فتنمية الموارد البشرية تمثل في مضمونها إصلاح العنصر البشري وتنمية القدرات لدى الإنسان الذي هو عماد الحضارة. وهذا ما نرى بوادره في بلدنا الحبيب (الكويت) مع انطلاقة عهد مبارك جديد، يؤكد على الإنجازات الموجودة ويطورها وينميها، سائلين الله التقدم والنجاح والتوفيق للجميع.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٦٩/ جمادى الأولى ١٤٤٢ هـ
العام الثامن والخمسون
يناير ٢٠٢١م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان: ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



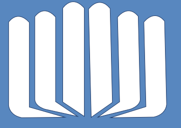
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ -٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

غرس تنمية الذات منذ الصغر

على الإنسان بشكل عام أن يطور من قدراته، وعلى المسلم خاصة أن يهتدي بهدي الرسول ﷺ وينظر كيف يمكن أن يتحرك في الحياة بأعمال نافعة يفيد بها نفسه وأهل بيته ومجتمعه.

وما أحوج الأمة الإسلامية إلى هذا البناء التراكمي وهذه التنمية المستدامة التي لا ينقطع خيرها في ظل تنامي مشروعات أمم حولنا تهتم ببناء الفرد وتنمية قدراته أكثر من أي شيء آخر.

والمقارنة يسيرة لأولي الألباب عند النظر في مناهج التربية والتعليم هنا وهناك، وكيف يمكن أن ينشأ التلميذ منذ البداية واثقا من نفسه راغبا في التعلم وتنمية معارفه في المناهج الحديثة، وبين تلقين وكبت للقدرات في مناهج قديمة وعادات لا تستلهم ما كان يفعله الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه مع الصغار والكبار.

إن تنمية الفرد لذاته لا تأتي قبل غرس حب التنمية بالأساس في النفوس منذ الصغر وذلك واجب المجتمع تجاه أبنائه وواجب الأسرة بشكل خاص تجاه أفرادها.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي **(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**



أعداد: علاء عبدالفتاح



الكويت تستكمل مؤسساتها في العهد الجديد

سمو الأمير

«يسعدني وقد أديتم القسم السامي إيذانا بمباشرة واجباتكم ومسؤولياتكم، أن أهنئكم وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يعينكم على حمل هذه الأمانة الكبيرة التي يعقد عليها الشعب الكثير من التطلعات والطموحات».
هكذا دشن سمو الأمير نواف الأحمد الجابر الصباح أمير الكويت حفظه الله ورعاه عهدا في دولة المؤسسات جديدا يبشر بكل الخير ليس للكويت فقط بل للأمة الإسلامية والعالم أجمع.
لقد اجتمعت الآن وجوه متحمسة جديدة في مجلس الأمة وحكومة قوية تضمن التوازن لمصلحة المواطن.

تحت قيادة رشيدة لسمو الأمير نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه

وهكذا اكتملت المؤسسات الدستورية في الكويت تحت قيادة أميرها الجديد سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه خلفا لأمير العمل الإنساني الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح تقبله الله في فسيح جناته.

فبعد انتخاب الشعب من يمثلونه في الفترة البرلمانية المقبلة لمدة أربع سنوات، وبعد تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة سمو الشيخ صباح الخالد، تعود البلاد إلى استقرار مؤسسي مرة أخرى، مبشرة بعهد يسوده التعاون بين الحكومة ونواب الأمة من أجل صالح المواطن، كما يبشر العهد الجديد باستمرار لعب الكويت دورا مهما في استقرار المنطقة والمصالحات بين الدول الشقيقة حين يدب الخلاف.

وكانت حكومة الشيخ صباح الخالد الحمد الصباح قد قدمت استقالتها، في خطوة إجرائية عقب إجراء انتخابات برلمانية أسفرت عن زيادة واضحة في الوجوه الجديدة في البرلمان المنتخب.

وقد أصدر أمير الكويت الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، مرسوما أميريا، بتشكيل الحكومة الجديدة برئاسة الشيخ صباح الخالد الحمد الصباح؛ بعد ثمانية أيام من استقالة الحكومة السابقة، في أعقاب انتهاء انتخابات مجلس الأمة الكويتي. وبعد تشكيل الحكومة الجديدة أدى رئيس الحكومة والوزراء، في «قصر بيان»، اليمين الدستورية أمام أمير البلاد، وولي عهده، الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح.

وكان أمير الكويت قد أعاد تكليف

الشيخ صباح الخالد الحمد الصباح بتشكيل الحكومة الجديدة، إثر تشكيل مجلس الأمة (البرلمان) الجديد، الذي أُعلنت نتائج انتخاباته في ٦ ديسمبر ٢٠٢٠م.

ووفق المادة ٥٧ من الدستور الكويتي، يعاد تشكيل الوزارة عند بدء كل فصل تشريعي لمجلس الأمة.

وكانت الحكومة الأخيرة تشكلت برئاسة، صباح خالد، في ديسمبر ٢٠١٩م.

وقد أكد سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد في كلمته أمام الحكومة التي أدت للتو قسمها: «إنها بلا شك مرحلة مثقلة بالتحديات والاستحقاقات التي تتطلب جهدا استثنائيا وعملا دؤوبا مخلصا وتعاونا حقيقيا جادا مع إخوانكم أعضاء مجلس الأمة (البرلمان) يرتقي بالممارسات قولا وعملا تحقيقا للغايات الوطنية المأمولة».

وقد شهدت الحكومة الجديدة تغييرات واسعة، أهمها تعيين وزير التربية والتعليم العالي الأسبق محمد عبداللطيف الفارس وزيرًا للنفط خلفا لخالد الفاضل.

كما تم تعيين وكيل وزارة المالية الأسبق خليفة مساعد حمادة في منصب وزير المالية خلفا لبراك الشيتان، والشيخ حمد جابر العلي الصباح وزيرا للدفاع خلفا للشيخ أحمد منصور الصباح.



سمو الشيخ / صباح خالد الحمد الصباح
رئيساً لمجلس الوزراء

كما تم إعادة تعيين الشيخ أحمد ناصر المحمد الصباح وزيرا للخارجية، وإعادة تعيين الشيخ باسل حمود الصباح وزيرا للصحة، كما استمر الوزير أنس الصالح في منصبه كوزير دولة لشؤون مجلس الوزراء، لكنه فقد وزارة الداخلية التي كان يشغلها سابقا، إذ ذهبت إلى الشيخ ثامر علي الصباح، رئيس جهاز الأمن الوطني الكويتي.

سمو الأمير للوزراء: أدعو الله أن يعينكم على حمل الأمانة

وتضمن المرسوم الأميري تعيين كل من الدكتور أحمد ناصر المحمد الصباح وزيرا للخارجية، وعيسى الكندري وزيرا للشؤون الإسلامية والأوقاف. وخليفة حمادة وزيرا للمالية والدكتور نواف الياسين وزيرا للعدل.

والدكتورة رنا عبدالله عبدالرحمن الفارس وزيرا للأشغال العامة وزير دولة لشؤون البلدية، ومحمد عبداللطيف الفارس وزيرا للنفط ووزيرا للكهرباء والماء، وعبد الرحمن المطيري وزيرا للإعلام ووزير دولة لشؤون الشباب، ومبارك سالم مبارك الحريص وزير دولة لشؤون مجلس الأمة، وعبدالله معرفي وزيرا للإسكان ووزير دولة لشؤون الخدمات، وفيصل المدلج وزيرا للصناعة والتجارة.

ويذكر أن الشيخ صباح الخالد الصباح قبل أن يصبح رئيسا للحكومة، كان يشغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية منذ عام ٢٠١١.

الاجتماع الأول

وعقب تشكيله عقد مجلس الوزراء



حمد جابر العلي الصباح
نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للدفاع



أنس خالد ناصر الصالح
نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزير دولة لشئون مجلس الوزراء



عيسى أحمد محمد حسن الكندري
وزيراً للشئون الاجتماعية ووزيراً للأوقاف والشئون الإسلامية


د. محمد عبداللطيف الفارس
وزيراً للنفط ووزيراً للكهرباء والماء


د. باسل حمود حمد الصباح
وزيراً للصحة


د. أحمد ناصر المحمد الصباح
وزيراً للخارجية


خليفة مساعد حمادة
وزيراً للمالية


عبدالرحمن بداح المطيري
وزيراً للإعلام ووزير دولة لشئون الشباب


د. عبدالله عبدالصمد معرفي
وزير دولة لشئون الإسكان ووزير دولة لشئون الخدمات

اجتماعا في قصر السيف برئاسة سمو الشيخ صباح الخالد الحمد الصباح رئيس مجلس الوزراء، بعد أداء القسم الدستوري أمام حضرة صاحب السمو الأمير في قصر بيان، وقد صرح نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدولة لشئون مجلس الوزراء أنس خالد ناصر الصالح بأن الاجتماع افتتح بكلمة رحب فيها الخالد بالوزراء، معربا فيها عن تقديره لقبولهم المشاركة في تحمل مسئولية العمل الوزاري في هذه المرحلة الهامة والدقيقة، ومتمنيا لهم النجاح والتوفيق للعمل بكل عزم وجهد لتنفيذ التوجيهات السامية لحضرة صاحب السمو الأمير وتحقيق كل ما من شأنه مصلحة الوطن والمواطنين.

كما عبر عن شكره وتقديره لإخوانه الوزراء الذين شاركوا في حمل المسؤولية الوزارية في الفترة الماضية وبذلوا قصارى جهدهم في سبيل الكويت في ظروف استثنائية عصيبة، متمنيا لهم دوام التوفيق والسداد في خدمة الوطن من مختلف المواقع.

وقد رد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء أنس خالد الصالح على كلمة سمو رئيس مجلس الوزراء بكلمة عبر فيها باسمه وباسم أخته الوزيرة وإخوانه الوزراء عن تقديره للثقة الغالية التي أولاها إياهم حضرة صاحب السمو الأمير وسمو ولي العهد حفظهما الله ورعاهما وسمو رئيس مجلس الوزراء، واعدين بالحرص على بذل قصارى الجهد لتكريس العمل الجاد لتحقيق الغايات الوطنية وطموحات المواطنين ولكل ما فيه تحقيق رفعة الوطن العزيز.

رئيس الوزراء يعد بتحقيق كل ما فيه مصلحة الوطن والمواطن وفق التوجيهات السامية

تراجع كورونا

ومن جانب آخر، استمع مجلس الوزراء إلى شرح قدمه وزير الصحة الشيخ د. باسل حمود الصباح حول آخر مستجدات جائحة كورونا على المستويين العالمي والإقليمي، وتطورات الوضع الصحي في البلاد والذي يشهد من واقع الإحصاءات تراجعا واضحا في أعداد الإصابات والوفيات ومن يتلقى العلاج في العناية المركزة، وازدياد حالات الشفاء ولله الحمد، كما أحاط المجلس علما بالجهود المبذولة لبدء حملة التطعيم ضد فيروس كورونا في الكويت خاصة بعد ترخيص استخدام للقاح (فايزر بيونتك) المضاد لكورونا (كوفيد-١٩).


د. رنا عبدالله عبدالرحمن الفارس
وزيراً للأشغال العامة ووزير دولة لشئون البلدية


مبارك سالم مبارك الحريص
وزير دولة لشئون مجلس الأمة


ثامر علي صباح السالم
وزيراً للداخلية


د. علي فهد المضف
وزيراً للتربية ووزيراً للتعليم العالي


فيصل عبدالرحمن المدلج
وزيراً للتجارة والصناعة ووزير دولة للشئون الاقتصادية


د. نواف سعود الياسين
وزيراً للعدل

وقد عبر مجلس الوزراء عن بالغ ارتياحه لهذه المؤشرات الإيجابية التي تؤكد على أن الجهود الجبارة المبذولة من قبل وزارة الصحة والإجراءات الحازمة التي تم اتخاذها لمواجهة الوباء، بالإضافة إلى التعاون الذي أبداه المواطنون والمقيمون الذي أسفر عن محاصرة الوباء والحد من أسباب انتشاره، مؤكدا على ضرورة عدم التهاون في الالتزام بالاشتراطات الصحية سائلا المولى عز وجل أن يحفظ الكويت ومن يعيش على أرضها من كل سوء.

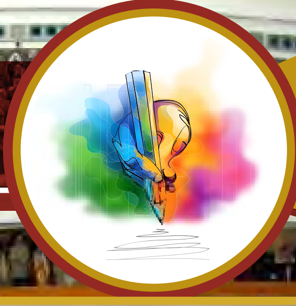
تهنئة البحرين

ثم بحث مجلس الوزراء الشؤون السياسية، وآخر المستجدات الراهنة على الساحتين العربية والدولية، وبهذا الصدد عبر مجلس الوزراء عن خالص التهاني والتبريكات لصاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين الشقيقة وللشعب البحريني الشقيق بمناسبة قرب حلول ذكرى اليوم الوطني للمملكة البحرينية الشقيقة، منوها بما تحققه من إنجازات مميزة على أرض المملكة، ومتمنيا للمملكة الشقيقة مزيدا من التقدم والازدهار والرخاء في ظل قيادته الحكيمة.

إشادة بالسعودية

كما أشاد مجلس الوزراء بالجهود المقدرة التي بذلتها المملكة العربية السعودية الشقيقة لاستكمال الترتيبات المتعلقة بتطبيق آلية تسريع تنفيذ اتفاق الرياض الموقع بين الحكومة اليمنية والمجلس الانتقالي الجنوبي ورحب المجلس باستيفاء الشق العسكري والأمني من اتفاق الرياض والتوافق على إعلان تشكيل الحكومة اليمنية، معربا عن الأمل بأن تهيئ هذه الخطوة الأجواء لتمارس الحكومة اليمنية أعمالها سعيا لتحقيق تطلعات الشعب اليمني الشقيق والبدء بتنفيذ برامج التنمية في المناطق المحررة والدفع بجهود إنهاء الأزمة اليمنية ودعم مساعي الأمم المتحدة وصولا إلى الحل السياسي المنشود وفق الآليات الثلاث المتفق عليها.

وتعتبر الحكومة الجديدة الثانية للشيخ صباح الخالد الحمد الصباح؛ حيث كلف بتشكيل الحكومة الأولى في ١٩ نوفمبر الماضي، فكانت أقصر الحكومات عمرا بين الحكومات الكويتية، لنهايتها في ديسمبر الجاري، تزامنا مع موعد الانتخابات البرلمانية التي جرت بالكويت، وفقا لما ينص عليه الدستور الكويتي.



إعداد
عبدالسلام الشبراوي





سمو الأمير



سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد يفتتح أول «مجلس أمة» في عهده المبارك

مجلس أمة جديد وبرنامج إصلاحي شامل

افتتح سمو أمير الكويت الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح،حفظه الله ورعاه دور الانعقاد العادي الأول للفصل التشريعي السادس عشر لمجلس الأمة، يوم الثلاثاء ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٠.

وألقى سمو الأمير خطابه مستذكرا «جهود وإنجازات قائدنا الحكيم الشيخ صباح الأحمد رحمه الله» وتقبله في فسيح جناته.

ووجه سمو الأمير كلمة إلى النواب الجدد، جاء فيها ان «الشعب وضع ثقته بكم وهي أمانة ثقيلة في أعناقكم وعليكم احترام الدستور والقانون وهي مهمتكم الأساسية».

وأكد سموه أن «مسيرة وطننا تواجه تحديات كبيرة الأمر الذي يستوجب وضع برنامج إصلاحي»، مشددا على أنه «لم يعد هناك متسع لهدر الوقت وافتعال الأزمات وإيقاف الإنجاز»، مشيرا إلى أن الإصلاح الشامل يتطلب تعاونا بين الحكومة

والمجلس والمسؤول الذي يوحد ويجمع.
وفيما يلي نص كلمة صاحب السمو أمير الكويت الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه:

«بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾
صدق الله العظيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين
إخواني وأبنائي رئيس وأعضاء مجلس الأمة المحترمين
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أحييكم بأطيب تحية ويسرني أن نلتقي اليوم لافتتاح الفصل التشريعي السادس عشر فعلى بركة الله وهداه وبعونه تعالى نفتتح هذا الفصل التشريعي سائلين العلي القدير أن يلهمنا جميعا السداد والرشاد ويمدنا بعونه وتوفيقه لمواصلة العمل لما فيه خير ورفعة وطننا العزيز وسعادة ورفاه شعبنا الكريم.
نستذكر اليوم بكل الاعتزاز والعرفان والتقدير جهود وإنجازات قائدنا الحكيم ووالدنا الكريم سمو أميرنا الراحل المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح طيب الله ثراه مؤكدين سيرنا على نهجه لتحقيق خير وتقدم كويتنا الغالية وأهلها الأوفياء.
وإذ أهنئكم بالفوز بعضوية مجلس الأمة وبالثقة الغالية التي أولاكم إياها شعبنا الأبي فإنني أذكركم بأنكم ستؤدون بعد قليل قسمكم الدستوري وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وبشهادة شعب كريم وضع ثقته بكم وهي أمانة ثقيلة في أعناقكم كما هي خارطة طريق لكل مخلص يريد لوطنه خيرا وتقدما وازدهارا ولأبنائه أمنا واستقرارا.
إنه التزام أمام الله والمواطنين بالإخلاص للوطن واحترام الدستور والقانون والذود عن حريات الشعب ومصالحه وأمواله وأداء أعمالكم بالأمانة والصدق...هذه هي مهمتكم الأساسية التي انتخبكم الشعب من أجلها لتحقيق آماله وتطلعاته.


مرزوق الغانم رئيس المجلس

أبنائي الأعزاء
لا شك أنكم تدركون ما يشهده العالم ومنطقتنا على وجه الخصوص من تطورات وأمامكم تحديات جسيمة وآمال يعلقها عليكم أهل الكويت فلم يعد هناك متسع لهدر المزيد من الجهد والوقت والإمكانات في ترف الصراعات وتصفية الحسابات وافتعال الأزمات والتي أصبحت محل استياء وإحباط المواطنين وعقبة أمام أي إنجاز.
هي دعوة صادقة ونصيحة مخلصة أحرصوا على أن تكون ممارسات قاعة عبدالله السالم ومداولاتها مدرسة لأبنائنا وأجيالنا القادمة وقدوة صالحة تجسد الإيمان بالنهج الديموقراطي وجدواه وساحة للإنجاز وصورة حضارية ناصعة لمجتمعنا الكويتي الأصيل.

توجيهات سموه للنواب الجدد: لم يعد هناك متسع لهدر الوقت

الإخوة والأبناء رئيس وأعضاء المجلس المحترمين
إن مسيرة وطننا العزيز تعاني مشكلات جسيمة وتواجه تحديات كبيرة الأمر الذي يستوجب وعلى جناح السرعة وضع برنامج إصلاحي شامل يؤتي الحلول


سمو الامير و صباح الخالد رئيس مجلس الوزراء

الناجعة لها حتى تستقيم الأمور وتنطلق المسيرة وصولا إلى التنمية المستدامة.

إن نجاح برنامج الإصلاح الشامل يتطلب وعيا مسؤولا وتعاونا فعالا بين مجلس الأمة والحكومة وحزما في تطبيق القانون وتغليب الحوار الإيجابي المسؤول الذي يوحد ويجمع ويتجنب الفرقة والانقسام ويحقق المصلحة الوطنية المشتركة.

إخواني وأبنائي رئيس وأعضاء مجلس الأمة المحترمين

نحمد الله ونشكر فضله أن جعل كويتنا الحبيبة ديرة خير وبركة ودار

الخالد: الحكومة ستعمل على وضع تصور طموح لتحقيق الإصلاح

أمن وأمان وواحة رخاء واستقرار وأفاء على أهلها الطيبين بفيض نعمه وأسباب العيش الكريم.

وإنني على يقين راسخ بحرصكم جميعا على تجسيد التعاون البناء بين المجلس والحكومة والعمل كفريق واحد متآزرين متكاتفين للحفاظ على هذه النعمة الغالية وحماية أمن واستقرار هذا البلد الأمين لتبقى كويتنا الغالية كعهدها موطن العز والأمان عالية المكانة

مرفوعة الراية بعون الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

التعاون البناء

بدوره قال رئيس السن النائب حمد الهرشاني إن مجلس الأمة هو ثمرة انتخابات عامة حرة يشهد لها القاصي والداني بالنزاهة والشفافية، موجها الشكر إلى الفريق الحكومي الذي أدار أزمة كورونا بكل اقتدار، لا سيما الصفوف الأمامية الذين ضحوا بأرواحهم في مواجهة الفيروس.

وأضاف الهرشاني «نتطلع الى أن يكون هذا المجلس عند حسن ظن الشعب الكويتي به»، مشيرا إلى أن الدستور أكد ضرورة التعاون المتبادل بين السلطتين «وقد أثبتت التجربة التشريعية السابقة أن التعاون البناء هو الأسلوب الوحيد لتحقيق ما يصبو إليه شعبنا».

وقال الهرشاني إن الشعب الكويتي يعقد آمالا كبرى في هذا المجلس ممثلا في أعضائه الذين اختارهم الشعب الكويتي وحملهم الأمانة وتوسم فيهم أداءها على أكمل وجه وأتمه مشددا على أهمية العمل مجلسا وحكومة في تناغم يضمن تحقيق المصالح والأهداف الوطنية وإعلاء شأن الوطن.

العمل بمسؤولية

من جهته عبر سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ صباح الخالد عن اعتزازه بأجواء الحرية التي أجريت فيها الانتخابات الديموقراطية، مشددا على أن المرحلة الآن تتطلب من المجلس والحكومة التعاون والعمل بمسؤولية لخدمة الكويت الحبيبة.

وجدد الخالد التحية والشكر والتقدير الى الشعب الكويتي والمقيمين وخاصة الإخوة في الصفوف الأمامية على جهودهم في مواجهة جائحة كورونا.

وأكد الخالد على أن الحفاظ على وحدة الوطن واستقراره يحتم علينا التعاون وتنفيذ التوجيهات السامية، منوها بأن الحكومة تؤمن بأن التعاون مع المؤسسات الدستورية حجر الزاوية لتحقيق الإنجازات.

ولفت الخالد إلى أن الحكومة ستعمل على وضع تصور طموح لتحقيق الإصلاح ومحاربة الفساد ودفع عملية التنمية والتطوير الإداري للدولة، مؤكدا على المتابعة والتقويم والمحاسبة تجاه أي تقصير، والعمل على الارتقاء بالخدمات العامة الى المستوى الذي يليق بوطننا.

وأوضح الخالد: إن الحكومة مستمرة في تنفيذ قوانين تعديل التركيبة السكانية ومواجهة تجارة الإقامات، مع الحرص على التطبيق الجاد لسياسة الإحلال ودعم العمالة الوطنية.

كما أكد الخالد على أن الرعاية السكنية للأسر الكويتية التزام أساسي «وحريصون على توفير حل جذري للقضية الإسكانية».

الغانم: أمد يد التعاون مع الجميع لتحقيق آمال وطموحات الشعب الكويتي.

وشدد الخالد على «الثوابت في السياسة الخارجية، كاحترام سياسات حسن الجوار والعمل الديبلوماسي لحل الأزمات».

وأوضح أن الضرورة تقتضي العمل من أجل تنويع مصادر الدخل ومحاولة الاستثمار الأفضل للموارد وتخفيف العجز، لافتا إلى أن العناية بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة من أولويات العمل الحكومي.

الغانم رئيسا للمجلس

وفاز الرئيس السابق النائب مرزوق علي الغانم برئاسة المجلس مجدداً للفصل التشريعي السادس عشر.

وحصل الغانم على ٣٣ صوتا في حين حصل منافسه النائب بدر الحميدي على ٢٨ صوتا مقابل ٣ أصوات باطلة. وبعد انتخابه، أكد مرزوق الغانم الحرص على مد يد التعاون مع الجميع لتحقيق آمال وطموحات الشعب الكويتي. وقال: «أنا أتسامى فوق الجراح لمصلحة الكويت والكويتيين ولمصلحة البلاد والعباد». وتابع: «أمد يدي لكم جميعا فالخلافات الشخصية لن تفيدنا والمعارك الشخصية لن تنمي مجتمعنا ولن تعيننا على أداء الأمانة تجاه المواطنين».

وأكد أنه «يجب ألا نقتل الأمل في صراعاتنا الشخصية، المطلوب مني وممن يختلف معي شخصيا العمل فداء للكويت والكويتيين فالشعب الكويتي ينتظر الأمل ولا يريد نزاعات شخصية».

وقال: «أنا هنا أبدأ بنفسي في مد يد التعاون قبل الآخرين مع الجميع لتحقيق آمال وطموحات هذا الشعب».



التحرير

الموت غيب صاحب رؤى ومناضلا بامتياز

الشيخ ناصر صباح الأحمد.. في ذمة الله

غيب الموت فارسا من فرسان الكويت الأشداء أصحاب المواقف والرؤى بعد مسيرة سياسية ووطنية حافلة بالإنجازات، هو الشيخ ناصر صباح الأحمد الجابر الصباح (٢٧ أبريل ١٩٤٨م - ٢٠ ديسمبر ٢٠٢٠م)؛ وزير الدفاع والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء في الكويت سابقا، وهو النجل الأكبر لأمير الكويت الخامس عشر، المغفور له بإذن الله الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، وقد ولد الشيخ ناصر في قصر الشعب، وعاش وتربى بعد ذلك بقصر دسمان.

وقد نعى الديوان الأميري المغفور له -بإذن الرحمن- الشيخ ناصر عن عمر يناهز ٧٢ عاما، ووري جثمانه الثرى صباح الإثنين ٢٠ ديسمبر، بمقبرة الصليبخات وسط دعوات المشيعين بالرحمة والمغفرة وإلهام ذويه الصبر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويعد الشيخ ناصر صباح الأحمد، رحمه الله، صاحب رؤية ٢٠٣٥، فقد أخذ على عاتقه تنفيذ تلك الرؤية وفق خطط مدروسة وقانون شامل يتفق مع مواد الدستور ووفق العادات والتقاليد الكويتية، حيث سعى رحمه الله لأن تكون رؤية ٢٠٣٥ نقطة التحول في الاقتصاد والتنمية الشاملة للمجتمع الكويتي.

شغل فقيد الوطن الشيخ ناصر صباح الأحمد منصب وزير الدفاع ونائب أول لرئيس مجلس الوزراء بدءا من ١١ ديسمبر عام ٢٠١٧م، كما صدر مرسوم نهاية ديسمبر ٢٠١٩م بتعيينه نائب رئيس المجلس الأعلى للتخطيط والتنمية، وقد سبق له، رحمه الله، أن تقلد منصب المستشار الخاص لسمو ولي العهد وسمو رئيس مجلس الوزراء بمرسوم أميري صدر في ٧ ديسمبر عام ١٩٩٩م، كما تم صدور مرسوم أميري بتعيينه وزيرا لشؤون الديوان الأميري في ١١ فبراير عام ٢٠٠٦م.

وقد تقدم المعزون من مواطنين ومقيمين إلى صاحب السمو الأمير الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه، وإلى سمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح وجميع أسرة آل الصباح الكرام، وإلى ذوي الراحل بأحر التعازي، سائلين المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته ويلهمهم الصبر والسلوان.

أحد محاربي الفساد

والشيخ ناصر يعتبر واحدا ممن خدموا البلاد في العديد من المحافل والمناصب التي كلِّف بها طوال حياته، وعرف عن الراحل محاربته للفساد، حيث كان مؤسسا وعضوا بجمعية حماية المال

العام الكويتية. وأكد الراحل مرارا على أن مكافحة الفساد تبدأ بتطهير مؤسسات الدولة من فاسديها، ومن ارتبطت أسماؤهم بالفساد دون تمييز، وشدد على أنه لا يمكن الحديث عن التنمية أو العدالة في الدولة ما دام أن هناك فاسدين في مؤسساتها، معتبرا أن أي شيء خلاف ذلك «يكون إفسادا فوق إفساد».

وتلقى الراحل الشيخ ناصر صباح الأحمد تعليمه في المدارس الكويتية والأوروبية، وبدأ حياته العملية في مجال التجارة، حيث كان على رأس كبرى الشركات المحلية والعالمية التي تعمل في جميع أنحاء العالم في مجال الصناعة والاستثمار، وأسس شركة «الفتوح القابضة» وشركة «مشاريع الكويت القابضة».

وقد تزوج الشيخ ناصر، رحمه الله، في عام ١٩٦٩م من الشيخة حصة صباح السالم الصباح، ولهما من الأبناء دانة (رئيس مجلس أمناء الجامعة الأمريكية في الكويت)، وعبدالله وبيبي وصباح وفهد وفتوح.

اهتمامه بالثقافة الإسلامية

عرف عن الراحل اهتمامه بالجانب الثقافي، حيث أسس أهم وأكبر مؤسسة تراثية وهي دار الآثار الإسلامية، وهي المؤسسة الثقافية الكويتية القائمة على «مجموعة الصباح الأثرية».

اختير الشيخ ناصر صباح الأحمد في العام ١٩٩٩م مستشارا خاصا لسمو ولي العهد آنذاك الراحل الشيخ سعد العبدالله، ثم وزيرا لشؤون الديوان الأميري بموجب المرسوم الأميري الصادر بتاريخ ١١ فبراير ٢٠٠٦م.

عين الراحل نائبا لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للدفاع في العام ٢٠١٧م، وترأس الشيخ ناصر صباح الأحمد لجنة المشاريع التنموية المشتركة بين دولة الكويت وجمهورية إيران الإسلامية، إضافة إلى كونه عضوا فخريا في مجلس أمناء متحف المتروبوليتان - نيويورك.

وقد نعت السفيرة الفرنسية الشيخ ناصر صباح الأحمد مؤكدة أنه ذو ثقافة هائلة أعطى الفن الإسلامي كل الاهتمام المستحق، كما نعته سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية لدى الكويت ألينا رومانوسكي وكتبت: «ببالغ الحزن والأسى علمت بوفاة الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح.. لقد كان صديقا حقيقيا للولايات المتحدة كما كان رجل دولة بامتياز». وأضافت «أتقدم بخالص التعازي للشيخة حصة صباح السالم الصباح وأسرة الراحل الكريمة».

بيان مجلس الوزراء

أصدر مجلس الوزراء بيانا نعى فيه المغفور له بإذن الله الشيخ ناصر صباح الأحمد الجابر الصباح، وجاء نص البيان كالتالي:

«ينعى مجلس الوزراء ببالغ الحزن والأسى المغفور له بإذن الله تعالى معالي الشيخ ناصر صباح الأحمد الجابر الصباح - النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع السابق.

وإذ ندعو المولى العلي القدير أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته، فإنه يستذكر بالتقدير مناقب الفقيد رحمه الله وخصاله الكريمة وإسهاماته العديدة في خدمة وطنه من مختلف المجالات والميادين.

وإنا لله وإنا اليه راجعون»

محطات في حياة الشيخ ناصر

- بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٩٩م صدر مرسوم بتعيينه مستشارا خاصا لسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء.
- بتاريخ ١١ فبراير ٢٠٠٦م صدر مرسوم بتعيينه وزيرا لشؤون الديوان الأميري.
- بتاريخ ١١ ديسمبر ٢٠١٧م صدر مرسوم بتعيينه نائبا أول لرئيس مجلس الوزراء ووزيرا للدفاع.

صراع مع المرض

يذكر أن الشيخ ناصر صباح الأحمد، توفى عن عمر ناهز الـ ٧٢ عاما، بعد صراع طويل مع المرض، وذلك بعد ٨٠ يوما من وفاة والده أمير الكويت السابق الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح.

وكانت أنباء الحالة الصحية للشيخ ناصر صباح الأحمد وزير الدفاع السابق ونجل أمير الكويت الراحل، تصدرت مواقع التواصل الاجتماعي أخيرا، وخصص عدد من أبناء الأسرة الحاكمة تغريداتهم في موقع التواصل تويتر للدعاء له بالشفاء في ظل غياب تفاصيل ومعلومات دقيقة عن تطورات وضعه الصحي الذي شغل الكويتيين خلال الأسابيع الماضية.

كما تداول الكويتيون، قبل أسابيع، أنباء عن تدهور الوضع الصحي للشيخ ناصر ودخوله العناية المركزة بحالة حرجة، وتبع ذلك تدوينة للشيخ ناصر عبر تويتر أكد فيها إجراء فحوصات طبية شاملة تكللت بالنجاح دون الكشف عن تفاصيل هذه الفحوصات، وقبل عامين ونصف العام كان قد خضع للعلاج خارج البلاد إثر عملية جراحية أجراها لاستئصال ورم في الرئة.



د. هشام طه سليم
كاتب وباحث

خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم

بعث الله سبحانه وتعالى محمدا ﷺ للعالمين نبيا خاتما للرسالات ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكان نموذجا للإنسان الكامل، يقتدى به في كل سلوك طيب، وكان رحمة للعالمين، يتنسم عبير تلك الرحمة الحجر والشجر والطير والحيوان والجن والبشر.

كفى به وصفا كريما أن يصفه الخالق جل وعلا بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، فبات ﷺ نبراسا للأخلاق الحميدة ينشرها بين الناس كافة.

ورسول الله هو سبب دخولنا الجنة، وقد بعثه المولى عز وجل بالقرآن الكريم ليخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، يقول تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (إبراهيم:١).

فقد بعث رسول الله ﷺ بعد انقطاع الوحي عن العالم قرابة ستمئة سنة، عقب نبي الله عيسى ابن مريم، عليه السلام، وقد رزح العالم تحت وطأة ضلالات الجاهلية، وتحت نير ظلم العباد بعضهم لبعض، حيث انتشرت لغة الحياة للأقوى ولو كان ظالما، وانزوت الأخلاق الحميدة فلم تجد من يؤازرها سوى قلة ممن تمسكوا بالمبادئ القويمة، سواء استنادا إلى بعض الشيم التي رسختها العادات والتقاليد، أو استنادا إلى القواعد الأخلاقية الواردة في الكتب السماوية السابقة التي لم يتناولها المفسدون بالتحريف.

في هذا الخضم المظلم بعث الله سبحانه رسوله بالهدى ودين الحق ليضع للناس مبادئ الحياة القويمة، ويصحح لهم ما اندثر من أسس العدالة والرحمة.

رحمة للعالمين

أرسل الله سبحانه نبيه محمدا ﷺ رحمة لكل المخلوقات، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، ويقول ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»[1].

فرسول الله ﷺ رحمة للبشر في حياته بسعيه بينهم هاديا وبشيرا، وهو رحمة للبشر بعد مماته ما داموا ملتزمين بسنته، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣).

بل إن رحمته ﷺ تمتد لتشمل البشر حتى في أحلك المواطن التي

قد تغيب فيها الرحمة عن أذهان أغلبهم، ألا وهي مواطن الحروب مع الأعداء، فيضع للجيش الإسلامي مبادئ تفتقدها كل الجيوش على وجه الأرض وعلى مدار الأزمان، ففيما يرويه أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين»[٢].

كما تشمل رحمته ﷺ العالمين، فجاءت رسالته لتخاطب الجن كما تخاطب الأنس بما هم مكلفون به من عبادات. ومن ثم فهو سبب لبلوغ الجن الجنة إذا سمعوا وأطاعوا.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ (الأحقاف:٢٩-٣١)، فضلا عما ورد من أحكام في «سورة الجن» تؤكد شمول رحمته ﷺ بالجن؛ هداية وتوجيها.

بل إنه قبل ظهور جمعيات الرفق بالحيوان بقرون ها هو المبعوث رحمة للعالمين يرسخ جل معاني الرفق بالحيوان، والأمثلة من السنة المطهرة كثيرة، فيحذر من حبس الحيوان، وحرمانه من الطعام، فيقول ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها؛ فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[٣].

ويستشعر ﷺ ألم أحد الطيور حين أخذ بعض الصحابة منها أفراخها فاشتكت إليه، فأمرهم بعدم ترويعها، وإعادة أفراخها إليها، رحمة بها، فيما يرويه عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، قائلا: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش، فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»[٤].

حتى النبات تدركه رحمة رسول الله ﷺ، فيأمرنا برعايته وتعهده ابتغاء الثواب من الله سبحانه لقاء ما ينتفع به الناس من ثمارها ومن ظلها، حتى يقول ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[٥].

بل وحتى الجذوع المقطوعة البالية تستشعر رحمته، فعن جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، قال: «كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر، وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ، فوضع يده عليها، فسكنت»[٦].

بل والجماد كذلك تدركه رحمة رسول الله ﷺ، فيخبرنا عليه السلام أن الجماد يحس ويشعر! فيقول ﷺ عن جبل أحد: «أحد جبل يحبنا ونحبه»[٧]، فما أرحمك يا رسول الله، وما أطيب سيرتك.

مكارم الأخلاق

إن الناظر إلى حال الأمم قبل بعثة الرسول ﷺ يجد أنه رغم انتشار المفاسد في المجتمعات الإنسانية بشكل عام، فإنه كانت هناك بعض التقاليد والمبادئ لا تزال باقية من ناحية، وكانت هناك بعض الآثار المستقاة من المبادئ الدينية التي جاء بها الأنبياء من قبل من ناحية أخرى، من ذلك ما توافق عليه بنو هاشم وبنو تيم وبنو زهرة من عقد حلف أسموه «حلف الفضول» بقصد نصرة المظلوم ورد الحق إليه في مكة المكرمة قبل بعثة رسول الله ﷺ.

ثم جاء رسول الله ﷺ برسالة شاملة هدفها إرساء العدل على الأرض، ووضع المبادئ التي تكفل ترسيخه في المجتمع. فها هو ينبئنا عن نفسه فيما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[٨].

ختام الرسالات

لقد بعث الله سبحانه وتعالى الرسل والأنبياء كلا منهم إلى قومه فقط ليعالج فيهم سلوكا معيبا قد استشرى بينهم، وليعود بهم إلى جادة الصواب التي ضلوا عنها، وقد تباعدت المسافات بين كل مجتمع وغيره من المجتمعات على وجه الأرض.

فلما سبق في علم الله سبحانه وتعالى أن العالم كله سيصبح كقرية واحدة بتطور وسائل الانتقال والاتصال، وهو ما سيؤدي إلى أن تصبح الآفات الأخلاقية والمسلكية

متشابهة في كل المجتمعات، حيث تتقل عدواها بينها لحظيا، كان مقتضى المنطق أن العالم أجمع يحتاج إلى رسول واحد خاتم يهديه، وأن العالم أجمع يحتاج إلى كتاب سماوي واحد يتلقى منه المنهج، ويكون في ذاته معجزة ورسالة إلى كل البشر في الوقت ذاته تتناقله كل وسائل الاتصال فائقة السرعة.

فأرسل الله سبحانه وتعالى محمدا ﷺ بالإسلام، وأيده بالقرآن الكريم معجزة ومنهاجا تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه من تحريف البشر وإفساد المفسدين بقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

ذلك أن الأمم السابقة حين جاءتهم الكتب السماوية من الله سبحانه حرفوا كلماتها مرة بالزيادة ومرة بالنقصان بما يتفق وأهواءهم، وبما يحقق رغباتهم الدنيوية الخبيثة.

فها هم اليهود يحرفون التوراة التي أرسل بها موسى عليه السلام، فيحرفون الكلم عن مواضعه فيها، حتى أساءوا إلى الخالق سبحانه، وإلى الأنبياء واتهموهم بأبشع التهم، بل واتهموا بعضهم بالكفر، ذلك فضلا عن سعيهم إلى قتل أنبياء الله والفتك بهم غير مبالين بعقاب الله السميع البصير.

وها هم النصارى يحرفون الإنجيل الذي أرسل به عيسى عليه السلام، فيؤلهونه، ويدعون عليه ما لم يقله من أنه ابن الله -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- فيتخذونه وأمه إلهين من دون الله، بل ويتخذون أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، ظالمين بذلك أنفسهم، والله سميع عليم.

وبين تفريط اليهود وإفراط النصارى، أتى الإسلام دينا قيما وسطا ليقيم الملة العوجاء، وليتم به الله سبحانه وتعالى نعمته على الناس، حيث ينهى رسول الله ﷺ الناس عن التعرض للأنبياء والرسل بالإساءة من ناحية، وتتنزل عليه الآيات الكريمة: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَالْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥).

كما ينهى ﷺ عن الشرك بالله باتخاذ الأنبياء أربابا من دونه من ناحية أخرى، فتتنزل عليه الآيات الكريمة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ (الإخلاص:١-٤).

ويعلم ﷺ الناس الدين من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة، فلا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا ويبينها لهم، حتى قال لأصحابه: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين. وعليكم بالطاعة وإن كان عبدا حبشيا عضوا عليها بالنواجذ».

وحتى خاطب المولى جل وعلا عباده، فتتنزل الآيات يوم عرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة:٣).

فقد تفضل الله سبحانه وتعالى على العباد بكمال الدين وبتمام النعمة، وجعل أمة الإسلام أمة وسطا شهداء على الناس، وبعث فيهم رسوله رحمة للعالمين، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فارتفعت به راية الإسلام عالية، وانتشر دين الحق حتى ملأ إرجاء المعمورة، وعلم المسلمون العالم أجمع قواعد العدل، والتسامح، والرفق، والرحمة بالإنسان والحيوان والطير، ورسخ المسلمون مفاهيم الإصلاح في الأرض، فنشروا العلوم في كل إرجائها المعمورة، فكانوا بحق عنوانا للإنسانية الراقية حتى دخل الكثير من الناس في دين الله أفواجا.

وصدق الله سبحانه وتعالى حيث خاطب الرسول محمدا ﷺ قائلا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

الهوامش

١- رواه ابن سعد، ١٩٢/١، وابن أبي شيبة ٥٠٤/١١، والحاكم ٣٥/١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة بطرقه، برقم ٤٩٠.
٢- أخرجه أبو داود ٢٦١٤.
٣- رواه البخاري: ٣٣١٨.
٤- رواه أبو داود والحاكم وصححه الألباني.
٥- رواه أحمد: ١٢٩٠٢.
٦- رواه البخاري: ٣٥٨٥.
٧- رواه البخاري: ٤٤٢٢.
٨- رواه البخاري في «الأدب المفرد»، رقم ٢٧٣.

د. منير لطفي
طبيب وكاتب



جبر الخواطر

أفقر الفقر ما جاء بعد غنى، وأذل الذل ما حل عقب عز؛ إذ تجتمع على هذا الغني مصيبة ذهاب الغنى ونكبة حلول الفقر، وتتكالب على ذاك العزيز فجيعة أفول شمس العز ونازلة هبوب ريح الذل، فكان كمرتحل من القصر إلى الأسر، أو من الدار إلى النار وبالله العياذ! ولهذا كانت الرحمة بعزيز ذَلَّ وغني افتقر؛ من شيم النبلاء، وخصال أصحاب المروءات، ووصية خير من عرفت البريات.

ومن هؤلاء -وهم بالمناسبة من الأخفياء الذين يحتجبون عن الأنظار- زارتني خادمة تشادية، رشيقة القوام كسيف، وسمراء البشرة كليل، بعدما نزحت من شمال تقطنه أغلبية عربية مسلمة، وتهيمن عليه تضاريس صحراوية قاحلة. ومن خلال سمتها وإيماءاتها وطريقة عرضها لشكاياتها، شعرت أنها ابنة عز وحسب ونسب، ولولا أن مخدومها الذي صحبها أخبرني سلفا أنها خادمته، لاعتقدتها زوجته أو شقيقته، خاصة أنها بدت متسترة غير سافرة، وترتدي العباءة السوداء السابغة ككل نساء الخليج حال خروجهن من خدورهن، علاوة على لغتها العربية الطليقة على طريقة العرب، لا على طريقة العجم الذين يمضغون الحرف قبل لفظه، فيأتي مهشما مشوها لا تدري له كنها ولا تحدد له مخرجا! وما لا يعلمه الكثيرون، ومنهم كفيلها، أن تشاد دولة عربية إسلامية، لسانها عربي ودينها الإسلام، وتنتظر بطاقة العضوية في جامعة الدول العربية منذ نحو سبعة أعوام، وإن كان النفوذ الفرنسي لا يزال يتغلغل في أحشائها سياسيا وعسكريا وثقافيا كأغلب دول الغرب الإفريقي.

وللتأكد من شعوري، وإشباعا لغريزة الفضول التي تلح عليها هواية الكتابة، استدعيت ما في جعبتي من أدوات الاستفهام اللائقة، وعلمت أنها الصغرى لأسرة ثرية مات عائلها، فتولى الأخ الأكبر إدارة أموالها وتصريف ممتلكاتها، ولأنه كان منفلتا متلافا، ولم ير بأسا من المقامرة في أموال يتامى قصر؛ فقد تبددت الثروة عن بكرة أبيها، بين تجارة خاسرة ومغامرات طائشة، وأصبح لسان حال الأسرة: ألا عزا يباع فنشتريه، فهذا عيش لا خير فيه!

وقد كانت أسوأ نتائج هذا التحول الدرامي الذي طرأ على الأسرة، أن تلك الصغيرة لم تكمل تعليمها المرجو والمأمول، وبار سوق زواجها في مجتمع بائس يحسب حساب الثراء في الزواج وغير الزواج، فوقعت في حجر زوج معدم بالكاد يعيل نفسه، وبات عليها السعي إلى العمل كخادمة في هذه الدولة الخليجية لتطعم أطفالا تركتهم يصيحون هناك على البعد وسط لهيب القارة السمراء المحرومة.

هذا في الوقت الذي لا تجد التشاديين بوجه عام منتشرين في الخليج كبقية الجنسيات الإفريقية الناطقة بالعربية، حتى إنها كانت الخادمة التشادية الأولى التي أصادفها رغم مسيرتي الطويلة نسبيا في الغربة. ولعل في ضعف صلة الدولة التشادية بالعالم العربي دورا، واكتشاف البترول بها عام ٢٠٠٣م والبدء بتصديره عام ٢٠٠٤م دورا آخر.

والواقع أن المرارة كانت طافحة على محياها، ولولا أن مخدومها أسعفني بهذه المعلومات، لما ارتكبت حماقة التنقيب عن قصتها، ولآثرت الجهل على العلم؛ إذ ليس من الطب في شيء أن تنكأ جرحا في طريقه للاندمال، وليس من المروءة أن تقلب المواجع على نفس مثقلة بالكلوم والأوجاع، لاسيما إن كان صاحبها من النوع الرهيف الشفيف كفتاة تبكيها كلمة وتحزنها إشارة.

وقد أكبرت في كفيلها إلمامه بقصتها، ووضعها في حسبانه من حيث المعاملة الكريمة اللائقة؛ فأحرى بالمرء أن يكون لأخيه ردءا لا عبئا، وسندا لا سيفا، خاصة أن الأيام دول والأحداث قروض، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، فنجد عندها من أصحاب القلوب البيضاء من يجبر خاطرنا ويهون مصائبنا ويرد لنا بعضا مما بذلناه من شهامة وأصالة تجاه الآخرين؛ فما «جزاء الإحسان إلا الإحسان»، و«من سار بين الناس جابرا للخواطر، أدركه الله في جوف المخاطر».

وليتني شددت همته، فرويت له كيف أن طبيب الأمراض الباطنية الشهير حسام موافي سأل فضيلة الإمام الشعراوي عن أفضل عمل يتقرب به إلى الله؟ فأجابه: جبر الخواطر. ثم تلا عليه قول الحق جل وعلا: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ (الماعون:١-٣) وكأن كسر خاطر اليتيم والمسكين لا يضاهيه إلا التكذيب بالدين، وهو جرم ما أبشعه! خاصة إذا علمنا أن جبر خاطر هؤلاء وغيرهم يمكن تأديته بكلمة حانية وبسمة صافية، أو بقليل من المال وهدية يسيرة وعون زهيد، أو حتى ببعض اهتمام يشعرهم بكينونتهم وأهميتهم.



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي

إدارة الموارد البشرية.. رؤية مفاهيمية

مع تقدم العلوم الاجتماعية والإدارية، وتشعب جوانب الحياة المختلفة؛ نشأت ما أصبحت تعرف بـ«إدارة الموارد البشرية» في الشركات ومجالات الأعمال.

وهذه الإدارة تعنى بتطوير الجانب البشري في المؤسسة، وهو أهم الجوانب بلاشك؛ بحيث يتناغم هذا الجانب مع أهداف المؤسسة وطموحاتها، ويتحلى بالمهارات اللازمة لتحقيق ذلك.

فإدارة الموارد البشرية «وظيفة إدارية تهتم بجميع سياسات وتطبيقات العناصر البشرية داخل المنظمة، والتي تهدف إلى تحقيق أهداف المنظمة وأفرادها والمجتمع؛ ويتم ذلك من خلال مجموعة من أنشطة وبرامج خاصة بتحليل وظائف المنظمة؛ ومن ثم، تخطيط الموارد البشرية واستقطابها واختيارها وتدريبها وتقييمها وتحفيزها وتطويرها بشكل فعال»(1).

ويمكن القول بأن إدارة الموارد البشرية تعني «كافة العمليات المتعلقة بالإدارة بوجه عام؛ وهي التخطيط، والتنظيم، والتوجيه، والمتابعة، وتقييم كافة العمليات والأنشطة التي تؤدي إلى بذل أقصى الجهود للموارد البشرية؛ وذلك لتحقيق أهداف المنظمة وأهداف الأفراد، مع زيادة هذه الجهود باستمرار»[٢].

وفي ضوء أهمية العنصر البشري في العمل، لم يعد يستخدم مصطلح العاملين، أو القوى العاملة، أو العمال، أو الأفراد؛ بل أصبح يستخدم مصطلح الموارد البشرية؛ للدلالة على أهميته، باعتباره أحد أهم عناصر مداخل العمل. وهذا أحد الأسباب التي أدت إلى تغيير مسمى «إدارة الأفراد»، ليصبح «إدارة الموارد البشرية»[٣].

وقد بدأ مفهوم إدارة الموارد البشرية في الظهور في بداية السبعينيات من القرن الماضي؛ حيث بدأ اليابانيون بإنشاء وحدة مختصة بإدارة الموارد البشرية؛ لقناعتهم بأهمية الأفراد العاملين، وضرورة اعتبارهم عنصرا هاما في التنظيم وليس كآلات عاملة؛ إذ زاد الاهتمام بمشاعر وحاجات الموظفين، وزاد التركيز على الوسائل والأساليب التي يمكن استخدامها لتلبية حاجات ورغبات الموظفين مع ملاءمتها لحاجات المنظمات من زيادة الإنتاجية والربح[٤].

وهذا المقال ليس معنيا بالغوص في «إدارة الموارد البشرية» كمفهوم إداري، له آلياته ومواصفاته، وكيفية تطبيقه وقياسه.. وإنما هو معني بتناولها من زاوية المفاهيم التي تتماس معها، وترتبط بها.. بما يلقي الضوء في الإجمال على أهمية إدارة الموارد البشرية وضرورتها، ويوضح من زاوية أخرى بعض الجوانب اللازمة لها من حيث الممارسة والتطبيق.

مركزية الإنسان

أول ما يقابلنا من مفاهيم مرتبطة بإدارة الموارد البشرية هو ما يتصل بمركزية الإنسان؛ ذلك أن هذه الإدارة تقوم على تنمية الإنسان، وتأكيد أن العامل البشري هو الأساس ضمن العوامل اللازمة لتحقيق التنمية؛ التي هي ليست عملية مادية صماء، وإنما يتفاعل فيها العنصر البشري مع العنصر المادي.. ولكل درجته وأهميته.

والإنسان، من منظور الإسلام، وبتعبير شهير للإمام محمد عبده، هو عبد لله وحده، وسيد لكل شيء بعده؛ فله سخر ما في السماوات والأرض، وبعثت الرسل، وأنزلت الشرائع، وكان المنهاج والميزان.

ومفهوم مركزية الإنسان مفهوم أصيل في إدارة الموارد البشرية؛ إذ هي تدور حول «الإنسان» وتهدف إلى الارتقاء به وتطوير مهاراته.. والتنمية بوجه عام لا يمكن أن تحقق طموحاتها ما لم تضع الإنسان في القلب من مستهدفاتها وبرامجها؛ لأن الارتقاء بالإنسان هو الضمان الأكيد لاستدامة التنمية، والارتقاء بها إلى آفاق المعنى والمادة، وليس الانحصار في النظرة المادية التي لا تفرق كثيرا بين الإنسان وغيره من الكائنات، بل قد لا تفرق أصلا!

والإسلام في نظرته للإنسان يقرر أنه مخلوق مكرم، وأنه مكون من الروح والمادة معا، وأنه لا حياة له إلا بتزكية نفسه وعبادة ربه واتباع المنهج: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام:١٢٢).

إذن، فإدارة الموارد البشرية تعني، في

المحصلة، تأكيد مركزية الإنسان.

الحاجة للتنمية

وهذا مفهوم آخر يرتبط بإدارة الموارد البشرية، وهو أن التنمية حاجة ملحة، وضرورة قصوى، ليست ترفا ولا نافلة. والتنمية في مفهومها العام تعني الزيادة؛ أي تحقيق معدلات أكبر في مجالات الحياة بما يضمن للإنسان حقوقه الأساسية بل ورفاهيته.

وهذه التنمية -التي تنبثق عنها إدارة الموارد البشرية وتطويرها- لم تعد خيارا، وإنما أصبحت ضرورة، ومن أكثر من زاوية.. فهي ضرورة من حيث الواقع المليء بالمشكلات والعقبات، مما يتطلب العمل على حلها وتجاوزها.. وهي ضرورة من حيث المستقبل الذي ينبغي الاستعداد له؛ وإلا فإن «حركة التاريخ» لا تعرف الوقوف في المحل؛ إنما هي صعود أو هبوط، تقدم أو تراجع.. والتنمية هي الكفيلة بتحقيق الصعود والتقدم.

وغني عن القول هنا: إن الإسلام لا تنفصل فيه الأبعاد الروحية عن الأخرى المادية.. وأن الإنسان يخسر الكثير، في الدنيا والآخرة، إن هو عمل على تنمية مادته فحسب، وأغفل روحه وقيمه وإنسانيته: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ (طه:١٢٤).

فإدارة الموارد البشرية تنبع من الشعور بالحاجة للتنمية، وضرورة استدامتها.

أهمية التطوير

مما تستدعيه إدارة الموارد البشرية أيضا من مفاهيم، مفهوم التطوير وأهميته.. فإدراك أهمية التطوير هو الدافع إلى تنمية الموارد البشرية، لا إهمالها أو البخل عليها بما تستحقه من برامج ومساعدة.

وهذا التطوير هو حاجة مستمرة، لا تعرف الوقوف عند نقطة ما، ولا الرضا بدرجة أو مرتبة؛ وإنما هو فعل مستمر يترقى في مدارج الكمال.

وإذا ظن الإنسان عند نقطة ما، أنه ليس بحاجة للتطوير، فهذا هو بداية النقصان والتراجع؛ إذ هو -حينئذ- يقنع نفسه بأنه الأفضل، وأنه في غنى عن الإفادة مما لدى الآخرين؛ فيصاب بالجمود والتكلس، ثم يفاجأ بأن الزمن قد فاته، وأن خبراته أصبحت تنتمي للماضي لا المستقبل، فضلا عن انفصالها عن الحاضر!!

ولهذا، كانت إدارة الموارد البشرية قائمة على إدراك أهمية التطوير وضرورته.

ضرورة الحافز

إدارة الموارد البشرية نحو مهارات أكبر، وفاعلية أكثر من الإنسان؛ لابد لها من حافز يدفع هذا الإنسان ليبذل أقصى طاقته، ويجود أداءه كأفضل ما يكون.. وإلا فإن انعدام الحافز يفقد المرء الرغبة في المنافسة؛ إذ الكل متساوون! كما أن هذا الانعدام يؤدي إلى نوع من البطالة؛ نظرا لضمان النتيجة والأجر ولو لم يكن ثمة جهد!

إن الله سبحانه وتعالى حين أمر الناس بعبادته وطاعته، جعل لذلك حافزا كبيرا يتمثل في الفوز برضوانه سبحانه، والنعيم المقيم في الجنة؛ فلا خوف على الطائعين ولا هم يحزنون: ﴿ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (البقرة:١١٢).

وكم رأينا من أمور لا تستكمل، ومن جهود توقفت بعد أن بدأت ناجحة؛ نظرا لغياب الحافز، أو لعدم جدارته بأن يكون حافزا باعثا على التطوير!

مبدأ التخطيط

تعتمد إدارة الموارد البشرية على التخطيط كركيزة أساسية لجسر الهوة بين ما هو واقع وما هو مأمول، ولتنمية مهارات فريق العمل والانتقال بهم إلى آفاق أرحب من الإنتاج والعطاء.

والتخطيط مفهوم نحتاجه وبشدة في واقعنا، سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات؛ حتى نخرج من حالة الكسل الفكري والعملي، ونوظف ما هو متاح -وهو كثير بالتخطيط- ونصل إلى ما نرجوه..

وغياب التخطيط يهدر الطاقات، ويضيع الأوقات والفرص، ويجعل المتاح -حتى لو كان كثيرا- في حكم العدم! ويدخلنا في دوامة من التراجع المتراكم والمشكلات المتفاقمة!

والإسلام في أحكامه وتوجيهاته يعود المسلم على التخطيط.. سواء في يومه؛ بمثل الصلوات الخمس بأوقات محددة.. أو في حياته، بمثل الأمر بالاستعداد للآخرة.. وما بين المسير والمصير يترسخ التخطيط في كل مفردات الحياة.

ومراجعة سيرة النبي ﷺ في مواطنها المتعددة، يجدها مثالا حيا ونموذجيا لفكرة التخطيط.. أي التخطيط بالأسباب المادية واستنفاذها، وعدم التهوين منها بزعم التوكل والاستعانة بالله كما هو حال البعض للأسف.. و«الهجرة النبوية» من مكة للمدينة، كمثال، حدث بارز في كل مفرداته على التخطيط.. وكذا «غزوة بدر» وغيرها من الغزوات.

وقصة يوسف عليه السلام أيضا درس عملي على التخطيط عند مواجهة الأزمات، بل واستباق الأزمات؛ من خلال حسن الاستعداد لها والمحافظة على المقدرات، وعدم الغفلة عن بوادر الأزمة أو الاستهانة بعواقبها.. مع حسن اللجوء والتضرع إلى الله تعالى؛ فبيده سبحانه الأمر كله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (يوسف: ٤٧- ٤٩).

مبدأ التقييم والمحاسبة

بعد الشعور بالحاجة للتنمية، وإدراك أهمية التطوير، ووضع الحافز للتشجيع، والتخطيط الجيد الذي يراعي الأمر من زواياه كافة، وجوانبه المختلفة.. يأتي مبدأ التقييم والمحاسبة كمفهوم أساسي مرتبط بإدارة الموارد البشرية؛ حتى تنشأ الجدية والمسئولية لدى المخاطبين، ولا يتساوى المجتهد بالمخطئ، والمثابر بالمهمل.

النفس البشرية قد تركن إلى الدعة والتفلت، ولن تعدم المعاذير والمبررات! وإذا لم يتضح لها أنها ستخضع للتقييم والمحاسبة، فإن ركونها للدعة سيزداد، والتفلت لن تكون له حدود أو قاع!

ولهذا، أخبرنا الله سبحانه أنه لم يخلق الناس عبثا، وإنما هم في الدنيا لمهمة محددة هي العبادة، ولفترة محدودة هي الأعمار؛ ثم بعد ذلك يكون المصير جنة أو نارا، بعد العرض والميزان والحساب!

ومن العجيب، أنه رغم وضوح هذا الأمر غاية الوضوح، وتكراره كثيرا في القرآن الكريم؛ فإن الإنسان لا ينزل ذلك من نفسه ووعيه وأفعاله المنزلة اللائقة، التي تدفعه للاستقامة والاجتهاد.. وإنما يركن لهواه ولنزغات الشيطان، وينسى العهد والميثاق، ويضع الأمر والنهي خلف أذنه؛ ثم يكون الندم والحسرة حيث لا ينفع: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك:١٠).

وهذا يشبه ما نراه في الدنيا من جرائم ومخالفات، مع علم الناس بعقوبات تفرضها القوانين على ذلك.. فكيف لو لم تكن ثمة قوانين رادعة، وعقوبات مغلظة!

نعم، لن تنتهي المخالفات من دنيا الناس، فهذه طبيعة النفس البشرية وطبيعة الحياة وما فيهما من تدافع بين الخير والشر.. لكن وجود محطة للتقييم والمساءلة، مما يساعد على الالتزام والاستقامة، ويقلل من الأخطاء والانحرافات..

ولهذا، ترتبط إدارة الموارد البشرية بمفهوم التقييم والمحاسبة، الذي يجب أن يخضع لمعايير واضحة شفافة عادلة..

إذن، من خلال ما سبق تتضح لنا جملة من المفاهيم الأساسية المرتبطة بإدارة الموارد البشرية، والمتكاملة معها؛ حتى تنجح في استثمار الطاقات، وتنمية المواهب، وتشجيع المبادرين، وتحقيق ما نرجو من آمال وطموحات.

الهوامش

١- إدارة الموارد البشرية، د. محمد ابن دليم القحطاني، ص:٢٣، العبيكان، الرياض، ط٤، ٢٠١٥م.

٢- تنمية مهارات تخطيط الموارد البشرية، د. بسيوني محمد البرادعي، ص:١٧، ايتراك للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠٠٥م.

٣- إدارة الموارد البشرية.. بُعد استراتيجي، د. عمر وصفي عقيلي، ص: ١٢، ١٣، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.

٤- تنمية مهارات تخطيط الموارد البشرية، ص:١٧.

د. آندي حجازي
كاتبة تربوية



إدارة الكفاءات البشرية

في كل المجتمعات الحديثة تشكل المؤسسات بكل أشكالها جزءا مهما من تكوينها، وهذه المؤسسات تتضمن المؤسسات الحكومية والخاصة والوطنية، وتشمل الوزارات والهيئات والمؤسسات الاقتصادية والصحية والعلمية والاجتماعية والتربوية والفكرية والتنموية والترفيهية والرياضية وغيرها.

ولكي تقوم قائمة لأية منشاة أو مؤسسة مجتمعية بشكل قوي وذات فاعلية وتأثير في المجتمع لابد من أن تدار بشكل سليم ومنظم ومخطط له، وأن تتضمن إدارة جيدة لمواردها البشرية، حيث يتوافر بكل مؤسسة موارد بشرية وتحتاج من يديرها بكفاءة وهمة عالية وفعالية.

فما المقصود بالموارد البشرية؟

إن الموارد البشرية تتضمن الكوادر البشرية العاملة في المؤسسة، وهذه الكوادر البشرية هي بالحقيقة تمتلك المؤهلات والخبرات والإمكانات والمواهب والطاقات والأفكار والقوى البشرية المختلفة. ولابد لتلك القوى البشرية والموارد المتاحة لدى الأفراد من توظيفها وتطويرها والاستفادة منها بأقصى ما يمكن من أجل فائدة تلك المؤسسة التي يعمل بها الفرد وينتمي لها بحيث يكون انتاجه كأفضل ما يكون وكما يجب، والاستفادة من طاقاته تلك وتوظيفها بفعالية وكفاءة عالية واقتدار، لأن في ذلك تنمية للمجتمع؛ خاصة إن كانت كل مؤسسة تقوم بدورها الذي أنشئت لأجله.

وعرف د. مصطفى نجيب شاويش إدارة الموارد البشرية على أنها: « النشاط الإداري المتعلق بتحديد احتياجات المشروع من القوى العاملة، وتوفيرها بالأعداد والكفاءات المحددة، وتنسيق الاستفادة من هذه الثروة البشرية بأعلى كفاءة ممكنة»[١]. وعرف فليبو (Flippo) المهتم بهذا العلم إدارة الموارد البشرية على أنها: «تخطيط، وتنظيم، ومراقبة، واستقطاب، وتنمية، ومكافأة، وتكامل، وصيانة الموارد البشرية لغرض تحقيق أهداف المنظمة»[٢].

وبناء عليه، فلابد لكل مؤسسة سواء أكانت اجتماعية أو اقتصادية أو تعليمية أو دينية أو علمية أوتربوية أو صحية أو سياسية أوغيرها، من وجود إدارة تدير تلك الكفاءات والقدرات والموارد البشرية وتديرها بفن وموهبة وعلم واقتدار وخبرة وليس عشوائيا أو ارتجالا، ولذلك نشأ اليوم في غالب تلك المؤسسات ما يعرف بوحدة إدارة الموارد البشرية، فما دور تلك الإدارة؟ وما أهميتها؟

إدارة الموارد البشرية بكفاءة في المؤسسة

لكي تكون إدارة الموارد البشرية في أي مؤسسة ناجحة وفعالة وذات فاعلية وكفاءة عالية فلابد من أن تقوم بدورها والمتمثل فيما يلي:

١- صناعة الأهداف والإستراتيجيات العامة والخاصة للمؤسسة التي يعملون بها.

٢- وضع الخطط من أجل تحقيق تلك الأهداف للمؤسسة.

٣- تحديد الأسس والمؤهلات المطلوبة للأفراد العاملين بها.

٤- تصميم الهيكل التنظيمي للمؤسسة ووضع المسميات الوظيفية وفقا لأهداف المؤسسة، وتحديد الأجور المناسبة لكل وظيفة.

٥- انتقاء الأفراد المؤهلين وذوي الكفاءة والذين يحققون الشروط والمواصفات



المطلوبة من أجل العمل في تلك المؤسسة بما يتوافق مع أهدافها، وهذا يتحقق من خلال إجراء الامتحانات الوظيفية والمقابلات ومراجعة المؤهلات للافراد والمقارنة بينها واختيار الأفضل والشخص المناسب للمكان المناسب دون واسطات ومحسوبية؛ لأن الواسطة تضعف وضع المؤسسة ويبعدها عن تحقيق أهدافها وتطويرها.

٦- متابعة إنجازات الأفراد العاملين ومدى سعيهم واهتمامهم في تحقيق أهداف المؤسسة التي يعملون بها.

٧- تحفيز الأفراد العاملين بالمؤسسة بشتى الطرق من الحوافز المادية والمعنوية التي يجدونها مناسبة من أجل رفع الأداء ورفع المعنويات ودعم الأفراد لاستخراج طاقاتهم وتوظيفها لخدمة المنشأة.

٨- تشجيع الإبداع والابتكار والإنتاج المميز في المؤسسة لدى الأفراد من خلال إيجاد طرق متنوعة ومتجددة دائما للتحفيز للانتاج والعمل والابتكار، لأن العمل البيروقراطي والروتيني يصبح مملا للموظفين والعاملين وبالتالي تقل إنتاجيتهم للعمل مع الوقت وينزل إبداعهم نحو الصفر، إن لم تكن إدارة الموارد البشرية منتبهة لذلك وتقوم بدورها من الأنشطة التحفيزية والأفكار المبدعة.

٩- رفع كفاءة أفرادها العاملين بها وتطويرها من خلال عقد الدورات التدريبية اللازمة والضرورية لموظفيها من خلال تحسس حاجاتهم وسؤالهم عما يحتاجونها لتطوير أدائهم، وتسجيلهم في دورات تدريبية خارج المؤسسة بل وخارج بلدانهم أحيانا من أجل التطوير الأفضل والأسرع والمتقدم الذي قد يكون في دول أخرى.

١٠- عقد اجتماعات ولقاءات جلسات عصف ذهني مع الموظفين أو العاملين في المؤسسة بين الفينة والأخرى وكلما دعت الحاجة؛ من أجل متابعة مدى تحقق أهداف المؤسسة وكيفية تطويرها على أفضل وجه.

١١- توفير الأموال على المؤسسة من خلال الخطط الاقتصادية المناسبة وتقليل التكاليف المهدرة ومتابعة إنتاجية العاملين بالمؤسسة.

١٢- المحافظة على أخلاقيات العمل ومتابعة سلوكيات العاملين، وتوفير بيئة محببة مريحة نشطة مرحة وأخوية للعمل من خلال تنظيم أنشطة اجتماعية تجمع العاملين في المؤسسة وتطور العلاقات فيما بينهم.

١٣- تنسيق جلسات للتعاون بين إدارة المؤسسة وبين العاملين بها من أجل تحسين العلاقات وتطويرها واستماع المسؤولين لحاجات العاملين، واستماع العاملين لرغبات إدارة المؤسسة وكيفية تحقيقها.

١٤- تقييم أداء العاملين وإدارة المؤسسة من جميع الجوانب بناء على أسس الاختيار السابقة ومدى تحقق الأهداف المرجوه، ومن ثم اتخاذ القرارات بناء على التقييم بما يحقق مصلحة المؤسسة والفرد أحيانا.

إدارة الموارد البشرية في مجال التعليم

إن ما ينطبق على إدارة الموارد البشرية في أي مؤسسة في الدولة سوف ينطبق على مؤسسات التعليم من مدارس وجامعات ومعاهد ومراكز تعليم ودور حضانات وروضات وغيرها. فلابد لكل مؤسسة تعليمية لكي تنجح من توفير قسم يعنى بإدارة الموارد البشرية، وتتلخص أهمية توافر إدارة الموارد البشرية في المؤسسات التربوية بما يلي:

١- وضع الرؤى والأهداف والإستراتيجيات المختلفة للمنشأة التعليمية، والمساعدة على تحقيق تلك الأهداف الإستراتيجية ومتابعة سير العمل.

٢- التنظيم في المؤسسة التعليمية: كإدارة الوقت وتوفير الأجهزة الحديثة والوسائل التعليمية والتكنولوجية اللازمة، واستقطاب المدرسين والعاملين المؤهلين للعمل في المؤسسة التربوية، والقادرين على إنجاز المهام المختلفة بقدر عال من الكفاءة، ووضع الهيكل التنظيمي والشروط للاختيار.

٣- توفير الأنشطة اللازمة في المؤسسة التعليمية: كالاحتفال بالمناسبات العامة، وتنظيم الرحلات، وتقديم الدعم اللازم في المناسبات الاجتماعية المختلفة.

٤- التواصل: كتنظيم الاجتماعات واللقاءات الهادفة بين إدارة المؤسسة التعليمية والعاملين بها ومع أولياء الأمور أحيانا، سواء التواصل الكتابي أو الشفوي، والاستماع لآرائهم وأفكارهم وحاجاتهم وتحفيزهم للعمل وطرح الأفكار من أجل التغيير والتحديث والإبداع.

٥- حل المشكلات: التي تطرأ في المؤسسة التعليمية وخاصة بين الموظفين وإدارة المؤسسة أو بين الموظفين أنفسهم. من أجل استمرار تحقيق أهداف المؤسسة، والتأكد من إنجاز المهام المطلوب إنجازها.

٦- توفير الحوافز والمنح والمساعدات المادية والمعنوية للمدرسين والعاملين بالمؤسسة التربوية من أجل ضمان استمرارية الإنتاج والإبداع.

٧- تنظيم التواصل بين المؤسسات التربوية المختلفة من أجل تبادل الخبرات والاستفادة من كلا الطرفين، كتنظيم المعارض والمؤتمرات التربوية وورش العمل واللقاءات التربوية.

٨- التقييم المستمر للأداء ولمدى تحقق الأهداف من أجل التطوير والتحسين واتخاذ القرارات لصالح المنشاة التعليمية.

الهوامش

١- وهنة زينب، وبلهادي مريم (٢٠١٣م/٢٠١٤م)، إدارة الموارد البشرية في المؤسسة الاقتصادية، الجزائر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ص ١٨-١٧.

٢- د. نعيمة يحياوي، سلسلة محاضرات في إدارة الموارد البشرية، باتنة: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي - جامعة الحاج لخضر، ص٤.

د. مسعود صبري
أستاذ مشارك في الفقه والأصول





توظيف الطاقات في السنة النبوية

جاءت حضارة الإسلام لتعتني بالإنسان قبل البنيان، وبالروح مع الجسد والوجدان، لتقدم النموذج الأمثل في التكوين، ولتقدم نظرية متكاملة لحياة الإنسان ومسيرته، منذ خلقه بل قبلها إلى آخر رمق له في الحياة.

وكانت عناية الإسلام بالإنسان بالغة مبلغ الكمال، بما لم يعرف في أمة من الأمم، أو حضارة من الحضارات، كيف لا، والتعاليم التي جاء بها الإسلام هي من خالق الإنسان، والأعلم بحاله من نفسه، ولذا تميزت نظرية الإسلام للإنسان بأنها ربانية المصدر، مستقيمة التوجه، متكاملة الرؤية، متوازنة الجوانب، فطرية الاستقبال، عالمية الأثر، واقعية الأداء، حسنة الصورة والجوهر، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ (الانفطار:٧-٨).

وقد حفلت السنة النبوية بجوار القرآن الكريم بكثير من معايير الجودة في إدارة الموارد البشرية، انطلاقا من أن الإنسان هو من شرفه الله تعالى في هذا الكون، وقدمه على غيره، فكانت عناية القرآن والسنة بالبناء الإنساني وإدارة طاقاته محورا أساسا.

ومن أهم تلك المعايير:

أولا: مراعاة الفروق الفردية:

إن أول ركيزة من ركائز إدارة الموارد البشرية هي إدراك الفروق الفردية بين فرق العمل ومراعاة ذلك في الأدوار والوظائف، ولقد قرر القرآن في ذلك قاعدة اجتماعية كبرى لا يستغني عنها أي أحد، خاصة في المجال الاجتماعي، أو مجال الأعمال والإدارة، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ليسوا سواء﴾ (آل عمران:١١٣)، وقوله جل في علاه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود:١١٨)، إن هاتين الآيتين وأمثالهما تقرر قاعدة غاية في الأهمية في مجال الموارد البشرية وإدارتها وهي أن الموارد البشرية ليست واحدة، وهذا يعني مراعاة التنوع في الاختصاص والمهارات من جهة، وكذلك تفاوت الإتقان في الطبقة الواحدة والتخصص الواحد من جهة أخرى، وأن على من يدير الموارد البشرية أن يستكشف الطاقات الكامنة في كل أحد، وأن يوظفها بالأسلوب الأمثل، وأن الدور الواقع على عاتقه ليس معرفة العيوب والنقائص فحسب، بل المعرفة الشاملة لفريق العمل؛ حتى يتكامل



فيما بينه، ويقوم بالأدوار المنوطة به على الأوجه الأحسن.

ولقد كانت مراعاة الفروق الفردية في الوظائف من أهم سمات الإدارة النبوية في الموارد البشرية، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: حكاية الأذان:

إن عبدالله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رأى رؤيا الأذان في المنام، فذهب إلى النبي ﷺ فقصها عليه، فلم يعطه النبي ﷺ تلك الوظيفة، ولا رأى أنه أحق بها، كونها رآها دون غيره، بل أمره أن يخبر بلالا بما رأى، وكلف بلال بن رباح بأن يقوم بوظيفة الأذان، وفي ذلك يروي عبدالله بن زيد قائلا -كما في سنن أبي دواد وغيره: «فلما أصبحت أتيت النبي ﷺ فأخبرته بما رأيت فقال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به؛ فإنه أندى صوتا منك، فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به، قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في بيته، فخرج يجر رداءه ويقول: والذي بعثك بالحق -يا رسول الله- لقد رأيت مثلما رأى. فقال رسول الله ﷺ: فلله الحمد».

وهذه الإدارة النبوية للموارد البشرية تصحح مفهوما مغلوطا، وهي أن كل من أتى بفكرة فهو أحق بتنفيذها، نعم هو أحق بتنفيذها إن كان أهلا لذلك، أما إن كان غيره أكثر كفاءة منه في تنفيذها، فله أجر الفكرة، وعلى غيره التنفيذ، لأن التشبع بقيام صاحب الفكرة بها مع قصور طاقاته؛ ضياع لها، وإدارة الطاقات البشرية قائمة على إستراتيجية «مراعاة الفروق الفردية» فلا يكلف كل الفريق بنفس العمل، بل لكل عمله حسب طاقته.

المثال الثاني: اختيار الولاة:

ومن معالم الهدي النبوي في إدارة الموارد البشرية التفريق بين حب الأشخاص وإيكال المهام لهم، فعلى الرغم من حب النبي ﷺ لأبي ذر، وقربه منه، إلا أنه لم يجعله واليا على إمارة، بل نهاه عن ذلك؛ لعلمه أنه ليس من أهل الولايات السياسية، ولا يقدر عليها.

ولهذا ورد عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم» رواه مسلم.

وعنه قال: قلت: «يا رسول الله! ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي، ثم قال: يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها» رواه مسلم.

وتظهر حنكة القائد وحسن سياسته، والمعالجة النفسية حين نؤخر بعض من يظن أنه أهل لبعض المناصب، فليس الأمر قرارا حازما فحسب، بل يجب أن نوصل الرضا والقناعة لدى الأشخاص أنهم ليسوا أهلا لذلك، ولا نستعمل سيف السلطة وحده، وهذا ما نلاحظه من قول النبي ﷺ لأبي ذر: «وإني أحب لك ما أحب لنفسي»، فالقرارات في إدارة الموارد البشرية ليست قائمة على العاطفة المجردة، بل قائمة على تحقيق المصلحة واختيار الأصلح، وأن إبعاد شخص ما، ليس كرها له، أو تقليلا من شأنه، بل قد يكون حبا له، لأنه إن وجد في المكان غير المناسب؛ فسيبوء بالفشل، وأن نغرق الناس في الفشل هو الكره بعينه، وإن لم يروا هم ذلك.

استكشاف الطاقات

إن من أهم العوامل التي تؤثر في إدارة الموارد البشرية إيجاد السبل والوسائل التي تجعل قائد الفريق يستكشف من معهم، ويعرفهم عن قرب، حتى يستطيع أن يوظف كل واحد في مكانه، وهذا لا يتأتى بالجلوس في المكاتب بعيدا عن فريق العمل، بل يتأتى بالمصاحبة والمجالسة والمخالطة، لا من خلال كتابة التقارير التي قد تدخلها المحاباة، ولا يعني هذا المخالطة المستمرة لأصحاب القرار، لكن الغياب الكلي للقادة والمسؤولين قد يكون مضرا في إدارة الموارد البشرية، وفي الهرم الوظيفي والتفويض الجزئي أحيانا والكلي أحيانا ما قد يعيب على ذلك.

ومن الهدي النبوي في استكشاف الطاقات البشرية:

أنه كان ﷺ يجلس معهم ويخالطهم ويحكي لهم ويسمع منهم، فتلك



المعايشة تولد المعرفة الحقيقية. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في صحيحي البخاري ومسلم عن سماك قال: قلت لجابر بن سمرة: «أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كثيرا. كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام. وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون، ويبتسم ﷺ».

إن المعايشة الحقيقية للقادة مع فريق العمل تولد لديهم معرفة دقيقة بخبرات وطاقات تلك الموارد البشرية، وتسهم في اختيار الكفء في محله، كل حسب طاقته. ولعل هذا ما يشير إليه ما أخرجه الترمذي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأشدهم حياء عثمان، وأقضاهم علي، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل قوم أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر، أشبه عيسى عليه السلام في ورعه، قال عمر: أفنعرف له ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، فاعرفوا له».

إن هذا الاستكشاف الواضح لطاقات كل فرد من أفراد الفريق عامل حيوي في توظيفه ليقوم بالدور الذي يليق به، مما يسهم في عملية الإنتاج بأعلى درجاته وأتقنها.

توزيع الأدوار

ويستتبع استكشاف الطاقات ومعرفة المهارات لدى فرق العمل أن يوظف كل شخص حسب خبرته وعلمه، وأن يوكل كل أمر لصاحبه، فإن تولي المناصب والوظائف يجب أن يكون خاضعا لمعايير واضحة، تمثل الشفافية الكاملة، التي تضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وقد أشار القرآن الكريم إلى وجوب وضع معايير للاختيار، الذي يتناسب والوصف الوظيفي، ومن أهمها الخبرة في التخصص، والأمانة في الدين والخلق، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ (القصص:٢٦)، وتكرر المعنى في قصة يوسف عليه السلام حين قال لملك مصر: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ (يوسف:٥٥).

وفي هذا المقام يطرح إشكال مفاده أن يوسف عليه السلام قد طلب الإمارة؛ لأنه يرى نفسه كفئا لهذا، فمن حق كل أحد أن يتقدم لأي وظيفة أيا كانت، وأن يرشح نفسه لذلك؟

والذي يبدو لي أن هذا غير صحيح، ويظهر ذلك من سياق الآيات السابقة، فإن الملك لما عرف خبرة يوسف حين فسر له حلمه الذي رآه، وعرف قصته، طلب يوسف للإمارة بوجه عام، وأنه يحتاجه معه ليستعين به، فاختار يوسف -عليه السلام- المكان المناسب له الذي يوافق خبرته.

ونلاحظ هذا من سياق الآيات:

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ (يوسف:٥٤)، فهذا قرار من الملك أن يكون يوسف -عليه السلام- معه، وأن الملك هو من بادر بطلب يوسف وليس العكس.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾، ثم كرر الملك الطلب، فكان رد يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ (يوسف:٥٥).

وقد كان من هدي النبي ﷺ أن يوظف كل واحد من أصحابه في

مكانه المناسب حسب خبرته.
فأرشد الأمة إلى أن يأخذوا القرآن من أربعة من أصحابه، وأنهم هم المرجع لهم في ذلك، كما ورد في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من عبدالله، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب»، كما اختار أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- رغم حداثة سنه لقتال الروم، وحين اعترض الصحابة على ذلك أو أبدوا ما يفهم منه رفض أسامة، غضب من موقفهم، وورد عنه ﷺ قوله: «والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتى أباه من قبله، وايم الله إن كان للإمارة لخليق، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة». كما جعل حذيفة بن اليمان صاحب سره، وأعطى زيد بن ثابت مهمة الترجمة وتعلم بعض اللغات كالعبرية وغيرها، وانتدب محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف، وجعل أبا بكر وعمر أقرب وزرائه إليه، وكان يستشيرهما في غالب الأمور.

التكامل بين فرق العمل

وهذا التفاوت في الفروق الفردية في الموارد البشرية يحسن أداء المؤسسة ويدفعها نحو الإنتاج الأمثل، وهو يمثل في نظرته الكلية التكامل بين أعضاء الفريق الواحد، وأن النجاح في الإنتاج أو أداء الأدوار أيا كان قائم على التنوع، وحاجة كل منا إلى الآخر، وهذا ما قرره القرآن الكريم بقوله سبحانه: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف:٣٢)، فإدارة الموارد البشرية تحتاج إلى التكامل في تحقيق الأهداف، وهذا التكامل يحفظ احترام التخصص من جهة، ويحقق التنسيق في العمليات التي يقوم بها الفريق من جهة أخرى.

التدريب والتأهيل

ومن الأمور ذات الأهمية في إدارة الموارد البشرية العناية بفريق العمل، والسعي لتطوير أدائه من خلال الدورات التدريبية والتأهيل والمشاركة؛ حتى ترتقي المنظمات والمؤسسات بالعاملين؛ مما يسهم في رفع الإنتاج وتحسين الأداء.
ولقد كان الهدي النبوي واضحا في تدريب الصحابة وتأهيلهم للقيام بكل الوظائف والمهام التي كانت على عاتقهم، أيا كان نوعها، وأيا كان مجالها، سواء في علاقة العبد بربه، أو علاقته بغيره في المعاملات، أو في محيط الأسرة، أو في غير ذلك.
ومن معالم ذلك: الدعوة إلى إتقان العمل:
فقد حث النبي ﷺ الأمة على الإتقان في جميع الأعمال، وهو ما يعبر عنه اليوم بـ«معايير الجودة»، أو «الآيزو»، وهو ما تتنافس فيه المؤسسات والمنظمات والهيئات، وقد نبه النبي ﷺ الأمة إلى هذا المعيار ذي الأهمية في إدارة الموارد البشرية فقال فيما أخرجه البيقهي: «إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».
وكم ضاع من المسلمين من فرص، وكم خسروا وتأخروا بسبب أنهم لا يتقنون أعمالهم، ولا يتأتى الإتقان إلا من خلال الوعي أولا، والقناعة بالتحسين والتجويد، ثم التدريب المستمر، والإنتاج المتطور.
وقد كان النبي ﷺ يعتمد إستراتيجية (التدريب الميداني: coaching)، حيث كان يعلم أصحابه كيفية الوضوء عمليا، ويعلمهم كيفية الصلاة رأي العين، وكان يريهم مناسك الحج ويقول لهم: «خذوا عني مناسككم».
ولما جاءه رجل يسأل، فطلب منه أن يأتي بما عنده في بيته، فأتاه بحصير وكوب فباعهما له بدرهمين، ثم أمره أن يشتري بأحدهما قدوما، ثم أتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عودا بيده ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة» رواه أبو داود.
والحديث نص في التدريب على المشروعات الصغيرة، وكيفية تحويل الطاقات المهملة إلى طاقات فعالة.
ولقد أدرك الصحابة -رضوان الله عليهم- أهمية التدريب في تحقيق الأهداف وإنجاز الأعمال، فقال لأهل الشام: «علموا أولادكم السباحة والرمي وركوب الخيل».
لقد حفلت السيرة النبوية بإشارات ونماذج قيمة في إدارة الموارد البشرية، وقدمت منهجا عمليا لذلك، بل ووضعت كثيرا من الإجراءات نحو تفعيل أكبر للموارد البشرية.



عايد الجاسم
كاتب وباحث دراسات إسلامية

الاهتمام بالعنصر البشري

مهما كان رأس المال كبيرا، والمعدات متطورة والأجهزة حديثة والإمكانات متوافرة، فإنه لا قيمة لكل ذلك إذا لم يكن الإنسان الذي ينفق المال ويشغل المعدات والأجهزة ويدير منظومة العمل مؤهلا ومدربا وقادرا على القيام بواجبات الإدارة بشكل صحيح. العنصر البشري ليس عاملا هامشيا أو ثانويا يمكن تجاوزه واستبداله بجهاز إلكتروني أو آلة أو أي عنصر من عناصر الإنتاج الرئيسية، إنما هو العنصر الأهم والأكثر تأثيرا في مجالات العمل المختلفة والقادر على تحقيق متطلبات النجاح المنشود ورفع مستوى الكفاءة التشغيلية والقدرة الإنتاجية. وفي ظل التحديات الحالية والمستقبلية، والتغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم، وسط تطور هائل في التقنيات والتكنولوجيا الحديثة وتدفق لامحدود في المعلومات فإنه بات من المهم مواكبة هذه التطورات بالتسلح بالعلم والمعرفة والتزود بكل ما يحتاجه الفرد من مؤهلات وخبرات وتنمية للذات من خلال التدريب المستمر والتأهيل المهني اللازم الذي يمكنه من تحسين مستوى الأداء والإنتاجية. لقد اهتم الإسلام كثيرا بالإنسان وحضه على التزود بالعلم والمعرفة وأداء العمل بإتقان والتزام، لأن عملية البناء والازدهار وعمارة الأرض وتحقيق التنمية والنهضة الشاملة لا تكون إلا من خلال إنسان مؤهل يملك المقومات والإمكانات والقدرة على القيام بهذا الدور. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ (الإسراء:٧٠). وقال الله تعالى في سورة القصص: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ (القصص:٢٦). وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه». وهناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تبين وتتناول شروط وأسس الاختيار والمفاضلة بين البشر. فالقوة والأمانة وإتقان العمل وغيرها من الصفات هي التي يتميز بها كل شخص عن غيره. وكلما سعى الإنسان إلى اكتساب مهارات جديدة وعمل على تنمية قدراته وإمكاناته فإن فرصه تكون أكبر في الحصول على العمل والترقية والامتيازات والحوافز. ويأتي الاهتمام في إدارة الموارد البشرية وتدريب العاملين وتنمية قدراتهم وإكسابهم المهارات اللازمة من خلال التأهيل المهني والدورات التدريبية بهدف تحسين الأداء وزيادة الكفاءة التشغيلية وتهيئة كل الوسائل والأدوات المطلوبة لإتقان العمل. فغاية ما تسعى إليه الموارد البشرية هو تغيير مهارات الفرد وإمكاناته نحو الأفضل من خلال إكسابه مهارات جديدة عبر التدريب والتعليم المستمر والتوجيه السليم. وليست إدارة الموارد البشرية عملية بسيطة وسهلة بل هي من أهم الأعمال لكونها مرتبطة بالعنصر البشري الذي يمثل رأس المال الحقيقي.





عبدالله الظفيري
كاتب وصحافي

طور نفسك يتطور عملك

لم تعد عملية تطوير المهارات والقدرات واكتساب الخبرات مسؤولية مقتصرة على الفرد وحده، لكن جزءا من هذه المسؤولية يتحمله جهة العمل، سواء كانت قطاعا حكوميا أو خاصا، طالما كان هدف هذه الجهة هو تطوير الأداء وتحسين الإنتاجية والنهوض بمستوى الخدمات المقدمة.

الاهتمام في التدريب والتعليم وتزويد العاملين في النصائح والتوجيهات والخبرات اللازمة لتحسين الأداء ورفع مستوى الكفاءة ليس ترفا ولا أمرا هامشيا يمكن تجاوزه والاستغناء عنه، بل أصبح واجبا وخيارا استراتيجيا ومن المتطلبات الأساسية لزيادة الكفاءة والقدرة التشغيلية.

نجاح أي جهة في عملها والوصول إلى تحقيق أهدافها مرتبط بمدى كفاءة العاملين لديها وبما يتمتعون فيه من خبرات وقدرات تؤهلهم إلى النهوض في أداء واجبات العمل بالصورة المطلوبة.

الاستثمار في العنصر البشري؛ باعتباره أحد أهم موارد جهات العمل، فرضته الكثير من التحديات والتطورات التي يشهدها العالم، وعلى رأسها انتشار المعرفة والتدفق الهائل في المعلومات بسبب التكنولوجيا الحديثة، فأصبح هناك استقطاب للكفاءات البشرية من أصحاب الخبرات والمؤهلات، فضلا عن محاولة إعادة اكتشاف مؤهلات العاملين وقدراتهم لتحقيق الاستفادة القصوى من إمكانات كل فرد عامل.

أصبح الاهتمام في إدارة الموارد البشرية يتنامى بصورة لافتة، بعدما اتضحت أهميتها في إدارة رأس المال البشري وقدرتها على رفع مستوى الإنتاجية وتحسين الخدمات عن طريق التأهيل والتدريب المستمر والاستخدام الأمثل لكل العاملين في المؤسسات، سواء كانت حكومية أو خاصة.

وتكمن أهمية إدارة الموارد البشرية في كونها تعمل على توفير فرص التعليم والتأهيل والتدريب المطلوبة لإكساب مهارات وخبرات جديدة في إطار السعي لتطوير الإنسان وتغيير إمكاناته ومؤهلاته نحو الأفضل.

وتحرص الموارد البشرية على تحقيق الموازنة بين أهداف العاملين من جهة، ومنشأة العمل من جهة أخرى، للوصول إلى غاية رفع مستوى الإنتاجية وزيادة العطاء وتعزيز الولاء والانتماء لمكان العمل.

وكلما كانت بيئة العمل مناسبة ومهيأة لأداء واجبات الوظيفة، فإن ذلك ينعكس بالإيجاب تجاه القيام بالمهام والمسؤوليات الملقاة على عاتق كل فرد بكل كفاءة ومسؤولية واقتدار، وهو ما سيؤدي الى تطوير أداء جهة العمل ورفع مستوى الكفاءة والإنتاجية ويمكنها من تحقيق كل أهدافها.

من أراد أن يطور عمله فعليه أن يطور نفسه.. وهذا لن يتحقق من دون التدريب والتعليم المستمر ومواكبة المستجدات والمتغيرات، خصوصا في ظل التقدم التقني والتكنولوجيا الحديثة وسهولة وصول المعلومات التي حولت العالم إلى قرية صغيرة.



طارق زوكاغ
باحث في التراث الإسلامي

مخطوط «الأجوبة» للونشريسي

يعتبر كتاب «الأجوبة» أحد أهم المؤلفات النوازلية للإمام الونشريسي. ورغم أهميته وكثرة النقول عنه في كتب النوازل والفقه بالغرب الإسلامي فإنه لم يحقق بعد.

أولا: التعريف بالتراث النوازلي للإمام الونشريسي

تبوأ أبو العباس الونشريسي[١]، التلمساني منشأ، الفاسي دارا وقرارا؛ منصب الإمامة الفقهية بالغرب الإسلامي في زمانه، ونكتفي بشهادة شيخ الجماعة ابن غازي المكناسي (ت.٩١٩هـ/١٥١٣م)؛ إذ قال: «لو أن رجلا حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك، أصوله وفروعه، لكان بارا في يمينه، ولا تطلق عليه زوجته؛ لتحريه وكثرة اطلاعه، وحفظه وإتقانه»[٢]. وقد اعتبرت مؤلفاته -رحمه الله- مرجعا معتمدا في علم الفقه والفتوى والقضاء والتوثيق ببلاد المغرب، وحظيت بالعناية والتحقيق، وصارت نوازله مجالا معرفيا خصبا للباحثين في تاريخ الغرب الإسلامي على اختلاف تخصصاتهم، وأشهرها موسوعته النوازلية الموسومة بـ«المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب»[٣]، و«الأجوبة الونشريسية على المسائل القلعية»[٤]، و«إضاءة الحلك، والمرجع بالدرك، على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك»[٥]، و«أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر»[٦]، و«الأسئلة والأجوبة»[٧]، و«مختصر أحكام البرزلي»[٨]، و«المبدي لخطأ الحميدي»[٩].

ومن بين مؤلفات الونشريسي التي ما زالت مخطوطة ولم يكتب لها التحقيق بعد؛ كتاب «الأجوبة» الذي ضم العديد من النوازل الفقهية الفريدة التي لا توجد في غيره.

ثانيا: مضمون الكتاب ونسبته للونشريسي

كتاب «الأجوبة» هو مجموع من النوازل الفقهية؛ شاعت نسبته بين النوازليين والباحثين للونشريسي، غير أن المطلع على الكتاب يتضح له أن أبا العباس ليس هو صاحب هذا المجموع، وقد نبه الدكتور بوطاهر الخطابي (محقق كتاب «إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك») على هذا اللبس بقوله: «كتاب (الأجوبة) جمع فيه أجوبته، أو جمعت له على الأصح، وأضيفت إليه ٥٤ مسألة؛ كان وجهها إلى فاس أبو عبدالله القلعي، فأجاب عنها الونشريسي، وتعرف بالمسائل القلعية، أشار إليها ابن مريم في البستان»[١٠]. وهو ما نفيده من عبارة أبو محمد الزياتي (ت.١٠٥٥هـ/١٦٤٥م) في كتابه «الجواهر المختارة فيما وقفت

عليه من النوازل بجبال غمارة»؛ عندما نقل فتوى للونشريسي من كتاب «الأجوبة»، وختمها بقوله: «انتهى من بعض التقاييد»[11]، فلم ينسب الكتاب إليه رحمه الله.

وقد أسهمت مجموعة من الأسباب في شيوع نسبة الكتاب للونشريسي؛ منها عدم ذكر مؤلف هذا المجموع لاسمه في ثنايا الكتاب، وتضمينه العديد من فتاوى أبي العباس -رحمه الله- وتذييله بأجوبته عن الأسئلة التي أرسلها إليه الفقيه سيدي محمد المعروف بالقلعي(ق.١٠هـ/١٥م)، حتى أصبح العديد من الباحثين يجعلون كتاب «الأجوبة» نفسه «المسائل القلعية».

ثالثا: رحلة البحث

بعدما عقدت العزم على تقصي أجوبة الونشريسي، وتقميشها من كتب النوازل والفقه المطبوعة والمخطوطة التي ظلت حبيسة رفوف الخزانات والمكتبات العلمية؛ قصد جمعها في سفر واحد، وتيسير الاطلاع عليها من قبل الباحثين، تمكنت -بفضل الله- أن أجمع العديد منها، ولم يتعذر علي سوى الوقوف على مخطوط «الأجوبة»؛ الذي أجد الإحالة عليه في المصادر النوازلية والفقهية، وكتب التراجم، ومقدمات تحقيق كتب الونشريسي، إلا أنني عندما أتتبع أرقام الفهارس التي وضعها الباحثون المهتمون بتراثه -رحمه الله- لا أجد المخطوط المطلوب، فمثلا ذكر الخطابي بأنه «توجد نسخة من كتاب الأجوبة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: ك-٦٨٤، وأخرى بخزانة تطوان تحت رقم: ٦٥٤»[12]، وعند الرجوع إلى المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط لرمز الفهرسة (ك-٦٨٤)؛ نجد فقط الرسالة المشهورة بـ«المسائل القلعية»، التي ذكر الخطابي أنها ذيل لكتاب «الأجوبة»، وهي تحت عنوان: «أجوبة على مسائل فقهية»، وقد سبق لي أن ألححت على قيم المكتبة بأن يخبرني سبب عدم وجود الكتاب، فكان الجواب؛ أنه في مرحلة الترميم، ويتعذر الاطلاع عليه.

أما النسخة المذكورة بالخزانة العامة بمدينة تطوان؛ تحت رقم:٦٥٤، فإنها تعود إلى مخطوط «المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق» لأحمد بن يحيى الونشريسي، وليس لمخطوط «الأجوبة» له رحمه الله.

وهذا لا يعني أن الدكتور الخطابي أخطأ في الإحالة على مظنة المخطوط المطلوب، وإنما ترجع المسألة إلى إعادة فهرس المكتبات الوطنية للمملكة المغربية بالرباط لرصيدها الوثائقي بعد تحديثها.

وقد ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه «تاريخ الجزائر الثقافي» أن الحظ أسعفه في الاطلاع على مخطوطة «أجوبة فقهية»، وأنه في النوازل الفقهية، وهو كما يدل العنوان، أجوبة على أسئلة وردت إليه من المعاصرين في الموضوع، وقال: «هذا مخطوط أيضا في الخزانة العامة بالرباط رقم: ك-٦٨٤، وهو في حجم كبير (١٧٧ صفحة)، ولرداءة الحبر أصبحت أجزاء بعض الصفحات لا تكاد تقرأ»[13].

قلت: غلب على الظن حينها بأن المقصود بكتاب «الأجوبة» اختصار الونشريسي لأحكام البرزلي بسبب تقارب عدد صفحاتهما، خصوصا عندما وقفت على مخطوط للونشريسي بعنوان «حفظ الأئمة»، بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - المملكة العربية السعودية، رقم الحفظ:١٩٣٥-ف، وعندما اطلعت عليه تبين لي أنه مختصر أحكام البرزلي.

وهكذا عدلت عن البحث عن مخطوط «الأجوبة» في فهارس المكتبات الوطنية والدولية، إلى أن قدر الله لي النظر في حساب الدكتور إبراهيم عبدالعزيز اليحيى التميمي (رئيس قسم المخطوطات في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض) على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر»، فوجدته يعرض في أرشيفه صورة من مخطوط يتضمن جوابا للونشريسي؛ لم يسبق لي الاطلاع عليه فيما قمشته من أجوبته -رحمه الله- فبادرت إلى مراسلته طالبا منه تمكيني من المخطوط عساي أجد فيه بغيتي، فلم يبخل علي -حفظه الله- في تلبية طلبي، بعدما أخبرني أنهم الآن في قسم المخطوطات بدأوا من جديد في مراجعة الفهرسة وتدقيقها، ويوجد المخطوط تحت البيانات الآتية: (رقم الحفظ:٤٣٢٥، الفن: الفتاوى، العنوان: المعيار المعرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس

وبلاد المغرب ج٢، المؤلف: أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني، تاريخ وفاته: ٩١٤هـ، شهرته: الونشريسي، لغة المخطوط: عربي، تاريخ النسخ: ق ١٢، نوع الخط: مغربي، عدد الأجزاء: ١، عدد الأوراق: ١٥٠ ورقة، عدد الأسطر: ٢١ سطرا).

وما تمكن ملاحظته ابتداء حول البيانات السالفة؛ هو الخطأ الحاصل في العنونة، حيث أثبتت مخطوط «الأجوبة» تحت عنوان: «المعيار المعرب-الجزء الثاني».

أما الملاحظة الثانية فتتعلق بعدد ورقات المخطوط، حيث ذكرت أنها ١٥٠ صفحة، بينما نقل أبو القاسم سعد الله، الذي عاين المخطوط؛ أن صفحاته تبلغ ١٧٧، ويمكن إرجاع سبب الفرق بينهما إلى عدم تضمن نسخة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة لـ«المسائل القلعية» التي ذكر الخطابي أنها ذيل للكتاب، واستقلالها عنه نتج عن شهرتها بين الناس وإقبالهم عليها، كما صرح به ابن مريم (مؤرخ مدينة تلمسان) في كتابه «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان»[١٤].

وعليه؛ يعتبر المخطوط تاما من حيث الجملة؛ إذا ما استثنينا بعض الفراغات القليلة في عدد من صفحاته.

رابعا: أهمية الكتاب واعتماده في المدونات النوازلية والفقهية

يعتبر كتاب «الأجوبة» المنسوب للونشريسي جامعَ مُغْرِب للعديد من النوازل الفريدة ببلادِ المغرب، التي لا نجدها في غيره من المدونات النوازلية، حيث يفيد منه الباحثون في التراث الفقهي، وفي التراث التاريخي والاجتماعي للمنطقة؛ فهو جنس مصدري تاريخي مكتوب بلغة فقهية، و«قضايا رفعت من مختلف فئات المجتمع إلى القضاة ورجال الفتوى للنظر فيها، وهي عادة ما تذكر القضية أو النازلة كما حدثت بأشخاصها ووقائعها واسم المفتي الذي رفعت إليه، وأحيانا تاريخ وقوع النازلة، ثم الجواب أو الفتوى حول تلك النازلة أو المسألة الفقهية، فهي مرآة صادقة تعكس هموم ومشاكل لأفراد المجتمع وما يشغلهم في تلك الفترة»[١٥].

وكم سررت بفرح أحد الإخوة الباحثين المتخصصين في دراسة تاريخ مدينة تازة المغربية في العصر الوسيط انطلاقا من تراثها النوازلي؛ عندما أخبرته بوجود نازلة تازية فريدة في كتاب «الأجوبة»[١٦].

وتتجلى أهمية هذا المصدر النفيس في كثرة النقول منه في أمهات المدونات النوازلية المشهورة، فعلى سبيل المثال؛ نقل منه الزياتي في «الجواهر المختارة» نازلة حول جواز السلف من مال المسجد للموسر الواسع المال الظاهر للملك[١٧]، ونقل منه الشريف العلمي (ق.١٢هـ/١٨م) في نوازله نازلة حول جواز غرس الشجر في صحن المسجد[١٨]، وأخرى عن أهل قرية بنوا بيتا في صحن المسجد، ويسمونه المعمرة؛ يسكن فيه الإمام العازب، ويبيت فيه الغرباء صونا للمسجد[١٩]، ونقل السجلماسي (ت:١٢١٤هـ/١٨٠٠م) في شرحه لمنظومة العمل الفاسي؛ نازلة تتعلق بعادة رباط القبائل في السارق، أو من يتكلم في امرأة؛ أنه يؤخذ منه طعام يجتمعون عليه ويأكلونه[٢٠].

ولا يمكن أن يستعاض بمثل هذه النقول عن مصدرها، لأننا نجد العديد منها مختصرا أو اقتصر فيه مؤلفوه على نقل الجواب فقط دون أن يذكروا السؤال، فيكتبون اختصارا (مسألة تعرف من الجواب)؛ إذ كان اهتمام النوازليين حينها منصبا على الجواب أكثر من السؤال، بخلاف الباحثين في التاريخ الذين يركزون على السؤال أكثر من الجواب الفقهي.

ومن النوازل التي سطروها على هذه الشاكلة نذكر ما يلي:

اقتصر أبو الحسن التسولي (ت:١٢٥٨هـ/١٨٤٢م) في «الجواهر النفيسة فيما يتكرر من النوازل الغريبة» على نقل جواب للونشريسي حول جواز الصلاة في بيت الكافر[٢١]، وجواب حول شراء ما يأخذه أصحاب الوظائف الظلمية[٢٢]، وآخر حول الضمان في الدلالة[٢٣]، وذلك من دون أن يذكر الأسئلة من مصدرها.

وكذلك نقل الشريف المهدي الوزاني (ت:١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) في «المعيار الجديد» جوابا للونشريسي حول اشتراط العدالة في الإمام والشاهد[٢٤]، وجوابا حول جواز قتال الطائفة القاطعة للطريق[٢٥]، وآخر حول مسألة المضغوط في غرامة مال بالباطل[٢٦]، ومسألة أخرى حول إذا ضمن رجل رجلا في جميع أحواله، هل للمضمون مطالبة من شاء منهما؟

وغيرها من المسائل التي اقتصر فيها الوزاني على نقل الجواب فقط؛ دون إرفاقه بالأسئلة المسطورة في كتاب «الأجوبة».

وأخيرا؛ نرجو أن يكون المقال أظهر شيئا من أهمية هذا المؤلف النوازلي النفيس، وحرك رغبة الباحثين في الإفادة منه، راجين من الله سبحانه أن ييسر تحقيقه وتدقيقه.

الهوامش

١- تنظر ترجمته في «فهرس أحمد المنجور»، تحقيق محمد حجي، دار المغرب الإسلامي للتأليف والترجمة والنشر-الرباط، طبعة ١٩٧٦م، ص:٥٠-٥١.

٢- «دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر»، (ص:٤٧-٤٨)، محمد بن عسكر الحسيني، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة-الرباط، الطبعة الثانية سنة (١٩٧٧م/١٣٩٧هـ)، ص:٤٧.

٣- حققه محمد حجي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، سنة النشر (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

٤- توجد مجموعة من النسخ الخطية بالمغرب؛ منها: نسخة بالمسجد الأعظم بوزان، تحت عنوان: «الأجوبة الونشريسية على المسائل القلعية»، رقم الحفظ:٥٢٦.

٥- توجد نسخة مطبوعة منها على الحجر ضمن مجموع بخزانة القرويين (رقم:١٦٥٨١).

٦- «المعيار المعرب»، الونشريسي، (١١٩/٢-١٣٦).

٧- «المعيار المعرب»، الونشريسي، (٤٧٤/٦-٤٧٥).

٨- حقق الكتاب عدة مرات في الجامعات المغربية منه تحقيق الباحث ضيف الله بن عمر بن سالم الحداد تحت إشراف مزدوج من الدكتور حميد لحمر والدكتور عبدالله العماري، وحصل به على درجة الدكتوراه من جامعة سيدي محمد بن عبدالله، كلية الآداب - سايس؛ بتاريخ (٢٠١٣/٠٦/٢٤م).

٩- رسالة صغيرة من ٢٤ صفحة؛ تضمنت تصويبات خطأ ما ذهب إليه أحد طلبة فاس إثر إجابته على مسألة في النكاح، يوجد ضمن مجموع بالخزانة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط، رمز الوثيقة (٢٣٦/٢).

١٠- «إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبدالله مالك»، تحقيق أحمد بوطاهر الخطابي، صندوق التراث الإسلامي المشترك بين الإمارات العربية المتحدة والمملكة المغربية، الطبعة الأولى: (١٩٨٠م/١٤٠٠هـ)، ص:٦٩.

١١- «الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة»، عبدالعزيز الزياتي الغماري، تحقيق غنية عطوي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية-قسنطينة-الجزائر، السنة الجامعية: (١٤٣٣-١٤٣٤هـ/٢٠١٢-٢٠١٣م)، ص:٢٥٨.

١٢- «إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبدالله مالك»، تحقيق الخطابي، ص:٦٩.

١٣- «تاريخ الجزائر الثقافي»، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، (١٣٠/١).

١٤- ينظر «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان»، محمد بن مريم المديوني، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية-الجزائر، الطبعة الأولى (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، ص:٢٧١.

١٥ «جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي»، كمال السيد أبو مصطفى، مركز الإسكندرية للكتاب، طبعة سنة ١٩٩٧م، ص:٨-٩.

١٦- موضوع النازلة يرتبط بقضية كراء حمار للتحميل عليه من تازة إلى فاس، تمت سرقته من قبل قطاع الطرق، فهل يلزم غرم الحمار أم لا؟، ينظر مخطوط «الأجوبة»، الونشريسي، اللوحة:٧٧.

١٧- «الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة»، الزياتي، ص:٢٥٨.

١٨- مخطوط «الأجوبة»، الونشريسي، اللوحة:٢٥، و«نوازل العلمي»، (٣٠٥/٢-٣٠٦).

١٩- مخطوط «الأجوبة»، الونشريسي، اللوحة:٢٥، و«نوازل العلمي»، (٣٠٤/٢).

٢٠- مخطوط «الأجوبة»، الونشريسي، اللوحة:٦٠، و«شرح العمل الفاسي لأبي زيد الفاسي»، محمد بن القاسم السجلماسي، مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود-قسم المخطوطات، الرقم العام: ٥٣٨٨، اللوحة:١٥٦.

٢١- مخطوط «الأجوبة»، الونشريسي، اللوحة:٦٠، «الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة»، أبو الحسن التسولي، الخزانة الحسنية- الرباط، رقم: ١٢٥٧٤، الجزء:١، اللوحة رقم:٦٧.

٢٢- مخطوط «الأجوبة»، الونشريسي، اللوحة:٦٨، و«الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة-من نوازل البيوع والإقالة والتولية والثنيا إلى نوازل الشركة والمزارعة والمغارسة»، أبو الحسن التسولي، تحقيق عبداللطيف راحل، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة آيت ملول-أكادير، السنة الجامعية: ٢٠١٧/٢٠١٨م، ص:٥٥٧.

٢٣- مخطوط «الأجوبة»، الونشريسي، اللوحة:٦١، و«الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة»، التسولي، تحقيق عبداللطيف راحل، ص:٦٠٩.

٢٤- مخطوط «الأجوبة»، الونشريسي، اللوحة:٦٠، و«المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب»، المهدي الوزاني، تحقيق عمر بن عباد، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (٤٤٥/١).

٢٥- مخطوط «الأجوبة»، الونشريسي، اللوحة:٦٠، و«المعيار الجديد»، الوزاني، (٢٢٢/١٠).

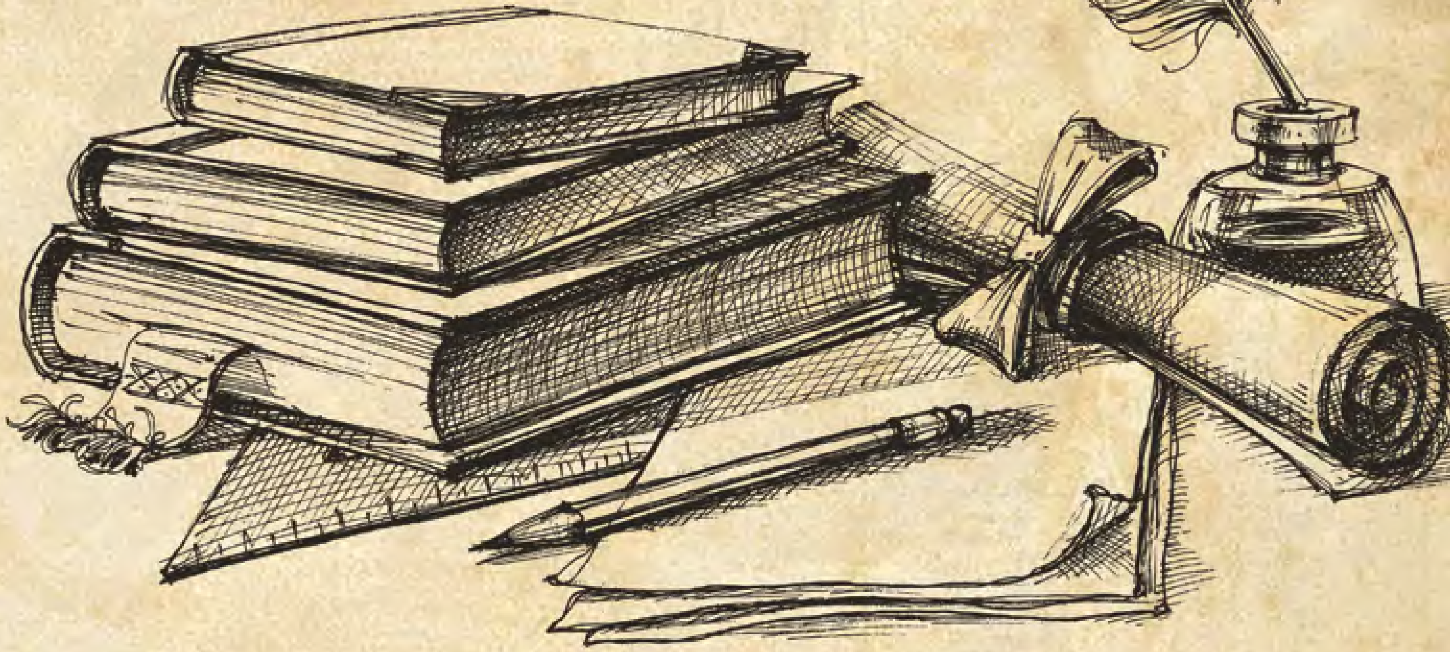
٢٦- مخطوط «الأجوبة»، الونشريسي، اللوحة:٦٠-٦١، و«المعيار الجديد»، الوزاني، (٤٥٠/٦).



د. سعيد الشوية
دكتوراه في الفقه والأصول

إعمال الكليات الفقهية وتوظيفها

منهج القاضي عبدالوهاب



إن المطلع على فقه مدارس المالكية عموما، والمدرسة العراقية منها خصوصا، من خلال بعض كتبها الفقهية المتخصصة؛ يلحظ بجلاء جودة العرض وغزارة المادة وقوة الجانب وصلابته، ويلفت نظره مسألة التقعيد عموما وبراعة إعمال الكليات الفقهية خصوصا. وهذا ما وقفت عليه عن قرب، من خلال معاشرتي الطويلة لكتب القاضي عبدالوهاب البغدادي، خصوصا كتابي «المعونة» و«الإشراف»، وقد حركت في نفسي قدرته على التفنن في صوغ الكليات الفقهية الكثيرة العدد وإنشائها، وأسلوبه في استثمارها والتعليل بها، داعية بيان: «منهجه في إعمالها وتوظيفها».

وأقصد بالكليات الفقهية هنا، كل صيغة صدرت بكلمة «كل»[1]، سواء كانت قاعدة فقهية[2] أو ضابطا فقهيا أو حكما جزئيا[3]. والمتتبع لهذه الكليات في كتابات القاضي عبدالوهاب، والناظر في كيفية إعمالها واستثمارها، يصل إلى الإقرار بأن الرجل يمتلك ناصية الصناعة الفقهية، ويتميز بقدرة عالية في تقعيد الكليات الفقهية وتوظيفها، كما يبدو ذلك جليا من خلال بعض ملامح منهجه في إعمال هذه الكليات واستثمارها، والتي نذكر منها:

الفرع الأول: تنويع ألفاظ الكليات الفقهية.

إن حنكة القاضي عبدالوهاب العلمية مكنته من التحرر من الجمود على لفظ واحد للكلية الفقهية، وذلك عند الحاجة إلى إعمالها في أكثر من مناسبة، ولهذا نجده كثيرا ما يذكر الكلية الفقهية الواحدة بألفاظ مختلفة في حال إعمالها في أكثر من مناسبة، كما يتضح من هذه الأمثلة:

المثال الأول: في مناسبة استدلاله، رحمة الله عليه، في «المعونة» على أنه لا وضوء من القهقهة في صلاة

ولا غيرها، أعمل كلية فقهية بلفظ: «كل ما لم يكن حدثا في غير الصلاة لم يكن حدثا في أصل الصلاة»[٤]، وفي المناسبة نفسها أعمل في «الإشراف» الكلية الفقهية نفسها لكن بلفظ آخر قريب من اللفظ الأول، وهو قوله: «كل ما لم ينقض الوضوء في غير صلاة لم ينقضه في الصلاة»[٥].

المثال الثاني: في مناسبة بيانه في «الإشراف» جواز جمع الصلاة في طويل السفر وقصيره، أعمل رحمة الله عليه كلية فقهية بلفظ: «كل معنى جاز في الحضر لعذر، جاز في قصير السفر وطويله»[٦]، وفي المناسبة نفسها في «المعونة» أعمل الكلية نفسها، لكن بلفظ مغاير شيئا ما وهو قوله: «كل رخصة تعلقت بالصلاة جازت في الحضر لعذر، جازت في قصير السفر وطويله»[٧].

الفرع الثاني: التنويع في الكليات الفقهية والقدرة على تقعيدها وإنشائها.

نجد القاضي عبدالوهاب أحيانا يعمل كليات فقهية في مسألة في كتاب من كتبه غير التي يعملها في المسألة نفسها في كتاب آخر، وهذا يشهد بقدرته العالية على صوغ الكليات وتقعيدها، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

الأول: في «الإشراف» أعمل ثلاث كليات فقهية في سياق الاستدلال على جواز بيع الأعمى وشرائه، وهي: «كل من جاز نكاحه جاز بيعه وابتياعه»[٨]، و«كل من صح سلمه صح بيعه للأعيان»[٩]، و«كل عقد صح من البصير صح من الأعمى»[١٠]. في حين نجده في «المعونة» قد وظف كليات أخرى غير التي أعمل في

اختلفت سياقات أعمال القاضي للكليات الفقهية

«الإشراف»، وإن كانت في السياق نفسه، أي: سياق بيان جواز بيع الأعمى وشرائه، وهي: «كل من جاز تسليمه جاز بيعه للأعيان»[١١]، و«كل من صح أن يوكل في البيع صح أن يليه بنفسه»[١٢].

الثاني: في سياق حديثه عن مسألة قتل المرتدة خلافا للإمام أبي حنيفة، أعمل في «الإشراف» كلية «كل معصية أباحت دم الرجل بعد حظره فإنها تبيح دم المرأة»[١٣]، في حين أعمل في «المعونة» في المسألة نفسها كلية «كل من جاز أن يقتل بالقتل جاز أن يقتل بالردة»[١٤].

الفرع الثالث: إيراد أكثر من كلية فقهية في المسألة الواحدة.

لقد مكنت القاضي عبدالوهاب حنكته العلمية من إبراز براعته في إعمال الكليات الفقهية، حيث يجعلها في المكان المناسب، وبالعدد المناسب، في الموضوع المناسب، بأسلوب فقهي مناسب. فتارة يورد، رحمة الله عليه، الكلية الفقهية في مستهل حديثه عن المسألة الفقهية، وتارة يختم بها كلامه، وتارة أخرى يجعلها في الوسط. كما يلحظ كذلك أن المسألة الفقهية المتحدث عنها هي المتحكمة في عدد الكليات المستعملة؛ فتارة يوظف، رحمة الله عليه، كلية واحدة، وتارة أخرى يعمل كليتين، وحينا يورد ثلاث كليات، وحينا آخر يذكر أكثر من ذلك. وهذا ما يظهر من خلال هذه الأمثلة:

المثال الأول: إعمال القاضي لكليتين فقهيتين في تعليل عدم وجوب الوضوء على من قهقه في صلاته، وهما:

- كل ما لم ينقض الوضوء في غير صلاة لم ينقض في الصلاة كالكلام، عكسه الحدث[١٥].
- كل معنى لا ينقض الوضوء إذا حصل في صلاة الجنازة، لم ينقض في غيرها كالتبسم والكلام[١٦].

المثال الثاني: تعليل القاضي عدم صحة اعتكاف المرأة إلا في المسجد، خلافا للإمام أبي حنيفة في إجازته أن تعتكف في مسجد بيتها بثلاث كليات فقهية، وهي:

- كل من أراد الاعتكاف لم يجز له في غير المسجد، أصله الرجل[١٧].
- كل موضع لم يجز للرجل أن يعتكف فيه، لم يجز للمرأة كالحمام وسائر الطرقات[١٨].
- كل ما كان شرطا في الاعتكاف للرجل، كان شرطا في اعتكاف المرأة، أصله الصوم[١٩].

الفرع الرابع: التفنن في توظيف الكليات الفقهية واستثمارها.

اختلفت سياقات إعمال القاضي عبدالوهاب للكليات الفقهية وتنوعت مناسبات توظيفها، فتارة يستدل بها، وتارة أخرى يعلل بها ويدعم بها الدليل ويقوي بها اختياراته الفقهية، وأحيانا يعتمد عليها في توجيه الخلاف داخل المذهب، وهذا ما سيتم بيانه بشيء من التفصيل في المطلب الثالث من هذا المبحث تحت عنوان: سياقات إعمال القاضي للكليات الفقهية وتوظيفها.

الفرع الخامس: إعمال الكليات الافتراضية.

وظف القاضي عبدالوهاب في بعض مسائله كليات فقهية افتراضية، وهي كليات ينسبها القاضي إلى مخالف افتراضي، ثم يرد عليه، وذلك بقوله: «فإن قيل:... قلنا:...»، أو «فإن قيل:... قلنا له:...»، أو «فإن قيل:... فالجواب:...». ومن أمثلة ذلك نذكر:

أولا: ذكر القاضي في حكم ركعتي الطواف بأنهما سنتان لمن طاف دون غيره، ثم قال: فإن قيل: «كل صلاة لم تكن سنة للكافة لم تكن سنة لبعض دون بعض؛ كسائر النوافل؛ مثل الركعتين بعد الظهر وبعد المغرب»... قلنا: يبطل بصلاة الاستسقاء؛ لأنها مسنونة لمن احتاج إلى الاستسقاء دون الكافة؛ فكذلك سبيل ركعتي الطواف أنهما سنتان لمن طاف دون غيره[٢٠].

ثانيا: نص القاضي على أن حج الواطئ لا يفسد بالوطء بعد الرمي وقبل الطواف في الرواية المشهورة، وعليه العمرة والهدي بعد أن يطوف، ثم قال: فإن قيل: «كل وطء لم يفسد ماضي الحج لم يفسد بقيته، أصله: وطئه بعد الطواف»... قيل له: إذا وطئ بعد الطواف فقد وطئ خارجا عن الإحرام جملة؛ فلم يتعلق به فساد. وليس كذلك الوطء قبل الإفاضة[٢١].

الفرع السادس: إعمال كليات فقهية لمذاهب أخرى غير المالكية.

ولع القاضي عبدالوهاب بإعمال الكليات الفقهية وشدة تعلقه بها، جعله يذكر أحيانا الرأي المخالف في قالب كلية فقهية على لسان إمام مذهبه، خصوصا المذهب الشافعي والحنفي، والأمثلة على ذلك كثيرة ضمنت في الفرع الثاني من الملحق الذي ذيل به هذا البحث، ونذكر منها:

أولا: قول القاضي عبدالوهاب: «قال الشافعي: كل نجاسة فلا تجوز الصلاة بقليل منها ولا بكثير، من الدم وغيره، إلا دم البراغيث، فإنه نجس معفو عنه»[٢٢].

ثانيا: قول القاضي: «قال أبو حنيفة: كل ما خالعته به يكون من الثلث، ويجعل وصية»[٢٣].

الفرع السابع: إيراد الكليات الفقهية بعد تأصيله للمسائل الفقهية.

الناظر في توظيف القاضي عبدالوهاب للكليات الفقهية يجد أنه غالبا ما يستدل على المسألة الفقهية - بعد أن يذكر الرأي المخالف - بدليل أو أكثر من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس أو غيرها من الأدلة المعتبرة في المذهب المالكي، ثم يردف ويتبع هذا الاستدلال بجملة من التعليلات الفقهية التي من بينها التعليل بالكليات؛ ليزيد استدلاله هذا قوة ووجاهة؛ ولينتهي به الأمر إلى إنهاء الخلاف وحسمه؛ ببيان أرجحية مذهبه ومرجوحية مخالفه. ومن أمثلة ذلك:

أولا: قول القاضي عبدالوهاب: «مسألة: ويجب الغسل بالإيلاج وإن لم ينزل، خلافا لداود؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ (النساء:٤٣)، والجنابة مقارفة الجماع، وقوله: (إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل)[٢٤]... ولأن كل حكم تعلق بالإنزال تعلق بالإيلاج كالحدود وكمال الصداق والإحصان»[٢٥].

ثانيا: قال القاضي عبدالوهاب: «مسألة: وإذا قهقه في صلاته فلا وضوء عليه. خلافا للإمام أبي حنيفة؛ لقوله: (الضاحك في الصلاة، والملتفت، والمفقع أصابعه بمنزلة واحدة)[٢٦]. ولأن كل ما لم ينقض الوضوء في غير صلاة لم ينقض في الصلاة كالكلام، عكسه الحدث. ولأن كل معنى لا ينقض الوضوء إذا حصل في صلاة الجنازة، لم ينقض في غيرها كالتبسم والكلام»[٢٧].

الفرع الثامن: تذييل الكلية الفقهية بأمثلة تطبيقية أو عكسية أو بالأصل الذي تقاس عليه.

لم يقتصر القاضي عبدالوهاب في إعماله للكليات الفقهية في الاستدلال والتعليل وتقوية اختياراته الفقهية على مجرد ذكر لفظها، بل كان، رحمة الله عليه، يتفنن فيما يتبع به هذه الكليات الفقهية، فتارة كان يذيلها بأمثلة تطبيقية، وتارة أخرى كان يردفها بالأصل الذي تقاس عليه، ومرة كان يذكر بعض تطبيقاتها العكسية، ومرة أخرى كان يجمع بين الأمثلة التطبيقية للكلية الفقهية وتطبيقاتها المخالفة أو بين أصل الكلية الذي تقاس عليه وتطبيقاتها العكسية، وكل ذلك كان رغبة منه، رحمة الله عليه، في المزيد من البيان والتوضيح، كما هو واضح من خلال هذه الأمثلة التي نذكر منها:

أولا: تذييل الكلية الفقهية بالأمثلة التطبيقية، مثل:

- كل ترتيب وجب مع سعة الوقت وجب مع ضيقه كالأركان[٢٨].

- كل ما كان من فروض الصلاة، فلابد عند عدمه من بدل يقوم

مقامه عند العجز عنه في أداء العبادات كالوضوء وغيره[٢٩].

- كل فعل من أفعال الحج لزم في موضع يؤثر الدم في تركه، فإن العود إليه بعد فواته لا يسقط الدم كالمبيت بالمزدلفة[٣٠].

- كل عضو انكشف ربعه منع صحة الصلاة، فكذلك إذا انكشف أقل من ربعه كالعورة المغلظة[٣١].

ثانيا: تذييل الكلية الفقهية بالأصل الذي تقاس عليه، مثل قوله: كل سجود شرع في الشريعة لم ينب عنه غيره، أصله السجود من صلب الصلاة[٣٢].

ثالثا: تذييل الكلية الفقهية بالتطبيق العكسي، مثل قوله: كل جنس لا يصح منه الزنا فلا يصح حكم لوطئه في باب الحد، عكسه الآدمي[٣٣].

رابعا: الجمع بين أصل الكلية الذي تقاس عليه وتطبيقاتها العكسية، مثل قوله: كل من له أن يفطر أول اليوم في الظاهر والباطن فله أن يأكل بقية نهاره، ولا يلزمه الإمساك ما بقي من يومه. أصله: إذا أصبح مسافرا أو استدام سفره إلى الليل، وكذلك المريض. عكسه: إذا أصبح وعنده أن اليوم من شعبان، ثم ثبت أنه من رمضان فإنه يمسك بقية يومه؛ لأنه وإن كان له في الظاهر أن يأكل في أول النهار فليس له ذلك في الباطن[٣٤].

خامسا: الجمع بين أمثلة القاعدة وتطبيقاتها العكسية، مثل قوله: كل ما لم ينقض الوضوء في غير صلاة لم ينقض في الصلاة كالكلام، عكسه الحدث[٣٥].

الفرع التاسع: ذكر ما يستثنى من الكلية الفقهية.

كثيرا ما تتخلف عن الكلية الفقهية مسألة أو أكثر؛ لأن الكليات تكون أحيانا أغلبية، وهذا لا يطعن في كليتها كما يقول الإمام الشاطبي: «إن الأمر الكلي إذا ثبت فتخلف بعض الجزئيات عن مقتضاه لا يخرجه عن كونه كليا، وأيضا فإن الغالب الأكثر معتبر في الشريعة اعتبار القطعي»[٣٦]. ويمكن التمثيل للكليات التي ورد عليها الاستثناء عند القاضي بقوله: كل أذى هو حيض إلا ما قام عليه الدليل[٣٧]، وقوله: كل ليلة فحكمها حكم اليوم الذي بعدها إلا ليلة عرفة[٣٨].

وفي الختام، يمكن التأكيد على أن القاضي عبدالوهاب البغدادي تميز من جهة بقدرة عالية على إنشاء الكليات الفقهية ووضعها، وإحكام صياغتها وحسن سبك عباراتها، ومن جهة أخرى تميز ببراعة إعمالها وحسن توظيفها، ولهذا تميز منهجه في استثمارها بالتنوع والإتقان، وليس هذا بالأمر الذي يتحصل لكل أحد، بل هو أمر في غاية الدقة، ولا يقدر على تحقيقه على وجه التمام والكمال، إلا ذو ملكة في العلم، ومنزلة عظيمة في تحصيل المعارف المختلفة.

الهوامش

١- المفصل في القواعد الفقهية للدكتور يعقوب بن عبدالوهاب الباحسين، ص:٦٨.
٢- مثاله: «كل عقد لو وقع في الإسلام لكان فاسدا، كذلك إذا وقع في الكفار»، الإشراف للقاضي عبدالوهاب: ٧٠٩/٢.
٣- مثاله: «كل موضع من الوجه لم يلزم إيصال الماء إليه في الوضوء، لم يلزم في الغسل»، الإشراف: ١١٧/١، هذا حكم جزئي يتعلق بالمواضع التي لا يلزم إيصال الماء إليها في الغسل قياسا على الوضوء. وهذه الكلية وإن دلت على أحكام فقهية جزئية، فهي لم تفقد خاصية الاستيعاب والشمولية؛ لأنها رغم كونها عرضت بالصيغة الجزئية، فهي غير مختصة بفرد، بل هي عامة وشاملة، المفصل في القواعد الفقهية للدكتور يعقوب الباحسين، ص:٦٧.
٤- المعونة: ١٥٨/١.
٥- الإشراف: ١٥٢/١.
٦- الإشراف: ٣١٥/١.
٧- المعونة: ٢٨٧/١.
٨- الإشراف: ٥٥٦/٢.
٩- الإشراف: ٥٥٦/٢.
١٠- الإشراف: ٥٥٦/٢.
١١- المعونة: ١٠٣٢/١.
١٢- المعونة: ١٠٣٢/١.
١٣- الإشراف: ٨٤٧/٢.
١٤- المعونة: ٩٧٣/٣.
١٥- الإشراف: ١٥٢/١.
١٦- الإشراف: ١٥٢/١.
١٧- الإشراف: ٤٥٢/١.
١٨- الإشراف: ٤٥٢/١.
١٩- الإشراف: ٤٥٢/١.
٢٠- شرح الرسالة: ١٢٩/٢.
٢١- شرح الرسالة: ٢٢٩/٢ - ٢٣٠.
٢٢- الإشراف: ٢٨١/١.
٢٣- عيون المسائل، ص:٣٤٣.
٢٤- أخرجه الإمام مالك في موطئه، كتاب الطهارة، باب واجب الغسل إذا التقى الختانان، حديث رقم:٧٢.
٢٥- الإشراف: ١٤٤/١ - ١٤٥.
٢٦- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث معاذ بن أنس الجهني، حديث رقم: ١٥٦٢١.
٢٧- الإشراف: ١٥٢/١.
٢٨- الإشراف: ٢٥٨/١.
٢٩- الإشراف: ٢٦٠/١.
٣٠- الإشراف: ٤٧٠/١.
٣١- الإشراف: ٢٦٢/١.
٣٢- الإشراف: ٢٧٠/١.
٣٣- الإشراف: ٨٧١/٢.
٣٤- شرح الرسالة: ١٧٥/١.
٣٥- الإشراف: ١٥٢/١.
٣٦- الموافقات للشاطبي: ٥٢/١.
٣٧- الإشراف: ١٨٦/١.
٣٨- شرح الرسالة: ٦٨/٢.



محمد ثابت توفيق
قاص وناقد

قراءة نقدية لإبداعات عدد ربيع الأول ١٤٤٢هـ

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ما تفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.

عن «دوامة»

تشير قصة «دوامة» للقاص عمرو طه عبدالغني، المنشورة بالعدد السابق من المجلة، إلى عدة إشكاليات فنية ومضمونية، لعل أبرزها غلبة النظرة الميلودرامية الشديدة التعقيد التي تبلغ حد القتامة؛ وهو ما أحسنت إدارة المجلة تجاهه باختيار إخراج للصفحة يحمل مغايرة لروح القصة، إذ يظهر لحظات شروق الشمس الأولى وما يصاحبها من إضاءة رائقة تبدد ظلمة النفس البشرية عملا بالمقولة العربية القديمة المعروفة: «بضدها تعرف الأمور»؛ وهو ما يخشى عليه عقب قراءة القصة أن يحسبه بعض القراء غروبا لا شروقا!

ما يحسب للقاص أولا النفس التعبيري المنساب الذي يبشر بموهبة تتجاوز القاص للروائي ذي النفس المنساب، كما أنه يحسب له على مستوى الشكل حسن اختيار المفردات وتوظيفها في مكان دال حتى ليحسب القارئ المتمرس والناقد المدقق أن كتابته إنما تنبثق عن تجربة شخصية، وإن لم تكن موافقة تماما للحدث الذي يرويه المبدع في شيء مختلف لكن ترك لديه نفس الشعور والانطباع؛ وهو ما يعد عموما في عالم القص والرواية سمة لا وصمة.

عبر استخدام ضمير المتحدث أو امتزاج روحي القاص وبطل القصة، تنساب الأحداث منذ السطر الأول حاملة روحا مأساوية لشاب آثر (عبدالغني) ألا يعرفنا بشيء من معالمه الجسمانية أو ملامح لوجهه أو حتى عمره أو مرحلته السنية، والأكثر من ذلك تصويره البطل في صورة الوحيد



المنفرد في الوجود فلا أهل ولا مال ولا سكن ولا والد ولا ولد! بل حتى لا مجرد ظل أو خيال اجتماعي لأسرة أو صحبة أو صداقة فحسب؛ وكأن بطل القصة لم ينشأ في وسط اجتماعي به جيران وأهل ورفقة، اتفق أم اختلف معهم، لكن لهم وجودا وروحا؛ أو كأن بطل القصة لم يدخل مدرسة أو يلتحق بعمل. ووفق. الكلمات التي أجراها القاص على لسانه، فإنه مثقف، مدرك لطبيعة آلامه، وقادر على استكشاف كنه ونفس السيدة العجوز التي يسكن لديها، بل إنه مقر ومعترف لها بطيب النفس والروح، إذ يقول عنها في بداية الفقرة الثانية: «أعرف جيدا أنها امرأة ذات قلب كبير، لكنها الحاجة فقط..»، وإنسان يعرف أقدار الناس مع خلافه

الشديد معهم، الذي أدى إلى طرده من سكنه الوحيد لا بد أن يكون مثقفا لم يعدم صديقا يحاوره ويقاسمه آلام الحياة، بل مسجدا يدخله فيلتقي بمصل يعرف قيمة إنصاف البشر؛ والأصل أننا في قصصنا في أمثال منبر «الوعي الإسلامي» نحتاج إلى مثل تلك اللفتات المبشرة رغم عتمة ليل بعض النفوس والمجتمعات لكي نتجاوز هذا وذاك بإذن الله.

في تصاعد أجواء شديدة الميلودراما لا يجد بطل القصة سقفا يضمه لليلته فيرى الوجود من حوله بالغ الإظلام بعد يوم بحث عن عمل حافل مرهق، وحتى حينما ينظر إلى البحر وروح الاتساع يقول: «أطلقت العنان لنظري على مدى البحر، منظر بديع، خالب، بحر، سماء، راحة، سعة، وهذا بعكس ما بداخلي من ضيق». ولكن يفوت القاص أنه مع وجود «السماء» لا بد من التفكير في فيض تدخل إلهي يحيل ظلام حياة بطل القصة المفترض إلى بصيص ضوء مع وجود رب قادر على تغيير الواقع مهما كانت درجة العتمة فيه.

تطور الأحداث وإعتامها دراميا وتصاعد المأساة في القص إنما تنبع من رغبة عبدالغني الشكلية في إتقال المضمون، وجذب أكبر قدر ممكن من تعاطف القارئ مع بطل القصة ليقر معه بأن أفق الوطن مغلق من دون حل أو حتى رجاء تغيير، وهكذا تمضي روح القصة ثقيلة إلى لحظة إضاءة هي في الحقيقة تحمل مزيدا من المأساوية، فلا مجال لسقف يلم جسد البطل المرهق ولا حل سوى أن ينام في إحدى السفن الراسية على المياه بعد أن ضاقت به اليابسة.

عمد القاص إلى تسريع وتيرة الأحداث، رغم قدرة درامية غير مفتقدة لديه، لكي يصل إلى اليأس التام المطبق وإغراء المتلقي بتقبله، قاطعا جميع خيوط الدراما؛ شكلا ومضمونا، بمجرد تبرير وجود البطل وحيدا في الحياة؛ فحتى الفقر المدقع الشديد لا يقطع الناس بعضهم عن بعض بالكلية، وكان يمكن معالجة الأمر بحيل تضفي دراما منطقية ومعقولية على الأحداث بافتعال «حلول وسط» من مثل أن البطل وحيد في هذه المدينة لأنه مهاجر إليها من مدينة أو محافظة وربما ولاية أخرى بها أهله ومعارفه وزملاء دراسته، وإنه مل من إرهاق بعض أصدقاء قليلين بمدينته الحالية فلم يجيبوا على اتصاله الهاتفي مساء اليوم ففهم ضمنا أنهم لا يريدونه.

يسلمنا قصور الدراما وحدة الأحداث وسوداويتها إلى حلم يجذب به الكاتب أنظار القراء، خصوصا من الشباب، إذ إن السفينة فيما هو نائم: «تحركت من مكانها وهي الآن، أو بالأدق أنا الآن في اتجاهي إلى إحدى البلاد الأخرى»، طور القاص إذن منطقه الخاص ليحملنا إلى هذه النهاية التي لم يرد غيرها من خلال القصة، ولكن السؤال المرهق للقارئ الواعي: إذا سلمنا جدلا بمنطقية أن يبيت بطل القصة في سفينة تتحرك به ليلا إلى بلد آخر من دون أن ينتبه إلى وجوده أحد؛ فماذا يضمن له أن البلد الجديد أفضل حالا من بلده الحالي الذي بخل علينا وضن بمجرد تعريفنا بشيء من خصائصه؟

إننا إزاء حلم بمغادرة وطن عربي إسلامي ضاق بأحد أبنائه حتى ليقبل عقله الباطن أن بإمكانه السفر لبلد آخر مختلف من دون تدبير منه أو مجرد سعي أو حتى إلمام أو معرفة بأنه «سيهاجر»، كما أنه لا يندم وفق القصة التي بين أيدينا على شيء في ترك وطنه على الإطلاق، وكأنه لم يضم أهلا وسكنا أو قبرا لجد أو جدة وربما ما هو أكثر!

وتبقى مفارقة القصة الأولى والأخيرة لدينا كمتلقين، إذ إننا نعرف أن حلم هجرة أوطاننا على مشاكلها ليس الحل، بل إنه مجرد سراب يغرقنا في آلام أكثر من غربة واغتراب ومفارقة جميع مواعيد وأحداث ومن قبل حياتنا الماضية، والأدهى والأمر أن هذا الحلم نفسه يكاد يكون مستحيلا في عالم اليوم وهو ما يصوره القاص في صورة براقة شديدة حتى أنه ليقول عنها: «رأيت في منامي (أثناء إبحار السفينة به) أنني في مكان بعيد كل البعد عن حياتي القاسية، مكان لم أره منذ سنين طويلة، منذ طفولتي بالتحديد، مكان كنت أشعر فيه براحة وطمأنينة غريبتين عن هذا العالم الذي يأكلني كل يوم وكل ساعة، بل (و) كل لحظة، حياتي خلال رحلة حياتي كنت وبسبب التعب والمعاناة نسيت ذلك المكان ونسيت الراحة والطمأنينة، هذا المكان ما كان إلا نفسي عندما كنت طفلا»..

ومع الإبداع اللفظي وقلة الهنات اللغوية في الجمل الأخيرة إلا أن الكاتب كان ينبغي عليه أن يتمهل فهذه «الجنة» التي يحلم بها ويصورها بأحلام وآمال الطفل الشديد الراحة وكأنها قادمة من عالم الراحة الأول ما كان ينبغي لها أن تكون إلا في ظل طاعة الله.

يبقى أن قصة «دوامة» مبشرة بقاص واعد عليه أن يعيد حسابات موهبته ومحاولة إحسان توظيفها لخدمة وعلاج قضايا أوطاننا الملحة بدلا من تكريس أهمية تركها والجنوح لبلاد أخرى!



عمرو طه
قاص مصري

لعبة بلاستيك

عندما استيقظت من نومي، ظللت في مكاني، كي لا ألفت الانتباه، فيعلموا أنني أتيت إلى هنا خلسة. لكنني كنت أشعر براحة نفسية مع كل لحظة تبحر فيها السفينة لتبتعد عن المكان الذي رأيت فيه جميع أصناف الشقاء. لكن يجب علي أن أعترف بأنني حاولت أن أنظر من نافذة كانت تبتعد عني قليلا لكي أرى بلدي، مسقط رأسي، تدفق شعور بالحنين له في هذه اللحظة. جلست في مكاني وأخذت الذكريات تتهافت علي؛ تذكرت طفولتي التي انتهت عند سن الخامسة من عمري؛ كانت السنوات الخمس الأولى من حياتي هي كل راحتي وبراءتي ونقائي.

بعد السنة الخامسة، بدأت تقسو

علي الحياة، أتذكر جيدا عندما كان عمري ست سنوات سمعت أبي وهو يتحدث مع أمي عن لزوم عملي لكي أكون مصدرا آخر للدخل غير أمي. كان أبي لا يستطيع الحركة لأنه كان عاجزا بسبب حادث وقع له أثناء عودته من العمل، ما جعل أمي تعمل كخادمة في أحد المنازل كي تكون هي صاحبة الدخل الوحيد للبيت.

في صغري كنت أرى بيتنا الذي يتكون من غرفة وصالة كعالمنا الكبير، كانت نظرتي كوني طفلا صغيرا أرى كل شيء كبيرا، وفي ذلك الوقت لم يكن يعني لي العالم إلا وسيلة للعب والترفيه، وكانت أمي تصنع لي الألعاب من ورق الكارتون أو قارورة بلاستيكية فارغة، والحق أنني كنت سعيدا جدا بهذا. أتذكر نظرة عينيها إلى الآن، أستطيع أن أتذكر عندما كانت تعطيني اللعبة كيف كنت أرى السعادة في عينيها أكثر من سعادتي.

كان بيتنا في حي شعبي ممتلئ بالبائسين مثلنا، وفي حارة ضيقة جدا تجعل الذي في الجهة اليمنى يكاد يلامس من بالجهة اليسرى، وفي آخر هذه الحارة كان يقبع بيتنا. عند الدخول من الباب، الذي دائما ما كان مشرعا لقدمه واهترائه، تجد ممرا ضيقا يؤدي إلى الغرفة، هذا الممر كان الصالة، أما عن غرفتنا فكانت إضاءتها ضعيفة للغاية، في زاويتها سرير وبجواره كرسي وفي منتصفها طاولة وعلى أحد الجدران قطعة زجاج مكسورة على شكل مثلث كنا نستخدمها مرآة، لكنك لن ترى شيئا من اسودادها، كم كانت هذه الأشياء بالية ومهترئة!

في الجهة المقابلة لحينا، كانت تتراءى لنا المباني الضخمة التي تكاد تصل إلى السحاب، كنت لا أستطيع أن أصل بخيالي إلى حياة هؤلاء الناس، وما قد يكون خلف هذه الجدران المزينة من الخارج، ولعدم دخولي مسبقا إلى أي مسكن خارج الحي.

كنت عندما أريد التنزه في المساء، وعندما أشعر بالملل من ألعاب ورق الكارتون والبلاستيك، أخرج إلى الحارة كي أنظر إلى الأضواء الساطعة من تلك المباني الفارهة بكل ألوانها المبهجة، والتي كانت في نهاية نزهتي تجعلني أشعر بأن هناك شيئا ما في هذا العالم يكسرني من الداخل.

في صباح أحد الأيام، كنت ألعب مع طفل آخر من جيراننا في الشارع، كان اليوم ممتلئا بالهدوء، كانت سماؤه صافية، يتخللها بعض الغيوم، مع برودة خفيفة، أتذكر هذا اليوم جيدا إلى الآن، كنا في نهاية شهر نوفمبر، حينها أرسل أبي أمي لإحضاري له، وحاولت جاهدا أن أثنيها عن حديثها معي وأستمر في اللعب مع جاري، لكنها أصرت على عودتي إلى المسكن.

لأول مرة أرى فيها أبي يتحدث معي بهذه الطريقة، شعرت أنني رجل في عمر الثلاثين في حين أنني كنت في السادسة من عمري، انتابني شعور بالمسؤولية تجاه عالمنا الذي بدأت أشعر بصغره وضيقه.

عندما تحدث معي أبي لفت انتباهي إلى أنني لم أعد طفلا في حين أنني كنت في عمق الطفولة، وأنني يجب علي العمل لمساعدة أمي في مصاريف البيت وأعبائه، فهي ما تترك العمل غالبا بسبب مرضها، لتبحث بعدها عن منزل آخر لتعمل به.

قال لي إن أمي وبعد فترة طويلة من البحث عن عمل لي، وجدت أخيرا مصنعا لتدوير البلاستيك كان يطلب بعض العمال لجمع الأشياء البلاستيكية من الشوارع والقمامة. بعد محاولات أمي وتوسلاتها لإقناع أحد المسؤولين في المصنع بأن يعمل لديهم طفل في السادسة من عمره، وافق أخيرا على طلبها.

خروجي للعمل كان يوميا، ولا توجد مواعيد محددة في المصنع لجامعي البلاستيك، فقد كان الراتب على قدر ما يتم جمعه خلال اليوم، فكنت أخرج قرابة الاثنتي عشرة ساعة يوميا، وكنت أعود إلى البيت فترة الظهيرة للغداء مع أبي المقعد.

كنت دائما ما أشعر بضيق في عملي، بسبب تواجدي في أماكن القمامة للبحث فيها عما قد يزيد بعض الشيء في راتبي.

استمرت طفولتي على هذه الوتيرة سنوات أخرى، أهيم على وجهي في الشوارع طوال اليوم كالمتسول، وكثيرا ما تذكرت مثل هذه الأحداث في حياتي.

أتذكر جيدا يومي الأول عندما ذهبت للمصنع كي أتعلم طريقة جمع البلاستيك من الشوارع، وفي هذا اليوم شعرت بأنني يجب علي أن أقوم بإنهاء طفولتي، وعند خروجي من المصنع عدت إلى مسكني كي أبدأ بالعمل من هناك، فقد كانت البداية بلعبتي البلاستيك.

مياسة النخلاني
قاصة من اليمن



يوم عصيب

توقفت عن هز رجلي، وبدأت بقضم أظافري التي أوشكت على الانتهاء، بدأت رجلي بالاهتزاز مرة أخرى.

الغضب يتملكني، وشيء من الحيرة، وقليل جدا من الخوف يتملكني، لا بل كثير منه، فها هو الأسبوع الثاني يوشك على الانتهاء منذ أن قررت أن أتمرد على رئيسي في العمل، فبعد الكبت الذي عانيته منه على مدى سنوات، قررت أخيرا أن أنفجر في وجهه وأخرج غضبي المدفون في قلبي.

«لن أعيد صياغة التقارير وفقا لملاحظاتك الغبية، لن أذهب لأعد لك القهوة الصباحية ولن أعود مجددا لإضافة السكر الذي أنساه دائما، ولن أذهب لموقف السيارات لأحضر لك المحمول اللعين الذي تتعمد أن تنساه».

يا إلهي، لقد حفظت هذه الكلمات عن ظهر قلب، رددتها مرارا وتكرارا في صحوي ونومي، بل إن سائق الحافلة التي تقلني للعمل أصبح يحفظها أكثر مني؛ لأني أرددها أثناء غفوتي بجانبه، وحتى صاحب البقالة التي بجانب بيتي، يظل يسألني كلما ذهبت إليه: هل فعلتها؟ فأهز رأسي نفيا ليهز هو رأسه تحسرا وقبل أن أخرج يقول مبتسما: «تشجع... يمكنك فعلها».

زفرت بعمق، جلت ببصري حولي، الجميع يعمل بهدوء غير عابئ بالضوضاء التي تعتمل في صدري، ولا القرارات المهمة التي مر أكثر من ثلاثة أسابيع وأنا أوشك على اتخاذها، لكني اتخذت قرارا بأني سأتمرد اليوم عليه.

ماذا إذن؟ هل سيفصلني من العمل؟ حسنا، لا بأس بذلك، فيكفي أن أفرغ الغضب الرابض على صدري كصخرة عملاقة تمنعني من التنفس. أمسكت ركبتي كي أمنعهما من الاهتزاز بعد أن رمقني زميلي الذي بجانبي بنظرة غاضبة.

حسنا، أين كنا؟ علي أن أعيد تركيزي على كلماتي التي حفظتها، فماذا إن رمقني زميلي بنظرة غاضبة أو رماني بقلم على رأسي طالبا أن أهدأ وأعيد له قلمه؟ لا يهم، لن أدع شيئا يثني عزيمتي اليوم.

لن أنزل خمسين درجة لأحضر له المحمول من سيارته، وارتقيها مجددا، بينما، وبكل بساطه، بإمكانه فتح الباب الخلفي ومد يده لإحضار محموله بنفسه. نعم، سأقول له ذلك، ماذا سيحدث لك إن فعلت؟! لا شيء، لن يحدث لك مكروه، لن تتأذى يداك كما تتأذى قدماي من الطلوع والنزل كل يوم.

يا إلهي، لماذا أشتت أفكاري؟ أين كنت؟ نعم، كنت عند ترك العمل - سحقا لزميلي الذي أربك تسلسل أفكاري - سأترك العمل وسأرمي له استقالتي التي لن يعيرها أي اهتمام، سأعود للبيت وأنام ملء عيني ثم سأذهب لاحقا للبحث عن عمل آخر.

نظرت إلى ساعتي، ومع اقتراب موعد حضور المدير عادت قدماي للاهتزاز، لكني لم أقضم أظافري، فلم يعد فيها ما تمسك به أسناني، أخذت نفسا عميقا؛ فاليوم هو اليوم المنشود الذي سأتحرر فيه من قيد طالما كرهته.

دخل المدير، وألقى تحيته، فتبعثرت أفكاري على طول المكتب وعرضه، ومنها ما قفز من النافذة، دخل مكتبه بهدوء، حملت ملف التقارير وتبعته وأنا ألملم أفكاري المبعثرة، وأتوسل لتلك التي هربت من النافذة أن تعود.

«أحضر لي قهوتي» قالها من دون أن يلتفت إلي، وحين شعر بوقوفي أمامه التفت قائلا «هل لديك مشكلة ما؟»

نعم... لا... (تأتأت بخفوت).

نعم أو لا.. قرر بسرعة.

بلعت ريقي وأخذت نفسا عميقا، أجبرت صوتي ليخرج من حنجرتي التي تخشبت وتيبست تماما.. لكن كل ما قدرت على قوله هو «لا» باهتة.

حسنا، أحضر لي قهوتي.

حا.. حاضر. قلتها وأنا أضع الملف على المكتب وأغادر بسرعة.

حضرت القهوة، لا بأس أن يشرب من يدي فنجان قهوة أخيرا، لم أنس إحضار السكر هذه المرة، فلا أريد أن أطيل الأمر، سأضع له القهوة والسكر وأقول له الكلمة العالقة في حلقي ثم أرحل.

ما إن وضعت القهوة على طاولته حتى رمى لي مفتاح السيارة وهو يقول «أحضر المحمول من السيارة وتأكد من إقفالها جيدا».

حدقت في المفتاح الرابض على الطاولة بهدوء، لم أتحرك من مكاني، نظر إلي متسائلا «ماذا الآن؟».

هززت رأسي نفيا، أخذت المفتاح وخرجت مسرعا، وأنا أواسي نفسي بألا بأس من انتظار أسبوع آخر.



د. عبدالمنعم عبدالله حسن
الأستاذ بجامعة الأزهر

رفقا بزوجك

رفقا بزوجك كن لها معوانا ... واجعل حياتكما رضا وأمانا
لا تحسبن رجولة في قسوة ... إن الرجولة أن تفيض حنانا
إن الرجولة أن تحل مودة ... في البيت عطر زهرها الأركانا
في كل زاوية نسائم رحمة ... جعلت بيوت الصالحين جنانا
فيها ترى كل الحقوق مصونة ... وترى بها شرع الإله مصانا
حفلت بأنواع الفضائل والهدى ... فغدت بأخلاق العلا بستانا
تلقى بها زهر المودة يانعا ... وترى له الأشكال والألوانا
لين الحديث ورقة وتبسما ... عطرا يفوح فيخجل الريحانا
قد عانق الذكر الحكيم مرتلا ... هديا يبارك بالفلاح مكانا
فإذا السكينة والهداية والتقى ... شعل تضيء فتطرد الشيطانا
فترى التراحم والتسامح والصفا ... قيما يترجم طهرها الإيمانا
من كل ما يرضي الإله من التقى ... وسنا العبادة يغمر الوجدانا
رفقا بزوجك كن لها رمز الوفا ... رمزا ترى في عمقه الإنسانا





د. عبدالوهاب الفيلالي
أستاذ جامعي

ثوابت وتجليات

عالمية اللغة العربية



اللغة أهم مقوم من مقومات إنسانية الإنسان مقارنة بغيره من المخلوقات الحيوانية، إذ الإنسان كائن لغوي، يفكر باللغة ويتفاعل معها قلبا وقالبا.

بناء على ذلك ينتظر دائما أن تنماز كل لغة بكفايات الإفصاح والإبانة لتحقيق الانفتاح والتواصل بين المنتمين إليها، ثم بينهم وبين غيرهم بحسب طاقتها لتجاوز الذات إلى الآخر.

لا ريب أن المتأمل في اللغة العربية وتاريخها سيلمس بوضوح أنها تتمتع منذ كانت بغنى إمكانات التواصل داخليا وخارجيا؛ أي في ارتباط بالكيان العروبي الإسلامي أينما كان، عربيا وإسلاميا وعالميا. كيف لا، وقد غدا جليا منذ القديم أن اللغة العربية كانت ومازالت لغة إبانة وتبليغ ووضوح وإفصاح، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (يوسف:٢)،

وقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ (النحل: ٨٢)، مما يفيد بأن اللغة العربية تختزن في مفهومها وتاريخها مقومات الغنى التعبيري وكفاءات الانتشار من خلال قدراتها للتوافق مع الفكر الذي تحمله، وأن الله سبحانه وتعالى اختارها لغة الإسلام وأهله دون غيرها لإمكاناتها المشار إليها، والكامنة تجلياتها في علوم الآلة الملتصقة بها من نحو وصرف وبلاغة.

لقد واكب علماء العربية، لغة وعلوما شرعية وغيرها، ما حث عليه الإسلام من ضرورة حماية لغة القرآن ونشرها ودراستها... كما هو شأن فعل أبي إسحاق الشاطبي، وقوله: «إن هذه الشريعة المباركة عربية، إن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة.. فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة»[١]، بمعنى أن نشدان اعتناق الإسلام أو دراسته أو معرفته من طرف الباحثين المتأملين، كل في اتجاهه بحسب البواعث والأهداف، مما لن يتحقق بعيدا عن اللغة العربية معرفة وفهما، تقعيدا وتداولا؛ فمعرفة اللسان العربي كما يفهم من كلام الشيخ ابن تيمية، فرض واجب لأن فهم الكتاب والسنة فرض لا يفهم إلا بفهمه، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، إذ «لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم»[٢].

نفيد مما قيل بأن اللغة العربية، ظلت مؤهلة للانفتاح والتفاعل من منطلقين وفي اتجاهين: منطلق التاريخ المادي واتجاهه، ومنطلق التاريخ الشرعي الروحي واتجاهه المتجاوز لحدود الزمان والمكان الماديين، إلى وجدان الإنسان في دنياه وأخراه، علما بأن العربية لغة أهل الجنة.

هكذا، تكون اللغة العربية في ارتباط بالإسلام ومراعاة لخصوصياتها الذاتية لغة التجاوز للواقع القائم إلى الممكن، والحاضر بعد الماضي إلى استشراف المستقبل، إن في واقع الحياة الدنيا أو في الحياة الأخرى؛ حياة الخير والحياة الأبقى.

نعم، لا يمكن لمتتبع كتب المعاجم والدرس اللغوي العربي، وكيف جمعت اللغة العربية من بطونها ومظانها جمع تدقيق منهجي ومعرفي، إلا أن يستنتج قوة إمكان استمرارها في الوجود استمرار رسوخ وشموخ وانفتاح في الآن نفسه، إذ لم يكن اعتباطا ما نلاحظه من اجتهادات عميقة ودقيقة عند لغويينا القدامى لبناء الدرس اللغوي نحوا وصرفا وبلاغة، وقبل ذلك وخلاله جمعا لها، وتوثيقا، وبحثا منهجيا متنوعا وغنيا عن سبل الحفاظ عليها في المعاجم بعد تلقيها بعناية من بواطن الحواضر وأفنية البوادي ومختلف أفواه الذاكرة العربية الحافظة.

كل ذلك منح اللغة العربية مكانة الثبوت والرسوخ إلى جانب حركة الانفتاح والتفاعل من خلال الفتوح الإسلامية، مما يعني أن العربية لغة حمالة في ذاتها منذ القديم لمقومات حفاظها على الذات في سفرها التواصلي مع الغير، إنسانا ولغات، عبر التاريخ.

مؤدى ذلك أن اللغة العربية تؤشر من داخلها على مقومات العالمية، ولذلك لا ينبغي أن نفاجأ حين يصادفنا مفكرونا العرب المسلمون المعاصرون بما يفيد ذلك من دعوات إلى الالتفات اللازم إلى مقومات الذات العربية المسلمة وترسيخها ثوابت لا تتزحزح قبل التفاعل مع الآخر ومنها اللغة العربية، من قبيل مشروع الباحث الدكتور مانع سعيد العتيبة ممثلا في مفاهيم: «العوربة» قبل «العولمة»، والتمكين لحوار الند للند مع الآخر وقيمة اللغة العربية، لغة الإسلام، في تحقيق ما اصطلح عليه «عروبة التقوى»[٣].

مثل تلك المفاهيم وغيرها قمين بأن يفضي إلى استخلاص أهلية اللغة العربية للاندماج في البعد العالمي العولمي، وهي التي حققت ذلك منذ القديم، من خلال مشاريع إنسانية وثقافية وفكرية من قبيل «الترجمة» التي كانت منطلقا لتلك الهدايا المعرفية الفكرية والإبداعية التي قدمها العربي للغربي، وإن ظل هذا الأخير في منأى عن الاعتراف التام بالدور الكبير الذي قام به العرب في تأسيس العلوم والثقافة الغربية[٤]، وكيف كان لهم الفضل في التمكين لـ«طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريق المعرفة»[٥]، وفي نقل التراث الإنساني الحضاري الإفريقي وغيره

إلى اللغة العربية ومنها إلى غيرها من اللغات، حيث كانت العربية قنطرة عبور ذلك التراث إلى اللغات مع الحضور الملحوظ للخصوصية العربية الإسلامية.

كما أننا لا ولن نفاجأ حين نتبين نجاحات مؤسسات ومراكز عربية وإسلامية في مختلف بقاع العالم تشتغل استنادا إلى اللغة العربية في تفاعل مع لغات أخرى وداخل بلدان عربية وغير عربية، كما فعلت وتفعل مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، التي تسهم بفعالية في أن يتداول اللسان العربي الفصيح في محافل علمية وإبداعية دولية داخل بلدان من أوروبا مثل فرنسا وإسبانيا وإيطاليا...

لاشك أن في ذلك مرآة مصقولة من المرايا التي تعكس البعد العالمي للغة العربية ولما تحويه من متون أدبية وفكرية.

هذا، ناهيك عن الوعي الراسخ اليوم لدى أهل الغرب وغيرهم من بلدان العالم بقيمة اللغة العربية في التقريب بين الشعوب والأقطار، خدمة للمصالح الاقتصادية والسياسية وغيرها لهذا الطرف العربي أو ذاك الغربي وغيره أو لكليهما في الآن نفسه.

فعلا، إن واقع اللغة العربية اليوم في ذاتها وما تحمله من فكر وإبداع صورة حية لبعدها العالمي، وإلا كيف نفهم هذا الحضور للإبداع العربي الأدبي والفكري المترجم إلى العديد من اللغات؟ وكذا المتداول دون ترجمة في بلدان العالم، أو بالعربية وغيرها في الكتاب أو المجموع الواحد. أقل ما يقال عنه إنه وثيقة دالة على وعي قائم شرقا وغربا بقيمة الأدب العربي في أبعاده العربية والإسلامية والإنسانية والوجودية، ومن ذلك ما نلاحظه من بروز لعلماء مسلمين، العربية لسان معارفهم قولا وكتابة نبغوا فاشتهروا في مختلف جهات العالم، من أمثال: أبو الأعلى المودودي، وأبو الحسن الندوي، وشاه ولي الله الذي ذاع صيته وصيت كتاباته، ومنها العربية، في أوروبا وأميركا، مثل «الحجة البالغة» و«عقد الجيد».

إن الواقع اليوم هو واقع التواصل بمختلف تلويناته الممكنة، الإيجابية والسلبية، ومن ثم يعد الموروث العربي فكرا وإبداعا -لا محالة- وثيقة كاشفة للهوية العربية عبر التاريخ، وفي الآن نفسه منهلا للإنسان وإنسانيته في بعديها المادي والروحي. يفضي هذا إلى استخلاص قيمة الإنتاج المعرفي العربي في البعد العالمي وفي تبين وجه من وجوه كينونة الإنسان من خلال مسار طويل ومميز في الزمان والمكان من المشرق إلى المغرب والأندلس ذات الهوية الأوروبية حاليا دون إمكان التجاوز لهويتها العربية الإسلامية حتى الآن.

الملاحظ اليوم أن الإقبال على اللغة العربية من غير العرب يكثر، وأسرار ذلك تتعدد يمكن طرح بعضها واستيعابها استيعاب ثوابت وتجليات في الآن عينه، تأكيدا لما قلناه قبل عن قيمة اللغة العربية في ذاتها، وفي تواصلها مع غيرها أناسا وبلدانا... وزيادة في الإفصاح عن بعض أسباب الاهتمام بها ومظاهره نورد بعض تلك الأسرار:

١- انتشار الإسلام وارتباط اللغة العربية به ارتباطا وثيقا يهبها بدوره إمكانات الانتشار، إذ هي لغة القرآن وأهل الجنة الموحدة للمسلمين تحت ما أسماه مانع سعيد العتيبة «عروبة التقوى» التي تخصهم جميعهم في العالم، بعيدا عن ضيق الحدود الجغرافية وحدود الزمن.

٢- قيمة الوطن العربي الإستراتيجية في العالم، اقتصاديا خاصة، ووعي العالم غير العربي بأهمية التقرب منه نظرا لمقوماته ومنها اللغة والأدب الزاخر بالجليل من القيم عبر التاريخ.

٣- تجاوز الكثير من متون الإبداع العربي القديم والحديث والمعاصر، الحد الوطني أو الإقليمي إلى المستوى العالمي بفضل ما يسكنه من



قيم فاضلة مثل الحب، والتسامح، والعدل، والفخر والسمو الإنسانيين، مما فرض ويفرض ترجمة الكثير منها، وفي ذلك حضور للعربية مترجم عنها.

٤- الوعي الحاصل لدى الإنسان العربي والمسلم ارتباطا بالعديد من مجالات المعرفة، وتجاوزه لحدوده الضيقة إلى آفاق عالمية، بما في ذلك مسلمو الغرب المستوعبون لضرورة تحجيم المسافة بينهم وبين المبادئ العروبية.

٥- قيمة اللغة العربية في ذاتها مقارنة مع غيرها من اللغات، وتجاوزها لحدود القطر العربي إلى الفضاء المسلم في كل العالم.

٦- ما يلاحظ اليوم من نشاط للعلوم الإسلامية وغيرها، ولمصادرها تداولا وترجمة من طرف مسلمي الغرب والعديد من المستشرقين نقلا من العربية إلى لغات أخرى.

٧- الحضور المتميز للموروث الثقافي العربي المخطوط ومنه الأدب في أهم المواقع المكتبية العالمية: مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة ليدن بهولندا، والمكتبة الوطنية الفرنسية، ومكتبة الكونغرس الأمريكية، ومكتبة الإسكوريال وغيرها في إسبانيا... وما كان لذلك أن يكون لولا الوعي العميق بقيمة هذا الموروث العربي لغة وفكرا وإبداعا.

٨- الوساطة التي لعبتها اللغة العربية في الربط بين الحضارة الإفريقية والحضارة الأوروبية الحديثة، من خلال ترجمة متون الفكر والفلسفة والأدب الإغريقية إلى العربية، وكيف أخذ الأوروبيون ذلك عن العربية، مما يفضي إلى أن اللغة العربية أفادت الحداثة الغربية بذلك، وتجاوزته إلى الإسهام العربي في البناء الحضاري الغربي وتطويره، من خلال الإضافات العربية الثابتة إلى الموروث الإغريقي معرفة ومنهجا، استنادا إلى الأصول الإسلامية.

تلكم وغيرها نماذج تفضي إلى تبين ثم تأكيد عالمية اللغة العربية لذاتها وفي ارتباطها بالدين الإسلامي وواقع انتشاره العالمي، وكذا استخلاص القيمة العروبية في المحيط الدولي العالمي اليوم.

الحقيقة أن اللغة العربية «لا تقنع بأن تكون لغة وطنية أو قومية، بل تأبى إلا أن تكون لغة عالمية، لها علمها وأدبها، يؤخذ عنها كما تأخذ عن غيرها، ولا شك في أن هذا يلقي على العلماء والأدباء واللغويين العرب أعباء ثقالا مستمرة، فهم مطالبون دائما بأن ينتجوا، أن يعدلوا، وينقحوا، أن يهذبوا وييسروا، أن يبتكروا ويجددوا، أن يمثلوا اللغة -في اختصار- حياة وقوة وحركة»[٦].

الهوامش

١- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة (ت:٧٩٠هـ)، ج٦٤/٢، ضبط وترقيم محمد عبدالله دراز، ط. دار المعرفة بيروت.

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم،ج١٦٢/١-١٦٣، تحقيق: محمد حامد الفقي، المكتب الثقافي السعودي بالمغرب: ١٤١٧هـ.

٣- تنظر مؤلفات مانع سعيد العتيبة:

- خطاب العروبة في الشعر العربي العوربة والعولمة.

حوار الحضارات، الأنا والآخر.

٤- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا، ص:٣٩٩، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى، منشورات: المكتب التجاري بيروت، طبعة: ١٩٦٩م.

٥- نفسه ص:٤٠٢.

٦- إبراهيم بيومي مدكور: في اللغة والأدب، ص:٣٣، سلسلة: اقرأ: ٣٣٧، دار المعارف، مصر: ١٩٧١م.



د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

اللغة العربية وتحديات العصر



لم تواجه لغة من اللغات من العقبات والعوائق والتحديات مثلما واجهت اللغة العربية، ذلك لأن التعنت مع اللغة العربية ومحاولات النيل منها هي في الحقيقة جزء من مخطط لمحاولات النيل من القرآن الكريم، معجزة الإسلام الخالدة، فالسهام التي وجهت للغة العربية لم توجه لها إلا لارتباطها بالقرآن الكريم ورسالة الإسلام، فالنيل منه هو الهدف الأكبر.

ومع بواكير الحملات الاستعمارية على العالم العربي والإسلامي، حمل الاستعمار على عاتقه مهاما مختلفة: عسكرية ودينية وثقافية وإقتصادية، منها اللغة العربية بوابة الدخول إلى القرآن الكريم ورسالة الإسلام، لذلك سارعوا بطرق شتى إلى إقصاء اللغة العربية وتهشيمها:

- فحولوا أبجدية اللغات الإقليمية من العربية إلى اللاتينية.

- تقديم اللغات الأجنبية في البلاد الإسلامية على اللغة العربية.

- تشجيع اللهجات واللغات المحلية وتقديمها على اللغة العربية.

- وقاموا بفتح باب البعثات العلمية لدراسة اللغات الغربية.

لقد أراد الاستعمار إجهاض أمتنا والإتيان عليها، وتدمير اللغة الغربية لغة القرآن، وتغريب الأمة، فعملوا على تهميش اللغة وإقصائها وطمس معالمها.

وواكب هذا المخطط الاستعماري مخططات من الداخل، فهبت دعوات متتالية في الأقطار الإسلامية تدعو إلى العامية وجعلها اللغة الأم، وإقصاء اللغة العربية الفصحى بحجة أنها عاجزة ولم تعد قادرة على مواكبة التقدم الحضاري، إلى جانب صعوبة تعلمها.

التحديات المعاصرة

من أكبر التحديات والعوائق والعقبات أمام النهوض باللغة العربية الضعف البين الذي استحوذ على النشء في العالم العربي والإسلامي، فهبط المستوى إلى أدنى دركاته، ضعف في القراءة وضبط الكلمات والكتابة، عدم القدرة على استيعاب قواعد النحو وكأنه أمام قواعد النحو للغة الصينية أو اليابانية!

لقد بلغ الضعف والهوان أن النشء استبدل حروف اللغة العربية باللغة الأجنبية عند كتابة الرسائل!

هذا فضلا عن تذوق اللغة وبلاغتها وجمال

مفرداتها وتراكيبها، والاستشعار والإحساس بروح اللغة العربية ونسيمها ونداها حال التراكيب المختلفة والتصاوير الفنية التي ينبع منها أريج اللغة العربية وعطرها.
إنه فقدان الإحساس والعاطفة والشعور الناتج عن ضعف النشء، وضعف الأستاذ حتى وصل الأمر ببعضهم لشرح اللغة العربية وقواعدها باللغة العامية، وإغلاق باب الطموح والتقدم أمام المتخصصين في اللغة العربية، فهو يتأخر أو يثبت على حاله في حين يتقدم غيرهم من أصحاب التخصصات الأخرى.
أما العقبة الكأداء التي تقف في طريق اللغة فهي الطفرة الكبرى، والتقدم الهائل في مجال تكنولوجيا الآلات: الكمبيوتر، والتلفونات، والفضائيات وشاشات العرض، والتي باتت تستهلك وقتا كبيرا من حياة الناس لاسيما النشء، وتذهب دونها الأعمار سدى.

اللغة العربية في زمن «الكورونا»

ثم كان هذا الابتلاء الذي عم أرجاء المعمورة، وتوقفت الدراسة عن قرب في مجالس العلم ومقاعد الدراسة، والتي تدنى فيها مستوى النشء إلى الحد الذي نراه! باتت الدراسة عن بعد عبر الإنترنت -on line- هي السبيل الأوحد، لانقاذ ما يمكن إنقاذه من العملية التعليمية لاسيما اللغة العربية، فكورونا لن تجني على العلم أو اللغة، بل ربما في ظلال هذه الضرورة وهذه الأزمة وتلك المحنة تتفجر إبداعات واختراعات تأخذ بيد الأمة إلى بر الأمان والنجاة.

الشيخ صباح الأحمد رحمه الله وتكنولوجيا التعليم

ونحن نتكلم عن ثورة المعلومات والتقدم التكنولوجي الذي انتشر في أصقاع الأرض وحاجتنا إليه في هذه الظروف، يجب ألا ننسى ما قدمه سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت السابق رحمه الله، لقد كان صاحب نظرة ثاقبة، سابقة لعصره، برزت جهوده المتتالية للنهوض والارتقاء بالتعليم وضرورة الاستعانة بتكنولوجيا الإتصالات والمعلومات وتطويعها لخدمة طلاب العلم لاسيما أصحاب الإعاقات.
ومنذ أن كان وزيرا للخارجية ونائبا لرئيس الوزراء شارك ورعى عدة مؤتمرات للنهوض بالتعليم وتطويره.
فهذا مؤتمر (نحو تربية متميزة وتعليم أفضل) المنعقد في ٢٠٠٢/٤/٢١م ونادى من خلال المؤتمر على أن النظام التربوي يجب أن يحتل المكانة الأولى في سلم أولوياتنا.
وفي عهده المبارك انعقد المؤتمر الوطني لتطوير التعليم تحت شعار "التعليم سبيل التنمية".
والذي عقد في ٢٠٠٨/٢/١٨م أما في ٢٠١٢/٥/٢٠م فقد عقد المؤتمر الذي حرص سمو الأمير صباح الأحمد من خلاله على التطوير والاستعانة بالتكنولوجيا للنهوض بطلاب العلم، وكان بعنوان "المؤتمر العالمي بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في خدمة ذوي الإعاقات وصعوبات التعلم"، تحت شعار "حياة أفضل مع التكنولوجيا".
من هنا بات لزاما علينا أن نمد أيدينا إلى الآلات والأجهزة المتطورة للاستعانة بها لاكمال مسيرة العملية التعليمية، لاسيما للغة العربية لإنقاذها من كبوتها، نستخدمها لحاجتنا إليها بدون تذمر، أو ضيق أو ملل.

تطوير المناهج وأساليب التدريس

وإذا أردنا حقا أن نقيم اللغة العربية من كبوتها فلابد أن نغير تلك النمطية العتيقة لمناهج التدريس وطرقه، فلابد أن نطور وأن نغير طرق التدريس وأساليبه، فنعرض اللغة العربية ومواضيعها وقواعدها لأساليب جديدة مبتكرة يجد فيها الطلاب التشوق إلى اللغة وأستاذها، الذي يحسن عرضها ويتذوقها وينقل هذا التذوق إلى الطلاب.
لابد أن يكون هناك طرق عملية بدلا من تلك النمطية المتمثلة في التلقين والترديد فحسب، يجب إرساء قواعد للحوار والنقاش كما يلزم وجود التطبيق العملي لمفاهيم اللغة وقواعدها، والعمل على عقد مشاهد تمثيلية لممارسة القواعد وتعميق المفاهيم.

أهداف النهوض باللغة

إن النهوض باللغة العربية يرفع مستوى المتكلمين بها، ويرفع مستوى التذوق اللغوي عند النشء، ويعمل على إيجاد وتربية جيل قادر على استيعاب اللغة وفهمها وإدراكها وتذوقها بدون كلل أو ملل، جيل يرتقي إلى مستوى لغة القرآن الكريم، إن ارتقاء النشء بمستوى لغة القرآن الكريم وفهمه وإدراكه سيجعله لاريب ينتفع بما فيه من عقائد وتشريع وأخلاق وسلوك، ويرتقي سلم الحضارة، ويزيد ارتباط الأمة بالقرآن الكريم فهو ليس كتابا يتلى فحسب، بل كتاب يعيش الناس على هديه ومنهاجه.
إن الحرب الشعواء على اللغة العربية لهي أكبر معركة تدور في العالم العربي والإسلامي، لأنها معركة الهوية المتحققة من خلال الحفاظ على اللغة، معركة أكون أو لا أكون، معركة البناء أو الهدم، معركة الحياة أو الموت، معركة الحرية أو الاستعباد، معركة الاستقلال أو التبعية، معركة الوحدة للأمة من خلال اللغة العربية، أو التفرق والتمزق أو الذوبان من خلال اللهجات العامية المختلفة.
فكن جنديا من الجنود أينما كنت، يدافع عن لغته التي كتب الله لها الخلود مع كتابه المنزل القرآن الكريم.



إبراهيم أردش
باحث وكاتب

نحو نقد توجيهي

«كثيرة هي سردات العالم»[1]، هكذا يعبر رولان بارت عن كثرة الأنواع السردية وتشعبها اللامحدود، وأنا أقول: كثيرة هي نقود الأدب، فمن من المنشغلين في المجالات الثقافية واللغات والترجمة لم يرهق عقله من كثرة مدارس النقد وتياراته ومذاهبه ومناهجه ونظرياته وآلياته ومصطلحاته؟

ما المحددات التي يمكن من خلالها أن نحكم بأن العمل الذي أمامنا ينتمي للنقد الأدبي؟

أعملت عقلي ولم أرض بالقولبة، أمعنت النظر، لكن لم أصل إلى إجابة شافية أحقق منها ما أبتغيه، لكن حسبي أنني توصلت إلى مخطط ثلاثي يندرج تحت جنس النقد، هذا الجنس ينقسم إلى ثلاثة أنواع وكل نوع ينقسم إلى فصول وهكذا بحسب ما تقتضيه التعريفات المنطقية ومن ثم رأيت أن النقد كجنس ينقسم إلى:

نقد توجيهي.

نقد تفسيري.

نقد تقييمي تقويمي.

فالنقد التفسيري مثلا يمكن أن يكون جنسا لأنواع تندرج تحته؛ فهناك النقد الوصفي التحليلي، الذي يهتم بأدبية الأدب وشعريته، والنقد التأويلي وكل نقد له ضروب أخرى تتعلق بأنواعه، مثل مناهجه ونظرياته وتطبيقاته.

والنقدان الأخيران هما المعترف بهما من بداية النقد الأدبي إلى يومنا هذا، والسبب في ذلك أن هذين النقدين يتبعان العملية الإبداعية، وفي النقد الحديث صار جل اهتمام النقاد الأكاديميين بالنقد الثاني، بينما النقد الثالث صار لا يوجد بشكل رسمي إلا في المسابقات وبعض الكتابات الصحفية والندوات الأدبية، لكن لا يستطيع باحث أن يتناول هذا النقد أكاديميا بحجة أن الحداثة تجاوزت كل ذلك وأن الباحث يعود إلى الوراء، وعلى كل حال لا يزال معترفا به.

لكن ماذا عن النقد التوجيهي، وكيف يكون؟ هل يمكن أن يسبق النقد الإبداع؟ هل يمكن أن يقدم نقدا توجيهيا له أطر محددة مثل النقدين الآخرين؟

أسئلة مشروعة يتقبلها المنطق الذي نادي به.

لكن لن أجيب عنها مباشرة، فأنا كباحث أبحث أبحث ما له علاقة بالظواهر الموجودة، والنقد التوجيهي موجود وبقوة وإن لم تدركه بعض العقول.

ماذا تقولون عن ورش الكتابة؟

ماذا تقولون عن المواد التي تدرس عملية الإبداع؟

ماذا تقولون عن الكتب التي تعتني بكيفية بناء الأعمال الأدبية وتوجيه الكتاب؟

سيقول قائل: إن هذا يتبع النقد التقييمي التقويمي. سأقول له: بل العكس صحيح، فالنقد الأخير يوجه الكاتب بعد ولادة نصه، بينما الأول يبدأ قبل الكتابة ويمتد لما بعدها، بل هو من مسببات تسليط الضوء على الموهبة، فقد يذهب الشخص العادي إلى الناقد التوجيهي، فيخرج من عنده إما كاتبا أو ناقدا إذا كان موهوبا وقد عرف مكامن الإبداع لديه، أو على أقل تقدير سيخرج دارسا للأدب مدركا لبعض قواعده إن لم يكن موهوبا.

إن هذا النقد التوجيهي قد مارسه الكثير عن دراية ودون دراية، لكنه لم

يلق حظا من البحث والدراسة والطريف أنه يوجد في الغرب بكثرة؛ حيث تكثر الكتابات التي تعرف بطرائق الكتابة وكيفية إتقان الصنعة الأدبية والورش الكتابية أيضا، لكنه لم يدرس لدى الباحثين في الغرب ولعل تلك فرصة لأن يكون النقاد العرب أصحاب السبق في دراسته لربما نصبح متبوعين هذه المرة لا تابعين، وأن يكون العرب رواد هذا الدرس.

أما عن تعريف النقد التوجيهي من وجهة نظري فهو: (النقد الذي يقوم بتوجيه الكاتب إلى طرائق الإبداع الصحيحة والتي اتفق عليها مبدعو الفن ودارسوه) وهذا لا يعني تحجير الإبداع وقولبته بقدر ما هو وضع القدم على الطريق الصحيح، كما أن هذا لا يسبق الأدب دائما، بل يتبعه في الغالب الأعم، حيث يستخلص منه القواعد، لكنه يسبق المبدع المبتدئ وينير له الطريق.

أرى الآن أحدكم يقول قد أطلت الحديث ولم تأتنا بنموذج فعلي مارس النقد التوجيهي، وهذا الجزء الثاني من المقال، فقد صدر كتاب للكاتب والباحث أحمد المنزلاوي[2] بعنوان «كيف تكتب رواية أو قصة قصيرة؟» والكتاب الذي بين يدي في طبعته الخامسة، وقدم له الأستاذ الدكتور مصطفى أبو طاحون أستاذ النقد الأدبي بجامعة المنوفية، ونجد أن العنوان المصدر بالكيف والمزيل بعلامة الاستفهام يطلب من القارئ أن يخبره بكيفية كتابة الرواية والقصة، كأنه يتبع الطريقة اليونانية القديمة في استخراج ما في ذهن المخاطب ليملأه مرة أخرى بالمعرفة الصحيحة وربما كان ذلك ديدن الكاتب في ورشته؛ لكن الكاتب في كتابه دخل في بيان الحال الصحيح للكتابة؛ ليصبح العنوان سؤالا من المتلقي الضمني للكاتب، فيجيب عنه الكاتب من خلال كتابه، وسنجد في المقدمة إشارة الكاتب إلى أنه قبل صدور الكتاب عقد ورشا تدريبية في توجيه وتدريب الكتاب على فني القصة والرواية، وأراد أن يتبع مشروعه بهذا الكتاب البديع، لكن إلى ماذا تحيل كلمة الورشة؟ تحيل إلى الصنعة، فهل الكتابة صنعة لها أدوات ومواد خام؟ أم موهبة؟

هب أنك ذهبت لتتعلم النجارة، ستتعلم كيف تقطع الخشب وتقوم بتجميعه مرة أخرى، وستتعلم كيفية استخدام الآلات التي تساعدك في ذلك، وستقوم بإنتاج منتجات خشبية لا حصر لها، لكن زميلا لك يتمتع بالموهبة عمل معك في الورشة ذاتها واستخدم الأدوات نفسها، فإذا به يبدع، ويخرج بتصميمات جديدة وبأشكال خشبية مبهرة، بينما أنت تصنع، لكن ما تنتجه يعتبر تقليديا ولا يبهر العين والحس، أما لو أن صديقك الموهوب لم يذهب إلى الورشة ليتعلم لن يصبح نجارا ماهرا وخلاصة الأمر أن يصلح بابا مكسورا في بيتهم أو يقوم قدم أريكة معوج، كذلك ورشة الكتابة إما أن تخرج كاتبا من لا شيء أو أن تصنع منك أسطورة في حالة وجود الموهبة. والأمر في الكتابة متسع؛ فليس ضروريا أن تذهب إلى ورشة أو محاضرة، يكفي أن تلتزم معلما أمينا يضعك على الطريق الصحيح.

وقبل أن نلج لهذا الكتاب، نقول: إن هذا الكتاب الذي يهتم بتوجيه النشء لكتابة الرواية والقصة ليس بدعا في الكتابات العربية، فقد سبق بكتب أخرى لا يغني بعضها عن بعض؛ فكل كتاب له مبتكراته وكما يقول المثل العامي: «كل شيخ وله طريقة»، فاعرف الطرق جميعها واختر لنفسك ما يناسبها، والكاتب لم يغفل عن الكتب الأخرى، بل نجده يشير ويوثق كل ما يأخذه منها، مع مسرد في نهاية الكتاب بأهم المراجع العربية والأجنبية والمترجمة في ٧٤ مرجعا.

وقد جاء الكتاب في لغة أدبية رائقة تناسب المتذوقين للأدب كما أنها لا تتعالى على القارئ العادي، بل تصل إليه في سهولة ويسر ويمكن تقسيم الكتاب إلى وحدتين كبيرتين، الوحدة الأولى: عبارة عن نصائح وتوجيهات لكتاب الأدب عموما لا الراوية والقصة خصوصا، بل تمتد هذه الوحدة لتشمل توجيهات تفيد الباحثين أيضا وتتجلى هذه الوحدة من صفحة ١٣ إلى صفحة ٨٦ ومن صفحة ٢١٧ إلى صفحة ٢٤٠، بينما الوحدة الثانية تتعلق بكيفية كتابة الراوية والقصة وتمتد في بقية الكتاب ومن ضمنها الوحدة الأولى نفسها، وقد عمد الكاتب إلى تصدير فصول كتابه عتبات نصية مجازية ما يحفز الذهن ويجعل النفس متشوقة للمتن، كما أنه اعتمد على العناوين الداخلية في كتابه وجعل من الكتابة لعبة أحيانا وطبخة أحيانا أخرى واعتمد الكتاب على كثرة التدريبات والتمارين وضرب الأمثلة ولم يلجأ الكتاب للعامية إلا في موضعين لتفسير بعض الأمور مثل قوله «كما يقولون في المثل العامي: (كذب مساوي ولا صدق منعكش)» ص١٦٤، وقوله: «وأحيانا تجد النهاية كالقطع المفاجئ على عادة المطرب شعبان عبدالرحيم المشهورة (بس خلاص)!» ص٢٢٢ فجاءت تلك الكلمات لأن السياق اقتضاها للتوضيح.

الهوامش

١- النقد البنيوي للحكاية، رولان بارت، ترجمة أنطون أبو زيد، كتاب الدوحة، العدد ١٠١، وزارة الثقافة والرياضة، ٢٠١٩م، ص٧١.

٢- كاتب ثلاثيني من أبناء محافظة الإسكندرية، عضو اتحاد كتاب مصر، وهو كاتب روائي وباحث ماجستير في النقد الأدبي، ومدرب دولي معتمد في فنون وطرائق الكتابة الإبداعية من الأكاديمية الدولية للفنون والإعلام والإبداع بالولايات المتحدة الأميركية، وله الكثير من المؤلفات في مجالات شتى.

محمد السارتي
كاتب مغربي



أبناؤنا وقراءة القصص

تعتبر القراءة -بشكل عام- شرطا أساسيا للتعلم لدى جميع الأمم والشعوب في كل زمان ومكان، فقد حث عليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ (العلق:١)، فكانت أول آية نزلت على رسولنا الكريم، ولم تكن العرب والأمم الأخرى بمنأى عن هذا الشرط قبل الإسلام فقد حفظ لنا التاريخ أشكالا متعددة من النصوص مازالت تقرأ وتدرس إلى الآن.

ولم تخرج قراءة القصص عن هذا المنوال من التعلم، إذ تعتبر الجنس الأدبي البسيط والجميل الذي يسهل على الطفل فهمه واكتشاف معانيه بكل سهولة ويسر، ومن هذا المنطلق يعمد الدارسون وواضعو البرامج التعليمية في جل بلدان المعمورة إلى إدراج القصص القصيرة في التعليم الأولي، بل منذ عصور خلت ارتبطت الحكايات بالأطفال، خصوصا تلك التي تحكى من طرف الجدات قبل أن تحل محلها الوسائل الحديثة كالتلفاز وغيره.

وحتى الفترة الحديثة لا يمكن أن ندعي انفصال الطفل الصغير عن الحكايات والقصص المشوقة على اعتبار أن جل ما يشاهده من رسوم متحركة وأفلام وغيرها في الوسائل الإلكترونية الحديثة لا يعدو أن يكون في أصله سوى حكايات أو قصص تم تمثيلها بشخصياتها وزمانها ومكانها وكل خصائصها.

وقد يستفسر سائل عن سر ارتباط هذه القصص والحكايات بالأطفال كل هذا الارتباط، فنجيبه بأن عنصر التشويق الموجود في هذا الجنس الأدبي دون غيره من الأجناس الأخرى هو السر في إقبال الأطفال عليه، بالإضافة إلى سهولة لغة القصة واختصار معانيها وحكمها على عكس بعض الأجناس الأدبية التي يصعب على الطفل فهمها في الصغر كالشعر مثلا الذي يوظف اللغة المجازية والإيحائية.

ومما يعين الأطفال على قراءة القصص والاستمتاع أن يقوم الأب والأم بدورهما في تحفيز أبنائهما على القراءة وحثهم على تصفح القصص والحكايات؛ فمن المعروف أن الطفل يتأثر بوالديه في أول نشأته، وتأتي مكتبة البيت لتشكل حافزا



للطفل على القراءة، فإذا فتح الطفل عينيه على المنزل فوجد فيه مكتبة صغيرة فيها بعض الكتب والقصص والحكايات المشوقة فإنه يتصفحها وينمي بها خياله ويذكي بها عقله، ثم يأتي دور المدرسة والمربين، فالمعلم الناجح هو الذي يستطيع بحنكته وطريقة تدريسه تحبيب القراءة إلى التلميذ من خلال حديثه عن القصص المشوقة داخل الفصل وسرد الحكايات التاريخية والأسطورية والخيالية والمغامرات التي يميل التلميذ إليها؛ مما يخلق لدى الطفل شهية لمعرفة المزيد أو إتمام حكاية بدأها الأستاذ داخل الفصل، ولا يمكن التغاضي عن أهمية مكتبة المدرسة، إذ لا يمكن أن نحبب لأبنائنا قراءة القصص ما لم نوفر لهم ما يقرأونه ويتصفحونه في أوقات فراغهم، وهنا نشير إلى الدور الذي تلعبه المكتبات المدرسية في إنماء الحس القرائي لدى الأبناء، خصوصا أن المدرسة تأتي في المرتبة الثانية من حيث التأثير على شخصيته بعد البيت.

كذلك تساعد الأندية الثقافية والأدبية داخل المدرسة في هذا الجانب، خصوصا أنها أندية تسير من طرف التلاميذ أنفسهم بإشراف من الأستاذ مما يحفز التلاميذ على مناقشة هذه القصص وتحليل صورها والرسوم الفنية المتضمنة فيها، بالإضافة الى تبادل أحداثها وأفكارها.

وللمجتمع دوره في تحبيب الطفل في القراءة، ويمكن أداء هذا الدور من خلال اصطحاب الطفل إلى مكتبات الحي، فرؤية الطفل للكتب والقصص منذ الصغر تولد لديه شغفا وحبا لقراءتها ومعرفة ما بداخلها، خصوصا أن الطفل يكون لديه فضول لاكتشاف المجهول وفك الألغاز ومعرفة الأحداث.

لذلك فإن المكتبات أصبحت من أهم وسائل التثقيف والتوعية، وإن كانت أقل وجودا في مجتمعنا للأسف الشديد، الأمر الذي يحتم علينا الاهتمام بنشر مكتبات الأطفال على أوسع نطاق في كل حي وفي كل قرية، بل في كل شارع إذا أمكن.

وعلى المستوى العام تفتح المعارض المحلية والجهوية والدولية أمام الأطفال، وعلى الأب تشجيعهم على إنشاء مكتبات خاصة بهم في منازلهم على غرار ما يرونه في المعارض، ثم إن المعارض تهتم بالقصص المؤلفة حديثا والتي تطبع لأول مرة ويخصص لها جناح خاص بها فيتطلع الطفل لمعرفة الجديد.

كما تقوم جمعيات المجتمع المدني ودور الشباب بدور من شأنه أن يحفز الطفل على القراءة كالفضاءات والمكتبات والأطر التربوية، خصوصا إذا كان المجتمع مثقفا وواعيا بأهمية القراءة في الصغر ودورها في تنمية العقل وتغذية الروح، فتنظم المسابقات حول القصص مما يحبب إلى الطفل قراءتها من خلال التحفيز الكبير الذي تعطيه للتلميذ ليس لكي يقرأ فحسب بل ليقرأ ويبدع في آن معا، إذ لا يمكن للطفل أن يشارك في المسابقة إلا بعد أن تختمر تجربته في القراءة ويصبح قادرا على أن يكتب القصة ببعض خصائصها الفنية والأسلوبية، إن لم يكتبها بكل الخصائص.

توصيات

البدء بقصص سهلة وقصيرة جدا أو ما يسمى بـ«الأقصوصة» والمرفقة بصور توضيحية.

التدرج شيئا فشيئا إلى القصص الأكثر طولا.

قراءة القصص والحكايات الطويلة (ألف ليلة وليلة، كليلة ودمنة...).

القصص الأجنبية المترجمة أو المكتوبة بلغتها الأصلية كالإنجليزية والفرنسية.

القيام بمحاولات إبداعية في كتابة قصص واقعية أو خيالية.



عصام جمعة
باحث في الشريعة والقانون

انتشار الطلاق في المجتمعات الإسلامية

شرع الله لعباده الزواج لحكم، منها: بقاء النسل وإشباع الغريزة وتحقيق الاستخلاف في الأرض، وتستمر هذه العلاقة بالمودة والرحمة والسكن، ولكن العلاقة الزوجية قد يشوبها أحيانا ما يعكر صفوها سواء من جانب الزوج أو الزوجة أو كليهما، فتتحول الحياة إلى جحيم لا يطاق فيكون الطلاق أو الخلع حلا لمثل هذه المشاكل.

لكن لماذا كثر الطلاق في البلاد العربية والإسلامية حتى أصبحت ظاهرة مجتمعية لاسيما في الأزمنة الحديثة والمعاصرة؟ رغم أن الأصل في الطلاق الحظر، فلا يطلق الرجل إلا لحاجة وإليه ذهب جمهور الفقهاء، الكمال بن الهمام من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة[١].

وجاء في فتاوى ابن تيمية أن الأصل في الطلاق الحظر، وإنما أبيح منه قدر الحاجة فكانت الإباحة للضرورة وعلى قدر الحاجة فهو كما قال النبي ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»[٢] فهو بغيض عند الله سبحانه، لما فيه من المضار والآثار ما لا يسوغ إنكارها.

وهذه الظاهرة خطيرة جدا تجعلنا ندق ناقوس الخطر حيث إنها تهدد البيوت والمجتمعات وتحتاج بالفعل إلى تضافر الجهود وصدق النيات لمواجهة تصدع الأسر وبالتالي تفكك المجتمعات.

أسباب انتشار الطلاق

للطلاق أسباب كثيرة ومتعددة وهي ترجع إلى أسباب خلقية واجتماعية واقتصادية، وقد تكون هذه الأسباب من الرجل وحده أو من المرأة وحدها أو منهما معا، أو من البيئة المحيطة والمؤثرات الخارجية ولعل من أهم أسباب الطلاق ما يلي:

سوء الاختيار

فقد يخطئ أحدهما في اختيار الآخر بصورة لا تتفق مع المعيار الشرعي من الخلق والدين مصداقا لقوله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[٤].

فإن ذلك يؤدي إلى وقوع الخلاف بينهما بصورة لا يستطيع أحدهما الاستمرار مع الآخر مع استنفاد كل وسائل الإصلاح الشرعية المعروفة للحد من مظاهر هذا الخلاف والشجار واستحكام النفرة بينهما فعندئذ يكون الطلاق هو الملاذ الأخير.

اختلاف ثقافة الزوجين

قد تختلف ثقافة كل من الزوجين عن الآخر فكل له نظرته الخاصة في الحكم على الأشياء وموقفه الخاص في الحلال والحرام والعيب وعدم العيب وما يجوز فعله وما لا يجوز، وهذا الاختلاف أمر طبيعي، ولكن إذا لم يحاول كل واحد منهما أن يتنازل للآخر عن موقفه ونظرته، فإن ذلك سيؤدي حتما إلى حدوث خلاف ونزاع بينهما ينتهي بهما إلى الطلاق خاصة إذا فشلت كل الوسائل الشرعية في التقريب بينهما وإعادة الحياة الكريمة بينهما[٥].

عدم الكفاءة

فإذا اختلف الوضع الاجتماعي بين الزوجين فكل منهما قد جاء من بنية مكانية مختلفة عن الآخر، وتربية بيتية مختلفة، وفارق اجتماعي في مستوى المعيشة مختلف أيضا، ولم يستطع أحدهما أن يتكيف مع الآخر في وضعه الجديد وساءت العشرة بينهما فإن ذلك مدعاة للفرقة بينهما.

الزواج شراكة بين الزوجين لبناء أسرة سعيدة

إهمال الحقوق والواجبات

يمثل الزواج شراكة حقيقية بين الزوجين لقيام أسرة سعيدة متكاملة قائمة على المودة والرحمة والرعاية للأولاد وقد رتب الشارع على عقد الزواج حقوقا وواجبات على كل واحد من الزوجين تجاه الآخر، فإذا قام كل واحد منها بهذه الحقوق قامت بينهما العشرة بالمعروف وأما إذا أهمل أحدهما ما عليه من حقوق تجاه الآخر فإن ذلك مدعاة لحدوث خلاف وشقاق بينهما يكون سببا في وقوع الطلاق[٦].

تدخلات الأهل

الأصل أن يستفيد الزوجان من توجيهات الأهل بما يخدم حياتهما الزوجية، والأصل أن تكون توجيهات الأهل بما يرضي الله، ويحقق الهدف من قيام الأسرة السعيدة، ولكن إذا خرجت هذه التوجيهات

عن نطاق الشرع، وعن هدف تحقيق قيام الأسرة السعيدة، وأخذت منحى التدخل في حياتها سعيا لتحقيق أهداف خاصة من سيطرة أحد الطرفين على الآخر وابتزازه ونحو ذلك، فإن ذلك سبب وجيه لحدوث الخلاف والنزاع بين الزوجين، قد يؤدي إلى الفرقة بينهما إذا فشلت جهود الإصلاح بينهما.

ومن الأسباب: طغيان الحياة المادية والاقتصادية وزيادة نسبة الفقر والعوز والحاجة في المجتمعات حيث أصبحت ظاهرة تهدد البيوت وتحدث مشاكل لا حصر لها، تنتهي إما بالانتحار أو الشجار أو الانفصال والطلاق.

كما أسهم انتشار وسائل التواصل الاجتماعي في التأثير على العلاقات الزوجية بشكل مخيف ومرعب، بات يهدد كيان الأسرة، حيث إن وسائل التواصل الاجتماعي شغلت كل أفراد الأسرة عن التواصل مع الآخر، وزادت الفجوة بين الزوجين، وشغلت المرأة قبل الرجل عن بعض الحقوق الزوجية، بل أصبحت طريقا سهلا ميسورا إلى ارتكاب المحرمات مثل الخيانة الزوجية والتي هي سبب رئيسي من أسباب الطلاق.

آثار سلبية

وقد ذكر العلماء كثيرا من الآثار السلبية للطلاق منها ما يعود على الحياة الأسرية ومنها ما يعود على الحياة الاجتماعية، ومن هذه الآثار:

- الفرقة بين الزوجين وابتعاد كل منهما عن صاحبه وانتهاء ما كان بينهما من عشرة.

- تمزق الحياة الأسرية إذ لم يعد يجمع الزوجين بيت واحد يعيشان فيه ويقومان معا برعاية أولادهما، بل سيؤدي هذا التمزق الأسري إلى حرمان الأولاد من رعاية الوالدين معا.

- تشتيت الأولاد بين الزوجين نتيجة نزاعاتهما التي تصل إلى المحاكم بما يؤثر سلبا على حياة الأولاد، مما يجعلهم يصابون باضطرابات نفسية وسلوكية، وتعاسة مضاعفة تفوق تعاسة الزوجين بعد الطلاق، بالإضافة إلى أنهم يعانون أيضا من انهيار الثقة بالنفس والفشل والإحباط.

- سوء العلاقة بين عائلتي الزوجين وغالبا ما ينشأ بينهما شقاق ونزاع بدلا من المحبة والوئام، وتمتد هذه الآثار إلى المجتمع فتضر بتماسك المجتمع وتدمر بنيته الأساسية وهي الأسرة.

التغاضي عن الهفوات والأخطاء اليسيرة من حسن الخلق

وسائل الحد من الظاهرة

- حسن اختيار كل من الزوجين للآخر، فإن كان الاختيار سليما دامت العشرة بين الزوجين، وإن كان سيئا تسبب في وقوع التنازع والنشوز والشقاق ثم ينتهي بالطلاق.

- الكفاءة في الزواج، سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية، فلا يخضع في اختياره لحكم الهوى والنزوات العابرة، فالزواج من الأمور الخطيرة في آثاره، فلابد أن يتم الإقدام عليه بحكمة وروية.

- معرفة كلا الزوجين بالحقوق والواجبات، لأن المشكلة أن يزوج الرجل ابنه أو ابنته وليس عندهما الحد الأدنى من المعرفة بالحقوق والواجبات الزوجية والمسؤولية التي تقع على عاتقهما فيحدث الشجار عند كل هفوة مما يزيد الفجوة والبغض بين الزوجين.

- التغاضي عن الهفوات والأخطاء اليسيرة وهذا من حسن الخلق فقد قال النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[٧] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر»[٨].

ولتتذكر المرأة أيضا حديث النبي ﷺ «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»[٩].

الهوامش

١- حاشية ابن عابدين ٣/٢٢٣ - شرح فتح القدير، ٣/٣٢٦.
٢- رواه أبوداود وابن ماجه.
٣- رواه البخاري ومسلم.
٤- رواه الترمذي وحسنه الألباني.
٥- نظام الأسرة في الإسلام، محمد عقلة، ٣/٧٣.
٦- التدابير الشرعية للحد من الطلاق، فتح الله تفاحة، ص١٣٢.
٧- رواه الترمذي.
٨- رواه مسلم.
٩- رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.



د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد بجامعة الباحة

الطفولة.. والتنشئة الدينية

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية التي يمر بها الإنسان وتؤثر في تكوين شخصيته. وللتنشئة السليمة في تلك المرحلة تأثير إيجابي ينعكس على سلوك الأطفال وذلك عند تعاملهم مع الآخرين.

وغالبا ما ينشغل الآباء بالسعي على الرزق، وتوفير متطلبات الحياة المادية، وتوفير سبل العيش الكريم من مأكل وملبس ومسكن ورفاهية؛ ظنا أنهم بذلك قد قاموا بواجباتهم تجاه أبنائهم على أكمل وجه.

وهناك جانب مهم في التربية لا يقل أهمية عن الجانب المادي، وهو الجانب الروحي في تربية الأبناء، فلابد من تنميته وإذكائه لدى الأبناء وغرسه في نفوسهم، بأن نرسخ في نفوسهم منذ الصغر العقيدة الصحيحة الصافية التي تتمثل في الخوف من الله ومراقبته في السر والعلن، وتعليمهم فضائل الأخلاق وآداب الاستئذان والاحترام، وتشجيعهم على الجهر بالحق وقول الصدق دائما.

والشعور الديني لدى الطفل يمكن تعميقه بالتربية، وذلك بغرس القيم الدينية والأخلاقية لديه منذ صغره، ورفع المعاني الإيمانية، وتبصير الطفل بنعم الله تعالى وعجائب قدرته وإبداعه في خلقه واتصافه بصفات الكمال، كما يجب تعليم الطفل مبادئ الأحكام الفقهية حسب كل مرحلة من عمره، وتبصيره بالحسن والقبيح من الأعمال والأخلاق، وتنوير فكره بسيرة الرسول ﷺ وسيرة الصحابة والتابعين الصالحين بما يتناسب مع مداركه العقلية واستعداداته الفكرية.

فقد ورد في الحديث قوله ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه أحمد).

ويجب أن نعلم الطفل العبادات كلها منذ الصغر، ونعلمهم تأديتها بالصورة العميقة التي ينبغي أن تكون عليها، حتى تساهم في تنمية التطور الروحي لعقول صغارنا، وفيما بعد يجب ربط هذه الصلوات والعبادات بأصلها وكيف تطورت على هذه الصورة ومدى الترابط بين شكل العبادات ووجود الله في الكون وفي أرواحنا معا. فيمكن ربط المكان مع الصلاة تقربا لوجه الله تعالى.

ولابد أن نكلم أطفالنا عن إيمانهم وعن قيمهم الأخلاقية وعن عقيدتهم، وعلى الآباء والمربين أن يطوروا إيمان هؤلاء الصغار بطريقة عصرية وأمينة وصادقة، فالإيمان الحق مطابق للتقاليد القويمة وموافق لعملية التقرب إلى الله والإخلاص في عبادته. كما يجب على الآباء والمربين بناء قاعدة دينية قوية لدى الأطفال وهم في سن مبكرة، ولا تنتهي هذه الرابطة أبدا حتى بعد الخروج من المسجد.

وعلى الآباء تعليم أطفالهم أن كل أفعالهم اليومية تمجد اسم الله وتدخل في نطاق الحب والواجب، وحين يكون الله في داخل كل منا فإننا سوف نطبق كلنا السلوك القويم.

كما يجب على الآباء أن يهتموا بمراقبة أبنائهم والعمل دائما على اقتلاع الجوانب السلبية في سلوكهم ومحاربتها عن طريق بيان خطورتها مثل: الكذب - سوء الظن - السباب... الخ. على أن يكون ذلك كله في إطار من الرفق واللين.

ولا أحد يستطيع أن ينكر أن هناك ارتباطا بين الدين والتربية، لذا فمن الضروري إيقاظ إحساس الأطفال بقدرة الله تعالى عن طريق تشجيع ميلهم التلقائي إلى استطلاع عجائب الطبيعة التي تدل على عظمة الله مثل زراعة بعض النباتات وملاحظة نموها وتنوعها، والإجابة عن أسئلتهم بصدق وبما يلائم نضجهم حتى يفهموا الدين أكثر وينمو إدراكهم الديني.

وللقيم أهمية عظيمة في حياة الفرد والمجتمع بكل فئاته، فالمجتمع الملتزم بالقيم، مجتمع يجمع بين الرقي والأمان، ويحظى بالاحترام والنهضة في آن واحد، إذ تقف التربية والتعليم في مقدمة الوسائل التي يمكن أن تستخدم في تنمية وتطوير القيم لدى الفرد.

لذلك فالاهتمام بتنمية قيم الصدق والتسامح والتعاون والإحسان للجار وضبط النفس عند الغضب والولاء والانتماء والتفاني في العمل لدى الفرد وتحفيزه على اكتساب المعرفة وكذلك مهارات التفكير الناقد كل ذلك يجعله مواطنا صالحا يخدم وطنه. لذلك يجب تنمية القيم وتعميق الإيمان بالله داخل أطفالنا.. فالطفل يشعر بالراحة عندما يستطيع الرجوع إلى قوة عظمى.

إن مرحلة الطفولة هي المرحلة المناسبة لتعليم أطفالنا أصول دينهم ومبادئه البسيطة وقيمه؛ لأن هذا يعطيهم الإحساس بالأمان والطمأنينة.

هبة أبوالفتوح
باحثة تربوية



الخيال العلمي وتعزيز مجتمع المعرفة

يعد الخيال هو مفتاح العلم والتنبؤ به، والمحفز الكبير للتفكير العلمي، والخوض في غماره، والدخول والبحث في المغامرة، لإظهار ما يمكن إظهاره من قدرات العقل واتحاده بالخيال، لصياغة المكتشفات التي ولدت في بادئ الأمر في منطقة الخيال، وتوسعت وأصبحت حقيقة واضحة، ومكونا علميا ضمن محيط الإنسان وبيئته. والمتابع لتطور العلم وسير المكتشفات فيه سيصل إلى حقيقة مفادها أن الخيال العلمي تنبأ بالتكنولوجيا وعجائب العلم الذري والفضائي، ووصف الإنسان الآلي والطائرة والصاروخ والغواصة، وقد تمكن أبناء اليوم من رؤية جميع هذه الإنجازات، مع أنها كانت تبدو لقراء الزمن الماضي خيالات بعيدة التحقيق، فمن كان يتخيل أن الإنسان يستطيع الوصول إلى القمر في عصرنا الحالي.

وفي الماضي جاء العالم المسلم الأندلسي عباس بن فرناس وحاول أن يحقق هذه الأحلام على أرض الواقع عمليا، فتخيل -في القرن التاسع- إمكانية الطيران بأجنحة، وغامر بنفسه ليثبت إمكانية تحقيق ما تخيله، فصنع له جناحين، وصعد إلى الجبل، وطار من فوقه فراح شهيد أول محاولة إنسانية للطيران، وقام بعدها الرسام الإيطالي ليوناردو دافنشي، في بدايات القرن السادس عشر، بوضع تصور مرسوم لوجود الطائرة تحقق على أرض الواقع بعد عدة قرون من تخيل إمكانية التحليق والتنقل عبر الفضاء، ولم يكن خيال ابن فرناس أو دافنشي منطلقا من فراغ، بل كان مؤسسا على معطيات واقعية، وتأملا في الواقع المحيط، وشحذا لملكة الخيال في تصور وجود ما لم يوجد بعد، وهو ما حدث أيضا مع الروائي الفرنسي جول فيرن، الذي تخيل في رواياته أوائل القرن التاسع

عشر إمكانية الوصول لمركز الأرض، والصعود للقمر ومطاردة النيازك.

الكتابة العلمية للأطفال

إذا كان الأدب وسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية التي تستخدمها الأسرة والمدرسة لتنمية ثقافة الطفل، وتحقق أهدافا تربوية كثيرة، فإن أدب الخيال العلمي يعد طاقة فعالة توسع آفاق الخيال لدى الطفل.

وتبرز أهمية الكتابة العلمية للأطفال، أو ما يسمى بأدب الخيال العلمي لمن كانوا يظنونه ترفا، بعد أن أثبتت الأبحاث والدراسات الحديثة أن أدب الخيال العلمي هو الذي يستثير خيال الأجيال للبحث العلمي أو يقوي النزعة العلمية عند النشء والشباب، ويمنح طاقة فعالة توسع آفاق الخيال لدى الطفل، وتدربه على استخدام مخيلته وتحريك عناصرها في الأوقات المناسبة لاستغلال تفاعلاتها الخلاقة وعطائها المبدع، كما أنه يحفز وعي المجتمع إلى التفكير العلمي، والولوج بقوة إلى مجتمع المعرفة، ويشد أزر الباحثين إلى مزيد من التحقيقات العلمية، ويجعل العلم بمنجزاته وإمكاناته أداة متداولة عند عامة الناس، ويحقق الوفرة في التوجهات العلمية عامة.

مفهوم العلم في الصياغات الأدبية

تهيئ قصص الخيال العلمي نشر الحقائق العلمية وشرح جوانبها وأهدافها بأسلوب فيه كثير من عوامل التجسيد الفني وتعميم أفكار مختلفة عن صور المستقبل، ومع هذا فإن هدف هذه القصص ليس فقط إيصال المعلومات إلى الأطفال، وإنما الأهم إشباع مخيلاتهم، ودفع عقولهم إلى التفكير في آفاق أكثر انطلاقا وتحررا وابتكارا، لذا تعد تنمية قدرة الطفل على التخيل والتأمل والبحث والتجريب والمرونة والتأقلم أهدافا لهذه القصص، كما أن بنيان قصص الخيال العلمي القائم على خيال منطقي مدروس يتيح لنا تلمس الصورة المنتظرة لتطور مستقبلنا وتغير ظروف حياتنا في ظل سيادة العلم ودوام البحث والكشف والعيش في مجالاته، وهو ما يسمى بالمستقبلية، والخيال المزود بفهم علمي يعد الوسيلة الوحيدة للنظر في المستقبل والتكهن به والاستعداد له.

إن خيال الطفل هو الذي يصور له أن البناء الذي يصنعه من الطين والرمال، هو بناء حقيقي تحيا في داخله عوالمه الخاصة، ولذلك يعتبر النص العلمي في أدب الأطفال، هو الذي يستلهم مادته من فكرة أو حقيقة علمية واضحة المعالم، تسهم في إثراء مخيلة الطفل، وتمده بالمعلومات العلمية التي تزيد معارفه، وتغني خياله وتفكيره، وتدفع هذه المعلومات بالأطفال إلى التفكير على أوسع نطاق، إذ إن الطفل، كما هو معروف، فضولي بطبعه، به ميل عفوي وحب غريزي إلى الاطلاع واستكشاف المجهول، وتدفعه رغبة جامحة لا تتوقف لمعرفة كل ما يحيط به، وما يقع عليه نظره، إذ يكثر السؤال عن كل ما استعصى عليه فهمه، وتعذر عليه إدراكه، وعجز عن إيجاد تفسيره.

تنمية الخيال العلمي

إن منشأ الاختراعات والاكتشافات كان، وما زال، أساسه التخيل، الذي يلتقي فيه الوعي مع اللاوعي، على حافة التأمل، انطلاقا بهدي العقل الخلاق إلى عوالم الخيال التي لا حدود لها في ميدان الإبداع والابتكار، لذا فإن الخيال هو الفضاء الواسع، الذي يحلق به العقل ويمنحه الطاقة الهائلة، أيضا هناك متغيرات على المستوى العالمي لا تترك أمامنا خيارا لقبول التحدي وتنشئة أجيال تضم أعدادا من المبتكرين والمخترعين والعلماء في مختلف ميادين المعرفة، لكن الخيال العلمي الذي ننشده للطفل المسلم ينبغي أن ينبثق من البيئة والتقاليد الإسلامية، ويكون متماشيا مع مقتضيات العقيدة الإسلامية بحيث لا يتعارض مع مبادئها في قليل أو كثير.. الخيال العلمي الذي ننشده للطفل يسمح بإطلاق خياله ولكن في حدود مقبولة، من دون جنوح يباعد بين الطفل والواقع الذي يعيش فيه.

وتنمية الكتابة العلمية للأطفال تسهم بنصيب وافر في نشر الثقافة العلمية، ليس للصغار فقط ولكن للكبار أيضا، فهدف هذا اللون من الكتابة أو الأدب ليس فقط إيصال المعلومات إلى الكبار والصغار وإنما الأهم هو إشباع مخيلاتهم، ودفعهم إلى التفكير في آفاق أكثر رحابة في المستقبل نحو العلم، فالإنسان بلا خيال يفتقد الابتكار وبالتالي يتجمد ولا يتقدم.

محمد إبراهيم خاطر
كاتب ومدرب



لماذا تنامى العنف وغاب التراحم؟!

مظاهر العنف بشتى أنواعه باتت ظاهرة للعيان، وطال العنف جميع مناحي الحياة، وتراجع التراحم، وغابت الرحمة إلى حد أننا أصبحنا نحتفي ببعض المظاهر الخادعة للرحمة كالرفق بالحيوانات وصغارها، ونغض الطرف عن إبادة مئات الآلاف من الأبرياء.

والتدليل على انتشار العنف في المجتمعات المعاصرة لا يحتاج إلى كثير عناء، فمظاهر العنف نجدها في فضاءات عديدة، ولعل من أهمها وأخطرها مظاهر العنف الأسري، الذي يشمل العنف اللفظي والجسدي بين الزوجين نتيجة التركيز على الحقوق والواجبات وغياب المودة والرحمة، والعنف ضد الأولاد والآثار السلبية التي يتركها على نفوسهم ويغذي بداخلهم النزعة العدوانية والميل إلى العنف في التعامل مع الآخرين، والآثار السلبية لهذا النوع من العنف تظهر في التصرفات والسلوكيات العدوانية بين الإخوة والأخوات في البيت نتيجة القسوة في المعاملة والتفرقة بين الأولاد.

ومظاهر العنف نجدها في الشارع في بعض الدول من خلال المعارك اليومية والصراع على المرور وعدم التقيد بقوانين المرور وآدابه، وفي الأفعال المتهورة التي قد تصدر من بعض السائقين تجاه مستخدمي الطريق، سواء من قائدي المركبات أو من المشاة، وعدم تقدير ذوي الاحتياجات الخاصة أو مساعدتهم.

ونجدها كذلك في العمل، حيث التسلط وفرض الرأي، وعدم التماس الأعذار للآخرين وتحميلهم المسؤولية كاملة، والتعامل مع المراجعين بفظاظة وغلظة.

وتوجد أيضا في المدارس بين الطلاب بعضهم مع بعض من خلال الشجار والمشاحنات والتعدي على الآخرين بالشتم أو الضرب، ومن قبل بعض المعلمين الذين يقومون بضرب التلاميذ وبشكل وحشي في بعض الأحيان.

ومظاهر العنف نجدها في التعامل مع الفئات المستضعفة العاملة في القطاعات الخدمية كالمجمعات التجارية، بل وصل الأمر إلى الاعتداء على الطواقم الطبية!

ومن مظاهر العنف التي تزايدت في الآونة الأخيرة العنف ضد الأقليات باستهدافهم والتضييق عليهم وتهجيرهم من بيوتهم.

وهذه المظاهر مجتمعة تدلل على اتساع مساحة العنف على حساب قيم الرحمة والمحبة والتعاون، والأحداث الحالية والمؤشرات العامة تدل على أن ظاهرة العنف آخذة في التنامي والاتساع في ظل عدم وجود رغبة وتوجه عام يسعى

نحو تحقيق السلام في العالم ويؤكد على ضرورة التراحم بين البشر من أجل حياة أفضل للجميع.

أسباب انتشار العنف

الأسباب التي أدت إلى انتشار مظاهر العنف وتناميها في المجتمع كثيرة، منها التنشئة الخاطئة للأطفال، وغياب التربية الوجدانية، وعدم إشباع حاجات الأطفال الأساسية وتعرضهم للحرمان، خصوصا الحرمان العاطفي، وتربيتهم على القسوة والعدوانية لمواجهة المجتمع الذي يرون فيه انتهاكا لحقوق الضعفاء، ومنها وسائل الإعلام التي لها دور كبير وخطير في نشر العنف في المجتمعات من خلال عرض مشاهد العنف، سواء كان داخل الأسرة أو خارجها، وإظهار من يمارسون العنف على أنهم أبطال، وأخيرا ظهرت الألعاب الإلكترونية لتسهم في إذكاء النزعة العدوانية لدى الأطفال، ولذلك يحذر خبراء التربية من خطر الألعاب الإلكترونية على الأولاد، خصوصا الألعاب القتالية العنيفة، ومن أسباب انتشار حوادث العنف في المدارس الإدمان على مثل هذه الألعاب التي تبرمج مخ الطفل على القتل والاعتداء على الآخرين.

وتعد رغبة الدول الكبرى وسعيها للهيمنة والسيطرة وإخضاع الآخرين من الأسباب الرئيسية لتنامي العنف في عالمنا المعاصر.

وتنامي العنف، خصوصا تجاه المسلمين في الغرب، يحدث نتيجة شيطنة الآخر واتهام الإسلام ووصمه بالعنف، والعداء للإسلام، والصورة النمطية التي رسختها وسائل الإعلام والأفلام السينمائية وكتابات المستشرقين في أذهان الغربيين عن الإسلام وعن العرب والمسلمين، تقف وراء الاعتداءات المتزايدة التي يتعرض لها العرب والمسلمون في الغرب.

العنف عند المسلمين وعند غيرهم

القيم الإسلامية تدعو جميعها إلى التراحم والتعاون، ونبي الإسلام جاء رحمة للجميع، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

ومن المفارقات في عالمنا اليوم اتهام العرب والمسلمين بالعنف، في حين أن المجتمعات العربية والمسلمة تعد أقل عنفا مقارنة بالمجتمعات الغربية.

والإحصائيات حول العنف تؤكد أن العنف والإرهاب بضاعة وصناعة غربية خالصة، فالغرب منذ مئات السنين وحتى الآن هو الذي يقتل الأبرياء ويهلك الحرث والنسل، وجرائم الغرب لم تتوقف منذ قرون من الزمان، ويكفي للتدليل على ذلك إبادة الملايين من الهنود الحمر، وضحايا حروب الفرنجة (الحروب الصليبية)، وضحايا حرب فيتنام، وضحايا الحربين الغربيتين الأولى والثانية، وجرائم الغربيين في الجزائر وليبيا والمغرب، ومجزرتي هيروشيما وناجازاكي، وضحايا حرب البوسنة والهرسك، وضحايا الحرب في أفغانستان، وضحايا الحرب في العراق، وضحايا الحرب في سورية وغيرها.

سبل المواجهة

إن انتشار العنف في أنحاء كثيرة من العالم بحاجة إلى وقفة جادة من أجل مراجعة أسبابه وإيجاد الحلول المناسبة للقضاء عليها، والبشرية اليوم بحاجة إلى دعاة الرحمة والسلام لكي يخلصوها من الآثار المدمرة للعنف.

ومواجهة العنف المستشري في العديد من المجتمعات بحاجة إلى بذل المزيد من الجهود الفردية والجماعية التي تهدف إلى بناء مجتمعات يسودها الود والتراحم، ومن الوسائل التي نواجه بها العنف:

أولا: التربية على التراحم والتسامح، والتركيز على التربية الوجدانية التي تسهم في بناء شخصية متوازنة تتحكم في مشاعرها وانفعالاتها ولا تلجأ إلى العنف عند التعامل مع الآخرين.

ثانيا: نبذ العنف ووقف الظلم على المستوى الدولي، فمئات الآلاف من البشر اليوم يتعرضون لظلم بين ولا يجدون من ينصرهم، سواء من الإخوة في الدين أو من قبل المؤسسات الدولية.

ثالثا: نصرة المظلومين، وذلك من خلال قيام الكيانات الفاعلة على المستوى الدولي بدورها في توفير الحماية للمظلومين والمضطهدين، خصوصا العزل من الأطفال والنساء وكبار السن.

رابعا: تجفيف منابع العنف، بالقضاء على الأسباب المؤدية إليه، ومنها الجوع والحرمان اللذان يعاني منهما ملايين البشر، والاضطهاد الديني الذي يعاني منه الكثيرون، خصوصا المسلمين.

والأوضاع الحالية التي يعيشها العالم وتمر بها المنطقة العربية تنذر بتنامي ظاهرة العنف، وهذه الظاهرة لها آثارها السلبية على جميع مناحي الحياة، والجميع مطالبون ببذل الجهد والعمل معا للقضاء على مظاهر العنف في المجتمع من أجل توفير حياة أفضل ينعم فيها الجميع بالسلام والرخاء.

د. سعيد عبيدي
دكتوراه في الفكر الإسلامي





الجمال والإسلام

عن الهيئة العامة السورية للكتاب، وضمن سلسلة المشروع الوطني للترجمة، صدر سنة ٢٠١٨م كتاب «الجمال والإسلام: جماليات الفن والعمارة الإسلاميين» للكاتبة فاليري غونزالس، وهو كتاب يضم بين دفتيه ١٨٤ صفحة من الحجم الكبير، وترجمته الأديبة كارولين توماس، التي ذكرت في تقديمها أن المؤلفة لم توفر جهدا لتقديم صورة الإسلام الحقيقي الجميل، فقد سعت إلى تسليط الضوء على جوانب عدة من جماليات الفكر الإسلامي وفنه وعمارته من منظور علمي معاصر، وعلى أفكار مدارس فلسفية عدة فيما يتعلق بقضايا الجمال بشكل عام.

والكتاب يضم خمسة فصول مقسمة إلى قسمين كبيرين: قسم نظري يحوي الفصلين الأول والثاني، وقسم تطبيقي يضم الفصول الثلاثة الباقية.

ويقدم الفصل الأول تحليلا لفكر أربعة من الفلاسفة المسلمين المشهورين (ابن سينا، ابن حزم، ابن رشد وابن الهيثم)، ويهدف إلى عرض رؤية شاملة لشتى طرائق مقاربة الجمال والتجربة الجمالية في العصور الوسطى، بينما يقدم الفصل الثاني مثالا للجمال من النص القرآني انطلاقا من سورة النمل (زيارة ملكة سبأ للنبي سليمان عليه السلام)، أما الفصول الثلاثة الأخيرة فتعرض أمثلة وجوانب منتقاة من النتاج الفني الإسلامي، حيث اهتم الفصلان الثالث والرابع بالتصميم الهندسي في قصر الحمراء، والذي يثير قضايا فكرية معقدة تتعلق بالجدلية الجمالية القائمة بين التجريد والتمثيل، أما الفصل الخامس والأخير فيناقش المنظومة الجمالية الدلالية للكتابات والنقوش في الفن الإسلامي.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الجمال في الإسلام لا يقتصر على الأدب والعمارة فقط، بل إن هناك جوانب أخرى جميلة ومميزة في الإسلام كالأذان والإنشاد الديني على سبيل المثال لا الحصر، وعليه فإن من يقرأ هذا الكتاب، خصوصا من الغربيين، سيلمس التناقض الصارخ بين الصورة التي رسمتها الكاتبة عن التاريخ الإسلامي بالوثائق والأدلة، والصورة التي يرسمها من يحاولون تشويه صورة الإسلام.

والكتاب الذي بين أيدينا ليس الأول في بابه، وإنما هو إضافة إلى مجموعة من الأعمال الرائدة لباحثين كبار في الفن الإسلامي أمثال أوليغ غرابار وريتشارد إتينغهاوزن وأنطونيو فيرنانديز وغيرهم، والكاتبة بدورها تشير إلى هذه الأعمال وتعتمد عليها بشكل كبير، لكن عملها هذا يدشن لأرضية جديدة كليا راسما محورا آخر جديدا للبحث في بيئة علمية جديدة وقوية، وبتحطيمها للقالب القديم المتبع في حصر دراسة الفن الإسلامي ضمن السياق التاريخي والاجتماعي والسردي فقط، تكون غونزالس قد خطت خطوة جوهرية وجريئة

ومنهجية على طريق تطوير دراسة الفن الإسلامي، إذ إنها توظف علم الجمال بوصفه نظرية، وبوصفه منهجا تطبيقيا على حد سواء، ولم يكن ذلك لتفسر وتحلل النصوص الإسلامية التي تناقش المفاهيم الجمالية فقط، وإنما لتشرح وتحلل أيضا واقع تجسيد الأعمال الفنية ذاتها في إطار ما يعرف بعلم الظاهرات الجمالية.

ومما توصلت إليه الكاتبة في الجزء الأول من كتابها أن الفكر العربي الكلاسيكي نظر إلى الجمال بمعايير ومميزات مختلفة ومتنوعة؛ بدءا من الجمال الرفيع السامي في شخص الإنسان المرتبط بالأخلاق حسب نظرية ابن حزم، مرورا بالجمال الذي يخضع لتحديدات وتصنيفات ظاهرية حسب نظرية ابن الهيثم، وانتهاء بالنظريتين المتضادتين عن الجمال الفكري النابع من المصدر الإلهي حسب نظرية ابن سينا، وعن جمال الترتيب البنيوي للعالم المادي حسب نظرية ابن رشد. وبطريقة أو بأخرى نجد في إسلام العصور الوسطى كل أنماط الجمال: المنطقي، والميتافيزيقي، والفيزيائي، والأخلاقي. وبالطبع يمكن صياغة حكم مشابه فيما يتعلق بالمفهوم المناقض للجمال، أي القبح، والذي نجده في فكر ذلك العصر بأوجه ونواح متنوعة مرتبطة بالفجور والنقص واللاتناسب والجهل والفوضى.

وفي معرض حديثها عن قصة سليمان، عليه السلام، مع بلقيس (ملكة سبأ)، أشارت فاليري غونزالس إلى أنه من الضروري في المستقبل إدراك العلاقة الدقيقة القائمة بين الجماليات المتضمنة في النصوص الإسلامية من جهة، والأعمال الفنية القائمة على أرض الواقع من جهة أخرى، وذلك بغية الوصول إلى فهم أفضل للممارسة الفنية الإسلامية، فالتصوير القرآني للصرح وضع مبادئ ومعايير جمالية عدة جرى اعتمادها بشكل واسع في الأعمال والنماذج الفنية والمعمارية في العالم الإسلامي، هكذا نجد أن قطع الزجاج تستخدم إلى جانب قطع الجص والمرمر في تزيين المعالم والصروح؛ ففي شرق العالم الإسلامي مثلا يجد المرء دليلا على الاستفادة من حكاية النبي سليمان عليه السلام كملهم للإبداع الفني، فقد جرى استخراج بعض الألواح الزجاجية التي صممت لتكسو الأرضية من بقايا قصر يعود إلى فترة القرون الوسطى بالقرب من مدينة الرقة في سورية. وكما يرى الكثير من الباحثين، فإن تلك التحف الأثرية تدل على وجود مسعى لمحاكاة أو استحضار الأنماط الجمالية للقصة السليمانية المذكورة في سورة النمل.

وبالانتقال إلى إبراز مكامن الجمال في قصر الحمراء، ذكرت الكاتبة أن النقوش النصية المزخرفة المتوافرة بغزارة في أبنية القصر تضفي نظاما جماليا خاصا على مجمع القصر برمته، فهي تشكل -بما فيها الاقتباسات القرآنية والقصائد الشعرية والعبارات الدينية- لوحة تصويرية مفعمة بالصور والكنايات الشعرية، لوحة تخلق عالما نصيا بالغ الحيوية يوجد في نطاق واحد مع العالم البصري الذي تولده الأشكال والتصاميم المعمارية التي تطغى عليها زخارف بالغة التجريد ضمن فيض من التصاميم الهندسية، ومن خلال عالم النصوص المنقوشة التي ألفها أشهر شعراء غرناطة، مثل ابن زمرك وابن الخطيب، نتصور وجه السلطان مشرقا ينير قبة السموات المرصعة بالنجوم، في حين تشكل عمارة القصر بيئة ملكية فردوسية تتغنى بجمال المكان وبمجد مالكه، وهكذا نجد الصرح بأكمله «ينطق» بطريقة ما من خلال تلك النقوش النصية، ويبدو كما لو كان مسرحا مفعما بالتعابير الحية النابضة التي تخاطب الزائر، مزينا وملونا بطيف من الصور الشعرية الرمزية المزخرفة، أما مكان النقوش فقد جرى انتقاؤه بعناية فائقة ليلائم المخطط العام والوظيفة المعمارية.

وتختتم غونزالس كتابها بنفس الروح التي بدأته بها، روح المستكشف لا المفسر، متحدثة في الفصل الأخير عن النظام الجمالي للكتابات والنقوش الإسلامية، وفي هذا الفصل تبني نقاشها على القاعدة المنهجية التي أرست دعائمها في الفصول السابقة؛ فبعد أن قدمت أطروحتها القائلة بأن الكتابات والنقوش تشكل مجالا فنيا مستقلا في الإسلام، نجدها في هذا الفصل الأخير تبني على هذه الأطروحة لتدرس تلك الكتابات والنقوش من منطق جمالياتها الخاصة.

يتميز هذا الكتاب إذن بتنوع لافت في مصادر أفكاره؛ فلا نصادف في صفحاته ابن سينا وابن رشد وابن الهيثم وغيرهم من أعلام الفلسفة الإسلامية فحسب، بل نصادف أيضا فلاسفة معاصرين غربيين أمثال فيتغنشتاين ونيلسون غودمان، ورواد علم الظاهرات أمثال باشلار وهسرل، وفنانين أمثال إيف كلاين ومارك روتكو، إضافة إلى مفكرين معاصرين مثل جاك دريدا، فجميعهم جرى توظيف أفكارهم في السياق السردي للكتاب، وهذه تجربة متميزة، إذ تجد ذكرا لمفكر مثل دريدا أو فيلسوف مثل فيتغنشتاين في سياق الحديث عن تفسير آية قرآنية، أو تشهد استعانة بعالم مثل هسرل في تحليل جمالي لإحدى روائع الحضارة الإسلامية المتمثلة بقصر الحمراء.



د. محمد نور مبارك
دكتوراه في الأديان والمذاهب

الدين وسؤال الهوية

إن الاهتمام بقضايا الهوية شرط من شروط تحقيق الوعي بالذات، والصفة الحضارية للأمة، ومعرفة موقعها في المنظومة العالمية. ومن خلال النظر في تجارب الأمم ودروس التاريخ نقول بكل ثقة، إنه لا تقدم لأمتنا إلا عبر التأصيل العميق لمكونات هويتها وعناصر تميزها عن غيرها من الأمم، مع التواصل الفعال الجيد والاستفادة الضرورية من الثقافات والحضارات الأخرى.

وفي حالات انفصال الأمة عن أركان هويتها، يحدث الذوبان في الآخر وعدم تمايز الأمة عن غيرها من الأمم، ولهذا الذوبان عواقبه الوخيمة على الذات الحضارية للأمة لأنه يؤدي إلى الهبوط في أودية التقليد الأعمى والتبعية غير الواعية، كما أن الانغلاق وعدم التواصل الجيد المفيد مع الآخرين يؤدي إلى العزلة الحضارية الضارة، وهذا له نتائجه الوخيمة على مسار التقدم الحضاري والتواصل العلمي، وعلى مسار تبليغ رسالة الإسلام للعالمين الذي يشكل محور علاقة أمتنا مع غيرها من الأمم.

والنظر في هوية الأمة العربية الإسلامية يحتاج إلى منهج خاص، حيث تقوم هذه الهوية على مصدرين رئيسيين: الأول، المصدر الرباني متمثلا في الوحي الإلهي المنزل على سيدنا محمد ﷺ وما انبثق منه من قيم وتعاليم مجيدة، والمصدر الثاني، هو المصدر البشري من خلال تفاعل الأمة مع الوحي الإلهي وما نتج عن ذلك من علوم وفنون وخبرات وتجارب ومظاهر حضارية رائعة. ومن مميزات الهوية العربية الإسلامية أنها جامعة شاملة تجمع بين الغيب والشهادة، وبين المادة والروح، وبين الدنيا والآخرة، وبين الواقع والمثال.

الهوية لغة واصطلاحا

جاء في المعجم الوسيط: «الهوية: حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره. كما تطلق على بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية أيضا».

وفي كتاب التعريفات للعلامة الجرجاني: الهوية هي «الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة». فالهوية مشتقة من الضمير «هو»، وتشير إلى ما يكون به الشيء «هو هو»، أي من حيث تشخصه وتحققه في ذاته وتميزه عن غيره؛ أي بمعنى جوهر الشيء وحقيقته، فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة: جوهرها وحقيقتها.

وعرفت بأنها: «السمات المميزة لطابع الفرد أو الجماعة التي تتصل بماهيتهم وبالمعاني ذات الدلالة العميقة لوجودهم». وقيل أيضا هي: «مفهوم اجتماعي نفسي يشير إلى كيفية إدراك شعب ما لذاته وكيفية تمايزه عن الآخرين، فهي تستند إلى مسلمات ثقافية عامة مرتبطة تاريخيا بتنمية اجتماعية واقتصادية لمجتمع معين».

فالخلاصة أن الكلمة تدور حول معانى الحقيقة والجوهر والذات والوحدة والانتماء والتشابه، فالهوية في كلمة موجزة هي الخصائص الجوهرية للشيء.

الهوية العربية الإسلامية

أما الهوية العربية الإسلامية فهي: مجموعة الأسس والأصول والثوابت التي يتلقاها أفراد الأمة، وتعبر عن السياق العام للثقافة العربية الإسلامية، فهي بمنزلة البصمة الوراثية الثقافية للفرد والأمة

التي من خلالها يستطيع الآخرون التعرف علينا.

الدين: المكون الأول

إن أهم مكونات الهوية العربية: الدين واللغة العربية والقيم والتراث. وسيقتصر مقالنا حول الدين وأهميته في بناء منظومة الهوية.

الدين هو المصدر الأول في كل هوية، وقد فطر الله عز وجل العباد على التدين، فلا تجد أمة من دون دين، سواء أكان الدين حقا أم باطلا. ولقد اهتم الإسلام ببناء قواعد الهوية في ضوء منهاجه القويم، فمن باب الحقيقة الخالية من الرتوش نقول إن الإسلام صاغ الهوية صياغة ربانية، فرسم لأتباعه التصور الصحيح للإله والكون والحياة والإنسان والمبدأ والمعاش والمعاد، وبين حكمة الوجود الإنساني من خلال مقصد العبودية للخالق ومقصد تعمير الأرض بالأعمال الطيبة التي تؤهل الإنسان ليحيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة.

فالمنهج الرباني يضبط حركة البشر في الحياة من خلال جلب المصالح ودفع المفاسد وتحقيق الأمن والسلام النفسي والمجتمعي، فلا إيمان لمن لا أمان له، وشتان بين مجتمع يعيش في نور من الهدي الإلهي وبين مجتمع راكد آسن يتبع هواه؛ فالأول على صراط مستقيم، والثاني جائر عن القصد.

والإسلام دين يتسم بالوسطية والتوازن والإيجابية، ومن جملة خصائصه الصدق والعدل والحق والخير ويمتاز بالشمول والواقعية النظيفة والمثالية الممكنة، فنصوصه وقواعده وآدابه تستوعب الحوادث المستجدة والوقائع المتغيرة، والإسلام يشبع العقل والوجدان من خلال التوافق بين الإنسان والكون، فلا ترى فيه نزعات التنافر أو التصارع أو أشكال التحارب والتقاطع والتدابر بين الإنسان والكون، فكلاهما من صنع الله تعالى وتدبيره، وقد سخر الله تعالى الكون لخدمة الإنسان، وهذا التسخير من أجل التعمير والانتفاع المعرفي والجمالي والوظيفي.

والإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة كلية، فيراعيه بكل مكوناته من الجسم والعقل والروح، فللجسم مطالبه وللروح أشواقها وللعقل آفاقه المعرفية التي تتفق مع قدراته وإمكاناته، فالإسلام دين إلهي من حيث المنشأ إنساني من حيث الهدف والغاية، والإنسان في الإسلام مخلوق مكلف يحمل الأمانة.. أمانة العبادة وعمارة الأرض ونشر السلام والخير في العالم، وهو مسؤول عن هذا التكليف يوم الجزاء، فإن قام به كانت له الحسنى، وإن قصر حوسب على تقصيره وعدم تجاوبه مع الأمر الإلهي.

فكل ما سبق من خصائص ومميزات لهذا الدين الخالد تبلورت منه وانبثقت معالم الهوية العربية.

إن الدين هو محور الهوية الأكبر ونقطة دائرتها، وهو عنصر الهوية الأول الصابغ بصبغته بقية عناصرها، ولعل هذا من الجوانب المشتركة في كل الثقافات، وفي ذلك يقول توماس إليوت: «إن القوة الرئيسية في خلق ثقافة مشتركة بين الشعوب لكل منها ثقافتها المتميزة هي الدين». فمن الدين تنبع كل مقومات الثقافة وأسس الهوية.

ومن خلال ما سبق يتضح للقارئ الكريم مدى أهمية الاهتمام بالثقافة الدينية وتيسير سبيلها لكل أبناء الأمة من خلال التعليم ودور التربية والثقافة للحفاظ على الهوية، وهذه مهمة الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام والمؤسسات التعلمية الكبرى، فلابد من توعية الأسرة للقيام بدورها في مجال تثقيف الناشئة بمقاصد الدين وأحكامه وآدابه وغرس قيمه في نفوسهم، مع مراعاة البدء بإدخال الجانب النظري –المعلومات العلمية– أو قل «العقائد» قبل السلوك التطبيقي، وتبسيط هذه المسائل النظرية حسب الفئة العمرية، وكذلك الاقتراب من الجوانب التطبيقية للدين بسلاسة ولطف، جاعلين مبدأ الغرس بالحب والتدرج في التعليم والقدوة في التدريب أركان مسألة التطبيق، مع ضرورة الاستعانة بالأسلوب القصصي لما له من تأثير فريد على مجموع مكونات الطبيعة البشرية، والاهتمام بالمتابعة والتكرار والتوجيه غير المباشر والحوار والإقناع ومداومة التذكير وتقديم المحفزات والجوائز، والعناية الكاملة بتعليم السيرة النبوية بأساليب تناسب كل الفئات العمرية وبوسائل متنوعة، مع الاعتماد على آلية الصورة في التعليم، فالسيرة النبوية جامعة لمقاصد الدين ورسالته، كما أنها تجيب على سؤال محوري: كيف وصل الدين إلينا؟ وفي الإجابة عليه تعزيز لمحبة الدين في النفوس وتحملها أمانة الرسالة ونشرها، تأمل صنيع الخليل إبراهيم عليه السلام ويعقوب النبي عليه السلام فيما حكاه الله عز وجل لنا في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٢).



خلف محمود أبوزيد
باحث تربوي



التلوث الكهرومغناطيسي وصحة الإنسان

يتعرض عالم اليوم، لضروب جديدة من التلوث، باتت تهدد الحياة البشرية على وجه الأرض، فصرنا نسمع عن أنواع جديدة من الملوثات الناتجة، عن استخدام التكنولوجيا الحديثة، وما صاحبها من اختراع أجهزة ووسائل جديدة، كان لها دور كبير في رفاهية الإنسان في مختلف جوانب حياته، إلا أن هذه الأجهزة صارت مصدرا لنوع جديد من التلوث، هو التلوث الكهرومغناطيسي، الذي يعتبره البعض أخطر من التلوث البيئي، من حيث كونه غير مرئي، ومن ثم لا يمكن تجنبه، وأنه يؤثر مباشرة على الخلايا الحسية للإنسان فيلحق بها أضرارا تجعله عرضة للإصابة بأمراض خطيرة، خاصة مع الانتشار السريع لهذه الأجهزة وتطويرها باستمرار، بحيث أصبحت متعددة الاستخدامات، وصارت من المقومات الأساسية التي يعتمد عليها الإنسان، اعتمادا كبيرا في تدبير شؤون حياته اليومية، حتى امتلأت الحياة حولنا بما يشبه الضباب الكهرومغناطيسي، وبدأ الإنسان سابحا في بحر من الإشعاعات.

وينشأ التلوث الكهرومغناطيسي، في أغلب الأحيان من وجود موجات كهرومغناطيسية، تنبعث من الأجهزة التي يستخدمها الإنسان في محيط حياته اليومية، وفي مقدمتها الأجهزة المنزلية، التي تدار بالموتورات الكهربائية، كالثلاجات والمكيفات والغسالات والمراوح والتلفاز والساعات المنبهة، وأجهزة الفيديو، هذا إلى جانب أجهزة الحاسوب وأجهزة الواي فاي، والهواتف الذكية والرقمية، وأجهزة مراقبة الرضع، والقارئ اللوحي، وأجهزة البلوتوث، وكذلك أجهزة تسخين المأكولات والميكروويف، ومجففات الشعر، هذه الأجهزة التي تعيش مع الإنسان، ولا تكاد تفارقه، حيث نسبة الانبعاثات الكهرومغناطيسية التي تصدر من هذه الأجهزة، تشكل خطرا على صحة الإنسان عموما والأطفال خصوصا، من

حيث قدرة الموجات الكهرومغناطيسية الناتجة عن استخدام هذه الأجهزة من اختراق أجسام الأحياء والتعامل مع الخلايا الحية وإحداث تغيرات بيولوجية فيها، بشكل ينتج خللا واضطرابا في أداء أجهزة الجسم المختلفة.

أخطار صحية

عند تعرض الإنسان لهذه الموجات لفترات طويلة تصيبه أضرار صحية خطيرة، ومقدار هذا الضرر يتوقف على عدة عوامل من أهمها، مدى قدرة هذه الموجات الكهرومغناطيسية، والمسافة التي تفصلنا عن مصدر هذه الموجات، وأيضا طبيعة جسم الإنسان، الذي يتعرض لها من حيث الوزن والاستعدادات الوراثية للأمراض وعمر الإنسان نفسه، فكلما قل العمر زاد امتصاص الجسم للإشعاع، فالكمية التي يمتصها الطفل أكبر من التي يمتصها البالغ، ويمكن لنا أن نوضح أهم التأثيرات الصحية التي تصيب الإنسان جراء التعرض لهذه الموجات الكهرومغناطيسية فيما يلي:

- الشعور العام بالإرهاق والخمول والكسل وعدم الرغبة في العمل، وتشتت الانتباه والشرود الذهني.
- اضطراب وظائف الدماغ، وعدم التركيز الصحيح، والشعور بالصداع، وهذا ناتج عن تأثر خلايا المخ مباشرة بالموجات الكهرومغناطيسية المحيطة بالإنسان، وذلك بتداخلها مع الإشارات الطبيعية، التي يصدرها المخ مما يحدث خللا في أدائها، ينتج عنه الأضرار المشار إليها.
- تدمير البناء الكيميائي لخلايا الجسم، من حيث قدرة الموجات الكهرومغناطيسية على الدخول لجسم الإنسان، والتفاعل مع خلاياه، وإحداث تغيرات بيولوجية فيها بشكل قد ينتج عنه خلل واضطراب في أداء أجهزة الجسم المختلفة، خصوصا الجهاز الدوري، والجهاز التناسلي والمخ والأعصاب.
- تشوه الأجنة وحدوث حالات إجهاض للنساء الحوامل.
- التأثير الشديد على الأذن، وهذا التأثير ناتج عن استخدام أجهزة التليفون المحمول، حيث إنها ذات تردد عال (٨٥٠ بليون ذبذبة في الثانية) وهو ما يجعل أثر الموجات اللاسلكية تغش الدماغ، إثر خروجها من مركز الإرسال، والسماعة تتداخل مع المجالات الكهربائية الطبيعية لأغشية الخلايا مسببة الإصابة بالسرطان، ودرءا للخطر تحذر بعض الشركات زبائنها في دليل الاستخدام من أن تلمس أجسادهم الهواتف الجوالة في أثناء المكالمات الهاتفية.
- هذا إلى جانب أن الإنسان يكون عرضة للإصابة ببعض الأمراض الأخرى منها، أمراض القلب، وتعطل عمل بعض وظائف الخلايا في الجسم، واضطراب وتشوه الرؤية، واضطراب معدلات الكالسيوم في الجسم.

سبل الوقاية

لقد أصبح استخدام هذه الأشياء من مفردات الحياة اليومية، التي يصعب للإنسان الاستغناء عنها، أو العيش بدونها، ومن هنا أصبح لا بديل أمام الإنسان إلا الأخذ بسبل الوقاية، من تقنين الوقت وتنظيمه وترشيد استخدام مثل هذه الأشياء، وهذا نابع من المنطلق الإسلامي الذي يدعو الإنسان إلى التعامل مع الأشياء بحكمة، وفي حدود الإطار المستخدم، حرصا على وقت الإنسان من ناحية وحرصا على صحته من ناحية أخرى.

استخدام الهواتف

أما بالنسبة للهواتف الذكية، وغيرها من الأجهزة الحديثة فينصح خبراء الصحة بضرورة اتخاذ هذه الخطوات عند استعمالها كنوع من أساليب الوقاية للحد من تأثيراتها السلبية وأهم هذه الأساليب:

١- توعية الآباء والأمهات والأطفال أنفسهم بخطر هذه الموجات عن طريق الإشهار والإعلانات في الأماكن العامة، وعبر المواقع الإلكترونية، والمناهج التعليمية.

٢- ضرورة إلزام الشركات المنتجة أو المركبة لأجهزة الاتصال والهواتف وغيرها لكتابة مستوى انبعاث الأشعة والموجات على أغلفة منتجاتها.

٣- عدم استعمال أجهزة الواي فاي وملحقاتها وخاصة للأطفال إلا عند الضرورة، ولفترة محدودة والاستعاضة عن ذلك باستعمال الإنترنت السلكي.

٤- إبعاد الأم الحامل والرضيع عن مكان هذه الأجهزة ووضعها في مكان بعيد عن غرف الأطفال، والإكثار من استعمال الهاتف الثابت بالبيت واستعمال سماعات الأذن بدلا من وضع الهاتف المحمول على الأذن مباشرة، وعلى مقربة من الدماغ، مع عدم وضعه على الأذن إلا عندما يفتح الخط، فهو يرسل إشارة المكالمة بمستوى عال من الإشعاعات.

٥- التقليل من استعمال الهاتف النقال، أثناء التنقل بالسيارة، لأنه يصدر انبعاثات إشعاعية، أكثر من حالة الوقوف.

٦ـ تقييد وقت لعب الأطفال بالهواتف، أو القارئ اللوحي، بحيث لا يتجاوز نصف ساعة في اليوم أو أقل، وإذا كان لابد، فيجب استعمال شبكة الاتصال السلكي فهي أكثر أمانا.

٧ـ إغلاق الهاتف أثناء النوم، وإبعاده عن الأطفال، مع عدم وضعه تحت وسادة النوم، أو قريبا من الجسم أثناء النوم، لأنه وسائر الأجهزة قد يعطل قيام الجسم بوظيفته في معالجة الخلايا وبث الراحة، وتجديد أنشطة المخ التي تتم في الليل أثناء النوم.

خالد خلاوي
كاتب وباحث



المعرض الافتراضي الدولي لفن الخط العربي
THE INTERNATIONAL VIRTUAL EXHIBITION FOR THE ART OF ARABIC CALLIGRAPHY
برعاية



ثلث ناصر عبد المحسن السعيد الخيري
Nasser A. Al-Sa'eed Foundation

فريد العلي: معرضان افتراضيان بمشاركة أكثر من ١٠٣ خطاطين من ٣٢ دولة وأكثر من ٣٧٤ عملا فنيا

معرضان افتراضيان لفن الخط العربي برعاية كويتية

بمبادرة من عدد من فناني الخط العربي في دولة الكويت وبرعاية ثلث ناصر عبدالمحسن السعيد الخيري انطلق معرضان افتراضيان لفن الخط العربي تحت عنوان «سيجعل الله بعد عسر يسرا» و«استشفاء جمالي»، خلال شهر أكتوبر ٢٠٢٠م.

وصرح المشرف العام على أعمال المعرض الخطاط الكويتي المعروف ورئيس مركز الكويت للفنون الإسلامية فريد العلي بأن هذه الفعالية تأتي استجابة للتحديات الصحية الراهنة الناجمة عن انتشار فيروس كورونا المستجد، وذلك عبر بث جماليات الخط العربي التي تقدم الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والحكم والأقوال المأثورة، وتستلهم الأعمال المشاركة في المعرض جمال المعاني التي تضمنتها تلك النصوص وصاغتها أيادي أكثر من ١٠٣ خطاطين من أكثر من ٣٢ دولة من بينها الكويت ودول عربية أخرى، إضافة إلى تركيا وإيران وسنغافورة وماليزيا والصين وبريطانيا والولايات المتحدة، ويبلغ عدد الأعمال المشاركة أكثر من ٣٧٤ عملا تغطي العديد من المدارس والأساليب والخطوط المختلفة.

وأضاف: هذه الفعالية تعد من أوائل فعاليات الخط العربي في الفضاء الافتراضي، وتتميز بثرائها من حيث التنوع نظرا للعدد غير المسبوق من المشاركين، حيث يضم المعرض إلى









جانب الأساتذة الكبار في فن الخط العربي طيفا واسعا من المواهب الشابة التي تقدم تجارب جديدة وأساليب مبتكرة وحديثة.

وبين العلي أن الفعالية قد استغرقت فترة من التنظيم والإعداد امتدت إلى ٦ أشهر، ما بين التواصل والتنسيق مع المشاركين، وإنجاز أعمال خاصة تتصل بموضوع المعرض، بالإضافة إلى تصميم الجولة الافتراضية لتسمح للزوار بالاطلاع على الأعمال في تجربة تحاكي قاعات العرض الفني وتتيح الاستمتاع بالأعمال الفنية بسهولة وأمان، من خلال تصفح الموقع الإلكتروني، أو استخدام التطبيق الخاص على الهاتف النقال.

وختم العلي تصريحه بتوجيه الشكر إلى راعي المعرض ثلث ناصر عبدالمحسن السعيد الخيري لدعمه الكريم وإلى جميع الخطاطين المشاركين في المعرضَين، داعيا الجمهور الكريم إلى زيارة المعرض على الموقع الرسمي https:// callihealing.com/، سائلا المولى عزوجل أن يرفع عن الكويت وبلاد العالم الوباء وسيء الأمراض.



إحسان عبدالعزيز الدبش
باحث تربوي

التثقيف الذاتي ونهضة الأمة

طالب العلم يمر بمرحلتين: الأولى تلقيه العلم من المعلمين أو المشايخ أو العلماء، وذلك بحسب نوع العلم الذي يتلقاه الطالب، سواء كان أحد العلوم المادية أو الإنسانية، والاعتماد عليهم في شرح تلك العلوم، وبيان الغامض منها. الثانية اعتماد الطالب على نفسه بمتابعة أي علم من العلوم، بعد أن تعرف على أصوله وفروعه وتمكن من أساسياته، فيبدأ مرحلة القراءة الواسعة، وقد يتطور الأمر عنده فيبدأ بالكتابة أو التأليف أو الاختراع، وهذا ملاحظ في الترتيب الحالي للدرجات العلمية، فلا يبدأ التأليف لطالب العلم خاصة إلا عند وصوله إلى مرحلة الماجستير أو الدكتوراه، حيث يطالب بتأليف رسالة أو كتاب في العلم الذي سيختص به. وهذا الشرط لم يكن موجودا في مرحلة الإجازة الجامعية وما قبلها على الأغلب، ورغم أن مرحلة الماجستير والدكتوراه تؤهله ليصبح مؤلفا، ومن ثم يطلق عليه اللقب العلمي حامل شهادة ماجستير أو دكتوراه، فإنه مازال طالبا عليه مقررات يجب أن ينجزها. بيد أن الرسالة أو الكتاب

الـذي سيؤلـفه ليس إلا بـدايـات الاعـتـمـاد على النفس (التثقيف الذاتي) بالعودة إلى مصادر البحث الـذي سيقدمه ومراجعته بنفسه دونما الاعـتـمـاد على أحـد، وقد يستعين بخبرة أساتذته أو من له علاقة بالبحث الذي سيقدمه. ومن ثم مراجعة كتابه أو رسالته من قبل اللجنة الفاحصة، التي تعتبر بمنزلة رقابة على ما كتب.

ولا يشترط لكل كاتب أو مؤلف أن يمر بالمراحل السابقة من الناحية الرسمية، فقد يحصل على العلم خارج الإطار المدرسي أو الجامعي المتقدم الذكر، مثل كثير من الأدباء والفقهاء وحتى المخترعين الذين أصبـحـوا ذوي مكانة عـالـيـة في اختصاصاتهم، وتفوقوا فيها على خريـجـي الـدراسـات الـنـظـامـية؛ بسبب أن عامل التثقيف الذاتي عندهم على درجة عالية من الأداء، خصوصا فـي الـعـلـوم الإنـسـانـيـة، حيث يحصل المؤلف على مراجع الاختصاص الـذي يكتب فيه بما يـنـاظـره فـي الـمـقـررات الـمـدرسـيـة والجامعية، وكما يقال «لكل مجتهد نصيب». والـذي يدفعه، إن كان مصلحا، مصلحة الأمة ومستقبلها؛ وإن كـان أديـبـا حسه الـمـرهـف في التعبير عن الواقع.

كما أن التثقيف الذاتي عند جمهور الناس، من غير الباحثين، يمكن أن يتم عن طريق القراءة في المجلات والجرائد وحتى من الكتب المبسطة فـي الـثـقـافـة الـعـامـة، أو من بعض وسائل الإعـلام الرصينة، وحديثا من «الإنترنت»، التي سهلت الوصول إلى أي معلومة بسرعة خيالية. هذا التثقيف الـذاتـي ممكن أن يتعلق بالوعي الصحي، وسلامة العلاقات الاجتماعية، والتربية والأخـلاق، والإدارة الـنـاجـحـة فـي الـبـيـت أو العمل.

من المعلوم أن الالتحاق بالمدرسة بشكله الـحـالـي نظام عـالـمـي؛ يبدأ من مرحلة الابتدائي، وقد تسبقها الحضـانـة، ثـم مرحلة الإعـدادي، فـالـثـانـوي، ثـم الجـامـعـة. وتحـاول الـمـنـاهـج الـمـدرسـيـة فـي كـل دول العالم تعليم الطالب خلال المراحل الثلاث الأولـى مـواد علمية وأدبية وفنية ودينية، وأحيانا من الثانوي يبدأ الاختصاص ثم في المرحلة الجامعية.

إن الغالبية العظمى من الخريجين فـي مـخـتـلـف مـراحـل الـدراسـة يتوقفون عن الـتـزود بالعلم بعد تخرجهم، سـواء بالثقافة العامة أو بتعميق اختصاصهم، مما يؤدي بهم إلى نسيان أغلب العلوم التي تلقوها، ومـن ثم تتقطع صلتهم بـالـكـتـاب بـعـد تـخـرجـهـم، سـواء حصلوا على شـهـادات عالية أو متوسطة، مما يحد من معرفتهم وأدائـهـم الاخـتـصـاصـي والمهني. هناك ثقافات مهمة في المجتمع تـهـم الـنـاس جـمـيـعـا، لا يتلقاها طالب العلم في المراحل الدراسية المـخـتـلـفـة، مـنـهـا مـا يتعلق مثلا بالحياة الزوجية، فهناك مواضيع تـهـم كـلا مـن الـــزوج وزوجـتـه فيما يتعلق بالتفقه فـي الأحكام الشرعية، سـواء أخـذت عن عالم أو من كتاب، كواجب الـزوج تجاه زوجـتـه، وواجـبـات الـزوجـة تجاه زوجها، وحقوق كل منهما، والطريق الأمثل في رعاية الأبناء وتربيتهم، وبعض المعلومات الأدبية والطبية التي لها علاقة بالحياة الزوجية. كـل هـذه الـقـضـايـا الـمـهـمـة قـد لا تـدرس فـي الـمـدرسـة، ولا يتطرق إليها الإعلام بشكل جاد ولا حتى في دروس المساجد إلا نادرا، فإذا لم يقم الزوجان بالتثقيف الذاتي فيما بينهما ومن مراجع سليمة حول هذه القضايا، فإن حياتهما الزوجية تسير بـاضـطـراب، وقد تنتهي بـالـفـشـل. كـذلـك الأمـور التربوية، فعلم التربية علم واسع يتداخل مع علم الاجتماع من جهة والـطـب الـنـفـسـي مـن جهة ثانية مـع علم الأخــلاق مـن جهة ثالثة والتربية الروحية والإيمانية من جهة رابعة. وهـي ليست معلومات مبعثرة حصل عليها الإنسان في صـغـره مـن الـوسـط الـذي يحيط به، فلكل مرحلة من عمر الإنسان أداؤهـا التربوي. إن معاملة الابن (الـطـفـل) فـي مـرحـلـة الحـضـانـة والروضة تختلف في بعض وجوهها عن الابـن المميز الـذي وصل إلـى المرحلة الابتدائية، ومعاملة الابن في المرحلة الابتدائية تختلف في بعض وجوهها عن معاملة الابـن في عمر المراهقة، ومعاملة الفتى المراهق وفهمه تختلف في بعض وجوهها عن معاملة الابن



الشاب، كما أن معاملة المرأة في بعض الوجوه تختلف عن معاملة الرجل؛ فالتفقه في علم التربية ضروري للناس جميعا، لاسيما الوالدين. فليس من الممكن لكل أب أن يكون طبيبا أو مهندسا أو مدرسا أو صاحب أي مهنة أخرى يشترك فيها الجميع، لكن على كل أب وأم أن يكونا مربيين على أجود أداء تربوي. فيجب أن يحصلا على علم من التربية قولا وفعلا؛ ليكونا مربيين وقدوتين لأبنائهما. والأمور السياسية، فالسياسة تخص الناس جميعا، ولها كلياتها الخاصة بها، ولها منهاجها، وهي تعبر عن توجهات النظام الموجود في تلك الدولة. والإعلام له دور كبير في توجيه الرأي العام في مختلف مجالات الحياة الإنسانية بما فيها السياسية، وغالبا ما تكون موجهة بحسب الدول والهيئات الدينية والثقافية والمنظمات المختلفة وتوجهات الممولين من رجال الأعمال؛ فهناك إعلام معاد يثير الفتن ويشوه الحقائق، وإعلام صديق يؤدي عمله بشرف وأمانة. ولا يعبر الإعلام دائما عن هوية الأمة الحقيقية التي يعمل فيها، وإنما قد يعبر عمن يموله. ولابد من قراءة مراجع ذات قيمة تاريخية ومعاصرة لتشكل أفقا ورؤية واسعة في المجال السياسي، ومن ثم اتخاذ القرار الصائب، وهذا يحتاج إلى تثقيف ذاتي كبير، خصوصا لمن هم في مواقع دينية وسياسية مهمة. إن قادة الغرب يعتمدون في اتخاذ قراراتهم السياسية على مراكز الأبحاث، والعاملون فيها متفرغون لدراسة أي منطقة أو دولة في العالم، خصوصا البلاد العربية والإسلامية، ويدرسون مجتمعاتنا بجميع جوانبها، خاصة العرقية والدينية والمذهبية والعلمية والتاريخية؛ لاختراقها وتمزيقها، برفع شعارات مزيفة كحقوق الإنسان وحرية المرأة... هذه المراكز العاملون فيها متفرغون، ومنهم متقاعدون كانوا يشغلون مراكز مهمة في دولهم، كما أن هذه المراكز تطورت وأدخل فيها عرب ومسلمون لخدمة مصالح الغرب، وأغلب العاملين فيها يتقنون اللغة العربية. في المقابل، نجد في واقع بلادنا عدم التكافؤ مع الأعداء في كل المجالات، بما فيها الأبحاث والدراسات، وذلك يعود إلى عدة عوامل، منها ضحالة العلم المتعلق بحماية الأمة ونهضتها، وهزالة التثقيف الذاتي إذا قورن بغيرنا من الأمم والمجتمعات.

التثقيف الذاتي في مجال الطب عامة، وفي مجال المرض المصاب به الإنسان خاصة ضروري جدا. إن الثقافة الطبية العالية تجعلك تدرك أهمية معالجة الطبيب لك، وتقيم أداءه، وكونه ماهرا في مهنته أم لا، وغشاشا أم لا؛ فالثقافة العامة في أي اختصاص تجعل المرء أكثر وعيا وإدراكا لما يحيط به.



والثقافة العامة في مجالات العلوم والاقتصاد والإدارة والتاريخ والجغرافيا والآداب مفيدة للإنسان في حياته لتكوين نظرة شمولية عن الواقع الذي يعيش فيه، وتؤدي المجلات العامة والمتخصصة هذا الدور التثقيفي.

تنمية الزاد العلمي الروحي والإيماني بالتفقه في تفسير القرآن والحديث وأقوال الصحابة رضي الله عنهم والمواعظ، ولو بشكل يسير يوميا، فيتكون مع الأيام ويصبح زادا كبيرا ذا مردود عال، يفيد في تنمية الإيمان والحفاظ على العبادات وبناء الشخصية السوية.

موانع التثقيف

وموانع التثقيف الذاتي عديدة، منها الكسل، والبخل، واللهو بوسائل الإعلام المختلفة غير الهادفة التي تضيع وقت كثير من الناس فيما لا طائل من ورائه، أو الهوس بالمباريات الرياضية التي تلتهم وقت كثير من الشباب، كذلك عدم التوعية الثقافية منذ الصغر بأهمية القراءة، سواء من كتاب قيم أو مجلة علمية رصينة. ويكون التدريب على القراءة منذ الصغر من خلال مجلات الأطفال، ومشاركة الأب والأم لهم فيما يقرأون، أو ما يرسمون، أو المسابقات الموجودة في هذه المجلات، وتقديم المكافآت تشجيعا لهم على ما يقرأون. ومن موانع القراءة لتحصيل التثقيف الذاتي في الوسط النسائي، عند بعضهن، الانشغال بأمور الكماليات والمباحات أحيانا على حساب أمور مهمة أخرى كالقضايا

التربوية المتعلقة بتربية الأبناء، وكذلك التنمية الروحية والإيمانية. كذلك فإن من أخطاء التفرد في التوجيه الديني والثقافي، التصدع في وحدة الصف، فيزين لطالب العلم أن شيخه إمام زمانه وفريد عصره، فيتم التنافس بين أتباع هؤلاء المشايخ، وهذا يؤدي إلى التصدع والتشرذم في بناء وحدة الأمة، وتنشب حرب باردة محلية بين الجماعات المختلفة قد لا يظهر الأثر السلبي لها إلا بعد حين، خصوصا إن كان مدعي العلم ذا باع ضعيف فيه، وقد حذر ربنا تبارك وتعالى من التفرق في الدين.

هناك مسألة دقيقة يجب توضيحها وهي أنه كلما تقدم العمر بالطالب وزاد تحصيله العلمي كان أقدر على أخذ العلم من مصادره المتعددة والمتنوعة. ومن يقرأ سير كبار علمائنا وأئمتنا يجد أن أحدهم كان له العشرات، بل إن لم يكن المئات من العلماء ممن أخذ عنهم العلم. فالإمام أبوالفرج ابن الجوزي أخذ العلم عن ٨٠ شيخا وثلاث شيخات، والإمام موفق الدين المقدسي، صاحب كتاب «المغني» وغيره من الكتب، أخذ العلم عن ٥٠٠ عالم، وكيف بالإمام الذهبي صاحب كتاب «سير أعلام النبلاء» وغيره من الكتب وقد أخذ العلم عن ١٣٠٠ عالم، كما ذكر في كتاب معجم شيوخه، فضلا عن الكتب التي قرأها.

وبعض العلوم ليس من الضروري الارتباط الدائم بالمعلم، كالقصص الأدبية، وبعض القضايا العلمية المبسطة، وبعض القراءات التاريخية. وبالطبع فإن كل ذلك بما يتناسب والمرحلة العمرية والثقافية، وحتى عندما يُوصى الطالب بقراءة الكتب فيفضل في البداية توجيهه لكتب موثوقة، وحسب العمر؛ لأنه مع تقدم العلم والعمر يكون الطالب قد أصبح أستاذا ومعلما في اختصاصه. فتشجيع القراءة للتثقيف الذاتي مطلب مهم في الثقافة الشعبية.

الثقافة الشرعية

فيما يخص تلقي العلوم الشرعية من الضروري الأخذ ببنود كل علم من علومها على حدة بالتسلسل؛ فمثلا في علم القراءات إن تعلم الطالب أكثر من قراءة في الوقت نفسه، فمن الصعب عليه أن يتقن الجميع، بينما إن أتقن قراءة من القراءات يستطيع بعد ذلك أن يتعلم غيرها إن رغب في ذلك. كذلك في الفقه المقارن لا يصلح للمبتدئ أن يقرأ مباشرة في الفقه المقارن، لأنه سيضيع بين الآراء المختلفة، وإنما عليه أن يقرأ كتابا مختصرا في أحد المذاهب، وبعد أن يتمكن وقد قرأ في أصول الفقه، يمكنه أن يدرس الفقه المقارن وهو متمكن من ذلك، ويشعر حينئذ بأنه يحصل على زاد علمي في ذلك.

فعندما يتقدم الطالب في العلم وقد تعرف على أسس ذلك العلم، يستطيع بمفرده أن يتوسع فيه، وقد يصبح في المستقبل عالما في اختصاصه، لكنه في البداية عليه ألا يأخذ العلم من الكتاب فقط من دون معلم أو شيخ؛ لأنه قد يقع في أخطاء من سوء الفهم، فبعض العلوم والمعارف لابد من المعلم لشرحها وإيضاحها للطالب، خصوصا في الأحكام الشرعية، فبعض الأحكام لا تؤخذ مباشرة من حكم واحد موجود في آية أو حديث، فبعضها يحتاج إلى بحث علمي فقهي قائم على جمع الأدلة في مسألة من المسائل من القرآن الكريم ثم السنة النبوية وفهم الصحابة وكبار الأئمة الأعلام مع أهمية إدراك المعنى اللغوي، ليستنبط الحكم الفقهي في ضوء ذلك. وإن لم يتبع المنهج العلمي بالبحث فسيقع الطالب في أخطاء عديدة، بالإضافة إلى أنه قد يقع بتطرف أو تساهل في الحكم على بعض القضايا، مما قد يجر عواقب سيئة. فمن أصول البحث الفقهي لأي مسألة التأكد من الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص من الأحكام، المقيد والمطلق، الواقع الزماني والمكاني الذي جرت فيه المسألة، وأن يأخذ بعين الاعتبار أن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة، فضلا عن أهمية مبدأ الشورى وهو مبدأ أساسي في الوصول للرأي أو للاجتهاد الأفضل.

وخلاصة القول إن التثقيف الذاتي المستمر مع الأخذ بعين الاعتبار الملاحظات السابقة من أهم العوامل في نهضة الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والدولة، فكلما انتشر العلم كان مبشرا بالنهضة، وكلما قل العلم كان الجهل سائدا والتخلف رائدا.

فلا نهضة بلا علم ولا علم من دون كتاب ولا كتاب من دون قراءة ولا فائدة من القراءة من دون التطبيق العملي وتقوى الله.

د. خالد صلاح حنفي محمود
أستاذ جامعي



التعليم في عصر كورونا.. الواقع وإرهاصات المستقبل

مع اجتياح فيروس كورونا وتسببه في آلاف الإصابات وحالات الوفاة على مستوى العالم، قامت دول العالم بتبني وتطبيق الإجراءات الاحترازية للتصدي لانتشاره السريع، وتضمنت تلك الإجراءات الغلق الكلي أو الجزئي للمدارس والجامعات، وفرض حظر التجول على المواطنين، وتقييد حرية الانتقال والخروج من المنازل والسفر، والالتزام بقواعد التباعد الاجتماعي Social Distancing.

ويمثل انتشار جائحة كورنا حدثا جللا يهدد الأنظمة التعليمية في كل دول العالم بأزمة هائلة ربما كانت هي الأخطر في زماننا المعاصر. فوفقا لإحصاءات منظمة اليونسكو حتى ١ مايو ٢٠٢٠م أدى انتشار الجائحة إلى انقطاع أكثر من ١,٦ مليار طفل وشاب عن التعليم في ١٩١ بلدا، أي ما يقرب من ٨٠ في المئة من الطلاب الملتحقين بالمدارس على مستوى العالم. وجاء ذلك في وقت يعاني فيه التعليم بالفعل من أزمة تعليمية عالمية، فهناك الكثير من الطلاب في المدارس لا يتلقون فيها المهارات الأساسية التي يحتاجونها في الحياة العملية حيث يظهر مؤشر البنك الدولي أن نسبة الطلاب الذين لا يستطيعون القراءة

أو الفهم في سن العاشرة قد بلغت في البلدان منخفضة ومتوسطة الدخل قبيل تفشي الفيروس ٥٣ في المئة. وقد تزداد تلك الأوضاع سوءا.

ويتفق جميع خبراء التعليم على أن التعليم ما بعد الكورونا لن يكون كما قبله، خاصة مع ظهور بنية تحتية عالية الأتمتة باستخدام معطيات الثورة الصناعية الرابعة، وأنظمة الذكاء الاصطناعي، وأن ثمة تحولات متوقعة سوف تكون كبيرة وهيكلية في أنماط التعليم، وأساليبه، وتوجهاته، وسياساته، ونظمه، سواء على صعيد التعليم العام أو الجامعي، وقد بدأت بوادر هذه التحولات بالظهور فعلا.

ولم يعد أمام جميع الأنظمة التعليمية إلا مهمة واحدة، ألا وهي التغلب على أزمة التعلم القائمة حاليا، والتصدي للجائحة التي نواجهها جميعا. والتحدي الماثل اليوم يتلخص في الحد من الآثار السلبية لهذه الجائحة على التعلم والتعليم المدرسي ما أمكن، والاستفادة من هذه التجربة للعودة إلى مسار تحسين التعلم بوتيرة أسرع. وهذا ما سنتناوله عبر السطور الآتية.

الآثار السلبية

كشفت التقارير الصادرة عن منظمة اليونسكو حول الآثار المترتبة على جائحة كورونا عن وجود آثار سلبية على تعليم عدد مليار ونصف طالب نتيجة غلق المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية في عدد (١٩١) دولة على مستوى العالم وتمثلت تلك الآثار في:

إغلاق المدارس أدى إلى حرمان الطلاب من فرص النمو

١- توقف الأنظمة التعليمية وحرمان الطلاب من التعليم المدرسي: فقد أدى إغلاق المدارس في بلدان العالم إلى حرمان الأطفال والشباب من فرص للنمو والتطور، كما تزداد الآثار السلبية للإغلاق على الطلاب من الفئات المحرومة، الذين يحظون بفرص تعليمية أقل خارج المدرسة، وأدى إلى حدوث اضطراب كامل في حياة العديد من الأطفال، وأهاليهم، ومعلميهم.

وهناك الكثير مما يمكن عمله للحد من هذه الآثار على الأقل، وذلك من خلال إستراتيجيات التعلم عن بعد. وتعد البلدان الأكثر غنى هي الأكثر استعدادا للانتقال إلى تلك الإستراتيجيات، وإن اكتنف الأمر قدر كبير من الجهد والتحديات التي تواجه المعلمين وأولياء الأمور.

٢- عدم تكافؤ الفرص بين الطلاب في إمكانية الانتفاع بمنصات التعلم الرقمية: يمثل غياب الانتفاع بالتكنولوجيا أو ضعف الربط بالإنترنت، عائقا أمام التعلم المستمر، ولا سيما بالنسبة إلى الطلاب الذين ينتمون إلى عائلات محرومة. مع الوضع في الحسبان أن الأوضاع في البلدان متوسطة الدخل والأفقر ليست على نفس القدر، فالعديد من الأطفال لا يملكون مكتبا للدراسة، ولا كتبا، فضلا عن صعوبة اتصالهم بالإنترنت أو عدم امتلاكهم للحواسيب المحمولة في المنزل، بل هناك منهم من لا يجد أي مساندة من آبائهم على النحو المأمول، في حين يحظى آخرون بكل ما سبق.

لذا يتعين علينا تفادي اتساع هذه الفوارق في الفرص -أو تقليلها ما أمكننا إلى ذلك سبيلا- وتجنب ازدياد الآثار السلبية على تعلم الأطفال الفقراء. فمن المتوقع أن تزداد نسب التوقف عن الدراسة فضمان عودة الأطفال والشباب إلى المدارس عند إعادة افتتاحها واستمرارهم في الدراسة، يمثل تحديا، خصوصا عندما يتعلق الأمر بإغلاق المدارس لفترة طويلة.

لذلك فهناك حاجة للاستفادة من قنوات التلفزيون والإذاعة لبث المقررات والمناهج الدراسية، وكذلك التنسيق مع الشركات المسؤولة عن تقديم خدمة الإنترنت لتخفيض أسعار الخدمة بصورة تمكن شرائح الطلاب من مختلف الفئات من استخدام الخدمة.

٣- الحرمان من وجبات التغذية المدرسية: يعتمد الكثير من الأطفال والشباب في كثير من بلدان العالم على الوجبات المجانية أو المنخفضة التكلفة التي تقدمها المدارس من أجل حصولهم على الطعام والتغذية السليمة، حيث تزود برامج التغذية المدرسية الأطفال بأهم وجبة غذائية يتناولونها كل يوم. وهو أمر ضروري لتنمية مداركهم ورفاهتهم. وهذه البرامج، وإن كانت تتطلب جهودا لوجيستية وإدارية معقدة، إلا أنه ينبغي تقديم هذه الوجبات بطريقة منظمة في المباني



المدرسية، أو المباني أو الشبكات المجتمعية، أو توزيعها على الأسر مباشرة، إذا اقتضى الأمر، وهو أمر ليس بالهين، ولكن يجب على البلدان إيجاد طريقة ما لتنفيذه. وإذا تعذر توصيل الوجبات أو الغذاء لأسباب لوجيستية، فينبغي أن يتم توسيع نطاق برامج التحويلات النقدية وتطبيقها من أجل تعويض أولياء الأمور من هذه الناحية.

٤- عدم استعداد الأهل لتعليم أولادهم عن بعد أو في المنزل: عندما تغلق المدارس، غالبا ما يطلب من الأهل تيسير تعليم الأطفال في المنزل، وقد يواجهون صعوبة في أداء هذه المهمة، ولاسيما بالنسبة إلى الأهل محدودي التعليم والموارد.

٥- التفاوت في رعاية الأطفال: غالبا ما يترك الأهل العاملون، الأطفال وحيدين نتيجة غلق المدارس -في حال عدم توافر خيارات بديلة- مما قد يؤدي إلى ترك هؤلاء الأطفال فريسة لمواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت، وقد يؤدي إلى انتشار أنماط سلوكية خطيرة، وزيادة تأثير ضغط الأقران.

٦- الآثار الاقتصادية السلبية لغلق المدارس على دخل الأسرة ووضعها الاقتصادي: إن غلق المدارس قد يؤدي إلى عدم قدرة الأهل العاملين على تأدية أعمالهم بسبب تفرغهم لرعاية أطفالهم، مما يتسبب في تراجع الدخل في حالات كثيرة، ويؤثر سلبا في الإنتاجية.

٧- الضغط غير المتوقع على نظام الرعاية الصحية: فسوف تضطر النساء العاملات للتغيب عن العمل بسبب ظروف رعاية الأبناء أثناء فترة الحجر المنزلي، والتزامهن برعاية الأطفال نتيجة إغلاق المدارس، مما يعني غياب العديد من مقدمي الرعاية الصحية عن أماكن عملهم التي هي بأشد الحاجة إليهم في وقت الأزمات الصحية.

٨- العزلة الاجتماعية: تعتبر المدارس مراكز لممارسة الأنشطة الاجتماعية والتفاعل الإنساني، فعندما تغلق المدارس أبوابها، يفقد الكثير من الأطفال والشباب علاقاتهم الاجتماعية التي لها دور أساسي في التعلم والتطور. من الأمور بالغة الأهمية، والطالب لا يذهب إلى المدرسة لتعلم الرياضيات والعلوم وحسب، ولكنه يذهب كذلك ليقيم علاقات اجتماعية ويتعامل مع أقرانه، ويتعلم كيف يكون مواطنا، ويطور من مهاراته الاجتماعية. ولذا من الضروري الحفاظ على التواصل مع المدرسة بأي وسيلة لازمة. وبالنسبة لجميع الطلاب يعتبر ذلك وقتا لتنمية المهارات الاجتماعية الوجدانية، وتعلم المزيد حول كيفية الإسهام كمواطنين في تطوير مجتمعاتهم. وإن كان دور الوالدين والأسرة، بالغ الأهمية على الدوام، فإنه أشد أهمية في ذلك الصدد. ولذا، يجب توجيه قدر كبير من العون الذي تقدمه وزارات التعليم عبر وسائط الإعلام الجماهيري، إلى الأهل أيضا. فينبغي الاستفادة من الرسائل الموجهة عبر الإذاعة والتلفزيون والرسائل النصية القصيرة، في تزويدهم بالنصائح والمشورة التي تعينهم على تقديم دعم أفضل لأبنائهم.

حل الأزمة

جاءت جائحة كورونا لتجبر دول العالم على انتقال مفاجئ نحو التعليم عن بعد. وحاولت الوزارات المعنية تسهيل العملية بخلق منصات للتعليم الإلكتروني، لكن هناك سؤال يدور حول استعداد تلك الدول وطلابها للتعامل مع التعليم عن بعد. وهناك انتقادات مطولة من خبراء في التربية لهذه التقنيات، بل إن دراسة لمركز السياسات الوطنية التعليمية في الولايات المتحدة أوصت عام ٢٠١٩م بوقف

أو تقليل المدارس الرقمية في البلد حتى غاية التأكد من أسباب ضعف مردودها الذي ظهر جليا في خلاصات الدراسة، مقارنة بالمدارس التقليدية.

وتؤكد لينو غوزيلا، رئيسة جامعة إي تي اتش ETH في زيوريخ، أن التفاعل بين الطلبة وأساتذتهم في فضاء جامعي حقيقي صغير، هو مفتاح التعلم العميق، فيما تقول يانغ هاي وين، من جامعة الطب في غوانزو الصينية، إن التعليم الرقمي يؤدي إلى تخريج طلبة أقل كفاءة ويخلق الإحباط في التواصل بين الأشخاص.

لقد طالت الأزمة الجميع حتى المعلمين المتصلين بالإنترنت والقاطنين في البلدان المجهزة ببنى أساسية يمكن التعويل عليها بخصوص تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICT)، فقد وضعهم هذا التحول المباغت إلى التعلم عبر الإنترنت أمام تحديات كبيرة. لكن يبقى هذا أخف وقعا مقارنة بالمناطق التي لا تمتلك ذات القدر من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وغيرها من منهجيات الاتصال عن بعد، إذ يعد هذا التحول فيها أكثر صعوبة إن لم يكن مستحيلا. فالإحصاءات تشير إلى أنه لا يزال هناك ما يقارب ٨٢٦ مليون طالب، أي ما يعادل نصف العدد الإجمالي للمتعلمين الذين حالت أزمة كورونا بينهم وبين مقاعد الدراسة، لا يمتلكون جهاز حاسوب منزلي، في حين أن ٤٣ في المئة من الطلبة -أي ما يعادل ٧٠٦ ملايين طالب- غير متصلين بالإنترنت. ويأتي ذلك وهم في

التعليم عن بعد هو البديل في الحالات الطارئة

أمس الحاجة للاتصال بالإنترنت لا سيما بعد تسخير التعلم الرقمي عن بعد كوسيلة ضمان استمرارية عملية التعلم في الغالبية العظمى من البلدان.

ومن شأن أزمة كورونا أن تؤدي إلى تغيير في الطريقة التي ينظر بها العالم إلى التعليم عن بعد، فرغم مساوئه التي يرى مراقبون أنها مؤقتة فقط إلا أنه سيتم التغلب عليها مستقبلا مع المزيد من التطور التكنولوجي، وسيبقى التعليم عن بعد بديلا للتعليم التقليدي في الحالات الطارئة والحرجة، كما أن التعليم التقليدي بدوره يحتضن الكثير من المساوئ التي قد يدفع وباء كورونا إلى التفكير فيها بعمق.

مستقبل التعليم

ختاما؛ يجب على الأنظمة التعليمية مثلما تفكر في التصدي لهذه الأزمة، أن تفكر أيضا في كيفية الخروج منها وهي أقوى من ذي قبل، وبشعور متجدد بالمسؤولية من جانب جميع الأطراف الفاعلة فيها، وبإدراك واضح لمدى إلحاح الحاجة إلى سد الفجوات في فرص التعليم، وضمان حصول جميع الأطفال على فرص تعليم جيد متساوية. ومن بين الإجراءات التي يمكن اللجوء إليها على سبيل المثال لا الحصر:

١- تنمية المهارات الرقمية لدى المعلمين والمعلمات، مما يعنيه ذلك من تطوير برامج إعداد المعلمين والمعلمات بمؤسسات إعداد المعلم، وكذلك إتاحة برامج للتنمية المهنية الرقمية للمعلمين أثناء الخدمة.

٢- أن تدرك محطات الإذاعة والتلفزيون الدور المحوري المنوط بها في مساندة الأهداف التعليمية الوطنية -ومن ثم الدفع- كما هو مأمول باتجاه تحسين جودة برامجها، مع استيعابها لما يناط بها من مسؤولية اجتماعية كبيرة.

٣- زيادة مشاركة الأهل في العملية التعليمية لأبنائهم، وتبني برامج التربية الوالدية لتدريب الآباء والأمهات على كيفية التعامل مع أبنائهم في المراحل العمرية المختلفة، والتعامل مع المشكلات السلوكية والنفسية والاجتماعية، ورفع درجة وعيهم بها.

٤- تبني وزارات التعليم رؤى وحلولا للفجوات والتحديات القائمة (إتاحة إمكانيات الاتصال بشبكة الإنترنت في المؤسسات التعليمية، وإتاحة المعدات، ودمج الأدوات الرقمية في المناهج الدراسية، ورفع درجة جاهزية المعلمين) وذلك لاستخدام التكنولوجيا بفعالية، وتبني الخطط والإستراتيجيات وإجراءاتها حيال ذلك مما يعزز منظومة التعليم المستقبلية.



الزبير مهداد
باحث تربوي

القيمة التربوية لآثار الصحابة

يعد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أصلين رئيسيين من أصول التربية الإسلامية، وإلى جانبهما ينهل المربون المسلمون من منابع أخرى تساعد على فهم النصوص الشرعية الممثلة في الأصلين. لكن يتم التعامل مع هذه المنابع مع الاحتفاظ لها بتراتبيتها التي تقع دون مرتبة الأصول، حتى لا تحتل مكانها أو تحجبها أو تحول دون الوصول إليها، وتعد آثار الصحابة من أهم هذه المنابع.

لفظ الصحابة اشتق من الصحبة. وإذا كان اللفظ يعني المصاحبة في اللغة. فقد أصبح بعد البعثة النبوية يقصد به أصحاب رسول الله محمد ﷺ، وذلك لشرف النبي ﷺ ومكانته السامية. فأصبح كل الذين صحبوه يحملون لقب الصحابة، وأحيانا يطلق حتى على الذين رأوه ولم يصاحبوه، دون تقيد بشرط سن ولا مدة الصحبة ولا حتى بسلامة الجارحة، لأن اللقب أطلق على ابن أم مكتوم وهو أعمى ولا رؤية له.

ولقد اقتدى الصحابة النبي ﷺ، وتتبعوا آثاره اتباعا لا مثيل له، ولا يفعلون شيئا حتى يرونه يفعله، فالصحابة كانوا أقرب الناس من رسول الله عليه الصلاة والسلام. قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[1]، وقد هيأهم موقعهم هذا لأن يكونوا أعلم الناس بالقرآن والسنة وأهم مرجع عنهما.

قيمة آثارهم

تعتبر آثار الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم، من أهم هذه المنابع لفهم الدين، وعلى الرغم من أنها لا ترقى إلى درجة الأصلين الأولين، فإن الفقهاء اعتنوا بها وأولوها أهمية كبيرة ومنحوها قيمتها باعتبارها مراجع تساعد على تنزيل الحقائق الإسلامية المستفادة من النصوص الشرعية[2]، لأن الصحابة،

وبشهادة رسول الله ﷺ، كانوا أعلم الناس بعده بالإسلام. وعنهم أخذ المسلمون القرآن والحديث والفقه. فأول من عرف بالبصرة هو عبدالله ابن عباس رضي الله عنه، وكان متجة كثير العلم، قرأ سورة البقرة وفسرها آية آية[٣]، وهذا بفضل دعاء الرسول ﷺ الله أن يعلم هذا الصحابي الكريم الحكمة وتأويل الكتاب[٤]. وكان هذا الصحابي الجليل أحسن الناس خلقا وأرقهم تعليما وأحسنهم مجالسة وأشدهم ورعا، قال فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قرأ القرآن فأحل حلاله وحرم حرامه، فقيه في الدين عالم بالسنة»[٥].

لهذا كان الفقهاء خلال دراستهم للقرآن والسنة، لاستنباط أحكامهما وقواعدهما، يرجعون إلى أقوال الصحابة لمعرفة تفسير آية أو شرح حديث لإضاءة الموضوع وتركيب المعنى. وأقوال الصحابة هي بذاتها خاضعة للنسق القرآني والحديثي على الإجمال، تدور حوله تستلهمه أو تعرف بأسباب نزول الآية أو ورود الحديث[٦]. وقد كان ابن عباس رضي الله عنه إذا سئل عن الأمر، فإن كان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله أخبر به، وإن لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله ﷺ وكان عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أخبر به، فإن لم يكن في شيء من ذلك اجتهد رأيه[٧]. لذا كانت آثار الصحابة مرجعا للفقه بعد القرآن والسنة، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي: «إذا لم يكن في الكتاب والسنة، صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد منهم، ثم كان قول أبي بكر وعمر أو عثمان، إذا صرنا فيه إلى التقليد أحب إلينا، وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة، أتتبع الذي معه الدلالة»[٨]. وكذلك يقول أبو حنيفة «إذا لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، أخذت بقول من شئت من أصحابه وتركت قول من شئت، ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم»[٩].

قال صالح بن كيسان: اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم، فقلنا نكتب السنن، وكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال الزهري: «نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة»، قال صالح: «إنه ليس بسنة»، فكتب الزهري ما جاء عن الصحابة ولم يكتب صالح، فقال صالح: «فأنجح الزهري وضيعت»[١٠].

حاملو مشعل التربية

اضطلع الصحابة رضوان الله عليهم، بعد وفاة النبي ﷺ، بالمسؤولية التربوية التي كلفهم بها في حياته عليه السلام. فواصلوا حملة تعليم وتربية المسلمين التي بدأوها بالبلدان التي رحلوا إليها، فبعضهم وجهه رسول الله عليه الصلاة والسلام، وآخرون وجههم الخلفاء الراشدون، وغيرهم رحل عن طواعية للمشاركة في الفتوحات أو للتجارة أو للدعوة ونشر العلم.

كان التعليم الذي قام به الصحابة ذا مضمون تربوي مقصود، أهم ما يتميز به أنه:

يتأسس على فهم الإسلام

ذكر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ إذا قعدوا يتحدثون كان حديثهم الفقه، إلا أن يأمروا رجلا فيقرأ عليهم سورة، أو يقرأ رجل سورة من القرآن[١١].

وقال ابن القيم في «إعلام الموقعين»: «والدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود، وأصحاب زيد بن ثابت، وأصحاب عبدالله بن عمر، وأصحاب ابن عباس، فعلم الناس عامة عن أصحاب هؤلاء الأربعة»[١٢].

يتأسى بالأخلاق النبوية

ولقد كان رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بأفضل الأخلاق فيقول: «علموا ويسروا، ولا تعسروا ثلاثا... وإذا غضبت فاسكت وإذا غضبت فاسكت»[١٣]. ولقد كان من أخلاق الصحابة -رضي الله عنهم- الفاضلة حسن استقبال المتعلم والابتسامة في وجهه والبشاشة له، ولا غرابة فلقد ورثوا هذا الخلق من قدوتهم رسول الله ﷺ، فعن جرير ابن عبدالله رضي الله عنه قال: «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي»[١٤].

أخبر أبو نجيح قال: بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى أهل اليمن، وكتب إليهم «إني قد بعثت عليكم من خير أهلي والي علمهم والي دينهم» قال معاذ بن جبل: كان آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين جعلت في الغرز أن أحسن خلقك مع الناس[١٥].

والأخلاق النبوية تجمع كل الفضائل وتستوعب كل المكارم، من تيسير وتبشير وتواضع، وسعة الصدر، والإحسان، والإيثار، والرأفة، والمرونة، وتقدير الآخر، وروح المسؤولية وغير ذلك مما عالجه ودرسه وعرف به أصحاب السيرة والسنن.

الأخلاق النبوية تجمع كل الفضائل وتستوعب المكارم

التعلم حق الجميع

فهم أئمة الأمصار وخطباء المساجد والمربون للعموم والخصوص وللصالح

والطالح. قال الحسن البصري التابعي الجليل «أدركنا الصدر الأول يعلمون صغيرنا وكبيرنا، برنا وفاجرنا، وصالحنا وطالحنا، ونحن نريد أن نؤديه كذلك»[١٦].

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يرون أن من واجب العالم ومسؤوليته نشر العلم والدعوة إلى الخير والدلالة عليه بتعليم الناس أمور الشريعة، بدون تمييز بين الناس ولا اعتبار للونهم أو انتمائهم القبلي أو الطبقي أو درجة إيمانهم وتقواهم، فتبليغ العلم مسؤولية العالم وواجبه والدال على الخير كفاعله. وقد أدى كثير من الصحابة والتابعين هذه المهمة على خير وجه، فنشروا العلوم وعلموا الناس، بصدر رحب وأريحية وصبر. حتى انتفع بهم كثير من المسلمين. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم»[١٧].

الحرص على الاستقرار الاجتماعي

اهتم علماء السلف بتربية الأتباع على السمع والطاعة وعدم شق صف المسلمين، ومما يذكر في هذا الباب أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حين رجع إلى مذهب باقي الصحابة وترك مصحفه ورجع إلى مصحف عثمان حرصا على وحدة الصف الإسلامي، فزع إليه مريدوه وتلامذته وأصدقاؤه، فقالوا: إنا لم نأتك زائرين، ولكنا جئنا حين راعنا هذا الخبر. فقال الصحابي الجليل: «إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف، أو حروف، وإن الكتاب قبلكم كان ينزل، أو نزل من باب واحد على حرف واحد، معناهما واحد»[١٨] مؤكدا لهم أهمية الإقرار بمصحف الإمام والالتزام باختيار الأمة حرصا على وحدتها.

أكمل التابعون دور الصحابة في تبليغ رسالة الإسلام ونشرها

فالإمام ابن جرير الطبري يفسر حبل الله في قوله تعالى ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ (آل عمران:١٠٣) بأنه يعني الجماعة، ويروي عن الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون في الفرقة»[١٩]. إنه نهج تربوي يغلب فيه الصحابي المصلحة العامة، وكيف يأمر الناس بالصبر والاحتساب وعدم إثارة الفتن أو الخروج على الأمة، لأن مصلحة الأمة تقوم على التماسك الاجتماعي وتستوجب السمع والطاعة واستقرار حال المجتمع.

وختاما فهذه بعض المواقف التربوية لبعض الصحابة رضوان الله عليهم، والشذرات التي انتقيناها من سيرتهم العطرة، ونهجهم التربوي الاجتماعي المهتدي بالقرآن والسنة، الراعي لمصلحة الأمة. ولهم في سيرتهم وتعاملاتهم آثار أخرى مهمة ومواقف ثمينة، يضيق المجال بذكرها. إنهم كانوا في كل حياتهم وتصرفاتهم يحرضون على تربية المسلمين، ويرسخون في المجتمع المسلم النظم والأعراف والقيم المنظمة والمؤطرة للسلوك الفردي بالشكل الذي يسمح بتطور الذات وتحقيق مصالح الأمة في نفس الآن دون أن يحصل اعتراض بين مصالح الفرد ومصالح الآخرين.

إن نجاح هذه التربية اعتمد في الأساس على مركزية القدوة ومسؤولية الداعية القائد التربوي والاجتماعي الذي يقود ويحرك وينظم ويتابع الناشئة بالتعليم المباشر وبالنصح والإشراك ويرصد المؤشرات الإيجابية فينميها والسلبية فيتصدى لها. وكان نتاج ذلك بارزا في شخصيات التابعين وعلمهم وإسهامهم في إكمال دور الصحابة في تبليغ رسالة الإسلام ونشرها وإرساء قواعد الأمة الإسلامية الخيرة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

الهوامش

١- أقلاينة، المكي. النظم التعليمية عند المحدثين. الدوحة. وزارة الأوقاف. ١٤١٣هـ (كتاب الأمة ٣٤) ص١٢١.
٢- الأنصاري، فريد: التوحيد والوساطة في التربية. قطر، وزارة الأوقاف (كتاب الأمة:٤٧) /١٤١٦هـ ج١ ص٤٥.
٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى. بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٠م ج٢ ص٢٨٠.
٤- ابن سعد، مرجع سابق ج٢ ص٢٧٨.
٥- ابن سعد، المرجع نفسه. ج٣ ص١١٥.
٦- الأنصاري، مرجع سابق ج١ ص٥٣.
٧- ابن سعد، الطبقات الكبرى. ج٢ ص٢٨٠.
٨- علي، سعيد إسماعيل: أصول التربية الإسلامية. ص١١٥.
٩- الصيرمي: أخبار أبي حنيفة وأصحابه، بيروت، عالم الكتب ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) ص٢٤.
١٠- ابن سعد: الطبقات الكبرى. ج٢ ص٢٩٥.
١١- ابن سعد: ج٢ ص٢٨٥.
١٢- ابن القيم، إعلام الموقعين، ج١ ص٢٠.
١٣- ابن عبدالبر، جامع بيان العلم، ج١ ص٤٢.
١٤- البخاري، باب ذكر جرير، رقم الحديث رقم ٦٠٨٩-٣٧٣٥.
١٥- ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٣ ص٤٣٩.
١٦- الأنصاري، التوحيد الوساطة في التربية الدعوية، مرجع مذكور. ج١ ص١١٣.
١٧- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ج١ ص١٦.
١٨- ابن أبي داود: كتاب المصاحف، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٥م، ص٢٥.
١٩- الطبري، جامع البيان عن تأويل القران، بيروت، دار الفكر، ج٣ ص٣٠٤.



د. شاذلي عبدالغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية



القراءة فائدة ومتعة وعلاج

لقد كانت كلمة «اقرأ» هي أول كلمة في كتاب الله تعالى الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، والذي نزل مع آخر رسالة جاءت لتهدي البشرية إلى طريق الخير والسعادة، وفي ذلك من الحكمة البالغة ما فيه؛ فالقراءة هي أساس المعرفة التي تتشكل من خلالها الحضارات وتنهض الأمم ليصبح لها تأثيرها وتقوى كلمتها، يقول الشيخ محمد عبده رحمه الله: «ثم إنه لا يوجد بيان أبرع ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه، من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحي، بهذه الآيات الباهرات»[1].

خير جليس

إن الكتاب هو الذي يفتح لجليسه أبواب الفكر، ويرتاد به في آفاق الخيال، ويمنحه المعرفة التي تجعله أكثر وعيا وأوسع إدراكا، ويعطيه التجارب التي تجعله أقدر على قراءة واقعه وحل مشكلاته واستشراف مستقبله والاستعداد له بعقل يقظ وفكر ناضج؛ ولذا يقول فولتير: «سئلت عمن سيقودون الجنس البشري؟ فأجبت: الذين يعرفون كيف يقرأون»[2]، ونحن بالفعل إذا نظرنا إلى تاريخ العظماء، الذين أسسوا دعائم الرقي الحضاري لأممهم، وغيروا مسارها إلى الأفضل والأجمل، ومضوا بها نحو مرافئ الازدهار وميادين القوة عبر أفكارهم أو من خلال مخترعاتهم التي غيرت العالم وقادت أممهم لتصبح في مقدمة الأمم، سنجد أكثر هؤلاء العظماء شغوفين بالقراءة، مغرمين بمصاحبة الكتاب؛ فالإبداع هو نتاج للقراءة الواعية التي تتلاقح من خلالها الأفكار، وتتولد الرؤى الخصبة التي ينتفع بها القارئ وقد ينفع بها أمته وربما ينفع بها العالم بأكمله، ومن هنا نجد الحرص البالغ من الدول المتقدمة على الابتكار في الأساليب التي تسعى من خلالها إلى تحفيز شعوبها على القراءة، وجعل علاقتهم بالكتاب علاقة قائمة على الرغبة والحب والإيمان بقوة المعرفة في رسم طريق لحياة أكثر جمالا ورقيا.

القراءة منذ الصغر

نشرت الرابطة الألمانية لأطباء الأطفال والمراهقين دراسة في موقعها على الإنترنت تقول: «إن القراءة منذ الصغر تساعد على حل المشكلات

العامة، وتساعد على تحسين نتائج القارئ في اختبارات الذكاء، مما يساعده في الحصول على مسار وظيفي ناجح.

وقد أبرزت النتائج أن كل طفل توأم يواظب على القراءة بشكل أكبر من شقيقه حصل على نتائج أفضل في اختبارات الذكاء العام.. وبينت هذه الدراسات أن الأطفال الذين يقرأون باستمرار يزيد نهمهم للمعرفة، مما يحفزهم على التفوق في مسارهم الدراسي»[٣].

ومن هنا يمكننا أن ننطلق لنرى أمام أعيننا نموذجا لدولة مثل اليابان استطاعت أن تتغلب على نكبات قاسية، وتمكنت من تحقيق أحلام مذهلة، فهي تترجم سنويا أكثر من مئتي كتاب من أدب الأطفال، ويسافر منها فريق على درجة عالية من المعرفة لمعرض ميونخ في ألمانيا، ليقرأوا كتب الأطفال بكل اللغات الموجودة في المعرض، ويترجموا المناسب منها للطفل الياباني ليصبح أكثر معرفة بثقافات العالم من حوله.

كما أننا على المستوى الأسري يجب أن نتمتع بالوعي الذي يمكننا من جذب أطفالنا إلى العوالم المدهشة للقراءة، وإيجاد البيئة التي تجعلهم يعايشون متعة المعرفة ويستشعرون ما يمكن أن تمثله مجالسة الكتاب من فوائد لعقولهم وأرواحهم.

إننا إذا نجحنا في غرس محبة القراءة في نفوس أطفالنا، ثم أحسنا اختيار ما يناسبهم ويفيدهم ويقوي عقيدتهم وينمي فكرهم وذوقهم، فإننا بذلك نقدم لهم أثمن هدية في الحياة، وتكون الثمرة لذلك أجيالا تمتلك آفاقا رحبة من التسامح، وتربأ بنفسها عن التعصب، وستكون لديها ثقة عميقة بقدراتها؛ فهي تعرف طريقها جيدا، وهي تمتلك المعرفة التي تمكنها من المنافسة في ميادين التفوق، وتحرص على مراعاة القيم الأخلاقية التي تحصنها وتنأى بها بعيدا عن التردي القيمي أو الذوبان في هوية مختلفة ومخالفة لهويتنا.

متعة القراءة

إن الذين يصاحبون الكتب يدركون تلك المتعة التي تتملك المشاعر وتأسر الوجدان، فالكتب الجيدة تأخذك في رحلة شائقة توقظ في داخلك تأملات وأفكارا ورؤى، تجيب عن تساؤلاتك وتولد في أعماقك تساؤلات أخرى تجعلك في حالة نهم دائم للمعرفة، كما أنها تزيد من تميزك في مجالك وتفتح أمامك طرقا عديدة للإضافة والابتكار والتجديد، ولقد وصف لنا عشاق القراءة من العلماء تلك المتعة التي وجدوها في رحاب الكتب والتي فاقت لديهم كل متع الحياة، يخبرنا ابن الجوزي، رحمه الله، عن حاله مع الكتب فيقول: «وإني أخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابا لم أره، فكأني وقعت على كنز.. ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب»[٤]، وبعضهم من عشقه للكتب يعجز عن مفارقتها، روي عن أبي العباس اللغوي المعروف بثعلب: «أنه كان لا يفارقه كتاب يدرسه، فإذا دعاه رجل إلى دعوة، شرط عليه أن يوسع له مقدار مسورة يضع فيها كتابا ويقرأ»[٥]، وحكايات سلفنا الصالح مع القراءة كثيرة جدا، تظهر كيف أننا كنا أصحاب حضارة قوية حينما كان للكتاب تلك المكانة العظيمة في النفوس، وحين كانت المكتبات تنتشر في جميع بقاع الدولة الإسلامية، وكان البعض ينشئ المكتبة وقفا في سبيل الله، وكان الوراقون يتنافسون في نسخ الكتب، حيث ازدهر التصنيف وزاد الإقبال على القراءة، فالتاريخ يقول لنا إن الحضارات القوية لا تقوم إلا على المعرفة، ولذلك يصف العقاد ما نعانيه الآن فيقول: «إن القراءة لم تزل عندنا سخرة يساق إليها الأكثرون طلبا لوظيفة أو منفعة، ولم تزل عند أمم الحضارة الحاضرة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود»[٦].

وكثيرا ما يحكي لنا علماء الغرب ومفكروه عن متعتهم التي لا تدانيها متعة بمصاحبة الكتاب، ومن ذلك قول الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو: «حب القراءة هو استبدال ساعات المتعة بساعات السأم، وما أصابني ألم ونزلت بي ضائقة إلا خففت من هذا، وسررت من هذه بقراءة ساعة في كتاب طيب»[٧]، ولعلنا نلمح هنا ما في قول مونتسكيو بأن القراءة ليست فائدة ومتعة فقط وإنما هي علاج أيضا.

القراءة علاج

إن العلاج بالقراءة ليس وليدا لأفكار معاصرة، بل إنه نشأ مع الحضارات القديمة، لقد كانت هناك عبارات خالدة مثل « هنا بيت علاج النفس.. هنا علاج الروح»، «حفرت على جدران المكتبات المصرية القديمة، مثل مكتبات معبد رمسيس، ومعبد إدفو ومعبد دندرة، لقد آمن المصريون القدماء بالفعل السحري للتعلم والقراءة في علاج النفس

وتخليصها من آلامها وتصدعاتها. وقد رفع البابليون والآشوريون الشعار ذاته، واهتموا بالقراءة كوسيلة لخلاص الروح وتطهير النفس، ثم انتقلت حمى الاهتمام بالقراءة إلى الرومان واليونان»[٨]، لقد لمس هؤلاء الراحة النفسية التي تقدمها مجالسة الكتاب والتي تساعدنا في التخلص من الأزمات النفسية والمشاعر السلبية مثل القلق والخوف والاكتئاب والإحباط واليأس.. إلخ، وتمنحنا الراحة والثقة والأمل والقدرة على مواجهة الحياة بكل ما فيها من تحديات وعقبات، ولقد أدرك بعض سلفنا ما في القراءة من علاج للنفس؛ فهذا ابن تيمية، رحمه الله، يقول: «ابتدأني مرض فقال لي الطبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض. فقلت له: لا أصبر على ذلك وأنا أحاكمك إلى علمك أليست النفس إذا فرحت وسرت قويت الطبيعة فدفعت المرض؟ فقال: بلى. فقلت له: فإن نفسي تسر بالعلم فتقوى به الطبيعة فأجد راحة. فقال: هذا خارج عن علاجنا»[٩]، وفي العصر الحديث أعطى بعض علماء الغرب اهتماما كبيرا لفكرة العلاج بالقراءة، وظهر العديد من الأبحاث والتطبيقات العلمية التي تبرز الأثر الإيجابي للقراءة في علاج بعض الأمراض الفسيولوجية والنفسية، وفي فترات الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين قتل فيهما ملايين البشر برزت فكرة العلاج بالقراءة بقوة لانتشال الذين نجوا من أتون هذه الحروب المدمرة من معاناتهم ولتخفيف أثر الصدمات التي واجهوها، وفي الستينيات انتشرت في الغرب جلسات العلاج بالقراءة، وفكرة العلاج بالقراءة تعود الآن بقوة بعد أن خفتت بعض الوقت مستغلة التقدم التقني الذي نعايشه، أما لدينا «فقليلون في العالم العربي من المتخصصين بعلم النفس الذين يعرفون العلاج بالقراءة، ناهيك عن ممارستها في عياداتهم العامة والخاصة على الرغم من التطور في مجال العلاج بالقراءة على المستويات العالمية»[١٠]، ولعل ذلك مرجعه إدراك هؤلاء الأطباء أن الاهتمام بالقراءة لا يشغل حيزا كبيرا في مجال اهتماماتنا، وأن أكثرنا لا ينظر إلى الكتاب تلك النظرة التي تقدر قيمته، وتدرك ما يمكن أن يقدمه لنا من فائدة ومتعة وعلاج.

الهوامش

١- الشيخ محمد عبده، تفسير جزء «عم»، القاهرة، مطبعة مصر، ١٤٣١هـ، ط٣، ص:١٢٤.

٢- عادل أحمد العلي، همسات مضيئة، عمان، الجنادرية للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م، ص:٧١.

٣- عبدالفتاح برناوي، فهدة الكثيري، تجارب وأفكار للقراءة، الرياض، العبيكان، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٨م، ص:٧٧، ٨٧.

٤- أبو الفرج بن الجوزي، صيد الخاطر، دمشق، دار القلم، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص:٤٥٤.

٥- أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص:٧٧.

٦- سلسلة المقالات النادرة، عباس محمود العقاد ٣، الجيزة، إبداع للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م، ج٣، ص:٧٢.

٧- د. سيد حامد آل برجل، العاشقون للكتب، القاهرة، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م، ص:١٧٢.

٨- هالة الأبلم، تجربتي مع العلاج بالقراءة، دبي، دار الهدهد للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م، ص:٩.

٩- ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص:٧٠.

١٠- تجربتي مع العلاج بالقراءة، ص:٢٥.

د. أسماء جابر العبد
دكتوراه في الحديث وعلومه



النفاق الاجتماعي

الكلمة الطيبة والمجاملة الرقيقة ضروريتان جدا في كل المجتمعات الإنسانية، تخففان الآلام، وتضمدان الجراح، وتعيدان الثقة في النفوس، وترفعان الروح المعنوية، وتدفعان إلى النشاط والإقدام.. تؤلفان القلوب، وتكسران حاجز البغضاء، وتريحان النفس المتعبة، وتزيدان الألفة والمحبة.

ومع هذا نحتاج إلى تأن في اختيار العبارات حتى لا نقع تحت طائلة النفاق، فلا تتعارض مع نصيحة واجبة، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، فلا نلتزم الصمت حين يحتاج الناس إلى النصح، أو نجاملهم ونقرهم على خطئهم، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ (المائدة:٧٨-٧٩).

فلا تقر على معصية ولا تشارك فيها تحت مسمى المجاملة؛ فلا مجاملة على حساب الدين أو المبادئ والقيم والمثل العليا، ولا مجاملة على حساب المصلحة العامة أو ما يترتب عليه ضرر لأحد؛ فهذا ليس من الدين في شيء، بل هو النفاق بعينه والغش بذاته، قال ﷺ: «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله، ومن أسخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس» (صحيح ابن حبان).

في كل مؤسسة تجد بطانة منافقة؛ انتهازيين متملقين، يُحسّنون الخطأ في عين رئيسهم فيتمادى في خطئه، ولا يكلف نفسه إصلاح عيبه، فتنحدر المؤسسة نحو الفوضى العارمة وتقف على شفير الهاوية.

إن تعمية الحقائق على المديرين وذوي السلطة وصناع القرار خيانة ولاشك.

فكل هدفه تحصيل منفعته بتملقه وتسلقه، فلا يبالي أي حق أخذ، ولا أي فرد أضر.

يحتال ويضلل، ويطري ويمدح، يبالغ في التمجيد والثناء، ويسترسل في المديح والإطراء، يبرر المنكرات، ويبيح المحرمات، ويقنن الممنوعات، يسرف في المجاملة، ويفرط في المصانعة والمسايرة.

حذر منهم ﷺ لما يترتب على سوء صنيعهم من مفاسد فقال: «إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب» (رواه مسلم).

يمدحون بالباطل، ويتشدقون بعبارات لا تجاوز حناجرهم؛ تملق وخداع، وانتهازية رخيصة، وبضاعة زهيدة، ومداهنة مستهجنة.. يترتب عليها فساد مؤسسي، وفوضى مجتمعية، وضياع الحقوق، وتغليب المصلحة الذاتية على المصلحة العامة.

قال أناس لابن عمر: إنا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: «كنا نعدها نفاقا» (رواه البخاري).

وإن مجتمعا لا يقدر الكفاءات، ولا يرعى المؤهلات لسريع الزوال وشيك الفناء.

قال ﷺ: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (رواه البخاري).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من استعمل رجلا لمودة، أو لقرابة، لا يستعمله إلا لذلك؛ فقد خان الله، ورسوله، والمؤمنين» (ابن كثير في مسند الفاروق).

إن الحق أحق أن يتبع، لا نهاب فيه أحدا، ولا نخشى رصدا، ننتقد المخطئ، ونعترض على المبطل، ولا نخشى في ربنا لومة لائم أبدا. نعم، نحسن القول، ونتأدب في الحديث، ونرعى حق الجليس، فلا نواجهه بما يغضب، ولا نجابهه بما يبغض، ولكن من دون مصانعة أو إسراف، ولا تبديل للحقائق ولا تزييف، ولا مجاملة على حساب ديننا وطاعة ربنا.. لا نبدي رأيا خلاف قناعاتنا، ولا نستحسن شيئا نكرهه.. لا نخدع أحدا ولا ننخدع لقول أحد.. ندفع بالتي هي أحسن بمداراة محمودة، لا بمداهنة مذمومة.. نرفق بالجاهل ليتعلم، وبالعاصي ليأتمر، وبالمنحرف ليستقيم، سائلين الله البراءة من النفاق، ومن سوء الأخلاق.. والحمدلله رب العالمين.



مريم ثروت
كاتبة صحافية

المحن مجلبة المنح

غالبا ما ننظر إلي ظواهر الأمور ونترك بواطنها، فكلما أصابتنا مصيبة أو حل بنا ابتلاء نتكدر ونحزن ونتألم ولا ندري أن هذا الابتلاء يحمل في طياته رحمة، فإذا ابتلاك الله بشدة ساقها إليك فاحمد الله، واعلم أنك ضمن العناية الإلهية، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢)، فالذهب حينما يستخرج خاماً لابد أن يوضع في النار حتى ينقى من الشوائب ويصير ذا قيمة، كذلك تفعل المحن بالمسلم، فإن الله كما خلق المنح خلق المحن ليبتلي الإنسان فيرجع إلي ربه عابدا خاضعاً مستكينا متوكلا عليه ومفوضا أمره إليه، يقول تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤١).

والمحن والابتلاءات سنة من سنن الله الكونية التي شرعها في عباده، فكل إنسان له نصيب من الابتلاء حتى الأنبياء، بل هم أكثر البشرية ابتلاء، فما من نبي إلا ابتلاه الله إما في جسده أو ولده أو زوجه أو غير ذلك من أنواع الابتلاءات، بين ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» (رواه الترمذي).

فهذا أيوب -عليه السلام- من أكثر الأنبياء ابتلاء ومن أشدهم صبرا حتى صار صبره قدوة ومثالاً للصابرين، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (الأنبياء: ٨٣،٨٤).

وهذا يوسف -عليه السلام- ابتلاه الله في صغره حين اجتمع إخوته للتخلص منه وانتهى بهم الأمر أن طوعت لهم أنفسهم رميه في ظلمة البئر ثم منها إلى بيت عزيز مصر ثم إلى السجن في حياة مليئة بالمحن ثم كان تتويج ذلك خروجه من محنته ليتولى خزائن الأرض، فنرى كيف أن سجنه ومحنته كانا في باطنهما منحاً عظيمة ما كان ليدركها لولا حكمة الله ولطفه، فجمعه بأبيه وحقق له رؤياه التي رآها في صغره قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ (يوسف:١٠٠).

فوائد المحن

والمحن ليست شرا كلها بل قد يكون في باطنها الخير والرحمة فهي ترد الإنسان إلي ربه، فيقف على أعماله ويحاسب نفسه ويزكيها، فكلما أصابتنا مصيبة أو ألمّ بنا ألم فإنا نرجع إلى الله نستغفره ونتوب إليه، نتضرع له ونتذلل بين يديه سائلين إياه أن يرفع عنا البلاء، فمن يكشف الضر غير الواحد الأحد؟

وفي حال الابتلاء يعرف الإنسان قدر النعمة التي هو فيها فيشكر الله عليها ويحافظ على دوامها بالطاعات، لأن المعاصي والذنوب تزيل النعم، كما أن الإنسان لا يعرف قيمة النعمة التي يملكها إلا بعد فقدها، فتأتي المحنة حتى يقدر كل منا ما وهبه الله من نعم حُرم منها آخرون.

ونختم بقول الإمام أحمد بن حنبل: «لولا الابتلاءات لوردنا على الله مفاليس» فالابتلاءات ترفع قدر صاحبها عند ربه، وما من مؤمن إلا ويبتليه الله لأنها سنة من سننه، ومع هذا فإن الله جعل من المحنة منحا عظيمة وجعل مع العسر يسرين، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾(الشرح: ٥ -٦).



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث







سلسلة الأعلام المتشابهة (٥١)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (السنباطي):

١- محمد السنباطي (ت:٧٢٢هـ):

هو قطب الدين محمد بن عبدالصمد بن عبدالقادر السنباطي المصري، الأنصاري، الشافعي.

ولد سنة: (٦٥٢هـ)، أفتى، ودرس، وناب في الحكم بمصر، وتخرج به المصريون.

من مصنفاته: (شرح التنبيه للشيرازي) في فروع الفقه الشافعي، و(أحكام المبعض)، و(مختصر قطعة من الروضة للنووي)، و(تصحيح التعجيز).

توفي بالقاهرة في شهر ذي الحجة[١].

٢- عبدالعزيز السنباطي (ت:٨٧٩هـ):

هو عبدالعزيز بن يوسف بن عبدالغفار بن وجيه التونسي الأصل، السنباطي القاهري الشافعي.

ولد سنة: (٧٩٩هـ)، من مصنفاته: (إلقاء الحجر -أو الجمر- على من يشرب الخمر)، توفي بالقاهرة[٢].



٣- شهاب الدين السنباطي (ت:٩٩٥هـ):

هو شهاب الدين أحمد بن أحمد ابن عبدالحق السنباطي المصري الشافعي، من أهل سنباط (المحلة الكبرى بمصر).

من مصنفاته: (شرح مقدمة زكريا الأنصاري في الكلام على البسملة)، و(روضة الفهوم نظم نقاية العلوم للسيوطي)، و(فتح الحي القيوم بشرح روضة الفهوم)، و(توضيح على رسالة المارديني في العمل بالربع المجيب) فلك، و(حاشية على شرح المحلي للورقات)، و(شرح القصيدة الهمزية في المدائح النبوية)[٣].

المتفق والمفترق في اسم (القسطلاني):

١- القسطلاني (ت:٦٨٦هـ):

هو قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علي القيسي الشاطبي التوزري القسطلاني، وأصله من (توزر) بإفريقية من بلاد قسطيلية، عالم بالحديث ورجاله.

ولد بمصر سنة: (٦١٤هـ)، ونشأ بمكة، قام برحلات لطلب العلم، فأخذ عن علماء بغداد والجزيرة والشام ومصر، وطلب من مكة، فتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة.

من مصنفاته: (الإفصاح عن المعجم من الغامض والمبهم) في أسانيد رجال الحديث، و(اقتداء الغافل باهتداء العاقل) تصوف، و(رسالة في تفسير آيات من القرآن الكريم)، و(لسان البيان عن اعتقاد الجنان) و(مراصد الصلات في مقاصد الصلاة)، و(مدارك المرام في مسالك الصيام)، و(تكريم المعيشة بتحريم الحشيشة)، و(تتميم التكريم لما في الحشيش من التحريم). توفي بالقاهرة[٤].

٢- شهاب الدين القسطلاني (ت:٩٢٣هـ):

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني القتيبي المصري، من علماء الحديث.

ولد بالقاهرة سنة: (٨٥١هـ) ونشأ بها، وقدم مكة والقاهرة.

من مصنفاته: (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)، و(منهاج الابتهاج بشرح مسلم بن الحجاج) و(المواهب اللدنية في المنح المحمدية) في السيرة النبوية، و(لطائف الإشارات في علم القراءات)، و(الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبدالقادر)، و(مشارق الأنوار المضية) شرح البردة.

توفي بالقاهرة[٥].

٣- القسطلاني (ت:١٠٣٣هـ):

هو زين الدين أبو السعود بن علي القسطلاني المكي المالكي، عالم، أديب.

ولد، وتوفي بمكة.

من مؤلفاته: (الفتح المبين في شرح أم البراهين)، و(فوح العطر بترجيح صحة الفرض في الكعبة والحجر)، و(شرح الآجرومية) في النحو، و(منظومة في مسوغات الابتداء بالنكرة) وشرحها، وله شعر[٦].

الهوامش

١- انظر: هدية العارفين (١٤٥/٢) ومعجم المؤلفين (١٧٢/١٠).

٢- انظر: هدية العارفين (٥٨٣/١) ومعجم المؤلفين (٢٦٤/٥).

٣- انظر: هدية العارفين (١٤٩/١) والأعلام للزركلي (٩١/١) ومعجم المؤلفين (١٥٠/١).

٤- انظر: هدية العارفين (١٣٥/٢) والأعلام للزركلي (٣٢٣/٥) ومعجم المؤلفين (٢٩٩/٨).

٥- انظر: هدية العارفين (١٣٩/١) والأعلام للزركلي (٢٣٢/١) ومعجم المؤلفين (٨٥/٢).

٦- انظر: هدية العارفين (٢٤٢/١) والأعلام للزركلي (٣٢٣/٥) ومعجم المؤلفين (٢١٧/٤).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

علماء صنعوا نهضة الكويت

سلسلة صناع نهضة الكويت

١

سلسلة صناع نهضة الكويت

علماء صنعوا نهضة الكويت

الشيخ مساعد بن عبد الله العازمي

العالم - المكافح - الطبيب

إعداد وتجميع
عبد العزيز بدر حسين القناعي



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «سلسلة صناع نهضة الكويت.. علماء صنعوا نهضة الكويت» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف

وهي سلسلة قيمة تعنى بعلماء دولة الكويت ورجالاتها الذين كان لهم دور بارز في صناعة نهضتها، أعدها وجمعها: عبدالعزيز بدر حسين القناعي، وقد صدر أول عدد منها: غرة ذي القعدة، سنة: ١٤٢١هـ، الموافق ٢٥ يناير، سنة: ٢٠٠١م.

الأهداف

تهدف هذه السلسلة إلى التعريف بعلماء الكويت ورجالها الذين صنعوا نهضتها، وإبراز دورهم وأهم الأعمال التي قاموا بها خدمة لهذه الدولة المباركة.

المحتوى العام

أفردت هذه السلسلة عددا لكل عالم من علماء الكويت، حيث يبدأ بتعريف الشيخ العالم، ثم يذكر تاريخ ميلاده إن وجد، ونشأته في طفولته ثم بداية رحلته العلمية وأسفاره، وأعماله التي قدمها خدمة لدينه ووطنه وأمته، ثم يذكر تاريخ ومكان وفاته إن وجد.

وقد استفتح عبدالعزيز بدر حسين القناعي سلسلته بالشيخ العالم الطبيب: مساعد بن عبدالله العازمي، فذكر نسبه وميلاده وتعليمه وأسفاره إلى البلدان العربية لطلب العلم وخدماته إلى أن وافته المنية سنة: ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، يرحمه الله، ورحم الله علماء المسلمين وجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموه للإسلام والمسلمين...

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بأعداد من هذه السلسلة القيمة النافعة، وهي في متناول قرائها الكرام والمهتمين بسير العلماء وتراجمهم.

المصادر

سلسلة صناع نهضة الكويت.. علماء صنعوا نهضة الكويت.

هشام الصباغ
باحث لغوي



الفقيه الموسوعي
أحمد الحجي الكردي

■ في الصبر والصدق والدأب والعمل المتواصل مثالٌ للباحثين والطلاب.. ولإسلام يتفاعل مع الزمان والمكان رائدٌ لأهل الفتوى والعلم؛ ولا غرو فهو أحد كبار الفقهاء المجتهدين المعاصرين.

■ اقتفى، متعه الله بالصحة والعافية، في حياته أثر كبار أهل العلم؛ علما وعملا، وحذا، وما زال، حذوهم في طلبه أنى وجد، واختط لحياته نهجا قل نظيره، وما زال قبسا يضيء للناس طريقهم بحكمة ورؤية حضارية واسعة وآفاق إيمانية مؤثرة.

■ لا يفضل على العلم والتعلم أي عمل آخر، ولم ينقطع أو يتوقف عن الدراسة والبحث طوال حياته، ولم يقصر علمه على اختصاصه الأصلي بل كان يتحرى مختلف العلوم والفنون ويتعمق فيها، ويؤثر عنه قوله: «أود ألا أتهم بالجهل في فن من الفنون الشائعة في عصري»، إذ كان منهجه «خذ الحكمة أنى وجدتها، والمعرفة أنى عثرت عليها، ولو عند أقل الناس علما ومعرفة».

■ الثناء عليه يقصر عن إيفائه حقه؛ فهو صريحٌ في قول ما يعتقد أنه الصواب والحق، كارهٌ للكذب، باغضٌ للكذابين، طويل الأناة، حسن الخلق ما لم تنتهك حرمة أو ينتقص من قدر حكم شرعي، سمحٌ في معاملته للناس بعامة، والمستفتين بخاصة، حانٍ على الفقراء من طلاب العلم، ساعٍ إلى خدمتهم وتوفير حاجاتهم ليتفرغوا للعلم.. إنه الشيخ أحمد الحجي الكردي.

النشأة والتعليم

■ لن نستطيع وصف نشأة الشيخ ومولده مثلما يتحدث هو، وعنها يقول الشيخ: «ولدت في دار والدي وجدي الشيخ أحمد الكردي، في حي البياضة في مدينة حلب، في ١٦ رمضان ١٣٥٧هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٣٨م».. إذن فالكردي نشأ بحلب الشهباء، وفيها ترعرع غصنا من دوحة علمية وارفة الظلال؛ فجده لأبيه هو العلامة الشيخ أحمد الكردي مفتي مدينة حلب وأمين فتواها، أما والده فهو الشيخ الفقيه محمد مهدي، كاتب الفتوى ومنشؤها لدى والده (المفتي).

■ ويكمل الكردي: «قرأت القرآن الكريم، وحفظت كثيرا من سوره وأجزائه لدى إحدى مقرئات حينا (البياضة)، واسمها الخوجة الجفمية، وفي عام ١٩٤٥م أدخلني والدي، رحمه الله، في مدرسة سيف الدولة الابتدائية، في حي المستدمية في حلب، التي تحول اسمها بعد ذلك إلى مدرسة أبي عبيدة بن الجراح، وهي ما زالت في مكانها واسمها إلى اليوم، وبعد تخرجي فيها وحصولي على الشهادة الابتدائية في عام ١٩٥٠م، أدخلني والدي في الكلية الشرعية (المدرسة الخسروية) بجانب قلعة حلب، وقد أصبح اسمها بعد سنتين من دخولي إليها الثانوية الشرعية، وهي أيضا ما زالت على اسمها وموضعها إلى اليوم، وفي عام ١٩٥٦م حصلت على شهادة الكفاءة الشرعية، وفي عام ١٩٥٩م حصلت على شهادة الثانوية الشرعية».

■ لكن ما نهله الكردي من معين «الخسروية» لم يكن ليروي ظمأه العلمي، فانتسب إلى كلية الشريعة بجامعة دمشق، وراح يغرف من صحاف أساتذتها وكبار علمائها (أمثال: الشيخ الدكتور مصطفى الزرقا، والدكتور مصطفى السباعي، والدكتور معروف الدواليبي)، علوم القرآن الكريم وتفسيره، والحديث الشريف ومصطلحه، والفقه وأصوله، والسيرة والتاريخ الإسلامي، والقانون والأحوال الشخصية.. وغيرها، إلى أن حصل منها على ليسانس الشريعة عام ١٩٦٣م.

الكردي و«الأزهر»

■ لتفوقه في دراسته الجامعية، سارعت جامعة دمشق إلى إيفاده إلى الأزهر ليتابع تحصيله العلمي ودراسته العليا، وفيه تتلمذ على يد كوكبة من العلماء، أمثال: الشيخ الدكتور أبو النور زهير، والشيخ الدكتور عثمان مريزق، والدكتور صوفي حسن أبو طالب والشيخ الدكتور الحسيني شحاتة.. وغيرهم.

■ وفي القاهرة انكب الكردي على مختلف العلوم، ينهلها من معين أربابها، حتى حصل الشهادات التالية: «الثانوية الأزهرية المعادلة» من معهد القاهرة – «الشهادة العليا في التربية وأصول التدريس» من كلية التربية بجامعة القاهرة – «الماجستير في الفقه المقارن» من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر – «الماجستير في التفسير وعلوم القرآن» من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر – «الدكتوراه في الفقه المقارن بدرجة الشرف الأولى» من كلية الشريعة والقانون بجامعة القاهرة عن رسالته: «فسخ الزواج: بحث مقارن بين الإسلام واليهودية والنصرانية».

معلموه وأساتذته وشيوخه

■ العرفان والبر والوفاء صفات تلمسها سريعا عند لقائك بالشيخ أو استماعك لحديثه، يتجلى ذلك عندما يتكلم الشيخ عن مربيه وشيوخه وأصدقائه.. يقول الكردي: «أخذت العلم في مراحل دراستي المختلفة عن عدد من الشيوخ والأساتذة، وكان أكثرهم تأثيرا في نفسي وإفادة لي: في المرحلة الابتدائية: الأستاذ عبدالكريم صديق، والأستاذ يونس حقي، والأستاذ عبدالحميد المقيد، والأستاذ غالب خياطة».

■ وفي المرحلتين الإعدادية والثانوية: «في الفقه الحنفي: الشيخ بكري رجب، والشيخ عبدالوهاب سكر، والشيخ محمد الملاح. وفي أصول الفقه الشيخ محمد السلقيني. وفي النحو والصرف والبلاغة الشيخ المحامي عبدالقادر الكرمان، والشيخ حسن مكتبي. وفي القرآن والفرائض الشيخ نجيب خياطة الشهير بـ«آلا»، والشيخ مراد حيلاني. وفي التفسير الشيخ أبوالخير زين العابدين. وفي الإملاء الشيخ عبدالله حماد. وفي الخط العربي الشيخ عبدالجواد العطار. وفي التاريخ الإسلامي الشيخ عبدالفتاح حميدة.. وغيرهم».

■ وفي المرحلة الجامعية: «الأستاذ مصطفى الزرقا، والدكتور مصطفى السباعي، والدكتور معروف الدواليبي، والدكتور محمد فوزي فيض الله، والدكتور يوسف العش، والدكتور أحمد فهمي أبو سنة، والدكتور مصطفى زيد، والأستاذ محمد الشماع، والأستاذ محمد المبارك.. وغيرهم».

■ وفي مرحلة الدراسات العليا: «الشيخ الدكتور أبو النور زهير، والشيخ الدكتور عثمان مريزق، والشيخ الدكتور الحسيني شحاتة (المشرف على رسالة الدكتوراه)، والدكتور عبدالعزيز عامر، والدكتور نيازي حتاتة، والدكتور صوفي حسن أبو طالب.. وغيرهم».

زملاؤه وأصدقاؤه

■ «المرء على دين خليله» كما قال ﷺ، ولذا فقد رافق الشيخ خلال مراحل دراسته المختلفة عددا من الزملاء والأصدقاء، أصبحوا فيما بعد، كما الشيخ، أعلام هدى للأمة، منهم: الأستاذ الدكتور مصطفى البغا، والأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، والأستاذ الدكتور محمد الزحيلي، والأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، والأستاذ الدكتور نور الدين العتر.. وغيرهم.

حياته العملية.. والكويت

■ تفرغ الشيخ بشكل كامل لتحصيل العلم والتحضير الدراسي، ولم يتصد لأي عمل حتى عام ١٩٦٢م، الذي عين فيه مأمورا لأوقاف منطقتي الباب وتادف، التابعتين لحلب، لعام ونيف.

■ وعقب حصوله على ليسانس الشريعة عين مدرسا للتربية الإسلامية في ثانويات مدينة حلب، لبضعة أشهر فقط، حيث عين عام ١٩٦٤م معيدا في كلية الشريعة بجامعة دمشق بعد مسابقة أجريت لذلك كان الناجح الأول فيها، فدرس فيها سنة وبضعة أشهر فقط، إذ أوفدته وزارة التعليم العالي عام ١٩٦٥م إلى جامعة الأزهر لمتابعة الدراسات العليا.

■ عقب حصوله على الدكتوراه، عين مدرسا في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ثم رقي عام ١٩٧٦م إلى أستاذ مساعد، ثم إلى أستاذ في ١٩٨٠م، وفي ١٩٨٣م عين رئيسا لقسم علوم القرآن والسنة في الجامعة، وفي ١٩٨٥م عين وكيلا لكلية الشريعة إلى جانب رئاسة قسم علوم القرآن والسنة حتى ١٩٨٧م.

■ عام ١٩٧٢م أعير إلى ليبيا لسنتين للتدريس بجامعة بني غازي، وفي عام ١٩٨١م انتدب جزئيا للتدريس بكلية الإمام الأوزاعي ببيروت، كما انتدب جزئيا أيضا عام ١٩٨٢م للتدريس بكلية الحقوق في جامعة حلب.

■ في ١٩٩٣م، سافر الكردي إلى الكويت للعمل خبيرا في مشروع موسوعتها الفقهية، إلى جانب التدريس في كلية الشريعة في جامعتها.. وهو عضو في هيئة الفتوى الكويتية منذ ١٩٩٣ وحتى الآن، كما أنه عضو لجنة الفتوى ببيت الزكاة الكويتي منذ ١٩٩٥م.

منتوجه العلمي

■ أشرف الكردي على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه وشارك في مناقشتها في عدد من الجامعات العربية والإسلامية.

■ وللشيخ عدد كبير من المقالات العلمية المحكمة وغير المحكمة المنشورة في كثير من المجلات العربية والإسلامية، كما له الكثير من المؤلفات العلمية المطبوعة، نذكر منها: فقه المعاوضات - الأحوال الشخصية (الأهلية والنيابة الشرعية والوصية والوقف والتركات) - أحكام الوقف في الفقه الإسلامي - الكفاية في الفرائض (تحقيق).. وغيرها.

مساهمته مع «الوعي»

■ للكردي مساهمات عدة مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت تحت عناوين: «حكم التلقيح الصناعي» (ع:٧٥)، «حكم الإسلام في التلقيح الصناعي» (ع:٨٣)، «ميراث ووصية واجبة» (ع:٨٧)، «مشكلة الفردية» (ع:٩٨)، «مولد النبي ومضة من نور» (ع:٩٩)، «رمضان دورة تدريبية» (ع:١٠٥)، «الهجرة النبوية: أسبابها ونتائجها» (ع:١٠٩)، «الزي الإسلامي» (ع:١١١)، «مركز المرأة» (ع:١١٥)، «مظاهر الوحدة وضمانتها في الإسلام» (ع:١١٦)، «حكم الإسلام في الاسترقاق (رد)» (ع:١١٩).

المصادر والمراجع

١- وزارة الأوقاف الكويتية.
٢- رابطة العلماء السوريين.
٣-موقع nassan.

إعداد / تركي محمد النصر

الصبر والشكر

قال العلامة ابن الوزير رحمه الله تعالى: (ولو أن العلماء رضي الله عنهم تركوا الذب عن الحق خوفا من كلام الخلق، لكانوا قد أضاعوا كثيرا، وخافوا حقيرا، وأكثر ما يخاف الخائف في ذلك أن يكل حسامه في معترك المناظرة، وينبو ويعثر جواده في مجال المحاجة ويكبو، فالأمر في ذلك قريب: إن أخطأ فمن الذي عصم؟ وإن خطىء فمن الذي ما وصم؟ والقاصد لوجه الله تعالى لا يخاف أن ينقد عليه خلل في كلامه، ولا يهاب أن يدل على بطلان قوله، بل يحب الحق من حيث أتاه، ويقبل الهدى ممن أهداه).

انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (١/٢٣).

العفو يورث العزة

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: (ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلا يجده في نفسه، فإذا عفى أعزه الله، وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: (ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا). فالعز الحاصل له بالعفو أحب إليه وأنفع له من العز الحاصل له بالانتقام، فإن هذا عز في الظاهر وهو يورث في الباطن ذلا، والعفو ذل في الباطن وهو يورث العز باطنا وظاهرا).

انظر: قاعدة في الصبر، (ص/٩٧).

حسن الخلق

قيل للعلامة ابن المبارك رحمه الله تعالى: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة. قال: (ترك الغضب).

انظر: جامع العلوم والحكم، (١/٣٦٣).

نجيب بني أمية

سئل محمد بن علي بن حسين رحمه الله عن عمر ابن عبدالعزيز، فقال: أما علمت أن لكل قوم نجيبا، وأن نجيب بني أمية عمر بن عبدالعزيز، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده.

انظر: سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي، (ص/٧٤).

صحة القلب ومرضه

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (كلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها، حتى يصير من أهلها)

انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (١/٧١).

مشاركة: يعقوب الجناع

أظلم الناس لنفسه

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (أظلم الناس لنفسه اللئيم، إذا ارتفع جفا أقاربه، وأنكر معارفه، واستخف بالأشراف، وتكبر على ذوي الفضل).

انظر: سراج الملوك للطرطوشي المالكي، (ص/٥٥).

مكر الله

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (إذا أنعم الله عليك من كل ناحية: أطعمك من جوع، وآمنك من خوف، وكساك من عري، فلا تظن أنك رابح وأنت مقيم على معصية الله، بل أنت خاسر).

انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، (١٠١/٢).

هذه غدوتي

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء؛ سقطت قوتي).

انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، (ص/٤٢).

الحث على الصبر

قال أبو عمرو بن المبارك: دخل زياد بن عثمان ابن زياد على سليمان بن عبدالملك، وقد توفي ابنه أيوب، فقال: يا أمير المؤمنين، إن عبدالرحمن بن أبي بكرة كان يقول: (من أحب البقاء فليوطن نفسه على المصائب).

انظر: التعازي والمراثي، للمبرد، (ص/٣٩).

لا تخفى على الله خافية

قال قتادة رحمه الله تعالى: (والله إن عليك شهودا من بدنك فراقبهم، واتق الله في السر فإنه لا يخفى عليه خافية).

انظر: تفسير الطبري، (٤١٠/٢٠).

همة عالية

بكى أبو إسحاق السبيعي رحمه الله، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: (ذهبت قوتي، وذهبت الصلاة مني، لا أستطيع أن أصلي قائما إلا بالبقرة وآل عمران).

انظر: الثقات لابن حبان، (٦٧/٨).

تغير أحوال الناس

قال العلامة محمد بن الخلف بن المرزبان المتوفى سنة (٣٠٩هـ): يروى عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: (كان الناس ورقا لا شوك فيه، فصاروا شوكا لا ورق فيه).

وقال بعضهم: (كنا نخاف على الإخوان كثرة المواعيد وشدة الاعتذار أن يخلطوا مواعيدهم بالكذب واعتذارهم بالتزيد، فذهب اليوم من يعتذر بالخير، ومات من كان يعتذر من الذنب).

انظر: فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، لابن المرزبان، (ص/٢٥).



إعداد: التحرير

من كلمات عبدالله بن عباس

الحجامة هي سحب الدم الفاسد من الجسم، وهذا الدم الفاسد قد يكون سببا في أمراض تلحق بجسم الإنسان بسبب تراكمه وامتلائه بالأخلاط الضارة، وتتم الحجامة عن طريق محجم، إما بتشريط الجلد واستخراج الدم من مكان التشريط، أو بالضغط على مكان الألم دون تشريط.

وقد أثبتت التجربة فعالية الحجامة في علاج العديد من الأمراض التي يشتكي منها الكثير من الناس، مثل الصداع المزمن والآم الظهر والبواسير والمفاصل والنقرس وارتفاع ضغط الدم والأمراض النسائية.. وغيرها.

والحجامة مارسها المسلمون الأوائل وقصدها الرسول ﷺ بحديثه الذي رواه البخاري وابن ماجه عن ابن عباس: «الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنهى عن الكي»، وقال ﷺ في حديث رواه أحمد والطبراني والحاكم: «خير ما تداويتم به الحجامة».

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس قول الرسول ﷺ: «إن خير ما تحتجمون فيه يوم سابع عشرة أو تاسع عشرة ويوم إحدى وعشرين».

والحجامة من العادات الطبية التي استعملها العرب قبل الإسلام وعرفتها الأمم الأخرى من قديم، بقصد التداوي من الأمراض، فإن احتاج إليها الإنسان احتجم، وإن لم يحتج إليها لم يحتجم.

د. محمد محمود العطار

توبة واستغفار

يا رب أتوب إليك فاقبل توبتي
إليك استغفاري يا رب الورى والبرية
أرجع إلى بابك فأدم رجعتي
أستغفرك فأنت غفار قابل توبتي
غفار لذنبي أطرق الباب في ساعتي
فافتح لنا يا عظيم المن وامسح دمعتي
بعفو منك عن عبد فأنا أدمن زلتي
كلما استغفرت أراك تقول رحمتي
يا إلهي مالي سواك فأنا أسير شهوتي
أنت ربي وأنا على عهدك استطاعتي
خلقتني يا بارئ الكون فمنك خلقتي
أعوذ بك من شر فعلتي وصنعتي
أبوء بفضل وعافية ومنك نعمتي
وأبوء بذنبي يا رب فاغفر لي زلتي.

اللاءات السبعة

لا للقراءة! لا لمجالسة البغضاء، لا لحبس المشاعر، لا للغضب، لا للقنوط، لا لاتخاذ القرار أثناء الغضب، لا للجزع من المصيبة.

لا لقراءة الكتب التي تبعث في النفس السخط والقنوط والإحباط واليأس والتشاؤم.

لا لمجالسة البغضاء والثقلاء والحاقدين فإنهم يجرون للهم والغم والكدر والحزن.

لا لحبس المشاعر؛ فكبت المشاعر سبب للتوتر، ويحول دون الشعور بالسعادة.

لا للغضب؛ فالغضب فساد للمودة، وقطع للصلة، وفساد للمزاج، وإساءة للعشرة.

لا لاتخاذ القرار أثناء الغضب؛ فالغضب يفقد الصواب، ويفوت الرؤية، وينقص التأمل.

لا للاستقلال بالرأي: بل لابد من المشاورة، فما ندم من استشار.

لا للجزع من المصيبة: فكل مصيبة إلى زوال، ولولا كرب الشدة ما كانت فرحة الراحة.

محمد عباس محمد عرابي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:



alwaeiq8@gmail.com



صورة من وفاء الرسول ﷺ

الرسول ﷺ هو المثل الأعلى والقدوة المثلى لكل مسلم في خلقه وسلوكه وقوله وفعله، وسوف أركز هنا على صورة من وفاء الرسول ﷺ للسيدة خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها، تلك السيدة التي عرفت قدر زوجها قبل البعثة وبعدها، وقدرت صدقه وأمانته وإخلاصه وخلقه، حتى إنها كانت واثقة أن الله لن يخذله فحينما جاءها الرسول ﷺ بعدما نزل عليه الوحي أول مرة وكان خائفا يرتعد طمأنته بقولها: «والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» وكذلك كان الرسول ﷺ يعرف قدر زوجته وإخلاصها له، ولم ينس لها وقوفها بجانبه وتشجيعها له، وأنها كانت أول من آمن به، ولم تبخل عليه بمالها ولا برعايتها؛ فكانت خير زوجة لخير زوج، وكانت خير أم لأولاده ﷺ؛ وكان الرسول ﷺ يحبها، ولم يتزوج بأخرى إلا بعد وفاتها بسنوات، ويكثر من ذكرها حتى بعد وفاتها، ويثني عليها، وكان الرسول ﷺ يذبح الشاة فيهديها لأصحاب خديجة، وكان يرى في إكرام صاحباتها برا لها بعد وفاتها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة، فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت: «فأغضبته يوما، فقلت خديجة، فقال رسول الله: «إني رزقت حبها» (رواه مسلم).

وعن عائشة أيضا قالت: «ما غرت على أحد من نساء النبي ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: «إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد» (رواه البخاري).

ومن خلال الحديثين السابقين ندرك:

- ❖ مقدار عظمة الرسول ﷺ ووفائه وكرم خلقه.
- ❖ أهمية الاقتداء بالرسول ﷺ في سيرته وكل أخلاقه.
- ❖ أن الغيرة طبيعة فطرية في الناس، وأنها ليست بمستنكرة في أفاضل الناس.
- ❖ أنه يجب علينا ألا ننسى الذين وقفوا بجانبنا وساعدونا ولو بكلمة طيبة.
- ❖ أن اعتراف الإنسان بفضل الآخرين عليه لا يقلل من شأنه بل يزيده رفعة ومكانة

حسن عثمان حسن

مسك الختام

في رحاب الإحسان

المنهج الإسلامي منهج فريد في صناعة الإنسان، فريد في الأسس التي تقوم عليها حضارته، ولا تكاد تلتقي معه المناهج البشرية في المصدر والأساس، أو الغاية والوجهة، ولسنا بصدد سبر خصائص هذا المنهج الفريد الذي انمازت به الحضارة الإسلامية فآتت أكلها، وحسبنا أن نقف أمام خصيصة «الإحسان» باعتبارها ملمحًا من ملامح المنهج الإسلامي الفذة.

وهي خصيصة تتجلّى في شُعبه جميعها، وتستوعب مظاهره ومُعطياته كلها، ولا أروع في جلاء هذا الشمول من الحديث الذي رواه أبو يعلى شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» (رواه مسلم)، وإن قراءة الحديث في ضوء كلماته المفتاحية الثلاثة كفيل بأن يصلنا بالغاية من أقرب طريق: (كتب) (الإحسان) (كل شيء) فنحن أمام فريضة مكتوبة وواجب محتَّم، وليس نافلة أو ندبًا نأتي منه وندع حسب ما تزينه لنا أهواؤنا أو تسوله لنا رغائبنا، والمقصد من وراء تلك الفريضة ليس أي عمل كيفما اتفق، وإنما العمل في أجود صوره، وأفضل ما يبلغه طوق العامل وتسمح به ظروفه، وهو بعد هذا كله إحسان يطال كل شيء، فهو يحيط بالحياة في مفهومها الشامل المتراحب، فالإحسان في الشعائر والعبادات، والحكم والتشريع، والمعاملة والأخلاق، والسلم والحرب، بل في الحياة والممات، وإن المضي مع الحديث إلى آخره يكشف لنا عن روعة المَثَل المضروب كصورة من صور هذا الإحسان الذي تسري روحه في كل شيء، «فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»، فالإحسان في أحرج وقت وأصعبه، الوقت الذي تخرج به نفس زاهقة من تيار الحياة!

ولكن ما يضير الذبيحة أن يكون ذبحها مريحًا أو غير مريح؟ وما يؤودها أن تموت واقفة أو مستلقية؟ أو تلقى حتفها بشفرة مشحوذة أو صدئة؟! أليس هو الموت بعد لحظات وإن لقيت قبله شيئًا يسيرًا من التعب والعناء؟

إنها أسئلة قد نطرحها عندما نذهل عن حقيقة المنهج الإسلامي الذي يأبى إلا أن يطبع الحياة كلها بطابعه، من مبدئها إلى منتهاها، من صغيرها لكبيرها، في صورتها الحية النابضة أو الميتة الهامدة.

ويوم تنكّر المسلمون لهذا القانون تراجع عطاؤهم، وعجزوا عن القيام بمهمة الشهود الحضاري، وألقى بهم التاريخ في مؤخرة الركب يقتاتون على موائد الأمم، ويتسقطون فتات إنتاجهم الفكري والفلسفي.

ولا بديل -إذا أردنا النهوض- عن حتمية (صحوة إحسانية) في كل المجالات.. في العبادة والتزكية، والتربية والتعليم، والفكر والثقافة، والسياسة والإدارة، والحقوق والقضاء، والكسب والاقتصاد، وهي صحوة ترتكز على مبادئ المنهج الإسلامي ومنه تستمد، وإن صدقت النية وخلص القصد فسيرى التاريخ وثبة كوثبة حضارة الإسلام في عهده الباكر ونشأته الأولى، وما ذلك على الله بعزيز.

أحمد عبدالمقصود
كاتب وباحث تربوي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٧٠) جمادى الآخرة ١٤٤٢ هـ -فبراير ٢٠٢١م

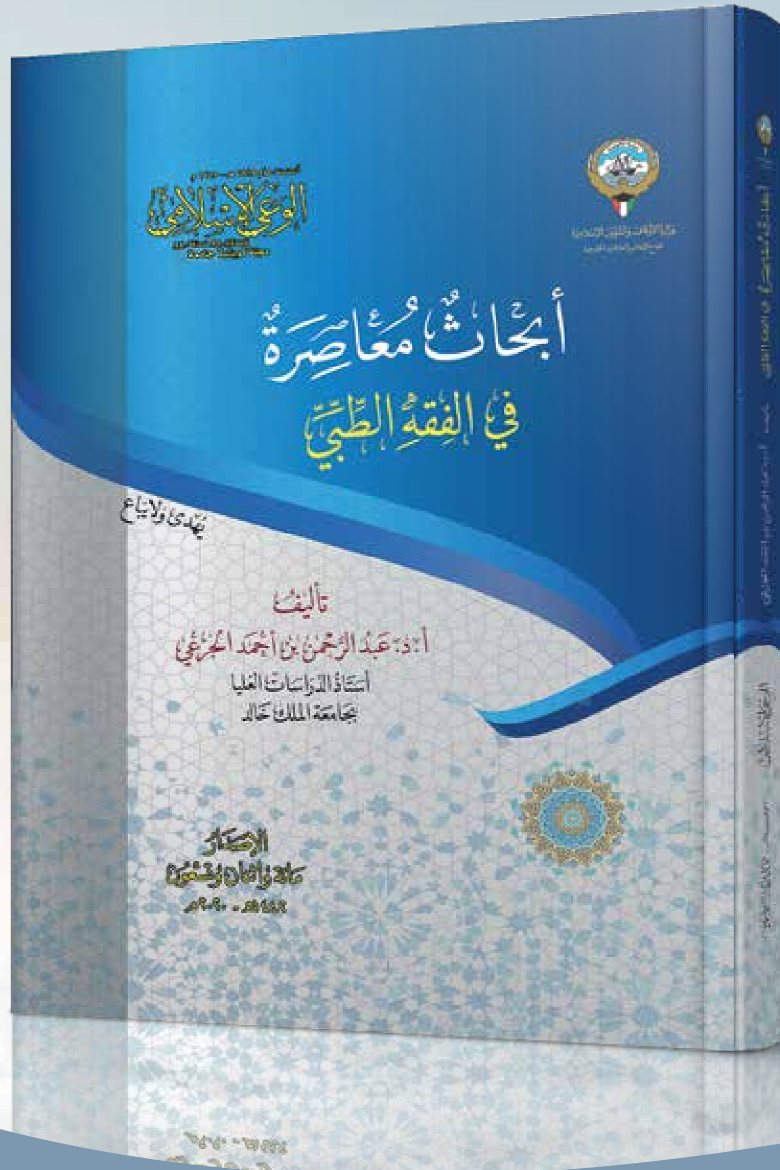
مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

الأيامُ الوطنيّةُ .. ذِكرى حافلةٌ بالإنجازات

- عهدٌ جديدٌ ومسيرةٌ لم تتوقفْ
- دوائرُ تأثيرِ الحضارةِ الإسلاميّة
- سياحةٌ حضاريّةٌ في عقولِ المفكّرين

مجلة الوعى الإسلامى  www.alwaei.gov.kw  alwaeiq8@gmail.com  موقع مجلة الوعي الإسلامي 

جديدنا



أبحاث مُعاصرة في الفقه الطبي

إصدارٌ علميٌّ فقهيٌّ مقاصِديٌّ يحتوي أبحاثًا مُعاصرةً في الفقهِ الطِّبِّيِّ، أعدَّها وقَرَّبها فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن أحمد الجِرعي حفظه الله؛ لتكون بمتناول الجميع للاستفادة منها.

والكتاب ضمن سلسلة الإصدارات النافقة المفيدة لمجلة الوعي الإسلامي ويحمل الرقم مئة وواحد وتسعين.



فهد محمّد الخزّي
رئيس التحرير

التحرير.. فضل من الله على البلاد والعباد

إن من فضل الله تعالى على بلدي الكويت أن أسبغ عليها نعما متجددة وعطايا متتابعة، وإن من هذه النعم التي امتن الله بها على هذه البلاد؛ نعمة التحرير من براثن غزو غاشم قتل وشرد وعبث بالممتلكات والخيرات، هذه الخيرات التي يتقاسمها أهل هذا البلد المسلم المسالم مع كثير من إخوانهم في شتى أرجاء المعمورة، فالحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان:٢٠).

إن هذه النعم المتجددة والعطايا الجليلة التي منَّ الله بها علينا تستوجب منا كمال الشكر للمنعم سبحانه، فشكره هو الواجب القويم والطريق الأمثل للمحافظة على هذه النعم واستمرارها وزيادتها؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم:٧). كما يستوجب منا هذا الفضل العظيم أن نهجر المعاصي والمنكرات التي تحول النعم إلى بلايا ورزايا، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «المعاصي نار النعم، تأكلها كما تأكل النار الحطب، عياذا بالله من زوال نعمته وتحويل عافيته» (انظر: طريق الهجرتين، ١/٢٧١).

هذا وقد منَّ الله علينا بالحفاظ على كرامتنا وأرضنا من خلال تكاتف ملحوظ لجميع أطياف المجتمع الكويتي الذين أحبوا قيادتهم وأحبوهم؛ وسخر لنا سبحانه أشقاءنا وأصدقاءنا من مختلف دول العالم؛ فنعمنا بالتحرير وطردنا الغزاة المعتدين، وأبدلنا الله بالكرامة بعد القهر، وبالأمن بعد الخوف، فما أعظمها من نعمة، وما أجلها من أعطية!

إن هذه البلاد المباركة المسلمة تستحق منا أن نقدم لها انتماء صادقا، ومواطنة صالحة، وذلك من خلال الحفاظ على عقيدتها وهويتها الإسلامية، وبث الخير في نفوس أبنائها والمقيمين على أرضها، وتحقيق قيم العدالة والكرامة والتنمية، ومحاربة الفساد وأهله، وعدم أكل أموال الناس بالباطل، ونبذ الفرقة والوقوف في وجه الفتن التي تؤدي إلى التنازع والتنافر؛ قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال:٤٦)، وقال نبينا ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا» (رواه الترمذي).

ولا ريب أن من أبرز النتائج الطيبة لأمن هذه البلاد واستقرارها؛ استمرار الأعمال المخلصة في مجالات البر والإحسان، وذلك من خلال المؤسسات الحكومية واللجان الخيرية، فيتم -بحمد الله وتوفيقه- مساعدة إخواننا من الفقراء والمساكين، وكفالة الأرامل والأيتام، وإغاثة المنكوبين في كل مكان، وإنها لمنة عظيمة أن يسخرنا الله لمساعدة إخواننا وتقديم العون لهم؛ فله -سبحانه- الحمد والفضل.

وختاما: فإنه يجب على كل مسلم الشعور بمسؤوليته تجاه بلده والأرض التي يعيش على ترابها، وتقديم النصح بما يقوم الأخطاء، ويصلح الخلل، ولا يثير الفتن، وهذا من باب التعاون على البر والتقوى، قال نبينا ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم)، سائلين الله لهذه البلاد نموا وازدهارا في ظل عهد جديد.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٧٠/ جمادى الآخرة ١٤٤٢ هـ
العام الثامن والخمسون
فبراير ٢٠٢١م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



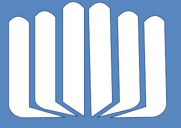
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

الإحسان هديتنا للكويت

تصل الكويت مع قيادة ربانها سمو الأمير الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح إلى محطة جديدة من محطات التقدم والازدهار، الإحسان فيها واجب على كل محب لهذا الوطن، حتى ننافس دول العالم ونهدي بلدنا في ذكرى احتفالاته بالاستقلال والتحرير أعمالا متقنة الصنع كل في مجال تخصصه وعمله.

وبعد أن استقر اسم الكويت كرائدة للعمل الإنساني العالمي هنا، أنت مسؤول عن استمرار بلدك في هذه المكانة التي أحرزتها بعرق السنين وجهود الآباء والأجداد في المنطقة والعالم بأسره، وهذا لن يتأتى إلا بالإحسان.

والمسلم في حياته عابد لله، كل في محرابه، فالطبيب في مشفاه، والمعلم في مدرسته، والعالم في معهده ومعمله، والعامل في عمله.. من أحسن نيته واستقام في عمله وأتقنه وراقب الله فيه كأنه يراه فهو عابد لله مأجور على ما يقدم من نفع لأمته، وهذا هو جماع الإحسان، ومن ضيع هذا المقام فقد أضاع أعلى مقامات العبودية، وأساس العلاقة بينه وبين خالقه.

صاحب الإحسان يأمنه الناس على أعمالهم وقضاء حوائجهم والتعاون معهم في مشروعات مشتركة، لأنه لن يفعل إلا الخير ولن يمر على مهمة مرور المتعجلين الناظرين إلى أعين الناس، بل إلى مقام التقوى للخالق وحده لا شريك له.

وقد ورد في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل وفيه: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧،٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

يونس المساوي
باحث دراسات إسلامية



بناء القيم في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه

قص الله، عز وجل، علينا قصة إبراهيم، عليه السلام، من شبابه إلى كبره، وهي قصة فيها من العبر الكثير. وقد كان أمة قانتا لله وما كان من المشركين، شاكرا، محتسبا، صابرا من أجل تبليغ دعوة الله، عز وجل، من دون كلل أو ملل، فقد وقف لوحده ضد قومه وأقرب الناس إليه، واجه قومه من أجل أن يقلعوا عن عبادة الأصنام ويتوجهوا إلى عبادة الله عز وجل. وتحمل علاقته مع أبيه مجموعة من القيم تساعدنا على تطوير العلاقة مع الآباء وبناء علاقة متينة على أساس الحوار والخدمة والتفاني في الأداء. ومن القيم التي تدور عليها القصة:

الخطاب اللطيف مع الآباء

بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم إلى أبيه، يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه، وهو يتحبب إليه فيخاطبه: «يا أبت»، فهذا خطاب فيه رقة وأدب جم مع الأب، رغبة في أن يكون ذلك مدعاة لاستجابته، وهذا خلق المؤمن ينادي بأحب الأسماء ويحاور بألطف العبارات وينصح بأحسن السبل، وليس الأمر تصنعا مع الوالد أو تكلفا،

وإنما هذا سجية المؤمن «انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم، والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقل، وانسلخ عن قضية التمييز، كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن»[1].

الخطاب العقلي المؤيد بالحجج

في حواره مع أبيه قدم لكل مقولة حججا، وجعل لكل مبتدأ خبرا، بشكل متسلسل وفق ترتيب متقن، فقد رتب إبراهيم، عليه السلام، كلمه ترتيبا منطقيا؛ لكل عبارة حكمة، ولكل مقام مقال، فقد ابتدأ بالسؤال مستنكرا على أبيه صنيعه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ (مريم:٤٢)، والأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى من هو أعلى من الإنسان وأعلم وأقوى، وأن يرفعها إلى مقام أسمى من مقام الإنسان وأسنى، فكيف يتوجه بها إذن إلى ما هو دون الإنسان؟! بل إلى ما هو في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان، لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ضرا ولا نفعا.. إذ كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام كما هو حال قريش الذين يواجههم الإسلام، ثم أخبره أنه مبعوث وأن ما يقوله موحى إليه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ (مريم:٤٣)، فهذا ليس طاعة للولد وإنما اتباع للهدى الذي جاء به من رب العالمين.

الحرص الشديد على نجاة الأب

كان إبراهيم، عليه السلام، حريصا على أبيه أشد الحرص؛ فهو يخاف أن يغويه الشيطان وأن يمسه عذاب النار، فدعاه إلى توحيد الله، عز وجل، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وأن ذلك سبيل الشيطان المفضي إلى عذاب الله، لكن الأب تشبث برأيه ودعاه إلى مفارقته والاعتزال عنه: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ (مريم:٤٧)، أخذ إبراهيم، عليه السلام، على نفسه الاستغفار لأبيه، برا بوالده رغم كفره وعصيانه له.

الثبات على الحق

من خلال القصة القرآنية يتبين أن الأب له مكانة عظيمة، ذلك أنه سبب وجود الابن، فهو من رعاه لما كان صغيرا وغرس فيه أول مبادئ الحياة وكيف يتحدى الصعوبات ويواجهها. وفي المقابل، نجد أن الابن له شخصية قوية، دافع عن رأيه ولم تزعزعه أنفة الأب أو تجبره أن يتنازل عن قراره لمجرد أن الأب عارضه، فقد حمل موقفه واعتزل قومه بعدما أنهى مهمة التبليغ التي أمره الله بها، فصار مثلا يضرب في الصبر على الحق.

الهوامش

١- التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج٦، ص:١٩٢.



د. محمد إبراهيم العشماوي
الأستاذ بجامعة الأزهر

يوسف وامرأة العزيز

تأملات في قصة المراودة..

قص الله تعالى علينا في القرآن قصة مراودة امرأة العزيز يوسف عن نفسه، وفي تأملها من الدروس والعبر ما يفيد أن حياء المرأة هو الفطرة السوية التي فطرها الله عليها، وهي التي تجعلها مرغوبة من الرجل الذي يحاول الوصول إليها، ويبذل في طلبها الغالي والنفيس، فإن انحرفت المرأة عن هذه الفطرة؛ صارت هي التي تطلب الرجل، وتراوده عن نفسه، وتتهيأ له، وتغلق الأبواب عليه، وتطارده في كل مكان، وفي هذا من المهانة للمرأة وجرح كرامتها ما فيه!

وقديما كان الشعراء يتغنون بالمرأة في أشعارهم، ويتوسلون إليها أن تراعيهم بنظرة أو ابتسامة أو كلمة، واليوم المرأة هي التي تتغنى بالرجل، وتطلب وصله، وتشكو هجره، كما تسمع في كثير من الأغاني العصرية!

وما ذاك إلا من انتكاس الفطرة، التي أورثتنا إياها الحضارة الغربية الشاذة!

وتعتبر الشهوة من أشد مظاهر الضعف الإنساني ولا تعرف الفرق بين الرجل والمرأة، ولا المتزوج والعزب، ولا السيد والخادم، إذا تهيأت لها الأسباب، وغلقت عليها الأبواب، وأنها إذا استبدت بأحد لم يبال بزوج ولا منصب ولا عرض ولا شرف ولا كرامة ولا عرف ولا شرع ولا قانون، ثم يفيق على فواجع، ما لها من دافع!

كما أن خطر وجود الخادم في المنزل، مع كثرة تغيب الرجل، وانشغاله عن المرأة بمسؤولياته، وكون المرأة منعمة مرفهة مترفة مخدومة، فهي فارغة البال مما يشغل غيرها من النساء، ومن كانت كذلك يسهل وقوعها أو إيقاعها، والفراغ من أعظم المصائب التي يبتلى بها المرء، إذ هو مصيدة الشيطان للإنسان، ونفسك إن لم تشغلها بحق شغلتك بباطل!

وسل الفراغ عن تلك المحادثات السرية بين الرجال والنساء والشباب والفتيات، على برامج وتطبيقات ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة!

وسله عن جرائم الاغتصاب وهتك العرض وإشاعة الفاحشة!

وسله عن صفحات اللهو واللغو والباطل والرفث والفسوق والعصيان!

فالفراغ هو المتهم الأول في كل هاتيك الجرائم وغيرها!

والفراغ سمة غالبة في حياة المترفين، وقد قص القرآن علينا صورة من هذا الفراغ، في المجلس النسائي الذي عقدته امرأة العزيز للنسوة في المدينة؛ لتشهدهن جمال فتاها يوسف، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن، وقطعت ألسنتهن أيضا عن الخوض فيها!

فهل هذا إلا صورة موغلة في التفاهة من حياة المترفين، كتلك التي تصورها لنا الأعمال الدرامية؟!

وتمكن المرأة من الخادم أشد من تمكنها من غيره من الرجال؛ لأنها سيدته ومالكة أمره، تأمره فيطيع، وهي أكثر اجتماعا به من غيره، وهو في بيتها، فالتهمة عنها منتفية، وقد قيل لامرأة شريفة من العرب: ما حملك على أن زنيت بعبدك؟ قالت: طول السواد، وقرب الوساد!

ولذلك حذر النبي ﷺ من دخول الأحماء -أقارب الزوج والزوجة من الرجال- على النساء وحدهن في البيوت؛ لأن الحمو لا يرتاب فيه أحد لقرابته من الزوج أو الزوجة، مع أنه قد يكون أعظم فسادا من غيره، وسماه النبي ﷺ موتا، وقال: «الحمو: الموت».

وكم من أعراض انتهكت باسم القرابة وصلة الرحم!

إن استبداد الشهوة بالإنسان يدفعه إلى تهيئة الجو المناسب لإفراغها، فتتزين المرأة للرجل ليكون أدعى إلى رغبته فيها، وتغلق الأبواب خوفا من الفضيحة، أو خشية اطلاع الرقباء، فتتنغص اللذة عليهما، وهذا المعنى لو تدبره العاقل لعلم أن فضيحة الآخرة أعظم، لأنها سيشهد عليها جميع الخلائق، وتنطق بها الجوارح، ورقابة الله أتم؛ لأنها لا تغيب لحظة، ولا يفوتها شيء!

وإن الرجل لا يزني وإن تهيأت له أسباب الزنا، ولا يخون من أحسن إليه؛ ولهذا

قال سيدنا يوسف لما عرضت عليه نفسها وتهيأت له: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (يوسف:٢٣).

يعني بربه -في أصح القولين- سيده وهو عزيز مصر، زوجها؛ فإنه أكرم مثواه، وأحسن إليه، وقال لامرأته: «أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا»، فخيانته في زوجته ظلم له، والظالم لا يفلح، وهكذا فليفعل الأحرار، الشرفاء!

وليست عزوبة الشاب سببا لوقوعه في الزنا، ولا زواج المرأة بأجمل الرجال وأغناهم وأوجههم؛ بعاصم لها من الفاحشة!

وإن الشاب ليصرف عن الفاحشة -وقد تهيأت له- بأسباب، منها العناية الإلهية، وهو المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ (يوسف:٢٤).

ومن مظاهر العناية سوق البراهين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ (يوسف:٢٤).

ثم بالاستعاذة بالله والتحصن بحماه، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾.

ثم باستحضار الأسباب المانعة من الوقوع في الفاحشة، كسابقة الإحسان، حسبما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾.

ثم بتيقن أن المعصية ظلم، وأنه لا يفلح الظالمون، فالعاصي مهدد ومتوعد بالخسران فيما يستقبل من عمره، وهو الذي تشهد له وقائع العصاة والظلمة في كل زمان ومكان!

ثم بالفرار من مكان المعصية، كما قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ﴾ (يوسف:٢٥)..

وهنا لا ينقضي العجب من تلك المرأة التي استبدت بها نار الشهوة، فراحت تلاحق الشاب وهو يحاول الفرار منها، وتسابقه إلى الباب المغلق لتمنعه من الخروج، فلابد من قضاء الوطر، مهما ديست الكرامة، وضاع الشرف، وتنكست الرأس، وهكذا تفعل المعصية بأهلها، تتركهم صرعى الذل والهوان!

وقد تحدث جريمة قتل عند المنازعة، كما تراه في حوادث الاغتصاب

كم قتيل لشهوة وأسير
أف من مشتهي خلاف الجميل
شهوات الإنسان تورثه الذل
وتلقيه في البلاء الطويل

إن تدبير الله لعبده الصادق في عبوديته -لإنجائه من الفتن- من أعظم التدبير، فقد دبر ليوسف أمر نجاته، فدخل زوج المرأة عليهما في الوقت المناسب وهما يتدافعان عند الباب، وشهد شاهد من أهلها بما يبرئه، وقامت القرائن الواضحة على براءته.

ومما امتحن الله به عالم النساء أن جعل كيدهن عظيما، وهذا الكيد من الحيل الدفاعية التي يزود الله بها الضعفاء من خلقه، فقد عوض الله المرأة عن ضعفها البدني بقوة الكيد، التي تفتك به بأعظم الرجال!

ولابد في كل جريمة من متهم وبريء، والعدل يقتضي أن يتهم المتهم ويبرأ البريء، فأما أن يعاقب البريء بغير ذنب، رغم ثبوت براءته، ويبرأ المتهم بلا عقوبة، رغم ثبوت تهمته؛ فهذا هو الظلم الذي تنشق له الأرض، وتخر الجبال هدا!.

عوقب يوسف المظلوم، وأودع السجن، وتم التنبيه عليه بأن يعرض عن هذا الحديث، وبرئت امرأة العزيز الظالمة، واكتفي بالتنبيه عليها بأن تستغفر لذنبها؛ أنها كانت من الخاطئين!

وإن تعرض الرجل -لاسيما إن كان وجيها- لما يطعن في شرفه؛ يجعله في حيرة من أمره، هل يختار الفضيحة، فيتهاوى مركزه الاجتماعي، ويصبح محلا للقيل والقال وكثرة السؤال، أم يختار الستر، ويحيا على مضض؟!

وفي الغالب فإنه يجنح إلى الخيار الثاني، طلبا للمتاع الفاني!

وأيا ما كان الأمر فقد قص علينا القرآن قصة أسرة مترفة، بيدها مقاليد الأمور، وعناصر القوة المادية: الثروة والسلطة والحسب والجمال، وباجتماع هذه العناصر الأربعة -وهي عناصر القوة المادية للإنسان- تجتمع عليه أسباب الضعف النفسي، وكفى بالتاريخ شاهدا!



تحقيق
نادر أبو الفتوح

وثيقة المدينة نموذجا

حقوق الإنسان في السنة النبوية

حملت نصوص الشريعة الإسلامية الضوابط والقيم التي تحفظ حقوق الإنسان، وذلك قبل ١٤ قرنا من الزمان وقبل كل الدساتير والمواثيق الدولية في هذا المجال، بهدف ترسيخ هذه الحقوق والضوابط لحفظ الكرامة الإنسانية، وتضمنت وثيقة المدينة التي وضعها الرسول ﷺ في المدينة، الكثير من الحقوق والواجبات، وقد أقرت هذه الوثيقة حرية العقيدة والتعايش السلمي وقبول الآخر وغيرها من الحقوق، وأن سماحة وعظمة الإسلام قد أوجبتا هذه الحقوق.

ومن جانبهم أكد عدد من علماء الفقه والشريعة الإسلامية، أن منهج الإسلام في حفظ حقوق الإنسان دليل على أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وأن الإسلام سبق النظم الحديثة التي طالبت بحقوق الإنسان، وهذا يؤكد ضرورة احترام الإنسان بعض النظر عن الدين أو الجنس أو العرق، لأن مبادئ الشريعة الإسلامية قامت على كليات خمس، وهي حفظ الدين والنفس والمال والعقل والعرض.

من ثوابت الشريعة

وأكد الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن مقاصد ومبادئ الشريعة الإسلامية قد شملت حقوق الإنسان بشكل عام، وأوجبت حقوقا يقابلها واجبات، وحذرت من الجور والظلم، وأكدت على حرمة الدماء، فقال تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا



﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾ (المائدة:٣٢)، كما أكدت نصوص الشريعة الإسلامية على حرمة المال العام والخاص، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٨).

ويضيف أنه ليس هذا فحسب بل إن الشريعة الإسلامية حددت حقوق الأبناء على الآباء، وشددت على أن يختار الأب الزوجة الصالحة لأنها ستكون أما لأولاده، وأن تختار الزوجة الزوج الصالح، وحذرت الشريعة الإسلامية من عقوق الوالدين وجعلته من الكبائر، كما حددت العلاقة بين العامل وصاحب العمل، فالعامل يجتهد ويخلص وصاحب العمل يعطي الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، كما حفظت الشريعة حقوق الجار سواء كان مسلما أو غير مسلم، وأوجبت كذلك حقوق المرأة والطفل وذوي الاحتياجات وكبار السن والمرضى، بل وضعت الشريعة ضوابط واضحة تحدد علاقة المسلم بغير المسلم سواء داخل البلاد الإسلامية، أو في حال أن المسلم يعيش في بلاد أغلبها من غير المسلمين، وذلك بهدف أن يتحقق الاستقرار والأمن والسلام الاجتماعي في المجتمعات، وأوجبت الشريعة على المسلم أن يتعامل مع غير المسلم في كل الأمور إلا الأمور التي تخالف تعاليم الشريعة الإسلامية.

وثيقة المدينة

وقال الدكتور نبيل السمالوطي عميد كلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر بالقاهرة سابقا في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن وثيقة المدينة هي أول وثيقة في التاريخ تعلي من قيم المواطنة والتعايش السلمي، وتحفظ حقوق الإنسان المسلم وغير المسلم، وقد أوجبت وثيقة المدينة الحرية للجميع وحذرت من الاعتداء على حقوق الآخرين، وإن العالم حاليا في حاجة للاستفادة من هذه المعاني الإسلامية التي حفظت الحياة وحققت الاستقرار للجميع، وإن أي تجاوز في الحقوق والواجبات مرفوض، طالما أن الجميع يعيش في تسامح ويحترم الضوابط العامة والقيم والأخلاق، ولا يتطاول أو يتجاوز في حق ومعتقدات الآخرين، والمؤكد أن وثيقة المدينة المستمدة من شرع الله تعالى تفوق بمبادئها كل الدساتير الموجودة في العالم حاليا، وأنها تضمنت مراعاة حقوق المسلمين وغيرهم بالمدينة بما لم يتضمنه دستور في العالم الآن، وهذا يشهد للدين الإسلامي بسموه على كل التشريعات الحديثة في هذا المجال ومراعاة الحقوق الإنسانية، وذلك بجانب خطبة الوداع التي حملت أيضا حقوقا تمنع ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، هذا بجانب الكثير من الأحاديث والنصوص القرآنية التي تعد جزءا من عقيدة المسلم.

نماذج من التاريخ الإسلامي

ويوضح الدكتور عبدالمقصود باشا أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر بالقاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن التاريخ الإسلامي حمل الكثير من المواقف التي تجسد حماية حقوق الإنسان، ومنها أن النبي الكريم ﷺ ضرب المثل في احترام الممتلكات الخاصة عندما اشترى الرسول ﷺ أرض اليتيمين في المدينة لإقامة مسجده عليها، بل فاوضهما في شرائها وعرضه ثمنا لها، رغم رغبتهما في التبرع بها لهذا الغرض، وكذا فعل خلفاؤه من بعده، حيث احترموا الملكيات الخاصة للغير، كما أن الإسلام جعل للمرأة ذمة مالية مستقلة عن ذمة زوجها ووليها، ومنحها حق إبرام العقود والتصرفات، ومزاولة الأعمال المختلفة، وكفل لها حرية التعبير عن رأيها أسوة بالرجل في كل ذلك.

كما منح الإسلام غير المسلمين في الدولة الإسلامية جميع الحقوق التي يتمتع بها المسلمون، فأمنهم على أنفسهم وأموالهم وذويهم، وجعل لهم حق مزاولة الأعمال، والتوظيف في مؤسسات الدولة الإسلامية والعمل بها، وحق مزاولة الأنشطة المختلفة، وكفل لهم حرية التعبير عن آرائهم في كل ما يتعلق بالدولة التي يقيمون بها، ومكنهم من إقامة أماكن عبادتهم، ولم يتعرض لهم في إقامة شعائر دينهم.

ووجه رسالة للمجتمع الدولي أكد فيها أن الإسلام هو دين التسامح والتعايش السلمي وقبول الآخر المخالف، وأن الشريعة الإسلامية ضد العنف والتخريب، بل إن الإسلام يطالب المسلم الذي يعيش في بلاد أغلبها من غير المسلمين، أن يلتزم بالضوابط والقيم وأن يقدم صورة حضارية للإسلام، وأن يحترم عقائد الآخرين، وأن يحافظ على حرمة الممتلكات الخاصة والعامة، لأن هذه هي تعاليم وشريعة الإسلام الخالدة التي تحمي الحقوق والواجبات، ليس كرد فعل بل لأنها تعاليم الحق سبحانه وتعالى الذي خلق الناس جميعا وكرم بني آدم.

فهد الشمري
صحافي وباحث



مع فرحة ذكرى التحرير والاستقلال نقول لهم:

شهداء وشهيدات الوطن.. أنتم في القلب دوما

يتذكر أبناء الوطن كل الشهداء الذين ضحوا من أجل أن ينعم الجميع بحرية وسلام ورغد عيش.. يتذكر الأبناء ما قام به الأجداد الأبطال وفي كل عام مع اكتشاف رفات شهداء جدد تتجدد الذكريات، وهذه المرة مع تشييع الكويت بمراسم عسكرية ١٣ من شهداء الوطن الأبرار، الذين ضحوا بأرواحهم خلال الغزو الغاشم عام ١٩٩٠م، نقلب في دفتر الذكريات ونختار حديثا عن شهيدات من شهداء الوطن أمثال أسرار القبندي، وسناء الفودري، ووفاء العامر، وسعاد حسن، فهنيئا لمن نال الشهادة من ذكر أو أنثى، وهنيئا للكويت جندها وشعبها والمحبين لها.

في يناير الماضي، وبعد أن تم تسلم رفاتهم من العراق والتعرف على هوياتهم بوساطة البصمة الوراثية، ضم ثرى الكويت ١٣ من الشهداء. وتقدم جموع المشيعين في مقبرة الصليبيخات أعضاء من الحكومة التي قدمت استقالتها أخيرا، ومنهم نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع الشيخ حمد جابر العلي، ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء أنس الصالح، ووزير الداخلية الشيخ ثامر العلي، ووزير المالية خليفة حمادة ووزير الدولة لشؤون الإسكان ووزير الدولة لشؤون الخدمات الدكتور عبدالله معرفي، ووزير التربية ووزير التعليم العالي الدكتور علي المضف وكبار القيادات العسكرية وذوي الشهداء. وقدم الوزراء تعازيهم لأهالي الشهداء الأبرار، سائلين العلي القدير أن يتغمدهم بواسع رحمته وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان. ونوهوا ببطولات هؤلاء الأسرى والمفقودين الذين



ضحوا بأنفسهم من أجل الكويت، وضربوا مثالا رائعا في الوطنية والفداء وسجلوا أسماءهم في سجل الشرف والبطولة، بعد أن واجهوا الموت بكل شجاعة وبسالة في سبيل رفعة هذا الوطن العزيز وسلامة أراضيه.

وكان رئيس لجنة شؤون الأسرى والمفقودين في وزارة الخارجية ربيع العدساني قال إنه تم تحديد مصير ١٣ شهيدا من الأسرى والمفقودين، وذلك بالتعرف على هوياتهم من خلال استمرار عملية الاستعراف بالتحليل الجيني للبصمة الوراثية، الذي تقوم به الإدارة العامة للأدلة الجنائية بالوزارة على الرفات التي تم جلبها من العراق لينضموا إلى قائمة شهداء الكويت ممن سبق أن تم الإعلان عن التعرف على رفاتهم وإن كانت جثامين الشهيدات اللاتي تحدثنا عنها قد سبقت هؤلاء الأبطال إلى الثري في وقت الغزو، إلا أن الحديث عنهن لايزال نافذا في النفوس مؤثرا أيما تأثير فيها.

الشهيدة أسرار القبندي

من مواليد ٢٣ نوفمبر ١٩٥٩م منطقة شرق، استشهدت في ١٣ يناير ١٩٩١م عن ٣١ سنة.. حصلت أسرار على ثلاث شهادات ماجستير، بالإضافة لخبرتها الواسعة في التكنولوجيا وعرفت بدورها البارز في المقاومة الكويتية.

ولدت أسرار القبندي تحديدا في فريج العاقول بمنطقة شرق، ودخلت روضة الملهب في شرق ثم المدرسة الشرقية الابتدائية، فمدرسة الخنساء المتوسطة، وبعدها ثانوية الجزائر، ثم انتقلت إلى ثانوية جمانة بنت أبي طالب في ضاحية عبدالله السالم، حيث لم تكمل الثانوية العامة في الكويت والتحقت بدورة للغة الإنجليزية في مدينة توروكي بإنكلترا من يوليو حتى سبتمبر عام ١٩٧٧م، وفي يناير من عام ١٩٨٠م سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث نالت الثانوية العامة ثم درست الكمبيوتر في مدينة كيرلي بولاية كولورادو، وعادت للكويت عام ١٩٨٦م وعملت في وزارة الخارجية، ثم انتقلت للعمل الخاص وافتتحت حضانة خاصة لرعاية الأطفال. وفي عام ١٩٨٧م أسست أول مدرسة من نوعها في الكويت خاصة برعاية ذوي الإعاقة الذين يعانون من الشلل الدماغي.

ووفقا للموسوعة الحرة بدأت رحلة نضال أسرار منذ الليلة الأولى للغزو العراقي، حيث انضمت للمقاومة الكويتية والتي تشكّلت بشكل عشوائي وسريع من قبل أبناء الكويت. وباشرت عملها النضالي، فكانت تقوم برعاية الأجانب من الأمريكيين والأوروبيين، ممن وضعتهم السلطات العراقية هدفًا. بالإضافة إلى أنها عملت كحلقة وصل بين الكويت والقيادة الكويتية الشرعية في السعودية، لتزويدهم بالمعلومات الأساسية. كذلك قامت بإعداد الكثير من التقارير العسكرية المهمة وإرسالها للقيادة الشرعية بالتعاون مع بعض العسكريين الكويتيين، كما قامت باستخراج ديسكات مركز المعلومات المدنية وكذلك البنك المركزي، ووزارة الخارجية ووزارة الداخلية.

استطاعت أسرار بفضل خبرتها بالتكنولوجيا اختراق الحصار الإعلامي، بعد أن توصلت إلى شيفرة خاصة في جهاز الستالايت لمخاطبة العالم فأخذت تخاطب الوكالات العالمية موضحةً ما يدور في الكويت من قتل ونهب دمار وانتهاكات.

كما قامت بإيصال المكالمات الدولية عبر جهاز الستالايت من وإلى الكويت لبعض الأهالي الذين فقدوا أقاربهم بالخارج أو بالداخل. وقامت بجمع بعض الجاليات الأوروبية والأمريكية حيث مكّنتهم من التواصل مع حكوماتهم.

تم اعتقال أسرار في يوم ٤ نوفمبر ١٩٩٠م في نقطة تفتيش عند تقاطع مشرف وبيان وتم أخذها للمشاتل، وهو أحد الأماكن التي اتخذتها القوات الغازية في الكويت كمعتقل للشباب الكويتيين. بقيت أسرار في الأسر لمدة ٧٢ يومًا قاست خلالها أبشع طرق وأساليب التعذيب.

وفي يوم ١٤ يناير ١٩٩١م تم إعدام أسرار محمد القبندي على يد القوات الغازية، وقاموا برمي جثتها عند باب منزل والدها.

الشهيدة الفودري

أما الشهيدة سناء عبدالرحمن حسين

الـفـودري، فـمـوالـيـد سـنـة ١٩٦٩م واستشهدت في ٨ أغسطس ١٩٩٠م وهي مناضلة كويتية. شهيدة من شهداء الكويت، ولـدت في منطقة السالمية. كانت طالبة في كلية التكنولوجيا. توفيت على يد القوات العراقية أثناء غزو الكويت. وتعتبر سناء أول كويتية تستشهد في المظاهرات المناهضة لغزو الكويت.

وكـانـت مـن بـدايـة الـغـزو ثـائـرة على جنود الغزو، ففكرت في المقاومة من خـلال الـقـيـام بـمـظـاهـرات مناهضة ورافضة للغزو على بلادها، وتزعمت جـمـوع غـفـيـرة مـن الـكـويـتـيـات بـدأت بجمع صديقاتها وإخـوانـها وأخوتها وساكني منطقة الجابرية وخرجوا في مظاهرات بمنطقة الجابرية، وكانت تقول يجب أن نعمل شيئا حتى يعرف صدام أننا غير راضين عليه، ولن نقبل إلا بحكم آل الصباح وكانت تخرج ٣ أيام متتالية، وفي اليوم الثالث الموافق (٨ أغسطس)، قامت سناء واغتسلت وخرجت للمظاهرة الساعة الخامسة وخـمـس دقـائـق مـسـاء، وفـي الساعة السادسة إلا ثلث، قام الجنود العراقيين بإطلاق النار من مدافعهم الرشاشة عـلـى جـمـوع الـمـتـظـاهـريـن لتفريقهم، فأصيبت سناء برصاصة في بطنها وأخذت تؤشر لوالدتها أن تتراجع حتى لا تصاب بأذى، فجاء أحد الجنود من الجيش العراقي الشعبي، وأطلق عشر رصاصات على جسد سناء وتوفيت في الحال، وقد حملها أخوها بعد ذلك، إلى مستشفى مبارك الكبير وتم دفنها في مقبرة الصليبخات، وأفاد شهود العيان أن رائحتها كانت رائحة المسك، وبعد دفنها جـاء الأهـل إلـى المنزل وأخـذوا يقلبون أوراق الشهيدة سناء فوجدوا ورقه بجوار سريرها مكتوب فيها «.. أنها تحب والديها وأهلها وتظن أنها سوف تستشهد قريبا..».

الشهيدة العامر

وأما وفاء العامر مواليد ٣ مايو ١٩٦٧م فقد استشهدت في ٦ فبراير ١٩٩١م، وكانت تعمل كفنية أشعة بوزارة الصحة العامة بعد تخرجها من كلية الدراسات التكنولوجية التابعة للهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، أعدمت من قبل قوات الاحتلال بشنقها، وذلك بعد أن ألقي القبض عليها في ١١ يناير ١٩٩١م في منطقة قرطبة وهي تساعد المقاومة الكويتية ضد العراق، وأيضًا ساعدت بتوفير المنازل لشباب المقاومة الكويتية، وألقت جثمانها بعد أن لف بعباءتها التي خرجت بها من المنزل حين اعتقالها.

الشهيدة الحسن

من ناحيتها حكت والدة الشهيدة سعاد حسن آمنة الكندري في تصريح سابق لوكالة الأنباء الكويتية (كونا) أن إيمان الشهيدة سعاد بـالله وحبها وولاءهـا لوطنها وأميرها وقـوة الـوازع الديني لديها وإيمانها بالمكانة الرفيعة للشهيد فـي الـديـن الإسـلامـي، جعلها تقدم روحها ودمها فداء للكويت وشعبها، وأضـافـت أن الشهيدة سـعـاد كانت متدينة وتـؤدي الفروض الدينية منذ طفولتها؛ الأمر الذي أثر على تربيتها وجعلها على استعداد للتضحية بنفسها فـداء لوطنها وأمـيـرهـا، موضحة أن الشهيدة كانت على يقين بعودة الكويت وتحريرها من الغزاة، إذ أبدت تماسكا ورباطة جأش منذ تلقيها خبر الغزو رغم هول الكارثة لإيمانها بعودة الحق لأصحابه.

وذكرت أن سعاد التحقت بمجموعة (٢٥ فبراير) المقاومة والتي قادتها الشهيدة أسرار القبندي، حيث قامت بنقل الـغـذاء والأسلحة والنقود إلى أعضاء المقاومة الكويتية قبل أن تعتقل وتستشهد في السادس من فبراير عام ١٩٩١م، وتم إعدامها من قبل القوات العراقية، حيث وجد جثمانها ملقى في إحـدى ساحات منطقة (كيفان). وأوضحت الكندري أن القوات العراقية المحتلة قـامـت باعتقالها مـع ابنتها الشهيدة سعاد في العاشر من يناير عام ١٩٩١م بتهمة انتساب سعاد إلى المقاومة، ثم أطلق سـراحـهـا مع احتجاز الشهيدة في مخفر (العديلية)، حيث نقلوها بعد ذلك إلى مبنى محافظة العاصمة، ثم إلى سجن الأحداث في منطقة (الرابية) قبل إعدامها.

وفـي الختام يمكن القول إن ملحمة تحرير دولة الكويت من الغزو الغاشم عام ١٩٩١م شكّلت مفصلا مصيريا للبلاد وأهلها وتوثيقا لحقبة مهمة مـن تـاريـخـهـا، وكـانـت بـحـق منطلقا لرسالة سامية كتبها شهداء وشهيدات الـكـويـت بـدمـائـهـم الـزكـيـة عنوانها الشهادة ولونوها بأروع صور التضحية والـفـداء مـن أجـل الـوطـن. ولما كانت الشهادة أسمى درجات التضحية، فإن الاستشهاد من أجل الوطن يحمل بعدا ذا قيمة إنسانية عالية، وهذا ما جسده شهداء وشهيدات الكويت إذ حملت تضحياتهم أبعادا أكثر عمقا عندما امتزجت دمـاؤهـم على أرض الوطن دفـاعـا عـنـه وعـن شـرعـيـتـه، وكثيرة هـي الحكايات التي توثق بطولاتهن والتضحية بدمائهن التي أريقت فداء للوطن ودفاعا عن حريته وكرامته.

وتـنـاقـل أهـل الـكـويـت بـكـل الفخر حكايات التضحية والبطولة والفداء التي قدمتها الشهيدات مثل أسـرار الـقـبـنـدي، ووفـاء الـعـامـر، وسـنـاء الـفـودري، وغيرهـن اللـواتـي سطرن أسمى آيات البطولة في الدفاع عن الوطن ومقاومة الاحتلال من خلال الانضمام إلـى المقاومة الكويتية أو تنظيم المسيرات المناهضة للاحتلال، حيث عرف عنهن الشجاعة والبسالة في التصدي للمحتل وصولا إلى نيل الشهادة.



إعداد: التحرير

المصالحة الخليجية فرحة تتوج المساعي الكويتية

لا شك أن دولة الكويت لها السبق في المصالحة الخليجية التي أنعم الله بها على الأشقاء في الخليج العربي أخيرا.. بدأت المباحثات المثمرة في أواخر عهد الأمير الراحل قائد العمل الإنساني الشيخ صباح الأحمد، وواصلها باقتدار وحنكة سمو الأمير نواف الأحمد، حفظه الله ورعاه.

وقد أعرب أمير الكويت الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، عن الشكر والتقدير لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز: «على ما بذلته المملكة العربية السعودية بقيادته الرشيدة وحنكته المعهودة، في سبيل تحقيق الإنجاز التاريخي بالوصول إلى الاتفاق النهائي لحل الخلاف الخليجي».

وأكد أمير الكويت في رسالة بعثها إلى خادم الحرمين الشريفين «أن تمثيل المملكة العربية السعودية للأشقاء في دولة الإمارات العربية المتحدة ومملكة البحرين وجمهورية مصر العربية، إنما يعكس المكانة المرموقة لها ودورها الرائد في سبيل السعي لدعم أمن واستقرار المنطقة، وحرصها على التكاتف ووحدة الصف في ظل الظروف الدقيقة التي يعيشها العالم والمنطقة».

وقال: «إن ما تم التوصل إليه بين الأشقاء يعد إنجازا سعيد لكياننا الخليجي وعملنا العربي المشترك وحدته وتماسكه، في مواجهة التحديات التي تعصف بالعالم أجمع، وبما يمكننا من العمل معا في سبيل تحقيق آمال



وتطلعات شعوبنا المشروعة بالأمن والاستقرار والازدهار والرفاه»، معربا عن «خالص تمنياته للمملكة وشعبها الكريم بدوام التقدم والازدهار، في ظل القيادة الحكيمة لخادم الحرمين الشريفين».

كما استذكر الجهود الخيرة والبناءة لأمير الكويت الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، في مساعيه لرأب الصدع الخليجي.

وألقى وزير الخارجية الكويتي، الدكتور أحمد ناصر المحمد الصباح، بيانًا بشأن المصالحة الخليجية القطرية، قائلًا: «بسم الله الرحمن الرحيم بمناسبة انعقاد قمة مجلس التعاون لدول الخليج العربية التي سيتم عقدها في محافظة العلا بالمملكة العربية السعودية، أجرى صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، أمير البلاد المفدى، اتصالا هاتفيا بأخيه صاحب السمو الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، أمير دولة قطر، وأخيه صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، ولي العهد السعودي، وقد تم التأكيد خلال الاتصال على حرص الجميع على وحدة الصف ولم الشمل وجمع الكلمة من خلال توقيع بيان «العلا»، الذي يعد -بحول الله- إيذانا باستهلال صفحة مشرقة في العلاقات الأخوية، خالية من أي عوارض تشوبها».

وتابع أنه «بناء على اقتراح صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الصباح، أمير الكويت، تم الاتفاق على فتح الأجواء والحدود البرية والبحرية بين السعودية وقطر، اعتبارا من مساء اليوم، وقد عبر سموه عن بالغ شكره وامتنانه للملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، وولي العهد السعودي على ما يوليانه من اهتمام بالغ لإنجاح أعمال القمة، كما عبر سموه عن ثقته في حرص الأشقاء قادة دول المجلس وجمهورية مصر العربية، أن تكون هذه القمة قمة مصالحة تعزز اللُّحمة وتقوي المسيرة المباركة للتضامن وتكفل إنهاء العارض، ومفتتحًا إلى كل ما فيه خير لدول المجلس وجمهورية مصر العربية الشقيقة، ومعالجة كل الموضوعات ذات الصلة وعودة الأمور إلى طبيعتها بما يضمن التعاون والتكاتف، ويضمن تكثيف أواصر الود والتآخي».

نجاح قمة العلا

وقد نجحت الكويت بجهود وساطة دامت أكثر من ٣ سنوات، في تمهيد الطريق لمصالحة خليجية، بإعلانها اتفاق السعودية وقطر على إعادة فتح الحدود والأجواء بينهما. فعقدت القمة الخليجية الـ٤١ في مدينة العلا شمال غربي السعودية، بحضور أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، الذي يشارك للمرة الأولى منذ أكثر من ٣ سنوات.

من جهته، كشف وزير الخارجية السعودي أن حلفاء المملكة في الأزمة الخليجية «على الخط نفسه» فيما يتعلق بحلها، متوقعا التوصل قريبا إلى اتفاق نهائي بشأنها.

وقال: «نتعاون بشكل كامل مع شركائنا فيما يتعلق بهذه العملية، ونرى احتمالات إيجابية للغاية باتجاه التوصل إلى اتفاق نهائي»، مضيفا أن «جميع الأطراف المعنية ستكون مشاركة في الحل النهائي».

وكشف الأمين العام لمجلس التعاون



اجتماع قمة العلا

لدول الخليج العربية، الدكتور نايف فلاح مبارك الحجرف، تفاصيل البيان الختامي للقمة الخليجية رقم ٤١، التي احتضنتها مدينة العلا السعودية.

وبحسب الإعلان، فإن قمة قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في دورتها الحادية والأربعين، «قمة السلطان قابوس والشيخ صباح»، أكدت على الأهداف السامية لمجلس التعاون، التي نص عليها النظام الأساسي، بتحقيق التعاون والترابط والتكامل بين دول المجلس في جميع المجالات، وصولاً إلى وحدتها، وتعزيز دورها الإقليمي والدولي، والعمل كمجموعة اقتصادية وسياسية واحدة للمساهمة في تحقيق الأمن والسلام والاستقرار والرخاء في المنطقة.

ويعقد مواطنو دول المنطقة الأمل بأن يعيد «بيان العُلا»، الذي تم التوصل إليه في هذه القمة، العمل المشترك إلى مساره الطبيعي، وتعزيز أواصر الود والتآخي بين شعوب المنطقة.

ويؤكد توقيع جمهورية مصر العربية على بيان العُلا، توثيق العلاقات الأخوية التي تربط مصر الشقيقة بدول المجلس، انطلاقاً مما نص عليه النظام الأساسي بأن التنسيق والتعاون والتكامل بين دول المجلس إنما يخدم الأهداف السامية للأمة العربية.

وأشار البيان إلى أهمية تعزيز الدور الإقليمي والدولي للمجلس من خلال توحيد المواقف السياسية وتطوير الشراكات الاستراتيجية بين دول مجلس التعاون والدول والمجموعات والمنظمات الإقليمية والدولية بما يخدم المصالح المشتركة.

وكان ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان افتتح القمة يوم الثلاثاء ٢٠٢١/١/٥، حيث أشاد بالدورين الكويتي والأميركي لرأب الصدع بين دول المنطقة، مؤكدا على دور القمة في تعزيز أواصر الأخوة.

من جهته، قال صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت: «نهنئ الجميع بما تحقق من إنجاز تاريخي في قمة العلا، ونسعى لدعم العمل الخليجي والعربي المشترك»، مشيرا إلى أن «إعلان اليوم سيسمى اتفاق التضامن».

ترحيب عربي ودولي وشعبي

وعلى الصعيد العربي شاركت مصر في التوقيع على بيان «قمة العلا» الخاص بالمصالحة العربية، كما رحبت المملكة الأردنية الهاشمية ومملكة البحرين والجمهورية العربية اليمنية والمملكة المغربية بنتائج قمة العلا وأعربوا عن سعادتهم بلم الشمل العربي وعودة المياه إلى مجاريها بين الإخوة والجيران العرب.

وعلى صعيد المنظمات الدولية أشادت الأمم المتحدة بإعلان فتح الحدود الجوية والبرية والبحرية بين السعودية وقطر، مثمنة دور الذين «عملوا بلا كلل من أجل رأب الصدع الخليجي، ولا سيما دولة الكويت».

وأعربت المنظمة عن أملها أن تتصرف جميع الدول العربية بإيجابية لمواصلة حل خلافاتها، وتأكيد أهمية وحدة الخليج للسلام والأمن والتنمية في المنطقة.

كما رحبت الجامعة العربية بنتائج القمة، مؤكدة في بيان أن «أي تحرك فعّال يؤدي إلى تصفية الأجواء العربية ويَصُب في صالح النظام العربي الجماعي محل ترحيب، ويعزز من قوة الجامعة العربية وتأثيرها».

وعلى المستوى الشعبي غردت مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي بشكل عام ودول الخليج بشكل خاص بالفرح والسرور بعد حل الأزمة الخليجية.

عبدالله الظفيري
كاتب وصحافي



عهد جديد ومسيرة لم تتوقف

تعيش الكويت ذكرى الأعياد الوطنية للمرة الأولى في ظل عهد جديد، وتطلعات نحو تحقيق المزيد من الأمان والاستقرار والازدهار والتنمية الشاملة. وتتزامن الاحتفالات بالعيد الوطني ويوم التحرير في ٢٥ و٢٦ فبراير مع عهد جديد بقيادة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، وسمو ولي العهد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح.

ويشهد شهر فبراير ٢٠٢١م مرور ٦٠ عاما على الاستقلال و٣٠ عاما على التحرير، وهو ما يشير إلى خطى ثابتة تسير بها الكويت نحو تحقيق النهضة والتنمية الشاملة وتأسيس دولة عصرية بمؤسسات وبنى تحتية ومشاريع تنموية رائدة.

ولم تتوقف مسيرة الكويت منذ فجر الاستقلال عن المضي في تحقيق التنمية من خلال مشاريع وأعمال كثيرة ومميزة، والاهتمام في الإنسان باعتباره العنصر الأهم في عملية التنمية الشاملة، والعمل على توفير الرفاهية والعيش الكريم للمواطنين وكل من يقيم على أرض الكويت.

وتستمر سفينة الكويت في الإبحار نحو تحقيق الاستقرار والازدهار بقيادة



صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي العهد، والمضي في تنفيذ المشاريع الحيوية المهمة وتنويع مصادر الدخل، والاهتمام في التعليم والعلوم والمعرفة، ودعم رفاهية المواطنين والاهتمام في التنمية البشرية والاستفادة من تطورات التقنية والتكنولوجيا الحديثة لدعم الخطط والمشاريع وتحقيق الأهداف المنشودة.

ولاشك أن التمسك بالوحدة الوطنية أحد أهم الأسلحة في مواجهة التحديات، وهو ما يؤكد عليه صاحب السمو أمير البلاد الشيخ نواف الأحمد الذي وجه عناية الجميع إلى ضرورة التمسك بثوابتنا الوطنية الراسخة وفي مقدمتها وحدتنا الوطنية وتضافرنا وتكاتفنا وتعاوننا كأسرة واحدة، فقد أثبتت وحدتنا الوطنية على مر السنين أنها بحق سلاحنا الأقوى في مواجهة كافة التحديات والأخطار والأزمات.

التزمت الكويت بالديموقراطية والممارسة البرلمانية كمنهج ثابت طوال العقود الماضية، وهو ما يؤكد عليه صاحب السمو قائلا: أؤكد التزامنا بالديموقراطية منهجا واحترامنا للدستور مبدأ ودولة القانون والمؤسسات نظاما.

غير أن تحقيق التنمية والنهوض في البلد يحتاج برنامج إصلاح شامل لمواجهة التحديات والحفاظ على ديمومة دولة الرفاة. ويؤكد صاحب السمو قائلا: إن مسيرة وطننا العزيز تعاني مشكلات جسيمة وتواجه تحديات كبيرة الأمر الذي يستوجب وعلى جناح السرعة وضع برنامج إصلاحي شامل يؤتي الحلول الناجعة لها حتى تستقيم الأمور وتنطلق المسيرة وصولا إلى التنمية المستدامة.

ويشدد سموه على أن نجاح برنامج الإصلاح الشامل يتطلب وعيا مسؤولا وتعاونا فعالا بين مجلس الأمة والحكومة وحزما في تطبيق القانون وتغليب الحوار الإيجابي المسؤول الذي يوحد ويجمع ويتجنب الفرقة والانقسام ويحقق المصلحة الوطنية المشتركة.

تظل الكويت في ظل القيادة الحكيمة ديرة خير وبركة ودار أمن وأمان واستقرار.



إعداد/ عبدالسلام الشبراوي

خطوط الدبلوماسية الكويتية.. نهج متكامل

تقوم السياسة الخارجية الكويتية على مبدأ الحياد الإيجابي من خلال الدور الفاعل والمتميز في قيادة جهود الوساطة بين كثير من الدول لحل المشكلات بينها، وقد نجحت الدبلوماسية الكويتية بخبرة تاريخية وسياسية في حل العديد من المشكلات العربية خلال القمم السنوية والمؤتمرات الدورية التي استضافتها الكويت على مر التاريخ، ومنها الخلاف المصري اليمني خلال الحقبة الناصرية، والتوسط بين اليمن الجنوبي واليمن الشمالي عام ١٩٧٢م لوقف المناوشات بينهما على الحدود المشتركة، وهو ما أسفر عن توقيع اتفاقية سلام عقب زيارة قام بها أمير الكويت الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح -رحمه الله- حينذاك للبلدين.

كما أدت دولة الكويت دورا فاعلا من خلال الدبلوماسية الهادئة في نزع فتيل الخلاف الأردني الفلسطيني عام ١٩٧٠م، إضافة إلى التوسط لحل خلافات بين دول عربية وأخرى إقليمية في نهاية عقد الستينيات، وأسفرت عن تسوية نزاعات واستتباب الأمن والاستقرار في المنطقة، كما كان للكويت دور في تخفيف الاحتقان بين بعض العواصم العربية وتحقيق التقارب بين جميع الأطراف من خلال زيارات واجتماعات عقدتها على أراضيها، وأسفرت عن التوصل

إلـى حـلول سياسية ومصالحات وتعهدات باحترام كل دولة للشؤون الداخلية للدولة الأخرى.

كما لعبت الكويت دورا كبيرا في حل المشكلة اللبنانية من خلال اللجنة السـداسـيـة الـتـي تـرأسـهـا الشيخ صباح الأحمد -رحمه الله- عندما كان يتولى منصب وزير الخارجية فـي الـعـام ١٩٨٩م الـتـي حققت المصالحة والتوافق بين اللبنانيين، وتجلى ذلك في الاتفاق على دستور الطائف الذي أنهى الحرب الأهلية في لبنان.

ومنذ استقلالها في عام ١٩٦١م، حـافـظـت الـكـويـت عـلـى علاقاتها الـدولـيـة الـقـويـة مـع مـعـظـم دول العالم، وخاصة بلدان العالم العربي، وتمضي الدبلوماسية الكويتية التي حمل لواءها الشيخ صباح الأحمد -رحمه الله- منذ بواكيرها الأولى بخطوات ثابتة قدما إلـى الأمـام، حتى أضحت نهجا متكاملا متفردا عبر ثلاثية الدبلوماسية السياسية والاقتصادية والإنسانية.

وتستند هـذه التجربة إلـى ثوابت الكويت ومبادئها الداعمة لحقوق الإنـسـان ومـيـثـاق الأمـم المـتـحـدة تشهد لها مسيرة زاخـرة امتدت أكثر من نصف قرن تخللها العديد من المحطات المفصلية على صعيد السياسة العالمية والإقليمية، كانت الكويت دائما سباقة إلى تصدرها وفق عنوان أساسه المصداقية.

وفضلا عن الدبلوماسية السياسية التي تتميز بها الكويت فقد انفردت عـن غـيـرهـا بـمـبـدأ الدبلوماسية الاقـتـصـاديـة الـذي أطلقه الأمير الـراحـل الـشـيـخ صـبـاح الأحـمـد -رحـمـه الله- كمفهوم جديد في عالم الدبلوماسية العالمية بمعنى تطويع الاقتصاد ودوره المهم ليكون في خدمة القضايا والمبادئ العادلة المثلى كويتيا وعالميا.

وأبـرز مـا يـدل عـلـى ذلـك هـو ما يقوم به الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية من جهود جابت العالم كله مـن خـلال المساعدات والـقـروض والمـنـح، استفادت منها نحو ٢٠٠ دولة وعشرات المؤسسات والصناديق التنموية تخطت قيمتها الــ ١٨ مـلـيـار دولار مـنـذ نـشـأة الصندوق قبل نصف قرن تقريبا.

وشهد التاسع من سبتمبر ٢٠١٤م محطة تاريخية في ما يمكن اعتباره مفهوما دبلوماسيا جديدا أطلقته دولـة الـكـويـت هـو الـدبـلـومـاسـيـة الإنسانية في رسالة غايتها الإنسان وإغاثته أينما وجد، تطبيقا لمبادئها قولا وفعلا، وهو اليوم الذي كرمت فيه الأمم المـتـحـدة أمـيـر الكويت الـراحـل قـائـدا للعمل الإنـسـانـي والكويت مركزا للعمل الإنساني، مكللا مسيرة الكويت قولا وفعلا في تحقيق رسالتها الإنسانية.

ويأتي هذا التكريم نتيجة عقود من الجهد الدبلوماسي المتواصل جعلت للكويت مصداقية استطاعت من خلالها أن تحقق هذه المكانة المتميزة في العالم، وأن تحظى باحترام كبير في العالم، لأنها قائمة على مبدأ المصداقية عبر عقود طويلة من الممارسات الكريمة والمنضبطة في المـحـافـل الـدولـيـة، سـواء فـي الأمم المتحدة أو المنظمات أو من ناحية العلاقات المنظمة بين الدول.

وتستهدف الدبلوماسية الكويتية بـالـدرجـة الأولــى تـحـقـيـق الأمـن الوطني للكويت من خلال سياسة خارجية محنكة وحكيمة وودية تنحو بـاتـجـاه التعاون بـيـن الـــدول، وآخـر المستجدات في السياسة الخارجية الكويتية نسبيا هـو التركيز على الجانب الاقتصادي في العلاقات بين الـدول، انطلاقا من أن المدخل السليم لـعـلاقـات دولـيـة قـويـة هو الاقتصاد، فالتشابك الاقتصادي يقود إلـى مزيد مـن الاتـصـال بين الدول والشعوب، ومن بعد الاقتصاد ظـهـر لـديـنـا مـفـهـوم الدبلوماسية الاقتصادية، لكن ذلك لا يعني أن يتقدم على الدبلوماسية السياسية بل هما خطان متوازيان.

ومعنى الدبلوماسية الاقتصادية هو أن الدولة تكرس وتوظف جزءا كبيرا من نشاطها الدولي لخدمة مصالح الكويت الاقتصادية، وتعمل الكويت على تدريب دبلوماسييها في وزارة الخارجية وإخضاعهم إلى عشرات المـحـاضـرات المكثفة، تلك الدورات تعنى بتثقيف الدبلوماسيين بـالاقـتـصـاد والاسـتـثـمـار والنفط وبثقافة الدبلوماسية الاقتصادية والـخـارجـيـة على مصالح الكويت الاقـتـصـاديـة، وتـعـزيـز الـعـديـد من العلاقات بين كثير من الـدول في العالم.

أمـا بالنسبة لمفهوم الدبلوماسية الإنـسـانـيـة؛ فـإنـه أحـد مـرتـكـزات السياسة الخارجية لدولة الكويت، فقد استطاعت أن تجعل العمل الخيري منضبطا ويعمل بكل شفافية أمـام الـعـالـم وبـإشـراف الحكومة الكويتية، بالتالي أصبحت الكويت داعـمـة للعمل الـخـيـري، وأصبح

العمل الخيري أيضا بالفعل يدعم سياسة الكويت الخارجية كنتيجة طبيعية لهذا الدور الإنساني.

وظهر وجه الكويت الدعم للعمل الخير في مرحلة الغزو العراقي للكويت فأشادت كثير من الدول بالعمل الخيري والإنساني من خلال صندوق التنمية والأعمال الخيرية والتبرعات حول العالم لاسيما في إفريقيا وغيرها، وكانت الدول تقف مع الحق الكويتي بناء على ما قامت به الكويت من دور إنساني حول العالم آنذاك، انطلاقا من أن الكويت وقفت معهم على الدوام، ما يعني وجوب رد الجميل لها والوقوف إلى جانبها حتى بات العمل الخيري والإغاثي من مستجدات السياسة الخارجية الكويتية.

كما وقفت الكويت بجانب الشعب السوري في محنته، وذلك ليس فقط من منطلق سياسي، بل أيضا من منطلق إنساني، فالعمل الخيري ينسجم مع علاقات الكويت حول العالم.

ونتيجة لما سبق فلم يكن تكريم الأمم المتحدة للشيخ صباح الأحمد -رحمه الله- ولدولة الكويت أمرا غريبا عليه أو على الكويت التي تقوم بدور إنساني منذ عقود طويلة قولا وفعلا، وتكاد تكون الدولة الوحيدة في العالم التي سددت تعهداتها الإنسانية كافة للأمم المتحدة فيما يخص دعم المنكوبين حول العالم.

وتنبع السياسة الخارجية الكويتية من مقدرات هذه البلاد وإمكاناتها ومن أهدافها وقضاياها والأدوات الموجودة لديها وموقعها الجغرافي، وأهدافها كلها تفرض سياسة معينة خارجية، ونستطيع تسمية كل هذه العوامل بالمدخلات ثم تنتج عنها مخرجات.

هذه السياسة الخارجية للكويت وفق تلك الأبعاد الثلاثة: السياسية، والاقتصادية، والإنسانية، هي سمة خاصة بالسياسة الخارجية الكويتية، ونابعة من عوامل محددة تتصل بالوضع الداخلي الكويتي وبأهداف السياسة الخارجية للكويت وبأدواتها، ويمكن القول إن السياسة الخارجية الكويتية مكنت البلاد من تخطي تحديات كبيرة لعل أبرزها محنة الغزو.

واستطاعت الكويت دائما القيام بدورها في السياسة الخارجية عبر قناتين؛ الأولى هي القيام بدور الوسيط إقليميا وعربيا وعالميا، وتميزت بهذه السمة نتيجة مصداقيتها السياسية وتبنيها البعد الخليجي والعربي والإسلامي ووفق ميثاق الأمم المتحدة، وآخر تلك الإنجازات ما رأينا نتائجه من مصالحة خليجية في «قمة السلطان قابوس والشيخ صباح الأحمد» بمدينة العلا بالمملكة العربية السعودية.

وبالنسبة إلى الجانب الاقتصادي؛ فإن الكويت دولة نفطية ويلعب اقتصادها دورا كبيرا إلى جانب سياستها الخارجية، لاسيما أن العالم فيه تكتلات كبيرة كالاتحاد الأوروبي و«أسيان»، ومنظمة «شنغهاي»، ودول «بريكس» وغيرها تقوم على الشق الاقتصادي، وبالتالي فإن العلاقات بين الدول تعمل على الجانب الاقتصادي الذي يقوم بدور كبير بينها.

وقدمت الكويت مبادرات اقتصادية كثيرة أبرزها؛ القمة الاقتصادية العربية الإفريقية، وحوار التعاون الآسيوي الإفريقي، كما أطلقت مشاريع عملاقة عدة وصناديق كبيرة، فضلا عن دورها على الصعيدين الخليجي والإسلامي.

كذلك فإن الدبلوماسية الكويتية لا يمكن أن نفصل فيها العمل الذي تقوم به السياسة والاقتصاد عما قامت به إنسانيا، أو ما يمكن تسميته بالدبلوماسية الإنسانية.

وهنا يذكر الدور الرائد الذي يقوم به الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية في تقديم الدعم لمعظم الدول في العالم، لاسيما ذات الاقتصادات الفقيرة، حيث امتدت شبكة المساعدات لتطال الصين شرقا إلى أميركا اللاتينية وإفريقيا بكل أشكال الدعم من منح وقروض ميسرة وغيرها، بعيدا عن أي أغراض أو غايات مصلحية.

ومجمل ذلك يندرج ضمن مفهوم الدبلوماسية الاقتصادية ذات الجانب الإنساني، عبر تقديم الدعم للدول التي تتعرض للكوارث الطبيعية، أو تلك التي من صنع الإنسان حيث تكون دائما المبادرة بذلك الدعم قدر الإمكان.

وفي هذا الشأن لابد من الإشارة إلى تلبية الكويت نداء الأمم المتحدة لاستضافة مؤتمرين دوليين للمانحين لدعم الوضع الإنساني في سورية حيث سددت دولة الكويت التزاماتها كاملة حيالها، وأيضا في إندونيسيا وغيرها حتى استحقت

عن جدارة تسمية الكويت مركزا للعمل الإنساني، وسمو الأمير قائدا للعمل الإنساني.

وتتميز السياسة الخارجية الكويتية بسمات خاصة مرتبطة بإمكاناتها وأهدافها وأدواتها، وبالتالي فقد التصقت هذه السمات بالكويت وتميزت وانفردت بها عن غيرها من الدول، فضلا عما تتمتع به من مصداقية أكسبتها احتراما دوليا واسعا.

الصندوق الكويتي للتنمية العربية

يعتبر الصندوق الكويتي للتنمية العربية الذراع الاقتصادية والإنسانية لدولة الكويت، فقد أنشئ في الأساس لإقامة علاقات جيدة مع عدد كبير من الدول النامية، واستفاد منه أكثر من ٥٠ دولة من أصل ٩٩ تحصل على دعم الصندوق لا يربطها بالكويت سوى المساعدات الاقتصادية التي تحصل عليها من خلال الصندوق، ومنذ عام ٢٠٠٣م انتقل الإشراف على الصندوق من وزارة المالية إلى وزارة الخارجية.

وتكمن أهمية الصندوق في كونه بمرونة وكفاءة واضحين يسهم في تعزيز سياسات دولة الكويت الخارجية ويلعب دورا دبلوماسيا من خلال الدعم الاقتصادي، وهو ما أسفر عن وضع الكويت موضع تقدير واحترام لدى دول العالم أجمع، وانعكس ذلك على التأييد والمساندة اللذين حظيت بهما الكويت عند الملمات ووقت الأزمات، ومن خلال هذا الصندوق التفت العالم إلى قضايا الكويت العادلة.

ومع نهاية العام السابق ٢٠٢٠م دخل الصندوق الكويتي للتنمية عامه الـ ٥٩ في مسيرته الإنمائية، والحافلة بالعطاء.

ومنذ تأسيسه، كأول مؤسسة إنمائية عرفها العالم العربي في مطلع الستينيات، يواصل الصندوق تأدية رسالته وعطاءه وجهوده في دعم قضايا التنمية في الدول العربية، والدول الأخرى النامية، ومد يد العون والمساعدة وتوطيد جسور الصداقة والإخاء بين دولة الكويت والدول الأخرى.

وعلى مدى ٥٩ عاما مضت، أصبح الصندوق الكويتي، وهو الذراع التنموي لدولة الكويت، شريكا في مسيرة التنمية الدولية، سواء من خلال المساعدات التي تقدمها الكويت، ويشرف عليها ويديرها، أو عبر تمويل إقامة مشروعات تمثل أولوية لدى حكومات الدول المستفيدة، والتي تستفيد منها حتى أكبر دول العالم مثل الصين، كما كان الصندوق موجودا أيضا في الأزمات الدولية الكبرى، مثل: أزمة اللاجئين السوريين، وأزمات إعادة إعمار لبنان، وغزة، والعراق.

وقد واصل الصندوق الكويتي للتنمية الوفاء بالتزاماته تجاه الدول والمؤسسات المستفيدة في مواجهة جائحة فيروس كورونا (كوفيد-١٩) عبر المشاركة في مبادرات ومؤتمرات عبر تقنية الاتصال المرئي أقيمت على مدى الأشهر الماضية تهدف إلى تمكين تلك الدول والجهات من حشد وتركيز مواردها الذاتية في مواجهة تداعيات جائحة كورونا، ودفع عجلة التنمية والتطور فيها.

كما شارك الصندوق أيضا في اجتماع مجموعة العشرين لمناقشة مبادرة مجموعة البنك الدولي بتأجيل سداد خدمة ديون الدول الفقيرة لتمكينها من استخدام مواردها الذاتية لمواجهة تداعيات جائحة كورونا، حيث قام الصندوق بإعادة جدولة المبالغ المستحق سدادها والبالغ قيمتها حوالي ١٦٥,٧ مليون دولار أميركي، بما في ذلك المتأخرات إن وجدت، خلال الفترة من ٢٠٢٠/٥/١م إلى ٢٠٢٠/١٢/٣١م، للدول المؤهلة للمبادرة والتي قدمت طلبا رسميا للاستفادة منها.

ومع وجود الجائحة وتأثيرها على دول العالم استمر الصندوق الكويتي في دعم المشاريع التنموية في مختلف دول العالم من خلال برامجه الخاصة.

ويذكر أن الصندوق قدم تمويلا لما ما يقارب ٩٩٠ مشروعا، استفادت منها ١٠٧ من الدول على مدى الـ ٥٩ عاما الماضية، حيث بلغت قيمة القروض المقدمة من الصندوق لهذه الدول حوالي ٦,٥ مليار دينار كويتي «ما يعادل ٢٢ مليارات دولار أمريكي»، وهو ما يدعم خطوط الدبلوماسية الكويت ذات النهج المتكامل سياسيا واقتصاديا وإنسانيا.

المصادر

١- وكالة الأنباء (كونا).

٢- موقع الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية.





العمل الخيري داخل الكويت وخارجها

سفراء الرحمة

لا تدخر الكويت وسعا ولا تألو جهدا ولا تترك بابا من أبواب الخير إلا طرقته وسعت فيه، إغاثة للملهوفين، وعطاء للمعوزين، وتفريج لكربات المكروبين، ومد يد العون للمنكوبين، بهذا العمل الخيري الذي لا يعرف التوقف حفظ الله،عزوجل- الكويت في محنتها ودفع عنها السوء والبلاء الذي أراد أن يمحو اسمها من التاريخ، فتتابعت الأمم التي عرفت الكويت من خلال أياديها البيضاء لتقف بجانب البلد المعطاء في محنته حتى أتم الله النصر وعادت دولة الكويت عزيزة المكانة مرفوعة الهامة تمد يدها للجميع متناسية جراح الماضي متطلعة إلى أفق جديد ومستقبل أفضل للمنطقة والعالم كله.

والجمعيات الخيرية الكويتية هي رائدة مدرسة العطاء الإنساني بفضل تحركاتها الميدانية السريعة في جميع المناطق وجهودها التي تندرج كجزء من الواجب الإنساني الذي يعبر عنه الموقف الرسمي للكويت، قيادة وحكومة وشعبا، وقد توسع دور الجمعيات الخيرية خلال تأثير جائحة كورونا على الوضع الاقتصادي في داخل الكويت وخارجها، وعملت جاهدة لتغطية نواحي العجز والقصور التي ترتبت على هذه الجائحة.

ويشمل العمل الخيري الكويتي إنشاء المشاريع التنموية الإنتاجية في المجتمعات الفقيرة بغرض تمكينها من استثمار مواردها البشرية والمالية وثرواتها وتوفير فرص العمل ليتمكن أفراد المجتمع من العيش الكريم معتمدين على أنفسهم. ويبرز عمل الجمعيات واللجان الخيرية الكويتية في الفترة الأخيرة من خلال إغاثة الأشقاء في سورية واليمن والعراق وفلسطين وإقامة المشاريع في الدول الإفريقية الفقيرة وبعض الدول الآسيوية.

وبلغ اهتمام الكويت بالعمل الخيري سعيها لتضمين قيمة التطوع في المناهج الدراسية، عمليا ونظريا، ابتداء من رياض الأطفال مرورا بالمراحل التعليمية الأخرى.

عشرات من الجمعيات الخيرية والمبرات تتوسع في عمل الخير، إضافة إلى بيت الزكاة والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والأمانة العامة للأوقاف، وهنا نلقي الضوء على بعض هذه الهيئات والجمعيات الخيرية وما تقدمه من مساعدات داخل الكويت وخارجها.

بيت الزكاة

توسعت أنشطة بيت الزكاة الكويتي، محليا وإقليميا، عبر تنفيذ العديد من المشاريع الخيرية ككفالة الأيتام

وطالبي العلم وموائد الإفطار، وصرف مساعدات مادية وعينية للأسر المتعففة ومشروع الأضاحي وغيرها من مشاريع ترفع راية العمل الخيري الكويتي البيضاء.

ويقدم بيت الزكاة خدمات كثيرة لجمهور المراجعين منها:

١- تقديم المساعدات المالية والعينية للأسر المحتاجة.

٢- المشاريع الموسمية (ولائم الإفطار، مشروع الأضاحي داخل الكويت وخارجها).

٣- تنفيذ المشاريع الخارجية بناء على طلب المتبرعين.

٤- تقديم مساعدات القروض الحسنة.

٥- مشروع كفالة اليتيم.

٦- توصيل المساعدات الطارئة والاستجابة العاجلة للمحتاجين والمستضعفين والمشردين في بورما وسورية واليمن والصومال وغيرها.

مشروع الولائم الرمضانية

استطاع بيت الزكاة إقامة مشروع ولائم إفطار الصائم سنويا طوال شهر رمضان المبارك وذلك لتمكين أهل الخير داخل الكويت من الحصول على الاجر والثواب امتثالا لقول الرسول ﷺ: «من فطر صائما أو جهز غازيا فله مثل أجره»، ومن أجل إحياء عادة إسلامية كريمة من عادات المجتمع الكويتي والعمل على عدم انقطاعها، وكذلك تمكين الفقراء والمحتاجين وأصحاب الدخول المحدودة من أداء فريضة الصيام الركن الرابع من أركان الإسلام في جو تكافلي بعيد عن المعاناة والجوع والبحث عن لقمة العيش في هذا الشهر الفضيل، يقوم بيت الزكاة من خلال هذا المشروع باستقبال كافة التبرعات العينية والمادية وتوزيعها على المستحقين داخل دولة الكويت والبالغ عددهم ٦٠٠٠ أسرة، بعد قيام بيت



الزكاة بدراسة احتياجات الأساسية لهذه الأسر والعمل على توفيرها، ومن اهم هذه الاحتياجات: (المواد التموينية، الملابس، الأجهزة الكهربائية الضرورية).

ويسعى بيت الزكاة الى تقديم الرعاية إلى ٨٠٠٠ أسرة محتاجة بواقع ثلاث مرات في العام الواحد بحسب الفصول والمواسم.

كفالة الأيتام

أنشأ بيت الزكاة مشروع كافل اليتيم سنة ١٩٨٣م، وذلك حتى يتيح لأصحاب القلوب الرحيمة المشاركة في تخفيف مأساة أيتام المسلمين في كل مكان، ويفتح باب التسابق في الأجر والتنافس فيه على مصراعيه، تكاليف بسيطة، وبأساليب دفع ميسرة، تقع في مقدور أي فرد من أفراد مجتمعنا الخير، ولا ترهق كاهله، بل تقربه إلى الله سبحانه وتعالى، وتزرع في قلبه الرحمة والتواضع وحب المساكين، وبفضل الله تعالى، فقد حقق هذا المشروع نجاحات كبيرة، امتدت إلى كفالة لأيتام المسلمين في قارة آسيا وإفريقيا وأوروبا وأمريكا الجنوبية، بل ساهم وما يزال يساهم هذا المشروع في تحمله لدوره الإنساني في تخفيف نتائج الأزمات والكوارث الطبيعية، وما يترتب عنها من تشريد ومزيد من الأعداد لأيتام المسلمين.

كفالة طلبة العلم

هو مشروع يقوم على كفالة طلبة العلم المحتاجين خارج دولة الكويت، وتتابع إدارة صندوق طالب العلم الطالب للوقوف على آخر التطورات لأحواله الدراسية وربط الطالب بالكافل عن طريقة إيصال التقارير الدراسية وغيرها من الأمور المتعلقة بالدراسة. كما يشرف الصندوق على مساعدة الطلبة الوافدين الدارسين بجامعة الازهر بالقاهرة.

الأمانة العامة للأوقاف

وكعادتها لا تغيب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عن العمل الخيري، ممثلة في الأمانة العامة للأوقاف، التي تتولى الدعوة للوقف والقيام بكل ما يتعلق بشؤونه، بما في ذلك إدارة أمواله واستثمارها وصرف ريعها في حدود شروط الواقفين وبما يحقق المقاصد الشرعية للوقف، وتنمية المجتمع حضاريا وثقافيا واجتماعيا وتخفيف العبء عن المحتاجين في المجتمع، ومن



أهم أنشطتها:

الصناديق الوقفية

الصناديق الوقفية هي الإطار الأوسع لممارسة العمل الوقفي، ومن خلالها يتمثل تعاون الجهات الشعبية مع المؤسسات الرسمية في سبيل تحقيق أهداف التنمية الوقفية.

وتهدف الصناديق الوقفية إلى المشاركة في الجهود التي تخدم إحياء سنة الوقف عن طريق طرح مشاريع تنموية في صيغ إسلامية للوفاء باحتياجات المجتمع، وطلب الإيقاف عليها، بالإضافة إلى حسن إنفاق ريع الأموال الموقوفة لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والتنموية التي يفرزها الواقع من خلال برامج عمل تراعي تحقيق أعلى عائد تنموي وتحقق الترابط فيما بين المشاريع الوقفية، وبينها وبين المشاريع الأخرى التي تقوم بها الأجهزة الحكومية وجمعيات النفع العام، وتشمل:

- الصندوق الوقفي للقرآن الكريم.
- الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية.
- الصندوق الوقفي للتنمية الصحية.
- الصندوق الوقفي للدعوة والإغاثة.

المشاريع الوقفية

وبهدف التوسع في تطوير الأوضاع المؤسسية للعمل والسعي نحو تفعيل دور الوقف في تنمية المجتمع، أنشأت الأمانة العامة للأوقاف مشاريع ذات كيان عملي وتنظيمي مستقل منها:

١- مركز من كسب يدي.
٢- مركز الرؤية.
٣- مركز رعاية طالب العلم.
٤- وقف الوقت.

الاستثمار الوقفي

ويتمثل في الاهتمام بالاستثمار العقاري والمالي وفقا للضوابط الشرعية؛ سعيا لتنمية الوقف وزيادة العائد منه وفق سياسات مأمونة المخاطر وبعوائد مجزية، مما يسهم في توسيع دائرة العمل الخيري بصورة مستمرة ومتواصلة.

«بيت الزكاة» و«أمانة الأوقاف» معا لدعم الأسر المتعففة

وقع بيت الزكاة الكويتي والأمانة العامة للأوقاف اتفاقية تعاون مشترك لدعم الأسر المتعففة داخل البلاد بمبلغ مليون دينار، وذلك ضمن أطر التعاون الاستراتيجي بين الجهتين لدعم العمل الخيري.

وقال المدير العام لبيت الزكاة محمد العتيبي عقب التوقيع إن هذه الاتفاقية تأتي للسنة الثالثة على التوالي دليلا على إيمان الأمانة العامة للأوقاف بالرسالة الخيرية لبيت الزكاة ودوره في حفظ الأمن المجتمعي خاصة في ظل هذه الظروف الاستثنائية التي تمر بها البلاد والعالم أجمع.

وأضاف العتيبي: إن بيت الزكاة يقوم بصرف هذا الدعم للأرامل والمطلقات عبر مشروع الرعاية الاجتماعية طوال العام وفق تقارير مفصلة تقدم للمتبرع وتشمل عدد الأسر المستفيدة ومناطق سكنها.

وذكر أن استمرار الأمانة العامة للأوقاف بتقديمها هذا الدعم في هذه الظروف الاستثنائية التي تمر بها البلاد يعزز العمل الخيري واستمراره في تقديم المساعدات المالية للأسر المتعففة حتى لا تتضرر حياتها المعيشية.

وثمن دور «أمانة الأوقاف» وسائر القائمين عليها ومتبرعيها لرعايتهم وتلمسهم احتياجات أسر بيت الزكاة أولا بأول على مدار العام وعدم توانيهم عن تقديم الدعم اللازم فورا.

وأكد على أن الأمانة العامة للأوقاف تعد شريكا رئيسيا لبيت الزكاة في خدمة وأمن المجتمع، داعيا المولى عزوجل أن يوفقهم ويسدد على طريق الخير خطاهم وأن يحفظ الكويت أميرا وحكومة وشعبا وأن تسعد البلاد وأهلها بانفراج أزمة تفشي فيروس كورونا المستجد (كوفيد، ١٩) عما قريب بمشيئة الله تعالى.

من جانبه، قال الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف الكويتية بالإنابة منصور الصقعبي في تصريح مماثل لوكالة الأنباء الكويتية «كونا» إنه من منطلق مسؤولية الأمانة الاجتماعية ودعمها للعمل الخيري داخل البلاد استمرت في علاقاتها الإستراتيجية مع بيت الزكاة لتقديم المساعدات للأرامل والمطلقات من خلال تقديم الدعم المالي وفق اتفاقية تعاون توقعها الأمانة للسنة الثالثة على التوالي.

وأضاف الصقعبي: إن الثقة الكبيرة التي توليها الأمانة العامة لبيت الزكاة هي التي دفعتها للاستمرار في التعاون بهذه الاتفاقية وغيرها من اتفاقيات أخرى والتي يتم بموجبها تقديم الدعم المالي للمشاريع الخيرية داخل البلاد، وذلك تنفيذا للمقاصد الشرعية للواقفين.

«الرحمة العالمية»

وتأتي جمعية الرحمة العالمية كإحدى الجمعيات الناشطة في العمل الخيري لتمد يد العون والمساعدة خارج الكويت، حيث تعمل في قطاعات أربعة: قطاع آسيا، قطاع إفريقيا، القطاع العربي، القطاع الأوروبي.

وتتنوع مشاريعها لتشمل:

١- مشاريع الكسب الحلال (بقرة حلوب، عربة طعام، قارب صيد، ماكينة خياطة، مخبز منزلي، منيحة غنم، القرض الحسن، بناء مخابز).

٢- مشاريع إغاثية (الإغاثات، إطعام، ذبائح، تدفئة شتاء).

٣- مشاريع صحية (بناء مستشفيات، بناء مستوصفات، بناء عيادات ومراكز صحية، عمليات صغرى، كراسي متحركة، حملات طبية، حقيبة طبية).

٤- مشاريع تنموية (بناء مجمعات تنموية، بناء مراكز تنموية، بناء مراكز مهنة).

٥- مشاريع اجتماعية (بناء دور أيتام، بناء سكن طلاب، قرى سكنية، بيوت فقراء، ترميم بيوت فقراء وتأثيثها).

٦- مشاريع تعليمية (بناء مجمعات تعليمية، بناء جامعات ومعاهد، بناء مدارس، تشغيل مدارس، بناء وتجهيز فصول مدرسية، بناء مراكز ثقافية، طباعة الكتاب، تجهيز مكتبات).

٧- مشروع الكفالات (كفالة طالب مدرسي، كفالة طالب جامعي، كفالة طلاب دراسات عليا، كفالة مدرسين، كفالة أيتام، كفالة أسر، كفالة معاقين، الكسوة والعيدية).

جمعية إحياء التراث الإسلامي

تعتبر جمعية إحياء التراث الإسلامي من أبرز الجمعيات الكويتية الناشطة في المجال الإنساني، وتمتد أنشطتها داخل الكويت وخارجها لتشمل مجالات عدة، منها بناء المساجد والمراكز الإسلامية وبناء المستوصفات وحفر الآبار وطباعة المصاحف ومشروع «منيحة العنز» ومشاريع «كسوة الشتاء والحقيبة الشتوية ودفء وعمرة الهداية للمهتدين الجدد»، ومشروع «إطعام أسرة داخل الكويت»، وسقيا الماء وبناء سكن جامعي للطلاب، ومشروع الحقيبة المدرسية وكفالة الأيتام والأسر المتعففة وبناء دور للقرآن الكريم، ومشروع «مساعدة المرضى» و«عمرة المقيمين داخل الكويت» و«سقي الماء»، ومشروع «الدعوة اليومية» وهو عبارة عن دروس ومحاضرات ودعوة إلكترونية ولقاءات وعمرة وتوزيع كتيبات دعوية وحلقات تحفيظ للقرآن الكريم، ومشروع «كفالة داعية» ويهدف لدعوة غير المسلمين إلى الاسلام وتعليم المسلمين أمور دينهم وجولات في أماكن العمال واقامة الدروس الدينية، بالإضافة إلى مشروع «أحسن البيان» لتوزيع المصاحف المترجمة للجاليات المسلمة والمهتدين الجدد داخل الكويت.

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

تعد «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» واحدة من كبريات المؤسسات العاملة في الحقل الإنساني على مستوى العالم الإسلامي، وهي هيئة خيرية مستقلة متعددة الأنشطة، تقدم خدماتها الإنسانية للمحتاجين في العالم من دون تمييز أو تعصب.

وتعمل الهيئة وفق قيم (التنمية، المؤسسية، الاحتساب، الشفافية، التواصل).

وتشمل مجالات العمل:

المجال الأول: التواصل وشؤون المتبرعين.

المجال الثاني: الاستثمار وتنمية موارد الهيئة المالية.

المجال الثالث: الصرف على المشاريع التنموية والإغاثية والإنشائية من خلال تنفيذ برامج تنموية للمجتمعات المستهدفة.

المجال الرابع: الإعلام والتسويق.

المجال الخامس: العلاقات المحلية والدولية.

المجال السادس: التنمية البشرية والأداء.

هذه نماذج لعشرات من الجمعيات الخيرية العاملة في دولة الكويت، منارات للعمل الخيري تمد يد العون للمعوزين والمحتاجين في كل مكان في إطار من الإخوة الإسلامية والإنسانية النابعة من قيم الإسلام وتقاليد المجتمع الكويتي الذي جبل على حب الخير والإحسان إلى الغير.



د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

العمل الخيري الكويتي وأبعاده الإنسانية والتنموية

في التاسع من سبتمبر من العام ألفين وأربعة عشر كرمت هيئة الأمم المتحدة أمير دولة الكويت الرحل الشيخ صباح الأحمد الصباح، طيب الله ثراه، ومنحته لقب «قائد العمل الإنساني» تقديرا وتثمينا لجهود دولة الكويت في مجال العمل الخيري والإغاثي في كل أرجاء المعمورة، كما تم اختيار الكويت مركزا للعمل الإنساني، كما وقع الاختيار على واحدا من أبناء الكويت وهو الدكتور عبدالله المعتوق ليكون مبعوثا للأمين العام للأمم للشؤون الإنسانية، كما تم تخصيص ضابط اتصال في دولة الكويت مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية OCHA (أوتشا) وهو جزء من الأمانة العامة للأمم المتحدة، مسؤول عن جمع الجهات الإنسانية الفاعلة لضمان استجابة متماسكة لحالات الطوارئ.

وفي أبريل ٢٠١٩م أعلنت مجموعة البنك الدولي «تكريما استثنائيا» لأمير الكويت الراحل الشيخ صباح الأحمد، رحمه الله، تقديرا وعرفانا بمجهوداته لدعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية إقليميا ودوليا، فضلا عن السعي لـ«إحياء السلام».

وهذا التكريم والاحتفاء الأممي بالكويت شعبا وأميرا، لم يأت من فراغ، ولم يكن أيضا من قبيل المجاملة، بل كان صدى للجهود الكبيرة التي تقدمها الكويت في مجال العمل الخيري والإغاثي على كافة الأصعدة.

تكريم مستحق منذ القدم

لم يكن هذا التكريم الأممي للكويت شعبا وأميرا هو الأول من نوعه، وهذا

ما وجدته أثناء بحثي لكتابة هذه المقالة، فقد تم تكريم الشيخ مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت الحديثة، من قبل الخليفة العثماني السلطان عبدالحميد الثاني، بمنحه الوسام المجيدي من الدرجة الأولى عام ١٩١٢م، تقديرا وعرفانا بجهود الشيخ مبارك الصباح في أعمال البر والخير ولاسيما تبرعه في عام ١٩٠٤م بمبلغ خمسمئة ليرة عثمانية مساهمة منه لبناء خط سكة حديد الحجاز، إضافة إلى تبرعه بمبلغ مماثل للغرض نفسه في أغسطس عام ١٩٠٦م، وفي عام ١٩١١م تبرع الشيخ مبارك بخمسة آلاف ليرة عثمانية لمواجهة الآثار المترتبة على حريق الأستانة(١).



الكويتيون محبون لعمل الخير

الكويتيون محبون لعمل الخير بفطرتهم، حريصون على نفع إخوانهم ومد يد العون لهم، وهذا منذ أقدم العصور، وليس مرتبطا بحدوث الطفرة النفطية، فينابيع الخير تتدفق في نفوس الكويتيين قبل أن تتدفق آبار النفط. وهذا نابع من استجابتهم لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ بالمسارعة إلى عمل الخير والحرص عليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (الحج:٧٧)، وقوله عزوجل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرًا وَأَعۡظَمَ أَجۡرًاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمُۢ﴾ (المزمل:٢٠).

وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عزوجل: أَنفق أُنفق عليك، وقال: يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وقال: «أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع» (البخاري).

بين الماضي والحاضر

للعمل الخيري الكويتي تاريخ طويل وممتد نابع من سمات الشخصية الكويتية التي تتسم بالتدين والتمسك بالقيم والتقاليد العربية الأصيلة، وقد تنوعت أعمال الخير والبر قديما؛ فعرفت الكويت نوعا من أنواع التضامن الجماعي يسمى تطوع «الفزعة» وهو أن يفزع الناس جميعهم للمساعدة والغوث لأي نكبة أو كارثة تحل بواحد من الناس؛ سواء في الكويت أو خارجها، لا يرجون من عملهم هذا إلا وجه الله تعالى؛ وعلى الرغم من عدم ظهور المؤسسات والجمعيات الخيرية بهذا الشكل المنظم والمؤسسي في الكويت إلا حديثا في بدايات القرن العشرين؛ نظرا لصغر المجتمع الكويتي وقلة إمكاناته في ذاك الوقت؛ إلا أن الجهود الجماعية الخيرية كانت مضرب الأمثال في العطاء والبذل والإحسان، واستمرت «الفزعة» في أداء دورها لإغاثة المنكوبين ومساعدة المحتاجين إلى يومنا هذا!

وكانت «فزعة» أبناء الكويت متميزة في سرعة النجدة والتفاعل الكبير والإيجابي للمساعدة وتقديم كل ما يحتاج إليه المنكوبين، بل يزيد عما يحتاجون إليه! فكم من أسرة تضررت بسبب الكوارث أو الخسائر التجارية حيث يبادر أبناء الكويت -عبر جهودهم الخيرية الجماعية- لمساعدتهم وتقديم ما يحتاجون إليه، بل في كثير من الأحيان يتم مساعدة المنكوبين تجاريا؛ بسداد ديونهم، وتقديم مبالغ مادية إضافية لإعادة تجارتهم من جديد، وتاريخ الكويت مليء بالشواهد على ما قدمه أبناء الكويت عبر أربعة قرون من أعمال اجتماعية وخيرية.

ومن أشهر الفزعات في التضامن الداخلي على مستوى أبناء المجتمع الكويتي

فزعة الكوارث العامة: فقد فزع أهل الكويت فزعة رجل واحد حين أصابت الكويت عدة نكبات؛ فتطوعوا فيها لسد حاجات الناس، وتخفيف وطأة الكوارث التي حلت بهم، ومن هذه الأزمات «سنة الهدامة» عام ١٩٣٤م؛ والتي تهدمت فيها بيوت كثير من أهالي الكويت؛ ففزع أهل الكويت لنجدة المتضررين من الذين تهدمت منازلهم جراء الأمطار الكثيفة.

فزعة الاكتتاب: وكانت فزعة يفزع بها رجالات الخير في الكويت لجمع التبرعات لأي مكروه يقع لأهليهم؛ حتى يقومون على سد حاجة المنكوب، و«الاكتتاب» عبارة عن ورقة تعطى لصاحب الكرب والبلاء، أو يتطوع أحد من أهل الخير ليمر على التجار، فيسجل كل واحد تبرعه من أجل إعانة المكروب على سد حاجته.

هذا فضلا عن فزعات (الصاري، الحرائق، السفينة، إنقاذ السفن، الكوارث العامة، بناء أسوار الكويت)[٢].

العمل الإغاثي الكويتي

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:٥٢)، وفي الحديث: عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (متفق عليه)، وانطلاقا من هذه التوجيهات الربانية والشعور الأخوي تجاه أبناء الأمة الإسلامية والعربية امتدت الجهود الخيرية الكويتية إلى خارج حدودها، لتمد يد العون للمنكوبين والمكروبين

وهذا العمل متأصل في نفوس الكويتيون منذ القدم وهذا ما يشهد به تاريخ العمل الخيري الكويتي ولضيق المقام نعرض لبعض جهود الكويت في هذا المجال من الماضي والحاضر، ففي عام ١٨٦٥م وقعت أزمة الهليك: وهو عام المجاعة العامة التي أصابت نجد والجزيرة العربية والعراق وفارس، واستمرت لمدة ثلاث سنوات، فأقام كثير من أهل الكويت مضايف في تلك الدول؛ لإطعام الطعام وإغاثة المنكوبين، وفي عام ١٩١٢م وقع حريق الأستانة قدمت الكويت مساعدتها المالية للدولة العثمانية عندما شب حريق الأستانة وأحدث أضرارا كبيرة، وترك الآلاف بلا مأوى ولا مسكن.

الأعمال الإغاثية الكويتية للفلسطينيين

ولا يتم ذكر جهود الكويت الإغاثية إلا ونتذكر جهودها المبذولة تجاه القضية المحورية للأمة الإسلامية وهي القضية الفلسطينية والتي تمتد عبر قرن من الزمان لم تبخل الكويت على إخوانها الفلسطينيين بالدعم والتأييد والذي بدأ قبل احتلال اليهود لفلسطين وإعلان كيانهم ١٩٤٨م، ففي عام ١٩٢١م، يقدم إلى الكويت أول وفد فلسطيني في تاريخ البلدين بغرض جمع التبرعات لإعمار المسجد الأقصى، ولنفس الغرض وبعد مرور أكثر من عشر سنوات في عام ١٩٣٢م، تستقبل الكويت مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني في إطار جولة عربية لجمع التبرعات لإعمار المسجد الأقصى.

ونظرا لتدهور أحوال الفلسطينيين قبيل إعلان قيام دولة الاحتلال على أرض فلسطين، وتحديدا في عام ١٩٤٧م، يفزع مجموعة من تجار الكويت لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين يجمعون خلالها ٥٠٠ ألف روبية، وبعد قيام دولة الاحتلال وتشريد مئات الآلاف الفلسطينيين عام ١٩٤٨م، تستقبل الكويت آلاف النازحين الفلسطينيين بعد أحداث النكبة وسط تعاطف رسمي وشعبي كويتي تجاه أشقائهم الفلسطينيين، وفي عام ١٩٦٤م تعلن الكويت مساهمتها بمبلغ مليوني جنيه إسترليني دعما لقرار القمة العربية الثانية التي عقدت في الإسكندرية والذي دعا إلى إنشاء جيش التحرير الفلسطيني.

ومازال دعم الكويت لفلسطين مستمرا من خلال جهود الإعمار والتنمية في كافة المجالات الاجتماعية والصحية والتعليمة والاقتصادية التي يقوم بها الصندوق الكويتي للتنمية، هذا ولا تتوقف الكويت عن دعم وتمويل وكالة الأمم المتحدة لتشغيل وغوث اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) والذي تجاوز مبلغ ١٦٠ مليون دولار خلال أربعين عاما.

وقد أشادت جامعة الدول العربية بجهود دولة الكويت في دعم الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج.

هذا فضلا عن وقوف الكويت إلى جانب شقيقاتها من الدول العربية والإسلامية فيما يتعرضون له من محن وأزمات والواقع خير شاهد في مصر والسودان واليمن والجزائر وباكستان وأفغانستان والبوسنة..

العمل الخيري الكويتي إنساني تنموي

تنتهج الكويت فيما تقدمه من مشروعات وأعمال خيرية النهج الإنساني التنموي، فالعمل الخيري الكويتي إنساني بمعنى: أنه يقدم مشروعاته وخدماته

ليستفيد منها الجميع بغض النظر عن الدين والمعتقد، أو اللون والجنس، فقد جاءت شريعة الإسلام واحكامه لتكون رحمة وخيرا لجميع البشر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

والعمل الخيري الكويتي تنموي بمعنى تجاوزه النظرة التقليدية لأعمال الخير والبر التي تعتمد على تقديم مساعدات وقتيه أو مرحليه للمحتاجين أو المتضررين، لتقدم بدلا منها مشروعات تنموية تعتمد على تنمية وتطوير المجتمع وإكسابه القدرة على العمل والإنتاج ليصل إلى حد الكفاية الذاتية ولا يكون مجرد متلقى للمساعدات.

الصندوق الكويتي للتنمية وجهوده الإنسانية

شهدت الأعوام الماضية نشاطا مكثفا للصندوق الكويتي في الجانب الإنساني، تنوع بين دعم مؤسسات دولية معنية بالعمل الإنساني، ومد يد المساعدة للاجئين والنازحين بالمنطقة، إلى جانب مساندة جهود التنمية.

وشملت المساعدات التي قدمها الصندوق الجوانب الغذائية، والتعليمية، والصحية، وتركزت بصورة أساسية في البلدان العربية والدول النامية، ومنها: سورية، واليمن، والعراق، والأردن، وكذلك السودان وموريتانيا.

ولاشك أن هذا التوجه للصندوق، إنما هو انعكاس لتوجهات دولة الكويت في مساعدة الدول المحتاجة والفقيرة، والتي كانت دوما محط اهتمام، حتى أنه خلال اجتماع قمة الأرض الشهير في عام ١٩٩٢م قدمت الكويت نموذجا يحتذى به في العمل الإنساني بإعلانها إسقاط الفوائد على ديون الدول الفقيرة، وكانت هذه إحدى أهم المبادرات الإنسانية التي تواصلت فيما بعد، خاصة في عهد الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد، طيب الله ثراه.

ومنذ بداية الأزمة السورية، وقفت دولة الكويت في مقدمة المشهد الإنساني، من خلال تقديم العون والإغاثة للاجئين السوريين في دول الجوار، ودعم المبادرات العربية والدولية كافة بهذا الشأن، وأوفت الكويت بتعهداتها التي تعهدت بها في المؤتمرات الأربعة التي أقامتها للمانحين، حيث سلمت مبالغ مساهماتها، وبقيمة إجمالية تصل إلى مليار و٦٠٠ مليون دولار أميركي، بواقع ٣٠٠ مليون دولار عن المؤتمر الأول، و٥٠٠ مليون دولار عن المؤتمر الثاني، و٥٠٠ مليون دولار عن المؤتمر الثالث، و٣٠٠ مليون دولار عن المؤتمر الرابع.

وبلغ إجمالي ما قدمته دولة الكويت عبر موارد الصندوق الكويتي من مساعدات للاجئين منذ العام ٢٠١٤م حوالي ٢٣٤ مليون دولار أميركي، خصصت لمساعدة المجتمعات المستضيفة للنازحين من سوريا، ودعمها لتقديم الخدمات التي يحتاجونها في قطاعات أساسية، تتعلق بالتعليم، والصحة، والخدمات اللوجستية اللازمة للمعيشة والحياة اليومية، وهذه الدول تشمل: تركيا، ولبنان، والأردن، والعراق، ومصر.

وفي ١٥ نوفمبر ٢٠٢٠م وقع الصندوق الكويتي للتنمية مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) اتفاقية منحة بقيمة ١,٢ مليون دينار كويتي (نحو ٤ ملايين دولار أميركي) لمواجهة تداعيات كورونا بمناطق النازحين داخل سورية.

وفي اليمن، بادرت الكويت منذ بدء الكارثة الإنسانية بتقديم الدعم الإغاثي والإنساني الشامل في أهم القطاعات المرتبطة بحياة المواطن، وفي كل المحافظات اليمنية، حيث تبرعت بمبلغ إجمالي قدره ٧٥٠ مليون دولار لمنظمات الأمم المتحدة المسؤولة عن مساعدة اليمن خلال السنوات الثلاث الماضية.

هذا ويأتي دور الجمعيات الخيرية الكويتية لتدعم وتؤكد على التوجه الإنساني والتنموي للعمل الخيري الكويتي بما تقدمه من مشروعات وخدمات تنموية وإغاثية في البلدان والمناطق المحتاجة ولعل أبرزها في هذا المجال، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والتي تعد واحدة من كبريات المؤسسات العاملة في الحقل الإنساني على مستوى العالم الإسلامي، وهى هيئة خيرية مستقلة، متعددة الأنشطة تقدم خدماتها الإنسانية لمحتاجين في العالم بدون تمييز أو تعصب بعيدا عن التدخل في السياسة أو الصراعات العرقية، وجمعية العون المباشر وهي منظمة انسانية تنموية تركز نشاطها في قارة إفريقية ويعد مؤسسها الراحل الدكتور عبدالرحمن السميط علما ورائدا من رواد العمل الخيري في العالم.

إن دولة الكويت بما تقدمه من أعمال خيرية تمثل حالة متفردة ومتميزة إسلامية عربية عالمية تعبر عن جسدية الأمة وإنسانية وعالمية الرسالة.

الهوامش

(١) سعاد محمد الصباح: مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت الحديثة، الكويت، دار سعاد الصباح، ٢٠٠٧م، ص ٢٦-٦٣، بتصرف من الكاتب.

(٢) فهد الفضالة وآخرون: الوجه الإنساني للمجتمع الكويتي عرض وتوثيق للمبادرات الخيرية الشعبية في الكويت، غرفة تجارة وصناعة الكويت، الكويت، يناير٢٠١٧م، ص٤٨.



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي

العمل الثقافي والإنساني.. خير عنوان للكويت

إذا كان الإنسان يحب أن يجعل لحياته عنوانا يعرف به، ولحركته في الحياة رسالة يتميز بها؛ لأن هذا شأن العقلاء وذوي الهمم وأصحاب الفكر؛ فإن للدول شأنا مثل هذا أيضا.

فنرى مثلا هذه الدولة تعرف بصناعتها، والأخرى بتجارتها، والثالثة بنبوغ أبنائها في مجال ما.. وهكذا، تتنافس الدول في مضمار الإنجاز، وتتسابق في مجالات التميز.. وبالتالي، تعمر الأرض، وتتشيد الحضارة، ويزداد العمران..

وبجانب هذا، فإن ثمة مجالا آخر يصح، بل يجب، أن يكون مجالا للتنافس والتسابق؛ وهو المجال الذي يرتقي بالإنسان من حيث هو مخلوق مكرم على سائر المخلوق، وأيضا المجال الذي يعتني بالإنسان واحتياجاته.. أعني المجالين الثقافي والإنساني.

فالأول يهتم بتوعية الإنسان وتهذيب عقله وتنمية معارفه، والثاني يلبي حاجات الإنسان الأساسية، ويوفر له حدا يحفظ عليه كرامته، ويصون له حقوقه، ويستبقي حياته..

والمتابع لتاريخ دولة الكويت، حفظها الله وبارك جهودها، يجد أنها قد سبقت سبقا بعيدا في المجالين معا؛ حتى صار هذان المجالان عنوانا لها ورسالة.. وما أجملهما من عنوان، وما أجلهما من رسالة!

العمل الثقافي

ففي العمل الثقافي، تبرز لنا منارتان يمتد عمرهما لأعمار أجيال تربت عليهما، ونهلت من معينهما، وكبرت معهما؛ أعني مجلتي «العربي» و«الوعي الإسلامي».. مضافا إليهما العديد من المؤسسات العلمية والبحثية والإصدارات، التي تمثل علامة على دولة الكويت وإسهاماتها الثقافية المتميزة.

فهاتان المنارتان - «العربي»، و«الوعي» - صارتا علامة مميزة على الكويت، وسفيرا لرسالتها، ومرآة للثقافة العربية والإسلامية الرصينة؛ التي تتصل بالجذور والتراث من ناحية، وتتعانق مع العصر وقضاياه من ناحية أخرى.

أجيال متتابعة تربت على هاتين المجلتين، وصار تصفحها لأوراقهما يثير الشجون والذكريات، وينعش العقل بالمسيرة الممتدة، وبالماضي الذي مازال ماثلا في الحاضر وبتألق..!

انطلقت مسيرة مجلة «العربي» وصدر العدد الأول منها في ديسمبر عام ١٩٥٨م، برئاسة تحرير العالم والمفكر المصري الدكتور أحمد زكي، وبمشاركة نخبة من بلاد عربية شتى من أصحاب الأقلام والفكر والأدب، ومن المصورين المبدعين.. ليحمل كل عدد وجبة دسمة، بين فكر نافذ، وأدب ماتع، وجولات في ربوع العالم العربي مصحوبة بصور







خلابة واصفة.. فضلا عن أبواب الحوار والشعر والقصة والطرائف والمسابقات..

وتعرفنا عبر صفحات «العربي» على أسماء لامعة؛ مثل: حسين مؤنس، أحمد بهاء الدين، حسان حتحوت، فهمي هويدي، محمد جابر الأنصاري، أحمد كمال أبو المجد، محمد غانم الرميحي، نقولا زيادة، أحمد صالح الفقيه، عبد الهادي التازي، فاروق شوشة..

وأما مجلة «الوعي الإسلامي» فجاءت متممة لرسالة «العربي»، مضيفة لها بعدا آخر؛ بحيث تتكامل الرسالتان، ولا يتكرر المحتوى.. وانطلقت المسيرة بأول إصدار مع غرة المحرم عام ١٣٨٥هـ، الموافق مايو سنة ١٩٦٥م، برئاسة تحرير الدكتور عبدالمنعم النمر..

وفي مسيرة «الوعي» رأينا الفكر الإسلامي في نصاعته ووسطيته واتزانه، وفي تعانقه للعصر وقضاياه، وفي عمق طرحه وبلاغة تعبيره.. كما أصدرت المجلة ملحقا للأطفال «براعم الإيمان»، الذي نمت في أكنافه أجيال وأجيال.. وكاتب هذه السطور واحد منهم!

وعبر «الوعي» وصفحاتها قرأنا لكبار العلماء والمفكرين؛ مثل الغزالي، البوطي، ابن باز، أنور الجندي، محمد البهي، علي الطنطاوي.. وغيرهم كثير، تقبلهم الله جميعا في الصالحين.

وقد قلت في مقام آخر، احتفاء بـ«الوعي» ومسيرتها: إن مجلة «الوعي الإسلامي» لها مِن اسمها -الذي لخص رسالتها- نصيب، وأي نصيب؟! فهي مجلة «الوعي»، وتنشر الوعي!

والحمد لله، مازالت «الوعي» تواصل رسالتها باقتدار، وتجدد شبابها بتنوع، وتتحفنا مع مطلع كل شهر بفنون من الفكر والدعوة والأدب والثقافة، والتوعية الأسرية.. بما يضيف لرسالة دولة الكويت، ويراكم إنجازها الحضاري والثقافي، الذي نرجو له مزيدا من العطاء والإبداع..

العمل الإنساني

أما العمل الإنساني لدولة الكويت، فإن ما تشهده ساحات الخير المتعددة، وما تلمسه الأيادي في الواقع، وتراه العيون عن قرب، يغني عن الكلام، ولا يحوج إلى الثناء.. وليس أصدق من الفعل، ولا أبلغ من الإنجاز!

فمن دعم فلسطين، إلى دول أفريقيا، إلى إنقاذ المنكوبين في الأزمات والزلازل والفيضانات، إلى مخيمات اللاجئين والنازحين، إلى كل ساحات البر والجود.. لا تتوقف الكويت بمؤسساتها الرسمية وجمعياتها الخيرية، عن مد يد العون، والجود بنعم الله..

وقد توجت مسيرة العطاء، في يوم ٩ سبتمبر ٢٠١٤م؛ حيث تم اختيار دولة الكويت مركزا للعمل الإنساني، وتسمية حضرة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، رحمه الله ، قائدا للعمل الإنساني، وجرى ذلك خلال احتفال رسمي أقامه الأمين العام السابق للأمم المتحدة السيد/ بان كي مون، بمقر الأمم المتحدة.

ولهذا فكما عرفت الكويت برسالتها الثقافية -عبر «العربي» و«الوعي» وغيرهما- عرفت أيضا برسالتها الإنسانية، وبوجهها الحضاري، الذي يسعى لصون حياة الإنسان أينما كان..

وإن هاتين المكرمتين، لهما بوجه خاص خير عنوان للكويت، وبوجه عام خير تلخيص لرسالة الإسلام.. وهل جاء الإسلام إلا لتنوير العقول، وحفظ الأبدان، وصيانة الإنسان معنى ومادة!

نسأل الله تعالى مزيدا من التوفيق والعطاء لدولة الكويت العزيزة، على كل الأصعدة، وعلى هذين الصعيدين بوجه مضاعف..

د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية



رحل قائد الإنسانية.. وبقي العمل الإنساني

دروس في حب الوطن

أثارت جائحة «كورونا» روح التحدي والنخوة، والمروءة والشهامة والكرم، والنجدة لإغاثة الملهوفين والمحتاجين في دولة الإنسانية والعمل الإنساني الكويت، فانطلق العمل الخيري والتطوعي على كل المستويات: الحكومة، الجمعيات الحكومية، الأفراد، داخل الكويت وخارجها، فالاهتمام بقضايا ومنظومة الحياة في الداخل لم يشغلهم عن العمل الخيري خارج البلاد.

فالعمل الخيري في الكويت يطل بوجهه كنمط حياة، ويظهر معاني التعاون والتكاتف والترابط والإنسانية، والرقي الحضاري، وقوة المجتمع والنهضة الأخلاقية، ولا ريب أن هذه السلوكيات

هي ثمرة دعوة القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، فقد قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:١٠).

وقوله ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة» (رواه مسلم: ٢/٢٤٥).





هذه المعاني الإسلامية هي التي زرعت في أهل الكويت المسارعة والمبادرة لفعل الخيرات، لا سيما أوقات المحن والأزمات، ومد يد العون لمساعدة المحتاجين والمصابين، وتكاتف الشعب مع الجمعيات الخيرية، ووزارة الشؤون، ووزارة الصحة، ووزارة الداخلية، لتكون منظومة رسمية وأهلية وشعبية تحمل على عاتقها العمل التطوعي، وعمل الخير، لتكون الأخوة الإسلامية واقعا معاشا وليست حبرا على ورق؛ امتثالا لقول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (البخاري: ٦٠٢٢، ومسلم: ٢٥٨٦).

وقد قامت وزارة الشؤون بتسجيل الفرق التطوعية، وإنشاء مركز العمل التطوعي لتنظيم الفرق التطوعية التي وصلت إلى خمسة عشر ألف فرقة من الرجال والنساء والشباب.

كذلك كانت هناك مشاركات من الجاليات المقيمة في أعمال البر والخير، بالتنسيق مع الفرق العاملة.

إن الشراكة المجتمعية بين المواطنين والمقيمين رعتها دولة الكويت وحرستها، وعملت على تنميتها لتحقيق الطموحات والنجاحات وتنفيذ الخطط لنهضة المجتمع.

وقد شارك ١٥٠٠٠ متطوع في العمل الخيري، كما سجل ٥٠٠٠٠ راغب في التطوع على روابط إلكترونية للدفاع المدني والحملة الوطنية لفزعة الكويت[1].

فقام أهل الكويت بتلبية نداء الواجب برغم خطورة الموقف وصعوبة اللحظات وشدة المواجهة مع الجائحة.

أليست هذه أخلاق القرآن التي ندب إلى التطوع وحث عليها، والتي تربى عليها أهل الكويت، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨).

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

﴿...ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ (البقرة:١٨٣-١٨٤).

عمل منظم

قد يظن البعض أن قيام الأفراد بالمشاركة في العمل الخيري والتطوعي مع الجهات الحكومية والرسمية كان بغير نظام أو ترابط وكيفما اتفق، بل قام العمل على أسس وضوابط ونظام دقيق وترتيب وتنسيق للجهود في سائر الجهات والمجالات، واتفق الجميع على تقديم المصلحة العامة للمجتمع على المصالح الشخصية.

فكانت منظومة العمل التطوعي والخيري تعمل بترابط وتكامل، فليس ما يدعو إلى التناقض والتضاد، طالما أن الهدف محدد وواضح ألا وهو تقديم المساعدات الإنسانية لكل ذي حاجة.

نماذج من العمل التطوعي إبان أزمة «كورونا»

لقد تصدر المتطوعون الصفوف الأولى في الأسواق والمجمعات والمشافي، والمحاجر الصحية التي أنشأتها وزارة الصحة.

كما عملوا على توصيل الأدوية وقت الحظر لأصحابها، كذلك توصيل المواد الغذائية من الجمعيات.

وكان العمل المتواصل في المستشفيات والمستوصفات على أشده للسيطرة على الجائحة وإنقاذ الناس، ولا يخفى أن التصدر للعمل في ذروة الجائحة يزيد من خطر الإصابة بفيروس «كورونا»، وقد سقط بعض العاملين في مواجهة «كورونا» بسبب انتقال الفيروس إليهم، حتى أسلموا الروح إلى بارئها، وسهر رجال الأمن الليالي الطوال في الأجواء المختلفة من الحر الشديد لحفظ الأمن وتطبيق الحظر ومنع التجول، وتطبيق الضوابط الصحية.

وأثناء الحظر والإغلاق الكامل كانت هناك جمعيات خيرية وأهلية تعمل على توزيع سلال الغذاء على الناس لتوقف الحركة والسعي والعمل، وتوقف أجور أصحاب الحرف المختلفة لتعطل أعمالهم مثل الصالونات، سائقي التاكسي، وعمال البناء.. وغيرهم.

وقد كانت بعض الطرق تحت الصيانة والإصلاح والتمهيد، فانبرى العمل الليلي الجاد لوزارة الأشغال يصلح ويمهد ويرمم تحت جنح الظلام حتى تم إنجاز وترميم مساحات شاسعة من الطرق.

فتحية لمن سهروا الليالي للحفاظ على الأمن والأمان والصحة والعافية.

العفو من شيم الكرام

وضربت الكويت مثلا طيبا في خلق العفو قد لا يوجد له مثيل أو نظير، عندما أصدرت السلطات العفو عن مخالفي الإقامة وأعفتهم من الغرامة. وتم جمعهم في أماكن إيواء في استضافة كاملة شاملة، ليحملوا معهم ذكريات الكرم والشهامة والمروءة، وقد تم إعطاؤهم الفرصة للعودة مرة أخرى إلى الكويت مع تعديل أوضاعهم.

رحيل قائد العمل الإنساني

وفي هذه السنة الكبيسة، وهذا العام الثقيل بأحداثه ووقائعه، كان فراق أمير البلاد قائد الإنسانية الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، الذي ملأ ربوع الكويت والبلاد حولها بالسعي الدؤوب للسلام والعطاء والبذل، والعمل الإنساني. لقد رحل قائد الإنسانية وبقي العمل الإنساني، يمشي الناس على نبراسه وضيائه، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أبدع بي (أي: كلت راحلتي وتعبت) فاحملني، فقال: ما عندي. فقال الرجل: يا رسول الله، أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (رواه مسلم: ١٦٧٧).

إن العمل الإنساني، والتطوع لعمل الخير، فيض من العواطف والمشاعر والأحاسيس الطيبة تجاه أصحاب الحوائج يدفع للإحسان إلى الناس داخل الكويت وخارجها.

لقد كانت جائحة «كورونا» درسا في الوطنية وواجبات المواطنة، واختبارا حقيقيا للمعاني الوطنية، وأبرزت قدرا ضخما من الحب المكنون، فالكويت تستحق البذل والعطاء والتضحية.

لقد أخرجت هذه الأزمة ما في القلوب من محبة وإخلاص للوطن، وأبرزته للوجود، فهل بعد ذلك دليل على حب الوطن؟

إن معاني الوطنية التي تكتب على أرض الواقع لهي أشد عمقا وأقوى أثرا من الكتابة عنها على الأوراق.

إن تعلم معاني الوطنية من خلال الأزمات والنوازل الشديدة، وقراءة الوقائع والأحداث أشد في النفوس من كتابتها على الأوراق وقراءتها في الصحف.

تحية إعزاز وتقدير لمن تفانوا في بذل هذه الجهود، مع دعاء بالتوفيق للمزيد من النماء والبناء والتكاتف والبذل والعطاء، وسلاما على من فارقونا إلى دار الخلود، والحمدلله رب العالمين.

الهوامش

١- جريدة الأنباء الإلكترونية، ١٠ يونيو ٢٠٢٠م، www.aaanba.com.kw.



شيماء لطفي
باحثة تربوية

تاريخ الكويت.. محطات مشرقة

للكويت تاريخ قديم يرجع إلى ما قبل الميلاد تدل عليه الآثار التي عثر عليها في جزيرة فيلكا التي استوطنت من قبل الهيلينستيين في القرن السادس قبل الميلاد ثم استولت قوات الإسكندر الأكبر على الجزيرة، وأطلق عليها اليونانيون اسم إيكاروس، بينما يرجع تاريخ الكويت الحديث والمعاصر إلى أكثر من ٤٠٠ عام حينما تأسست مدينة الكويت في القرن السابع عشر الميلادي، وكان غالب سكانها يعملون في مهنة الغوص على اللؤلؤ والتجارة البحرية بين الهند وشبه الجزيرة العربية، وازدهرت المدينة بعدما استوطنها آل صباح بمعية العتوب عام ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م، وهو ما ساعد في تحويل الكويت إلى مركز تجاري في شمال الخليج العربي وميناء رئيسي لكل من شبه الجزيرة وبلاد ما بين النهرين، وقد بلغت مهنة الغوص ذروتها زمن حكم مبارك الصباح إذ بلغت السفن بالكويت قرابة الثمانمائة سفينة، وبعد اكتشاف النفط وبدء تصديره في منتصف القرن العشرين، شهدت مدينة الكويت وقراها نهضة عمرانية واسعة فكان ذلك نقطة تحول في تاريخ الكويت بشكل عام.

مرحلة التأسيس

عند وصول العتوب الكويت سنة ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م أقاموا فيها ومارسوا التجارة وامتهنوا الغوص لجمع اللؤلؤ والتجارة البحرية من وإلى الهند، فازدهرت أعمالهم وتكاثر السكان في المدينة، وفي سنة ١١٢٩هـ/ ١٧١٦م تحالف ثلاثة من أهم زعماء القبائل التي سكنت الكويت، وهم الشيخ صباح بن جابر بن سلمان بن أحمد، وخليفة بن محمد، وجابر بن رحمة العتبي رئيس الجلاهمة على أن يتولى صباح بن جابر الرئاسة وشؤون الحكم وأن يتشاور معهم، ويتولى خليفة شؤون المال والتجارة، ويتولى جابر بن رحمة شؤون العمل في البحر، وتقسم جميع الأرباح بينهم بالتساوي.

السور الأول

بعد وفاة الشيخ صباح بن جابر سنة

١٧٦٢م تسلم ابنه الشيخ عبدالله ابن صباح الحكم، فحكم لفترة طويلة استمرت حتى سنة ١٨١٢م، وفي فترة حكمه تم رفع أول علم للإمارة وهو «العلم السليمي» وذلك لتمييز السفن الكويتية بعد أن أصبح للإمارة أسطول بحري، وفي سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م بعد أن ضعف نفوذ بني خالد حكام الأحساء، أضحت الكويت مهددة من الجنوب من سعود بن عبدالعزيز إمام الدولة السعودية الأولى الثالث، ومن المنتفق في العراق شمالا، جاءت فكرة بناء أول سور حول مدينة الكويت، وقد بلغ طوله ٧٥٠ مترا ليحمي المدينة.

معركة الرقة

هي معركة بحرية وقعت في ١٢ أغسطس ١٧٨٣م بين الكويت وقبيلة بني كعب حكام عربستان الذي يمتلكون أسطولا قويا سخروه لمهاجمة السفن الناقلة للتجارة في بعض مناطق الخليج العربي ، وكانت لهم مدينة في البر الشرقي للخليج تدعى (الدورق)، وكان أسطولهم قويا، وعمدت قبيلة بني كعب إلى التحرش بالكويت طمعا في الاستيلاء على أراضيها، وقد بدأت الأحداث حين رفض حاكم الكويت الشيخ عبدالله بن صباح خطبة أحد أبناء زعيم بني كعب الشيخ بركات بن عثمان بن سلطان لابنته الشيخة مريم، واعتبر الشيخ بركات هذا الرفض إهانة كبيرة له ولقبيلته، فأصدر أوامره بإعداد حملة بحرية كبيرة من أجل تحقيق أطماعه في الكويت، ولما علم أهل الكويت بهذه الحملة قرروا الخروج إليها وملاقاتها بسفنهم المزودة بالسلاح والرجال، والتقى كلا الفريقين في مكان يسمى «الرقة» بالقرب من جزيرة فيلكا، ومصطلح الرقة يعني باللهجة الكويتية «أحد الأماكن البحرية غير العميقة»، فإذا انحسر الماء عن هذا الجزء، يظهر الطين، وهذا سبب تسميه المكان والمعركة بهذا الاسم.

أما عن سفن بني كعب فكانت كبيرة الحجم وثقيلة بينما كانت سفن أهل دولة الكويت آنذاك على العكس تماما، حيث كانت صغيرة الحجم، وبسبب معرفتهم بطبيعة أراضيهم، فلم يبدأ الكويتيين بالمعركة بل تركوا الأمر حتى حصول حالة الجزر في البحر، وعند حدوث الجزر لم تستطع سفن بني كعب التحرك وبقيت في أماكنها، مما أدى إلى سيطرة أهل الكويت ورجالها على ساحة المعركة، وبالتالي أدى ذلك إلى انتهاء المعركة بانتصار أهل الكويت. وعادوا بعد هذه المعركة بالكثير من الذخائر والمدافع التي حصلوا عليها كغنائم لهذه المعركة ونصبوها على الشاطئ تخليدا لذكرى انتصارهم في هذه المعركة، بينما لم يرجع من بني كعب سوى من نجى بأعجوبة من هذه المعركة رغم التعداد والأسلحة الذين كانوا مزودين به.

معركة خكيكرة

هي معركة بحرية حدثت في شهر مارس من عام ١٨١١م بالاشتراك بين الكويت والبحرين ضد قوات الدولة السعودية الأولى بقيادة رحمة بن جابر الجلهمي حاكم الدمام وبعض قرى قطر، وقعت المعركة البحرية عند «خوير حسان» وهو موضع يقع شمالي غرب قطر، انتهت المعركة بانتصار البحرين والكويت.

أراد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد غزو البحرين التي سبق أن خرجت عن طاعة الدولة السعودية، فأرسل جيشا من أهل نجد والأحساء والقطيف يتكون من ٦٠ سفينة ما بين كبيرة وصغيرة، فلما علم بذلك عبدالله بن أحمد آل خليفة حاكم البحرين أرسل إلى حاكم الكويت الشيخ جابر بن عبدالله الصباح يستنصره فأتاه بحرا بالسفن فبلغت سفنهم جميعا ٢٠٠ سفينة، فالتقوا عند خوير حسان وضبطوا السفن واقتتلوا فقتل من أهل البحرين والكويت ١٠٠٠ رجل، وقتل من الجانب الآخر ٣٠٠ رجل وانتهت المعركة بانتصار الكويت والبحرين.

آل سعود في الكويت

من المحطات الخالدة في تاريخ الكويت والتي تدل على قوة الأواصر بين الإخوة رغم ما قد يحدث من خلاف أو شقاق استضافة الكويت للإمام عبدالرحمن آل سعود وأسرته في الكويت بعد أن سيطر الأمير عبدالعزيز بن رشيد على الرياض عام ١٨٩١م، حين قرر الإمام عبدالرحمن وأولاده الانسحاب من الرياض تحضيرا للمواجهة المصيرية مع بن رشيد، الذي اتسع نفوذه مع انتصاراته في المعارك التي قادها في طريقه لاحتلال الرياض. ومن أجل الاطمئنان على راحة الأسرة، أرسل الإمام عبدالرحمن ابنه

عبدالعزيز إلى الشيخ عيسى الكبير حاكم البحرين، لإمكانية إقامة النساء والأطفال في البحرين، وقد كان ترحيب الشيخ عيسى عاملا مهما في تصاعد الثقة في النصر النهائي.
مع استقرار الأسرة في البحرين، واكتمال الاستعدادات للمواجهة الحتمية لاستعادة الشرعية، قاد الإمام عبدالرحمن معركة استعادة الشرعية في الرياض، فتحرك إلى منطقة الدلم، حيث دارت معركة حريميلاء عام ١٨٩١م، والتي انتصر فيها محمد بن رشيد وتقدم إلى الرياض ليمارس عملية انتقام من أهلها الذين أيدوا الإمام عبدالرحمن، وهدم سور المدينة. لم يتقاعس الإمام في تصميمه على الإعداد لمعارك المستقبل، فأرسل ابنه عبدالعزيز إلى الأحساء لمفاوضة المتصرف العثماني عاكف باشا للإقامة في الأحساء، فاقترح عليه تعيين الإمام عبدالرحمن حاكما للرياض مع دعم مالي وتسهيلات تزيد من ترابطه مع الدولة العثمانية، رفض الابن عبدالعزيز هذا العرض، وقرر أن تكون خطوته القادمة نحو الكويت، وعندها توسط متصرف الأحساء لدى الشيخ محمد بن صباح الذي رحب بإقامة الإمام ومرافقيه وأسرته.. كان ذلك في عام ١٨٩٢م.

المؤسس الحقيقي الشيخ مبارك الكبير

يعتبر عهد الشيخ مبارك بن صباح الصباح (مبارك الكبير) بداية النهوض الحقيقي للكويت حيث تولى سدة الإمارة في الكويت في ١٣ مارس سنة ١٨٩٦م خلفا لأخيه الشيخ محمد بن صباح الصباح، فقاد مسيرة نهضة وإصلاح شامل قال عنها الشيخ محمد ابن مصطفى بن محمد بن عزوز المكي الحسني: «الكويت في هذا الزمان تساوي البصرة في الشهرة فكل من خاض في السياسة يعرف الأمير مبارك آل صباح ويعرف بلده الكويت، لأن الكويت اشتهرت به..»
وفي عهد الشيخ مبارك الكبير أنشئت أول مدرسة نظامية في الكويت عام ١٩١١م سميت بالمدرسة المباركية نسبة إلى اسمه.
وفي عام ١٩١٤ م كانت الدولة العثمانية تواجه المتاعب المثارة بينها وبين سلطان نجد، ووجدت في الشيخ مبارك الصباح الرجل الذي يمكنه أن يساعدها في إيجاد صيغة مشتركة بينها وبين عبدالعزيز آل سعود لحل المشكلات.

الكويت من الإمارة إلى الدولة

في عهد الشيخ عبدالله السالم قام بالعديد من الإجراءات التي من شأنها إعطاء الاستقلال للكويت، حيث تسلمت الكويت في فبراير ١٩٥٨م مسؤولية الخدمات البريدية في الداخل، وقد تم إصدار طابع بريدي حمل صورته، وفي ١ فبراير ١٩٥٩م تسلمت الكويت المسؤوليات الخارجية للبريد، وقد تم إصدار طابع بريدي آخر يحمل صورته، وقام بوضع قانون للجنسية في عام ١٩٥٩م، وقام بحث دائرة المالية بإجراء دراسات عاجلة لإصدار عملة وطنية للكويت ووضع قانون النقد الكويتي في ١٩ أكتوبر١٩٦٠ م الذي قرر بأن يكون الدينار الكويتي هو وحدة النقد الكويتي، وينص القانون أيضا على إنشاء مجلس للنقد ليتولى مسؤولية إصدار النقد والمسكوكات الجديدة، وفي ١ أبريل ١٩٦١م صدر الدينار الكويتي للتداول وسحبت أوراق النقد الهندية والمسكوكات الهندية.
وفي ١٩ يونيو ١٩٦١م قام بالتوقيع على وثيقة استقلال الكويت من المملكة المتحدة مع السير جورج ميدلتون، وكان من شروطها بأن تستمر العلاقات مع المملكة المتحدة التي تسودها روح الصداقة والتشاور بين البلدين عند الحاجة في القضايا المهمة، وأن لا يؤثر استقلال الكويت على استعداد الحكومة البريطانية بمساعدة الكويت عند الحاجة.
وفي ٢٠ أكتوبر ١٩٦٢م أنشأ المجلس التأسيسي، وعملت لجنة خماسية لمناقشة الدستور، وقد قدم الدستور إلى الشيخ عبدالله السالم في ٨ نوفمبر ١٩٦٢م في قصر السيف، ووافق عليه في ١١ نوفمبر ١٩٦٢م بدون أن يطلب تغييرات فيه، وأجريت أول انتخابات لمجلس الأمة في أوائل عام ١٩٦٣، وعند أول جلسة لمجلس الأمة قام بأداء القسم أمام أعضاء المجلس رغم مرور أكثر من ١٣ سنة على توليه الحكم.
كانت هذه إطلالة سريعة على جزء من تاريخ الكويت القديم والحديث بينت عراقة الشعب الكويتي وجذوره التاريخية ونهضة دولة الكويت التي تنطلق منها دائما إلى مستقبل مشرق وواعد.



الفاروق عبد العزيز
منتج وناقد ومخرج سينمائي

كنت شاهدا على فضائل الخيرية الكويتية في البلدة الطيبة

هذا وطني أيضا

في لقاء تلفزيوني بث خلال الأيام الأولى من غزو الكويت في أغسطس من عام ١٩٩٠م، قال الشيخ محمد متولي الشعراوي لمحاوره: «إن الكويتيين أبوا إلا أن يشاركوا ما حباهم الله به من نعمة وفضل مع شعوب كثيرة في هذا العالم، وأجر هذه الخيرية هو عند الله سبحانه وتعالى عظيم، لن يضيع أبدا في هذه المحنة، وسنرى فيما يقبل من الأيام كيف أن الله لا ينسى أبدا عباده من الكويتيين الذين كانوا له، جل وعلا، من الذاكرين والخيرين».

مع حلول ظلام الغزو العراقي في الثاني من أغسطس وجدت نفسي، مثل كثيرين غيري، على غير موعد مع فصل تاريخي جديد يتحرك أمامي.

كانت استجابتي التلقائية في ذلك الصباح لتحدي الغزو هي أنني أعدت تعريف الوطن:

«الوطن
هو كائن حي.. هو
المكان الذي يحتويك فتبادل أهله وناسه حبا بحب».

وكان من الطبيعي ألا ترضى منظومتي الأخلاقية ولا تقبل أن أهجر وطنا في الضراء بعد أن شاركته حياته في السراء!

لعلها واحدة من بين ميزات عدة تتميز بها الكويت وأهلها في أعين من يختارون الإقامة فيها، هي معيار الجاذبية الخيرية المرتفع والمنتشر في الطقس النفسي والفعل السلوكي لهذا البلد منذ عقود طويلة. وهي جاذبية خيرية اتسمت بتعاليها، في كل الأوقات، فوق الاختلافات السياسية، مهما كان مستوى ضجيجها، لتؤكد في واقع الأمر تواصلها مع المتلقي الأول: «الإنسان».

والمؤكد أن هذه الممارسة التي اكتسبت على مر العصور سلوكا طبيعيا هي التي نالت احترام وتقدير العالم باختيار المجتمع الدولي الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، يرحمه الله، «قائدا للإنسانية» في التاسع من سبتمبر من عام ٢٠١٤م، بل واختيار دولة الكويت مركزا لها. وهذا في تصوري أعلى تقدير أممي يمكن أن يناله وطن وقائد وشعب على الإطلاق.

إن موجات هذه الجاذبية الخيرية الكويتية قد امتدت إلى آفاق وأقاليم مختلفة الألسن والألوان في بقاع الأرض.

بل إن خيرا مباشرا أصابني وأصاب غيري في نهاية الأسبوع الأول من الغزو حين أخبرني جاري المدير لدى شركة الوزان الغذائية أن صاحبها خالد جاسم الوزان قد طلب منه فتح المخازن على مصراعيها ودعوة



الكويتيين والمقيمين ليأخذوا منها ما يستطيعون حمله دون مقابل!

وغني عن البيان أنني قمت بتحميل سيارتي أكثر من مرة وتوزيع محتوياتها على كثير ممن كنت أعرف، وتخزين ما تبقى من خير هذا التاجر الكويتي!

وعندما انتقلت للسكنى في إحدى المناطق كان شباب الحي الكويتيين، المدفوعين بتلك الروح الخيرية، يطرقون بابي كل صباح للسؤال عن احتياجاتي المعيشية والإلحاح علي في قبول ما قد يحضرونه إلي.

بل إن فعلا عاديا متكررا لخمس مرات في اليوم والليلة يتردد في مدن وقرى العالم الإسلامي، جعلت منه هذه الخيرية الكويتية مولدا لأعلى مشاعر الأمان والاطمئنان وتثبيت الهوية.

إنه نداء الصلاة! فمجرد الاستماع إلى الأذان في هذه البيئة المحافظة المرحبة يعطي شعورا بسلام غامر.

المقاومة تصنع أبطالها

لعلها واحدة من ثمار الخيرية أن تنطلق بشكل تلقائي روح المقاومة وحب الشهادة دفاعا عن الأرض والعرض والمال. فمنذ اليوم الأول للغزو ولدت بشكل تلقائي ظاهرة المقاومة الكويتية، بجناحيها المدني والعسكري، وهي الحركة التي وجدت نفسها وجها لوجه مع تاريخ يصنع أمامها، فأبت إلا أن تشارك هذا التاريخ صناعة أبطاله.

في الثامن من أغسطس من عام ٢٠١٥م نشر الكاتب الدكتور محمد ابن إبراهيم الشيباني مقالا بعنوان «بو ناصر.. لن ننساك»! قال فيه: «... كيف ننساك وكنت في كل ليل ونهار مع الكويتيين في مناطقهم تجوبها طولا بعرض، تمدهم بالمال، وتشجعهم على العمل والنشاط في المقاومة المدنية.. تجتمع مع اللجان الوطنية في كل مناطق الكويت تنسق بينها ثم تربطهم بحكومتهم في الطائف.

وفرت الهواتف الساتلايت واستطعنا من خلالها معرفة الدور الذي كانت تلعبه الدبلوماسية الكويتية، فكان دور أخيك سعود الناصر، رحمه الله، لا يقل عن دورك.. فأنت في المقاومة الوطنية في الداخل وهو في المقاومة الوطنية الدبلوماسية في الخارج».

ولذا حرصت على تسجيل لقاءات تلفزيونية مع الشيخ صباح الناصر، رحمه الله، في مارس من عام ١٩٩١م حول دوره في المقاومة الوطنية للاحتلال.

وفي السابع عشر من مارس من عام ١٩٩١م التقيت في مستشفى العدان بالشيخ بدر محمد عبدالله السلمان الصباح الذي التحق بمجموعة مقاومة في منطقة الأحمدي، وكان يتعافى من إصابات لحقت به.

في موقع آخر حدثني الرائد عبد الرحيم فخرو عن بطولات عسكرية للمقاومة الكويتية. والمهم هنا هو أنها لم تكن كلها بالضرورة من صنع عسكريين؛ فقد كان الشباب يندفعون للقيام بأعمال بطولية وهم صائمون في يومي الإثنين والخميس. وقد اختار الله بعضهم شهداء، بينما وقع آخرون منهم أسرى في أيدي الغزاة.

ولم تكن المقاومة وحب الشهادة قاصرة على الذكور، فبعد مرور أسبوع على الغزو سمعت من حيث كنت أسكن هتافات بالغة الجسارة ضد الاحتلال.



لقد كانت هذه أول مظاهرة في الكويت وقعت في الثامن من أغسطس من عام ١٩٩٠م، وسجلت وقائعها إحدى المشاركات فيها وكن كلهن من النساء اللواتي لم يعبأن بالخطر المحيط بهن، فسرعان ما وصل الجنود العراقيون وبدأوا في إطلاق الرصاص لتشتيت المظاهرة.

ويشهد التاريخ أن المرأة كانت دوما المنبع الأساس للقوة الإنسانية على الصعيد الفردي والمجتمعي خلال الأزمنة الصعبة.

درب الآلام

عندما استطلعت بعض ما تراكم لدي من مواد بصرية ترسم معالم الجانب المظلم من سقوط النوع الإنساني إلى هاوية غير مسبوقة من «القسوة والإفساد في الأرض»، استدعت ذاكرتي ما تساءلت عنه الملائكة أمام ربها عندما أنبأها بخلق الإنسان ليكون خليفة لله في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٣٠).

لقد ائتمن الله الإنسان، بعد أن علمه ما لم يكن يعلم، وأهَّله لطاعته ونهاه عن معصيته بطاعة عدوه.. ائتمنه على خلافة الأرض بالعدل مستندا إلى قيم الحق والخير والجمال التي واصلت تذكير الإنسان بها، على مر تاريخه، رسل الله وكتبه.

غير أن حالتان شاهدتهما في فيلم المخرج الألماني فيرنر هيرتسوج المعنون «دروس الظلام» كانتا أبلغ من أي حديث عن السقوط الإنساني في هاوية القسوة والإفساد في الأرض.

لقد جرجر زبانية الجحيم الأرضي امرأة كويتية مع ولديها، ثم أرغموها على مشاهدة ولديها يعذبان أبشع تعذيب إلى أن لفظا أنفاسهما الأخيرة.

منذ تلك اللحظة لم تعد قادرة على النطق سوى بكلمات معدودة.

أما هذا الطفل فقد داهم الزبانية منزل أهله في الليل وهو يغط في نومه مع أخوته. سحبه واحد من الزبانية من فراشه ثم وقف على رأسه بكل ثقله بحذائه الغليظ، وظل هكذا على الرغم من صراخ الأم وتوسلاتها بالرحمة! اندفع الأب لينقذ ولده وفي الحال أردوه قتيلا بالرصاص أمام عيني الطفل. فقد الطفل النطق وتلاشت كل الكلمات. وعندما حاولت أمه استرجاع ملكة النطق عنده، نطق مرة واحدة، هي الأولى والأخيرة، ليقول لها: «أمي... لا أريد أن أتعلم كيف أنطق»! وسكت بعدها عن الكلام!

وقد وصف لي الرائد عبدالرحيم فخرو فصلا من فصول «القسوة» التي ابتلي بها من سقط من أهل المقاومة من الكويتيين، ومنهم الشهيدة وفاء العامر ذات الأعوام الأربعة والعشرين.

وكانت الأعماق السفلية للقسوة هي التي حرمت الشهيدة أسرار القبندي، على الأقل، من بطاقة تعريفها البشرية. ففي لقاء مع عمها عبدالرحمن القبندي وصف لي الكيفية المروعة التي بدا عليها وجهها بعد إلقاء جثتها أمام منزل العائلة.

من هذه الروح العظيمة أيضا ولدت عشرات من قصص نساء المقاومة اللاتي استشهدن.

في السابع من مارس من عام ١٩٩١م توجهت إلى مخفر قيادة السرة حيث علمت أنه كان مقرا للمخابرات العراقية، وعندما دخلت المبنى لم تكن آثار دماء المعتقلين والمعذبين الكويتيين قد جفت بعد. هناك التقيت على غير ميعاد مع العقيد الركن طيار علي محمد الفودري المتميز بعلمه وخبرته العسكرية وبكونه أحد عناصر المقاومة الكويتية

في المنطقة.
تطوع باصطحابي في جولة مؤسية عاينت فيها أدوات القسوة وإبداعات التعذيب التي ساق بها الزبانية الضحايا سوقا إلى درب الآلام.
في نهاية الجولة لم أجد إجابة عن السؤال: من أين تنبع كل هذه القسوة؟!
ولم يكن الكويتيون والعرب هم الضحايا الوحيدين على درب الآلام؛ فعندما عبرت الحدود الكويتية في سفرات متعددة إلى جنوب العراق خلال شهري مارس وأبريل من عام ١٩٩١م كمنتج لفرق إخبارية من تلفزيون BBC شاهدت أكواما من الضحايا العراقيين الذين حرموا الإحساس بمعنى الحياة الكريمة، لا تعليم ولا صحة ولا تنمية في ظل نظام لا تعنيه حياة مواطنيه ولا موتهم!
في هذا الموقع تذكرت قول الله عزوجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ (إبراهيم:٢٨).

من بستان الشهادة

في الساعات الأولى من اليوم الأول للغزو شارك فهد الأحمد من كتب الله له الشهادة من الكويتيين. تحدثت عنه مع شقيقته الشيخة نعيمة الأحمد التي وصفت لي خصاله المعطاءة المستمدة من الروح الخيرية الكويتية.
تساءلت هنا عن مصدر قوة الشهيد؟ يبدو لي أن قوة الشهيد تكمن في عنفوان التلقائية التي تدفعه في لحظة مفصلية، أمام تحد مهدد مفاجئ، للاختيار بين السكون أو الحركة.
فالشهيد لا يفكر ثم يتمهل ثم يختار أن يكون شهيدا. إنه إنسان يصدق ما وقر في القلب بالعمل، فيفعل ما يجب عليه أن يفعله في استجابة تلقائية للحظة التحدي.
من معاني الشهادة أن هؤلاء الشهداء يشهدون على من ظلمهم.
ومن معانيها أيضا أن هؤلاء الشهداء يشهدون فرحهم واستبشارهم بالذين لم يلحقوا بهم عند ربهم.

«حقول النار»

سواد على الأرض، وسواد في السماء، ويبدو أن الشيء الوحيد الحي هنا هو أشجار النار!
أمام هذا المشهد كيف يمنع المرء نفسه من التأثر وهو يعيش زمنا لم يكن في وارد التصور. ها هو الإنسان المستخلف في الأرض يفسد فيها، ويدمر البركة ومصدر الخيرية التي أنعم الله بها على خلقه.
ها هي ٧٥٠ بئرا نفطيا تحترق، وهذه خمسة ملايين برميل تشتعل يوميا فيتبدد خيرها ويعظم شرها على الإنسان والكائنات المحيطة به في هذا التيه، وهذه ١٤٠ مليون دولار من نعمة الله على هذا الوطن وأوطان أخرى تحترق يوميا هباء منثورا!
وعندما توجهت إلى الحدود الجنوبية لمدينة الأحمدي، حيث يقع حقل البرقان النفطي، التقيت من غير ميعاد بوزير النفط آنذاك الدكتور رشيد سالم العميري الذي اصطحبني إلى طرف قريب من حقل البرقان حيث عاينت للمرة الأولى المشهد الكارثي. أجريت حوارا معه حول الجهود المبذولة للسيطرة على الحرائق.
جاءني اتصال في الأسبوع الأول من شهر أبريل من عام ١٩٩١م من شركة ماجدسون الأميركية يستفسر عما إذا كان هناك موضوع في الكويت يمكن أن يكون صالحا كمادة في فيلمها الجديد «بركة» الذي يقدم تقريرا عن الوضع الراهن لكوكبنا وإنجازات الإنسان في تعمير أو تدمير البركة الإلهية في الأرض. وكانت إجابتي: تعالوا إلى الكويت لتشاهدوا حقا معنى إفساد الإنسان في الأرض!
وفي اللحظة التي واجه فيها مصور ومخرج الفيلم رون فريكي أولى مشاهد كارثة الحريق التفت إلي قائلا: «هذه هي الحديقة الوطنية للجحيم»!

الوطن يعود إلى وطنه

في واحدة من آخر زياراتي إلى تلفزيون الكويت في أبريل من عام ١٩٩١م لم يطل بي الشعور بالشجن. فقد عاد إلي قدر كبير من التفاؤل عندما رأيت زملاء العمل القدامى يعيدون إليه حياته. وشهدت أول نشرة أخبار افتتحها مذيع الأخبار جاسم الغريب بتلاوة الآية الحادية والثمانين من سورة الإسراء:
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء:٨١)، معلنا عودة الوطن إلى وطنه!
قال قائل عن حق: إن الكويت كانت حريصة، طوال عقود، على إشراك شعوب وقبائل في العالمين العربي والإسلامي في التمتع بنصيب من ثمار هذه النعمة الإلهية.
وهذه هي بعض فضائل الروح الخيرية الكويتية التي كانت العامل الأساس في عودة الشمس إلى سماء الكويت من جديد.



عايد الجاسم
كاتب وباحث دراسات إسلامية

ذكرى حافلة بالإنجازات

تحل ذكرى الأيام الوطنية للكويت، وسط استمرار اتخاذ التدابير والإجراءات الاحترازية الصحية التي فرضتها تداعيات فيروس كورونا المستجد.

ويمر شهر فبراير هذا العام من دون احتفالات رسمية مثلما حصل في فبراير ٢٠٢٠م عندما ألغيت الاحتفالات لتجنب انتشار وباء كورونا، في إطار الإجراءات التي اتخذتها الحكومة لمواجهة هذا الوباء والحفاظ على صحة وسلامة المواطنين والمقيمين من خلال الحد من التجمعات التي تتعارض مع الإجراءات الصحية.

وألقت الإجراءات الاحترازية من وباء كورونا بظلالها على الأجواء الاحتفالية التي تقام بمناسبة الأيام الوطنية. ويحظى شهر فبراير بأهمية خاصة لدى الكويتيين، إذ تقام فيه الكثير من المناسبات والاحتفالات نظرا لكونه يضم يومي الاستقلال والتحرير اللذين يتم إفراد احتفالات خاصة بهما.

وتحتفل الكويت بيوم الاستقلال ويوم التحرير من الغزو العراقي في ٢٥ و٢٦ فبراير من كل عام، بأجواء فرح ومظاهر زينة غير مسبوقة سواء على المستويين الرسمي أو الشعبي.

وتتزين البلاد بالأعلام والصور واللافتات والإضاءات وأنوار الزينة التي تنتشر في الشوارع وعلى المنازل والجهات الحكومية والخاصة ومرافق الدولة المختلفة في مظاهر فرح وبهجة لافتة. كما تقام الكثير من الفعاليات والأنشطة والبرامج الخاصة سواء من قبل الجهات الحكومية أو الخاصة في حرص على الاهتمام بهذه المناسبة السعيدة وإبراز كل مظاهر الفرح والسرور حتى أضحى فبراير شهر الاحتفالات الوطنية في الكويت.

ورغم توقف الاحتفالات الرسمية والشعبية التي اعتادت الكويت إقامتها في الأيام الوطنية حرصا على تقليل التجمعات بهدف منع انتشار جائحة كورونا فإن هذه المناسبة السعيدة لا يمكن تجاوزها من دون اهتمام واستذكار رسمي وشعبي عبر العديد من البرامج والأنشطة المختلفة التي يتم إعدادها لهذه المناسبة الوطنية.

ومع حلول يومي ٢٥ و٢٦ فبراير ٢٠٢١م فإنه يكون قد مر على ذكرى استقلال الكويت ٦٠ عاما، وذكرى التحرير ٣٠ عاما شهدت فيها البلاد الكثير من الأحداث والتغيرات والتطورات ومراحل الإعمار والبناء والتنمية.

وتشكل الأيام الوطنية ذكرى مسيرة حافلة بالأعمال والإنجازات والمشاريع التنموية التي شهدتها الكويت خلال العقود الماضية، كما أنها تمثل محطة انطلاق نحو المستقبل لاستكمال مسيرة التنمية والنهضة الشاملة بمشاريع متنوعة تحقق الرفاهية والعيش الكريم وتضع البلاد في مصاف الدول المتقدمة.

ويبقى للأيام الوطنية في الكويت مكانتها الخاصة لدى المواطنين التي مهما طالت السنين تبقى ذكراها باقية وحاضرة بقوة، لا يمكن نسيانها أو تجاهلها إنما يجب الوقوف عندها وتسليط الضوء على ذكراها وتفاصيلها وأحداثها المختلفة.



محمد محمد الشحات
باحث في الفكر الإسلامي

سياحة حضارية في عقول المفكرين

هذه قراءة موضوعية في أربعة مشاريع حضارية تهدف إلى انتشال الأمة من التبعية الاستهلاكية لعالم الأشياء وعالم الأفكار إلى أمة منتجة للأفكار وللأشياء معا أولا ومجددة ومتطورة في التعاطي مع مستجدات العصر الحديث ومنتجة للأشياء ومنفتحة على الآخر ثانيا، «وحضارتنا الإسلامية تظل الوحيدة –من بين سائر الحضارات الأخرى– القادرة على الانبعاث، لاسيما إذا تذكرنا قدرة النص القرآني والمعطى النبوي على حماية مصداقيتها بوعد الله، وشهادة التاريخ، والوقائع على أنه ما من نص ذي أصل ديني قدر على مجابهة التحريف والتزييف كالنص الإسلامي»[1].

منذ سنوات كتب المفكر الجزائري مالك بن نبي عن أسباب السقوط الحضاري والتراجع الذي ألم بالأمة، ومن قبله كان للشيخ محمد الغزالي كلام في هذا السياق، وفي الفترة الراهنة كان للدكتور عماد الدين خليل رأي له تقديره في المشروع الحضاري الإسلامي، وأخيرا كان للدكتور محمد عمارة مشروعه الفكري.

واللافت للانتباه أن هذه المشاريع قدم لها أساتذة أجلاء، قاموا بالدراسة المستفيضة لكل مشروع بطريقة تيسر لكل متابع ومهتم الاستفادة منه، ما عدا مشروع د. عماد الدين خليل، إذ قام بعرض مشروعه بنفسه. والأمر الثاني هو أن هذه المشاريع متعددة الجنسيات «جزائرية (مالك بن نبي) – عراقية (عماد الدين خليل) – مصرية (محمد الغزالي – محمد عمارة)»، وفي ذلك دلالة واضحة على أننا أمة واحدة، همها واحد، وتطلعاتها مشتركة، وتملك وسائل بينها تقارب تؤكد على أن المشكلة واحدة وطرق العلاج متقاربة والقواسم المشتركة تجعلنا قادرين على الخروج من حالة الوهن والانزلاق إلى التطلع نحو الاستقلال والتميز بما نملك من قدرات عالية.

واسمحوا لي أن أدير حوارا افتراضيا على دائرة تجمع هؤلاء الأفذاذ جميعا، نسبح في عقولهم، نستخرج الدرر لنقدم للقارئ المسلم وجبة دسمة من الفكر الراقي الذي يهدف إلى عزة الأمة وسيادة حضارتها في الآفاق، وسيكون الحوار حول نقطتين: الأولى حول أسباب السقوط والتردي، والثانية حول أسباب الصعود والترقي، ثم نخرج في النهاية برؤية مشتركة.

وبعد التقديم والترحيب بالسادة الضيوف، كان أول المشاركين في عرض رؤيته حول أسباب التخلف الذي أصاب الأمة د. عماد الدين خليل، وبدأ حديثه مرجعا ذلك إلى جملة من العوامل؛ منها (الاستبداد السياسي – الفساد بشتى صوره – الغلو والتشدد – انتشار البدع – غياب العلم وانتشار الجهل – غياب الاجتهاد وسيادة التقليد والاتباع..).

وتابع كلامه قائلا: ليس بالضرورة أن يتمخض العقاب أو السقوط عن إبادة نهائية أو تصفية جسدية للأمة، وإنما هو نوع من التمزيق والتفكيك والتشتت الذي يتسبب في إرغام الأمة على التنازل عن مركزها القيادي والتراجع إلى الخطوط الخلفية كي تمارس التبعية للأقوى، والحق يشير سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (محمد:٣٨)[2]. شكرا أستاذنا الكريم على ما تكرمت به..

وفي المقابل، رأيت الأستاذ مالك بن نبي يطلب الكلمة فأعطيته، فبدأ الحديث عن أسباب الأزمة قائلا: إن الأمة تنقصها الرغبة والإرادة والأدوات الفاعلة.. الأزمة أزمة وعي وأزمة في عالم الأفكار؛ فاليابان عندما أرادت النهوض تمثلت الأفكار، أما المسلمون فاشتروا الأشياء، بل الأدهى أننا استوردنا أفكارا غريبة نشأت في بيئة غير بيئتنا وظروف ومتطلبات غير احتياجاتنا، وأحدثت نوعا من التكديس والعطالة. ويتابع بن نبي: إن شراء المنتجات الحضارية

الغربية لا يعني سوى تعطيل لقوانا، وإن هذا الأسلوب لا يصنع حضارة[٣].

لقد وضع الأستاذ والمفكر مالك بن نبي يده على أصل الداء في الأمة، بارك الله فيك ونفع الأمة بجميل ما تفضلت به.

ورغب الشيخ محمد الغزالي في عرض وجهة نظره، فتطلع الجميع إلى وجه الشيخ منتظرين ما يجود به قلبه وعقله من كلمات لها قيمتها، فبدأ الحديث بقوله: إن أمتنا تعيش أزمات عديدة؛ منها أزمة التدين. والواقع أن كثيرا من أدعياء التدين يغطون مسالكهم الناقصة بعناوين دينية، ويزحمون ميادين العبادة والتقوى وهم أبعد خلق الله عن تلك المعاني الطاهرة[٤]. وتابع شيخنا الكريم قائلا: لقد كانت معركتي مع الاستبداد والجمود، فأصدرت كتابي «دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين» وكتاب «الإسلام والاستبداد السياسي»، وواجهت دعاة العلمانية بكتاب «من هنا نعلم»، وتصديت للحضارة الغربية التي سعت إلى طمس التميز الحضاري للإسلام في كتابي «دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين»، الذي نازلت فيه المستشرق المجري جولد تسهير. ومضى الشيخ يعرض رأيه وقال: وواجهت الذات الإسلامية التي أصابها التشوه والتخلف الموروث بكتاب «الذات الإسلامية»، وقد هدفت إلى إصلاح الذات الإسلامية لزيادة المناعة والمنعة ضد الزحف الأحمر الغربي.

وفي نهاية كلمته أكد على: أن الوعظ هو أخف الواجبات التي يتطلبها الإسلام في عصرنا، فالجهد الأول المطلوب هو تحريك قافلة الإسلام، التي توقفت في وقت تقدم فيه عبيد البقر، وسوف تتلاشى هذه التحديات كلها يوم يعتنق المسلمون الإسلام ويدخلون فيه أفواجا، حكاما ومحكومين[٥].

وأردت أن أختم حوار الجولة الأولى بالمفكر الموسوعي د. محمد عمارة، الذي قال: إن مما أصاب الأمة من أزمة حضارية هو حالة الجمود والاستبداد والتخلف، وهذا ما أتفق فيه مع شيخي وأستاذي محمد الغزالي، وبهذا نكون جميعا متفقين على أن أخطر عائق لمسيرتنا الحضارية هو الجمود والتخلف والاستبداد، وتحدثت في الاجتهاد والتجديد في أصول الفقه، فكان إحياء الاجتهاد والتجديد من أصول مشروعي الذي جمع مفرداته د. يحيى رضا جاد، الذي بذلا مجهودا مشكورا في كتابة المشروع الفكري «لشخصي»[٦]. هكذا كما رأينا – الحضور الكرام – مدى التوافق الكبير بين الدكتور عمارة وأستاذه الشيخ الغزالي في كثير من القضايا.

وبعد هذا العرض الجميل حول الشق الأول من الحوار الحضاري، تبين لنا أن الأساتذة الأجلاء اتفقت وجهة نظرهم في تشخيص الداء المتمثل في حالة الجمود والتخلف والجهل والاستبداد السياسي وغياب العقل عن أداء دوره المنوط به في عملية التغيير والتطوير.. (استراحة)

بعد فترة الاستراحة بين فقرتي الحوار جاء الدور على الفقرة الثانية وهي بعنوان: «ما الحل؟ وما المخرج؟»، وكانت البداية من الجزائر من أقصى الغرب والكلمة مع الأستاذ القدير مالك بن نبي، الذي تفضل قائلا: الشرط الأساسي لتحقيق الإمكان الحضاري هو «تكوين المسلم الحامل لرسالته الاستخلافية والكونية»، الذي يستطيع تجاوز حالة التخلف عن القيام بأعباء الرسالة بالانتقال إلى حالة «الأداء». وأركز كلامي على ضرورة إصلاح عالم الأفكار ومنهجية التفكير، كذلك تأسيس شبكة العلاقات الاجتماعية التي هي مؤشر واضح على نمو المجتمع، وتنشأ شبكة العلاقات بفضل العلاقة الروحية بين الإنسان والله، التي تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان، فعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (ثم شبك بين أصابعه) وكان النبي ﷺ جالسا، إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال: اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء» (البخاري)، ولذلك أركز على ضرورة وجود الفكرة الدينية في عملية الانبعاث الحضاري، لأن حضارتنا في بعثتها الأولى ارتكنت على الدين فاستمدت منه غذاءها.

أعود لأطلب الكلمة من د. عماد الدين خليل (العراق) في رؤيته حول المخرج لما نحن فيه. بإيجاز شديد لو تفضلت؛ لأن الوقت يداهمنا.. تفضل حضرتك، وبدأ الحديث قائلا: أرى ضرورة التركيز على السياق الفكري من خلال استعادة العقل المسلم فاعليته، وإعادة فتح باب الاجتهاد من أجل امتلاك القدرة على إعادة صياغة الحياة وفق مقاصد الشريعة، والاجتهاد هو وسيلة حماية التشريع الإسلامي من التيبس والتسيب، ثم توسيع دائرة النشاطات الأدبية والفنية فدورهما مؤثر في تحقيق التعارف والمقاربة

الثقافية بين الشعوب الإسلامية مع الاهتمام باللغة في دورها العالمي.. هذا على سبيل الإجمال.

وجاء الدور على د. محمد عمارة ليدلي بدلوه في هذه المسألة، تفضل حضرتك. تحدث وقال: إن المخرج من حالة الانزلاق والتردي الحضاري لأمتنا مجموعة من العوامل تناولتها في مؤلفاتي من خلال المنهجية وتأصيلها (الغزو الفكري وهم أم حقيقة) الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية الأمر الثاني: (الاجتهاد والتجديد في ميدان تفعيل مقاصد الشريعة والفقه الإسلامي).

وتابع الدكتور عمارة حديثه قائلا: وفي الفلسفة الإسلامية، ودراسات أخرى في مقارنة الأديان حرصت على الاهتمام الشديد بتحرير المصطلحات مع دراسة التيارات الفكرية ومقاومة الشبهات التي تثار حول الإسلام والرسول ﷺ، ومن بين اهتماماتي التاريخ (الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ)، وواجهت الغلو والتطرف والتغريب والاستلاب الحضاري، وقاومت سطوة الإمبريالية الغربية، ويمكن تلخيص مشروعي الفكري الذي يستند إلى «إحياء الاجتهاد والتجديد - العقلانية المؤمنة - الوسطية الإسلامية - الإيمان بالتعدد - الوعي بسنة الله الكونية». ثم جاء الدور على أديب الدعوة الشيخ محمد الغزالي ليعرض وجهة نظره، تفضل شيخنا الكريم. فقال: والله أنا في هذا المقام لا يفوتني أن أتوجه بالشكر والتقدير للدكتور محمد عمارة الذي بذل جهدا كبيرا في جمع مفردات مشروعي الخاص بنهضة الأمة وجاء بفكرة جميلة، وهي أنه أعد ما يقرب من مئة سؤال وعرضها علي وقمت بالإجابة عليها، وبدت عبقرية السؤال من عبقرية واضعه، فكانت إجاباتي بمنزلة بيان مفردات لمشروعي، فتكلمت عن «الإسلام»، وأعني به حسن معرفة الله والانقياد له وتنفيذ أوامره، وتحدثت عن «الذات العلية» بمعرفة أسماء الله الحسنى، إذ لابد أن تختلط بشؤون الحياة التي يحياها وتملي عليه السلوك الذي يلائمها، فلا يمكن عزلها عن الكون والحياة، فالإيمان بالله لا يتم داخل صومعة معتمة لا ضوء بها ولا حراك ولا جهاد، وتحدثت عن البعث والجزاء والقرآن الكريم والرسول ﷺ. وفي النهاية، أحب التأكيد على ضرورة التجديد والاجتهاد ومحاربة الجهل، ولعلي أتفق مع باقي الضيوف في هذا الأمر.

وطالما الأمر يتناول النشوء الحضاري، وإعادة الدورة الحضارية من جديد، كان هناك رأي له اعتباره للأستاذ الجزائري محمد هيشور.. يقول: لقد سن الله في القرآن للتجدد الحضاري والخروج من التخلف: التغيير الذاتي، والإعداد الذاتي مع حسن التعاطي مع سنن الله تعالى والاستفادة منها[7].

والخلاصة التي أخرج بها من هذا المنتدى الفكري الحضاري الرائع، الذي سبحت من خلاله في عقول الرجال والعلماء الأجلاء، أن الجميع اتفق على تشخيص الداء في حالة الجمود والتخلف والاستبداد السياسي وغياب الأفكار وفقدان الإنسان المسلم لدوره وعدم قدرته على توظيف الإمكانات المتاحة طوع يديه.

ثم عادوا واتفقوا على طرائق العلاج من خلال الدعوة لفتح باب الاجتهاد والتجديد ومحاربة الغلو والتخلف والاعتماد على الفكرة الدينية في عودة حضارتنا وتفعيل دور العقل ومنحه القدرة على إنتاج الأفكار وعدم استيرادها.. هذا على سبيل المجمل، فالكلام في هذا الإطار يطول، ولكنني أميل إلى الإيجاز حتى لا تضيع الخلاصة في كثير الكلام. وانتهى المنتدى الفكري الحضاري بالشكر الجزيل لكل الحضور الأجلاء، وعلى رأسهم الشيخ محمد الغزالي والأستاذ مالك بن نبي ود. عماد الدين خليل ود. محمد عمارة، آملين أن تتحقق آمالنا عما قريب وما ذلك على الله بعزيز.

الهوامش

١- في المشروع الحضاري الإسلامي، عماد الدين خليل.

٢- في المشروع الحضاري الإسلامي (التأسيسات - المعطيات - الاحتمالات) تأليف أ. د. عماد الدين خليل، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

٣- المشروع الحضاري عند مالك بن نبي، قراءة معاصرة للدكتور حسان عبدالله حسان، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

٤- مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، من عيون التراث الأزهري الحديث، سلسلة كتب السلوك والتصوف.

٥- معالم المشروع الحضاري في فكر الشيخ محمد الغزالي، د. محمد عمارة، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

٦- المشروع الفكري للدكتور محمد عمارة، تأليف الدكتور يحيى رضا جاد، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

٧- سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، محمد هيشور، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.



أحمد علي صالح
باحث دراسات إسلامية

التوكل ومواجهة تداعيات العصر

تُطلعنا الدراسات الحديثة على التأثير السلبي المتزايد للثورة الرقمية وتحدياتها النفسية بالغة الحدة على الفرد جراء العزلة الاجتماعية، فضلا عن التحديات الاقتصادية والاجتماعية لتذبذب الثقة في النفس، وضعف القدرة على مواجهة النمو المتزايد في متطلبات المهن والوظائف، وامتداد هذا التأثير السلبي على الممارسات الحياتية والمعيشية، فبيئة العمل صارت أكثر اضطرابا، والبيت أكثر ضيقا، والمدرسة أكثر ضعفا، فنحن نعايش الانسحاب الاجتماعي، وسيطرة التعاملات الآلية على حساب غياب الإنسانية في المجتمع والمؤسسات والبيت.

هذا إلى جانب نمو قدرات الآلة وما يعرف بتطور الذكاء الاصطناعي، مما يزيد من حدة التوتر لدى الأفراد، ويتطلب شخصا فائق القدرات والمهارات خصوصا ونحن نستشرف عصر اندثار المهن والوظائف.

لذا يطالبنا العلماء والباحثون والأطباء بضرورة إعادة التوازن الإنساني، من خلال بذل الإنسان لقصارى جهده دون الاهتمام -كثيرا- بالنتائج حتى لا يتحطم، ولكن عليه إعادة مواصلة بذل الجهد، واستمرار المحاولات إلى الأفضل، فالأفضل في هذا العصر يتطلب محاولات أكثر مما مضى.

والمدهش أننا سنجد أن ما سبق هو ما يساير مفهوم التوكل في الشريعة الإسلامية، ولو ذهبنا إلى أحد السلف وسألناه لقال ما يقوله العلماء والباحثون والأطباء في هذا العصر، يحدث ذلك رغم الفارق الزمني الكبير، أكثر من ألف وأربعمئة عام.

بهذا، يجدر الاعتراف بأسبقية الإسلام في محاولة إبعاد الإنسان عن التوتر القاتل للحياة المعاصرة، وكأننا نرى إدراكا للتعايش مع المتغيرات عبر مختلف العصور، بل كأنها الوصفة الأصلح لعملية بذل أقصى جهد من البشر دون التأثير على الثبات الانفعالي أو الاتزان النفسي أو مبدأ الثقة في النفس وعدم الاهتزاز، وغيرها من مفاهيم علم الاجتماع وعلم النفس والتنمية.

إن كل ما سبق لا يخرج عن نطاق مفهوم التوكل على الله، الذي يساهم في خلق شخصية إنسانية قوية ومدركة لضرورة بذل أقصى جهد، وفي الوقت نفسه عدم التأثر بالتغييرات الطارئة، وإنما إعادة بذل الجهد والسعي قدما إلى التطوير المستمر لأجل الحياة.

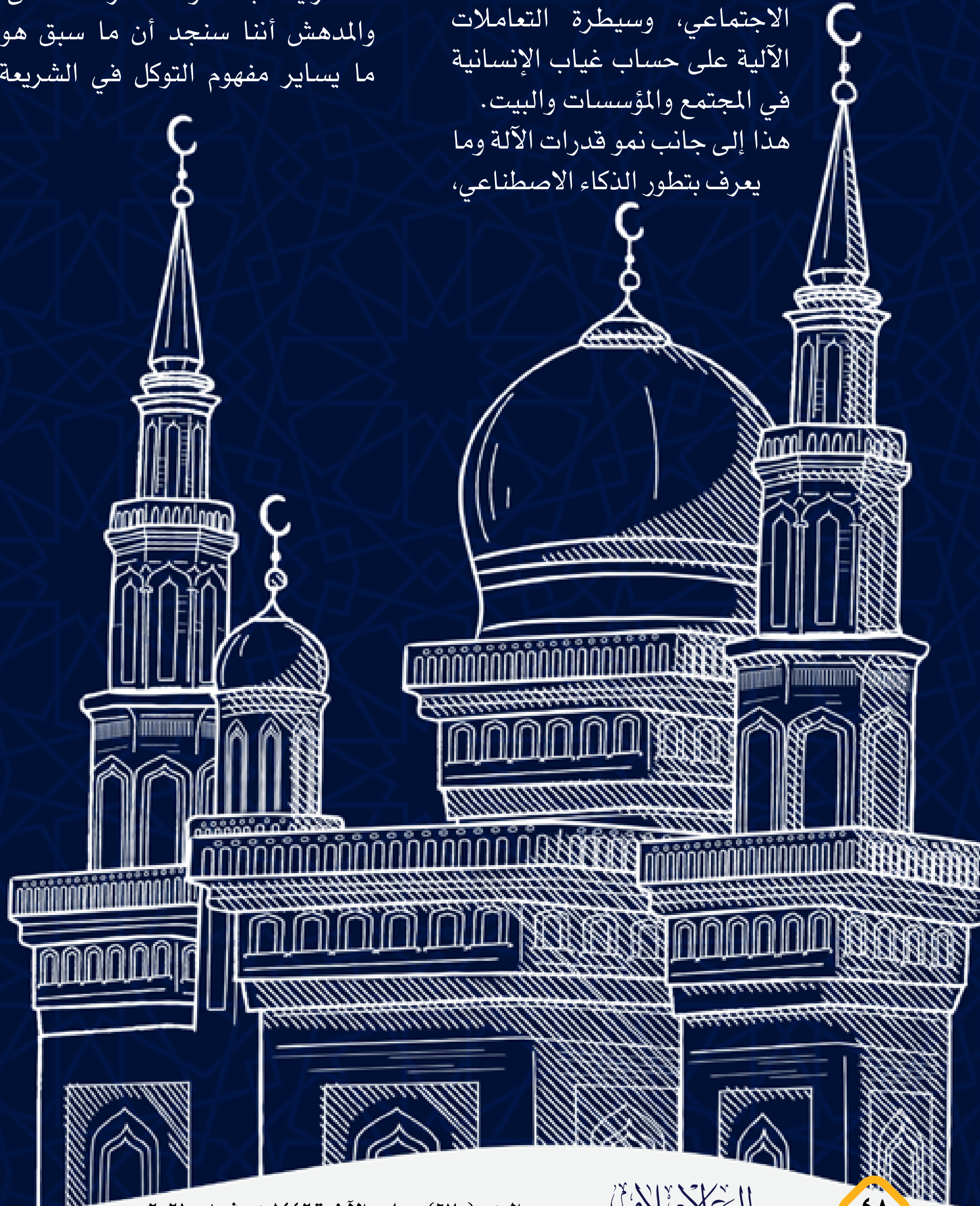
مفهوم التوكل على الله

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه الكريم:

﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾ (النمل:٧٩).

ويقول أيضا: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠ ﴾ (الشعراء: ٢١٧-٢٢٠).

أي: توكل على الله في جميع أمورك، فإنه مؤيدك وناصرك وحافظك ومعلي كلمتك، فمن توكل على الله كفاه، ومن استعان به أعانه وقواه، ومن لجأ إلى الله أغاثه وآواه، فمن استغنى بالله أغناه الله



عن كل شيء، ومن سأل الله أعطاه الله الخير من كل شيء، ومن استند إلى الله أغاثه الله من كل شيء، ومن كان مع الله كان معه كل شيء، ومن لم يكن مع الله فليس معه أي شيء.

التوكل عبر التاريخ

يمكننا بسهولة استكشاف تأصيل الإسلام لقضية التوكل، لنرى كيفية تكريس منهج التوكل في الدستور القرآني، إذ كانت قضية التوكل شاملة لكل الرسالات السماوية، بما يشير إلى كونه أمرا يتعلق باستقرار الأرض ومنشأها ومن ثم نجاتها، فالنجاة ترتبط بسلامة النوايا وليس فقط سلامة الأفعال، وبتحرير الانشغال الفردي المطلق بالنتائج بما يجعل حياة الفرد أشبه بجحيم حال عدم تحققها.

ولكن المسلم هادئ ومستقر النفس وقادر على بذل المجهود وعدم الإحباط من النتائج، بل الثقة بأن الأمور ستتغير بفضل التزامه بجوهر التوكل على الله.

وتأتي آيات القرآن الكريم لتكشف وتؤكد ما مضى، فنجد أن سيدنا موسى عليه السلام، حين كان ضعيفا وغريبا وأوى إلى الله، فآواه الله، فلما قضى موسى الأجل، وأراد أن يعود إلى بلد ولد فيه، وربي فيه، وترك قلبه فيه، إذا به يتوه ويضل في متاهات الصحراء، فيرى نارا ونورا، فيتحرك ليهتدي بالنار إلى النور، يتحرك وفق مقتضى التوكل على الله قاصدا النجاة، فيقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (القصص:٢٩).

سنجد الأمر ذاته في قصة سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل، وكيف كان توكل أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وتسليمه الأمر لله في قضية الذبح، فكان بها النجاة والسلامة والخلود والاستقرار والنماء. وهو الأمر الذي سنجده في مختلف قصص الأنبياء عليهم السلام.

التوكل منهج نبوي

إن الرسول الكريم ﷺ، أرشدنا إلى كيفية ممارسة التوكل الصادق، ومن ثم آثاره الإيجابية البالغة، فيقول صلوات ربي وسلامه عليه: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»[١].

ثم يفسر النبي ﷺ خطورة التواكل، ويفرق بين التوكل والتواكل، وفي ذلك ما جاء في حوار رجل مع الرسول حين سأله: «أعقلها وأتوكل، أم أطلقها وأتوكل؟ قال: بل أعقلها وتوكل»[٢].

فلا تظنن أن كل الضياع ضياع، فقد يكون ضياعك من نفسك، أول وصولك إلى ربك، وقد يكون الفقد عين الوجدان، فإذا فقدت كل شيء وجدت ربك، فأغناك عن كل شيء.

النتائج الإيجابية للتوكل

إن نتائج التوكل لا تشمل الصحة النفسية فقط، لكن له تأثير على مردود القدرة الإنتاجية للفرد، وتطوير قدراته، وتنمية مهاراته الذاتية والمهنية، ومن ثم التأثير الاقتصادي المجتمع، فضلا عن الطاقة الروحية التي ربما لم تدرس بالشكل الكافي.

إن التوكل الحق طريق إلى دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب، فيروي عمران ابن حصين رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب. قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون»[٣].

فمن أراد أن يصل، اتصل وتوكل، مقتديا بالنبي ﷺ، كما فعل السلف رضوان الله عليهم.. قالوا لأحد الصالحين: كيف وصلت إلي الله؟ قال: عالجت نفسي علاجا شديدا أن تسلك طريق الله فأتعبتني، وأبت أن تسير إلى الله معي، فلما استعصت علي، تركتها، وسرت إلى الله وحدي، فقبلني ربي.

من استعصى عليك فاتركه، ومن أتعبك فلا تتعب نفسك معه، من قطعك عن الله فاقطعه، ومن وصلك بالله فصله، ومن دلك على الله فسر معه، فإن لله على الطريق علامات، وعلى العلامات إشارات، ولكل إشارة أهل، فسر مع أهل الله وتوكل، فسوف يدلك أهل الله على طريق الله.

ولا شك أن التوكل يشعر الإنسان بالاطمئنان، ويبعد عنه القلق والاضطراب، ومع الطمأنينة النفسية يكون الحكم العقلي الهادئ، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: «من توكل على الله أضاءت له الشبهات وكفي المؤونات، وأمن التبعات»[٤].

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله:

وما بك من رزقي فليس يفوتني

ولو كان في قاع البحار العوامق

سيأتي به الله العظيم بفضله

ولو لم يكن مني اللسان بناطق

عش يومك، وابذل قصارى جهدك لتحقيق أهدافك، واستغل في ذلك قدراتك ومواهبك التي منحك الله إياها، وليكن التوكل على الله هو سبيلك لهدوء النفس والاستقرار والإنجاز والعمل والانضباط، فكل جزء بسيط ننجزه هو الطريق لبناء الأجزاء الأكبر وتحقيق المستحيل بالإرادة.

الهوامش

١- رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع.
٢- رواه الترمذي وحسنه الألباني.
٣- «صحيح مسلم».
٤- «عيون الحكم والمواعظ» العلامة علي محمد الليثي، تحقيق: الشيخ حسين البيرجندي، ص٤٦٣.



محمد فتحي النادي
باحث في الفكر الإسلامي

أحلاف مذمومة

إن الناظر في القرآن الكريم ليلحظ بعض الثنائيات التي يكون بعضها مقترنا مع بعض، ويندر انفكاك بعضها عن بعض؛ فإذا وجدت إحداهما وجدت الأخرى في غالب الأمر.

وهذه الثنائيات قد تكون:

١- في اقتران بعض الصفات ببعض

أ - وقد يكون ذلك في حق البارئ، مثل: اقتران صفة الأحدية بالقهر؛ فجاء في أكثر من موضع ﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ (يوسف:٣٩)، أو صفة الحياة بالقيومية مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (البقرة:٢٥٥)، أو صفة العزة بالرحمة مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشعراء:٩)، أو صفة العلم بالحكمة مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة:٣٢)، أو صفة الرحمانية بالرحيمية مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة:١).. إلخ.

ب - وقد تكون تلك الصفات في حق المخلوقين، وهي على ضربين:

- صفات ممدوحة، مثل اقتران صفة الصبر بالشكر؛ فقد جاء في أكثر من موضع ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (إبراهيم:٥).

- صفات مذمومة، مثل اقتران الكفر بالخيانة، مثل قوله تعالى: ﴿خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج:٣٨)، وفي معناه قوله تعالى: ﴿خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ (لقمان:٣٢).

٢- أو في اقتران بعض الأعمال ببعض، مثل اقتران إقامة الصلاة بإيتاء الزكاة، وذلك كثير في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (البقرة:٤٣)، وما في معناها كثير.

٣- أو في اقتران بعض الأعمال ببعض الصفات، مثل اقتران الصبر بالصلاة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ (البقرة:٤٥).

٤- أو في اقتران بعض المخلوقات ببعض، كاقتران الذكر بالأنثى كقوله تعالى: ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ (النجم:٤٥)، أو الإنس بالجن كقوله تعالى: ﴿ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ (الجن:٥)، أو الشمس بالقمر كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ (الأنعام:٩٦)... إلخ.

٥- أو في اقتران بعض الأزمان ببعض، مثل اقتران الليل بالنهار كقوله تعالى: ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ (البقرة:١٦٤).

وأريد أن أقف مع واحدة من هذه الثنائيات التي وردت في القرآن الكريم، والتي تعتبر من الأحلاف الباطلة المذمومة، وهي اقتران الخيانة والغدر بالكفر.

فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج:٣٨).

فهو جل جلاله «لا يحب من عباده من اتصف بهذا، وهو الخيانة في العهود والمواثيق، لا يفي بما قال. والكفر: الجحد للنعم، فلا يعترف

بها»[1].

فمن جحد نعمة الله وخان أمانته فهو أضيع لأمانة الناس، يقول تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ (الأنفال:٧١).

«والخيانة على أقسام: خيانة في الأموال تفصيلها في المسائل الشرعية، وخيانة في الأعمال، وخيانة في الأحوال.

فخيانة الأعمال بالرياء والتصنع.

وخيانة الأحوال بالملاحظة والإعجاب والمساكنة، وشرها الإعجاب، ثم المساكنة وأخفاها الملاحظة.

ويقال: خيانة الزاهدين عزوفهم عن الدنيا على طلب الأعواض ليجدوا في الآخرة حسن المآل، وهذا إخلاص الصالحين، ولكنه عند خواص الزهاد خيانة؛ لأنهم تركوا دنياهم لا لله، ولكن لوجود العوض على تركهم ذلك من قبل الله.

وخيانة العابدين أن يدعوا شهواتهم ثم يرجعوا إلى الرخص، فلو صدقوا في مرماهم لما انحطوا إلى الرخص بعد ترقيهم عنها.

وخيانة العارفين جنوحهم إلى وجود مقام، وتطلعهم لمنال منزلة وإكرام من الحق ونوع تقريب.

وخيانة المحبين روم فرحة مما يمسهم من برحاء المواجيد، وابتغاء خرجة مما يشتد عليهم من استيلاء صد، أو غلبات شوق، أو تمادي أيام هجر.

وخيانة أرباب التوحيد أن يتحرك لهم للاختيار عرق، ورجوعهم -بعد امتحائهم عنهم- إلى شظية من أحكام الفرق، اللهم إلا أن يكون ذلك منهم موجودا، وهم عنه مفقودون»[2].

والقشيري، رحمه الله تعالى، لم يلق بالا بخيانة العهود والمواثيق بين البشر، وحصر الخيانة في الأموال والأعمال والأحوال.

والخيانة من مستشنع الأعمال؛ لذا حذر منها الإسلام أشد التحذير؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ، ولا يجتمع الصدق والكذب جميعا، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعا»[3].

وأن يخونك عدوك فهذا مما يتوقعه الإنسان، لكن أن تأتيك الخيانة من صديق أو قريب فهذا جرح في النفس عميق، وتجعل الإنسان فاقدا للثقة في أقرب الناس منه؛ لذا كان رسول الله ﷺ يستعيذ من خيانة خواصه وأحبابه فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع؛ فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة؛ فإنها بئست البطانة»[4].

و«البطانة»: هي من تكون محبته في قلبك، وما كان ملازم قلبك من محبة شيء أو أحد.

قال في «المغرب»: بطانة الشيء: «أهله وخاصته، مستعارة من بطانة الثوب، يعني: الخيانة بئس الشيء الذي يكون في قلب الإنسان ويجري في خاطره»[5].

والخيانة متوقعة من الكفار؛ لأنهم خانوا أماناتهم مع الله، لكن أن تقع الخيانة من المسلمين لإخوانهم المسلمين فهذا شرخ عميق في جدار الأخوة، وتصدع رهيب في بنية المجتمع المسلم.

وقد دعا الإسلام لنبذ الخونة المشهورين بالخيانة، فلا تقبل لهم شهادة؛ فقد قال ﷺ: «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة»[6].

وهذا من وعي المجتمع بمن يفسد فيه؛ فإذا كان وصول الخائن لأعلى المناصب فلتة من الفلتات فإن المجتمعات تقوم الأمور، وتعيدها إلى نصابها فترفع الأمين وتضع الخائن.

لكن إن حدثت الغفلة فائتمن الخائن وخون الأمين فهذا دليل على فساد الناس، واختلال موازين الحكم لديهم، أو وقوعهم في الغفلة وعدم التمييز بين الأمين والخائن.

وبازدياد الفساد والغفلة المجتمعية يرتقي الخائن إلى أعلى المناصب، ويتمكن من رقاب العباد.

وبكثرة الخيانة وارتفاع مكانة الخونة تكون قد ظهرت بعض الأمارات من أمارات قرب الساعة؛ قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة، وحتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين»[7].

والخونة لأممهم وشعوبهم تجدهم أقرب للأعداء، أرحامهم في أقوامهم، وأرواحهم في أعدائهم؛ فتتعاضد الخيانة مع الكفر ضد الأمة.

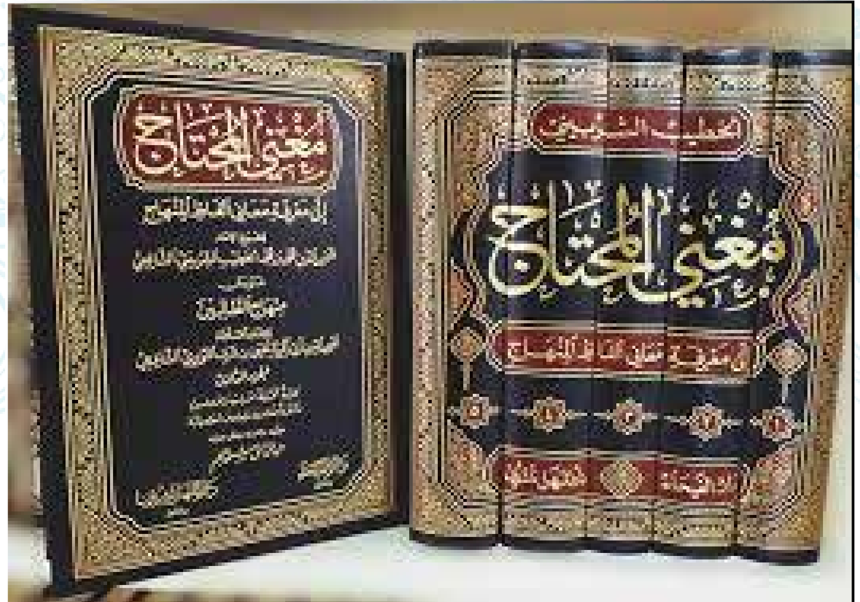
الهوامش

١- تفسير ابن كثير، (٥/٤٣٣).
٢- تفسير القشيري، (٢/٥٤٨).
٣- أخرجه أحمد في «المسند»، ح:٨٥٧٧، وقد حسن إسناده الأرنؤوط في تعليقه على «المسند».
٤- أخرجه أبو داود في «الصلاة»، باب: «في الاستعاذة»، ح:١٥٤٧، وقد حسن إسناده الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
٥- «المفاتيح في حل المصابيح للمظهري» بتحقيقي، (٢/٢١٠).
٦- أخرجه أحمد في «مسند عبدالله ابن عمرو»، ح:٦٦٩٨، وقد حسن إسناده شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «المسند».
٧- أخرجه أحمد في «مسند عبدالله بن عمرو»، ح:٦٥١٤، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على «المسند»: «صحيح لغيره».



د. رمضان فوزي بديني
دكتوراه في اللغة العربية وعلومها

الخطيب الشربيني.. وبراعة التفسير اللغوي للقرآن



يعد الخطيب الشربيني من العلماء الموسوعيين في العلوم الشرعية والعربية؛ حيث ترك تراثا علميا كبيرا، متنوع المشارب ومتعدد الفنون، يدل دلالة واضحة على أنه كان صاحب عقلية علمية فذة في زمانه؛ فقد كتب في علم العقيدة وفي الفقه وفي التفسير وفي النحو والصرف وفي البلاغة.

وصاحب هذا التراث المتعدد المتنوع لا بد أن يكون صاحب نفس طويل ونفس صبورة في طلب العلم والمثابرة على تلقيه من مظانه الأساسية، ولا عجب في ذلك بالنسبة الشربيني؛ فقد نقل عنه أنه -رحمه الله- «لم يزل مكبا على الاشتغال بالعلم والعمل به وتعليمه للناس، ولا يرى إلا في مطالعة علم أو صلاة أو قراءة أو صيام»[1].

وربما تكون شهرة الشيخ باعتباره فقيها شافعيا طغت على غيرها من التخصصات التي ترك الشيخ فيها منجزات مهمة تضعه في مصاف أهلها؛ ففي اللغة له سهمة واضحة من حيث المصنفات التي تحمل شخصية لغوية متميزة، أما في الفقه فهو ابن بجدته وأحد أعلام الشافعية في عصره، وفي العقيدة وعلم الكلام له آراؤه واختياراته، كما له مصنف فيه، ثم يأتي التفسير الذي تنصهر في بوتقته كل هذه العلوم لتخدم كتاب الله عزوجل بيانا وتفصيلا وشرحا وتوضيحا من خلال تفسيره «السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير»؛ حيث تجد اللغة هي مفتاح التفسير، والآراء الفقهية المبثوثة في مظانها في كتاب الله تعالى خاصة في آيات الأحكام، ومسائل العقيدة والإيمان تنسال في التفسير بلغة سهلة واضحة منطلقة من عقيدة أهل السنة والجماعة.

وسنلقي الضوء على المفتاح الذي استصحبه الشربيني في طرقه لكل هذه الأبواب في أثناء تفسيره لكتاب الله تعالى؛ ألا وهو باب اللغة؛ حيث وظف الشربيني مهاراته اللغوية في تفسيره توظيفا واضحا جليا؛ ففتحت له آفاقا رحبة في فهمه للآيات وتوليد المعاني المتعددة حسب التوجيهات اللغوية وتنوعها واختلافها، كما استنبط بعض الأحكام الفقهية في تفسيره من خلال التوجيه اللغوي، وأيضا كانت له اختياراته العقدية والكلامية بناء على التوجيهات اللغوية وردوده على أهل البدع والأهواء، وفي القراءات القرآنية كانت له تخريجاته واختياراته المبنية على أصول لغوية.

الشربيني.. سيرة ومسيرة

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام الخطيب شمس الدين محمد بن أحمد

الشربيني القاهري الشافعي.

ذكر صاحب (الخطط التوفيقية) أن (الشربيني) نسبة إلى مدينة (شربين) التي ولد فيها، وكانت تابعة آنذاك لمحافظة (الغربية)، وهي الآن تابعة لمحافظة (الدقهلية)[٢].

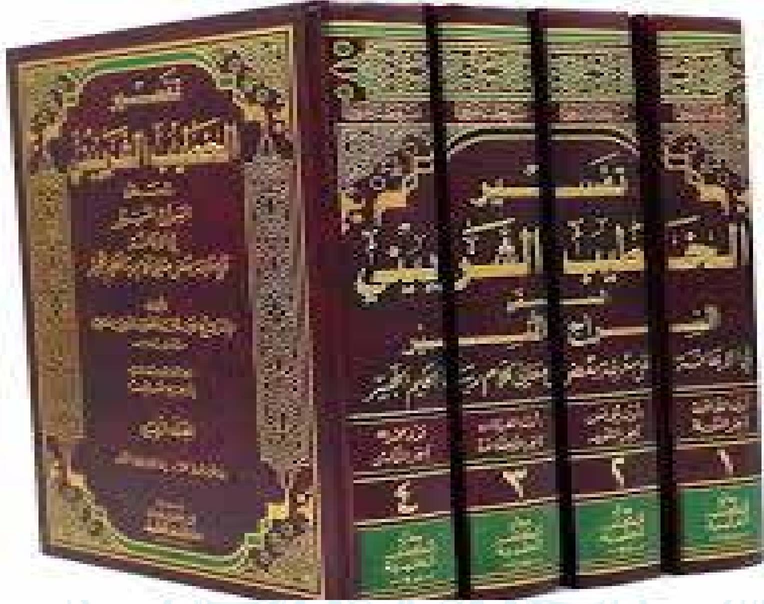
وأطلق عليه أيضا (القاهري) لأنه أقام بعد ذلك في القاهرة؛ وكان من عاداته -رحمه الله- «أن يدخل الجامع الأزهر من أول ليلة الصيام؛ فلا يخرج من الجامع إلا بعد صلاة العيد»[٣].

أما مولده فلم تشر إليه كتب التراجم، ويرجح أن مولده كان في نهايات القرن التاسع الهجري أو بدايات القرن العاشر؛ ذلك لأن من أوائل شيوخه الذين تتلمذ عليهم هو الشيخ زكريا الأنصاري، والشيخ زكريا توفي ٩٢٧هـ؛ ويستنبط من ذلك أن مولد الشربيني كان قبل هذا التاريخ بفترة زمنية تصلح لتلمذته وأخذه عن الشيخ زكريا.

تتلمذ الشيخ الشربيني على عدد من علماء عصره كما ذكرت كتب التراجم، على رأسهم: الشيخ زكريا الأنصاري، والشيخ نورالدين المحلي، والشيخ أحمد البرلسي الملقب بـ(عميرة)، والشيخ شهاب الدين الرملي.

كما تتلمذ أيضا على الشيخ نور الدين الطهواني، والشمس محمد بن عبدالرحمن بن خليل النشلي الكردي، والبدر المشهدي، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي، وغيرهم، وأجازوه بالإفتاء، والتدريس، فدرس، وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يحصون، كما ذكر صاحب «شذرات الذهب».

وقد أجمعت كتب التراجم على أن وفاته -رحمه الله- كانت بعد عصر يوم الخميس الثاني من شعبان سنة سبع وسبعين وتسعمئة هجرية (٩٧٧هـ)، الموافقة لسنة سبعين وخمسمئة وألف ميلادية (١٥٧٠م).



السراج المنير

هو (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير)، وهو من التفاسير التي لم يكتب لها الذيوع والانتشار إلا في أوساط المثقفين والمهتمين بعلم التفسير؛ نظرا لعدم اهتمام الباحثين والمحققين بتحقيقه وإخراجه في حلة تليق به وبصاحبه حتى وقت متأخر، رغم ما حواه التفسير من علوم متعددة وفنون متنوعة، لو وجد من يحمله إلى عامة المثقفين والباحثين لحجز له مكانا متميزا في مكتباتهم. ويلخص الشيخ نفسه أهمية تفسيره ومكانته فيقول في مقدمته: «فدونك تفسير كأنه سبيكة عسجد، أو در منضد، جمع من التفاسير معظمها، ومن القراءات متواترها، ومن الأقاويل أظهرها، ومن الأحاديث صحيحها وحسنها، محرر الدلائل في هذا الفن، مظهرا لدقائق استعملنا الفكر فيها إذا الليل جن».

وقد صنف الذهبي تفسير (السراج المنير) تحت قسم (التفسير بالرأي الجائز)، ثم علق عليه قائلا: «وقد قرأت في هذا التفسير فوجدته تفسيرا سهل المأخذ، ممتع العبارة، ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، نقل فيه صاحبه تفسيرات مأثورة عن السلف، كما أنه يذكر -أحيانا- آراء من سبقه من المفسرين كالزمخشري والبيضاوي والبغوي، وقد يوجه ما يذكره من هذه الأقوال ويرتضيها وقد يناقشها ويرد عليها»[٤].

ويمكن إجمال الملامح العامة لمنهج الشيخ في التفسير فيما يلي:

١- سهولة العبارة ووضوح الفكرة.

٢- التعرض للأحكام الفقهية في مظانها من الآيات.

٣- الرد على الفرق الكلامية وبعض الضلال والزنادقة.

٤ - النقل عن السابقين؛ وهو ما أتاحه له مجيئه متأخرا فهو كثير النقل عن ابن عطية والزمخشري والبيضاوي وأبي حيان.

٥- الاهتمام بالأوجه اللغوية المتعددة في القضية الواحدة.

٦- الاعتداد بالقراءات المشهورة والاقتصار على المتواتر منها إلا في موضع واحد نص عليه[٥].

٧- ذكر معلومات وافية عن كل سورة في بداية تفسيرها.

٨- تخريج الأحاديث الواردة في فضائل السور وتمييز هذه الأحاديث من حيث

الصحة والضعف.

٩- كثرة الاستشهاد بالشعر في أثناء توضيح بعض المعاني في تفسيره، سواء كانت معاني لغوية أم توجيهات نحوية أم لطائف بلاغية.

اللغة والتفسير

ترك الشربيني -رحمه الله تعالى- تراثا لغويا متميزا يضعه في مصاف اللغويين في عصره؛ حيث ترك في النحو والصرف مصنفات مثل: فتح الخالق المالك في حل ألفاظ ألفية ابن مالك، مغيث الندا شرح قطر الندى، نور السجية في حل ألفاظ الآجرومية في النحو، الفتح الرباني في حل ألفاظ تصريف عز الملة الزنجاني، كما ترك في علم البلاغة: تقريرات على المطول في البلاغة.

كان لهذا الفكر اللغوي للشيخ الذي أنبأت عنه هذه المصنفات تأثيره الواضح في تفسيره للقرآن الكريم؛ حيث تبدو ثقافته اللغوية من خلال كثرة التوجيهات النحوية للآيات القرآنية، وتوظيفه ذلك في استنباط معاني الآيات؛ فهو يأخذ من الإعراب ما يعينه على فهم الآيات وتحليل التراكيب القرآنية، وهو ظاهر التأثر بالزمخشري في (الكشاف) والبيضاوي في (أنوار التنزيل)، كما أنه يتميز بدقة العبارة -كعادة الفقهاء- وإيجازها، كما يلاحظ من خلال تفسيره سعة اطلاعه على آراء النحاة والمفسرين والمعربين؛ فهو كثيرا ما يشير إلى آراء سيبويه وابن مالك وابن هشام وأبي حيان وغيرهم من مشاهير اللغويين.

وقد ذكر الشربيني في مقدمة التفسير منهجه اللغوي، قائلا: «... مقتصرا على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه عند السؤال، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها كتب العربية، وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب لقوة مداركها، أو لورودها ولكن بصيغة (قيل) ليعلم أن المرضي أولها»[٦].

ويمكن تلخيص الملامح العامة لمنهج الشربيني اللغوي في التفسير فيما يلي:

أولا: الاعتماد على الدلالة اللغوية كأصل من أصول التفسير

اهتم اهتماما واضحا بالإعراب وتقليب الأوجه الإعرابية المختلفة في بيان المعاني وإيضاحها؛ فنادرا ما تخلو آية من وجه إعرابي، أو نكتة لغوية، أو لطيفة نحوية؛ فربما أشار للوجه الإعرابي إشارة سريعة، وربما وقف وأطال وذكر أقوال العلماء واختلافاتهم وربما رجح هو أحدها، أو اكتفى بذكرها فقط.

ثانيا: توظيف اللغة في الانتصار لعقيدة أهل السنة

تتضح في التفسير ملامح عقيدة الشيخ المنتمية لمنهج أهل السنة والجماعة، والمدافعة عنه بكل الوسائل، بما فيها اللغة وتوجيهاتها التي استخدمتها الفرق المختلفة للانتصار لمعتقداتها. وهذا واضح جلي في الكثير من المواضع في التفسير، ونذكر مثالا على ذلك وهو: من الأمور الخلافية بين أهل السنة والجماعة وبعض الفرق الكلامية -مثل المعتزلة- ثبوت رؤية الله عزوجل؛ فالمعتزلة ينفون رؤية الله عزوجل مطلقا، ومن أدلتهم قول الله تعالى لنبيه موسى -عليه السلام- حينما طلب من الله أن يمكنه من رؤيته فقال له تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ (الأعراف:١٤٣)؛ فهم يرون أن «لن» هنا تفيد تأبيد النفي في الدنيا والآخرة، ولكن عقيدة أهل السنة والجماعة هي أن رؤية الله ثابتة، وأن «لن» لا تفيد تأبيد النفي.

وقد انتصر الشربيني لرأي أهل السنة، مرجحا عدم إفادة «لن» التأبيد؛ حيث يقول: «... فإن أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة قالوا: (لن) تكون لتأبيد النفي، وهو خطأ؛ لأنها لو كانت للتأبيد للزم التناقض بذكر (اليوم) في قوله تعالى: ﴿فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ (مريم:٢٦)، ولزم التكرار بذكر (أبدا) في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾ (البقرة:٩٥)، ولن تجتمع مع ما هو لانتهاء الغاية نحو قوله تعالى: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ (يوسف:٨٠).

وأما تأبيد النفي في قوله تعالى: ﴿لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا﴾ (الحج:٧٣) فلأمر خارجي لا من مقتضيات (لن).

ولا تقتضي تأكيد النفي أيضا، خلافا للزمخشري في كشافه؛ بل قولك: لن أقوم، يحتمل لأن تريد به أنك لا تقوم أبدا، وأنك لا تقوم في بعض الأزمنة المستقبلة، وهو موافق لقولك: لا أقوم في عدم إفادة التأكيد»[٧].

ثالثا: استنباط الأحكام الفقهية تبعا للتوجيه النحوي للآيات

نظرا لخلفية الشيخ الفقهية فقد ظهر ذلك جليا في توجيهه للآيات التي تشتمل على أحكام فقهية، حيث حرص على استنباط الأحكام من تلك الآيات، وهناك بعض الآيات التي كان للتوجيه اللغوي لها دور في استنباط الأحكام، ومن ذلك استنباطه أحكاما متعددة حسب القراءات الواردة في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ (المائدة:٦) حيث قال: «(وأرجلكم) قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي بنصب اللام عطفا على (وجوهكم)، وقيل: على (أيديكم)[٨]، والباقون بالكسر على الجوار، ومنهم من عطف على المجرور على قراءة الجر والممسوح ليفيد مسح الخف، وعطف على المنصوب على قراءة النصب على المغسول ليفيد غسل الرجل المتجردة منه؛ فيفيد كل من القراءتين غير ما أفادته الأخرى»[٩].

ومن اللطائف التي تدل على عقلية

فقهية لغوية متميزة عند توجيهه قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ﴾ (البقرة:٢٦٤)، حيث قال: «(تراب)، والتراب معروف، وهو اسم جنس لا يثنى ولا يجمع.

وقال المبرد: هو جمع، واحده ترابة.

وفائدة هذا الخلاف أنه لو قال لزوجته: (أنت طالق عدد التراب) أنه يقع عليه طلقة على الأول وهو الأصح، وثلاث على الثاني»[١٠].

رابعا: التوجيه النحوي للقراءات القرآنية

اهتم الشربيني بالقراءات القرآنية وتوجيهها في تفسيره، وقد اقتصر فيها -كما ذكر هو- على السبع المتواترة. ويمكن تلخيص موقفه النحوي من القراءات القرآنية فيما يلي:

أ- توجيه القراءة والاستشهاد لها:

أي يوجه القراءة نحويا؛ فيتلمس لها من الأوجه النحوية والدلالية ما يجعلها محلا للقبول ويدفع ما يحتمل من غرابة فيها، وربما يلجأ في ذلك إلى التأويل، يتضح ذلك على سبيل المثال في توجيهه لقراءة ابن كثير في قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ (البقرة:٣٧) حيث يقول: «وقرأ ابن كثير بنصب (الميم) من (آدم) ورفع (التاء) من (كلمات) على أنها تلقته. والباقون برفع (الميم) وكسر (التاء)، والكسر هذا علامة النصب؛ لأنه جمع مؤنث سالم فينصب بالكسرة»[١١].

ب- الدفاع عن القراءة ضد هجوم بعض النحاة:

من مواقف الشربيني تجاه القراءات المتواترة دفاعه عنها ضد هجوم بعض النحاة البصريين؛ فخطأهم فيما ذهبوا إليه من رد بعض القراءات تماشيا مع قواعدهم التي وضعوها، ويتضح ذلك جليا من موقفه من أشهر القراءات التي نشب بسببها خلاف بين البصريين والكوفيين، وكان موقفه فيها جميعا هو الوقوف في صف القراء وتعضيد موقفهم برأي الكوفيين وبما ورد عن العرب من شواهد نثرية أو شعرية.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك موقفه من قراءة حمزة في قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ (النساء:١)؛ حيث يقول: «... وأما حمزة فقرأه بالجر عطفا على الضمير المجرور. وقول البيضاوي (وهو ضعيف) -أي كما هو مذهب البصريين- ممنوع. والحق أنه ليس بضعيف؛ فقد جوزه الكوفيون، وكيف يكون ضعيفا والقراءة به متواترة؟ فيجب أن يضعف كلام البصريين ويرجع إلى كلام رب العالمين»، ثم استطرد في الاستشهاد على صحة هذا الرأي ببعض ما ورد عن العرب من شواهد شعرية.

ج- ترجيح قراءة على أخرى ترجيحا لغويا:

من مواقف الشربيني تجاه القراءات ترجيح قراءة على أخرى؛ بأن يذكر القراءتين وينص على أن إحداهما أبلغ، سواء كان هذا الترجيح رأيه الشخصي، أم ناقلا له عن أحد النحاة دون تعليق منه؛ وهو ما يوحي بموافقته على هذا الترجيح. مع التأكيد على أن ترجيح الشربيني لإحدى قراءتين على الأخرى لا يعني رفضه أو تضعيفه للقراءة المرجوحة، ولكنه ترجيح بين الفاضل والمفضول، حسب ما ترجحه قواعد اللغة ودلالاتها.

ومن القراءات التي نص على ترجيحها قراءة الجمهور في قول الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ (البقرة:١٣٢) حيث يقول: «وقرأ نافع وابن عامر (وأوصى) -بسكون الواو الثانية وهمزة مفتوحة بين الواوين، والباقون بواوين مفتوحتين ولا همزة بينهما، وهذا أبلغ. قال الزجاج: «لأن أوصى يصدق بالمرة الواحدة، ووصى لا يكون إلا لمرات كثيرة»[١٢].

د- ترجيح رأي لغوي على آخر في توجيه القراءة الواحدة:

فأحيانا يذكر أكثر من توجيه نحوي للقراءة الواحدة، مرجحا أحد هذه التوجيهات، يتضح هذا عند توجيهه قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (يوسف:٩٠) حيث يقول: «وقرأ قنبل بإثبات الياء بعد القاف وقفا ووصلا»[١٣].

واختلف المعربون في ذلك على وجهين؛ أجودهما أن إثبات حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب...، والثاني أنه مرفوع غير مجزوم، و(من) موصولة، والفعل صلتها»[١٤].

رحم الله الشيخ الشربيني، وأجزل له المثوبة والعطاء نظير ما قدمه لكتاب الله تعالى ولعلوم الشريعة واللغة.

الهوامش

١- طبقات الشعراني: ١١٧.
٢ - الخطط التوفيقية لعلي مبارك: ١٢/١٢٧ - ط بولاق ١٣٠٥هـ.
٣ - طبقات الشعراني الصغرى: ١١٨.
٤ - التفسير والمفسرون: ١/٣٢٠-٣٢٦.
٥ - هذه القراءة في قول الله تعالى: ﴿إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ (آل عمران:١٦٤)؛ حيث يقول: «وقرئ شاذا (من أنفسهم) بفتح الفاء أي: من أشرفهم؛ لأنه كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم. ثم يعلق فيقول: ولم أذكر في التفسير قراءة شاذة إلا هذه لكونها في شرف الرسول ﷺ وقراءة السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها.
٦ - السراج المنير: ١/٣.
٧ - السراج المنير: ١/٤٣٣.
٨ - انظر في هذه القراءة: السبعة في القراءات: ٢٤٢، والحجة لابن خالويه: ١٢٩، والإتحاف: ٢٥١.
٩ - السراج المنير: ١/٢٩٥.
١٠ - السراج المنير: ١/١٤٦.
١١ - السراج المنير: ١/٤٢.
١٢ - السراج المنير: ١/٧٨.
١٣ - القراءة بإثبات الياء وقفا ووصلا قرأ بها قنبل عن ابن كثير، والباقون بكسر القاف مع حذف الياء- السبعة في القراءات لابن مجاهد البغدادي: ١/٣٥١.
١٤ - السراج المنير: ٢/١٠٩-١١٠.



أحمد عبدالمقصود
شاعر وكاتب

على نهج الحبيب

على نهج الرسول مشت خطانا
وفي أفق الحبيب سمت علانا
بحب المصطفى رويت قلوب
فأورقت الأزاهر في ربانا
فلا الحب المكين له يزول
ولا الأيام تنقص من هوانا
على الأزمان نزداد اشتياقا
وتهتف باسمه الغالي دمانا
رسوم الحقد لم تنقصه قدرا
سيبقى قدره العالي مصانا
أيهجو شمس دنيانا سفيه
ويرجو بعد فعلته رضانا
ألا اخسأ يا أثيم فلست إلا
جهولا، جهلك الخافي استبانا
ولا والله لا نرضى مساسا
لظفر محمد، دع أن يهانا
فكيف تقر أعيننا وطه
يهان، فمن سينصره سوانا؟!

فلو عرف الأباعد قلب أحمد
لرووا من محبته الجنانا
رحيم القلب أواب حليم
جواد الكف يغمرنا حنانا
يبيت الليل أواها أسيفا
ويهتف أمتي، يرجو الأمانا
ومنبره بكى وشكا إليه
بعير مثقل لقي الهوانا
عليه صلاة ربي ما أضاءت
شريعته المشاعر من دنانا
فداه مشارق الدنيا جميعا
ومغربها، فلا يكفي فدانا
سيبقى دينه الهادي سراجا
ينير الأرض ما رفعوا الأذانا
فأنعم ربنا بورود حوض
فشربة كفه أقصى منانا
وأكرم باللقاء غدا بعدن
بخير الناس، وارزقنا الجنانا



شعر: محمود عقاب
شاعر مصري



سنابل الجود

الجـــود لا يــنــقــص الأنـــهـــار إن صبت
وكـــلـــمـــا جـــال فـــي جـــدب الـــثـــرى أنـبـت
والــبــخــل مــثــل ادخـــار الـــنـــار فـــي حطب
تــخــبــو وتحــت رمـــاد الـــشـــح مـــا هـــبـــت
وحـــبـــة الـــجـــود إخـــراج لـــســـنـــبـــلـــة
تـــضـــاعـــفـــت، وجـــيـــوب المـــنـــفـــق المـــنـــبـــت
والـــبـــدر عـــنـــد اكـــتـــنـــاز؛ غـــاب مـــشـــرقـــه
فـــالـــشـــمـــس فـــي مـــعـــطـــف الـــغـــيـــمـــات مـــا شـــبـــت
خـــزائـــن الـــبـــخـــل لا تـــنـــمـــو بـــتـــربـــيـــة
يـــد الـــكـــريـــم عـــلـــى الإنـــفـــاق كـــم ربـــت
أرض الـــســـخـــاء بـــجـــو الـــغـــيـــث مـــثـــمـــرة
وفـــوقـــهـــا كـــائـــنـــات الـــكـــون قـــد دبـــت
أجـــر الـــبـــخـــيـــل بـــقـــاع الأرض مـــدفـــنـــه
وأجـــر مـــن أنـــفـــقـــوا أعـــلـــى الـــســـمـــا مـــثـــبـــت



نجاح عبدالقادر محمد سرور
شاعر وكاتب

الأدب النسائي في وصف النبي ﷺ

كثيرون هم الرجال الذين تفننوا في وصف رسول الله ﷺ خَلقا وخُلقا.. ولكن.. ماذا عن وصفه ﷺ في الأدب النسائي؟.. لقد برعت على مدار التاريخ أديبات بليغات في وصفه ﷺ خلقا وخلقا.

ومن هؤلاء:

أم معبد: هي أم معبد بنت كعب الخزاعية، التي نزل النبي ﷺ وأبو بكر في خيمتها وهما في طريق الهجرة.. تصف هيئة وجمال رسول الله ﷺ فتقول: «رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، حسن الخلق، مليح الوجه، لم تعبه ثجلة، ولم تزر به صعلة، قسيم وسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور، أكحل، أزج، أقرن، في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة، لا تشنؤه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدا، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند»[١]... فانظر إلى براعتها وفصاحتها في وصفه ﷺ، واستخدامها المزاوجة والتنويع بين الجمل، مع اختيار أعذب الألفاظ، وأجمل العبارات، في تجانس وتقابل وتنوع أسلوبي بليغ، مع دقة في الوصف ووضوح وعمق في المعنى.

فقولها: ظاهر الوضاءة، أي ظاهر الجمال، واستخدمت كلمة الوضاءة لتبين أن جماله جمال نوراني.. أبلج الوجه، أي مشرق الوجه؛ لم تعبه ثجلة: كبر البطن. ولم تزر به صعلة: صغر الرأس، والدعج: شدة سواد الحدقة، والوطف: طول أشفار العينين، وفي صوته صحل: هو بحة يسيرة وهي أحلى في الصوت من أن يكون حادا، وقولها: أكحل، أزج، هو المتقوس الحاجبين؛ أقرن فهو التقاء الحاجبين بين العينين؛ في عنقه سطع: أي طول ونور، وإذا تكلم سما: أي علا على الناس وعلاه البهاء، لا نزر ولا هذر: أي لا قليل ولا كثير؛ ولا يفند أحدا: أي لا يهجنه ويستقل عقله بل جميل المعاشرة حسن الصحبة.

وهذه السيدة خديجة أم المؤمنين، رضي الله عنها، تصف أخلاقه ﷺ فتقول له: «إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[٢]... وصف بليغ بكلمات يسيرة تحمل معاني غزيرة.. مركزة على علاقته بالناس وعلى رأسهم الأقارب والمساكين؛ مع جمع بين الصلة والصدق والجود وإغاثة الملهوف ونصرة أهل الحق.

وهذه أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها، تصف رسول الله ﷺ كيف هو في بيته فتقول: «كان يكون في مهنة أهله (تعني خدمة أهله)، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[٣]. وتصف تعامله مع أهله فتقول: «كان ألين الناس، وأكرم الناس، وكان ضحاكا بساما»[٤]. وتصف خلقه فتقول: «كان خلقه القرآن»[٥]. وتصف عبادته فتقول: «كان عمله ديمة، وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق»[٦]. وتصف حديثه فتقول: «إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم»، وتقول: إن النبي ﷺ، كان «يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه»[٧].

فاستخدمت في وصفه أفعل التفضيل (ألين - أكرم)، كما استخدمت صيغ المبالغة (ضحاكا - بساما)، مع براعة في استخدام التشبيه، فشبهت خلقه بالقرآن، وعمله بالسحابة الممطرة مطرا خفيفا متواصلا.. فانظر إلى الموازنة والمواءمة

بين المشبه والمشبه به.. وتمعن في هذا الوصف البديع باستخدام الكناية بقولها: كان «يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه».

وهذه عائشة بنت يوسف الباعونية (٨٦٥ - ٩٢٣هـ) الأديبة الدمشقية، ولدت في دمشق، وحفظت القرآن الكريم صغيرة، ثم أسمعها والدها علوم الدين واللغة والأدب على شيوخ الشام، ورحلت إلى مصر فأخذت عن علمائها، وأجيزت بالإفتاء والتدريس، وعكفت على الإبداع والتصنيف، كانت تتنقل بين دمشق والقاهرة وحلب، تطارح علماء عصرها وأدباءه، إلى أن توفيت في دمشق، اشتهرت بقصيدتها المطولة في وصف رسول الله ﷺ ومطلعها:

في حسن مطلع أقمار بذي سلم
أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

ومن أبياتها التي تصف فيها خلق وخلق رسول الله ﷺ:

جمال صورته عنوان سيرته
هذا بديع وهذي آية الأمم
ولو غدا البحر حبرا والفضا
ورقا في حصر أوصافه ضاقا ببعضهم
علاه كالشمس لا يخفى على بصر
والوجه كالبدر يجلو حالك الظلم
ولو كان ثم مثيل قلت طلعته
كالبدر حاشا تعالى كامل العظم
قالوا هو الغيث قلت الغيث آونة
يهمي وغيث نداه لا يزال همي

فانظر إلى كثافة المعاني وحسن التقسيم في قولها:

جمال صورته عنوان سيرته
هذا بديع وهذي آية الأمم

وانظر إلى هذه الصورة البديعة التي رسمتها لرسول الله ﷺ في قولها:

ولو غدا البحر حبرا والفضا ورقا
في حصر أوصافه ضاقا ببعضهم

وتقول في قصيدتها الأخرى التي مطلعها:

عبير الثنا في الخافقين يفوح
وبشر الهنا في الكائنات يلوح
وماذا عسى أحصي وبحر اختصاصه
محيط وبر القول فيه فسيح
وكل كتاب منزل فيه ذكره
وكل نبي بالمديح فصيح
وكم أضحت الأحبار تهتف باسمه
وتعرب عن مجد العلا وتبوح
إذا شئت أن ترقى إلى ذروة العلا
ويطويك فيض للحجاب يزيح

تمسك به وافن غراما بحبه
فإن التفاني في المليح مليح[٨]

ويا لجمال وصفها وهي تقول:

وماذا عسى أحصي وبحر اختصاصه
محيط وبر القول فيه فسيح

وهذه عائشة التيمورية الأديبة المصرية المشهورة، ولدت سنة ١٨٤٠م، وبلغت في صناعة الإنشاد درجة لم تبلغها امرأة في عصرها، قالت في محاكاة قصيدة «البردة» المشهورة للبوصيري

أعن وميض سرى في حندس الظلم
أم نسمة هاجت الأشواق من (أضم)
فجددت لي عهدا بالغرام مضى
وشاقني نحو أحبابي «بذي سلم»

وفي القصيدة تصف فيها رسول الله ﷺ فتقول:

طه الذي كللت أنوار سنته
تيجان أمته فضلا على الأمم
والجذع أن له من بعده جزعا
لما رأى عنه مولى العرب والعجم
لانت له الصخرة الصماء طالعة
مذ مسها سيد الكونين بالقدم
ولا يحيط به مدحي ولو جعلت
جوارحي ألسنا ينطقن بالحكم
وإنما أرتجي من مدحه قبسا
يهدي الصراط ويشفي الروح من ألم[٩]

إنها تعترف - ووجب أن يكون هذا اعتراف كل الأدباء-بأنها لا يمكن لها الإحاطة بوصف ومدح رسول الله ﷺ فتقول:

ولا يحيط به مدحي ولو جعلت
جوارحي ألسنا ينطقن بالحكم

هذه بعض إبداعات الأديبات من النساء في وصفهن رسول الله ﷺ.. وكل وصف وكل مديح له من أهل الأدب والبلاغة رجالا ونساء.. يقصر عن بلوغ قمة جماله وكماله ﷺ.

الهوامش

١- البداية والنهاية، ٣٤/٦.
٢- البداية والنهاية، ١٣/٣.
٣- البخاري، ١٣٦/١.
٤- ابن عساكر، البداية والنهاية، ٥٠/٦.
٥- أحمد، ١٥/٤٣.
٦- البخاري، ٤٢/٣.
٧- البخاري، ١٩٠/٤.
٨- ديوان الباعونية.
٩- ديوان التيمورية: (حلية الطراز).



عمرو طه
قاص مصري



قراءة في رواية

«صاحب الظل الطويل» لـ: جين ويبستر[1]

تغوص بنا جين ويبستر في أعماق فتاة يتيمة تعيش في دار للأيتام.. جودي أبوت وهي أكبرهم سنا؛ وجميع نزلاء الدار هم من شريحة الأطفال، ولطالما كانت هي أكبرهم فقد كانت هي المكلفة بأعمال الدار من نظافة للأطفال وترتيب الأسرة والأرضيات وتنظيفها.

في يوم الأربعاء عادة من بداية كل شهر يتوافد الأوصياء على الدار كي يبحثوا في اجتماع مع السيدة ليبت رئيسة الدار ويطلعوا على مسيرتها ومتطلباتها.

جودي كانت تكره هذا اليوم؛ فهو محمل بالمعاناة والإرهاق، فقد كان عليها الاهتمام بالأطفال وتنظيفهم وإلباسهم الملابس الجديدة وإظهارهم بالمظهر اللائق، مع التنبيه عليهم بالتحلي بالأخلاق والرد على الأوصياء بـ «نعم سيدي» أو «لا سيدي». وكان هذا بالإضافة إلى أعمال النظافة الموكلة إليها.

كانت السيدة ليبت قاسية في تعاملها مع جودي، تنهرها بنظراتها القاسية إلى أن تنتهي من الأعمال الموكلة إليها، في حين تتحول هذه النظرة لجودي في وجود الأوصياء إلى نظرة أم مليئة بالحب والحنان والعطف وكل ما يفتقده يتيم في حياته.

أتمت جودي السابعة عشرة من عمرها، وانتهت من دراسة الثانوية، وكان من شروط الدار أنهم لا يقوموا بإعالة الأطفال بعد سن السادسة عشر، إلا أن جودي كانت حالة استثنائية، فقد كانت مجتهدة في المدرسة وتعمل وتكد في الدار على راحة الجميع إلا راحتها هي.

وبسبب اجتهادها في المدرسة قد تطورت ملكتها في الكتابة من خلال بعض المقالات التي تكتبها داخل الدار؛ وقد لاحظ ذلك أحد الأوصياء.

ها هو يوم أربعاء من تلك الأيام التي تثقل عليها قد انتهى بعد أن اجتمع الأوصياء وتدارسوا شؤون الدار ثم بدأوا بالانصراف. كانت جودي تنظر من النافذة عليهم أثناء رحيلهم بسيارتهم الفارهة. حاولت أن تتخيل منازلهم من الداخل إلا أن هذا كان يصعب على خيالها، لأنها لم تدخل بيتا آخر من قبل غير دار الأيتام.

هنا استدعت السيدة ليبت جودي، ففزعت جودي خوفا من

أن تكون قد اقترفت خطأ ما دون أن تشعر. وفي أثناء ذهابها لمكتب السيدة ليبت لمحت على الحائط ظل آخر وصي خرج من الدار.
جلست مع السيدة ليبت، فقالت السيدة لجودي: هل لاحظت ذلك السيد الذي غادرنا منذ لحظات؟
قالت جودي: رأيت ظهره فقط.
فقالت لها السيدة ليبت: إنه يريد أن يكفلك ويجعلك تلتحقين بالجامعة إلى أن تصبحي كاتبة، لكن بشروط؛ أولها أنه رفض ذكر اسمه، وثانيها يجب عليك أن تكتبي له خطابا كل شهر تشرحين فيه تفاصيل رحلتك في الجامعة وحتى التفاصيل اليومية، وأن يكون الخطاب موجها لاسم السيد جون سميث مع عدم انتظار الرد على الخطاب.
عادت جودي لغرفتها كأنها طائر سعيد يطير في سماء يوم هادئ بعد سماع هذه الكلمات من السيدة ليبت، فكثيرا ما تمنت أن تتم دراستها.
بعد ذهاب جودي وانضمامها للجامعة بدأت بكتابة خطاباتها للسيد الوصي قائلة له:
عزيزي الوصي الطيب الذي يرسل اليتامى إلى الكلية.
هأنذا. لقد سافرت بالأمس لمدة أربع ساعات بالقطار، إنه شعور مثير ومبهج.. أليس كذلك؟ إنني لم أركب قطارا من قبل. الكلية متسعة وضخمة وتدعو للارتباك، أنا أضل طريقي دائما بمجرد ترك غرفتي. سوف أكتب لك وصفا تفصيليا عندما أشعر بأنني أقل ضياعا، وسأخبرك أيضا عن دروسي، فالدراسة لن تبدأ إلا يوم الإثنين، نحن الآن في ليلة السبت، لكني-على أية حال- رغبت في أن أكتب لك خطابا لمجرد التعارف.
وتقول له في نفس الخطاب:
«لقد فكرت كثيرا فيك هذا الصيف، فإنه لمجرد أن يهتم بي شخص ما بعد كل هذه السنين الطويلة، يعتبر كأنما قد ولدت من جديد وعثرت على عائلة انتسب إليها.. الآن أبدو وكأنني أنتمي لشخص ما، وهذا شعور مريح للغاية. ولكن أرى لزاما علي أن أعترف بأنني كلما فكرت فيك فإن خيالي يجد القليل يستند إليه.. وهذه ثلاثة أشياء فقط أعرفها عنك:
أنك طويل القامة -أنك رجل غني- أنك تكره البنات.
أعتقد أنه ربما يجب أن أدعوك: عزيزي كاره البنات، لكن هذا يعتبر إهانة لي. أو أدعوك عزيزي الرجل الغني، لكن هذا يعتبر إهانة لك، فبالإضافة إلى اعتبار الشخص غنيا، وهي صفة خارجية وسطحية، فربما لا تستمر غنيا طوال حياتك.. فكما تعلم؛ كثير من الرجال تحطموا في شارع المال (وول ستريت)، لكنك -على أي حال- سوف تستمر طويل القامة ما دمت على قيد الحياة، لذا قررت أن أدعوك: صاحب الظل الطويل. أرجو ألا تمانع في ذلك، إنه مجرد اسم تدليل خاص، طبعا لن نخبر مسز ليبت بذلك.
نرى هنا أسلوب جين ويبستر البسيط والمشوق الذي جعل بطلة الرواية تستحوذ على قلوب القراء، فجودي الفتاة اليتيمة هنا تخاطب الوصي رغم أنها لم تره من قبل، لكنها تشعر بأنه كل حياتها.. عائلتها. وها هي تكتب له لمجرد أنها تريد أن تشعر بالعائلة وبأن أمرها يهم شخصا ما.
ولنا أن نتخيل مدى الفرق بين شعور جودي وصديقتها في الغرفة في هذه الملحوظة التي كتبتها أسفل أحد خطاباتها:
«ملحوظة: (الساعة التاسعة)
منذ لحظة وضعت سالي ماكبرايد رأسها في فرجة الباب، وهذا ما قالته لي بالضبط: «إنني أشعر بالحنين الغامر للبيت.. ألا تشعرين بمثل شعوري؟» فابتسمت ابتسامة صغيرة وأجبتها بالنفي.. على الأقل يعتبر الحنين إلى البيت من الأمراض التي استطعت تجنبها.. فأنا لم أسمع من قبل عن شخص شعر بالحنين إلى الملجأ.. هل سمعت أنت عن ذلك؟».
كانت رسائل جودي على هذا المنوال، مرة سعيدة.. حزينة.. متحمسة.. مليئة باليأس، أكثر الأشياء التي جعلتها سعيدة هو شعورها بأنها تنتمي إلى عائلة وأن هناك من يهتم لأمرها، كانت ترى في هذا الشخص والدها مرة وأخرى جدها.
اجتهدت جودي في الجامعة خلال الأربع سنوات، فقد كانت متفوقة في دراستها. ثم تخرجت، اكتشفت جودي في آخر المطاف أن هذا الوصي هو أخو صديقتها، وما كان بعد تخرجها من الجامعة إلا زواجهما.
في «صاحب الظل الطويل» نرى جودي أبوت وما تفتقده من أسباب الحياة واختلاطها بالمجتمع. ورغم هذا فإن الأطفال الأيتام الذين يؤويهم ملجأ ما هم أقل شقاء وحرمانا من الذين يهيمون على وجوههم في الشوارع والطرقات ليواجهوا مصيرهم بأنفسهم منذ نعومة أظافرهم مفتقدين ما يعينهم على التجاسر والصمود في الحياة من مسكن، ومأكل، ومشرب؛ حتى توجيهات من أكبرهم سنا لانعدام خبراتهم الحياتية.

هوامش

١- جين ويبستر، واسمها الحرفي أليس جين ويبستر، روائية أميركية، ولدت في فريدونيا بنيويورك عام: (١٨٧٦م)، ولها العديد من المؤلفات، رواية صاحب الظل الطويل تعتبر من روائع التراث الأدبي الأميركي. توفيت جين ويبستر عام: (١٩١٦م).



وليد عبدالماجد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر

قراءة نقدية لإبداعات عدد جمادى الأولى ١٤٤٢هـ

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.
ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.


ملف العدد
يوم عصيب

«يوم عصيب»

في قصة اجتماعية جديدة تتناول القاصة مياسة النخلاني مشهدا من مشاهد حياتنا اليومية المليئة بالأحداث والمتناقضات، وتقف النخلاني في زاويتها كالعادة لترصد بعدستها اللاقطة وتجسد بقلمها موقفا من الواقع الاجتماعي الذي نعيشه.

يأتي العنوان «يوم عصيب» -وهو أول العتبات النصية- معبرا بدرجة كبيرة عن محتوى القصة رغم أنه كان بإمكانها اختيار عنوان أكثر إيهاما وإثارة لذهن القارئ بدلا من هذا النسق المعتاد من العناوين المباشرة، ولغة القاصة تسمح لها بهذا الأمر.

استهلت النخلاني قصتها بعبارات قلقة أشاعت روح التوتر مبكرا لتتناسب مع جو القصة التي تصور جانبا من الصراع النفسي لدى بطل القصة وهو أحد المقهورين في مجتمعاتنا، تقول في مستهل قصتها: «توقفت عن هز رجلي، وبدأت بقضم أظافري التي أوشكت على الانتهاء، بدأت رجلي بالاهتزاز مرة أخرى، الغضب يتملكني وشيء من الحيرة وقليل جدا من الخوف يتملكني، لا بل كثير منه» ا.هـ

ففي تلك البداية تعبير واضح عن حالة الاضطراب الداخلي التي يعانيها بطل القصة ذلك العامل البسيط الذي يعاني الانسحاق أمام سلطة رئيسه في العمل ولا يملك إلا الرضوخ له.

اعتمدت الكاتبة في قصتها على «ضمير المتكلم» منذ اللحظات الأولى، وجاء التعبير به موفقا لكونه الأقدر على التعبير عن النفس الإنسانية ودواخلها وما يكتنفها من مشاعر لو عبر عنها بالراوي العليم مثلا لم يكن له الوقع ذاته.

اعتمدت القصة على الوصف في غالبها من ذلك قولها على سبيل المثال: «زفرت بعمق، جلت ببصري حولي، الجميع يعمل بهدوء غير عابئ بالضوضاء التي تعتمل في صدري، ولا القرارات المهمة التي مر أكثر من ثلاثة أسابيع وأنا أوشك على اتخاذها، لكني اتخذت قرارا بأني سأتمرد اليوم عليه».

كما تضمنت القصة حوارا بين البطل الراوي وبين المدير المتسلط حشدت فيه مشاعر الخوف والتردد، وحوارا داخليا بين البطل ونفسه أظهر المشاعر المتلاطمة داخله، من ذلك قوله: «لن أعيد صياغة التقارير وفقا لملاحظاتك الغبية، لن أذهب لأعد لك القهوة الصباحية، ولن أعود مجددا لإضافة السكر الذي أنساه دائما، ولن أذهب لموقف السيارات لأحضر لك المحمول اللعين الذي تتعمد أن تنساه».

على عكس ما توقع القارئ جاءت النهاية، فعبارات التحدي التي حشدتها الكاتبة جعلت القارئ ينتظر تلك اللحظة الحاسمة التي يتخلص فيها البطل من كل قيوده ويكسر أغلاله؛ لكن تأتي لحظة التنوير مغايرة تماما لتوقع القارئ. وأظن القصة لا تعني تلك القيود الاجتماعية فحسب، لكنها أرادت ما هو أبعد من ذلك.

القصة جيدة في مبناها ومعناها، لكن لابد للكاتبة من العمل على إثراء معجمها اللغوي بحيث تضيف مفردات جديدة يمكن توظيفها بشكل أفضل، كذلك تضمن أصل القصة بعض هنات لغوية يجب العمل على تداركها في قابل الأعمال.



محمد ثابت توفيق
قاص وناقد

«لعبة بلاستيك» دراما مكثفة

قصة «لعبة بلاستيك» للقاص «عمرو طه» التي نشرتها المجلة في العدد الماضي استدعت بعد قراءتها من كاتب هذه الكلمات وقفة وجدانية فكرية حول المعنى والمغزى الذي تود القصة الإلحاح على تأكيده في وجدان وروح المتلقي عبر تضافر وتكامل منظومتي الشكل والمضمون بداية من تقمص كاتبها لشخصية بطل القصة أو شخصها الأوحد الذي تتمحور وتدور حوله جميع أحداثها؛ فيما تختفي معالم الشخصيات الأخرى من حوله حتى لتبدو أسرته عبارة عن أبوين فحسب بلا تفاصيل أخرى من وجود إخوة له أو كونه وحيدا؛ أو حتى مجرد أهل، أو تدخل من المبدع بحيلة فنية تبرر وحدة البطل مع أبويه من هجرة داخلية للأسرة أو ما شابه؛ وهو ما يشعرنا بأن القصة هي جزء ثان متصل/منفصل من «دوامة» التي تعرضنا لها سابقا وأشدنا بطول نفس القاص الروائي.

تدور أحداث القصة إذن حول البطل الذي لا نعرف له اسما أو ملامحا أو مجرد عنوان في عالمنا المترامي الأطراف، وبالتالي لا نعرف عن زمنها إلا المسلمة التي تقول طالما لم يحدد الكاتب زمنا للعمل فإننا كقراء ومدققين فيه ينبغي أن نغلب أن نهاية أحداثه تجري الآن أو قريبا؛ كل هذا يجعلنا نتأكد من أن القصة متمازجة مع «دوامة» ومكملة لها ضمن إطار وتقنيات قصص «المنفصل/المتصل»

تدور «لعبة بلاستيك» حول مواطن مفترض ولد في أحد الأحياء البالغة الفقر من عالمنا العربي الإسلامي برغم أن الحي البسيط يقع أسفل آخر يتميز بوجود بنايات متفرقة عالية غالية التكاليف كما يراها بطل العمل؛ رغم إقراره بأنه لم يزرها وإن كان يتمنى الاقتراب منها، مجرد الاقتراب فحسب غير أنه يعبر عن افتقاده تلك البنايات وأصحابها بالقول: «كنت لا أستطيع أن أصل بخيالي إلى حياة هؤلاء الناس، وما قد يكون خلف هذه الجدران المزينة من الخارج، ولعدم دخولي إلى أي مسكن خارج الحي..»؛ وعدم ذهاب بطل القصة لتلك الأحياء يجعله يشعر بمقدار حرمانه في الحارة الضيقة التي يسلم يمينها إلى شمالها والذي لا تكاد تحتويه وأبويه بالإضافة لضيق المسكن الشديد الذي أبدع المؤلف في وصفه.

وتستمر وقائع الميلودراما لتصور لنا عمل الصغير في جمع قطع البلاستيك من شوارع المنطقة الفقيرة المحرومة التي يعيش فيها وبحسب ما يجمعه يأتي راتبه، وبرع المؤلف لما أورد تفصيلة أن البطل «كانت البداية (في عمله) بلعبتي التي صنعتها أمي من قارورة بلاستيكة قبل عدة أشهر..»، وبالتالي كان من الجميل أن يسمي القصة باسم اللعبة واللفتة البالغة المأساوية.

مع نهاية سطور الفقرة الأولى من القصة يعترف بطلها المتماهي قصصيا مع المؤلف بأنه: «كانت الخمس سنوات الأولى من حياتي هي كل راحتي» وأعتقد أن مغزى القصة تجمعه هذه الكلمات، إذ إننا أمام طفل سلب منه حق الحياة تماما ومجرد اللعب بقطع البلاستيك والكرتون اللذين تجعلهما ألعابا له والدته بلمساتها الساحرة، وعلى مقربة من ممر وغرفة يكادا يكونان بلا إضاءة ومن حيه الذي لا يعرف الرحمة يقبع آخر فاخر تطل بناياته على بيوت البطل وأقرانه وأسرهم لكن لا «تكافل اجتماعي» ولا «زكاة تصل هؤلاء المعدمين»، ولا حتى مجرد رأفة بطفل لم يبلغ أكثر من ست سنوات من دورانه نصف اليوم في الشوارع بحثا في المهملات عمّا ينفع مصنعه.



جاء أسلوب القاص متزنا في السرد عدا بعض هنات قليلة لا تقلل من قدرته اللغوية على توضيح المعنى ويبقى أن «لعبة بلاستيك» منفردة تحمل عبق ونكهة ورائحة آلام مفارقة الأوطان قهرا دون اختيار لشدة الفقر فيها؛ ومن ناحية تطلق رسالة تحذيرية تبدو مباشرة أحيانا من خطورة عمالة الصغار على المجتمعات الإسلامية إذ تهدر طاقاتهم وتقضي على طفولتهم وتجعلهم أسرى لدى السفر البعيد، إذ إن أي وطن آخر مهما عانوا فيه لن يكون بمثل قسوة وضراوة المعاناة التي لاقوها في أوطانهم؛ وبقي التأكيد على أن حلم السفر الذي استمر تكثيف طه له عبر هذه القصة يحتاج منه لمراجعة دقيقة للوصول لقناعة واضحة تجيب عن سؤال شغلنا مجددا مع قصته الثانية حتى احتجنا لإعادة صياغته: هل الأفضل مغادرة وطننا العربي الإسلامي المأمول إلى عالم آخر بديل مجهول أيا ما كان؟ أم العمل على إصلاح مجتمعاتنا نفسها؟ فلعل الإجابة عن هذا السؤال تفيد القاص في بداية إبداعاته وتوجه مساره إلى الأفضل خدمة لإبداعه وواقعنا!



د. هانئ محمد
كاتب وباحث أكاديمي

دوائر تأثير الحضارة الإسلامية

«الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا».. مقولة نادى بها الأديب الإنجليزي الشهير كبيلنج (١٨٦٥ - ١٩٣٦م) الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٠٧م، وهذه المقولة تذكرنا بدعوى صموئيل هنتنجتون التي أطلقها عام ١٩٩٢م عن صراع الحضارات، ويعني بذلك الصراع بين حضارة الغرب من جهة وحضارات الشرق من جهة أخرى وبصفة خاصة الحضارة الإسلامية، ولكن باستقراء تاريخ الفكر الإنساني الذي يشهد بأن كبيلنج وأمثاله من المستعمرين قد ضلوا سبيلا فإن الأوروبيين في الغرب والمسلمين في الشرق كانت بينهم طوال التاريخ لقاءات حضارية وليست حربية استفاد منها الغرب أيما إفادة في بناء حضارته الحديثة، عندما أشرقت شمس الحضارة الإسلامية على أوروبا وبددت ظلام العصور الوسطى وذلك في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد، وكان ذلك إيذانا ببداية فجر جديد بدأت فيه أوروبا تسير تجاه عصر التحول الحضاري وانكب أبناؤها على دراسة العلوم والمعارف العربية والإسلامية وترجموا العديد من الكتب التي ألفها عباقرة الحضارة الإسلامية خاصة في الطب والهندسة والفلك والكيمياء والفيزياء، وغيرها من العلوم التي شكلت مرتكزا أساسيا لقيام النهضة الأوروبية.. ولكن التساؤل: كيف وصلت هذه العلوم إلى أيدي هؤلاء؟ ويجيبنا المؤرخون الأوروبيون -وكما يقال شهد شاهد من أهلها- أمثال جوستاف لوبون وسيجريد هونكه وغيرهما، وغيرهم أن شمس الحضارة الإسلامية سطعت على أوروبا من خلال ثلاثة منافذ رئيسية هي: إسبانيا أولا، وصقلية ثانيا، وبلاد الشرق الأدنى وما ارتبط بها من حروب صليبية ثالثا.

ولم يكتف الإسلام في نموذجه الحضاري بالإقرار العام بالمساواة بين البشر، وصيانة حقوق الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي، بل أصل في نفوس أتباعه مبدأ الانفتاح على الحضارات الأخرى والاستفادة من ثمرات العلوم والمعارف والتجارب الإنسانية السابقة منها واللاحقة، ومن ثم فلم تكن ثمرات الحضارة التي أرسى دعائمها الإسلام في حياة المسلمين مقتصرة عليهم هم وحدهم، بل تجاوزت حدودهم وبلغ تأثيرها غيرهم.

لقد كان تأثير القيم الحضارية للإسلام عاما وشاملا ضمن ثلاث دوائر رئيسية يكمل بعضها بعضا،

وتؤسس في مجموعها منظومة متكاملة لبناء النموذج الحضاري الإسلامي، وهذه الدوائر الثلاث هي: (دائرة الإنسان، ودائرة المجتمع، ودائرة العالم).

ومن البدهي أن قيمة التوحيد هي القاعدة الأساسية للإيمان ولطبيعة الحضارة الإسلامية، فالإسلام يعطي مساحة واسعة لتوضيح صلة الإنسان بالخالق -سبحانه وتعالى- من خلال التعريف به وصفاته وكيفية عبادته، وتوجيه مشاعر الإنسان نحوه بالعبادة والحب والطاعة، خلافا لمشاعر الأمم الأخرى التي اعتبرت نفسها في صراع مع الآلهة التي اخترعتها كاليونان، حيث نازعوا آلهتهم للحصول على أسرار الطبيعة، وما زالت وريثتهم -الحضارة الغربية- تعبر بـ«قهر الطبيعة»، وبـ«موت الإله» في أدبياتها وفلسفاتها الحداثية.

ولسنا بحاجة لزيادة التأكيد على أن الإسلام قد أقر -بكل جلاء- اختلاف الناس وتنوعهم، بل جعل ذلك سنة إلهية ماضية إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود:١١٨)، ونسب هذه الحال إلى الجعل الإلهي والمشيئة العليا وأن وراءها قصدا ولها غاية، ألا وهي أن يتعارف الناس والأمم.

إن اختلاف الناس شعوبا وقبائل وجماعات وأمما وطوائف وقوميات...إلخ، لم يكن لأجل أن تقوم بينهم مصارعة حتمية أو مقاتلة مفروضة، بل ليتعارفوا ويتواصلوا ويسهل التعايش فيما بينهم.

وقد فهم الفكر الإسلامي ذلك من روح دينه ونصوصه التي منها قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ...﴾ (الحجرات:١٣)، وإن هذا التعارف يجعل كل فريق ينتفع بما عند الآخر، فلا تقف الحدود الإقليمية أو العرقية العنصرية أو اللغوية أو الطبقية سدودا وقيودا على التبادل والتعارف الحضاري الذي يرتبط بمبدأ الأصل البشري الواحد ﴿إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، والقرآن الكريم يوجه خطابا يضم الناس، مسلمهم وغير مسلمهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.. إن هذا التعارف يقرر المعرفة المتبادلة وينفي التفاضل بالعنصر أو ما يسمى بـ«التفرقة العنصرية» أو بالأرض أو بأي عامل غير القيمة والعمل الصالح التي سماها القرآن: «التقوى»، وهذا التعارف هو في أصول الفقه الإسلامي يوجه نحو تكاليف التواصل في كل مجالاته الثقافية والسياسية والاقتصادية والتلاقي والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، الأمر الذي تبرز فيه القيم الأخلاقية الإسلامية في القسط والبر بغير المسلمين في جو من الأمن والأمان يتيح للدعوة الإسلامية أن تمضي ويتيح للمخالف أن يقف منها موقفا حرا، لا قهر فيه ولا إكراه ويتيح للمسلم أن يتزوج من نساء أهل الكتاب، وأن يأكل بعضهم من طعام بعض، وأن يتحاوروا في كل الشؤون، ويتجادلوا بالتي هي أحسن لا بغيرها.

إن سنة التعارف الحضاري هي التي تكفل للبشر أن يعرفوا بعضهم بعضا، وأن يتعرف بعضهم على ما لدى الآخر من قيم وأفكار، من مشترك وخصوصيات، وأن تبقى العلاقة -ضمن المنظومة الإسلامية- قائمة على احترام الحرمات وصون الكرامات والقسط في كل المعاملات، وزيادة البر والإحسان، تحقيقا لمقاصد عليا أقرتها الشريعة الإسلامية.

والخطاب التعارفي في القرآن الكريم ينظر إلى الناس بكل تنوعاتهم واختلافاتهم في الألسنة والألوان وتمايزاتهم في الغايات والمصالح والقيم والأفكار، وينظر إليهم أيضا وقد جاءوا جميعا من ﴿ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ كحقيقة تقر بها كل الأديان والمذاهب غير الملحدة.

ويرى الفكر الإسلامي المعاصر أن الغرض من ذلك أن يدرك (كل الناس) هذه الحقيقة، وأن يتعاملوا معها كقاعدة إنسانية وأخلاقية في نظرتهم لأنفسهم، وفي نظرة كل حضارة إلى غيرها فالتنوع بين الناس وتكاثرهم، والأشكال التنظيمية الوطنية والإقليمية التي يتوزعون بها في أرجاء الأرض لا تعني تناحرهم أو أن تتقطع بينهم السبل والأسباب، وأن تعيش كل حضارة في عزلة وانقطاع، أو أن يتصادموا من أجل العوامل الأرضية كالثروات والعلو إفسادا في الأرض.

وهذا التعارف الحضاري ينفي الانغلاق، وينفي التصادم لغير سبب ما، وينفي الصراع الحضاري لغايات ضئيلة من قبيل الهيمنة على العالم، والسعي لرسم صورته على نمط هو من خصوصيات أمة أو حضارة معينة، ويثبت أن جميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالنسبة الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ.

د. حمدي طنطاوي محمد
كاتب وباحث



استقامة النفس

الاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم من غير اعوجاج عنه يمنة ولا يسرة وهي على ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك جامعة لخصال الدين كلها(١)، ومن رحمته سبحانه وتعالى بعباده أن جعل لهم طريق الحق واضحا جليا، وعهد لنا ببيانه فقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ (النحل:٩) أي: وعلى الله بيان طريق الحق، وهو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وعن ابن عباس رضي الله عنه، على الله البيان، أن يبين الهدى والضلالة(٢).

وهذا البيان قد يكون إلهاما كما في قوله تعالى: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس:٨-١٠) أي: فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير، أو شر أو طاعة، أو معصية(٣). وأفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وصالح الأعمال، وخاب من دس نفسه في المعاصي(٤).

ومخالفة الهوى محفوف بالمكاره كما قال ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره» إذ كان في استقامة الإنسان على طاعة الله، قهر لأهواء النفس، ومغالبة للشهوات، وقد قالت الحكماء: لا تنال الراحة بالراحة، وقل أن يلمع برق لذة إلا وتقع صاعقة ندم(٥).

ولذلك لا توصل الجنة إلا بارتكاب المكاره، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها والصبر على مشاقها وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلى المسيء والصبر عن الشهوات ونحو ذلك. وأما الشهوات التي النار محفوفة بها فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والنظر إلى الأجنبية والغيبة واستعمال الملاهي ونحو ذلك. وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه لكن يكره الإكثار منها؛ مخافة أن يجر إلى المحرمة أو يقسي القلب أو يشغل عن الطاعات أو يحوج إلى الاعتناء بتحصيل الدنيا)(٦).

والمقصود من الطاعات هو استقامة النفس ودفع اعوجاجها، لا الإحصاء، فإنه متعذر(٧)، ولذلك قال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»(٨)، أي: لن تطيقوا أن تستقيموا في كل شيء: سددوا وقاربوا(٩) ولهذا جعل الشارع للطاعات قدرا كمقدار الدواء في حق المريض لا يزاد، ولا ينقص(١٠).

ولا تستقيم النفس إلا باستقامة القلب والجوارح، وإذا استقام القلب استقامة الجوارح، واستقامة القلب تتحقق بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب تعالى الله وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه، فرتب على ذلك مقتضاه.

ما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان، يكرم المرء أو يهان. وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه أو يحبه كبيره وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله تعالى.

فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، ولا كانت هي الملكة المؤمرة عليها، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه ولا يناصل شيئا منها إلا بنكد وتنغيص، جزاء له على إيثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى.

وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع أن من أحب شيئا سواه عذب به ولابد، وأن من خاف غيره سلط عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤما عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولابد.

الأمر الثاني: الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي، وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ (نوح:١٣) قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله تعالى عظمة(١١).

وأول مراتب تعظيم الحق عزوجل، تعظيم أمره ونهيه، وتعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه، دال على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم

بالإيمان والتصدق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الاكبر.
فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع ﷺ على المناهي.
فهذا ليس فعله وتركه صادرا عن تعظيم الأمر والنهي ولا تعظيم الآمر والناهي، فعلامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن على فوت الجماعة ويعلم أنه تقبلت منه صلاته منفردا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفا.
فإذا فوت العبد عليه هذا الربح قطعا، فهذا عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه، وكذلك إذا فاته أول وقت الذي هو رضوان الله تعالى، أو فاته الصف الأول الذي يصلي الله وملائكته على ميامنه، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ولكانت قرعة.
وكذلك فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثرته وقلته. كلما كثر الجمع كان أحب إلى الله عزوجل، وكلما بعدت الخطا كانت خطوة تحط خطيئة، وأخرى ترفع درجة.
وكذلك فوت الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولبها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبدا ميتا أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو من أمير أو غيره؟ فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثبه عليها، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره عن النبي ﷺ إنه قال: «إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ثلثها، نصفها»[١٢].
وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها. وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر السيئات تكفيرا كاملا، والناقص بحسبه.
وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهما:
تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه.
وبهذا يزول الإشكال الذي يورده من نقص حظه من هذا الباب على الحديث الذي فيه «أن صوم يوم عرفة يكفر سنتين، ويوم عاشوراء يكفر سنة»[١٣] قالوا: فإذا كان دأبه دائما أنه يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة، وأجاب بعضهم عن هذا بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجات.
ويالله العجب، فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه سيئاته باجتماع بعضها إلى بعض، والتكفير بهذه مشروط بشروط، موقوف على انتفاء الموانع كلها فحينئذ يقع التكفير، وأما عمل شملته الغفلة أو لأكثره، وفقد الإخلاص الذي هو روحه، ولم يوف حقه، ولم يقدره حق قدره، فأي شيء يكفر هذا؟ فإن وثق العبد من عمله بأنه وفاه حقه الذي ينبغي له ظاهرا وباطنا، ولم يعرض له مانع يمنع تفكيره ولا مبطل يحبطه من عجب أو رؤية نفسه فيه أو يمن به أو يطلب من العباد تعظيمه به أو يستشرف بقلبه لمن يعظمه عليه أو يعادي من لا يعظمه عليه ويرى أنه قد بخسه حقه وأنه قد استهان بحرمته فهذا أي شيء يكفره؟[١٤].

الهوامش

١- جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص:٢٠٥، بتصرف، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢- جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٤/١٧.
٣- جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٤/١٧.
٤- الجامع لأحكام القرآن، ٧٧/٢٠.
٥- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي،ج ٣/ ٣١٠.
٦- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، ١٦٥/١٧.
٧- حجة الله البالغة للشاه ولي الله الدهلوي، تحقيق: السيد سابق، ٤٥٣/١، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م، دار الجيل، بيروت لبنان.
٨- أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب المحافظة على الوضوء، ٢٧٨/١٠٢/١.
٩- مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر لأبي عبد الله المروزي، ص:٢٦.
١٠- المستصفى من علم الأصول للغزالي، ٢٥٥/١.
١١- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص:٨. وانظر جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٤/٩، ومعاني القرآن للأخفش، ٢/ ٥٥٠.
١٢- أخرجه أحمد في مسنده، ح١٦٢٨.
١٣- الحديث أخرجه أحمد في مسنده، ولفظه: «صوم يوم عرفه يكفر سنتين ماضية ومستقبلة، وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية» مسند أحمد، ح٢٥٣٥/٢.
١٤- الوابل الصيب ص:٩.

د. محمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك



عبادة الشكر فضلها وأهميتها

فرضت الشريعة على المترسمين خطاها، العاملين بها عبادات كثيرة، توزعت على الأوقات، وتنوعت على القدرات. والمرء في سعيه وقدومه على الله تعالى لا يعدم في طريقه عبادة، بل عبادات شتى توافقه وتوافق منحاه في الحياة، وقدرته النفسية والجسمية، فليس بمستطاع المرء أن يقوم بكل التكاليف الشرعية المطلوبة على جهة الندب كاملة، لأن هذا من شأن من أصفاهم الله على خلقه صلوات الله عليهم، وهي مشاعر شتى عبر عنها أصحاب النبي ﷺ له، إذ يجلسون معه في مجلس عبادة ثم ينصرفون منه إلى متع الحياة التي أباحها رب العالمين لعباده، لكن العبادات التي جاءت بها الشريعة لا تعارض ما يحتاج إليه الإنسان لدنياه، ولا تعطله، ولا تشغله عما يريد، هذا لمن أمعن النظر، وتأمل الحكمة.

تتنوع العبادات أيضا كما وكيفا؛ فبعضها يستغرق شهرا كاملا، وبعضها يستغرق أياما، بعضها للجوارح ومنها اللسان، وبعضها للقلب.

العبادات أيضا بعضها تلحظ فيه أنها علاقة خالصة بين المرء وربه، وبعضها علاقة بين المرء والناس من حوله، فرضها الله تعالى على عباده أو حثهم على التخلق والتسنن بها.

بعض العبادات نفعها يعود على الشخص، وبعضها على أسرته، وبعضها على مجتمعه ككل.

تقصد الشريعة دائما إلى تهذيب الإنسان وتعهده وكبح جموح نفسه، وقصر النفس عن الميل غالبا نحو الشرود والنفور من التهذيب.

من العبادات المغفول عنها بين كثير من الناس عبادة الشكر، وهي العبادة التي سماها الله عملا، فقال سبحانه:

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ (سبأ:١٣)، وهي العبادة المطلوبة لكل نعمة، سواء دينية أو دنيوية، فإن الله تعالى ذكر إنعامه على أقوام بما من عليهم من الإيمان به والخضوع لجنابه قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ (الحجرات:١٧).

وهذه من أجل نعم الله تعالى على الإنسان، أن هداه لطريقه، فوفر عليه زمنا طويلا يتيه في ظلمات الجهالة وعثار الكفر.

وحين تنظر في حال الناس تجد نعمة الإيمان من النعم المغفول عنها، والتي لا يلتفت إليها المرء، ولا يصبح ويمسي يلهج بشكر الله عليها، فإن النعم إذا اعتادها الإنسان لم يشعر بقيمتها.

وشكر الله تعالى لمن يريد أن يعرف كيف يشكر، فإن بعض الناس يظنون الشكر فقط في النطق بلفظ الشكر، وهو مطلوب، لكنه ليس وحده ساق الشكر التي يقوم عليها.

وحدود الشكر التي يقوم عليها هي:

خضوع الشاكر للمشكور: حبه له - اعترافه بنعمته - ثناؤه عليه بها - أن لا يستعملها فيما يكره[1].

ونلاحظ أن العبادات الأربع الأولى تخص الشاكر، وتكون بينه وبين خالقه تعالى. أما الخامسة؛ أي: ألا تستعمل النعمة فيما لا يرضي الله تعالى، فتشترك بين الشاكر والناس من حوله.

آثار الشكر

للشكر آثار طيبة جليلة؛ فإن القرآن يربط بين الشكر على النعم والزيادة فيها، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم:٧)، وحين نتأمل في الآية ونتدبر في دلالتها، نجد أنها تضع الكفر في مقابل الشكر، وهو الذي نلاحظه في عهد إبليس على نفسه، حين قال في حواره مع رب العالمين جل وعز: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٧)، وهو المعنى الذي لحظه من أحاط بهم الموج من كل مكان، وتيقنوا الهلاك فإذا بهم يعاهدون الله تعالى إن نجاهم على الشكر له تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الأنعام:٦٣).

ويربط أبو حامد الغزالي بين الشكر وتوحيد الله تعالى بما يفهم من سياق ثواب الشكر، وبما يطلبه الشكر من المعرفة فيقول: «يعلم بثلاثة أمور: بعين النعمة، ووجه كونها نعمة في حقه، وبذات المنعم، ووجود صفاته التي بها يتم الإنعام ويصدر الإنعام منه عليه.. هذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس، وتمام هذه المعرفة بنفي الشرك في الأفعال»[2].

فالشكر نبعه التوحيد، يدل عليه ويصل به إليه، إذ الشكر هو توحيد مكين في قلب الشاكر، إذ عرف أن ما فيه من نعم تستوجب على الدوام شكر المنعم عز وجل، وأنها منه وحده لا من غيره.

وكم من أناس جاءتهم النعم أرسالا، فظنوا أن حصولها بذكاء ركب في طبائعهم، وغفلوا عن المنعم بها، فإنها إن كانت عن ذكاء في العقل، فواهب الذكاء في الأصل هو رب العالمين، فأصل الشيء نعمة، وآثاره كذلك، فمن غفل عند حصول النعمة، فلا يغفل عن أسباب الحصول عليها.

وحين قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ (القصص:٧٨)، كانت العاقبة: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ (القصص:٨١).

وحين تقع البشرية في ظلمات الكفر الشامل في نهاية التاريخ، وتقترب قصة الحياة على الانتهاء، يكون الناس في غفلات مركبة، ففي حديث النبي ﷺ، قال: «لا تقوم الساعة، إلا على شرار الناس»[3]، هؤلاء الأشرار يقول الله تعالى فيهم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ﴾ (يونس:٢٤)، فغفلة الناس عن النعم، وظنهم بأنفسهم القدرة على تحويل مسارات الكون، وتركهم شكر المنعم بعمومهم هو نذير قيام الساعة.

ومن جليل كلام الإمام علي رضي الله عنه: «إذا وصلت إليكم أطراف النعم، فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر»[4]، فالنعم قد تكون نازلة تترى، فإذا صادف أول نزولها إعراضا من المنعم عليه بها وجحودا، فربما لم تتم.

الناس في الشكر

والخلق في الشكر ليسوا على مساق واحد، فإنهم كما عبر الله تعالى عنهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سبأ:١٣)، وأكثرهم يلقى النعمة بلا شكر، أو الغفلة عن المنعم بها، أو بشكر من لم ينعم بها أصلا.

والناس في شكرهم عوام وخواص، فالعوام يشكرون على المطعم والمشرب والملبس، وقوت الأبدان.

وخواص الخلق يشكرون الله تعالى على نعمة التوحيد والإيمان وقوت القلوب.

ومن أعطي حظا من الشكر الدائم فقد أوتي حظا عظيما، وبابا كريما من أبواب الخير، ومن استشعر في كل نعمة الفقر إلى الله فيها، وحاجته إليه، وداوم على شكر المنعم فقد قام للنعمة بما يتوجب عليه، ذكر الإمام أحمد عن أبي الجلد قال: «قال موسى: إلهي، كيف أشكرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله؟ قال: فأوحى الله إليه أن يا موسى، الآن شكرتني»[5].

وأخيرا فقد ربط الله تعالى بين عبادة الذكر والشكر فقال: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة:١٥٢).

فما أيسر الشكر على لسان وقلب من عظم الله حق التعظيم، وكان له حظ من التعبد بالأسماء الحسنى لرب العالمين.

الهوامش

١- مدارج السالكين، ٢/٢٣٤.
٢- إحياء علوم الدين، ٤/٨٢.
٣- أخرجه مسلم، برقم: ٢٩٤٩.
٤- محاسن التأويل، ٦/٧٨.
٥- الزهد لأحمد بن حنبل، ص:٥٨.



علي محمد شوقي
باحث بمشيخة الأزهر الشريف

تقوية ملكة البحث والملاحظة لدى الناشئة

ليس مما يحتاج إلى إقامة دليل أو مناقشة إيضاحية، أن التربية والتعليم للناشئين يجب أن يناسبا زمانهما وظروفهما.

فالعلوم والمعارف والتهذيب والأخلاق التي كانت لازمة لنجاح شخص وفوزه في أحد الأزمنة القديمة ولو كان زمنا زاهرا، ليست أبدا هي المعارف والصفات التي تمكنه من الظهور في هذا العصر، الذي اشتدت فيه المنافسة، وصارت علومه وآدابه في حالة تستدعي تربية خاصة، كما أنه لا يصح أن يتصور أحد أن ما يتلقاه أبناؤنا في مدارسنا المعروفة في بلادنا هو وحده مما يؤهلهم لأن يكونوا من رجال هذا العلم؛ لأن مدارسنا –ولا أخفيك الحقيقة– لا تصلح إلا لإعداد طبقة من الذين يقرأون ويكتبون ويلهجون بألفاظ من اللغات الأجنبية، وهم كيفما أجادوا الكلام بها، لم يدخلوا في روحها، ولم ينهلوا من آدابها وعلومها، وهم فوق هذا وذاك إن امتلأت أدمغتهم بجميع فروع العلوم المعروفة عندنا، وصاروا من حملة الشهادات في الشريعة أو اللغة أو الطب أو الهندسة أو الحقوق أو الأدبيات، تنقصهم معارف ومعلومات تجعل نجاحهم في الحياة واستفادتهم من علومهم المدرسية أكثر ضمانة وأوفر غاية، وتنقصهم أيضا صفات وأخلاق وتهذيب ممتاز يزين نفوسهم ويتوج معارفهم وعلومهم، ويجعل حياتهم أكثر سعادة وأوفر راحة، وينقصهم أيضا جوهر من جواهر الحكمة الصحيحة وهو جوهر تربية الذهن تربية واسعة مطلقة تعوده حل المشكلات، وتصريف الأمور، والنظر إلى مسائل الحياة المختلفة نظرا فلسفيا راقيا؛ كما ينظر الطائر المحلق في الجو إلى مدينة من المدن، أو صقع من الأصقاع.

وفي اعتقادي أن هذه الصفة الأخيرة أو الجوهر الذي أشرت إليه هو ثمرة العلم والتعليم والتهذيب والدروس والامتحانات، وكل ما في هذا الوجود من أثر التربية.

وهذا هو الجوهر الذي نحتاج إلى أن ننميه فينا، ونشحذ أذهاننا للاستعداد له، وإنني أكون راضيا مسرورا، آمنا على طلابنا وعلى مستقبل حياتهم، إذا هم استطاعوا أن يخرجوا من جميع دور التعليم ودرجاته بذلك الجوهر الذي هو الكل في الكل.

هذا الجوهر الذي هو كما قلت: غاية الغايات، يجب أن يربى في عقول الناشئين من الصغر، وليس كما يتوهم بعضهم من أن الكثير منه أثر من آثار المزاج الفطري للإنسان –وإن كان في هذا القول ظل ضئيل من الحقيقة– أو أنه من الأمور التي لا يبدأ في الالتفات إليها إلا بعد أن يتقدم الناشئ في مدارج الحياة، ويتلقى جميع أصول العلوم المعروفة، ولا تتصوروا أن تدريب الذهن، وتربية العقل للنمو اللازم لإدراك تلك المنزلة العالية من الأمور الصعبة، أو هو مما يحتاج إلى دروس خاصة أو علوم مطولة... أبدا... أبدا.

لو أن كل أب أو والدة أو مربية، وكل



أستاذ ومعلم، بل كل ناشئ يوجه نظره إلى شحذ القريحة ولفت الذهن إلى التفكير والتأمل والقياس والاستنتاج والملاحظة والمقارنة في كل ما يعرض على النظر، أو يقع تحت الحس، لنمت في الناشئين تلك الملكة العالية التي هي روح التربية، والتي لا تتم تربية بغيرها.

ونصيحتي بعد هذه المقدمة الطويلة: إذا كنا نريد ألا نقع ثانية في مثل ما وقعنا فيه من قبل، من إضاعة الوقت في كثير من العلوم والدراسة التي لم تفدنا في حياتنا، وإذا كنا نريد أيضا أن نجعل الدراسة والتعلم عملا غير شاق أو مكروه من أنفسنا، فلنعتن بتربية تلك الملكة بدافع من أنفسنا، مع ما نستطيعه من اجتهاد من أنفسنا، وبما يستطيع علماؤنا إرشادنا إليه.

وتأكد أن الرجل لا يكون رجلا عالما راقيا إلا إذا كان في رأسه عقل يصلح لكل علم، ولكل عمل ولكل وظيفة، ولكل ظرف وحال.

وهذا العقل الراقي الواسع الذي يجعل صاحبه مستعدا لمقابلة الحوادث، وتصريف الأمور، وحل المشكلات، لا يربى بحفظ أسماء البلدان والأنهر، ولا بأسماء الملوك والقواد، ولا بالإعراب والإنشاء، ولا برطانة أجنبية، أو تلاوة عبارات أدبية أو علمية أو فلسفية.

هذا العقل ينمو من التفكير والتمعن والنظر إلى جميع ما يقع تحت العين أو الحس، نظر المفكر المتأمل الملاحظ، المستنتج، المستفهم، المتصور.

فإذا رأيت عربات المترو تسير كما ترى، ففكر في شكلها أولا، وفي نظام الموظفين المنوطين بصرف التذاكر والتفتيش ثانيا، وفكر في الوسائد التي وراء ظهرك، ولماذا وضعت؟ وكيف تتغير من جانب إلى آخر؟ وفكر في المصدر الذي صنعت منه العربات، ومن أي بلاد أتى، والألوان التي صبغ بها. وفكر بعد ذلك في القوة التي تحرك هذه العربات، وكيف تسير في الأسلاك والآلات، وكيف تنير المصابيح، وهلم جرا.. وهلم جرا..

ولا تتصور أنني أطلب منك أن تعرف حقيقة كل شيء من هذا القبيل وطريقته العملية، أو صناعته الفنية! إنما أريد منك ألا تمر على ما يقع تحت نظرك مرور الأعمى، وأنت ذو عينين مبصرتين!

اسأل من تظن أنه أعرف منك إذا عجزت عن معرفة شيء، لماذا هذا الشيء طويل، وهذا قصير وهذا أحمر، وهذا أخضر.

ثم إذا ارتقيت في الفكر، وتقدمت في السن، وتوسعت في العلم، فاجعل هذه الطريقة الابتدائية قياسا لك في الاستفهام من المعلم أو الصاحب أو الأخ.

هذا هو الذي أريده بالتمرين العقلي الذي يربي فينا تلك الملكة العالية التي هي مفتاح السعادة، وطريق العلم، وباب الحكمة.

ومن كان معلما أو مربيا أو والدا فليجعل ذلك غاية له.

أنار الله بصيرتي وإياك، وشرح للعلم صدري وصدرك؛ إنه على ما يشاء قدير.

صابر علي عبد الحليم مصطفى
إمام وخطيب - مصر



الأسرة السعيدة

إذا أرادت الأسرة أن تحيا حياة سعيدة مطمئنة فعليها أن تتمسك بالعمل بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ففي الحديث قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[1]. والحياة السعيدة للأسرة هي الحياة الطيبة التي تحدث عنها القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٧).

والعمل الصالح هو مضمون هذا الهدي النبوي الشريف، الذي يشمل جانبا مهما من جوانب بناء أسري قائم على هدي النبي ﷺ، وكيف كان يعامل زوجاته، ويربي أبناءه على حب الانتماء الأسري وحب الوطن؛ لأن في التماسك الأسري تماسكا لبناء الأسرة والمجتمع؛ لأن الأسرة هي نواة المجتمع، فبصلاحها يصلح المجتمع، فإذا ضربت الأسرة وهدم بنيانها لم يبق للأسرة وجود قوي ولا المجتمع، فإذا كانت الأسرة قوية كان المجتمع قويا بالضرورة.

فالعدو إذا تمكن من أن يهدم الأسرة تمكن من أن يهدم المجتمع؛ لذا كان العمل بكتاب الله وسنة رسول الله هو العاصم من موجات الغزو الثقافي، أن يعتصم المسلم والمسلمة بكتاب الله، وما جاء به الهدي النبوي الشريف من تعاليم تدفع إلى حياة أسرية سعيدة وناجحة.

وتأتي أهمية اللقمة الحلال والكسب المشروع الذي يدر ربحا وكسبا إلى الأسرة هو مصدر سعادة الأسرة ونجاحها، فليس هناك أضر على البنيان الأسري من اللقمة الحرام، فهي تهدم البنيان الأسري، وتحول حياة الأسرة من سعادة إلى شقاء وهم ونكد، كيف للمرأة المسلمة أن ترغب زوجها في الحرام؟! وكيف للزوج المسلم أن يكتسب مالا من حرام يحاسب عليه يوم القيامة؟! وكيف له أن يطعم أولاده حراما وهو يهدم بنيانهم باللقمة الحرام؟! قال الله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء:٩).

فإذا كان الأبوان حريصين على أن يطعما أولادهما طعاما حلالا، فيجب أن يحرصا أيضا على أن يعلما أولادهما الحلال والحرام، ففي صحيحي البخاري ومسلم كان النبي ﷺ جالسا قال: فأخذ الحسن ابن علي، رضي الله عنهما، تمرة من مال الصدقة، فجعلها في فيه، فقال

النبي ﷺ: «كخ كخ» ليطرحها، ثم قال: «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة»[٢]، فالأسرة السعيدة هي التي تربي أبناءها على علو الهمة وعزة النفس، وهي حريصة على مستقبل الأولاد؛ لأن مستقبل الأولاد جزء مهم من سعادة الأسرة المسلمة. إن النبي ﷺ لم يعط فاطمة بنته من الصدقة، وإن كان هذا ليس نفقة واجبة عليه، وعمر لم يعط حفصة بنته من مال الصدقة لما سألته الرحم، حيث قال لها: «الرحم في مالي لا في مال المسلمين، غششت أباك، ونصحت لأقربائك، قومي، فقامت تجر ذيلها»[٣]، والزوجة المسلمة حريصة كل الحرص أن تسعى لبناء أسري قوي كالجبل لا تهزه ريح، فهي مثلا لا تدفع زوجها أن يركب الصعب ليتوسع في النفقة عليها وعلى أولاده، فهي ترى أن السعادة ليست في كثرة المال، وإنما السعادة في الرضا والقناعة، فالغنى في الإسلام ليس عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس، ففي الحديث الذي يرويه لنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس»[٤]، وما عند الله خير وأبقى، وهي تفهم حديث رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأولاده وأبويه يعيرونه بالفقر، ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك»[٥].

فالمرأة المسلمة لها في نساء السلف الصالح، رضوان الله عليهم جميعا، الأسوة والقدوة الحسنة، فهي تقول لزوجها عند خروجه للعمل والكسب كما كانت تقول النساء الصالحات من نساء السلف الصالح: «اتق الله فينا ولا تطعمنا من حرام، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار».

إذن مستقبل الأسرة مرتبط باللقمة الحلال، فإذا أطعم الأبوان أولادهما لقمة حلالا ضمنا بإذن الله تعالى مستقبلا جيدا لأولادهما والعكس صحيح؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ (الكهف:٨٢)، فكان صلاح الآباء ولا يزال ينفع الأبناء.

كذلك على الزوج أن يحفظ سر زوجته وهي كذلك لأن إفشاء الأسرار الزوجية يعكر صفو الحياة الزوجية؛ لأنه مخالف للشرع الحكيم وهو يضر بالبنيان الأسري والعلاقة الزوجية الحميمة، ففي الحديث، قال ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها»[٦]. وإفشاء أسرار العلاقة الزوجية التي تتعلق بالفراش حرام، فليس من الحكمة والعقل أن يذيع الرجل إلى أصدقائه وجلسائه ما حدث بينه وبين زوجته، وتزيع المرأة بين صديقاتها ما حدث بينها وبين زوجها، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «ألا عسى أحدكم أن يخلو بأهله، يغلق بابه، ثم يرخي سترا، ثم يقضي حاجته، ثم إذا خرج حدث أصحابه بذلك، ألا عسى إحداكن أن تغلق بابها وترخي سترها، فإذا قضت حاجتها حدثت صواحبها»، فقالت امرأة سفعاء الخدين[٧]: «والله يا رسول الله إنهن ليفعلن، وإنهم ليفعلون»، قال: «فلا تفعلوا إنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة على قارعة الطريق فقضى حاجته منها، ثم انصرف وتركها»[٨].

فالأسرة المسلمة المتمثلة في الأب والأم، والتي أسست بناء أسريا متينا هي الحريصة على دوامه واستمراره، وكل ما من شأنه يصدع بنيانه أو يضعفه يعملان على أن يكونا بعيدين عنه، ليس فقط العلاقة الزوجية التي تتعلق بالفراش يجب عدم إفشائها، بل هناك مشكلات عادية تدخل ضمن الأسرار التي يجب عدم إفشائها، وفي إفشائها تدخل الجيران والأقارب والأصحاب لأتفه الأسباب فيجعلون من الحبة قبة، وربما يؤدي هذا التدخل إلى الطلاق؛ فلتحذر الزوجة المسلمة أن تفشي أسرار بيتها، وعليها أن تعمل على حل مشاكلها بالتعاون مع زوجها في حل مشاكل الأسرة ومتطلباتها.

فإذا كانت المحبة قائمة بين الزوجين بمعرفة كل منهما ما عليه من واجبات تجاه الطرف الآخر، وما له من حقوق، فإن هذه العلاقة الحميمة يجب أن تدعم من حين إلى آخر بكلمات ناعمة وألفاظ محببة، مما يشيع جوا من الدفء والاستقرار النفسي في الأسرة، فالنبي ﷺ كان يباسط زوجته عائشة ويملأها حنانا يقول لها: «يا عائش»[٩]، ويا «حميراء»[١٠]، وكان ﷺ يناديها بذلك؛ لأنها كانت بيضاء الوجه مع حمرة، رضي الله عنها، ومما يقوي أواصر المحبة بين الزوجين ويؤسس لأسرة سعيدة المداعبة والابتسامة الحانية؛ ولأن الابتسامة والمداعبة تكسران رتابة الحياة ومشكلاتها، وتخففان من حدة القلق والتوتر النفسي وضغط الحياة التي يتعرض لها كل من الزوجين في

حياتهما اليومية، فقد كان ﷺ يمزح مع زوجاته من دون كذب، حتى بين أصحابه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا. قال: «إني لا أقول إلا حقا»[١١].

والشيء المهم الذي يقوي أواصر المحبة بين الزوجين، ويؤسس لأسرة سعيدة هو الهدية، فتبادل الهدايا بين الزوجين في المناسبات يدفع إلى وجود جو من التجديد في العلاقة الحميمة، ففي الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تهادوا تحابوا»[١٢]، وأيضا يحرص الزوجان على أن يخرجا معا بين الحين والآخر لتجديد النشاط والترويح عن النفس، فهو أمر محبب إلى النفس لقوله ﷺ: «رفهوا عن القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت»[١٣].

وكذلك مما يحافظ على العلاقة الحميمة بين الزوجين ويقويها «الغيرة»، ليست المفرطة، وإنما الغيرة باعتدال؛ لأن الغيرة إذا أفرط فيها الزوجان، أو أحدهما فإنما تؤدي بلا شك إلى عواقب وخيمة، فإذا كانت الغيرة على العرض فإنها ديدن الكرام من الرجال من قديم الزمان، فهي تدفع الزوج إلى أن يحافظ على زوجته ويراقبها في سلوكها ومشيها وحركاتها وسكناتها، وليس ذلك إلا حفاظا على الأسرة من التصدع والتهاوي.

كان الحسين بن علي، رضي الله عنهما، يقول: «أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الأسواق، قبح الله من لا يغار»[١٤]، وإذا كان لابد من الغيرة «قاتل الله كل ديوث» فالإفراط في الغيرة يضر بأحد الزوجين، فشدة الغيرة تجعل الرجل يسيء الظن بزوجته متشككا في تصرفاتها ولو كانت بريئة، وسوء الظن منهي عنه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ (الحجرات:١٢).

ومما يقوى أيضا أواصر المحبة بين الزوجين أن يغفر الزوج لزوجته ما بدر منها من أخطاء، أو هفوات، فلا يكثر التأنيب لها والعتاب، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر»[١٥]، ومعنى لا يفرك: لا يبغض.

فالزوج لا يبغض زوجته من كل وجه، فقد يبغضها في شيء، ويرضى منها آخر يراه جميلا ومحببا إليه فيها فلا يطلقها، أو يسيء معاملتها، قال الله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (النساء:١٩).

كذلك يجب على الزوجة أن تتزين لزوجها، ويتزين هو إليها، وذلك بنظافة البدن والطيب، وارتداء الملابس المناسبة المتوافرة من غير تكلف، فابن عباس، رضي الله عنهما، كان يتزين لزوجته فيقول: إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٨)[١٦].

كذلك يجب على الزوجة لتقوية أواصر المحبة بين الزوجين ولبناء أسري متين أن تتعهد بنظافة البيت وترتيبه، وأن تعد طعام الأسرة في الوقت المحدد له، وعند عودة الزوج إلى المنزل؛ لأن المحافظة على المواعيد مجلبة لحب الزوج لزوجته وسعادتها.

الهوامش

١- أخرجه الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج١، حديث رقم (٣٢٩)، ص:١٧٤.

٢- أخرجه البخاري، ج٢، كتاب: الزكاة، باب وجوب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، حديث رقم (١٤٩١)، ص:١٢٧؛ ومسلم، ج٢، كتاب: الكسوف، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، ص:٧٥١.

٣- ابن القيم، زاد المعاد، ج٤، ص:١٢؛ وسيد السداوي، حقوق العائلة في الإسلام - بر الوالدين وحقوقهما - حقوق الأبناء - صلة الرحم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص:٤٦٢.

٤- أخرجه البخاري، ج٨، كتاب: الرقاق، باب الغنى غنى النفس، حديث رقم (٦٤٤٦)، ص:٩٥.

٥- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص:٢٢؛ والسلماني، مفتاح الأفكار للتأهب إلى دار القرار، ج٣، ص:٣٦٤.

٦- أخرجه مسلم، ج٢، حديث رقم (١٤٣٧).

٧- أسودان مشربان بالحمرة.

٨- أخرجه أحمد في مسنده، ج٤٥، حديث رقم (٢٧٥٨٣)، ص:٥٦٤.

٩- أخرجه مسلم، ج٢، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (٢٤٤٧)، ص:١٨٩٦.

١٠- أخرجه الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، حديث رقم (٤٦٧٤)، ص:١٣٨.

١١- أخرجه البخاري: الأدب المفرد، ج١، باب: المزاح، ص١٤.

١٢- أخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج٦، حديث رقم (١١٧٢٦)، ص:١٦٩.

١٣- الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص:٤٣.

١٤- المرجع السابق نفسه.

١٥- أخرجه مسلم، ج٢، كتاب الحج، باب: الوصية بالنساء، حديث رقم (١٤٦٩).

١٦- الطبري، محمد بن جرير (المتوفى سنة ٣١٠هـ) تفسير الطبري، ج٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص:٥٣.



مريم ثروت
كاتبة صحافية





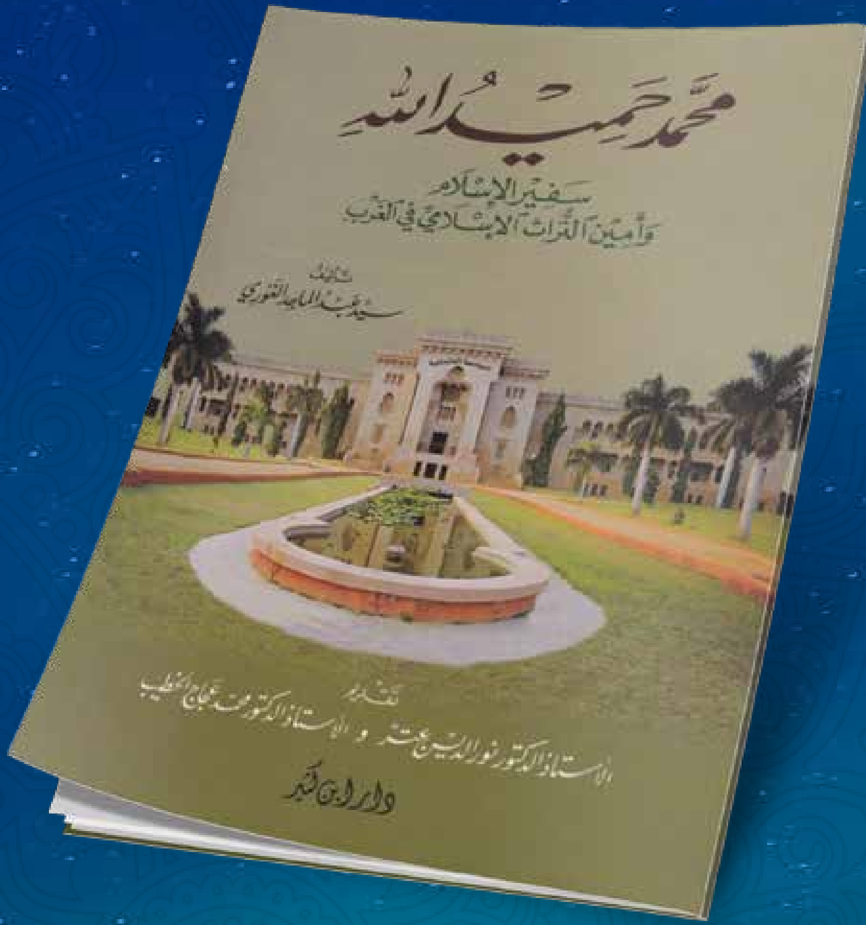
أول من ترجم معاني القرآن إلى الفرنسية

راهب العلم المتبتل.. محمد حميدالله الحيدرآبادي

هو أحد أعلام الثقافة العربية والإسلامية.. محدث وفقيه وكاتب ومحقق خير من أنجبتهم شبه القارة الهندية(1).. رجل عالي الهمة.. نقي السريرة لقب بـ«راهب العلم المتبتل»، فقد أفنى حياته في خدمة الإسلام والقرآن حتى إنه لم يتزوج لانشغاله بالعلم والدعوة.. هو أول من ترجم معاني القرآن إلى الفرنسية، وفتح الله على يديه قلوب الآلاف من الفرنسيين حتى دخلوا في الإسلام راغبين به عاملين بما دعا إليه.

مولده ونشأته

ولد د.محمد حميدالله بن حاجي أبي محمد خليل الله بن محمد صبغة الله، يوم الأربعاء السادس عشر من محرم عام ١٣٢٦هـ الموافق التاسع عشر من فبراير عام ١٩٠٨م(2)، في مدينة حيدرآباد بالهند، وكان ينتمي إلى سلالة النوائط التي كانت تقطن الساحل الجنوبي من الهند وتعمل بالتجارة والملاحة ولها باع طويل في الدعوة والإرشاد والتأليف والتحقيق(3)، وتنحدر أسرته من أصل عربي، إذ خرج أجداده من الحجاز إلى البصرة خوفا من بطش الحجاج ابن يوسف، ثم استقر المقام بسلالتها في الهند خلال القرن الثامن الهجري.



دراسته

أما عن دراسته فبدأت على يد والده فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتلقى مبادئ العلوم، ثم التحق بكلية دارالعلوم بحيدرآباد وتخرج فيها بعد حصوله على شهادة «مولوي كامل»[٤] وحصل على شهادتي ليسانس وشهادتي ماجستير، إحداهما في الحقوق، كما حصل على الدكتوراه في الفلسفة، وأيضا حصل على درجتي الدكتوراه في السيرة النبوية من جامعتين مختلفتين، إحداهما من جامعة باريس والأخرى من جامعة توبنجن بألمانيا.

لم يكتف بهذا القدر من الشهادات فحصل على إجازة في القرآن الكريم في المدينة المنورة، وكانت تلك أثمن شهاداته وأحبها الي قلبه.

حياته

قضى ما يقرب من نصف عمره في البحث والتحقيق في أوروبا ودول الشرق الأوسط، فكان كاتبا غزير الإنتاج وله العديد من الدراسات الأكاديمية والأعمال الواسعة في العلوم الإسلامية والتاريخ والثقافة وقد نشرت بعدة لغات مع آلاف المقالات في المجلات العلمية.

تعلم الدكتور محمد حميدالله وأتقن عشرين لغة منها العربية والأردية والفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية والسويدية والدنمركية، وتعلم التايلاندية بعدما تجاوز عمره الثمانين.

وكان من ثمرة موسوعيته اللغوية أنه أسهم في خدمة القرآن الكريم بعملين جليلين، أولهما ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، وكان بذلك أول مسلم يقدم هذه الترجمة، وقد اشتهرت ترجمته وانتشرت بين المسلمين الناطقين بالفرنسية في فرنسا وكندا، ثم اعتمدها مجمع الملك فهد وطبعها بأعداد وفيرة.

والثاني أنه تتبع في كتابه «القرآن بكل لسان» تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم، وقدم جردا لترجمات القرآن إلى مئة وخمسين لغة.

زار عددا كبيرا من البلدان العربية والإسلامية والأوربية والأمريكية، وكانت له بصمات واضحة خلالها[٥]، وكان محمد حميدالله من أشد المدافعين عن استقلال إمارة حيدرآباد الإسلامية عن دولة الهند، وهي إمارة لعبت دورا تاريخيا عظيما في تاريخ المسلمين، وسافر إلى الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م ضمن وفد ديبلوماسي يسعى إلى الاعتراف باستقلال الإمارة بعد استقلال الهند عن التاج البريطاني.

وحينما اجتاحت القوات الهندية الإمارة وفشل الوفد في الحصول

على الاعتراف باستقلالها قرر محمد حميدالله ألا تطأ قدمه أرض الهند بعدها، وهو قرار التزم به طول عمره المديد، رغم سفره الدائم في كل أنحاء العالم.

ومكث حميدالله في فرنسا مدة طويلة ناهزت نصف القرن (١٩٤٨م-١٩٩٦م) احتفظ خلالها بجنسيته الحيدرآبادية، ورفض عرضا من الحكومة الفرنسية ومن حكومات دول إسلامية عدة بمنحه الجنسية، وفاء لوطنه حيدرآباد، واكتفى بوثيقة إقامة في فرنسا حملها معه أكثر من نصف قرن[٦].

مؤلفاته

أسهم د. محمد حميدالله بإسهامات تقارب ٢٥٠ كتابا أثرت المكتبة الإسلامية ومنها:

نبي الإسلام ﷺ وحياته وأعماله، بالفرنسية في جزئين، صدرت له طبعات، آخرها طبعة ١٩٨٩م.

التعريف بالإسلام، بالفرنسية، صدرت له طبعات، ونقل إلى ٢٣ لغة عالمية.

ست رسائل ديبلوماسية لنبي الإسلام ﷺ، بالفرنسية، صدرت بباريس عام ١٩٨٦م.

لماذا نصوم؟ بالفرنسية، صدر عام ١٩٨٣م، و١٩٨٨م.

فهرس ترجمات معاني القرآن الكريم، ألفه مستفيدا من مئة وعشرين لغة، صدر بإسطنبول بتركيا.

تصحيح ترجمة بوسكاي لصحيح البخاري، بالفرنسية، صدر بباريس.

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بالعربية، صدر ببيروت، وهذا من أشهر كتبه وأعظمها، حيث إنه في الحقيقة رسالة قدمها في (جامعة السوربون) للحصول على شهادة الدكتوراه، وقد جمع فيه الوثائق السياسية الخاصة بعهد الرسول وفي أيام الخلافة الراشدة، وعدد الوثائق التي جمعها ٣٧٣ وثيقة.

وينقسم الكتاب الي أربعة أقسام: القسم الأول يشتمل على وثائق الرسول ﷺ قبل الهجرة، والقسم الثاني يشمل الوثائق التي كتبت بعد الهجرة، ويحتوي القسم الثالث على الوثائق التي كتبت في عهد الخلافة الراشدة، أما القسم الرابع فإنه يشتمل على ملحقات ذكر فيها العهود مع اليهود والنصارى والمجوس، وطبع هذا الكتاب باللغة الفرنسية سنة ١٩٣٥م، ثم نقل إلى اللغة العربية وطبع في القاهرة سنة ١٩٤١م، ثم أعيدت طباعته مرات عديدة[٧].

وفاته

لم يترك حميدالله فرنسا إلا بعد أن أعياه تعب السنين، واستنزف عمره البحث العلمي الدائب والعمل الدائم لخدمة الإسلام، فقد ألحت عليه حفيدة أخيه السيدة المفضلة (سديدة عطاء الله) المقيمة في الولايات المتحدة بمصاحبتها إلى هناك حرصا على صحته المنهكة ورحمة بضعفه وكبره، فقبل دعوتها وأقام معها سنوات عمره الأخيرة، حتى رحل بنفس مطمئنة عن هذه الدنيا، في مدينة جاكسونفيل بولاية فلوريدا الأميركية عام ٢٠٠٢م.

رحم الله العالم الداعية الجليل الدكتور محمد حميدالله الحيدرآبادي رحمة واسعة وجعل ما قدمه للإسلام والمسلمين في ميزان حسناته، فكان نعم الرجل هو، خدم الإسلام والقرآن خدمة ليس لها مثيل، وظلت سيرته العطرة تروى حتى يومنا هذا، غفر الله له ورضي عنه.

الهوامش

(١) رشيد شكيب، «جهره نما»، مجلة عثمانية، ص١٩.
(٢) شاه بليغ الدين، مجلة عثمانية، كراتشي، أبريل- يونيو ١٩٩٧م، ج١، عدد٤، ص٢٣.
(٣) لطف الله فاروقي، مجلة دعوة، إسلام آباد، العدد الخاص بالدكتور محمد حميدالله، مارس ٢٠٠٣م، ج٩، عدد١٠، ص٤٥.
(٤) رشيد شكيب، «جهره نما»، مجلة عثمانية، ص١٨.
(٥) رشيد شكيب، «جهره نما »، مجلة عثمانية، ص١٨.
(٦) محمد حميدالله.. راهب العلم المتبل، محمد بن مختار الشنقيطي، ١٦.
(٧) محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية للعصر الأموي، دار النفائس، بيروت ١٩٨٨م، ص٤٣.

استطلاع

علاء عبدالفتاح



«الوعي الإسلامي» في إسطنبول تزور الصحابي الجليل مضيف رسول الله في المدينة

مسجد أبي أيوب الأنصاري مكان للعبادة واستذكار الهمم

هنا مسجد الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري.. هنا استشهد الرجل الذي استضاف رسول الله ﷺ عندما هاجر من مكة إلى المدينة وهنا تشهد هذه التلة، التي تطل على القرن الذهبي، على بطولة الصحابة وهم يذودون عن الرسالة ضد تهديدات القسطنطينية وحكامها. فعند محاولة المسلمين فتح القسطنطينية، عام ٥٢ هجرية، استشهد أبي أيوب الأنصاري، وكان قد أوصى بأن يدفن في تلك البقعة، وبالفعل تم غسله ودفن هنا.

المنطقة التاريخية التي لا تبتعد سوى عشرات الأمتار عن أقوى الحصون بالعالم آنذاك تفوح بعبق لا يدركه إلا من يزورها ويرصد بعدساته جمالها وأهميتها والمعاني التي تفيض بها.

«الوعي الإسلامي» جالت في منطقة أيوب سلطان وزارت المسجد المسمى باسم الصحابي الجليل رضي الله عنه حيث كان يتوج الخلفاء العثمانيون فيه تقديرا لمكانته ودوره.

بني المسجد عام ١٤٥٨م، وهو أول مسجد بناه العثمانيون في إسطنبول، بعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م، وبالقرب منه بنيت المقبرة في مبنى مستقل.

الحياة تدب في المنطقة المحيطة بالمسجد والمقبرة التي تقع خارجه.. من الشائع رؤية البعض واقفا أمام القبر يدعو رافعا كفيه في خشوع لكن أيضا ثمة سوق شعبي مجاور ومقهى شهير ببيع الشاي والمخبوزات (السميت كما يطلقون عليها). وعلى الرغم من هجمة الفيروس المستجد كوفيد ١٩ الثانية إلا أن المسجد عامر في أوقات الصلاة اليومية بالمصلين، يتباعدون فيما بينهم ويحرص البعض منهم على استخدام سجادة صلاة

خاصة.

العمارة التي بني عليها المسجد هي العمارة الشائعة من قبة ومنارات وأعمدة ومنبر لكن استشعار دور أبي أيوب الأنصاري في حياة المسلمين يجعله مسجدا خاصا ويحول نظرتك إلى مفردات التصميم المعماري بل وإلى مقتنيات المسجد إلى نظرة أخرى حيث التوقير والتبجيل واستذكار الهمة لرجل كان قد قارب على التسعين من عمره يسافر للجهاد في سبيل الله. وأبو أيوب كما هو معروف للدارسين هو خالد بن زيد بن كليب، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، الذي شهد غزوة بدر والعقبة، وغيرهما دليلنا في الزيارة هو المهندس التركي محمد إبراهيم كان قد عاش فترة من حياته بالكويت حتى إنه تعلم اللغة العربية وقد أخبرنا أثناء التجول في المنطقة المحيطة بالمسجد بأن أبا أيوب اكتسب محبة القلوب المؤمنة، كونه مضيفا للرسول عليه الصلاة والسلام، وقت العسرة، وأن هذا المسجد أي مسجده يتوافد إليه الملايين، من الزوار كل عام، يصطفون ويشاهدون ضريح أبي أيوب الأنصاري ويدعون له رضي الله عنه. وتقول الرواية إن شيخ الإسلام «آف شمس الدين»، ظل يبحث عن مكان القبر، حتى عثر عليه في هذه المنطقة، وطلب السلطان على الفور أن يتم بناء المسجد، وأن تلحق به أقسام عدة منها قسم تعليمي.

ويضيف الزائر طولجا بولت ويتحدث الإنجليزية كأحد الشباب المثقفين بإسطنبول: هنا كانت كلية، يأتي طلابها من أماكن قريبة وبعيدة، وقد وفر لهم المأكل والمسكن، كما ضم المسجد مطعما للفقراء، وحماما تركيا، (تأكدنا من المعلومات حيث وجدناها مكتوبة على شاهد بجوار





المسجد باللغتين العربية والإنجليزية) وازدهر العمران من حول المسجد، ونشطت التجارة. فهو مكان مهم لدى الأتراك، بعد مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف، وتجد هنا عددا كبيرا من المصلين يتهافتون إلى المسجد، خاصة أيام الجمعة، لأداء الصلاة.

ونعرف أن السلاطين العثمانيين اعتادوا أن يقيموا حفلا رئيسيا في المسجد، ويتقلدون سيفا رمزا للسلطة التي أفضت إليهم، وكانت قيمة هذا الصحابي بالنسبة للأتراك خاصة كبيرة حتى إن الكثير من زوجات السلاطين، والشخصيات المهمة في البلاد، يوصون بدفنهم في الحي نفسه، الذي يتواجد فيه قبر أبي أيوب.

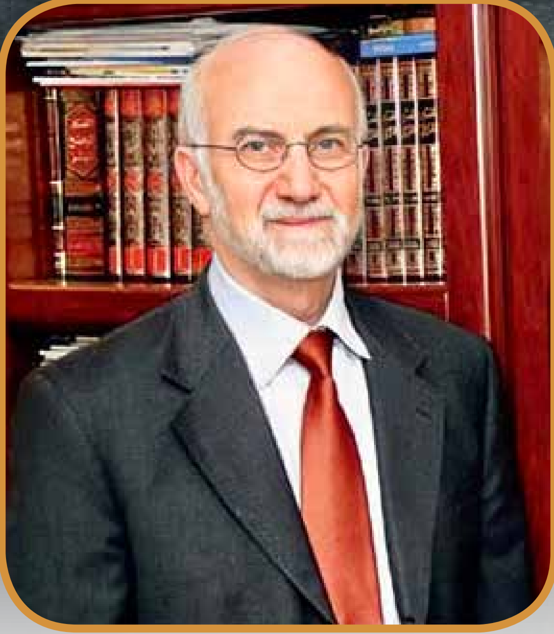
نمضي بعد الصلاة إلى الباحة الخارجية حيث سياج يضم مجموعة من المقابر وشجرة عتيقة قيل لنا إنها تعود إلى زمن الصحابي الجليل كما رأينا نافورة مميزة بعمارة إسلامية يتحلق حولها البعض طلبا للراحة بعد عناء يوم طويل في السير إلى المزارات السياحية والدينية في إسطنبول عاصمة العالم بحسب ما رآه نابليون إذ تصور أنه لو كان العالم دولة واحدة لكانت إسطنبول عاصمتها.







خالد خلاوي
كاتب وباحث



في رثاء الداعية المربي الأديب د. محمد رشيد العويد يرحمه الله

ودعت الكويت والأمة العربية والإسلامية مساء الجمعة ١ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ، الموافق ١٥ يناير ٢٠٢١م، الداعية المربي والاستشاري الأسري د. محمد رشيد العويد، الذي وافاه الأجل بعد حياة حافلة بالدعوة إلى الله وإصلاح ذات البين والإرشاد الأسري، قدم خلالها أكثر من ٨٣ كتابا، ومئات المقالات والحلقات الإذاعية والتلفزيونية، حول تعزيز هوية المرأة المسلمة ونصرة قضاياها، وحسن إدارة البيت المسلم والعلاقات بين الزوجين وتربية الأبناء. وعرف، يرحمه الله، بحسب شهادات معاصريه ورفقاء دربه، بعلو الهمة ودماثة الخلق والتواضع والابتسامة المضيئة التي لم تكن تفارق وجهه.

مسيرة حياته

د. محمد رشيد العويد، يرحمه الله، سوري الجنسية، أقام في الكويت منذ أكثر من ٤٠ عاما، حيث عمل في مجال الصحافة والإعلام متخصصا في التنمية الأسرية وقضايا المرأة المسلمة، وظل في الكويت حتى وفاته، يرحمه الله، ودفن بها في مقابر الصليبخات.

تنقل العويد في مسيرته الأكاديمية بين دمشق والقاهرة، فقد حصل على شهادة البكالوريوس في مجال الأدب العربي من جامعة حلب عام ١٩٧١م، وبعدها حصل على دبلوم في التربية من جامعة دمشق عام ١٩٧٢م، ثم انتقل إلى القاهرة ليحصل على درجة الماجستير من جامعة عين شمس، وكان عنوان رسالته «أسلوب الحوار في القرآن»، وحصل على درجة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الدولية في عام ٢٠١٤م، تقديرا لجهوده ومؤلفاته التي أثرى بها المكتبة العربية والإسلامية.

عمل د. محمد رشيد العويد بعد انتقاله إلى دولة الكويت في عدد من المجلات والصحف إلى أن اختير في عام ١٩٨٣م مديرا لتحرير مجلة «النور» المتخصصة في قضايا المرأة والأسرة، وكانت تصدر غرة كل شهرة هجري عن بيت التمويل الكويتي.

مؤلفاته وأبرز أعماله

قدم د. محمد رشيد العويد، يرحمه الله، للمكتبة الإسلامية أكثر من ٨٣ كتابا متخصصا في شؤون المرأة والأسرة والعلاقة بين الزوجين وتربية الأبناء، أبرزها: حوار مع صديقي الزوج، وحوار مع أختي الزوجة، وحتى يكون الزواج سكنا، ومحاورات زوجي، ورسالة إلى حواء، ورسالة إلى مؤمنة، ومن أجل تحرير حقيقي للمرأة، وجولات في روضات الجنات، ومذكرات زوجة سعيدة، ومشكلات تربوية في حياة طفلك، وقالت لي جدتي، وهمسات السعادة، وافهمها حتى لا تظلمها، وافهميه حتى لا تظلميه، وأيها المتزوجون كيف تسعدون.

وإلى جانب ذلك قدم، يرحمه الله، للمشاهدين عددا من البرامج التلفزيونية المتخصصة في الاستشارات الأسرية وتربية الأبناء، ومنها: برنامج «العائلة السعيدة» في قناة المجد، وبرنامج «٣ دقائق فقط» في قناة المجد، وبرنامج «القلب الكبير» في قناة اقرأ، وبرنامج «لعلهم يتفكرون» في تلفزيون الكويت، وبرنامج «قوت القلوب» في تلفزيون الكويت، وبرنامج «بيوت تدخلها الملائكة» في

تلفزيون الكويت، وبرنامج «قناديل» على تلفزيون الكويت.

كما كان، يرحمه الله، ضيفا على العديد من البرامج التلفزيونية والإذاعية وبعضها مختص بالاستشارات وقضايا المجتمع في الفضائيات، ومنها برنامج «استشارات» على قناة دبي الفضائية، وبرنامج «الإسلام وقضايا الحياة المعاصرة» على تلفزيون الكويت، برنامج «البيوت السعيدة» على قناة راديو وتلفزيون العرب، وبرنامج «الهمس جهرا» على تلفزيون الكويت، وبرنامج «المنبر الحر» قناة راديو وتلفزيون العرب، وبرنامج «بيوت الأنبياء» قناة اقرأ الفضائية، برنامج «رسائل الإخاء» تلفزيون الكويت، والبرنامج الإذاعي «طريق الإيمان» على إذاعة القرآن الكريم بدولة الكويت.

رثاء الفقيد

ما إن أعلن عن خبر وفاة د. محمد رشيد العويد حتى ضجت وسائل التواصل الاجتماعي برثائه والدعاء له ونشر مقولاته وصور لأبرز كتبه ومؤلفاته، وكتب العديد من العلماء والدعاة والأدباء على حساباتهم في منصة تويتر وفي بعض الصحف والمواقع ينعون الفقيد ويتذكرون مآثره وطيب أخلاقه، وفيما يلي نماذج مما كتب:

كتب رئيس رابطة علماء الشريعة بدول مجلس التعاون د. عجيل النشمي على حسابه بتويتر:

«رحم الله الأستاذ المربي محمد رشيد العويد هو من أحبه أهل الكويت والمقيمون على أرضها ودخل صوته التربوي والإصلاحي الأسري البيوت فأفاد من علمه وحلمه الكثيرون غفر الله له وأسكنه فسيح جناته وعظم أجر محبيه لصبرهم على فراقه».

وكتب الداعية عبدالحميد البلالي: «كانت كتبه تعتبر مرجعا كبيرا عن قضايا المرأة والدفاع عنها، وكانت طرقه في الإصلاح بين الأزواج مثار إعجاب في المجتمع، وكان لا يرد لاجئا إليه من الرجال أو النساء في أي ساعة من الليل أو النهار يطلب حلا لمشكلة زواجية وقع فيها، وكانت حلوله كالبلسم على الجروح».

وكتب د. بسام الشطي: «جمعني وإياه برنامج أسري في تلفزيون الكويت وكان دمث الخلق وترك تراثا تربويا أسريا كبيرا، ما بين مقالات ومؤلفات، رحمه الله وغفر له»

وكتب رئيس مركز فنار لدراسات العمل الخيري د. خالد يوسف الشطي: «رحل عن دنيانا الفانية أحد رواد الإصلاح الأسري المرحوم بإذن الله الدكتور محمد رشيد العويد (أبو البراء) أحد أبناء الشام المقيمين معنا في الكويت منذ سنين عديدة، وقد أثرى برامج التلفزيون والإذاعة والصحف والمجلات والكتب بنصائحه واستشاراته الرائعة حول قضايا الأسرة.. رحمك الله».

ورثاه الكاتب الصحافي يوسف عبدالرحمن في مقال بجريدة الأنباء عدد ١٧ يناير ٢٠٢١م، ومما جاء فيه: كان يحمل شخصية متصالحة مع النفس، وكان لبقا كيسا أنيقا أحبه المجتمع الكويتي وقربه منه، فكانت له مكانة طيبة بين مختلف شرائح الناس في الكويت لطيب معشره وصدقه صلاحا وإصلاحا ولا نزكي على الله أحدا. نعم.. أرثي اليوم أحد أساتذتي الذين تعلمت منهم؛ لأنه باختصار أجاد النصح والحديث، فجزاه الله خيرا عما قدم خير الجزاء وأوفاه، وعظم الأجر لأهله وأنجاله وإخوانه وأصحابه ومعارفه وأخلف على الأمة خيرا بفقده، فنعم أبو البراء كان، رحل لينضم إلى من أحبوه وأحبهم، مصداقا لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ (الفجر:٢٧-٣٠).

ونعاه د.محمد حسان الطيان الأستاذ المشارك في الجامعة العربية المفتوحة بالكويت بكلمات مؤثرة جاء فيها: «رحم الله الشيخ الفاضل العالم العامل النفاعة الأستاذ محمد رشيد عويد ذا القلب النقي والخلق الرضي، والنفع الجلي، كم أصلح من بيوت، وكم أقام من عوج، وكم بث من حب وود ووئام بين الناس، لقد كان من نوادر الدهر صلاحا وإصلاحا وخلقا كريما ومعشرا وأناقة ولباقة وحديثا وسلامة طوية... ولا نزكي على الله أحدا، إذا تكلم نفع وإذا تحدث أجاد وإذا نصح أصلح وإذا وعظ أبلغ جزاه الله عنا وعن الأمة خير الجزاء وأوفاه وعظم الله أجر أهله ومحبيه وإخوانه وأصحابه وعارفي فضله وأحسن عزاءهم».

بينما كتب الأديب الأستاذ عبدالله زنجير على الموقع نفسه: «كان رقيقا راقيا رقاويا، نشر أكثر من ثمانين مؤلفا معظمها في المرأة والأسرة والإصلاح، أشهرها (رسالة إلى حواء)، إضافة لمئات المقالات في مجلة النور ومؤمنة التي كان يدير تحريرها وبرامج تلفزيونية ومحاضرات كثيرة. أبو البراء الذي تخرج من كلية الآداب في جامعة حلب سنة ١٩٧١م لم أعرف من هو أكثر منه دماثة في حياتي، حتى وقتما أضحى في صدارة أهل القلم والاستشارات المجتمعية الخليجية بقي في تواضعه وهدوئه وفاعليته، لم تغب ابتسامته ذات مرة عن وجهه المشرق الجميل.. قبل سنتين التقيته صدفة في إسطنبول وتعانقنا بعد غياب وفاضت مآقينا بعبرات الشوق، حدثني عن مرضه ومراحل علاجه واتفقنا على تأسيس منتدى عمل القيم التربوية».



جمعة رسول
باحث دراسات إسلامية

الثقافة ومنظومة القيم المجتمعية

قد يختلط على البعض مفهوم الثقافة وماهيتها، ذلك عندما يحصرونها في ممارسة نوع من أنواع الكتابة، أو في كثرة المعرفة والقراءة والمطالعة، أو التحليل الموضوعي للوقائع والأحداث، إلا أن مفهوم الثقافة في حقيقة الأمر هو أبعد وأعمق مما يتصور هؤلاء، إذ إنها تعبير عن معنى واسع وشامل؛ يجسد مجمل النشاط الإنساني الروحي والفكري والمادي.

الثقافة عموما تشكل أحد أهم معالم الحضارة الإنسانية، وجزء لا يتجزأ من كينونتها الموغلة في القدم، حتى إنها وصفت بالكائن الحي الذي ينمو ويتطور، وهي - عموما - نتاج الإنسانية، ومجموعة خصائصها وصفاتها الثابتة والمتحولة عبر العصور، وليست نتاج فرد؛ أو مجموعة معينة من البشر، بل هي نتاج المجتمعات وحصيلة النشاط الإنساني عبر الأجيال.

والثقافة من جهة أخرى هي نسيج من المعتقدات والقيم وأنماط التفكير، وجملة المعارف والمدارك التي يحاول الإنسان اكتسابها باستمرار؛ بمعنى أنها طريقة حياة الناس وأساليب معيشتهم. ويدخل في هذا الإطار منظومة القيم والأخلاق والسلوكيات، التي تميز مجتمعا أو فئة اجتماعية معينة، وأنواع الفنون والآداب التي يرتبطون بها، وأساليب التربية والتنشئة الاجتماعية التي يتبعونها. فالثقافة على هذا النحو تشكل الجوانب الأساسية في شخصية الإنسان، وتؤثر بطبيعة الحال على سلوكياته وتعاطيه مع الآخر تأثيرا كبيرا؛ كونها تمنحه القدرة على التفكير في ذاته، وتجعل منه كائنا يتميز عن غيره من الكائنات بالمعنى الشامل للكلمة.

السلوك الإنساني

والحقيقة أنه لا يمكن البتة حصر السلوك الإنساني في شكل أو أسلوب واحد، فالسلوك في أمر ما يتباين عنه

في غيره، والحال ذاتها بالنسبة إلى المفاهيم والقضايا الإنسانية المختلفة، فالاختلاف إذن لا يكون في الصفات الجسمية فقط، إنما في الجوانب النفسية والثقافية والأخلاقية. وكما أن السلوك في قضية أو مفهوم محدد يختلف بين أبناء المنطقة الواحدة أو في بلد بالمقارنة مع البلدان الأخرى، فإنه يختلف أيضا من عصر إلى عصر، ومن ثقافة إلى أخرى.

يقول د. كمال الحمصي إن: «السلوك الإنساني يمتلك طيفا واسعا من ألوان السلوك المختلفة، والسلوك يسمى العادات السائدة في هذه الدولة أو تلك، وقد تتحول إلى طباع إذا كانت ذات ديمومة، أما حينما تكون متجذرة ويأخذ بها ويتعامل معها وبموجبها كل المجتمع فعندئذ تصير ثقافة تظهر كأداء سلوكي، بمضمون أخلاقي يلازم هذا السلوك ويغذيه، وما هو ثقافة فاضلة وأخلاق عالية هنا قد لا يكون كذلك في مكان آخر».

إن الثقافة الإنسانية -بطبيعة الحال- سلوك تعلمي يكتسبه الأفراد كأعضاء في جماعات تعيش في المجتمع الواحد، وتمنحهم سمات السلوك اللازم لمسايرة متطلبات الحياة اليومية بمختلف ظروفها.

خصائص الثقافة

ويتناول د. صلاح علي بن مدشل في محاضرة بعنوان: «الأخلاق بين الثقافة والسلوك» خصائص رئيسية للثقافة يمكن إيرادها باقتضاب على النحو التالي:

- الخاصية الأولى: إن الثقافة من إبداع الإنسان، أي إنها مكتسبة لا تنتقل بالوراثة بل عن طريق المعرفة.

- الخاصية الثانية: الثقافة لا تورث إلا أنها تنتقل من جيل إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر من خلال العادات والتقاليد وعبر القوانين والأعراف، وعملية النقل تتم عن طريق التعليم.

- الخاصية الثالثة: الثقافة متغيرة غير ثابتة تخضع للتعديل من جيل إلى آخر وفق الظروف الخاصة بكل مرحلة حتى إن الأجيال الجديدة قد تطبق قيما ومفاهيم لم تكن معروفة من قبل.

وإذا كانت الثقافة مجموعا كميا من المعرفة البشرية وسلوكها المكتسب ضمن الإطار الاجتماعي، فإنه غالبا ما يتفق الأفراد على كل ما يعتبرونه سلوكا مناسبا أو غير مناسب، والانعكاسات التي تلقى قبولا من المجتمع -عموما- يطلق عليها عموميات الثقافة، ولهذه تأثير واضح وجلي على سلوك الأفراد.

الأخلاق والثقافة

أما عن علاقة الأخلاق بالثقافة، فإن القيم الأخلاقية تعد ضمن المسائل الثقافية العليا. فإذا استطاع الإنسان أن يتمتع بثقافة عالية ويدرك كثيرا من القيم الأخلاقية، فبإمكانه أن يتجنب السلوكيات الخاطئة والقيم الفاسدة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل يكفي الإلمام بالقيم الأخلاقية والمدارك الثقافية والفكرية من دون ممارستها؟ الجواب: لا بالتأكيد؛ لأن ذلك يعني أن تظل هذه القيم والمدارك معطلة ويصبح المجتمع في حالة من الفوضى، ولكن عندما يتحول الجانب الأخلاقي إلى جانب سلوكي عملي مباشر تكتسب المبادئ الأخلاقية قيمتها. من هنا فإن للدين والعادات والمؤسسات المجتمعية التي تمارس التربية والتعليم والإعلام وغيرها؛ أثرا كبيرا على بروز هذه الثقافة أو تلك، وانتشار هذه الأخلاق أو انحسارها في مجتمع ما.

بالإضافة إلى واقع التحصيل العلمي ودور التبادلات الثقافية والتجارية وغيرها من الأسباب. وليس بخاف على أحد أن المجتمع أقام تلك المؤسسات المذكورة لضمان استمرار ثقافته ونقلها إلى الأجيال المتعاقبة، والمحافظة على التراث الذي يريد هذا المجتمع المحافظة عليه. كما يؤدي الإعلام بأشكاله دورا مهما في حماية الأفكار الجيدة أو الترويج للسيئة منها بحسب توجهاته وغاياته.

إننا إذ نجد تعددا ثقافيا سلوكيا وأخلاقيا ضمن إطار الوطن الواحد؛ نجد في الوقت نفسه أن الثقافات الإنسانية تختلف باختلاف المجتمعات البشرية واختلاف طبائع الشعوب، وتتباين تباينا واسعا يصل إلى حد الاختلاف، بفعل عوامل عدة جغرافية ودينية وطبقية، لأن كل مجتمع يعيش ظروفا وأحوالا مختلفة، وبالتالي ثقافة مختلفة توجه سلوك الفرد.

يقول د. سعيد عبدالواحد: «إن هناك تباينا كبيرا بين مجتمعات وثقافات مازالت بدائية، وبين مجتمعات أخرى تتمتع بثقافات متحضرة. وإن تباين هذه المفاهيم الثقافية يبدو واضحا في صورة عادات ومعتقدات اجتماعية يكون لها أحيانا بعد ديني، ففي بعض المجتمعات عادة ما يمارس الناس أحادية الزواج، وفي مجتمعات أخرى توجد فيها ثنائية الزواج، وفي حالة ثالثة توجد مجتمعات تجيز تعددية الزواج وتمارسه».

أخيرا، وعلى الرغم من التباين الهائل بين الثقافات الإنسانية حول العالم، فإن هناك عموميات محددة؛ موجودة في كل المجتمعات، وهي تعكس ردود أفعال أساسية عن حاجات الإنسان ورغباته.



د. عماد عبدالرازق
أكاديمي مصري

الإسلام والتعايش مع الآخر

يشكل السلوك الحضاري مطلبا عاما وقاسما مشتركا بين الديانات والحضارات والثقافات الإنسانية.

ولعلنا نشير في هذا السياق إلى أهمية هذا السلوك الحضاري بوجه عام والإسلامي بوجه خاص في كيفية التعايش مع الآخر، حتى لو كان هذا الآخر مختلفا عني في دينه وعقيدته وثقافته. فالإسلام ينظر إلى الآخر كونه إنسانا في المقام الأول وهذا هو الجوهر الأصيل في السلوك الحضاري الإسلامي. ومن هنا يعد هذا السلوك الحضاري الإسلامي للتعايش مع الآخر منطلقا أساسيا، ومرتكزا رئيسيا للتقارب بين أصحاب الأديان، والبحث عن طرق ووسائل للحوار، وسط عالم يموج بالصراعات، وعولمة متوحشة تأكل الأخضر واليابس، وتسبب تحديا صارخا لهويات الجماعات بسبب التقدم التقني الذي اختصر المسافات وأزال الحواجز، وأصبح العالم قرية كونية واحدة.

ولعلنا نلفت الانتباه هنا إلى حقيقة مهمة وهي أن تنوع الثقافات وتعدد الحضارات، واختلاف الهويات من ركائز المجتمعات الإنسانية، وأن التسلسل الهرمي بين الثقافات ساهمت فيه كل البشرية على اختلاف مشاربها وعقائدها ومذاهبها.

من هنا نستطيع القول بأن تاريخ الحضارات هو تاريخ التلاقح المتبادل للأفكار وليس تاريخ الصدام، وقد ركز الإسلام في مبادئه وقيمه على أهمية التعايش والتعامل مع الآخر، ولم ينكر هذا الاختلاف بل ألح عليه في الكثير من آيات القرآن الكريم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣)، هنا رغم انقسام الناس إلى شعوب وقبائل شتى إلا أن الغرض الأساسي هو التعارف، والأساس هو التعايش وليس التناحر والاختلاف والصراع. ويقتضي التعارف ألا تنعزل المجتمعات عن بعضها البعض، وهكذا يكون الاختلاف بين الناس سببا للتراحم والتواصل والتعايش. ولعل الغاية الأسمى من التعارف بين البشر هي توسيع دائرة العلاقات الإنسانية في إطار راق وفقا لحديث النبي ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم» (سنن الترمذي) وهكذا ندرك أن مقصد الشرع من قوله (لتعارفوا) هو اختلاط المسلمين بغيرهم، والتحاور معهم، والتعايش في سلم وأمان، وهنا يتبدى السلوك الحضاري الإسلامي في أسمى معانيه وأرقى صوره. ولعلنا في هذا الإطار نلفت الأنظار إلى حقيقة مهمة وهي أن السلوك الحضاري في الإسلام في تعامله وتعايشه مع الآخر ينطلق ويبدأ من القرآن الذي وضع الخطوط العريضة والعامة لكيفية التعامل مع الآخر والتعايش معه.

ولعل أبرز النماذج على السلوك الحضاري الإسلامي في تعايشه مع الآخر هو صحيفة المدينة أو دستور المدينة الذي أرسى قواعده رسول الله ﷺ انطلاقا من مبادئ وقيم الإسلام السمحة.. هذه الصحيفة وبنودها تمثل نبراسا مضيئا ونموذجا رائعا لكيفية التعايش مع الآخر من غير المسلمين، وخصوصا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد مثلت هذه البنود والقواعد نموذجا حيا

للسلوك الحضاري الإسلامي في كيفية التعايش السلمي مع الآخر، حتى إن هذه البنود نصت على أن أمة اليهود تمثل أمة مستقلة لها ما للمسلمين من حقوق وعليها ما عليهم من واجبات. والإنسانية اليوم أحوج ما تكون إلى قيم السلوك الحضاري الإسلامي في التعايش والأمن والسلام، بدلا من التناحر والصراعات. ما أحوجنا إلى أن نتخذ السلوك الحضاري الإسلامي مشعل نور يضيء للإنسانية طرق التعايش السلمي. ونشير في هذا السياق إلى قاعدة مهمة راسخة يجب ألا نغفل عنها وقد رسخها الإسلام:

الاختلاف والتنوع سنة كونية

الاختلاف والتنوع أساس الحضارات والثقافات، كما أنهما يعكسان مدى الثراء والعظمة التي يمثلها الإسلام. ومن هنا ليس هناك حضارة إنسانية تملك كل التقدم، بل الحضارات الإنسانية بينها تعاون مشترك ونضال مستمر من أجل بلوغ الإنسانية الرقي والتقدم. والحقيقة التي يجب أن نلفت إليها الانتباه أن تاريخ الحضارات والثقافات هو تاريخ التعاون المشترك وتبادل الأفكار والمعرفة. ومن هنا فإن العلاقة مع الآخر المختلف ثقافيا وحضاريا ودينيا تعد علاقة ضرورية إن لم تكن حتمية.

وفي هذا السياق يجب أن نوضح أن عبارة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في آية من سورة الحجرات جاءت بصيغة عامة لتشمل المؤمن وغير المؤمن، الكل إخوة في الإنسانية. ولعلنا نلحظ ملحوظا دقيقا في الآية ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾، أن الناس قسمت إلى شعوب مختلفة وقبائل شتى متنوعة ذات هويات وخصوصيات متنوعة، ورغم ذلك جعل الغاية من ذلك الاختلاف والتنوع هي التعارف والتعايش السلمي. وهنا تتجلى الغاية العظمى والمقصد الأسمى وهو أن الاختلاف والتنوع بين الناس يكون سببا للتراحم والتواصل والتعايش، ويفضي ذلك إلى قيام وحدة إنسانية في كيان المجتمع الإنساني المثلة في الشعوب والأمم(1).

وإذا نظرنا إلى السنة النبوية المطهرة وجدنا أحاديث نبوية كثيرة توضح كيف أن التنوع والاختلاف لهما مقصد عظيم وغاية سامية وهي تحقيق التآلف والتعاون والتعايش السلمي بين الأفراد والجماعات.

ولعل من أبرز الأحاديث النبوية في هذا الشأن هو قول رسول الله ﷺ «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم» وأيضا حديث «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ألا بالتقوى» (سنن الترمذي).

حقوق الآخر في الإسلام

لعل من القواعد الراسخة التي يؤكد عليها الإسلام أن للآخر المختلف ثقافيا وحضاريا ودينيا عددا من الحقوق لابد من أخذها في الاعتبار وعدم تجاهلها، لعل من أهم هذه الحقوق وأكثرها ضرورة حرية الاعتقاد أو حرية العقيدة. حرية العقيدة في الإسلام من المبادئ الأساسية التي يقرها الإسلام لأنه لا إكراه في الدين أو إجبار في العقيدة. كل إنسان له حرية الاعتقاد بدون إكراه من أحد، ولعل أبلغ دليل على ذلك الآية القرآنية في سورة البقرة: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ (البقرة:٢٥٦). ولعلنا لو تأملنا سبب نزول هذه الآية فسوف نرى أن رجلا من الأنصار أراد أن يكره ولديه المسيحيين على اعتناق الإسلام، فأبى القرآن ذلك وترك لهما حرية الاختيار. ومن هنا نلاحظ أنه يحق لغير المسلم الذي يعيش في مجتمعات إسلامية أن يتمسك بعقيدته، ويمارس شعائره، دون إجبار من المسلمين على ترك دينه، وفي المقابل يحق للمسلم أن يخالط المجتمعات الغربية، وأن يحافظ على عقيدته دون الدعوة إلى أسلمه المجتمع الغربي قهرا(2).

كما تقتضي حرية التدين ألا يفرض على أي إنسان اعتناق دين معين، ولا أن يقهر على ترك دينه، كما أنه من حق المخالف أن يحتكم لعقيدته ولقوانينه والنهي عن الإكراه يشمل الجميع حتى من ليس له دين. ولا سبيل لأحد أن يناله بضرر أو أذى فهو يكون في ذمة المسلمين وعليهم أن يكفلوا له الأمان والطمأنينة مادام بينهم. ولقد أجمع أهل العلم على أن أهل الذمة من اليهود والنصارى إن سألوا الإقرار على دينهم فإن الإمام يقرهم على دينهم(3). من هنا نرى أن السلوك الحضاري في الإسلام يقر بالتنوع والتعدد لكن في إطار وغاية واحدة وهي الوحدة بين الجنس البشري. كما يؤيد الإسلام ويقر حقوقا للآخر رغم اختلافه في العقيدة والمذهب والجنس أيضا.

الهوامش

١- عبدالكريم الخطيب: التفسير القرآني للقران، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٠م، ج٢٦، ص٤٣٢.

٢- بوسينينة المنجي: التنوع والاختلاف الفكري، وزارة الشؤون التونسية، تونس، ٢٠٠٣م، ص٨٨.

٣- أحمد محمود كريمة: اعتزال تلك الفرق، الدار الهندسية للفقراء، ٢٠٠٦م، ص٥٤.



د. محمد سيد شحاته
أستاذ الحديث وعلومه

صحابيات مارسن مهنة الطب والتمريض

حفلت سيرة النبي ﷺ بنماذج من هذا النوع من النساء اللاتي مارسن مهنة الطب والتمريض، وإن الناظر في صفحات السيرة النبوية، يرى ذلك واضحا جليا.

وقد كان للمرأة دور بارز في الطب والتمريض ومداواة الجرحى وإسعاف المرضى، فقد كانت تخرج للغزو تعالج الجرحى، وقد كن مع الرجال أيضا في ساحة المعركة يجاهدن، ويقاتلن إن احتاج الأمر إلى القتال، ويساعدن الرجال من خلال مناولتهم السهام، ويقمن بسقاء العطشى، وهذا يعني أنهن لم يتركن مجالا من مجالات المعركة إلا وشاركن فيه.

ومن الملاحظ أن المرأة لم تستبعد، ولم تهمل، ولم تترك، بل تمت الإفادة منها بشتى الطرق.

وهنا نلقي الضوء على بعض الصحابيات اللاتي قمن بهذا الدور من الرعيل الأول، ليعلم القاصي والداني أن الإسلام لم يهمل المرأة، ولم يتعنت معها.

وأذكر الآن نماذج ممن شاركن في هذا المجال من الصحابيات.

١- أسماء بنت أبي بكر(١)

عن فاطمة بنت المنذر: «أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمت تدعو لها أخذت الماء فصبته بينها وبين جيبها، وقالت كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نبردها بالماء»(٢).

٢- رفيدة الأنصارية، أو الأسلمية(٣)

حينما أصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه عالجته رفيدة رضي الله عنها، فعن محمود بن لبيد قال: «لما أصيب أكحل سعد يوم الخندق فثقل حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى»(٤)، وكانت امرأة تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين(٥).

٣- حمنة بنت جحش الأسدية(٦)، أخت أم المؤمنين زينب

عن معاوية بن عبيد الله بن أحمد ابن جحش قال: «رأيت بعيني حمنة بنت جحش يوم أحد تسقي العطشى وتداوي الجرحى»(٧).

٤- الربيع بنت معوذ(٨)

عن الربيع بنت معوذ، قالت: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، ونسقي القوم ونخدمهم، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة»(٩).

٥- عائشة أم المؤمنين(١٠)

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: «ما رأيت أحدا أعلم بالحلال والحرام والعلم والشعر والطب من عائشة أم المؤمنين»(١١).

وكان عروة يقول لعائشة: «يا أمتاه! لا أعجب من فقهك، أقول: زوجة نبي الله، وابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول: ابنة أبي بكر، وكان أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطب (كيف هو، ومن) أين هو، أو ما هو؟!

قال: فضربت على منكبه، وقالت: أي عرية، إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره -أو في آخر عمره- وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فتنعت له الأنعات، وكنت أعالجها له، فمن ثم(١٢).

٦- فاطمة بنت النبي ﷺ رضي الله عنها

عن سهل بن سعد سأل عن جرح رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال: «جرح وجه رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا، ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم»(١٣).

٧- كعيبة بالتصغير، بنت سعيد الأسلمية(١٤)

قال ابن سعد: «هي التي كانت تكون في المسجد لها خيمة تداوي المرضى والجرحى»(١٥).

٨- ليلى الغفارية(١٦)

قال أبو عمر: «كانت تخرج مع النبي ﷺ في مغازية تداوي الجرحى، وتقوم على المرضى»(١٧).



فعن امرأة من بني غفار قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار فقلنا له: يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا -وهو يسير إلى خيبر- فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: «على بركة الله»[18].

٩- أم سليم بنت ملحان[19]

عن أنس بن مالك، عن أم سليم، قالت: «كان رسول الله ﷺ، يغزو بنا معه نسوة من الأنصار نسقي الماء، ونداوي الجرحى»[20].

١٠- أم سنان الأسلمية[21]

عن الواقدي عن عبدالله بن أبي يحيى، عن ثبيتة، عن أمها، قالت: لما أراد النبي ﷺ الخروج إلى خيبر قلت: يا رسول الله أخرج معك، أخرز السقاء، وأداوي الجرحى... الحديث، وفيه: فإن لك صواحب قد أذنت لهن من قومك ومن غيرهم. قال: فكوني مع أم سلمة[22].

١١- أم عطية الأنصارية[23]

عن أم عطية الأنصارية، قالت: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى»[24].

من خلال ما سبق نرى أن المرأة مارست مهنة الطب فاستعملت الرماد في الجراح، واستعملت الماء في الحمى، واستعملت الرقية الشرعية.

وهذه النقول وتلكم النصوص تقف شاهدة إلى قيام الساعة على أن الإسلام لم يهمل دور المرأة قط، ولم يقلل من شأنها، ولم يقف حجر عثرة أمام تفوقها، ولم يمنعها يوما من القيام بمهمتها في الكون، فحفلت السيرة النبوية بنساء كن قدوة وأسوة في كل الميادين.

وما ذكر في هذه السطور يظهر المكانة والمنزلة التي حظيت بها المرأة المسلمة في عهد النبوة، فقد كان له دور بارز يسطر بأحرف من نور، وجهد يذكر فيشكر.

رضي الله عن الصحابيات الفضليات.

الهوامش

١- الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٨/٢٥٠)، معرفة الصحابة، أبو نعيم، (٦/٣٢٥٣).
٢- أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم، (٥/٢١٦٢) رقم (٥٣٩٢)، ومسلم، كتاب الطب، باب الحمى، (٧/٢٤) رقم (٥٨٠٩).
٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، (٤/١٨٣٨) رقم (٣٣٤٠)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (٨/١٣٥).
٤- الأدب المفرد، البخاري، (ص:٦٣١) رقم (١١٢٩).
٥- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (٨/١٣٦).
٦- معرفة الصحابة، أبو نعيم، (٦/٣٢٩٣)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (٨/٨٨).
٧- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (٢٤/٢١٦) رقم (٥٤٩)، وابن أبي عاصم الآحاد والمثاني، (٦/١١) رقم (٣١٨٨)، وأورده ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/٢٤١).
٨- أسد الغابة، ابن الأثير، (٧/١٠٨) رقم (٦٩١٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (٨/١٣٢).
٩- أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب مداوة النساء الجرحى في الغزو، (٣/١٠٥٦) رقم (٢٧٢٦).
١٠- سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢/١٨٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (٨/٢٣١) رقم (١١٤٦١).
١١- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الأدب، باب الرخصة في الشعر، (٨/٥١٦) رقم (٢٦٥٦٧)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (٤/١٢) رقم (٦٧٣٣).
١٢- أخرجه أحمد في المسند، (٤٠/٤٤١) رقم (٢٤٣٨٠)، وقال الشيخ شعيب: صحيح، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (٤/١٢) رقم (٦٧٣٧).
١٣- أخرجه مسلم، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، (٥/١٧٨) رقم (٤٦٦٥).
١٤- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (٨/٢٩٧).
١٥- الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٨/٢٩١).
١٦- أسد الغابة، ابن الأثير، (٦/٢٥٩) رقم (٧٢٦٥)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (٨/٣٠٧).
١٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، (٤/١٩١٠) رقم (٤٠٨٨).
١٨- أخرجه أحمد في المسند، (٤٥/١٠٨) رقم (٢٧١٣٦)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب ما يستحب من استعمال ما يزيل الأثر مع الماء فى غسل الدم، (٢/٤٠٧) رقم (٤٢٨٠).
١٩- الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٨/٤٢٤)، معرفة الصحابة، أبو نعيم، (٦/٣٥٠٤).
٢٠- أخرجه ابن حبان، كتاب السير، باب الخروج، وكيفية الجهاد، ذكر إباحة غزو النساء مع الرجال، وخدمتهن إياهم في غزاتهم، (١١/٢٦) رقم (٤٧٢٤)، والطبراني في المعجم الكبير، (٢٥/١٢٣) رقم (٣٠٢).
٢١- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (٨/٤١١).
٢٢- أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ط العلمية، (٨/٢٢٧)،
٢٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، (٤/١٩٤٧) رقم (٤١٨٧)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (٨/٤٣٧).
٢٤- أخرجه مسلم، كتاب المغازي، باب غزوة النساء مع الرجال، (٥/١٩٩) رقم (٤٧١٧).

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٥٢)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الرافعي):

١- أبو القاسم الرافعي (ت:٦٢٣هـ):

هو أبو القاسم عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم الرافعي، من كبار الشافعية، نسبته إلى رافع بن خديج الصحابي.

ولد بقزوين سنة: (٥٥٧هـ) وكان له مجلس بها للتفسير والحديث.

من مصنفاته: (المحرر في الفقه الشافعي)، و(فتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي)، و(شرح مسند الشافعي)، و(التدوين في أخبار قزوين)، و(الأمالي الشارحة لمفردات الفاتحة)، وغيرها من المصنفات، توفي بقزوين[1].

٢- أبو عبدالله الرافعي (ت بعد:١١٠٩هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد الرافعي اللخمي الأندلسي، فقيه متأدب من أهل تطوان.

ولد سنة: (١٠٤٠هـ)، من مصنفاته:







(المعارج المرقية في الرحلة المشرقية) رحلة للحج، و(غرر المقاصد والمطالب)، و(أدعية وأذكار)، و(ديوان) من نظمه[٢].

٣- عبدالقادر الرافعي (ت:١٢٣٠هـ):

هو عبدالقادر بن عبداللطيف بن عمر البيساري الرافعي الفاروقي، أديب، ناظم. ولد في طرابلس الشام، وتعلم بمصر.
من مصنفاته: (إحياء القلوب في شرح حكم شيخه محمود الكردي)، و(مقامة في صفة السفينة وقد عظم عليها موج البحر والريح العاصفة)، و(نيل المراد في تشطير الهمزية والبردة وبانت سعاد)، و(مقامة في المفاخرة بين حمص وحماة)، توفي بطرابلس[٣].

٤- عبدالغني الرافعي (ت:١٣٠٨هـ):

هو عبدالغني بن أحمد بن عبدالقادر الرافعي الفاروقي، قاض، من فقهاء الحنفية. ولد بطرابلس الشام سنة: (١٢٢٣هـ) وتعلم بها، وأخذ الحديث عن علماء دمشق، وعين مفتيا لطرابلس ثلاث سنوات، فقاضيا في لواء تعز باليمن، فرئيسا لاستئناف الحقوق والجزاء في ولاية صنعاء.
من مصنفاته: (الجوهر السني شرح بديعية الصفي الحلي)، و(تعليقات على حاشية ابن عابدين)، و(ترصيع الجواهر المكية في تزكية الأخلاق المرضية)، و(إشراق الأنوار في إطلاق العذار)، وله شعر، توفي بمكة[٤].

٥- عبدالقادر الرافعي (ت:١٣٢٣هـ):

هو عبدالقادر بن مصطفى بن عبدالقادر البيساري الرافعي الفاروقي، من فقهاء الحنفية وعلماء الأزهر.
ولد في طرابلس الشام سنة: (١٢٤٨هـ)، وتعلم بالأزهر، وعلت شهرته في فقه الحنفية، حتى كان يلقب بأبي حنيفة الصغير، وترأس المجلس العلمي في المحكمة الشرعية بالقاهرة، وولي إفتاء الديار المصرية.
من مصنفاته: (التحرير المختار لرد المحتار)، و(حاشية على الأشباه والنظائر للحموي)، و(جدول الاغلاط الواقعة في كتاب قرة عيون الأخيار)، توفي بالقاهرة، وقد جمع ابنه محمد رشيد الرافعي سيرته، في كتاب: (ترجمة حياة الشيخ عبدالقادر الرافعي)[٥].

٦- مصطفى الرافعي (ت:١٣٥٦هـ):

هو مصطفى صادق بن عبدالرزاق بن محمد سعيد الرافعي، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام. ولد في بهتيم سنة: (١٢٩٨هـ)، وعين كاتبا في محكمة طنطا، وانتخب عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، من مصنفاته: (تاريخ آداب العرب)، و(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، و(تحت راية القرآن)، و(رسائل الأحزان)، و(وحي القلم)، و(ديوان النظرات)، و(السحاب الأحمر في فلسفة الحب والجمال)، و(حديث القمر)، و(المساكين)، و(أوراق الورد)، توفي في طنطا.
وألف محمد سعيد العريان كتاب: (حياة الرافعي)[٦].

الهوامش

١- انظر: هدية العارفين (٦٠٩/١) والأعلام للزركلي (٥٥/٤) ومعجم المؤلفين (٣/٦).
٢- انظر: الأعلام للزركلي (٢٩٥/٦) ومعجم المؤلفين (٩٣/٦) (٣٩/١١).
٣- انظر: هدية العارفين (٦٠٤/١) والأعلام للزركلي (٤٠/٤) ومعجم المؤلفين (٢٦٤/٥).
٤- انظر: الأعلام للزركلي (٣٢/٤) ومعجم المؤلفين (٢٧٠/٥).
٥- انظر: الأعلام للزركلي (٤٦/٤) ومعجم المؤلفين (٣٠٦/٥).
٦- انظر: هدية العارفين (٢٤٢/١) والأعلام للزركلي (٢٣٥/٧) ومعجم المؤلفين (٢٥٦/١٢).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

الموسوعة العربية الإسلامية

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «الموسوعة العربية العالمية» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف

موسوعة تعليمية وثقافية عامة في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية، شارك في إنجازها العديد من العلماء، والمؤلفين، والمحررين، صدرت أول نسخة منها -والتي تتكون من (٣٠) مجلدا- عام: (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، بالرياض، المملكة العربية السعودية، بتمويل وتوجيه من الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود يرحمه الله، وقد استمدت هذه الموسوعة موادها من مصدرين رئيسيين:

دائرة المعارف العالمية، حيث ترجم الكثير من موادها مع تنقيح هذه المواد ومواءمتها عربيا وإسلاميا.

الإضافات التي قام بها باحثون عرب في مختلف مجالات المعرفة، لتعميق الهوية العربية والإسلامية لهذه الموسوعة.

الأهداف

تقديم مادة متنوعة متكاملة شاملة في جميع مجالات المعرفة الإنسانية بلغة عربية سهلة وواضحة.

الوصول إلى كل شرائح المجتمع ومختلف أعمار واتجاهات ومستويات التعليم عند الجمهور.

تحري الدقة الشديدة فيما يتعلق بالدين الإسلامي وباقي أديان أصحاب الكتب السماوية.

تحري الإنصاف فيما يتصل بالعرب والمسلمين وثقافتهم، وكذلك فيما يتصل بباقي شعوب العالم وثقافتهم.

اعتماد المصداقية والنزاهة والشمول.

تأسيس تجربة علمية حضارية جديدة على الصعيد العربي المعاصر في مجال إنتاج الموسوعات الكبرى الشاملة.

المحتوى العام

لقد صنفت هيئة تحرير هذه الموسوعة موادها بصورة تيسر للقراء الوصول إلى المعلومات التي يبحثون عنها، فقد رتبت المقالات والإحالات الرئيسية وفق الترتيب المعجمي العربي (أ ب ت ث ...)، وبتصميم المداخل بصور تعين القارئ على الاستيعاب، مع وضع كشاف شامل في مجلدين مستقلين، وقد تم إعداد مجلدات الموسوعة بحيث يشمل كل مجلد الموضوعات التي تبدأ بنفس الحرف، وإذا لم يستوعب المجلد موضوعات الحرف الواحد فإنه يمتد إلى المجلد الذي بعده، وإذا كانت موضوعات الحرف الواحد أقل مما يستوعبه المجلد الواحد فإنه يضاف إليه موضوعات الحرف الذي بعده.

وجميع مقالات الموسوعة مرتبة ترتيبا ألفبائيا معجميا، آخذا بنظام الكلمة - كلمة، أي إن الترتيب يعتمد على حروف الكلمة الواحدة، فمثلا: كلمة مسجد تسبق المسجد الأقصى، وكلمة نور تسبق نور الدين... وهكذا.

وقد احتوت هذه الموسوعة على وسائل إيضاحية ملونة ورسوم وأشكال وخرائط، وقد صدرت الطبعة الثانية من الموسوعة العربية العالمية عام: (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، طبعة منقحة ومزيدة ومحدثة.

نسخة «الوعي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه الموسوعة القيمة النافعة، والتي تتكون من: (٣٠) مجلدا، وهي في متناول قرائها الكرام والمهتمين بالمعرفة والثقافة.

المصادر:

الموسوعة العربية العالمية.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

هشام الصباغ
باحث لغوي



الأديب المجمعي
أحمد محمد الحوفي

■ لمع اسمه، وعلا شأوه، وتميز أداؤه، وطغى حضوره، وبرز نشاطه إلى أقصى حد.. حتى ليمكننا القول إنه كان يؤدي دور البطولة بين أساتذة الأدب العربي الكبار في جيله.. غير أنه كان بينهم بمنزلة واسطة العقد.

■ واحد ممن قصُر عمرهم عن أن يحقق لأرباب الأدب أملهم فيه، فقد توفي باكرا بالنسبة لأقرانه، بيد أن اسمه احتل، منذ بواكير حياته، المكانة اللائقة به علما من أعلام الدراسات الأدبية الأفذاذ.

■ بعدما أصبحت دار العلوم كلية وضمت إلى جامعة القاهرة، ارتأت أن تدعم هيئة تدريسها بعدد من خريجيها النابهين، فاختارته عام ١٩٤٨م مدرسا مساعدا (وذلك بعد تخرجه باثني عشر عاما عمل فيهما مدرسا بالتعليمين الابتدائي والثانوي).. وعندما اختير للعمل في الجامعة لم يكن تحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه، لكنه كان مستوفيا لخصائص الأساتذة وسمتهم.

■ أحد القلائل الذين أتموا رسالتي الماجستير والدكتوراه معا (في أربع سنوات)، وقد حصل على الامتياز في كلتيهما، وقد أتمهما بعد أن بلغ النضج العلمي، ولم يكن إنجازهما معا ليمثل صعوبة له؛ فقد ألف وهو طالب كتابا عن النسيب في شعر شوقي، كتب مقدمته أستاذه الدكتور محمد مهدي علام، وبلغ من اعتزاز علام بهذه المقدمة أن أشار إليها مرتين في صفحة واحدة في كتاب «المجمعيين».

■ «يمضي في حياته في هدوء وسكون وسلام، وهو في الوقت نفسه واضح جلي، لا التواء عنده ولا مواربة، يجيد الصمت كما يجيد الكلام، فيحسن الاستماع إلى الناس، ويستمتع الناس بحلو حديثه، ثم لا يغريه ذلك أبدا بالصمت عن كلمة الحق ولا إلى أن يُبتلى بشهوة الكلام».. ذاك وصف العالم والأديب والفقيه اللغوي إبراهيم أنيس له.. إنه الكاتب والأديب المجمعي والمفكر الإسلامي وأحد جهابذة الأدب العربي وفطاحله في العصر الحديث، وأحد مؤسسي جامعة الرياض (الملك سعود حاليا).. الأستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفي.

التنشئة والتعليم

■ ولد الأستاذ الدكتور الحوفي عام ١٩١٠م في قرية الصفاصيف (إحدى قرى مدينة دمنهور عاصمة محافظة البحيرة).. وفي كُتّاب «الصفاصيف» تلقى تعليمه الأولي حتى حفظ القرآن الكريم كاملا.. بعدها انتقل إلى مدينة دمنهور ليلتحق بمدرستها الابتدائية، ولما انتهى من دراسته الابتدائية التحق بتجهيزية دار العلوم، ثم دخل دار العلوم العليا، وتخرج فيها عام ١٩٣٦م.

حياته العملية

■ نشاطه العلمي والعملي بدأ وهو لايزال طالبا بدار العلوم، إذ ألّف كتابا عن النسيب في شعر شوقي، كان باكورة بحوثه الأدبية، وقد كتب مقدمته أستاذه الدكتور مهدي علام.

■ بعد تخرجه في دار العلوم عمل لاثني عشر عاما مدرسا بالمدارس الابتدائية والثانوية بوزارة المعارف (التربية والتعليم) إلى أن ضُمّت دار العلوم إلى جامعة القاهرة، وارتأت أن تدعم هيئة تدريسها بعدد من خريجيها النابهين، فاختارته عام ١٩٤٨م مدرسا مساعدا ولم يكن تحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه، لكنه كان مستوفيا لخصائص الأساتذة وسمتهم، ثم تحصل عليهما معا عام ١٩٥٠م (الماجستير)، وعام ١٩٥٢م (الدكتوراه)، ثم عُيّن مدرسا، فأستاذا، فرئيسا لقسم الدراسات الأدبية، وبعد بلوغه سن الستين عُيّن أستاذا غير متفرغ.

■ تسابقت الجامعات العربية إلى الانتفاع بعلمه وخبرته فاختارته أستاذا معارا وأستاذا زائرا ومشرفا على عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه.. كما أشركته كثير من الهيئات الأدبية والثقافية والإسلامية في عضويتها ولجانها ومؤتمراتها ومحافلها.

■ في عام ١٩٧٣م، انتُخب عضوا بمجمع اللغة العربية في القاهرة.. كما كان عضوا في لجنة التعريف بالإسلام، ولجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وعضوا باللجنة التأسيسية لجامعة الشعوب العربية والإسلامية، وعضوا في المجلس الأعلى للثقافة والإعلام (أحد المجالس القومية المتخصصة).

إرثه الثقافي والأدبي

■ توزع نشاط الحوفي التأليفي بين خمس دوائر كبيرة: الأولى: دائرة الأدب العربي

القديم، وله فيها ثمانية مؤلفات، هي: «الحياة العربية في الشعر الجاهلي»، و«المرأة في الشعر الجاهلي»، و«الغزل في العصر الجاهلي»، و«أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي»، و«تيارات ثقافية بين العرب والفرس»، و«بلاغة الإمام علي»، و«أدب السياسة في العصر الأموي»، و«الخطابة السياسية في العصر الأموي».

■ أما الدائرة الثانية: فهي دائرة الأدب العربي الحديث، وله فيها: «النسيب في شعر شوقي»، و«القومية العربية في الشعر الحديث».. بينما الدائرة الثالثة: هي دائرة التراجم والسير وله فيها: «الجاحظ»، و«الطبري»، و«أبو حيان التوحيدي»، و«الزمخشري». والدائرة الرابعة: هي الدائرة الإسلامية، وله فيها: «من أخلاق النبي ﷺ»، و«الجهاد»، و«سماحة الإسلام»، و«تحت راية الإسلام»، و«مع القرآن الكريم» (جزآن). أما الدائرة الخامسة: وهي الكتب المتنوعة، فله فيها: «البطولة والأبطال»، و«الفكاهة في الأدب العربي»، و«مع ابن خلدون»، و«حصاد القلم»، و«ديوان شوقي» (جزآن) تحقيق وشرح.

نشاطه المجمعي

■ ظل نشاط الحوفي المجمعي متوقدا منذ انضمامه إليه، فلم يُعد المجمع مؤتمرا أو فاعلية إلا وكان للحوفي فيها بحث أو دراسة يغلب عليها طابع الدرس اللغوي، وتشهد بذلك مذكراته التي كان يقدمها إلى لجنة الألفاظ والأساليب، وكذلك بحوثه التي كان يقدمها للمؤتمر، فضلا عن رؤاه ومساهماته في نشاط لجنة المعجم الكبير، ولجنة ألفاظ الحضارة الحديثة، ولجنة الأدب. ومن بحوثه وكلماته التي ألقاها في المجمع: «من التراث اللغوي: كتاب الملاهي وأسمائها»، و«غرائس الزمخشري اللغوية»، و«دراسات قرآنية: حذف المقابل لما بعد (لا) النافية للمساواة»، و«من إيجاز الحذف في القرآن الكريم»، و«وزن (فُعالة) الدال على نُفايات الأشياء ومتناثراتها وبقاياها».

و«كلمة: الأريسيين في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل»، و«أسلوب قرآني فريد: الاكتفاء بالتذييل عن جواب الشرط»، و«الشمال والجنوب»، و«المعاني الحقيقية للإحسان»، و«الأميُّ والأميون في القرآن الكريم»، و«لا نافية أصلية محذوف ما بعدها».

تأريخه للأدب العربي

■ عند النظر في المؤلفات التي أرخت للأدب العربي، سنجد تآليف الحوفي تتصدر واجهة المكتبات في هذا الباب، فقد وضع واحدة من أكمل المجموعات التي تناولت تاريخ الأدب العربي، وأبرزت ملامحه؛ ففي العصر الجاهلي وضع ٤ كتب (الحياة العربية من الشعر الجاهلي، المرأة في الشعر الجاهلي، الغزل في الشعر الجاهلي، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي) تناولت ملامح الحياة العقلية والأدبية فيه، قدم فيها قراءة ذكية ومستوعبة لنصوص الشعر الجاهلي.

■ كما تناول عصري «صدر الإسلام» و«الأموي» بأربعة كتب أخرى (بلاغة الإمام علي، أدب السياسة في العصر الأموي، الخطابة السياسية في العصر الأموي، تيارات ثقافية بين العرب والفرس).. كما نشر دراسة عن «الفكاهة في الأدب العربي» يصدق عليها الوصف القائل بأنها «متعددة العصور».

بين الحوفي وشوقي

■ أولع الحوفي بأمير الشعراء أحمد شوقي ولعا شديدا، ودرس بتعمق شعره وشاعريته، ففضلا عن تحقيقه ديوان شوقي وشرحه في جزأين، ألف له ثلاثة كتب: «وطنية شوقي»، و«الإسلام في شعر شوقي»، و«النسيب في شعر شوقي».

■ مثل كتابه «الوطنية في شعر شوقي» دراسة رائدة في عصر لم يكن يرحب بمثلها، ولكن الحوفي كان من الذكاء بحيث تمكن من صياغتها جامعا بين رضا العصر والسياسة، وتوصيل رسالته، وأبان عن جوانب من شعر شوقي كادت تطمس في ذلك العصر.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الدكتور أحمد الحوفي عشر مساهمات مع مجلة الوعي الإسلامي، جاءت تحت عناوين: (ع:٢، الإيمان بالقضاء قوة دافعة) - (ع:٨، القضاء والحرية) - (ع:١٨، باطل زاهق) - (ع:٥٦، الجهاد اليوم فريضة عين) - (ع:٦٩، نظرية الوسطية في الأخلاق) - (ع:٧١، الضمير) - (ع:٨٢، زهد المؤثر) - (ع:١١٥، الإيمان بالقدر قوة) - (ع:١١٨، وشاورهم في الأمر) - (ع:١٢٠، أحكام قرآنية).

وفاته

■ ترجل الفارس الأديب عن صهوة جواد الأدب عام ١٩٨٣م، بعد صراع طويل مع المرض، مخلفا وراءه، رحمة الله عليه، إرثا أدبيا عظيما، ومكانا فارغا في سماء الأدب العربي يصعب ملؤه، وقد نعته الجامعات والمجامع العربية.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- موقع الجزيرة (الدكتور الجوادي).
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد / تركي محمد النصر ❖

الكلب الوفي

❖ قال ابن المرزبان رحمه الله: (واعلم أعزك الله أن الكلب لمن يقتنيه أشفق من الوالد على ولده، والأخ الشقيق على أخيه، وذلك أنه يحرس ربه ويحمي حريمه شاهدا وغائبا ونائما ويقظانا، لا يقصر عن ذلك وإن جفوه ولا يخذلهم وإن خذلوه).

❖ ورأى عمر بن الخطاب أعرابيا يسوق كلبا، فقال: (ما هذا معك؟) فقال: يا أمير المؤمنين، نعم الصاحب، إن أعطيته شكر وإن منعته صبر. قال عمر: (نعم الصاحب؛ فاستمسك به).

قال الأحنف بن قيس: (إذا بصبص الكلب لك فثق بود منه، ولا تثق ببصابص الناس فرب مبصبص خوان).

❖ قال الشعبي: (خير خصلة في الكلب أنه لا ينافق في محبته).

❖ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (كلب أمين خير من إنسان خؤون).

انظر: فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، لابن المرزبان، (ص/٣٦).

الثبات عند المصيبة

خطب عمر بن عبدالعزيز الناس بعد وفاة ابنه عبدالملك، ونهى عن البكاء عليه، وقال: (إن الله جل ذكره لم يجعل لمسيء ولا لمحسن خلودا في الدنيا، ولم يرض بما أعجب أهلها ثوابا لأهل طاعته، ولا ببلائها عقوبة لأهل معصيته، فكل ما فيها من محبوب متروك، وكل ما فيها من مكروه مضمحل. كتب على أهلها الفناء، وأخبر أنه يرث الأرض ومن عليها. فاتقوا الله، واعلموا ليوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا).

انظر: التعازي والمراثي، للمبرد، (ص/٧٨).

أثر الذنوب على النعم

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (فما أذنب عبد ذنبا إلا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب وراجع رجعت إليه أو مثلها، وإن أصر لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة حتى تسلب النعم كلها، قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (الرعد:١١)، وأعظم النعم الإيمان، وذنب الزنا والسرقة وشرب الخمر وانتهاب النهبة يزيلها ويسلبها).

انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، (ص/٢٧١).

السلامة مقدمة على الغنيمة

قال العلامة الشبشيري رحمه الله في شرحه على الأربعين النووية: (لا تتكلم بما لا يعنيك، أو بما يهجس في نفسك من الوسواس، فإنك غير مؤاخذ به، ما لم يظهر؛ ولأن الجهاد وغيره من أعمال الطاعة غنيمة، وكف اللسان عن المحارم سلامة، والسلامة في نظر العقلاء مقدمة على الغنيمة... وفي الحكمة: لسانك أسدك، إن أطلقته افترسك، وإن أمسكته حرسك).

انظر: الجواهر البهية (ص/٧٣).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

العلماء قوام الدين

قال العلامة أبو القاسم الرحبي، المعروف بابن السمناني رحمه اللّٰه تعالى: (فقوام الدين بالعلماء، وثبات الشرع بالفقهاء، فلولاهم لما عرف حلال من حرام، ولا حق من باطل، ولا أمر من نهي، ولا ناسخ من منسوخ، ولا مجمل من مبين، ولا مباح من سنة، ولا سنة من بدعة، ولا فرض من نفل، ولا صدق من كذب، ولا نبي من متنب، ولا إمام من أنام، فهم صفوة الخلق، وشهود اللّٰه على الحق، وأحق الناس بالإكرام والتعظيم، فاللّٰه يرعى من رعاهم، ويكرم من يكرمهم، ويعظم من يعظمهم من كبير أو صغير).

انظر: روضة القضاة وطريق النجاة، (١/ ٤٠).

موضع المحنة والابتلاء

قال العلامة ابن القيم رحمه اللّٰه تعالى: (النفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب يدعو عبده إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى. والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة، وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء).

انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (١/ ٧٦).

التوحيد

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه اللّٰه تعالى: (اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الكفر؛ فاغفر لي ما بينهما).

انظر: يرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي، (ص/ ٢٣٠).

نجيب بني أمية

سئل محمد بن علي بن حسين رحمه اللّٰه عن عمر بن عبدالعزيز، فقال: أما علمت أن لكل قوم نجيبا، وأن نجيب بني أمية عمر بن عبدالعزيز، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده.

انظر: سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، لابن الجوزي، (ص/ ٧٤).

الكبر والإعجاب

قال العلامة أبو بكر الطرطوشي المالكي رحمه اللّٰه تعالى: (ومن أعجب العجائب: دوام الملك مع الكبر والإعجاب! اعلموا أن الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل، لأن الكبير يكون بالمنزلة، والعجب يكون بالفضيلة، والمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين، وحسبك من رذيلة تمنع من استماع النصح وقبول التأديب... واعلم أن الكبر يوجب المقت، ومن مقته رجاله لم يستقم حاله، ومن أبغضته بطانته كان كمن غص بالماء، ومن كرهته الحماة تطاولت إليه الأعداء).

انظر: سراج الملوك، (ص/ ٥٦).



إعداد: التحرير



الثقافة الغذائية للأطفال

إن تنمية الوعي والثقافة الغذائية لدى الأطفال مطلب ضروري خاصة في الآونة الأخيرة التي انتشرت فيها الوجبات السريعة، والأغذية المحفوظة، وغيرها من أغذية غير صحية، والتي يقبل عليها الأطفال بنهم، في حين أنهم لا يقبلون بنفس الدرجة على تناول الحليب والتمر والفاكهة والخضراوات الطازجة، وشرب الماء، وفي هذا خطر على صحة الأطفال؛ لذا فإنه يجب على الأسرة توعية أطفالها الصغار، وأن تعمل على تنمية الوعي والثقافة الغذائية لديهم لضمان تناول الغذاء الصحي والمفيد لهم، وخاصة تناول وجبة الإفطار، وتناول الحليب والتمر والفاكهة والخضراوات الطازجة، وأن يشربوا الكميات الكافية من الماء حفاظا على صحتهم، وتوعيتهم بضرورة الإقلال من المشروبات التي تضر بالأسنان، وتسبب هشاشة العظام لدى الأطفال.

د. محمد عباس محمد عرابي



«من وصايا لقمان»

من أجمل الوصايا المأثورة عن لقمان الحكيم ما أوصى به ابنه حين قال: يا بني من يكثر الكلام يندم، ومن يكثر المراء يشتم، ومن يصاحب الصالح يغنم، ومن يصاحب رجل السوء لا يسلم.

فالوصية الأولى تحذر من كثرة الكلام وخاصة إذا كان لا يجني ثمارا ولا ينمي في الأمة خيرا، وفي هذا إشارة إلى خطورة اللسان على صاحبه لأن من الواجب أن يفكر الإنسان في كلامه قبل أن يتلفظ به لكي لا يندم فيما بعد.

والوصية الثانية تحذر من كثرة المراء والمزاح وخاصة إذا كان في غير موضعه لأن من يكثر مزاحه ومراؤه تنزع مهابته من أعين الناس، وقد يتطاول عليه أحدهم بالسب والشتم.

وأما الوصيتان الثالثة والرابعة فهما تنصحان بوجوب مصاحبة ومجالسة الصالحين الأخيار؛ حيث إنها تجلب النفع والغنم حتى ولو كانت نصيحة صادقة، وتنصح بضرورة الابتعاد عن صاحب السوء الذي لا يرجى من ورائه خير ولا يسلم من صاحب السوء أحد سواء بالقول أو بالفعل وصدق رسول الله ﷺ حين قال «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل». أبو داود والترمذي

أسامة أشرف الحسيني شميس

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







لا تحزن

كأني أراك وقد تقاذفتك الأمواج، تدفعك الخطوب من باب إلى باب، ومن عثرة إلى أخرى، وتهوي روحك في مكان سحيق لانـزواء الإيمان عنك، وبعدك عنه فتعلقت بأسباب الأرض فقط دون أن تحمل نفسك على رجاء فضل الله وعطائه ومدده وخزائنه التي لا تنفد وقدرته على إنفاذ وعده بالحياة الطيبة لمن انقاد إليه، وسح الدموع المدرارة على أعتاب بيته، مناديا مناجيا أن يحمله من كبوته وأن يقيله من عثرته، فهو سبحانه بيده مفاتيح الخزائن، فيتحول الضعف إلى قوة، والذل إلى عزة، والفاقة إلى غنى، والسقم إلى عافية، والشتات إلى وحدة، والحزن إلى مسرة، والعثار إلى نهضة..

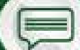
اجعل أنسك بالله، وتيقن أنه القادر وحده أن يرزقك وينصرك ويمدك بالعطاء لأنه غالب على أمره..

ولو قرأت سورة يوسف المكية لوجدت هذا المعنى ضافيا على جنبات السورة كلها، إنه سبحانه غالب على أمره، بيده مقاليد السموات والأرض ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١).

قال الحافظ ابن كثير في التفسير: (والله غالب على أمره) إذا أراد شيئا فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف، فعال لما يشاء.

وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير: أمر الله هو ما قدره وأراده فمن سعى إلى عمل يخالف ما أراده الله فحاله كحال المنازع على أن يحقق الأمر الذي أراده ويمنع حصول مراد الله تعالى، ولا يكون إلا ما أراده الله تعالى، والمعنى والله متمم ما قدره، وهذا الحكم حقيقة ثابتة لا يجهل شأنها لأن عليها شواهد من أحوال الحدثان، ولذلك ذيلت الآيات بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

د. علي الخطيب



الجانب النفسي في الزكاة

الزكاة هي الركن الثالث في الإسلام بعد الشهادتين والصلاة، قال النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا» (متفق عليه)، وهي حق معلوم يؤخذ من الغني ويعطى للفقير، وهي تطهير للمال، وحفظ للبدن ولكل ما تملك.

والزكاة طهارة للمجتمع كله من عوامل الهدم والتفرقة والصراع والفتن، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة:١٠٣)، وهي كذلك وسيلة من وسائل الضمان الاجتماعي، ووسيلة لتقريب المسافة بين الأغنياء والفقراء، وهي أمضى وأقوى سلاح في محاربة كنز المال ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ (التوبة:٣٤-٣٥).

والزكاة نماء لشخصية الفقير، حيث يحس أنه ليس ضائعا في المجتمع، وأن مجتمعه يعمل على إقالة عثرته ويحمل عنه أثقاله.

د. محمد محمود العطار

الكويت دار أمن وأمان..

وتبقى الكويت شامخة بحكامها وشامخة بأهلها ثابتة بفضل من الله ونظامها الاجتماعي الفريد وحب حكامها لشعبها وحب الشعب لحكامها على مدار السنوات منذ تأسيسها واستقلالها، مما جعلها عروس الخليج التي تزهو بإنجازاتها وازدهارها.

فالكويت في كل عام تحتفل بأيامها الوطنية منذ استقلالها في ٢٥ فبراير ١٩٦١م لتؤكد اللّحمة الوطنية، ثم جاء تاريخ ٢٦ فبراير يوم تحرير الكويت ليجمع شهر فبراير بأعز ذكرى؛ استقلاله وتحريره.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن استقلال الوطن كان وسيبقى بأبنائه الشرفاء الذين لا يرضون إلا النجاح والتقدم والرقي لوطنهم، آخذين بعين الاعتبار كلام صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الصباح «إن كويت الغد تواجه تحديا كبيرا يتمثل في الحفاظ على متانة وسلامة اقتصادنا الوطني».

فحب الوطن يتجلى بالإنجازات الصادقة والحفاظ على مرافقه العامة وحسن التدبير في الموارد المالية، والرقي في التعليم والصحة، كلنا للكويت يعمل وكلنا للكويت عطاء وحبا وتضحية، كما سُلمت من الآباء والأجداد، فلنعلِّم حب الوطن للأبناء، وهذا الحب الحقيقي هو بالبناء للإنسان الذي يعرف حق الوطن عليه ويحترم دوره في المجتمع ومسؤوليته تجاه الوطن، وقد قال العرب: «إذا أردت أن تعرف الرجل، فانظر كيف تحننه إلى أوطانه، وتشوقه لإخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه».

وقد قال الشاعر أكثم بن صيفي في حب الوطن:

ولي وطن آليت ألا أبيعه ... وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة ... كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا

أمان مصطفى أمان
مدير إدارة التفتيش والتدقيق
بوزارة الأوقاف - الكويت

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٧١) رجب ١٤٤٢ هـ - مارس - ٢٠٢١ م

مجاناً مع العدد: بزاعم الإيمان

الإسراء والمعراج معجزة الله لرسوله

- الشَّيخ الغزاليُّ الدَّاعِيَة القُرآنيُّ
- النَّجاحُ الإداريُّ في صَدرِ الإسلام


موقع مجلة الوعي الإسلامي

alwaeiq8@gmail.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعى الإسلامى

جديدنا



أبحاث مُعاصرة في الفقه الطبي

إصدارٌ علميٌّ فقهيٌّ مقاصِديٌّ يحتوي أبحاثًا مُعاصرةً في الفقهِ الطِّبِّيِّ، أعدَّها وقَرَّبها فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن أحمد الجِرعي حفظه الله؛ لتكون بمتناول الجميع للاستفادة منها.

والكتاب ضمن سلسلة الإصدارات النافقة المفيدة لمجلة الوعي الإسلامي ويحمل الرقم مئة وواحد وتسعين.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

بهجة التحرير

ينعم بلدنا الغالي الكويت -بفضل الله وكرمه ومنه- بالأمن والأمان والاطمئنان والازدهار، ومع انطلاقة هذه الحقبة المباركة لأميرنا صاحب السمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه ازدادت الطمأنينة في النفوس، وخصوصا مع ذكرى تحرير البلاد من عبث الغزاة المعتدين الذين عاثوا في الأرض فسادا وإفسادا؛ حيث يتذكر الجميع ما من الله به على هذه البلاد المباركة من نعم متجددة وعطايا متعددة، فنعمة التحرير نعمة عظيمة تستوجب شكر المنعم تبارك وتعالى، فاللهم لك الحمد ظاهرا وباطنا بما أعطيت وتعطي، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (النحل:١٨).

إن شكر النعم هو ديدن العقلاء الذين يدركون أن النعمة تدوم بالشكر وأنه ما وقع بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بالاستغفار والتوبة، وقد قال سلفنا الصالح رحمهم الله: إن المعصية قد تكون سببا في توقف الرزق، وجلب البلاء، فعلينا تجديد التوبة مع الله تعالى، وقد كان رسول الله ﷺ إذا شرب الماء قال: «الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته، ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا» (رواه الطبراني). فالمعاصي نار النعم، تأكلها كما تأكل النار الحطب.

فالشكر عبادة جليلة لا يوفق إليها إلا من اصطفاه الله وفضله، وقليل ما هم كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سبأ:١٣)، وقد كان نبينا ﷺ يكثر من قوله: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (رواه أبو داود).

هذا، وينبغي على المسلم أن يشعر بالمسؤولية الكاملة تجاه وطنه، ويقوم بواجبه تجاهه، ومن ذلك المساهمة في إعماره والحفاظ على أمنه، ومساعدة القيادة على مكافحة الفساد وسبل العبث، وتقديم النصح بما يقوم الأخطاء، ويصلح الخلل، ولا يثير الفتن، وهذا من باب التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ (المائدة:٢).

إن الكويت تستحق منا أن نقدم الغالي والنفيس، تستحق منا صدق الانتماء، وصلاح المواطنة، والدفاع عن عقيدتها وهويتها المسلمة التي نفتخر بها ونعتز بالانتماء إليها، والمحافظة على إرث الأجداد الذين أسسوه بجهودهم وعرقهم الطاهر، وشعورهم بالمسؤولية تجاه بلدهم، فأوصوا أبناءهم بنبذ الفرقة والاختلاف اللذين يعصفان باستقرار البلاد والعباد، وحثوا أحفادهم على الألفة والاتفاق، متمثلين بذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ (الأنفال:٤٦)، ومتمثلين قول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه شيء، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه أحمد).

وختاما؛ نسأل الله العلي القدير أن يحفظ هذه البلاد من حقد الحاقدين وعبث العابثين، ويديم عليها نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يحفظ أميرنا ويلبسه ثوب الصحة والعافية، وأن يحفظ أمتنا الإسلامية في شتى أرجاء المعمورة والعالم من الوباء والبلاء، وأن يعين بلادنا على الاستمرار في رحلاتها الإغاثية للمنكوبين في كل مكان، إنها لمنة عظيمة أن يسخرنا الله لمساعدة إخواننا وتضميد جراحاتهم، وتسكين آلامهم.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٧١/ رجب ١٤٤٢ هـ
العام الثامن والخمسون
مارس ٢٠٢١م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان: ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر: دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



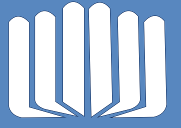
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

القدس قضيتنا

تظل القدس قضية المسلمين الكبرى وجرحهم الذي تصغر أمامه كل الجراح وإن تعددت وتكاثرت في هذا الزمان، ليس لأنها قضية أرض ودولة وحق مغتصب فقط، وإنما لكونها قضية عقيدة وإيمان لدى كل مسلم، فهي أرض الإسراء ومنها كان المعراج بالنبي ﷺ إلى السموات العلا، وإليها هبط النبي ﷺ محملا بأمانة الصلاة إلى الأمة حتى قيام الساعة.

وهي أرض باركها الله وبارك ما حولها، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١)، وهي أرض المحشر والمنشر، وهي أرض الرباط، وهي أرض الطائفة المنصورة، قال عنها رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يارسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس» (أخرجه أحمد).

ستظل قضية القدس والمسجد الأقصى عنوانا لكل مسلم صاحب عقيدة سليمة، وستظل عصية على كل محاولات طمس هويتها وتمييع قضيتها، وستظل فلسطين من البحر إلى النهر جزءا لا يتجزأ من جسد الأمة المسلمة حتى يأتي نصر الله وهو قريب.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- باقي دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



د. جميلة مرابط
باحثة في القانون العام
والعلاقات الدولية



إن منطق الحياة في العالم المعاصر يفترض التعدد والاختلاف في الرؤى والأفكار، ولا يمكن محو الاختلافات بمنطق التبسيطات التعسفية؛ فالعالم الحي هو عالم الحركة الدائمة والاستقرار، وإن كان مصحوبا بالاحتكاكات الحادة التي تكرس نوعا من العنف والتطرف والأحقاد وانسداد الآفاق، والغريب في الأمر، أن أي شيء يحدث في جزء من العالم يؤثر على الكوكب كله سلبيا أو إيجابيا، وأية متغيرات محلية تتبادل بشكل متزايد التأثير والتأثر مع السياق العالمي كله.



وسطية الإسلام واعتداله أسلوب لصناعة السلام

وبتزايد هذه التغيرات والتحديات العالمية التي تعيشها الإنسانية منذ بداية القرن، أصبح الأمر يتطلب نموذجا للتراضي والتوافق، يحارب التقوقع حول (الأنا) الضيقة، ويخلق وعيا عميقا لدى مختلف الأفراد والشعوب، يقصد البحث عن أفضل السبل لكيفية التصرف بحكمة وتوازن أثناء التوترات والأزمات، بشكل يؤدي إلى امتصاص العنف، والحد من نزعات التطرف، وهذا ما يدفعنا إلى أن ننطلق من منظومة متكاملة تكون قاعدتها التوازن والعدل والتسامح، تكرس التعددية ونبذ الإرهاب والتطرف بكل أشكاله، بل خلق الشروط الضرورية لتتحول الصراعات بشكل إيجابي إلى مواقف تعاونية، للوصول إلى حياة مستقرة بين الجميع يسودها السلام والحب والصفاء.

وباستقراء التاريخ الإنساني عامة والإسلامي خاصة، نجد أن الإسلام عبر قرون عديدة، في مواجهته لحضارات متعددة، وأنظمة متنوعة؛ تعامل بالحكمة والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع واحترم كرامة الإنسان وحقوقه، بعدم المحو أو الإهلاك، واستوعب أوضاعها، ووصل بالمجتمع الإنساني إلى أعلى درجات التنظيم على أسس من العدل والمساواة، والإخاء، والسلم والسلام.

فالناظر بموضوعية في الشريعة الإسلامية يجد، أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بالاستقامة والاعتدال، ونهاهم عن الغلو والانحلال، والتعصب، وأن تُحترم التعددية الثقافية والدينية والحضارية، وبذل عدة خيارات مبنية على الوسطية والسلام والعدل والرحمة، فقال سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل:١٢٥).

فالوسطية هي السمة الثابتة والبارزة في كل باب من أبواب الإسلام، بل هي العدسة التي تجمع أشعة المنهج الإسلامي وزاويته التي يرى من خلالها، وطوق النجاة من الانشطارية في المتقابلات المتناقضة التي حدثت في الأمم؛ هذا ما دفعنا إلى توضيح معالم هذا الأسلوب المبني على العدل، والمساواة والسماحة، وكيف أصبح لبنة

مركزية لكل سلام ومحبة منشودة عبر العالم.

الوسطية طريق للسلام عبر التسامح وإرساء التوازنات

إن ما يوضح الشيء عن غيره ويميزه هو أوصافه وملامحه، فقد استقر عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة وسط أرادوا معاني الخير والعدل والجودة والرفعة والمكانة العالية، فالمراد بالوسطية من ناحية الاصطلاح الشرعي: التوازن والتعادل بين طرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر، وتكاد تتفق كلمة المفسرين على أن الوسطية تتحدد في معنيين:

الأول: الخيرية والأفضلية، والثاني: التوازن والعدل والقيام بالحق.

إلا أن معاني العدل والخيرية والأفضلية التي تشير إليها كلمة الوسط ليست وحدها التي تحدد معالم الوسطية في الإسلام، فليست المشكلة في جذر المصطلح وإنما في المدلول، لذلك فإن ما يتبادر إلى الذهن أيضا عند ذكر الوسطية: السلام والوئام والعيش في حب وتسامح.

فالإسلام دعوة حية للسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ (البقرة:٢٠٨)، بل هو عنصر أصيل في الإسلام، والدليل على ذلك أن السلام أحد أسماء الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ (الحشر:٢٣)، والسلام هو الأصل في العلاقات بين الناس أفرادا وجماعات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ (الحجرات:١٣)، والسلام يبدأ في داخل الإنسان قبل أن يصبح ممارسة مع الآخرين، قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

فإشاعة السلام بين أفراد المجتمع والأمم تحتاج إلى بيئة يسود فيها العدل والتسامح وقبلهما الحب، وهذه العاطفة عرفت تجسيدا لها طوال الحقب الإسلامية الماضية؛ فقد كان غير المسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم، يعيشون في ديار الإسلام بسلام وأمان، بل كان بعضهم يتبوأ المناصب العليا في الدولة، فكان منهم الوزير والمستشار وغير ذلك، والفضل كله يعود إلى قواعد العدل والإنصاف، وعدم التعدي على الغير، والعيش معه تحت مظلة وسطية الإسلام.

ولما كان الميزان الحسي وهو الميزان اليومي في معاملات الناس؛ أكد الله تعالى ضرورة العدل فيه في عدة آيات، وليس هناك ما هو أدل من قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ (النساء:٥٨)، قال الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: «هذه الآية من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع؛ لأن ظاهر الخطاب يشمل جميع الناس»، ويجب أن يكون الحكم بين أصناف الناس جميعا بالعدل والمساواة، دون النظر في مكانتهم الاجتماعية، أو وظيفتهم الإدارية، أو ثروتهم المالية، وحتى دينهم أو مذهبهم، قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»، وقال أيضا: «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل»، فتعاليم الدعوة في الإسلام واضحة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ (الفاتحة:٦)، هذه دعوة على أن الإسلام هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج ولا انحراف فيه، ويعد هذا لب الوسطية لا إفراط ولا تفريط.

الوسطية ليست منطقة وسطى تجعل المسلمين بلا رأي

إرساء قواعد السلام

عندما نتحدث عن الوسطية لا ينبغي أن تفهم على أنها منطقة وسطى تجعل المسلمين بلا رأي واضح، أو مسخ للدين حتى يصير بلا معالم تميزه عن غيره، إنما هي موصولة بالأصل وليست منقطعة عن العصر تجمع الخير من طرفيه فلا تمالي في دينها ولا تعجز عن المدافعة في أمور دنياها، بل جل ما تم تبنيه عالميا ضمن ما يعرف بأدبيات السلام وثقافة السلام نجده متأصلا في أصول شريعتنا ممنهجا بأسلوب وسطي في قمة من الرقي؛ فأجل صور

الوسطية هي تلك المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، والمحكومة بجملة من الأخلاق قال عليه أفضل الصلاة والسلام: «إن خياركم أحسنكم أخلاقا».

وإذا ما ألقينا نظرة على موضوعات السلام كما هو متعارف عليها دوليا، والتي دعت إليها الأمم المتحدة منذ تأسيسها في عام (١٩٤٥م)، نجدها تؤكد على مجموعة القيم المتعلقة باحترام الحياة، والاحترام الكامل لجميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية وتعزيز المساواة، والالتزام بتسوية الصراعات بالوسائل السلمية، والتمسك بمبادئ الحرية، والعدل، والتسامح، والتضامن، والتعاون، والتعددية، والتنوع الثقافي، والحوار، والتفاهم، والعمل على نشر ثقافة السلام واللاعنف.

إن كل هذه المبادئ والحقوق الموثقة سبق أن عاشتها المجتمعات الإسلامية في السابق، يكفي الإسلام شرفا وفخرا أن كلمة الحرب لم ترد في كتاب الله سبحانه مقرونة بالدعوة إليها، أو الحض عليها، أو تمجيدها، بل جاء ذكرها بوصف بشع ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد:٤).

لقد أقام الإسلام دعوته على أسس من الإقناع الحكيم والإرشاد الأمين، يأمر بالمعروف برفق، وينهى عن المنكر بإحسان، لم يتخذ الإكراه وسيلة لنشر وقبول دعوته، ولم يشرع حمل السلاح لإذلال الناس أو استباحة أملاكهم، وكل الحروب الإسلامية كانت دفاعية، أو وقائية على مر العصور، بل أمر أن يلتزم المسلم بالعهد وعدم التعرض للمعاهد بالأذى والرفق بالأسرى وعدم الغدر وعدم الاعتداء على الأطفال والعاجزين...إلخ.

وأزيد من هذا، استطاع عن طريق الوسطية استيعاب كل فئات المجتمع بإرساء مبدأ المساواة على أساس إنساني، فالناس كلهم سواسية في أصل الخليقة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (النساء:١)، بل وأمر بالإحسان وبر الوالدين وإن كانا غير مسلمين؛ فقد قدمت أم أسماء بنت أبي بكر، وهي مشركة، على ابنتها أسماء، فاستفتت أسماء النبي ﷺ هل تصلها؟ فقال: «نعم صلي أمك»، وكذلك صلة الرحم، إن كان فيهم ذو رحم، بعيادة مرضاهم، والإحسان إلى فقرائهم وزيارتهم والإهداء لهم، وقبول هديتهم وتشييع جنائزهم وغيرها.

ولدعم وتعزيز ثقافة السلام تم صياغة إعلان عرف بإعلان ثقافة السلام الذي تطور ليصبح برنامجا متكاملا، ومرشدا عاما للحكومات والمنظمات الدولية والمجتمع الدولي، وتم تضمينه في استراتيجية اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة)، والهدف منه التحول نحو ثقافة للسلام واللاعنف، وأن يعيش العالم بمختلف ثقافاته في جو من التسامح والوحدة، ونبذ العنف ونشر مفاهيم التعايش السلمي، واحترام حقوق الآخرين وحرياتهم وتراثهم، وذلك عن طريق توظيف التعليم؛ حيث ينبغي للتعليم من أجل ثقافة السلام واللاعنف، أن يتبع النهج الذي تنص عليه اتفاقية حقوق الطفل، أي: المنهج الداعي إلى إعداد الطفل لحياة تستشعر المسؤولية في مجتمع يسوده التفاهم والسلم والتسامح والمساواة بين الجنسين، والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات الوطنية والدينية؛ لأن الأطفال هم موقع ضرر ومعاناة هائلين، من خلال أشكال العنف المختلفة على جميع أصعدة المجتمع في أنحاء العالم كافة.

ومن أجل إنقاذ الأجيال القادمة من ويلات الحرب، ينبغي التحول من ثقافة الحرب والعنف إلى ثقافة السلام، أي الثقافة التي تدعو إلى احترام حياة كل إنسان وكرامته دون تحامل أو تمييز من أي نوع، ومن هنا جاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة اعتبار سنة (٢٠٠٠م) هي «السنة الدولية لثقافة السلام»، كما تبنت العقد الأول من القرن الجديد (٢٠٠١م - ٢٠١٠م) هو «العقد الدولي لثقافة السلام واللاعنف من أجل أطفال العالم»، ومن الملفت للنظر أن بنود هذا العهد لا تتعارض مع توجيهات الإسلام، فعناصر ثقافة السلام مدعاة ليقوم المسلمون بالمبادرة نحو القضايا الإنسانية؛ ذلك أن تعاليمه بسيطة وسهلة، وأحكامه الشرعية تتسم بالمرونة، ولها قابلية التجديد وتتمشى مع مقتضيات العصر والمسائل المستجدة، رحمة بالناس، لهذا نجده عليه أفضل الصلاة والسلام يقول: «هلك المتنطعون»، قالها ثلاثا، أي أن الهلاك من نصيب أولئك الذين يغلون في الأقوال والأفعال ويتجاوزون الحدود المرسومة لهم.

وأحب أن أشير في هذا الإطار إلى مقولة لـ «جياندو مينيكو بيكوا **Giando minico Picco**» الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة لسنة (٢٠٠١م) لحوار الحضارات «ليس التاريخ هو من يقتل، وليست الديانات هي التي تغتصب النساء، وليس نقاء الدم هو الذي يهدم البيوت، فقط الأفراد هم من يفعلون ذلك».

وأختم بقولي: إن الإنسان بإنسانيته لا بزمانه ولا بمكانه، فعلينا البحث دائما عما وراء الفكرة وما لا تراه العين وما لا تسمعه الأذن.



د. عامر درويش
باحث في اللغويات
والقراءات القرآنية

دلالة العموم والخصوص في القراءات القرآنية المتواترة

النص القرآني عربي معجز ببيانه وأسلوبه، ومما زاد في سموه تعدد القراءات المتواترة فيه، فالكلمة القرآنية نفسها قد تقرأ في بعض المواضع بصيغتين مختلفتين.

وهذا ما دفعني إلى البحث في معاني القراءات القرآنية المتواترة والعلاقة المعنوية بين قراءة وأختها في سياق واحد مع أوجه الترابط، فوجدت علاقة العموم والخصوص في اختلاف القراءات القرآنية؛ فإحدى القراءتين تدل على معنى محدد، والقراءة الأخرى تؤكد ذلك المعنى وتزيده اتساعا وشمولا. وسوف نقف في هذا المقال على بعض الآيات القرآنية التي تبين لي ارتباط القراءات فيها بعلاقة العموم والخصوص. ومنها:

في قول الله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (الأنعام:١١٩). قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾، وقرأ ابن عامر وابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو ونافع ويعقوب بفتحها (ليَضلون)[١].

وفي أصل الاشتقاق (ضل) يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه[٢]. ومن المجاز: ضل في الدين، وهو ضال وضليل وصاحب ضلال وضلالة[٣].

ودلالة قراءة (ليَضلون) أنهم الذين ضلوا في أنفسهم، وفي قراءة ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ أضلوا غيرهم. و«المعنى الحاصل من القراءتين متحد؛ لأنهم إذا ضلوا في أنفسهم وهم قادة قومهم كان ضلالهم تضليلا لغيرهم، وكذلك إذا أضلوا الناس فإنهم ما أضلوهم إلا وهم ضالون مثلهم»[٤]. ولكن قراءة الضم أعم؛ لأن كل مضل ضال في نفسه، وليس كل ضال مضلا غيره.

وفي قول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام:١٠٥).

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الدال، وإسكان السين وفتح التاء (دارَسْتَ)، وقرأ ابن عامر ويعقوب بغير ألف وفتح السين، وإسكان التاء (درسَتْ)، وقرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر وحمزة ونافع والكسائي ويعقوب وخلف بغير ألف، وإسكان السين وفتح التاء (دَرَسْتَ)[٥]

وفي أصل الاشتقاق (درس) يدل على خفاء وخفض وعفاء. يقال درس المنزل: عفا. ومن الباب درست القرآن وغيره. وذلك أن الدارس يتتبع ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتبعه[٦]. ودرس الشيء معناه بقي أثره. ومنه درس الكتاب ودرست العلم أي تناولت أثره بالحفظ. ولما كان تناول ذلك بمداومة القرآن عبر عن إدامة القرآن بالدرس[٧]. ودرس الكتاب يدرسه درسا ودراسة، ودارسه من ذلك، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه[٨].

ودلالة قراءة ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ الخطاب للنبي محمد ﷺ «حفظت وأتقنت بالدرس أخبار الأولين كما حكى عنهم ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ (الفرقان:٥)، أي تكرر عليها بالدرس ليحفظها»[٩].

فالفعل (درس) من الدراسة. والرسول متهم بأن ما جاء به من القرآن إنما جمعه من قصص الأمم السابقة وأخبارها التي كان يتلقاها ويتعلمها -بزعمهم- من البشر أو من الجن أو منهما معا، وجاءت الآيات تذكر افتراءاتهم، وتدحض كذبهم.

وأما قراءة (وليقولوا دارَسْتَ)، فدلالتها: «دارست يا محمد غيرك من أهل الأخبار الماضية والقرون الخالية حتى حفظتها فقلتها، كما حكى عنهم فقال: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ (النحل:١٠٣) وفي التفسير: أنهم كانوا يقولون: هو يدارس سلمان وعداسا»[١٠]. فالفعل (دارس) من المدارسة، وهو -بزعمهم- جالس أهل الكتاب فتعلم منهم وتأثر بهم، ثم أصبح معلما غيره.

وهذه القراءة ﴿وليقولوا دارَسْتَ﴾ أعم من قراءة (وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ)؛ إذ جمعت في شخصية النبي صفتي المعلم والمتعلم، وتضمنت دلالة القراءة الأولى؛ لأن من يعلم لابد له من معلم، وكأنها تمثل المرحلة الثانية التي أصبح فيها مدرسا غيره بعد ما كان طالبا متلقيا، وهذا ما يوضح علاقة العموم والخصوص بين القراءتين؛ إذ كل معلم متعلم، وليس كل متعلم معلما.

وفي قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦﴾ (محمد: ٤-٦)، قرأ أبوعمرو وحفص عن عاصم ويعقوب بضم القاف وكسر التاء من غير ألف بينهما ﴿قُتِلُواْ﴾، وقرأ ابن عامر وابن كثير وأبو جعفر وحمزة ونافع والكسائي وشعبة عن عاصم وخلف بفتح القاف والتاء وألف بينهما (قَاتَلوا)[١١].

في قراءة ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ بيان لجزاء المقتولين في سبيل الله. وقراءة ﴿والذين قَاتَلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ إخبار عن جزاء القتال في سبيل الله. ويظهر أثر اختلاف الصيغة في الدلالة جليا، فكل قراءة رتبت الجزاء على حدث؛ فالأولى جعلت الجزاء خاصا بمن قتل في سبيل الله، وقراءة المبني للمعلوم لم تخصص الجزاء للمقتولين؛ بل جعلته أيضا لمن قاتل في سبيل الله وإن لم يقتل.

والظاهر أن قراءة المبني للمعلوم (قَاتلوا) أكثر فائدة وأعم تناولا. فالذين (قَاتَلوا) أعم من ﴿قُتِلُواْ﴾؛ ألا ترى أن الذي قاتل ولم يقتل لم يضل عمله، كما أن الذي قتل كذلك؟ فإذا كان (قَاتَلوا) يشتمل القبيلين، وقد حصل للمقاتل الثواب في قتاله، كما حصل للمقتول كان لعمومه أولى»[١٢]. وهذا لا نجده في قراءة المبني للمجهول؛ إذ ربطت الأجر بالشهادة.

وفي قول الله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (النجم:١٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب بفتح التاء وإسكان الميم من غير ألف (أفتَمْرونه)، وقرأ ابن عامر وابن كثير وعاصم وأبو جعفر وأبو عمرو ونافع ويعقوب بضم التاء وفتح الميم والألف بعدها ﴿أفتُمَارونه﴾[١٣].

في أصل الاشتقاق (مري) يدل على مسح شيء واستدرار، وعلى صلابة في شيء. فالأول المري: مري الناقة، وذلك إذا مسحت للحلب، والأصل الآخر المرو: جمع مروة، وهي حجارة تبرق. والمراء مما يتمارى فيه الرجلان من هذا؛ لأنه كلام فيه بعض الشدة[١٤].

دلالة قراءة (أفتَمْرونه) الجحد. يقال: «مريت حقه أمريه مريا، أي:

جحدته»[15]. والأصل في المري الدلالة الحسية (مري الناقة)، ووجه المناسبة بين دلالة الوضع والاستعمال القرآني بالدلالة المعنوية (الجحد) استخراج شيء ثم الاستئثار به. فالمشركون يتتبعون أخبار النبي، ثم يتولون وقد أخفوا الحقيقة؛ رغبة في المعاندة. فجاءت القراءة تكشف ضلالهم «أفتطمعون في الغلبة أو تدعونها، أو هو إنكار لتأتي الغلبة»[16].

وأما قراءة (أفتُمَارونه) فهي من المراء. قال الزمخشري: «من المري، وهو مسح الحالب الضرع ليستنزل اللبن. ويقال للمناظرة مماراة؛ لأن المتناظرين كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه»[17].

أفادت قراءة (أفتُمَارونه) العموم؛ إذ جاء الجحود والتكذيب في مجادلة المشركين النبي؛ فهي «منتظمة للمعنيين جميعا»[18]. والذي يقربه أن المشركين جمعوا بين الإنكار والجدال. وهذا تأكيد لدلالة (أفتمْرونه)، وتأسيس لمعنى جديد هو المجادلة.

وما يؤكد العموم أن المجادلة تطلب فريقين (المشركين والنبي)؛ فهي فأعم. أما صيغة (فعل) فأخص؛ ووجهها الدلالة على جحود المشركين، وهم فريق واحد.

وفي قول الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد:18). قرأ ابن كثير وشعبة عن عاصم بتخفيف الصاد وتشديد الدال فيهما (المصَدِّقين والمصَدِّقات)، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وأبو عمرو وحمزة ونافع وحفص عن عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بتشديد الصاد والدال ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾[19].

في أصل الاشتقاق (صدق) يدل على قوة في الشيء قولا وغيره. من ذلك الصدق: خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، هو باطل. ومن الباب الصدقة: ما يتصدق به المرء عن نفسه وماله[20].

قراءة ﴿ٱلْمُصَدِّقِينَ وَٱلْمُصَدِّقَٰتِ﴾ من التصديق، والمصدق هو المؤمن. فيكون المعنى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ لأن إقراض الله من الأعمال الصالحة»[21]. كأنه قال: إن المؤمنين والمؤمنات، أي: الذين صدقوا الله ورسوله؛ لأن التصديق هو الإيمان.

وفي قراءة ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ يكون المصَّدِّق من التصدق، وهو المنفق؛ والمعنى: إن الذين تصدقوا فلهم الجزاء المضاعف. و«يؤيد ذلك ما ذكر في حرف أبي بن كعب (30هـ) أنه قرأ بالتاء: (إن المتصدقين والمتصدقات)»[22].

ولفظ ﴿المُصَدِّقين﴾ أعم من ﴿المُصَّدِّقين﴾؛ «لأن ﴿المصَّدِّقين﴾ مقصور على الصدقة، و(المُصَدِّقين) تعم التصديق والصدقة؛ لأن الصدقة من الإيمان فهو أذهب في باب المدح»[23].

وعليه فالآية بالقراءتين غدت كالعام (الإيمان) والخاص (الصدقة)، وذكر الأخص مع الأعم إنما يكون لأهميته، والحمل على العناية به.

وفي نهاية هذا البحث أقول: جاءت اختلافات القراءات القرآنية المتواترة مراعية كلام العرب وسننهم، وهذا ما أكده البحث من خلال إظهاره لقوة الترابط بين القراءتين في الآية الواحدة. وكشف تعدد القراءات وتنوع دلالاتها أضربا من البلاغة والإيجاز، وهذا كله مما يندرج في الإعجاز القرآني. وأفاد اختلاف القراءات القرآنية العموم الذي يوسع دلالة القراءة، ويدعو إلى التدبر والتفكر في دلالة كل قراءة.

الهوامش

1- المبسوط في القراءات العشر ص:201-202، والنشر في القراءات العشر 2/ 262.
2- مقاييس اللغة مادة (ضل).
3- معجم أساس البلاغة مادة (ضل).
4- تفسير التحرير والتنوير 11/270.
5- المبسوط في القراءات العشر ص:200، والنشر في القراءات العشر 2/261.
6- مقاييس اللغة مادة (درس).
7- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 2/594.
8- لسان العرب مادة (درس).
9- الدر المصون 5/96.
10- الدر المصون 5/96. وينظر: زاد المسير في علم التفسير 2/ 63.
11- المبسوط في القراءات العشر ص:408، والنشر في القراءات العشر 2/374.
12- الحجة للقراء السبعة 6/190.
13- المبسوط في القراءات العشر ص:419، والنشر في القراءات العشر 2/379.
14- مقاييس اللغة مادة (مري).
15- جمهرة اللغة 2/1069.
16- أساس البلاغة مادة (مري).
17- الفائق في غريب الحديث والأثر 3/356.
18- التبيان في أقسام القرآن ص:377.
19- المبسوط في القراءات العشر ص:430، والنشر في القراءات العشر 2/384.
20- مقاييس اللغة مادة (صدق).
21- الحجة للقراء السبعة 6/ 274.
22- تفسير الماتريدي 9/ 525.
23- الحجة للقراء السبعة 6/ 275.



د. عمرو محمد الكمار
دكتوراه في الحديث وعلومه

مرحلة تدوين المسانيد في القرن الثالث الهجري

لقد عرفت الحركة العلمية والاهتمام بالتأليف والتصنيف في هذا العصر ازدهارا وانتعاشا لم يعرف له مثيل لا من قبل ولا من بعد هذه الفترة، وذلك بسبب توافر عدد ضخم من رواد العلم والثقافة في هذا العصر، ففيها عاش أئمة المحدثين وجهابذة المفسرين وأساطين الأدباء، وأرباب الكلام، وما بين أيدينا اليوم من تراثهم الوفير في شتى التخصصات إنما هو غيض من فيض، فقد قدموا لطلاب العلم والثقافة آلاف المجلدات في كل فن من الفنون، وفي شتى أنواع العلوم.

كذلك كان للانقسام السياسي في هذه الحقبة الأثر العظيم في ذلك الازدهار العلمي، فرغم خروج الكثير من أقاليم الخلافة الإسلامية عن سلطة بغداد واستقلالها عنها، إلا أن هذه الأقاليم كانت نفسها سببا في هذا الازدهار، حيث إنها لم تكن متنافسة فيما بينها في شؤون السياسة فحسب، بل كانت أيضا متنافسة أشد ما يكون التنافس في جلب الأدباء والعلماء والإغداق في العطاء والبذل لتشجيعهم على البحث والتأليف.

ولعل من أسباب هذا النشاط العلمي والازدهار في حركة التأليف والتدوين: هو شعور العلماء بعظم المهمة الملقاة عليهم، والأمانة التي حملوها في أعناقهم نظرا لما تفشى في المسلمين من البدع واندثار للسنن، وغير ذلك من أنواع المروق عن الدين.

وقد انتهج أئمة الحديث في القرن الثالث الهجري مناهج متعددة وطرقا مختلفة لخدمة السنة النبوية المطهرة، منها التصنيف على المسانيد:

وهو عبارة عن جمع أحاديث كل صحابي على حدة، وإن اختلفت الموضوعات التي تتناولها تلك الأحاديث، سواء كان الحديث صحيحا أو حسنا أو ضعيفا[١]، وقد رتبت المسانيد على حروف الهجاء في أسماء الصحابة، أو على القبائل، أو على السابقة في الإسلام، وقد يقتصر في بعضها على أحاديث صحابي واحد كمسند أبي بكر، أو أحاديث جماعة منهم كمسند الخلفاء الأربعة، أو العشرة المبشرين بالجنة إلى غير ذلك، ولعل الدافع لهذا النهج من التصنيف تيسير الحفظ لمن يريد حفظ السنة، فتكون أحاديث الصحابي وحدة مستقلة كالسورة من القرآن.

ومن أشهر تلك المسانيد

١- مسند أبي داود، سليمان بن داود بن الجارود[٢] الطيالسي[٣]، وهو أول مسند صنف، وقد جمعه عنه تلميذه يونس بن حبيب[٤]، صدره بمسند العشرة المبشرين بالجنة، ثم ذكر عدد من السابقين في الإسلام، ثم ختمه بمسند عبدالله بن عباس، وجعل مسانيد النساء وسط الرجال، وجاء عدد أحاديثه ٢٨٩٠ حديثا. وقد رتبه على الأبواب الفقهية الشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي، في كتاب منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، وزيله بالتعليق المحمود على منحة المعبود له أيضا.

٢- مسند أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤٠هـ[٥]، وهو أشهر تلك المسانيد، وفيه زيادات ولده عبدالله بن أحمد[٦]، ويسير من زيادات أبي بكر القطيعي[٧] الراوي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، ولم يشترط الإمام أحمد في مسنده جمع الحديث الصحيح، ففيه الصحيح وغيره من الحسن والضعيف، وقد ذكر الحافظ العراقي أن في المسند أحاديث موضوعة، وذلك في شرحه لمقدمة ابن الصلاح المسمى التقييد والإيضاح في التنبيهات التي ذكرها بعد حديثه عن الحديث الحسن في التنبيه السادس[٨]. فألف الحافظ ابن حجر العسقلاني كتابا أسماه: «القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد» ذكر فيه الأحاديث التي ذكرها العراقي وهي تسعة أحاديث. وأضاف إليه خمسة عشر حديثا أوردها ابن الجوزي في كتابه: «الموضوعات» ورد عليها جميعا، وهو مطبوع في جزء صغير عدة طبعات منها طبعة بتحقيق عبدالله محمد الدرويش بدار اليمامة دمشق ١٤٠٥هـ.

وقد بدأ الإمام أحمد الكتاب بمسانيد الخلفاء الأربعة بترتيب تولي الخلافة، ثم مسانيد باقي العشرة المبشرين بالجنة، ثم مسانيد عبدالرحمن بن أبي بكر، وزيد بن خارجة، والحارث بن خزمة، وسعد مولى أبي بكر، ثم مسانيد أهل البيت، ثم مسانيد مشاهير الصحابة، ثم مسانيد المكيين من الصحابة، ثم مسانيد الشاميين من الصحابة، ثم مسانيد الكوفيين من الصحابة، ثم مسانيد البصريين من الصحابة، ثم مسانيد الأنصار، ثم مسانيد النساء.

٣- مسند أبي عبدالرحمن بقى بن مخلد الأندلسي[٩]، وقد روى فيه عن ١٣٠٠ صحابي، ويعد من أوسع المسانيد، ولم يطبع إلا مقدمته ولم يعثر على مخطوطاته. قال ابن حزم: روى فيه عن ألف وثلاثمئة صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله في الحديث وجودة شيوخه، فإنه روى عن مئتي رجل وأربعة وثمانين رجلا ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام[١٠].

٤- مسند أبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي[١١]، وهو مسند كبير يقع في جزأين. وعثمان بن سعيد صاحبنا هنا هو غير الدارمي صاحب السنن المشهورة بسنن الدارمي، فهذا عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل ابن بهرام ابن عبدالله، الحافظ، الإمام، أحد الأعلام، أبو محمد التميمي، ثم

الدارمي، السمرقندي[١٢].

٥- مسند أبي محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي (بالشين المعجمة)[١٣]، ويقال الكسي بكسر الكاف وقيل بالفتح وبالسين المهملة[١٤]، والكتاب المطبوع ليس هو المسند، إنما هو منتخب منه، انتخبه إبراهيم بن خزيم الشاشي[١٥]. قال الكتاني في الرسالة المستطرفة: وله مسندان كبير وصغير، وهو المسمى بالمنتخب، وهو القدر المسموع لإبراهيم بن خريم الشاشي منه، وهو الموجود في أيدي الناس في مجلد لطيف، وهو خال عن مسانيد كثير من مشاهير الصحابة[١٦].

وقد تضمن هذا الكتاب على أحاديث مرتبة على مسانيد الصحابة، وقد بلغ عدد هؤلاء الصحابة (١٤٨) صحابيا، وجملة النصوص الواردة في الكتاب هي (١٥٩٨) نصا مسندا.

٦- مسند أبي بكر أحمد بن عمرو البزار[١٧]، له مسندان المسند الصغير، والمسند الكبير المعلل وهو المسمى البحر الزخار، يبين فيه الصحيح من غيره، وقد رتب المؤلف كتابه على مسانيد الصحابة، فبدأ بذكر الخلفاء الأربعة، ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة، ثم تراجم العباس فالحسن والحسين... إلخ. ويرتب الأحاديث تحت الصحابي على أسماء الرواة عنه، فإن كان الصحابي مكثرا رتب أسماء من دون الراوي عن الصحابي، وينبه على الخلاف في الألفاظ بين الرواة، والشواهد والمتابعات، ويتكلم المؤلف على الرواة جرحا وتعديلا، وعلى الأحاديث تصحيحا وتضعيفا.

وقد بلغ عدد أحاديثه من أوله حتى الجزء السابع عشر ١٠٠٨٢ حديثا، وترقيم أحاديث الجزء (١٨) غير متسلسل مع بقية الكتاب، وإنما جعل له المحقق ترقيما مستقلا وقد بلغ ٣٢٧ حديثا، ليكون مجموع أحاديث الكتاب ١٠٤٠٩ أحاديث.

وقد اعتنى بالمسند الكبير الإمام نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) فصنف في زوائده كتابا سماه كشف الأستار عن زوائد البزار، وهو مطبوع في أربعة مجلدات طبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، وطبعته دار الكتب العلمية ببيروت في اثني عشر مجلدا بتحقيق محمد عبدالقادر عطا(١٤٢٢هـ)، ٢٠٠١م.

وعلى أية حال فإن المسانيد لم تقتصر على جمع الحديث الصحيح بل احتوت على الأحاديث الضعيفة أيضا مما يجعل من الصعوبة الإفادة منها إلا من قبل المتخصصين في الحديث وعلومه، وكذلك فإن طريقة الترتيب في المسانيد تجعل من الصعوبة أيضا الوقوف على أحاديث حكم معين لأنها لم ترتب على أبواب الفقه.

الهوامش

١- النكت على ابن الصلاح لابن حجر ج١، ص٤٤٧.

٢- قال ابن سعد: ثقة، كثير الحديث، ربما غلط، توفي بالبصرة سنة ثلاث ومئتين، وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين سنة. التاريخ الكبير ١٠/٤، رقم ١٧٨٨، الجرح والتعديل ١١١/٤، رقم٤٩١، تاريخ بغداد ٢٤/٩، رقم ٤٦١٧، سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٩، تهذيب التهذيب ١٦٠/٤.

٣- بفتح الطاء المهملة والياء التحتانية وفي آخرها سين مهملة، هذه النسبة إلى الطيالسة، وهي التي يكون فوق العمامة. الأنساب للسمعاني (١١٣/٩).

٤- هو: أبو عبدالرحمن يونس بن حبيب الضبي مولاهم، البصري. ويعرف بالنحوي: علامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرة في عصره. قال ابن النديم: كانت حلقته بالبصرة، ينتابها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب ووفود البادية. كان مولده سنة ٩٤هـ، وتوفي سنة ١٨٣هـ. التاريخ الكبير ج٨، ص ٤١٣، رقم ٣٥٣٣، الثقات ج٩، ص٢٩٠، رقم ١٦٤٩٤، وفيات الأعيان ج٧، ص٢٤٤، سير أعلام النبلاء ج٨، ص١٩١، الأعلام للزركلي ج٨، ص٢٦١.

٥- أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، الشيباني، المروزي، ثم البغدادي. الإمام صاحب المذهب، أمير المؤمنين في الحديث. ولد ١٦٤هـ، وتوفي ٢٤١هـ. الجرح والتعديل ٢٩٢/١ - ٣١٣ و٦٨/٢، ٧٠، تاريخ بغداد ٤١٢/٤، ٤٢٣، طبقات الحنابلة ٤/١، ٢٠، وفيات الأعيان ٦٣/١، ٦٥، طبقات الحفاظ: ١٨٦، شذرات الذهب ٩٦/٢، ٩٨. سير أعلام النبلاء ١٧٧/١١.

٦- عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي، ثم البغدادي. ولد سنة ثلاث عشرة ومئتين. ومات: سنة

تسعين ومائتين. تاريخ بغداد: ٩/٣٧٥ – ٣٧٦، طبقات الحنابلة: ١/١٨٠ – ١٨٨، المنتظم: ٦/٣٩ – ٤٠، سير أعلام النبلاء ١٣/٥١٦/٢٥٧، البداية والنهاية: ١١/٩٦ – ٩٧، تهذيب التهذيب: ٥/١٤١ – ١٤٣، شذرات الذهب: ٢/٢٠٣ – ٢٠٤.

٧- أبوبكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادي القطيعي الحنبلي، الشيخ المحدث، مسند الوقت، راوي مسند الإمام أحمد، و(الزهد) و(الفضائل) له. ولد في أول سنة أربع وسبعين ومئتين. مات في ذي الحجة سنة ثمان وستين وثلاثمئة، وله خمس وتسعون سنة. تاريخ بغداد: ٤/٧٣ – ٧٤، الأنساب: ١٠/٢٠٣، طبقات الحنابلة ٢/٦ – ٧، المنتظم: ٧/٩٢ – ٩٣، البداية والنهاية: ١١/٢٩٣، سير أعلام النبلاء ١٦/٢١٠/١٤٣، النجوم الزاهرة: ٤/١٣٢، شذرات الذهب: ٣/٦٥.

٨- ص ٤٨، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد عبدالله شاهين.

٩- بقي بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، القرطبي، ولد: في حدود سنة مئتين، أو قبلها بقليل. قال الذهبي: وكان إماما مجتهدا صالحا، ربانيا صادقا مخلصا، رأسا في العلم والعمل، منقطع القرين، يفتي بالأثر، ولا يقلد أحدا. وقد تفقه بإفريقية على سحنون بن سعيد. توفي سنة ست وسبعين ومئتين. طبقات الحنابلة: ١/١٢٠، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٨٥، المنتظم: ٥/١٠٠ –١٠١، البداية والنهاية: ١١/٥٦ – ٥٧، طبقات الحفاظ: ٢٧٧، شذرات الذهب: ٢/١٦٩.

١٠- رسائل ابن حزم ج٢، ص١٧٨، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٣م.

١١- عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي، الإمام، الحافظ، الناقد، أبو سعيد التميمي، الدارمي، السجستاني، صاحب (المسند) الكبير، والرد على بشر المريسي، والرد على الجهمية وغيرهم. ولد قبل المائتين بيسير، قال الذهبي: كان عثمان الدارمي جذعا في أعين المبتدعة. وقال أبو الفضل الجارودي: كان عثمان بن سعيد إماما يقتدى به في حياته وبعد مماته. توفي في ذي الحجة، سنة ثمانين ومائتين. الجرح والتعديل: ٦/١٥٣، سير أعلام النبلاء ١٣/٣١٩، رقم١٤٨، طبقات الشافعية للسبكي: ٢/٣٠٢ – ٣٠٦، البداية والنهاية: ١١/٦٩، طبقات الحفاظ: ٢٧٤، شذرات الذهب: ٢/١٧٦.

١٢- قال أبو بكر الخطيب: كان أحد الرحالين في الحديث، والموصوفين بحفظه وجمعه والإتقان له، مع الثقة والصدق، والورع. ولد في سنة موت ابن المبارك، سنة إحدى وثمانين ومائة. ومات: في سنة خمس وخمسين ومائتين، يوم التروية بعد العصر، ودفن يوم عرفة، يوم الجمعة، وهو ابن خمس وسبعين سنة. الجرح والتعديل ٥/٩٩، تاريخ بغداد ١٠/٢٩، تهذيب الكمال: ٧٠٣، ٧٠٤، تذكرة الحفاظ ٢/٥٣٤، ٥٣٦، سير أعلام النبلاء ١٢/٢٢٤.

١٣- هو: الإمام، الحافظ، الحجة، الجوال، أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي -بالفتح والإعجام- يقال: اسمه: عبدالحميد. قال أبو حاتم البستي في كتاب (الثقات): عبدالحميد بن حميد بن نصر الكشي، وهو الذي يقال له: عبد بن حميد، وكان ممن جمع وصنف، ولد: بعد السبعين ومائة. ومات سنة تسع وأربعين ومائتين. ثقات ابن حبان ج٨، ص٤٠١، طبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند. تهذيب الكمال: ٧٦٧، سير أعلام النبلاء ١٢/٢٣٥، تهذيب التهذيب ٦/٤٥٥، ٤٥٧، طبقات الحفاظ: ٢٣٤، شذرات الذهب ٢/١٢٠.

١٤- قال ابن حجر: نسبة إلى كس تعريب كش، ولهذا ينسب إليها أيضا كشي بالمعجمة؛ وهي مدينة بما رواء النهر. قال ياقوت: قد تعرب فتكتب مهملة. وأهل تلك الديار لا يقولونها إلا بالفتح والإعجام، وهم أعرف، وقال ابن ماكولا: الكسي كسره العراقيون وغيرهم يقوله بفتح الكاف، وربما صحفه بعضهم فقاله بالشين المعجمة وهو خطأ. معجم البلدان ج٤، ص ٤٦٠، ط دار الفكر. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ج٣، ص١٢١٧، المكتبة العلمية – بيروت/لبنان، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد علي النجار.

١٥- إبراهيم بن خزيم بن قمير بن خاقان الشاشي، أبو إسحاق الشاشي، المروزي الأصل. قال الذهبي: ولم تبلغنا وفاة ابن خزيم، ولا شيء من سيرته، وهو في عداد الثقات، ومن أبناء التسعين رحمه الله. سير أعلام النبلاء ج١٤، ص٤٨٦، رقم ٢٧٢، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ج٢، ص٥٢٨. والشاشي بالألف الساكنة بين الشينين المعجمتين هذه النسبة إلى مدينة وراء نهر سيحون يقال لها الشاش وهي من ثغور الترك خرج منها جماعة كثيرة من ائمة المسلمين منهم. الأنساب ج٣، ص٣٧٥.

١٦- الرسالة المستطرفة ج١، ص٦٧، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، الطبعة: الرابعة، تحقيق : محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني.

١٧- الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البصري، البزار، صاحب (المسند) الكبير، الذي تكلم على أسانيده، ولد: سنة نيف عشرة ومئتين. قال الذهبي: وقد ارتحل في الشيخوخة ناشرا لحديثه، فحدث بأصبهان عن الكبار، وببغداد، ومصر، ومكة، والرملة. وأدركه بالرملة أجله، فمات: في سنة اثنتين وتسعين ومتين. تاريخ بغداد: ج٤/٣٣٤ – ٣٣٥، المنتظم: ج٦، ص٥٠، سير أعلام النبلاء ج١٣، ص٥٥٤، طبقات الحفاظ: ص٢٨٥، شذرات الذهب: ٢ج، ص٢٠٩.



أ.د. محمد إبراهيم العشماوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه
في جامعة الأزهر

التحذير من التهاون في الحقوق!

الحقوق الإنسانية إما فطرية أو مكتسبة، وإما مادية أو معنوية، فالحق الفطري كحق الحياة، وحق الزواج، وحق التناسل، والحق المكتسب كحق التملك وحق الانتفاع بما تملك وحق التنقل، والحق المادي كالأموال والعقارات والأشياء العينية، والحق الأدبي كاحترام الكبير، ورحمة الصغير، وتوقير العالم.

ولقد حرص الإسلام على إعطاء الحقوق بأنواعها لأصحابها، وحذر من إضاعتها أو التفريط فيها، وتوعد على ذلك بالوعيد الشديد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾(النحل:٩٠)، فالعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، والإحسان إعطاؤه إياه بما يليق به دون إساءة!

وحذر الإسلام من أكل أموال الناس بالباطل، أي بغير وجه حق، وهذا يكون بالغصب والسرقة والاختلاس والخيانة والغش والتدليس والنصب والاحتيال ونحوها من وجوه الحرام في الحصول على المال، ووضع الإسلام هذه القاعدة في المعاملات المالية في صورتين متقابلتين: نفي الحل، وإثبات الحرمة، فجاء في الحديث: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه»، «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه».

وحذر الإسلام من عضل المرأة أي منعها من التزوج بعد وفاة زوجها، طمعا في مالها، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾ (البقرة:٢٣٢)، ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ (النساء:١٩).

فالزواج حق لكل إنسان، فالمنع منه ظلم وعدوان!

وكذلك منع المرأة من اختيار شريك الحياة، وفرض بعض الرجال عليها من غير رغبة منها؛ هو من ظلم أولياء المرأة لها، ومنعها من حقها، وقد رد النبي ﷺ هذا النكاح، وأثبت للمرأة حق الاختيار، وأثبت لها حق استئذانها فيمن يرغب الزواج منها.

ومنع بعض الورثة من حقهم في الميراث، أو بخسهم بعض حقهم فيه؛ رجالا كانوا أو نساء، كبارا كانوا أو صغارا؛ هو من الظلم المحرم شرعا؛ لأن الذي قسم المواريث وأعطى كل وارث حقه؛ هو الله عزوجل، حيث قال تعالى: ﴿نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾ (النساء:٧)، أي: فرضه الله عزوجل، فكيف تمنعونه أنتم؟!

ولاشك أن هذا التصرف من الاعتداء على حدود الله عزوجل، ومن يتعد

حدود الله فأولئك هم الظالمون!

وقد أولى الإسلام رعاية خاصة للضعفاء من أصحاب الحقوق كالمرأة -وقد أشرنا إلى طرف من حقوقها- واليتيم والفقير والخادم والأجير، وشدد في إعطاء هؤلاء حقوقهم، وعدم إعناتهم، والرحمة بهم، والإحسان إليهم، وتوعد بالعذاب الأليم كل من يتعرض لهم!

فعلى سبيل المثال أمر الإسلام بدفع أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا الرشد، وأمر بالإحسان إليهم حال الوصاية عليهم، وحذر من أكل أموالهم بالباطل، وتوعدهم بالعذاب الأليم إذا فعلوا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ (النساء:١٠).

وأما الفقير فقد جعل له حقا في مال الغني، فإذا منعه هذا الحق لم يبارك له في ماله في الدنيا، وعذب به في الآخرة، ففي الحديث: «إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره»، وفي التنزيل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ (التوبة:٣٤).

وأما الخادم فقد أمر الإسلام بالإحسان إليه مأكلا وملبسا ومشربا ومعيشة، وعدم تكليفه من العمل ما لا يطيق، فإن كلفه ما لا يطيق لزمه إعانته عليه.

وأما الأجير فقد دعا الإسلام إلى إعطائه أجر العمل قبل أن يجف عرقه، في إشارة إلى المبادرة بدفع الحق وعدم المماطلة فيه، وجعل أكل الأجرة على الأجير من أسباب عدم نظر الله تعالى إلى فاعله يوم القيامة نظر رضا، وغضبه عليه، ومن ذا الذي يقوى على غضب الله؟!

وأما حق الحياة فهو رأس الحقوق كلها، فالاعتداء عليه اعتداء على كل الحقوق، ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ (المائدة:٣٢)، وكفى بهذا زجرا لمن يتهاونون في أرواح الناس!

هذه إطلالة عابرة على الحقوق الإنسانية، وضرورة الحفاظ عليها، وعدم التفريط فيها، من وجهة النظر الإسلامية، دين الله الخالد!



محمد الدسوقي
مدير تحرير بجريدة الأهرام

يرفعها الإسلام إلى مقام «العبادة»

حقوق الإنسان «ثقافة» عالمية

إذا كان المجتمع العالمي قد خصص العاشر من ديسمبر من كل عام للاحتفال بيوم حقوق الإنسان؛ فإن سماحة الإسلام ويسره ونبل مقاصده تجعل تلك الحقوق سياجا منيعا لحماية الكرامة الإنسانية، وتحقيق المساواة والتكافل، وترسيخ الأمن والسلام، وتشجيع التعايش في كل يوم، وعلى مدار العام.

فمع ظهور الإسلام عرفت البشرية - لأول مرة في تاريخها - قائمة متكاملة من «حقوق الإنسان» تؤدي بمفاهيمها الصحيحة إلى رقيه وتقدمه وحضارته، وتؤكد جدارته بعمارة الأرض.

وعرفت البشرية بالإسلام أن الحق والواجب أمران متقابلان متكاملان، فكل حق يقابله واجب، وعلى الجميع احترام هذه الحقوق والواجبات.

وتضمنت تلك الحقوق حق الحياة، وحق الكرامة، وحق العدل، وحق الحرية، وحق المساواة، وحق الاعتقاد، وحق التعليم، وحق احترام الخصوصيات الشخصية.. وغيرها.

فلكل إنسان «حق الحياة» الذي يعد أساس الحقوق وأصلها وعمدتها، ويبرز اهتمام الإسلام بهذا الحق في كثير من تشريعاته وتعاليمه، وأهمها تحريم الاعتداء على حياة أي إنسان:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢).

والكرامة الإنسانية حق للجميع: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

ولكل إنسان حق التنقل بحرية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:١٥).

ولكل إنسان حقه في حصانة مسكنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ (النور:٢٧).

حماية الكرامة وترسيخ المساواة والسلام والتعايش.. أبرز الأهداف

ولكل إنسان الحق في عدم تجريمه دون بينة ظاهرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦).

ولكل إنسان حق «الحرية» وهي قيمة عظمى، ترتقي بالإنسان؛ سلوكا وأخلاقا، في كل مجالات الحياة بعيدا عن الفوضى، ومحاولات الانفلات من القواعد والضوابط المنظمة للسلوك الفردي والجماعي الحافظة للمصالح العليا للمجتمع.

فلا حرية لأحد في إيذاء غيره ماديا أو معنويا، أو الإضرار بمصالح المجتمع بنشر فساد، أو التحريض على فتنة، أو تسهيل العدوان على مقدراته، أو تعريضه لأي خطر.

ولكل إنسان الحق في حرية الاعتقاد والعبادة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ (البقرة:٢٥٦).

ومن الحريات المكفولة في الإسلام «الحرية الفكرية»؛ فالعقل خاصة الإنسان، وهو مناط تكليفه وتفضيله على غيره. والعقل والنقل صنوان متلازمان في مجالات النظر والبحث والتفكير.

ومنها أيضا «الحرية المدنية» التي تكفل للإنسان حرية التصرف في أموره الشخصية والمالية.

ودعا الإسلام إلى التكافل بين أبناء المجتمع لتحقيق الحياة الإنسانية الكريمة، والتحرر من الفقر والحاجة، قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ (الذاريات:١٩).

وسبق الإسلام إلى إرساء القواعد الثابتة والمبادئ المحققة لوحدة الأسرة الإنسانية، والضامنة للتعاون والتعايش بين الناس في كل زمان ومكان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ (الحجرات:١٣).

وجعل الإسلام لكل إنسان الحق في «المساواة» التامة بين الناس تأسيسا على «وحدة الأصل البشري» وبعيدا عن اختلاف الأجناس والألوان واللغات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ (النساء:١).

ويوضح الرسول ﷺ قاعدة «المساواة» بين الناس القائمة على وحدة الأصل البشري بقوله: «إن الله عزوجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية (أي تكبرها) وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب» (رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي).

ويتفرع عن حق الإنسان في «المساواة» حقوق مهمة أبرزها: المساواة أمام القانون والقضاء، وحق تولي الوظائف العامة، وحق العطاء، والمساواة بين الرجل والمرأة.

وجعل الإسلام «التقوى» معيارا للتفاضل بين الناس جميعا: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣).

لماذا تضع الدول الكبرى «حقوق الإنسان» ضمن أسلحتها السياسية؟

ولا ينكر منصف أن «المساواة» بين الناس كانت «غائبة» في الحضارات القديمة، وكانت «التفرقة» سائدة مستندة إلى أمور تسامت الرؤية الإسلامية عن «اعتبارها» لمنع إهدار حق أصيل للإنسان بسببها، مثل: الجنس واللون والغنى والفقر والقوة والضعف.. ونحوها.

ولكل إنسان حقه في «العدل» الذي يبعث على الثقة والاطمئنان، وينمي الشعور بالأمان والاستقرار، ويدفع إلى العمل والإنتاج: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ (النساء:٥٨).

وكفل الإسلام لكل إنسان «حق المسكن» و«حق الرعاية الصحية» و«حق التعليم» و«حق الملكية».. وغيرها.

وهذه الحقوق الحمائية للإنسانية لا تقتصر على مرحلة «الحياة»، بل يمتد بعضها إلى ما بعد الموت؛ فمن حق الإنسان إذا توفي أن يكرم، ويحترم جثمانه، ويترفق به، لقول النبي ﷺ: «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه» (رواه مسلم).

وتحتل قضية حقوق الإنسان في العصر الحديث أهمية كبرى على مستوى الشعوب والدول والمنظمات الدولية، حتى أصبحت متشابكة ومعقدة، يختلط فيها الفكر بالمواقف، وتشغل العالم حاضرا ومستقبلا.

«الحرية» ترتقي بالإنسان سلوكا وأخلاقا وتحميه من الفوضى والانفلات

وفي مواجهة هذه الحقيقة ينبغي أن نتوقف أمام أمور مهمة، منها:

- الإسلام سبق مواثيق العالم، بقرون عديدة، إلى إقرار المبادئ العامة التي اشتمل عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وكان المجتمع الإسلامي سباقا إلى ممارستها، والحياة في ظلالها.
- يرتقي أداء «الحقوق» في الإسلام إلى مكانة «العبادة»، ذلك أنها منصوص عليها في القرآن الكريم أو السنة. وبذل الحق لأصحابه والمطالبة به يتصلان بالأمر بالمعروف.
- يجب أن تتضافر جهود مؤسسات التعليم والإعلام والثقافة لتربية الأفراد وبناء المجتمعات على احترام حقوق الإنسان، والتزامها بمقاصدها السامية في جميع المجالات.
- أحكام الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تأخذ شكل «توصية» أو «مناشدة» أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨م، ولم تكتسب صفة الإلزام.
- قضية حقوق الإنسان أصبحت أحد أسلحة السياسة الخارجية للدول الكبرى، تستخدمها معيارا في تقديم المساعدات الدولية للدول النامية، أو حجبها عنها.
- تظل مواثيق وعهود حماية حقوق الإنسان «نصوصا» بلا أثر وفاعلية إذا لم يتم وضع آلية لتفعيلها وحمايتها من التعطيل أو الانتهاك أو الإهمال.
- ينبغي نشر ثقافة حقوق الإنسان على أساس التلازم بين الحق والواجب، وتنظيمها بقواعد قانونية تتميز بالعمومية والتجريد والإلزام.

إحسان عبدالعزيز الدبش
باحث دراسات إسلامية





النجاح الإداري في صدر الإسلام

يتميز الإسلام بأنه دين يحقق جميع متطلبات الحياة الإنسانية للفرد والأسرة والمجتمع وللناس كافة؛ بما يتضمنه من نظم وأحكام متنوعة شملت جميع مجالات الحياة الإنسانية من حيث أسسها العامة، وما لزم من التفاصيل الدقيقة في بعضها، كعلوم الإيمان وعلم الأخلاق وعلم التربية وعلم النفس وفقه العبادات وعلوم الاجتماع والاقتصاد والحقوق والتاريخ والسياسة. وكان القرآن الكريم الأساس لانبثاق عدة علوم أخرى كعلوم القرآن، والحديث واللغة العربية.

وترك للفكر الإنساني مساحة من العمل فيما ينفع الناس في الأمور المستجدة فيما عرف «بالاجتهاد». وكثيرا ما يخلط بعض الناس بين «الإسلام» وبين «المسلمين» فيظنون أن واقع المسلمين المتخلف اليوم سببه الإسلام والحق أن الإسلام بريء من ذلك. وأن سبب هذا التخلف هو تأخر أناس من المسلمين عن الإسلام بمخالفتهم لأحكامه. قال سبحانه وتعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ (المدثر:٣٧)، ومن يقرأ بعمق حضارة الإسلام في عصور نهضتها المختلفة وخاصة في عصر النبوة يجد أن الإسلام كان ولا يزال نظام تحضر للبشرية. بشهادات عديدة من الواقع التاريخي ومن الواقع المعاصر من قبل مسلمين أتقياء أحسنوا تطبيق أحكام الإسلام.

لقد كان الرسول ﷺ النموذج الفذ في النجاح الإداري في تطبيق نظم الإسلام المختلفة، سواء كان ذلك في أسرته أو فيما يتعلق بشؤون المسلمين، ومن أراد أن يعلم ذلك بشكل مفصل فليقرأ سيرته ﷺ، حيث كان مسؤولا عن رعيته من سكان المدينة المنورة وما تبع لها فيما

بعد من قبائل ومناطق ومدن. فقد كانت قراراته تمثل الموقف المناسب في الوقت المناسب.

ولقد كان خريجو مدرسة النبوة من الصحابة رضي الله عنهم منذ إسلامهم حتى وفاتهم نموذجا للنجاح الإداري سواء كان ذلك في إدارتهم لأسرهم، أو ما كلفهم الرسول ﷺ من مهام. أو ما تولوه من أمور الناس فيما بعد. إن الذين أصبحوا ولاة في أقاليم وبلدان متعددة أحسنوا إدارتها. ومنهم من أقام منشآت عمرانية نفعت الناس، أو ممن سلك سبيل تعليم أحكام الشريعة في المدن والأمصار التي استقروا فيها، فكانوا نموذجا للمربي المعلم الناجح، أو ممن تولى إدارة بيت المال سواء كان بيت المال المركزي في العاصمة أو في الولايات فأحسنوا تنظيم الشؤون المالية، أو من كانوا في منصب القضاة، أو ممن كانوا قادة عسكريين أداروا معارك الفتح بكفاءة عالية. وقد كان التعامل مع المستجدات في مختلف المجالات بعد الانتشار الواسع في الأرض يتصف بالمرونة والحيوية، كإنشاء دواوين الخراج والبريد والحسبة. وغير ذلك من المستجدات.

وفي العصور التالية اتصف النجاح الإداري بالصعود والهبوط وكان ذلك بحسب تلازم النجاح الإداري مع السمو الإيماني والتربوي والأخلاقي أو تراجعه.

وقد ساهم نظام العبادات في الإسلام في نجاح النظام الإداري. سواء كانت العبادات اليومية كالصلوات الخمس والأذكار. إن الصلوات الخمس موزعة في اليوم بما يساهم بشكل كبير في تنظيم الوقت. أو صلاة الجمعة الأسبوعية وما يرافقها من خطبة تذكر الناس بواجباتهم ومعرفتهم لحقوقهم، وما في هذا اليوم من حث على تلاوة القرآن والغسل والصلاة، والعبادة السنوية كشهر رمضان وما فيه من برنامج يومي خاص يتناسب مع الصيام. وكذلك عبادة الحج وما تتطلبه قوافل الحجاج من حسن تنظيم وإدارة.. وتحمل مسؤولية. والأمثلة كثيرة عن تصحيح الرسول ﷺ أداء بعض المسلمين الإداري في العبادات وغير ذلك من أحكام الإسلام إن أخطأوا فيها. والمثال على ذلك الحديث المعروف «بالمسيء صلاته» عن أبي هريرة: أن رجلا دخل المسجد، ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد، فصلى ثم جاء فسلم عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «وعليك السلام، ارجع فصل فإنك لم تصل» فرجع فصلى ثم جاء فسلم، فقال: «وعليك السلام، فارجع فصل، فإنك لم تصل».

فقال في الثانية، أو في التي بعدها: علمني يا رسول الله، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تستوي قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»[1] وفي حديث آخر عن رجل يؤم الناس في الصلاة يطيل بها فشكا أحد المصلين إلى رسول الله ﷺ أنه يتأخر عن الصلاة لإطالة الإمام.. لنقرأ غضب الرسول ﷺ لذلك وماذا قال: «عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: إني أتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبي ﷺ أشد غضبا في موعظة منه يومئذ. فقال: «يا أيها الناس إن منكم لمنفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز؛ فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة»[2].

ومرة رغب الصحابي أبو ذر الغفاري الإمارة فطلب من رسول الله أن يؤمره، فأبى ذلك رسول الله ﷺ ونصحه ألا يتولى إمارة، رسول الله ﷺ يعلم إمكانيات أصحابه فيضع الرجل المناسب في المكان المناسب. رغم أن أبا ذر كان تقيا وشهد له رسول الله ﷺ بذلك، إلا أنه لا يصلح أن يكون أميرا. لأن الأمير يكون حاكما على الناس في إمارته. فيحتاج إلى صفات أساسية عديدة تؤهله لذلك منها «قوة الشخصية» التي بها يستطيع إدارة الإمارة. وهذا ما بينه رسول الله ﷺ في الحديث التالي: عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»[3].

وما يقوم به المؤمن تجاه ربه من حسن تطبيق لما أمره به ليس إلا طريقا للإعداد السليم للفوز في

الأمثلة كثيرة عن تصحيح الرسول ﷺ أداء بعض المسلمين الإداري

الحياة الآخرة. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

لقد أوجد الإسلام نظاما للإدارة لإدارة جميع نظمه. وإن لم يندرج ذلك تحت عنوان معاصر هو «علم الإدارة» لذا كان من الأهمية بمكان تتبع النظم الإدارية في الإسلام ومعرفة كيفية أدائها وأخلاقية هذا الأداء. مع العلم أن الناس يتفاوتون في تطبيق النظم الإدارية كل بحسب علمه وفطنته وقوة شخصيته وأخلاقياته. الناظر لواقعنا الحالي في إدارة مختلف الأعمال يجد أن شريحة واسعة من الناس واقعون في الضعف الإداري، فعلى مستوى الأسرة مثلا عدم وجود تغطية واسعة لمتطلبات الفرد والأسرة في مختلف المجالات، ويقتصر السعي على تأمين العمل لكسب الرزق، والعناية الصحية، وإلى حد ما التعليم النظامي والذي يعاني من مشكلات عديدة منها الإدارية في بعض الدول. من هذه المشكلات يهمل التعليم في المدارس ويحول إلى دروس خصوصية في البيوت بعد الدوام.. ووقت الفراغ غالبا ما يشغل باللهو في مختلف أنواعه، من ثم الجهل بكيفية «إدارة الوقت» من اليوم إلى السنة. حيث يستهلك وقت أطفالنا أغلبه في اللعب، والمفترض في كل بيت مسلم أن يخصص وقت للأطفال ليتعلموا القرآن والحديث النبوي وغير ذلك ما ينفعهم في صغرهم وكبرهم.

مع العلم أن الرسول ﷺ يحثنا على استثمار الوقت إلى الحد الأقصى في قوله: عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه، فيما أبلاه»[٤] والعمر هو الوقت الذي عاش فيه الإنسان منذ ولادته حتى وفاته. والسؤال أو الحساب عندما يبلغ الإنسان سن الرشد.

إن غياب الاهتمام الكافي بما كلف الله به عباده من أمر ونهي فيما يتعلق بإدارة حياتهم والتي عبر عنها الرسول ﷺ بقوله «عن عمره فيما أفناه»، كما أراده سبحانه وتعالى في مختلف مجالات حياتهم خاصة، لا يلبي كل متطلبات نهضة الأمة وحل مشكلاتها العديدة والتزود المستمر بالعلوم الإنسانية من القرآن والسنة بمختلف أنواعها ليكون الإنسان المسلم على بصيرة من أمرة. فيما يجري حوله وفي العالم.

كما تعاني كثير من المؤسسات العامة والخاصة، وكذلك المرافق العامة من ضعف إداري ينتج عنه سوء في الإنجاز، وتقصير في الأداء، وأشهر الأمثلة على ذلك: نجد مدنا ضخمة فيها أحياء نموذجية من حيث التنظيم والنظافة، وجودة الطرقات، وكثرة الحدائق، وأحياء أخرى عكس ذلك، أبنية مكتظة تحرم البيوت فيها من وصول أشعة الشمس إليها بشكل كاف، وطرقات ضيقة بين أبنية تتجاوز العشرة طوابق، وطرقات تكثر فيها الحفر وبرك الماء.

ومن مظاهر التعثر الإداري الذي يصل أحيانا إلى حد الفشل ما نراه في بعض الدوائر من تأخر في الدوام، أو القيام بأعمال لا تمت إلى العمل



الوظيفي الذي يقوم به الموظف أو انتشار الرشوة، وغير ذلك من الفساد الإداري الذي يؤدي إلى هدر الوقت، أو إيثار مواطن على آخر، كل ذلك يترافق مع غياب الرقابة بنوعيها الداخلية في الإخلاص في العمل، والخارجية من عدم وجود عقوبات رادعة على المهملين والمستهترين في أعمالهم إلا بشكل محدود جدا.

النجاح الإداري موهبة وخبرة وأخلاق، أي زعزعة في أحدها يؤدي إلى الفشل الكبير.

إن وجود نظام للإدارة لتسيير أي عمل من الأعمال أيا كان، أمر ضروري لنجاحه بشكل جيد، سواء كان هذا العمل قائما على تجمع بشري صغيرا أم كبيرا، ومهما تنوعت اختصاصاته، وسواء تعلق بحياة فرد من الرجال أو النساء، وسواء كان تجمع أسرة، قل عددها أو كثر، أو تعلق بالناس عامة، كأن يكون تجمع خدمات، أو تجمعا تعليميا، أو تجمعا إنتاجيا، أو تجمعا إداريا على مستوى إدارة حي، أو مدينة أو منطقة، أو محافظة أو مجتمع أو أمة بأكملها.

إن أي تجمع كي يحقق سلامته ونجاحه يجب أن يكون له نظام يسيره، ولا يكفي أن يكون هذا العمل صحيحا ليؤدي الغرض من وجوده، بل لابد من إدارة ناجحة تديره ليحقق هذا الغرض. مع شعور بالمسؤولية وتعامل أخلاقي حسن مع العاملين أو المشاركين في هذا التجمع.

إن التجمع الأسري يتكون من (الأب والأم والأبناء) بشكل رئيسي -وقد يضم أحيانا ناسا من الأصول أو الفروع- وهذا التجمع الأسري يشكل أصغر تجمع بشري. بحيث يبدأ هذا التجمع بالأب والأم، ثم يزداد

تعنى المسؤولية أشكالا عديدة كل بحسب المساحة التي تشملها مسؤوليته

هذا العدد ليشكل مع الأبناء أعدادا متفاوتة، قد يكون عدد أفرادها ثلاثة، إذا رزقهم الله بابن أو ابنة. وقد تصبح الأسرة كثيرة العدد[٥].

إن القدرة على حسن إدارة أي تجمع بشري قل أو كثر، لمن الأهمية بمكان، إن قيادة الأسرة يتحمل مسؤوليتها الأب ثم الأم. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات:٢٤).

وعن عبدالله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته» قال: وحسبت أن قد قال: «والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[٦] وقد يتحمل الأب مسؤولية غير زوجته وأبنائه، خاصة من أولي القربى، إن عجزوا عن القدرة على الإنفاق والرعاية، فضلا عما يتحمله من مسؤولية في موقعه الذي يعمل به ليكسب رزقه.

ويأخذ معنى المسؤولية أشكالا عديدة، كل بحسب المساحة التي تشملها مسؤوليته، سواء كانت مسؤولية تربوية، أو رعاية اجتماعية، أو عناية صحية، أو اقتصادية. فمثلا عن حق المسؤولية تجاه الأهل قال عبدالله ابن عمرو، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول»[٧].

حسن الإدارة في جميع الأعمال يدخل في إتقان العمل الذي أرشدنا إليه ﷺ في الحديث الذي ترويه عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عزوجل يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»[٨] كل ذلك ترافق خاصة في الصدر الأول في الإسلام مع الفهم الصحيح للإسلام والإخلاص العميق لله والتطبيق السليم، فكان أفضل أداء إداري شهده التاريخ الإسلامي. من دون أن يخضع ذلك الجيل المميز إلى «دورات في الجودة» كما يحدث في عصرنا الحالي.

وبالطبع لا تفتقد أمتنا أناسا يحسنون إدارة أعمالهم، لكن لا يمثلون الطابع العام السائد، وإن تفاوت ذلك بين بلد وآخر.

الهوامش

١- صحيح البخاري ٦٢٥١.
٢- مسند أحمد ٢٢٣٤٤.
٣- صحيح مسلم ١٨٢٥.
٤- سنن الدارمي ٥٤٤.
٥- الصحابي أنس بن مالك دعا له رسول الله ﷺ: «اللهم أكثر ماله، وولده، وأطل حياته»، قال أنس: «فأكثر الله مالي، حتى أن لي كرما يحمل في السنة مرتين، فكان من صلبه ثمانون ذكرا وابنتان».
٦- صحيح البخاري ٨٩٣.
٧- السنن الكبرى للنسائي ٩١٣١.
٨- كتاب «أسد الغابة في معرفة الصحابة».



د. شاذلي عبدالغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية

خطوات على طريق التقدم

من يقرأ تجارب الأمم التي قررت أن تغادر واقعها المتردي، وأن تخط لنفسها طريقا إلى الازدهار والقوة مهما واجهت من تحديات وقابلت من عقبات ومصاعب، سيجد أن هناك خطوات اشتركت فيها جميعا لتصل إلى غايتها في التقدم والرقي، وافتقاد هذه الخطوات يعني بقاء الأمم في أسر أوضاع معيقة لنهضتها ومحبطة لآمالها، ومن أهم تلك الخطوات:

النقد من أجل الإصلاح

إن تقدم الأمم مرتبط بمدى إدراكها لمواطن الخلل ومواجهتها لعوامل الضعف، والوعي بخطورة الإغضاء عن السلبيات التي تقيد خطواتها وتسد أمامها الطريق للنهوض؛ فالتقدم الذي تحلم به الأمم مرهون بوجود الوعي الناقد والاعتراف بالعيوب ومعرفة الأخطاء، بل إن الأمم المتقدمة تعيش حالة من التقييم والتقويم المستمر لمسيرة تقدمها والنقد الدائم لتجاربها ولا

تستحي من الاعتراف بالأخطاء التي تقع فيها، كما أنها لا تتوانى عن إصلاحها وتعمل على عدم تكرارها حتى لا تقع في قبضة الجمود والتراجع.

في عام ١٨٧٩م ظهر في فرنسا كتاب «سر تقدم الإنجليز السكسونيين» الذي ألفه الفرنسي إدمون ديمولان، والكاتب لم يذكر فقط السبب وراء تقدم الإنجليز، وإنما وضع أمته الفرنسية في مقارنة مع الأمة الإنجليزية في شؤون التربية والحياة، وقد ركز إدمون ديمولان على عوامل الضعف التي تعانيها أمته والتي يجب أن تتخلص منها حتى لا تنهار وتغدو في ذيل الأمم، وقد نقد الكاتب أمته نقدا صريحا وقويا ولاذعا، زادت من حدته تلك المقارنة التي تبرز مواطن النقد بجلاء، وتضاعف من صدمة القارئ المعتز بقوميته «لكنهم مع ذلك لم يلوموا المؤلف بل عظموه، ولم يعنفوه بل احترموه وعرفوا أنه مخلص يحب أمته ويطلب لها النفع والفخار، ما منهم إلا من أدرك مثوى الكتاب ورأى فيه تذكرة لأولى الألباب وأجلس صاحبه حيث يجلس الحكماء وأحله حيث يحل العظماء وسألوه أن يكون قائد حركة التعليم والهدي بهم إلى الطريق المستقيم»[١]، ولم يكتفوا بذلك بل إن بعضهم قد تبرع بالمال واشتروا قصرا بحديقة فسيحة ليكون مدرسة يديرها المؤلف لتخرج الأجيال التي تغير الحياة بدولتهم.

مكافحة الفساد

لا يمكن لأمة من الأمم أن تصنع منجزها الحضاري الذي تتمناه من دون أن يكون من أولوياتها محاربة الفساد؛ إننا إذا وضعنا المؤشرات التي تظهر الدول المتقدمة في مكافحة الفساد فسنجدها بذاتها الدول الأكثر تقدما أيضا في التعليم والصحة والصناعة، والتي تقل فيها نسبة البطالة وتوفر حياة كريمة لشعوبها، وتصبح الحياة فيها حلما للكثير من شعوب العالم؛ فعندما يستشري الفساد تتوقف التنمية وتصبح كل العوامل التي يمكن الاعتماد عليها في صناعة التقدم الحضاري عاجزة ومقيدة أو غارقة هي أيضا في وحل الفساد، كما أن أسوأ أثر ينتج عن الفساد على الإطلاق هو تقويض الشعور بالثقة وهدم الانتماء لدى الغالبية التي تعاني من تبعات الفساد اقتصاديا واجتماعيا، لقد قال رئيس وزراء سنغافورة الراحل وصانع نهضتها، لي كوان يو، في حوار مع جريدة نيويورك تايمز: «نحن نعلم أننا لو سرنا على نهج الدول المجاورة سنموت، فنحن لا نملك شيئا بالمقارنة مع ما يمتلكونه من موارد؛ ولهذا ركزنا على إنتاج شيء مميز وأفضل مما لديهم، وهو القضاء تماما على الفساد، والكفاءة، واختيار أصحاب المناصب والنفوذ بناء على الجدارة والاستحقاق. ونجحنا. ولا شك أن واحدا من أسوأ أشكال الفساد هو إهدار مبدأ الكفاءة والاعتماد على المحسوبية أو الرشوة في الاختيار للوظائف؛ لأن ذلك يؤدي إلى ترهل المؤسسات من الداخل لافتقادها العقول التي تمتلك الفكر والوعي والرؤية التي تمكنها من إدارتها والنهوض بها، كما يؤدي إلى نزع التقدير لهذه المؤسسات من خارجها، لأنها افتقدت الشفافية والعدالة في اختياراتها».

ولقد وضع مهاتير محمد (صانع نهضة ماليزيا) الوصفة لعلاج المشكلات التي تواجه الأمم من أجل تجاوز واقعها وصناعة واقع جديد يحقق أحلامها في التفوق والتنمية قائلا: يجب أن تكون لديك إدارة جيدة، وأن تواجه الفساد. وحتى تمنع الفساد يمكن أن تضع بعض القوانين الصارمة، ولكن الأهم من ذلك هو تطوير نظام إداري يكون واضحا جدا. وأضاف مهاتير أنهم في ماليزيا حددوا بدقة مجموعة الإجراءات التي يجب اتخاذها لتنفيذ أي عمل، والزمن الذي يستغرقه ذلك، وصلاحيات الموظفين، بحيث إذا لم يقم الموظف بما حدد له بدقة وضمن الزمن المحدد، فيستنتج أنه فاسد، وبالتالي سيحاسب ويتخذ الإجراء اللازم بحقه[٢]. وهذه هي أصول التخطيط الجيد.

التخطيط الجيد

عرف فريدمان التخطيط بأنه «طريقة تفكير وأسلوب عمل منظم لتطبيق أفضل الوسائل المعرفية من أجل توجيه وضبط عملية التغيير الراهنة بقصد تحقيق أهداف واضحة ومحددة ومتفق عليها»[٣]، ولا شك أن التخطيط الجيد يزيل الكثير من العقبات ويوفر الكثير من الوقت والجهد. لقد مكن التخطيط الجيد والإدارة الواعية دولا ذات موارد محدودة من أن تحقق نهضتها وتكون لها مكانتها بين الأمم، فـ«دولة مثل اليابان انطلق تخطيطها على خلفية موقع جغرافي غير مميز بعيد



عن معظم أسواق العالم، ولا تملك أي موارد طبيعية. لكن ما حدث هو أن التخطيط الاستراتيجي الياباني صنع نقاط قوته من خلال بلورة الأوضاع السياسية والاقتصادية والعلمية التي قادت لامتلاك اليابان للميزة النسبية العالمية، وهو ما جعل الغرب غير قادر على منافستها رغم أن اليابان تستورد المواد الخام المطلوبة للإنتاج من تلك الدول الغربية، بل وتدفع عليها رسوما وتكاليف إضافية تتمثل في النقل والشحن والتفريغ والشحن مرة أخرى إلى الأسواق العالمية»[٤]، وهناك دولة مثل فنلندا يدفعها فقر الموارد إلى استيراد أكثر المواد الخام كما أنها تعتمد على استيراد الطاقة وبعض السلع ورغم ذلك فهي تتمتع باقتصاد صناعي قوي ومزدهر يتساوى مع اقتصاد دول مثل فرنسا وألمانيا والسويد، بينما تقبع في براثن الفقر دول أخرى تحتضن العديد من الثروات والموارد لكنها لا تمتلك الإدارة القادرة على استغلال هذه الهبات والتخطيط لتحقيق الاستفادة القصوى منها.

البدء من حيث انتهى الآخرون والاستفادة من تجاربهم

هناك مثل إنجليزي يقول: «لا تعد اختراع العجلة، بل ابدأ من حيث انتهى الآخرون، وأطلعهم على ما وصلت إليه، وساعد في حل المشكلات»، لقد بدأ العديد من الدول التي حققت نهضتها من حيث انتهى الآخرون، فقامت بإرسال البعثات إلى الدول المتقدمة ودراسة أحدث ما وصلت إليه من تقنيات وأفكار في شتى المجالات، ثم استغلت عقول أبنائها في التطوير والتحديث والابتكار والإبداع، ولقد سئل إمبراطور اليابان عن أهم أسباب تقدم دولته فقال: «بدأنا من حيث انتهى الآخرون، وتعلمنا من أخطائهم، ومنحنا المعلم حصانة الدبلوماسي وراتب وزير»، لتصبح بعد ذلك التجربة اليابانية ملهمة للنهضة في الكثير من البلدان التي كان من بينها ماليزيا التي قررت صناعة نهضتها، فنظرت في تجارب الدول الناجحة، ودرست أسباب هذا النجاح، وتعلمت من الخطوات التي تم اتخاذها والعقبات التي واجهتها والإخفاقات التي وقعت فيها، وقد كتب صانع نهضة ماليزيا الدكتور مهاتير محمد تحت عنوان «اليابان معلما»: «من الحكمة أن نتعلم من الناجحين. في الماضي كنا ننظر إلى الغرب لأنه كان ناجحا أكثر من الشرق، بعد الحرب العالمية الثانية رأينا معجزة النجاح الياباني، ووصلنا إلى أن اليابان تملك المعادلة الصحيحة للتنمية السريعة.. إن الخطط والتنظيم والمناهج الإدارية للشركات اليابانية مثال يستحق أن يحتذى».

الاهتمام بالتعليم والبحث العلمي

من يقرأ تجارب الدول التي استطاعت أن تضع لنفسها مكانا متقدما على خريطة التقدم وأن تحقق نموا وازدهارا، يجد أن التعليم كان القاطرة التي نقلت هذه الدول من أتون العوز والتخلف إلى مرابع القوة والازدهار، لقد كان الاستثمار في التعليم والاهتمام بالبحث العلمي هو الطريق لتحقيق طموحات تلك الشعوب، وبإطلالة سريعة على نفقات الدول التي فرضت وجودها على خريطة التقدم سنجد أن إنفاقها على التعليم كان مقدما على ما عداه، ولذلك فإنها استطاعت أن تحصد نتاج هذا الإنفاق تنمية وازدهارا وتطورا في شتى المجالات، فإذا كان التعليم مؤسسة مستهلكة ماديا فإنها منتجة للعقول التي إن تلقت تعليمها بكفاءة فإنها تصنع التنمية الاقتصادية وتغير الواقع الحضاري وتؤسس لحياة قوية وزاهية لأمتها.

الهوامش

١ - أحمد فتحي زغلول في مقدمته لكتاب «سر تقدم الإنجليز السكسونيين» الذي قام بترجمته، والكتاب تأليف إدمون ديمولان، القاهرة، مطبعة المعارف، ١٨٩٩م، ص:٥.

٢ - محمد صادق إسماعيل، التجربة الماليزية، مهاتير محمد والصحوة الاقتصادية، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م، ص:٤١.

٣ - جمال عبدالله محمد، التخطيط الإستراتيجي، عمان، دار المعتز للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م، ص:١٥.

٤- د. محمد أبو صالح، التخطيط الاستراتيجي القومي منهج المستقبل، دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م، ص:٩٦.



د/ العربي إدناصر
كاتب من المغرب

نحن والآخر.. علائق وعوائق

لا تزال قضية الهوية والاندماج مثار جدل فقهي وسياسي واجتماعي في الآونة المتأخرة، فهي صارت أم المسائل التي تؤرق الحكومات والمؤسسات العلمية والبحثية، لما لها من ثقل سياسي وأمني في المجتمعات المعاصرة، بحكم أن العالم آل إلى قرية صغيرة كما يقال، فانضمت أشتاته بعضها إلى بعض، ولم يعد أجزاء متناثرة تعدم وسائل الاتصال والتواصل، بل أضحى يتحرك بتكنولوجيا العصر وبتقنيات الوميض والشبكية، التي أعادت انتظام غزل العالم بعد أن نقض غزله أنكاثا.

لكن ومع تقدم الأمم وانتشار العلم في مسرح الحياة، لم تنقشع الغيوم التي تلبدت في سماء هذا العالم، بفعل سطوة بعض المفاهيم والتصورات عن العيش المشترك، التي لها أثر بالغ في الذهنيات والعقليات المنظرة للمصالح والمصائر المتشابكة بين الشعوب.

فقد عادت مقولة تقسيم المعمورة وتشطير الخليقة إلى مجال التداول المعرفي والتجاذب الطائفي، من خلال الفصل بين دار الإسلام ودار الكفر أو الحرب، والتمييز بين عالم المؤمنين وعالم غير المؤمنين، بما يترتب على ذلك من فصل قسري بين الناس على أساس هوياتي ضيق، لا يراعي حاجاتهم المشتركة ولا تطلعاتهم الضرورية إلى العيش سويا، تحت كنف الدولة الواحدة، وتحت سقف القانون الواحد، ومع ظهور مفهوم دولة المواطنة. كل هذا في زمن التكتلات بين الأمم والدول وفي ظل تغير طبيعة الاجتماع وظهور عهد المواثيق الكونية، بما يؤكد عدم صلاحية النموذج التفسيري وفق التصور القديم للعالم المعاصر.

صورة الأرض والعالم في التفكير الفقهي الكلاسيكي

يتحدد مفهوم الدار في الموروث الفقهي بالنظر إلى عدة اعتبارات مادية ومعنوية، حالة الحرب أو السلم ووجود الأمان، ومنها الغلبة الثقافية وظهور أحكام الشريعة وإعمالها في التطبيق، ومنها الغلبة العددية للسكان المسلمين، وكلها عناصر تتحكم في تقرير إسلامية الدولة، أو في إمكانية نزع وصف الإسلام عنها.

وعلى هذا بني الأصل العام في نظرة الفقهاء قديما إلى إقامة المسلم في ديار غير المسلمين، وهو وجوب بقاء المسلمين في أوطانهم على أساس الدوام، ما لم يغلب عليهم العدو أو تدركهم الفتنة، بل تجب الهجرة

إليها إن كانوا في بلاد أخرى لا تقيم لشرع الله حكما، ثم إنهم لم يجيزوا التعامل التجاري بهذه البلاد لأن الدخول إليها حسموه بالمنع إلا في حالة مفاداة مسلم، وقد تشدد بعض الفقهاء وأسقط شهادة من خرج عن هذه القاعدة.

كما أنهم رفضوا أن يتجنس المسلم بجنسية دولة غير مسلمة، واعتبروا ذلك نوعا من الخيانة والارتداد، ولما كانت فكرة التجنيس مصاحبة لسياقات دولية وإقليمية قلقة، اشتد رفض الفقهاء المعاصرين لهذه الفكرة، ومارسوا من خلالها شكلا من أشكال المقاومة والمواجهة الحضارية مع المحتل الأجنبي، في تكييف جديد لنظرية تقسيم المعمورة على الواقع المعاصر.

كل ذلك مع وجود الحاجة الشرعية أو الضرورة الشرعية لأفراد من المتجنسين، التي تقتضي الإقامة في بلاد غربية ولا يمكن سدها في بلاد المسلمين، مثل التجارة والدعوة أو التمثيل الرسمي لبلد مسلم، أو طلب علم غير متوافر مثله في بلد مسلم، من حيث الوجود أو من حيث الجودة والإتقان، أو البحث عن علاج مرض متعذر في البلد الأصلي، أو طلب عمل لا يتوافر إلا خارج الموطن، أو الخوف على النفس والأهل والولد من القتل أو السجن أو التعذيب، أو مجرد الإيذاء والمضايقة، أو الخوف على المال، وغيرها من المطالب والمثالب... إلى جانب توافر الحرية الدينية في بلدان غير مسلمة، والتي يستطيع المسلم بسببها إقامة شعائر دينه وكافة أنشطته المجتمعية.

وهذا الاهتمام بمفهوم الأرض وتجلياتها السياسية والفقهية بمعناها القانوني، يعبر عن مدى إدراك الفقهاء لخطورة التنظير لفقه الحيز، لما له من أهمية على مستوى تنفيذ الأحكام، وحماية سيادة الدولة الإسلامية، وصناعة المنعة لحدودها ودفع المخاطر عنها.

ومرد هذا الأمر إلى حالة القلق الأمني والصراع السياسي والعسكري الذي ينشب بين الدول والأمم، فضلا عن الاختلاف العقدي الذي يغذي هذا الانقسام ويؤطره بالمعنى الديني والأخلاقي، إلى أن تطور هذا التقليد إلى نظرية فكرية فقهية تبنتها سائر المذاهب الفقهية والعقدية في الإسلام.

فلا تخطئ عين الباحث أثر هذه النظرية على كتب الفقه والعقيدة، في تنظيرها لكل العلائق التي ينسجها المسلم في حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وخاصة في تماسّها مع المكونات العقدية الأخرى. وثمة محاولات لاسترجاع فكرة التقسيم إلى ساحة التداول المعرفي والسياسي، عبر توظيف مقولة الشرق والغرب، أو توظيف عبارة الإسلام والغرب في الكتابات المعاصرة، رغم وجود أوفاق دولية تحمي الجوار وتنظم الحدود وتحمي العهود.

بما يفيد أن المراجعة الفقهية متعذرة في غياب رؤية جذرية للموضوع، بداية من إعادة تدبر نصوص الوحي بشقيه -القرآن والحديث- وتأمل الواقع الجديد، لأجل فهم أكثر استيعابا للأصل وأكثر تجاوزا لتحديات العصر، إذ من طبيعة الدين أن يستوعب وينتشر ويعايش، لا أن ينكفئ ويحتجب ويقاطع.

فالغلبة في تحديد حالة الأرض بهذا المعنى تكون للمعيار السياسي لا العقدي، حيث إن الإسلام من عدمه لا يشكل عنصرا حاسما في تحديد هوية الأرض، بل يحددها البعد السياسي والاستقرار النفسي والمجتمعي، الذي يمكن من اجتماع المسلمين مع غيرهم على أساس من التعايش السلمي والاحترام الفكري والتضامن الاجتماعي.

لذلك نبتغي مساءلة تراث تقسيم المعمورة، على ضوء فقه المجال في القرآن، ومستجدات المواضعات الدولية في القانون والسياسة والاقتصاد والاجتماع والأمن.

وما مقولة المواطنة التي ظهرت في الجوار الأوروبي والأميركي، إلا واحدة من القضايا المجتمعية التي ينبغي تبيئتها وتنقيحها مع الخصوصية الفكرية داخل المجال التداولي العربي - الإسلامي، سيما وأن التجربة السياسية للمسلمين تقدم معطيات عملية وتحفيزات ثقافية من شأنها أن تسهم في تعزيز هذه الفكرة، بل وتطويرها في مجال الاختلاف العقدي.

لأنه ما دمنا نؤكد على وحدة الأرض ووحدة الجغرافيا في إطار الوحي، فما ينجم عن علائق المواطنة والهوية من إشكاليات سيجد ما يؤطره من أطر معرفية، بحيث تتحقق المواءمة والموافقة بين أمشاج الإيمان وهموم الوطنية.

فالحاجة ماسة إلى اجتهاد يحقق هذه الغاية ويبرزها في الوجود، وخاصة في المجال التداولي الغربي، بحيث إن المسلمين الذين يعيشون أقلية في هذه الجغرافيا يحتاجون إلى مساندة علمية وعملية لأجل تحصيل حالة من الاندماج الإيجابي في بلدان تفتح أبوابها للأجانب.

وهذا الأمر يستدعي مواكبة فعالة لمختلف أوجه النشاط الذي يمارسه أفراد هذه الأقلية، عبر تأطيره تأطيرا عميقا ومستوعبا لإشكالية الأصل والعصر، في مجالات الإفتاء

والتنظير الفقهي، وفي مجال البحث الأكاديمي والميداني.

المواطنة مدخل جديد لفهم طبيعة العلاقة مع الدولة والأرض

بظهور الدولة الحديثة دخلت جملة من المفاهيم السياسية والقانونية إلى قواميس وكتابات علوم الاجتماع والسياسة والقانون، تعبيرا عن الحركية الفكرية التي صاحبت ولادة هذه الدولة الحديثة، مما شهد تداولا واسعا لهذه المفاهيم على المستوى النظري، تمهيدا لتنزيلها وتحقيقها في أرض الواقع.

وتعبر هذه الظاهرة عن تزايد الحاجات المجتمعية إلى مواكبة فعالة للتحولات التي تطرأ، مع وعي الإنسان الحديث بالتحديات التي تفرضها الحياة العامة، وتوقه فضلا عن ذلك إلى آفاق جديدة من الحرية والكرامة.

فالمواطنة مفهوم حديث نشأ مع مفهوم الدولة الوطنية، التي استطاعت أن تستوعب مختلف الأجناس والثقافات والقوميات واللغات في تركيبة سياسية واحدة، تحت سقف القانون وسيادة الدولة، مع التساوي في الحقوق والواجبات، في مجالات الثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع.

وفي تجربتنا الإسلامية، عاش المسلمون جنبا إلى جنب مع مختلف المكونات العقدية الأخرى، في ظل من التسامح والتعاون، في زمن لم تكن العلاقات البينية مضمونة ومأمونة، وفي ظل وضع مأزوم سياسيا وأمنيا، بفعل غياب قانون دولي يحمي الحوار والجوار بين الأمم.

ولذلك عكست علاقات المسلمين في العهد النبوي نوعا من الوعي المبكر بضرورات العيش المشترك وآفاقه المجتمعية، فقد عقد النبي ﷺ الصلح مع المخالفين والمخاصمين، وكتب العهود مع القبائل والطوائف، حتى يضمن كل طرف شروط العيش الكريم وهو يجاور الأغيار.

ولعل صحيفة المدينة التي أنجزها الرسول عليه الصلاة والسلام والمتحالفين معه، تمثل أول نموذج تاريخي في إرادة العيش المشترك، وفي التنصيص على أسس الاندماج بين الجماعات والقبائل والطوائف، من خلال دستور مكتوب يحفظ بنود الاتفاق ويرفع أسباب الشنآن والصراع، رغم اختلاف الموقعين على الاتفاق المبرم.

لكن بعد اضطراب الأحداث وانقلاب الموازين وصعود موجة الخوف والصراع من جديد، اتجه الفقه الإسلامي نحو إعادة تحصين الحوزة الإسلامية من خلال ترسيم حدود فكرية وقانونية مانعة، تضبط العلاقات مع المخالف العقدي، وتزن الأمور الدولية بميزان جديد، قائم على تقسيم المعمورة إلى شطرين متباينين، وهو ما سماه الفقهاء «بدار الإسلام» في مقابل «دار الحرب» أو «دار الكفر».

فبدأ التنظير لفقه الحيز يكبر على هذا المنوال، وانعكس ذلك على مجمل التفكير الإسلامي اتجاه الآخر، ووقع بعض التضخم في هذا الجانب، مع أن القرآن لم يذهب مذهب القطيعة مع أهل الكتاب، إلا من ظلم منهم وبادر بالعدوان، حيث أبقى بوشائج الألفة والتعاون معهم في وئام وسلام، بل نص على البر إليهم والإحسان إليهم لغايات إنسانية وإيمانية.

فلهذا الأمر، لا يعدم الباحث في تاريخنا الفكري ألوانا وأحوالا من التعايش السلمي على المستوى النظري والعملي معا، بين المسلمين وغيرهم من المكونات العقدية الأخرى، بوجه يقطع الشك باليقين من كون هذا الإسلام هو عنوان للرحمة والعدل لكافة الناس، دونما اعتبار لانتماءاتهم ومنطلقاتهم.

فإذا كان الإسلام بتعاليمه يشكل مرجعية دولية في التأسيس للعلاقات البينية والإنسانية والكونية بين مختلف الأجناس والثقافات والجغرافيات، فأجدر به أن يكون رافدا مهما لمقولة المواطنة المعاصرة، التي ظهرت في الأزمنة المتأخرة من الحضارة الإنسانية.

فالمسلم الواعي بهذه الحقيقة لا تحد حركته حدود جغرافية ولا ثقافية، متى وعى مهمته ورسالته وفق كليات الوحي، وفَقِه الواقع واجتهد في إصلاحه، ولذلك فالمسلمون الآفاقيون في بلدان العالم غير الإسلامي، هم أولى أن يمتثلوا هذا المعنى وهم في مواجهة مع الحضارة الغربية.

والشروط الحضارية والقانونية والأمنية متوافرة الآن أكثر من أي وقت مضى، لأجل تعزيز العلاقات الإنسانية، وطرح مثالب سوء الجوار، وفتح الحدود والقنوات لأجل تدشين مرحلة جديدة من السلام العالمي، وضغط الخلافات بين الأسرة الإنسانية إلى أقصى حد.

وما مقولة المواطنة إلا آلية من الآليات المعاصرة لتحصيل سبل العيش الكريم بين الأفراد والجماعات تحت سقف القانون، بعيدا عن تشنجات الانتماء الضيق الذي ينمو بفعل نفسيات الصراع واللاتسامح، فيتم جر العقائد إلى ساحات القتال والعنف الطائفي، ويتحول الدين معها إلى آلة تدمير وتنفير، وهو في سيرته الأولى ممحض للوئام والسلام.



أحمد الظرافي
باحث في التاريخ

الهوية الثقافية للتراث الإسلامي

التراث الإسلامي تراث حي وأصيل وزاخر بالعطاء، وهو تراث واسع ومتنوع، ويشمل مختلف مجالات الحياة. ولا يسع المرء وهو يتأمل هذا التراث العظيم، إلا أن يكبر ويجل تلك العقول التي أبدعته وأنتجته ووضعته بين أيدينا، لننهل من ينبوعه المتدفق، ونستضيء بنوره الوضاء، ونستظل في ظلاله الرحبة الفسيحة. وهو في ضخامته، وسعته، وحيويته، إنما يعكس عظمة الأسلاف، ورصانة عقولهم، ورحابة تفكيرهم، حيث لم يتركوا مجالا، إلا وسطروا فيه أروع الصفحات، وأثروا الحضارة الإنسانية بعلومهم، وثقافتهم.

وبداية نسلط الضوء على مفهوم التراث، فنقول: إن كلمة (تراث) في اللغة العربية، تعني ما ورث. والتراث والإرث والإراث والميراث، كلها أسماء بمعنى واحد، وهي مشتقة من الجذر اللغوي (ورث) ومصدره: ورثا، وورثا، وإرثا، وورثة، ووراثة. فيقال: ورث فلان المال، وورث المجد، فهو وارث، والجمع ورثة ووراث. وقد وردت كلمة «التراث» في القرآن الكريم مرة واحدة فقط، بمعنى الميراث، في قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ (الفجر:١٩). كذلك وردت في السنة بمعنى الميراث، كما في الدعاء «ولك ربي تراثي». وحديث الثناء على المؤمن العابد قليل الحظ من الدنيا، ففي آخره: «وكان عيشه كفافا، فعجلت منيته، وقلت بواكيه، وقل تراثه». وهكذا فإن التراث في اللغة هو ما ورثه الآباء للأبناء، سواء كان ذلك الإرث ماديا كالمال والعقار، أو معنويا كالمجد والحسب والعقيدة والدين.

وأما التراث، في اصطلاح الباحثين في الوقت الحاضر، هو الاسم الجامع، والعنوان الشامل، لكل العناصر المادية والمعنوية، التي أنتجتها وأبدعتها أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب، والتي يرثها الأبناء عن آبائهم وأجدادهم، والتي تشمل المعتقدات، والقيم، والعادات، والتقاليد، والأعراف، والصناعات، والحرف، والتقنيات، والمخطوطات، والحكايات، والأساطير، والحكم، والأمثال، والألغاز والأحاجي، وما شابه ذلك.

وهذا، حقيقة، هو المفهوم الغربي للتراث، وهو علماني الطابع، على اعتبار أن الفكر الغربي الحديث يقع تحت هيمنة ووطأة العلمانية، والتي تطبع المفاهيم الغربية عامة بطابعها المادي المجرد من الدين، ومنها، بطبيعة الحال، مفهوم التراث، وليس كما هو عليه الحال في الفكر الإسلامي، حيث يضفي الدين صبغته على جميع المفاهيم ويطبعها بطابعه. فالإسلام لم يكن مجرد ديانة روحية تقتصر على أداء المناسك وأشكال السلوك، كما هو شأن المسيحية، بل إن الإسلام في جوهره نظام كامل للحياة.

وعلى هذا الأساس، فإن التراث الإسلامي يعني، من وجهة نظر الباحث المسلم، كافة المنتجات والإبداعات والابتكارات، التي أفرزها الوجود الإسلامي الطويل، في الفكر والتصور، وفي القيم والأخلاق، وفي النظم والتشريعات، وفي الأدب والمعارف والفنون، وغير ذلك من الإبداعات، حيث كان الإسلام هو الإطار، والمرجع، والهوية الثقافية، لهذا النشاط الإنساني الواسع، وكان الإسلام، في الوقت ذاته، هو المعيار، والميزان الضابط، لحركة المجتمعات الإسلامية، عبر التاريخ الإسلامي الطويل، والباقي طولا وعرضا بإذن الله.

على أن هذا لا يعني أن التراث الإسلامي، مقدس، فالتراث الإسلامي، باستثناء القرآن الكريم والسنة المطهرة، عبارة عن منتجات ومخرجات أبدعتها وابتكرتها عقول بشرية، فهو في التحليل الأخير، نتاج عقلي إنساني، وهو بالتالي، كغيره من تراث الأمم أو الشعوب الأخرى، غير مقدس، وليست له صفة الزامية تقضي أخذه جملة وتفصيلا على ما هو عليه. فالتراث الإسلامي، لا يملك حصانة تضمن صلاحه ومناسبته لكل العصور والأزمان، ولكل الظروف والأحوال، ولكل البيئات والمجتمعات. فهو، على جلالة قدره وعظيم أهميته وقيمته بشكل عام، نشاط إنساني، وإبداع عقلي، فيه الغث والسمين، وفيه النافع والضار، وفيه الصالح والفاسد، وهو قابل للانتخاب والاختيار والإضافة والحذف والتعديل، وبإمكاننا أن نصطفي منه ما يصلح لتدبير حياتنا وأمورنا، ويفيد مجتمعاتنا، ويحل مشاكلنا، ولكن يجب أن يكون هذا بمعرفة المختصين والمجتهدين من الباحثين المرتبطين بجذورهم، والواعين بقضايا أمتهم ومجتمعاتهم، والمؤهلين للتعامل مع التراث ببصيرة نافذة، وعقول واعية، وبأمانة ومسؤولية ومهارة وحذق، بحيث يكون لديهم القدرة والكفاءة للمواءمة بين القديم والجديد، والماضي والحاضر. وبعبارة أخرى لديهم القدرة على تقييم التراث وتنقيته من الخرافات والترهات، ومعرفة نواحي القوة والضعف فيه، وبالتالي توظيف التراث الحي لحل المشاكل الحاضرة، ومواجهة التطورات المتلاحقة، دون إفراط أو تفريط، أو المساس بثوابت الأمة، ومقومات وجودها، وهويتها الإسلامية. والقول بأن التراث الإسلامي نتاج عقلي غير مقدس، لا يقلل من أهمية وقيمة هذا التراث، ولكنها سمة من سماته التي يجب أن نضعها نصب أعيننا، عند التعامل مع تراثنا. بل إن في ذلك حافزا لنا لإعمال عقولنا، في تقييم ودراسة هذا التراث، والاستفادة منه، بعيدا عن إضفاء هالة القداسة عليه، وحتى لا نعزو إليه إخفاقنا وتعثرنا في نهاية المطاف، ليكون ذلك ذريعة لاستيراد أفكار وتجارب الآخرين التي لا تمت لمجتمعاتنا وهويتنا الإسلامية بصلة.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الأسلاف العظام الذين أبدعوا في شتى جوانب الحياة الإنسانية، وفي مختلف العلوم والفنون والآداب وتركوا لنا هذا التراث الضخم والواسع، لم يبدعوا ما أبدعوه في ظل الانتماء لقومية أو عرقية معينة، ولكنهم أبدعوه في ظل الانتماء لعقيدتهم الإسلامية وثقافتهم الإسلامية، هذه الأخيرة التي هي أوسع مدى وأكثر شمولا من الانتماء لقومية أو عرقية ضيقة. وهكذا فإن الثقافة الإسلامية، كانت هي الإطار الفكري الذي استندت إليه، وانضوت فيه مختلف تلك الإبداعات والمنتجات التراثية عبر التاريخ الإسلامي. لذلك لا معنى للقول بتجزئة التراث الإسلامي، كما هو حاصل الآن. فهذا يتعارض مع حقائق التاريخ. فالتراث الإسلامي لم يكن مرتبطا بقومية أو عرقية معينة، ولكنه تراث إنساني عالمي ساهمت فيه مختلف القوميات والأعراق التي اعتنقت الإسلام، فكان للعربي مساهمته، وللفارسي مساهمته، وللتركي مساهمته، وللكردي مساهمته، وللبربري مساهمته، ولكل قومية أخرى مساهمتها، في هذا التراث الغني والواسع. ولكن تلك الإسهامات كانت في

إطار الانتماء للثقافة الإسلامية. ذلك أن الإسلام صهر القوميات كلها في بوتقته، وساوى بين الناس جميعا بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم وألسنتهم. ولذلك، فإن تلك الإبداعات والإسهامات الحضارية بصفة عامة، تحمل بصمات الثقافة الإسلامية، وتدور في فلكها، وتعبر عنها بشكل أو آخر. حتى وإن بقي للثقافة القومية أثرها وطابعها على ذلك التراث، إلا أن الغلبة كانت عامة للثقافة الإسلامية، التي نشرت ظلالها على أرجاء واسعة من المعمورة. ثم إن أولئك الأسلاف الذين أبدعوا التراث، كانوا أنأى بأنفسهم عن التقيد بمكان محدد. فبلاد الإسلام كانت مفتوحة أمامهم، ولم يكن ثمة ما يقيد حركتهم عن التنقل والترحال في شتى الأقاليم الإسلامية طولا وعرضا، حتى في ظل الإمارات المستقلة التي تقاسمت البلاد الإسلامية، بعد ضعف الخلافة العباسية، حيث بقيت الحدود مفتوحة لجميع المسلمين، وظلت الروابط الاجتماعية والثقافية والعلمية، كما هي عليه، ولم يصبها أي انفصام أو تمزق. وكانت الثقافة الإسلامية، هي الثقافة السائدة والمشتركة بين كل الدول المستقلة، سواء كانت عربية أو غير عربية، فأين يمم العالم المسلم بوجهه في هذه الإمارة أو تلك، فهو في دياره وبين أهله، فدينهم دينه، وثقافتهم ثقافته. وحتى أولئك الحكام المستقلون أنفسهم، لم يكونوا ذوي نزعة استقلالية إقليمية أو قومية.

ومع أن ذلك من دواعي نزوعهم للاستقلال، إلا أن ولاءهم ظل في المقام الأول لثقافتهم الإسلامية، وظلت هويتهم الإسلامية الطابع تهيمن على ما عداها من انتماءات ونزعات، وبقي الباب مفتوحا على مصراعيه لمختلف الإبداعات والابتكارات من قبل العلماء والأدباء والمفكرين المسلمين بغض النظر عن أشكالهم وألوانهم وأوطانهم، وكل ذلك في إطار الثقافة الإسلامية الشاملة، بل إن كثيرا من العلماء قد اعتلوا أعلى المناصب في غير بلدانهم الأصلية.

وإذا كان الإسلام هو الهوية الثقافية للتراث الإسلامي، فإن اللغة العربية، هي مستودع ومخزن هذا التراث الضخم والواسع، فاللغة العربية، هي لغة القرآن الكريم، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت:٤٢)، قال تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ (يوسف:١-٢). وقد انتشرت اللغة العربية، كلغة حضارة عالمية، مع انتشار القرآن الكريم، في كل الأرجاء المفتوحة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، ولعبت دورا بارزا، واحتلت مكانة مرموقة في التاريخ. وكانت هي لغة العلم والتعليم والأدب والثقافة والتأليف، في شتى أنحاء العالم الإسلامي، من تفسير لكتاب الله تعالى، إلى علوم القرآن على اختلافها، إلى دواوين حديث رسول الله ﷺ وشروحها، إلى ما تفرع عليه من كتب مصطلح الحديث وكتب الرجال والجرح والتعديل، إلى كتب الفقهاء في الفقه، إلى أصول الفقه وأصول الدين (أي علم الكلام)، وكتب الملل والنحل، ثم كتب الأدب وكتب البلاغة، وكتب النحو والصرف، وكتب اللغة، وكتب التاريخ، وكتب البلدان، ودواوين شعراء العرب، وما شئت بعد ذلك من أبواب العلم، النظرية والعملية، وعلى اختلاف أنظار العلماء والأدباء المسلمين، وأفكارهم، ومناهجهم، فضلا عن كونها، أي اللغة العربية، كانت لغة المناظرات العلمية، ولغة التجارة والمعاملات المالية. وامتد باع اللغة العربية، حينذاك، إلى كل بقعة وصل إليها الإسلام، وتعالى فيها الأذان، وتلي فيها القرآن، وأصبحت لغة مشتركة، في الأمصار المفتوحة، التي كانت تشكل نحو ثلثي الربع المسكون المعلوم عند المتقدمين، وكان انتشارها أكثر بكثير مما هي عليه الآن، حيث تجاوز استخدامها العرب إلى العجم، وبلغت من سعة الانتشار، ما لم تبلغه اللغة اليونانية، ولا غيرها من اللغات. ومن هنا كانت الهجمة الاستعمارية الغربية الشرسة على اللغة العربية الفصحى، وذلك لأجل هدمها، واستبدالها باللهجات العامية، التي تختلف من منطقة إلى أخرى، بل ومحاولة محوها واستبدالها بلغة المستعمر في بعض الأقطار.



د. محمد حسن بدرالدين
كاتب وباحث دراسات إسلامية



اعتمد الرسول ﷺ جملة من الأساليب التربوية والفكرية من أجل بناء المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وتطبيقها في حياة الأمة، لتكون منهاجا شاملا في عمليات التربية والتوجيه والإعداد. نذكر منها على سبيل المثال: منهجه ﷺ في ترشيد استخدام التعابير وتصحيح المفاهيم، الذي يمكن اعتباره من أهم الركائز التي قامت عليها أساليب الرسول ﷺ التربوية والأخلاقية.

بناء المفاهيم الإسلامية في المنهاج النبوي

وهذا المنهج ذو خاصيات تأسيسية لأنه تكفل بتحديد المفاهيم وضبط المصطلحات حتى لا يحصل تباين في التصورات واختلاط في المعاني، حيث عمد المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى أسلوب تثوير العلم وتأسيسه على طريقة التساؤل عن كلمات وتعابير لها مفهومات شائعة عند الناس. فكان يستمع إلى الإجابات ثم يقوم بتصحيحها وترشيدها وفق المنظور الإسلامي وقواعده المنهجية. من ذلك مثلا أنه يسأل صحابته الكرام: «أتدرون من المفلس؟».

فيجيبون حسب المتعارف عليه عندهم: «يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع». فيجيء الهدي النبوي بعد ذلك موجها ومصححا: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة، ويأتي قد ظلم هذا وأكل مال هذا، وضرب هذا، وشتم هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح به في النار»[1].

سعى الرسول الكريم ﷺ في هذا المنهج التعليمي إلى تأسيس بناء فكري متين لدى الصحابة، يغوصون بمقتضاه في رحاب الحكمة والنظر السديد، والنفاذ إلى جواهر الأشياء

ومكنونات الحقائق. وإننا لنجد كبار الصحابة ثم العلماء العاملين من بعدهم يتلقفون هذا العلم وهذا المنهج، ويستخرجون بفضله كنوزا باهرة أغنت المكتبة الإسلامية، وغذت التراث العلمي الإسلامي بفيض غزير من حكمة ذلك المنهج مثل كتابات: الإمام الغزالي وابن قيم الجوزية، وولي الله الدهلوي.

ضبط المصطلحات

وفي موقف آخر وعملا بالأسلوب نفسه، يسأل الرسول الكريم ﷺ أصحابه: «ما تعدون الصرعة فيكم؟». فيجيبون بكل حماسة وحزم: «الذي لا يصرعه الرجال». فيجيب المصطفى مصححا: «لا. ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب»[٢].

لقد بنى الرسول الأكرم ﷺ بهذا الأسلوب قاعدة فكرية واضحة تقوم على الدقة والرسوخ والمتانة، مهدت السبل لنشوء علوم التعريفات والحدود التي ارتكزت عليها مبادئ الرياضيات وسائر المعارف الدقيقة، كما أسست النسق الفكري الذي اشتقت من أهدافه ومفاهيمه، النظرية التربوية الإسلامية، حيث ترتبط جميع المناهج بهذا البناء وتقوم على أساسه المتميز. ثم يأتي بعد ذلك دور الاستفادة التربوية من مختلف التجارب البشرية الناجحة، ما دامت لا تصادم هذا البناء ولا تناقضه.

البناء الجديد

وإلى جانب ذلك اعتمدت المعالجة التربوية النبوية في منهج تصحيح المفاهيم على أساس مبدأ البناء الجديد، الذي يقوم على إتاحة قدر كبير من المقارنة النقدية الكفيلة بزعزعة الأفكار القديمة، وإحلال الجديدة محلها عن طريق الاختبار والتمحيص.

من ذلك مثلا أن يعمد الرسول الكريم ﷺ إلى طرح المسائل على صحابته الكرام ليحرك سواكنهم ويختبر نباهتهم. فقد ذكر الصحابي الجليل عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ سألهم مرة هذا السؤال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل الرجل المسلم حدثوني ما هي؟» قال عبدالله بن عمر: «فوقع الناس في شجر البوادي. ووقع في نفسي أنها النخلة. قال: فاستحييت. فقالوا: يا رسول الله، ما هي؟ قال: هي النخلة. قال عبد الله: فحدثت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالذي وقع في نفسي، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا»[٣].

تزكية المنحى الواقعي

وفي مواقع أخرى يلجأ الرسول ﷺ إلى طريقة تحويل السؤال وترشيده والإجابة عنه بما يقتضيه الحال والمقام. من ذلك مثلا حديث تضييع الأمانة الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي، قال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه، قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة»[٤].

على أن المثال الدقيق الذي يدعم أسلوب الرسول ﷺ التربوي في ترشيد الأفهام، ويكشف عن معقولية الإسلام، يتجلى واضحا في إعراضه ﷺ عن سؤال أعرابي آخر حول الموضوع نفسه، وإجابته بقوله: «ماذا أعددت لها؟» ففي هذا التحويل التقويمي دلالة تربوية عميقة، وتدعيم للمسلك القرآني الدافع لميادين الفعل والبناء. لقد أراد الرسول ﷺ، وهو المبلغ لأمور الدين أن يبين للناس أن البحث في قضايا الساعة والخوض في موعدها، إنما هو خروج عن دائرة الحركية الإيجابية التي لا تعرف البحث فيما لا طائل من ورائه. لأن النظرة النبوية وطرقها التربوية تنزع دائما إلى تعبئة حياة المسلمين بما يبني أفهامهم وذواتهم ويصلح أحوالهم في الدنيا، ويؤهلهم للفوز بنعيم الآخرة.

وإضافة إلى تزكية المنحى الواقعي والموضوعي الذي ينبغي أن يسود حياة الناس تمضي التوجيهات النبوية في تدعيم تصحيح التصورات وبناء المفاهيم على مقتضيات الفطرة القويمة والفكرة السليمة، مستبعدة كل أنواع الجدل والمسالك الجافة التي لا تؤدي إلى حق أو خير، تمشيا مع قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ

﴿مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:١١٤).

إن التوجه النبوي بفكر الإنسان نحو حقائق الأشياء وأسرار الطبيعة الإنسانية ودفع الأنظار إليها، فضلا عن كونه يعبر عن أصالة المنهج التربوي الإسلامي، يمثل ثورة فكرية وتربوية في مقياس الزمان، سبقت المناهج الحديثة القائمة على مبادئ البحث وملاحظة الحقائق وجمعها ثم استخراج القواعد المعقولة منها.

تيسير العمل وتسديد النظر

كان الرسول ﷺ في معاملته للمسلمين أخا كريما ومعلما حكيما يستعمل ألين الخطاب، ويرشد إلى أيسر الأعمال، ويهدي إلى الاقتصاد في الطاعة وحسن المداومة عليها، دون إفراط أو تفريط. وهو سبيل قويم في توجيه السلوك وتصحيح المفاهيم. فمن منهجه ﷺ أن يقبل الإنسان على ما يطيق من الأعمال من دون مبالغة أو إسراف: «عن عائشة قالت: كانت عندي امرأة، فدخل علي النبي ﷺ. فقال: من هذه؟ قلت: فلانة، لا تنام -تذكر من صلاتها- فقال النبي ﷺ: «مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا». قالت: وكان أحب الدين إليه الذي يدوم عليه صاحبه»[5].

وفي حديث آخر رواه أبو هريرة، قال عليه الصلاة والسلام موضحا أبعاد هذا المسلك الرشيد: «إن الدين يسر، ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[6].

من الحقائق النفسية المعروفة اليوم والمتعلقة بتصحيح المفاهيم وتوجيه المسارات، والتي تستشف من منهاج الرسول ﷺ، أن تحصيل المعارف وممارسة العبادات تختلف وتتفاوت حسب درجة الاستعداد والتهيئة الوجدانية. ولذلك لا يمكن للإنسان أن يقوم بواجباته على الوجه الصحيح إلا بعد اقتناع واستطاعة. وهو أمر لا يتم أيضا إلا إذا كان مناسبا لاستعداد الإنسان ودوافعه النفسية وقدراته العقلية وأخذه الأمور على وجوه التيسير والمداومة والمقاربة.

وقد استفاد كثير من العلماء المسلمين من محتويات هذا المنهج النبوي. من ذلك مثلا ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) حول الاستعداد النفسي وتربية الاتجاهات والمواقف والآراء، على مبادئ اليسر والتسديد والمقاربة، حيث رأى أن سبيل الفلاح هو تمكين الإنسان مما هو مستعد له، على وجوه التيسير والتدريج لبلوغ الغايات، وكذلك مراعاة أحوال الجهد والطاقة، بحيث تغدو اهتمامات المرء وميوله وقدراته ملائمة لمراحل التعلم والعمل[7].

إن جملة الأصول التربوية التي أرساها المصطفى ﷺ في واقع العباد في جوانبها النظرية والعملية، كفيلة بتحقيق قدر كبير من الاستقلال الفكري والحضاري إن أحسنا الاستفادة منها وتأصيلها تأصيلا جديدا. ونريد من تربية اليوم أن تحيي تلك الأصول النبوية في النفوس، وتجسدها في واقعنا الراهن، بعد أن ضعف بريقها، وحلت محلها قيم مادية تقيس الإنسان بمقاييس الجاهلية الأولى التي جاء الإسلام لإبطالها وتجاوزها.

الهوامش

١- أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ) المعجم الأوسط، تحقيق: طارق عوض الله، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.ج٣، ص١٥٦.

٢- أبو داود السجستاني (ت:٢٧٥هـ) سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. ج٧، ص١٥٩.

٣- ابن عبدالبر (ت:٤٦٣هـ) جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، م.ع.س. ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ج١، ص٤٨٠. باب طرح العالم المسألة على المتعلم.

٤- الإمام البغوي (ت:٥١٦هـ) شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ج١٥، ص٢٦.

٥- ابن ماجه (ت:٢٧٣هـ) سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. ج٥، ص٣١٢.

٦- الشهاب القضاعي (ت:٤٥٤هـ) المسند، تحقيق: حمدي عبدالمجيد، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م. ج٢، ص١٠٤.

٧- ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تحقيق: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. ج١، ص٩٤.



د. أحمد عبدالرازق عبدالعزيز
باحث أكاديمي

مهد الرسالات بين الماضي والحاضر



ستظل للقدس أهمية خاصة عند الأمة العربية بشكل عام والمسلمين بشكل خاص؛ فكما نجحت الأمة العربية في عصورها الأولى نجحت كذلك في عصورها الوسطى نتيجة وحدتها، حيث ارتبطت شعوب هذه الأمة ولا تزال ترتبط برباط اللغة والتاريخ المشترك؛ بالإضافة إلى العادات والتقاليد؛ وكان كتاب الله عزوجل أعظم توثيق لرباط الأمة الإسلامية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(الأنبياء:٩٢)، فلا نبالغ إن قلنا أنها مجمع الديانات السماوية، والرسل والأنبياء عليهم أفضل الصلوات والسلام، وهي أيضا مهد الحضارات، فهي مدينة نعجز عن وصف أهميتها دينيا أو حضاريا أو تاريخيا.

عموما لم تكن القدس بالنسبة للعرب مجرد مدينة على الخريطة، وإنما كانت لهم أولى القبلتين وثالث الحرمين.. وكانت قبلة للعلماء، ومقصدا للدارسين، ومنارا مرشدا لصناع الحضارة من كل مكان، فقد فتحت القدس العربية قلبها واستقبلت الحجاج والزوار المسيحيين واليهود طوال عصورها العربية، ولم ترد حاجا أو تصد زائرا.. وتفتحت عيون القدس العربية للعلوم والمعارف لرفعة بني الإنسان ورقيهم؛ فكانت مجمعا للمدارس ورمزا لكل راغب في العلم والمعرفة، وأثبتت القدس العربية على مدى التاريخ أنها مدينة السلام لكل بني الإنسان[١]، ولا أصدق من كلمات الراهب الروسي دانيال عن بيت المقدس وزيارته لها عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م حيث وصف شغفة وإعجابة بتلك الأماكن ووصف موقعها بأنها في وديان قاحلة، وسط جبال صخرية وتغمر البهجة كل مسيحي عند رؤية مدينة بيت المقدس الطاهرة، بل وتذرف الدموع عند ذلك المشهد الذي طالما اشتاق الزائر لرؤيته، وأشار هذا الراهب بعبارة محددة وقال: «سافرنا دون إزعاج عبر جميع أنحاء فلسطين الاسم الذي عرفت به البلاد التي تقع حول بيت المقدس»[٢]، وعبارته الأخيرة تدل على سياسة التسامح التي لمسها من المسلمين في جميع أنحاء فلسطين.

ويجب أن نعلم مدى أهمية مدينة القدس عند العرب؛ فهم الذين أطلقوا عليها تسمية القدس آي المقدسة، وقد اتخذت قبلة أيام النبي محمد ﷺ من باب التقديس لا التقليد، وإليها كان الإسراء ومنها كان المعراج، وترجع

أهميتها تاريخيا أنها «هي المدينة المشهورة التي كانت محل الأنبياء وقبلة الشرائع ومهبط الوحي» ولا يوجد بها موضع إلا وصلى فيه نبي أو حكم فيها ملك، ويؤكد لنا ابن الجوزي أن كثيرا من المحدثين يجمعون على أن الله عزوجل منذ خلق آدم إلى الدنيا لم يبعث نبيا إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس[٣]، وكما كانت لها أهمية كبيرة عند المسلمين، ففيها أيضا كثير من الأماكن المقدسة التي ترتبط بتراث المسيحيين مثل كنيسة القيامة، حيث يحج إليها المسيحيون من مختلف الأقطار، وبها كنيسة صهيون التي يقال إن المائدة نزلت على سيدنا عيسى عليه السلام والحواريون بها، بل إن المسيحيين الغربيين كانوا يعتقدون في العصور الوسطى بوجه خاص أن زيارة بعض الأماكن بها قد تهب التحلل والتوبة من الذنوب[٤]، وكانت تلك الكلمات هي أصدق شهادة من مؤرخ غربي، فقد شهدت أرضها آثارا لموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه، لذا لا نبالغ إذا قلنا إن مدينة القدس حظيت باهتمام العالم أجمع، قديما وحديثا..

ولكن سرعان ما فقدت أرض السلام بسبب عوامل أقوى من وحدة العرب؛ فلم تعرف القدس التعصب سوى حين احتلها الصليبيون؛ فطردوا منها المسلمين واليهود، وأساؤوا معاملة المسيحيين العرب، ومات التسامح في بلد التسامح.. وصارت وقفا على المستوطن الغريب القادم من الغرب الأوروبي؛ فالقدس كانت محور الدعوة الصليبية بالأمس، كما هي محور الدعاوى الصهيونية اليوم.. فقد جاء الصليبيون في أواخر القرن الحادي عشر تحت راية الصليب بدعوى تحرير القدس من العرب المسلمين، وادعوا أن فلسطين أرض الميعاد، وأنهم شعب الله المختار الذي اصطفاه للمهمة المقدسة لتحرير ضريح المسيح من المسلمين..

ولم تعرف القدس العنف والدمار سوى حين اقتحمها القادمون من أوروبا باسم الدين، حين جرت سيوف الصليبيين بتلك المذبحة الرهيبة على المسالمين من سكان القدس؛ مسلمين ويهودا؛ ولكن سرعان ما عاد السلام مرة أخرى تحت راية صلاح الدين بموقعة حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، حين تم طرد الصليبيين؛ مع بقاء كل مسيحي أو يهودي مسالم تحت حكم المسلمين ينعم بالعدل والتسامح[٥]، هكذا كانت مبادئ الإسلام.

وكانت مصر ولا تزال كغيرها من الدول العربية الشقيقة معنية بتلك المدينة المقدسة، فنحن العرب أولى بحمايتها وحماية مقدساتها، وكان التاريخ شاهدا على ذلك، حيث يعد أول من أيقن تلك الأهمية العتيقة هو السلطان الظاهر بيبرس، ففي عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م قام بترميم قبة الصخرة، والمسجد الأقصى، وتجديد الحرم الإبراهيمي، واستمر هذا الاهتمام عهد السلطان قلاوون والناصر محمد، ولأهمية هذه المدينة أصبحت نيابة مستقلة تتبع السلطة المركزية في القاهرة مباشرة بعد أن كانت تتبع دمشق، وعموما كانت الصفة الغالبة على المدينة هو حرص المماليك على تأكيد نفوذهم الديني عن طريق نشر العدل والتسامح بين طوائف السكان المختلفة من مسلمين ومسيحيين ويهود[٦]، فهي تعطي من قام برعايتها وحمايتها رونق وبهاء.

وعن المسجد الأقصى جاءت التسمية القرآنية صريحة وواضحة لهذا المسجد المبارك بقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(الإسراء:١) فهو مكان له هالة خاصة عند أصحاب الديانات السماوية، فقد شهد عددا كبيرا من أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم مع أقوامهم دعوات، أو مطاردات لهؤلاء الأنبياء رسل السماء، وخدمته العديد من النساء الطاهرات ومنهم السيدة العذراء مريم أم المسيح عليه السلام[٧].. وكل ذلك يضفي على هذه المدينة -بيت المقدس- رونقا وبهاء واعتزازا وتقديرا لكل المجتمع العربي بشكل عام، والمسلمين بشكل خاص.

فالقدس ليست مجرد مدينة من عشرات الألوف من مدن الأرض فهي الماضي والحاضر والمستقبل.. وبذلك حاولت عرض لمدينة القدس وكيف كانت ومازالت في وجدان الوطن العربي؛ فالعرب مجتمعا وسلطة هم أكثر من حافظوا على مقدسات المدينة المقدسة، ونشروا سياسة التسامح للأديان السماوية الثلاث؛ فماضينا خير شاهد على حاضرنا، وستظل القدس في قلب كل عربي، فالمبادئ لا تتغير، والقيم لا تتجزأ.

الهوامش

١-علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، (دار الفكر للدراسات، القاهرة، ١٩٨٦م)، ص:٦.

٢- الحاج الروسي دانيال الراهب، وصف الأرض المقدسة في فلسطين، (دار الشروق، عمان-الأردن، ٢٠٠٣م)، ص:١٠٧،١٠٦،٤٨،٤٠.

٣- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م)، ص:١٦٠،١٥٩؛ ابن الجوزي، فضائل القدس،(بيروت، ١٩٨٠م)، ص:١١٤.

٤- رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبة، (ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٩م)، ج١، ص:٧١.

٥- ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، (دار المنار، القاهرة، ٢٠٠٠م)، ص:٤٩-٥٢،٢٣٣؛ على السيد، المرجع السابق، ص:٥-٦.

٦- القلقشندي، صبح الأعشى، (دار الكتب، القاهرة،٢٠١٠م)، ج٤، ص:١٩٩؛ المقريزي، المصدر السابق، ج١، ق٢، ص:٧٢٥؛ انظر علي السيد، المرجع السابق، ص:١١٠.

٧- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت)، ج٦، ص:٤٠٨.



شيماء لطفي
باحثة تربوية

القدس.. ضمير الأمة

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(الإسراء:١).

القدس أرض باركها الله سبحانه وتعالى وبارك ما حولها، وجعلها مهبط الرسالات، ومن بركة هذه المدينة وفضلها ومنزلتها أن الله تعالى جعلها محور معجزة الإسراء والمعراج، فإليها كان الإسراء، ومنها كان المعراج، وما ذلك إلا لحكمة ربانية يتبين منها أن هذا الأمر إعلان من رب السموات والأرض عن إسلامية هذه الديار، حيث فتحت روحيا وإيمانيا بمعجزة الإسراء والمعراج، قبل أن تفتح بالصلح على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ويمثل الربط بين المسجد الأقصى المبارك والمسجد الحرام من ناحية، والربط بين القدس ومكة المكرمة من ناحية أخرى رباطا عقديا وتعبديا، ويتمثل الرباط العقدي أولا بذكر الله لهما في القرآن الكريم فقد جمعتهما آية الإسراء، ويظهر الرباط التعبدي

لكون القدس القبلة الأولى للمسلمين، فقد صلى رسول الله ﷺ أكثر من أربعة عشر عاما وقبلته المسجد الأقصى المبارك، وأن مكة المكرمة قبلة المسلمين الثانية، وإن كان المسجد الحرام هو القبلة الأولى لكل الموحدين فهو القبلة الثانية للمسلمين، وأن شد الرحال بقصد التعبد لا يكون إلا إلى المساجد الثلاثة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» (متفق عليه).

كما جاء ربط المسجد الأقصى المبارك وربط بيت المقدس بالسموات العلا من خلال المعراج، والله سبحانه وتعالى
يقول: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ
وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ
هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ
٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ
٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ
أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠
مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ
مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ
سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥
إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ
وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ
١٨﴾ (النجم:١-١٨).

وقد جاء ربط السماء بالقدس حين صلى النبي ﷺ بالأنبياء عليهم السلام إماما في ساحة المسجد الأقصى المبارك، إماما بالأنبياء فهو إمامهم وخيرهم ﷺ، وإن في صلاته بهم إماما معاني كثيرة أهمها تبعهم له ومبايعتهم له وتقديمهم له صلوات ربي وسلامه عليهم جميعا، وإيذان بتسليم أمانة بيت المقدس إلى رسول الله ﷺ وإلى أمته من بعده، فالأمة الإسلامية هي القيمة على هذه المدينة حتى قيام الساعة، لا يحق لأحد أن يتنازل عن جزء منها، ولا يحق لأحد أن يسلبها جزءا من هذه المدينة المباركة.

قبلة المسلمين الأولى

كانت القبلة إلى المسجد الأقصى لمدة ستة أو سبعة عشر شهرا قبل نسخها وتحويلها إلى الكعبة بيت الله الحرام، روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «صلينا مع رسول الله نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم حرفنا نحو الكعبة» (أخرجه البخاري ومسلم) وهذا الحديث النبوي الشريف صريح بأن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين للمسلمين وفيه ذكر لفترة صلاة رسول الله باتجاه بيت المقدس بعد الهجرة.

ثاني مسجد وضع في الأرض

هو ثاني المساجد في الأرض بعد المسجد الحرام؛ وهو مكان مبارك ما فيه وما حوله، وهو مسجد في أرض باركها الله حيث قال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١) قيل: لو لم تكن فضيلة إلا هذه الآية لكانت كافية، وبجميع البركات وافية.

دعوة موسى عليه السلام

كان من تعظيم موسى عليه السلام للأرض المقدسة وبيت المقدس أن سأل الله تبارك وتعالى عند الموت أن يدنيه منها، روى البخاري في صحيحه مرفوعا: «فسأل موسى الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر». قال النووي: «وأما سؤاله -أي موسى عليه السلام- الإدناء من الأرض المقدسة فلشرفها، وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم».

أرض المحشر والمنشر

عن ميمونة بنت سعد رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس. قال: «أرض المحشر والمنشر، إئتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره». قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: فتهدي له زيتا يسرج في قناديله، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه». (رواه أبو داود)، وهذا الحديث يوضح ارتباط مدينة القدس بالعقيدة الإسلامية، لأن المحشر والمنشر جزء من عقيدة البعث عند المسلمين.

وقد بشر الرسول ﷺ الأمة الإسلامية بأن الفئة المنصورة هي التي ترابط في بيت المقدس ينتظرون يوما يأذن الله تعالى فيه بالزحف لتحرير بوابة السماء القدس والمسجد الأقصى المبارك فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يارسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس» (أخرجه أحمد).

فمنزلة القدس في الإسلام منزلة عظيمة، فهي بوابة الأرض إلى السماء، وبوابة السماء إلى الأرض، وما زالت القداسة والبركة فيها حتى قيام الساعة.



د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

الإسراء والمعراج... ولغز الزمن

لا يزال الخلق يعيشون ويتقلبون في آيات الله الكونية آناء الليل وأطراف النهار لعلهم يفقهون! فيقفون على حقيقة ما جعل الله فيهم من آيات ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢١)، ويقفون على أعتاب الكون وأطرافه، فيدركون عظمة الخلق التي تأخذ بالألباب والعقول، فيعلمون عظمة الخالق الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ (فصلت:٥٣).

ومما يحير العقول ويدهشها ويصيبها بالتعجب دوران عجلة الزمن بحساب دقيق ونظام ثابت، ليكون أحد عوامل استقرار الحياة على الأرض، وهي آيات عظيمة طالما حفزنا القرآن للتفكر فيها وتدبرها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (آل عمران:١٩٠).

والآية قبلها تنبهنا إلى قدرة الله المطلقة في الخلق والإيجاد، والتنظيم لحركة الكون ورعايته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:١٨٩).

وقد سخر الله الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم لخدمة الإنسان والقيام بواجبات الاستخلاف على الأرض، فوجودها وتغيرها يعينان الإنسان على الحياة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (النحل:١٢).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ (الفرقان:٦٢).

فهي آيات تمضي وتتكرر، فتثير فينا التذكر والاعتبار والاتعاظ من تعاقب الليل والنهار، الذي به صلاح الكون والبلاد والعباد، فالأمر كما قال سبحانه: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ (الرحمن:٥)، أي يجريان بحساب، لا يعدوانه، وبقدرة لا يعلمها إلا مقدرها، أو من أطلعه

الله تعالى عليها من خلقه[١].
فهكذا يمر الزمن بحركة الشمس والقمر التي ينتج عنها تعاقب الليل والنهار.

الإعجاز الزمني للإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج حدث عظيم توسط أحداثا عظاما لا تقل عنه شأنا وقدرا، فقد وقع بعد البعثة ونزول الوحي، وقبل الهجرة إلى المدينة، ليرى من آيات الله الكبرى، ويطلع على عجائب القدرة. ومن عجائب القدرة هنا: قطع الرحلة للمسجد الأقصى في سرعة لا تدركها طبائع البشر وعقولهم، ثم كان المعراج من هناك إلى حيث ينقطع علم الخلائق، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ (النجم:١٣-١٨).
والسؤال كم من الوقت استغرقته رحلة الإسراء والمعراج؟
الوقت الذي استغرقته هذه الرحلة المباركة هو جزء من ليلة واحدة، كما في الأحاديث الصحيحة؛ فقد أسري به ﷺ ليلا بعد صلاة العشاء وأصبح بمكة.
عن عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلة أسري بي وأصبحت بمكة...» (أحمد في مسنده).
وإن كان الإسراء لبيت المقدس يستغرق حينها ٤٠ يوما، فإن رحلة المعراج استغرقت من الزمن ما الله به عليم، وقد أخبرنا الله عن بعد المسافة بين الأرض والسماء، فما بالك بالوصول إلى سدرة المنتهى!
فالإعجاز في هذه الرحلة العجيبة يكمن في أن النبي ﷺ خرج فيها عن نطاق الزمان والمكان، وقطع مسافات وآفاقا لا يعلم حدودها إلا الله تعالى. وقد بين الله تعالى لنا في عدة آيات مدى اتساع هذه الآفاق التي لا يدركها العقل البشري برغم ما وصل إليه من علم في العصر الحديث، فقال سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة:٥).
أي يحكم الأمر بقضائه وقدره من السماء إلى الأرض، وقيل: يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية من الملائكة وغيرها، نازلة أحكامها وآثارها إلى الأرض، ثم يرجع ذلك الأمر ويصعد ذلك التدبير إليه سبحانه في كل يوم مقداره ألف سنة، وقيل: يدبر أمر الحوادث اليومية بإثباتها في اللوح المحفوظ فتنزل بها الملائكة، ثم تعرج إليه في زمان هو كألف سنة من أيام الدنيا[٢]، لكنه يعرج إليه ويصله في لحظة[٣].
وقال سبحانه: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج:٤).
هنا ذكر المسافة التي تعرج فيها الملائكة والروح إلى الله، وأنها تعرج في يوم بما يسر الله لها من الأسباب وأعانها عليه من اللطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلى بلوغها ما تنتهي إليه من الملأ الأعلى[٤].
هذا هو الملكوت الذي اخترقه النبي ﷺ في رحلته المباركة بجسده وروحه، فهل يطوى الزمن ويختصر هناك، أم أن مع الخروج خارج إطار الليل والنهار والشمس والقمر ينعدم الزمن وتكون هناك سنن إلهية أخرى تنظم سير الملك والملكوت بمشيئته وإرادته بحكمة يريدها سبحانه، ولله الحجة البالغة؟! وهذه بعض الأمثلة تعيشها البشرية في الدنيا والآخرة، ولم تستطع حل لغز الزمن بعد!
قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ (البقرة:٢٥٩).
وقال تعالى عن أهل الكهف: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ (الكهف:١٩).
مع أن القرآن الكريم أثبت أنهم ناموا طيلة ثلاثة قرون، قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ (الكهف:٢٥).
وهذا الأمر سيشغل بال الناس يوم

القيامة عند الحشر ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (طه:١٠٣-١٠٤).

وقال سبحانه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ (النازعات:٤٦).

إنها قدرة الله التي تدهش العقول وتبهر الألباب، قدرة الله اللامتناهية، التي لا حدود لها.

وقفة مع «سبحان»

كلمة ابتدأ الله تعالى بها سورة الإسراء، وهي كلمة تدل على تقديس الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق بجماله وجلاله، وفي افتتاح سورة الإسراء بها رمز إلى التعجب من باهر قدرته في إسرائه بصفوة خليقته ﷺ[٥].

يقول السعدي رحمه الله: «ينزه تعالى نفسه المقدسة ويعظمها لأن له الأفعال العظيمة، والمنن الجسيمة، التي من جملتها أنه (أسرى بعبده)»[٦].

والمجيء بمصدر يفيد الإطلاق من دون تقيد بزمن أو فعل أو فاعل، تسبيح مطلق، قبل تسبيح أحد لا بفاعل معين، ولا بزمن معين، قبل خلق المسبحين، أصلا[٧].

وكأن المصدر المطلق هنا ينبهنا إلى طلاقة القدرة التي تقهر كل شيء، وتتصرف في كل شيء، وفق مشيئة الله وإرادته.

وكلمة سبحان أصلا تستخدم في التعجب، والإتيان بها مرتبطة بهذه المعجزة (الإسراء والمعراج) لتثير في النفوس والعقول الإعجاب والاندهاش من طلاقة قدرة الله وعظيم تصرفه في خلقه، بالقدر الذي تحار فيه العقول، وتندهش وتقر أن الله على كل شيء قدير، وما حادث الإسراء والمعراج إلا جزء يسير من بعض مظاهر القدرة والعظمة، والكمال اللامحدود، والجلال المطلق، وقدرته سبحانه على ما لا يقدر عليه أحد سواه.

إنها القدرة المطلقة اللامتناهية، التي كشفت لأبي الأنبياء إبراهيم، عليه السلام، الملكوت الأعظم علويه، وما دون ذلك من الأرضين في العالم السفلي، وهو على ظهر الأرض لم يفارقها، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام:٧٥)، أي نريه ما فيهما من الخلق.

وقيل: «كشف الله له عن ذلك حتى رأى إلى العرش، وإلى أسفل الأرضين»[٨].

لكن النبي ﷺ كان أعلى قدرا من ذلك، حيث جعله الله تعالى يخترق الملكوت بجسده وروحه، فعلا الخلائق كلها في المكان والمكانة.

بين بداية سورة الإسراء ومنتهاها

لقد ابتدأت السورة بـ«سبحان»؛ فهو سبحانه له الكمال والثناء والحمد، والمجد من جميع الوجوه، المنزه عن كل آفة ونقص.

ويتفق آخر السورة مع أولها، فختمت بقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (الإسراء:١١١).

فهو سبحانه يمدح نفسه ويثني عليها، فينزهها عن كل نقص، ويصفها بكل كمال، ولكمال غناه تعالى فهو لا ولد له، ولا شريك له، ولا ولي يحتاج إليه بذل يلحق به، فيتعزز بذلك الولي، فهو سبحانه الغني عن الولد والشريك والولي، فاجتمع صدر السورة وعجزها على تنزيه الله عن كل نقص يلحق بالعقول، أو يطوف بالأذهان وهي تتفكر في معجزة الإسراء والمعراج، فلا بد للبشرية كلها أن تذعن أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما.

وهذه الآية وصفها النبي ﷺ بأنها آية العز، فعن معاذ بن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «آية العز: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (الإسراء:١١١)»[٩].

الهوامش

١- quranalmaany.com.
٢- زبدة التفسير، ص:٤١٥.
٣- زبدة التفسير، السعدي، ٩١٥.
٤- تفسير السعدي، ص:١٢٤٨، ط: جمعية إحياء التراث الإسلامي.
٥- www.alukah.net الشيخ طه محمد الساكت.
٦- تفسير السعدي، ص:٦٢٣.
٧- tadars.com د فاضل صالح السامرائي.
٨- زبدة التفسير، ص:١٣٧.
٩- رواه أحمد، ٣/٤٣٩.



علي سلطان علي السيد
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

زاد المحتاج من دروس الإسراء والمعراج



لقد كانت معجزة الإسراء والمعراج إطلالة سريعة وومضة عابرة على عالم الغيب، ليزداد الذين آمنوا إيمانا وثباتا على الحق، وليعلموا أنهم يأوون إلى ركن شديد.

فتعال معي أخي القارئ الحصيف لننهل من هذا المعين الرقراق قبسات من العبر والعظات.

فمن هذه العبر والعظات:

١- استحضار عظمة الله وقدرته

لنؤمن إيمانا لا يخالطه شك بوقوع المعجزة، ولا نقحم عقولنا في فهم كيفية وقوعها، ذلك لأن الذي تولى الأمر، عز وجل، في هذه الرحلة المباركة ذو قدرة مطلقة ولا يعجزه شيء، فاستحق، سبحانه، التمجيد والتعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

٢- العبودية طريق العزة والعطاء

إن ما عند الله تعالى لا ينال إلا بطاعته، فما وصل النبي ﷺ إلى هذه المنزلة الرفيعة، ونال هذا العطاء الفياض إلا بالعبودية الخاصة لله تعالى، فمن أراد العزة والعطاء الوفير فليلزم العبودية للعزيز القدير، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأعراف:٩٦).

٣- الرب رب.. والعبد عبد

فرغم عروج النبي ﷺ ووصوله إلى هذه المنزلة الرفيعة، فإن الله تعالى وصفه بالعبودية لله قائلا: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾.

فأنت أيها النبي، والناس جميعا، مهما ارتقعت وعلوت لا تنس أنك «عبد» فقير محتاج إلى ربك ومولاك.

وليفرق الناس بين منزلة الإله ومنزلة النبي، فيخلصون العبادة لله وحده دون سواه ولو كان نبيا.

٤- المكانة العظمى للصلاة

فلقد فرضت الصلاة على النبي ﷺ وعلى أمته في السماوات العلا، في حين أن كل العبادات الأخرى نزلت على رسوله ﷺ وهو في الأرض.

وعلو مكانة الصلاة وفرضها في السماوات العلا، فيه إشارة إلى أنها (الصلاة) الطريق إلى العلو عن الهموم والأحزان، كما في الحديث: «وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وأمر من رأى في منامه ما يكره أن يصلي»[1].

وثمة لطيفة أخرى، وهي أن فرض الصلاة في السماوات العلا فيه دعوة للتوجه إلى العلي الكبير، سبحانه، بالعبادة ونبذ ما سواه، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢).

٥- الأخذ بالأسباب

شاءت إرادة الله تعالى بهذا التدرج في الانتقال، فمن مكة إلى بيت المقدس إلى السماوات العلا... لماذا؟ ليعلمنا الله تعالى الأخذ بالأسباب... فلقد ركب النبي ﷺ دابة البراق من مكة إلى المسجد الأقصى، وربط البراق في الحلقة التي يَربِط فيها الأنبياء، ثم عرج (بالمعراج) إلى السماوات.

وبدهي أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله تعالى.

٦- علو مكانة النبي ﷺ

وقد بدا ذلك في إمامته ﷺ لإخوانه الأنبياء في المسجد الأقصى، وفي وصوله ﷺ إلى سدرة المنتهى، وفي ترحيب الأنبياء به ﷺ وحسن استقبالهم له.

٧- النصر بعد الصبر.. والفرج بعد الكرب

فلقد جاءت رحلة الإسراء والمعراج تفريجا عن النبي ﷺ بعد «عام الحزن»، الذي فقد فيه زوجته خديجة، رضي الله عنها، التي كانت سنده بمالها ورعايتها، وفقد عمه أبا طالب الذي كان درعه الواقية، بعد الله تعالى، ضد كفار قريش، وفي هذا العام قوبل ﷺ بالصدود الشديد من أهل الطائف حين خرج لدعوتهم.

فجاء الفرج بعد الكرب والنصر بعد الصبر، فكانت رحلة الإسراء والمعراج.

الهوامش

١- فتح الباري لابن حجر، ٢١١/١؛ وينظر: التمهيد، ٤٤٩/٢٣؛ وشرح الزرقاني ٣٤٢/٤.

د. عبدالغني الهرادي
أستاذ جامعي



أخلاق النبي ﷺ في ضوء القرآن الكريم

سيكون منطلق هذا المبحث هو جواب عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، عندما سئلت عن أخلاقه ﷺ، حيث كان جوابها رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»؛ أي كان متمسكا بآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف؛ فهذه الكلمة العظيمة من عائشة، رضي الله عنها، ترشدنا إلى أن أخلاقه عليه الصلاة والسلام هي اتباع القرآن، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواه، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحه القرآن العظيم وأثنى عليه بها، والبعد عن كل خلق ذمه القرآن.

● قال تعالى واصفا ومادحا خلق نبيه ﷺ:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)،

فمن أراد أن يعرف أخلاق النبي ﷺ فليقرأ القرآن، فالقرآن يمدح الفضائل وينهى عن الرذائل، والرسول ﷺ يتمثل الأخلاق الحميدة، فهو «قرآن يمشي»؛ أي ترجمة كاملة وتطبيقا وسلوكا وأخلاقا وتعاملا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

قال ابن كثير، رحمه الله، في تفسيره لهذه الآية: ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن؛ أمرا ونهيا، سجية له وخلقا... فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل، وقد وصفه ربه سبحانه بأنه لعلى خلق عظيم، وأكد ذلك الوصف مرتين في آية واحدة، فأكده بإن، وأكده باللام فقال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

● قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

● وقد انتهج النبي ﷺ ذلك في دعوته ولطيف أسلوبه للناس كلهم حتى شملت المسلمين والكافرين، فكان من سبب ذلك أن أسلم ودخل في دين الله تعالى أفواج من الناس بالمعاملة الحسنة والأسلوب الأمثل، كان يتمثل في ذلك ﷺ قول الله عزوجل: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت:٣٤-٣٥).

● فبين سبحانه أنه عليه الصلاة والسلام الأسوة الحسنة التي ينبغي للأمة أن تتأسى به في كل شيء قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة:٢).

والتزكية هي التطهير من أدناس الأعمال والأقوال والأخلاق والنيات، فجعل الله من صفات نبيه أنه يزكي من آمن به واتبعه، ولا يمكن أن تكون هذه التزكية بمجرد القول، بل لابد أن يكون المزكي ﷺ مثالا حيا رفيعا في التزكية، وبنحو الذي قلنا في الأميين في هذا الموضع قال أهل التأويل: يقول تعالى ذكره: الله الذي بعث في الأميين رسولا منهم، فقوله هو كناية من اسم الله، والأميون: هم العرب... وقال: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) قال كان هذا الحي من العرب أمة أمية، ليس فيها كتاب يقرؤونه، فبعث الله نبيه محمدا رحمة وهدى يهديهم به.

● وقال عزوجل: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ (المدثر:٦)، وفي هذا إشارة إلى أن ما خص به من منع إعطاء الشيء ابتغاء شيء أكثر هو أنه مقرون بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب، ليكون مثلا أعلى للبشرية؛ لأنه يدعوها إلى

مكارم الأخلاق، ولقد صح عنه ﷺ أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» كما سبقت الإشارة إليه.

وقد أوتي ﷺ من مكارم الأخلاق أرفع قدر وأعلى نسبة، فإن الكمالات البشرية الموزعة على جميع الأنبياء والرسل وعلى جميع الناس، لم تجمع لشخص واحد إلا لمحمد ﷺ.

● قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨).

● قال أبو جعفر الطبري: القول في تأويل قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، يقول تعالى ذكره للعرب: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾، أيها القوم، رسول الله إليكم ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾، تعرفونه، لا من غيركم، فتتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، أي: عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، يقول: حريص على هدى ضلالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: أي رفيق ﴿رَّحِيمٌ﴾.

● وقد قال الله جل وعلا لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨).

● وهذا أيضا من أخلاقه عليه الصلاة والسلام، ومن أخلاق أهل العلم جميعا، أهل العلم والبصيرة أهل العلم والإيمان أهل العلم والتقوى.

● ثم إن الإسلام عد الإيمان برا، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (البقرة:١٧٧).

وفي وصف رسول الله ﷺ في التوراة، روي عن عطاء رضي الله عنه قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا».

وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩). فوصفه بخلق الرحمة ولين الجانب، ونفى عنه ما يقابلهما من سوء الأخلاق، وغلظة القلب، فكانت النتيجة نصر الله ودخول الناس أفواجا في دين الإسلام، ونشره في كل بقاع العالم.

خاتمة

إن من يتأمل كتاب الله عزوجل حق التأمل، يرى الآيات التي تتحدث عن الأخلاق الحميدة، وتدعو إلى التحلي بها، والتعلق بآدابها؛ فالأخلاق في الإسلام تشمل كل جوانب السلوك الإنساني، وهي أعظم ما أعطي العبد من النعم، يقول الرسول ﷺ لما سئل ما خير ما أعطي العبد؟ قال: «حسن الخلق»؛ وذلك لأنه يزين الإنسان ويضفي عليه قدرا من الجمال والبهاء، ولا ريب أن مرتبة الأخلاق تأتي بعد الشهادتين والصلاة، فالدين كله قائم على الأخلاق بعد تقوى الله عزوجل.

المصادر

● القرآن الكريم.

● الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدالله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

● جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

● الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

● مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

● المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.



د. محمد إبراهيم الحلواني
أكاديمي بجامعة المدينة العالمية
مصر

الإحسان إلى الحيوان في سنة النبي العدنان

تتغنى الحضارة الغربية بأنها أول من أصلت لقضية الرفق بالحيوان، لكن الحضارة الإسلامية قد سبقتها في الإحسان إلى الحيوان، فلا ينبغي أن يؤذى حيوان أو يضرب أو يجوع أو يظمأ. وإذا كان الإسلام قد أمر بهذا الخلق الكريم فكيف بالرحمة والإحسان مع بني الإنسان؟ فالمؤمن لا يؤذي حيوانا أو إنسانا؛ لأنه تربى في مدرسة النبوة التي أمرته بكل خير ونهته عن كل شر، يضاف إلى ما سبق أن الرفق بالحيوان وعدم الإساءة إليه أمر مسلم به في فطر العقلاء ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام. وأتساءل وأقول: أين جمعيات الرفق بالحيوان عما يحدث للحيوانات في إسبانيا وغيرها من تعذيب وقتل للحيوان وهو حي كمصارعة الثيران وضربها بالسيوف، والتحريش بين بعض الطيور للمضاربة كمصارعة الديوك والصعق الكهربائي للحيوانات وضربها بالهراوات على رأسها حتى الموت؟ وإذا كانت الشريعة الإسلامية تحرص على الإحسان إلى الحيوان وإعطائه حقوقه، فإنها أمرت أيضا بقتل الضار منه، وهذا هو التوازن الذي تسعد به البشرية حقا.

راحموا الحيوانات

إن الرحمة خلق عظيم من أخلاق الإسلام لا توضع إلا في قلوب الأتقياء ولا تنزع إلا من الأشقياء، وقد عم البلاء وانتشر الفساد وكثرت المصائب بسبب انعدامها ونزعها، ولم تقتصر رحمته ﷺ على بني البشر، بل شملت الحيوانات، يؤكد هذا قوله ﷺ للفتى الأنصاري الذي كان يؤذي بعيره: «من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟». فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه»[1]، ففي هذا الحديث تتجلى روح النبي ﷺ، حيث إنه يحارب الظلم وإن نزل بطير أو حيوان، إنه يحذر أن نعذب خلق الله وأن نجيع عباده ونشق عليهم في العمل، إن الجمل الذي لا يعي لديه إحساس قوي بأن شخصية النبي ﷺ شخصية رحيمة عادلة يلجأ إليها الخائف فيؤمن والجائع فيطعم والمكدود فيستريح والمظلوم فينصف، فهاهو صاحب القلب العظيم الممتلئ بهموم الناس يجد مكانا لأن يعتني بشأن دابة من الدواب وبهيمة من البهائم وكأن هذا الجمل قد أدرك حين رأى الرسول ﷺ أنه لن يعدم مكانا في قلب سيد الأولين والآخرين.

للزارع والغارس ثواب جزيل

حض الإسلام المسلمين على عمارة الأرض بالزراعة ووعدهم الحق سبحانه وتعالى بالثواب الجزيل على هذا العمل، حيث يقول المصطفى ﷺ:

«ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[٢]؛ فحرص المسلم على حب الله ورسوله يدفعه إلى بذل الخير والتنافس فيه حتى للحيوان الأعجم، والعمل على تحويل الأرض من أرض جدباء إلى أخرى خضراء من أجل الأعمال التي تدعو إليها شريعة الإسلام، وقد أشار الرسول الكريم في هذا الحديث إلى أن الزارع في صدقة مستمرة لأن زرعه لا يمر عليه يوم إلا ويأكل منه طير أو بهيمة أو إنسان أو يأكلون منه جميعا إذا ابتغى بهذا الخير وجه الله تعالى.

التفريق بين الطيور وأمهاتها

من صارت المهارات الحسنة ديدنه تحولت إلى طبع يخالط دمه وعقله لا ينفك عنه أبدا، فتجده دائما هينا لينا رفيقا متحملا عطوفا مع كل أحد حتى مع الحيوانات والجمادات، وقد ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ كان في سفر فانطلق ليقضي حاجته فرأى بعض الصحابة حمرة[٣] معها فرخان، فأخذ بعضهم فرخيها فجاءت الحمرة وأخذت تحوم حولهم وترفرف بجناحيها، فلما جاء النبي ﷺ ورآها التفت إلى أصحابه قائلا: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»[٤]، أرأيتم ذلك القلب العظيم الذي لم تقف رحمته عند حدود رعيته لتتجاوز إلى الحيوان؟ لقد شملت رحمة الإسلام الحيوانات في الغابات والطير في الأعشاش أفيكون الإنسان أبعد شيء عنها؟

من عظائم الأمور

المثلة بالحيوان من أعظم الذنوب، وتعذيبه من الكبائر، وإيلامه إثم كبير وأمر شنيع، رأى رسول الله ﷺ حمارا قد وسم في وجهه فقال: «لعن الله الذي وسمه»[٥]، وفي هذا توجيه للمسلم أن يتعاطف مع مخلوقات الله تعبيرا عن الرحمة التي في قلبه وشكرا لله على هذه المخلوقات المسخرة لنا، وقد حذرنا الرسول الكريم ﷺ من الاعتداء على الحيوان بأي وسيلة من وسائل الاعتداء، وذلك بغية المحافظة على الحياة الفطرية وبغية تنمية الشعور بالمسؤولية تجاه ما أنعم الله به علينا، وقبل ذلك وبعده تهذيب نفوسنا ومشاعرنا ومحاصرة نزعات الشر لدينا، والنصوص الواردة في مدح من يساعد الحيوان وعقاب من يؤذيه تستهدف تنمية المشاعر الخيرة ومشاعر الألفة والرعاية، كما تستهدف كبح المشاعر الشريرة، وإذا كان النبي ﷺ قد دعا باللعنة على من وسم حمارا ونهى عن اتخاذ شيء فيه الروح غرضا، فما بالنا بمن يمنع الطعام والشراب عن أخيه الإنسان ويتفنن في إيذائه وتعذيبه، بل قد يصل الأمر إلى إهلاكه بسبب لونه أو جنسه أو دينه؟ لا شك أن هذا أعظم جرما وأشد مقتا عند الله عز وجل، وكيف تنادي جمعيات حقوق الحيوان المنتشرة في بلاد الغرب بحقوق الحيوان وهم لإخوانهم من بني الإنسان كارهون وقاتلون؟

إيذاء الحيوان جزاؤه النار

حذرت السنة النبوية من إيذاء الحيوانات وتعذيبها، حيث إن هذا العمل الذي تأباه النفوس الذكية والقلوب النقية يستوجب غضب الله عز وجل وسخطه، وما قصة المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها في حجرة بلا طعام أو شراب[٦] عنا ببعيدة، وإذا كان الإنسان مأجورا بإطعام الحيوان فما بالك بمن يعذبه ويتركه بلا طعام أو شراب؟ فقد كانت عقوبة هذه المرأة كبيرة رغم أنها لم تقتل إلا هرة وما ذلك إلا لقسوة قلب هذه المرأة وخلوه من الرحمة، حيث ظلمت حيوانا صغيرا أعجميا لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا البوح بشكواه، وإذا كانت هذه عقوبة قتل الحيوان بغير حق فكيف بقتل الآدمي المعصوم، وكيف بالمسلم، وكيف بالتقي الصالح؟ وفي المقابل غفر الله عزوجل لبغي من بغايا بني إسرائيل حينما سقت كلبا يلهث من شدة العطش[٧]، بشربة ماء غفرت ذنوبها وسترت عيوبها ورضي عنها ربها؛ إنها الرحمة التي أسكنها الله القلوب وفرج بها عن كل مهموم ومنكوب، يرحم الله بها الرحماء، ويفتح بها أبواب البركات والخيرات من السماء، شعار المسلمين ودثار الأخيار والصالحين وشأن الموفقين المسددين.

الهوامش

١- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، رقم (٢٥٤٩)، عن عبدالله بن جعفر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، وصححه الألباني.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، رقم (٢٣٢٠)، عن أنس بن مالك، دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣- «الحمرة»: بضم الحاء المهملة وتشديد الميم، نوع من الطير في شكل العصفور (محمد بن إسماعيل المعروف بالأمير الصنعاني، التحبير لإيضاح معاني التيسير ٤٤٢/٤، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط: الأولى، ٢٠١٢م).

٤- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، رقم (٢٦٧٥) عن عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه.

٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه، رقم (٢١١٧/١٠٧) عن جابر بن عبدالله، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

٦- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (٢٦١٩)، عن أبي هريرة.

٧- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم (٢٢٤٥/١٥٥) عن أبي هريرة.



عايد الجاسم
صحافي وباحث دراسات إسلامية

الإسراء والمعراج... معجزة الله لرسوله

لا يأتي شهر رجب من كل عام إلا ويتم إحياء ذكرى معجزة الإسراء والمعراج واستذكار هذه الرحلة المباركة التي اختص بها الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ تكريما له وانتصارا لدعوته، وليطلعه على بعض آياته الكبرى، قال الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

تحفل حادثة الإسراء والمعراج بالكثير من المعاني والدروس والعبر التي يجب على كل مسلم أن يتوقف عندها ويستفيد منها ويحرص على اتباع دربها.

وهذه الحادثة مثل كل الأحداث الأخرى في حياة النبي ﷺ الممتلئة بالدروس والتفاصيل المهمة التي ينبغي علينا التعلم والاستفادة منها.

جاءت معجزة الإسراء والمعراج قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، وبعد أن أمضى الرسول ﷺ سنوات طويلة في مكة المكرمة وهو يدعو الناس إلى توحيد الله، لكنه لم يجد من غالبية أهلها إلا الرفض والصد والمضايقة.

واشتد الأمر على رسول الله ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان يوفر له الحماية ويمثل له السياج الحامي من أذى المشركين، ومن ثم ماتت زوجه السيدة خديجة في العام نفسه الذي توفي فيه عمه، فزادت همومه وأحزانه حتى سمي ذلك العام بـ «عام الحزن»، لكن الفرج دائما يأتي بعد الضيق والمنح بعد المحن وما تعرض له رسول الله ﷺ محنة عظيمة، وعانى الكثير في هذه الفترة، فحصلت رحلة الإسراء والمعراج معجزة الله لرسوله تكريما له وتبديدا لظلمة أحزانه وتثبيتا لفؤاده وتأكيدا لانتصاره.

ولعل واحدا من الدروس المستفادة من معجزة الإسراء والمعراج هو الصبر والثبات والثقة بنصر الله مهما طالت المدة، وترقب الفرج بعد الشدة، وهذا ما ينبغي أن يلتزم فيه كل مسلم ويعتبره منهج حياة، فمن أراد الفوز والظفر وتحقيق النجاح فعليه بالصبر وحسن التوكل وسيجد مبتغاه ويحقق أهدافه.

ولا يتوقف الحديث عن ذكرى الإسراء والمعراج من دون التطرق إلى الصلاة والتذكير بأهميتها وعظيم منزلتها، فخلال هذه الرحلة المباركة فرضت الصلوات الخمس على المسلمين، وهو ما يستوجب المحافظة على أدائها في أوقاتها وعدم التفريط بها باعتبارها عماد الدين وفريضة رب العالمين.



عبدالله الظفيري
صحافي وباحث دراسات إسلامية

القدس.. في وجدان المسلمين

تحل ذكرى الإسراء والمعراج في كل عام لتعيد التذكير في القدس والمسجد الأقصى والتأكيد على مكانتهما الإسلامية المقدسة. وعندما نقرأ قول الله تعالي في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١)، فإننا نجد أن هذه المدينة المباركة كان إليها إسراء النبي محمد ﷺ من مكة المكرمة حيث صلى بالأنبياء عليهم السلام إماما في ساحة المسجد الأقصى المبارك، وبالقرب من الصخرة المشرفة ومنها المعراج إلى السماوات العلا. أراد الله سبحانه وتعالى بحكمته أن يكون معراج النبي محمد ﷺ عبر مدينة القدس التي تحتل مكانة سامية ومميزة في قلوب العرب والمسلمين، فهذه المدينة العتيقة تشد إليها الرحال من كل أنحاء الأرض كونها تضم المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين. قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». وكان المسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين قبل أن يتوجهوا في قبلتهم إلى المسجد الحرام. عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «صلينا مع رسول الله نحو بيت المقدس ١٦ شهرا ثم حرفنا نحو الكعبة». ويعتبر المسجد الأقصى ثاني مسجد وضع لعبادة الله في الأرض، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: «المسجد الحرام»، قلت ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون عاما».

إن دراسة حادثة الإسراء والمعراج تشير إلى أهمية ومكانة المسجد الأقصى والقدس وفلسطين في العقيدة الإسلامية وتوجب على المسلمين الدفاع عنهم وحمايتهم مما يتعرضون له من حملات شرسة على أيدي قوات الاحتلال ومحاولات لتغيير الهوية الإسلامية وعزلهم عن واقعهم العربي والإسلامي.

إن الدفاع عن القدس والمسجد الأقصى واجب على كل مسلم لا مجال للتهاون فيه أو التخاذل عنه، فالقدس ستظل قضيتنا الأولى التي لن تغيب عن اهتماماتنا وأولوياتنا مهما طال الزمن. ستبقى معجزة الإسراء والمعراج حية باقية في ذكراها ودروسها وعبرها، وستبقى القدس المدينة المباركة في وجدان المسلمين إلى أن تقوم الساعة.



إعداد/ علاء عبدالفتاح

أول مدرسة بالمنطقة أنشئت عن طريق تبرعات أهلية

المدرسة المباركية منارة التعليم النظامي

تاريخ إنساني وقصة تلاحم شعبي وإرادة سياسية، وقبل هذا وتلك ركيزة لنهضة وطن، إنها المدرسة المباركية؛ أول مدرسة نظامية في الكويت وفي المنطقة، التي حُددت تكاليف التعليم فيها بـ: «روبيتين» لميسوري الحال و«روبية واحدة» لمتوسطيه و«مجانا» لأبناء الفقراء! هكذا كانت النظرة الأبوية لأبناء الكويت، حيث يشارك الجميع، كل بحسب استطاعته، لكن المهم أن يتعلم الأبناء.

ومنذ افتتاح المدرسة المباركية عام ١٩١١م حتى عام ١٩٨٥م، ظلت تقوم برسالتها فخرجت أجيالا حملوا مسؤولية نهضة البلاد، ثم في عام ١٩٨٥م تحولت مدرسة المباركية إلى مقر للمكتبة المركزية الوطنية، في قلب العاصمة، فصارت مزارا سياحيا مفتوحا يحمل على جدرانه صور المؤسسين ورجالات الدولة المخلصين، وعندما هبت عاصفة «كوفيد - ١٩» صار بالإمكان - والفضل هنا يرجع إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - زيارة المدرسة وكثير من معالم الكويت افتراضيا من خلال الموقع الرسمي للمجلس.

في الثاني والعشرين من ديسمبر ١٩١١م، أي في عهد الشيخ مبارك الصباح، فتحت المدرسة المباركية

أبوابها أمام الطلاب بصفتها أول مدرسة نظامية في دولة الكويت جرى إنشاؤها عن طريق التبرعات. حملة التبرعات كانت قد استمرت بضعة أشهر، جمع خلالها أكثر من ٧٧ ألف روبية لإنشاء المدرسة، وتم تعيين الشيخ يوسف بن عيسى القناعي أول ناظر لها، وبلغ عدد الطلاب وقت الافتتاح ٢٥٤ طالبا، وفقا لوكالة الأنباء الكويتية الرسمية (كونا).

كما عين عمر عاصم الأزميري مديرا إداريا. واستمر الشيخ يوسف مديرا للمدرسة لمدة ثلاث سنوات، ثم ترك الإدارة، وعين يوسف بن حمود مديرا للمدرسة. ولم يستمر الشيخ يوسف ابن حمود في إدارة المدرسة مدة طويلة حتى خلفه السيد عمر عاصم الأزميري عام ١٩١٧م، الذي كان له دور كبير في تحديث وتطوير المناهج، ثم عين الشيخ عبدالعزيز الرشيد لإدارة المدرسة في العام ذاته وحتى ١٩١٩م، وكان السيد عمر





وكيلا لها في الفترة نفسها. وفي عام ١٩٢٦م، عين محمد خراشي المنفلوطي مديرا لها.

عندما تدخل مبنى المكتبة تشعر بهالة من الوقار تحيط بك وأنت ترى صور هؤلاء المخلصين للكويت وتحتها أو فوقها أسماؤهم ونبذة عنهم؛ فالشيخ عبدالعزيز الرشيد كتب تحت صورته (الجانبية/ بروفيل) أول هيئة تأسيسية في المدرسة المباركية، وذلك باللغتين العربية والإنجليزية، يليه السيد عمر عاصم ثم الشيخ محمد بن نوري.. وهكذا تمضي في أول رواق يسلمك للآخر مستلهما قصص أوائل رجالات التعليم في الكويت.

وسريعا ما تجد جدارية عن نشأة التعليم في الكويت (أيضا باللغتين العربية والإنجليزية)، ثم نعرج على جدار كامل من اللوحات التذكارية لطالب أتي المدرسة على دراجته القديمة وآخر يحمل كتبه في يده وآخرين في صورة تذكارية يحملون كرة القدم بعد حصة للتربية الرياضية.

ونعرف من اللوحات الإرشادية أن التعليم في الكويت مر بمرحلتين؛ الأولى تمثلت في الفترة ما قبل التعليم النظامي، وهي التعليم بواسطة الكتاتيب، والثانية تمثلت في المدارس النظامية التي كانت المدرسة المباركية النواة التي بني عليها هذا النوع، وبعد إنشاء المدرسة تطور التعليم بشكل ملحوظ، وانتشرت المدارس في جميع مناطق الكويت، وتوج هذا التطور بتأسيس جامعة الكويت عام ١٩٦٦م.

لكن كيف نمت الفكرة؟ صاحب فكرة إنشاء مدرسة لتعليم الطلاب هو ياسين الطبطبائي، وقد قدم في الاحتفال بالمولد النبوي بديوان يوسف ابن عيسى كلمة أثرت في الحضور، وفي يوسف بن عيسى بشكل خاص،



فكتب الأخير مقالا يتحدث فيه عن أهمية العلم، والحاجة إلى المدارس، وبدأ حملة تبرعات لإنشاء المدرسة. وشكلت لجنة برئاسة الشيخ ناصر المبارك الصباح، حيث أسهم عدد كبير من الكويتيين في التبرع، حتى بلغت القيمة الإجمالية للتبرعات نحو ٧٧٥٠٠ روبية.

ومع مرور الزمن طرأت عدة تغييرات على المدرسة، بعد أن قام مجلس المعارف بضمها عام ١٩٣٦م، فأضيفت إليها ساحات، وأقيمت أعمال الصيانة والتحديث لمعظم الفصول. واتخذت دائرة المعارف غرفة أمام غرفة ناظر المدرسة، وكان هذا مقر المعارف حتى عام ١٩٤١م، عندما تم بناء ثلاث غرف على سطح المدرسة المباركية لتكون مقرا للمعارف حتى عام ١٩٤٧م، وكان عام ١٩٤٤م شهد بناء طابق ثان للمدرسة لاستقبال الزيادة في عدد الطلبة.

وفي عام ١٩٥٢م، وصلت المدرسة المباركية إلى حالة غير مقبولة من ناحية المبنى، وهو ما حدا بمجلس المعارف في جلسته في ٢٩ مايو ١٩٥٧م، إلى اعتماد تصميم المهندس سيد كريم للمبنى الجديد للمباركية، لتهدم المدرسة ويعاد بناؤها على الطراز الحديث عام ١٩٥٨م.

أسماء المتبرعين وقيمة تبرعاتهم بالروبية

قاسم آل إبراهيم	٣٠٠٠٠
عبدالرحمن آل إبراهيم	٢٠٠٠٠
آل خالد	٥٠٠٠ وبيت
شملان بن علي بن سيف	٥٠٠٠
هلال فجحان المطيري	٥٠٠٠
إبراهيم بن مضف	١٠٠
يوسف بن عيسى القناعي	٥٠
مجموعة من أهالي الكويت	١٢٥٠٠

والمتابع للشأن التعليمي في منطقة الخليج يجد أن المدرسة المباركية لعبت دورا مهما وكبيرا في نشر الثقافة والعلم. ولم يكن تأثيرها مقتصرا على الطلبة بل امتد ليشمل أعضاء المجتمع، حيث كانت تقام فيها المناسبات الدينية وتلقى فيها المحاضرات والمواعظ الإسلامية.

وكان للمدرسين، الذين أحضرهم مجلس المعارف عام ١٩٣٦م للمدرسة، الأثر الواضح في هذا النشاط.

وكانت الدشداشة هي اللباس الرسمي للمدرسة إلى أن تسلمت إدارة المدرسة دائرة المعارف عام ١٩٣٦م، بعدها قام مجلس المعارف بالتغيير التدريجي للزي إلى اللباس الأوروبي المتمثل بالبنطلون والقميص، وكان السروال القصير هو المعتمد للملعب الرياضي أو



العمل الكشفي. ولاقى تغيير اللباس المدرسي استهجان وامتعاض أهالي الطلبة، كونه أمرا دخيلا على المجتمع، وقام بعض الآباء بسحب أبنائهم من المدرسة نتيجة لذلك.

وقد قسمت المراحل التعليمية للمدرسة إلى خمسة أقسام، ويعتبر القسم الأول هو المرحلة التمهيدية، وبعدها ينتقل الطالب إلى القسم الثاني فالثالث فالرابع ومن ثم القسم الخامس. وعادة لا يصل إلى القسم الخامس إلا النذر اليسير من الطلاب وذلك لانقطاع الطلاب عن الدراسة للمساعدة في الغوص أو في السفر أو في المهن الأخرى. وذكر الأستاذ عبدالله النوري أنه درس في المباركية زهاء خمس سنوات ولم يجد في القسم الخامس أكثر من سبعة طلاب. وكان لكل قسم مدرس خاص ما عدا القسم الرابع والخامس حيث كان لكل مادة مدرس خاص بها.

ساحة المدرسة المباركية

بدأ البناء أول محرم عام ١٣٢٩هـ (يناير ١٩١١م) وانتهى في رمضان (سبتمبر) من العام نفسه. شغل البناء مساحة تبلغ حوالي ١٠٢٠٠ قدم مربعة (١٩٢٠ مترا مربعا)، حيث بلغ طول المبنى من الشرق إلى الغرب ١٢٠ قدما (٤٨ مترا)، وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٨٥ قدما (٤٠ مترا)، وتكون البناء من ثماني غرف، نصفها في الجانب الجنوبي للمدرسة والنصف الآخر في الجهة القبلية.

بني في الجهة الشرقية ثلاثة مخازن فوقها غرفة صغيرة كانت معدة لراحة المعلمين. كما تم بناء بيت لمدير المدرسة. شكلت مساحة البناء والباحة (الحوش) من المساحة الكلية ما يقارب ١٤٤٠ مترا مربعا وللباحة منها ٤٨٠ مترا مربعا، وتراوحت مساحات الفصول بين ١٢ و٢٤ مترا مربعا.

المصادر

وكالة الأنباء الرسمية (كونا).

موقع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

زيارة افتراضية للموقع نفسه واعتماد ما فيه من لوحات إرشادية.

د. ناجي عبدالله الخرس
باحث دراسات إسلامية



البركة في حياة المسلم

البركة إن وجدت، اتسعت الأوقات، وتضاعفت الطاقات، وتحققت الإنجازات، ووقعت المعجزات. والبركة تعني تكاثر الخير ونماءه واستقراره واستمراره [1]. والبركة تلتمس من مصدر واحد فقط وهو الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك:١)، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ (الفرقان:١)، وقال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (غافر:٦٤).

أصل البركة: الثبوت والدوام والاستقرار، وتطلق البركة أيضا على النماء والزيادة وكثرة الخير.

والبركة كلها من الله، فكلامه- أي القرآن الكريم - مبارك، ورسوله مبارك، وعبده المؤمن النافع خلقه مبارك، وبيته الحرام مبارك، وكنانته من أرضه - وهي الشام - أرض مباركة، والمسجد الأقصى وما حوله مبارك.

والله تعالى يقال في حقه: تبارك، أي: تعالى وارتفع وتقدس وتمجد، ولا يقال: تبارك في حق أحد غير الله تعالى.

فهو دليل على عظمته وكثرة خيره ودوامه واجتماع صفات الكمال فيه، وأن كل نفع في العالم فمن نفعه - سبحانه - ومن إحسانه، فهو ذو العظمة والجلال وعلو الشأن.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف:٥٤).

البركة هبة من الله فوق الأسباب المادية التي يتعاطاها البشر، وإذا بارك الله في العمر أطاله على طاعته أو جمع فيه الخير الكثير، وإذا بارك الله الصحة حفظها لصاحبها، وإذا بارك الله في المال نماه وكثره وأصلحه وثمره، وإذا بارك الله في الأولاد رزق برهم وهداهم وأصلحهم، وإذا بارك الله في الزوجة أقر بها عين زوجها؛ إن نظر إليها سرته، وإن غاب عنها حفظته.

وإذا بارك الله في العمل امتد أكثره، وعظم نفعه وبره. قال ابن القيم رحمه الله: «كل شيء لا يكون لله فبركته منزوعة، فإن الرب هو الذي يبارك وحده، والبركة كلها منه». وفي الأثر الإلهي: يقول الرب تبارك وتعالى: «إني إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت،

وليس لبركتي نهاية»[2].

«فما بال الناس اليوم؟! ضاقت أرزاقهم أم ضاعت نفوسهم؟! قصرت أوقاتهم أم قصرت همتهم؟!

لقد فتح على الناس اليوم من أسباب الرخاء ما لم يفتحه على أحد قبلهم، وتفجرت كنوز الأرض، وتوافرت الأموال والتجارات، وتعددت طرق الكسب تذكيها المخترعات والمكتشفات والصناعات، فهل ازداد الناس إلا فقرا، وهل كسبوا إلا شقوة وقهرا؟!

غلب على الناس الشكوى من الفقر، والقلة وضيق العيش وكثرة الظلم، وشح الوقت، والخوف من المستقبل، مع توافر كل أسباب الرخاء.

وما ذلكم إلا لغياب أمر يعد غاية في الأهمية، ليس للحياة معنى من دونه، لا في كسب ولا في علم ولا في طعام ولا في شراب، بل ولا في الحياة برمتها. إذن ما هو هذا الغائب الذي يستحق هذه الإشادة ويستدعي مادة الإطراء؟»[3].

حلول البركة في ذلكم كله

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليست السنة بأن لا تمطروا، ولكن السنة أن تمطروا وتمطروا ولا تنبت الأرض شيئا»[4].

السنة: القحط الشديد. تمطروا وتمطروا: التكرير للتأكيد والتكثير.

والمعنى أن القحط الشديد ليس بألا ينزل المطر بل بأن ينزل المطر ولا ينبت الزرع، وذلك لأن حصول الشدة بعد توقع الرخاء، أفظع مما إذا كان اليأس حاصلا من أول الأمر والنفس مترقبة. ولقد أشارت نصوص القرآن والسنة إلى أسباب تلتمس بها البركة من الله تعالى، وفي ما يلي بيان لبعض هذه الأسباب:

١- تقوى الله عز وجل

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾ (الطلاق:٢-٣).

فليس هناك أعظم بركة من أن يأتي للإنسان رزقه من حيث لا يحتسب ولا يتوقع.

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ (الأعراف:٩٦).

بالإيمان والتقوى تأتي البركة.

٢- العمل الصالح

قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

٣- الاستغفار مع ترك الإصرار

قال تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾ (نوح:١٠-١٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ (هود:٣).

٤- الكسب الحلال

قال ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»[5].

٥- صلة الرحم

قال ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه».

٦- القناعة المتمكنة من قلب المؤمن

هي القناعة فلزمها تعش ملكا

لو لم يكن منك إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها

هل راح منها بغير القطن والكفن

- عن عبدالله بن عمرو، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه»[6][7].

٧- البسملة

«البسملة» من الأذكار العظيمة التي يستحب للإنسان أن يأتي بها عند كل أمر له قيمة. عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إذا استجنح الليل (أو قال: جنح الليل)، فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم، وأغلق بابك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر اسم الله، وخمر إناءك واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئا»[8].

عن أبان بن عثمان بن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، لم يضره شيء»[9].

استجنح الليل: أي اشتدت ظلمته - أقبل الليل.

الهوامش

١- مختار الصحاح، ص:٤٩؛ والمعجم الوسيط، ص:٥٢؛ ومعجم مقاييس اللغة، ص:٢٣٠.

٢- أحمد في الزهد بسند صحيح إلى وهب ابن منبه.

٣- عطية عدلان.

٤- رواه مسلم (٢٩٠٤).

٥- مسلم.

٦- أحمد (٦٥٧٢).

٧- قد أفلح: أي فاز وظفر بالمقصود. - من أسلم: أي انقاد لربه المعبود. - ورزق: أي من الحلال - كفافا: أي ما يكف الحاجة ويدفع الضرورات. - وقنعه بما آتاه: أي جعله قانعا بما أعطاه وجعله راضيا بكل ما قدره وقضاه.

٨- رواه البخاري (٣٢٨٠).

٩- رواه أحمد (٤٤٦)؛ وأبو داود (٥٠٨٨).

محمد فريد فراج
مدير مركز طفرة للبحث العلمي
ماليزيا



من أعظم أسرار الإدارة النبوية

اكتشاف المواهب وحسن توظيفها

ما كان للنبي ﷺ أن يتمكن في أقل من عشر سنوات أن يؤسس أعظم دولة في التاريخ الإنساني كله، ولتتمكن تلك الدولة الناشئة من التوسع على حساب أعظم إمبراطوريات الفرس والروم إلا بعبقرية فذة اجتمع لها ما لم يجتمع لأي زعامة تاريخية أخرى! ألا ومن أعظم أسرار الإدارة النبوية الفذة قدرته ﷺ على اكتشاف الهبات الإلهية لكل شخصية محيطة به، وتسخيرها في أنسب الأعمال المتوافقة مع تلك الهبات الربانية بعيدا عن أي اعتبار آخر كالعصبية القبلية، أو غيرها!

وكان الشيخان أوفر الناس حظا من الهبات الإلهية المؤهلة للإمارة والشورى. وما إن اكتشف النبي ﷺ مواهبهما الربانية؛ حتى قربهما من مشورته قربا لم يقربه لأحد، فكان كثيرا ما يقول: «فإني أومن به وأبو بكر، وعمر»[1] تذكيرا بقربهما منه ﷺ.

وقد وهب مصعب وابن أم مكتوم هبات ربانية تؤهلهما للدعوة والتأثير في الناس. لحظها النبي ﷺ فأحسن توظيفها بأن جعلهما أول سفيرين له بالمدينة؛ كما جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنهما؛ قال: «أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس»[2].

فكانت النتيجة أعظم من أي توقع بشري؛ فلم يمض عليهما عام واحد حتى رجع مصعب بأكثر من سبعين رجلا يبايعونه ﷺ على الإسلام، ويبشرونه أن أكثر من سبعمائة سيف ينتظرون نصرته بالمدينة؟

كذلك كان زيد بن ثابت رضي الله عنه موهوبا في سرعة تعلمه. فاكتشف النبي ﷺ تلك الموهبة وسخرها في تعلم لغة الأعداء ليكون مترجما خاصا للنبي ﷺ؛ كما في الحديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه؛ قال: «ذهب بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي. فقالوا: يا رسول الله! هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي ﷺ. وقال: «يا زيد! هل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو السريانية؟ فإني والله ما آمن يهود على كتابي، ولا أحب أن يقرأها كل أحد». قال زيد: فتعلمت له كتابهم، ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب»[3].

كما كانت موهبة حسان رضي الله عنه موهبة شعرية. فاكتشفها النبي ﷺ عن طريق اختبار عام لكل الشعراء المسلمين، وإقامة منافسة عادلة بينهم، فتفوق عليهم حسان رضي الله عنه واستحق أن يكون بذلك شاعر النبي ﷺ؛ كما في الحديث عن عائشة؛ أن رسول الله ﷺ أرسل إلى ابن رواحة، فقال: «اهجوا قريشا، فإنه أشد عليها من رشق بالنبل». فهجاهم، فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه؛ قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه. فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم. فقال رسول الله ﷺ: «لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبا، حتى يلخص لك نسبي». فأتاه حسان، ثم رجع. فقال: يا رسول الله! قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله». وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»[4].

فتأمل كيف اقتصر التوظيف النبوي لحسان على التخصص الذي وهب فيه فحسب، وهو التخصص الشعري، بينما تخصص الأنساب وكله إلى خبير آخر به وهو الصديق رضي الله عنه، فتأمل معرفته ﷺ لمواهب أصحابه وقدراتهم وحسن توظيفها بحياد تام!

وأما ثابت بن قيس رضي الله عنه فقد كانت موهبته خطابية. إذ كان معروفا قبل البعثة بالفصاحة، والبيان، مع جهورية الصوت، وقوة الحنجرة!

ولذلك قيل له: «خطيب الأنصار»[٥]، فلاحظ النبي ﷺ موهبته الخطابية ووظفها في خدمة الإسلام، وأصبح خطيبا خاصا للنبي ﷺ، حتى أصبح لقبه: «خطيب الرسول ﷺ»[٦].

كما كانت موهبة عبدالله بن سعيد بن العاص في الكتابة. فلما اكتشفها ﷺ، واطلع على جمال خطه أحسن توظيفها بأن اتخذه ﷺ كاتبا له؛ بل وأمره أن يكون معلم الكتابة والخط في المدينة[٧].

وأما موهبة عثمان بن أبي العاص الثقفي فكانت تؤهله للإمامة. وقد اكتشفها النبي ﷺ عندما وفد إليه مع كبار قومه، فوظف النبي ﷺ تلك الموهبة بأن جعله إمام قومه مع كونه أصغرهم سنا، إذ للموهبة حق التقديم على السن[٨].

وكذلك كان خالد موهوبا في القيادة الميدانية. وأبصر النبي ﷺ تلك الموهبة، إذ لم تكن درايته ﷺ بمواهب أعدائه بأقل من درايته بمواهب أصحابه، وكان ﷺ حريصا على تحويل المواهب الإلهية لأعدائه في صالح الإسلام!

ومن حرصه ﷺ أنه قال مقولة حولت خالدا عن معسكره؛ فقال ﷺ: «أين خالد؟ ما مثله جهل الإسلام! ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين، لكان خيرا له، ولقدمناه على غيره»[٩]!

وبالفعل كانت هذه الكلمة محطة فاصلة في تاريخ خالد رضي الله عنه، وانضم إلى معسكر الحق، وأصبح القائد الميداني الأول للإسلام، ودعا له النبي ﷺ قائلا: «اللهم إنه سيف من سيوفك، فانتصر به»[١٠].

ومن هذه اللحظة صار لقبه «سيف الله»[١١]، وكان كما قال ﷺ سيفا لله سبحانه وتعالى مغروسا في نحر أعدائه.

ولا ريب أن اكتشاف الموهبة يحتاج لفراسة. ليدرك بها نوع الموهبة، وهو ما توافر للنبي ﷺ إذ كان يراقب كل من حوله ليكتشف الموهبة التي خصهم الله سبحانه وتعالى لها!

واكتشف ﷺ موهبة طلق بن علي الحنفي في العمارة. فأحسن توظيفها كما جاء عن طلق؛ أنه قال: «جئت على النبي ﷺ، وأصحابه وهم يبنون المسجد، فلما رأيت عملهم، أخذت أحذق المسحاة، فخلطت بها الطين، فكأنه أعجبه أخذي المسحاة وعملوا، فقال: «دعوا الحنفي والطين، فإنه أضبطكم للطين»[١٢].

كما اكتشف ﷺ تفوق أبي قتادة على الفرسان، وتفوق سلمة على الرجالة. فقال ﷺ معربا عن ذلك: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة»[١٣].

ومن ذلك اكتشافه ﷺ لذكاء ابن مسعود وتسخيره في العلم. ويحكي ابن مسعود ذلك؛ قائلا: «كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله ﷺ»، ثم ختم النبي ﷺ اللقاء بقوله: «يرحمك الله! إنك غلام معلم»[١٤].

واكتشافه ﷺ لنباهة ابن عباس، وتأهله للفقه. إذ يقول ابن عباس: «أن النبي ﷺ أتى الخلاء فوضعت له وضوءا، فلما خرج قال: «من وضع هذا؟» قلت: ابن عباس. فقال: «اللهم فقهه، وعلمه التأويل»[١٥].

واكتشافه ﷺ لموهبة التجارة في ابن جعفر مع صغر سنه. فدعا له قائلا: «اللهم اخلف جعفرا في أهله، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه»[١٦].

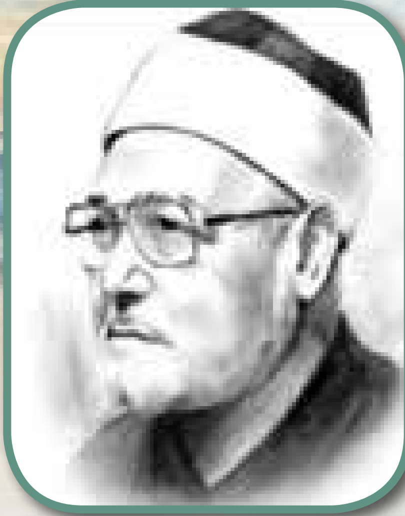
كما اكتشف موهبة التجارة أيضا في عروة بن أبي الجعد البارقي رضي الله عنه. كما يحكي عروة عن ذلك قائلا: «دفع إليّ رسول الله ﷺ دينارا لأشتري له شاة، فاشتريت له شاتين، فبعت إحداهما بدينار، وجئت بالشاة والدينار إلى النبي ﷺ، فذكر له ما كان من أمره. فقال له: «بارك الله لك في صفقة يمينك». فكان يخرج بعد ذلك إلى كناسة الكوفة فيربح الربح العظيم، فكان من أكثر أهل الكوفة مالا»[١٧].

الهوامش

١- (صحيح) رواه الإمام أحمد (٧٣٥١)، والبخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨).
٢- (صحيح) رواه الإمام أحمد (١٨٥١٢)، والبخاري (٣٩٢٥).
٣- (صحيح) رواه الإمام أحمد (٢١٥٨٧/ ٢١٦١٨)، وأبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٠٤٥).
٤- (صحيح) رواه الإمام أحمد (٢٤٤٣٧)، والبخاري (٣٥٣١)، ومسلم (٢٤٩٠).
٥- (صحيح) رواه الإمام أحمد (١٢٣٩٩)، والبخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩).
٦- (صحيح) رواه البخاري (٤٣٧٨).
٧- انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٢٠)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٥٥،٥٧)، أسد الغابة، ط الفكر (٣/ ١٥٨).
٨- راجع الحديث الصحيح: رواه الإمام أحمد (١٦٢٧٥)، ومسلم (٤٦٨). وراجع رواية الطبراني (٨٣٩٣).
٩- رواه الواقدي في المغازي (٢/ ٧٤٧)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ٣٩٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤/ ٣٥٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٢٢٧).
١٠- (حسن) رواه الإمام أحمد (٢٢٥٥١)، والنسائي بالكبرى (٨١٩٢).
١١- راجع الحديث الصحيح: رواه الإمام أحمد (١٦٨١٥)، والبخاري (٥٣٩١)، ومسلم (١٩٤٦).
١٢- رواه الطبراني بالكبير (٨٢٥٤).
١٣- (صحيح) رواه الإمام أحمد (١٦٥٣٩)، والبخاري (٣٠٤١)، ومسلم (١٨٠٧).
١٤- (حسن) رواه الإمام أحمد (٣٦٩٧، ٣٨٤٥)، وابن أبي شيبة (٢٨٦)، وأبو يعلى (٥٠٥٢)، والطبراني بالكبير (٨٣٥١)، والأوسط (٢١٦٧)، والحاكم (٢٨٩٧).
١٥- (صحيح) رواه الإمام أحمد (٢٨٧٩)، والبخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).
١٦- (صحيح) رواه الإمام أحمد (١٧٥٠)، وأبو داود (٤١٩٢)، والنسائي (٥٢٢٧).



أحمد عبدالمقصود
باحث تربوي



الشيخ محمد الغزالي.. الداعية القرآني

بعد ربع قرن على رحيل الشيخ الغزالي نستطيع أن نقول إن من سعادة الأمم أن يتهيأ لها طراز فريد من المفكرين والأذكياء الذين يذودون عن قيمها وثوابتها، ويدافعون عن خصائصها وميزاتها، وفي الوقت نفسه يحملون راية التجديد، ويمدون الحياة بأفكار وثابة تقيها عادية الجمود، وتصونها من التراجع والضمور، ومن هؤلاء الرجال الأفذاذ الذين هيأتهم الأقدار للأمة الإسلامية في قرنها الرابع عشر الهجري فضيلة الشيخ الداعية محمد الغزالي، رحمه الله؛ فقد تمتعت شخصيته بمواهب استثنائية التقت فيها جوانب التفرد والنبوغ، فقد حباه الله «الصدق في الإيمان، والسداد في القول، والإخلاص في العمل، والرشد في الفكر، والطهارة في الخلق، والشجاعة في الحق، والمعاداة للباطل، والثبات في الدعوة، والمحبة للخير، والغيرة على الدين، والحرص على العدل، والبغض للظلم، والوقوف مع المستضعفين، والمنازلة للجبابرة والمستكبرين» كما وصفه صديقه وصفيه العلامة الشيخ يوسف القرضاوي[1].

وقد أتاحت هذه المنح الربانية للشيخ أن يخرج على الأمة بمشروع فكري حضاري يبصر المسلمين بمواطئ أقدامهم، ويأخذ بأيديهم إلى الطريق الذي يواجهون به ما يحيق بهم من تحديات خارجية وداخلية، من دون إفراط ولا تفريط، ومن غير تهوين ولا تهويل.

وقد جاء مشروعه مبثوثا في عشرات الكتب التي ألفها، فضلا عن مئات المقالات والخطب والندوات والدروس التي ألقاها على الناس. وتكوّن من ذلك كله ذخيرة معرفية وكنوز فكرية ما زالت تنهل منها الأجيال، ويستقي منها من يريدون أن يعرفوا الإسلام في صورته الصافية الوضيئة، التي لم تثلمها دعوات النبذ والتفريط، ولم تجهمها نداءات الجمود والتشدد.

وإن قراءة راشدة متأنية لتراث الشيخ تظهر بجلاء أنه كان يعتقد اعتقادا لا يشوبه شك أن انطلاقة هذه الأمة من قيودها المكبلة وعللها المقعدة لابد أن تكون على قواعد المنهج الذي قامت عليه في أول عهدها، ألا وهو منهج القرآن؛ لذا فقد جعل تبصير الناس بمنهج القرآن في الإصلاح ركنا رئيسيا في مشروعه الإصلاحي، وموضوعا دارت حوله رحى كثير من المعارك الفكرية التي خاضها الشيخ في جرأة ومضاء، وواجه بسببها عاصفة من النقد اللاذع والتجني الظالم، لكن ذلك لم

يصرفه عن إيمانه بأن أي محاولة للإصلاح بعيدا عن منهج القرآن محكوم عليها بالفشل أو الانحراف. ولم يغب عن الشيخ وهو يخوض معاركه الفكرية، التي تنوعت داخليا وخارجيا، ضرورة إرشاد المسلمين للتعامل مع القرآن على النحو العليم الرشيد الذي تعامل به السلف الأول مع القرآن، وألا يجعلوا فهوم البشر حائلا يمنعهم الوصول إلى المنبع الصافي والمشرب النمير الذي استقى منه الأولون قبل أن تزاحمه المشارب الأخرى التي استنزفت طاقة المسلمين الفكرية والعقلية، وصرفتهم عن كتابهم، وعطلتهم عن القيام بدورهم في الشهود الحضاري.

وقد قدم الشيخ للمكتبة الإسلامية كتبا كثيرة ظهرت فيها ملامح منهجه في التعامل مع القرآن، لكنه خصص كتبا كاملة لهذه القضية فكان منها: «نظرات في القرآن» و«المحاور الخمسة للقرآن الكريم» و«كيف نتعامل مع القرآن»، ثم توج هذا الإنتاج بكتابة تفسير موضوعي للقرآن في كتابه «نحو تفسير موضوعي للقرآن».

وقد جاء كتابه «كيف نتعامل مع القرآن» في أواخر ما كتبه، رحمه الله، وهو مدارسة أجراها معه المفكر الإسلامي عمر عبيد حسنة، وسيتجلى أمام قارئ تلك المدارسة أننا أمام عقل فذ كبير، وقلب قد خالطته حقائق القرآن، ونفس ملتاعة محزونة لما آل إليه حال المسلمين اليوم في التعاطي مع القرآن. وسأجمل في تلك الكلمات أبرز النقاط التي تعين على الكشف عن ملامح الشخصية القرآنية لدى الشيخ الغزالي، رحمه الله، ومعالم المنهج السديد في التعامل مع القرآن. وحديثي هنا لا يفصل بين المنهج وصاحبه، فكتابات الشيخ، رحمه الله، انعكاس لتجربة ذوقية عاش صاحبها في ظلال القرآن، وقضى عمرا مديدا في أفيائه الرحبة.

أين الخلل؟

إن أول ملامح منهج الشيخ في التعامل مع القرآن هو الوقوف على مكمن الخلل، ومعرفة أسباب العلة المزمنة، وأشدها في نظر الشيخ هو هجر القرآن؛ «فالأمة الإسلامية عندما هجرت كتابها أو على الأقل أخذت تقرأه على أنه تراتيل دينية فإنها فقدت صلتها بالكون»(٢).

وقد يستغرب هذا الكلام من يرون تلك الصحوة القرآنية والانتشار الواسع لمدارس التحفيظ والأسانيد والإجازات، ولكن الشيخ، رحمه الله، يرى أن ذلك ليس هو غاية المرجو من علاقتنا مع القرآن، فقال رحمه الله: «ومع أن كتابنا كتاب تجاوب مع الكون... فقد صرفنا عن حسن التلقي والتعامل مع القرآن، فكنا نعتبر الخطأ الكبير فقط ألا يمد القارئ المد اللازم خمس أو ست حركات، أو لا يغن الغنة، أو لا يخفي الاخفاء، وكل ذلك يمكن أن يكون وسائل لحماية الأداء القرآني ليكون محلا للنظر والتدبر، أما وعي المعاني وإدراك الأحكام والتحقق بالعاطفة المناسبة من خلال تشرب معاني القرآن، فقد اختفى من نفوسنا»(٣).

وهو لا يلقي بالمسؤولية عن غياب قراءة التدبر الواعي على الأفراد فحسب، بل يجعل المؤسسات القرآنية شريكا أصيلا يتحمل الكفل الأكبر في هذه المسؤولية، فيقول: «المشكلة الآن، فيما يبدو لي، أن الإصابة والخلل واقع في المؤسسات الموكول إليها عملية الإشراف على التربية والتعليم من مناهج وكتاب ومدرس ووسائل معينة، إنها لم تستطع أن تكون أداة توصيل صحيحة بين الجيل وبين القرآن الكريم ومواريثه الثقافية؛ فصار هناك توارث للتخلف والمرض، فالمشكلة الكبرى قد تكون في المؤسسات المنوط بها الآن تفهيم وإيصال القرآن للجيل»(٤).

بين الوسائل والغايات

وقد أنذر الشيخ من أن انقلاب الوسائل إلى غايات هو أخطر الإصابات في التعامل مع القرآن: «فلقد غابت الأهداف والمقاصد، وتركز الاشتغال بالوسائل والأشكال، وغاب من القصص الشهود الحضاري التاريخي، وأبدل بالبحث عن مخارج الحروف، وإعراب الكلمات، وبيان الاستعارات، وما هي إلا وسائل وأدوات للوصول إلى تذوق القرآن وتدبره؛ فأصبحت بالشكل الذي هي عليه معوقات وحواجز بين المسلم وكتابه الخالد»(٥).

بين المأثور والرأي

لقد عاش الشيخ محمد الغزالي يحمل بقلمه ويشتد في خطبه على كل ما من شأنه أن يكبل العقل المسلم، ويعوقه عن النظر،

أو يحجبه عن التفكير، أو يحجزه عن ارتياد آفاق الحضارة، أو يقف حائلا دون القراءة القرآنية المعاصرة لقضايا العصر بحجة أن هذا يخالف التراث أو لم يأت به الأولون، فيقول: «فالقضية المفزعة أن يكون التراث، الذي يشكل في الأصل مفتاحا لفهم القرآن والسنة، أو لاستجماع فهوم الآخرين، وكيف كانوا ينظرون للقرآن والإفادة من فهومهم لإخصاب الرؤية في العودة إلى القرآن، ليصبح حاجزا يحول بين المسلمين وبين مصادرهم الأساسية»[٦].

ولكنه في دعوته للاستفادة من فهوم السابقين دون الجمود عليها، لا يفتح الباب مشرعا من غير قيد أمام من لا يمتلكون الأدوات اللازمة للاتصال المباشر بالقرآن، فيقول: «وقد يكون الوجه المقابل -وقد يكون الخطر في القضية- القفز فوق التراث، ومحاولة الاتصال بالكتاب، وتقرير الأحكام، دون التحقق بالشروط المطلوبة لذلك»[٧].

النظرة القرآنية الشاملة

ومن ملامح القراءة التجديدية في التعامل مع القرآن لدى الشيخ، رحمه الله، هو تلك الرؤية الشمولية الجامعة، الرؤية الموضوعية -لا الموضعية- التي تفتح أبصار المسلمين على الكون، وتمكنهم من الشهود التاريخي والحضاري في مختلف الصعد، فهو يرى «أن تعاليم الإسلام نسيج متشابك ملتحم بعضه مع بعضه الآخر، وتختلط فيه العقيدة مع العبادة مع الأخلاق، مع أنواع المعاملات المختلفة، وقد لفت نظري من قديم أن الأحكام الفرعية الجزئية المحدودة تجاورها أسماء الله الحسنى، وتختم بها الآيات ختاما يحتاج إلى التدبر العميق، ففي سورة البقرة مثلا نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ (البقرة:٢٢٤-٢٢٧).

ترى هنا أن جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أغنى عن المعنى، وجيء بصفة من صفات الله تدل على هذا المعنى.

واضح أن الإخبار عن مسلك إنساني بصفة إلهية فيه معنى المزج العجيب بين السلوك الإنساني وبين العقيدة التي هي أساس في الإسلام لما وراءها من سلوك»[٨].

«فالنظرة الشاملة هي النظرة الصحيحة للدراسات القرآنية ولا يمكن الرضا بنظرة جزئية»[٩].

الشهود التاريخي والحضاري

وكان الشيخ يهدف في مشروعه التجديدي القرآني إلى أن يبقى المسلم واعيا بواقعه؛ زمانا ومكانا، وألا ينفصل عما يجري حوله، فإنه منوط به القيام بدور يقف فيه موقف الشهود والشهادة على الأمم جميعها؛ ولا شهود إلا بوعي ولا شهادة إلا بعلم، كما أن عليه أن يعرف حدود التعامل مع الآخر؛ أخذا وعطاء، نفعا وانتفاعا، فيقول رحمه الله تعالى: «كما أن القرآن طلب من المسلم -إلى جانب الرحلة في التاريخ الإنساني والتبصر بسنن الصعود والسقوط للمجتمع البشري -أن تكون له رحلة أخرى في الكون، ورؤية سنن الله في المجتمعات والأنفس؛ لأن العدول عن النظرة في الكون، ومعرفة سنن الله في الآفاق، وحسن التعامل معها، يوقع في الرؤية النصفية التي لا تؤهل صاحبها للشهود الحضاري»[١٠].

«إن القرآن بسط نماذج من حضارات الأمم السابقة وتجاربها وعقائدها ومسالكها الأخلاقية وأنظمتها السياسية بمساحات كبيرة؛ لتكوين الحكمة عند المسلم، التي تجعله ينتفع بتجارب الآخرين.. فهل يمكن أن نعتبر ذلك مؤشرا على ضرورة التبادل الحضاري، وإباحة الإفادة مما عند الآخرين بما لا يتعارض مع القيم الإسلامية؟ فإلى أي مدى يمكن أن نتلمس في إشارات القرآن دعوة للانفتاح على الثقافات والحضارات العالمية والاستفادة منها؟ لأني أعتقد أن الغزو الفكري شيء، والتبادل المعرفي شيء آخر»[١١].

قراءة سننية راشدة

أما قراءة القرآن لاكتشاف السنن التي تسير الحياة والأحياء، وتحكم الحركة التاريخية والاجتماعية

والنفسية للأمم، فقد تحدث الشيخ عنها طويلا في كتابه، وأكد على ضرورة تحري أسباب سقوط الأمم ونهوضها، وأن اكتشاف هذه السنن شرط من شروط الشهود الحضاري.

فعرض للسنن الواردة في القرآن، وعجز المسلمين اليوم عن تسخيرها، بينما نجح أسلافهم في وعيها وإحسان التعامل معها فقامت لهم حضارة ما زالت بصماتها عميقة باقية في وجه التاريخ، ومن هذه السنن: سنة التدرج، وسنة الأجل، وسنة التداول الحضاري، وسنن المدافعة، وسنة التسخير، وهي سنن لا تحابي أحدا أو تجامل غافلا.

فيقول، رحمه الله، عن سنة المدافعة: «الحياة الإنسانية لابد فيها من التدافع. هذا اللون من التدافع.. ربما ينشط أجهزة الإيمان فتتحرك فيه قواه الداخلية إذا كانت فاترة عندما يشعر بالتحدي، ويكون هذا سببا في إمداده بحياة جديدة.. وهنا سنن الله الكونية التي يجب أن يخضع لها المؤمنون والكافرون. إن الحياة فيها هذا التصادم المستمر بين قوى ومبادئ مختلفة.. وهكذا الحياة.. يحاول الكفر أن يفرض نفسه، فتنشط قوى الإيمان لكي تبقى.. فيبقى الإيمان بعد أن نمت قواه بضغط الكافرين عليه..

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ (البقرة:٢٥١).

هذا التدافع الحضاري، جزء من الاختبار الإلهي، وجزء من تمكين الخير من أن تزداد صلابته في مواجهة الشر»[١٢].

هذه لفتة عجلى عن ملامح منهج الشيخ محمد الغزالي، رحمه الله، في التعامل مع القرآن، وهي لا تفي بما يستحقه المشروع القرآني التجديدي للشيخ، رحمه الله، من بحث وعناية واستقراء في بقية إنتاجه الفكري الغزير، وما تركه من صفحات ناطقة بعظيم بلائه في الدعوة لتأسيس «منهج العودة للقرآن الكريم» والانطلاق من قاعدته التي تمثل مشروعا جامعا تلتقي عليه الأمة بأطيافها.

ولم تكن الصفحات التي تركها، رحمه الله، في الدعوة للعودة إلى القرآن بأكثر تألقا من صفحة حياته التي كانت ترجمة لحياة قلب عامر بحقائق القرآن، شديد التعلق بتوجيهاته في المشهد والمغيب، عظيم التأثر بآياته في الخلوة والجلوة، يقول المفكر المؤرخ د.عبدالحليم عويس، رحمه الله، عن هذه الصفة في شخصية الإمام الغزالي: «لقد كان يداعب ويمزح حتى يظن محدثه أنه خال من الهموم؛ فإذا جاء ذكر الله والآخرة بكى حتى أحرج جلساءه ومحدثيه، وقد كنت أصلي به إماما -في بعض الظروف وبإصرار منه- فيبكي وأنا أقرأ القرآن بعد الفاتحة، فأضطر إلى اختصار القراءة»[١٣].

لقد عاش الشيخ حياة خصيبة في الدفاع عن مفاهيم الإسلام وقيمه، مناضلا لا يهدأ، ومدافعا لا يلين، وخاض معركة المصحف يذود فيها عن قضايا الإسلام، ويدعو إلى التجديد في فهمه ومعايشته، وإبرازه للناس في صورة قشيبة ناصعة أمام من اجتهدوا في طمس بهائه وحجب أنواره، من أعدائه الكائدين المشككين، وأبنائه الغافلين.

وبقي تراثه وحياته مصدر إلهام لكثير ممن جاءوا بعده، فألف حول حياته وجهوده في الدعوة، وبيان مشروعه الفكري والحضاري الكثير من الكتب والدراسات، والبحوث والأطروحات، حتى بلغت في إحصاء قام به د.عطية السيد العادلي في مقال له ما يقارب ٢٥ بين ترجمة وكتاب وأطروحة لنيل الماجستير والدكتوراه[١٤].

ألا رحم الله الشيخ محمد الغزالي رحمة واسعة، وجزاه عن أمته جزاء العاملين المخلصين، والمجاهدين الصادقين.

الهوامش

١ - من مقال «وأخيرا هوى النجم» للشيخ يوسف القرضاوي على موقعه على شبكة الإنترنت، ٣ سبتمبر ١٩٩٦م.
٢ - المصدر السابق، ص:٤٥.
٣ - المصدر السابق، ص:٤٥.
٤ - المصدر السابق، ص:٨٩.
٥ - المصدر السابق، ص:٩٦.
٦ - المصدر السابق، ص:٢٥٩.
٧ - المصدر السابق، ص:٢٥٩.
٨ - المصدر السابق، ص:١١٤.
٩ - المصدر السابق، ص:١١٥.
١٠ - المصدر السابق (بتصرف)، ص:٣٣٧.
١١ - المصدر السابق (بتصرف)، ص:٣٣٧.
١٢ - المصدر السابق، ص:٢٠٢.
١٣ - من معالم خصائص شخصية الشيخ محمد الغزالي، رحمه الله، موقع مجلة الحوار على شبكة الإنترنت، ٨ مارس ٢٠١٦م.
١٤ - مقالة «الشيخ محمد الغزالي في ذاكرة العلماء وأقلام المفكرين» على موقع شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات والأبحاث بشبكة الإنترنت.



محمد فتحي النادي
باحث وكاتب دراسات إسلامية

عند الشيخ محمد الغزالي

التراث الاعتقادي بين تنقيته والاستفادة منه

يقوم الدين سواء أكان سماويا أم وضعيا على عقيدة ينعقد عليها القلب، وتكون يقينية عند أصحابها لا تقبل الشك أو الريبة.

فالعقيدة الإسلامية في جوهرها تقوم على التوحيد، والمسيحية على التثليث والخطيئة والخلاص، والهندوسية على تناسخ الأرواح، والأبيقورية على اللذة، والزرادشتية (المجوسية) على الثنوية، أي: وجود إلهين أحدهما للخير والآخر للشر، ويدور الصراع بينهما، مع تقديس النار.. إلخ.

وقد نزل القرآن الكريم مفصلا الحديث عن أربعة محاور:

المحور الأول: التعريف بالمرسل، وهو الباري -سبحانه وتعالى- من حيث التعريف بصفات الجمال والجلال والكمال، وإفراده بالألوهية، ومخالفته للحوادث.. إلخ.

المحور الثاني: التعريف بالمرسل إليه، وهم البشر، من حيث نوازعهم النفسية وطبيعتهم المركبة من القبضة الأرضية والنفخة العلوية، وأحوال السابقين من حيث الإيمان والكفر والتصديق والتكذيب، وغاية وجودهم في الأرض.. إلخ.

المحور الثالث: التعريف بالرسل، وهم حاملو الرسالة والواسطة بين الباري -سبحانه وتعالى- وخلقه، وأحوالهم مع أقوامهم، والتركيز على بعضهم بالذكر والقصص دون غيرهم من الأنبياء والمرسلين.

المحور الرابع: التعريف بالرسالة، وهي مراد الله -تبارك وتعالى- من خلقه من حيث العقيدة والشريعة والأخلاق.. إلخ.

ومن هذه المحاور تستقى العقيدة الإسلامية، ويعضد ذلك ويشرحه ما جاء في السنة النبوية المطهرة.

وقد خلف علماء المسلمين تراثا عظيما في العقيدة الإسلامية ومباحثها.

لكن هذا التراث اختلطت به مسائل ما عادت تفيد الآن، وأصبحت مسائل تاريخية، مثل الحديث عن مسألة خلق القرآن.

وإلى جانب إثقال هذا التراث بتلك المسائل التي ما عادت تصلح إلا للدرس العلمي الأكاديمي، فإن هذا التراث فقد الكثير من رونقه وبهائه لكثرة الشروح والحواشي على المتون، حتى إن الشارح أو صاحب الحاشية يقف على الكلمة والحرف شارحا ومجادلا ومستطردا؛ فأصبحت العقيدة جافة لا روح فيها.

وفي محاولة بعث الأمة ومحاولة إنهاضها من جديد حاول العلماء والمصلحون أن يعيدوا النظر في

هذا التراث الضخم الممتد على مدى أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان.

وكان الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- (١٩١٧-١٩٩٦م) ممن شمر عن ساعد الجد في تنقية هذا التراث من كثير مما شابه وشانه.

وقد وضع نصب عينيه أن يعود بتلك العقيدة إلى أصولها؛ حيث يسير في ضوء «هدى النصوص المجردة من الكتاب والسنة»[١].

ورجوعه لتلك الأصول حتى يعيد للإنسان توازنه؛ فقد بلغ بعلم الكلام المعني بـ«الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة»[٢]، أن يخاطب العقل فقط، ويبتعد عن القلب والوجدان.

يقول الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله: «الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوى الذهنية»[٣].

وهو لن يتوصل إلى هذا إلا بالرجوع إلى المصادر الأصلية، إلى المنابع الصافية، إلى القرآن والسنة، وقد قال في ذلك: «وقد حاولت في أثناء الكتابة عن عقيدة المسلم أن أرطب جفاف التفكير العقلي برشحات من المشاعر الحية، ولم أتكلف لذلك إلا أن أجعل نصوص الكتاب والسنة نصب عيني.

فلا يستكثرن القارئ إيراد الشواهد منها، فإن لذلك حكمة مقصودة تعرف بعد مطالعتها في سياقها.

غير أن عناصر العقيدة كادت تتيه وسط هذا الركام من النقول والأقيسة والمصطلحات، فوجب تجميعها في نسق متقارب.

ثم إن غرسها في الأفئدة لن يثمر ويزدهر إلا بأسلوب الإسلام نفسه.

ومن العجيب أنك تقرأ في أمهات الكتب الكلامية، وتطوي الصفحات الطوال، فلا تكاد تعثر على آية أو حديث، إلا اقتباسات يسيرة تبدو كالزهرات المنفردة في الأرض السبخة.

ربما استراح عشاق البحث الفلسفي المجرد لهذه الكتب، ولا عليهم! لكن هذا لا يغنينا عن عرض العقيدة الخالصة من خلال حقائق تتصل عن قرب بمصادرها الأولى»[٤].

وقد اختلطت العقيدة بالسياسة باكرا؛ فأصبحت الرؤية السياسية أمرا مقدسا يلبس لباس الدين.

وهذا تم على يد الخوارج الذين رفضوا التحكيم؛ فراحوا يكفرون كل من يخالفهم في الرأي.

واستفحل هذا الأمر في ظهور معظم الفرق الإسلامية الكبرى؛ إذ كان ظهور معظمها ناشئا عن رأي سياسي، ثم يتلفع بالدين والنص المقدس تأويلا واستئناسا بل وتحريفا وليا لعنق النص المقدس.

يقول الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله تعالى-: «وللظروف التي نشأ فيها (علم الكلام) أثر سيئ في سرد حقائقه وصوغ دقائقه، فإن جحيم السياسة، وتطاحن الأحزاب المختلفة أرسل شواظا من الأحكام الإسلامية، لا نزال إلى اليوم نشقى بها، برغم القرون الطويلة التي مرت عليها!

وفي ضجيج الخصومة السافرة يعسر البحث عن الحقيقة! ولو أمكن الوصول إليها، فإنه يصعب الاقتناع بها!»[٥].

فالواضح مما سبق أن الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- استفاد من الجميع لإثبات وجود الله تعالى، وكما قيل: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها»[٦].

وهو كان على وعي تام بما يفعل؛ لذا قال: «هذه بحوث في العقيدة، دفعتني إلى كتابتها قلة الرسائل التي تعنى بهذا اللون من علوم الدين، وتعرضه في أسلوب يتفق مع حاجة المسلمين المعاصرين.

وقد رأيت أن أسوق الأصول العلمية لعقيدة المسلم، في نسق يخالف ما ألف الناس قراءته من هذه الأصول في مظانها من ثقافتنا الدينية.

لا لأني سآتي بجديد في هذا الميدان، بل نزولا على منطلق التجارب، وانتفاعا بما اكتنف جوانب التاريخ الإسلامي من أحداث، وتوخيا للسير في هدى النصوص المجردة من الكتاب والسنة»[٧].

الهوامش

١- الغزالي: عقيدة المسلم، نهضة مصر، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م، ص(٣).

٢- ابن خلدون: المقدمة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، (٢/٥٥٧).

٣- عقيدة المسلم، ص(٣).

٤- السابق، ص(٤،٨) باختصار.

٥- السابق، ص(٤).

٦- أخرجه ابن ماجه في «الزهد»، باب: «الحكمة»، ح(٤١٦٩)، وقال الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه»: «ضعيف جدا».

٧- عقيدة المسلم، ص(٣).



الحسين عبداللطيف خضر
باحث في الشريعة والقانون

تعظيم حقوق العباد

المسلم الحقيقي هو الملتزم بكل أوامر الله ورسوله ﷺ دون انتقاء: من سمات المسلم الحقيقي الامتثال لأوامر الله ورسوله ﷺ في كل أحواله وأوقاته، فهو حاله دائما الطاعة والانقياد لأوامر الله ونواهيه؛ إذ إن ذلك من مقتضى عبوديته لله تعالى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ (الأنفال:٢٠). فلا يمتثل أمرا دون أمر، ولا يختار أمرا دون آخر، وسواء أكانت تلك الأوامر أو النواهي متعلقة بحقوق الله أو بحقوق العباد.

المراد بحقوق الله وحقوق العباد

والمراد بحقوق الله تعالى: الحقوق التي يتعلق بها النفع العام من غير اختصاص لأحد بها، فتنسب إلى الله تعالى لعظم خطرها وشمول نفعها، كالصلاة والزكاة ونحوهما. والمراد بحقوق العباد: الحقوق التي يتعلق بها مصلحة خاصة، كحرمة مال الغير وما شابهه من حقوق خاصة.

ومجمل الحقوق التي تتصل بالعباد اتصالا مباشرا ثلاثة أنواع: الحقوق المتعلقة بالدماء والأنفس وما دونها من الجراحات حتى اللطمات.

وكذلك الحقوق المتعلقة بالأموال من ديون ونفقات ونحوهما، ويدخل في ذلك أيضا السرقة والنهب والاختلاس وغيرها من صور الاعتداء على الأموال.

ثم أخيرا الحقوق المتعلقة بالأعراض من منع السب والشتم والقذف ونحو ذلك مما يشين العرض، أخذا من قول النبي ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(1). وقوله أيضا ﷺ في خطبة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا»(2).

إغفال بعض من المسلمين حقوق العباد

والواقع يظهر لنا أن الكثير من المسلمين يعظمون حقوق الله التعبدية المتعلقة بالصلاة والصيام والحج... وغيرها من العبادات، في مقابل إهمال حقوق العباد كليا أو جزئيا، على وهم منهم أنها ليست معظمة في الشريعة أو أنها غير ذات بال في نظرها.

والحقيقة أن الأمر على خلاف ذلك تماما، إذ إن حقوق العباد حقوق عظم الشرع أمر أدائها، وأكد على وجوب الحرص على الإيفاء بها وعدم الاعتداء عليها، فهي معظمة في الشريعة لا مراء في ذلك، ومن أبرز مظاهر ذلك التعظيم:

مظاهر تعظيم حقوق العباد

أولا: أن تلك الحقوق حرم الشرع الاعتداء عليها بأي وسيلة أو طريقة: كما يدل على ذلك عموم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (المائدة:٨٧). فالاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء، فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى،(3) فالأموال والأعراض والأنفس لا يمكن أن يقبل الشرع أن يتم الاعتداء عليها، كما أخبر ﷺ أن «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(4)، وهذا يقتضي تحريم الاعتداء والمنع منه.

ثانيا: أن الحق سبحانه وتعالى قد

أمرنا بالاستجابة لله ولرسوله ﷺ دون تفريق بين حق يتعلق بالله أو حق يتعلق بالعباد[٥]، أي: استجابة عامة، كما جعل من صفات المؤمنين السمع والطاعة لله ورسوله ﷺ كذلك دون تفريق أو تحديد بين حق وآخر: فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ (الأنفال:٢٤). ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (النور: ٥١). ومن ثم فلا يمكن أن تحقق الاستجابة الكاملة، والسمع والطاعة التامين مع إهمال حقوق العباد أو التغافل عنها.

ثالثا: جعل الحق سبحانه وتعالى فلاح المؤمنين لمن تكامل عنده أداء حقوق الله وحقوق العباد معا، ورتب الجنة كجزاء لذلك، فقال تعالى ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ (المؤمنون:١-١١). فالصلاة والزكاة من حقوق الله، وحفظ اللسان من اللغو، وأداء الأمانات من حقوق العباد، وهكذا تكاملية الشارع في نسج الالتزام بحقوق الله والعباد معا.

رابعا: تشديد النبي ﷺ على الالتزام بأداء تلك الحقوق، بل رتب الوعيد الشديد لمن اغتصب حق مسلم؛ فقد قال النبي ﷺ: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم الله عليه الجنة»، قال رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله، قال: «وإن كان قضيبا من أراك»[٦]، وهذا كما قال الإمام النووي: (فيه غلظ تحريم حقوق المسلمين، وأنه لا فرق بين كثير الحق وقليله)[٧].

فما بالنا بمن يستحل الدماء البريئة دون وجه حق، ومن يأكل الميراث ظلما وعدوانا، ومن ينسب التهم للبريء، ومن يقذف العفيفات بالأباطيل دون رادع من دين، أو صلاح من ضمير.

خامسا: كما يدل على التأكيد على الحفاظ على تلك الحقوق وتعظيم شأنها أن من قتل مدافعا عن ماله أو عرضه أو نفسه ينال مرتبة الشهداء في الآخرة، ولا ضمان عليه من قصاص أو دية أو كفارة[٨]، كما قال النبي ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»[٩].

سادسا: ومن مظاهر التعظيم لحقوق العباد كذلك أن النبي ﷺ كان في وقت معين لا يصلي على من مات وعليه دين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين، فيسأل: «هل ترك لدينه من قضاء؟» فإن حدث أنه ترك وفاء، صلى عليه، وإلا، قال: «صلوا على صاحبكم»[١٠].

صحيح أن ذلك الحكم قد ألغاه النبي ﷺ بنفسه بعد ذلك، إلا أن فيه دلالة شديدة اللهجة لمن يستهينون بحقوق العباد، وليعلمنا أن حقوق بني آدم لا بد من قضائها، لذلك جاء في نهاية الحديث فلما فتح الله عليه الفتوح قال ﷺ: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه»..

سابعا: كذلك مما يظهر تأكيد الشريعة على عظم حقوق العباد ما قرره العلماء الأثبات أن توبة الإنسان لا تقبل عند الله تعالى إلا إذا أبرأ المكلف ذمته ممن هضم حقوقهم أو ظلمه أو اعتدى عليه، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها... فإن لم يفعل ذلك لم تصح له التوبة[١١].

يقول الإمام القرطبي: «فإن كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه إلا برده إلى صاحبه والخروج عنه -عينا كان أو غيره- إن كان قادرا عليه، فإن لم يكن قادرا فالعزم أن يؤديه إذا قدر في أعجل وقت وأسرعه»[١٢].

ثامنا: ومن مظاهر التأكيد على تلك الحقوق أنها ستظل معلقة في ذمة صاحبها طوال حياته وبعد مماته، فلا تقبل له توبة ولا تبرأ له ذمة إلا بأداء الحق أو الإبراء منه، وإن تهرب من الحقوق في الدنيا فلا يمكن التهرب منها في الآخرة، وهذا أيضا من أبرز الدلائل على هذا التشديد في حقوق العباد. فعن عكرمة قال: صنع رجل لابن عباس -رضي الله عنهما- طعاما، فبينما الجارية تعمل بين أيديهم إذ قال لها الرجل: يا زانية، فقال ابن عباس: مه، إن لم تحدك في الدنيا، تحدك في الآخرة»[١٣].

ومما يؤكد ذلك المعنى ما قاله عبدالله بن الزبير -رضي الله عنهما- لما نزلت آية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ (الزمر:٣٠-٣١). قال: يا رسول الله ﷺ: «أيكرر علينا ما يكون بيننا، مع خواص الذنوب؟ قال:

«نعم ليكررن عليكم حتى يرد إلى كل ذي حق حقه»، قال الزبير: والله إن الأمر لشديد»[14].

تاسعا: إن الشهداء -رغم مكانتهم عند الحق سبحانه وتعالى- يغفر الله لهم كل شيء إلا الدين الذي يعد أحد الصور الواضحة لحق الآدمي، فيقول النبي ﷺ: «يغفر الله للشهيد كل ذنب إلا الدين». وفي رواية: «القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين»[15]، وكأن ذلك تنبيه شديد اللهجة «على جميع حقوق الآدميين، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله تعالى»[16].

عاشرا: ومما يدل على عظم حقوق العباد أن المتوفى لا تقسم تركته ولا تنفذ وصاياه قبل استيفاء حقوق العباد المالية منها، فأداء حقوق العباد المالية يأتي في المرتبة الثانية بعد تجهيز الميت وتكفينه، وما ذلك إلا لعظم تلك الحقوق، لقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ (النساء:11). فيقدم الدين على الوصية باتفاق الفقهاء؛ لأن الدين واجب من أول الأمر، لكن الوصية تبرع ابتداء، والواجب يؤدى قبل التبرع[17].

حادي عشر: ومما يدل على خطر التجاوز في حقوق العباد، أن النبي ﷺ أمر كل متعد على حقوق العباد أن يتحلل ما عليه من حقوق قبل أن يفوت الآوان، وذلك، والأمر بالتحلل أكبر دليل على تعظيم الشرع لتلك الحقوق، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم»[18].

ثاني عشر: من مظاهر التعظيم لحقوق العباد أن الشريعة قد كفلت حق اللجوء للقضاء لرد الاعتداء الواقع على الإنسان في أي من حقوقه المادية أو المعنوية بعد إقامة الأدلة والأمارات على هذا الحق، لإجبار من عليه الحق على أدائه أو تقديم التعويض المناسب للمعتدى عليه؛ لأنه كما قال ﷺ: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ولكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر»[19].

ثالث عشر: حذرنا النبي ﷺ من فقدان الرصيد من الحسنات يوم القيامة بسبب الانهماك في تضييع حقوق العباد والاعتداء عليها والجور فيها، وسمى الجائر على تلك الحقوق مفلسا! فقال النبي ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار..»[20].

لذلك قال سفيان الثوري -رحمه الله تعالى: «إنك إن تلقى الله -عز وجل- بسبعين ذنب فيما بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد» اهـ[21].

وهكذا يتضح بجلاء أن حقوق العباد معظمة في الشرع الشريف، وأن كل إنسان محرم عليه التعرض لأي حق من حقوق العباد بالاعتداء أو الظلم أو الجور سواء ما يتعلق بالأنفس، أو الأموال، أو الأعراض، وأن الإنسان المعتدي إنما يستهين بأمر الشارع ويكون آثما لا محالة، ويجب عليه التوبة والإنابة لربه ومولاه، وأداء الحقوق كي تبرأ ذمته أمام الله وتصح له توبة واستقامة.

الهوامش

1- مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، رقم: ٢٥٦٤.

2- البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم: ١٧٣٩.

3- انظر: تفسير الخازن، علاء الدين الخازن ٢/٢١٠، (ت: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ). تفسير ابن كثير ٣/٤٢٨ (ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الثانية ١٤٢٠هـ).

4- سبق تخريجه.

5- انظر: تفسير القرطبي، لأبي عبدالله القرطبي ٧/٣٩٠، (ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الثانية، ١٣٨٤هـ).

6- مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ١٣٧.

7- انظر: شرح النووي على مسلم ٢/١٦٢، (دار إحياء التراث - بيروت، ط الثانية، ١٣٩٢هـ).

8- يراجع في تفاصيل هذه المسألة: الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٨/١٠٣.

9- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي ٤/٣٠، وقال حديث حسن صحيح.

10- مسلم، كتاب الفرائض، باب من ترك مالا فلورثته، رقم: ١٦١٩.

11- انظر: شرح رياض الصالحين، للنووي، ص:١٤ (ت: ماهر الفحل، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الأولى، ١٤٢٨هـ).

12- تفسير القرطبي ١٨/٢٠٠.

13- الأدب المفرد، للبخاري، ص:١٧١ (ت: سمير أمين، مكتبة المعارف، الرياض، الأولى، ١٤١٩هـ)، وحسن الإسناد المحقق.

14- السنن الكبرى، للبيهقي ٦/ ١٥٥، وإسناده حسن. انظر: الأحاديث المختارة، لضياء الدين المقدسي ٣/ ٥١.

15- مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، رقم: ١٨٨٦.

16- شرح صحيح مسلم للنووي ٥/٢٨.

17- انظر خلاف الفقهاء في الترتيب بين الحقوق المتعلقة بالتركة: الموسوعة الفقهية ١١/٢١٧.

18- البخاري، كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له.... رقم: ٢٤٤٩.

19- البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ (آل عمران:٧٧)، رقم: ٢٤٤٩.

20- مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨١.

21- انظر: تنبيه الغافلين.

محمد شعطيط
معلم بالتربية



الإمام مالك مربيا

اشتهر الإمام مالك رحمه الله بأنه صاحب أحد أهم المذاهب الأربعة الكبرى الأكثر انتشارا في العالم الإسلامي، كما عرف بإمامته في علم الحديث والفقه. وقد غطى كل ذلك على منهجه التربوي الذي تميز به في تنشئة أجيال من الطلبة الذين توافدوا عليه من شتى أصقاع العالم الإسلامي للأخذ عنه والتتلمذ على يديه. وفي هذا المقال سنقتصر على بعض سمات المنهج التربوي عند هذا الإمام العلم حتى نتخذها نبراسا في تربية هذه الأجيال من الشباب والفتيان المتعطشة لمبادئ الإسلام والتي تروم الجمع بين التربية والعلم والعمل.

السمة الأولى: القدوة

كان الإمام مالك رحمه الله يعلم قيمة القدوة في تنشئة الأجيال، ولذلك كان حريصا على أن يعطي المثال من نفسه في شتى تمظهرات البيئة المعرفية والتربوية. فكان نموذجا في سلوكه ولباسه وجلوسه لدروس العلم، كما كان مجلسه مجلس حلم وعلم ووقار. وقد وردت آثار كثيرة تسلط الضوء على جميع ما ذكر.

أما عمله بعلمه فذلك يجليه ما قال عنه ابن المبارك رحمه الله: «رأيت مالكا فرأيته من الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة كانت بينه وبين الله، وذلك أني كثيرا ما كنت أسمعه يقول: من أحب أن يفتح له فرجة في قلبه، وينجو من غمرات الموت، وأهوال يوم القيامة، فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية»[1].

أما سمته ولباسه وما كان يتميز به في ذلك كأنه شامة بين الناس فيوضحه قوله نفسه رحمه الله: «ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه، وخصوصا أهل العلم، ينبغي لهم أن يظهروا مروءتهم في ثيابهم إجلالا للعلم»[2].

ويقول عنه إبراهيم بن هارون الليثي: «كان لا يحضر مجلس مالك لغط ولا لغو، وكان مهيبا، وإذا سئل عن الشيء فأجاب سائله لا يراجعه السائل ولا يقول له: من أين رأيت؟ وقد لازمته هذه الهيبة طول المدة التي ألقى فيها دروسه وكان يعطي نفسه عند التحديث عن النبي ﷺ سمتا أحسن ومظهر أروع، فكان إذا حدث توضأ وتهيأ، ولبس أحسن



ثيابه، وتطيب وتعمم وعليه الخشوع، ويبخر بالمجلس حتى يفرغ من التحديث كان في مجلسه لا يراجع، ولا يكرر، لكيلا يقطع على نفسه سلسلة تفكيره بالمراجعة، ولكيلا يذهب وقار المجلس الذي كان حريصا كل الحرص على أن تظله السكينة والوقار، ولكن إذا خلا به خلصاؤه من تلاميذه راجع عليهم ما يري، دون أن يثبتوا فيه من المسائل»[٣].

هذه العناية باللباس والسمت والهيئة والخبيئة من عمل السر أكسبت الإمام مالك رحمه الله هيبة في النفوس يستشعرها كل من يري أو يجالس هذا الإمام. يقول الشافعي رحمه الله: «ما هبت أحدا قط هيبتي مالك بن أنس حين نظرت إليه»[٤].

وحتى يجل الطلبة ما يطلبونه من علم كان يسعى الإمام مالك أن يعطي القدوة من نفسه في تعظيم العلم والعلماء، وكأنه يستحضر قول الشاعر:

ولــو أن أهــل الـعـلـم صــانـوه صـانـهـم
ولـو عـظـمـوه فـي الـنـفـوس لـعـظـما

يقول ابن مهدي رحمه الله: «مشيت مع الإمام مالك يوما إلى العقيق من المسجد، فسألته عن حديث، فانتهرني، وفي رواية فالتفت إلي وقال لي: كنت في عيني أجل من هذا، تسألني عن حديث رسول الله ونحن نمشي؟ فقلت إنا لله، ما أراني إلا وقد سقطت من عينه، فلما قعد في مجلسه بعدت عنه، فقال: ادن هاهنا، فدنوت، فقال: قد ظننت أنا أدبناك، تسألني عن حديث رسول الله وأنا أمشي! سل عما تريد هاهنا»[٥].

السمة الثانية: الجد والاجتهاد

لاشك أن العلم لا ينال براحة الجسد، ولذلك كان الإمام مالك رحمه الله مثالا لطالب العلم المجد المجتهد في التحصيل، سواء أثناء الطلب أو أثناء التعليم والتربية وبث ما لديه من أوعية العلم. يقول الإمام الذهبي عنه: «وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره: أحدها طول العمر، وعلو الرواية، وثانيها الذهن الثاقب، والفهم وسعة العلم، وثالثها اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية، ورابعها: تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن، وخامسها: تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعد»[٦].

وكان الإمام سفيان بن عيينة إذا ذكر مالكا يقول: «كان مالك سراجا، ومالك حجة في زمانه»[٧]. وقال عنه شيخه ابن شهاب الزهري وهو من هو رحمه الله: «أنت من أوعية العلم، وإنك لنعم مستودع العلم»[٨].

السمة الثالثة: الاقتصار على العلم النافع

كان الإمام مالك رحمه الله يرى في تربيته وتعليمه لطلبته وعامة المسلمين الاقتصار على ما ينفعهم وما هم في أمس الحاجة إليه دون زيادة أو نقصان. فلم يكن يحبذ التوسع في المسائل وتوليد الأقضية مما لم يعرف الناس أو لم يصادفوه. «وذلك خشية الابتعاد عن سنة رسول الله ﷺ والاندفاع نحو المغالاة في الأمور، وفرض غير المعقول»[٩].

السمة الرابعة: عنايته بتلامذته

كان الإمام مالك رحمه الله حريصا على تلامذته، يهتم بهم ويسأل عنهم وينزل كل واحد منهم منزلته التي تليق به، وذلك لما كان يتوسم فيهم من حمل مشعل العلم ونشره في شتى بقاع العالم الإسلامي. ولذلك شاع المذهب المالكي وانتشر في شتى الأصقاع حتى صارت منه المدرسة الحجازية والعراقية والمصرية والمغربية والأندلسية. من هذه العناية ما ذكره القاضي عياض رحمه الله من اهتمام الإمام مالك بابن فروخ وحسن استقباله وفسحه له في مجلسه وثنائه عليه بهذه الكلمة التي ولاشك ستترك أبلغ الأثر في نفس ابن فروخ. قال عنه رحمه الله: «هذا فقيه المغرب»[١٠].

السمة الخامسة: اختيار المعلمين الأكفاء

كلما كان المعلمون أكفاء كانت مخرجات العملية التربوية بناءة وشاملة. وقد حرص الإمام مالك على اختيار من يصلح للتربية وتلقين العلوم، فكان لا يأخذ إلا عند من ظهرت أهليته لهذا الشأن. يقول رحمه الله: «لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله ﷺ، عند هذه الأساطين وأشار إلى المسجد، فما أخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو اؤتمن على بيت مال لكان أمينا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن»[١١]. لقد آمن علماء الإسلام منذ الصدر الأول ومنهم الإمام مالك ما للتخصص من دور في الدفع



بعجلة العلوم إلى الأمام. فبالإضافة إلى الموسوعية يأتي التخصص ليعمق الأخذ والتلقي عن العلماء الأفذاذ. وكل ميسر لما خلق له.

السمة السادسة: إغناء العلماء وإكرامهم

لا يتمكن العالم من التفرغ لشؤون العلم والطلبة والتدريس ما لم تكن له كفاية من رزق تكفيه مؤونة طلب الرزق والابتغاء من فضل الله. وقديما قال أحد العلماء: «لو كلفت بشراء بصلة ما حفظت مسألة». وقد كان الإمام مالك رحمه الله حريصا على إكرام أهل العلم وإجراء الوظائف والأموال لهم حتى يتفرغوا لما هم فيه من التعليم والتربية. يقول ابن وهب رحمه الله: سمعت مالكا يقول: «لا بأس بأخذ الأجر عن تعليم القرآن الكريم والكتابة، قال: فقلت لمالك: أفرأيت إن شرط مع ماله من الأجر في ذلك شيئا مسمى كل فطر أو أضحى؟ قال: لا بأس بذلك»[١٢].

السمة السابعة: تدبير زمن التعلم

من الأشياء التي اهتم بها الإمام مالك رحمه الله تدبير زمن التعلم، فكان يراعي الكيف قبل الكم، وكان «يترك مدة يسيرة للراحة لطلابه بين الحين والآخر، ولا يثقل عليهم بكثرة المواد، فقد كان درسه لا يتجاوز الورقتين والنصف ولا تبلغ ثلاثا[١٣]. أما درس مادة الحديث فيتراوح ما يمليه بين العشرة إلى اثني عشر في الأحوال العادية، ولا يزيد على عشرين حديثا في الأحوال الاستثنائية[١٤]. وكان رحمه الله يختار من الوقت أيسره فكان لا يجلس للعلم حتى تطلع الشمس، «فإذا طلعت الشمس قام إلى حلقته وذاكر أصحابه»[١٥].

السمة الثامنة: اهتمامه بتعليم المرأة

لم يكن العلم مقتصرا في زمن الإمام مالك على الرجال فقط، بل نالت النساء أيضا نصيبهن من التعليم، بل كان هذا الاهتمام منطلقا من بيت الإمام نفسه. فقد كانت بنته فاطمة الملقبة بأم البنين تحفظ الكثير من علم أبيها، وكانت تجلس خلف الباب تستمع لمن يقرأ على أبيها في مجلس العلم، فإذا أخطأ القارئ دقت الباب فيأمر الإمام مالك من يقرأ أن يعيد ويصحح خطأه[١٦].

هذه بعض سمات المنهج التربوي عند الإمام مالك رحمه الله، وهو مجال يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة لصياغة نظرية تربوية متكاملة تمتح من تراث هؤلاء الأئمة الأعلام.

الهوامش

١- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية ط٢ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، (ج٢/٥١).

٢- مناقب الإمام مالك بن أنس، عيسى بن مسعود الزواوي، تقديم ودراسة وتحقيق: الطاهر محمد الدرديري،مكتبة طيبة للنشر والتوزيع، المدينة المنورة (ص:١٥٥).

٣- انظر ببعضه تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك، الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: هشام بن محمد حيجر الحسني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، ط١، (١٤٣١هـ-٢٠١٠م) ص:٣٩.

٤- ترتيب المدارك، مرجع سابق، ٣٤/٢.

٥- نفسه ٢٥/٢.

٦- تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: ٢١٢.

٧- ترتيب المدارك، مرجع سابق،(١٤٩/١).

٨- نفسه (١٤٨/١).

٩- منهج الإمام مالك في التعليم والتربية، د. حذيفة عبود مهدي السامرائي، ضمن الأعمال الكاملة لمؤتمر الإمام مالك، ١٤٣٥هـ-٢٠١٣م، ص:٧٢٢.

١٠- ترتيب المدارك مرجع سابق (١٠٤/٣).

١١- تزيين الممالك، مرجع سابق ص:٢٥.

١٢- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، أبو الحسن علي القابسي، دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس وترجمة فرنسية: أحمد خالد، تونس، الشركة التونسية للتوزيع. ط١،(١٩٨٦م)، ص:٩٩.

١٣- ترتيب المدارك، مرجع سابق (١٧/٢).

١٤- منهج الإمام مالك في التعليم والتربية، مرجع سابق، ص:٧٣٣.

١٥- ترتيب المدارك، مرجع سابق، (٥٦/٢).

١٦- الفكر التربوي عند الإمام مالك بن أنس، محمد بن مغرم بن محمد الشهري، بحث تكميلي للماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (١٤٣٣هـ) ص:١٣٢.



د. شيماء فرغلي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة القاهرة

الإفتاء بالمكاتبة في الحضارة الإسلامية

الإفتاء كما هو معروف يعني قيام المفتي بالجواب عن سؤال سأله إياه المستفتي، أي إن عملية الإفتاء يمكن التعبير عنها بمثلث أضلاعه الثلاثة هي: المستفتي، والمفتي، والفتوى.

ولمصطلح الفتوى جذور قديمة في التاريخ الإسلامي؛ وقد ورد ذكره في القرآن الكريم أكثر من مرة بصيغ مختلفة، ففي سورة (النساء:١٢٧) ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾، وفي سورة (يوسف:٤٣ و٤٦) ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَىٰ﴾، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾، وفي سورة (الكهف:٢٢) ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾، وفي سورة (الصافات:١١ و١٤٩) ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾، ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾.

والفتوى لغة لا ترتبط بطلب الحكم الشرعي فقط، بل لها استخداماتها العامة أيضا، وهو ما نجده على سبيل المثال في قوله تعالى في سورة (النمل:٣٢) ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي﴾ ويفهم من ذلك أن الفتوى مرتبطة بالسؤال. كما جاء في القرآن بالمدلول الشرعي ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾(النساء:١٧٦).

ويفهم مما سبق أن الفتوى عملية فكرية يقوم بها عقل المفتي وفقا لثقافته تستهدف إعطاء جواب أو حكم شرعي عن أحد جوانب الحياة الإنسانية المختلفة عن طريق فهم القضية المعروضة عليه للإفتاء فيها ونفسية المستفتي والجماعة التي يعيش فيها وكذلك فهم النصوص الدينية وسبر أغوارها. وتقديم الأدلة التي استند عليها في فتواه أو إجابته.

وإذا أخذنا الأندلس كنموذج من نماذج الحضارة الإسلامية يمكن رصد تاريخ الإفتاء بها، سنجد طريقتين في الإدلاء بالفتوى؛ إحداهما غلبت قبل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وهي المشافهة، والثانية أصبحت أساسا بعد ذلك وهي المكاتبة، التي نحاول تتبع مظاهرها فيما يأتي:

في البداية نلاحظ أن حرص المفتي على كتابة فتواه يرجع إلى أن طريقة الكتابة تتضمن التأكيد على مسؤولية المفتي عن فتواه، والرغبة الكبيرة في وصول الفتوى بشكل دقيق، وعدم ترك المجال لأية شبهات في تغيير الفتوى أو بعض ألفاظها، وهو الأمر الذي يفيد في الرجوع إليها عند النزاع أو الخلاف

حول الفتوى.

وتوجد بعض الروايات الأندلسية التي تتحدث عن أخذ فتاوى المفتين بالمكاتبة(١)، وهو الأمر الذي نجده في كتابة القاضي إلى بعض المفتين خاصة من عرف منهم بمسمى المشاورين طالبا فتواهم في مسألة ما، وهو ما يأتي بصيغة «كتبت إلى شيوخنا»(٢)، كما أن رأي المفتي كان يأتي في المقابل بصيغة «قال بعض الشيوخ في جوابه لبعض القضاة...»(٣). وكان القاضي يطلب من المفتين صراحة أن يكتبوا له، ويقول: «فاكتبوا إلي برأيكم إن شاء الله»(٤).

ويمكن القول إن الفتوى كانت تكتب في كلتا الحالتين سواء كان المفتي في مجلس القاضي، أو بعيدا عنه ردا على رسالة القاضي التي يطلب فيها الفتوى في الأمر المعروض عليه. وترجع جذور كتابة الفتوى في مجلس القاضي إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وبالتحديد سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م، وذلك عندما تولى قضاء الجماعة بالأندلس الحبيب أحمد بن محمد بن زياد (ت٣١٢هـ/٩٢٤م)، والذي لم يقبل الفتوى الشفاهية كما كان الأمر يدور عليه من قبله وألزم المفتين بكتابة فتاويهم بخط يدهم(٥).

وكانت توجد بعض الاعتبارات في كتابة الفتوى، مثل أنه «ينبغي على المفتي أن يكتب الجواب بخط واضح وسط، ليس بالدقيق الخافي، ولا بالغليظ الجافي، ويتوسط في سطورها بين توسيعها وتضييقها، وأن تكون عبارته واضحة صحيحة تفهمها العامة، ولا تزدريها الخاصة، واستحب بعضهم ألا تختلف أقلامه، وخطه، خوفا من التزوير عليه، وكيلا يشتبه خطه.. كما ينبغي على المفتي إذا كتب الجواب أن يطالع ما كتب ويعيد نظره فيه خوفا من أن يكون قد أسقط كلمة، أو أخل ببعض المسؤول عنه»(٦).

وعموما فإن المكاتبة أو المراسلة كانت طريقا من الطرق المستخدمة في طلب الفتوى. ومن النماذج الواضحة والمعبرة عن ذلك قيام ابن سهل (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م) وهو على القضاء بمراسلة العديد من المفتين طلبا لفتاويهم(٧).

وكان المنهج المتبع في كتابة القاضي للمفتين ثم رد المفتين عليه كتابة يتم بأن ترسل وقائع القضية وأوراقها بعد نسخها من أصولها إلى المفتين مصحوبة بخطاب طلب الفتوى ويمثل ذلك كتاب أرسله صاحب المظالم أبو بكر عبيدالله بن أدهم (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م) إلى المفتين ذكر فيه: «رأيت استطلاع رأيكم الموفق فيما جرى عندي من ذلك كله. وخاطبتكم بخطابي هذا، وأدركت طيه كتاب كاغد يشتمل على جميع ما أثبته عندي كل واحد منهم بعد المقابلة بها لتلك النسخ فتصفحوا ذلك بفضلكم وجاوبوني عنه موفقين مأجورين والسلام»(٨).

ويلاحظ أنه كان يراعي في تلك المراسلات الإفتائية أن تكون محتوية على موضوع القضية والوثائق المرتبطة بها، وفي بعض الأحيان كانت المراسلة الطالبة للفتوى تكتب على ظهر وثيقة القضية أو في حواشيها، ومن ذلك ما يذكره الونشريسي(٩) (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م): «فيقول بصحة العقد المرتسم في الورقة العليا الملتصقة بهذه المتضمن لفلان قبل فلان كذا، أو المتضمن توكيل فلان فلانا على كذا ونحوه، مما يعين الحق المكتوب فيه خوفا أن يلصق بورقة الخطاب ورقة بحق غير الحق الذي به وقع الخطاب».

أما جواب المفتين فكان يسمى بـ«كتاب المشورة» أو «الشورى»، وكان هذا الجواب يبدأ بصيغ مختلفة، منها على سبيل المثال: «قرأت ما خاطبتنا به وما أدرجته طيه...»، «تصفحت خطابك وما أدرجته...»(١٠). وهناك بعض المفتين كانوا يعطون فتواهم في مجلس القاضي ثم يرسلون بعد ذلك بكتاب فيه التأصيل الفقهي لهذه الفتوى. وقد يكون مرجع ذلك إلى توفير الوقت الكافي للكتابة وكذلك المراجعة والمعاودة للمصادر الفقهية وتوثيق النقول التي سيتم الاعتماد عليها في الفتوى. وقد لا يكتفي القاضي بجواب المفتين الأول، بل يكتب إليهم مرة أخرى مستفسرا عن بعض جوانب الفتوى قبل أن يقرر الأخذ بها. وإذا لم يتفق المفتون في التفصيلات على رأي واحد يكتب كل واحد منهم ما يراه، وإذا اختلفت الفتاوى فإن الرأي الأخير يكون للقاضي الذي لا تغيب عنه المعرفة الفقهية التي تفيده في ترجيح فتوى على فتوى أخرى.

وليس المفتي بملزم بوجه قاطع بإعطاء رأيه في القضية المعروضة عليه وهو ما تبينه إحدى النوازل الواردة في كتاب الأحكام الكبرى(١١) تحت عنوان «هدم سعيد بن مجاهد لبيتي محمد بن خالد» إذ امتنع

المفتي محمد بن عمر بن لبابة (ت٣٣٠هـ/٩٤٢م) عن الإفتاء في هذه المسألة قائلا: «لا أقول شيئا من هذه المسألة». وهو ما يتفق مع قاعدة «من قال لا أدري فقد أفتى»، أو يتفق مع الاعتبارات الشخصية التي تجعل المفتي أحيانا يتنحى عن الإفتاء في مسألة ما.

وأحيانا كانت ترد إلى مفتي الأندلس أسئلة من خارجها؛ يقول المالقي[١٢] (ت٤٩٩هـ/١١٠٥م): «وكتب إلي من مدينة سبتة في البضاعة في مال المبضع إذا مات في الطريق»، وأحيانا أخرى تكون المراسلة الإفتائية من الأندلس إلى خارجها، مثلما فعل القاضي محمد بن بشير المعافري (ت١٩٨هـ/٨١٣م) من إرساله إلى عبدالرحمن بن القاسم (ت١٩١هـ/٨٠٦م) في مصر نفس المسائل مع شخصين مختلفين هما محمد بن خالد بن مرتنيل (٢٢٠هـ/٨٣٥م) ويحيى بن يحيى الليثي (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م)، وقد أجاب ابن القاسم كل واحد منهما إجابة مختلفة عن غيرها وعلى نفس المسائل، واجتمع محمد بن خالد ويحيى بن يحيى وقارنا الإجابات بينهما ولمسا الاختلاف فيها، فذهب يحيى بن يحيى إلى ابن القاسم وأخبره أنهما لو عادا بإجابتيهما المختلفتين إلى الأندلس سيشك بمصداقيتهما، ويزداد موقف القاضي محمد بن بشير حرجا ويضطر إلى مراسلة أخرى لابن القاسم وتبقى المسائل معلقة، فأقر ابن القاسم الرد الذي لدى يحيى بن يحيى وطلب من محمد ابن خالد أن يأخذ به أيضا[١٣]. وإرسال المسائل نفسها مع شخصين مختلفين من قبل محمد بن بشير يبين مدى حاجته إلى إجابة سريعة ومحددة، وموقف يحيى بن يحيى الذي كان مقربا من محمد بن بشير فيه تلميح إلى تأزم الموقف لديه وحاجته إلى رد حاسم.

ولم يكن أمر كتابة الفتوى مقتصرا على الفتوى للقضاء وحسب، بل أيضا في فتاوى الأفراد، ويروى في ذلك أن المفتي محمد بن أحمد اللؤلؤي (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) «أتته امرأة بسؤال فيه: ما تقول يرحمك الله في امرأة وعدت ثم أخلفت، ما يجب عليها؟ فكتب بأسفل كتابها: أساءت حين وعدت، وأحسنت حين أخلفت»[١٤].

ومن الجائز إعطاء القاضي للخصوم نسخة من فتاوى المفتين في المسألة التي تخصهم؛ ومن الفتاوى في هذا الشأن فتوى ابن لبابة ردا على سؤال أرسله إليه القاضي فيما طلب منه الشورى التي شاور له بها، قال: «الشورى إنما هي للقضاة، وليست للخصوم وليست تخرج من عندك ولكن إن طلب نسخة منها، ويكون لها أصل عندك فما عليك فيه درك ولا نقيضة»[١٥].

نخلص من ذلك كله إلى حقيقة قامت الشواهد السابقة على تبيانها، وهي أن الإفتاء بالمكاتبة كان أمرا واضحا وملموسا ضمن معالم حركة الإفتاء في الأندلس.

الهوامش

١- المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. تحقيق: إحسان عباس. بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥م، ج٦، ص٢١٥.

٢- ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى. تحقيق: نورة بنت محمد بن عبدالعزيز التويجري. جدة، ١٩٩٥م، ج٢، ص٨٠١؛ وثائق في شؤون العمران في الأندلس مستخرجة من مخطوطة الأحكام الكبرى. تحقيق: محمد عبدالوهاب خلاف. القاهرة، المركز الدولي العربي للإعلام،١٩٨١م، ص٩٢.

٣- ابن سهل: المصدر السابق، ج١، ص٦٠٣؛ وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس مستخرجة من مخطوطة الأحكام الكبرى. تحقيق: محمد عبدالوهاب خلاف. القاهرة، المركز الدولي العربي للإعلام،١٩٨٠م، ص٨١.

٤- ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج١، ص٥٤٥.

٥- الخشني: قضاة قرطبة. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة - بيروت، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٢٠٦؛ عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ومحمد بن شريفة وآخرون. المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٦٨-١٩٨٣م، ج٥، ص١٩١.

٦- الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه. تحقيق: عادل العزازي. الدمام، دار ابن الجوزي، ١٩٩٦م، ج٢، ص٤٠١؛ ابن الصلاح: أدب الفتوى. تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص١١٠-١١١.

٧- ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج١، ص٤٠٠-٤٠٢، ٤١٨-٤٢٣، ٥٥٩.

٨- ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج١، ص٦٠١-٦٠٨؛ وثائق في أحكام القضاء الجنائي، ص٧٩.

٩- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب. تحقيق: محمد حجي وآخرون. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م، ج١٠، ص٦٨.

١٠- ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج٢، ص٧٩٦، ٧٩٨؛ وثائق في شؤون العمران، ص٨١، ٨٤.

١١- ابن سهل، ج٢، ص٨٠٠-٨٠١.

١٢- الأحكام. تحقيق: الصادق الحلوي. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م، ص٩٨-٩٩.

١٣- الخشني: قضاة قرطبة، ص٨٤.

١٤- عياض: ترتيب المدارك، ج٦، ص١١٢.

١٥- ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج١، ص٨٠.



د. سعيد عبيدي
دكتوراه في الفقه الإسلامي

لقد حرص ديننا الحنيف أشد الحرص على الجوانب الأخلاقية في تشريعاته وقوانينه، ولم يغفل بذلك القضايا التي تلامس مشاعر الناس وأحاسيسهم، ومن هذه التشريعات الاستئذان الذي أولاه الإسلام منزلة رفيعة، واهتم به اهتماما كبيرا لكونه يلامس خصوصيات الناس، من أعراض وأموال وحرمة ديار، ولقد طبق السلف الصالح هذا التشريع فسعدوا واطمأنت نفوسهم وهدأت قلوبهم، فكانوا آمنين في بيوتهم، لا تكشف لهم عورة ولا يهتك لهم عرض.

ثقافة وآداب الاستئذان

في مفهوم الاستئذان

والاستئذان في اللغة يفيد «العلم أو الإعلام»، يقال: أذن به إذنا وأذانة: أي علم[1]. وقال ابن منظور: وآذنه الأمر أعلمه، وأذنت أكثرت الإعلام، والأذان الإعلام، فقوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ (التوبة:٣) أي إعلام. وأذن له في الشيء إذنا: أباحه له. وأذن تأذينا: أكثر الإعلام[2]. وقال الفيروزآبادي: أذن بالشيء: علم به، واستأذنه: طلب منه الإذن[3]. ويفسر الإذن في القرآن الكريم بما يتناسب مع ما ذكر، فقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٩٧)، يعني بعلمه وإرادته وتسهيله وتيسيره[4].

أما في الاصطلاح فيعني «فك الحجر وإطلاق التصرف لمن كان ممنوعا شرعا»[5]. كما يعرف بكونه «استباحة المحظور على وجه مشروع»[6]. ويمكننا أن نقول كذلك إنه «طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن»[7].

الحكمة الشرعية من الاستئذان

الحكمة من تقرير هذا السلوك الرفيع تتمثل إجمالا في كون «الاستئذان يحقق للبيوت حرمتها، ويجنب أهلها الحرج الواقع من المفاجأة والمباغتة والتأذي بانكشاف العورات، والعورات كثيرة لا تشمل عورة البدن فقط، وإنما يضاف إليها عورات الطعام، وعورات اللباس، وعورات الأثاث التي لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤ وتجمل وإعداد، ومنها عورات المشاعر والحالات النفسية، فكم منا من لا يحب أن يراه أحد وهو في حالة ضعف يبكي لانفعال مؤثر أو يغضب لشأن مثير، أو يتوجع لألم يخفيه عن الغرباء»[8].

ونظرا لأهمية الاستئذان وخطورة عدم العمل به فقد ذكره الله تعالى

في محكم التنزيل في سورة النور بعد تقرير حد الزنا والقذف، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾ (النور: ٢٧-٢٩). فقد شرع الله تعالى في ذكر الزجر عن دخول البيت بغير استئذان بعد الزجر عن الزنا والقذف؛ لما في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء، فربما يؤدي إلى أحد الأمرين المذكورين، فأدب الاستئذان متضمن لقطع ألسنة السوء من مظنة الريبة، فإذا دخل امرؤ بيتا بلا استئذان وكان ذلك مباحا، فقد يراه حال دخوله أو حال خروجه من يتهمه ويتهم أهل البيت المدخول عليهم بما لم يخطر ببال[٩].

الاستئذان عام وخاص

في هذا المقام لابد أن نشير إلى أن الاستئذان قسمان؛ عام، وهو الذي جاء في الآيات السابقة من سورة النور (الآيات ٢٧-٢٩)، وخاص، وهو المذكور في قوله تعالى من سورة النور أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٩﴾ (النور: ٥٨-٥٩).

فالآيات التي جاءت في تقرير الاستئذان الخاص توضح أن الله تعالى «أباح للمماليك والصغار الطواف في البيوت بغير استئذان وذلك لحاجة أهلهم وأسيادهم إليهم إلا في أوقات ثلاثة، فقد فرض الله عليهم الاستئذان فيها، وهذه الأوقات الثلاثة هي: ما قبل الفجر، ووقت الظهيرة، وبعد العشاء. فلا يجوز لأي إنسان الدخول في هذه الأوقات إلا بإذن؛ وذلك لأنه وقت يأوي فيه الناس إلى أزواجهم، وتنزع فيه الثياب، وقد يحصل بين الأزواج ما يحصل، فالدخول محظور حتى على الصغار والمماليك؛ لكي لا تقع أنظارهم على عورات أهلهم»[١٠].

الاستئذان على المحارم

الاستئذان لا يقتصر على الغير فقط، وإنما يشمل المحارم أيضا، بدليل قوله ﷺ: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»[١١]؛ فهذا حديث لم يخصص وإنما أوجب الاستئذان بصفة عامة؛ وقد جاء في الأثر أن رجلا سأل النبي أأستأذن على أمي؟ قال: نعم، قال: إني أخدمها، قال: استأذن عليها، فعاوده ثلاثا، قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال: لا، قال: فاستأذن عليها[١٢]. ومما يروى كذلك في هذا الباب أن رجلا سأل حذيفة رضي الله عنه فقال: أأستأذن على أمي؟ قال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره[١٣]. فيشرع الاستئذان على الأم حتى لو كان الولد يخدمها، ويتردد عليها، لهذه العلة المذكورة وهي خشية انكشاف العورة. وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «عليكم الإذن على أمهاتكم وأخواتكم»[١٤]. وجاء عن موسى بن طلحة أنه قال: دخلت مع أبي على أمي، فدخل فتبعته فالتفت، فدفع في صدري وقال: أتدخل بغير إذن؟[١٥]. فهذه الآثار تفيد أن الاستئذان مطلوب عموما، حتى على المحارم، فيلزم الرجل الاستئذان على أمه وأخته وبنيه وبناته البالغين، لأنه إن دخل على أحد منهم بغير استئذان فقد تقع عينه على عوراتهم، وذلك لا يحل، لكن يستثنى من ذلك كله الاستئذان على الزوجة إذا لم يكن في البيت إلا الزوج وزوجته[١٦].

صيغة وكيفية الاستئذان

صيغة الاستئذان وكيفيته وردت مفصلة في سنة خير الخلق عليه الصلاة والسلام؛ «فعن ربعي بن حراش قال: حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: ألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: اخرج

إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له: قل السلام عليكم أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل»[17]. والحديث يدل على أن صفة الاستئذان هي أن يقول المستأذن السلام عليكم، أأدخل؟ فإن أذن له دخل، وإن لم يؤذن له كرر الأمر ثلاثا ولا يزيد على ذلك، ثم ينصرف إلى حاله إن لم يتلق أي إجابة؛ فقي روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع»[18].

الاستئذان عند الانصراف

من حكمة الله تعالى في هذا الباب أنه أوجب الاستئذان عند الانصراف كما أوجبه عند الدخول؛ يقول سبحانه مبينا ذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٦٢). فهذا أدب -كما ذكر ابن كثير في تفسيره- أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه، من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة، أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك، أمرهم الله تعالى ألا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته، وأن من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين[19].

في الختام نخلص إلى أن الاستئذان الذي حث عليه الإسلام ودعا إليه هو خلق يعكس بوضوح مدى اللباقة والرقة واللطف في تعامل المسلمين مع بعضهم البعض؛ فالطريقة التي يجيء بها الطارق المستأذن تحدث في نفوس أهل البيت أنسا به، واستعدادا لاستقباله، فهو بالتالي خلق شرع لرعاية أحوال النفوس، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم، وما يلابسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار[20].

الهوامش

١ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ج١، ص: ١١، مادة «أذن».

٢ - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، ج.١٣، ص: ٩، مادة «أذن».

٣ - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م، ص: ١٥١٦، مادة «أذن».

٤ - الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبدالله اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ج.١، ص: ١١٧.

٥ - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص: ١٥.

٦ - انظر: العريني أحمد بن سليمان، أحكام الاستئذان في السنة والقرآن، دار الوطن للنشر، ص: ١٨.

٧ - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ، ج.١١، ص: ٥.

٨ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٢ هـ، ج.٦، ص: ٩٨.

٩ - الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبدالله اليمني، فتح القدير، ج.٤، ص: ١٩.

١٠ - العريني أحمد بن سليمان، أحكام الاستئذان في السنة والقرآن، ص: ١٦.

١١ - البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق الحمامة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، ج.٨، ص: ٥٤، رقم الحديث: ٦٢٤١.

١٢ - أخرجه مالك في الموطأ مرسلا في كتاب الاستئذان (٩٢٣/٣)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب استئذان المملوك والطفل في العورات الثلاث (٩٧/٧)، وأورده الطبري في تفسيره (١١٣/١٠) والقرطبي (٢١٩/١٢).

١٣ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب يستأذن على أمه (٥٠٠/٣)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب استئذان المملوك والطفل في العورات الثلاث (٩٧/٧).

١٤ - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب استئذان المملوك والطفل في العورات الثلاث (٩٧/٧).

١٥ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب يستأذن على أبيه (٥٠١/٣).

١٦ - الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ج.٦، ص: ١٧٨.

١٧ - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الأدب: في الرجل يقال له: ادخل بسلام: (٢٥٦/٥).

١٨ - نفسه، باب التسليم والاستئذان ثلاثا، ج.٨، ص: ٤٥، رقم الحديث: ٦٢٤٥.

١٩ - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ، ج.٦، ص: ٨٨.

٢٠ - انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج.٤، ص: ٢٥٠٨.

محمد ثابت توفيق
قاصّ وكاتب وناقد



رواية «الست مها» وأزمة وسطية الفرد والمجتمع

صدرت رواية «الست مها» عن دار البشير للثقافة والعلوم المصرية العام الماضي في ٢٤٨ صفحة من القطع المتوسط؛ وهي الرواية الثانية لمؤلفها القاصّ والروائي عصام عبدالحميد الذي سبق له إصدار عدد من المجموعات القصصية القصيرة ثم فاجأ الأوساط الثقافية والأدبية منذ نحو عامين بروايته الأولى «عزة.. متلازمة القلب المنكسر» عن نفس دار النشر وهي الرواية البكر للمؤلف الذي جاوز العقد السادس من العمر، ورغم ذلك فقد جاءت في حبكة روائية أخاذة ومضمون جذاب يقرأ على نحو رمزي وأيضا مباشر في مقدرة لا يستطيع جمعها إلا روائي متمكن؛ وإن كانت رواية «عزة» تناولت الزواج بين الإخصائية الاجتماعية والنفسية التي تحمل الرواية اسمها، وهي تعمل في المدرسة الثانوية للبنات التي تدرس فيها ابنة بطل الرواية ويتعرفان عن طريق رعاية شؤونها بعد غياب أمها عن حياتها في إشارة للمستقبل الواجب التعاون من أجل صيانته والحفاظ عليه.. إلا أن الرواية لم تخل من الدلالة الواضحة الصريحة أحيانا والمستترة أخرى في تناول مصر بخاصة بداية من عقود الثمانينيات من القرن الماضي وما طرأ عليها من أحداث كبرى قربتها من العدو الذي حاربته لسنوات طويلة وعانت عدم الاستقرار نتيجة معاركها معه ثم فوجئت بتدخله في شؤونها خاصة الزراعية وما استتبعه ذلك من فساد لتربتها وأمراض لازمت أبناءها؛ بالإضافة لتصدي بطل الرواية لتلك المنظومة وتضحيته بالمستقبل الواعد في السلك الجامعي لما جهر بمعاداته لتدخل الكيان الصهيوني مما أدى إلى سجنه لسنوات فقد الثقة فيها في نفسه واعتاد بعدها أن يقبل بالحياة مهمشا محطم القلب والنفس حتى قابلته «عزة» الفاقدة للحياة الاجتماعية المثلى لكنها محتفظة ببريق الأمل في الغد.

جاءت رواية «الست مها» بتناصّ أدبي بالعنوان مخالفا هذه المرة لمفتتح العنوان الطبي الخاص بمرض بطلة الرواية الأولى «عزة» خاصة العنوان الفرعي المشير لما يفعله الحزن بمسيرة حياة الأحياء فيحيلهم لمتلازمة القلب المنكسر» وهو المرض العضوي الذي يستلزم حذرا شديدا وإلا فإنه ليستدعي مفارقة صاحبه أو صاحبته للحياة؛ لكن «الست مها» أخذ عنوانها منحنى آخر وبابا أدبيا هذه المرة لتقديم الرواية في صورة إحالة لعنون المسرحية الشعرية التي أبدعها أمير الشعراء أحمد شوقي ـ رحمه اللّه ـ في أواخر أيامه أو قرابة عام ١٩٣٢م وتناول فيه حياة سيدة في حي «الحنفي» القاهري الشعبي؛ وهي رغم ثرائها شديدة التقتير والبخل ومع ذلك اعتادت أن ترث أزواجها حتى ماتت في عهد آخرهم ففوجئ بها توصي بأموالها الوفيرة لهيئات خيرية وصديقاتها حارمة إياه منها؛ أما «الست مها» نسخة ٢٠٢٠م أو الروائي عصام عبدالحميد فتعاني من بخل لكن من نوع خاص مخالف لـ«الست هدى» التي أبدعها شوقي؛ إذ إن الجديدة بخيلة بمشاعرها على جميع أقرانها من الشباب رغم أنها تمتلك الأصل الكريم إذ إن والدها مهندس استشاري ووالدتها طبيبة أطفال متمكنة؛ وكذلك فهي جميلة موفورة الصحة لكن أقرانها من اختصاصي «العلاج الطبيعي» وغيرهم عرفوها وتناقلوا بينهم اسما خاصا بها أو «الشاويش مها»، في إشارة جازمة إلى حزمها وتعاملها الرسمي مع الجميع؛ ولكن هذا التعامل يتم كسره مع مراد الرجل المسن الذي يذكرنا الروائي مرارا بأنه يكبرها بأكثر من ربع قرن.

تصدم مها بسيارتها المسرعة في نوبة جنون قيادة مسائي بطل الرواية مراد في أحد شوارع أحياء القاهرة الراقية ثم تنقله في سيارة إسعاف تابع للمستشفى الذي تعمل فيه وتبكي بشدة خوفا من وفاته وتأنيب ضميرها وانهيار حياتها؛ ثم ما تلبث أن يتحول حزنها لأمل مفاجئ في استمرار حياة مراد ثم كونه زوج المستقبل المرتقب الذي تجد لديه ما لا تجده لدى الشباب من التعقل والوسامة والشعور بالآخرين مع الحزم واحترام الحياة الاجتماعية، ورغم معارضة والد مها ووالدتها ومراد نفسه وهروبه ومحاولته إيجاد زوجة بعد وفاة زوجته قبل لقائه الأول بمها؛ وبحثه عن زوجة بداية من مواقع التواصل الاجتماعي وترشيحات الأصدقاء ليدخل عدة بيوت من بينها

المطلقة التي تتمنى عودة زوجها الأول إليها والمرأة المقبلة على الكهولة وهي لا تزال متعلقة برجل هاجر وتزوج وترك لها الوطن بأكمله ولكنها لم تفتقد الأمل فيه؛ مرورا بتلك الكهلة المسكينة التي تركت زمامها لأخيها البخيل بأرضها وممتلكاتها على زوج يقودها لمحاسبته واستلاب حقوقها منه؛ وبحكم عمل البطل مديرا بإدارة الإعلام بمحافظة من محافظات العاصمة يتعرف على الصحفية علياء عسل إلا أنه لا ينزلق لعالمها ولا يجد راحة أو سلوى لمعاناته معها؛ وفي النهاية لا يجد مراد إلا الاستجابة لمها بعد خلافه العارم معها مرات وخلافها الذي لا يقل ضراوة وحدة مع والديها؛ وبعد محاولة محمد أشرف صديق مراد العائد من رحلة هجرة طويلة الظفر بها.

في إهداء الرواية يشير الكاتب إلى القارئ مخاطبا إياه مباشرا مخالفا فنيات الرواية المطلوبة والمعروفة والتي التزم الكاتب بها ونسيها في الإهداء الذي هو جزء منها قائلا: عزيزي القارئ.. لا تظن أنك خارج إطار الصورة، ابحث عن نفسك جيدا.. ربما تجدها؛ فإذا كان الإهداء يمثل توجها مباشرا في الشكل معيب في الرواية فإنه في المضمون لا يعبر إلا عن نوع من أنواع الإلغاز أراد الكاتب أن يلقي من خلاله في وجدان وعقل القارئ أنه سيلقى طرفا من حياته في الرواية؛ على أن هذا الإهداء الذي يمثل - للأمانة - أضعف ما في الرواية ربما أراد الروائي منه ما لم يحسن التعبير عنه أو إيجاد معادل موضوعي مناسب له ويستكمل من خلاله رؤية أراد من خلال الرواية بثها وهي أن المجتمع يعاني في صورة متعددة لا ينجو فيها أصدقاء مراد الذين بقوا في بلدهم من الملل الزوجي واكتئاب رتابة الحياة؛ كما لم ينج منه الذي هاجر منهم إذ تنقل بين البلاد والزوجات؛ وأيضا لا يسعد من خلاله والد بزواج ابنته التي جمعت من المزايا ما لا يراه اجتمع لغيرها؛ وكذلك تحيا الوالدة متخوفة من أن تظل الابنة تجمع الشهادات لتدفئ الجدران بها فيما لا تجد شريك الحياة الذي يدفئ حياتها؛ وكذلك لا تسعد المطلقة التي ظنت أنها ستستقر بعد الراحة من زوج رأته متعبا، كما لا تستريح الفتاة التي أضربت عن الزواج انتظارا للأوهام تحت اسم مشروع زوج مهاجر قد يعود، كما لا تجد الراحة المطلقة التي تظن الحرية بالمفهوم الغربي دواء روحها، كما لا يغني المال العانس التي هجرت عالم الزواج فهجرها؛ فيما تبقى مها باحثة عن سعادة من نوع خاص أدبي واجتماعي يمكن أن يندرج تحت المفهوم الفقهي: «شاذ الفتيا الذي لا يقاس عليه» أو الاقتران برجل تجد معه أحلامها إلا أنه سيتركها أرملة بعد سنوات قليلة أي إنها آثرت السلامة بسنوات هناء - ولو قليلة - تجاه حياة عريضة لا تعرف لها كنها أو تتخيل كيفيتها بعد وفاته ويكفي أن له بنات في مثل سنها!

إنها أزمة افتقاد وسطية تخص الكاتب والمجتمع معا، أما أزمة الكاتب فلأن إهداءه الذي خص به القارئ عناه وشمله أيضا فمن طرف خفي حاول المؤلف الابتعاد عن الخوض في عالم السياسة ومعادلها الروائي كما في روايته الأولى؛ فأغرق في الاجتماعيات حتى إن القارئ ليجده معذبا بإلقاء شراعه الروائي الشكلي ومضمونه في بحار محفوظة جاهزة لكتابات راحلين هما رائد الأدب الإنساني عبد الوهاب مطاوع إذ يشرع الكاتب قلمه لتحليل عذابات أصدقائه والنساء اللواتي ذهب للزواج منهن ففشل.

أما أزمة المجتمع فتخص أمراضه المتعددة الناتجة عن الابتعاد عن نواهي الله والاقتراب مما حرم!



بقي أن إمكانات عصام عبدالحميد التي ظهرت في روايته الأولى «عزة.. متلازمة القلب المنكسر» ومشروعه الروائي المنتظر الذي نأمل ونرجو أن يساهم في نهضة الأمة يبدو أكبر مما حوته ضفتيّ «الست مها» مع التسليم بتفوقه في اختيار المفردات في الرواية الأخيرة ومناسبتها للمعاني - ما ابتعد الكاتب خلالها عن استلهام نهايات تجارب كُتّاب آخرين - مع سلاسة السرد بوجه عام ومحاولة قراءة دقائق النفس البشرية؛ وهو ما ينتظر منه إبداعا أكثر في رواية «عبدالحميد» الثالثة بشرط أن يعود بإيجابيات الرواية الثانية سيرة روايته الأولى!



عمرو طه
كاتب وقاص

سراب النجاة

بعينين زرقاوين تجد فيهما جمال الطبيعة.. البحر والسماء، بزرقتهما التي تنقل الإنسان من هموم واقعه إلى الخيال الذي يتشبث به بكل عنفوانه مبتعدا به لأقصى حدوده، تجد فيهما براءة طفل لم يتلوث ضميره وسط الغابة التي ما فتئت تحاول ترويضه.. لكنه يأبى ولا يبالي بها.

تحكي عيناه من خلال صمتهما الأحزان التي مر بها.. كأنها تشتكي من جميع البشر بنظراتها قائلة: ألا يوجد عدل في هذا العالم؟! أين ذهبت الإنسانية التي لطالما يطيلون الحديث عنها عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟!

تينك العينان كانتا لطفل بلغت سنوات عمره السابعة، جسده نحيل، بشرته بيضاء بلون قلبه ولون الثلج الذي يحيطهما في كل ناحية من أنحاء المخيم الذين يقيمون فيه على حدود إحدى الدول في عالمنا الحزين؛ مترقبين دنو فرصة من الفرص كي يركبوا الأمواج لتقذف بهم إلى أحد البلاد البعيدة، ظنا منهم أن الجهة المقابلة لذلك الشاطئ هي بر الأمان.

كانت برودة الشتاء قارصة، يستطيع أن يشعر بها المرء تنخر في عظامه من الداخل، والأمطار نادرا ما تتوقف، كانت الخيام التي تؤويهم مصنوعة من القماش الرديء المهترئ، ومما يزيد في وحشتها أنها ممزوجة بألوان الجور والظلم والقهر والاستبداد والمحسوبية والتربح والمنفعة.. كأنها متراس قديم لم يعد يجدي نفعا.

خرج سالم من الخيمة متجها ناحية أبيه، تسري في جسده رعشة من شدة الأمطار وصقيع الجو، ولا يستطيع فتح عينيه الزرقاوين باستمرار بسبب العواصف المستمرة، بنطاله ممزق، حافي القدمين، يضم يديه الاثنتين إلى صدره وتكاد كتفاه تلامسهما من شدة البرد، وتتلوى بطنه من أثر السعار.

وقف سالم أمام أبيه متسائلا: هل سنقضي هذا اليوم أيضا بدون طعام؟ إنهم يتضورون جوعا داخل الخيمة.

قال مجيبا ابنه: لن نكون مضطرين مرة أخرى للانتظار هنا، سوف نترك هذا المخيم لنتجه لأحد البلاد القريبة عبر قارب سوف يأتي غدا لنقلنا.

عاد أدراجه منكس الرأس شاعرا بخيبة أمل، فقد كان يتوقع وصول إحدى قافلات المساعدات المحملة بالأطعمة والألبسة، فعاد منكسرا لا يعرف ماذا سيقول لهم في الخيمة، ومع نزول الأمطار وارتفاع أصوات الرعد، ولون البرق الذي يكاد يخطف الأبصار، كان يشعر بأن هذه القطرات ما هي إلا دموع الدنيا على



أحوالهم وصوت الرعد صراخها، وضوء البرق هو الدليل إليهم حيث يقيمون.

داخل الخيمة انتحى بنفسه وتمدد في مكان بمعزل عن تساقط مياه الأمطار وسط الخيمة، فهمت هناء أخته التي تكبره بعامين من نظرة عينيه أنه لا يوجد أي طعام أو ملابس، فجلست بجانبه لتواسيه.

تراءى له أبوه بجوار الشاطئ يحمل بعض الأغراض إلى قارب، فاقترب منه سالم ليرى ما يحدث.

قال أبوه: هلم بنا يا سالم، فلتساعدني في حمل المتبقي من أغراضنا لأننا سوف نرحل الآن لنترك هذا الجحيم. وبكل حماس وفرحة شديدة انتهوا من نقل الأغراض لداخل القارب، سأل الأب عن إمكانية ارتداء سترات النجاة؛ لكنه حزن كثيرا لعدم وجودها، ثم بدأوا في صعود القارب، أسرة سالم وبعض الأسر من الخيم المجاورة لهم.

اكتظ القارب بهم وكثيرا ما حاول صاحب القارب أن يثنيهم عن المقاومة في الصعود للقارب لأنه لا يتسع لكل هذه الأعداد وأن عليهم الاستغناء عن عشرين شخصا على الأقل، لكن هيهات أن يستمع له أحدهم ويعود لهذا الجحيم لينتظر مرة أخرى أن يأتي أحدهم بقارب آخر.

أرخى الليل سدوله ولم يروه من قبل أليل، وفي عرض البحر تعالت الأمواج بضجيجها الذي يصم الآذان، السماء تنهمر عليهم بمائها الذي لا ينقطع. أنين سالم والأطفال يتعالى مع كل صوت للرعد الذي يقطع الأنفاس. احتضنهم والد سالم بكل ما أوتي من قوة وهو يسمع سباب صاحب القارب للجميع وأنهم جميعا سبب فيما يحدث الآن. وكانت حركة القارب الثقيلة مع الاعتلاج الصادر من الأمواج بدأوا يلقون كل الأغراض الأخرى في البحر، محاولة منهم للتخفيف عنه وثباته، لكن هيهات هيهات يجدي كل هذا نفعا مع بحر قد اشتد غضبه وتلاطمت أمواجه.

بدأ الناس بالسقوط من القارب ما جعل الأب يدرك حتمية مصيرهم، فكان يبكي وينظر للسماء داعيا الله أن يغيثهم، لا من أجله هو ولكن من أجل هؤلاء الأطفال الأبرياء، فكان يطوقهم بذراعيه مع شهقاته التي تكاد تصل لعنان السماء من الألم، إلى أن بدأ القارب في السقوط والاندفاع إلى قاع البحر.

استيقظ سالم فزعا من نومه بسبب هذا الحلم المزعج، خرج مسرعا من الخيمة ليرى والده يحمل بعض الأغراض إلى القارب، فاقترب منه سالم ليرى ما يحدث.

قال أبوه: هلم بنا يا سالم، فلتساعدني في حمل المتبقي من أغراضنا لأننا سوف نرحل...



إبراهيم راضي
كاتب وقاص

موعد في منتصف الليل

فوجئت به يتسلل من الفراش كتسلل القطا، فسكنت لتعرف ما الخبر، غاب عن الغرفة لدقائق ثم عاد محصيا خطواته، استخدم المنشفة وارتدى أفضل الثياب وخرج.

اعتدلت في فراشها ونظرت في الساعة، فوجدتها قد تخطت منتصف الليل بعشرين دقيقة، فأخذت الشكوك تساورها، فلم يمض على زواجها سوى شهر، دارت الأفكار في عقلها كآلة حديثة التشغيل مسرعة.. وظلت هكذا حتى غالب النوم جفنيها.

حزمت أمرها أن تسأله، ولكنها حين استيقظت في الصباح ووجدته بجوارها تناست كل شيء، وعاشت كأجمل عروس إلى أن جاء الليل بسؤال الأمس؛ فما أن دقت الساعة الثانية عشرة حتى بدأ يجافي الفراش، وبنفس الهدوء تسلل ثم عاد فارتدى ملابسه وتأنق وتعطر وخرج.

حسمت أمرها قامت تتسمع خطواته؛ فوجدته متجها إلى غرفة المكتب، ظنت أنه سيأخذ شيئا من المكتب ويخرج، فوقفت أمام الباب تنتظره، طال انتظارها؛ فأرهفت السمع حتى سمعت دندنة غير مفهومة؛ فتعجبت ثم جلست تنتظر، علا صوت بكاء مكتوم، سرعان ما صار نحيبا، زاد تعجبها؛ ما الذي يحدث بالضبط؟!

اتجهت ناحية الباب، فتحته، فوجدته قائما بين يدي الله يصلي، لم يحرك ساكنا أنهى صلاته في هدوء وسكينة ثم نظر إليها وقال في ود وحنان: «حبيبتي.. آسف إذا كنت أزعجت نومك».

قالت: ماذا تفعل؟ - وفي نفسها تقول ربما كانت هذه حيلة منه عندما شعر بها تتبعه - فأشار بيده إشارة ذات معنى فقالت له: «ولماذا ترتدي ملابسك كأنك ذاهب إلى موعد؟!».

قال: «فعلا أنا على موعد، ولكن مع الله.. ألا ترين أنه يستحق أن أتجمل وأستعد للقائه؟!».

فهزت رأسها تصديقا وقالت بلهجة تحمل عتابا رقيقا: أما سمعت قول حبيبنا المصطفى ﷺ حين قال: «رحم الله رجلا قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء»؟

فابتسم لها قائلا: «إذن موعدنا غدا، سأغرقك في بحر من الماء».



أ. د. عبد المنعم عبد الله حسن
أستاذ أصول اللغة
كلية اللغة العربية

هدية الإسراء والمعراج

عطرت بالإسراء كل فجاج … وأنرت في مسراك كل دياج
أم القرى والقدس بينهما سرى … نور تفجر من أجل سراج
القبلتان تلاقتا وتجمعت … رسل الهدى في وحدة المنهاج
ولك الإمامة يا أجل من ارتقى … في الأفق عبر ضيائه الوهاج
هذى السماء بك احتفت مزدانة … وسناك مؤتلق على الأبراج
والأرض عانقت السماء بليلة … النور فيها ساطع الإبلاج
وبقاب قوسين الصلاة إلى الورى … معراج من هو للهداية راج
فنبينا المختار قرة عينه … فيها، وذو الصلوات دوما ناج
ركن لهذا الدين وهي عموده … وهدية الإسراء والمعراج



محمود حسانين
كاتب وباحث

التأخر اللفظي عند الأطفال

يسجل الطفل أمورًا كثيرة مما تحدث حوله؛ الأحداث، التصرفات، الكلمات، والأصوات التي من خلالها يستطيع الانتباه ومن ثم التقليد، ليكون بدء تطور النطق عند كل طفل بمعدل مختلف، وهناك أصوات بعينها تعتبر نموذجا يمكن للطفل استخدامها. تمت دراسة لفرضيات كثيرة في علم النفس، والطب النفسي لتحديد منبع حدوث المشاكل النفسية، أو الأمراض النفسية المختلفة وأسبابها، ومن أكثر الفرضيات التي واجهت الأسرة بعد النمو الاجتماعي، الفرضية المبنية على تعريف كل احتياج للطفل في كل مرحلة عمرية، فمثلا عندما لا يتفاعل الطفل مع الأصوات، عادة ما ترجع هذه الحالة إلى القدرة على استخدام حركة الشفاه، ويعود أيضا إلى تغيير الخطاب الموجه للطفل، ويصحب ذلك اختلاف في طريقة ولهجة الصوت، فتكون هناك صعوبة عادة لصعوبة المحاكاة لدى الطفل، هناك بعض الأحرف مثل «ب، و، م»، هي سهلة لنطق وعادة ما تكون من بين أول الحروف التي يتم نطقها، وتكون لحظات مميزة لكل من الأب والأم عندما يردد الطفل «بابا» «ماما»، ويمكن للأطفال تحقيق هذه الكلمات في سن صغيرة نسبيا، أما بالنسبة للأحرف التي تلزم وقتا أكثر ليبدأ الطفل بنطقها مثل «س، و، ق» فهذه الأحرف تتطور عموما مع الاستخدام، هناك العديد من الأحرف مثل «أ، د، ح، م، ب»، يتم استخدامها من ما بين عام واثنين على الأرجح.

لغة المخاطبة

مهم جدا اكتشاف معرفة تأخر الكلام عند الأطفال، حيث إن ذلك سيكون مهما للنمو اللغوي والمعرفي أيضا، حيث إن النمو المعرفي لابد أن يكون بلهجة سليمة، حتى يكون لدى الطفل



تمهيد للتفاهم والتهذيب المعرفي لما يتبناه العقل للأطفال، فيصبح الطفل قادرا على المخاطبة الصحيحة، وقد يحكي المواقف ويسرد الأحداث بسهولة، وعند تلك المرحلة، لا تكون عائقا أمامه، بل اتركه يحكي بكل تلقائيته، بدلا من أن تظهر المضايقة أو نفاد الصبر أمامه، بل على الأبوين الاستجابة لنهنهاته، والأصوات غير المفهومة وكأنه ينطق بالصواب، وأن يتصرفا معه بموجب ما يفهمانه، فهذا سيساعد على أنه يدرك أن ما يقوله له مدلول، وبهذا يكون عنده استجابة لاستنطاقه بما يختزنه عقله من أمور وإن كانت تافهة، فهناك من الأخطاء التي قد تواجه الطفل، لاستخدام من حولهم تخفيف الأحرف فتكون كارثة لغوية للطفل مثل «الراء إلى الياء»، إن استبدال اللفظ لغيره في اللغة هو خطأ لا يحل عادة من ذاته، حيث يجب تنبيه الطفل إليه، وقد يكون طفلك في الحقيقة قادرا على نطق الحرف، ولكنه يختار نطق الأحرف الخفيفة، فضلا عن وجود صعوبات مع إخراج بعض الأحرف الحلقية، فالأطفال غالبا ما يستخدمون أنماط «الاختصارات» لجعل الكلمات أسهل بالنسبة لهم، مع استخدام من يدللون الطفل بصيغة تخفيف الأحرف.

أحيانا قد يكون الطفل قادرا على إنتاج مجموعة من الأصوات داخل حدود السن الصغير، ولكن عموما فإنه لايزال من الصعب فهمها. من عمر عامين يبدأ المحيطين بالطفل والمقربين جدا فهم لغة نطق الطفل للكلمات، من العام الرابع يبدأ المقربين في نطاق أوسع فهم بعض الكلمات للطفل لتحسين درجة النطق الصحيحة للكلمات.

تعثر النطق

فيما يتعلق بمشاكل الكلام، وما يطلقون عليه غالبا ربط اللسان، غالبا ما يسبب التأخر إلى اللجوء إلى الجراحة، في دراسة واحدة صغيرة، ساعد الخضوع لعملية صغيرة على تحسين مشاكل النطق لدى الأطفال، ولا توجد أدلة كافية لإثبات وجود صلة بين الأمرين، لكن من المؤكد أن رابط اللسان يؤثر في نطق صوت الراء واللام والسين، فلا يستطيع الطفل نطقهم إلا بعد إزالة الرابط جراحيا.

الطفل في الأعوام الأولى من عمره، يتأثر بشكل قوى بالبيئة المحيطة، من بعد تأثره بالأب والأم، يبدأ التأثر بأصدقائه، سواء من المحيطين أو الجيران والأقارب أو المدرسة، ولابد من جلب القصص المصورة له، فهي أولى درجات ارتقاء السلم المعرفي لدى الطفل، وقد يستفيد منها الطفل بشكل كبير حيث إنها قد تشكل أيقونة الخيال لديه، ولابد من التشجيع على النطق بالتصفيق والتشجيع، والتفاعل معه وهو يشير إلى الأشياء، ولا نكتفي فقط بجلبها أو نهره عنها، حتى يعبر عما يريد بشكل منطوق، ولا مانع من اللجوء لجلسات تخاطب وتقييم نفسي إن لزم الأمر.

يمكن التعامل مع الأطفال على أنهم أصدقاء، بالاهتمام بما يقولون، وما يفعلون، والتفاعل معهم حتى وإن كان من خلال الابتسام، فهذا يكسبهم الحب والاحترام تجاه الآخرين، أظهروا لهم الاهتمام بما ينجزونه بمحبة أسرية، فلقد اهتم الإسلام بالمحبة الأسرية اهتماما كبيرا، ووضع تشريعات وقوانين وأسس، تأكد على ضرورة التكوين السليم للأسرة، وتأسيسها التأسيس القويم، وحمايتها من الأمور والأفعال التي قد تؤثر عليها، وعلى مسارها، فكانت كلمة «اقرأ»، هي أول شعاع لهوية الإنسان، وكانت المحبة والتفاهم والتعامل الجيد والطاعة ما بين الأب وأبنائه، وما بين الأب والأم بأسلوب جيد، وسليم يعتمد على حسن الخلق والطباع الحميدة الفضيلة.

لقد ركز الإسلام على الأمور التي تجعل من الأسرة المسلمة أسرة قوية متماسكة؛ لأنها أساس قوة المجتمع المسلم، فالأسرة القوية والمستقرة والمتماسكة تشكل قاعدة قوية لبناء المجتمع القوي والسليم.

محمد عبدالباقي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية





التربية واجب الوقت

إن القيم والمبادئ والأخلاق المستمدة من الدين، بالإضافة إلى الأعراف الاجتماعية والعادات التي يتم تنشئة الأجيال عليها، والتي تساهم في توجيه الأفراد داخل المجتمع، هي من أوجب الأمور التي ينبغي الالتفات إليها في ظل هذه الهجمة الشرسة على القيم الإسلامية، ومحاولة تمييع وتذويب الشخصية المسلمة، ومحاولة المجاهرة بالفاحشة لتسويغ وقعها وتهوين أثرها في النفوس.

التربية فن وعلم ومسؤولية وخاصة في هذا الزمان، الذي تبني وغيرك يهدم، تبني خلقا وسلوكا، ويهدم ما تبنيه في مشهد أو مقطع فيديو على القنوات الفضائية أو مواقع التواصل، أو غيرهما، فالمسؤولية عظيمة والأمانة ثقيلة والهجمة شرسة، وهذه بعض النماذج التربوية في حياة النبي ﷺ لنستفيد منها في حياتنا.

نماذج من التربية النبوية:

١- الاهتمام بالطفل ولو كان صغيرا وإعطاؤه حقه، وإشعاره بأهميته، ووجوده: فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟

فقال الغلام:

«لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدا»

احترم النبي ﷺ رأيه رغم صغر سنه ووجوده في مجلس الكبار، ولعل من أسباب انحراف بعض الشباب أنهم لا يجدون اهتماما وتقديرا من ذويهم فيبحثون عنه خارج الأسرة، وخاصة الفتيات ربما تجد ذلك من خلال صديق، أو على وسيلة من وسائل التواصل، فيحدث ما لا تحمد عقباه.

٢- التربية بالأسوة والقدوة

من أهم أساليب النبي ﷺ إذا أمر بالشيء عمل به أولا ثم تأسى به الناس، وكان خلقه القرآن فكان على الخلق العظيم فكان أسوة للناس فقال عز من قائل: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ

﴿يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ (الأحزاب:٢١) فهو أسوة لأمته في جميع أحواله وأقواله وأفعاله.

ولا شك أن التعليم بالفعل والعمل أقوى وأوقع في النفس، وأدعى إلى الاقتداء من التعليم بالقول والبيان؛ وأن التعليم بالفعل والعمل هو الأسلوب الفطري للتعليم، فكان ذلك أبرز وأعظم أساليبه ﷺ فمثلا كيف يطلب المعلم المدخن من طلابه أن يقلعوا عن التدخين بحجة خطره على الصحة؟ فلابد أن يرى الطلاب في معلمهم القدوة.

فالتربية ليست كلاما ولا خطبا ولكنها قدوة طيبة أمام المتعلمين ومن أولانا الله مسؤولية تربيتهم، والنبي ﷺ لما تم الصلح بينه وبين كفار قريش في الحديبية أمر أصحابه أن يتحللوا من إحرامهم وينحروا هديهم، فقال لهم: «قوموا فانحروا ثم احلقوا» فتوانوا في ذلك إذ لم يستحسنوا الصلح فرأوا القتال أفضل؛ فدخل رسول الله على زوجته أم سلمة رضي الله عنها وأخبرها بتخلف الناس عن أمره فأشارت على النبي ﷺ أن يحلق رأسه وينحر هديه فإنهم لا محالة يقتدون به ففعل، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما. وذلك لأنهم استصعبوا التحلل من النسك قبل استيفاء المناسك. وهذا يدل على أن البيان بالفعل أقوى من البيان بالقول.

ومن أشهر نماذج وأمثلة التربية بالحوار والمناقشة حديث جبريل في تعليم أركان الإيمان الذي رواه عمر ابن الخطاب وغيره من الصحابة فقد عرض أهم أركان الإيمان على الصحابة على شكل حوار بين الرسول ﷺ وبين جبريل عليهما الصلاة والسلام، ليعلمهم دينهم روى مسلم وغيره من الأئمة عن عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، قال فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

حوار يتمثل في السؤال والجواب بطريقة عملية تربوية، تراعي جوانب التربية والتعليم ومهارات المتعلم.

روى البخاري عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «بينما أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل، فقال: «يا معاذ»، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ»، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ بن جبل»، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حق الله على عباده؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على عباده: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا»، ثم سار ساعة، ثم قال: «يا معاذ بن جبل»، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «حق العباد على الله ألا يعذبهم.

كم من مشكلة بسبب عدم الحوار بين الآباء والأبناء، ومحاولة فرض الرأي دون مناقشة، وهذا من الخطورة بمكان.

٥- التربية بالحث والدفع إلى شغل الوقت بما يفيد، واستثمار القدرات لدى المتعلمين وتوظيفها التوظيف الأمثل ومن نماذج هذا الأسلوب ما رواه البخاري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد بن ثابت قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتابي، قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم»، فاستخدام اللغات الأجنبية في مجال التعليم والدعوة والتبليغ، عند الحاجة إليها مما ثبت من هدي النبي ﷺ وهو أحد أساليب النبي ﷺ في التعليم والتربية، فكم من أوقات ضاعت، وأموال أهدرت، وطاقات لم تستغل، لا سيما في عصر العولمة والإنترنت وسهولة الوصول إلى المعلومة، واكتساب الثقافة، وتطوير الذات.



محمد عبدالحميد محمد
كاتب وباحث تربوي

ثقافة الطفل في عصر المعلومات

الثقافة هي حياة الإنسان، وعماد شخصيته، لا قيمة له من دونها، يكتسبها منذ طفولته، ثم تنمو وتتطور معه شيئا فشيئا، وبها يستطيع أن يتقدم ويحقق لذاته التقدم والرقي.

فالثقافة أسلوب حياة، تظهر من خلال السلوك الإنساني؛ سلبا أو إيجابا. وقد تعددت التعريفات الخاصة بالثقافة إلا أن عالم الأجناس البريطاني السير إدوارد بيرنت تايلور عرف الثقافة بأنها «ذلك المركب والمعقد والشامل للمفاهيم والمعلومات والمعتقدات والفنون والأخلاق والتقاليد والأعراف وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان اكتسابها بصفته عضوا في المجتمع»

وفي ظل الثورة المعلوماتية، وفي ظل التطور الهائل الذي يطالعنا مع إشراقة كل صباح في المجالات المختلفة عامة، والمجال الإعلامي خاصة، وفي ظل التقدم الذي لحق بالكمبيوتر والأقمار الصناعية، وفي ظل ظهور شبكة الإنترنت، كان لابد أن ننظر إلى أطفالنا نظرة تأمل فاحصة.

كيف ستكون ثقافة الطفل في هذا العصر؟ وكيف سيكون شخصيته الثقافية؟ فالإعلام في عصرنا هذا وهو عصر «ثورة المعلومات والمعرفة» يشبه العمود الفقري الذي ترتكز عليه الحياة في المجتمع، ومن مهمات ووظائف الإعلام الرئيسية نشر الثقافة.

ومن هذا المنطلق، كان علينا كآباء وأمهات أن نعد الطفل ثقافيا من بين هذا الخضم الهائل من التقدم المعلوماتي، ونساعده على الانطلاق لآفاق المستقبل الرحبة، من خلال تهيئة المناخ المناسب ودعمه لاكتساب الثقافة التي تؤهله لعبور بوابة المستقبل بكل ثقة.

دور المؤسسات الاجتماعية في ثقافة الطفل

يقع عبء اكتساب الطفل للثقافات المتعددة والمتنوعة على عدد من المؤسسات الاجتماعية داخل المجتمع، مثل الأسرة والمدرسة والأجهزة المعنية بالثقافة ووسائل الإعلام المختلفة.

دور الأسرة في تثقيف الطفل

يأتي دور الأسرة في مقدمة المؤسسات الاجتماعية الأخرى، باعتبار أن الأسرة هي النواة الأولى التي يخرج منها الطفل. ويبرز دور الأسرة هنا من خلال تشجيع الطفل على تنمية الجوانب الثقافية التي يميل إليها، سواء كانت القراءة، الرسم أو الرحلات، وتشجيعه على ممارستها، وعدم حرمانه من التمتع بمثل هذه الأنشطة الثقافية.

وإذا كان هذا الأمر يعتمد بالدرجة الأولى على شخصية كل من الأب والأم، ومدى اهتمامهما بالثقافة وإيمانهما بأهميتها لمستقبل الطفل، إضافة إلى أن التحديات التكنولوجية، والتطور الهائل الذي نواجهه اليوم يجعل لزاما على الآباء والأمهات أن يهتموا بتعليم الأطفال لغات أخرى غير العربية، حتى تزداد خبرتهم بالثقافات المختلفة، ليستطيعوا أن يقارنوا بين ثقافاتهم وثقافة الغرب وأن يكونوا رأيا عنهم.

فاللغة الأجنبية أصبحت الجسر الموصل إلى ثقافات الدول الأخرى وفتح الأبواب المغلقة على الدول الأكثر تقدما، وليس معنى هذا أن تطغى اللغة الأجنبية على اللغة العربية، أو تؤدي إلى فقدان الهوية العربية، خصوصا أن الطفل يتعلم اللغة الأجنبية وهو في سن صغيرة، بل على العكس فاللغة وسيلة لاكتساب العلم والمعرفة والمشاركة في الحوار والتفاعل مع التطور الإعلامي والثقافي الذي سيطر على العالم.

فالغرب تعلم اللغة العربية في العصور الوسطى واستقى منها وبنى حضارته

ولم يفقد هويته.

دور المدرسة في تثقيف الطفل

يأتي دور المدرسة تدعيما لدور الأسرة في مواصلة تشجيع الطفل باستمرار على اكتساب الثقافات المختلفة باعتبار أن المدرسة جزء لا يتجزأ من الأسرة.

وفي ظل الثورة المعرفية التي نعيشها، أصبح لزاما على المدرسة أن تعي أن أسلوب تعليم الطفل عن طريق التلقين أصبح أمرا غير مرغوب فيه لأن هذا المبدأ يتنافى مع عصر المعلومات الذي نعيشه.

وقد أثبتت الدراسات أن ٩٠ في المئة مما يتعلمه الأطفال بأسلوب التلقين يصبح بعد حين في طي النسيان في أذهانهم، ومن هنا فإن من الأهمية بمكان إعادة النظر في أسلوب توصيل المعلومة إلى الطفل، بشكل يجعله يحتفظ بها كمعلومة ثقافية تفيده فيما بعد.

كذلك لابد أن تهتم المدرسة بتعليم الأطفال كل وسائل الاتصال الحديثة حتى يستطيعوا ملاحقة التطورات المذهلة والسريعة، في الوقت الذي أصبح فيه الأمي في أميركا واليابان هو الذي لا يعرف عنها شيئا، ويبرز دور المدرسة في تنمية ثقافة الطفل من خلال الحرص على توفير مكتبة تضم شتى أنواع الكتب والمعارف والعلوم والفنون التي تلائم الأطفال، وتشجيعهم على القراءة وإجراء المسابقات في المعلومات العامة.

إضافة إلى حرص المدرسة على القيام بالرحلات، لزيارة المتاحف والمعارض، وزيارة الأماكن السياحية المختلفة ليكتسب الأطفال ثقافة عن وطنهم وحضارته وآثاره.

دور وسائل الإعلام في تثقيف الطفل

مما لا شك فيه أن لوسائل الإعلام دورا مؤثرا وكبيرا على الطفل، واكتسابه للثقافة، وعلى الرغم من الآثار السلبية لوسائل الإعلام، فإن هذا لا ينفي ما لها من آثار إيجابية على الطفل.

وإذا كانت هذه الوسائل تستطيع أن تزود الفرد العادي بالمعلومات، فإن تأثر الطفل يكون مضاعفا، لأن الطفل أكثر تعلقا بالتلفاز وما يعرض على شاشته، لأنه يجلس أمامه فترة طويلة، ويذكر الدكتور عاطف عدلي العبد في كتابه «الإعلام وثقافة الطفل العربي»[1] أن الطفل لا يجلس سلبيا أمام جهاز التلفاز وإنما يشبه قطعة الإسفنج التي تمتص كل ما تتعرض له. وقد أكدت بعض الدراسات أن المعلومات التي يحصل عليها الفرد في الدراسة ضئيلة إذا قيست بالمعلومات المتنوعة التي يستقيها من وسائل الإعلام.

ومن هنا يبدو أن أثر وسائل الإعلام على الطفل يفوق أثر المدرسة، ويعد التلفاز أكثر الوسائل الإعلامية تأثيرا على الطفل لأنه يجمع بين مزايا عديدة تجذبه، حيث إنه يجمع بين حاستي البصر والسمع، ويجمع بين الصوت والصورة والحركة واللون.

وتستطيع وسائل الإعلام أن تنمي قدرة الطفل على خلق آراء حول موضوعات معينة بشكل جزئي وحسب سنه ولكنها تتغير فيما بعد.

دور وسائل الإعلام في تكوين الصورة الذهنية عند الأطفال

يعرف الدكتور علي عجوة الصورة الذهنية في كتابه «العلاقات العامة والصورة الذهنية»[2] بأنها «الناتج النهائي للانطباعات الذاتية، التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين، أو نظام معين، أو شعب معين، أو جنس معين، أو منشأة، أو مؤسسة، أو منظمة محلية أو دولية أو مهنة أو أي شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان. تتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة. ترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم بغض النظر عن صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب، فهي تمثل بالنسبة إلى أصحابها واقعا صادقا».

ويبدأ الفرد في تكوين الصورة الذهنية منذ أن يكون جنينا ثم طفلا، ثم تبدأ هذه الصور تتكون وتنمو وتتضح شيئا فشيئا في ذهن هذا الطفل إلى أن تتضح معالم هذه الصور عن كل ما يحيط به من العالم الخارجي.

وأكدت إحدى الدراسات أن حوالي ٧٠ في المئة من الصور التي يكونها الفرد مستمدة من وسائل الإعلام الجماهيرية؛ باعتبار أن الفرد، خصوصا الطفل يتعرض بنسبة كبيرة للتلفزيون.

ومن هنا تبدو لنا أهمية الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في تثقيف الطفل، سواء أكان من خلال قدرتها على إكساب المعلومات، أم من خلال قدرتها على خلق آراء الأطفال بشكل جزئي حول بعض الآراء والقضايا والمعلومات، وكذلك دورها في خلق صور ذهنية لدى الطفل، تمكنه من رؤية العالم بشكل أوضح يعتمد على قراءاته ومعارفه ومعتقداته وخبراته.

ولقد أوضحنا أهمية الثقافة في هذا العصر (عصر الثورة المعرفية) وأهميتها بالنسبة إلى طفل المستقبل حتى يستطيع الطفل أن يواجه أيامه بشكل واع وثقة مطلقة.

الهوامش

١- الإعلام وثقافة الطفل العربي، عاطف عدلي العبد، طبعة دار المعارف (سلسلة اقرأ الثقافية)، العدد ٦٠٣، نوفمبر ١٩٩٥م.

٢- العلاقات العامة والصورة الذهنية، علي عجوة، عالم الكتب للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٣م.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٥٣)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

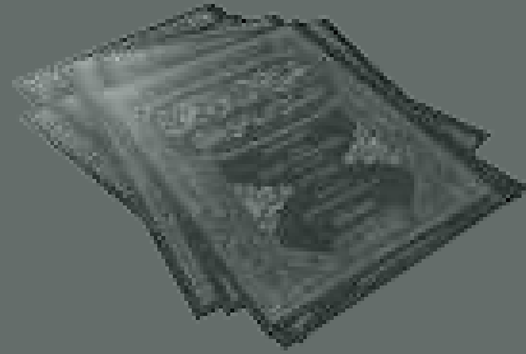
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الشبراملسي)

١- الشبرملسي (ت بعد: ١٠٢١هـ)

هو محمد بن علي بن محمد بن علي الشبراملسي المالكي، باحث في الحساب والأوفاق والحروف والمنطق والعروض.

من كتبه: (بهجة المحادث في أحكام جملة من الحوادث) في الفلك، و(طوالع الإشراق في وضع الأوفاق)، و(النبذة الوفية في وضع الأوفاق العددية)، و(إيضاح المكتتم في حساب الرقم)، و(الدرة البهية في وضع بسائط فضل الدائر بالطرق الهندسية)، و(الإرشاد للعلم بخواص الأعداد)، و(الرجز المفروض في علم العروض)، وأرجوزة في (دخول شهر المحرم من أي يوم من أيام الأسبوع)، و(شرح


إيساغوجي) في المنطق[1].

٢- نور الدين الشبراملسي (ت: ١٠٨٧هـ)

هو نور الدين أبو الضياء علي بن علي الشبراملسي القاهري، فقيه شافعي مصري، وهو من أهل شبراملس بالغربية، بمصر.

ولد سنة: (٩٩٧هـ) وكف بصره في طفولته، تعلم وعلم بالجامع الأزهر.

من مصنفاته: (حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني)، و(حاشية على شرح ابن حجر الهيتمي على الشمائل المحمدية للترمذي)، و(حاشية على نهاية المحتاج للرملي) في فقه الشافعية، و(حاشية على شرح ابن قاسم للورقات للجويني)، و(حاشية على شرح المقدمة الجزرية للقاضي زكريا) توفي بمصر[2].

المتفق والمفترق في اسم (الشرنوبي)

١- علي الشرنوبي (ت بعد: ٩٩١هـ)

هو علي بن علي بن مجاهد الشرنوبي، من فقهاء المالكية، نسبته إلى شرنوب (بمصر).

من مصنفاته: (حاشية على مختصر خليل) فقه مالكي[3].

٢- أحمد الشرنوبي (ت: ٩٩٤هـ)

هو أحمد بن عثمان بن أحمد الشرنوبي المصري، من الصوفية.

ولد سنة: (٩٣١هـ)، ورحل إلى بلاد الروم رحلتين.

أملى على تلميذه رسالة في مناقب بعض الاولياء سميت: (طبقات الشيخ أحمد الشرنوبي)، ومن مصنفاته: (تائية السلوك إلى ملك الملوك) في التصوف، و(فتح المواهب ومنهج الطالب الراغب)، توفي في بلاد الروم في رحلته الثانية[4].

٣- أبو محمد الشرنوبي (ت: ١٣٤٨هـ)

هو أبو محمد عبدالمجيد بن إبراهيم الشرنوبي الأزهري المالكي، عالم مشارك في الفقه والحديث والتصوف واللغة والنحو وغيرها.

ولد في بلدة (شرنوب) والتحق بالأزهر، وعين بدار الكتب الأزهرية.

من مصنفاته: (شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة)، و(المحاسن البهية على متن العشماوية) في فقه المالكية، و(الكواكب الدرية على متن العزية)، و(تقريب المعاني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني)، و(إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك)، و(شرح الأربعين النووية)، و(تحفة العصر الجديد ونخبة النصح المفيد)، و(شرح حكم ابن عطاء الله السكندري)، و(مختصر كتاب الشمائل المحمدية)، توفي عن سن متأخرة[5].

الهوامش

١- هدية العارفين (٢/٢٦٩)، والأعلام للزركلي (٦/٢٩٢)، ومعجم المؤلفين (١١/٥٦).

٢- هدية العارفين (١/٧٦١)، والأعلام للزركلي (٤/٣١٤)، ومعجم المؤلفين (٧/١٥٣).

٣- هدية العارفين (١/٦)، والأعلام للزركلي (٤/٣١٤)، ومعجم المؤلفين (٥/٣٠٦).

٤- هدية العارفين (١/٦٠٤)، والأعلام للزركلي (١/١٦٧)، ومعجم المؤلفين (٥/٢٦٤).

٥- الأعلام للزركلي (٤/١٤٩)، ومعجم المؤلفين (٦/١٦٧).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

دائرة المعارف الإسلامية



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «دائرة المعارف الإسلامية» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف

وهي أوسع إنتاج موسوعي استشراقي ألف من قبل مجموعة كبيرة من المستشرقين من جنسيات أوربية مختلفة، تعنى بكل ما يتصل بالحضارة الإسلامية، سواء من الناحية الدينية أو الثقافية أو العلمية أو الأدبية أو السياسية أو الجغرافية على امتداد العصور، بما في ذلك العصر السابق للإسلام.

من تأليف: م.ت.هوتسما - ت.و.أرنولد - ر.باسيت - ر.هارتمان، وكان المشرف على معظم موادها هو المستشرق (فنسنك)، تصدر من قبل شركة بريل الهولندية. وهي مؤلفة بالكامل من قبل باحثين أوروبيين وهي لا تعبر إلا عن النظرة والمفهوم الأوروبي للحضارة الإسلامية. صدرت أول طبعة منها ما بين: (١٩١٣م-١٩٣٨م)، بنسخ إنجليزية وفرنسية وألمانية، وعمل عليها عدد من كبار المستشرقين الأوروبيين في ذلك العهد. وصدرت نسخة مختصرة للموسوعة ترجمت للعربية والتركية والأوردية سنة: (١٩٥٤م)، وأعيد طبعها بالشارقة عام: (١٩٩٨م).

والنسخة التي بين أيدينا قد عمل على ترجمتها كل من: أحمد الشنتاوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبدالحميد يونس.

المحتوى العام

لقد جاءت هذه الموسوعة شاملة لكل ما يتصل بالحضارة الإسلامية، سواء من الناحية الدينية أو الثقافية أو العلمية أو الأدبية أو السياسية أو الجغرافية على امتداد العصور، بما في ذلك العصر السابق للإسلام، إلا أنها كتبت بأيدي غير أهل الإسلام، لذلك لا ينصح بأخذ دائرة المعارف الإسلامية كمرجع ديني لأي مسلم، وإنما فقط لطلاب العلم الذين يدرسون عن الاستشراق والمستشرقين.

مواضيع هذه الموسوعة مثل باقي الموسوعات مرتبة ألفبائيا، وقد جاء في أول صفحة لها من النسخة العربية التي بين أيدينا:

حرف الألف: (ا): أول حرف من حروف الهجاء العربي، وتعادل قيمته في حساب الجمل واحدا...

ا-آب: هذين حرفين جعل الهمزة بين بين، إسقاط الألف (الحذف)...

نسخة «الوعي»

تحتوي مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على جزء من هذه الموسوعة، يتكون من: (١٦) مجلدا، وهي في متناول قرائها الكرام والمهتمين بمعرفة ما كتبه المستشرقون عن الإسلام.

المصادر

دائرة المعارف الإسلامية.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

هشام الصباغ
باحث لغوي



الوزير الشاعر
أحمد حسن الباقوري

■ سمح يؤثر في فتاواه وتعليقاته الحسنى واللطف والتيسير.. وهو اجتماعي بلا تبذل، مهيب بلا غطرسة.. في أي وسط يحل به يشيع موجات من الحب والانفتاح والود والحوار.

■ أسلوبه الدعوي متميز؛ اجتهادا ورواية ودراية وفهما وزعامة ودأبا وإبداعا.. وطبيعة أدائه؛ خطيبا ومحاضرا ومحاورا ومديرا ووزيرا، كانت تستدعي تلقائيا الإعجاب بتفوقه، والانبهار بمستواه، فاستحق أن يكون من أنبه من أنجبهم الأزهر الشريف.

■ علم يشار إليه بالبنان، ذو قامة مرفوعة، وهامة عالية، وهمة متجددة، وذهن متيقظ، ونكتة حاضرة، وبديهة سريعة، وفؤاد ذكي، وحديث حلو، ولسان عفيف، وصوت خفيض.. رسالته الدعوية أداها بسلاسة وحب وتفان، فامتلك مساحة واسعة، من دون أن يدري حدودها، في سجل التاريخ العقلي لمصر.

■ فكره وعلمه تميزا بطبيعتهما الاستيعابية، التي بدورها صاغت ونسجت علاقاته مع الآخر المختلف.. ورغم أن من كان مثله يبتعث لاستكمال دراسته في الخارج، غير أنه أصبح رمزا ودليلا على إمكانية تفوق المدرسة الوطنية.. إنه الشيخ الأديب الشاعر الوزير العلم أحمد حسن الباقوري.

التنشئة والتعليم

■ في صعيد مصر، وفي قرية صغيرة جدا (لدرجة أن وصفها الدكتور طه حسين وهو يخاطب الشيخ الباقوري في حفل انتخابه عضوا في مجمع اللغة العربية بـ «أنها عُرفت به») تسمى «باقور»، تتبع مركز أبو تيج بمحافظة أسيوط، ولد الشيخ أحمد حسن الباقوري في ١٣ ربيع الآخر ١٣٢٥هـ الموافق ٢٦ مايو ١٩٠٧م.. وكعادة الناس في ذاك الزمان، التحق الباقوري بكتاب قريته ليتعلم مبادئ القراءة والحساب والقرآن الكريم.. وبعد إتمامه حفظ القرآن الكريم في كتاب القرية، التحق الباقوري في عام ١٩٢٢م بمعهد أسيوط الديني.

■ باكرا، وفي معهد أسيوط الديني، ظهر تفوق الشيخ ونباهته ونبوغه؛ طالبا وخطيبا وشاعرا، حتى إنه ليروى عنه أنه حفظ المعلقات العشر كلها وشروحها في مراحل عمره الأولى.

■ في عام ١٩٢٨م، حصل على شهادة الثانوية الأزهرية من المعهد، وبعدها (عام ١٩٢٩م) انتقل إلى القاهرة ليلتحق لأربع سنوات بالأزهر الشريف بالقسم العالي ويحصل على الشهادة العالمية القديمة (أي من النظام القديم) عام ١٩٣٢م.

■ ما إن حصل الشيخ أحمد حسن الباقوري على الشهادة العالية حتى انتظم في الدراسات الأعلى، واختار أن يتم رسالته للعالمية الكبرى أو العالمية من درجة أستاذ في البلاغة والأدب، والتي نالها عن رسالته: «أثر القرآن في اللغة العربية» سنة ١٩٣٦م.

حياته العملية

■ عقب حصوله على «عالمية الأزهر» عين الشيخ الباقوري مدرسا للغة العربية وعلوم البلاغة في معهد القاهرة الأزهري (تلك البداية كانت تعتبر وقتذاك مرموقة وواعدة)، ثم نقل مباشرة مدرسا بكلية اللغة العربية، وبعدها نقل وكيلا لمعهد أسيوط العلمي الديني، ولم يلبث أن نقل وكيلا لمعهد القاهرة الديني الأزهري عام ١٩٤٧م، وفي سنة ١٩٥٠م عين شيخا للمعهد الديني بالمنيا، وهو المنصب الذي أتى منه إلى ترؤس وزارة الأوقاف المصرية، ثم وزارة أوقاف الجمهورية العربية المتحدة حتى عام ١٩٥٩م.

■ في عام ١٩٦٤م، أصبح مديرا لجامعة الأزهر، كما عين مستشارا برئاسة الجمهورية.. وكان، رحمة الله عليه، عضوا في: مجمع اللغة العربية، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، والمجلس الأعلى للأزهر، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وجامعة الشعوب العربية والإسلامية، والمجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا، والمجلس القومي

للتعليم (شعبة التعليم الجامعي)، ولجنة التنسيق بين الجامعات وأكاديمية البحث العلمي.

■ كما كان مديرا ورئيسا لمعهد الدراسات الإسلامية، الذي أسسه رحمه الله، حتى غدا يعرف بـ«معهد الباقوري»، والذي كان يعطي درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، كما كان مستشارا لليونسكو (الشعبة القومية بالقاهرة).

جوائز ومؤتمرات

■ نال الشيخ الباقوري، رحمة الله عليه، جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٨٥م.. وشارك، رحمه الله، في مؤتمرات عدة؛ محلية وإقليمية ودولية، منها: مؤتمر فلسفة العصر الوسيط في بون (ألمانيا الغربية)، مؤتمر التعليم الإسلامي (مكة المكرمة ١٩٧٨م)، مؤتمر السنة والسيرة (قطر ١٩٨٠م)، مؤتمر الطب الإسلامي (الكويت ١٩٨١م)، مؤتمر الإسلام (فرنسا ١٩٨٢م).

مؤلفاته

■ حملت مؤلفات الباقوري روح الداعية وأسلوب الأديب، نذكر منها: «دراسات في الفلسفة الإسلامية»، «علم الكلام وبعض مشكلاته»، «الإسلام في أفريقيا»، «إخوان الصفا ودورهم في التفكير الإسلامي»، «الإسلام والفكر الوجودي المعاصر»، «مع كتاب الله»، «مع الصائمين»، «مع القرآن»، «خواطر وأحاديث»، «قطوف من أدب النبوة»، «من أدب القرآن: تفسير سورة تبارك»، «عروبة ودين».

■ لكن كتابه الصغير الحجم، الكثير النفع «أثر القرآن الكريم في اللغة العربية»، هو أميز مؤلفاته، إذ يدل على عقلية الباقوري البحثية، وهو كتاب يشهد بغزارة علمه وجزالة أسلوبه وقوة حجته، حتى إن الأديب المعروف الدكتور طه حسين كتب مقدمة للكتاب، أثنى فيها على الباقوري وعلمه.

الباقوري شاعرا

■ عرف الشيخ الباقوري بالخطابة والشعر أكثر مما عرف بالفقه والبحث العلمي، إذ كان إلى الأدباء أقرب منه إلى العلماء، وكان له شعر رائع، يفيض بمشاعر الحب والحماسة للإسلام ويثيرها، منه قوله في قصيدة «أيه يا دهر»؛ متشوقا لعودة مجد الإسلام في عصوره الزاهية بفضل التربية النبوية التي صرنا في عصر أحوج ما نكون إلى استيعابها واستعادتها:

أيه يا دهر تأن
وارو للمستضعفين
في خشوع كيف كنا
تاج رأس العالمين
صف لنا كيف استطعنا
أن نسوس الأرض حينا

الباقوري والإذاعة

■ تحمل الباقوري، رحمة الله عليه، أمانة الحفاظ على وعي الأمة وإيقاظه، في فترة زمنية فارقة، كان العمل فيها يجرى على قدم وساق على إعادة تشكيل وعي الأمة بطريقة قسرية، فاستطاع الباقوري، في هدوء آسر للعقول، وقدرة على التمكن من الأسماع، أداء دور صمام الأمان بسلاسة رهيبة من خلال قدرة فائقة على الحديث الطويل المفصل والتلقائي متناولا قضايا الأمة.. فبلغ أقصى درجات الارتباط والترابط مع الناس ونجح في جذبهم إليه وقيادة سفينة الهوية الدينية في دوامات التغريب وأمواج الانحرافات الفكرية والوصول بها إلى شواطئ الأمان، مستغلا ذكاءه في الفهم، وذكاءه في الاستيعاب، وذكاءه في الخطاب، وذكاءه في الاستشهاد على نحو متفرد ومنفرد على مدى طويل ومتصل من خلال موجات الإذاعة التي كان يخاطب عبرها المواطنين.

مساهمته مع «الوعي»

■للأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري تسع مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «حديث عن رمضان، ع:٦٩» - «على هامش الهجرة، ع:٧٣» - «مولد الكرامة الإنسانية، ع:٧٦» - «مشكلة تخلق في الشباب المشكلات، ع:٧٧» - «في ذكرى الإسراء والمعراج، ع:٧٩» - «ذو القرنين، ع:٨١» - «القرآن والكعبة والخلافة، ع:٨٣» - «خاتم النبيين والمرسلين، ع:٨٧» - «فن التجويد هو موسيقى القرآن، ع:١٠٥».

وفاته

■ توفي الشيخ أحمد حسن الباقوري، رحمة الله عليه، أثناء علاجه في لندن في ٢٧ أغسطس ١٩٨٥م، بعد حياة حافلة ممتلئة بالعطاء والبذل والدعوة، غفر الله له ورحمه، وجزاه خيرا عما قدم لدينه وأمته.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- موقع الجزيرة «الدكتوران القرضاوي والجوادي».
٣- الموسوعة الحرة «ويكيبيديا».

إعداد / تركي محمد النصر ❖

شرف رتبة القضاء

قال العلامة أبو القاسم الرحبي، المعروف بابن السمناني رحمه الله تعالى: (والقضاء رتبة شريفة، ومنزلة رفيعة لا منزلة فوقها من المنازل، ولا رتبة أوفى منها إذا اجتمعت شرائطها وحصل في القاضي ما يفتقر إليه من الخصال؛ لأنها التي تولاها الله تعالى بنفسه، وبعث بها رسله عليهم السلام، وتولاها رسوله ﷺ، وقام بها أئمة العدل بعده، فينبغي لمن يملك الولاية أن يختار لهذه الرتبة من لا يقدر العالم على أصلح منه ولا أفضل ولا أكمل، كما اختار الله تعالى لرسالته صفوة كل عالم ورئيس كل جيل وأفضل أهل كل زمان).

انظر: روضة القضاة وطريق النجاة، (٥١/١).

وصية بليغة

أوصى عبدالملك بن مروان حين حضرته الوفاة فقال لبنيه: (أوصيكم بتقوى الله، فإنها عصمة باقية وجنة واقية. والتقوى خير زاد، وأفضل في المعاد، وأحصن كهف، وأزين حلية. ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور. فإنكم إذا فعلتم ذلك كنتم للعز خلقاء، وهابتكم الأعداء. إياكم والتباغي والتحاسد فإن بهما هلك الملوك الماضون، وذوو العز المتكبرون).

انظر: التعازي والمراثي، للمبرد، (ص/١٤٦).

عصاة بني آدم

قال مجاهد رحمه الله تعالى: (إذا أجدبت الأرض، قالت البهائم: هذا من أجل عصاة بني آدم، لعن الله عصاة بني آدم).

انظر: سراج الملوك للطرطوشي المالكي، (٤٧٣/١).

حقيقة لا مفر منها

قال العلامة أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمه الله تعالى: (إن الدنيا منزلة وليست بدار قرار، والإنسان مسافر، فأول منازله بطن أمه، وآخر منازله لحد قبره، وإنما وطنه وقراره ومكثه واستقراره بعدها).

انظر: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، (ص/٣٠).

أربعة وأربعة

ينال بالرفق ما لا ينال بالتعنيف

قال العلامة أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي، المتوفى سنة (٥٩٠هـ): (الإفراط في الزجر ربما أغرى بالمعصية، والتعنيف بالموعظة تمجه الأسماع... لأن الرجل قد ينال بالرفق ما لا ينال بالتعنيف).

انظر: نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، (ص/٩).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

هكذا تضيع الأمور

قال العلامة محمد بن منصور بن حبيش، المتوفى سنة (٦٧٣هـ): (قال أعرابي: إذا كان الرأي عند من لا يقبله، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه؛ ضاعت الأمور).

انظر: الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، (ص/١٢٩).

الوفاء

قال ابن المرزبان المتوفى سنة (٣٠٩هـ): كان للأعمش كلب يتبعه في الطريق إذا مشى حتى يرجع، فقيل له في ذلك؟ فقال: (رأيت صبيانا يضربونه ففرقت بينهم وبينه، فعرف ذلك لي فشكره، فإذا رآني يبصبص لي ويتبعني).

قال ابن المرزبان: ولو عاش الأعمش إلى عصرنا ووقتنا هذا حتى يرى أهل زماننا هذا؛ لازداد في كلبه رغبة وله محبة.

انظر: فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، باختصار، (ص/٣٨).

هذه غدوتي

قال العلامة ابن القيم رحمه اللّٰه تعالى: (حضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر اللّٰه تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء؛ سقطت قوتي).

انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، (ص/٤٢).

بهذا تزول الممالك

سأل علي بن الجراح بعض أولاد بني أمية: ما سبب زوال دولتكم؟ قال: خصال أربع، أولها: أن وزراءنا كتموا عنا ما كان يجب إظهاره لنا. والثاني: أن جباة خراجنا ظلموا الناس فانجلوا عن أوطانهم؛ فخربت بيوت أموالنا. والثالثة: انقطعت الأرزاق عن الجند فتركوا طاعتنا. والرابعة: يئسوا من إنصافنا فاستراحوا إلى غيرنا؛ فبذلك زالت دولتنا.

انظر: النصيحة للراعي والرعية للتبريزي، (ص/١٠٤).

الانتقام يضيع الأيام

قال العلامة ابن تيمية رحمه اللّٰه تعالى: (إذا اشتغلت نفس (الإنسان) بالانتقام وطلب المقابلة؛ ضاع عليه زمانه، وتفرق عليه قلبه، وفاته من مصالحه ما لا يمكن استدراكه، ولعل هذا يكون أعظم عليه من المصيبة التي نالته من جهتهم، فإذا عفى وصفح؛ فرغ قلبه وجسمه لمصالحه التي هي أهم عنده من الانتقام... (و) إذا عفى عن خصمه، استشعرت نفس خصمه أنه فوقه، وأنه قد ربح عليه، فلا يزال يرى نفسه دونه وكفى بهذا فضلا وشرفا للعفو).

انظر: قاعدة في الصبر، (ص/٩٨).

إعداد: التحرير

الإعلام المستحيل

مع انتشار وسائل الإعـلام المتعددة وتنوعها، وظهور أثر تلك الوسائل على شرائح مختلفة من الجمهور من ناحية التأثير والاستجابة، دفع ذلك بعض الطامحين المستبشرين في هذه الوسائل كي تلعب الـدور التنويري محدثة مجمل التأثيرات الإيجابية وتجنب التأثيرات السلبية بالكلية.

فبالرغم من أن معتقدات واتجاهات الجمهور تعتبر بمثابة عوامل وسيطة تتوسط الطريق الذي تستقبل الرسالة من خلاله، مما يدفعنا إلـى إعـادة تفكير في مدى تأثير وسائل الإعـلام على الجمهور.

وقد نصل إلى إلغاء الاعتقاد السابق بالتأثير المباشر لوسائل الإعلام (نظرية الحقنة تحت الجلد).

فكما أن التمتع بالعسل يجعلك تتحمل لسعات النحل، ولكي تستنشق عبير الـورد تصبر على وخزات شوك عوده؛ فكذلك وسائل الإعلام؛ كي تستفيد بالتأثيرات الإيجابية لوسائل الإعلام من معلومات ومعارف وغيرها من أفكار مستحدثة تساعد على تحقيق التنمية المستدامة، عليك توقع أن ينالك بعض التأثيرات السلبية لهذه الوسائل.

فمن الصعب تجنيب الجماهير التأثيرات السلبية بالكلية إلا إذا منعت الجماهير من متابعة وسائل الإعلام وهذا أمر في غاية الصعوبة في عصر يشهد سيولة في وسائل الإعلام وامتلاكها والقـدرة على متابعتها والتعرض لها بشكل أو بآخر، ووقتها نتحدث عن التأثير غير المباشر غير المقصود.

إن تضمن التأثيرات الإيجابية فقط للمشاهد من وسائل الإعلام، هذا ما أسميه الإعـلام المستحيل، فكما أن ليس هناك إعلام محايد، فلا إعلام يحقق تأثيرات إيجابية فقط؛ فكل مستخدم لوسائل الإعـلام يناله نصيبه من التأثيرات السلبية، كلٌّ على حسب ثقافته ودرايته بتلك التأثيرات ومحاولاته لتجنب حدوث ذلك ونسبة نجاحه أو إخفاقه.

فبات أمر تجنب التأثيرات السلبية لوسائل الإعلام من الأمور النسبية؛ التي تتفاوت من فرد لآخر، ومن وسيلة لأخرى.

فالإعلام المستحيل هو الإعلام الذي يسعى فيه المخطط الإعلامي أو المشاهد على تجنب حدوث التأثيرات السلبية لوسائل الإعلام؛ فإن أمكن إعداد رسالة إعلامية قـادرة على إحداث تغييرات إيجابية على الجمهور المتلقي والتحكم فيها، فمن الصعب تجنب التأثيرات السلبية للوسيلة ذاتها.

فأصبح من الضروري على الجمهور المتابع لوسائل الإعلام أن يتعرف على طرق الوقاية من التأثيرات السلبية لتلك الوسائل، مع الاطمئنان لفرضية عدم القدرة المطلقة على تجنب التأثيرات السلبية لتلك الوسائل.

د. محمد محمود العطار

حق الأبناء بعد الطلاق

شرع الحكيم الخبير الطلاق، كحل أخير لعلاج الخلافات الأسرية بين الزوجين، وإن كان الإسلام يبغض الطلاق إلا في حالات تستوجبه، فهو أبغض الحلال لما له من آثار سلبية على الزوجين والأطفال، وتخفيفا لهذه الآثار أمر المشرع الحكيم بعدم نسيان الفضل الذي كان بين الزوجين، قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٧).

فمنعا لتشرد الأبناء بعد الطلاق وخاصة الأطفال منهم يجب أن تدوم الرحمة والمعاملة الحسنة بين الزوجين وفقا لضوابط الشرع بالنفقة على الأبناء، والسماح لهم بزيارة أمهم وسائر أقاربها.

ويجب حماية حقوق الأبناء بعد الطلاق من رعاية وعناية، وعـدم إهـمـال على كل صعيد وقبيل؛ لأن رعـايـة الأطفال في الصغر بالغة الخطورة، فالطفل بعد انفصال أبويه في حاجة لإشباع حاجاته النفسية، وفي حاجة للتربية والتثقيف والتعليم، وكل هذا لن يتحقق حق التحقق إلا إذا راعى الأبوان الأبناء بعد الطلاق حق الرعاية.

محمد عباس محمد عرابي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







ضوابط الثقافة الإسلامية لمواقع التواصل الإلكترونية

إن التواصل الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت هو عملية التفاعل اللازمة لتبادل الخبرات والأفكار والمعلومات والاتجاهات عبر الشبكة من خلال المواقع والتطبيقات العملية مثل مواقع فيسبوك وتويتر ويوتيوب والبريد الإلكتروني والتصفح عبر الشبكة والقوائم البريدية والمحادثة.

وقد وضع الإسلام في ذلك قاعدة عامة تحكم العلاقات بين الناس في هذا الصدد تتمثل في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فأي تصرف يصدر من الإنسان لابد أن يراعي فيه عدم الضرر بالآخرين، فإذا تسبب في ضرر ما بأي شكل من الأشكال، فلابد من الوقوف في وجهه ومنع حدوثه مراعاة حقوق الآخرين ومن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يؤكد ذلك كالتالي:

- وقوله عزوجل: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ (الحديد:٤).
- ويقول الله عزوجل: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ (العصر:١-٣)
- وكذلك قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء:١).
- وكذلك قوله جل جلاله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ (المؤمنون:٣)

وعن أبي عمرو سفيان بن عبدالله رضي الله عنه، قال: «قلت: يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: قل: آمنت بالله ثم استقم»، رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، رواه البخاري.

ومن ضوابط التعامل مع مواقع التواصل الإلكترونية:

١- تحري الصدق والموثوقية والأمانة في طلب البيانات والمعلومات وتداولها، مراعاة أن أخلاقيات عملية التواصل الاجتماعي عبر شبكة الإنترنت تستمد مبادئها وقواعدها وضوابطها من التشريع الإلهي، وعادات المجتمع وتقاليده وأعرافه خاصة تلك التي لا تتعارض مع التشريعات الإلهية.

٢- الالتزام بالقيم الاجتماعية والأخلاقية والثقافية بما يجعلهم يحرصون على انتمائهم وأصالتهم، وبالتالي نضمن تحصين طلاب التعليم الثانوي بالمملكة من السلوكيات المستوردة والغريبة وحمايتهم من الغزو الثقافي المخالف لثقافتنا الإسلامية.

٣- التحلي بالفضيلة ونشر القيم الدينية وتنمية هذه القيم في نفوس الشباب وبين أفراد المجتمع، ليبقى المجتمع الإسلامي مجتمعا متماسكا وقويا وقادرا على مواجهة الأخطار والقيم الوافدة، حتى يتم الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية والعربية.

د. الحسين حامد حسين قريشي



مسك الختام

ربانية المفتي

إذا كان للإفتاء ثلاثة أركان، المفتي والمستفتي والفتوى، فلا ينبغي أن نتغافل عن البعد الرابع وهو الحس الدعوي في الفتوى، فالله تعالى يقول: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(آل عمران:٧٩)؛ فربط الله عزوجل بين العلم -على قراءة ابن كثير ونافع- والتدريس وبين أن يكونوا بذلك ربانيين؛ بمعنى أن العلم وحده لا يكفي فلابد وأن يكونوا حكماء بين الناس؛ يقول ابن سعدي رحمه الله في تفسير قوله عزوجل (ربانيين): «أي علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم».

فمن السهل جدا على العالم أن ينقل اختياراته الفقهية للمستفتي بينما من الصعب أحياناً أن يتفهم المفتي مراد السائل الخفي من سؤاله والذي قد يغير فحوى فتواه.

فمن القصص الشهيرة في هذا الباب أن ثمة رجلاً كان يحب امرأة حباً شديداً؛ فرفضت الزواج منه ورضيت بآخر، فقام فقتلها، فأدركه الندم وجاء لابن عباس رضي الله عنهما يسأله هل له من توبة، فقال ابن عباس: هل لك أم؟ فقال: لا. قال: تب إلى الله عزوجل وتقرب إليه، فذهب الرجل.

فسأل أحد الحضور ابن عباس لم سأل عن الأم؟ فقال: لا أعلم شيئاً يكفر السيئات مثل بر الأم[(١)].

فهنا ابن عباس رضي الله عنهما انتبه بأن هذا الرجل ارتكب جريمة اجتماعية فوجهه بموجب الشرع للتوبة ولسد ثغرة اجتماعية أخرى.

بينما في حادثة أخرى جاءه سائل يسأله (نفس السؤال السابق): هل للقاتل توبة؟ وكان يبدو عليه الغضب الشديد مما يدل على أن الرجل يبحث عن ثغرة شرعية لارتكاب جريمة قتل. لذلك أغلق ابن عباس الباب وقال: لا ليس له توبة[(٢)]، ولم يقل نعم إن كان له أم يبرها كالذي سبق ذكره.

وهنا يتجلى ذلك البعد الدعوي الإصلاحي في الفتوى في فهم حال المستفتي، فيفتي بالحرمة سدا للذريعة، مع أنه كان يبرئ ذمة ابن عباس رضي الله عنهما أن ينقل الحكم الشرعي فحسب ولا يدخل في تلك التفاصيل التي أملاها عليه حسه الدعوي.

لذلك كم تزعجني تلك الفتاوى التي أسمعها بين الفينة والأخرى من بعض المفتين والذين لا يتمتعون بهذا الحس، حيث يكتفون بنقل اختيارهم الفقهي فحسب، غير آبهين بعواقب إهمالهم لحاجة المستفتي من نصح يقوم به طريقه، أو استدراك يضبط فهمه للفتوى، أو توجيه يرشده للأفضل، أو حتى امتناعا عن الإفتاء إلى أن يتبين له حال السائل.

فكم هو جميل من ذلك المفتي الفطن الحصيف الذي يجمع في جوابه بين العلم الشرعي والإصلاح السلوكي.

هوامش

١- صحيح الأدب المفرد (بتصرف)

٢- رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (بتصرف)

تركي عيسى المطيري
مدير إدارة الإفتاء

موقع الوعي الإسلامي

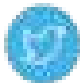
www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي

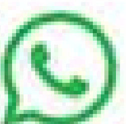

موقع مجلة الوعي الإسلامي



هيئة حكومية مستقلة
INDEPENDENT GOVT. AUTHORITY
دولة الكويت

بيت الزكاة

ديرة خير



خدمة المتبرعين
94443366

العدد ٦٧١ - السنة ٥٨ - رجب ١٤٤٢ هـ - مارس ٢٠٢١م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية جامعة

العدد (٦٧٢) شعبان ١٤٤٢ هـ - إبريل ٢٠٢١م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

الاعتدالُ منهجٌ إسلاميٌّ

- وزيرُ الأوقاف يَفتتِحُ مبنَى الوزارةِ الجديد
- الثّوابُ والعقابُ في الفِكرِ التّربويّ
- مُشكلاتُ المُراهقةِ والتّعامُلُ معهَا





فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

أثر الإيمان في توازن الإنسان

إن من أبرز آثار الإيمان بالله العظيم تحقيق التوازن النفسي للمسلم، فكلما زاد الإيمان زادت الطمأنينة الحاصلة له، وزاد انتفاعه بهذا الإيمان؛ فتتحقق الهداية للإنسان التي تحميه من منغصات الحياة المتعددة، حيث يثبت رب العزة هذا الأمر من خلال قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:٨٢). كما يورث الإيمان للمسلم الحياة الطيبة الهانئة وذلك نتيجة حتمية للمؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأولئك يحييهم الله الحياة الطيبة ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، كما أوضح ذلك بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

قال العلامة ابن عاشور: «والطيب: ما يطيب ويحسن. وضد الطيب: الخبيث والسيئ، وهذا وعد بخيرات الدنيا، وأعظمها الرضا بما قسم لهم وحسن أملهم بالعاقبة والصحة والعافية وعزة الإسلام في نفوسهم، وهذا مقام دقيق تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطي الله فيه عباده المؤمنين على مراتب هممهم وآمالهم، ومن راقب نفسه رأى شواهد هذا» (التحرير والتنوير: ٢٢٠/١٣).

إن الإيمان بالله العظيم يزكي النفس ويطهرها من مخلفات الشرك وأدرانه ومتعلقاته، تلك الأشياء التي تمرض الروح وتوهن النفس، وتجعلها عرضة لكل أنواع الاضطرابات النفسية، ذلك أن إصلاح اعتقاد النفس البشرية بجعلها معبدة لله وحده.

إن من أهم آثار الإيمان بالله تعالى أنه يورث النفس الهداية للخير والسداد في الرأي عند حلول المصائب؛ فتخرج النفس من مصيبتها هادئة بعد تعاطيها الإيجابي مع المصيبة؛ فتزيد الإنسان خيرا على خير، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن:١١).

قال العلامة ابن كثير: «ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، ويقينا صادقا» (تفسير القرآن العظيم: ١٣٧/٨). وهذا مصداق قوله ﷺ: «عجبا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن» (رواه البخاري).

فالإيمان بالله تعالى يدخل الإنسان المؤمن في حمى الله تعالى، ومن كان تحت رعاية الله وحفظه ما كان ليضيع، وهذا الشعور يورث الإنسان السكينة والأنس، ويشعره بالأمن والطمأنينة وراحة البال وطيب العيش من جميع العوادي الحسية، بل والمعنوية والروحية أيضا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ (الحج:٣٨).

وأخيرا: فإن المتتبع لوعد الله سبحانه لعباده يدرك يقينا بأن الله يحفظ أمنهم النفسي والفكري والمجتمعي، وفي ذلك يقول العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى: «هذا إخبار ووعد وبشارة من الله، للذين آمنوا، أن الله يدافع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم كل شر -بسبب إيمانهم- من شر الكفار، وشر وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم» (تيسير الكريم الرحمن، ص:٥٣٩).

وهذا لا يدفع الإنسان إلى التكاسل والخمول، بل يدفعه إلى المجاهدة الدائبة للاستقامة والإصلاح، كما يبقى قلب العبد معلقا بخالقه، يدعوه ويرجوه ويستعينه، ويسأله الثبات على الحق كما يسأله الرشد والسداد. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٧٢/ شعبان ١٤٤٢ هـ
العام الثامن والخمسون
ابريل ٢٠٢١م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



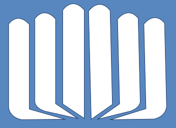
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

توازن سلوك

«لا إفراط ولا تفريط».. ما أجملها من عبارة إرشادية إن استوعبها المسلم تحقق التوازن في حياته على المستويات كافة. فالدين الإسلامي دين الوسطية السمحة، ينبذ التطرف في هذه الناحية أو تلك، ورسولنا الكريم كان وسيظل خير قدوة لنا في حياته التي نقلتها الأحاديث الصحيحة، فهو الذي نهى برفق عن المغالاة ولو في التعبد لله، حيث قال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين» (رواه أحمد)، وقال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا، يعني: المتعمقين المجاوزين الحدود في أقوالهم أفعالهم، والحديث رواه مسلم، وقوله: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار» (رواه أبو داود)، وقوله: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» (رواه البخاري).

وقد روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ؓ أنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

هكذا يعلمنا رسول الله ﷺ الاعتدال في أمورنا كلها وهكذا يجب أن يكون سلوكنا.

التحرير

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



إعداد :
عبدالسلام الشبراوي

الكندري وقيادات الأوقاف لحظة افتتاح المبنى

مبنى «الأوقاف» الكويتية الجديد أيقونة خدمية بروح العمارة الإسلامية

هو صرح خدمي جديد تنطلق منه روح وسطية الإسلام الحنيف، ويليق بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، وهو فضلا عن هذا أيقونة معمارية فريدة تضاهي العمائر الإسلامية في أرقى دول العالم إن لم يتفوق عليها، إنه مبنى وزارة الأوقاف الجديد في منطقة الرقعي، الذي انتقل للعمل فيه موظفو الوزارة قبل أيام، بعدما افتتحه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عيسى الكندري، بحضور قيادات الوزارة

أكد الوزير أن المبنى الجديد يعد صرحا إسلاميا فريدا من نوعه في المنطقة، إذ تم بناؤه على الطراز الإسلامي الذي يتناسب مع طبيعة عمل الوزارة في تحقيق رؤيتها في الريادة عالميا، بينما صرح وكيل الوزارة المهندس فريد أسد عمادي بأن المبنى يتصف بالأصالة وإحياء روح التراث الإسلامي.

وفي الافتتاح، حث الكندري قياديي الوزارة على تسهيل الإجراءات على المراجعين وتذليل جميع العقبات التي قد تواجه المراجعين أو العاملين في الوزارة.

الكندري: صرح إسلامي فريد من نوعه في المنطقة

وأكد الكندري، عقب افتتاح مبنى الوزارة الجديد، أن مبنى الوزارة الجديد سيكون رافدا مهما في تحقيق رسالة الوزارة بترسيخ قيم الوسطية والأخلاق الإسلامية ونشر الوعي الديني والثقافي والعناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية ورعاية المساجد وتعزيز الوحدة الوطنية عبر تنمية الموارد البشرية وفقا لأفضل الممارسات.

وأشاد الكندري بالجهود المبذولة من وكيل وزارة الأوقاف والوكلاء المساعدين في دعم وتشجيع العاملين في الوزارة على التميز والإبداع في مختلف أنشطة ومجالات عمل الوزارة وتشجيع المبادرات التطويرية التي تقوم بها القطاعات والإدارات والأقسام والمراكز.

من جانبه، قال وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المهندس فريد عمادي، إن مبنى وزارة الأوقاف الجديد يعد معلما معماريا في الكويت، حيث يتصف بالأصالة وإحياء روح التراث الإسلامي، متمنيا أن يكون هذا الصرح الإسلامي عونا لتحقيق أهداف الوزارة الاستراتيجية وبيئة عمل مشجعة لموظفي الوزارة للبذل والعطاء.

والمبنى الجديد، وفقا لوكالة الأنباء الكويتية (كونا)، استوعب الإدارات الموجودة في مبنى الوزارة القديم، بالإضافة إلى عدد من المباني والإدارات الخارجية، وتم انتقال الإدارات تدريجيا بسهولة ويسر إلى الموقع الجديد الذي يغطي مساحة تقدر بـ ٢٦٥٦٠ مترا مربعا، تشمل مبنى الوزارة بمساحة ١٢٥٠٠ متر مربع، وبعدد أدوار يصل إلى ١٦ دورا في المبنى المتوسط من المشروع، إضافة إلى ٣ سراديب. ويحتوي المبنى على مسجد بطاقة استيعابية ٢٩٥٠ مصليا، حيث تم هدم وإعادة بناء مسجد يعقوب الرفاعي الذي يعتبر أحد مكونات المشروع الأساسية.

اللافت لمن يزور المبنى الجديد للوزارة ذلك المشهد الرصين الذي يعكس تصميما تم بروح العمارة الإسلامية، وفكرته مستوحاة من زخارف فن العمارة الإسلامي بالإضافة إلى المناظر الخضراء المحيطة.

ولإنجاز المبنى قصة سيذكرها التاريخ، حيث قامت وزارة الأشغال بتكليف أحد مكاتب الاستشارات الهندسية للقيام بأعمال الدراسة والتصميم والإشراف على هذا المشروع، وتم اختيار الموقع طبقا لسياسة الحكومة، لتسكين الوزارات الرئيسية بعيدا عن مدينة الكويت مع مراعاة ما تمثله وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



الإدارة تطمئن على الموظفين أولا

قال وكيل وزارة «الأوقاف» إن الإدارة العليا ستكون آخر الإدارات المنتقلة إلى المبنى الجديد، موضحا أنه سيتم الانتقال بالأثاث القديم لحين انتهاء وزارة الأشغال من توفير الأثاث الجديد، الذي سيتم استبداله تباعا في غضون ٦ أشهر.

ولفت وكيل «الأوقاف» إلى أن المبنى الجديد يتميز بطراز معماري إسلامي مميز، إضافة إلى سعة المبنى الكبيرة، حيث يستطيع استيعاب عدد من مباني الوزارة وإداراتها الخارجية.





في الكويت من قيمة ودور كبير في حياة كل من يعيش في الكويت.
ووفقا لما ذكرته صحيفة الأنباء الكويتية، فإن المشروع يتكون من مبنى رئيسي مركزي مكون من ١٦ طابقا وجناحين شرقي وغربي، ويشتمل المشروع على قاعة مؤتمرات رئيسية ومسجد منفصل ومبنى للإمام، بالإضافة إلى ثلاثة مستويات من سراديب تحتوي على ملجأ للموظفين مصمم طبقا للاشتراطات الخاصة وأيضا أماكن انتظار السيارات، بالإضافة إلى المناظر الخضراء والطرق الداخلية، وتمت مراعاة إضافة إحساس بالجمال والراحة النفسية من خلال استخدام فراغ واسع مع وجود مسطح مائي واستخدام الزجاج الخارجي لإدخال الضوء الطبيعي إلى داخل المبنى.
وما يميز هذا المبنى كذلك هو امتداد الرؤية فيستطيع مرتادو هذا المبنى عند الدخول من المدخل الشمالي الرئيسي رؤية المدخل الرئيسي الجنوبي من الناحية الشرقية للمبنى، حيث يوجد باب كبير من جهة الشرق حتى صالة المؤتمرات، كما توجد أبواب تنقل الزائر إلى أربعة أجنحة تحوي إدارات وأقسام الوزارة في جميع الطوابق، والجزء المركزي من المبنى هو الجزء الذي يرتفع ليصل إلى الطابق السادس عشر، حيث

عمادي: رافد مهم في تحقيق رسالة الوزارة بترسيخ قيم الوسطية

مكتب الوزير نزولا إلى مكتب الوكيل والوكلاء المساعدين.
كما حرص في التصميم على إسباغ روح العمارة الإسلامية على كل جزء من المبنى، فنجد تصاميم الأرضيات والأسقف مستوحاة أيضا من فن العمارة الإسلامي، وأيضا الجدران الداخلية للفراغات تتحلى ببعض من الرسومات المستوحاة من الزخارف الإسلامية.
وحول سبب اختيار منطقة الرقعي كمكان للمشروع، قال المهندس غالب صفوق، وهو أحد الذين قام على أياديهم هذا المشروع الضخم، إن المشروع يقع في منطقة الرقعي بمحافظة الفروانية، وبالتحديد عند تقاطع الدائري الرابع مع شارع محمد بن القاسم، وهي منطقة حيوية متوسطة، حيث ستجد المبنى يبعد مسافة عدة كيلومترات تقريبا من مطار الكويت الدولي، وعلى بعد عشرة كيلومترات من مدينة الكويت العاصمة، وعلى



بعد أربعة كيلومترات من ساحل الخليج العربي.. وبلغت كلفة المشروع الإجمالية نحو ٤٠ مليون دينار، وهي تشمل جميع الأعمال المنفذة بالمشروع إضافة إلى الأثاث والمكاتب.

أما الفكرة التصميمية، فتقوم كما يرى المهندس صفوق على بيان دور وزارة الأوقاف في ترسيخ العقيدة الإسلامية، وانعكس ذلك على أخذ التصميم الطابع الإسلامي والتنوع بمواد التشطيب بما يتناسب مع العمارة الإسلامية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المشربيات والأقواس تعكس العمارة الإسلامية. وكذلك شكل المساقط مستوحى من المباني في العمارة الإسلامية من حيث تصميم الفراغات الداخلية والتأكيد على المداخل والمخارج والمدخل الرئيسي، خصوصا أنه تم إعطاؤه شيئا من الخصوصية مما يضيف إليه لمسة معمارية تعطي لكل من يدخل المبنى الفخر والاعتزاز بالحضارة الإسلامية، كما يتميز المشروع بالأعمال الكهربائية والميكانيكية التي تتميز باتباع القوانين والمواصفات المعمول بها في الكويت.

وثمة أنظمة حديثة للإنارة والقوى الكهربائية تتكون من ١٢ لوحة ضغط منخفض تتم تغذيتها من ١٢ محولا كهربائيا ولوحة توزيع فرعية لتغذية المبنى، ونظام إنارة الطوارئ من خلال المولدات الكهربائية ونظام إنذار الحريق ويشمل المبنى كاملا، والمسجد مكون من لوحة تحكم رئيسية وراصد أدخنة وراصد الحرارة ونظام الساعة المركزية وأنظمة تحكم وتشغيل المبنى بعضها ببعض ونظام المراقبة الأمنية والتحكم في الإضاءة ونظام التلفونات ونظام الحماية من الصواعق.

السويلم: دور «الأوقاف» مؤثر

قال مدير إدارة الخدمات العامة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية د.م. سليمان السويلم، إن دور وزارة الأوقاف في أي بلد إسلامي عربي غني عن التعريف، فدورها كبير ومؤثر بدرجة عميقة؛ لأنها المسؤولة عن أهم شيء في حياة الإنسان المسلم ألا وهو «الدين الإسلامي»، لذا كان من أهم أهداف المشروع التعبير بوضوح عن هذه الشخصية المعمارية الإسلامية المميزة وانعكاس دورها في نشر الإسلام والتعريف به محليا وعالميا.

وأضاف: «لا بد أن يحقق المبنى الأهداف الوظيفية المرجوة منه لكي يخدم جميع القطاعات العامة بداخله، سواء الموظفون أو المراجعون، واستغلال وتوظيف المساحات بشكل يحقق أعلى مردود مع الأخذ في الاعتبار الوقت والتكلفة والإنجاز والصيانة»

المسجد الملاصق للمبنى

يتسع المسجد الملاصق للمبنى لـ ٢٠٢٥ رجلا و١٠٠ امرأة، هذا بالنسبة للدور الأرضي، أما الدور الأول فيتسع لـ ٥٢٥ رجلا و٣٠٠ امرأة.



أحمد بسيوني عبدالرؤوف
كاتب وباحث تربوي

الخطاب الإسلامي المعاصر وضرورة التجديد المنهجي

إذا كان هناك ما يميز الخطاب الإسلامي المعاصر في المرحلة الراهنة، التي تتسم بمجموعة من السمات المعبرة عن عمق التحولات والمنعطفات، المهمة والخطيرة، التي تمر بها الإنسانية جمعاء في ظل ترسيخ نظام حضاري وأيديولوجي لا يخدم إلا فئة محدودة من الناس، أقول إذا كان هناك ما يميز الخطاب الإسلامي المعاصر، فهو تركيزه على ضرورة تجاوز مجموعة من العقبات، الذاتية والموضوعية، الداخلية والخارجية، التي شكلت، ولا تزال، الأزمة العامة التي نعاني منها، ولعل من أبرزها وأحقها بالاهتمام والمتابعة، قضية المنهجية، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما لهذه الأخيرة من ارتباط بأصولنا العقدية من جهة، وبواقعنا الفكري من جهة ثانية.

قد لا نختلف مع الكثير من المتتبعين والمهتمين بقضايا الخطاب الإسلامي المعاصر، خطاب الصحوة، حول المجهودات الكبيرة التي بذلها رواد هذا الخطاب الذين آمنوا بفاعلية وضرورة هذا الخطاب في المساهمة في تجاوز «عنق الزجاجة» الذي أوصلتنا إليه السياسة الحضارية العالمية المعاصرة، خصوصا وقد نبه علماء ومفكرو الأمة إلى أن أس الأزمة يكمن في الخلل الحاصل في منظومة التفكير الإسلامي ونسقيته، وما لهذا الخلل من علاقة وطيدة بالجانب المنهجي، ومن ثم بقرون الانحطاط والتبعية العمياء لمنظومات فكرية لها تاريخيتها وعصرها وخلفياتها، ناهيك عما ساهم به الخلل في الاعتقاد وما ترتب عن هذا الأخير من خلل على مستوى التدين لدى غالبية المسلمين، نتيجة انتشار مجموعة من القيم والعادات والطقوس الثقافية التي طالما حاربها الإسلام أو صححها.

من هنا تظهر الحاجة ماسة إلى تدعيم مسار الوعي بالذات وتحقيق مطلب النقد الذاتي، قراءة التجارب التي مرت، وتقويمها التقويم الذي يمنحنا الرؤية الحقيقية للمجتمع، حتى تستكمل الصورة التي نرغب في تكوينها عن المستقبل، خصوصا ونحن ندعو إلى مشروع حضاري أساسه الإسلام، عقيدة وشريعة.

فالخطاب الإسلامي المعاصر إذن، وهو يؤسس للخطوات الأساسية الكبرى الخاصة بفقه الاعتقاد والتدين والواقع، ملزم بعدم اجترار وإعادة إنتاج الخطاب السابق نفسه، بقدر ما يحتاج إلى المراجعة الحقيقية التي تخول له إمكانات معالجة القضايا التي يعتبرها الكثيرون من العاملين في حقل هذا الخطاب جريمة ومتجاوزة، ولعل من أهمها «تجديد المنهج الفقهي» حتى يكون منهجا قادرا على تجديد الارتباط بالإسلام ذاته من جهة، وبالواقع من جهة ثانية.

فالواقع يشهد تحولات مهمة جدا وخطيرة في الوقت نفسه، كما يعرف بروز حاجات جديدة، تحتاج كلها إلى معالجات شرعية، تأخذ بعين الاعتبار النازلة أو الحدث أو القضية المطروحة، وهو ما يبين بوضوح العلاقة الموجودة بين الشريعة والواقع، يكون خلالها التفاعل المثمر عونا على جعل الشريعة متجددة ومستجيبة في كل حين لمتطلبات كل مرحلة، في حين يؤدي الخلل في هذا التفاعل إلى توقف الشريعة عن التجدد من جهة وبروز تقاليد تمس جوهر العقيدة والشريعة معا، من جهة ثانية.

الاجتهاد والمعاصرة

فالقيمة الحقيقية للاجتهاد تتجلى في بلوغه مرتبة «المعاصرة» من خلال الاستجابة الحقيقية لمستجدات الراهن، انطلاقا من الأصول الثابتة، أما اعتمادنا على ما خلفه السابقون من اجتهادات، فإنه دليل على عدم قدرة العقل المسلم المعاصر على تجاوز عقبة التقليد الأعمى للفهوم السالفة التي أنتجت في إطار زماني ومكاني له خصوصياته ومميزاته، ومن ثم على مسايرة الركب الحضاري، الذي أفرز العديد من القضايا والإشكالات التي تحتاج إلى الإجابة الفورية والدقيقة، خصوصا إذا استحضرنا واقع المسلمين اليوم، وواقع الجاليات المهاجرة التي تعيش في بلدان تحكمها الأيديولوجية الوضعية والمادية والعلمانية، بل والتي تحاول بكل الوسائل فرض نمطها الحضاري على «الأقلية المسلمة» بأسلوب إعادة الإدماج والصهر.

بهذا وذاك يكون الاجتهاد، على مستوى الفقه بالأساس، مدخلا لإعادة إحياء ما غفله النسيان من الشريعة الإسلامية ومنهجها القرآني، ولإعادة النظر في التفريعات والافتراضات التي قلصت من دور العلوم الشرعية في النهوض بالأمة والدفع بها نحو بناء «حضارة الإنسان المستخلف» المطلوبة، التي بين الله تعالى معالمها في القرآن الكريم، وهي حضارة لن يصل إليها الإنسان ما لم يدرك الإدراك العميق السنن الكونية والاجتماعية التي نظم الله تعالى بها الكون والحياة والمجتمع.

وما إرسال الله تعالى للرسل والأنبياء إلا لتوجيه هذا الإنسان نحو الهدف المطلوب، كلما زاغ عقل الإنسان وتاه، بفعل سيطرة الشهوة المادية على تفكيره، وقد جاءت الشريعة الإسلامية خاتمة لكل الشرائع والرسالات، مما جعلها تتوافر على كثير من الثوابت الأساسية التي تمثل الضوابط الأساسية كلما تبدلت العصور والأمكنة، غير أن الشريعة في حاجة ماسة إلى آليات تنزيلها على الواقع باستمرار لتحقيق ذلك التفاعل المطلوب بينها وبين متطلبات الواقع، وهو ما يظهر من جديد حاجة الخطاب الإسلامي المعاصر إلى «فقه التنزيل» كذلك، لتكتمل الآليات المطلوبة لتحقيق هذا الحضور والتفاعل.

إننا إلى جانب الإحساس العميق بضرورة توافر الخطاب الإسلامي المعاصر على مثل هذه الأنواع من الفقه والآليات المنهجية المتجددة من داخل الذات، فإننا نستشعر خطورة تهميش التفكير في هذا الموضوع، مع الأخذ بعين الاعتبار أن التفكير في كل جوانبه ومدخلاته ومخرجاته ينبغي أن يكون من داخل واقع الأمة ومن أجلها، يكون خلالها الفقه الإسلامي مشاركا في صياغة المشاريع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية، لا أن يظل مقتصرا على فقه العبادات والأحوال الشخصية.

إن الشريعة الإسلامية موجهة للإنسان لكي يرتقي في سلم الإيمان والتقوى الذي هو أحد مدخلات بناء «حضارة الإنسان المستخلف» ولن يكون باستطاعتنا الوصول إلى هذه المرتبة ما لم نجعل الشريعة منزلة على حياتنا الفردية والجماعية، وهو ما يتطلب التجديد المنهجي المستمر، الذي يبرهن في حقيقة الأمر على قابلية العقل المسلم لأن يتفاعل مع معطيات كل مرحلة على حدة، خصوصا وقد عرف المجتمع الإسلامي، منذ بروز بوادر الصحوة والنهوض، عدة تحولات على المستويات كافة؛ سياسيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، تحتم على القائمين على التخطيط له واستشراف مستقبله ضرورة الأخذ بعين الاعتبار أن الهدف الأساسي من التغيير والنهوض لا يقتصر فقط على المجالات المادية التي تجعل المسلم المعاصر في مصاف الأمم والشعوب المتقدمة حضاريا وبقدر ما يتطلب الأمر الأخذ بعين الاعتبار أننا أمة رسالة إلى الإنسانية جمعاء، وأن الدعوة إلى التجديد الفقهي وغيره إنما ينبغي أن تحقق خيرية الأمة والشهادة على الناس مصداقا لقوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران:١١٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة ١٤٣).

من هنا تظهر العلاقة الوطيدة بين فاعلية الخطاب الإسلامي وفاعلية منهج التجديد، حتى يستجيبا معا لحاجات واقع الأمة، وواقع كل من ينتمي إلى «المرجعية الشرعية» في العالم، فحاجتنا ماسة إذن إلى خطاب قادر على المساهمة في رسم الشاكلة الحضارية للصحوة المعاصرة، حتى تكون صحوة خير وبركة، ومن ثم حاجتنا إلى تفعيل آليات الاقتراب من الواقع، حتى يكون خطابا قادرا على تنزيل النص الشرعي على الواقع المتغير، وهي أهم قضية لا تزال محط اهتمام الباحثين في مختلف التخصصات والاتجاهات.

محمد عبدالحميد محمد
كاتب وباحث تربوي



كيف تتغلب على الأحزان؟

النفس الإنسانية السليمة هي التي تشعر بلذة القرب من الله، وتجعل آيات ربها وخالقها نورا ومنهاجا تستضيء بها في حياتها، فتشعر بالأمل المشرق في حياتها، والطمأنينة التي تحيل المحنة إلى منحة، وتتغلغل في أعماق النفس المؤمنة وجنباتها، وتتصور الفقر أو الصحراء القاحلة ربيعا مزهرا، وهذا كله يعود إلى ذكر الله والتفكر في مخلوقاته، والرضا بما قضى الله به والعرفان للخالق بالعدل والحكمة ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨).

ومن التجارب التي يخوضها كل فرد منا إن عاجلا أو آجلا حينما يختطف الموت عزيزا لدينا، وقد حثي عليه التراب في مرقده الأبدي وانصرمت تلك الأيام الموحشة المشحونة بالحزن والاضطراب والتوتر التي أعقبت وقوع المصاب، وانقضى موكب العزاء والمواساة في المنزل الكامن بالحزن والصمت الخاوي، وتحاول أن تصل بين أجزاء الحياة المتناثرة التي تفرقت، ولكن أينما توجهت بنظرك تلقيت طعنة جديدة من طعنات الألم والحزن، فكل شيء يقع عليه نظرك يذكرك بالعزيز الغالي الذي فقدته.

ويلوح لك المستقبل بسرداب من الظلمة والكآبة لا ينتهي، ولكن العاقل الفاهم هو الذي لا تفتر همته ولا يتقلص عزمه، بل على العكس تزيده هذه المحنة إيمانا والشدة ثباتا، ويسترجع كما يقول الله عزوجل: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة:١٥٦).

ولكي نتغلب على الأحزان ينبغي علينا أولا أن ندرك جميعا أن النمو هو قانون الحياة والسعادة، فإذا رفضنا أو تجمدنا أن ننمو من خلال تجاربنا على مرارة بعضها وإيلامها انتهينا إلى حالة حالكة ومريرة من الوجود بين الحياة والعيش فيها، فمهمة المحزون الكبرى أن يواجه المستقبل، وأن يتطلع إلى تجارب أخرى وأن يمارس حياته اليومية واثقا بالله، راضيا بما قسمه الله له من حلو ومر، لأن الرضا بالقضاء خيره وشره حلوه ومره، من علامات الإيمان.

ومن هنا كان أمر المؤمن القوي مثيرا لإعجاب رسول الله ﷺ الذي سجله في قوله: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له» (رواه مسلم).

فإذا تأصل الإيمان في القلب واستولى عليه توحدت نظرة المؤمن إلى الأشياء، وتفاعل معها بروح واحدة لا تذبذب فيها ولا تأرجح، لأن هدفه الأسمى مرضاة الله تعالى، فهو يرى البلاء بالخير كالبلاء بالشر، وكل من عند ربه، وما يفعله الله خير له، ولكن بعض الناس في غمرة حزنهم لا يبتغون أن يعرفوا السعادة مرة أخرى، فمجرد ذكر لفظ السعادة مرة أخرى يعتبرونه خيانة للعزيز الغائب، ومن هنا نجد المحزون يقاوم فكره إلى العودة إلى الحياة الطبيعية، ويظل في غمار لوعته غير راض، حزينا يائسا، وقد يرسب في اختبار خالقه له، لأن الله أراد امتحان عبده ببلائه، فقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ (العنكبوت:٢-٣).

فطبيعة الحياة الدنيا كما أرادها الله

طبيعة الاختبار الدائم، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة:١٥٥)، فاختبار المؤمنين بالبلاء أمر قدره الله تعالى، وعليهم أن يكرسوا جهودهم في هذا الامتحان حتى يفوزوا برضوان الله.

خطوات يجب للمحزون أن يتخذها لنفسه

وينبغي للمصاب بحزن أو فقد عزيز أن يتخذ لنفسه خطوات ثلاثا:

الأولى: أن يجتهد في فهم إحساساته وأن يضعها في موضعها، حيث إنه في الأيام الأولى للمصاب أو المحزون تختلط الإحساسات اختلاطا مزعجا، ولهذا يجب على المرء أن يفصل بينها. ومن أقسى التجارب الإنسانية في حياتنا الموت، أقصد فقد شخص عزيز علينا، حيث يثور لهذه التجربة كياننا كله ويرفض الرضا بها، فإن أدركنا أن الغضب ملازم للحزن، علينا أن نعفي أنفسنا من اللوم، وأن نعفي منه الحياة والله والناس، ولا نفزع ولا نجزع، نواجه الشدائد بنفس راضية ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ ﴾ (التوبة:٥١)، وأن نبعد عن تأنيب النفس، وهذا إحساس آخر غالبا ما يختلط بالحزن وكثيرا ما يقول المحزون لنفسه وفي مخيلته طيف العزيز الراحل (لو أنني لم أقل له..) أو (لو أنني لم أعارضه حين طلب مني..)، وقد يبالغ المحزون في عقاب وتأنيب نفسه.

ونحن ميالون أن نضفي المثالية على العزيز المفقود، ننسى أخطاءه، ونقط ضعفه، وقد يحس المرء بالذنب لأن مشاعر الحزن ليست متكافئة مع فداحة المصاب، فقد جرت العادة أن يظهر الأرامل واليتامى قدرا معينا من الحزن، فإذا انقضت مظاهر الحزن عن هذا القدر لم يملكوا إلا أن يحسوا بالذنب، فكل هذه الإحساسات: الغضب، تأنيب النفس، والإحساس بالذنب، مصاحبات طبيعية للحزن، فإذا رأيتها تعتمل في نفسك أدركتها وعلمت أن رب مصلحة فاتت على الإنسان بنجاح أو ربح أو فوت محبوب أو موت عزيز، ولربما كان في علم الله أن بقاء هذه المصالح أضر على العبد من فواتها «إذ لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع»، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢١٦).

الثانية: أن تجتهد في نسيان هذه المصيبة، وهناك فارق كبير بين النسيان والعيش مع الذكرى بين حين وآخر.

الخطوة الثالثة التي ينبغي أن نخطوها هي أن نمضي قدما إلى المستقبل والتطلع إلى الحياة بمنظار التفاؤل، وأن نعمل، فالانشغال بالعمل أيا كان نوعه أجود ترياق للحزن، وأن نجعل حبنا لكل شيء في الوجود، ولا يقتصر الحب على واحد. إن مواجهة المستقبل والمضي إلى الأمام هما الوسيلة الصحيحة الوحيدة للتغلب على أحزاننا والتطلع إلى ما أعده الله في الجنة التي سماها دار السلام، ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ ﴾ (الأنعام:١٢٧) إذ هي سالمة من المنغصات التي في الدنيا، فلا يفنى نعيمها ولا تنقضي أيامها ولا يزول شبابها ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ ﴾ (الرعد:٣٥)، وأما إذا سمح المرء لنفسه بأن يقف جامدا أمام أحزانه وأشجانه، فإن موكب الحياة سيتركه ويمضي في طريقه، وإذا حاول إرجاع الزمن فإن عبء الحزن سيصبح أثقل مما يحتمل، وأما إذا قرر أن يلتقي بالحياة في منتصف الطريق فإن الجزاء السخي في انتظاره.

إن التغلب على الحزن مسألة اتجاه وعمل وإيمان وطمأنينة تفيد معنى السكون والاستقرار للمؤمن.

الطمأنينة خلق أصحاب العقول الراجحة

الطمأنينة خلق أصحاب العقول السليمة الراجحة، وأصحاب الإيمان القوي والذكر الخالص، فتجد الرجل المطمئن لا يحزن على ما فات، ولا يفرح بما هو كائن، ولا يخاف مما هو آت، وهو لا يسأم من أداء واجب بسبب حزن ألم به، والمطمئن لا يجزع من قضاء الله ولا يضيق بقدره، ولقد كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى في التخلق بخلق الطمأنينة، فما استطاعت الأهوال المتوالية أن تخرجه عن وقاره ورزانته، ولم يستطع النصر العظيم أن يزدهيه أو يغره، ولم يضعف يقينه أو رجاؤه في أحلك الظلمات وأشد الأزمات، والقرآن الكريم يترجم ذلك فيقول ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ...﴾ (التوبة:٤٠).

والحمقى من الناس الذين يتصورون أنهم قادرون على تغيير شيء قدره الله عليهم، والعاقل من الناس من يلتجئ إلى الله عند وقوع ما يقلق النفس أو يحزنها، والتميز بالصبر عند الشدائد وكظم الغيظ وهدوء الأعصاب، فالله وحده هو القادر على تفريج الكروب وإزالة همومنا، وعلينا أن نجعل في حياتنا بروق الأمل.



د. شاذلي عبدالغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية

الأقوال والأفعال

يحكي لنا التاريخ أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا وجد شخصا ما ينطلق لسانه بالحكم والمواعظ، ولديه من الملكات البلاغية ما يمنحه القدرة على التأثير في الناس وإقناعهم، يضعه تحت عينه حتى يرى مدى تطابق أقواله مع أفعاله، فعل ذلك مع الأحنف بن قيس، الذي يحكي عن ذلك فيقول: «حبسني عمر عنده سنة، يأتيني في كل يوم وليلة، فلا يأتيه عني إلا ما يحب. ثم دعاني، فقال: يا أحنف، هل تدري لم حبستك عندي؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عليم، فخشيت أن تكون منهم، فاحمد الله يا أحنف»[1]، وحدث ذلك أيضا مع الربيع بن زياد، فقد رآه عمر رضي الله عنه فصيحا جريئا في الموعظة حين قال له: إنك وليت هذه الأمة فاتق الله فيما وليت من أمر هذه الأمة ورعيتك وفي نفسك خاصة، فإنك محاسب ومسؤول عما استرعيت، وإنما أنت أمين وإنما عليك أن تؤدي ما عليك من الأمانة، وتعطى أجرك على قدر عملك. قال: ما صدقني رجل منذ استخلفت غيرك، من أنت؟ قال: أنا ربيع بن زياد. قال: أخو المهاجر بن زياد؟ قال: فجهز عمر جيشا واستعمل عليهم الأشعري، ثم قال: انظر ربيع بن زياد فإنه إن كان صادقا فيما يقول فإن عنده عون على هذا الأمر، فاستعمله ثم لا يأتين عليك عشر إلا تعاهدت فيهن عمله، واكتب إلي سيرته في عمله حتى كأني أنا الذي استعملته، ثم قال عمر: عهد إلينا رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم منافق عليم اللسان»[2](صحيح الجامع). لقد ظل حديث النبي ﷺ ماثلا في فكر الفاروق تستدعيه ذاكرته مع كل من يرى فيه القدرات البيانية المؤثرة في النفوس، لأنه عرف رضي الله عنه العقبات التي ستواجهها الدعوة إلى الله من مخالفة أفعال هؤلاء لأقوالهم.

عوائق في طريق الدعوة

ولا شك في أنه من أخطر الأمور التي يمكن أن تواجه أي عقيدة أو فلسفة تحمل مبادئ وقيما أخلاقية هو التناقض الذي يمكن أن يحدث بين أقوال دعاتها وأفعالهم، خصوصا إذا كانت لديهم الملكة التي تمكنهم من أن يعرضوا ما لديهم بالصورة التعبيرية التي تدفع نفوس العامة إلى التأثر بهم والإيمان بما يحملونه إيمانا يلامس القلوب ويؤنس الأرواح، حتى إذا برز التناقض بين أقوال هؤلاء وأفعالهم أحدث ذلك هزات نفسية عميقة في نفوس من انحازوا إليهم وآمنوا بمبادئهم، ولن يقتصر الأمر حينها على ازدراء هؤلاء المدعين ونبذهم، وإنما ستصاب الفكرة التي حملوا لواء الدعوة إليها، ويتلاشى اليقين بقوتها وتأثيرها وواقعيتها، وتتولد مشاعر فقدان الثقة في كل دعاتها؛ لأنهم ساعتها سيرونهم جميعا صورا مكررة لشخص واحد يقول ما لا يفعل، ويحمل في داخله مآرب خاصة وغايات نفعية تتخذ من الأفكار والمبادئ التي يقدمها مطية لوصوله إلى تلك المآرب والغايات.

القدوة وانتشار الدعوة

أما إذا كان هناك توافق بين الأقوال والأفعال، فإن ذلك يجعل المبادئ والقيم والأفكار التي تحملها تلك العقائد أو تقدمها تلك الفلسفات أكثر انتشارا وأقوى تأثيرا وأعظم قوة، وهذا ما حدث مع التجار الذين حملوا مهمة الدعوة إلى الله في قلوبهم، فانتشار الإسلام في شرق آسيا على سبيل المثال يمثل «قصة من أعظم قصص انتشار الإسلام في العالم، فالمسلمون لم يذهبوا إلى الشرق الأقصى بجيوش فاتحة، وإنما ذهب المسلمون إلى هذه الأصقاع النائية كتجار ودعاة يدعون إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة استجابة لقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥)... فكانوا يحملون بضائعهم إلى هذه الأصقاع، ويبيعونها إلى سكان هذه المناطق، وفي نفس الوقت يدعون إلى الإسلام بطريق غير مباشر عن طريق صدقهم، والتزامهم بالأمانة والمعاملة الحسنة التي يتصف بها المسلم في سلوكه فجذبوا سكان جنوب شرق آسيا إلى صفوفهم»[٣]، وكذلك كان الحال في بعض دول إفريقيا، فعلى المسلم أن يعي أنه لن يكون داعية لهذا الدين بين من لم ينتسبوا إليه، ولن يكون داعيا لأخلاقه وقيمه ومذكرا بتعاليمه وأصوله وشرائعه وناصحا ومرشدا ومعلما لمن حوله إلا إذا كان عمله منسجما مع أقواله، ولم يصر على أن يقع في منحدر التناقض، وإلا فإنه سيكون عبئا على الدعوة وعائقا أمام انتشارها بين غير المسلمين، وعقبة أمام العمل بأخلاقها بين من ضل الطريق ويحتاج إلى من يهديه ويرشده ويذكره من المسلمين. وأتذكر هناك قصة المسلم الذي كان يستقل حافلة في لندن، وأعطى للسائق الأجرة فاكتشف أن السائق أعاد له عشرين بنسا زيادة، وتردد بينه وبين نفسه بين إعادة هذا المبلغ الزائد وعدم إعادته لكونه لا يستحق، لكنه قبل خروجه من باب الحافلة أثناء توقفها حسم أمره وأعاد العشرين بنسا للسائق قبل أن ينزل، وساعتها أخبره السائق أنه تعمد أن يعطيه ذلك المبلغ الزائد ليختبر أمانته، فهو يعلم أنه مسلم، وهو يريد أن يتعرف على الإسلام، حينها كاد الرجل أن يقع أرضا من رهبة الموقف، ونظر إلى السماء ودعا باكيا: يا الله، كنت سأبيع الإسلام بعشرين بنسا!

التناقض والخسائر الشخصية

لا شك في أننا جميعا بشر نقع في دائرة الخطأ والضعف والسهو والنسيان، لكن من المفترض أننا نرجع بعدها إلى أنفسنا لنحاسبها ونعقد العزم على عدم العودة والتوبة إلى الله عز وجل، أما المعضلة الكبرى فتتولد عندما يصبح التناقض بين أقوالنا وأفعالنا أسلوب حياة، وتتحول المبادئ التي نرددها إلى أقنعة تتساقط واحدا تلو الآخر أثناء ممارساتنا العملية في تعاملاتنا مع الناس، وساعتها ستكون الخسارة على المستوى الشخصي مزدوجة في الدنيا أولا؛ لأنه كما يقال يمكن للإنسان أن يخدع بعض الناس بعض الوقت لكنه لن يستطيع أن يخدع كل الناس كل الوقت، ومهما طال الزمن لا بد أن يأتي اليوم الذي تنهار فيه ثقة الناس في أمثال هؤلاء، والثقة هي رأس المال الأكبر في هذه الحياة، ولذلك روي في الأثر عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الناس قد أحسنوا القول كلهم؛ فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فذاك إنما يوبخ نفسه»[٤]. أما الخسارة الثانية فهي الأعظم يقينا، لأن هذا التناقض يدخل في دائرة المقت الإلهي، ويبعد الإنسان عن خالقه بعدا يجره إلى عقابه ويحرمه من نصرته وموالاته، فالله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ (الصف:٢-٣)، ويقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝١٢٤﴾ (النساء:١٢٣-١٢٤).

إن ديننا هو دين الانسجام والتكامل الذي يتجلى في المظهر والجوهر، في الظاهر والباطن، وفي الأقوال والأفعال، والتناقض الذي يخدش جمال هذا الانسجام وروعة هذا التكامل أو أي نقص فيه يرفضه الإسلام، فهو دين الكلم الطيب الذي تأنس به الأرواح ويقرب القلوب وينشر التسامح والتصالح والمحبة ويخفف من متاعب الحياة ويهدي إلى صراط الله المستقيم، وهو دين العمل الصالح الذي ينتفع به الناس ويخدم الأمة ويقوي من مكانتها، ويكون تجسيدا لوازع الخير والصلاح ويقظة الضمير في أبنائها، نسأل الله أن يهدينا للكلم الطيب والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر:١٠).

الهوامش

١- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٤، ص:٨٨.

٢- الحارث بن محمد التميمي، نور الدين الهيثمي: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، المدينة المنورة، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج١، ص:٥٢٣.

٣- أ.د. مصطفى محمد رمضان، الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م، ص:٢.

٤- عبدالله بن المبارك، الزهد والرقائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلمية، ص:٢٥.

محمد عبدالباقي
إمام وخطيب



الرحمة قيمة إسلامية

الرحمة صفة من صفات الله عزوجل، قال الله على لسان أيوب: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٣)، وقال أيضا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف:١٥٦)، وقال أيضا: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الحشر:٢٢). وسعة رحمة الله لا يمكن أن يتخيلها عقل أو يتصورها أحد، فرحمة الله أعظم وأجمل وأرجى ما في هذه الدنيا، فكل ما قست الدنيا بأحداثها وحوادثها، تذكر الإنسان رحمة الله، فهان كل شيء.

جاء في الحديث أن رجلا كان قبلكم رغسه الله مالا فقال لبنيه لما حضر: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب، قال فإني لم أعمل خيرا قط، فإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم عاصف، ففعلوا فجمعه الله عزوجل فقال: ما حملك؟ قال مخافتك. فتلقاه الله برحمته (رواه البخاري).

وما أوسع رحمة الله! ما أعظم رحمة الله!

رجل باعترافه لم يعمل خيرا قط ولكنه معترف، فنالته الرحمة الواسعة.

وكيف لا؟ ورحمة الله وسعت كل شيء وقد جعلها الله مئة جزء وأنزل في الأرض جزءا يتراحم الخلق منه، قال رسول الله: «إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مئة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، كل رحمة من المئة حجمها تملأ ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة».

واحد في المئة من الرحمة يتراحم به الناس في الأرض، والطير والوحش والبهائم، فما بالنا بما بقي من الرحمة التي يدخرها الله للناس في الآخرة؛ فالرحمة قيمة إنسانية وإسلامية يجب أن تعم الأرض لإحياء ما مات من قلوب وضمائر البشر، فتحاربوا وتصارعوا وقتل بعضهم بعضا.

رحمة النبي بأعدائه

ومحمد نبي الرحمة ﷺ امتلأ قلبه بالرحمة، وكان خلق الرحمة ملازما له مع أهله وأصحابه بل مع أعدائه والنماذج كثيرة منها: «عن عائشة، رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا».

هذه رحمة النبي محمد بأعدائه ومن كانوا يؤذونه وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾

(الأنبياء:١٠٧).
وقال الله تعالى يصف نبيه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة:١٢٨).
وقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ (آل عمران:١٥٩).
رحمته ﷺ كانت سببا في لين قلبه وشفقته واستجابة الناس لدعوته، وهذا مما يجب على الدعاة أن يعلموه، أن يكونوا رحماء حتى يستجيب الناس لدعوتهم ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ (الفتح:٢٩).

رحمة النبي بالأطفال

من أعظم حقوق الطفل أن يرحم، وهذا ما نبه النبي إليه في مواقف كثيرة منها:
عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم؟ فقال النبي ﷺ: أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟
فمن الرحمة: الاحتضان والتقبيل وإشعار الطفل بالأمان والسكينة، وينعكس أثر هذه الرحمة تربويا على الطفل بالإيجاب.
ولما مات ولد ابنته، وأرسل به إليه ذرفت عيناه دمعا؛ شفقة ورحمة.
عن أبي عثمان قال: حدثني أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابنا لي قبض فأتنا فأرسل يقرئ السلام ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع، قال حسبته أنه قال كأنها شن ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

رحمته ﷺ بالخدم والضعفاء

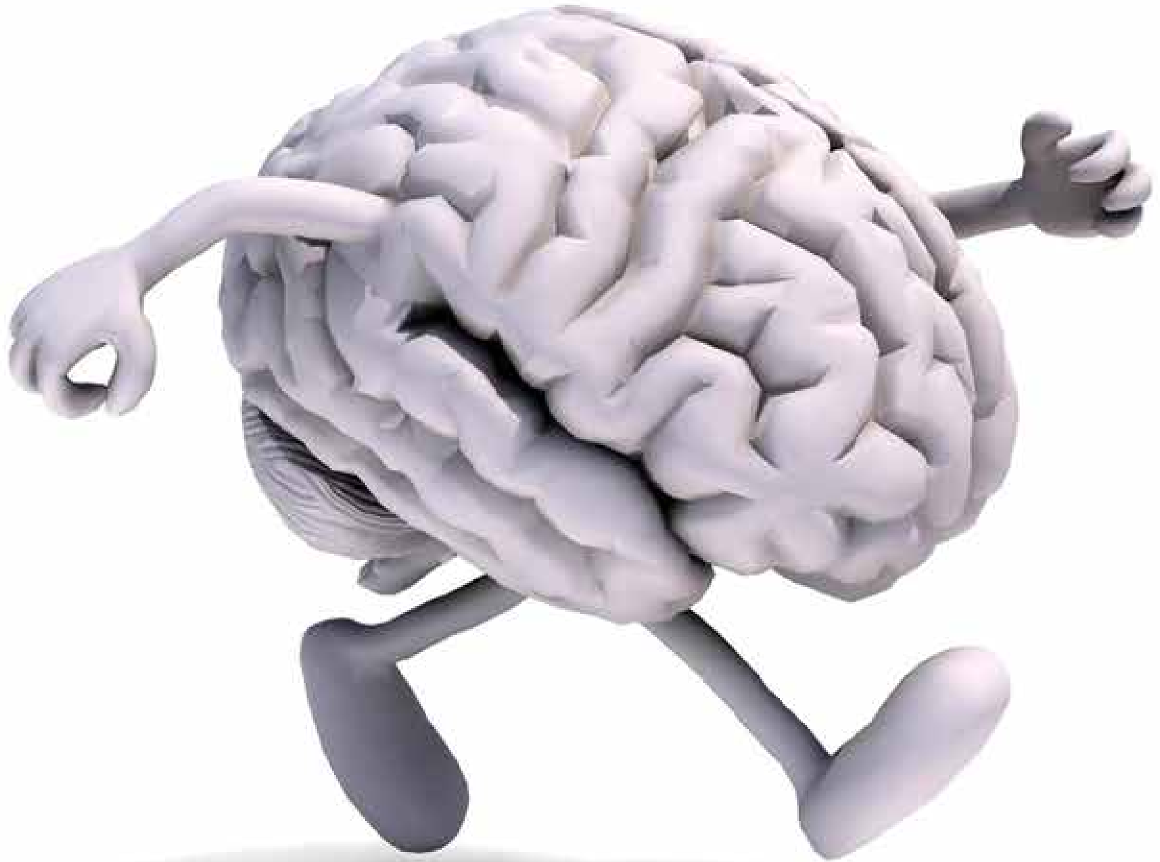
بعض الناس يصيبه الكبر والغرور لمجرد ظهور النعمة عليه، فيأتي بالخدم لا ليخدموه ويعينوه ولكن ليهينهم ويتعالى عليهم، لكن رسول الله له حال آخر مع الخدم: عن أنس أنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت.
وعن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه عن ذلك فقال: إني ساببت رجلا فشكاني إلى النبي ﷺ فقال لي النبي ﷺ: أعيرته بأمه؟ ثم قال: إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم.

رحمته ﷺ بالحيوان

حتى الحيوان الأعجمي الذي لا ينطق، له من الرحمة التي أودعت في قلب النبي نصيب، عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفا أو حائش نخل، قال: فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه، فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه.
ما أحوج الناس إلى التراحم فيما بينهم، وما أحوجهم إلى إعلاء قيمة الرحمة في معاملاتهم، البيع والشراء والمعاملات اليومية، وفي الأسواق، وبين الأقارب والأرحام، والجيران وداخل الأسرة الواحدة، فكم من آباء يعبسون في وجوه أبنائهم وزوجاتهم داخل البيت فإذا خرج يضحك ويمرح مع أصدقائه بالساعات على المقهى وغيره.
ما أحوج المجتمع إلى الرحمة تأسيا بنبي الرحمة ﷺ خصوصا مع الأهل والأبناء والزوجات «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»، فأهل البيت أولى الناس بالكلمة الطيبة والابتسامة والرحمة والبشاشة، فذلك مما يدخل السرور عليهم، ويساهم في استقرار الأسرة وتوطيد أركانها.
وحتى ننال رحمة الله لا بد أن نتراحم ويرحم بعضنا بعضا، الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، فإذا رحمت عباد الله رحمك.



أمنية طارق بسيوني عيد
باحثة دراسات إسلامية



الاستلاب الحضاري في واقعنا المعاصر

يمثل الاستلاب الحضاري مظهرا أكيدا يجسد لنا، وبكل صدق، أبرز معاني فقدان الوعي الإسلامي عند المسلم المعاصر، الذي قدر له أن يشهد لحظات التحول الحضاري المصيرية في تاريخ أمته الماجدة. وحتى يتسنى لي تقديم الإطار العام من المنظور البحثي لهذه القضية الحيوية فإنني أقول:

يشكل الاستلاب الحضاري ظاهرة سلبية تتسم بها كثير من إفرازات الإنسان المسلم - المعاصر - الذي يعيش في الهزيع الأخير من القرن العشرين.

وفي هذا دلالة أكيدة على عدم اهتمام المسلمين بأبعاد الإشكاليات التي تعيق تقدمهم وارتقاءهم الحضاري، وهذا ما يؤكد ويجسد أبرز مظاهر فقدان الوعي الإسلامي بمفهومه الحضاري عند هذا الإنسان الذي ينتمي إلى الإسلام كدين وحضارة. وحتى يتسنى لنا تقديم معالجة دقيقة لأبعاد هذه القضية المصيرية، التي يجب أن تسلط عليها الأضواء الكاشفة حتى تساعد هذه المعالجة المفكرين والمنظرين المسلمين على وضع التصورات والرؤى التي

تسهم إسهاما حيويا في صياغة الواقع الإسلامي المعاصر حضاريا، في ضوء نسق منهجي متناغم مع الإسلام الخالد في إطار من تحقيق الوعي الإسلامي الذي يتسم بالشمولية والتوازنية التي تضفي على حياة الناس طابعا من التكاملية والنماء الحضاري الذي يجعلهم فعلا في مستوى الانتماء الحقيقي لهذا الدين الخالد، الذي جاء لإرساء معالم حضارة هي بحق ربانية تسمو بالإنسان إلى الذروة من الكرامة والسمو الأخلاقي حتى يكون فعلا جديرا بتأدية دور الخلافة الحضارية عن الله في الأرض.

فقدان الوعي

ولعل أبرز ملامح فقدان الوعي الإسلامي بين المسلمين، لا سيما في هذه الأيام، هو عدم وعيهم بضرورة الحوار الحضاري الفعال والبناء، الذي يشكل، وفق التصور الإسلامي، ضرورة وجودية تساعدنا على إعادة تشكيل الحضارة الإسلامية المعاصرة، وحتى تكون هذه الحضارة المنشودة معبرة عن نزوعات هذه الأمة، فلابد لها أن تكون مستندة إلى أسس الإسلام الراسخة رسوخ الطود الشامخ، خصوصا في جانبها المعنوي - الثقافة - أي ثوابتها المرتبطة بعطاء السماء.

أما جانبها المادي - المدنية - فإنه لا غضاضة في الاقتباس الحضاري من الآخرين. وحتى يؤتي هذا الاقتباس فعاليته وتكون له ثماره المرجوة، لا بد أن يكون اقتباسا لأسس وليس لقشورها، أو بمعنى آخر للعمل الجاد على استنبات التكنولوجيا وليس استيرادها، ولقد أكد على ذلك المفكر الإسلامي مالك بن نبي، رحمه الله، ضاربا المثل الأعلى على ذلك باليابان التي اقتبست أسس المدنية في إطار الحركة والموتور، بينما العالم الإسلامي استورد الأشياء واكتفى بذلك.

أخطر مظاهر الاستلاب الحضاري للمرأة خروجها وتمردها

بل مما يزيد الطين بلة أنه على الرغم من الوثبات الهائلة لهذه الحضارة - أي الحضارة الغربية المعاصرة - في الإطار المادي، فإن المسلمين ما زالوا يستوردون الأشياء للاستهلاك والتكدس السيئ، وفي مقابل ذلك نجد تدنيا في مستوى إنتاجية الفرد المسلم بفوارق كبيرة بالنسبة إلى غيره.

وهكذا نجد أن المسلمين مستلبين حضاريا أمام نتاج الحضارة المعاصرة، سواء كان مصدرها الشرق أو الغرب، مما يجعلهم يضحون بإمكاناتهم في سبيل استيراد هذه الأشياء الاستهلاكية التي استنفدت أموالهم، محاولة جعلهم عالة على صناع الحضارة الحقيقيين، لذا كان الاستلاب الحضاري أمام هذه الحضارة أبرز ملامح فقدان الوعي الإسلامي بين المسلمين.

وثاني ملمح من ملامح الاستلاب الحضاري الذي تعاني منه الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر، هو استلاب المسلمة المعاصرة في الواقع الراهن للمسلمين على المستوى الحضاري.

فالمسلمة المعاصرة تقف حائرة بين قطبي الأصالة الإسلامية التي تدعوها إلى الالتزام بمنهجية الدين الإسلامي الخالد - وروحه الصافية - الذي جاء من أجل صياغة أنثى ناضجة فعالة لها دور حيوي في بناء الحضارة الإسلامية الماجدة.

ومن منطلق أن المرأة هي وعاء الحضارة الحاني، وهي أيضا الخدر الآمن لصناعة الأجيال، وهي خير مساهمة مع الرجل شريكها على درب الحياة في صياغة واقع إسلامي زاهر.

وعلى الطرف الآخر يشدها بريق الحضارة المعاصرة بما يقدم لها من أضواء خادعة ومزيفة تحاول أن تسلبها كل القيم المشعة التي صاغت يوما ما خير حضارة تفطر عنها قلب التاريخ.

ولعل أخطر مظاهر الاستلاب الحضاري للمرأة المعاصرة، ومعها المسلمة، هو خروجها وتمردها على أنوثتها بحجة تأكيد ذاتها أمام الرجل، وكأنها في معركة ضروس مع هذا الكائن المكمل لها، عبر ارتباطهما معا بالزواج الشرعي، الذي يوجد بينهما وشيجة وطيدة تربو على آصرة الدم واللحم من أجل بناء كيان أسري ناضج في ضوء نسق إيماني.

وهكذا نؤكد على أن هذا الاستلاب الحضاري الذي تعاني منه المسلمة المعاصرة يعد من أبرز ملامح فقدان الوعي الإسلامي بين المسلمين.

وبطبيعة الحال تؤدي ملامح هذا الاستلاب إلى المعاناة التي تعاني منها الأنثى بحكم تكوينها الفطري،



ولقد نشأ عن ذلك التأزم الأخلاقي، والتفسخ والتفكك الأسـري الـذي عانت ولا تزال تعاني منه المجتمعات الإسـلامية، ممـا أدى إلـى انتشار العـقـوق فـي الأوسـاط الأسـريـة، وانتشار الجريمة وتعاطي المخدرات. وإلى آخر هذه المنظومة السيئة التي كانت غريبة على المحيط الإسلامي وإبان وجود الوعي والالتزام الديني عند المسلمين، مما جعلهم يقدمون للبشرية أعظم حضارة شهدها التاريخ البشري.

وثالث ملمح من ملامح الاستلاب الحضاري، ويدل دلالة أكيدة على فقدان الوعي لـدى المسلمين هو عدم إدراكهم قيمة الزمن وأهمية دوره الحيوي في البناء الحضاري الشامل. ومن هنا نستطيع القول إن عـدم وعينا كمسلمين بأهمية العناصر الحيوية التي تتشكل منها الحضارة في بنائها العام والخاص هو إهدارنا للزمن، وعدم إدراكنا لمفهومه الحضاري، ويكفي لتأكيد مصداقية تلك الحقيقة إلقاء نظرة فاحصة على واقعنا الإسلامي الراهن وكيفية تعامله مع الزمن، فإننا نجد أن أمتنا الإسلامية تتفنن في قتل الوقت وإضاعته سدى وهباء بدلا من الاستفادة منه متناسين أن الـزمـن (الـوقـت) مـع الإنسـان مضافا إليهما الـتـراب (المكـان)، يشكلون العناصر الأساسية لتكوين الحـضـارة، كما أكد ذلك المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي في معادلته الرياضية على النحو التالي: (وقت + تراب + إنسان = حضارة).

الاستهانة بالزمن

ويصعب علينا أن نحصر هنا الأمثلة الكثيرة الدالة على استهانتنا بدور الزمن البارز في البناء الحضاري، وهذا في حد ذاته دليل قاطع على فقدان وعينا بالوظيفة الأساسية للزمن، على الرغم من أن القرآن الكريم قد أقسم بالزمن في أكثر من موضع، وكذلك قد أقسم به رسولنا ﷺ، وشدد على ضرورة الاستفادة منه حتى يتسنى تكوين إنسان مسلم له فعالية حضارية.

وهكذا يعتبر إهمال دور الزمن في تشكيل الحضارة ملمحا بارزا من أبرز ملامح فقدان الوعي الإسلامي عندنا كمسلمين نعيش في الهزيع الأخير من القرن العشرين ومقبلين على القرن الحادي والعشرين الذي هو بطبيعة الحال قرن التحولات الحضارية على المستوى الكوني.

ورابع ملمح من ملامح الاستلاب الحـضـاري، ويـدل دلالـة قاطعة ويجسد بصورة أكيدة فقدان الوعي الإسلامي بين المسلمين المعاصرين، هو تلك الهوة الهائلة بين النظرية والتطبيق أو إذا شئنا الدقة: في القول والفعل، ومرجع هذا هو أن ديننا الحنيف قد أكد وشدد على ضرورة اقتران القول بالفعل، ومرجع هذا هو أن القول بلا فعل لا يمكن أن يؤدي إلى تحقيق الوضع الأمثل للمجتمع الإسلامي الفاضل الذي جاء الإسلام لبنائه.

تفشي الخلل في حياتنا

ويـوم أن كـان المسلمون مدركين لـضـرورة اقـتـران الـقـول بالفعل

انطلاقا من فقههم الواعي للآيات القرآنية الكريمة التي تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ (الصف:٢-٣).

صاغوا حضارة ناهضة أفرزت نتاجات وإنجازات حضارية هائلة ساعدت وبفاعلية على تحقيق النهوض والارتقاء الحضاري الإسلامي في جميع مناحي الحياة، ولكن بعد أن انبهمت روح الفقه الواعي لهذه الآيات الكريمة واصطبغت معالم الحياة الإسلامية في بعض مناحيها بعدم اقتران القول بالفعل، أدى ذلك إلى تفشي الخلل في بنية الحياة الإسلامية، مما يجعل هذا الملمح مظهرا بارزا من ملامح الاستلاب الحضاري الذي أدى إلى الفقدان الحضاري بين المسلمين المعاصرين.

وهكذا نرى أن الطفرة بين القول والفعل جعلتنا ننسى أو نتناسى أن الحضارة في حقيقتها ما هي إلا فعل ملموس في دنيا الناس وليست قولا يتفوه به الناس، وإن القول له دور محدود، هو كونه مجرد خلفية تنظيرية لتكوين الواقع الفعلي من خلال تجسيد ملامحه ومعالمه على أرض الواقع، أما إذا تعدى القول أو التنظير هذا الدور المحدد له فإن هذا سيكون سببا مباشرا في اتخاذ ما يمكن لنا تسميته بالانفصام الحضاري.

القرآن الكريم الرافد الأول لحضارتنا

وبعد أن تناولت بالدراسة والتحليل



«ملامح الاستلاب الحضاري» في واقع المسلمين المعاصرين، مما أدى إلى وجود ملامح لفقدان الوعي عندهم، فإنني أؤكد على حقيقة مهمة ألا وهي أن هذه الملامح هي من الكثرة بمكان مما يجعل من الصعب على مقالتي هذه الإحاطة بها كلها، لذا فإنني اقتصرت على اختيار نماذج لبعض هذه الملامح وسلطت عليها الأضواء الكاشفة تاركة لغيري من أبناء الإسلام الخالد تناول باقي هذه الملامح بالدراسة والتحليل.

ونظرا لأن للقضية شقا آخر مكملا للشق الأول، وأعني به وفق التنظير المنهجي «كيف يمكن لنا أن نحقق هذا الوعي؟» ومتى نتخلص من ملامح الاستلاب الحضاري الذي نغص علينا حياتنا وجعلنا نعيش في حالة من الذوبان في الآخرين.

وفي الواقع إن هذه الإجابة لابد أن تكون عناصرها مستلهمة من المناخ العام والخاص لهذه الأمة، فالمستقرئ لتاريخها يجد أنها كانت محققة وبفاعلية للوعي الإسلامي عندما كانت المنظومة الإسلامية تتكون في لحمتها وسداها في ضوء النسق الإسلامي الذي جاء لتكريم الإنسان، سواء كان ذكرا أو أنثى، مما جعل النسيج العام للمجتمع الإسلامي متناغما في وحدة عضوية قلما نجد فيها ثغورا، ومرجع هذا هو القرآن الكريم.

ومن منطلق كونه الرافد الأول لهذه الحضارة كان هو المنبع الصافي الذي ارتشف منه المسلمون كل القيم الحضارية المشعة التي أسهمت إسهاما حيويا في تشكيل حضارتهم تشكيلا أمثل، وذلك من خلال احترام هذا القرآن للعقل وتقديره للعلم، إزاء هذا فإنه لا مندوحة أمامنا إلا العودة الصادقة إلى المنابع الصافية لحضارتنا كما أثبت الواقع التاريخي لهذه الأمة فعالية ذلك.

ولن تكون لنا وضعية مميزة بين أمم الأرض إلا بفهم السمات الخاصة بهويتنا النافذة، وفهم ملامح ذاتنا التي يجب أن تكون متفردة حتى لا تذوب في الآخرين.

ويتسابق ذلك مع الفهم الواعي لروح العصر الذي نحيا فيه، خصوصا في إطاره العملي أو بلغة العصر الجانب التقني منه.

لذا، وبناء على ما سبق، فإن كيفية تحقيق هذا الوعي المفقود بين المسلمين المعاصرين ما هو إلا بمنزلة الهاجس الحضاري الذي يؤرق ضمير إبناء الإسلام في هذا العصر، وحتى يتسنى لنا الخروج من هذا المأزق الحضاري الذي نعاني منه فلابد أن يكون الوعي هو بمنزلة طوق النجاة، ولن يتحقق لنا هذا إلا بعودتنا الحميدة لأصالتنا الحضارية في إطار من الانفتاح الحضاري الهاضم لكل نتاجات الآخرين، هكذا يكون في مقدور أمتنا الإقلاع الحضاري المنشود لها نحو غد أفضل تحقق فيه الوعي بعناصر وجودها الحضاري متكاملة من دون فقدان الوعي بأهمية أي عنصر منها.



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي

التوازن والاعتدال.. شرط استقامة الشخصية

حينما يفقد الإنسان البوصلة التي يستهدي بها في طريقه، فإن من اليسير حينئذ أن يضل عن الجادة، وينحرف يمنة أو يسرة؛ فلا بد للمرء من علامات تحفظ له اتجاهه، وترشده إلى الصواب.

وكذلك الأمر في فهم القضايا والتعامل مع المشكلات؛ لابد من ميزان يضبط التصور، ويبين وجه الصواب، ويرشد للمبتغى؛ وإلا اختلت كفة الفهم والعمل زيادة أو نقصانا، إفراطا أو تفريطا..

ففي غياب المنهج الذي يحدد لنا المعيار والمقياس، ويكون لنا ميزانا ضابطا؛ يختل الفهم والعمل،

وينحرف الاعتقاد والسلوك، ولا يمكن للمرء حينها أن يتصف بالتوازن والاعتدال؛ فالنفوس تميل للثمرة العاجلة ولو كانت غير مشروعة، وتنفر من حملها على المشاق ولو كان في ذلك خيرها.. والحال هذه، لا بد من ميزان يحقق التوازن، ومعيار يكفل الاعتدال.

ميزان وعدل

لقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية «الميزان» في حياة الناس، وعبر عن ذلك بلفظ «الإنزال» الذي هو مستخدم أيضا في شأن الرسالات؛ للدلالة على رفعتهما وعلى أنهما من عند الله تعالى؛ فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد:٢٥). فالغاية من إرسال الكتب والرسالات ومن وضع الميزان، تحقيق القسط، وهو العدل.

جاء في تفسير ابن كثير: يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات. ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو: النقل المصدق. ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وهو: العدل. قاله مجاهد وقتادة وغيرهما. وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة. ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالحق والعدل[1].

أصحاب الفكر المتطرف خرجوا عن حد التدين إلى التشدد

فالكتاب والميزان يحققان العدل والاستقامة، بما يعين على تحقيق التوازن والاعتدال؛ فلا ميل يمينا أو يسارا.

واللغة أيضا تشهد لهذه العلاقة بين الميزان والعدل، والتوازن والاعتدال. ففي (مقاييس اللغة): الواو والزاء والنون: بناء يدل على تعديل واستقامة: ووزنت الشيء وزنا. والزنة قدر وزن الشيء؛ والأصل وزنة. ويقال: قام ميزان النهار، إذا انتصف النهار. وهذا يوازن ذلك، أي هو محاذيه. ووزين الرأي: معتدله. وهو راجح الوزن، إذا نسبوه إلى رجاحة الرأي وشدة العقل[2].

فثمة علاقة لغوية ومفاهيمية بين الميزان والعدل، والتوازن والاعتدال؛ وهي جميعها صفات للعقل المستقيم، الذي لا زيغ فيه ولا هوى.

لماذا نحتاج إليهما؟

الإنسان خلق من روح ومادة، ولكل منهما طبيعته ومتطلباته؛ ومن دون ميزان وتوازن من السهل أن ينحرف الإنسان ناحية أحدهما؛ إغراقا في الروحانية أو انغماسا في الشهوات والملذات.. ولهذا نحن بحاجة إلى التوازن والاعتدال؛ حتى نقوم بمتطلبات الروح والجسد معا بلا تقصير أو مجاوزة.

ونحتاج أيضا للتوازن والاعتدال لأنهما يدلان على استقامة الشخصية، واتصافها بالأخلاق الحميدة؛ فإن الشخصية غير المستقيمة تتطرف في ناحية من النواحي، وتخرج عن الحد المقبول فيما تفعله؛ فهي شخصية غير متوازنة وغير معتدلة.

فالشخص البخيل مثلا قد خرج عن حد التدبير إلى المنع، والمبذر قد خرج عن حد الإنفاق والكرم إلى الإسراف، والجبان قد خرج عن حد التحوط إلى الإحجام، والمتهور قد خرج عن حد الشجاعة إلى التهلكة.

ولهذا نجد أن أصحاب الفكر المتطرف قد خرجوا عن حد التدين إلى التشدد، ففقدوا الميزان والتوازن، وضاع منهم معيار العدل والاعتدال. وفي المقابل، نجد العصاة قد خرجوا عن حد إشباع الحاجات النفسية والجسدية إلى الانهماك فيها، ولم يقنعوا بالقدر المقبول شرعا وعرفا من هذا الإشباع؛ حتى أرخوا لأنفسهم العنان، وفقدوا الميزان.

في القرآن الكريم

إذا تأملنا آيات القرآن الكريم وجدنا أنه يحثنا في مواضع عديدة على أن نتحقق بالتوازن والاعتدال، ورأينا أنه يسلك في ذلك مسلكا عمليا من خلال ربط التوازن والاعتدال بأمثلة تطبيقية واقعة في الحياة والسلوك.

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ



﴿يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء:٢٩). أي لا تكن بخيلا منوعا لا تعطي أحدا شيئا، ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك، فتقعد إن بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك؛ فمتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسير، وهو الدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا، فإنها تسمى الحسير[٣].

وقال تعالى أيضا: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧). أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة. ولا تنس نصيبك مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح؛ فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، فآت كل ذي حق حقه(٤).

وعلى هذا المنوال نستطيع أن نفهم تشريعات الإسلام وتوجيهاته؛ فهي تراعي حاجات الفرد وضرورات المجتمع، وتنطلق من آفاق الروح ومتطلبات الجسد، وتتجه صوب العمران في الدنيا والنجاة في الآخرة..كل ذلك في توازن واعتدال.

في السنة النبوية

لقد جاءت حياة النبي ﷺ، القولية والعملية، لتضع لنا نموذجا فيما ينبغي أن نكون عليه من توازن واعتدال؛ فهو ﷺ قد ضرب لنا الأسوة والقدوة في المجالات كافة، وفي جميع مراحل الإنسان وعلاقاته؛ فكان نعم الزوج والأب والمربي والداعية والقائد. ولم تشغله حياته الخاصة عن واجباته العامة، ولا الثانية عن الأولى؛ وقام بالبلاغ والدعوة في كل أمر كأنه قد تفرغ له تماما، وبحيث لا يطغى أمر على أمر آخر.

بل جعل النبي ﷺ هذا الاعتدال والتوازن داخلا في سنته، أي طريقته؛ فقال ردا على النفر الذين أرادوا أن يسلكوا اتجاهات من التبتل ويوغلوا فيها، رغبة في الإكثار من فعل الخير وعمل الصالحات: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد،

وأتـزوج النسـاء؛ فمن رغـب عن سنتي فليس مني»[٥].

قـال ابـن حـجر: «المـراد بالسنة الطريقة، لا التي تقابل الفرض. والرغبة عن الشـيء: الإعـراض عنه إلى غيره. والمـراد: من ترك طريقتي وأخـذ بطريقة غيري، فـليس مـني. ولـمح بـذلـك إلـى طريق الرهبانية؛ فإنهم الذين ابتدعوا التشديد، كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التمزموه. وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة؛ فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل»[٦].

فطريقة النبي ﷺ اعتدال وتوازن كلها؛ سواء في سلوك الإنسان مع ربه تعالى، أو مع نفسه، أو مع الآخرين.

من دلائلهما

إذا كان للتوازن والاعتدال دلائل كثيرة، نظرية وعملية، يمكن من خلالها معرفة مدى تحققنا بهذه الصفة المهمة؛ فيمكن أن نشير إلى أن من أهم هذه الدلائل:

- عدم الميل للتبسيط أو الجنوح للتعقيد: فالبعض قد يميل بصفة مستمرة للتبسيط، أي الأخذ في الاعتبار جانبا واحدا فحسب، أو الاكتفاء بالظواهر.. في مقابل من يميل للتعقيد، والإثقال على النفس حتى تضجر. أما التوازن فيتجنب كلا الموقفين، ويبذل ما وسعه البذل للتعامل بجدية مع الأمـور دون إرهـاق للنفس، أو إخلال بما هو مطلوب منها.

- عـدم الإفـراط في التفاؤل أو الوقوع في وهـدة التشاؤم: لقد كان النبي ﷺ وسلك يحب الفأل الحسن؛ فهو يترك أثرا طيبا على النفس وانشراح الصدر، ولكن مع اتخاذ الأسـباب وعـدم التقصير فيها. والنفس السوية تـدرك أن التشاؤم يكبل الإنسان عن التفكير فيما يجب، بل وعن اتخاذ ما هو ممكن لـه؛ فتضيع منه الفرص، ويقع أسير مخاوفه.. لهذا، نحتاج إلى التوازن والاعتدال بين التفاؤل المفرط والتشاؤم المقعد.

لا بـد مـن تـرك مسـاحـة مـرنة لاسـتـيـعـاب المتغيرات والتعامل مـع مـا يـستجد

- تعود التخطيط مع شـيء من المرونـة: يحتاج المـرء في حياته إلى أن يتعود التخطيط، حتى يبلغ هدفه ويحقق أمله. والتخطيط الجيد لا بد أن يترك مساحة مرنة لاستيعاب المتغيرات والتعامل مع ما يستجد. أما تـرك التخطيط أصلا، أو محاولة الاحتياط المبالغ فيـه لـكل أمـر؛ فهـذا يبعد عن التوازن، ويوقع النفس في الحرج.

- عـدم التساهل مع المعصية أو التقنيط: فهذا موقف يحتاجه الدعاة وهم يتعاملون مع جمهور المدعوين؛ لأننا قد نرى من يتساهل في المعصية ويبالغ في التسامح، حتى ليشجع على المخالفة.. في مقابل من يقنط الناس من رحمة الله، ويشدد عليهم، وينشغل طول الـوقت بـالحكم علـى الآخـريـن. لكن الداعية يتعامل مع الناس كالطبيب، يقدم لهم الدواء بإشفاق ورغـبة فـي الـشفـاء وطـمعـا في النجاة، لا حرصا على تخطئتهم وهلكتهم.. فلا نجرئ الناس على المعصية، ولا نقنطهم من رحمة الله تعالى. جاء عن علي بن أبي طالب: الفقيه حق الفقيه؛ من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله[٧]. وقال سفيان بن عيينة: من ذهب يقنط الناس من رحمة الله، أو يقنط نفسه؛ فقد أخطأ[٨].

تلك كانت مكانة التوازن والاعتدال في حياة المسلم، وموقعهما من استقامة الشخصية، ومن حسن الفهم والعمل؛ سـواء في علاقة المـرء بـخـالـقـه سـبـحـانـه، أو مع نفسه، أو الآخرين.

الهوامش

١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٢٧، دار طيبة، ١٩٩٩م، تحقيق: سامي سلامة، باختصار.
٢- مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/١٠٧،، دار الفكر، ١٩٧٩م، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون.
٣- تفسير ابن كثير، ٥/٧٠.
٤- تفسير ابن كثير، ٦/٢٥٣.
٥- صحيح البخاري، حديث رقم (٥٠٦٣). صحيح مسلم، حديث رقم (١٤٠١).
٦- فتح الباري، ٩/١٠٥.
٧- مسند الدارمي، عن يحيى بن عباد عن علي، ١/ ٣٣٨، رقم (٣٠٥)، وقال المحقق حسين الداراني: في هذا الإسناد علتان؛ الأولى: ضعف ليث بن أبي سليم، والثانية: الانقطاع، يحيى بن عباد بن شيبان لم يدرك عليا فيما نعلم.
٨- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ٧/٢٢٦٨، برقم (١٢٤٠٦).



عبدالرحمن سعد
صحافي وباحث

التوازن «الصحي» في حياة الرسول ﷺ

جانب متفرد من حياة الرسول ﷺ، هو التوازن في الجانب الصحي، جسد فيه، عليه الصلاة والسلام، القدوة للبشرية، بتطبيقه سائر التدابير والعادات الصحية السليمة، التي تضمن للمرء، أيا كان معتقده الديني، أفضل سبيل لحياة صحية مثالية قائمة على الاعتدال، وعدم التكلف، وحسن توظيف نعم الله عليه من جهاز مناعي، ودم نظيف، وعظام متينة، وهيكل جسدي لا مثيل له.

إرث حضاري هائل تركه الرسول ﷺ، بعادات صحية رشيدة كان يحرص على اتباعها باعتبارها نمطا حياتيا معتدلا له. وقد أثبت العلم الحديث جدارتها بالتطبيق، ونفعها للبشر، مما يحول بينهم وبين الوقوع في براثن الأمراض المهلكة، و«الفيروسات» الفتاكة، متضمنا كيفية التعامل مع الطعام والشراب، والامتناع عنهما (الصوم)، وتجويد النوم واليقظة، ومواجهة أي مرض، وسبل الوقاية منه، مما تشتد حاجة البشرية إليه، في كل عصر، ومصر.

القوة الصحية لها الأولوية

البداية من «القوة» التي أمر الإسلام أتباعه بالأخذ بها، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي، ﷺ: «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير» (رواه مسلم). واتفق العلماء على أن القوة المقصودة هنا تشمل سائر وجوهها: قلبية وبدنية وإيمانية ونفسية.. إلخ.

من هذا المنطلق رأينا تشديد النبي ﷺ، على أهمية الصحة، باعتبارها الركيزة الأساسية للقوة، وكونها نعمة ثمينة لا يشكرها كثير من الناس.

ففي الحديث عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة، والفراغ» (رواه البخاري). و«مغبون» من الغبن، وهو النقص والخسارة.

ما الحل؟

نصح رسول الله ﷺ، باغتنام خمس قبل خمس، منها: «صحتك قبل سقمك».

فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «قال رسول الله ﷺ، لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك». (صححه الألباني في «صحيح الجامع»، و«صحيح الترغيب والترهيب»).

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل». وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» (رواه البخاري).

قال الحافظ ابن حجر: «قوله خذ من صحتك.. إلخ».. أي: اعمل ما تلقى نفعه بعد موتك، وبادر أيام صحتك بالعمل الصالح؛ فإن المرض قد يطرأ فيمتنع من العمل فيخشى على من فرط في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد» (فتح الباري: ١١/ ٢٣٥).

هذا على الرغم من أن المرء مسؤول

عن «جسمه فيم أبلاه»؛ فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ماذا عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟» (صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»).

الهدي النبوي في تناول الطعام

وضع الرسول ﷺ، قواعد صحية تقي أمته من أمراض الطعام والشراب، تقوم على منعها من المبالغة في تناولهما، أو بلوغ حد امتلاء البطن، أو الشبع، أو التخمة، أو الإصابة بضيق النفس، أو تأثر بقية الأعضاء سلبا.

لقد جعل قوته ﷺ، «أكلات» أو «لقيمات»، «يقمن صلبه»، بحسب تعبيره البليغ، محذرا أمته من خطورة «ملء البطن»، وهي عادة انتشرت للأسف في الآونة الأخيرة بين بعض أبنائها، مخالفة بذلك المنهج النبوي الرشيد.

قال ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»).

إن أقل الطعام يكفي المسلم، وهو ما أشار إليه الحديث النبوي. فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلا كان يأكل كثيرا فأسلم فكان يأكل أكلا قليلا، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «المؤمن يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء» (رواه مسلم).

قارن هذا بأرقام عام ٢٠١٣م التي تقول إن نحو ٢,١ مليار بالغ في العالم من زيادة الوزن، مقارنة بنحو ٨٥٧ مليونا فقط عام ١٩٨٠م، وإن عدد الأشخاص الذين يعانون من البدانة حاليا أكبر من عدد الذين يعانون من نقص الوزن (جريدة «الشرق الأوسط» ٦ ديسمبر ٢٠١٩م).

الهدي النبوي في تناول المشروبات

كان رسول الله ﷺ، يتبع عادة صحية سليمة هي كثرة شرب الماء، فكان يشربه أحيانا خالصا، وأحيانا مخلوطا مع غيره، كما كان يحرص على شرب أطيبه، لا سيما من آبار المدينة. قال أنس: «كان النبي ﷺ، يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب» (يقصد «بيرحاء» بالمدينة) (رواه البخاري).

وكان الرسول ﷺ، كذلك، يرسل من يأتي له بالماء العذب «من بيوت السقيا» (عين بينها وبين المدينة يومان سيرا بالجمال، ذكره ابن حجر في «الفتح»)، كما كان ينقل له ماء زمزم من مكة، وهو في المدينة.

كذلك كان ﷺ، يشرب النبيذ، وهو ماء يجعل فيه التمر أو الزبيب، ثم يشربه بعد أن يكون حلوا بتحلل التمر أو الزبيب فيه. فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ، ينقع له الزبيب، فيشربه اليوم والغد وبعد الغد إلى مساء الثالثة، ثم يأمر به، فيسقى أو يهراق» (رواه مسلم).

كما كان ﷺ، يشرب الماء مخلوطا بالسويق، فيفطر عليه. و«السويق» بر أو شعير يحمص، ثم يخلط مع تمر، أو غيره.

النبي ﷺ، كان، أيضا، يشرب كلا من: اللبن والعسل (خالصا أحدهما أو مخلوطا بالماء)، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ، يحب الحلواء والعسل» (رواه البخاري ومسلم).

وقد كان من هديه الشرب قاعدا، ونهى عن الشرب قائما، كما نهى عن التنفس في الإناء. عن أبي قتادة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شرب أحدكم، فلا يتنفس في الإناء» (رواه البخاري).

استحباب النبي كثرة الصوم

كان رسول الله ﷺ، يكثر من الصوم، بخلاف صوم الفريضة في رمضان، وهو ما يوصي به خبراء التغذية في الوقت المعاصر، مطلقين عليه وصف «الصوم المتقطع: Intermittent Fasting»، أو صوم «الحمية الكيتونية: Ketogenic Diet».

الأول يرتكز إلى الامتناع عن تناول الطعام لوقت محدد، قرابة ١٦ ساعة في اليوم، على أن يتم تناول المأكولات في الساعات الثماني المتبقية، بينما يرتكز الثاني إلى تناول النشويات بكمية قليلة جدا، مع البروتينات والدهون بنسبة معتدلة، والالتزام بقائمة من الخضراوات والفواكه، والأجبان، والألبان، واللحوم، والأسماك.

وفي كلتا الحالتين، هو صوم عن الطعام الذي يثقل الجسم، ويزيد الوزن، ويمثل عبئا على البدن؛ تجنبا للبدانة التي لم تعتبرها منظمة الصحة العالمية «وباء عالميا» رسميا إلا في عام ١٩٩٧م.

في هذا الصدد يأتي ترغيب النبي ﷺ، في الصوم بمنزلة حبل نجاة لكل من يعاني من السمنة، فضلا عن وقاية البشر من آثارها السلبية.

كان رسول الله ﷺ، يكثر من الصوم، بخلاف صوم الفريضة في رمضان



فقد قال ﷺ: «من صام يوما في سبيل الله، باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا». (رواه مسلم، عن أبي سعيد الخدري).

فسر العلماء «المباعدة» هنا بأن الله، سبحانه، ينجي الصائم من النار، ويعافيه منها، فيما ذكر الحافظ ابن حجر أن سبب ذكر الخريف أنه أزكى الفصول، وزمن نضج الثمار، وحصاد الزرع، وسعة العيش (جلال الدين السيوطي: «التوشيح شرح الجامع الصحيح»).

روايتان أخريان وردتا للحديث، منها أن النبي، عليه الصلاة والسلام، قال: «من صام يوما في سبيل الله عزوجل باعد الله منه جهنم مسيرة مئة عام» (رواه الألباني، في صحيح النسائي، عن عقبة بن عامر).

والرواية التالية عن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا كما بين السماء والأرض» (رواه الألباني، في صحيح الترمذي، عن أبي أمامة الباهلي).

وطبقا لما رواه أبو أمامة رضي الله عنه، أيضا؛ فقد جعل الله، تبارك وتعالى، الصوم من أفضل الأعمال التي لا يعدلها شيء. قال: «أتيت رسول الله ﷺ، فقلت مرني بأمر آخذه عنك قال عليك بالصوم، فإنه لا مثل له» (رواه الألباني، في صحيح النسائي، عن أبي أمامة الباهلي).

والأمر هكذا، كان رسول الله ﷺ، يتحرى صيام يومي الإثنين والخميس. وكان لا يفطر أيام البيض (الثالث والرابع والخامس عشر من وسط كل شهر هجري)، وكان يحض على صيامها. وكان يتحرى صوم يومي عاشوراء وعرفة، وستة شوال. وما استكمل صيام شهر غير رمضان، وما كان يصوم في شهر أكثر مما كان يصوم في شعبان، ولم يكن يخرج عن شهر حتى يصوم منه.

النوم المبكر.. وعدم سهر إلا لضرورة قلة النوم ليلا، واللجوء إلى السهر؛ هو مما ابتليت به البشرية اليوم. وقد أشار تقرير نشره الموقع الأميركي «university health news» إلى دراسة حديثة أكدت أن قلة النوم تؤدي إلى اختلال التنفس، وانخفاض الوظائف المعرفية، وفقدان الذاكرة، والإصابة بالاكتئاب، مقترحة حلولا عدة للقضاء على هذه العادة السيئة، أبرزها إعادة النظر في الجدول الزمني الخاص بعادات الشخص، وتحديد أولوياته اليومية، وأهمها: «النوم المبكر» (جريدة «اليوم السابع»: ٢٠ سبتمبر ٢٠١٧م).

لقد التزم رسول الله ﷺ، طيلة عمره بهذا النوم المبكر، فلم يسهر ليلا لغير ضرورة، إذ كان من دأبه: «أن ينام أول الليل بعد العشاء، ويقوم آخره»، وفقا لحديث البخاري، عن أبي برزة، أن رسول الله ﷺ: «كان يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعدها».

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ، قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوما، ويفطر يوما».

ووصف ابن القيم، نومه، عليه الصلاة والسلام، في كتابه «زاد المعاد»، بأنه أنفع نوم للجسد»، مضيفا أنه «كان

يأخذ كفايته من النوم، فكان إذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذي يستيقظ». ويعلق على ذلك بالقول: «من تدبر نومه ويقظته ﷺ، وجده أعدل نوم، وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينام أول الليل، ويستيقظ في أول النصف الثاني، فيقوم ويستاك، ويتوضأ ويصلي ما كتب الله له، فيأخذ البدن والأعضاء، والقوى حظها من النوم والراحة، وحظها من الرياضة مع وفور الأجر، وهذا غاية صلاح القلب والبدن، والدنيا والآخرة» (زاد المعاد).

والأمر هكذا، يؤكد خبراء النوم ضرورة حصول الجسم على سبع إلى تسع ساعات من النوم يوميا، تجنبا لحدوث نوبات قلبية وسكتات دماغية، وأن يكون أكبر معدل للنوم ليلا، مما يؤدي إلى مردود إيجابي، فيما يتعلق بالصحة العقلية، وزيادة معدل الذكاء، وإفراز السيروتونين.

ووفقا لتقرير موقع نشره «thegood body» تشمل الفوائد الصحية للنوم السليم: تقليل مخاطر الأمراض، ومشاعر القلق والاكتئاب، والحفاظ على صحة القلب والوزن، وتقوية نظام المناعة، والوقاية من التعرض للأمراض النفسية، وتحقيق الرشاقة، وتنظيم معدل السكر بالدم، وحفظ صحة العينين، والحماية من ضغط الدم المرتفع، والتخلص من سموم الدم، وحماية الجهاز الهضمي، وتحفيز عمل الدماغ، وزيادة القدرة على التفكير وقوة الذاكرة، والحماية من «الزهايمر».. إلخ.

فقه التداوي والتعامل مع المرضى

يحتفل العالم يوم ٢٨ فبراير (شباط) من كل عام، باليوم العالمي للأمراض النادرة، وتقول الأرقام إن واحدا من كل ٢٠ شخصا سيعيش مع مرض نادر في مرحلة ما من حياته.

كتاب «الطب النبوي»؛ لابن القيم، أفضل كتاب موسوعي استوعب الأمور الطبية

ووفقا لمنظمة الأمراض النادرة (NORD)، يوجد نحو ٣٥٠ مليون شخص مصاب بمرض نادر في جميع أنحاء العالم من الرجال والنساء والأطفال وكبار السن. وفي الولايات المتحدة، يعتبر المرض نادرا إذا أصاب أقل من مئتي ألف من السكان، وهناك ٢٥ - ٣٠ مليون أميركي يعيشون مع مرض نادر.

كما أن هناك أكثر من ستة آلاف مرض نادر ومزمن تم تحديده حول العالم، تؤثر على ٣,٥ في المئة من سكان العالم، ما يعادل عدد سكان ثالث أكبر دولة في العالم، الولايات المتحدة (جريدة «الشرق الأوسط»، ٢٦ فبراير ٢٠٢١م).

من هنا تأتي أهمية وصية النبي ﷺ، لأمته بالتداوي من الأمراض، إذ قال أسامة بن شريك رضي الله عنه: «قالوا (الأعراب): «يا رسول الله، هل علينا جناح» (أي: إثم)، «ألا نتداوى؟»، قال: «تداووا عباد الله، فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء، إلا الهرم» (كبر السن والشيخوخة)، قالوا: يا رسول الله ما خير ما أعطي العبد؟ قال: خلق حسن» (أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» واللفظ له).

وبينما ارتفعت حصيلة الوفيات من جراء تفشي وباء «كورونا»، حتى ٢٨ فبراير ٢٠٢١م، إلى مليونين و٥٣٦ ألف وفاة حول العالم، وفيما تحاول دول العالم مجابهة المرض عبر أكبر إجراءات للعزل الصحي والتباعد الاجتماعي، شهدها تاريخ البشرية؛ فقد سبق الإسلام العلم الحديث إلى الأخذ بها في مواجهة مثل تلك الأمراض المعدية.

إذ أمر رسول الله ﷺ، بما يسمى اليوم بـ«العزل الصحي» في مواجهة مثل تلك الجوائح؛ فقال: «لا يوردن ممرض على مصح» (البخاري). وقال: «فر من المجذوم كما تفر من الأسد» (البخاري)، ناهيا في الوقت نفسه عن التداوي بالخمر، والخبيث.

كما أرشد، ﷺ، إلى أطعمة تزيد مناعة المرء، فقال: «من تصبح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم، ولا سحر» (رواه مسلم).

وقال: «التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن» (البخاري). و«التلبينة» حساء متخذ من دقيق الشعير بنخالته.

وقال: «عليكم بهذه الحبة السوداء؛ فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام» (صحيح ابن ماجه للألباني).

كتب «الطب النبوي»

يعتبر كتاب «الطب النبوي»؛ لابن قيم الجوزية، أفضل كتاب موسوعي استوعب الكثير من الأمور الطبية النبوية؛ علاوة على كتاب «الطب النبوي»؛ لعبدالملك بن حبيب الأندلسي الألبيري، وكتاب «الأربعين الطبية»؛ لعبد اللطيف بن يوسف البغدادي.

وحديثا تعد «الموسوعة الطبية الفقهية»، من أهم الكتب الإسلامية الطبية الحديثة، فيما أصدر الدكتور حسن الشافعي، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، في شوال الماضي (١٤٤١هجريا)، كتيبا بعنوان: «الأربعون الصحية من الأحاديث النبوية»، جمع فيه أربعين حديثا نبويا، يتناول أبرز شؤون الصحة والمرض والتداوي.

د. آندي حجازي
علم النفس التربوي



المسلم بين الاعتدال والتوازن

خلق الله سبحانه وتعالى الكون كله بتوازن وأبدع كل شيء بمقدار، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر:٤٩). فهذا الكون يسير بدقة متناهية في كل ذرة من ذراته وحتى في أجرامه السماوية تسير بأفلاك عظيمة متناهية الدقة لا يمكن أن تختل إلا بإرادة الله تعالى، فخالق الكون قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء:٣٣)، فلو انحرف كوكب أو نجم أو مجرة عن مسارها لتغير الكون ولأدى لاصطدامات مدمرة. والمتأمل في الكون والكرة الأرضية يرى التوازن في الألوان والمخلوقات والمناظر والتضاريس الطبيعية وأصناف البشر، فكل بلد أو منطقة تمتاز بميزات مختلفة تميزها عن غيرها وتتكامل مع بقية البلدان، فما ينقص هذا البلد تجده في ذاك من حيث الخيرات والموارد الطبيعية وهذا من التوازن الطبيعي على المعمورة.

والإنسان العاقل بطبيعته يتعلم من هذا الانسجام والتوازن والدقة في الكون، ما ينعكس على أمور حياته فيصبح متوازنا في شؤون حياته في مأكله وملبسه وشرابه وعبادته وعمله وجل أموره.

والمسلم مطالب بالتوازن في كل شأن بحياته مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ..﴾ (البقرة:١٤٣). فمثلا إن أكل لا يسرف في طعامه؛ فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه، كما أوصى رسول الله ﷺ للتوازن في الأكل.

الاعتدال في الإنفاق

المسلم الواعي لا ينفق المال الكثير على طعامه أو على الشراء من المطاعم، أو على الشراء للحاجيات من أفخم الماركات العالمية من أجل التباهي والتفاخر في زخرف الدنيا، وإنما ينفق بقدر حاجته ويقدم بعضا من ماله للفقراء والمحتاجين مما أنعم الله عليه وتفضل، فلا هو بخيل على نفسه وأهله وأقاربه وأبناء مجتمعه المحتاجين بخلا مقيتا مذموما، ولا هو مسرف إسرافا مترفا مكروها عند الله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء:٢٩) وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ (الأعراف:٣١). ونتذكر كيف كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي ذات العدد طاوي البطن.

ومن صفات عباد الرحمن التي امتدحها الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان:٦٧)

فالمسلم معتدل في نفقاته؛ ليس كما نرى اليوم التباهي بالدنيا بالقصور والبيوت وزخرفها وبالأثاث للبيوت وبكل مقتنيات الشخص من سيارات وملابس وأحذية وساعات ثمينة، فليس لهذا خلقنا الله تعالى.. وعندما جاء أبو عبيدة بمال الجزية من البحرين وفرح بها بعض الصحابة من الأنصار فقال لهم ﷺ: «أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم الدنيا أن تبسط عليكم كما بسطت على من كان من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[1]. فانظر إلى خطورة التنافس في الدنيا والإسراف بها.

فالتوازن بين الحياة الدنيا والآخرة هو الأساس وهو المرغوب كما في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧) فهذا كان في قصة قارون الذي آتاه الله كنوزا هائلة حتى إن مفاتيحها لتنوء بحملها الرجال أولي القوة والبأس؛ ولكنه أسرف ومنع الفقراء وتكبر واستعلى وأفسد في الأرض بماله وكان مثالا للترف والتبذير والإسراف والإفساد وحب الدنيا، ولم يقبل النصح والإرشاد للاعتدال بالإنفاق وطاعة الله ومساعدة الفقراء؛ حتى خسف الله به وبداره الأرض لأنه نموذج سيء لمن آتاه الله النعمة ولم يحسن استغلالها وأداء حق الله تعالى بها وشكرها.

التوازن بين العبادة وإعمار الأرض

والمسلم معتدل حتى في عبادته، فالله

عزوجل خلقه من أجل العبادة لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، ولكن في ذات الوقت خلق الإنسان لإعمار الكون، وسخر هذا العالم من أجل الإنسان فكل مقدرات المعمورة هي مسخرة من أجل البشر ومن أجل استثمارها والاستفادة منها، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:١٣)

ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ حث على التوازن بين العبادة وبين العمل والإعمار، فاستمع لهذا الحديث الجميل المليء بالعبر، فعن أبي محمد عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «أخبر النبي ﷺ أني أقول: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: فلا تفعل: صم وأفطر، ونم وقم فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر، فشددت فشدد علي، قلت: يا رسول الله إني أجد قوة، قال: صم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه قلت: وما كان صيام داود؟ قال: نصف الدهر، فكان عبدالله يقول بعد ما كبر: ياليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ»[٢].

فالتوازن هو المطلوب في حياة المسلم، فلا إفراط ولا تفريط حتى في العبادة، لأن خير الأعمال أدومها وإن قل، حتى يستطيع الإنسان الاستمرار عليها، وتأملوا معي كيف وجه رسول الله ﷺ الصحابي المذكور لمعرفة حقوق الآخرين وحقوق النفس والتوازن بينها وإيتاء كل ذي حق حقه.

التوازن والاعتدال في المشاعر والسلوكات

وحتى في مشاعرنا تجاه الآخرين المطلوب فيها الاعتدال فلا نسرف في الحب ولا في الكره، لأن الكره الشديد سيؤدي للحقد والغيبة والنميمة والانتقام والقطيعة والتناحر. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أحبب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما»[٣]. ومن الجميل للإنسان أن يظهر مشاعر الحب تجاه الآخرين كأبنائه ووالديه وإخوته وأقاربه وأصدقائه، ويشعرهم بالمودة والقرب لما له من انعكاس على التعامل معهم. ولكن الإسراف في الحب الذي نقصده قد يؤدي أحيانا لعدم العدل على سبيل المثال بين الأبناء كالأب يحب أحد أبنائه أكثر من الآخرين فيعطيه من ماله أكثر من إخوته مما يؤدي للضغينة والقطيعة بينهم.

وحتى في سلوكاتنا المعاصرة اليومية فالمطلوب هو الاعتدال، فلا نبالغ في قضاء الساعات على الأجهزة المحمولة والشاشات ومواقع التواصل الاجتماعي مهملين الصلاة وحقوق الوالدين والأبناء وصلة الرحم والواجبات كالعمل والدراسة وغيرها. وكذلك لا نبالغ بردود أفعالي تجاه المواقف كاستخدام العنف والصراخ وتوجيه الاتهامات عند الانفعال! ولا نعاتب الآخرين على أصغر السلوكات والأخطاء المقصودة وغير المقصودة! وحتى في ضحكنا ومشينا وتفاعلنا مع الناس وكلامنا وصوتنا كلها تحتاج للاعتدال، فمثلا كان رسول الله ﷺ يضحك تبسما دون قهقهة. وكذلك لا أجمل من وصايا لقمان لابنه في هذا الجانب السلوكي المعتدل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾ (لقمان:١٨-١٩).

التوازن والاعتدال في التربية

الاعتدال والتوازن في التربية أثبتت أهميته جل الدراسات التربوية وهو مطلوب جدا من الوالدين في تعاملهم مع أبنائهم، فلا يقسو الوالدان على أبنائهم فيوسعونهم ضربا أو صراخا أو إهانة أو إهمالا واحتقارا؛ فيخرجونهم للمجتمع أبناء معوقين نفسيا أو منعزلين أو محبطين أو عدوانيين، ولا يفيضون عليهم من الدلال الزائد الذي يفسد الأبناء ويجعلهم يستصغرون كل كبيرة ويفعلون ما بدا لهم دون أن يحسبوا حسابا لأي شيء أو عرف او أحد، فيخرجون للمجتمع متكبرين مبذرين متعالين على الآخرين لايقدرون النعمة ولا جهد الآخر. فلا هؤلاء نموذج صالح ولا هؤلاء وإنما الاعتدال في التربية هو المراد.

الهوامش

١- رواه البخاري في صحيحه، حديث (٣١٥٨).

٢- أخرجه البخاري في صحيح البخاري (٣٤١٨). ومسلم في صحيح مسلم (١١٥٩).

٣- أخرجه الترمذي في صحيح الترمذي حديث (١٩٩٧)، حديث صحيح. وأورده السيوطي في الجامع الكبير، حديث (٢٢٢)، حديث حسن.



مياسة النخلاني
باحثة وقاصة يمنية

مشاعر متوازنة.. علاقات مترابطة

تتنامى كثير من مشاكلنا النفسية والعاطفية حين نحيد عن الوسطية والاعتدال، وننجرف نحو المبالغة، المبالغة بالحب، بالعطاء، بالتعلق، والمبالغة بالتحمل، لكن لماذا تعد هذه مشكلة رغم أنها كلها مشاعر إيجابية وجميلة؟! ببساطة لأن الكثير من الشيء يعني الكثير وربما الضعف من نقيضه، فحين نبالغ بحبنا سيكون الكره بنفس الدرجة وربما أكثر، وحين نبالغ بالعطاء حتما سنبالغ بالمنع، وحين نبالغ بالتعلق سنبالغ بالقطيعة، وحين نتحمل أكثر من طاقتنا سننفجر في لحظة ما ونصبح شديدي الانفعال وغير قادرين على تحمل المزيد وهكذا.

حينها وبدلاً من أن نبقى على علاقات سليمة ومتوازنة مع أنفسنا ومن حولنا، سيطرأ على علاقاتنا خلل يؤثر على اتزان ترابطنا مع المحيط حولنا، وأحيانا اتزان أفكارنا وعواطفنا وربما قراراتنا. من كان قريبا منا سيصبح أبعد الناس إلينا، والحليف قد يصبح عدوا شديد الفتك بنا، ومن بدأنا معه طريقا محوريا في حياتنا ستفترق طرقنا في نقطة حاسمة، لنجد أننا مضطرون إما على الافتراق والعودة إلى نقطة البداية، أو حرف المسار لاتجاه لم نرغب به يوما، أو -وهو الأسوأ- مواصلة الطريق مع من أصبحنا نؤمن أنه الشخص الخطأ في حياتنا.

وبسبب هذه المبالغة في مشاعرنا وعلاقاتنا نخلق لأنفسنا محيطا يعوزه التماسك والترابط، يظهر النفاق مكان الشفافية والصدق، والفتور مكان العلاقات المتينة، والمشاحنات والمكائد الخفية مكان التعاون والانسجام، فيصبح الظاهر عكس الباطن. وبدلا من الانشغال بما يفيدنا ويفيد من حولنا، سندرك أننا نهدر الكثير من الوقت والجهد في معترك مشاعر سلبية من الغضب والكره والنفور، والتي تستنفد طاقتنا وربما حماستنا وشغفنا.

قد نظن أننا بعيدون عن هكذا علاقات أو مشاعر -ويفترض أن

نكون كذلك، فديننا الحنيف أمرنا بالاعتدال والوسطية في كل مجريات حياتنا حتى في عباداتنا- لكننا ودون أن ندرك ننحرف على هذا المسار، لنجني في لحظة ما إسرافنا في مشاعرنا وعلاقاتنا، بداية من البيت للمدرسة وللعمل وحتى العلاقات الاجتماعية الدائمة والطويلة.

فحين يبالغ الأبوان بالاهتمام الزائد وإظهار مشاعر الحب والعطاء اللامحدود لأطفالهما، سيكبر الأطفال وهم مؤمنون إيمانا تاما وعلى يقين بأن هذا الحب المبالغ فيه هو حق من حقوقهم، وأمر مفروغ منه، ولا مجال للتقصير فيه أو التقليل من درجته بغض النظر عن وضع الجانب الآخر، لأنهم تعودوا على الأخذ دون موازنة بين الأخذ والعطاء، بين الحب والتوجيه، بين ما لك وما عليك، وبين أن أكون أبًا لك وشخصا لي مشاغلي واهتماماتي الخاصة بي.

يدخل الأبوان أو أحدهما في زوبعة من المشاكل أو ضغوط الحياة التي لابد وأن تواجههما خاصة حين يكبر الأطفال وتزيد مسؤولياتهم ومشاكلهم ومتطلباتهم، ودون إرادة منهما يحدث شيء من التقصير وربما الإهمال غير المقصود.

بعقولهم الصغيرة لن يفهم الأطفال مشاكل الحياة، وأن هذا الابتعاد ليس فتورا، وأن لحظة الغضب ليست كُرها، وأن الانشغال ليس تقصيرا. لكن حتما سيشعرون أن حب آبائهم قد تناقص، لم يعودوا يحصلون على العناق الطويل، أو القبلات الدافئة، لم تعد قلوب الكبار تتسع لشكاويهم الطفولية أو رغبتهم الملحة بالحصول على المزيد من الحب، الحب الذي كان يغدق عليهم دون حساب.

ومع تنامي هذه المشاعر في قلوبهم الصغيرة قد تظهر فجوة بينهم وبين آبائهم تتسع بمرور السنوات حتى قد تأتي مرحلة يشعر فيها الآباء أن أطفالهم أصبحوا غرباء عنهم، وأنهم عاجزون عن بناء قنوات تواصل معهم أو حتى بناء حديث أسري دافئ، لأنهم بالغوا بالعطاء والحب في الوقت الذي كان عليهم أن يوازنوا حتى لا يربكوا عقول وقلوب أطفالهم. ولو أدرك الآباء منذ البداية أهمية الاعتدال الذي أوصانا به ديننا الحنيف، ووازنوا بين الحب والعطاء مع أطفالهم منذ نعومة أظافرهم لاستمرت العلاقة السليمة بينهم، ولأدرك الأطفال أن انشغال آبائهم لا يعني عدم الاهتمام بهم أو أنهم قد ضاقوا ذرعا منهم.

قد يبني أحدهم علاقة جديدة ويبذل كلا الطرفين أو أحدهما كل ما بوسعه لإرضاء الطرف الآخر، أحيانا يكون هذا البذل على حساب قناعاته الشخصية أو راحته أو حتى رغباته الشخصية التي يضطر للتخلي عنها واحدة تلو الأخرى، وفي الوقت الذي يشعر أنه يضحي بالكثير لأجل استمرار هذه العلاقة، يأخذ الطرف الآخر هذا العطاء على أنه أمرا مسلما به، ببساطة لأنه تعوّد عليه، ولم يعد شيئا قيما أو استثنائيا، قد يشعر في البداية ببعض الامتنان لكن مع الوقت ستختفي هذه المشاعر وتحل محلها مشاعر اللامبالاة، وهنا يدرك الطرف الآخر أنه ارتكب جريمة بحق نفسه، وأنه فعل المستحيل مع من لا يستحق، وأنه الطرف الخاسر منذ البداية، ولو أنه اعتدل من البداية بمشاعره وحبه لما شعر بالانكسار والخذلان، هذا الشعور الذي سيجعله عاجزا عن بناء علاقة قوية جدية، لأنه سيصبح مبالغا بحذره وتخوفه.

نلتحق بعمل جديد فتعمينا حماستنا الزائدة ونشعر بأن هذا الصرح، وهذا المكان هو ملاذنا الأخير الذي ينبغي أن يستوعب كل طموحنا ورغبتنا العالية بتحقيق ذواتنا، وكل أحلامنا التي تنامت في أعماقنا لسنوات طويلة، نعطي ونحن نتوقع أن نكسب أضعاف هذا العطاء ولو مكاسب معنوية، ننجر خلف هذا الشعور حتى نجعل العمل جزء لا يتجزأ من حياتنا وتفكيرنا، ووسط حماستنا الجارفة نقدم العمل على حياتنا الشخصية ويصبح أكبر اهتماماتنا، نعطي فوق طاقتنا لقناعة داخلنا أن هذا العطاء سيتم التعامل معه على أنه تضحية شخصية يستحق الاعتراف والإشادة به على كل المستويات، بل والشعور بالامتنان العميق ناحيته.

فتأتي لحظة ندرك أن هذا الصرح إنما يتبع قوانين وأنظمة معينة لا طموحنا الزائد وآمالنا العالية، نكتشف حينها أننا أخطأنا حين بالغنا بالعطاء وبالغنا بتقدير جهدنا، فلا أحد طلب منا أن نعطي فوق طاقتنا، طُلب منا العمل والإنجاز ولم تُطلب التضحية، بمجرد أن ندرك هذه الحقيقية ستتحول الحماسة الزائدة لفتور مبالغ فيه، ويتحول التفاني لتقصير وتقاعس، وبدلا من العمل الجاد سنمضي الوقت بتقمص دور الضحية، مع أننا المذنبون بحق أنفسنا، فلا أحد طلب منا أن نبالغ بحماستنا، أو أن نعلي سقف آمالنا.

فقط لو أدركنا أهمية الاعتدال وموازنة مشاعرنا منذ اللحظة الأولى وسرنا على هذا النهج بكل مجريات حياتنا، لما وجدنا أنفسنا محاصرين في دائرة كومة من المشاعر السلبية، ولما اتسعت الفجوة بين ما نعطيه ونتلقاه، ولما رغبنا بالهرب من أشخاص أو مسارات تعد ركيزة جوهرية في حياتنا.



القاهرة - الطيب حسين:
دار الإعلام العربية

المسلم.. لا إفراط ولا تفريط

حرص الإسلام على أن ينشأ أتباعه في حياة متوازنة حال الالتزام بتعاليمه، وحفلت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ بالتحذير من المغالاة أو التفريط في حياة المسلم، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣)، كما قال عن الاعتدال في الإنفاق: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان:٦٧)، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ (الأعراف:٣١).

وفي هذا الإطار، يقول أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر الدكتور عبدالمنعم فؤاد إن «حياة المسلم بشكل عام حياة وسطية، لأن الدين نفسه دين وسطي، وهذه الوسطية لسنا نحن الذين وضعناها كخريطة للمسلمين، لكن وضعها رب العالمين سبحانه تعالى حيث قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

أمر إلهي

وأكمل الدكتور عبدالمنعم: «الوسطية أمر وتشريع إلهي؛ المسلم يتبع منهج الله سبحانه وتعالى في أكله وشربه ونومه، في كل ما يتعلق بشؤون حياته لابد أن يكون وسطيا، لا إفراط ولا تفريط، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى علمنا هذا الأمر حتى في الأكل والشرب حيث قال جل وعلا: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾.. وعلمنا الاعتدال في الفرح والحزن فقال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد:٢٣)».

وأضاف المشرف العام على الأروقة العلمية بالأزهر الشريف: «لذلك لاحظوا أن الفرح الزائد قد يأتي بمشكلة صحية أو جسدية على الإنسان، وكذلك الحزن الزائد على حده يؤدي إلى مصائب كبرى، ورأينا نبي الله يعقوب عند حزنه على ابنه يوسف، عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف:٨٤)».

وأكمل: «علينا أن تكون حياتنا وسطية، في كل شيء، حتى في أمور الزواج، والإنفاق في الزواج يجب أن تكون التكاليف ميسرة على الشباب وعلى البنات حتى يمكن وأد الشيطان وإبعاده عن شبابنا وبناتنا.. وما نراه من غلو في المهور، والتباري بين العائلات أيهم ينفق أكثر، كل هذا لا علاقة له بتعاليم الإسلام».

وتابع أستاذ العقيدة في جامعة الأزهر:

«حتى الغلو في العبادة مرفوض، لما جاء نفر إلى النبي ﷺ يسألون عن عبادته، كأنهم تقالولها، أي اعتبروها قليلة، ثم قالوا أين نحن من رسول الله وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر فلا أفطر، وقال الثاني: وأنا أقوم الليل فلا أنام، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء. فلما بلغ ذلك النبي بين لهم خطأهم وقال ﷺ: إنما أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له ولكني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وأضاف: «الإسلام يأمرنا بالتوازن والوسطية في جميع أمور حياتنا، الأسرية والاجتماعية والاقتصادية وحتى النفسية التي ذكرناها آنفا، فإذا فعل الإنسان هذه الأشياء عاش حياة كلها هدوء واطمئنان، هذا هو منهج الله تعالى في شرعه الحكيم الذي نظم به حياة العباد».

منهج حياة

بدوره، يوضح أستاذ الصحة النفسية بكلية التربية في جامعة القاهرة الدكتور طه أبو حسين، أن المسلم مأمور في حياته بالاستقامة، حيث قال الله في كتابه العزيز: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود:١١٢)..

وقال إن المسلم يجب أن يكون واضحا ومتبعا لا مبتدعا حتى يرتاح باله وحاله، ويكون أفراد المجتمع الآخرون كذلك، موضحا أن منطق الاستقامة والاعتدال عندما يسود ويكون منهجا عاما، يستفيد منه الآحاد والجماعات والمجتمع ككل، مشددا على أن هذا منطق المسلمين في الحياة.

كما تحدث عن كيف يجب أن يكون الإنفاق في حياة المسلم، مستندا إلى قول الله في محكم تنزيله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء:٢٩)، موضحا: «أي لا تسرف في إنفاقك على نفسك وأبنائك ثم تتحسر على ما فات وتقول كان عندي أموال».

وتحدث عن الاعتدال في العبادة، موضحا أن إرضاء الله لا يوجب التكلف فيه بأمور ما أنزل الله بها من سلطان، ولكن فاستقم كما أمرت، موضحا: «لا يصح كي أرضي الله أن أزيد في عدد ركعات الصلاة مثلا، أو أخترع فيها بحجة التقرب».

كذلك تطرق أستاذ الصحة النفسية إلى الاعتدال في الأخلاق عن طريق الالتزام بأخلاق الإسلام مع عدم الخضوع أو الخنوع، موضحا: «أنت مأمور بحسن الخلق، لكن لا تجعل حسن الخلق مدعاة لاغتيالك، يقول أحدهم هذا رجل طيب وعلى خلق ولن يرد الإساءة، فيتواصل الاعتداء عليك أو إيذاؤك».

وأكمل: «أخلاق الإسلام ليست هكذا، لا يوجد عندنا إذا ضربك على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر، لا يوجد عندنا هذا الأمر، لكن عندنا حسم ورسم للشخصية، عندنا لكل أمة خلق، وخلق الإسلام الحياء، نعم حياء لكن لا يصح أن تكون أخلاقي مركز ضعف في شخصيتي، أكون رجلا خلوقا، لكن شخصيتي لا تقبل الظلم ولا تقبل الإهانة أو الضعف، المسلم ليس إمعة، شخصية المسلم شجاعة كريمة خلوقة محبة للخير مقدامة».

أما بشأن العلاقة مع الآخرين، فذكر أبو حسين أن خلق الإسلام وتعاليمه تجعلها علاقة عطاء وجود وكرم، مصرحا: «لا تضع في ذهنك أبدا أن فلانا يخدعك كي يحصل منك على أموال مثلا، دعه وما يعتقد، وكن كريما جوادا».

وشدد على أن المسلم محب دائما ولا يكره أبدا، مفرقا بين منطق البغض ومنطق الكره.

وذكر أن البغض أن تبغض الفعل الذي يرتكبه أحدهم لا أن تبغضه هو نفسه، لا تكره شخصه، مضيفا «المسلم متأمل في عطاء الله فقط، راغب في عطاء الله فقط، مستند إلى قوة الله فقط، معتز بعبوديته إلى الله فقط، كل هذه الأشياء في النهاية تكون الشخصية القائدة الشخصية القوية الجالبة للخير الدافعة للشر».

كما كشف أبو حسين عن خطورة غياب هذه المفاهيم والقيم الإسلامية عن المجتمع وما يحدث فيه بناء على ذلك من آثار سلبية مدمرة، مشيرا إلى مساهمات أعداء الأمة الواضحة في تغييبها.

تعزيز قيم الاعتدال

وفي السياق ذاته، قال الدكتور حسن الببلاوي، أستاذ علم الاجتماع، أمين المجلس العربي للطفولة والتنمية، إن تعامل الفرد في المجتمع يرتكز إلى تصوراته عن المجتمع نفسه، وعن الآخر

د. عبدالمنعم فؤاد: صلاح حياة المسلم في وسطيته واعتداله

د. طه أبو حسين: تحقيق الاعتدال يكون بالالتزام بأخلاق الإسلام

والحياة والكون بشكل عام، موضحا أن هذه التصورات تنبع في الأساس من الثقافة التي نشأ عليها.

وفي تعريفه للثقافة التي إليها مرد تصورات الأفراد، كشف أنها عبارة عن مجموعة المفاهيم والعقائد والقيم التي يجب أن تنطلق منها نظرة وتعامل الفرد لتشكيل ارتباطه بالمجتمع كله.

وأوضح أن القيم والمثل العليا تنعكس بالتالي إيجابيا على المجتمع ككل، في إشارة إلى الارتباط الوثيق بين الجانبين، وهو ما توفره بالتأكيد التعاليم الإسلامية فيما يخص قيمة التوازن والاعتدال في المسالك الحياتية المختلفة.

وضرب أستاذ الاجتماع مثالا بقيمة التسامح ودورها في إيجاد مجتمع مسالم صحيح، لا ينتهي فقط عند احترام الآخر، إنما يمتد ليجعل من كل فرد في المجتمع بمنزلة الحامي لغيره الملتزم بتوفير حياة طيبة له.

وأضاف: إن أول قيمة نشأت عليها الحضارة الحديثة مثلا هي قيمة التسامح، بما تشمله من قبول الآخر، واحترام الاختلاف معه، وعدم مصادرة حريته في التعبير عما يريد أو اعتناق ما يراه صحيحا، لافتا إلى أن هذا المسلك الإنساني المتفرد لن يأتي إلا بإدراك أهمية الاعتدال فيما يعتقده أحدنا ويراه صحيحا.

وتابع «أنا متسامح مع الآخرين، لا أتدخل في حياتهم، البغض يأتي من أين؟ يأتي عندما أنكر على الآخر اعتقاداته، أنكر على الآخر مفاهيمه، أنكر على الآخر آراءه».

وأضاف أن تعزيز هذه القيمة سينتج عنه أن يعيش الناس في مجتمع واحد من دون خوف تحت عقد اجتماعي يرعى حقوق الجميع ويحميها.

ولفت إلى أهمية دور الإعلام والمدارس فضلا عن المساجد في تعريف الناس

د. حسن الببلاوي: على مؤسسات المجتمع تعزيز قيم التوازن والاعتدال

بهذه القيم وتعزيزها في المجتمع.

لا مغالاة ولا تقصير

وفي هذا السياق، قال الدكتور أسامة عبدالسميع الأستاذ بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، إن الإسلام علمنا الوسطية في أمور الحياة كلها، موضحا «في تعامل المسلم مع أبنائه ومع زوجته ومع جيرانه ومع زملائه في العمل ومع الناس أجمعين، قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾».

وتابع: «إن كلا من المغالاة والتفريط مرفوض»، مشيرا إلى اتساق الاعتدال مع تعاليم الإسلام.

وأكد أن الاعتدال لا يقتصر على علاقة المسلم بأفراد دون آخرين، بل يمتد من علاقته بنفسه إلى جميع الناس.

كما عرج إلى ضرورة الاعتدال في العبادات، مشيرا إلى قصة الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول: لأقومن الليل، ولأصومن النهار، ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: «آنت الذي تقول ذلك؟». فقلت له: قد قلته، يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ:

د. أسامة عبدالسميع: الإسلام علمنا الوسطية في الأمور كلها

«فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر». قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. قال: «صم يوما وأفطر يومين». قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، يا رسول الله. قال: «صم يوما وأفطر يوما، وذلك صيام داود عليه السلام، وهو أعدل الصيام». قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. قال رسول الله ﷺ: «لا أفضل من ذلك». قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التي قال رسول الله ﷺ، أحب إلي من أهلي ومالي».

حتى في الفهم للدين قال عبدالسميع إن النبي ﷺ علمنا جميعا: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» (رواه البخاري).

وأشار إلى أن الله أحل المباحات لعباده في الحياة الدنيا كي يباشروها ولا يحرموا أنفسهم منها، فقال تعالى:

﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٢).

أيضا قال سبحانه: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

وختم قائلا: «الله لم يحرمنا من الطيبات، لكن جعل الاعتدال قيمة مهمة وضرورية فلا مغالاة ولا تقصير».



د. صلاح فضل توقة
باحث دراسات إسلامية



الضغوط الحياتية وتوازن المسلم

قد تنتابك مشاعر الذهول والصدمة عند مطالعتك لنسب انتشار الأمراض النفسية حول العالم، نتيجة الفشل في التعامل مع الضغوط الحياتية، لا فرق في ذلك بين شمالها وجنوبها، غنيها وفقيرها، فمن المتوقع أن يصل عدد المصابين بأمراض نفسية إلى ملياري نسمة على مستوى العالم بحلول عام ٢٠٣٠م، وذلك وفقا لتقديرات الاتحاد العالمي للصحة النفسية WFMH.

الضغوط الحياتية

الحياة الحديثة وتعقيداتها وما تفرضه على الإنسان من نمط معيشة لابد وأن يتوافق معه ليضمن لنفسه مكانا في المجتمع، هذا النمط قد لا يعبر عن قناعاته ولا وجهة نظره الشخصية، حياة افتقد معها الإنسان الأمان، افتقد معها الأمن الاقتصادي في ظل التقلبات الاقتصادية العالمية، فلم يعد آمنا على وظيفته أو مشاريعه، وتزداد الأمور سوءا في ظل الجوائح الصحية التي تنتشر معها الأمراض والأوبئة، ولعل آخرها جائحة كورونا وما خلفته من خسائر بشرية واقتصادية.

ونتيجة لذلك يقع الإنسان تحت وطأة الأمراض النفسية، مثل: الأرق والضغط والكبت والاكتئاب. استعبدته الحياة ففقد حرية التفكير والتعبير، فقد حرية الجسد فلا يستطيع أن ينام نوما إلا وتقض مضجعه الكوابيس والأحلام المفزعة، وهذه الضغوط يكون لها انعكاساتها أيضا على الحياة الأسرية ودائرة العلاقات الشخصية الأخرى، نتيجة آلية الحياة التي أفقدت الإنسان شعوره بأنه إنسان، حيث افتقد حاضره، فأصبح مجرد التفكير في المستقبل ضغطا من نوع آخر وهو الخوف مما هو آت، فيشعر بغربة ذاتية ومجتمعية وأنه معزول عنهما، وهذه الحالة تسمى بالاغتراب النفسي Alienation حيث يرفض ذاته ومجتمعه ويشعر بأن وجوده بلا قيمة و لا هدف، فينسحب من الحياة ويتقوقع حول ذاته ليعيش في عالم الخرافة واللامعقول، والإدمان، ورغم ذلك قد لا يستطيع مقاومة صراعاته النفسية نتيجة ضغوط الحياة فيكون الحل الأخير بالنسبة له هو التخلص من حياته بالانتحار.

ضغوط الحياة من منظور إسلامي

تفسر مدارس علم النفس الغربية ظاهرة الضغوط الحياتية وما تحدثه من آثار، تجعله فريسة للقلق والخوف والاكتئاب وغير ذلك من الأمراض النفسية، من منظور مادي مفاده أن الإنسان أسيرا لغرائزه وشهواته التي لا تنتهي، ويكون مقياس الرضا والسعادة هو القدرة على إشباع هذه الشهوات دون قيد أو شرط فتحقيق اللذة هو مدار حياة الإنسان وفقا لتفسيرات هذه المدارس كما عند مدرسة التحليل النفسي، والمدرسة السلوكية.

وقد عبر القرآن الكريم عن مثل هذه الحالة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(الحشر:١٩).

والإسلام بتعاليمه الربانية يساعد المسلم على التعامل مع الضغوط الحياتية، ويحافظ على توازنه

واعتداله مع القدرة على إعادته إلى هذه الدائرة «التوازن والاعتدال» إذا ما ضعف أمام هذه الضغوط ولم يقو على مواجهة طغيانها.

فنظرة الإسلام للنفس البشرية نابعة من كونها فطرة فطر الله الناس عليها، ولا صلاح ولا هداية لها إلا بما أنزله الله من دين الإسلام، كما قال عزوجل: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الروم:٣٠).

فالنفس البشرية جبلت على حب الشهوات، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ (آل عمران:١٤)

وجبلت أيضا على طلب الزيادة منها ففي الحديث: عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» (متفق عليه).

ولم ينكر عليه تحصيل مثل هذه الأمور من الطرق الحلال قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (الملك:١٥).

وفي الحديث: «إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» (متفق عليه).

ووضح ضوابط التعامل معها، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾(القصص:٧٧).

قال بن كثير -رحمه الله- في تفسيره: أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا، أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، فآت كل ذي حق حقه وأحسن كما أحسن الله إليك، أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك ولا تبغ الفساد في الأرض أي: لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به الأرض، وتسيء إلى خلق الله إن الله لا يحب المفسدين، إذا فإن نظرة الإسلام لهذه الشهوات المحببة للنفس «الضغوط الحياتية»، نظرة وسطية لا تصل لمادية اليهود، ولا تنحدر لرهبانية النصارى، فهي تشبع حاجة الإنسان منها، بأساليب لا تخرج عن التعاليم الشرعية، لينال منها الإنسان خيري الدنيا والآخرة.

تعامل المسلم مع ضغوط الحياة

مطالب الحياة تشكل همًّا لا ينفك عن الإنسان، لا يفارقه ليل نهار، وإن ترك نفسه لها أهلكته، ففي الحديث: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له» (الترمذي وابن ماجه).

وعن بن مسعود رضي الله عنه: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم هما واحدا، هم آخرته، كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك» (ابن أبي شيبة، ابن ماجه).

وفي هذا الصدد يمكن لنا الاجتهاد في استنباط عددا من القواعد والأصول الشرعية لتعامل المسلم مع ضغوط الحياة على النحو التالي:

أولا: الله هو الرزاق

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(الذاريات:٥٨).

فالرزق من المسائل الاعتقادية، فالمسلم يؤمن بأن الله تكفل لجميع خلقه بالرزق وهذا الاعتقاد يحرره من الخوف والقلق على رزقه، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(هود:٦).

وفي الحديث: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد» (جزء من الحديث، متفق عليه).

و عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لو أن ابن آدم فر من رزقه كما يفر من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت» (أبو نعيم).

وقد يبطأ الرزق أو يتأخر وهذا لا يحمل المسلم على القلق أو أن يكون هذا الإبطاء مبررا لطلب الرزق من الطرق الحرام، وذلك لأنه يوقن أن

الـرزق بيد الله، ففي الحـديـث: عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام النبي ﷺ فدعا الـنـاس فـقـال: «هـلـمـوا إلـي» فأقبلوا إليه فجلسوا، فقال: «هـذا رسـول رب العالمين؛ جبريل ﷺ نفث في روعي: أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله؛ وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته» (البزار).

ثانيا: التفاوت في درجات المعيشة سنة لله في خلقه

قـال تـعـالـى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(الزخرف:٣٢).

فالناس كلهم متفاوتون في أرزاقهم المادية وغير المادية، الظاهرة والباطنة.

ثالثا: الغنى والفقر حكمة الله في خلقه

فالله سبحانه وتعالى بحكمته يغني مـن كـان فـي الغنى صـلاحـه، ويفقر من كان في الفقر صلاحه، قال ابن القيم- رحمه الله-: «بقدر همة العبد ونيته يعطيه الله تعالى، والتفاوت بين الناس في الأرزاق مثل تفاوتهم في الطول والقصر والنحافة والضخامة والبياض والسواد، وكل ذلك لحكمة بالغة علمها الله سبحانه وتعالى».

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾(الإسراء:٣٠).

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾(الشورى:٢٧).

وفي الحديث: «وإن هذا المال خضرة حلوة ونعم صاحب المسلم هو إن أعطى منه اليتيم والمسكين وابن السبيل، وإن الـذي يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويـكـون عليه شهيدا يوم القيامة»(متفق عليه).

قـال قـتـادة: كـان يقال: «خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك»، وقال شيخ الإسـلام بـن تيميه فـي فتاويه: «قد يكون الفقر لبعض الـنـاس أنفع من الغنى، والغنى أنفع لآخرين، كما تكون الصحة لبعضهم أنفع».

رابعا: الغنى والفقر لا يدل على مكانة الإنسان عند الله

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)﴾(الفجر:١٥،١٦).

علق بن كثير-رحمه الله- في تفسيره على هاتين الآيتين بقوله: يقول تعالى منكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسـع الله عليه فـي الـرزق ليختبره فـي ذلـك، فيعتقد أن ذلـك مـن الله إكرام له وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان. كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦)﴾ (المؤمنون:٥٥،٥٦)، وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له.

خامسا: التخلق بخلق القناعة والرضا

أ- القناعة هي الخلق الضابط لجشع النفس وهيجان نزواتها وشهواتها، وهي العاصم من استيلاء الدنيا على القلب، قال أبو حاتم في روضة العقلاء ونـزهـة الـفـضـلاء: «الـقـنـاعـة تكون بالقلب؛ فمن غني قلبه غنيت يداه، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه، ومن قنع لم يتسخط وعاش آمنا مطمئنا، ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائت نهاية لرغبته، والجد والحرمان كأنهما يصطرعان بين العباد».

وفي الحديث: عن عبدالله بن عمرو ابن العاص، أن رسول الله قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه»(مسلم).

ب- الرضا خلق يورث صاحبه الهدوء والـتـوازن الـنـفـسـي، والـسـعـادة بما يملكه، والقدرة على مواجهة مصاعب ومتاعب الحياة برضا وتسليم بقضاء الله.

والـرضـا وصـيـة الـرسـول ﷺ: «وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»(رواه أحمد).

ومـن أجـمـل مـا قـيـل فـي الـرضـا والقناعة أنها الحياة الطيبة، قال تـعـالـى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل:٩٧).

وبهذا نجد أن الإسلام وضع للمسلم المنهج القويم للتعامل مـع ضغوط الحياة ليكون عاصما له من الانغماس في الشهوات خادما لها، وفي الوقت نفسه لم ينكر عليه السعي والعمل من أجل مطالب الحياة، ولم ينكر عليه التمتع بملذاتها ولكن بصورة معتدلة وبما يعنيه على طاعة الله، والفوز في الآخـرة، وهـو في سعيه يستنفد الأسباب حتى إن فاته ما سعى إليه من أمور الدنيا رضي بذلك موقنا أن في هـذا القضاء الإلهي الخير، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢١٦).



تحقيق - نادر أبو الفتوح
صحفي مصري

التوازن في حياة المسلم يشمل المعاملات في كل جوانب الحياة

الاعتدال منهج إسلامي يحقق السعادة للمسلم

الاعتدال والتوازن في حياة المسلم منهج إسلامي حث عليه تعاليم الشريعة الإسلامية، وذلك للحفاظ على علاقة المسلم بالآخرين، وقد وضع الإسلام ضوابط للتعاملات في كل أمور الحياة، وحذر الإسلام من الغلو، كما حذر من التسيب والإهمال، انطلاقا من وسطية الإسلام، وقد حملت الشريعة الإسلامية مبادئ وأحكام تضمن تطبيق الاعتدال الذي يؤدي في النهاية لصلاح الفرد والمجتمع، والمؤكد أن عدم الالتزام بهذه الضوابط يؤدي للعديد من الأضرار في المجتمع، لأن عدم الاعتدال يعني إما التفريط أو الإفراط، وكل ذلك منهي عنه شرعا.

ومن جانبهم أكد علماء فقه وشريعة إسلامية أن الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال، وأن منهج الإسلام في ذلك قائم على حفظ الحقوق والتعامل بأخلاق الإسلام، وطالبوا بضرورة التركيز على هذه القضايا في خطب الجمعة والدروس الدينية، لأن حماية المجتمع تبدأ من نشر الوسطية والاعتدال في كل تعاملات الإنسان، وضرورة أن يمتد الحديث عن مخاطر عدم الاعتدال في استخدام وسائل التواصل الحديثة، وذلك لأن الخطاب الديني ينبغي أن يراعي الواقع، والمؤكد أن كثيرا من الناس لا يطبق الاعتدال والتوازن في استخدام وسائل التواصل.

لا إفراط ولا تفريط

وقال الدكتور علوي أمين أستاذ الفقه بجامعة الأزهر بالقاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن تعاليم الإسلام تهدف لصلاح الفرد والمجتمع، ولذلك تأتي الدعوة للاعتدال والتوازن في حياة المسلم، بهدف تحقيق السعادة للمسلمين في دينهم ودنياهم، والحق سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧)، وهذا دليل على أن الإسلام يدعو للاعتدال في العبادة، والمؤكد أن ذلك أيضا ينطبق على تعامل المسلم في الأمور الحياتية، فعليه أن يلتزم بالتوازن في كل ما يتعرض له من مواقف، وأن يلتزم بالاعتدال في مواقفه ومعاملاته، وأن

يقتدي بالرسول الكريم ﷺ، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا بأخذ أيسرهما ما لم يكن إثما».

الاعتدال منهج حياة

ويضيف الدكتور علوي، أن المسلم عليه أن يطبق منهج الاعتدال في إدارة شؤون حياته وحياة أسرته، وأن يدرك ظروفه المادية ويتعامل بالشكل الأمثل في النفقات، والشكل الأمثل هنا يتحقق في حالة واحدة وهي الاعتدال في النفقات، وقد حثت نصوص القرآن الكريم على ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ الإسراء:٢٩)، وذلك لأن البعض قد يفهم معنى الاعتدال والتوازن في العبادات فقط، لكنه يشمل كل جوانب الحياة، وكل إنسان يتخذ من الاعتدال منهجا سوف ينجح في حياته وفي علاقاته سواء داخل الأسرة أو المجتمع، والاعتدال أيضا يكون في المأكل والمشرب، والطب الحديث قد أكد على أن الاعتدال في المأكل من الأسباب التي تفيد جسم الإنسان، والله عزوجل يقول في القرآن الكريم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١)، وهذا يدل على أن الاعتدال في المأكل يحقق السعادة والصحة للإنسان، وكما هو معروف أن حفظ النفس من مقاصد الشريعة الإسلامية، ولذلك فإن دعوة الإسلام للاعتدال في المأكل تعد من الأمور الضرورية في حياة المسلم، وذلك حتى يكون قادرا على أداء ما كلفه الله تعالى من العبادات والأعمال الصالحة، وحتى تتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة.

التوازن في المعاملات

وأكد الشيخ عبد الحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر في حديثه مع «الوعي الإسلامي»، أن التوازن والاعتدال في المعاملات يحفظ علاقة المسلم بغيره من الناس، ومنهج الإسلام في المعاملات قائم أيضا على التوازن والاعتدال وفق ضوابط حفظت الحقوق للجميع، كما أن منظومة القيم والأخلاق قائمة على التوازن والاعتدال، ولذلك جاءت تعاليم الإسلام بالصدق والعدل، والحق سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨)، وهذا يعني أن الإنسان عندما يلتزم بالتوازن سيكون صادقا في القول والفعل، وهذا يؤدي لمزيد من الاستقرار النفسي للفرد، وينعكس أيضا على الاستقرار المجتمعي، لأن التوازن في المعاملات يعد ضمانة لحماية الحقوق، وهذا منهج تربوي مستمد من تعاليم الإسلام، والأمر يمتد أيضا لتوثيق المعاملات المادية وحفظ الأسرار ورد الأمانات، وغيرها من الأمور التي يكون فيها الاعتدال سببا في حماية الحقوق.

مجالات متنوعة

وأشار الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع جامعة الأزهر بالقاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إلى أنه طالما أن الاعتدال منهج تربوي مستمد من تعاليم الإسلام، فلابد أن نطبق هذا المنهج على كل ما يستجد من أمور في المجتمع، وأن يقوم العلماء والدعاة بدورهم في تناول القضايا التي تهم الناس، وفقه الواقع يتطلب أن نتحدث عن مخاطر عدم التوازن في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، بجانب أن الحديث عن هذه القضية تحديدا يدل على مدي تطابق الخطاب الديني مع الواقع.

ويؤكد أن هناك ضرورة في الوقت الحالي لتطبيق منهج الاعتدال، والأمر يكون في مجالات عديدة، وأخطر هذه المجالات تتمثل في التوعية بمخاطر إضاعة الوقت أمام وسائل التواصل الاجتماعي، لأن ذلك يؤدي لكثير من التأثيرات السلبية داخل الأسرة، الأمر الذي يتطلب أن نطبق منهج الاعتدال الذي حث عليه الإسلام، وهذه قضية خطيرة للغاية يجب أن تأخذ نصيبها من المعالجة، لأن وسائل التواصل الحديثة أصبحت ضرورة في حياة الكثير من الناس، لأمور تتعلق بالعمل أو الدراسة، لكن الإفراط في استخدامها يؤثر سلبا على مجالات أخرى في حياة الإنسان، فقد يؤدي عدم التوازن في متابعة وسائل التواصل للتقصير في العبادات، وقد يكون الإفراط في الحديث مع الأصدقاء عبر وسائل التواصل سببا في القطيعة والانعزال.



أحمد عبدالمنعم
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الإسلام وتحقيق التوازن النفسي



اهتم الإسلام بالنفس وأولاها عنايته، وبين في غير موضع من القرآن والسنة قيمة النفس، وأثرها في توجيه الفرد في الدنيا، وكذلك أثرها في تحديد المآل في الآخرة. فقد بين سبحانه أن عليها مدار الفلاح والخسران فقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٧-١٠).

وقد ذكر القرآن عدة جرائم وقعت بسبب النفس، وكلها تبين أثر النفس وقوة تأثيرها على الإنسان وأنها هي من أمرت وحملت صاحبها على ما لا يتخيله عقل، أو يتوقع حدوثه من لبيب، ففي أول العهد قتل ابن آدم أخاه متناسيا الدم والرفقة، والسبب النفس، قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (المائدة:٣٠).

فعبر القرآن بلفظة بينت مدى تأثير النفس على الإنسان إن تحكمت فيه وأصبحت مسيرة له، فقال: طوعت، أي جعلت الصلب الذي لا يلين والمتمثل في الأخوة والدم طيعا لينا، فهانت عليه روح أخيه فقتله.

وإخوة يوسف أبناء النبي وأحفاد النبي، ما حملهم على ما لا يتوقع من أمثالهم إلا النفس الأمارة بالسوء، فألقوا أخاهم الصغير في غيابة الجب، وادعوا أن الذئب أكله فكان رد أبيهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف:١٨).

والسامري الذي كان من جملة من عبروا البحر، وشاهد طلاقة القدرة الإلهية في إنجاء المؤمنين وإهلاك الظالمين، حملته نفسه على أن يصنع من حلي قومه عجلا يعبد من دون الله تعالى، ولما كلمه موسى عليه السلام تعلل بالنفس وقوتها وضعفه حيالها ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ (طه:٩٥-٩٦).

وكذلك امرأة العزيز صاحبة السلطان والمكانة، راودت سيدنا يوسف عن نفسه، حتى أصبح أمرها حديث النسوة في المدينة، ولما حصحص الحق وبانت الحقيقة عللت ذلك بالنفس الأمارة بالسوء فقالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف:٥٣)

وقد بين النبي ﷺ خطورة النفس والاستسلام لها فاستعاذ بالله منها كما في خطبة الحاجة: «الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له»[١].

وفي الدعاء الذي علمه أبا بكر ليقوله إذا أصبح وإذا أمسى «قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه «قال» قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك»[٢].

لهذا اعتنى الإسلام بالنفس ووضع منهجا للتعامل مع النفس كان متفردا يحقق من خلاله التوازن النفسي الذي به تطيب حياة الفرد، مجانبا به ما وقع فيه من سبق والمناهج المنحرفة التي تلت وأشقت الإنسان. فمثلا اليهود لجأوا إلى المادة ورأوا الحياة هي الأساس، وأن غاية الإنسان إمتاع نفسه وإشباع غرائزه، فأصبحت النفس حبيسة الشهوة لا تنظر إلى شيء آخر.

والنصرانية ابتدع أهلها الرهبانية التي تقتل النفس بحرمانها مما أحل الله وأباحه لخلقه من ملذات الحياة، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (الحديد:٢٧).

فالنفس حشرت بين مادية مطغية لا مجال للشعور والوجدان معها، تمثلت قديما في اليهودية، واستمرت حتى ظهرت في ثوب جديد على يد فرويد، والذي يقال عنه أتباعه أنه رائد التحليل النفسي، فجدد هذه النظرة وجعل الغريزة الجنسية هي الأساس وأن الصراع النفسي مرتبط ورهن بتحقيق أكبر قدر من اللذة وإشباع غرائز النفس، وظهرت مصطلحات جديدة نحتها أرباب البرجماتية وكلها تصب في نفس الاتجاه منها (الغاية تبرر الوسيلة).

وبين رهبانية كاذبة تقتل النفس، وتئد الفطر والمشاعر المباحة.

وكل هذا لم يحقق توازنا نفسيا للإنسان، فالذي ترهبن، وحرم النفس جورا من متع الحياة التي أحلها الله كبتها، وملها، وجعلها خبيثة، شاء صاحبها أم أبى، وتجعله كذلك يصاب بالانفصام، فهو بزي الراهب أمام الناس، وربما يتحول بعيدا عن الناس إلى ماجن، والشواهد كثيرة وقد اعترف بها أصحابها.

والذي جعل اللذة وإشباع غرائز النفس والسعي خلف المتعة وحسب، وقتل الوجدان في نفسه، أفقد نفسه الإحساس بالغاية من الوجود والهدف من الحياة،

فرأينا أعلى الناس دخلا، وفي المجتمعات التي تتصف بالرفاهية وتوفير كل وسائل الراحة، يقدمون على الانتحار، ويكتبون السبب (انتحرت عندما لم أشعر أن لحياتي معنى).

وصدق الله العظيم إذ قال عنهم ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل:١١٨).

والإسلام هو المنهج الوسط الذي أوجد التوازن للنفس البشرية، فلا هو حرمها من متع الحياة، كالرهبانية عند النصارى، ولا هو جعلها أسيرة اللذة كما فعل اليهود، بل جعلها وسطا تعيش اتزانا يجعلها مطمئنة راضية تطيب، وتطيب حياة صاحبها.

وكان النبي ﷺ يقف بالمرصاد لكل من يحاول الخروج عن هذا المنهج ولو بقصد الطاعة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٣].

ما طلبوا سوى العبادة فقط، الغرض القربة من الله تعالى فكان رد النبي ﷺ فأنا أصوم، وأفطر، وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني، فبين النبي ﷺ أن التوازن سنته، ومن يرغب عنه، يرغب عن سنته ﷺ.

و«ساعة وساعة» كلمة قالها النبي ﷺ لحنظلة عندما ذهب إليه شاكيا تغير حاله بعد مفارقة النبي ﷺ ومخالطة الأهل والأولاد فلم يشجعه على إحساسه، وإنما دله على التوازن المطلوب، فقال: له «ساعة وساعة».

والدنيا، وإن كانت دار ممر، لا دار مقر، وإن كان الموت هو المصير، وإن بعد الدار دار، لم يطلب منا الإسلام هجر الحياة، ومخاصمة



الدنيا، وإنما طلب منا أن نحسن كما أحسن الله إلينا، وأيضا ألا ننسى نصيبنا من الدنيا، ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

وقد كانت حياة النبي ﷺ مثالا ودليلا على ذلك، فقد تزوج النساء، وكان يحب من الطعام أطيبه، وإن فقده لم يتكلفه، فكما قيل: لم يرفض موجودا، ولم يتكلف مفقودا، وكان يضحك، ويسر للمزحة من أصحابه، وأحيانا هو الذي يمازح أصحابه، وكذلك كان يبكي لما يسوؤه أو يسوء أصحابه، وكان ينام بالليل ويقوم منه ﷺ.

والملاحظ من سيرة النبي ﷺ ومن استقراء النصوص أن الإسلام أباح وجعل لكل شيء حده، وألزم بأمور وجعل لها حدا، وحرم وجعل للتحريم حدا.

وفي سورة الأعراف بين الله سبحانه وتعالى ذلك التوازن، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ (الأعراف:٣١-٣٣).

فلك كل ما أباحه الله تعالى دون إسراف وعليك أمور تلتزمها دون مغالاة تقتل النفس وتحبطها؛ فإن الله لا يمل حتى تملوا[٤].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم على نفس النهج، فهم من عايشوا الرسول ﷺ وكانوا يتلمسون هديه في كل شيء، وإذا خالف أحدهم هذا النهج، ولو بغرض الطاعة، وبعثه على ذلك وجله وخوفه من الله، أخذوا على يديه، وردوه إلى ما ينبغي.

فعن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال: سلمان قم الآن، فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»[٥].

والكلام في هذا الباب كثير نكتفي بما ذكرنا ونحمد الله تعالى الذي قال: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤).

الهوامش

١ - أخرجه النسائي، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة، رقم ١٤٠٤، وصححه الألباني.

٢ - أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم ٥٠٦٧، وصححه الألباني.

٣ - أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم ٥٠٦٣.

٤ - أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير، رقم ٥٨٦١.

٥ - أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، رقم ١٩٦٨.

عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية



الاعتدال طريق التوازن النفسي

يعيش الكثير من الناس تحت هاجس الخوف من المستقبل، بافتراض أن ما يحمله الغد هو السوء. فنجدهم في حالة من عدم الاتزان والاستقرار النفسي نتيجة وقوعهم تحت تأثير أفكار ومشاعر سلبية، وهو ما يؤدي إلى انعكاسات خطيرة على حياتهم وتصرفاتهم وطريقة تفكيرهم.

هذه المشاعر السلبية التي تسيطر على الكثيرين قد تدفع البعض إلى التفكير في الانتحار والتخلص من حياته لشعوره بعدم جدوى العيش، بسبب سيطرة اليأس والقلق وفقدان الأمل بالتغيير. كما أن هذه الأفكار السلبية تؤدي إلى انتشار الأمراض النفسية والشعور بالقلق والتوتر والإحباط والاكتئاب. وتظهر الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية أن أحد الأسباب المؤدية إلى تزايد حالات الانتحار هي سيطرة المشاعر السلبية على حياة الكثيرين والخضوع لضغوطات ومصاعب الحياة دون اتخاذ أي مبادرة لمواجهة هذا الواقع والعمل على تغييره نحو الأفضل من خلال التسلح بالتفاؤل والأمل والسلوكيات الإيجابية.

وكلما كان الإنسان بعيدا عن الدين الإسلامي متجاهلا أوامره ونواهيه فإنه يكون أكثر عرضه للتأثيرات السلبية وسيطرة مشاعر اليأس والإحباط والقلق على تصرفاته وحياته. فإذا أردت الاتزان والتوازن والرضا النفسي فعليك بالاعتدال في كل أمور حياتك، وهو الأمر الذي يؤكد عليه الدين الإسلامي ويحضنا عليه من خلال دعوته إلى اتباع منهج الوسطية، في المقابل فإنه يحذر من الغلو والتطرف والتشدد في كل الأمور.

ولاشك أن الالتزام بتعاليم الدين الحنيف من شأنها حماية الإنسان وتحصينه ضد الإصابة بأمراض الاكتئاب والقلق والخوف، وتمنحه التوازن النفسي المطلوب الذي يدفعه إلى المزيد من العمل والإنتاج وتحقيق الغايات والأهداف من خلال الالتزام بالأخلاق والفضائل والرضا والقبول بقضاء الله تعالى وقدره.

ولم تنتشر الكثير من الأمراض النفسية والمشاعر السلبية إلا نتيجة تخلي المجتمعات عن التعاليم الإسلامية وطغيان المصالح والمادة على الأخلاقيات والقيم، فأصبح الإنسان لا يفكر إلا بالكسب والمال حتى لو كان على حساب صحته وبيته وعلاقاته الاجتماعية والتكاليف والواجبات الدينية، متناسيا أن الأرزاق بيد الله تعالى.

إن المحافظة على الحياة المتزنة تكون من خلال اتباع القاعدة النبوية «إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه»، وهي دعوة للاعتدال والتوازن في تصرفاتنا حتى لا يكون هناك خلل في جانب من جوانب الحياة.



عبدالله الظفيري
صحافي وباحث

تخلص من الأعباء.. تحقق الاتزان

لن تحتاج الكثير من الجهد حتى تكتشف أن كل ما تقوم به من أعمال تفوق طاقتك، سيعود سلبا عليك وعلى أسرتك وعلاقاتك الاجتماعية وواجباتك وتكاليفك الدينية. كثيرون ينغمسون في واقع الحياة العملية ومحاولة تحقيق المزيد من الكسب المادي وتراكم الأرصدة والأموال من دون انتباه إلى الجوانب الأخرى في حياتهم وما يرتبط بها من متعة وترويح وراحة نفسية وبدنية وقيام بالواجبات الاجتماعية وأداء العبادات والذكر والصلاة. ومع استمرار هذه الوتيرة من الحياة الخالية من التوازن يقع الإنسان تحت تأثير الضغوطات النفسية والخوف والقلق بسبب عدم قدرته على مواجهة صعوبات الحياة وضغوطاتها المختلفة. وكلما ابتعد الإنسان عن الاعتدال والتوازن في حياته سيطرت عليه المشاعر السلبية وأصبح أسير الحياة المادية وما ينتج عنها من حالة قلق دائم وعدم اتزان نفسي. وأول ما ينبغي على الإنسان معرفته لتحقيق التوازن في شخصيته هو كيفية الاستمتاع بالحياة والتأقلم مع واقعه بسلبياته وإيجابياته، وتكييف هذا الواقع بما يخدم ظروفه وينفعه لتجاوز أي مشاعر سلبية وضغوطات تفرضها طبيعة الحياة. ولعل من أهم أسباب السعادة وتحقيق الاتزان في حياة أي شخص هو الإسلام، فمن نعمة الله تعالى علينا أن جعلنا مسلمين، فهذا الدين يحقق الطمأنينة ويبعث مشاعر الفرح والسرور ويدفع الإنسان نحو العمل والإنتاج والقيام بواجباته الدينية والدنيوية، لأنه دين الوسطية والاعتدال، بل إنه لا يجوز للمسلم أن يفرط في حقوقه البدنية والنفسية. وكلما انشغل الإنسان في نفسه وحياته وترك ما لا يعنيه فإنه يتجه نحو تحقيق الاستقرار والاتزان النفسي المطلوب، كما أن التخلص من الأعباء والضغوطات أحد أهم الطرق لتحقيق السلامة، فترك ما لا يفيدك ولا ينفعك لا في الدنيا ولا الآخرة هو تخفيف من أعباء تثقل الكاهل من دون فائدة مرجوة. الحياة المستقرة المتزنة لا تتحقق إلا بتكامل بين أداء الأعمال الدنيوية والتكاليف الدينية، وهذا لا يكون إلا من خلال العمل الجاد مع ترويح هادف عن النفس يؤدي إلى تجديد النشاط ويرفع الهمة ويدفع الإنسان لتحقيق أهدافه والقيام بواجباته. وكلما نجح الإنسان في استثمار وقته والاستفاده من يومه بكل ساعاته فإنه يتجاوز الملل والرتابة التي تقود إلى الاكتئاب والإحباط والقلق، لأنه تمكن من جعل حياته متجددة مليئة بالأعمال الهادفة. فإذا كان للحياة معنى وهدف يسعى الإنسان إلى تحقيقه، فإن ذلك من أهم أسباب تحقيق السلامة النفسية.



وليد الزواري
باحث قانوني
تونس

التأصيل القانوني والتماسك النصي (١-٢)

الصياغة القانونية هي: الأداة التي يجري بمقتضاها نقل التفكير القانوني من الحيز الداخلي إلى الحيز الخارجي، فهي ببساطة أداة للتعبير عن فكرة كامنة لتصبح هكذا حقيقة اجتماعية يجري التعامل على أساسها[١]. أو هي بعبارة أخرى «مجموع الأدوات التي تخرج القاعدة القانونية إلى الوجود العملي إخراجا يحقق الغاية التي يفصح عنها جوهرها»[٢].

والنص، كما يقول الدكتور أحمد فتحي سرور، قد يحتوي على قاعدة قانونية أو أكثر، وقد نستخلص القاعدة من أكثر من نص، والقاعدة هي المضمون المعني من النص، أو بعبارة أخرى، فإن النص هو الشيء أما القاعدة المستخلصة منه فهي المعنى. ومن ثم فان استظهار القاعدة القانونية لا يتم إلا من خلال عملية فكرية قوامها التفسير القائم على ضوابط معينة[٣].

ويفرق المستشار طارق البشري بين نوعين للنص، هما:

النص التشريعي: وهو يتعلق بمبادئ وقواعد عامة، أن تصاغ القاعدة العامة أو المبدأ العام في نص هو ما نسميه التشريع أو القاعدة القانونية، وهذا النص (التشريعي) يتشكل في صورة نموذج قابل للتكرار لموجب طبيعته وبمقتضى أصل وظيفته المؤداة أو المقصود تأديتها، وهو آمر بشيء، أو ناه عن شيء، أو مرتب لأثر ونتيجة على فعل أو مقدمة.

النص الإخباري: وهو يتعلق بذكر واقعة أو حادث، ويقوم به دليل على ثبوتها أو نفيها، فهو إذن يتشكل في صورة إخبار عن وقائع الزمان الماضي أو الحاضر، أو يمثل قولا عنها، أو تعليقا عليها فهو مثبت لوجود ممارسة وهو ذكر نازلة أو بيان موقف عيني أو فعل لبشر أو قول لبشر.

والنص القانوني هو نص معد لكي يحكم تصرفات الناس بعد صدوره، وهو بأصل وجوده، كما يصفه المستشار طارق البشري، نص «متعد» وليس مجرد نص «لازم» بالمعنى اللغوي لهذين المفهومين.

أي إن دلالته لا تقتصر في شأن من أصدره ولا تنحصر في محتوى عيني له. إنما هو دائما يتعدى إلى الغير، بل إن المقصود من إصداره هو أن يتعدى إلى الغير ويحكم أنشطتهم[٤].

تعمل النصوص القانونية في إطار وحدة عضوية تجعل من أحكامها نسيجا متآلفا متماسكا فلكل نص منها مضمون محدد يستقل به عن غيره من النصوص استقلالا لا يعزلها بعضها عن بعض، وإنما يقيم من مجموعها بنيانا واحدا.

يقول الدكتور سعيد أحمد بيومي في كتابه الرائع لغة القانون في ضوء علم لغة النص (دراسة في التكامل النصي)، إن النص القانوني يشبه حين يكون متماسكا - بشبكة العنكبوت، تمتد خيوطها وتتتابع وفق آلية منتظمة على نحو متصل، كما تتوالى

الجمل والعبارات التي تحمل كل منها مضمون الحكم في بنية تنظيمية على امتداد نسيج النص القانوني[٥].

والتماسك إما أن يكون لفظيا أو معنويا، فالتماسك اللفظي يعنى بالروابط الشكلية بين عناصر النص، وهي الوسائل والأدوات التي تتحقق بها استمرارية المعنى على سطح النص، ومنها: التكرار والإحالة، والربط بالأداة، وغيرها[٦].

وأما التماسك المعنوي، فيعنى بالروابط الدلالية والعلاقات المنطقية بين منظومة المفاهيم التي يتضمنها النص، «كالسببية والتفصيل بعد الإجمال، والنتيجة، والتفسير، والتقابل الدلالي، وغيرها. ولذا فهذا النوع من التماسك يتجاوز الأبنية السطحية للنصوص ويجسد الاستمرارية الدلالية»[٧].

مع الإشارة إلى أن تقسيم التماسك إلى لفظي ومعنوي لا يعني النظر على مستوى النص إلى واديين كل منهما منفصل عن الآخر، إذ لا توجد وسائل لفظية تخلو من علاقات دلالية وكله يدخل في إطار تماسك الجمل والترابط بينها.

ولمزيد من الإلمام بهذا الموضوع، سوف نتعرض إلى معايير التماسك النصي (جزء أول) ونموذج تطبيقي (جزء ثان) يوضح المسألة.

الجزء الأول: معايير التماسك النصي

إن عملية التماسك النصي تتطلب كثيرا من المعايير، لخصها روبرت دي بوجراند في سبعة معايير وذلك في كتابه (النص والخطاب والإجراء)، وهي:

١ - التماسك اللفظي: وهو ترابط ظاهر على سطح النص بين العناصر المعجمية المكونة له من خلال وسائل لغوية شكلية كأدوات الربط والتكرار والإحالة وغيرها.

٢ - التماسك المعنوي: وهو ربط دلالي قائم على إدراك العلاقات التي لا تظهر على سطح النص، أو هو الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم، كالسببية والعموم والخصوص وغيرها.

٣ - القصد: القصد هو تعبير عن هدف النص باعتباره وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها.

٤ - القبول: وهو موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص متماسك.

٥ - رعاية الموقف: أي مناسبة النص للموقف، وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بواقعة ما يمكن استرجاعها. وترتبط رعاية الموقف بسياقات النص المتعددة زمنا ومناسبة وهدفا.

٦ - الإخبارية: أي مدى توقع المعلومات أو الوقائع الواردة في النص أو عدم توقعها، وفي بعض الأحيان يؤدي ضعف الإخبارية - أو الإعلامية عند آخرين - إلى الملل الذي قد يفضي إلى رفض النص.

٧ - التناص: ويتضمن العلاقة بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة[٨].

وتتوزع هذه المعايير «بين ما يتصل بالنص ذاته، وهما معيارا: التمسك اللفظي والتمسك المعنوي، وما يتصل بمستعملي النص إنتاجا وتلقيا، وهما معيارا: القصد والقبول. أما المعايير الثلاثة الأخرى وهي: رعاية الموقف، والإخبارية والتناص، فتتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص»[٩].

ولا يقتصر التماسك النصي على التشريعية فقط، بل يشمل كذلك مجالات أخرى تهم الإبداع القانوني، موضوع هذه المقالة فأحسن المحاضرات التي تقدم من مدرس القانون إلى طلبة الحقوق تلك المعروفة بالأسلوب السهل وعمق المعلومات وتكامل الدروس من أولها إلى آخرها، وكأنها عمل فني أو بناء مترابط متناسق مع تكامل المنهجية القانونية، وقد بلغ بعض رجال القانون درجة من الإبداع إلى درجة الحديث عن فلسفة القانون والنظريات القانونية.

وأحسن الأحكام القضائية تلك المعللة جيدا والتي تربط بين نصوص القانون مع تنزيل الإطار القانوني وإعطاء التعاريف القانونية والاجتهادات الفقهية.

وفي درجة أعلى يجمع الفقه على أن الوظيفة القانونية للقضاء تتجاوز النفاذ العادي للقانون إلى إزالة عوارض النظام القانوني وحماية القانون من كل العقبات التي تحول دون نفاذه وفاعليته والتي يعبر عنها «بأزمة القانون»، أو «مشكلة عدم فاعليته» وهي حالة مرضية في النظام القانوني موجبة لتدخل القضاء الذي يعد «الأداة القضائية لليقين القانوني».

وبالتالي حماية الحقوق والمراكز القانونية عن طريق تحقيق اليقين القانوني اعتبارا لما يحيط العمل القضائي من ضمانات وما يتمتع به من حجية الأمر المقضي التي تحول

دون المنازعة في وجود الحق[١٠].
وقد أبدع في مجال التماسك النصي والربط بين الكليات والجزئيات علماء كبار لاقت كتاباتهم قبولا كبيرا أمثال العلامة مصطفى الزرقا والمستشار طارق البشري.
يعتبر كتاب «المدخل الفقهي العام» للعلامة مصطفى الزرقا من أروع ما ألفه ضمن سلسلته الفقهية الرائعة «الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد»، حيث جاء الكتاب مرتبا ترتيبا منطقيا، فالقسم الأول منه بدأ فيه بتعريف الفقه الإسلامي، ثم ذكر مصادره الأساسية الأولى: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ثم مصادره التبعية: الاستحسان، والاستصلاح، والعرف، ثم بحث في تطور الفقه الإسلامي والأدوار التي مر بها ومميزاته في كل دور فجعلها ثمانية أولها عصر النبوة وآخرها عصرنا الحالي. ثم توقف عند موضوع استمداد التقنين المعاصر من الفقه الإسلامي في القسم الثاني دخل في صميم موضوعه، وهو النظريات الفقهية الأساسية ثم ختم الكتاب بالقواعد الكلية[١١].
وتميزت هذه السلسلة بالمقارنات المهمة بالقانون، وتبرز بوضوح مزايا الفقه الإسلامي وشموله ومنطقيته، واتسمت بكتاباتها بأسلوب منسق يفهمه الطالب الفقيه والقانوني على حد سواء.
وقد تميز موضوع كتاب «المدخل الفقهي العام» بحسن الصياغة والأسلوب.
في هذا الإطار، يقول الشيخ: «هذا النهج الجديد في تقديم الفقه الإسلامي للطلاب غير ذوي الخلفية الشرعية، لقي قبولا واسعا حتى صار هو الطريقة الشائعة، ويقوم هذا النهج على صوغ الأحكام الفقهية صياغة الفقه القانوني الحديث، ليلبس الفقه الإسلامي بذلك ثوبا جديدا يتفق مع الأذواق القانونية المعاصرة في صياغته ومظهره، ويحافظ في الأحكام والأنظار الفقهية على أصله وجوهره وهذا ما تقتضيه الدراسة الجامعية وحاجة العصر»[١٢].
استطاع المؤلف في سهولة ويسر أن يعرض النظريات الإسلامية العامة كما تعرض النظريات القانونية، حيث توصل المسائل، وتعرض الكليات، وتبسط النظريات، وتشرح المصطلحات، ثم نستخرج الفروع من أصولها، أو ترد الجزئيات إلى كلياتها، وتطبق النظريات على موضوعاتها، فيخرج الدارس من دراسته وقد ألم بالكليات والنظريات، وتماسكت في ذهنه المسائل، وارتبطت الفروع بالأصول، واستفاد القدرة على حل المشاكل والتمييز بين المتشابه[١٣].
فمن قرأ كتابه خرج منه بفائدتين: النظريات الفقهية الجديدة، وله فضل إخراجها، وكذا آراء الفقهاء التي لخصت للقارئ فأغنته عن قراءة عشرات من كتب الفقه[١٤].
كما حرص المؤلف على تقريب الكتاب من الواقع وقضاياه المعاصرة، وكان كثير الاهتمام والاستدلال بالقواعد، فهو يقول: «فإن دراسة هذه القواعد الكلية وإيضاحها مما يعطي للدارس ملكة فقهية عاجلة ويلقى نورا كاشفا على آفاق الفقه الإسلامي، ومبانيه، فيمشي الطالب بخطوات ثابتة مكينة، وبصيرة مدركة»[١٥]، ولذلك خصص لها القسم الثالث من هذا الكتاب ذكر فيه قواعد المجلة ٩٩، ورتبها ترتيبا جديدا مخالفا لترتيب المجلة، وقسمها بحسب موضوعاتها إلى أربعين قاعدة أساسية، وإلى تسع وخمسين متفرعة عنها، من ذلك القواعد المتعلقة بالولاية، وحقوق الإدارة العامة، والمتعلقة بالإثبات، مع بيانها والتمثيل لها بأمثلة فقهية تطبيقية، وفي الأخير سرد قواعد أخرى جليلة النفع مع بيان يسير مفيد لها، ولمظانها في كتب الفقه والقانون أحيانا.
كما تميز بالتأصيل ورد الفروع القانونية إلى أصول واحدة المستشار طارق البشري الذي كان خلال عمله القانوني «قاضيا بدرجة فقيه» وتحفل تقاريره القضائية بثمرات هذا التلاقي بين القضاء والفقه في ثقافته[١٦].
ففي تقرير قدم إلى الجمعية العمومية للفتوى والتشريع بمجلس الدولة يقول: «إن هدف التفسير هو معرفة معاني الألفاظ المفردة، والجمع بين أحكامها في نسق قانوني واحد بما يقتضيه ذلك من مقارنة جزئيات المادة القانونية بعضها ببعض، لرفع ما عسى أن يظهر من تعارض بينها، ولإدراك المعنى الأصيل المقصود من أعمالها معا. وهو يرى أن لكل عبارة معنى مستفادا من ألفاظها وحدها. لكن معنى كل عبارة يكتسب تحديدا خاصا وجديدا عند إعمالها مع سائر أحكام القانون، كعضو متكامل في تركيب قانوني واحد متماسك. هذا التركيب هو المعنى العام المستفاد من القانون بجملته. وهو الذي يبرر أدق المعاني للأحكام الجزئية ولمفاهيم عباراتها المفردة. وهو الروح العام الذي يخضع له تفسير كل عبارة من النص القانوني باعتبارها جزءا من كل وهو قصد المشرع الذي يذكره المفسرون والقضاة، فهذا القصد ليس مفهوما خارجا عن النصوص

يقحمه التفسير عليها، لكنه المفهوم العام المستفاد من أحكام القانون كلها وعباراته المفردة جميعا. وإذا كان لكل لفظ معناه المعجمي، فإن هذا المعنى يكتسب من السياق الذي يرد فيه ظلالا خاصة. وبالجمع بين الأمرين يظهر معنى نص القانون»[١٧].

وتفسر قضية التفسير نقطة تلاق مثالية يمكن من خلالها رصد التلاقي والتفاعل بين طارق البشري (القاضي، والفقيه، والمؤرخ) وهو ما يعبر عنه بقوله:

«ونحن في عملنا القانوني التطبيقي ننزل حكما واردا بنص تشريعي على واقعة أو تصرف وارد بنص إخباري». فرجل القانون يتعامل دائما مع نصوص، سواء بالنسبة إلى عمله النظري والتفسيري، أما بالنسبة إلى ممارسته التطبيقية في القضاء والإفتاء، لأنه دائما يتعامل مع مبادئ وقواعد مصوغة في عبارات عامة كما أنه يتعامل مع وقائع يتلقاها في صياغات خبرية، فهو في الأغلب الأعم لا يتعامل مع الحدث إبان حدوثه بل عند الإخبار عنه بعد تمامه[١٨].

وفي عمله التطبيقي يكون التحقق من صواب الإخبار جزءا من عمله.

وتكون غاية عمله التطبيقي إنزال الأحكام المصوغة في مبادئ عامة على أحداث، وذلك لتقرير المركز القانوني الشرعي لمن تلحقهم آثار الحدث بعد تمامه[١٩].

وفي براعة فكرية وفقهية بينة يقول طارق البشري عن مشكلة الوجود القانوني المفارق للواقع العملي، إن المنطق القانوني يستقيم في تداعيه وفقا لمناهج الاستدلال الصارمة المعترف بها، شريطة أن يصدر هذا المنطق عن المسلمات العامة التي ستبقي له صلته بالواقع الفعلي، بأن يكون للشخصية قوامها، وللمال تميزه، وللقرار وجوده الفعلي بوصفه تصرفا قانونيا.

فاضطراب أي من تلك المسلمات بطروء الصورية على الواقعة القانونية، أو بصيرورة الواقع غير الواقع، والحاصل غير حادث، يدعو إلى التوقف لتدبر الحال قبل أن يضل الفكر القانوني في توهيمات الخواء.

وتجنبا لهذا الضلال المحتمل، «صاغ البشري رؤيته لصنيع الفكر القانوني في التوفيق بين الحقيقة القانونية والحقيقة الواقعية.

وهي صياغة تدل على التحرر من سلطان التقليد، والتوجه - الذي يكاد يكون متفردا - نحو الاجتهاد الذي يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة، وتقديمه على ما قد يبدو، في القراءة الأولى، أنه ظاهر أو النص نفسه»[٢٠].

وصفوة القول إن التأصيل القانوني وتماسك النص هما نتيجة الرؤية الشاملة والأصولية لرجل القانون.

ولنا في العلامة مصطفى الزرقا والمستشار طارق البشري خير دليل.

الجزء الثاني: نموذج تطبيقي

يجدر بنا أن نبين - في ضوء ما تقدم - إلى أي مدى تتحقق معايير النصية التي أوردها دي بوجراند، في النص القانوني بالنظر إلى طبيعة هذا النص والوظيفة التي يؤديها باعتباره وحدة لغوية تواصلية. ومن أجل ذلك، نسوق النص التالي الوارد في مجلة الالتزامات والعقود التونسية في الفرع المتعلق ببعض قواعد عامة تتعلق بالقانون وهو الفصل ٥٣٢ «نص القانون لا يحتمل إلا المعنى الذي تقتضيه عبارته بحسب وضع اللغة وعرف الاستعمال ومراد واضع القانون».

يعتبر الفصل (٥٣٢ م.ا.ع) المرجع والأساس في تأويل النص القانوني الغامض، وهو بذلك يتضمن قاعدة أصولية تعد منطلق كل عملية تأويلية للغموض تستتبع لاحقا بما أقره المشرع من قواعد تأويلية إضافية تساعد على بيان معنى النص ورفع الغموض اللاحق به[٢١].

حسب الفصل (٥٣٢ م.ا.ع) نلاحظ أن المشرع قد حدد بكل دقة المعايير التأويلية المعتمدة في استخلاص المعنى الذي يدل عليه النص الغامض.

وهي: معيار «وضع اللغة» ومعيار «عرف الاستعمال» ومعيار «مراد واضع القانون».

بالإضافة إلى التماسك النحوي، هناك تماسك دلالي عبر استمرارية المعنى، وهذه الدلالة تستخرج من عبارات النص وألفاظه بحسب ما يؤدي إليه «وضع اللغة» و«عرف الاستعمال» في إطار تحليلي متناسق يحافظ على التماسك السياقي للنص، ويضمن ترابطه المنطقي وتلاحم أجزائه، «ومن ثم كان من الضروري لاستخدام منهج الشرح اللفظي من معرفة مقتضى الأساليب في اللغة العربية وطرق الدلالة فيها وما تعنيه ألفاظها وتركيباتها، باعتبارها اللغة الرسمية المعتمدة في نشر القوانين»[٢٢].

ومن هذا المنطلق يستوجب فك غموض النص انطلاقا من «وضع اللغة» استعمال القواعد الأصولية اللغوية باعتبار أن هذه القواعد تتعلق بألفاظ النصوص من جهة إفادتها للمعاني والإحاطة بهذه القواعد تستلزم الوقوف على أقسام اللفظ بالنسبة للمعنى ومعرفة ما يندرج تحت كل

قسم من فروع وتقسيمات[٢٣].

في هذا الإطار، بين الأستاذ أحمد بن طالب في مقاله المهم: القواعد العامة للقانون في فقه قضاء محكمة التعقيب، بأن تطبيق محكمة التعقيب للشرح اللفظي بواسطة الفصل (٥٣٢ م.ا.ع) قد أفرز وجود خمسة توجهات تأويلية مستنتجة منه وهي:

- التوجه الأول: النص الواضح لا يؤول بل يطبق.

- التوجه الثاني: لا يمكن تحميل النص أكثر مما تقتضيه عبارته.

- التوجه الثالث: يؤخذ معنى النص من تركيبته النحوية وبنائه اللغوي.

- التوجه الرابع: يؤخذ المعنى اللفظي للنص من عرف الاستعمال.

- التوجه الخامس: يجوز الاستئناس بالترجمة الأجنبية (الفرنسية خصوصا)[٢٤].

كما أن التفسير الداخلي للنص القانوني يستوجب بالإضافة إلى إعمال معيار «وضع اللغة» إعمال معيار «عرف الاستعمال»، وهذا المعيار يحتمل في الحقيقة معنيين:

- الأول أن يكون المقصد منه «عرف الاستعمال اللغوي» مما يتطلب ضرورة استبعاد الشواذ اللغوية في عملية التأويل وضرورة الأخذ بعين الاعتبار «الاستعمال الجاري» لمعنى اللفظ.

- الثاني أن يكون المقصد من عبارة «عرف الاستعمال» هو عرف الاستعمال القانوني للدلالات اللغوية[٢٥].

أما بخصوص التفسير الخارجي للنص فإن غايته استجلاء «مراد واضع القانون»، وهذا التفسير الخارجي يعتمد على طرق وآليات مختلفة تمكن من رفع الغموض الذي يلحق بالنص، وأهمها حكمة التشريع وتقريب النصوص والأعمال التحضيرية والمصادر المادية[٢٦].

كما يجب أن تكون قراءة النصوص قراءة سياقية شاملة للمقاصد التشريعية في الزمان «تؤسس إلى فهم سليم للنصوص في سيرورتها التطبيقية بحيث نتحول من القراءة المقاصدية للنص في ذاته إلى قراءة المقاصد التشريعية العامة ككل، مع الأخذ بعين الاعتبار في إجراء هذه القراءة مدى انفتاح وضع اللغة وعرف الاستعمال وقدرتهما على استيعاب الغايات المقاصدية التشريعية المتطورة»[٢٧].

وبعد تحليل هذا النص المهم نخلص إلى أنه من الناحية الدلالية جاءت هذه القاعدة: واضحة (خالية تماما من الإبهام والغموض) وموجزة (من دون وجود عناصر لغوية زائدة أو غير ضرورية) ومترابطة (في هيكل متجانس) ثابتة ومتسقة (مع الأحكام الأخرى في القانون المدني وأحكام غيره من القوانين) وكاملة ومفهومة (يمكن فهمها بسهولة من قبل المخاطبين بها)، وهكذا تحققت في هذا النموذج معايير النصية التي تحدث عنها دي بوجراند وهي: التماسك اللفظي، التماسك المعنوي، القصد، القبول، رعاية الموقف، الإخبارية، التناص.

يتبين مما سبق أن المبدع القانوني هو من يحيط كذلك بعلم الأصول. وخير لمن يريد فهم هذا العلم على وجهه ويرسخ فيه أن يرجع في قراءته إلى كتب الأوائل، ومن أحسن من أبدع في هذا المجال وأعطى صورة إجمالية لعلم الأصول مادة وترتيبا الإمام الغزالي، وهنا نورد نصا من كتابه «المستصفى من علم الأصول» وهو نص جليل جدا[٢٨] لسببين اثنين:

أحدهما: أن هذا النص قد تضمن ترتيبا بديعا، وقد أحس الغزالي بقيمة هذا الترتيب فقال في مطلع كتابه: «وأتيت فيه بترتيب لطيف عجيب، يطلع الناظر في أول وهلة على جميع مقاصد هذا العلم ويفيده الاحتواء على جميع مسارح النظر فيه»[٢٩].

والثاني: إن تصور العلم بصفة إجمالية من أكبر الأسباب التي تعين على فهمه، ليكون الدارس على بصيرة بمعالم العلم الذي يدرسه، مستحضرا لهيئته الكلية، عارفا بحدوده وأبعاده وموقع كل مبحث في مباحثه[٣٠].

ولهذا يقول الغزالي عقب كلامه السابق: «فكل علم لا يستولي الطالب في ابتداء نظره على مجامعه ولا مبانيه فلا مطمع له في الظفر بأسراره ومباغيه»[٣١].

وهاك النص المذكور: «اعلم أنك إذا فهمت أن نظر الأصولي في وجوه دلالة الأدلة السمعية على الأحكام الشرعية لم يخف عليك أن المقصود معرفة كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة، فوجب النظر في الأحكام، ثم في الأدلة وأقسامها، ثم في كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة، ثم في صفات المقتبس الذي له أن يقتبس الأحكام».

فإن الأحكام ثمرات، وكل ثمرة لها صفة وحقيقة في نفسها، ولها مثمر ومستثمر وطريق في الاستثمار. والثمرة: هي الأحكام، أعني الوجوب، والحظر، والندب، والكراهة، والإباحة، والحسن والقبح، والقضاء، والأداء، والصحة، والفساد.. وغيرها.

والمثمر[٣٢]: هو الأدلة، وهي ثلاثة

فقط: الكتاب، والسنة، والإجماع.

وطرق الاستثمار: وهي وجود دلالة الأدلة، وهي أربعة، إن الأقوال إما أن تدل على الشيء بصيغتها ومنظومها أو بفحواها ومفهومها، وباقتضائها وضرورتها، أو بمعقولها ومعناها المستنبط منها.

والمستثمر: هو المجتهد، ولا بد من معرفة صفاته، وشروطه وأحكامه.

❖ فإذن جملة الأصول تدور على أربعة:

القطب الأول: في الأحكام، والبداءة بها أولى، لأنها الثمرة المطلوبة.

القطب الثاني: في الأدلة، وهي الكتاب والسنة والإجماع، وبها التثنية، إذ بعد الفراغ من معرفة الثمرة لا أهم من معرفة المثمر.

القطب الثالث: في طريق الاستثمار، وهو وجود دلالة الأدلة وهي أربع: دلالة بالمنظوم، ودلالة بالمفهوم، ودلالة بالضرورة والاقتضاء، ودلالة بالمعنى المعقول.

القطب الرابع: في المستثمر، وهو المجتهد الذي يحكم بظنه، ويقابله المقلد الذي يلزمه اتباعه، فيجب ذكر شروط المقلد والمجتهد وصفاتهما[٣٣].

الهوامش

١ - الدكتور حسن كيرة، المدخل إلى القانون، منشأة المعارف، الطبعة الرابعة، ص:٢٦.

٢ - انظر: أصول سن وصياغة وتفسير التشريعات، عليوة مصطفى فتح الباب، مكتبة كوميت، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، المجلد الثاني، ص:٩٢٩.

٣ - الدكتور أحمد فتحي سرور، الحماية الدستورية للحقوق والحريات، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص:٢١٧.

٤ - المستشار طارق البشري، النص بين التشريع والإخبار، دراسة منشورة على موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ٢٠٠٧م، ص:٣٠١.

٥ - الدكتور سعيد أحمد بيومي، لغة القانون في ضوء علم لغة النص (دراسة في التماسك النصي)، دار الكتب القانونية، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص:٣٢.

٦ - الدكتور سعيد أحمد بيومي، المرجع نفسه، ص:٣٦.

٧ - المرجع نفسه، ص:٣٧.

٨ - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:١٠٣-١٠٥ (منقول من كتاب الدكتور سعيد أحمد بيومي، لغة القانون في ضوء علم لغة النص، مرجع سابق، ص:٣٥-٣٦).

٩ - حول مزيد تفصيل لهذه المعايير، انظر: المرجع نفسه، الدكتور سعيد أحمد بيومي، ص:٣٢-٣٨.

١٠ - في هذا الإطار، انظر: مبادئ القضاء المدني، وجدي راغب فهمي، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، ١٩٨٦م، ص:٣٢.

١١ - انظر: الأستاذ حمودين بكير، العلامة مصطفى الزرقا مجددا كتاب «المدخل الفقهي العام» نموذجا موقع 7 www.al ewar.net

١٢ - مصطفى الزرقا، مقدمة المدخل الفقهي العام، ج١، ص:١٦.

١٣ - عبدالقادر عودة، مقدمة المدخل الفقهي العام، ج١، ص:٦.

١٤ - منير العجلاني، مقدمة المدخل الفقهي العام، ج١، ص:١٣.

١٥ - مصطفى الزرقا، مقدمة المدخل الفقهي العام، ج٢، ص:٩٧٨.

١٦ - انظر بمزيد التفصيل، ممدوح الشيخ، طارق البشري القاضي.. المؤرخ.. المفكر.. وداعية الإصلاح، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١١م، ص:٤٦ وما يليها.

١٧ - طارق البشري فقيها: لمحات من منهجه في التفسير، دراسة منشورة في كتاب طارق البشري القاضي المفكر، ص:٢٣٤-٢٣٥.

١٨ - ممدوح الشيخ، المرجع السابق، ص:٤٨.

١٩ - طارق البشري، النص بين التشريع والإخبار، دراسة منشورة على موقع الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٧م.

٢٠ - ممدوح الشيخ، طارق البشري القاضي، المؤرخ والمفكر، مرجع سابق، ص:٥٦-٥٧.

٢١ - حول تحليل الفصل ٥٣٢ م.ا.ع، انظر بمزيد التفصيل الدكتور عبدالمنعم العبيدي والرئيس الحبيب الصياحي، شرح القواعد العامة للقانون (دراسة تحليلية تأصيلية للقواعد العامة الواردة في مجلة الالتزامات والعقود)، دار الكتاب، الطبعة الثانية، تونس، ٢٠١٧م، ص:٢٥-٣٥.

٢٢ - الدكتور عبدالمنعم العبيدي والرئيس الحبيب الصياحي، المرجع السابق نفسه، ص:٢٧.

٢٣ - المصدر نفسه، ص:٢٧-٢٨.

٢٤ - أحمد بن طالب، القواعد العامة للقانون في فقه قضاء محكمة التعقيب، مقال منشور «خمسون عاما من فقه القضاء المدني» ١٩٥٩-٢٠٠٩م، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠١٠م، ص:١٥٣-١٥٥.

٢٥ - الدكتور عبدالمنعم العبيدي والرئيس الحبيب الصياحي، شرح القواعد العامة للقانون، مرجع سابق، ص:٣٠.

٢٦ - حول هذه الطرق والآليات، انظر: محمد كمال شرف الدين، قانون مدني، النظرية العامة، الأشخاص، إثبات الحقوق، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، طبعة أولى، ٢٠٠٢م، ص:١٥٦ وما يليها - توفيق حسن فرج، المدخل للعلوم القانونية، القسم الأول.. النظرية العامة للقانون، الدار الجامعية بيروت، لبنان، ص:٤٣٧ وما يليها.

٢٧ - عبدالمنعم العبيدي والحبيب الصياحي، شرح القواعد العامة للقانون، مرجع سابق، ص:٣٤.

٢٨ - حول قيمة هذا النص، انظر: مقدمة كتاب المرتقى الذلول إلى نفائس علم الأصول للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، المكتبة الإسلامية، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م، ص:١٩ (تقديم أبي الفضل عبدالسلام بن محمد بن عبدالكريم).

٢٩ - الإمام الغزالي، المستصفى، ٨/١.

٣٠ - أبو الفضل عبدالسلام بن محمد بن عبدالكريم، تقديم كتاب المرتقى الذلول إلى نفائس علم الأصول للعلامة السعدي، مرجع سابق، ص:١٩.

٣١ - المستصفى، ٨/١.

٣٢ - المثمر اسم مفعول من الفعل ثمر بمعنى استثمر، ويقصد بالمثمر: الشجرة التي تحمل الثمرة لأن المجتهد في عملية اقتباس الأحكام من الأدلة كأنه يستثمر الأدلة أو يثمرها.

٣٣ - المستصفى للغزالي، ١٢/١.



أ.د. مرزوق يوسف الغنيم
الأمين العام المساعد للمركز العربي
لتأليف وترجمة العلوم الصحية

الحداء

في جلسة مسائية مع مجموعة من الإخوان تكلمنا في موضوعات شتى، ومن ضمن ذلك تكلمنا عن الغناء العربي وكيف كان الطرب عند العرب قديما، وكيف أصبح عند بعض مطربي العرب الآن، وتناقشنا كثيرا حول هذا الموضوع، وعندما رجعت إلى مكتبتي وجدت أن العرب قديما غنوا واستخدموا الغناء في حياتهم اليومية في مجالات عدة.

لذلك سأقدم في تلك الوريقات نوعاً من أنواع الغناء العربي وهو الحداء؛ لنرى اعتزاز أولئك العرب بلغتهم أولاً، وبالذوق السليم ثانياً.

هذه رسالة لمن يرى أن اللغة العربية كانت لغة الماضي فقط، لأننا لم نحاول أن نجعلها لغة الحاضر والمستقبل أيضا.. كان العرب قديما يتفننون في لغتهم وأجادوا جميع العلوم عن طريقها.. ومن هذه العلوم الغناء، لم يستخدموا في غنائهم كلمات خارجة.. بل استخدموا الغناء في حياتهم اليومية، ومن أمثلة ذلك الحداء.

لم تعرف الموسيقى في العصر الجاهلي الآلات الموسيقية، فقد كان العرب والشعراء منهم يلقون قصائدهم بطريقة غنائية متكاملة ليجذبوا إليهم المستمعين ليستمعوا لشعرهم الذي يتضمن الفخر والشجاعة والكرم والغزل، وكان لبعضهم شهرة كبيرة في ذلك، منهم عدي بن ربيعة شاعر بني تغلب، وقد لقب بالمهلهل، لأنه كان يقول الشعر على السليقة، كما تغنى علقمة بن عبده بالمعلقات، ومن هؤلاء صناجة العرب وهو الأعشى ميمون بن قيس.

وكان أول ما عرف العرب من الغناء هو «الحداء» وهو صوت الغناء للإبل وكان يغنى أثناء سير القوافل، وهدفهم من ذلك مساعدة الإبل على السير، وهناك نوعان من الحداء؛ حداء «الأوب» ويقال عند العودة للمنازل، وحداء «الورد» وهو الحداء الذي يقال عند موارد المياه، ويتكون غناء الحداء من أبيات قصيرة قليلة الكلمات لها مفعول نفسي.

وقد كان لرسول الله ﷺ أربعة حدائين هم: البراء بن مالك، وعامر بن الأكوع، وعبدالله بن رواحة، وأنجشة وهو عبد حبشي، وقد سمع الرسول ﷺ عامر بن الأكوع خلال خروجهم لخيبر وهو يقول:

إذا أرادوا فتنة أبينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا

فدعا له الرسول بالرحمة.

وفي سفر للرسول ﷺ مع السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها طلب ﷺ من عبدالله بن رواحة أن يحدو، فأنشد:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا

وقال:

خلوا بني الكفار عن سبيله
خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسوله
بأن خير القتل في سبيله
يارب إني مؤمن بقيله

وكان أنجشة جميل الصوت له تأثير جيد، وكان من نتيجة هذا الحداء أن أسرعت الإبل في السير حتى إن الرسول ﷺ قال: رويدك يا أنجشة لا تكسر القوارير. (راوه البخاري وأحمد)، وكان عبدالله ذو النجادين أحد حداة الإبل مع الرسول ﷺ، وكان يغني لها:

تعرضي (مدارجا) وسومي
تعرض الجوزاء للنجوم
هذا أبو القاسم فاستقيمي

والمدارج تعني الطرق الوعرة بين الجبال، والسوم هو السرعة.

وعندما أراد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن يخرج من البصرة في طريقه إلى الكوفة كان يحدو لناقته رباب قائلاً لها:

أوبي إلى أهلك يا رباب
أوبي فقد حان لك الإياب

وكان بعض الشعراء يستخدمون الحداء لإرسال رسائل شوق ومحبة لحبيباتهم، فقد كان الليث بن زيد وهو شاعر أموي استخدم حداءه لإبله ليبث عبره رسائل غراميه لحبيبته المختبئة خلف بيت الشعر، فقد كان يتصنع الكلام لناقته وهو يقصد الحبيبة، كما أن من ذلك ما قاله الشاعر الأموي الكمي ابن زيد الأسدي:

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم
وحملوها وسارت في الدجى الإبل
وأرسلت من خلال الشق ناظرها
ترنو إلي ودمع العين ينهمل
يا حادي العيس عرج كي أودعهم
يا حادي العيس في ترحالك الأجل
إني على العهد لم أنكر مودتهم
يا ليت شعري بطول البعد ما فعلوا

ومن أشهر الحدائين سلام الحادي الذي عاش إبان الدولة العباسية وسمي «سلام الحادي» لأنه اشتهر بالحداء للإبل، وكان يضرب به المثل في جمال الصوت، ويروى عنه أنه راهن الخليفة المنصور العباسي على أنه يستطيع أن يجذب الإبل العطشى من مكان شربها إذا ما غنى لها، فغنى:

ألا يا بانة الوادي
بشاطئ نهر بغداد
شجاني فيك صياح
طروب فوق مياد
يذكرني ترنمه
ترنم رنة الشادي
إذا اسودت مثالثها
فلا تذكر أخا الهادي
وإن جاءت بنغمتها
نسينا نغمة الحادي

عندها رفعت الإبل رأسها عن الماء وظلت تبحث عن صاحب الصوت، وكسب الرهان وحصل على جائزة الخليفة.

وهناك كلمات خاصة ذات نبرات أنغام مميزة تحن إليها الإبل، فمن مثل ذلك ما يقوله الشاعر غيلان بن عقبة الملقب بذي الرمة المتوفى عام ٧٣٥م:

إذا غرق الرواتك في الهوافي
أرن على جوانبها بهيد

والأحرف الأخيرة ذكرتها المعاجم بأنها حروف يغني بها الراعي لكي ينادي جماله، وعادة ما تكون في بداية الحداء وتسمى «دواهة الإبل»، وكانت تستعمل لحداء الإبل قديما في الكويت، ولكن مع تحوير قليل، فحداتنا يقولون: هيدوا.. هيدوا، وقد ذكرت الروايات أن أول من بدأ بالحداء مضر بن نزار جد الرسول ﷺ، فقد كسرت يده وهو ينزل من بعيره فصاح «وايداه.. وايداه» فوجد أن الجمال تجمعت حوله وسارت معه.

هذا فقط في مجال «الحداء» فماذا عن الغناء في مجمله، لعل رسالة لي أخرى أرسلها لك لنكمل هذا الحديث عن أنواع الغناء ومطربي ذلك الزمان وأي نوع من الكلام يترنمون به مقارنة بعدد من مطربي هذا الزمان.

المراجع

١- الحداء، جمع وتدوين خالد العجيري، الهيئة العامة للثقافة، وزارة الثقافة، مصر.
٢- الشعر الشعبي العربي، د. حسين نصار، المكتبة الثقافية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.
٣- المجلة العربية، موسيقى الإبل وغناؤها، محمد محمود فايد (٢٠١٢م).



د. عاصم عبدربه
دكتوراه في الأدب والنقد

قراءة نقدية لقصائد «الوعي الإسلامي»

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ما تفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.

«على نهج الحبيب»

قصيدة على نهج الحبيب للشاعر أحمد عبدالمقصود حبة في عقد القصائد التي جادت بها قرائح الشعراء انتصارا للنبي ﷺ بعد الرسوم القبيحة التي أساءت للنبي ﷺ وللمسلمين عامة، فالشاعر يبدأ قصيدته بمقدمة كان لا بد منها قبل الحديث عن الرسوم المسيئة، فبدأ بالإشارة إلى أن المسلمين سائرون على درب النبي ﷺ بقطع النظر عما جرى، وأن حب المصطفى معلق بقلوبهم مهما حدث، وأن ذلك الحب لن يزول لأنه أولا حب متمكن في القلوب، وثانيا لأنه أصل من أصول ديننا. وتلمح في كلام الشاعر استهزاء بهؤلاء الذين تعرضوا للنبي ﷺ بالإهانة بتلك الرسوم، حيث يشير إلى أن ما يفعلونه لا أثر له إلا زيادة حب المسلمين لنبيهم وتمسكهم بمنهجه، ثم يستخدم الشاعر الاستفهام الإنكاري ليشير به إلى حمق هؤلاء المسيئين، فهم يفعلون فعلتهم القبيحة ثم ينتظرون منا أولا ألا نغضب، وثانيا ألا نعاديهم أو نسخط عليهم، وكأنهم يظنوننا بهائم لا تعقل، أو جمادات لا تشعر، فينكر الشاعر ذلك عليهم وينبههم إلى أنهم بذلك لن يجدوا من المسلمين رضا أو تهاونا، ثم يستخدم الشاعر في هجائه لأعداء النبي ﷺ ما رآه لائقا بهم من ألفاظ الهجاء، فيذكر «سفيه - أثيم - جهول - أباعد»، ثم يبعث رسالة من شقين: أولهما يقول فيه لهؤلاء إننا مستمرون في نصرة نبينا مهما كانت الصعوبات؛ فيقول:

ولا والله لا نرضى مساسا
لظفر محمد، دع أن يهانا

وشقها الثاني يعرفهم فيه بعظم هذا الرجل الذي يجهلون قدره، فيقول لهم إن هذا الرجل الذي تسبونه: «رحيم القلب، أواب، يقيم الليل متعبدا لله، أواه، أسيف».

ثم يستعين الشاعر لإبراز فكرته بالاقتباس في مواضع عديدة من قصيدته، فهو يذكر شفاعة النبي ﷺ لأمته وخوفه عليهم فيقول: «ويهتف أمتي»، مقتبسا ذلك من قوله ﷺ: «اللهم أمتي أمتي» (صحيح مسلم)، ويذكر «ومنبره بكى» مشيرا به إلى حنين جذع النخل الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ لما تركه وانتقل إلى المنبر، فقد ورد: «فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها، حتى كادت تنشق، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها، فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت، حتى استقرت» (رواه البخاري)، ثم يذكر «وشكا إليه بعير» يشير به إلى خبر البعير الذي اشتكى إلى النبي ﷺ من شدة وقسوة صاحبه، فقال ﷺ: «أحسن إليه فقد شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه» (مسند أحمد).

وقد استعان الشاعر في إبراز فكرته ومشاعره بأن صاغ قصيدته على بحر الوافر، وهو بحر راقص خفيف على الناظم ومبهج للسامع، وساعده ذلك البحر على حمل المتلقي على إكمال القصيدة إلى آخرها دون ملل، زد على ذلك استعانة الشاعر ببعض فنون البلاغة التي حسنت من وقع الأبيات وأبرزت شرف موضوعها، فتراه يستعين بالاستعارة المكنية فيقول: «وتهتف .... دمانا»، حيث جعل الدماء كإنسان يهتف وينادي، ثم تراه يشبه النبي بشمس تضيء الدنيا فيقول: «شمس دنيانا».

ثم يختم الشاعر قصيدته بخير ختام، حيث يدعو أن يجعلنا الله ممن يردون حوض النبي ﷺ ويشربون منه، وأن يكرمنا بلقائه في جنات عدن، وتلك أقصى الأماني.



«سنابل الجود»

قصيدة سنابل الجود للشاعر محمود عقاب يمكن أن نسميها قصيدة الموازنات، فالشاعر استخدم موضوع القصيدة (الجود) ففرع منه موضوعات جانبية جعلها أداة للموازنة بين حال وحال، فحال الكريم المنفق صفتها كذا وكذا، وحال البخيل المسك صفتها كذا وكذا.

فيوازن بين الكرم والبخل في الأثر والأذى الذي يحدثه كل منهما في المال، فيذكر أن الجود ينمي المال فيقول: «لا ينقص الأنهار»، بينما الشح يحرق الخير فيقول: «النار في حطب».

ثم يوازن بين الجود والشح من حيث الأثر الذي يتركه كل منهما في الأرض، فالجود يمر على الأرض الجدباء فيجعلها تنبت وتزدهر، فيقول: «جال في جدب الثرى أنبت»، بينما الشح يمر على الأرض فيحدث فيها ما تحدثه النار والرماد من إحراق وإفساد.

ثم يوازن بين الجود والشح من حيث معاملة الله تعالى لكل من الكريم والبخيل، فالكريم يجعل الله حبته سنبلة، فيقول: «لسنبلة تضاعفت»، بينما يسلب الله البخيل حلاوة المال فيجعله باهتا لا طعم له، تماما مثل الدر الذي فقد بريقه أو الشمس التي حجبتها الغيوم، فيقول: «غاب مشرقه... ما شبت».

ثم يوازن بين الكرم والبخل من حيث أثرهما في تربية النفس أولا، ثم في تربية غيرهما ثانيا، فيذكر أن الكرم يهذب النفوس ويعلم الناشئة ويدل على طريق المكارم، بينما البخل لا يعين على تربية ولا يدل على طريق خير.

ثم يوازن بين مكان السخاء ومكان البخل، وبين أجر المنفق وأجر البخيل، فمكان السخاء وأجر السخي مرتفع عال في جو الغيث بين الثمر والزهر، بينما مكان البخل وأجر البخيل منحط هابط بقاع الأرض بين القبور والحصى.

ثم يلصق الكرم بألفاظ تشير إلى الخير والبركة، فيذكر معه «الأنهار – صبت – أنبت»، بينما يذكر مع الشح ألفاظا تشير إلى القبح والخسران، فيذكر معه «النار – تخبو – رماد – الشح».

ومما يؤخذ على الشاعر قوله: «غيمات» في قوله: «فالشمس في معطف الغيمات» فالجمع هكذا يفيد التقليل، يعني أن الغيوم قليلة، فهي «غيمات» لا «غيوم»، والغيمات القليلة لا تحجب الشمس كما قصد الشاعر، ومثل ذلك وقع مع حسان ابن ثابت حين قال:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فنظر النابغة الذبياني إلى جمع جفنة على «جفنات» وقال له: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك[1].

كما تحسن الإشارة إلى أن الشاعر قد استعان بالاقتباس في بعض المواضع، مما أعان على تأكيد ما يرمي إليه من معنى، ففي قوله: «الجود لا ينقص» تلمح اقتباسا من حديث: «ما نقص مال من صدقة» (سنن الترمذي) وفي قوله: «وحبة... لسنبلة تضاعفت» اقتباس من قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ (البقرة:٢٦١).

الهوامش

(١) الأغاني: ٩/٣٨٤.



«هدية الإسراء والمعراج»

لا يخفى على بصير بالشعر أن الشاعر عبدالمنعم عبدالله قد سيطرت عليه عاطفة دينية قوية في أبياته تلك، ولا عجب في ذلك، فالموضوع شريف، فحادثة الإسراء والمعراج كثيرا ما ألهمت الشعراء قديما وحديثا فصالوا فيها وجالوا، مطيتهم فيها شرف الموضوع ونبل الهدف وعظم قدر الحادثة.

وبما أن الحديث يدور حول النبي ﷺ فمن الطبيعي أن تشيع الألفاظ التي اعتاد الناس ذكرها في مثل هذه المناسبات، فلفظ الضياء مثلا من الألفاظ التي اعتاد الشعراء ذكرها عند ذكر النبي، وقد كرر الشاعر هذا اللفظ وما تفرع عنه مرات جعلنا نصف قصيدته بأنها (قصيدة الضياء)، حيث ذكر (نور تفجر) و(سراج) و(ضيائه الوهاج) و(وسناك و(مؤتلق) و(النور) و(ساطع) و(الإبلاج).

ومما وفق فيه الشاعر أنه لخص خبر الإسراء والمعراج في هذه الأبيات القليلة، حيث ذكر مكان الإسراء فأشار إلى أنه تم بين مكة المكرمة وبيت المقدس، فقال: (أم القرى والقدس بينهما سرى)، ثم ذكر اجتماع الرسل في بيت المقدس فقال: (وتجمعت رسل الهدى)، ثم ذكر صلاة النبي بالأنبياء إماما في بيت المقدس فقال: (ولك الإمامة)، ثم ذكر فرض الصلاة في المعراج فقال: (وبقاب قوسين الصلاة) فجمع غالب أحداث الإسراء والمعراج مكثفة مضغوطة في هذه الكلمات القليلة.

وقد استعان الشاعر ببعض فنون البلاغة في إيصال فكرته، حيث لجأ إلى الاقتباس في أكثر من موضع، فمن ذلك قوله: (رسل الهدى في وحدة المنهاج) فهو مقتبس من قوله ﷺ«الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد» (البخاري ١٦٧/٤، رقم ٣٤٤٣) وفي قوله: (فبقاب قوسين) اقتباس من قوله تعالى: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (النجم:٩)، وكذلك قوله: (قرة عينه)، فهو اقتباس من قوله ﷺ«جعلت قرة عيني في الصلاة» (مسند أحمد ١٢٨/٣، رقم ١٢٣١٥)، كما استعان بالاستعارة المكنية فجعل السماء كإنسان يحتفي بمن يقبل عليه فيقول: (السماء بك احتفت)، ويكرر الاستعارة نفسها فيجعل الأرض كإنسان يعانق آخر فيقول: (الأرض عانقت)، وقد نجح الشاعر في توظيف هذه الفنون البلاغية فجاءت مطبوعة غير قلقة في موضعها.


لغة وأدب

هدية الإسراء والمعراج

عطرت بالإسراء كل فجاج
أم القرى والقدس بينهما سرى
القبلتان تلألأتا وتجمعت
ولك الإمامة يا أجل من ارتقى
هذي السماء بك احتفت مزدانة
والأرض عانقت السماء بليلة
وبقاب قوسين الصلاة إلى الورى
فنبينا المختار قرة عينه
ركن لهذا الدين وهي عموده



وليد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر

قراءة نقدية لقصص «الوعي الإسلامي»



«موعد في منتصف الليل»

اختار القاص لنصه عنوانا مركبا «موعد في منتصف الليل» ليتناسق مع مضمون القصة التي تدور أحداثها مع انتصاف الليل، ومع اكتمال النص سيدرك القارئ أن العنوان معبر وإن كان قد جاء بشكل مباشر أكثر.

يبدأ الكاتب قصته برسم مشهد ليلي مشوق يثير كثيرا من علامات الاستفهام والتعجب عند القارئ، يقول: «فوجئت به يتسلل من الفراش كتسلل القطا، فسكنت لتعرف ما الخبر، غاب عن الغرفة لدقائق، ثم عاد محصيا خطواته».

زاوج الكاتب بين الوصف والحوار، حيث اقتسم القصة بالسوية، فبدأت بالوصف من أولها، وانتهت بالحوار الكاشف بين الزوجين.

استخدم القاص تقنية الراوي العليم الملم بالأحداث الراصد لها، وادخر لحظة التنوير في القصة بشكل جيد؛ مما جعل لدى القارئ شغفا كبيرا لإكمالها حتى النهاية.

«سراب النجاة»

في قصته «سراب النجاة» يتناول القاص عمرو طه جانبا من معاناة ضحايا الحروب في العالم، حيث يرسم لنا بقلمه لوحة حزينة الألوان من مآسي هؤلاء المهجرين الذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ولا نصير لهم في الدنيا غير الله.

اختار القاص لقصته «سراب النجاة» عنوانا مركبا يتناسب تماما مع محتواها، فالطفل اللاجئ يبحث مع أسرته عن النجاة من المعاناة التي أوصلتها إليهم الحرب حين اضطرتهم إلى مغادرة وطنهم، حيث فقدوا السند ودفء العائلة، كما فقدوا ذكريات السنوات الجميلة التي كانوا فيها آمنين مطمئنين رغم كل شيء، حتى إذا تراءت لهم بوادر النجاة تلاشت كالضباب بددته حرارة الشمس.

استهل الكاتب قصته ببراعة تجذب القارئ، يقول واصفا الطفل «سالم» بطل القصة: «بعينين زرقاوين تجد فيهما جمال الطبيعة.. البحر والسماء، بزرقتهما التي تنقل الإنسان من هموم واقعه إلى الخيال...»، فهذا الاستهلال التشويقي من شأنه أن يفتح شهية القارئ لمواصلة القراءة.

اعتمد الكاتب في قصته «سراب النجاة» على الوصف، وتخللها قليل من الحوار الخارجي والداخلي، واعتمد في بناء قصته على تقنية (الراوي العليم) الذي يحكي القصة ويصف شخوصها من أولها إلى آخرها. ثمة إشكالات تخللت النص مثل تكرار بعض التعبيرات كوصف عيني الطفل بالزرقة في أكثر من موضع.





عمرو طه
قاص مصري

صرخة طفل

كان يوم جمعة من أيام شهر يناير الباردة حينما خرجت من مسكني في الخامسة صباحا، كان الجو باردا، وما زال الظلام يسري، النجوم تتلألأ في سمائها، تنظر إلي بحدة، كأنها كانت تنتظرني كي ترافقني أثناء العمل، برودة الريح تلفحني، أشعر بها تدفعني للبدء بالحركة والعمل.

بعد ما يقارب أربع ساعات من العمل المتواصل، تمكن مني التعب والإرهاق، وكي آخذ قسطا من الراحة فقد انطويت في ركن من أركان الشارع كي لا يتأذى أحد المارة من مظهري، فهو يوم راحة للناس، يخرجون فيه للتنزه برفقة أطفالهم، رأيت من مكاني ما يمكن لمثلي أن يراه؛ رأيت كيف يمشي الأب والأم وفي الوسط يمشي طفلهما وكل منهما يمسك بيده، هذه اللمسة كانت كفيلة بأن تملأ هذا الطفل بالأمان والحب والثقة بأن هذا العالم مليء بالإنسانية. رأيت عائلة أخرى تدخل إلى الحديقة والسعادة تملأ أطفالهم، وأخرى تقف أمام المتجر لتشتري ألعابا لأطفالها. لكم تمنيت في هذه اللحظة لو أن أحدا يشتري لي لعبة.

استيقظت في داخلي طفولتي، فتوجهت إلى المتجر، نظرت إلى الألعاب فأعجبتني لعبة صغيرة، سألت صاحب المتجر عن ثمنها، فقال لي ثمنها ثلاثون جنيها، بحثت في جيبي فلم أجد إلا خمسة جنيهات. حينها تمنيت لو لم أجلس على الرصيف كي أستريح.

في مساء ذلك اليوم وأثناء تجوالي لجمع البلاستيك من أحد الشوارع وأماكن القمامة، عثرت على حافظة نقود وبها بعض المال.. أوراق.. هوية. حينها تذكرت اللعبة التي شاهدتها في المتجر صباح اليوم، لكنني عدت إلى رشدي، فما كان مني إلا أن ذهبت إلى مسكني كي استشير والدي فيما أفعله بها، فأخذ مني الحافظة كي يرى ما بداخلها.

شرد ذهن الأب وجال بنظره في سقف الغرفة القاتم وفكر في عجزه عن الحركة وفي زوجته المريضة التي تخدم في المنازل وقال: أعلم ما يجول بخاطرك بشأن هذا المال، إلا أننا لا نستطيع أخذه، وأعلم أيضا أننا فقراء ولا نملك قوت يومنا، إلا أن الله سبحانه وتعالى زرع في داخلنا فضيلتين إن وجدا لدى شخص جعلاه في راحة دائمة، الرضا والقناعة، الرضا بما كتبه الله لنا، والقناعة بما تفضل به علينا.

قرأ والدي الهوية، وجد أن العنوان قريب جدا من حينا الذي نقطن به، فنصحني بأن أذهب كي أسلمها لصاحبها. فذهبت بالحافظة ووجدت هناك صاحب الصورة التي توجد بالهوية. قام باستضافتي في المنزل بعدما شكرني على أمانتي، وحاول أن يعطني مكافأة مالية على حسن تصرفي، لكني اعتذرت عن قبولها.

سألني صاحب الحافظة عن عمري، وفي أي مدرسة، فأجبته بأنني أعمل منذ سنتين في جمع البلاستيك من الشوارع وأماكن القمامة لصالح مصنع لتدوير البلاستيك، وأن عمري الآن ثمان سنوات.

قال صاحب الحافظة: ألست في

مدرسة.

فقلت مجيبا: لا؛ إن أبي قعيد بالمنزل بسبب حادث كان قد وقع له أثناء عودته من عمله، وأمي مريضة بداء السكري، لكنها تعمل كخادمة في أحد المنازل، وأنا أعمل كي أساعدها في مصاريف البيت وأعبائه.

فكر صاحب الحافظة قليلا، وأخذ يحدث نفسه عن هذا الطفل الذي وجد فيه ابنه الذي حرم منه بعد وفاته في سنوات عمره الأولى، وشعر بعطف أبوي نحوه، ووجد فيه طفلا بلا طفولة، كرجل يعمل ويكدح كي يعيل أسرة، تساءل في داخله، أين حق هذا المسكين في طفولته؟ من يستطيع أن يعوضه سنين طفولته حين يكبر وينمو على هذا النحو؟ كيف نظرته للعالم بعدما طلب منه أن يشتد عوده ويكون كالرجل الصلب منذ نعومة أظافره؟!

أخذت الأفكار تدور في رأس صاحب الحافظة؛ بينما كان الطفل مشغولا في التهام الوجبة التي قدمت له بنهم شديد دون أن يشعر بمن حوله.

طلب مني بعد انتهائي من الطعام معرفة طريقة عملي وأوقاته، فشرحت له أن عملي ليس له أوقات محددة، لأنه يعتمد فقط على الكمية التي أقوم بجمعها من البلاستيك خلال اليوم، وبها تكون مكافأتي الرمزية من المصنع.

تحمس صاحب الحافظة عندما علم بأنه لا يوجد أوقات محددة للعمل، واقترح علي دخول المدرسة، ما جعلني أشعر بالخجل، فصاحب الحافظة علم منذ قليل أحوالي المعيشية.

لاحظ الرجل تأثري عندما ذكر لي المدرسة، فقال لي: إنني سوف أتكفل بالرسوم المدرسية، وما عليك إلا تنظيم وقتك كي توفق ما بين العمل والمدرسة، وأن من الممكن أن تعمل لمدة ساعة قبل المدرسة في جمع البلاستيك وتستطيع أن تستأنف عملك بعد الانتهاء من المدرسة وعمل واجباتك.

استحسنت الفكرة وتمنيت من داخلي لو أنها تتحقق، لكني شعرت بالخجل من صاحب الحافظة.

وطلب مني أن أخبر والدي بهذا الحديث. ثم غادرت منزل صاحب الحافظة، وكان قلبي مليئا بالسعادة، وتوجهت مباشرة إلى مسكني كي أخبر والدي بما حدث وما كان من رد فعل الرجل، فبكت أمي من الفرحة وسجدت شكرا لله، وأخذ والدي يدعو لصاحب الحافظة، ولي بالتوفيق والنجاح في مدرستي وحياتي.

في اليوم التالي ذهبنا للمدرسة معا وقام صاحب الحافظة بتسديد الرسوم وتسجيلي لديهم، ثم اصطحبني إلى أحد المتاجر لشراء الملابس المدرسية، ما جعلني أشعر مرة أخرى بطفولتي التي كادت تنمحي من ذاكرتي.

لاحقا وعند بداية الدراسة كنت قد نظمت أوقات عملي كي لا تتعارض مع المدرسة، فكان يوم الجمعة وحده بمنزلة أيام الأسبوع، كنت استيقظ من بداية اليوم باكرا كي أقوم بجمع البلاستيك، لأني في باقي أيام الأسبوع كنت أذهب إلى المدرسة وبعدها أقوم بواجباتي الدراسية، فكان عملي في هذه الأيام لا يزيد على ثلاث ساعات، وكان هذا يؤثر على أجري اليومي، فلهذا كنت أنتظر قدوم يوم الجمعة كي أحاول تعويض ما فاتني.

داومت على الذهاب للمدرسة والتركيز على واجباتي المدرسية، ما جعل أساتذتي يحبونني ويهتمون بي، إلا أن أحد هؤلاء المدرسين كان قد لاحظ تأخيري على المدرسة في بعض الأيام، فسألني عن السبب. وفي هذه الحالة كنت اضطر للكذب على المعلم، كي لا أشعر بالخجل والإحراج وسط زملائي بالصف.

ذات يوم في السادسة صباحا كنت أقوم بجمع البلاستيك من الشوارع قبل ذهابي إلى المدرسة، وعندما رجعت للمسكن لترك ما تم جمعه وبعد خروجي من المسكن، أوقفني المعلم في الشارع ليسألني عن الذي شاهده قبل قليل، وقال لي إنه كان يراقبني خلال الساعة الماضية. فأخبرته بقصتي.

رأيت تأثر المعلم في عينيه بعدما علم الحقيقة، ما جعلني أستحوذ على مكانة كبيرة لديه. لاحقا كان المعلم يتغافل عن التأخيرات. واهتم بي كثيرا، فكان يقوم بعمل مذكرات وشروحات لي لتساعدني أكثر على فهم الدروس. ويوما بعد يوم كان مستواي في ازدياد وتفوق مستمر، إلى أن عبرت المرحلة التعليمية وقامت المدرسة بتكريمي وجعلتني الطالب المثالي.

أثناء التكريم وعند اصطفافنا في ساحة المدرسة، كانت شمس ذلك اليوم تبدو متألقة، ترسل لي شعاعها المضيء ليحيطني بالدفء، كانت العصافير تتغنى على أشجار الساحة، أظنها كانت تحتفي بي. وسط أجواء يومي السعيدة وقفت مشدوها بما يحدث معي، أصرخ بصمت من أعماقي مستغيثا بالإنسانية لتنقذني من معاناتي. أرى الجميع من حولي يخاطبونني.. يهنئونني.. يمازحونني؛ لكنني لا أسمع أصواتهم، أراني لا أنتمي للعالم الآخر، العالم الذي يسلب ما بداخلي من شعور بالحياة؛ عالم الطفولة والعمل.



أحمد المنزلاوي
ناقد أدبي

فوضى النقد

كنت أقرأ للرافعي مقالة بعنوان «نقد الشعر وفلسفته» ضمن كتابه «وحي القلم»، وإذا به يقول:

«فإن النقد الأدبي في أيامنا هذه -وخاصة نقد الشعر- أصبح أكثره ما لا قيمة له، وساء التصرف به، ووقع الخلط فيه، وتناوله أكثر أهله بعلم ناقص، وطبع ضعيف، وذوق فاسد، وطمع فيه من لا يحصل مذهبا صحيحا، ولا يتجه لرأي جيد، حتى جاء كلامهم وإن في اللغو والتخليط ما هو خير منه وأخف محملا، فإنك من هذين في حقيقة مكشوفة تعرفها تخليطا ولغوا، ولكنك من نقد أولئك في أدب مزور ودعوى فارغة وزوائد من الفضول والتعسف يتزيدون بها للنفخ والصولة وإيهام الناس أن الكاتب لا يرى أحدا إلا هو تحت قدرته... على أن جهد عمله إذا فتشته واعتبرت عليه ما يخلط فيه، أنه يكتب حيث يريد النقد أن يحقق، ويملأ فراغا من الورق حيث يقتضيه البحث أن يملأ فراغا من المعرفة»[1].

وتعجبت كثيرا، هل كان الرافعي يتحدث عن حالة فعلية، أم أنه تحامل على نقاد عصره، إذ كيف سيكون قوله لو رأى مدعي النقد في عصرنا؟!

إنني لأستعير ألفاظه لكي أتكلم عنهم، وعن فوضى النقد التي تعم الساحة الأدبية الآن، وكأن النقد الأدبي صار شغلا لكل عاطل لا يستطيع أن يحمل فأسا يحتطب بها أو يزرع، لكن لسانه قادر على حمل معاول من الكلمات اللاذعة، والآراء المحبطة، التي يطلقها سهاما تصيب الكتاب والمبدعين والناشئين منهم خاصة، فإذا به يقيم لهم المحاكم، ويعقد عليهم المشانق، ويسلخ بأشد من الجازر مع بهيمته.

وهو هو -أو غيره- ينفخ بالونات المجد، وينبري بزخرف القول يلمع ويشذب الجيف والنتنى من الكتابات الهابطة التي لا تراعي فنا ولا ترتقي موضوعا، تزلفا نحو شهرة أو تملقا لظهور، أو رغبة في هدية أو قربى من هذه وتلك، ومجاملة لهذا أو ذاك.

وفوق هذا وذاك -وتحته وبين يديه وعن جانبيه وفي سمائه وأرضه- ليثبت وجوده، أنا أعترض إذن أنا موجود.. هذا الوجود الذي لا يتحقق إلا بتشويه الآخرين والحط من إبداعهم أو التقليل من محاولاتهم الإبداع في أقل الأحوال حتى لا نرتقي بمن ليس أهلا لذلك.. فأنا لا أنفي أيضا أن هناك مدعي إبداع، وناقصي مواهب، بل أصيبت الساحة الأدبية بالتضخم والترهل والاهتراء في الكتابة والتأليف. هذا أقر به لكنه ليس موضوعي الآن، فهناك فوضى في التأليف كما أن هناك فوضى في النقد.

إن صفحات الإنترنت تعج وتتبعج وتكتظ وتتخم (وغيرها من مصطلحات الانتفاخ) بالكثير من المقالات المسماة بالنقدية، وصالونات الأدب -مع قلتها- تقدم لنا تحديثا مستمرا يفوق تحديثات (متجر جوجل) بأسماء وسمات نقاد ما سمعنا عنهم في زبر الأولين! فتجد ناقدا ملء السمع والبصر ليس لأنه خريج في كلية الآداب، أو دارس للمناهج النقدية القديمة أو الحديثة أو

حتى مطلع على آداب العرب والعالم، لا.. هو ناقد لأنه هشم جماجم المبدعين ووقف عليها متعاليا فصفق له الجماهير: (هايل هتلر).

البعض يجعل النقد الأدبي ما هو إلا سلاطة اللسان وبذاءة القلم، والسخر من الكتاب، والتحطيم والهدم لما يكتب، ويظن أنه يصنع هالة تقديس لنفسه، أو يلقي بالرعب في نفوس دور النشر فيقبلون على إرضائه، أو يتودد إليه الكتاب خشية خصومته، وإن كان استثناء الشيطان يفر من طريق عمر، فإن الناس ينفرون جميعهم إن علموا بشبح شيطان ما، و«إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره»[٢] هذا الذي أدى إلى مقولة «مونتسكيو»: النقاد يشبهون جنرالات فاشلين عجزوا عن الاستيلاء على بلد فلوثوا مياهه[٣].

إننا اليوم أمام ظاهرة أشد من التي واجهها الرافعي قديما وهو يتكلم عن أعلام النقد في عصره الذين نستقي اليوم من مناهجهم، أما ما أرصده اليوم ويلمسه الكثير غيري فهو ادعاء كاذب، وتصدر أجوف، وتقازم في صورة ريادة.

يشبه الكاتب الكبير توفيق الحكيم الأدب بأنه ذو يدين، فيمناه الإبداع الذي ينتج ويبتكر، ويسراه النقد الذي ينظم ويفسر، فالنقد نشاط فكري مهم يحتاج إليه كل عمل أدبي، ليكشف أسراره ويوضحه ويبين قيمته ويعلق عليه ويوضحه.

ليس الهدف من النقد، إظهار المعايب، أو توجيه المدائح، كما نرى الآن، بل هي عملية معقدة من بين مختلف النظرات، لا يتحكم فيها الذوق الفني فحسب، بل يتدخل فيها المعطى العلمي بالتحليل والدراسة مضفرا بالشعور التربوي بالتوجيه والتقويم.

لذلك فأجمع تعريف وأوفى تحديد لوظائف النقد الأدبي هو ما قرره أحد تلاميذ العقاد قائلا:

«وظيفة النقد الأدبي وغايته تتلخص في:

تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية.

وبيان قيمته الموضوعية.

وقيمه التعبيرية والشعورية.

وتعيين مكانه في خط سير الأدب.

وتحديد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته.

وفي العالم الأدبي كله.

وقياس مدى تأثره بالمحيط.

وتأثيره فيه.

وتصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعورية والتعبيرية.

وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوينه والعوامل الخارجية كذلك»[٤].

تلك عشرة كاملة أظن سيتراجع بعدها الكثير ممن تصدروا ساحة النقد، ممن لا يعرفون إلا السرد والحوار والوصف أو الوزن والقافية، أو النحو والبلاغة ويضعون ذلك مقياسا للإبداع والمبدعين!

ولا أقلل من أهمية هذه المقاييس، لكن ليس وحدها تصنع أدبا، ذلك أن كثيرا من بدائع الفن الخالدة يخرج على تلك الأصول، فتراه أحيانا لا يخلو من نقص في البلاغة، أو ركاكة في العبارة، أو أخطاء في النحو، أو وقوع في اللغو.. ولكن إلى جانب تلك المآخذ تجد فيه براعة أي براعة!.. ثم هنالك عمل فني آخر انطبقت عليه الأصول تمام الانطباق، كل شيء فيه صحيح، سليم، متين، فلا لحن ولا غلط ولكنا نحس -مع ذلك- ألا شيء فيه يحركنا أو يهز نفوسنا.

فليس للنقد الأدبي ذلك الجهاز الحساس الذي يعرف منجم الذهب من منجم النحاس، وما من شيء كثر فيه الخلاف مثل النقد، وقواعده ومذاهبه، ومع ذلك نجد أن قياس هؤلاء لتلك الأصول مبني على الذائقة الشخصية لا القواعد الفنية!

وبناء عليه سأرصد بعض الظواهر التي أدت إلى تلك الفوضى، ملخصها في تلك النقاط:

الخلط بين الرأي والنقد

أغلب ما يتداول على أنه خطاب نقدي، خصوصا في صفحات الإنترنت، لا يتجاوز مستوى الرأي، الذي هو حق للجميع، يشاركه فيه كل من قرأ النص، سواء ممن له خبرة في المجال ودراسته، أو لا، وغالبا الرأي يكون انطباعيا ذاتيا ليس له معيار يحكمه، ربما يوجهه الهوى والذوق لا الحياد والمنطق، اللذين يعدان أساسا للميزان النقدي، بوظائفه السابقة.

الناقد يجب أن يحكم على الأثر الأدبي أو الفني بناء على قيمته الذاتية، لا بما يمليه عليه مزاجه الخاص، فالذي لا يستسيغ نوعا من الشعر، أو لونا من النثر، أو فرعا من القصص، أو ضربا من الأدب، لا يصح له أن يقدم على نقده، وعليه أن يتنحى ويرد نفسه عن الحكم، شأن القاضي الذي كون في القضية رأيا قبل البحث أو اتصلت ظروفها بعلمه قبل النظر.

الهوامش

(١) وحي القلم (٣/ ٢١٢) دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢) جزء من حديث صحيح رواه البخاري برقم ٦٠٣٢.

(٣) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ص١١ - سلسلة عالم المعرفة.

(٤) النقد الأدبي، سيد قطب ص٨.



د. رمضان فوزي بديني
(دكتوراه في اللغة العربية وعلومها)

احترازات لغوية في مجال العقيدة الإسلامية

علاقة النحو بالعلوم الأخرى -خاصة علوم الشريعة- ليست علاقة تأثير في اتجاه واحد فقط؛ بل هي علاقة تأثير وتأثر؛ فكما أن قواعد النحو تؤثر في فهم بعض القواعد العقدية أو الفقهية؛ فكذلك قد يكون التأثر عكسيا؛ حيث يكون للتصور العقدي أو الفقهي أثره في توجيه القاعدة النحوية.

ولا شك أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية كان تكريما لها، ورفعة من شأنها؛ حيث أعطاها الله تعالى من الخصائص والميزات ما جعلها تسع كتابه الكريم لفظا وغاية مع تعدد علومه وتفرع مجالاته؛ فلم تضق عن آية به وعظات، كما عبر شاعرها.

والله تعالى الذي أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين؛ تحدى به أساطين العربية الأقحاح، الذين هم أبناء بجدتها، علما وتجربة؛ فوقفوا أمامه عاجزين ولم يملكوا إلا الخضوع له؛ فمنهم من آمن به ومنهم من منعه كبره وعناده من الإيمان رغم تسليمه بفصاحة القرآن وبيانه، لكن مع مرور الزمن وظهور بعض الفرق الكلامية والملل والنحل العقدية، ظهرت بعض المطاعن أو الاستخدامات اللغوية غير اللائقة في ذات الله تعالى؛ مستغلين في الانتصار لمذهبهم ما اختصت به اللغة العربية من مرونة في الألفاظ وتعدد في الوجوه الإعرابية وتنوع في الدلالات.

لكن قيض الله تعالى لكتابه من كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كما أخبر الرسول ﷺ، وكان سلاحهم في هذا أيضا لغويا منطلقين من التوجيهات الصحيحة للغة، ومتحصنين بإيمانهم بالله تعالى، ومتدرعين بدرع أهل السنة والجماعة. وقد أسعفتهم اللغة بخصائصها التي أشرنا إليها فيما ذهبوا إليه.

ولعل في هذا لمحة مهمة، وهي أن الله تعالى كما جعل الإيمان بالغيب يحتاج إلى ثقة كبيرة ويقين عظيم في الخالق سبحانه وتعالى؛ جعل بعض آيات الإيمان والعقيدة في القرآن حمالة دلالات وتوجيهات



مختلفة؛ ليكون هذا اختبارا آخر للإيمان به سبحانه؛ فالذي يؤمن بما لم يره بعينه في كتاب الله المنظور وبحث عن الحقيقة بقلبه، سيطبق الأمر نفسه مع كتاب الله المسطور، وسيجعل قلبه دليلا لاختيار التوجيهات والدلالات التي يكتمل بها إيمانه، وتصح بها عقيدته.

وفيما يلي نشير -حسب ما يسمح به المقام والمقال- إلى بعض الاحترازات التي وقف أمامها النحاة ومعربو القرآن فاختاروا لها ما يتناسب مع العقيدة الصحيحة والتصور الإيماني السليم، خاصة ما تعلق منه بالله عزوجل، ونختم باحتراز يخص التعامل مع صحابة رسول الله ﷺ:

الاحتراز في إطلاق «بدل كل من كل» على لفظ الجلالة.

من أنواع البدل عند النحاة «بدل الكل من الكل»؛ وهو ما كان فيه البدل عن المبدل منه، ومطابقا له في المعنى.

وقد ورد هذا النوع من البدل في قول الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (إبراهيم ١-٢)؛ بجر لفظ الجلالة «الله» علىالتعظيم على أنه بدل من «العزيز الرحيم»، لكن بعض النحاة احترزوا في إطلاق مصطلح «بدل الكل من الكل» عليه في هذا الموضع تأدبا مع الله تعالى وتعظيما له؛ لأن لفظ «الكل» يطلق على ما له أجزاء، وهذا لا يجوز معه سبحانه وتعالى.

وعوضا عن ذلك سماه ابن مالك «بدلا مطابقا»، كما أطلق عليه السيوطي «بدل شيء من شيء».

وهكذا نجد حرص النحاة على التحرز في إطلاق المصطلحات غير اللائقة على لفظ الجلالة سبحانه وتعالى؛ حتى لو لم يكن لهذا الإطلاق أثر في توجيه المعنى، لكن جاء هذا من باب الأدب واختيار الأليق به عز وجل.

الاحتراز في استخدام الحض والتوهم مع الله تعالى:

لم تتوقف الاحترازات اللغوية على المصطلحات فقط؛ بل تعدتها إلى بعض التوجيهات اللغوية، التي قد تكون صحيحة من ناحية التقعيد النحوي، لكنها غير لائقة إذا كانت في حق الله تعالى؛ ولذا التمس النحاة ومعربو القرآن لها توجيهات أخرى تجمع بين السلامة اللغوية واللياقة والأدب والتعظيم له سبحانه وتعالى.

وقد ورد مثالان لهذه الاحترازات عند إعراب قول الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (المنافقون:١٠)، وهما:

الأول: «لولا» فإنها في الأصل حرف حض بمعنى «هلا»، لكن هذا لا يليق في خطاب الله تعالى؛ فخرجوها



على معنى التمني، وقال بعضهم بزيادة «لا» فيها والأصل أنها: لو أخرتني.

الثاني: في جزم «وأكن» حيث ذهب بعضهم إلى أنه مجزوم على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني، لكنهم كرهوا التخريج على التوهم في القرآن الكريم تأدبا مع الله تعالى، وخرجوا الجزم هنا على أنه معطوف على محل «فأصدق»؛ لأن الأصل: إن أخرتني أصدق وأكن...

الاحتراز في استخدام «الوجوب» على الله تعالى:

من حروف المعاني التي اختلف في معناها تبعا لاختلاف المذهب العقدي «على» في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ (النساء:١٧)؛ حيث ذهب الزمخشري وأصحابه من المعتزلة إلى أن «على» تفيد الوجوب، وقالوا: يعني إنما القبول والغفران واجب على الله.

أما أهل السنة فمذهبهم أن قولنا «يجب على الله كذا» لا يجوز، ولهم في هذه الآية ثلاثة توجيهات:

الأول: أن «على» على بابها من الدلالة على الاستعلاء، والكلام على حذف مضاف من المبتدأ والخبر. والتقدير: إنما قبول التوبة مترتب على فضل الله.

الثاني: أن «على» بمعنى «عند»؛ أي إنما التوبة عند الله...

الثالث: أن «على» بمعنى «من»؛ أي: إنما التوبة من الله...

الاحتراز في إفادة «إن» الشرطية للشك مع الله تعالى:

تقتضي «إن» الشرطية في اللغة الشك والتردد والظن، لكن النحاة اتفقوا على تجريدها من معنى الشك أو تأويل المقصود بالشك فيما يكون من كلام الله تعالى وأفعاله مما هو محقق الوقوع، كما في قول الله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾؛ حيث إن تحقق مشيئة الله تعالى غير قابلة للشك.

واحترازا من هذا المعنى الذي لا يجوز في حق الله تعالى، تأول الكوفيون «إن» هنا بمعنى «إذ»، كما ذكر ابن هشام في «مغني اللبيب».

لكن البصريين ذهبوا إلى أن «إن» على أصلها من الدلالة على الأمور غير المحققة أو الشك، وأن هذا من إجراء كلام الله تعالى مجرى كلام المخلوقين تعليما وحكاية إذا أخبروا عن المستقبل، أو بأن أصل ذلك الشرط، ثم صار يذكر للتبرك، أو أن المعنى: لتدخلن جميعا إن شاء الله ألا يموت منكم أحد قبل الدخول، أو أن ذلك من كلام رسول الله لأصحابه حين أخبرهم بالمنام فحكى الله لنا ذلك...

وهكذا نجد أن تنزيه الله تعالى عما لا يليق به حاكم لاختيارات النحاة وتأويلاتهم.

الاحتراز في استخدام «في» للظرفية مع الله تعالى:

من المعاني الأصيلة لحرف الجر «في» الظرفية سواء الظرفية الحقيقية أم المجازية، لكن أجمع النحاة -كما نقل أبو حيان في البحر المحيط- أن الظرفية غير مرادة بالنسبة لله تعالى لقيام البرهان العقلي على أنه عزوجل ليس بمتحيز في جهة. ومن ثم احترزوا في جعل «في» ظرفية له سبحانه وتعالى في قول الله عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (الملك:١٦)، وتأول لذلك عدة تأويلات، منها:

بقاؤها على ظرفيتها لكن مع تقدير مضاف محذوف، كما نقل القرطبي قول ابن عباس فيها: «أأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه». وقيل: أأمنتم من في السماء ملكوته وقدرته وعرشه.. إلخ. وخص السماء لأنها مسكن ملائكته وعرشه وكرسيه.. إلخ.

بقاؤها على ظرفيتها لكن المقصود الملائكة، وقيل جبريل وهو الموكل بالعذاب.

تأويلها بمعنى «على» أو «فوق»، والسماء هنا لا يقصد بها المخلوق المادي بل مطلق السمو والعلو، واستدلوا على مجيء «في» بمعنى «على» بقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ (طه:٧١) أي: على جذوع النخل، وبقوله عزوجل: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (العنكبوت:٢٠) أي على الأرض.

وهكذا نجد حرصهم على تخريج اللفظة بما يليق مع ذات الله تعالى، وتعظيمه توقيره.

الاحتراز في معنى «ما» وعلاقة إرادة الإنسان بإرادة الله تعالى:

من الأمور الخلافية في مجال العقيدة وعلم الكلام بين أهل السنة والأشاعرة من جهة والمعتزلة والقدرية من جهة ثانية.. إرادة الإنسان ومدى استقلالها عن إرادة الله تعالى؛ حيث يرى الفريق الأول أن للإنسان إرادة واختيارا لكنهما ليسا من خلقه؛ بل حاصلان بخلق الله تعالى الذي خلق كل ما في الكون من خير وشر بإرادته سبحانه وتعالى.

في حين يرى القدرية أن كل فعل للإنسان هو إرادته المستقلة عن إرادة الله تعالى، ويفرق المعتزلة بين الخير والشر؛ فيسندون الخير إلى الله تعالى، والشر إلى الشيطان.

وقد انعكس هذا الخلاف على توجيه معنى «ما» الثانية في قول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ (القصص:٦٨)؛ حيث ذهب أهل السنة إلى أنها «ما» النافية؛ أي ليس لهم الخيرة مع اختيار الله تعالى ومشيئته، وذهب المعتزلة ومن نهج نهجم إلى أنها موصولة منصوبة بالفعل «يختار»، فيكون المعنى: أن الله يخلق ما يشاء ويختار الذي يختارونه.

لكن قواعد النحو هنا تنتصر لمذهب أهل السنة؛ حيث إن كون «ما» هنا للنفي أولى في المعنى وأصح في التفسير وأحسن في الاعتقاد وأقوى في العربية، كما قال مكي بن أبي طالب القيسي في «مشكل إعراب القرآن»؛ حيث إن كون «ما» موصولة -كما زعموا- يقتضي أن يكون اسم «كان» ضميرا محذوفا عائدا على «ما»، ويجب نصب «الخيرة» على أنه خبر «كان»، وهو ما لم يقرأ به أحد.

تخريج «من» على التبيين وليس التبعيض في آخر سورة محمد احترازا من الطعن في الصحابة

من عقيدة أهل السنة والجماعة محبة صحابة رسول الله ﷺ وتعظيمهم وتوقيرهم جميعا، وحرمة بغض أحدهم أو الانتقاص من قدره.

لكن استشكل بعض أهل العقائد والملل الأخرى معنى «من» في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ (المائدة:٩)؛ حيث استغلها الزنادقة في الطعن في بعض الصحابة؛ وذهبوا إلى أن «من» هنا تبعيضية؛ وعليه يكون وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم منصرفا لبعض الصحابة دون بعض.

لكن اللغة تنتصر لمذهب أهل السنة والجماعة؛ حيث يمكن توجيه «من» هنا على أنها للتبيين وليست للتبعيض؛ أي: الذين آمنوا هم هؤلاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ (الحج:٣٠)؛ فالمقصود هنا: اجتنبوا الرجس من جنس الأوثان.

وعليه يكون المعنى: وعد الله هؤلاء الناس من جنس الصحابة مغفرة وأجرا عظيما. وبهذا نكون قد حفظنا للصحابة كلهم مكانتهم وتقديرهم ووعد الله تعالى لهم.

د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية





حقوق المرأة في الإسلام

يقال إن المرأة هي نصف المجتمع، فهي الأم التي تتحمل مشاق الأمومة من حمل ووضع وإرضاع، وهي الزوجة التي تملأ البيت حنانا ومودة ورحمة، وهي الأخت الرؤوفة بإخوانها البارة بوالديها، وهي البنت الحنونة المتوددة لوالديها، إنها رمز المودة والألفة والرحمة في كل مواقع الحياة.

وبالرغم من ذلك فقد مرت بالمرأة عهود انحطاط في النظرة إليها، وفي تقديرها، نالت من مكانتها في ظل الحضارات القديمة التي مازال رمادها ينفث في الحضارة المعاصرة، فقد كانت المرأة في ظل الحضارات القديمة مهيضة الجناح، مهدرة الحقوق، تعامل كأداة من أدوات الشهوة وسلعة من السلع التجارية، لم يفسح لها المجال للتواجد على المستوى السياسي والفكري والفلسفي.

لقد كانت بعثة النبي ﷺ ميلادا جديدا للمرأة، وإنقاذا لها من براثن الجاهلية والهلاك، لقد عادت إليها الحياة في أسمى معانيها، وردت إليها حقوقها التي ظلت لقرون محرومة منها، سدت أمام حقوقها الطرق، فليس لها إليها سبيل.

ولم لا وهو القائل ﷺ: «حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة». أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وبالنظر إلى أحد جوانب الإحياء والإنصاف في عالم المرأة بعد بعثة النبي ﷺ، وهو الجانب الذي ظلمت المرأة فيه ظلما كبيرا، ألا وهو الجانب المالي، الذي لم

تستطع المرأة يوما أن تستحوذ عليه وتقتنيه، وتمارس به المعاملات المالية المختلفة لقوام حياتها، وقد أعطاها الإسلام من الحقوق المالية ما فاقت به الرجال، وكانت كفتها أرجح منه في كثير من الأحوال، فهي التي تأخذ المهر -الصداق- عند الزواج، وهي التي يجب النفقة عليها من زوجها.

قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ (النساء:٤)، وقال النبي ﷺ لأحد أصحابه أراد الزواج: «التمس ولو خاتما من حديد»[1].

أما في حال الطلاق فتوفى صداقها المؤخر، ولها حق السكنى والنفقة إن كانت حاملا، وأجر الرضاعة بعد الولادة، كما قال سبحانه: ﴿أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ (الطلاق:٦).

وأما في الميراث فقد أثبت لها حقوقها في التركة، سواء كانت كثيرة أو قليلة، قال تعالى: ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾ (النساء:٧).

بل هناك حالات مختلفة في الإرث تفوق فيها الرجل، وتربو عليه أو تساويه.

- فتارة تأخذ مثل الذكر كالأم مع الأب في حال وجود الابن، فللأم السدس وللأب السدس، والباقي للابن، وكالأخ والأخت لأم، فإنهما يرثان بالتساوي، لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ (النساء:١٢).

- وتارة تأخذ أكثر منه كالزوج مع ابنتيه فله الربع ولهما الثلثان، أي لكل واحدة منهما الثلث، وكالزوج مع ابنته الوحيدة فله الربع، ولها النصف، ويرد الربع الباقي لها أيضا.

- وتارة ترث ولا يرث، كما لو ماتت إمرأة وتركت: زوجا وأبا وأما وبنتا وبنت ابن، فإن بنت الابن ترث السدس، في حين لو كان ابن ابن بدلا من بنت الابن لم يرث، لأنه كان سيأخذ الباقي تعصيبا، ولا يوجد باقي هنا.

- وتارة تأخذ نصف نصيب الرجل، كالبنت مع أخيها الذكر، وكالأم مع الأب مع عدم وجود الأولاد أو الزوج أو الزوجة، فللمرأة في هذه الحالات نصف نصيب الرجل لأن الأم لها الثلث، وللأب الباقي وهو الثلثان.

المرأة ليست مكلفة بالنفقة على نفسها أو أولادها

والحكمة في ميراث المرأة نصف نصيب الرجل في بعض الحالات: أن المرأة ليست مكلفة بالنفقة على نفسها أو أولادها، إنما أوجب الشرع ذلك على الرجل، كما أنه يجب عليه الصداق كاملا عند الدخول، ونصفه عند عدم الدخول بها، كما أنه يلتزم الوفاء بالمال في الديات، والصلح على الأموال، أو يكون غارما، والغارمون من مصارف الزكاة، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ (النساء:٣٤).

- المرأة في ظل الحضارة الغربية المعاصرة:

قد تتعجب عندما تعلم أن هناك فجوة في الأجور بين الذكر والأنثى في بعض بلاد الغرب، قد تتعدد الأسباب لذلك[2].

وغالبا ما يستخدم متوسط الأجور الأولي بين الجنسين بطرق مضللة في وضع السياسة العامة دون توضيح الأسباب وراء هذه الفجوة[3].

ويعتقد بعض الباحثين أن الفجوة في الأجور بين الجنسين ترجع إلى التمييز، وأن الاختلاف بين الخيارات التي يقوم بها الرجال والنساء -عند اختيار متوسط الأجور الأعلى أو عدد ساعات العمل- هي في الواقع نتيجة للتمييز بين الجنسين أو الضغوط الاجتماعية حيث يتم تثبيط همم النساء عند الدخول في المجالات



ذات الأجور العالية[٤].

وقد أجريت دراسة قامت بها اللجنة الاقتصادية للكونغرس الأميركي حول الفجوة في الأجور بين الجنسين خلال عدة عقود، أن هناك تراجعا لحالات عدم المساواة في الأجور، إلا أن الفجوة غير المبررة في الأجور تظل دون تغير[٥].

وخلصت الدراسة إلى أن التقارب المطرد في الأجور بين الجنسين لا يحدث تلقائيا، وأنه بعد الزيادة الكبيرة في أجور النساء خلال ثمانينيات القرن العشرين، انخفضت الأجور في التسعينيات من القرن ذاته، أما القرن الحادي والعشرون فيتميز بوجود صورة متباينة من الارتفاع والانخفاض.

وأظهرت الدراسة وجود أدلة تشير إلى تباطؤ التقارب في السنوات الأخيرة، وأظهرت الحتمالية عدم استمرار تقلص هذه الفجوة في المستقبل، وعلى الرغم من انخفاض التمييز ضد المرأة في سوق العمل إلا أن بعض التمييز لا يزال موجودا[٦].

إن هذه المشكلة تنتشر في العديد من الدول في العالم الغربي[٧]، فهي ظاهرة عامة هناك، ويبدو أن هذه من الآثار المترتبة على ما ورثه العقل الغربي عن أسلافه من الحضارة الرومانية، والفلسفة اليونانية، وسائر فلسفات الشرق التي اتفقت على إزدراء وتحقير وتهميش مكانة المرأة وإهدار حقوقها بطريقة غير مبررة، سوى أنها إمرأة!

إن المرأة في ظل شريعة الإسلام لم تصل إلى العدل والإنصاف والمساواة في الحقوق والواجبات فحسب، بل وصلت إلى الإحسان والفضل في تلك الحقوق التي لا تزال المرأة المعاصرة في ظل الحضارة الغربية تعاني من الجور والظلم فيها... وشغل هذا التمييز بين الجنسين عقول الساسة والمفكرين والعلماء لعلهم يجدون مخرجا من هذا الحرج الحضاري والمأزق الفكري الذي تئن منه المرأة وتتألم بسببه هناك، حقا لقد كان النبي ﷺ رحمة مهداة ونعمة مسداة، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة:١٢٨).

- دور الكويت في حماية حقوق المرأة ورعايتها

على نفس الدرب من العدل والإنصاف الذي أرسى قواعده الإسلام سارت الكويت تعطي المرأة حقوقها كاملة غير منقوصة لتأدي دورها في المجتمع، وعملت الكويت على تنحية كل العوائق التي تقف في طريق المرأة بسن القوانين والتشريعات التي تمكنها من استيفاء حقوقها.

وفي عهد صاحب السمو الشيخ

جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت -رحمه الله- أصدر مرسوما أميريا بمنح المرأة كافة حقوقها السياسية، وإعطائها حق الترشيح بالمجلس البلدي.

وفي عهود الازدهار الاجتماعي والاقتصادي ارتفعت نسبة المرأة العاملة، وارتفعت معدلات تعليم الإناث، وأصبحت تشارك في المناصب الاقتصادية القيادية، وتشارك في اتخاذ القرار الاقتصادي، وكان الهدف من ذلك تعزيز قدراتها واعتمادها على الذات.

وفي مجال حماية البيئة شاركت المرأة مشاركات مهمة مع هيئات غير حكومية، وتم اعتمادها مختارة للبيئة، وكونت لجانا تطوعية لحماية البيئة، وتأسيس محميات للطيور والنباتات الصحراوية والأسماك، وقادت حملات التوعية لترشيد استهلاك الماء والكهرباء.

كما أنشأت دولة الكويت المراكز الصحية الخاصة بالمرأة وأطفالها عند الولادة، مما أدى ذلك إلى انخفاض معدل وفيات الأمهات والأطفال، وللحفاظ عليها ورعايتها ووليدها، تم إعطاؤها -إجازة أمومة- لمدة عامين، كذلك كان هناك تقديم للرعاية الصحية النفسية للمرأة.

كما سنت التشريعات المناسبة لحماية المرأة من العنف، مع أنه ليس بالصورة الكبيرة الواضحة في المجتمع الكويتي.

وبذلت الحكومة وسعها في تأمين المرأة من الفقر والعوز والحاجة بضمان دخل يفوق المعدل العالمي، ومن فقدت المعيل تكفل لها الدولة معاشا من خلال وزارة الشؤون الاجتماعية.

أما إتاحة الفرصة لها للتعلم فقد تم فتح الباب لها في منتصف القرن الماضي تقريبا عام ١٩٤٣م لتحصل العلم في كافة مراحل التعليم، وتم إنشاء معاهد التدريب المهني، وقد تقدمت الكويت تقدما ملحوظا وحققت أعلى نسبة تعليم للمرأة مقارنة بالرجل، ففي عام ٢٠٠٠م كان هناك ٧٩,٩٪ من الإناث و٨٤,٣٪ من الذكور فوق سن خمسة عشر عاما يجيدون القراءة والكتابة.

وفي ظل هذه القيم الحضارية التي أرسى قواعدها الإسلام، احتلت المرأة الكويتية الكثير من المناصب الرفيعة: فهي أول سفيرة، وأول مديرة جامعة بالوطن العربي، وهي أول عربية مسلمة تعمل مندوبة دائمة، ورئيسة بعثة في هيئة الأمم المتحدة، وغير ذلك من مشاركات في مجالس الإدارات، والوزارات تقلدت فيها المرأة العمل كوزيرة أو وكيلة وزارة(٨).

أليست هذه أخلاق الإسلام في رعاية المرأة امتثالا لقول النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم»(٩).

وقوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا»(١٠).



إنها بلاد الإنسانية، وبلاد العمل الإنساني الذي نبعت أصوله من رسالة الإسلام السمحة، رسالة الرحمة والعطاء، لذلك فإن الاحتفال بيوم الأم -مع عدم شرعيته- لا يكفي لتكريم المرأة، والمطلوب هو إكرامها والاحتفاء بها ورعايتها في سائر مراحل حياتها، لعل الرجل يصل إلى رد بعض الجميل.

الهوامش

١- البخاري ومسلم.
-2http://web.archive.org/web/20121114190344/http://www.aauw.org GraduatetoaPayGap/upload AAUWGraduatingtoaPayGapReport.pdf
http://www.oecd.org/employment/employmentpoliciesanddata/40937574.pdf
-3 http://www.consad.com/content/reports/Gender20%Wage20%Gap20%Final20%Report.pdf
-4 http://web.archive.org/web/20121114190344/http://www.aauw.org/GraduatetoaPayGap/upload/AAUWGraduatingtoaPayGapReport.pdf
http://www.oecd.org/employment/employmentpoliciesanddata/40937574.pdf
-5 United States Congress Joint Economic Committee. Graph: Federal Workforce - Gender Pay Gap Unchanged. Retrieved on March ,31 2011.
-6 Francine D. Blau & Lawrence M. Kahn (2007). The gender pay gap: Have women gone as far as they can Academy of Management Perspectives, Vol. 21, No. 1, pp. 23–7.
-7 . The situation in the EU. Retrieved on July 2011 ,12.
-8 kuwaitarabic.
٩- رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ ٣١٣.
١٠- البخاري ٣٣٣١ ومسلم ١٤٦٨.

رشيد بن صديق
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي





إن المهد الذي يوجد فيه الإنسان هو بيته، وهو مكانه الأول الذي يتلقى فيه التربية، منه يشرب أول ماء عذب في الحياة، ومنه يقطف أول الثمار اليانعة في نمائه العقلي والعضوي، فهل يقتصر دور البيت في هذه المرحلة على تلبية حاجات الطفل البيولوجية فقط؟ أم يلزمه توفير الحاجات النفسية، والاجتماعية، والوجدانية؟

الولد من البيت إلى المدرسة

فالإنسان يولد ضمن مجال له خصائصه، يأخذ منها بالمحاكاة والتقليد منذ خروجه الأول إلى الدنيا، فالبيت ركن أساس في تربية الطفل، وتعليمه، وتزويده بما يحتاجه في حياته سواء مع ربه، أو نفسه، أو مجتمعه.

ففي البيت يدرك ويشاهد وجود الواجبات الدينية فيمتثلها، أو يدرك غيابها بافتقادها، ويصعب عليه تعلمها فيما بعد؛ لأن الإنسان يولد على فطرته النقية موحدا لربه مطيعا لأحكامه، فتتغير فطرته انطلاقا من هذا المهد الذي تربى فيه، ولقد روى أبو هريرة حديثا عن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه...»[1]، إذن فالإنسان في مرحلة ضعفه الأولى يكون صفحة نقية تستجيب لأي شيء جديد تراه وتحس به فتتلهف إليه، فالطفل في البيت إما أن يسمع الكلام الطيب فيتأثر به بعد النهل من معينه، أو يسمع الكلام الخبيث فيسير عليه مقتفيا أثر حاكيه، فالبيت هو المأوى الذي يأوي إليه الإنسان فيأخذ منه كل ما يريده؛ وذلك لأن هذا المكان الذي يحيا فيه الإنسان؛ فيه اهتمام بالنظافة الداخلية والخارجية على حد السواء، وفيه اهتمام بحاجات الإنسان الطبيعية من أكل وشرب ولباس، وفيه اهتمام بالعمل قصد إثبات الذات، وفيه اهتمام بالعلم والأدب، فالبيت إذا كان التعامل فيه مع الطفل مبنيا على النظام والترتيب، فإنه لاشك مكان ناجح في مسؤولياته؛ لأنه يشركهم في أخذ القرارات التي تصلح الحياة مستقبلا، وهنا تحضرني قولة لفريد الأنصاري رحمة الله عليه حيث قال: (للمنهج العلمي عندي قصة، تبدأ منذ صباي. فقد طبع والدي بيتنا الذي نشأت فيه بما كان يسميه بـ «النظام» من خلال أقواله وأوامره الصارمة، حتى النعال، فقد كان على كل من يدخل عليه منا، أو حتى من الضيوف، أن يضعها حذو الجدار، مستقبلة أطرافها إياه بنظام مستقيم؛ الواحدة إلى جانب الأخرى كأنها صف من الغنم مشدود إلى ربق واحد)[2]. وذلك ما أثر فيه، رحمه الله، حتى كتب كتابه هذا. وهذا المنطق هو الذي يولد لنا الإنسان الممنهج ويعطي لنا الطفل المربي والمحترم لغيره، فمن هذا المكان يبدأ السير على الطريق؛ فإما أن يكون السير وفق قواعد وضوابط، وإما أن يكون فاقدا لها مستبدلا إياها بالعشوائية والارتجال؛ إذ تصرفات الإنسان تبنى على ما اكتسبه من تربية في بيته؛ لأن النظام أساس الحياة[3].

ومن هنا نصل إلى أن الإنسان لا يمكن أن يكون قادرا بنفسه على أن يسير في الطريق الصحيح؛ دون الرجوع إلى موروثه الثقافي الذي نشأ فيه ونهل من معدنه؛ وذلك بتقليد آبائه وبملاحظة أحوال مجتمعه، فالراشد ينبغي أن تكون له دراية بهذا الأمر حيث لا يغفل عن ابنه ولا يهمله إهمالا صريحا دون مراقبة واهتمام؛ لأن الأمر يحتاج إلى رعاية ظاهرة وباطنة، فالشخصية المتوازنة لا يمكن أن تبنى انطلاقا من وجهة نظرة واحدة، بل تتعدد زوايا النظر؛ لأن الإنسان

لا يتعلم بطريقة واحدة، بل لكلٍّ طريقته.
فالمدرسة مكان ثالث يتعامل فيه الإنسان، فالبيت يعطي مجموعة من القواعد التي تخضع للتطبيق في المجال الثاني فيأخذ منها الطفل حينئذ ما يتوافق وإياها، ويترك ما يتناقض وإياها؛ وذلك بإدراكه أن الصورة المرسومة إما صحيحة ومتفقة وواقعه المعاش، وإما خاطئة ومزيفة ومؤمله المرجو.

ومن هذا المجال أيضا يتزود بأمور يتمنى ويرجو من المدرسة أن تؤكدها، أو تنفيها؛ وذلك وفق ما سيجده فيها من قضايا تدرس.

ومن هنا ندرك أن الطريق مرتبط بين الحلقات الثلاث، فيفرض علينا أمر المتابعة، واستحضار المسؤولية، حتى يتم الربط بنجاح، والنجاح لا يمكن تصوره من الناحية النظرية فقط، وإنما من الناحية التطبيقية أيضا؛ وذلك بتتبع الولد ومراقبة سيره في كل اللحظات، فالوصي لا ينبغي أن يستسلم ويتخلى عن دوره بمجرد تسجيل ولده في المدرسة، فيكتفي بمرافقته إلى جدرانها خوفا عليه من الآفات الظاهرة والمادية -هذا مطلوب- فينبغي أن يضيف إليه الحرص على مراقبة نمو أخلاق الولد ودرجة وعيه.

لأن البون الذي يقع بين المجالين له تأثير على الطفل؛ وذلك لأن الطفل يعيش نوعا من الحرية التي يفقدها حينما كان تحت رعاية الوالدين، ويتخلص أيضا من قيود المدرسة التي تبقيه في قالب لا يستسيغه، فيتصرف بطلاقة في المجال الثاني الواسط بين البيت والمدرسة (المجال المجتمعي) حيث لا حسيب ولا رقيب يرقبه، والرؤية الكاملة للتربية التي قد تؤتي أكلها وتعطي لنا نتائج لا بأس بها هي الرؤية التي تستحضر المرشد والطفل والواقع والمدرسة بشكل مستمر ومندمج دون طغيان أحدهما على



الآخر أو إغفاله، والتفريط في جانب من الجوانب المذكورة آنفا يؤدي إلى نتائج سلبية وغير محمودة العواقب، والناظر نظرة المتفحص يدرك الشرخ الموجود بين كل هذه المجالات وغيرها؛ حيث كل مكان يستقل بنظرته، ولا يهمه الربط بينها، كما أن المسؤول على الربط متى أدرك أهميته واشتغل عليها فإننا حتما سنقلل من الإخفاقات التي لا تفارقنا، ونطور الكثير من الإيجابيات التي ما زالت عبارة عن توقعات فقط.

إن آباءنا كانوا على وعي تام بمسؤوليتهم هذه؛ حيث كانوا يراقبون أبناءهم في البيت وفي الطريق وفي المدرسة، والتعليم يقاس عندهم بمقياس الأدب والاحترام، فإذا ما كان التلميذ ينصت لأبويه وينفذ أمورهم بدون قول «أوف»، ويحسن التعامل مع الجيران والأقران فإنه يزداد مكانة عندهم؛ أما إن كان لا يعمل بنصيحتهم، ويسبب المشاكل مع الناس الذين يلتقي بهم، فإنهم يتعاملون معه بإحكام؛ رغم أن هذا المبدأ ليس سليما ولا نمجده إلا أنه له وظيفته في التربية ودوره في إصلاح الناشئة؛ إذ يبين لنا حرص المسؤول كيف ينبغي أن يكون؟ فهو يعرف مسار ولده، والعارف يستطيع أن يقوم الاعوجاج في بدايته، كما يستطيع أن يعرف الشيء المرغوب فيه وأهميته بالنسبة للولد فيقوم بتعزيزه، ويستطيع أن يحدد الشيء الممنوع فيتوقف ولا يتجاوز الحد فيه، ومن المهم جدا معاملة الولد مثل الصديق وحسن المعاشرة قصد الوصول به إلى درجة الاقتناع بنفسه بعد التبيين له، ومنحه حرية الاختيار بعد التوجيه، ولنا في سلفنا الصالح الأسوة الحسنة.

ومجمل القول إن الطفل يحتاج إلى من يرشده إلى المكان الذي ينبغي أن يذهب إليه، وكيف ينبغي أن يقصده؟ ومن هم رفقاؤه؟ وما هي الغاية من الذهاب إليه؟.

فالتربية عملية دائمة مستمرة لا تنتهي مادام الإنسان على قيد الحياة. كما أن الأبوين مسؤولان عن النسمة المودعة عندهم من قبل الله عزوجل، وهم ملزمون ببذل أقصى الجهود من أجل تربية أبنائهم لإصلاحهم وإصلاح مجتمعهم.

الهوامش

١- الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ رقم الحديث ١٣٥٩، ص٣٢٧. دار ابن كثير للطباعة والنشر، بيروت، ط/١/٢٠٠٢م.

٢- فريد الأنصاري - أبجديات البحث في العلوم الشرعية، الناشر: منشورات الفرقان، الدار البيضاء. ط/١. أبريل١٩٩٧م. ص٧.

٣- نفسه، ص٧.



رويدا محمد
كاتبة وباحثة تربوية

مشكلات المراهقة وكيفية التعامل معها

تعد المراهقة من أخطر المراحل التي يمر بها الإنسان ضمن أطواره المختلفة التي تتسم بالتجديد المستمر، والترقي في معارج الصعود نحو الكمال الإنساني الرشيد. وقد حظيت مرحلة المراهقة باهتمام الدراسات النفسية والاجتماعية، بحيث يمكن القول إن هذه المرحلة من مراحل النمو قد نالت قسطا وافرا من البحث والدراسة لم تنله أية مرحلة عمرية أخرى نظرا لخطورتها. ومكمن الخطر في هذه المرحلة -كما يسميه علماء النفس- التي تنتقل بالإنسان من الطفولة إلى الرشد هي التغيرات في مظاهر النمو المختلفة (الجسمية والفسيولوجية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والخلقية)، ولما يتعرض المراهق فيها إلى صراعات متعددة، داخلية وخارجية، فالمراهق لا يعرف من يكون بالنسبة لنفسه، وبالنسبة للآخرين، فالأولاد والبنات يتحولون فيها إلى صورة مصغرة من الرجال والنساء، ويعانون نتيجة لهذه الصيرورة من الانفصال عن مراحل حياتهم الأولى، فالمراهق وهو يحاول التوفيق بين حياتي الاعتماد على الآخرين والاستقلال عنهم، إنما يتوجب عليه أن يسلك سبيلا وعرا حافلا بالعقبات.

مراحل المراهقة

المراهقة مرحلة من مراحل العمر تعتبر فترة انتقالية بين مرحلتي الطفولة والرشد، وتتسم بأنها فترة معقدة -لما تتضمنه من تحديات- من التحول والنمو، تحدث فيها تغيرات عضوية ونفسية وذهنية واضحة. ويختلف علماء النفس في تحديد مرحلة المراهقة، فبعضهم يتجه إلى التوسع في تحديدها فيرون أن فترة المراهقة يمكن أن تضم إليها الفترة التي تسبق البلوغ، وهم بذلك يعتبرونها بين العاشرة والحادية والعشرون، بينما يحصرها بعض العلماء في الفترة ما بين الثالثة عشر والتاسعة عشر. وعموما فإن بداية المراهقة ونهايتها تختلف من فرد لآخر، ومن مجتمع لآخر. ومع نضج المراهق العقلي وتفاعله مع المجتمع بقيمه الخلقية والدينية يكون المراهق لنفسه اتجاها أو فلسفة عامة، فبتفاعله مع البيئة والمجتمع الذي يعيش فيه، قد يصيبه النجاح أو الفشل، وقد يتعرض لصراع بين عقله التام ومنطقه الجديد، وبين ما تلقاه من تعاليم الآباء، والبيئة في طفولته في وقت لم يكن في وسعه إلا أن يتقبل هذه الأمور على علتها، أو قد يحاول التوفيق بين مبادئه

الأخلاقية التي اعتنقها وبين دوافع الحياة ومطالبها، مرضيا طموحه وآماله، بحيث تصبح متمشية مع الواقع الذي يتمنى أو يرغب أن يمارسه في المستقبل، كذلك تحدد نظرته للدين ورأيه في الزواج وتكوين الأسرة وكيفية قضاء أوقات الفراغ، وهذه الفلسفة تكون على ما استخلصه المرء من تجاربه في الحياة موفقا فيها بين نزعاته وآماله، محاولا التكيف مع المجتمع وأفراده الآخرين.

مشكلات المراهقة

لاشك أن النمو الجسمي السريع في فترة المراهقة يؤثر ويتأثر بعدة عوامل، فهو يؤثر في تكوين مفهوم الذات لدى المراهق بحيث يتطلب هذا النمو من المراهق أن يكون صورة جديدة عن جسمه، يضمنها أفكارا معدلة عن مكانته في نفسه ومكانته بالنسبة للآخرين، فيتأثر مفهومه عن ذاته بالآراء التي يطلقها الآخرون على صفاته الجسمية، وكذلك بمقارنته لصفاته الجسمية مع من هم حوله، وتؤثر هذه المقارنة على مفهوم الذات خصوصا عند الأفراد المتقدمين في النمو عن أقرانهم أو المتأخرين في النمو. وهناك من يرى أن المشكلات التي تواجه المراهقين ليست مشكلات ناتجة عن مرحلة المراهقة نفسها، وإنما هي نتيجة الظروف السائدة في مجتمع ما. فطريقة التنشئة الاجتماعية تختلف من بيئة ثقافية إلى أخرى، ونتيجة لهذا قد تظهر مشكلات مثل الشعور بالخجل والانطواء والوحدة، وهذه المشكلات النفسية تؤثر بدورها على علاقات المراهق الاجتماعية. ومن أبرز ما يعانيه المراهقين من مشكلات تتمثل في:

الصراع الداخلي

حيث يعاني المراهق من وجود عدة صراعات داخلية، ومنها صراع بين الاستقلال عن الأسرة والاعتماد عليها، وصراع بين مخلفات الطفولة ومتطلبات الرجولة والأنوثة وصراع بين طموحات المراهق الزاهد، وبين تقصيره الواضح في التزاماته، وصراع بين غرائزه الداخلية وبين التقاليد الاجتماعية والصراع الديني بين ما تعلمه من شعائر ومبادئ ومسلمات وهو صغير، وبين تفكيره الجديد وفلسفته الخاصة للحياة، وصراعه الثقافي بين جيله الذي يعيش فيه بما له من آراء وأفكار والجيل السابق.

الاغتراب والتمرد

فالمراهق يشكو من أن والديه لا يفهمانه، ولذلك يحاول الانسلاخ عن مواقع وثواب ورغبات الوالدين كوسيلة لتأكيد وإثبات تفرده وتمايزه، وهذا يستلزم معارضة سلطة الأهل، لأنه يعد أي سلطة فوقية أو أي توجيه، ويعتبره إنما هو استخفاف لا يطاق بقدراته العقلية التي أصبحت موازية جوهريا لقدرات الراشد واستهانة بالروح النقدية المتيقظة لديه، والتي تدفعه إلى تمحيص الأمور كافة، وفقا لمقاييس المنطق، وبالتالي تظهر لديه سلوكيات التمرد والمكابرة والعناد والتعصب والعدوانية.

الخجل والانطواء

فالتدليل الزائد والقسوة الزائدة يؤديان إلى شعور المراهق بالاعتماد على الآخرين في حل مشكلاته، لكن طبيعة المرحلة تتطلب منه أن يستقل عن الأسرة ويعتمد على نفسه، فتزداد حدة الصراع، ويلجأ إلى الانسحاب من العالم الاجتماعي والانطواء والخجل.

العصبية وحدة الطباع

فالمراهق يتصرف من خلال عصبيته وعناده، يريد أن يحقق مطالبه بالقوة والعنف الزائد، ويكون متوترا بشكل يسبب إزعاجا كبيرا للمحيطين به.

طرق العلاج

إن الشباب ليسوا هم المسؤولين وحدهم عن المشكلات التي تواجههم، ولكنها مسؤولية مشتركة بينهم وبين سائر الأوساط المسؤولة عن التربية والتوجيه كالبيت والمدرسة والمسجد والمؤسسات الإعلامية والأندية ومختلف المؤسسات المسئولة عن رعاية الشباب وتنظيماتهم. ففي فترة المراهقة تنتاب المراهقين تغيرات أساسية جسمانية ونفسية ولعل أولها أن يألف ويؤلف، والحاجة إلى تقدير الذات، فيجب أن يتم له توفير قدرا من الاحترام والاستقلال في الرأي والفعل، وهنا تبرز حرية إبداء الرأي وعدم الخوف من الفعل وإعطاء الثقة بالنفس. وقد اتفق خبراء الاجتماع وعلماء النفس والتربية على أهمية إشراك المراهق في المناقشات العلمية المنظمة التي تناول علاج مشكلاته وتعويده على طرح مشكلاته، ومناقشتها مع الكبار بكل ثقة وصراحة، حتى لا يقع فريسة للجهل والضياع أو الإغراء.

وهكذا تعد مرحلة المراهقة بالمقارنة بالمرحلة السابقة، مرحلة انتقال خطيرة في عمر الإنسان، ففي الطفولة يلاحظ أن حياة الطفل تتسم بالهدوء والاتزان، والعلاقات الاجتماعية فيها تسير في يسر وسهولة، فالطفل يندمج مع أصدقائه ومع بداية البلوغ الذي يعتبر ممرا أو معبرا يصل الطفولة المتأخرة بالمراهقة تحدث تغيرات في حياة الطفل تتبلور أثناؤها شخصية الفرد ومفهومه عن ذاته، ويخطو نحو النضج الانفعالي والفكري، إلى جانب كونها مرحلة نمو اجتماعي ثقافي في حياة الإنسان يصاحبها بعض المشكلات.

المراجع

١- سميحة كرم توفيق، توجه الوالدين نحو والديهم أو أقرانهم وعلاقته ببعض سمات شخصياتهم، الهيئة العامة للكتاب.
٢- أحمد سعد جلال، مشكلات المراهقة الأكثر شيوعا من وجهة نظر المعلمات، كلية الدراسات العليا للطفولة بجامعة عين شمس.
٣- د. بثينة حسنين عمارة، ثقافة علمية أسرية للقرن الحادي والعشرين، الجمعية العلمية لتنمية وتثقيف الأسرة، مصر.



إعداد: علاء عبد الفتاح

شهد صمود وتعاضد أهل الكويت قبل ١٠١ عام

القصر الأحمر رمز بطولة كويتية

تاريخ القصر الأحمر بالكويت تاريخ عريق يرجع إلى عام ١٨٩٦م عندما شيده حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح في جنوب الجهراء، وقد سمي بالأحمر نسبة إلى لون جدرانه الحمراء، «الوعي الإسلامي» زارت القصر مرتين؛ مرة قبل الإجراءات الصارمة التي فرضتها الظروف الصحية في العالم إثر هجمة الفيروس المستجد كوفيد-١٩، ومرة عبر الخدمة الإلكترونية التي يتيحها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب حتى الآن، وهي خدمة الزيارة الافتراضية حيث تصحبك الأسهم يمينا ويسارا جنوبا وشمالا لرؤية كل تفاصيل القصر العامر بعبق التاريخ وبطولة الكويتيين في صد هجوم القبائل عام ١٩٢٠م.

بعد نحو ٤٠ كم من العاصمة توقفت بنا السيارة عند بوابة القصر الجنوبية، ثمة حديقة تجمع فيها الأجانب الذين أتوا لزيارة القصر، بعد أن سمعوا عن أهميته. المكان يبدو بسيطا؛ سور ممتد يحيط المكان مبني من الطين، وغرف محصنة، وإسطبل فارغ، ونخيل مثمر، وشجرة سدر عظيمة، وفي المنتصف يرفرف علم الكويت على سار مرتفع.

مساحة القصر ٦٥٠٠ متر مربع، وارتفاع جدرانه ٤ أمتار ونصف بسمك متر، ويحتوي القصر الأحمر على ٣٣ غرفة بالإضافة إلى ٣ بوابات أكبرهم تقع في الشرق وأخرى في الشمال، بالإضافة إلى بوابة صغيرة في الشمال مخصصة للنساء، أما الإسطبل الملحق فيتسع إلى ١٠٠ حصان، أضيف للقصر بئر حفر أثناء حصار القبائل للقصر في معركة الجهراء عام ١٩٢٠م.

وتوجد بوابة رئيسية على الجانب الشمالي الغربي، وتوجد بوابتان إحداهما في الجانب الشمالي الشرقي كانت مخصصة لدخول ضيوف البادية، والأخرى عبارة عن باب صغير سري في الناحية الشمالية يؤدي إلى الساحة الخصوصية التي خصصت لمسكن النساء. ولك أن تتوقف عند بوابات القصر متأملا عظمتها، حيث صنعت من خشب خاص متين وثبتت



بمسامير معدنية كبيرة.

ثمة أبراج للمراقبة فوق زوايا القصر الأربع وتسمى غولة، وتوجد في جدران القصر الكثير من الثقوب المتفاوتة، ويبلغ عددها من ٨ إلى ١٤ ثقب تسمى مزاغيل، كانت تستخدم لأغراض الدفاع وإطلاق النار وقت الحرب.

ونتعرف من الدليل السياحي على تفاصيل بناء القصر الذي ينقسم إلى عدة أقسام، فهناك قسم سكن الأمير، وهو في الناحية الشمالية من القصر ويتوسطه فناء واسع يسمى «حوش الحريم»، كما يضم حجرة خاصة بالأمير بالإضافة إلى المطبخ والحجر المخصصة للخدم، والقسم الثاني هو المسجد ويقع في الناحية الشمالية وهو قسم المسجد، ويتكون من حجرة طويلة ضيقة مخصصة لصلاة الموجودين داخل القصر، ويفصل بينها وبين سكن الأمير فناء صغير يضم غرفا كان يستخدمها إمام المسجد للمعيشة والاستقبال أثناء إقامته بالقصر، والقسم الثالث هو الديوانية، التي تقع في الجانب الغربي من القصر، وهي الديوانية التي خصصت لاستقبال الضيوف، عبارة عن حجرات تقع في فناء واسع له فتحة تؤدي إلى فناء آخر، وكان يستخدم لإبقاء إبل الضيوف للأمير.

حصار القصر

يحكي لنا التاريخ أنه في صباح يوم الأحد الموافق ١٠ أكتوبر ١٩٢٠م هاجمت بعض القبائل وكان عددهم أربعة آلاف مقاتل واحة الجهراء. وكان عدد المقاتلين الكويتيين ألف وخمسمائة مقاتل ودارت رحى المعركة في القصر الأحمر الذي أصبح رمزا للبطولة والاستشهاد من أجل الوطن، وكان يرأس القوة الكويتية الشيخ سالم المبارك الصباح حاكم دولة الكويت.





وحدث أن أرسل قائد القبائل في معركة الجهراء إلى الشيخ سالم المبارك لعقد صلح وإلا فإنه سيرخص للقبائل بمهاجمة القصر، وتمثلت الشروط التي عرضوها للصلح، وهي الإسلام ومنع التدخين والمنكرات وتكفير الأتراك، بالرغم من أن الأتراك كانوا قد غادروا المنطقة منذ سنوات الحرب العالمية الأولى.

فرد الشيخ سالم المبارك الصباح على الشروط يقول: «أما الإسلام، فنحن والحمد لله مسلمون، ولم نخرج عن الإسلام يوما ما، والإسلام قائم على خمسة أركان ونحن محافظون عليها، ونؤديها كل فرض في ميعاده، ونحارب المنكر بكل صوره، أما عن الأتراك فلم يثبت عندنا ما يجعلنا نكفرهم».

غربت الشمس دون أن يحضر أحد من طرف القبائل ولما مضى طرف من الليل ارتفعت رايات هم للهجوم على القصر إلا أنهم قوبلوا بإطلاق نار كثيف من داخله، وأعادوا الكرة مرتين إلا أنهم فشلوا في اقتحامه.

بطولة الكويتيين

كان من الصعب على قائدهم أن يتقبل الهزيمة، حاول لمرات عديدة القيام بعملية التفاف ومناورات حربية وهجمات على القصر الأحمر، ولكنه في كل مرة كان يكتشف أنه لا جدوى من سقوط القصر ولا فائدة ترجى من عمليات الكر والفر التي اتخذها أسلوبا لتحقيق أهدافه، حيث كان يفشل في كل مرة من اختراق نيران المقاتلين في حصون القصر الذين صمموا على الذود عنه بالصمود والتحدي ونجحوا في صد كل المحاولات التي جرت لاستسلامهم، أو إخراجهم من القصر عنوة، على الرغم من معاناتهم الكبيرة جرّاء شح الماء. وعندما أشرقت عليهم شمس اليوم الثاني للمعركة، كاد أن ينفد صبرهم.

لكن علم أهالي دولة الكويت بما يجري في الجهراء ولجوء الكويتيين إلى القصر الأحمر فقاموا بتجهيز سفن شراعية مليئة بالذخيرة والطعام والرجال، إضافة إلى نجدات برية قاصدة الجهراء. وعندما علمت القبائل بأمر المساعدات القادمة أرسلوا يفاوضون الشيخ سالم للصلح، وتمت الهدنة بين الطرفين وما لبثوا أن رحلوا عن الجهراء مما اعتبر نصرا عظيما ودربا من دروب البطولة والفداء ووحدة الصف بين الكويتيين.

القصر حاليا

حاليا يتبع القصر للمجلس الوطني للثقافة والفنون حيث تقام فيه المتاحف في بعض المناسبات؛ أقيم في القصر معرض الأسلحة القديمة، كما أقيم حفل للفن الشعبي فيه ومن خلال موقع المجلس الرسمي يمكن زيارة القصر والاستمتاع بجميع المشاهد المأخوذة باحترافية عبر برنامج التجول الافتراضي، ويعتبر القصر الأحمر أحد المعالم التاريخية والحضارية لدولة الكويت فهو يجسد جانبا مهما من تاريخ الشعب الكويتي وكفاح الآباء والأجداد في سبيل المحافظة على الكويت، بالإضافة إلى كونه نموذجا معماريا مهما يعبر عن الأسلوب الهندسي القديم الذي يحقق الأهداف الدفاعية المنشودة في ذلك الوقت.

د. محمد عباس محمد عرابي
باحث أكاديمي

وثيقة الأسرة

كما هو جميل أن تتعاون المؤسسات التربوية والتعليمية والاجتماعية في تربية الأطفال على القيم الخلقية والاجتماعية والوطنية؛ مما يساهم في بناء شخصية الأطفال الإنسانية والوطنية، وتكوينهم العاطفي والمعرفي، وتعزيز القيم لديهم وتطوير مواهبهم، وتأكيد وترسيخ هويتهم الثقافية، وإفساح الطريق أمامهم ليكتشفوا قدراتهم ومهاراتهم، والعمل على تنميتها بشتى السبل الممكنة والمتاحة، وخاصة الوسائط الحديثة من تقنيات الإعلام الجديد.

ونرى هذا التعاون بوضوح في تصميم وتنفيذ الكتب المدرسية والمناهج الدراسية فقد تم تضمينها العديد من الأنشطة التي يتم تنفيذها عمليا بالتعاون بين الأبناء المتعلمين وسائر أفراد الأسرة (حيث تجد الأسرة في كل وحدة دراسية أيقونات برسائل تخصها ونماذج للأنشطة والتدريبات التي تشارك الأسرة أطفالها في تنفيذها)، بالإضافة إلى تفعيل المشاريع العملية مما يؤدي إلى ترسيخ وتعزيز العلوم والمعارف والآداب والقيم في نفوس الأطفال، وينمي مواهبهم ويعزز قدراتهم ومهاراتهم، ويعمل على تأصيل وزيادة الوعي لدى الأطفال بأهمية ما تعلموه وتحويل ما تم تعليمه إلى واقع عملي يعيشه الأطفال منذ الصغر، ويمارسونه في حياتهم الواقعية، بالإضافة إلى غرس روح العمل الجماعي مع أفراد الأسرة، والنشاط والتعاون والتخلق بالقيم والآداب الاجتماعية، وتنمية قيمة الإنجاز لدى الأطفال، وهذا يجعل منهم باحثين مطلعين، ومتعلمين نشطين، ومفكرين مبدعين.

ومن نماذج المشاريع التي نجدها في الكتب المدرسية مشروع: اجتماع أفراد الأسرة للمشاركة في كتابة وتصميم وثيقة الأسرة بعنوان (في بيتنا قانون)، وهذه الوثيقة لها رؤية ورسالة وقيم وأهداف ومحاور، وفيما يلي نبذة مقترحة موجزة حول هذه العناصر:

أولا: رؤية وثيقة الأسرة

للأطفال دور يؤخذ به في سن القوانين الملزمة للتحلي بالآداب والقيم والأخلاقيات والسلوكيات الحميدة.

ثانيا: رسالة وثيقة الأسرة

تعويد الأطفال وأفراد الأسرة على الالتزام النظام والتعاون والعمل بروح الفريق والتحلي بالآداب والقيم والأخلاقيات والسلوكيات الحميدة.

ثالثا: قيم وثيقة الأسرة

الالتزام- النظام - التعاون - العمل بروح الفريق.

رابعا: أهداف وثيقة الأسرة

المساهمة في ضبط سلوكيات كافة أفراد الأسرة (صغارا - وكبارا).

تعويد أفراد الأسرة على أن هناك عقوبات تربوية عند مخالفة أحد أفراد الأسرة لآداب وقوانين وثيقة الأسرة.

تعويد الأطفال على الالتزام بالآداب العامة المجتمعية في المدرسة والجامعة والطريق، وفي التعامل مع الآخرين.

خامسا: محاور مقترحة لوثيقة الأسرة

- ❖ أداء الصلوات في أوقاتها.
- ❖ قراءة القرآن والأذكار والقراءة الحرة يوميا.
- ❖ مساعدة الأم في إعداد الطعام.
- ❖ اجتماع جميع أفراد الأسرة على مائدة الطعام.
- ❖ وضع جدول للمذاكرة والترفيه واللعب.
- ❖ مشاركة جميع أفراد الأسرة في نظافة المنزل.
- ❖ كل يخدم نفسه بنفسه، ومساعدة الآخرين قدر الحاجة، وبقدر الاستطاعة.
- ❖ عقد اجتماع أسبوعي لأفراد الأسرة.
- ❖ النوم مبكرا والاستيقاظ مبكرا .
- ❖ تجنب الإزعاج للآخرين.
- ❖ تجنب الضرب والشتم.
- ❖ حسن معاملة الجميع.
- ❖ تقنين أوقات استخدام التقنية ووسائط الإعلام الجديد.

كان هذا نموذجا مقترحا ويمكن للأسر المختلفة تصميم (وثيقة الأسرة) بعنوان (في بيتنا قانون) ووضع رؤية ورسالة وقيم وأهداف ومحاور كل أسرة بما يناسبها.

وختاما يمكن القول: إن مثل تدريب الأطفال منذ الصغر على المشاركة في تصميم وتنفيذ مثل هذه الوثائق يعود بالنفع والفائدة على الأفراد والأسر والمتجمعات، ويعزز قيم الوعي المجتمعي بالآداب والقيم والسلوكيات والقوانين وعقوباتها التي تسنها المؤسسات المجتمعية المتخصصة، ويشابه هذا ما تنفذه المؤسسات التربوية والتعليمية من مجلس شورى الطلاب، وأعضاء مجلس الفصل، وأعضاء أمن المدرسة، وغير ذلك من أنشطة غير صفية تشارك الأسرة في تنفيذها تعود بالنفع والفائدة على الأطفال وبناء شخصيتهم حتى يتمكنوا من نفع أنفسهم وأوطانهم.



غانم عودة
(ناشط في مجال المكفوفين،
سكرتير الشروق سابقا)

إصداران مهمان

إن صدور إصدار كتاب، أو مجلة يعتبر حدثا معتادا لا سيما أن المطابع تقذف بعشرات الكتب تكون الغالبية عديمة الجدوى أو مقررة، لا سيما إن كنا نتحدث عن مجلتين عريقتين سبق لهما الصدور من سنوات وحققتا نجاحا كبيرا استقطبتا جمهورا عظيما.

إن صدور مجلة الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان بطبعة جديدة بطريقة برايل الخاصة بالمكفوفين قد يكون أمرا لا يعني الكثير من الناس لكنه بالضرورة أمر مهم للمكفوفين في الكويت وخارجها، وهذه الأهمية تتجسد في الآتي:

أولا:

أن نصيب القارئ العربي والمسلم من الثقافة والمطبوعات قليل جدا مقارنة بالقارئ الأجنبي ويكون هذا الأمر أكثر سوءا بالنسبة للقارئ الكفيف لظروفه الاقتصادية والاجتماعية السيئة وقلة مصادر المعرفة لديه مقارنة بالقارئ المبصر، حتى في وجود التكنولوجيا الحديثة الذكية، فما زالت تكنولوجيا المكفوفين أكثر صعوبة وأقل يسرا للكفيف لأسباب كثيرة لا يتسع المجال للحديث عنها.

ثانيا:

ما زال التركيز من قبل المؤسسات الثقافية ودور النشر يهتم بالإنسان العادي ولا يولي الكفيف اهتماما لأسباب كثيرة منها عامل الربح، والجدوى الاقتصادية، والتكلفة المادية المرتفعة لطباعة برايل وعدم جدواها اقتصاديا والحاجة إلى إمكانات فنية وتكنولوجية لا تتوافر عند الكثير من هذه المؤسسات، فهي تعتبر نوعا من الترف بالنسبة للكثير إذا علمنا أن الكثير من المكفوفين في الوطن العربي والإسلامي ما زالوا يبحثون عن نسخة من المصحف الكريم بطريقة برايل وما زال آلاف الطلبة في المدارس والجامعات لا تتوافر لهم المناهج الدراسية بطريقة برايل وهو أمر موجود وليس فيه أدنى مبالغة.

ثالثا:

إن صدور مجلة دينية لها مكانتها بطريقة برايل تغطي جانبا كبيرا من الحاجة المعرفية للكثير من المكفوفين في الشؤون الدينية، وتخدم طلبة العلم والمتخصصين في هذا المجال، لا سيما أن الكثير من المكفوفين يتجهون إلى هذا التخصص العلمي.

رابعا:

من واقع التجربة الشخصية



المتواضعة أعلم يقينا أن إصدار مجلة للكبار أو للأطفال هو أمر في غاية الصعوبة لاعتبارات فنية وعلمية ومادية، لا تتوافر للكثيرين، وهو أكثر تعقيدا وصعوبة للمكفوفين، فقد حاولنا إصدار مجلة دينية في جمعية المكفوفين ولكن احتجنا في البداية إلى الترخيص القانوني وهو أمر ميسور في الكويت ولكن كنا بحاجة إلى كوادر متخصصة في الشؤون الدينية والشرعية وخبرات صحفية إلى جانب التكلفة المادية الباهظة فمن المعلوم إن تكلفة طباعة برايل مرتفعة جدا ناهيك عن الدخول في بؤرة الجدل المتعلق بالاتجاهات الفكرية والحلال والحرام والفتاوى المتضاربة وترضي من وتغضب من، وكان الحل الأفضل والأسهل والأرخص اقتصاديا والذي يتميز بالإبداع والذكاء أن نحصل على مجلة دينية لها مكانتها وقيمتها العلمية وتتوافر لها كل الإمكانات العلمية والشرعية والفنية هي (الوعي الإسلامي معها براعم الإيمان للأطفال)، والقيام بعمل نسخة أو طبعة منها بطريقة برايل للمكفوفين بدل البدء من الصفر وتأسيس مجلة للكبار وأخرى للصغار مع كل الصعوبات والتكاليف في زمن تتعثر فيه دور النشر والمجلات.

خامسا:

لا أبالغ إذا قلت إن مثل مجلة الوعي الإسلامي وبراعم الإيمان مهمة جدا ليس لأنها تقدم الثقافة الدينية للكبير والطفل وكذلك طلبة العلم والمتخصصون في العلوم الدينية لكن أزعم من واقع تجربتي المتواضعة أن مثل هذه الإصدارات يستفاد منها في جوانب أخرى قد لا ينتبه لها الكثير من الناس، فالطفل الكفيف مثلا يحتاج إلى القراءة أكثر من الطفل المبصر لعدم قدرته على الخروج خارج البيت واللعب بالدراجة أو كرة القدم وغيرها، فهو يتجه للقراءة، ويمكن استخدام مجلة البراعم كمجلة مشوقة وجذابة لتسلية الطفل بأمور مفيدة أو حتى استخدامها في تعليم القراءة والكتابة للطفل المبدع، فقد استخدمت مثل هذه المجلة لإقراء وجذب الطفل الكفيف وتحفيزه لتعلم القراءة والكتابة بطريقة برايل بطريقة غير مملة فعندما يتعلم بكتاب التمارين بقراءة حروف غير مترابطة وكلمات لا معنى لها مجرد حروف تكون كلمة لتدريبه على اللمس من غير معنى مملة جدا ومتعبة لكن أذا قرأ موضوعا أو قصة.

بل أن الكبار أنفسهم يحرصون على قراءة قصص ومجلات الأطفال، فالأب أو الأم الكفيفان كثيرا ما يقومان بقراءة قصص ومجلات بطريقة برايل لأبنائهم، كما يقوم الأب أو الأم المبصرة بالقراءة لأطفالهم، والقارئ الكريم يدرك الأهمية التربوية والنفسية والاجتماعية لمثل هذا الأمر عندما يقوم الأب أو الأم بجمع الأطفال حوله والقراءة لهم وما يترتب عليها من تفاعل نفسي اجتماعي أسري فوائد وقيم تربوية ودينية وغيرها.

سابعا:

وجود طبعة خاصة بطريقة برايل للمكفوفين هو تجسيد لحقوق هؤلاء الأشخاص باعتبارهم فئة من المواطنين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات التي على المواطن العادي، فهذا يترجم ويحقق ما أقرته مواد الدستور وكذلك حقوق الإنسان، ولعله من محاسن الصدف أن يصدر العدد الأول من «الوعي» و«البراعم» في نفس اليوم العالمي لحقوق الإنسان، وهو من جهة أخرى تكريس لما درجت عليه الكويت من الاهتمام بالمعاقين عامة والمكفوفين خاصة، ويحقق ما أقره قانون المعاقين الجديد الذي يلزم بتمكين المعاقين من الحصول على حقوقهم بكل الوسائل والإمكانات المعينة.

جزيل الشكر وعظيم التقدير لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل وتعاون من أجل إخراجه، وجعله الله في ميزان أعمالهم.

نطمح أن يكون هذا العمل نموذجا يحتذى وتجربة جديرة بالاتباع من قبل المؤسسات الثقافية الأخرى.



محمد الدسوقي
صحافي وباحث

فضائل أهل القرآن

اختص الله عزوجل «أهل القرآن» القائمين على تلاوته، ومدارسة آياته، وتدبر أحكامه، والتزام تعاليمه بفضائل عديدة، ونعم كثيرة، ومكانة عظيمة في الدنيا والآخرة.

ويكفي أهل القرآن شرفا وإجلالا وتعظيما لشأنهم أن الله سبحانه وتعالى يذكرهم في الملأ الأعلى، وأن الملائكة تحيطهم من كل جانب احتفاء بهم وتكريما لهم.

إن التقوى والرحمة والشفاعة والخشوع والعزة والكرامة.. من أبرز فضائل أصحاب القرآن وخصائصهم التي أنعم الله تعالى بها عليهم في الدنيا.

وشهر رمضان المبارك فرصة سنوية متجددة في حياة المسلمين؛ لتعميق صلتهم بالقرآن الكريم تلاوة وتدبرا وفهما وحفظا وعملا بأحكامه السامية وتعاليمه الفاضلة.

وقد جعل الله تعالى «ليلة القدر» جائزة سنوية كبرى لمن أحياها قائما متعبدا بالصلاة وتلاوة القرآن الكريم.

ويوم القيامة يفرح المؤمنون بما

قدموا في الدنيا من ارتباط وثيق بكتاب الله العزيز، وفهم عميق لمعانيه، وعمل دقيق بمقتضى آياته، فهو شفيعهم يوم القيامة، ورفيقهم في الجنة مع الأنبياء والملائكة الحفظة.

والمسلمون جميعا مطالبون في كل وقت بأن يحسنوا الارتباط بكتاب الله عزوجل، ويقفوا على حقائقه، ويجعلوا منه منهاج حياتهم؛ ليفوزوا بما أعد الله تعالى لهم من أسباب النجاح في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

والمتأمل في كتاب الله العزيز المتدبر لمعانيه يدرك بوضوح أن الله عزوجل أحاط «أهل القرآن» بكثير من الفضائل؛ فجعل تلاوتهم القرآن الكريم وإنصاتهم للتلاوة سببا في رحمتهم؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٤).

ووعدهم سبحانه وتعالى بالثواب العظيم، والفضل الزائد، والأجر الكبير، ومغفرة الذنوب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ (فاطر٢٩-٣٠).

فهاتان الآيتان الكريمتان تبشران «أهل القرآن» بفضائل عديدة؛

قراءة القرآن ترفع المسلم لأعلى الدرجات في الجنة

فهم يرجون تجارة رابحة دائما، ومضمونة الثواب، والله عزوجل سيوفيهم أجورهم كاملة، ويزيدهم من فضله، ويضاعف لهم الحسنات.

أهل التقوى والكرامة

ووصف الله تعالى في كتابه الكريم «أهل القرآن» بأنهم (المتقون).. قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢).. وقال تعالى أيضا: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٨).. وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الحاقة:٤٨).

والتقوى احتراز بطاعة الله عزوجل عن عقوبته، وهي إحساس خاص برقابته في كل حال، وبأنه سبحانه أقرب إلى الإنسان من نفسه.

والتقوى تجعل قلب المؤمن يقظا حساسا خائفا متحرجا مستحييا أن يطلع عليه رب العزة في حالة

التقوى والرحمة والخشوع.. من أبرز خصائص أصحاب القرآن

يكرهها.

وآيات القرآن الكريم شديدة الوضوح في تأكيد أن «المتقين» هم أصحاب الكرامة عند الله تعالى في الدنيا والآخرة.. قال عزوجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

فضل تعلم القرآن

يحثنا رسول الله ﷺ على تعلم القرآن الكريم، مؤكدا سمو مكانة معلميه، ورفعة منزلتهم بين الناس بقوله عليه الصلاة والسلام: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (رواه البخاري).

وتعلم القرآن الكريم لا يتحقق بحفظ آياته فحسب، وإنما يمتد إلى الوعي بمعانيه، وتدبر تعاليمه، والوقوف على كنوزه وأسراره في مختلف المجالات، والتزام أحكامه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء:٨٢).

وجعل الرسول ﷺ «قراءة القرآن» من أهم أسس نجاح تنشئة الأجيال المسلمة الجديدة؛ فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن فإن حملة القرآن في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه» (رواه الديلمي).

خشوع قلب المؤمن

ومن أهم خصائص «أهل القرآن»

وسماتهم أنهم يزدادون إيمانا وخشوعا وثقة بالله عزوجل بتلاوة كتابه الكريم.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال:٢).

والخشوع الذي ينعم به «أهل القرآن» يلمسونه رقة في القلب، وسكينة في النفس، وطاعة وطمأنينة ورضا دائما في كل أمور حياتهم.

فإذا خشع القلب انعكست آثار هذا الخشوع على الجوارح، وظهرت في سلوك المسلم انقيادا لأمر الله عزوجل وأمر رسوله ﷺ، وأمنا وسلاما للأوطان، ومحبة وتعاونا مع الآخرين.

وإذا كان لخشوع المسلم أسباب عديدة، كاستحضار عظمة الله تعالى، واستشعار رهبة الوقوف بين يديه، والتوجه إليه سبحانه بالدعاء الخالص، والاستعداد للصلاة، والطمأنينة فيها؛ فإن تلاوة القرآن الكريم من أبرز أسباب الخشوع، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر:٢١).

شفاعة القرآن للمسلم

وبشر الرسول ﷺ «أهل القرآن» بأن تلاوتهم كتاب الله العزيز تجعل

القرآن شفيعهم يوم القيامة ورفيقهم في الجنة مع الأنبياء والملائكة الحفظة

القرآن الكريم ﴿شفيعا﴾ لهم يوم القيامة.. فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه» (رواه مسلم).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فيشفعان» (رواه أحمد).

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد شفاعة القرآن الكريم لأصحابه، وأنه شاهد مصدق ما رواه جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار» (رواه ابن حبان والبيهقي).

وفي هذا حث للمسلم على المداومة

«ليلة القدر» جائزة سنوية كبرى لمن أحياها متعبدا بالصلاة والتلاوة

على تلاوة القرآن الكريم حتى يفوز بشفاعته يوم القيامة.

الطريق إلى الجنة

ومن جزيل نعم الله عزوجل على المسلم أن جعل تلاوة القرآن الكريم طريقا إلى الجنة، فلا تنقطع صلة المؤمن بالقرآن الكريم، ولا يتوقف أثره عليه عند حد معين، بل يمتد فضله ليرتقي بالمسلم دائما.

وقد بشر رسول الله ﷺ «أهل القرآن» بدرجات عليا في الجنة؛ فعن عبدالله بن عمرو، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها».. (أخرجه أبوداود والترمذي والنسائي).

ومن خصائص «أهل القرآن» أنهم إذا اجتمعوا لتلاوته وتدارس آياته نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وأحاطت بهم الملائكة في مجلسهم من كل جانب احتفاء بهم، وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة تكريما لهم، ورفعا لشأنهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن

عنده» (رواه مسلم).

أفضل عبادة المسلم

وتلاوة القرآن الكريم مع إخلاص النية وحسن القصد عبادة يؤجر عليها المسلم، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها» (رواه الترمذي).

ووصف الرسول ﷺ «تلاوة القرآن» بأنها «أفضل عبادة»، الأمر الذي يحمل بشارة عظمى لأهل القرآن، فعن النعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ، قال: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن» (أخرجه البيهقي).

ومع الإخلاص في تلاوة القرآن الكريم والإنصات في سماعه لا يملك المؤمن أن يحبس دموعه حين يبكي من خشية الله عزوجل؛ فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي القرآن» قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «نعم إني أحب أن أسمعه من غيري». فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (النساء:٤١) ، قال: «حسبك الآن»، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان» (رواه البخاري).

أجر مشقة التلاوة

ومن أبرز نعم الله سبحانه وتعالى على «أهل القرآن» أن جعلهم مع الملائكة الذين وصفهم الرسول، ﷺ، بأنهم «السفرة الكرام البررة».

وهذه المنحة الربانية تؤكد أن للقرآن على المسلم نعما في الدنيا والآخرة؛ فعن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي، ﷺ، قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» (أخرجه مسلم وأحمد).

والمراد بالسفرة الكرام البررة «الملائكة الحفظة»؛ فما أعظم أن يكون قارئ القرآن مشتركا مع الملائكة البررة في تلك الصفات..

وما أعظم أن يجعل الله تعالى لمن يتتعتع في قراءة كتابه العزيز أجرا عن القراءة وأجرا آخر عن التعتعة، أي المشقة التي تواجهه عند القراءة.

قراءة القرآن من أهم أسس نجاح تنشئة الأجيال المسلمة الجديدة

فضل قيام رمضان

وترشدنا الأحاديث النبوية الشريفة إلى أن الكثيرين يتمنون لأنفسهم ما لأصحاب القرآن من فضائل، وما منحهم الله تعالى من النعم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» (أخرجه البخاري ومسلم).

ومن أبرز الفضائل التي خص الله تعالى بها أهل القرآن الكريم أنه عزوجل جعل قيام ليالي شهر رمضان المبارك، غفرانا لذنوبهم؛ يقول الرسول ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».. (رواه البخاري ومسلم).

جائزة سنوية كبرى

ومن أهم سمات صلاة القيام، أو التراويح، تلاوة القرآن الكريم، وتدبر آياته الكريمة، واستلهام العبرة والموعظة منها.

وإذا كان هذا ينطبق على كل أيام شهر رمضان المبارك، فما هو حال أهل القرآن في «ليلة القدر» التي تعد جائزة سنوية كبرى يمنحها الله تعالى لمن شاء من عباده المؤمنين المتقين.

وقد أبرز رب العزة سبحانه وتعالى مكانتها وأثرها في حياة المسلم بقوله عزوجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ (القدر:١-٥).

وقال عنها الرسول ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري ومسلم).



شيماء لطفي
باحثة تربوية

تحويل القبلة..والأمة المتفردة

المنهج الإسلامي منهج يتميز بتفرده عن المناهج الأخرى، فهو منهج شامل لكل مناحي الحياة، إذ هو منهج رباني المرجع فيه إلى الوحي، وهو منهج بالاعتدال والوسطية على قاعدة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣)، كما يتميز بالعموم والإنسانية في تعامله مع كل البشر، فلا يمنع أحدا حقه، ولا يقر ظالما على ظلمه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ (المائدة:٨).

وقد كانت حادثة تحويل القبلة عنوانا على تفرد المنهج الإسلامي وتميزه وعدم تبعيته للشرائع السابقة، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (البقرة:١٤٤)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل على أجداده –أو قال أخواله– من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون. فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل الكعبة، فداروا كما هم قبل البيت. وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك، فنزلت: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾ (البقرة:١٤٤) فقال السفهاء –وهم اليهود– ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها.

واختلف العلماء حين فرضت عليه الصلاة أولا بمكة، هل كانت إلى بيت المقدس أو إلى مكة، على قولين، فقالت طائفة: إلى بيت المقدس وبالمدينة سبعة عشر شهرا، ثم صرفه الله تعالى إلى الكعبة، قاله ابن عباس. وقال آخرون: أول

ما افترضت الصلاة عليه إلى الكعبة، ولم يزل يصلي إليها طول مقامه بمكة على ما كانت عليه صلاة إبراهيم وإسماعيل، فلما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، على الخلاف، ثم صرفه الله إلى الكعبة. قال أبو عمر: وهذا أصح القولين عندي. قال غيره: وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة أراد أن يستألف اليهود فتوجه إلى قبلتهم ليكون ذلك أدعى لهم، فلما تبين عنادهم وأيس منهم أحب أن يحول إلى الكعبة فكان ينظر إلى السماء، وكانت محبته إلى الكعبة لأنها قبلة إبراهيم، عن ابن عباس. وقيل: لأنها كانت أدعى للعرب إلى الإسلام، وقيل: مخالفة لليهود، عن مجاهد[1].

وهكذا يتضح أن مخالفة اليهود والحرص على تمييز هذه الأمة في قبلتها ووجهتها كانت من دواعي تحويل القبلة إلى المسجد الحرام، للحفاظ على خصوصية الأمة في عبادتها وتوجهها، وكونها أيضا الوارثة لدين إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:٦٨)، وإن من وراثة دين إبراهيم أن يرث النبي ﷺ وأمته قبلة إبراهيم عليه السلام، ذلك أن الإسلام لا يقيم شعائره التعبدية على مجرد النية أو التوجه الروحي ولكن مع ذلك هناك أشكال ظاهرية لابد من مراعاتها وقت أداء العبادة، ففي الصلاة هناك التوجه إلى القبلة والقيام والركوع والسجود والقراءة، وفي الحج نرى الإحرام من الميقات والزي الخاص بالحج والحركة

الحل أن تدرك الأمة خيريتها وتنطلق لتعمر الدنيا بالدين

والسعي والطواف والنحر والحلق كلها أشكال ومظاهر تضاف إلى النوايا وأعمال الباطن لتتم العبادة على الشكل الصحيح الذي أراده الله تعالى لعباده.

ولم تكن حادثة تحويل القبلة وحدها الدليل على تميز الأمة وتفردها عن غيرها من الأمم وإنما هناك حوادث أخرى تؤكد هذا المعنى، من بينها تشريع الأذان، فحين أراد النبي ﷺ أن يختار طريقة لجمع المسلمين للصلاة جمع أصحابه وشاورهم في هذا الأمر، فعن أبي بشير الأنصاري قال: «اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها آذن بعضهم بعضا. فلم يعجبه ذلك. قال: فذكر له القنع، يعني الشبور[2]، وقال زياد شبور اليهود، فلم يعجبه ذلك. وقال: هو من أمر اليهود. قال: فذكر له الناقوس، فقال: هو من أمر النصارى. فانصرف عبدالله بن زيد بن عبدربه وهو مهتم لهم رسول الله ﷺ فأري الأذان في منامه، قال: فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فقال له: يا رسول الله إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آت فأراني الأذان. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوما، قال: ثم أخبر النبي ﷺ، فقال له: ما منعك أن تخبرني. فقال: سبقني عبدالله بن زيد فاستحييت، فقال رسول الله ﷺ: يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبدالله بن زيد فافعله، قال: فأذن بلال» (سنن أبي داود).

فهذه رؤيا وافقت وحيا وأقرها النبي ﷺ وصارت تشريعا يميز المسلمين عن غيرهم من أصحاب الشرائع الأخرى، وفي رفض النبي ﷺ فكرة اتخاذ شعار من شعائر الأمم السابقة ليكون شعارا لهذه الأمة في أخص عباداتها وهي الصلاة دليل على حرصه ﷺ على أن تظل أمته من بعده متميزة متفردة غير تابعة لأمة من الأمم السابقة، فرفض اتخاذ بوق اليهود ولم يعجبه، ورفض كذلك اتخاذ ناقوس النصارى ولم يرض به.

إن الأمة الإسلامية تعيش حالة من التيه والبعد عن معالم هذا الدين الحق، وما ذلك إلا من يوم أن فقدت هويتها وضاعت بوصلتها وراحت تقلد غيرها من الأمم ووقعت فيما حذر منه النبي ﷺ حين قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلك جحر ضب لسلكتموه» قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» (صحيح البخاري).

والحل لهذه المعضلة أن تدرك الأمة المسلمة خيريتها وقوامتها على غيرها من الأمم وفضلها على من سبقها وتنطلق من هذه الميزة المتفردة لتعمر الدنيا بالدين وتصلح الدنيا بمنهج الله القويم.

الهوامش

١- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١، ١٤١.

٢- الشبور: البوق الذي ينفخ فيه إحداث صوت.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث





سلسلة الأعلام المتشابهة (٥٤)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (السحيمي):

١- السحيمي (ت:١١٧٨هـ):

هو أحمد بن محمد بن موفق الدين علي السحيمي، القرشي، الحسني، الشافعي، الأزهري، نزيل قلعة الجبل بالقاهرة، عالم مشارك في أنواع من العلوم.

من تصانيفه: (تاج البيان لألفاظ القرآن)، و(مناهج الكلام على آيات الصيام)، (لباب الطالبين بشرح الأربعين)، و(شرح رسالة الاستعارات للعصام)، و(تفسير سورة ﴿والفجر﴾)، و(التذكرة الفاخرة في أحوال الآخرة)، و(العطايا السنية في شرح المواهب اللدنية)، و(زهر الطالب بشرح الكواكب)[1].

٢- السحيمي (ت:١٢٠١هـ):







هو محمد بن أحمد بن محمد القلعاوي، المعروف بالسحيمي.
من مصنفاته: (منتهى مدارك الأسرار والمعاني في حل ألفاظ دردناشي اليوناني)[٢].

المتفق والمفترق في اسم (الدميري):

١- الدميري (ت:٣٠٩هـ):

هو محمد بن المرزبان الدميري، اللغوي.
له مصنفات في الأوصاف، منها: (وصف الفارس والفرس)، و(وصف السيف)، و(وصف القلم)[٣].

٢- تاج الدين الدميري المالكي (ت:٨٠٥هـ):

هو أبو البقاء، تاج الدين بهرام بن عبدالله بن عبدالعزيز، السلمي الدميري القاهري، انتهت إليه رياسة المالكية في زمنه.
ولد سنة: (٧٣٤هـ)، أفتى ودرس وناب في القضاء بمصر.
من مصنفاته: (الشامل) متن في فقه المالكية، و(شرح الشامل)، و(المناسك في الحج، و(شرح المناسك)، و(شرح مختصر خليل)، و(شرح مختصر ابن الحاجب) في الأصول، و(شرح ألفية ابن مالك)، و(الدرة الثمينة منظومة في نحو (٣٠٠٠) بيت[٤].

٣- كمال الدين الدميري الشافعي (ت:٨٠٨هـ):

هو أبو البقاء، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميري، من فقهاء الشافعية، من أهل دميرة (بمصر).
ولد بالقاهرة سنة: (٧٤٢هـ)، كان يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرس، وكانت له في الازهر حلقة خاصة، وأقام مدة بمكة والمدينة.
من مصنفاته: (حياة الحيوان)، و(حاوي الحسان من حياة الحيوان)، و(الديباجة في شرح كتاب ابن ماجه)، و(النجم الوهاج في شرح المنهاج)، و(مختصر شرح لامية العجم للصفدي)، توفي بالقاهرة[٥].

٤- الدميري (ت:١٠٢٩هـ):

هو أحمد بن أحمد بن محمد الدميري، مؤرخ.
من تصانيفه: (قضاة القاهرة)[٦].

الهوامش

١- انظر: هدية العارفين (١٧٧/١) والأعلام للزركلي (٢٤٣/١) ومعجم المؤلفين (١٣٠/٢).
٢- انظر: هدية العارفين (٣٤٦/٢) ومعجم المؤلفين (١٤/٩).
٣- انظر: بغية الوعاة للسيوطي (٢٤١/١) ومعجم المؤلفين (١٣/١٢).
٤- انظر: الضوء اللامع (١/٣) والأعلام للزركلي (٧٦/٢) ومعجم المؤلفين (٨٠/٣).
٥- انظر: هدية العارفين (١٧٨/٢) والأعلام للزركلي (١١٨/٧) ومعجم المؤلفين (٦٥/١٢).
٦- انظر: معجم المؤلفين (١٥٤/١).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

عربية عالمية مصورة بالألوان

الموسوعة

الموسوعة

المجلد الرابع

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «الموسوعة» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بـ «الموسوعة»

الموسوعة تعني كتابا أو مجموعة من الكتب، وعلى معلومات عن أشخاص وأماكن وأحداث وأشياء مرتبة ترتيبا «ألفبائيا» أو موضوعيا. ويمكن أن تتطرق الموسوعة إلى كل مجالات المعرفة، أو تختص بمجال معرفي واحد. ومن هنا، فإن الموسوعة العامة، مثل الموسوعة التي بين أيدينا، تتضمن معلومات عن كل مجال من مجالات المعرفة. أما الموسوعة المتخصصة، فتقدم معلومات تفصيلية وفنية متعمقة في مجال معرفي معين مثل الأدب أو الطب أو العلوم الاجتماعية.

أما موسوعتنا هذه فهي موسوعة ثقافية معاصرة طليعية تبحث في حقائق عالمنا الراهن، وهي تتألف من أبحاث مستقلة تتتالى موضوعاتها وتتعدد جوانبها، مما يسمح بقراءات متنوعة تستثير شوق القارئ. وهي مبرمجة بقصد التعمق في المعرفة والعلوم؛ فهي تبحث في العلوم المختلفة مثل: التاريخ، الجغرافيا، الفلسفة، الحضارة، العلوم، بحسب المفاهيم المعاصرة.

وقد صدرت هذه الموسوعة سنة ١٩٨٥م، في جنيف بسويسرا، تحت إشراف عدة لجان علمية، وبإشراف الأستاذ: نقولا ناهض.

خصائص هذه الموسوعة

موسوعة جمعت أنواعا من العلوم والمعرفة والثقافة، مدعومة برسومات حديثة ملونة بطريقة جميلة وجذابة.

تعرض الموضوعات عرضا معاصرا يتلاءم مع رغبة الجميع في التعلم والبحث عن المعرفة.

لغتها سهلة ميسرة يفهمها القارئ بغير تعقيد.

أهداف الموسوعة

الاستجابة للمتطلبات الدراسية والثقافية لدى الأجيال الجديدة.

تقديم ذخيرة حية أساسية وفريدة للتوثيق العلمي والبحث.

الاستجابة لفضول القارئ وتساؤلاته في مختلف الميادين.

الحث على القراءة وتنمية الخيال وإثراء العقل.

محتوى الموسوعة العام

اعتمدت الموسوعة منهجية الأبحاث المستقلة في ترتيب موضوعاتها، فهي لم تتبع منهج الموسوعات في ترتيب موضوعاتها «ألفبائيا»، وإنما جاء كل بحث من أبحاثها مستقلا عن الآخر بشكل متتال متسلسل.

جاء في مجلدها الأول المبحث الأول وهو بعنوان: ما قبل التاريخ.. فتناول نشأة الإنسان ما قبل التاريخ أو ما يسمى بالإنسان البدائي بنظرة فلسفية داروينية، وهذا طبعا مخالف لتعاليم ديننا الحنف.. ثم تلاها مبحث: البراكين.. وقد تناولته بنظرة علمية جيولوجية.. ثم تلاه مبحث: الثدييات البحرية، وهو موضوع علمي شيق.. وهكذا تنوعت موضوعات الموسوعة.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على أجزاء من هذه الموسوعة، تتكون من ١٤ مجلدا، وهي في متناول قرائها الكرام والمهتمين بالمعرفة وبالموسوعات العلمية.

المصادر

الموسوعة.

الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



هشام الصباغ
باحث لغوي

الأديب المكي
أحمد محمد جمال

■ نسبه يرتفع إلى الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب، بحسب ما رواه الشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي في كتابه الشهير بـ«أزهار البستان» (الأزهار الطيبة النشر عن الأعيان في كل عصر).

■ قلمه سيال، وثقافته لا يحدها مكان، ولا يجمعها زمان؛ كتب في شتى الموضوعات والقضايا، وكتاباته كلها لخدمة الإسلام والمسلمين، سواء على المستوى المحلي أو العربي أو الإسلامي أو الدولي.

■ أسلوبه في الحوار ممتع وجميل؛ لا يصخب ولا يجهل، ولا يتطاول ولا يتعالم، ولكن.. يعرض وجهة نظره التي يؤمن بها بأسلوب حكيم، وطريقة لبقة تشد السامع إليه، وتؤثر فيمن يحاوره؛ مستفهما أو متشككا أو مجادلا.. وعباراته طيبة تظلل أجواء حديثه؛ فلا يملك الطرف الآخر إلا التسليم بوجهة النظر التي طرحها من دون أي حرج أو غضاضة.

■ هادئ الطبع، ابتسامته مشرقة لا تفارق محياه حتى في أحرج الأوقات.. ساحر في نقاشه، متزن في ثقافته، واثق في علمه، متمكن من عمله، مصلح في مجتمعه، صادق مع ذاته، يكره الغرور والغطرسة، غير منفعل، ذو ثقافة إسلامية عالية، عفيف النفس واليد، نزيه.

■ وفاؤه لإخوان الصدق على قدر كبير وشأن عظيم، ولا غرو فقد عرف بالصلاح بالتقوى والورع.. إنه أحد أعضاء لجنة وضع النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز، الكاتب والداعية والشاعر أحمد بن محمد بن صالح بن عبدالقادر بن صالح بن عبدالرحمن بن عثمان بن عارف بن محمد جمال.

النشأة والتعليم

■ أمام المسجد الحرام، بمحلة «المسعى» في مكة المكرمة، نشأ وترعرع، وفيها ولد عام ١٩٢٤م، لأسرة محافظة متدينة ذات باع في العلم؛ فجده عارف كان علامة يدرس القرآن والحديث والتفسير والفقه في المسجد الحرام، وجده عبدالرحمن (حفيد عارف) كان أحد علماء مكة العاملين وإماما ومدرسا بالمسجد الحرام وولي قضاء جدة في عهد الشريف غالب وخلفه في ذلك ابنه عثمان.

■ في مدرسة المسعى التحضيرية بدأ دراسته الأولية لأربع سنوات.. وبعد أن أنهى دراسته فيها انتقل للدراسة في المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، وفيه تخرج عام ١٣٥٩هـ، وبعده درس تفسير القرآن على يد الشيخ علوي مالكي.

حياته العملية

■ اشتغل الأستاذ أحمد محمد جمال، رحمه الله، في دوائر القضاء، وعين كاتبا في المحكمة الشرعية، كما شغل عدة وظائف إدارية في وزارة الداخلية.

■ منذ أن كان طالبا استهوته صنعة الأدب والصحافة وظلت تلك البذرة تكبر في نفسه وتتفرع.. وفي عام ١٣٧٦هـ، حصل شقيقه الشيخ صالح على امتياز إصدار جريدة سماها «حراء»، ووقتها كان شغف الأستاذ أحمد بعالم الأدب والصحافة بلغ مبلغه، حد أن ترك العمل الحكومي من أجلها وممارسة جميع أعمال الصحافة؛ فعمل صفيفا للمواد الإخبارية، ومصححا لها، ومحررا، وسكرتيرا ومديرا للتحرير.

■ اتخذ الصحافة منبرا لدعوة الحق ومنصة يدافع من خلالها عن دينه وأمته، فكانت له زوايا يومية وأسبوعية وكتب في جميع الصحف السعودية وصحف من الدول العربية.

■ عمل مدرسا للثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بفرعيها في مكة المكرمة وجدة، وعندما انفصلت وأنشئت جامعة أم القرى بمكة المكرمة اكتفى بالتدريس فيها حتى وفاته (بدون مقابل مادي).

■ عمل مذيعا بالإذاعة السعودية منذ إنشائها وشارك في تقديم نشرات الأخبار والبرامج الثقافية المتنوعة، وكانت له أحاديث من إعداده.. كما عمل في وزارة المعارف بقسم الثقافة الإسلامية.

■ شارك في كثير من المؤتمرات والندوات داخل المملكة وخارجها وفي معسكرات الشباب الإسلامي وتنقل كداعية أيضا في كثير من دول العالم

الإسلامي والعربي وأوروبا وأميركا وإفريقية وجنوب شرق آسيا حتى وصل إلى الصين ويوغوسلافيا.

■ بمرسوم ملكي عين عضوا في مجلس الشورى السعودي منذ عام ١٩٥٦م، واحتفظ بعضويته طيلة حياته.. ونال عضوية كل من: المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في جدة، ورابطة العالم الإسلامي، ومجلس الأوقاف بمكة المكرمة، والمجلس البلدي بمكة المكرمة، ومنظمة الشباب الإسلامي العالمية، وجمعية صندوق البر بمكة المكرمة منذ إنشائها (ثم ترأسها). كما أشرف على سلسلة «دعوة الحق» التي كانت تصدرها رابطة العالم الإسلامي.

جمال.. والثقافة الإسلامية والأدب

■ نادى جمال بإشباع الأدب بالروح الإسلامية، ويراه «رسالة الفكر الإنساني»، ولذا فهو يؤمن بأنه «يستلزم جهادا في سبيله؛ لأدائه سليما قويما لنشر الحق والخير»؛ لأن «رسالة الفكر هي رسالة الأنبياء».

■ الأدب لديه ليس صدى لما يعتمل في المجتمع الإنساني فقط، ولكنه أيضا دعوة إلى إيجاد مجتمع أفضل.. ويعزو جمال سبب تخلف المسلمين إلى هجرهم الثقافة الإسلامية، التي يراها «سلوكا وليست مجرد معارف ومبادئ».

جمال والشباب

■ له عناية واهتمام فائقان بتربية الشباب؛ يوجه دائما خطابه إليهم في دروسه وأحاديثه وخطبه ومقالاته؛ ويطالب الجميع بالعمل على تنشئتهم تنشئة إسلامية صالحة، وإعطائهم مزيدا من الجهد والرعاية، ومراعاة السن التي هم فيها، والثقافة التي يحتاجون إليها، مبررا ذلك بقوله: «إن الرسول ﷺ كان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم والملل، فكيف بمسلمي اليوم، خصوصا الشباب؟!».

مؤلفاته

■ مؤلفاته زادت على ٤٠، هذا غير مئات المقالات، ويتبين لمن يتناول مؤلفاته أنها ترتكز على خلفية إسلامية بحتة، يدافع فيها عن الإسلام ويجاهد بقلمه لرد كيد أعدائه مستندا إلى كتاب الله وسنة رسوله.. فألف في الأدب والفكر والثقافة الإسلامية، والسياسة والاجتماع والاقتصاد والجهاد كما قرض الشعر، وفي سنواته الأخيرة اتجه لتفسير القرآن؛ نذكر من تآليفه: الطلائع (وداعا أيها الشعر) - على مائدة القرآن - نساؤنا ونساؤهم - نحو تربية إسلامية - أوصيكم بالشباب خيرا - الاقتصاد الإسلامي.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الشيخ أحمد محمد جمال ثمانية وعشرون مساهمة مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «المرأة العربية في مهب الريح، ع:٣» - «ذكرى الحصار الأول: ما أشبه الليلة بالبارحة، ع:١٣» - «أغلى من الذهب، ع:١٦» - «كاريل يرد أكاذيب المستشرقين، ع:٢٥» - «تاريخكم يا شباب الإسلام ٢/١/ ٤/٣/٢، ع:٤١/٣٧/٣٣/٣٠» - «علاقة الإسلام باللغة العربية، ع:٤٥» - «يا شباب الإسلام ما هي ثقافتكم؟ ٢/١/ ٣/٢، ع:٦٥/٦٢/٥٣» - «حوار حول الجهاد الأكبر، ع:٦٨» - «من قصص الهجرة في القرآن، ع:٧٣»، «اهتمام الإسلام بالشباب، ع:٧٧» - «حوار حول زكاة الأموال المستحدثة، ع:٧٨» - «رمضان بركاته وذكرياته، ع:٨١» - «الحج: روائعه ومنافعه، ع:٨٤» - «الأسرة كما يريدها التشريع، ع:٨٥» - «عسكرية الإسلام جهاد وذياد، ع:٩١» - «مفهومات قرآنية، ع:٩٦» - «الناس بين استعجال السيئة واستبطاء الحسنة، ع:٩٧» - «قضايا قرآنية، ع:٩٨»، «ذكرى ميلاد الرسول ﷺ، ع:١٠٠» - «دراسات قرآنية، ع:١٠٨» - «نحو تربية إسلامية: يا بني، ع:١٠٩» - «حديث مع الشباب: كلهم يبكي فمن سرق المصحف؟ ع:١١٥» - «افتعال المشكلات في نظر القرآن، ع:١١٩».

وفاته

■ في أرض الكنانة، وتحديدا في مدينة الإسكندرية، ومع ساعة سحر يوم عرفة من عام ١٤١٣هـ، لقي الشيخ الأستاذ أحمد محمد جمال ربه منتويا صيام الغد، لينقل جثمانه إلى مطار الملك عبدالعزيز بجدة بطائرة خاصة، أمر بها وقتذاك الملك فهد بن عبدالعزيز فور معرفته بنبأ الوفاة، ليصلى عليه في المسجد الحرام فجر يوم عيد الأضحى. ثم ووري جثمانه الثرى بمقابر المعلا بمكة المكرمة قريبا من مقبرة أمنا الطاهرة خديجة زوجة خير خلق الله سيدنا محمد ﷺ.

المصادر والمراجع

١- كتاب «الأزهار الطيبة النشر عن الأعيان في كل عصر».
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- المكتبة الشاملة.
٤- موقع الجزيرة.
٥- رابطة أدباء الشام.
٦- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

إعداد / تركي محمد النصر

كن في الدنيا كأنك غريب

قال يحيى بن معين رحمه الله تعالى: رأيت وكيع بن الجراح أخذ في كتاب الزهد يقرؤه، فلما بلغ حديثا منه ترك الكتاب ثم قام فلم يحدث، فلما كان الغد وأخذ فيه بلغ ذلك الحديث قام أيضا ولم يحدث، حتى صنع ذلك ثلاثة أيام، قلت ليحيى: وأي حديث هو؟ قال: حديث مجاهد، قال: أخذ عبدالله بن عمر ببعض جسدي، قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «يا عبدالله بن عمر، كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».

(انظر: تاريخ ابن معين، ٢/٥٦٩).

لا قتال بغير عدة.. ولا خصام بغير حجة

قال العلامة صالح بن جناح اللخمي الدمشقي رحمه الله تعالى: «اعلم أن من قاتل بغير عدة، أو خاصم بغير حجة، أو صارع بغير قوة؛ فهو الذي صرع نفسه، وخاصم نفسه، وقتل نفسه، فإن ابتليت بقتال أحد أو مخاصمته أو مصارعته، فأحسن الإعداد له، واعرف مع ذلك عدته، وأبصر حجته، واختبر قوته كما يختبر قوتك وحجتك وعدتك، فإن رأيت مقدما، وإلا كان التأخر قبل التقدم خيرا من الندم بعد التقدم».

(انظر: الأدب والمروءة للخمي، ص:١٧).

قد مالت بنا الدنيا

قال عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما: «لخير أعمله اليوم أحب إلي من مثليه مع رسول الله ﷺ؛ لأنا كنا مع رسول الله ﷺ تهمنا الآخرة ولا تهمنا الدنيا، وإنا اليوم قد مالت بنا الدنيا».

(رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، ١/٢٦٨).

ولا بد لكل فاضل من صاقل

قال العلامة أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن القلعي الشافعي، المتوفى سنة ٦٣٠هـ: «قال بعض الحكماء: اعلم أن الملوك تحتاج إلى وزير، وأشجع الناس يحتاج إلى سلاح، وأجود الخيل يحتاج إلى سوط، وأجود الشفار يحتاج إلى مسن.. لا بد لكل فاضل من صاقل».

(انظر: تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص:١٣٧).

الحسود لا يسود

قال العلامة الشبشيري رحمه الله تعالى: «ومن الحكمة: الحسود لا يسود أبدا، والبخيل تأكل أمواله العدا، والكريم لا يضام أبدا، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا».

(انظر: الجواهر البهية، ص:١٥٤).

المعذور والمغرور

قال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: «وقال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور».

(انظر: فتح الباري، ١١/٣٤٣).

مشاركة: يعقوب الجناع

شروط ستر الزلة

قال العلامة المدابغي رحمه الله تعالى: «يسن ستر الزلة بشروط أربعة: أحدها: أن تكون حقا لله تعالى. الثاني: أن تكون مضت. الثالث: أن تكون من نحو ذوي الهيئات. الرابع: ألا يكون شاهدا، أو راويا، أو أمينا على نحو يتيم».

(انظر: حاشية المدابغي على الفتح المبين بشرح الأربعين، ص:٢٢٩).

معرفة أنساب الخيل

قال الجاحظ رحمه الله: «قاد عياش بن الزبرقان بن بدر إلى عبدالملك بن مروان خمسة وعشرين فرسا، فلما جلس لينظر إليها، نسب كل فرس منها إلى جميع آبائه وأمهاته، وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التي حلف بها على الفرس الآخر، فقال عبدالملك بن مروان: عجبي من اختلاف أيمانه أشد من عجبي من معرفته بأنساب الخيل!».

(انظر: البيان والتبيُّن، ٣٠٥/١).

قاعدة جليلة في الصبر

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أن يعلم المسلم أنه إن صبر فالله ناصره ولابد؛ فإن الله وكيل من صبر وأحال ظالمه عليه. ومن انتصر بنفسه لنفسه وكله اللهِ إلى نفسه، فكان هو الناصر لها، فأين من ناصره الله خير النَّاصرين، إلى من ناصرته نفسه أعجز النَّاصرين وأضعفهم».

(انظر: قاعدة في الصبر، ص:١٠١).

الذُّكْرُ والذِّكْر (بضم الذال وكسرها)

الذُّكر، والذِّكر (بضم الذال وكسرها) تقول: اجعلني منك على ذِكْر، وذُكْر، وما زال ذلك مني على ذِكْرٍ، وذُكْرٍ (بضمِّ الذَّال وكسرها): بمعنىً. ولغة الضم أعلى حكاها سيبويه.

وقال الفراء:

الذِّكْرُ (بالكسر): ما ذكرته بلسانك وأظهرته.

والذُّكْرُ(بالضَّمِّ): بالقلب؛ يُقال: ما زال مني على ذُكر، أي: لم أنسه.

(انظر: «الصحاح» للجوهري، ٦٥٦/٢، مادة: ذَكَرَ - «لسان العرب» لابن منظور، ٣٠٨/٤، مادة ذَكَرَ).

لا خير في الكذب

سئل الإمام مالك، رحمه الله تعالى، عن الرجل يكذب لزوجته وابنه تطييبا. فقال: «لا خير في الكذب». ولقد أحسن من القائل:

الصدق في أقوالنا أقوى لنا.

والكذب في أفعالنا أفعى لنا.

فهم يقولون: هم أشياخنا.

فما لهم قد يفعلوا أشيا خنا.

(انظر: الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية للشبرخيتي، ص:٣٥٣).



إعداد: التحرير



من يعتبر؟!

في نهار يوم مشرق تأملت السماء من وراء حاجز، وللحظات تسللت فيها شعوريا، وتركت من حولي، وبعد استغراق تأمل ونظر، رأيت فيها صفاء يأخذك أبعد مما ترى عيناك، أبعد من السماء والسحب، يأخذك إلى الحياة..

الحياة حيث البشر، فمنهم القوي والضعيف، السليم والسقيم، الغني والفقير، الظالم والمظلوم، كل هؤلاء تظلهم نفس السماء، فتشرق شمسها في كل صباح، وينير قمرها في كل ليل، وتزدان لهم بالنجوم المتلألئة.

وتخيلتها حين تمتلئ بغمامات سوداء، كأنها تعلن عن غضب مكتوم بداخلها، وحين ترعد بصوت يصك الآذان، وتبرق فتكاد تخطف الأبصار.

حال إشراقتها تذكرك بحنوها على الضعيف الفقير، الذي ضاقت به الأرض وأهلها؛ فنظر إليها شاكيا؛ فوجد فيها الصفاء والنقاء، فلا يرتد بصره إلى الأرض إلا وقد شرح صدره، وذهب همه، وانجلى غمه، وانكشف كربه، وبات في حال مختلفة تساعده على مكابدة الحياة من جديد.

وحال رعدها وبرقها تذكرك بالقوي الظالم، الذي شكاه أهل الأرض إلى رب السماء، بما اقترفه من ذنوب وآثام، وغفلة ونسيان، وتذكره بالقوي الجبار رب الأرض والسماء؛ فيدعوه ذلك لزجر نفسه، وصدها عن غيها، فلا يعود نظره إلى الأرض وأهلها إلا وقد عاد وتاب وأناب.

إنها حقا لها أحوال، فاللّه الذي خلقها ورفعها جعل من أحوالها عبرا لمن يعتبر!

إبراهيم أبو راضي



بذلك تنمو وتكبر

من خصائص مجتمعاتنا أنها مجتمعات متكافلة يساعد القوي الضعيف، ويتعاون الغني مع الفقير والمسكين والمحتاج؛ وبهذا التكافل تعيش المجتمعات في محبة ووئام وتقدم ورقي؛ الكل يسعى - قدر جهده - في نفع نفسه ووطنه وأبناء هذا الوطن. ومن النماذج المشرقة للتكافل والجديرة بالاقتداء، نموذج الرجل الذي بدأ مشروعا صغيرا وجعل من دخله نصيبا ينفق منه على الفقراء والمحتاجين، فكبر المشروع وازدادت أرباحه، وعاد نفع ذلك على المجتمع بالخير من مساعدة المحتاجين وتزويج الأيتام وبناء المدارس والكليات. حقا إنه نموذج مثير للإعجاب والتقدير.. إنه مشروع جدير أن يقتدي به التجار ورجال الأعمال ومن يقبل على المشروعات الصغيرة، فبذلك تنمو وتكبر.

محمد عباس محمد عرابي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:





alwaeiq8@gmail.com



«كورونا» يرتدي عباءة الواعظين

اقترب بحذر قائلا: من يدق الباب؟

فرد صوت مخيف: ألا تعرفني؟! أنا من توقعت مجيئه، أنا «كورونا».

وبصوت مرتعش يدعي الشجاعة تساءل: يا للهول! ولم تدق؟

– جئت أنذرك وأعظك.

فصاح مناديا أولاده:

– تعالوا، انظروا، منذ متى والشيطان يلبس لبس الوعاظ؟

– شيطان! اللّه أعلم بمن هو أسوأ من الشيطان.

– يا أولادي.. ألم يساو بين الطيب والخبيث فمات هذا ومات ذاك؟!

– أراد اللّه الإسراع بأهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، فقد مل أهل اليقين دنياكم، واشتاقت النار للقياكم، وما أنا إلا جندي من جنود اللّه أراني دنياكم قبل بلواكم.

فمصمص شفتيه وحرك حاجبيه ثم قال:

– دنيانا! ما لها دنيانا؟ قبل قدومك كنا نبيع ونشتري ونكسب من الهواء.

– بل حولتم الأرض التي وضعها للأنام إلى ساحة كساحة الذئاب والخراف، يأكل فيها القوي الضعيف، والمتربص الغافل، ضاعت من دنياكم الحكمة ووصايا الأنبياء، لتحل محلها لغة المصالح والفتن هنا وهناك.

– شيء طبيعي أن يفكر كل فرد في مصلحته، وكل كيان في هدفه؛ ولذلك يوجه الفتن إلى حيث يستفيد.

– من وضع لكم هذا القانون الذي ساد الأرض سوى إن كنتم خدم إبليس، لقد خلقكم اللّه شعوبا وقبائل لتعارفوا، وأكرمكم عند اللّه أكثركم تقوى.. ألا تفهمون لماذا أرسلني اللّه إلى العالم كله؟! لقد كثر الخبث.

– ما أخافك لقد صنعنا اللقاح؟

– آه.. ابن نوح يتمرد من جديد، فهل عصمه الجبل من أمر اللّه؟!

– لا، ولكن أنا ابن العلم والأبحاث، والأبحاث ليست كجبل ابن نوح.

وبصوت يخرج من بين أسنان مغتاظة يتمتم:

– ودمرنا ما كان يصنع فرعون، أيها الإنسان يا سيد الكون، إذا عبدت اللّه تفوقت على الملائكة، وإذا عصيته تفوقت على الشيطان، ولكن ماذا ستفعل أيها المغرور إذا أخرجت لك من تحت عباءتي سلالات غير التي لقحت نفسك بها وظللت أنا وأنت والسنون.

فرد أولاده: كلامه حق يا أبي هلا استجبت وكنت من التائبين.

– أما أنا فأقول لكم ورائي إلى المعمل، فما زال لدينا الكثير والكثير، وأرى لقاحات وأموالا في انتظارنا.

حمدية الرفاعي

مسك الختام

فقه الداعية

بعض الدعاة المعنيين بتصحيح العبادات وإقامتها على منهاج السنة يكثرون الكلام عما أسموه بـ (أخطاء المصلين)، وقد ألفت في ذلك الرسائل والكتب، وألقيت المحاضرات والدروس والخطب، وهذا لا شك أمر محمود يؤجرون عليه -إن شاء الله- أجرين: أجر النية، وأجر الاجتهاد، والله يضاعف لمن يشاء.

ولكن مما ينبغي الانتباه إليه في هذا الأمر أن الكلام فيه لا بد أن يلتئم مع المنهج العلمي المتبع عند الفقهاء، وأن يحاط بضوابط تحميه من الإفراط والتفريط، لا سيما أن الكلام فيه بدون ضوابط علمية يشتمل على محذورين:

أولهما: التساهل في إطلاق لفظ الخطأ، والتوسع في استعماله، حتى ربما أطلق على كل مسألة اختلف فيها الفقهاء، فأخذ المتحدث بما تقرر لديه من مذاهب الفقهاء، وعد المذاهب الأخرى المخالفة له من قبيل الخطأ، كما في مسألة قيام المسبوق للإتيان بباقي صلاته قبل أن يتم الإمام التسليمة الثانية، وكما في مسألة جذب المنفرد رجلا من الصف أمامه للصلاة إلى جواره، وكما في مسألة الاشتغال بتحية المسجد وترك إجابة المؤذن يوم الجمعة خشية أن تفوته الخطبة، وكما في مسألة ترك الاغتسال للجمعة، وكما في مسألة التلفظ بالنية، وكما في مسألة تكرار القراءة، وكما في مسألة وضع اليمنى على اليسرى تحت الصدر، وكما في مسألة الدعاء بعد الفراغ من الصلاة.. وغير ذلك من المسائل التي عدت من قبيل الأخطاء، مع أنها مسائل خلافية أو محتملة للخلاف بين الفقهاء، كما يعرف في محله من كتب الفقه المذهبي والفقه المقارن وشروح السنة!

والحكم بالخطأ على كلام المخالف دون دليل واضح ليس من منهج الأئمة، ولا هو من مسالك المجتهدين!

ولقد سمعت مرة أحدهم وهو يتكلم عن أخطاء المصلين، وأخذ يعددها على هذا النحو، من سرد مسائل الخلاف على أن المخالف مخطئ، وأكثر من القول في ذلك حتى ظننت أنه لا تصح لإنسان صلاة!

ولقد قال صاحبنا: إن الأخطاء كثيرة لا يمكن حصرها!

وهذا غير صحيح، فالأخطاء محصورة، حصرها الفقهاء بتتبع النصوص الواردة فيها، وبرصد ما لم يرد به نص، ومعالجته على ما تقتضيه أصول مذاهبهم، ووضعوها تحت باب (مبطلات الصلاة أو مكروهات الصلاة)!

ثانيهما: أن المنهج العلمي السديد في هذه المسألة وأشباهها أن نسمي الأشياء بأسمائها، وألا نهجر اصطلاحات الفقهاء إلى اصطلاحات مخترعة تؤدي إلى اللبس، وتجر إلى المحذور.

فالفقهاء لم يستعملوا لفظ الخطأ في هذا الموضع، بل ربما كان استعماله فيه عين الخطأ؛ لأنه يؤدي إلى عكس مقصود المتكلم؛ لقوله ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه!»

رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما من حديث ابن عباس بإسناد حسن، وله شواهد.

وهذا إذا أريد بالخطأ في الحديث خلاف الصواب، والتحقيق أن المراد به خلاف العمد، بدلالة الاقتران بالنسيان والإكراه، وهما ينتفي فيهما معنى العمدية، فهذا الخطأ هو الذي يحصل التجاوز عنه.

فأما الخطأ الذي هو خلاف الصواب؛ فهو يختلف باختلاف الحال، من معذور فيه بالجهل فيرتفع عنه الإثم، وغير معذور به فيأثم.

على أن استعماله هنا أيضا في هذا المعنى لا يخلو من إشكال، لا سيما في المسائل الخلافية التي قد يكون الصواب فيها مع المخالف. وبالجملة: فاستعمال الخطأ هنا مشكل على كل حال.

والصواب الذي يرتفع به الإشكال إن شاء الله؛ أن نستعمل ما استعمله الفقهاء من نحو (مبطلات، مكروهات)، وأن نميز بين درجات الأحكام من نحو (حرام، مكروه تحريما أو تنزيها، خلاف الأولى)، وأن نبين: هل هذا الفعل مبطل للصلاة أم لا؟

والخلاصة: أن من فقه الداعية أن يكون عنده بصر بالأحكام الشرعية، وأن تكون عنده دراية بمذاهب الفقهاء جميعا، على الأقل في الموضوع الذي يتكلم فيه، وإذا اجتمع الفقهان في رجل: فقه الدعوة، وفقه الأحكام؛ فهو ممن يدعو إلى الله على بصيرة، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة.

أ.د. محمد إبراهيم العشماوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه في
جامعة الأزهر

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية جامعة
العدد (٦٧٣) رمضان ١٤٤٢ هـ - مايو ٢٠٢١م

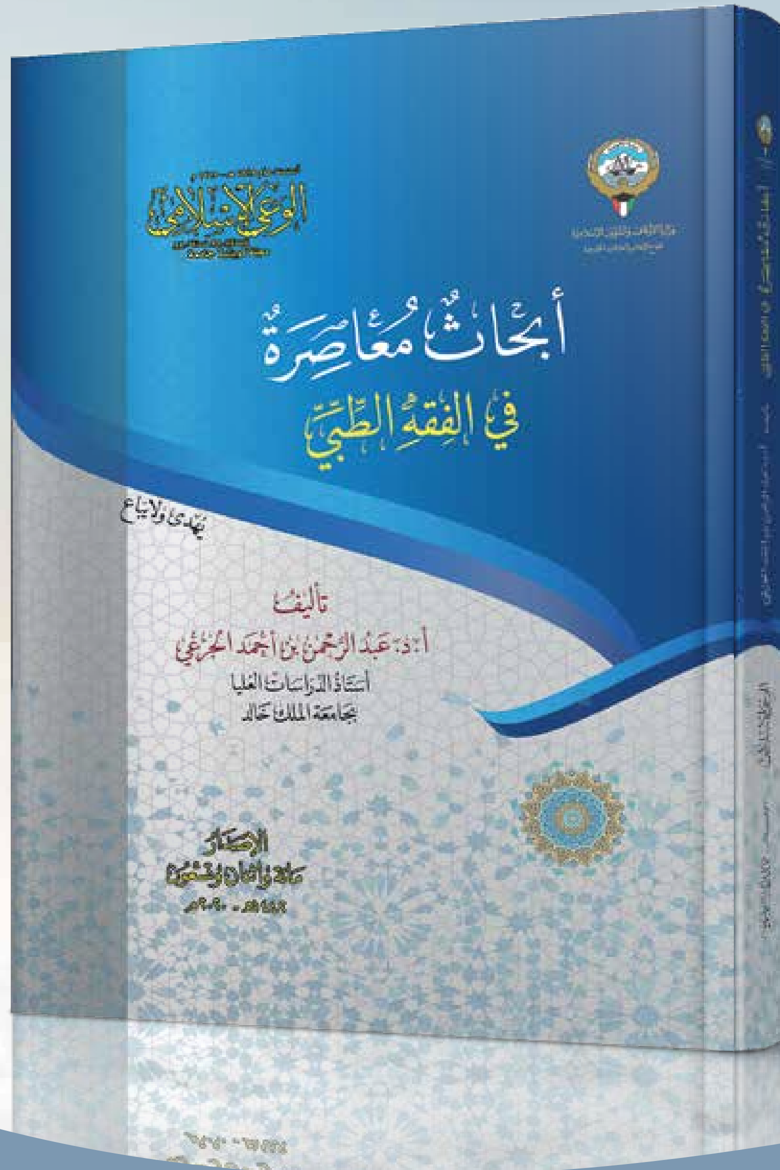
مجانًا مع العدد: براعم الإيمان

رمضان شهر الإرادة والتغيير

- حِكمةُ الصّيامِ وأسرارُه
- العُلماءُ الأدباءُ والثّقافةُ الثّالثةُ



جديدنا



أبحاث مُعاصرة في الفقه الطبي

إصدارٌ علميٌّ فقهيٌّ مقاصِديٌّ يحتوي أبحاثًا مُعاصرةً في الفقهِ الطِّبِّيِّ، أعدَّها وقَرَّبها فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن أحمد الجِرعي حفظه الله؛ لتكون بمتناول الجميع للاستفادة منها.

والكتاب ضمن سلسلة الإصدارات النافقة المفيدة لمجلة الوعي الإسلامي ويحمل الرقم مئة وواحد وتسعين.



فهد محمَّد الخزِّي
رئيس التحرير

مِضْمَارُ رَمَضَان

لقد مَنَّ اللهُ سبحانه على الأمَّة بمواسم الخيرات، ليَغفرَ لَهُم الذُّنُوبَ ويُكَفِّرَ عَنهُمُ السَّيِّئات، ويُضَاعِفَ لَهُمَ الثَّوابَ، ويَرفعَ لهُمُ الدَّرجَات، وقد جَعلَ الله -سبحانه- تعاقبَ الأيام، وتقلُّبَ الأزمانِ، آيةً يتوقَّف المسلمُ عندَ بعضِ مناسباتِهَا، فيتأمَّل في مسارِ حياتِه، ونِتَاجِ أعمالِه، هل حصلَ التَّغييرُ الذَي كان ينشدُه، والفوزُ الذي كانَ يأمَلُه؟ وهل غيَّر في مسار حياته نحو الأفضل؟!

وإنَّ أفضل وقت لمَن أراد أن يغيَّر مساره إلى طريق الصَّلاح والفلاح هو شهر رمضان المبارك الذي تُسكبُ فيه العبرات، وتنزل فيه الرحمات، ويعظم فيه الرجاء من الله سبحانه في عفوه، وتلين القلوب بالموعظة الحسنة، وتنتشر فيه المحبة، ويقترب فيه العبد من ربه؛ حيث تصوم فيه الجوارحُ مع البطن، فلا ينطقُ اللسان إلا بالخير، ولا تسمع الأذن إلا الخير، ولا تنظر العين إلا إلى خير، وكلُّ هذا لا يتأتَّى إلا بصلاحِ القلب؛ لقوله ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ» (رواه البخاري).

وإنَّ العاقل يسعى دائمًا إلى اغتنام الفُرَص، ورمضان شهر الفرص المتلاحقة، وشهر الخيرات المتراكمة، وتتجسَّد بعضُ هذه الفرص في قوله ﷺ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ؛ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّة، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ» (رواه مسلم)، ولا غرابة في ذلك؛ فهو شهرُ القرآن، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥).

ولمَّا نظر سلفنا الصالح رحمهم الله إلى هذه المعاني العظيمة؛ انتبهوا لها واعتبروها أساسًا وبداية للتَّغيير الإيجابي لمن ينشده، وإنَّه من أعظم المناسبات التي تترك كبير الأثر في حياة المسلم؛ ففيه المفلحون الرَّابحون، وفيه الخاسرون النَّادمون؛ كلُّهم يتنافسون في مضمار رمضان. قال العلامة الحسن البصري رحمه الله: «إن الله جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قومٌ ففازوا، وتخلف آخرون؛ فخابوا» (لطائف المعارف ٢٠٩/١).

وختامًا: فهذا الشهر المبارك هو خير مناسبة للسُّموِّ بالنَّفس أولًا، ثم للارتقاء بالأداء الاجتماعي للمؤمن -في محيطه وعمله وأسرته- ثانيًا، وقد حثَّت النصوص الشرعية على ذلك؛ فما أوضحها من دعوة للمصالحة مع الذَّات ثم مع المجتمع، وما أعظمها من نتيجة لو تحقَّقت.

فشهر رمضان يَمُر بعجالة، وهكذا العمر يَنْقَضي، فيَفْرح فيه الفائزون، ويتحسَّر فيه المقصرون، فاجعل شعارك فيه: (لن يسبقني إلى الجنة أحد)، فإذا أحسنت استقباله ووفادته وصلت إلى درجة المتقين الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)، واغتنم فيه ليلةً هي خير من ألف شهر، يتنافس في تحصيل خيرها المتسابقون، ويرتقي فيها إلى رضى ربِّهم المؤمنون، ويزرع فيها الزارعون، ويتوق إلى جني ثمراتهم المتأملون. ورحمَ اللهُ القائل:

غدًا تُوَفَّى النُّفُوسُ مـا كَـسَـبَتْ ... وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مـا زَرَعُوا
إِنْ أَحْسَنُوا فَقَدْ أَحْسَنُوا لِأَنْفُسِهِمْ ... وَإِنْ أَسَاؤُوا فَبِئْسَ مَا صَنَعُوا

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٧٣/ رمضان ١٤٤٢ هـ
العام الثامن والخمسون
مايو ٢٠٢١م

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان: ١٨٤٤٠٤٤ داخلي – ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

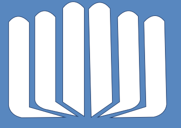
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ – ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ – فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ – فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ – فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ – فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

رمضان يطرق أبواب الجنة

رمضان موسم الخيرات والبركات وفرصة العمل لنيل المغفرة والرضوان وزيادة الأجور والقرب من الله تبارك وتعالى، فيه تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وسلسلت الشياطين» (رواه البخاري).

ورمضان باب لتحصيل ما لا يمكن تحصيله في غيره، ففيه يقبل الناس على بيوت الله وعلى قراءة القرآن الكريم، وما مع خف، وإذا وجد المرء معينا على الطاعة سهل عليه أداؤها فيدرك رحمات الله تعالى في هذا الشهر الكريم، فيصومه إيمانا واحتسابا فيغفر له، ويقوم ليله إيمانا واحتسابا فيغفر له، ويقوم ليلة القدر إيمانا واحتسابا فيغفر له.

إن ورود هذا الضيف الكريم علينا فرصة لا يضيعها إلا المحرومون، ولا يفرط فيها إلا الخاسرون، فعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ رقي المنبر فقال: آمين، آمين، آمين، قيل له: يا رسول الله ما كنت تصنع هذا؟! فقال: قال لي جبريل: رغم أنف عبد أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخله الجنة، قلت: آمين، ثم قال: رغم أنف عبد دخل عليه رمضان فلم يغفر له، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك، فقلت: آمين» (أخرجه مسلم). وأي خسارة أعظم من تفويت سوانح المغفرة في شهر رمضان المبارك، وتضييع أوقاته فيما فائدة منه، والأدهى أن يكون ذلك في معية الله عزوجل.

فيا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر.

التحرير

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير . للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



إعداد: علاء عبد الفتاح
محرر صحافي

الاوقاف الكويتية توازن بين التراويح ومحاصرة كورونا

بذلت إدارات وزارة الأوقاف الكويتية المختلفة جهودا حثيثة لاستقبال شهر رمضان الكريم خاصة لتجهيز المساجد في مختلف محافظات الكويت، حيث تقام صلاة التراويح مع المحافظة على الاشتراطات الصحية لمقاومة انتشار وباء كورونا.

وقد أخذت الإدارات المعنية بعين الاعتبار كل الظروف الصحية التي تمر بها البلاد، جنبا إلى جنب من خطة الحكومة لتخفيف القيود المفروضة حالياً قدر الإمكان، اهتداءً بخريطة وزارة الصحة المرسومة بجداول عدد المصابين يوميا وعدد الوفيات.

وكان وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية عيسى الكندري قد وجه قيادات الوزارة لأخذ كل التدابير ووضع الخطط الخاصة بإحياء ليالي رمضان، واتخاذ الاحتياطات الصحية لإقامة الصلوات في المساجد هذا العام.

إذ إن وجهة النظر المطروحة حالياً تعتمد على الإجراءات الصحية المعمول بها، حيث سجلت المساجد

صلاة القيام للنساء في الباحات مع تطبيق الشروط الصحية

التزاماً كبيراً، وتالياً لا يوجد فيها أي حالات انتشار وبائي، وهو ما يُشكّل دعماً للوزير كي يدفع باتجاه اعتماد المساجد لإقامة صلاة التراويح والقيام في رمضان، مع التباعد وتقليل الأعداد وتطبيق الاشتراطات الصحية.

أيضا أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت -بعد مطالبات نيابية- قرارا بالسماح للنساء أيضا بأداء صلاة التراويح والقيام في شهر رمضان، وإن كلف هذا الوزارة جهودا مضاعفة لاحتواء الموقف الصحي ومحاصرة الوباء، فمضاعفة أعداد



قيادات الأوقاف
والوزير عيسى الكندري مترئسا

الكندري: المساجد سجلت التزاماً كبيراً، ولا يوجد فيها أي حالات انتشار وبائي

من يقومون بالتجمع لأداء التراويح بلاشك يعني مضاعفة الجهود والمستلزمات.

وأعلنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن النساء يمكن لهن الصلاة في باحات المساجد، بينما يصلي الرجال داخل المسجد مع تطبيق الجميع للاشتراطات الصحية من ارتداء للكمامات والتباعد الجسدي.

وذلك مصداقا لحديث الرسول ﷺ الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها»، وقوله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»، وفي رواية «ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد».

خطط إلكترونية

ونجحت خطة الأوقاف التي شملت قطاعات المساجد والشؤون الثقافية والإعلام وشؤون القرآن والدراسات الإسلامية في استقبال شهر رمضان بالتعامل مع الوضع الاستثنائي الذي فرضته جائحة كورونا.

فالأنشطة داخل المساجد تشمل خطبة الجمعة والدروس والخواطر التي لا تزيد مدتها على ٥ دقائق، مع الأخذ في الحسبان جميع الاشتراطات الصحية، ومنع الاعتكاف وموائد رمضان.

والطاقة الاستيعابية للمسجد الواحد ستكون أقل من وضعها الطبيعي بسبب تطبيق التباعد كأحد الاشتراطات الصحية المطلوبة، وسيمنع استغلال الساحات الخارجية للمسجد والاكتفاء بحرم وحوش المسجد فقط. مع تكليف الجمعيات التعاونية والفرق التطوعية



النسائية وفرق الفتيات بالإشراف على توافر واتباع الإجراءات الصحية. كما سيسجل استديو إعلامي في المسجد التابع للمقر الرئيسي للوزارة المحاضرات والأنشطة بمشاركة جميع إدارات المساجد، حتى يمكن الاستفادة من أرشيف المحاضرات التثقيفية، وبثها في وسائل الإعلام المختلفة.

ومن اللافت أن الوزارة وضعت أيضا خطة إلكترونية شملت إعداد نشرات حول الصيام، وفضائل الأعمال، والزكاة، وغيرها من المواضيع الدينية، ونشرها على وسائل التواصل الاجتماعي، وقد أدت هذه الخطة ثمارها المرجوة وبكفاءة.

وشملت خطة قطاع الإعلام إعداد مقاطع تثقيفية لمدة دقيقة فقط، وبثها عبر تلفزيون دولة الكويت والقنوات الفضائية، ضمن خطة شاملة لإبراز جميع الأنشطة والفعاليات خلال شهر رمضان، منها إعداد البرامج والمنشورات والتصميمات والإنفوغرافات، فضلاً عن تنشيط تطبيق «رمضان في بيتك» وتغذيته بالمادة المناسبة، بعد النجاح الذي حققه العام الماضي.

جهود جبارة للحيلولة دون انتشار «الفيروس» وقت أداء العبادات

كما تولى قطاع الشؤون الثقافية ترتيب صلاة القيام في المسجد الكبير وبأعداد محدودة حسب الاشتراطات الصحية.

ومن الأنشطة التي أبرزها وزير الأوقاف الكويتي عيسى الكندري خطة قطاع شؤون القرآن والدراسات الإسلامية التي تهدفت إلى تنفيذ جميع الأنشطة خلال الشهر الكريم عبر «الأونلاين».

وشملت هذه الخطة إقامة المسابقات القرآنية وإطلاق تطبيق «مقرأة الكويت الإلكترونية»، وإقامة خواطر تلفزيونية وإذاعية تم بثها على تلفزيون وإذاعة دولة الكويت.



إضافة إلى إقامة الملتقيات الثقافية لتأهيل المتسابقين الكويتيين للمسابقات الدولية، مع محاضرات توعوية ثقافية افتراضية للتعريف بأهمية التدابير الصحية من الناحية الشرعية، وكيفية استثمار الوقت واستغلال الظرف في العبادة والتوعية الأسرية.

من جهة أخرى ترأس وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية رئيس مجلس شؤون الأوقاف عيسى الكندري، أول اجتماعات مجلس شؤون الأوقاف لعام ٢٠٢١م، وهو الاجتماع الـ ٩٤ للمجلس، بمقر الأمانة العامة للأوقاف، وقد رحب الكندري في مستهل الاجتماع بأعضاء المجلس شاكرا لهم جهودهم الطيبة المبذولة للارتقاء بمنظومة الوقف في الكويت.

وعقب الاجتماع، صرح أمين سر مجلس شؤون الأوقاف ومدير إدارة التخطيط والمتابعة ناصر الحمد بأن من أبرز القرارات التي نتجت عن الاجتماع اعتماد الموازنة التقديرية التشغيلية للأمانة العامة للأوقاف لعام ٢٠٢١م، واعتماد تقرير البيانات المالية المرحلية كما في ٢٠٢٠/٦/٣٠م، واعتماد توصيات التقرير النهائي الخاص بالأهداف المطلوب تنفيذها من قبل الأمانة العامة للأوقاف لعام ٢٠٢١م المقدم من قبل اللجنة الثلاثية الصادرة بقرار من مجلس شؤون الأوقاف، مبينا أن المجلس اطلع كذلك على تقارير إنجاز اللجان المنبثقة عنه وهي: لجنة تنمية واستثمار الموارد الوقفية، اللجنة الشرعية، لجنة المشاريع الوقفية، ولجنة التدقيق لعام ٢٠٢٠م.

مقارئ إلكترونية ومنشورات إنفوغرافك، وتنشيط تطبيق «رمضان في بيتك»



د. هشام طه محمود سليم
كاتب وباحث



الترحيب بشهر رمضان المبارك

حين نعلم باقتراب موعد قدوم ضيف عزيز إلى قلوبنا لا شك أننا نسارع للاستعداد للقائه في أبهى مظهر، ثم إذا أهل علينا استقبلناه بالحفاوة والترحاب، وبالغنا في إظهار التقدير له بما يليق بمكانته، وحرصنا طوال بقائه بيننا على ألا يرى منا إلا كل شيء طيب. فما بالنا وقد علمنا بمقدم شهر رمضان الذي تلهفنا للقياه طوال العام الماضي بكامله منذ أن ودعناه؟

فهذا الشهر الكريم -بحق- هو ضيف غالي يأتينا بالعطايا والهبات والنفحات من رب العالمين، فلا بد إذن أن نعرف له قدره، وأن نعد العدة للترحيب به ولاستثماره بما يليق.

لماذا تهفو قلوبنا إلى رمضان؟

تهفو القلوب دوما إلى ما فيه راحتها واطمئنانها، وقلوبنا تطمئن بذكر الله، يقول عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨).

وإذا كان أفضل ذكر تطمئن به القلوب هو القرآن الكريم، إذ يستدل على ذلك من قول رسول الله ﷺ: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهي من القرآن لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» (رواه أحمد). فالقرآن الكريم هو أفضل الذكر ويليه تلك الكلمات الأربع.

وإذا كان شهر رمضان هو شهر القرآن لقوله الله سبحانه وتعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ..﴾ (البقرة:١٨٥).

فحق للقلوب أن تهفو إليه، وحق للنفوس أن تتشوق لبلوغه حتى تتعرض لنفحاته فتستثمرها، تطبيقا لحديث النبي ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا» (رواه الطبراني في الكبير برقم: ٢٣٩٨).

كيفية الترحيب

حتى نستشعر أهمية الترحيب بشهر رمضان المعظم، فلنتدبر سويا قول رسول الله ﷺ بشأن الصلاة حين جاء وقتها: «يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها» (صحيح أبي داود: ٤٩٨٥)، وهكذا يجب استقبال كافة العبادات -ومن أهمها الصيام- باللهفة والشوق إليها، وبرضا النفس بها، وبتعظيمها باعتبارها السبيل الأمثل للراحة من كدر الذنوب.

فهناك فرق بين أن يستشعر المسلم أنه يرغب في أداء العبادة حتى يستريح بها، وبين أن يرغب في أدائها حتى يستريح منها، فنحن نتشوق إلى رمضان حتى نستريح به من هموم الدنيا.

وفيما يلي نعرض لأهم مظاهر الترحيب بالشهر الكريم:

يجب أن يعي كل منا أنه إذا أدرك شهر رمضان المعظم فقد منحه الله سبحانه وتعالى منحة عظيمة، ونعمة كبيرة تستوجب الحمد، حيث ستؤدي به حتما إلى الجنة إذا أحسن استثمارها.

فكم ممن كانوا حولنا العام الماضي قد وافاهم الأجل دون أن يدركوا الشهر المعظم هذا العام! بينما نحن قد أدركناه بخير وعافية، ومن ثم أدركنا فرصة لا تقدر بثمن لمضاعفة الحسنات بجهد يسير صياما وقياما لله تعالى.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، قال الله عزوجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك» (صحيح مسلم ١١٥١). فحمدا لله حمدا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده.

تجديد العزم

يحتاج المسلم -في خضم مشاغل الحياة- أن يقف مع نفسه ليراجعها ويحاسبها حتى يجدد العزم على ترك المعاصي، وعلى المسارعة إلى أعمال البر المؤدية إلى رضا الله سبحانه.

وقد اقتضت رحمة الله سبحانه وتعالى أن يضع لنا خلال مراحل حياتنا محطات لمراجعة أنفسنا والاستغفار أولا بأول حتى تتمحى عنها الذنوب، فيعود كل منا طاهرا كيوم ولدته أمه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر» (رواه مسلم: ٢٣٣).

وبالتالي فما دام المؤمن قد أدرك رمضان فيتعين عليه أن يسارع بالتوبة إلى الله والاستغفار من كافة الذنوب والخطايا التي وقع فيها في ماضيه، فقد أدرك شهر الرحمة، والمغفرة، والعتق من النار.

ثم إن العبد الورع حين يستشعر رهبة الآية الكريمة: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢)، فلا يليق به الاستمرار على ارتكاب ما وسوس به الشيطان من المعاصي، أو الاستمرار على ما استدرجه إليه هوى النفس من الذنوب خلال الشهر الكريم تعظيما لقدره.

خاصة أن تأثير الشياطين يضعف خلال الشهر المعظم حيث يقيدون بأغلال تحد من قدرتهم على همز الإنسان والإيعاز له بالشر، فتستريح النفس منهم، وتنطلق نشطة إلى أعمال البر دون عناء، يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر» (رواه الترمذي:٦٨٢).

برنامج عمل يومي

الدين الإسلامي دين نظام، ودين إتقان عمل، والمسلم إنسان منظم يدرك قيمة الوقت، فهو يعلم أنه رأسماله الذي يجب استثماره لتحصيل الحسنات، خاصة أن شهر رمضان هو كنز من النفحات يمنح الله سبحانه وتعالى فيه الثواب الجزيل على العمل اليسير.

فكل لحظة تمر من لحظات الشهر المعظم هي جوهرة ثمينة ينبغي استثمارها واستغلالها في طاعة الله سبحانه وتعالى، وهو ما يستدعي وضع خطة لاستثمار أوقات الشهر المعظم بتنظيمها من خلال برنامج يومي يوازن بين العمل الجاد بالنهار وبين التعبد والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بالليل، وهو ما يتم تناوله من خلال عنصرين:

استثمار لحظات الشهر المعظم بصفة عامة:

لا يعني استثمار الشهر المعظم أن ينقطع المسلم للعبادات فقط، وإنما يمتد استثمار الأوقات الغالية ليشمل إتقان المسلم لعمله اليومي المتخصص،

وتقوى الله في معاملاته مع غيره من البشر، بل إن استثمار الشهر المعظم يمتد ليشمل تعامل المسلم مع البيئة بأسرها بما تشتمل عليه من حيوان ونبات وجماد.

فلم يكن أبدا شهر رمضان شهر تكاسل ودعة، ويثبت التاريخ أن الكثير من الملاحم والنجاحات الإسلامية تم انجازها في شهر رمضان، فقد كان الصحابة والسلف الصالح خير قدوة في إتقانهم للعمل نهارا، وفي الليل هم متعبدون قائمون لله سبحانه وتعالى يرجون رحمته ويخشون عذابه.

فلا بد أن ينظم الإنسان المسلم وقته، وإن يعد لنفسه برنامجا يوميا يتم انجازه يشتمل على كل أبواب الخير؛ فمن حيث المعاملات يجب أن يسعى إلى تحقيق أعلى مستويات إتقان العمل، والى المسارعة في مساعدة الآخرين إنجاز مصالحهم، والسعي في إعمار الأرض قدر استطاعته.

ومن حيث العبادات يجب على المسلم أن يحدد لنفسه قدرا يوميا من الطاعات والنوافل لا يصرفه عنه إلا الظروف الاستثنائية، من ذلك أن يحدد قدرا معلوما من الصدقات اليومية ينفقها، ومن السعي لصلة الأرحام ولو تلفونيا، ومن زيارة المرضى، ومن تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، ومن قيام الليل والتهجد، ومن الدعاء والابتهال إلى الله سبحانه بما يخطر على قلبه مما فيه مصلحته ومصلحة إخوانه من المسلمين في الدنيا والآخرة.

استثمار لحظات العشر الأواخر وليلة القدر بصفة خاصة:

مع الفضل العظيم الذي يتميز به شهر رمضان الكريم عن باقي الشهور، فإن فضل العشر الأواخر من رمضان يفوق غيرها من أيام وليالي الشهر ذاته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر» (رواه البخاري ٢٢٤٧، ومسلم ١١٧٤)، فإذا كان ذلك هو حال الرسول ﷺ المعصوم من الزلل، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه، فما بالنا نحن المخطئون المقصرون؟!

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». (أخرجه البخاري: ٢٠١٤، ومسلم: ٧٦٠)

فكيف لا تفضل العشر الأواخر غيرها والاعتكاف في المساجد مستحب في تلك العشر الأواخر تطبيقا لسنة الرسول ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده» (رواه البخاري ٢٠٢٦، ومسلم ١١٧٢).

وكيف لا تفضل العشر الأواخر غيرها وفيها الليلة المباركة التي أنزل فيها القرآن -ليلة القدر- وهي خير من ألف شهر، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ (القدر:١-٥)، ويقول رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم» (أخرجه النسائي: ٢١٠٦، وأحمد: ٧١٤٨).

ولا شك أن ليلة القدر هي في العشر الأواخر من رمضان لما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» (رواه البخاري:٢٠٢٠، ومسلم:١١٦٩).

وهكذا فإن المؤمن الحصيف يتعين عليه إذا جاء رمضان أن يتزود ببرنامج عام لاستثمار لحظاته كلها، وأن يتزود ببرنامج خاص للعشر الأواخر من رمضان، ينظم من خلاله كل ما يستطيعه من أعمال، وهو أمر يختلف طبقا للظروف الصحية والاجتماعية والاقتصادية لكل مسلم.

كما أن المؤمن الحصيف يتعين عليه إذا جاء رمضان أن يضن بوقته الثمين فلا يضيعه بالذهاب إلى أماكن اللهو ولو كان مباحا، أو بمشاهدة البرامج الفضائية غير النافعة، أو بالتصفح على الإنترنت فيما لا يفيد.

وكذلك ينبغي عليه أن يسارع إلى الأعمال الصالحة: من أداء زكاة رمضان، والإكثار من الصدقات، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والمسارعة إلى الاعتكاف لعبادة الله سبحانه وتعالى، وحتى لو أغلقت المساجد للمصلحة العامة بسبب ظروف جائحة وباء كوفيد ١٩ فالمسلم يستطيع المكث في المنزل معتكفا لله سبحانه قدر الاستطاعة.

وأخيرا ينبغي على المؤمن الحرص كل الحرص على تحري ليلة القدر وقيامها إيمانا واحتسابا لله سبحانه وتعالى حتى ينتهي الشهر المعظم وقد غفر الله له جميع ما تقدم من ذنبه، وحتى يلقى الله سبحانه وتعالى في الآخرة وقد رضي عنه. فمرحبا بالشهر الكريم الحبيب إلى



د. إبراهيم نويري
كاتب وباحث أكاديمي



الصوم في تأملات مصطفى صادق الرافعي

تناول أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي رحمه الله العديد من القضايا الإسلامية والفكرية ذات الصلة الوطيدة بعقيدة الأمة ودينها وحضارتها، ونافح بقلمه الذهبي وفكره الوقاد عن الإسلام وشريعته، ووقف طودا شامخا في وجه موجات التغريب المتلاحقة التي رامت إلحاق ثقافة المسلم وفكره وسلوكه بمرجعيات الحضارة الغربية المعاصرة في شتى مجالات الحياة. وفي هذا المقال نقدم للقارئ الكريم جوانب من رؤاه وتصوراته الإيمانية لبعض أسرار صوم شهر رمضان وما يتصل بها من حكم ومقاصد سواء على صعيد الفرد أو المجتمع وشبكة علاقاته العامة.

ولد مصطفى صادق الرافعي في بيت جده لأمه بقرية صغيرة تسمى «بهتيم» تابعة إداريا لمحافظة القليوبية في مصر، بتاريخ الفاتح من شهر يناير سنة ١٨٨٠م، وتعود أرومة أسرته إلى آل الرافعي في سوريا وطرابلس الشام، ويتصل نسبه بعبدالله بن عمر بن الخطاب الخليفة الراشد رضي الله عنه[1]. أدخله والده كتاب القرية فأتم حفظ القرآن، ثم دخل المدرسة النظامية، لكنه لم ينل منها سوى الشهادة الابتدائية، شأنه شأن الأديب الكبير عباس محمود العقاد؛ ويعزى سبب انقطاعه عن التعليم النظامي إلى مرض ألم به في صباه أدخله المستشفى وتسبب له في فقدان السمع بصورة كاملة؛ أكب بعد ذلك على مكتبة والده العامرة بمختلف كتب الدين وأسفار التراث العربي فاستوعبها، حتى بات من أعظم وأشهر الكتاب المجيدين البارعين في مصر خلال القرن العشرين. اشتغل كاتبا في عدة محاكم مصرية، إذ إن آل الرافعي كانوا من رجال القضاء الشرعي إلى درجة أن اجتمع منهم في وقت ما أربعون قاضيا في مختلف المحاكم المصرية. أنتج ثروة علمية وأدبية جليلة النفع، أشهرها: تحت راية القرآن، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تاريخ

آداب العرب، رسائل الأحزان، ديوان الرافعي... إلخ. أدركته الوفاة يوم ١٤ مايو من سنة ١٩٣٧م عن سبع وخمسين سنة، ودفن بمقبرة الأسرة في طنطا، رحمه الله وطيب ثراه لقاء ما قدم لدينه ولغته وأمته الإسلامية.

الرحمة من أسرار الصوم الاجتماعية

أعمل الرافعي عقله التأملي في فريضة صوم شهر رمضان، فأرشده إلى خير عميم وإلى فضائل كثيرة، قد تخفى على كثير من المسلمين، لاسيما هؤلاء الذين يقرأون القرآن الكريم قراءة سريعة لا حظ فيها للتأني والروية والتدبر والتأمل؛ وعلى الرغم أن الأصل في العبادات المفروضة هو التعبد والاستجابة الطوعية لأوامر الله سبحانه وتعالى، إلا أنه من الخير أيضا للإنسان المسلم أن ينظر في معانيها ومراميها السامية تطلعا إلى إدراك بعض ما تنطوي عليه من مقاصد ومآلات ترشد إلى المصلحة والمنفعة في الدنيا والآخرة، وقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع كثيرة منه، كما في قوله جل شأنه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد:٢٤)، وقوله أيضا: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص:٢٩). وقد رجح الرافعي بأن من أهم مقاصد الصوم تربية الرحمة في نفس المسلم، إذ إن «من قواعد النفس أن الرحمة تنشأ من الألم، وهذا بعض السر الاجتماعي العظيم في الصوم، إذ يبالغ أشد المبالغة، ويدقق كل التدقيق في منع الغذاء وشبه الغذاء عن البطن وحواشيه مدة آخرها آخر الطاقة؛ فهذه طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس، ولا طريقة غيرها إلا النكبات والكوارث، فهما طريقتان كما ترى: مبصرة وعمياء، وخاصة وعامة، وعلى نظام وعلى فجأة»[٢].

فهذه الطريقة في تربية الرحمة وإثارة سلطانها تختلف عن وازع روح التضامن الذي ينهض بين جنبات النفس المؤمنة أثناء النوازل والكوارث الطبيعية، لأنها طريقة نابعة من الأمر الإلهي ومعضدة بالأركان والفرائض والأحكام القطعية؛ ولعل من البداهة حسب فهم الرافعي أن ندرك أنه «متى تحققت رحمة الجائع الغني للجائع الفقير، أصبح للكلمة الإنسانية الداخلية سلطانها النافذ، وحكم الوازع النفسي على المادة، فيسمع الغني في ضميره صوت الفقير يقول (أعطني). ثم لا يسمع منه طلبا من الرجاء، بل طلبا من الأمر لا مفر من تلبيته والاستجابة لمعانيه، كما يواسي المبتلى من كان في مثل بلائه»[٣].

ويذهب الرافعي إلى أن هذه الطريقة العملية إنما هي معجزة من معجزات الإسلام الخالدة فيقول في صيغة الإعجاب والزهو والاعتزاز بعقيدته ودينه وما يطفحان به من أمارات ودلائل الإعجاز المبهرة والحكم البالغة: «أية معجزة إصلاحية أعجب من هذه المعجزة الإسلامية التي تقضي أن يحذف من الإنسانية تاريخ البطن ثلاثين يوما في كل سنة، ليحل في محله تاريخ النفس، وأنا مستيقن أن هناك نسبة رياضية هي الحكمة في جعل هذا الصوم شهرا كاملا من كل اثني عشر شهرا، وأن هذه النسبة متحققة في أعمال النفس للجسم، وأعمال الجسم للنفس، كأنه الشهر الصحي الذي يفرضه الطب في كل سنة للراحة والاستجمام وتغيير المعيشة، لإحداث الترميم العصبي في الجسم»[٤].

والرافعي لا يعتبر التكاليف الإسلامية عبئا ثقيلا على الإنسان المسلم، فإن ما شرعه الله كله خير وكله حكمة وكله بركة، حتى ليبدو المسلم جراء تمثله لمنازع الخير وأعمال البر الاجتماعية ذا طبيعة جبلية هيئتها مقاصد الشرع الحنيف لهذه المسالك النبيلة، وكما خلقت الطيور إلى التحليق في الأجواء الشاهقة، هيأ الإسلام المسلم ليمد المنافع ولينثر أعمال الخير في كل اتجاه وفي كل سبيل داخل مجتمعه، وبما أن الحال كذلك، وهي كذلك يقينا، فليست إذن «أثقال المسلم من دنياه أثقالا على نفسه، بل كانت له أسباب قوة وسمو، كالنسر المخلوق لطبقات الجو العليا، فهو يحمل دائما من أجل هذه الطبقات ثقل جناحيه العظيمين. المسلم إنسان ممتد بمنافعه في معناه الاجتماعي حول أمته كلها، لا إنسان ضيق حول نفسه بهذه المنافع، وهو مع غيره في صدق المعاملة الاجتماعية كالتاجر مع التاجر، تقول الأمانة لكليهما: لا قيمة لميزانك إلا أن يصدقه ميزان أخيك»[٥].

الصوم وتربية الإرادة

وفي موضع آخر يؤكد الرافعي على أن إعلان الإرادة، أي تحفيزها وتهيئتها للبر وأعمال الخير مقصد جليل من مقاصد الصوم، يروم تثبيت وترسيخ الفضائل الروحية والنفسية، وتوهين رذائل الغرائز العاتية الرابضة في دماء الإنسان، في سبيل تحقيق المنافع العامة، وفي طليعتها الشعور العملي بمكابدات الضعفاء والمحتاجين وذوي المسغبة في هذه الحياة. حيث يذهب إلى أن «في ترائي الهلال ووجوب الصوم لرؤيته معنى دقيق، ومع إثبات رؤية الهلال وإعلانها، إثبات الإرادة وإعلانها، كأنما انبعث أول الشعاع السماوي في التنبيه الإنساني العام لفروض الرحمة والإنسانية والبر. وهنا حكمة كبيرة من حكم الصوم، وهي عمله في تربية الإرادة وتقويتها بهذا الأسلوب العملي، الذي يدرب الصائم على أن يمتنع باختياره من شهواته، مصرا على الامتناع، متهيئا له بعزيمته، صابرا عليه بأخلاق الصبر، مزاولا في كل ذلك أفضل طريقة نفسية لاكتساب الفكرة الثابتة ترسخ لا تتغير ولا تتحول، ولا تعدو عليها عوادي الغريزة»(٦).

وفي نظر الرافعي أن الأسلوب العجيب الذي يحدثه الصوم ويرسخ أثره في إهاب وكيان إرادة الإنسان المسلم والمجتمع المسلم، أكثر فعالية وأرسخ مردودا وتأثيرا، من كل آثار وثمار القوانين الوضعية المتغيرة التي يسطرها عبر مختلف مراحل الزمن ذكاء الأمم وعلم علمائها من أجل تحقيق جملة من الأهداف الاجتماعية والخيرية والاقتصادية ونحوها، ومما لا ريب فيه أن «إدراك هذه القوة من الإرادة العملية منزلة اجتماعية سامية، هي في الإنسانية فوق منزلة الذكاء والعلم، ففي هذين تعرض الفكرة مارة مرورها، ولكنها في الإرادة تعرض لتستقر وتتحقق، فانظر في أي قانون من القوانين، وفي أية أمة من الأمم، تجد ثلاثين يوما من كل سنة قد فرضت فرضا لتربية إرادة الناس ومزاولتهم فكرة نفسية واحدة بخصائصها وملابساتها حتى تستقر وترسخ وتعود جزءا من عمل الإنسان، لا خيالا يمر برأسه مرا»(٧).

وهذا ملمح تميزت به الشريعة الإسلامية السمحة، في ترسيخ الانقياد والطاعة داخل النفس البشرية تلك التي تماهت معها الإرادة بفعل أوامر الدين وتنزيل أحكامه وتعاليمه بعلم وفقه وبصيرة. فلا غرو إذن بعد هذه الحقيقة المقررة أن نجد الرافعي يعزو الفضل في الاستجابة لما هو مسطر في منظومة القوانين التي ترعى المصالح والفضائل إلى إعزاز الشريعة والالتزام بأحكامها وتوجيهاتها، حيث يقرر أنه «لو لا التدين بالشريعة، لما استقامت الطاعة للقانون في النفس، ولو لا الطاعة النفسية للقوانين، لما انتظمت أمة؛ فليس عمل الدين إلا تحديد مكان الحق في فضائل الحياة؛ وتعيين تبعته في حقوقها وواجباتها، وجعل ذلك كله نظاما مستقرا فيه لا يتغير، ودفع الإنسان بهذا النظام نحو الأكمل»(٨).

وبعد أن استنبط الرافعي الكثير من الرؤى والحكم والأسرار التي يستبطنها ويتضمنها صوم شهر رمضان باعتباره ركنا من أركان الإسلام، أقر بأنه استخرجها من تأملاته الدائمة لقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣). ثم قال بصيغة الواثق المدرك للكنوز والفوائد الثمينة التي أودعها الله جل جلاله هذه الفريضة الإسلامية الجليلة: «ألا ما أعظمك يا شهر رمضان! لو عرفك العالم حق معرفتك لسماك: مدرسة الثلاثين يوما»(٩).

رحم الله أديب البيان العربي المشرق مصطفى صادق الرافعي وطيب ثراه، لقد كان أديبا أصيلا شديد الارتباط بالقرآن وبيان ما في عقائد الإسلام وشريعته الغراء من أسرار وحكم مبهرة، جاءت كلها لصالح الإنسان، وتحقيق السعادة الحقة سواء أثناء الحياة الدنيوية الزائلة، أو في الحياة الأبدية الدائمة في الآخرة.

هوامش

١- محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، ص٢٤.
٢- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج٢، ص٦٨.
٣- المرجع نفسه والصفحة نفسها.
٤- المرجع نفسه والصفحة نفسها.
٥- وحي القلم، ج٢، ص١٦،١٧.
٦- وحي القلم، ج ، ص ٦.
٧- المرجع نفسه والصفحة نفسها بتصرف طفيف.
٨- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج٣، ص٣٥.
٩- وحي القلم، ج٢، ص٧١.



د. بديع السيد اللحام
أستاذ الحديث في كلية الشريعة
جامعة دمشق

شهر رمضان في السياق التاريخي والقرآني

إن استجلاء الحكمة من وراء أوامر الله تعالى، التي تعبّد سبحانه المكلفين من عباده بها، يقتضي من الدارس أن يتدبر السياق الذي وردت فيه تلك الأوامر، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى: السياق التاريخي.

الناحية الثانية: السياق القرآني.

وعبادة الصوم، التي أمرنا بها في شهر رمضان، لا تخرج عن هذا، فلو تأملنا تاريخ الأمر بالصوم، ثم عدنا فتدبرنا الآيات الآمرة به ملاحظين السباق والسياق لوقفنا على حكم جليلة وفوائد عظيمة لهذا الركن من أركان الإسلام.

أولا - في السياق التاريخي

فرض الصوم في السنة الثانية للهجرة، وهي السنة ذاتها التي شرع فيها القتال لصد الاعتداء الذي فرضته طبيعة المرحلة التي كان يمر بها المسلمون، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ (الحج:٣٩-٤٠). عن أبي هريرة قال: كانت أول آية نزلت في القتال ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾[١]، وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن القوم، فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾، قال أبوبكر: فعلمت أنه سيكون قتال[٢].

وبالفعل، فقد حصل أول صدام مسلح يقوده النبي ﷺ في مواجهة الجاهلية القرشية في منتصف شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة المباركة، وذلك في موقعة بدر الكبرى، في اليوم الذي سماه المولى في كتابه العزيز بـ «يوم الفرقان»، الذي فرق به بين الحق والباطل.

ومن المعلوم ضرورة أن الحروب كما تستلزم الإعداد النفسي والمعنوي فإنها تستلزم الإعداد المادي، في تجهيز السلاح والعتاد والمؤن، وبالتالي فإن هذا يعني أن إنفاق المال كان ضروريا لبقاء المجتمع المسلم الناشئ، وأن الإنفاق لن يقتصر على مجرد دفع صدقات تسد حاجة السائلين أو الفقراء، بل لا بد من بذل لا حدود له ضمن إمكانات مادية

ضعيفة، عبر عنه كتاب الله بقوله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر:٩)، وبذا فإننا نجد أن الجو في تلك المرحلة الزمنية كان جوا مشحونا بالتضحية والجهاد بالنفس والمال، في مثل هذا الظرف فرض الصوم، وجعل عبادة أساسية من عبادات الدين الجديد، ووضع في مكانه من هذا النظام العام المشتمل على البذل والتضحية في سبيل الله دفاعا عن الدين وحفاظا على الهوية، بما يستلزمه من إنفاق وبذل للمال من أناس كانوا للتو قد هجروا وطنهم تاركين كل ما يملكون من متاع الدنيا وراءهم ظهريا، ليكون تمرينا للنفس وتدريبا وتربية لها وترويضا، لا لمجرد الزهد في طيبات الحياة الدنيا ومشتهياتها التي فطر الإنسان عليها وحببت إليه، إذ إن الإسلام لم يأت لكبح ما حببه الله للإنسان، بل إن مقاصد التشريع اقتضت تنظيم تلك الشهوات والطيبات لا الانسلاخ عنها بالكلية، بل وضعها في سياقها الذي يجعل من السعي لطلب المال ومن ثم إنفاقه في الوجوه التي حثتنا نصوص التشريع عليها سببا لعمارة ما استخلفنا عليه، ودفعا لمن يريد أن يستأثر به ليوظفه في الفساد والإفساد، ومن ثم لم يرض الإسلام الفهم المغلوط للزهد؛ ذلك الفهم المتمثل بالتخلي عن السعي في الأرض وعمارتها، يؤكد هذا المعنى ما ورد من أن أحد الصحابة حدثته نفسه أن يقيم في غار مترهبا، فمنعه النبي ﷺ من ذلك مبينا له أنه لم يرسل بذلك، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه، قال: فمر رجل بغار فيه شيء من ماء، قال: فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار، فيقوته ما كان فيه من ماء، ويصيب ما حوله من البقل، ويتخلى من الدنيا، ثم قال: لو أني أتيت نبي الله ﷺ، فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت، وإلا لم أفعل. فأتاه فقال: يا نبي الله، إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل، فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا؟ فقال النبي ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة، والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في الصف - أي صف القتال في سبيل الله - خير من صلاته ستين سنة»[٣].

ثانيا - في السياق القرآني

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ (البقرة:١٨٣-١٨٥).

هذه الآيات هي واسطة عقد سورة البقرة التي ذكر أبو بكر ابن العربي أنه سمع بعض أشياخه يقول: «إن فيها ألف أمر، وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر»[٤].

وقد سبق هذه الآيات آيات منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ (البقرة:١٦٨)، ثم جاء بعدها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة:١٧٢-١٧٣)، وهي آيات - كما نرى - دالة على أن الأصل في حياة الإنسان إباحة الطعام، وأن الفطرة السليمة تستدعي التنعم بالطيبات، وشكر المولى عليها. وعليه، فإن الصوم بترك الطعام والشراب وترك التنعم بما أحله الله من الطيبات ما هو إلا استثناء من أصل لحكمة أرادها الواهب المنعم سبحانه وتعالى، يقتضيها النظام الرباني الذي رسم لنا حدوده الكتاب الكريم، كما أن هذا الاستثناء مقيد في حد زمني ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، ولذلك كان صوم الدهر مكروها، ببيان نبوي صريح، قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الشيخان[٥]: «لا صام من صام الأبد»، وفي رواية لابن ماجه[٦]: «من صام الأبد، فلا صام، ولا أفطر»، ومعنى «فلا صام» أي ليس له ثواب الصيام على التمام، «ولا أفطر» لتحمله مشقة الجوع

والعطش؛ كل ذلك مع قلة الأجر والثواب.

إذن فعبادة الصوم إنما جاءت في القرآن ضمن سياق نظام متكامل، وتزداد الصورة وضوحا إذا ما عدنا إلى آية البر التي سبقت آيات الصوم؛ وهي قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٧)، إذ نجد أن هذه الآية وضعت أيدينا على قاعدة عامة في العبادات، وهي أنها - أعني العبادات - ليست مقصودة لذاتها، بل هي جزء من نظام عام، يقرر هذا النظام أنه لا قيمة للعبادة إذا أهملت بقية أجزائه أو عطلت؛ لقد حددت هذه الآية حقيقة البر وبينت أن الصلاح والتقوى ليسا مجرد إقامة للشعائر، وأن البر ليس في التوجه إلى جهة معينة فحسب، بل للبر أركان متمثلة بالإيمان بالله، وبذل المال في وجوه عديدة ذكرها، وإقامة الصلاة، والوفاء بالعهد، والصبر في كل الأحوال، خصوصا في الشدة والحرب، وقد ختمت بوصف المستجمعين لهذه الأركان بالصدق والتقوى على سبيل الحصر وكأنها نفت هذه الصفة عن غيرهم ممن يكتفون بظاهر العبادات.

وهذا المعنى تؤيده آيات كثيرة في كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ (الحج:٣٧) وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة:١٩).

ثم جاءت الآيات التي تلت آيات الصوم لتؤكد المعنى ذاته من خلال الأوامر والنواهي لتؤدي في مجموعها إلى بناء نظام اجتماعي متماسك.

فجاء النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، ويندرج تحت هذا النهي أنواع المظالم المالية: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٨).

ثم جاء الأمر بالقتال في سبيل الله ردا للمعتدين: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٩٠)، ودفعا للفتنة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:١٩٣).

وتلا ذلك الأمر الإنفاق في سبيل الله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:١٩٥)، وقد فسر الصحابة الكرام الهلاك هنا بالبخل عن الإنفاق في سبيل الله، خصوصا في دفع العدو ومقاتلته.

تلكم هي الآيات التي جاءت آيات الصوم في سياقها أفادت في مجموعها أن الصوم ينتظم ضمن نظام اجتماعي يقضي باتخاذ خصال البر سبيلا للتعامل في الحياة، كما يقضي الامتناع عن الظلم في الأموال، كما يأمر بالقتال في سبيل الله لصد العدوان وحماية الدين والمحافظة عليه، ويحث على بذل المال في سبيل المصلحة العامة، وهذا في مجموعه يؤذن بأن من أهداف الإسلام الكبرى تربية النفس بالكف عن الشهوات وإمساكها عن الملذات - في حدود حددها التنزيل المقدس - ترويضا لها وتأهيلا للتضحية بها في سبيل ما هو أعظم منها ألا وهو تحقيق مقاصد الشريعة المطهرة المتمثلة بحفظ الدين والنفس والمال.

وبذا صار واضحا لدينا من خلال السياقين التاريخي والقرآني مكانة رمضان بوصفه شهرا للصوم في إطار نظام الإسلام العام المتكامل الذي يتحقق فيه كمال الدين وإتمام النعمة.

الهوامش

١- أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٩٧٤٣).
٢- أخرجه أحمد (١٨٦٥)، والترمذي (٢١٧١)، والنسائي (٣٠٨٥).
٣- أحمد في المسند (٢٢٢٩١)، والطبراني في الكبير (٧٨٦٨).
٤- ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٤/١٤٢).
٥- البخاري في باب صوم الدهر (١٩٧٦)، ومسلم في باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر (١١٥٩).
٦- سنن ابن ماجه باب ما جاء في صيام الدهر (١٧٠٥).



د. محمد حسن بدرالدين
دكتوراه في العلوم الإسلامية

الصيام والانتصار على النفس

من نعم الله العظمى على المسلمين بعثة خاتم المرسلين، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤).

أراد الله تعالى أن يربي المسلمين، فوضع لهم منهجا لتربية الجسد وتربية الروح، هو منهج التزكية والحكمة، الذي يراعي التركيبة البدنية والنفسية في الإنسان. وضمانة هذا المنهج محددة في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤). فالله الخبير بعباده جعل لهم كيانا مزدوجا فيه الغرائز وفيه الروح، ولا بد من تحقيق توازن بينهما؛ حتى لا تطغى الغرائز على الروح، ولا تجور الروح على الغرائز، وهذا المنهج واضح المعالم في نظام الإسلام، خصوصا في منظومتي العبادات والأخلاق. ويهمنا في هذا المقال فهم طبيعة ذلك التوازن، من خلال عبادة الصوم.

حكمة التكليف والتحرر من سلطة العادات

من المعلوم في فقه الإسلام أن كل عمل يقوم به الإنسان لا يستحضر فيه نية العبادة والتوجه إلى الله تعالى، يتحول إلى مجرد عادة، وإن كان هذا العمل في ذاته من الطاعة والامتثال لأوامر الله تعالى، ولكن الهدف الإسلامي من ذلك هو تحرير الطاعة من سلطة العادة، وتخصيصها لله وحده، لكي يتمتع الإنسان بشرف العبادة ولذة التكليف، وينال الجزاء الأوفى.

من الواضح أن إحدى الحكم الكبرى في فرض الصيام، إبطال العادة وتحرير الإنسان من ربقة التقاليد والعادات التي لا تصدر عن حكمة وهدف. فقد جرت العادة أن يأكل الإنسان ويشرب متى شاء من دون أي مانع، فجاء الصيام ليحرم هذا المباح المعتاد، من أجل تحرير الإنسان من سلطة الرغبات والغرائز؛ لأن الإنسان لو ترك على الإباحة دائما لسيطرت عليه العادة، ولحرمته من القدرة على الاختيار والحرية. إلى جانب إشعار المسلم بأنه أكبر من العادة والهوى والغريزة، ومن أجل أن يشعر بشرف التكليف وعزة العبادة وطاعة الله عزوجل.

ومن أجل المحافظة على هذه المبادئ، وتحقيق الموازنة السليمة بين الغريزة والروح، شرع الإسلام صيام النوافل والتطوع، ترغيبا في مزيد من التحرر، وتكريسا لمبدأ مغالبة العادة والهوى، ذلك لأنه إذا طال العهد بالإنسان وهو بعيد عن التكاليف والعبادات، وخاض في الحياة مع الخائضين، كان عرضة للوساوس والفتن، ولأن طول الأمد يولد قسوة القلب، وهو مرض أصاب أهل الكتاب من قبل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد:١٦).

تحيط بالإنسان شهوات النفس وزخارف الدنيا فتقطعه عن ربه، وتستغرق كل همه، وتلهيه عن الحق، وتميت في نفسه معاني التسامي فوق أسباب المادة، ويصبح ولاؤه لما ساد في المجتمع من عادات وعصبيات. ومهمة الصوم هي تحرير الإنسان من تلك الغفلة، وتعويده على الترقي فوق ضغوط البيئة ومألوف العادات. وتثبيتا لهذه المعاني السامية ارتبط الصوم بجملة من الآداب والشروط، كان القصد منها على الدوام، المحافظة على أهداف الصيام ومقاصده، وتحقيق المراد منها، مثل كف السمع والبصر واللسان واليد وسائر الجوارح عن المعاصي والآثام. فهو صوم الجوارح عما لا يرضي الله عز وجل،

أي إن الإنسان إذا صام، إنما يكون قد حكم روحه وعقله في غرائزه، فأوقف غريزة الغضب في مكانها، وغريزة الأنانية عند حدها؛ فلا يشتم ولا يغتاب ولا يعتدي ولا يثأر لنفسه، ويمنع يده أن تمتد إلى ما لا يرضي الله، ويسيطر على بصره؛ فلا يمتد إلى ما حرم الله. ثم يجتهد أن يجعل قلبه عامرا بذكر الله في كل حين، فيحقق بذلك التوازن المنشود بين الغريزة والبصيرة أو الحكمة العالية التي زكاها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:٢٦٩).

وبذلك يتحول الصيام إلى تربية روحية عالية، ومدرسة أخلاقية واجتماعية رائدة، يحقق منهج التكامل والتوازن والاعتدال الذي بناه الإسلام في النفس والمجتمع. وهو أيضا المنهج النبوي الذي أصله النبي عليه الصلاة والسلام، في التعامل مع أحكام الدين وفرائضه المتنوعة: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد لكم حدودا فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تكلفوها، رحمة من ربكم فاقبلوها»[1].

الاستمداد من منهج الرسول ﷺ

لكي يحقق الصوم أهدافه وآدابه على أحسن وجه، لا بد من الاقتداء بالمنهج النبوي الذي يرتكز على الرفق والإحسان والاعتدال، واجتناب التشدد والتعقيد، والتركيز على استغلال الوقت وتقوية الصلة بالله عز وجل بالطاعات وأعمال البر والخير. فمن منهجه وهديه عليه الصلاة والسلام أنه كان يكثر في رمضان من الإحسان وتلاوة القرآن،

والصلاة والذكر والاعتكاف. عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان. إن جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[٢].

ومن آداب الصوم ومقتضياته اتباع هديه ﷺ في الالتزام بمنهج الحلال والحرام في الأكل والشرب والقول والنظر، وذلك بأن يكف المسلم أذاه عن جميع الناس استجابة لتحذير النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة بأن يدع طعامه وشرابه»[٣].

وهكذا يتبين أن الصوم وظيفة تعبد خالصة، توقظ في الصائم مشاعر الدين والولاء والوحدة، وتحرره من سلطة العادات وعبودية التقليد إلى عبودية الله وحده، وهذا يحيط حياته طوال أيام الشهر بالحماس والسعادة، مستشعرا رضوان الله تعالى، ومشاركة الآخرين روح التعبد وصدق الولاء.

الصوم انتصار على الضعف وارتباط بالقيم العليا

كان من عادة الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٤٩-١٩٣هـ) أن يستدعي العلماء والوعاظ ليطلب منهم النصيحة والوعظ، فأحضروا له يوما الواعظ الشهير ابن السماك (ت:١٨٣هـ)، فدخل عليه وكان في يد الرشيد كوب ماء. فقال: أرأيت لو منع عنك هذا الماء؟ قال: أفديه بنصف ملكي. فلما شرب، قال له: أرأيت لو حبس عنك خروج هذا الماء، أكنت تفديه بنصف ملكك الباقي؟ قال: نعم. فقال: يا أمير المؤمنين، فما تصنع بملك شربة ماء خير منه؟[٤].

تصلح هذه القصة لفهم حقيقة الصوم وأسرار تشريعه؛ فالإنسان هو أشرف المخلوقات، ولكنه ضعيف، وفي حاجة إلى من يذكره بهذا الضعف، حتى لا يغتر باكتشافاته واختراعاته، وينسى أنه ضعيف ومحتاج، ولا يساوي شيئا من دون الماء أو الطعام أو الهواء أو النوم. والحقيقة أن كل إنسان يشعر بضعفه أمام أبسط الحاجات الضرورية لحياته كالأكل والراحة، ولكنه لا يفكر لماذا هذا الضعف وما مصدره؟ فقد تعود عليه لأنه متوافر أمامه، ولكن ماذا لو منع عنه؟

إن السر في ضعف الإنسان يكمن في أن ما يملكه وما يتمتع به ليس نابعا من ذاته، بل من غيره، فلا الوجود ولا القوة ولا القدرة على التمتع بالشيء من ذاته، بل هي من مصدر آخر. وهي كلها ودائع مسترجعة وإلى زوال وفناء. عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبد: مالي، مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس»[٥].

إن الصيام يريد أن يذكرنا بتلك الحقائق، ويعرفنا ببواطن الأمور. ويريد أن يدفعنا إلى التفكير في مصدر العطاء، وفي الواهب العظيم الذي تكرم علينا بهذه القدرات لكي نربط أنفسنا به ونشكره على نعمه الجليلة، ونقول له: كم أنت عظيم وكريم يا رب. إن الصوم يعلمنا أن نربط صلتنا بالخالق المنعم، وأن نترك ما سواه، وأن نجعل من أنفسنا هدفا للسمو بأن نبتعد قليلا عن هذا الجسم الذي يربطنا دائما بالتراب والمادة. فليس الجسد هو الهدف، بل هو مجرد وسيلة ركبت فيه الروح التي تطمح إلى السمو والتعالي.

إن القدرة على تحمل الجوع والصبر على الأذى من أقوى وسائل التحرر الاقتصادي والاجتماعي. وإذا ربطنا حياتنا بأهداف عليا تتجاوز دوائر المطالب المادية، فسنكون قد كسبنا عزة الحياة فلا أحد يمكن أن يهددنا بالمقاطعة الاقتصادية أو يتحكم في مصيرنا. وهذا هو جهاد النفس الذي جعله الإسلام من أعلى مراتب الشهادة والفوز بالخلود. روي عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه، وقد انصرفوا من الجهاد: «أتيتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: مجاهدة النفس»[٦].

عرضنا بعض دروس الصيام ومعانيه الجليلة، التي تحتاج إلى تجلية وإبراز، حتى تتمكن في نفوسنا وتترسخ في وجداننا وسلوكنا. وبذلك يكون صيامنا صياما واعيا، بعيدا عن كل مظاهر الانحراف، وشوائب العادات والأعراف.

الهوامش

١ - أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت:٣٨٥هـ)، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ج٥، ص:٥٣٧.

٢ - القاضي عياض (ت:٥٤٤هـ)، شرح صحيح مسلم (المسمى «إكمال المعلم بفوائد مسلم»)، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، مصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٧، ص٢٧٣.

٣ - أبو بكر ابن خزيمة (ت:٣١١هـ)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٣، دمشق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص:٩٥٨.

٤ - الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت:٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ، ج٢، ص:٤٤٨.

٥ - مسلم بن الحجاج (ت:٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ، ج٤، ص:٢٢٧٣.

٦ - أبو الحسن علي بن خلف ابن بطال (ت:٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط٢، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج١٠، ص:٢١٠، «باب من جاهد نفسه في طاعة الله».



د. هدى الميموني
باحثة وكاتبة مغربية

الصوم والتنمية المستدامة

الصوم بصفة خاصة، وشريعتنا الإسلامية السمحة بصفة عامة، يرتبطان ارتباطا وثيقا بالبيئة. فإذا ما اتبعنا تعاليم الشريعة بحق وصمنا صوما سليما وحقيقيا، فإن ذلك يحقق للبيئة مكاسب كبيرة. والمؤمن الحق يجد في تجربة الصوم سلوكا قويما في تربية عزيمته، وتمكين سلطانه على نفسه، وعلى المحيط البيئي حوله، بما لا يجده في سائر الواجبات، فالواجبات الأخرى إنما تفطمه عن شهواته المحرمة وانفعالاته العدوانية، وتحصل له أوائل درجات التقوى بالاعتدال والاستقامة، أما الصوم فإنه يورثه درجات التقوى بالورع والزهد والحماية لنفسه وللمحيط المجتمعي والبيئي من حوله، مما له أكبر الأثر في التنمية المستدامة.

البيئة لا يؤذيها إلا التلوث، سواء كان قاذورات أو ضوضاء أو تلوث هواء أو ماء أو غيره من أنواع التلوث الأخرى مثل التلوث السمعي والبصري والأخلاقي. من هنا لو صومنا صوما حقيقيا فستكون صورة البيئة أفضل، لما في الصوم من تهذيب للنفس التي تخجل من إتيان ما يسيء إلى البيئة ويلوثها؛ فالصوم صومان: صوم للفرد وصوم للمجتمع، فكما يصوم الفرد من طلوع الفجر حتى غروب الشمس، ينبغي أن يصوم المجتمع صياما يوفر النظام والأمن والهدوء للشارع العربي من هذا الضجيج الهائل الذي يحطم أعصاب الناس، ويجعلهم ينفلتون في قيادة السيارات وفي علاقة بعضهم ببعض، وأن يسير الناس في الطريق بوقار يليق بالصيام وشهر رمضان الكريم، وأن يكون صياما عن المنكرات التي تعد من الملوثات الأخلاقية.

إن الصوم عبادة، وإعمار الأرض جزء من العبادة، والصيام نظافة، والنظافة من الإيمان، كما أن إعمار الأرض جزء من خدمة البيئة والحفاظ عليها، ولأن كل العبادات مرتبطة، يصبح الحفاظ على البيئة جزءا من العبادة. وفي عصور الإسلام الذهبية اشتكى أحد المسلمين جاره عند القاضي، حيث كان جاره يستخدم في منزله طاحونة تسبب له قلقا وإزعاجا، فأرسل القاضي رجلا من تابعيه لاستطلاع الأمر ولإثبات حالة الضوضاء - بما نسميه الآن في القانون المدني إثبات حالة - حتى يتسنى للقاضي توقيع الجزاء المناسب على من تسبب في إيذاء جاره بهذه الضوضاء.. من هذه اللقطة القصيرة نرى كيف كان قضاة الإسلام في عصوره الذهبية الزاخرة، حريصين كل الحرص على التصدي لتلوث البيئة.

فالتشريعات الإسلامية دعت إلى الحفاظ على البيئة بكل جوانبها، وإذا كنا اليوم نتداول مصطلح «التنمية المستدامة» على نطاق عالمي، فإن الإسلام دعا إليها منذ ما يقرب من خمسة عشر قرنا، فهذا حديث رسول الله ﷺ: «إذا ما قامت الساعة

وكان بيد أحدكم فسيلة فليغرسها»، إنها دعوة لتواصل واستدامة التنمية. والبيئة تعرف بأنها المكان أو الحالة التي يكون عليها المكان، وقد ورد في القرآن الكريم كلمة «يتبوأ» أو «تبوأ»، وهي تعني: اتخذ مكانا، ونحن نقول بيئة حسنة أو سيئة، وهذا دليل على الحالة، وقد فرض الإسلام على المسلمين حقوقا تجاه الله سبحانه وتعالى، وتجاه الأهل، وتجاه المخلوقات الأخرى التي خلقها الله وسخرها له، والتسخير ليس معناه امتلاكا، إنما هو يعني المحافظة على البيئة ومكوناتها، فالإنسان مسؤول عنها، وهو خليفة الله في أرضه، والاستخلاف هنا معناه أن الإنسان قد سخرت له هذه الأشياء ليستخدمها ويتركها بقيمتها أو حالتها الأصلية، كالأرض التي يزرعها، فيجب أن يحافظ عليها ولا يجرفها، وإنما يتركها بقيمتها للأجيال القادمة لأن تجريفها يعني «إتلاف الخلافة» والأمانة التي حملها، ولأن إعمار الأرض لا يتأتى إلا بذلك، فالخلافة ليس معناها التملك وإنما تعني الإدارة.

كما يجب على المسلم أن يكون حسن الإدارة للموارد، سواء كانت حية أو غير حية، طبيعية أو غير طبيعية، وفي ذلك مسؤولية له تجاه المجتمع وازدهاره ورفاهيته، وقد لا يكون ذلك إلا بالبيئة الجيدة المنتجة والمستدامة المتواصلة، فإذا كانت غير مستدامة ومصطنعة، فإنها تذوب سريعا.

وإذا ما نظرنا إلى قاعدة شرعية إسلامية أخرى وهي «لا ضرر ولا ضرار»، فإن الضرر هنا هو أن تلحق الضرر بالشيء لتستفيد أنت، والضرار هو إلحاق الضرر بالشيء دون الاستفادة منه، فإذا ما أفسدنا البيئة، فإننا نكون قد خالفنا تلك القاعدة كذلك.. ولا يزال الضرر بضرر مثله أو أكثر منه، فهذا يعني - إذا ما أخذناه من منظور بيئي - أننا يجب أن نتوقف إذا عالجنا الضرر بما يحقق ضررا أكبر، فمثلا إذا كنا نقاوم الحشرات بالمبيدات وترتب على ذلك ضرر أكبر، فإنه يجب أن نتوقف، وإلى غير ذلك من الأمثلة.

وهناك قضية أخرى، إذا كان هناك ضرر فيختار أخف الضررين، وهو ما يعني تقييم الأثر البيئي الآن، وهذا كان معمولا به في أيام الإسلام الزاخرة أيضا، كقاعدة شرعية تعتمد على ذوبان الذات في المجتمع والتحام الجميع بالبيئة التي تمنحهم أسباب الحياة.

الصوم إثبات لإقرار الذات

من ناحية أخرى، فإن الحفاظ على البيئة هو مسؤولية الفرد ولا يمكن للفرد أن يحافظ على شيء إذا افتقد هو الحفاظ على نفسه وقيمه وخلقه ودينه، والمسلم الصائم هو الفرد الذي يقرر ذاته في سبيل الحفاظ على المجموع، ومن ثم على المجتمع والبيئة، وقديما قال القائلون إن الصيام ضرب من إنكار الذات، ونعتقد أنهم أخطأوا فيما قالوه لأن الصيام أقوى الوسائل لتقرير الذات، لا لإنكارها، ومن وجد إرادته لا يقال عنه بأي معنى من المعاني الصحيحة، أنه أنكر ذاته، وفقد نفسه، وإنما يقال عنه أنه أثبت ذاته وقرر لها وجودها على أحسن الصور، وتلك هي الصورة الإنسانية الحرة التي تمتلك زمام ضميرها وغريزتها، وتستطيع أن تصبر على الشدة التي تريدها لأنها تستطيع أن تريد وتفعل.

إن استرسال المرء على الغرائز الحيوانية والشهوات العمياء هو الإفساد الأعظم للبيئة، وهو الضياع الذي يزري بصاحبه لأن يجري به مجرى الآلة المندفعة إلى حيث تدفع، أو لأنه على أحسن ما يكون يجري مجرى الحيوان الذي لا يعرف له ضميرا يغالب الغريزة والشهوة.. ولكن القبيلة الإنسانية تولد وتوجد وتثبت وتتقرر حيث تكون القدرة على الامتناع، وتوجد المشيئة التي توازن بين ما تحجم عنه وبين ما تسترسل فيه، ومن ثم فإن ارتباط ذلك بالسلوك الإنساني حول البيئة يعبر أيما تعبير عن ضرورة الالتزام بمقاومة الغرائز الحيوانية التي تلوث البيئة وتنخر في محيطها الحيوي.

والصيام رمز محسوس لهذه القدرة على سلطان الطعام والشراب والغرائز والشهوات وسلطان العادة المألوفة وهما طريقان إلى القدرة على غيرهما لأن غيرهما شبيه بهما في مكافحة الغريزة أو مكافحة العادة السيئة التي تسيء للإنسان والبيئة، وقلما احتاج الإنسان إلى ضبط النفس وتغليب الإرادة إلا ليخضع غريزة من الغرائز، ويخرج على عادة من العادات.

جاء القرآن الكريم لإعلاء شأن الإنسان على سطح الأرض، فالقرآن يرشد الإنسان إلى استخدام ملكاته العقلية أفضل استخدام، لأن العقل هو الصفة الجوهرية التي تميز الإنسان عن باقي مخلوقات الحياة، فإذا استخدم الإنسان عقله بصورة صحيحة فإنه يحقق المراد الإلهي الذي يهدف إلى الارتقاء والسمو به فوق سائر المخلوقات، أما إذا عطل الإنسان عقله أو أساء استخدامه، فإنه ينزل بنفسه عن المستوى الذي أراده له الله سبحانه وتعالى، فالمخلوقات الأخرى عدا الإنسان، وإن كانت تفتقر إلى العقل الذي تفكر به وتدبر به أمور حياتها، إلا أنها مزودة بغرائز فطرية تحقق لها الحماية المطلوبة، في حدود

طبيعتها وفي إطار إمكاناتها. من ذلك أن الفأر - بالغريزة وليس بالعقل - يهرب إذا ما رأى قطة، ومن ذلك أن الكائنات الحية تأكل وتشرب وتتناسل وتحمل وتلد وكل ذلك أيضا بالغريزة لا بالعقل.. وهي حينما تتعامل مع البيئة فهي تحافظ عليها ولا تخربها، بينما الإنسان ذو العقل كثيرا ما يلوث البيئة بسلوكياته، لذا عندما ينبه المسلم بأن صم عن الإنسان والجماد وحافظ على نظافة الجسم واللسان والملبس والمأكل والمكان، إنما هو مدعاة لحماية البيئة، ولا يتأتى ذلك إلا باستخدام العقل المؤمن.

لقد استوقفتني آيات وسور القرآن الداعية إلى استخدام العقل في الحفاظ على أشكال الحياة، ووجدت العقل مذكورا بالنص الصريح ٤٩ مرة في مختلف سور القرآن، هي: البقرة، وآل عمران، الأنعام، الأعراف، يونس، هود، موسى، الأنبياء، غافر، الزخرف، الحديد، الفرقان، الروم، الزمر، الجاثية، الحجرات والحشر.

وأول نموذج يرد في القرآن للدلالة على الاستخدام الخاطئ من الملكات العقلية هو نموذج اليهود الذين كانوا يستخدمون ملكاتهم العقلية في تحريف كلام الله عن مواضعه، لتحقيق أغراض وشهوات دنيوية مع ادعاء الاستمساك بالدين في الوقت نفسه، وهنا يقول فيهم القرآن: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٧٥). ومن يجرؤ على تحريف كلمات الله، يسهل عليه تحريف أي كلمات أو أفعال أخرى.

أما النموذج الثاني الذي يعطل استخدام عقله فتتحدث عنه سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الأنفال:٢١-٢٢)، فهذا الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى سمعا ينقل إليه الأصوات التي تحمل المعاني والدلالات، ثم لا يستخدم عقله في استبيان حقيقة ما يسمع، هو - عند الله - أسوأ من الدواب الصم البكم.

قياسا على ذلك، فإن من يقرأ القرآن ولا يعمل بما جاء فيه، هو أيضا من الصم البكم. والصوم لا يصلح من دون قراءة القرآن، وهو أحد الأركان التي تجعل الإنسان يزداد ويتعمق في معاني القرآن وفهمه، وبالتالي يوجب الالتزام بآدابه وتوجيهاته.

فصوم رمضان يمتاز عن سائر أنواع الصيام في الإسلام بأنه لا يخص فردا دون آخر، ولا فئة دون فئة، ولكنه جعل ضريبته الوفاء على الأمة جمعاء، وفي موسم معين من العام، وفي مقدار معين من الأيام، وفي وقت واحد وفي نسق واحد. هذا الطابع الاقترابي الشامل يكفي وحده على الدلالة بأن هذه الفريضة السامية لا يراد منها أن تكون مجرد رياضة روحية تصل بين العبد وربه فحسب، ولا مجرد تجربة من التعاطف والتراحم في حالات فردية متفرقة، ولكن يراد أن تكون رباطا من الرحمة بين المؤمنين تصهرهم جميعا في قالب واحد وفي جسد واحد.. مأمورا وأميرا. ثم انظر إليهم وقد تخلل بعضهم بعضا، وامتزج بعضهم ببعض، ثم استقبلوا جميعا قبلة واحدة، وابتغوا كلهم قيادة واحدة، وانتظموا صفوفا، كأنها البنيان المرصوص، ثم تطابقت حركاتهم وسكناتهم، وأقوالهم وإشاراتهم، كأن أجسامهم قد تحولت وأصبحت جسدا واحدا، وكأن أسماعهم وأبصارهم، وألسنتهم صارت سمعا وبصرا ولسانا واحدا.

من هذه الزاوية، أنظر إلى فريضة الصيام، تر فيها مظهرا من مظاهر هذا التماسك، إنهم يصومون معا، ويفطرون معا، دون امتياز لأحد، كذلك تنصهر القلوب المؤمنة في بوتقة الصيام، فتعود قلبا واحدا، وهذا هو المثل الأعلى في وحدة الأمة التي يؤهلنا لها صوم رمضان، فلا خلاف ولا اختلاف ولا غضب ولا توتر ولا إفساد للبيئة. ولكن وفاق وإصلاح وتعمير وتنمية مستدامة.

أهم المراجع

الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية.

التفسير الكبير للفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.

تفسير ابن كثير، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

شرح أحاديث صحيح البخاري للكرماني، طبعة المطبعة المصرية، ١٩٣٣م.

صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

:(٢٠١٩) David off , & India , L Introduction to psychology, New York , grow – Hill International .Book company , Second Edition

:(١٩٩٩) .HORTON , B & Hunt L Sociology: Kogakusha Mac – graw – Hill Fifth edition

Cravioto, J , and Delicardie , Elsa R.: Nutrition and behavior and learning , World Rec. Nutr. .Diet ١٦: ٨٠-٩٦ (١٩٩٨).

;Boone, L.E., Bowen, DD The great Writings in,١٩٩٧ Management and Organization Behavior, (Secom New York, Mc-Graw ,Edition ، Hill



عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

رمضان.. شهر التغيير

كثيرون يسعون إلى إجراء تغييرات في حياتهم وسلوكياتهم وطبائعهم، لكنهم لا يجدون الفرصة ولا الوقت، وربما حتى الإرادة لتحقيق هدف التغيير المنشود. وتتفاوت الأسباب التي تحول دون تحقيق التغيير من شخص إلى آخر؛ فهناك من تقف طبيعة عمله حاجزا أمام رغبته في تغيير حياته وبرنامجه اليومي، وآخرون ظروفهم وعلاقاتهم الاجتماعية تمنعهم من المضي في اتخاذ أي قرار نحو تغيير السلوك ونظام الحياة اليومي، ومنهم من يفتقد العزيمة والإرادة اللازمتين للاستمرار في برنامج معين حتى يصل إلى غايته وهدفه، وكثيرون آخرون لديهم أسباب مختلفة تمنعهم من البدء في فعل التغيير والاستمرار فيه لتحقيق ما يصبون إليه من هدف معين. لكن هناك شهرا في السنة يمكن استثماره لتحقيق أي رغبة في التغيير مهما كان نوعها، سواء ارتبطت في سلوك أو عادة معينة أو نظام معتاد ليس من السهل تغييره. فعندما يحل شهر رمضان فإن الفرصة تكون سانحة لتحقيق هدف التغيير الذي يسعى إليه كثيرون، وربما كل المعوقات الأخرى التي يواجهها أو يتحجج بها البعض تزول مع هذا الشهر الكريم الذي يمثل فرصة التغيير الكبرى في السلوك والتصرفات وطبيعة ونظام الحياة اليومي المعتاد. فمع حلول شهر رمضان المبارك يتغير كل شيء في حياتنا بدءا من النظام الغذائي ممثلا في نوعية الطعام وأوقاته، إلى عاداتنا وسلوكنا وكل ما يتعلق في حياتنا المعتادة. فهذا الشهر الفضيل له طبيعته الخاصة المختلفة عن بقية شهور السنة، لما فيه من صيام وصلاة وذكر وعبادات وقراءة قرآن، فهو موسم اكتساب الحسنات ومضاعفة الأجور، بالإضافة إلى أن له أجواءه المميزة ممثلة في صلوات التراويح وقيام الليل وولائم الإفطار والسحور وتجمعات الأسر والعائلات. فعندما يصوم الإنسان مدة شهر يوميا طوال فترة النهار، فإنه يبدأ بالتغيير في حياته، وهذا التغيير يشمل النواحي النفسية والجسمانية والسلوك والعادات وكل ما يتعلق في طبيعة الحياة اليومية. فمن أراد تغيير نظامه الغذائي وتخفيف الوزن مثلا فإن رمضان هو شهر التغيير من خلال اتباع نمط غذائي جديد والاعتدال في الأكل والتركيز على الوجبات الصحية والمغذية، في حين أن من يريد التخلص من عادة معينة كالتدخين مثلا، فلن يجد أفضل من شهر رمضان لتحقيق هذا الهدف، فطالما امتنع عن شرب السجائر طوال فترة النهار فإنه يستطيع الاستمرار والتوقف خلال الليل أيضا. أما المنشغلون في الزيارات الاجتماعية والمبتعدون عن قراءة القرآن والأذكار طوال شهور السنة، فإن أمامهم مجالا واسعا في رمضان للتفرغ لذكر الله والانشغال بقراءة القرآن والصلاة والدعاء. وبما أن رمضان يأتي هذه السنة في ظل ظروف استثنائية وإجراءات احترازية فرضها انتشار وباء فيروس كورونا، فإن الفرصة أكبر لمن أراد التغيير في حياته وتعديل سلوكه وتصرفاته والتخلص من العادات السيئة، خصوصا أن مظاهر الحياة العامة تغيرت ولم تعد كما كانت قبل ظهور جائحة كورونا.



أميمة عتيق
باحثة وكاتبة مغربية

كيف تستقبل المرأة شهر الصيام؟

تقبل علينا في هذه الأيام القادمة نسمات عطرة للشهر الفضيل، فقلوبنا كلها شوق ولهفة تتوق لملاقاة رحماته، واستشعار خصوصيته التي لا تضاهي باقي الشهور. فكما تستعد المرأة لعودة زوجها بعد غياب طويل، فتتأهب وتقوم بكل ما في وسعها وتقوم بكل ما يحبه لتجهيزه استعدادا منها لقدومه.

وكذلك الأم تعتاد عند رجوع ابنها المسافر في تحضير أطيب ما يشتهيه من الأكل فرحا بمجيئه وشوقا للقياه. كما أنها ألفت على أن تتعب في تجهيز البيت والحرص على نظافته وترتيبه سيما عند قدوم الضيف. فبذلك وجب عليها أيضا أن تعد العدة، وأن تجتهد لاستقبال هذا الشهر الفضيل، فهو يعد فرصة للتفرغ للعبادة والتقرب أكثر إلى الله سبحانه وتعالى لعقد الصفقة الرابحة، فخير الزاد أن تحافظ على الوصل بينها وبين ربها بعد فترة جفاء. فبذلك يتجدد الوصل من خلال الخطوات والأعمال التي منها:

١- شكر النعمة، خاصة والعالم الآن يمر بظروف عصيبة، فمجيئه في هذه المحنة له دلالات معينة وجب التمعن فيها. فطعم هذا الشهر بعد كل هذا يختلف عن الرمضانات السابقة، فلابد من شكر الله بما مَنّ به علينا من السلامة والصحة وما أنعم به علينا من زوال الخوف الذي ركب حياتنا في الأيام الماضية ولا يزال، فنعم الله وجب أن تشكر، فالكفر بها يؤدي إلى مثل ما جاءت به الأحداث الماضية. فما حل بقوم من مصائب عظيمة إلا وكانت إشارة إلى أن نقمة الله تحل بالجاحدين والمكذبين بنعمته جل وعلا.

٢- استقبال شهر الصيام بالنية الصادقة والعزم على اغتنام هذه الأيام الفضيلة وعقد النفس على أن تقوم بما في وسعها لمضاعفة الحسنات والتنافس على الخيرات.

٣- حسن الظن بالله والإكثار من الدعاء.. الثوبة والإنابة لله عزوجل بأن يبلغنا هذا الشهير الفضيل ونحن فيه لا فاقدين ولا مفقودين، فرب العباد عند ظن عبده به.

٤- استشعار خصوصية وقيمة رمضان عند الأطفال، من خلال الاحتفاء به وتجهيز ركن للصلاة، والملابس الخاصة بها، والحرص على التخطيط لرمضان مراعاة لقدراتهم وطاقتهم كصغار.

٥- عقد اللسان والجوارح، فرمضان هو فرصة للتغيير، وترويض الألسنة على الكف عن الغيبة والنميمة والبغض والحقد والحسد، وعقد عهد جديد بين النفس وخالقها باستقبال رمضان بكل ما سيؤهلها للتجارة الرابحة.

٦- التقليل من كل الأشغال التي تهدر الوقت والعمل على برنامج يومي مضبوط.. تلطيف وتنقية الأجواء العامة بين الأصدقاء، والأحباب،

والجيران، والأقارب، والصفح عمن أساء، والمبادرة بالتسامح والعفو حتى يتسنى للنفوس أن تبدأ هذا الشهير العظيم بسلام.

٧- على المرأة أن تقضي ما عليها من دين، وتجهز نفسها لسداد الزكاة لأموالها في حالة امتلاكها لنصاب الزكاة. فلا تدخر بذلك حق الله عزوجل. لأنها على أبواب أيام جليلة حيث ترفع الأيادي إلى السماء باغية من رب جليل ألا يردها خائبة.

٨- عليها أن تصلح ذات البين بينها وبين الله عزوجل، ولا تدخل شهر رمضان إلا وزوجها راض عنها، وتسارع للمسامحة والغفران مهما تعددت الأسباب، فزوجها سبب من أسباب فوزها بالجنة إذا رضي عنها. كما وجب التذكير بفضل هذا الشهر العظيم، وأهمية صلة الرحم فيه والبر بالوالدين حتى ولو كان بالهاتف، للأخوات المسلمات المغتربات واللاتي لا يعشن في بلادهن.

٩- على المرأة المسلمة زوجة كانت أو أما، او أختا، الحرص على إيقاظ الزوج، أو الأخ، أو الأب للصلاة وتأديتها في وقتها، خاصة صلاتي الظهر والعصر وحتى الفجر في بعض الأحيان لمن ينام متأخرا، لأنه في رمضان عادة ما يفوت الناس أجر صلاة العصر جماعة، فلابد من مراعاة الزوجة لأهل بيتها الواجبة عليهم الصلاة في الجامع، أن يخرجوا لتأديتها، وكل راعية مسؤولة عن رعيتها.

فمن واجبك أختي الفاضلة حثهم على الصلاة والعمل على إيقاظهم لتأديتها، وكذلك تنبيه بعض الأزواج أو الأبناء الذين لا يخافون الله بالاستمرار في النصح والتلطف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطعتِ إلى ذلك فمأجورة بإذن الله.

كذلك وجب التذكير بالدرجة الرفيعة للعمل الصالح خاصة في شهر رمضان، فالتنافس والاجتهاد في تلاوة القران وتدبر أحكامه يحيي القلب، ويزكي النفس. حتى إنه من أعظم الأعمال التي حث عليها الرسول ﷺ لقوله: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان»[1].

أختي الفاضلة، أوصي نفسي وإياكِ أن يكون لك ورد من تلاوة القرآن يشفع لك يوم القيامة ويريح خاطرك وتطيب به جوارحك. ولا تغفلي عن أذكار الصباح والمساء واجعلي لسانك رطبا بها وصوتك الهادئ يردد والأطفال معك حتى تجعلينها عادة يومية. وإن تمكنت من الجلوس لغاية الشروق وصلاة ركعتي الضحى فيكون لك كأجر حجة وعمرة.

كما جاء في قوله ﷺ: «من صلى الغداة في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة. قال: قال رسول الله ﷺ: تامة، تامة، تامة»[2]، كما أن النبي ﷺ أوصى بها أصحابه وحثهم على المحافظة عليها. لقول أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوثر قبل أن أرقد»[3].

كما لا ننسى أجر القيام، فكما جاء في رواية البخاري ومسلم قال ﷺ: «من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[4].

ولا نغفل عن مضاعفة الصدقات من إطعام الطعام في رمضان، فمن أفطر صائما فله كأجره، والاهتمام بإطعام المحتاجين أو المساكين أو حتى العزاب الذين لا زوجات لهم، وكذا الطلاب أو الجيران الذين هم في حاجة ماسة، فإطعام هؤلاء أولى من إطعام أشخاص ربما هم في غنى عنه. بل وجب إطعامه للذين هم في أمس الحاجة، فكوني مقتصدة، غير مسرفة، معتدلة لا تتعدي الحد، لأنه جل وعلا لا يحب المسرفين.

واعلمي أختي المسلمة، أن من بين ما خص به الله تعالى من فضائل رمضان، كما قال النبي ﷺ «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[5]، فالملائكة تستغفر للصائم حتى يفطر وتكون الشياطين مصفدة، وتوصد أبواب جهنم، وتفتح أبواب الجنة، ولله برحمة الواسعة عتقاء من النار في كل ليلة من هذا الشهر المبارك.

كما ورد عن السلف الصالح، فاحرصي أختي المسلمة على اغتنام فرصة العشر الأواخر، فلا زالت الأجور معدة، وما زالت هناك الفرصة لتدارك ما قد فاتك في الأيام الماضية والتحري لليلة المباركة العظيمة، ليلة القدر، فكوني أشد حرصا على اغتنامها وإنما الأعمال بالخواتيم.

فاللهم اجعل صيامنا فيه صيام الصائمين، وقيامنا قيام القائمين، ونبهنا عن نومة الغافلين، ووفقنا فيه لقراءة آياتك وأعتق رقابنا، برحمتك يا أرحم الراحمين، بعظيم الأجر وجزيل المثوبة.

الهوامش

١- رواه أحمد والحاكم بسند صحيح، المحدث الألباني (١٤٢٩)

٢- رواه الترمذي (١٤٢٩)

٣- رواه مسلم في صحيح مسلم، عن أبي هريرة (٧٢١)

٤- رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩)

٥- البخاري (٧٤٩٢)



عبدالرحمن سعد
صحفي وباحث دراسات إسلامية

حذار.. من «العلمانية» في الصيام!



يراقب المسلم الله، سبحانه وتعالى، في أحواله كلها: في سره وعلانيته.. وكلامه، وفكره وعبادته وشغله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

فكل حركة من حركات المسلم، يجب أن تكون موجهة إلى الله، تعالى، حتى تلك التي تبدو بعيدة في علاقتها بالعبادة.

وعندما يحرز المرء التقوى، يكون قد حصل غاية العبادة، ونظام الحياة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢).

فالمسلم مطالب بأن يتقي الله حق التقوى، ولا شك في أن العبادات من

الوسائل المعينة على ذلك، فالصيام - مثلا - ليس المقصود منه حرمان المرء من الطعام والشراب والجماع، بل مقصوده تحصيل التقوى التي هي ترجمة عملية لسلوك المسلم الصادق مع ربه.

أما الفصل بين العبادة والثمرة أو الغاية، فهذا ما يجعل دين المرء ممزقا وأشلاء، بل هو عين «العلمانية».

فماذا يتبقى للمرء من ثواب عندما يجعل لحظات العبادة محددة لله، بينما حياته كلها بعد ذلك - خارج إطار هذه العبادة - تجري على غير هدى من الله، على الرغم من أننا لابد أن «نؤسلم» حياتنا، بمعنى أن نجعلها «خالصة» له وحده؟

الواقع أننا كمسلمين ابتلينا في الآونة الأخيرة بمجموعة من الآفات التي تحتوش الصيام، مما يكاد يذهب بثوابه، ويودي بتأثيره، ويضعف دوره في تقويم السلوك، وتهذيب الوجدان، والسمو بالروح والحياة جميعا.

ذلك أن هذا السلوك إلى تجزيء الصيام، أو التعامل معه على أنه شيء قائم بذاته، وليس في إطار منظومة متكاملة للعبودية، يمثل الصيام جزءا أساسيا فيها، هذا هو «علمنة الصيام» أو هو المفهوم العلماني للتعامل مع الصيام أو العبادات أو الإسلام باعتماد النظرة الجزئية دون الكلية له.

أما مظاهر «علمنة الصيام» فمنها - فيما أرى - ما يلي:

أولا: التعامل مع الصيام على أنه عادة لا تستلزم تجديد النية لها

الكثيرون يبدأون صيام هذا الشهر، باعتباره عملا روتينيا، لا يقتضي تصحيح النية له، ولا تجديد العهد فيه، مع أن النية أساس العمل، ومعيار القبول، قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (أخرجه البخاري).

وقد اشترط العلماء - لصحة الصيام - تبييت النية المؤكدة من أول رمضان عليه، علما بأن النية هي: «الإرادة القلبية المتوجهة نحو الفعل»، كما عرفها الشيخ السيد سابق، في كتابه: «فقه السنة» (الجزء الأول).

ثانيا: الحفاظ على الصيام مع إضاعة الصلاة

الصلاة عماد الدين، من أقامها أقام الدين، ومن هدمها هدم الدين.. فإضاعتها إضاعة للدين برمته.

والصلاة «آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، لذا تجب مراعاتها بالمحافظة عليها، والقيام بأركانها وواجباتها، وشروطها، فيؤديها المسلم في أوقاتها مع الجماعة في المسجد، وذلك من التقوى التي من أجلها شرع الصيام، وفرض على الأمة»[1].

من هنا كانت إضاعة الصلاة عملا منافيا للتقوى، وموجبا للعقوبة، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾ (مريم:٥٩-٦٠)، وقال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة:٢٣٨)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ (النساء:١٠٣).

أي إن أداء الصلاة مفروض على المسلم في وقتها، ولا يجوز تأخيرها، فما بالنا بإضاعتها، أو تركها؛ جحودا لفرضيتها؟

إن هذا الذي يترك الصلاة على الإطلاق، أو يحافظ عليها في أيام الجمع أو الأعياد فقط أو في أوقات دون أوقات - مع حرصه على الصيام - يتجاهل أن رب الصيام هو رب الصلاة، وأن الإله الذي فرض الصيام هو نفسه الإله الذي فرض الصلاة، بل إن الصلاة سابقة على الصيام، وهي أهم ركن بعد الشهادة في الإسلام، ومن تركها ملعون مطرود من رحمة الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٤٢ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ۝١٤٣﴾ (النساء:١٤٢-١٤٣).

ثم يخبرنا الحق بمصيرهم المروع، فيقول جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ (النساء:١٤٥).

إن المسلم السوي يؤدي جميع الفرائض التي افترضها الله سبحانه وتعالى

عليه دون انتقاص من إحداها، أو إهمال لها؛ حتى يصل إلى تمام الرضا والرحمة من الله، ويكون ثوابه وأجره أعظم وأوفر ممن يؤدي بعضها، بينما يهمل بعضها الآخر. وحتى تتوثق صلته بالله، وتتعمق فيكون عبدا خالصا لله، يستحق حفظه ونصرته؛ لا أن يحصل ثوابا في ناحية، ويرتب على نفسه عقوبة من ناحية أخرى.

ومن الناحية الفقهية: «من صام ولم يصل، سقط عنه فرض الصوم، ولا يعاقبه الله عليه إلا أن عليه وزر ترك الصلاة»[٢]، وهو وزر عظيم؛ فكفى بإضاعة الصلاة من جرم، وبدهي أن الصائم الذي يؤدي الصلاة مع الصيام، يجني ثوابا أكبر ومعية أوثق مع الله، من ذلك الذي يصوم ولا يصلي، فالأول أحسن صلته بالله، والثاني ليس له ثواب سوى ثواب الفريضة التي أداها، دون أن يكون له ثواب آخر.

ثالثا: عدم حفظ الجوارح

من كان يظن أن صومه يكمل بحرمان نفسه حظها من الطعام، والشراب، والجماع فقط، فسد ظنه، وساء فهمه لحقيقة الصيام، ذلك أن له آدابا لا يتم إلا بها، ولا ينهض إلا عليها، كما أن الصائم مأمور بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي والمنهيات، فضلا عن المحرمات.

قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري). فالصيام يؤدب المرء، ويحمله على مكارم الفعال والأقوال، وكلما هم بمعصية أو مخالفة تذكر أنه صائم، فامتنع عن ذلك، ومن هنا جاء الأمر النبوي الكريم لمن ساب الصائم أو شاتمه أن يقول: «إني صائم» تنبيها له على أنه مأمور بالإمساك عن السب والشتم، وتذكيرا لنفسه بأنه متلبس بالصيام؛ فيمتنع عن المقابلة بالسب والشتائم.

ويدخل في: «قول الزور» أشياء كثيرة كالكذب، وهو «الإخبار بخلاف الواقع»، والغيبة، وهي «ذكرك أخاك بما يكره»، والنميمة، وهي «نقل كلام شخص في آخر إليه بهدف الإفساد عليهما»، والغش، وهو «من كبائر الذنوب»، وقد تبرأ النبي ﷺ من فاعله، قال جابر رضي الله عنه: «إذا صمت فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع عنك أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، وليكن يوم صومك ويوم فطرك سواء»[٣].

رابعا: التخمة واللهو في الليل

لا يصح للصائم أن يجوع أو يظمئ نفسه في خلال النهار، قربى واحتسابا لله تعالى، ثم دربة للنفس على الامتناع عن المشهيات المرغوبات، حتى إذا ما أفطر أكل فأصابته التخمة، فإذا دخل الليل أخذ يعب من صنوف المأكولات والحلويات عبا؛ فهذا السلوك مما ينافي حكمة الصيام، ويستوجب الغفلة، ويقسي القلب الذي قد يعمى عن الحق، ويضعف عن مهام العبودية. لهذا أرشدنا النبي ﷺ إلى ضرورة التخفف من الطعام والشراب مطلقا، فهذا ديدن المسلم، فقال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن.. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (رواه أحمد والنسائي وابن ماجه).

ومن هنا جاءت مقولة أبي سليمان الداراني: «إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب، وإذا شبعت عمى القلب».

أو قد يصوم المسلم نهارا حتى إذا ما أفطر، وقام بعد العشاء، أو لم يقم «أي: يصلي صلوات القيام»، ذهب لكي يقوم أو يكمل هذا القيام بين يدي الشيطان، فيستحل لنفسه معصية الرحمن، مستوجبا سخطه وغضبه، بمشاهدة المشاهد المنكرة، والأفلام الخبيثة، وبرامج التسلية والترفيه واللغو، والمسابقات التافهة، وسماع الكلام الفاسد، أو متابعة ما يسمى بالفوازير وحلقات «سل صيامك»، و«دراما رمضان»، والأغاني المثيرة... إلخ.

فهذا كله من نواقض الصيام - لا شك - التي تقلل ثوابه.. إن لم تعدمه وتبطله.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ (لقمان:٦). وليت شعري إن لم تكن الأمور السابقة وما كان على شاكلتها، مما تتبارى القنوات

الفضائية والإذاعات المسموعة، في تقديمه وتسهيله وتزيينه، وتشغل به الناس، في نهارهم، فضلا عن ليلهم - من «لهو الحديث».. فما «لهو الحديث» إذن؟

بلى: قد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال: «والله الذي لا إله غيره هو الغناء». وصح ذلك أيضا عن ابن عباس، وابن عمر، وذكره ابن كثير عن جابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد، وقال الحسن: «نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير».

فعلى المسلم أن يتقي الله، وأن يعلم أن صومه لا فائدة مرجوة منه ما دام باقيا على هذه العادات، مصرا على اقتراف المعاصي، والوقوع في الملهيات.

خامسا: تبرج المسلمات الصائمات

نهى الله، سبحانه وتعالى، المرأة المسلمة، عن التبرج، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ (الأحزاب:٣٣). وأرشد سبحانه إلى وجوب لزومها الحجاب والتستر بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٩)، وقوله سبحانه: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور:٣١)، وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ﴾ (النور:٣١).

أما ما يفعله بعض مسلمات هذا الزمان من التبرج والتجمل في الأسواق فما هو إلا مجاهرة بالمعاصي، وخروج المرأة كاشفة رأسها، أو عنقها أو أجزاء من جسدها، أو الثياب المظهرة للمفاتن، أو اللباس الشفاف، فهذا كله يدخل في مسمى «التبرج» الذي نهى الله سبحانه وتعالى عنه. قال مقاتل: «التبرج أنها تلقي الخمار على رأسها، ولا تشده، فيواري قلائدها، وقرطها، وعنقها، ويبدو ذلك كله.. وذلك التبرج»[٤].

فلا يجوز للمسلمة التبرج أو وضع الزينة (المكياج)، سواء كانت صائمة أو غير صائمة. وإن من علامة إسلامها، اتباعها لأوامر ربها، وتنفيذها أحكامه.. وعلى كل: «الصوم عبادة مستقلة، فإذا صامت المسلمة على هذه الشاكلة، كان صيامها صحيحا، لكنه منقوص الأجر، وتؤاخذ على تبرجها وإظهار زينتها للأجانب، وفتنتها للرجال، والله أعلم»[٥].

الغاية من الصوم

مما تقدم يتبين أن الصوم لم يفرض علينا كمسلمين بهدف الحرمان والتكدير، كما قد يظن البعض، أو هو وقت للتسلية والسهرات الرمضانية، كما يسميه البعض الآخر، ولكن الله تعالى فرض الصيام على عباده لغاية أسمى وأجل من ذلك، هي أن يتعلم منه المسلم الصبر، والشكر، والثبات، والمداومة على الذكر، والطاعة، والدعاء، والصلاة، والابتهال، والتضرع، وقراءة القرآن، والصدقة، والتسامح والعفو والتواضع، وليس هذا فحسب، وإنما أن يخرج المسلم من رمضان بخصال الخير كافة؛ فيحيا بالتقوى في بقية العام، وفي سائر الأعوام.

أما ما عدا ذلك فهو «علمانية» - ما أنزل الله تعالى بها من سلطان - في الصيام، تفصله عن ثمراته المستهدفة، وغاياته المشروعة.

إن شهر رمضان نفحة من نفحات الله، وهو فرصة يمنحها الله لعباده، ويفتح لهم فيها أبواب التوبة والمغفرة والرحمة أكثر من أي شهر آخر. فاحذر - أخي القارئ وأختي القارئة - من الوقوع في براثن المظاهر الخاطئة السابقة، وتلك النظرة الجزئية الضيقة، لهذا الشهر الكريم الفضيل. جعلنا الله، وإياكم، من المقبولين فيه. اللهم آمين.

المراجع

١- الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، «مجالس شهر رمضان»، ١٣٩٦هـ، ط أولى، ص:٧٠-٩٦.

٢- فتاوى مختارة فيما يتعلق بشهر رمضان المبارك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، إدارة المساجد، ١٩٨٥م، ص:٤٢.

٣- الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، مرجع سابق، ص:٧٦.

٤- عبدالعزيز السلمان، «المناهل الحسان في دروس رمضان»، ط ٤، ١٩٧٠م، ص:٦٩.

٥- عبدالعال محمد علي، فتاوي الصائم، ط ١، ١٩٨٦م، ص:٣٤..



أحمد عبدالمنعم عيد
كاتب وباحث إسلامي

الصيام وتعزيز الإيجابية

أرسل الله عزوجل نبيه ﷺ ليعيد إلى البشرية اتزانها، وليضع الإنسان في مكانته التي تليق به كمخلوق كرمه الله تعالى، وأسجد لأبيه الملائكة، وفضله على غيره من المخلوقات بنعمة العقل والتفكير، وليعود إنسانا إيجابيا، يعمر الكون، ويواجه كل فساد من خلال إيجابيته التي يغرسها فيه منهج الإسلام الذي بعث به رسول الله ﷺ والذي لخص في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤).

فمن مقاصد الدعوة الإسلامية تزكية المرء، ورفعه إلى الدرجة التي تليق به، فيصبح بها فعالا في مجتمعه، مثمرا في عمره، تاركا بعد ذلك سيرة من الأعمال الطيبة تكون له ذكرا وعمرا آخر بعد موته.

والتزكية المذكورة في الآية لا تكون إلا بالتغير المطلوب من المسلم، والتحول في السلوك من السلبية واللامبالاة إلى الإيجابية في كل المواقف، ومع كل ما يحيط به.

والوسيلة لتزكية المسلم ونقله تلك النقلة من الإيجابية التي تؤهله لحمل أمانة الدعوة والتبليغ، ومواجهة الصعاب والعدوات التي ستصطف إلى جوار بعضها لمنعه من القيام بذلك الواجب والفروض التي فرضها الله عليه، وألزمه بها.

يقول الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسير قوله تعالى ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٥١).

يزكيهم أي يطهرهم من رذائل الأخلاق وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب وهو القرآن الكريم، والحكمة وهي السنة، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون في الجاهلية الجهلاء، فانتقلوا ببركة رسالته، ويمن سفارته إلى حال الأولياء وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علما، وأبرهم قلوبا، وأقلهم تكلفا، وأصدقهم لهجة[1].

وقال صاحب البحر المحيط: يزكيهم باطنا من أرجاس الشرك وأنجاس الشك، وظاهرا بالتكاليف التي تمحص الآثام، وتوصل الإنعام[2].

وتكاد كل كتب التفسير تتفق على أن التزكية، والتي هي مقصد من مقاصد الإسلام لا تكون إلا بما فرض الله -تعالى- على عباده.

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥).

ومن أطال القيام، وأتعب عينه من طول السجود ثم لم تحدث الصلاة التغيير في نفسه، وتحوله إلى المثل المرجو منه كمسلم يكون كمن لم يُصلّ.

قيل لابن عباس: إن فلانا يطيل في صلاته، قال: إن الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها.

والزكاة نفس الأمر، من أخرجها لابد وأن يتحلى بالتواضع، وتخلق في نفسه حب التعاون والتكافل مع الناس، فلا رياء، ولا من، ولا أذى، لا بقول ولا بفعل.

والحج من أراده فعليه أن يتحلى بالصبر والحلم وضبط النفس، فلا يأتي ما اعتاده من النقائص، ولا يفعل ما تربت عليه نفسه من المعايب، ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة:١٩٧).

والصوم من أكثر الطاعات التي تربي الفرد وأعظم مظاهر تلك التربية خلق الإيجابية أو تعزيزها في نفس المسلم حتى تصبح سلوكا ملتصقا به لا يستطيع الحياة بدونه.

فالإنسان يكون دائم التذرع بأسباب تحمله على المخالفة وعدم الإتيان بما كلف به، ويرجع كل سقوط إلى النفس أو الشيطان أو الهوى أو أصدقاء السوء،

وربما تعلل بها كلها، ويظل يعلن عجزه في مواجهة هذه الأمور، فهو أسير بين الإغواء والأهواء، فإذا ما جاء رمضان وأعلن عن رؤية الهلال ومع أول ساعة من النهار يمسك عن العادة الحاكمة والنفس الآمرة والأهواء الآسرة.

إنها الإيجابية التي تنشط فيه بمجرد الإعلان عن بدء الصيام، يظل طول العام يكابد نفسه للامتناع عن أمر، أو ليلتزم بأمر، فإذا جاء رمضان كان الصعب سهلا، فكف حبا، وأتى الخير رغبة، وكأن نداء يا باغي الخير أقبل هو همسة في أذنه تسربت إلى قلبه، فوجل بها، وتحرك إعمالا لها، همسة علوية علت به فوق كل نقيصة، وسمت بفعله، وأشعرته بقدرته، وأن كل شيء في الإمكان، فالحرام أو المكروه الذي استصعبته قبل رمضان هان عليك، وتغلبت على نوازع النفس الدافعة إليه، بل والأكثر من ذلك تركت بأمر الله ما أحل الله فترة الإمساك طاعة لله، كأن الله في رمضان يريد منك أن تكتشف ذاتك، وأن تشعر بقيمتك، وأن تعلم أن الله جعل فيك من القدرة والإرادة ما يجعلك قادرا على الإتيان بكل مأمور، والبعد عن كل محظور، فإن من قدر على ترك ما أحل الله طاعة لله، يكون على ترك ما حرم الله أقدر.

دواؤك فيك وما تشعر
وداؤك منك وما تبصر
وتحسب أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

فالصوم فرصة لاكتشاف الذات، وخلق الإيجابية أو تقويتها وتعزيزها.

ومن مظاهر الإيجابية في رمضان: مراقبة العبد لنفسه، فالذي كان لا يعبأ بأحد في فعل ما، ولا يكترث لنظرة الناس، يصبح في لحظات مراقبا لنفسه وإن غاب عنه كل الناس، فمع الصيام وقرص الجوع وانعزاله عن الناس والطعام أمامه لا يستطيع أن يمد يده إلى الطعام، لقد انتقل من خوفه من رؤية الناس إلى كمال «إن الله يراني».

لقد أصبح حاكما لنفسه، يفعل الخير من ذاته، ويجتنب الشر كذلك من ذاته، لا خوفا من القانون، أو حياء من نظرة الناس، محققا بذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

ولا يسمى العبد تقيا إلا إذا كان سره كعلنه، وظاهره كباطنه.

ونستطيع أن نطلق على هذا المظهر من مظاهر الإيجابية، «الإيجابية مع النفس».

فالنفس التي تدفع الإنسان إلى الغضب لأقل وهلة، وتجعل الإنسان يثور لما يستحق وما لا يستحق يطلب منه في رمضان ألا يغضب لما أهانه، وألا يرد على من افتعل الإهانة بمثل فعله أو القليل من فعله، معودا نفسه على معالي الأمور ومكارم الأخلاق كالعفو والصفح والصبر على الأذى والحلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»[٣].

إني صائم ما أعظمها من كلمة، يذكر العبد نفسه من خلالها أنه في لحظة تزكية ورفعة، فلا ينبغي له أن يهوي إلى مدارك الجهلاء، فيجهل فوق جهل الجاهلين، فيسب من سب، ويصخب مع من صخب، ولكن عليه أن يلتزم الأدب دافعا الإساءة بالإحسان.

الإيجابية مع الآخرين

وكما يوجد الصوم الإيجابية مع النفس، كذلك يوجد في نفس الصائم الإيجابية مع الآخرين، فهو بالصوم يعود فردا في مجتمع، يشكل لبنة من لبناته، وكل من حواليه أجزاء في هذا البناء، لا يمكن بأي حال أن يحيا منعزلا عن غيره، بل لابد أن يتفاعل مع مجتمعه، وأن يشعر بغيره، فيذكر بالصوم جوع من ضاقت به الحال، وإذا قرصه الجوع للحظات طواعية منه وطاعة لربه، تذكر من يكون العام عنده كأنه رمضان، يصومه قهرا لفاقته وعوزه، فيألف المعروف ويسعى إليه.

وبهذا يصبح الذي يسعى لنفسه وشعاره «نفسي نفسي» ساعيا في قضاء حوائج غيره قائلا أنا والناس.

الناس للناس من عرب ومن عجم
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

فهذا الصوم وما يحققه تزكية تسمو بالنفوس تخلق إيجابية مع النفس يألفها الإنسان في رمضان، وإيجابية مع الآخرين يعتادها ويعيش بها بعد رمضان.

جعلنا الله ممن يحسن الصيام والقيام ومن المقبولين والمغفور لهم فيه.

الهوامش

١- تفسير ابن كثير (٤٦٢/١).
٢- البحر المحيط (٦٢٨/١).
٣- أخرجه البخاري كتاب الصوم باب هل يقول إني صائم إذا شتم؟ ١٧٧١.



د. السيد متولي عبد العال
كاتب وباحث إسلامي

مرحبا بمطهرنا

ها هي نفحات الشهر الكريم تقبل، الشهر الذي تسكب فيه العبرات وتنزل فيه الرحمات، شهر يعظم فيه الرجاء في عفو الله، وتلين فيه القلوب بالموعظة الحسنة، وتنشر فيه المحبة ويقترب فيه العبد من ربه، وتصفو فيه القلوب، وتزكى فيه النفوس، وتصفد فيه الشياطين.

أخي الكريم قد أقبل موسم السباق فاجعل شعارك (لن يسبقني إلى الجنة أحد)، و(مصحف في جيبك كنز في قلبك).

هلا استعددت أخي لهذا الضيف الكريم الذي يوشك أن ينزل، وبعدها بقليل يرتحل؟

إن أحسنت استقباله واغتنمت أوقاته، وصلت إلى درجة المتقين التي هي ثمرة الصيام، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣).

ثم اعلم أخي أن آيات الصيام في القرآن خمس، بدأت بالتقوى ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(البقرة:١٨٣)، وختمت بالتقوى ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٧)، وبين التقوى والتقوى العلم الذي هو السبيل للتقوى ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٤)، والشكر الذي هو نصف الإيمان ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾(البقرة: ١٨٥)، وبذلك تصل إلى مرتبة الراشدين مع الخلفاء الراشدين ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ (البقرة:١٨٦).

اعلم أخي المسلم ما يلي:

١- احرص على كل لحظة تفوتك من قبل أن تحصل مغفرة الله -عز وجل- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ منه قبل أن يغفر له»[1].

٢- رمضان شهر القرآن فأقبل على القرآن بقلبك وعقلك، في حلك وترحالك ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ﴾(البقرة:١٨٥)، فخاب وخسر من حرم بركة هذا الشهر ورحماته، فقد تسابق الصالحون قديما وحديثا في مدارسته ومراجعته فها هو عثمان بن عفان رضي الله عنه يختمه ستين مرة في رمضان، وأبو حنيفة أيضا يختمه ستين، وغيرهما الكثير، فماذا أعددت لهذا السباق؟ وكان أهل العلم إذا أقبل رمضان تركوا دروس العلم وتفرغوا للقرآن، وها هو جبريل يدارس القرآن مع النبي ﷺ في رمضان الأخير الذي قبض فيه.

٣- الجنة تتزين من السنة للسنة استعدادا لرمضان، فتفتح أبواب الجنة في أول ليلة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»[2].

٤- المنادي ينادي كل ليلة كما ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة «يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله في كل ليلة عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»[3]، ففي أي صنف أنت تكون؟ إياك أن يعتق أهلك أو أصاحبك وجيرانك وأنت لم تعتق!

٥- هل تعلم أن الله يريد أن يغفر لك

ويعفو عنك، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ (النساء:٢٧)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٤]، «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٥]، «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»، انظر كم مرة يفتح الله لك الباب ليغفر لك.

٦- رمضان شهر الانتصارات، فما من معركة دخلها المسلمون الأوائل في رمضان إلا وانتصروا (بدر، عين جالوت، حطين، وغيرها..)، كأنه نداء من الله «إذا انتصرت على نفسك وملاذها وشهواتها كنت على غيرها أقدر، فميدانك الأول هو نفسك التي بين جنبيك فإن انتصرت عليها كنت على غيرها أقدر».

٧- رمضان شهر المواساة شهر يزاد فيه رزق المسلم، شهر الإحساس بالفقير، يناديك رسول الله «من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار»، قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم، قال: «يعطي الله هذا الأجر لمن فطر صائما ولو على تمرة، ولو على شربة ماء، ولو على مذقة لبن»[٦]؛ يقول الشاعر شوقي: (حتى إذا جاع من ألف الشبع وعرف المترف أسباب المتع عرف الحرمان كيف يقع والجوع ألمه إذا لذع).

٨- هو شهر تبنى فيه النفوس لتتربى على تحمل الصعاب، ينهض فيه أصحاب الهمم العالية لحمل النفوس على الاستقامة .

٩- فيه ليلة من حرمها فقد حرم، أمر النبي بالتماسها قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان»[٧]، فكان يعتكف النبي ﷺ فيهم، وينقطع عن الدنيا كلها في العشر الأواخر من كل رمضان، حتى ورد أنه اعتكف في السنة التي مات فيها عشرين ليلة لينال هذه الليلة، التي هي خير من ألف شهر، فيا ليت النفوس تضع كل ذلك نصب عينها، ولا تتصرف إلى القيل والقال، والغيبة والنميمة، والنوم بالنهار والسهر بالليل أمام وسائل الترفيه فيضيع الوقت الذي هو أغلى ما نملكه ويفوتنا الخير الكثير، فكل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها مهلكها بالنار.

١٠- في رمضان أعد ترتيب نفسك، لملم بقاياك المبعثرة، اقترب من أحلامك البعيدة، اكتشف مواطن الخير في داخلك واهزم نفسك الأمارة بالسوء، اغسل قلبك قبل جسدك ولسانك قبل يديك وتفسد كل محاولات المفسدين لإفساد صيامك، واحذر أن تكون من الذين لا ينالون من صيامهم سوى العطش والجوع.

١١- هل تريد شفيعا مع رسول الله لك يوم القيامة؟ فصحح صومك وقراءتك للقرآن وأخلص نيتك حتى يكون القرآن والصيام شفيعين لك يوم القيامة؛ قال رسول الله ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: أي رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قيل فيشفعان»[٨].

١٢- هو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة؛ صبر على الطاعة بالصيام، والقيام، وقراءة القرآن، والبر والإطعام، وسائر أفعال الخير، وصبر على المعصية بإبعادها عن الحرام وكل ما يغضب الله عزوجل، وصبر على الحلال امتثالا لأمر الله، فلا تأكل ولا تشرب، فهو تدريب كامل على الصبر.

١٣- وأخيرا، تربية النفوس على الأخلاق الفاضلة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزوجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[٩].

أرأيت حسن الأخلاق التي علمنا إياها رسول الله ﷺ؛ لا سباب ولا شتم ولا إيذاء ولا حتى رفع الصوت، بل تطيب الألسنة بذكر الله، وإن حدث اعتداء فليقل الصائم: إني صائم مرتين، مرة للمعتدي ليرجع ومرة للمعتدى عليه فلا ينساق معه في الغي والضلال.

جعلنا الله وإياكم من المقبولين والعتقاء من النار في هذا الشهر ومن أصحاب الجوائز الذين تتلقاهم الملائكة يوم عيد الجائزة -عيد الفطر- تقول لهم: هنيئا لكم الصيام فصمتم وهنيئا لكم القيام فقمتم وهنيئا لكم الصدقة فتصدقتم؛ ألا فاقبضوا جوائزكم..

أتعلمون ما هي الجائزة؟! العتق من النيران ومغفرة الذنوب هدية الرحمن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- رواه الترمذي وصححه الألباني.
٢- رواه مسلم.
٣- رواه الترمذي وصححه الألباني.
٤- رواه بخاري ومسلم.
٥- رواه بخاري ومسلم .
٦- رواه أحمد وأصحاب السنن.
٧- رواه بخاري ومسلم، عن ابن عمر.
٨- رواه أحمد وصححه الألباني.
٩- رواه بخاري ومسلم.



د. شاذلي عبد الغني إسماعيل
دكتوراه في اللغة العربية

من مقاصد الصيام



لصيام رمضان العديد من المقاصد الإيمانية والتربوية والاجتماعية التي يمكنها أن تعيد تأسيس واقع جديد للفرد وللأمة، وأن تفتح أبواب الخير للإنسانية بأكملها، شريطة أن ننأى بأنفسنا عن تلك الصورة التي حذرنا منها النبي ﷺ حين قال: «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر» (رواه أحمد). وإذا أردنا أن نبدأ ميلادا جديدا لحياة تتحقق فيها مقاصد الصوم، علينا أن نعيش في كنف الأجواء الإيمانية للشهر المبارك في ظلال الطاعة والرضا، والحرص على أن تكون أفعالنا وأقوالنا في جميع أحوالنا نابعة عن تعاليم ديننا الذي يحقق الالتزام بنهجه سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

ومن المقاصد التي يحققها الصيام، والتي تظهر بجلاء ما يمكن أن يكون لهذا الشهر الكريم من فضائل ترقى بالنفس الإنسانية، وتمد المجتمع بعوامل القوة والسعادة والانسجام، ما يلي:

الصيام تقوية للإرادة

لقد كان الأوربيون في القرون الوسطى يفترون على الإسلام الأكاذيب، وينسجون حوله قصصا خرافية، وينسبون له أحكاما لا وجود لها إلا في مخيلتهم، وظلت بعض هذه الترهات تتردد على ألسنة البعض وفي كتاباتهم وكان على رأس هذه الافتراءات أن الإسلام دين يطلق للشهوات العنان، وقد رأى المؤلف والفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل (١٧٩٥م –١٨٨١م) في صيام رمضان دليلا ظاهر الوضوح للرد على مثل هذه الأكاذيب، ولبيان أن الإسلام ليس بالدين الذي يترك المرء ذليلا لأوطار نفسه وشهواتها، كما أنه لا يسعى إلى تعطيل هذه الغرائز وكبتها، لكنه وضع من الشرائع ما ينظمها، ويضمن للمجتمعات حياة سوية ولإدارتها أفرادا أقوياء، يقول توماس كارليل: «أي دليل أشهر ببراءة الإسلام من الميل إلى الملاذ من شهر رمضان تلجم فيه الشهوات، وتزجر النفس عن غاياتها، وتقرع عن مآربها؟ وهذا هو منتهى العقل والحزم، فإن مباشرة اللذات ليس بالمنكر، وإنما المنكر هو أن تذل النفس لجبار الشهوات، وتنقاد لحادي الأوطار والرغبات، ولعل أمجد الخصال وأشرف المكارم هو أن يكون للمرء من نفسه على نفسه سلطان، وأن يجعل من لذاته لا سلاسل وأغلالا تعيبه وتعتاص عليه إذا هم أن يصدعها، بل حليا وزخارف متى شاء، فلا أهون

عليه من خلعها، ولا أسهل من نزعها، وكذلك أمر رمضان»[١].

لقد حرص الإسلام على أن يتسم أبناؤه بكل السمات التي تؤهلهم ليكونوا بناة لحضارة إنسانية قوية وعامرة ترقى بالمنتسبين إليها وتحميهم من الوقوع أسرى لمتطلبات النفس المادية حيث تصبح هذه المتطلبات غاية ليس وراءها غاية في هذه الحياة الدنيا، ولا يمكن لمن أراد أن يسهم في هذا البناء الحضاري أن يكون خاضعا لنوازع نفسه، خانعا لمطالبها، خائر العزم أمام أوطارها وشهواتها، وهذه واحدة من ثمرات الصيام، فمن خلاله تدرك النفس ما تتمتع به من قوة تجعلها قادرة على الصبر أمام مطالبها المادية الملحة استجابة لأمر الله عزوجل.

الصيام والإخلاص

إن الإخلاص هو واحد من أعظم المقاصد الإيمانية التي تنميها فريضة الصيام في نفوس المؤمنين، فهو سر بين العبد وربه لا يبغي بصيامه أحدا سواه، ولاشك أن الإخلاص في العمل مما يقوي العزيمة ويهون الصعاب ويؤنس القلب وإن وعر الطريق وإن طال؛ لأن الغاية عظيمة لا يصل إليها إلا من أحسن القصد وأخلص النية، وقد وصف ابن القيم رحمه الله الصوم فقال: «هو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارا لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم»[٢].

وبإخلاص القلب تتجلى مشاعر القرب من الخالق، ومن ثم يكثر السعي إلى ما فيه صلاح النفس وتزداد القدرة على تقويمها إن حادت عن الطريق أو مالت عن القصد، والإخلاص يملأ القلوب بالرغبة في نفع العباد وفي عونهم وإصلاح أحوالهم وهدايتهم ومعاملتهم بالحسنى والتسامح معهم رغبة في رضا الله عزوجل، فنفع الإخلاص يمتد من القلب ليشمل الإنسانية بأثرها.

وإن كان في الصيام تقوية للإرادة الإنسانية ومران لها على مواجهة رغائب الجسد ومصاعب الحياة، فإنه بتعويد النفس على الإخلاص يحررها من رغبتها في الظهور وسعيها إلى الفخر بالأفعال والرياء بها طمعا في رضا المخلوقين ورغبة في ثنائهم، يقول ابن قدامة: «اعلم أن في الصوم خصيصة ليست في غيره، وهي إضافته إلى الله عزوجل حيث يقول سبحانه: «الصوم لي وأنا أجزي به»، وكفى بهذه الإضافة شرفا، كما شرف البيت بإضافته إليه في قوله: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ (الحج:٢٦). وإنما فضل الصوم لمعنيين:

أحدهما: أنه سر وعمل باطن، لا يراه الخلق ولا يدخله رياء.

الثاني: أنه قهر لعدو الله، لأن وسيلة العدو الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب»[٣].

الصيام وتوحيد الأمة

إن توحيد الأمة وجمع كلمتها وجعلها على قلب رجل واحد من المقاصد التي تتجلى بارزة في شعائر الدين الإسلامي، وشهر رمضان يجمع الأمة بأسرها في ظل مشاعر إنسانية مادية وروحية واحدة وفي ظل شعائر إيمانية معقودة بهدف واحد، وهذا من شأنه أن يوحد القلوب وأن يذيب الفوارق مهما تنوعت الأجناس واختلفت اللغات ومهما تعددت الألوان وبعدت المسافات.

لقد لاحظ المستشرق البريطاني المتخصص في الشأن الإفريقي «إيوان ميردين لويس» الطابع الإسلامي القوي في الطقوس الحياتية التي رآها متشابهة إلى درجة كبيرة لدى الجماعات المسلمة الكائنة في جنوب الصحراء الكبرى، وذكر «إن التقويم الإسلامي بطقوسه الشعبية، وخصوصا في رمضان، شهر الصيام، يعطي طابعا متجانسا لتنظيم الحياة في جماعات كانت بينها في الماضي فروق كبيرة، وهناك سمات متشابهة تتجاوز الاختلافات الثقافية والعرقية الكبيرة لهذه المنطقة الواسعة»[٤].

ولعله يقصد بالطقوس الشعبية، شعائر الدين الإسلامي المرتبطة بالمواسم والمناسبات الإسلامية، والتي توحد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتجمعهم تحت مظلة الطاعة لتعاليم الدين القويم الذي أمرهم بالوحدة والاعتصام ونهاهم عن الفرقة والتنازع.

الهوامش

١- توماس كارليل، الأبطال (ترجمة محمد السباعي)، القاهرة: المطبعة المصرية الأزهرية، ١٣٤٩هـ، ١٩٣٠م، ص٩٣، ٩٤.

٢- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلام، ط ٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٢، ص٢٧.

٣- ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، دمشق، مكتبة دار البيان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص٤٣.

٤- إيوان ميردين لويس، الحدود القصوى للإسلام في إفريقيا وآسيا، من كتاب «تراث الإسلام» الجزء الأول (مجموعة من المترجمين)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، مايو ١٩٩٨م، ص١٣٥.

د. ناجي عبد الله الخرس
إمام وخطيب بوزارة الأوقف الكويتية



حكمة الصيام وأسراره

اعلم أن الصوم من أعظم أركان الدين، به تقهر النفس الأمارة بالسوء، وبه تصفية النية من شوائب الشرك، وبه تعويد النفس على الصبر على المكاره، وبه الارتقاء بالإيمان إلى درجة الإحسان.

اقتضت الحكمة الإلهية أن ألله جل جلاله شرع الصوم لحكمة عظيمة، وذلك لأمور منها:

أولا

غرس الرحمة بطريق عملي في قلوب الأغنياء نحو فقرائهم، إذ الصائم يعاني أثناء صومه من مرارة الجوع، ولظى الظمأ ما يدفعه إلى إعانة من رآه محتاجا إلى طعام أو شراب لينقذه من مثل ما ذاق ألمه، فإن من لم يقاس بلاء لم يدرك عناء.

لا يعرف الشوق إلا من يكابده
ولا الصبابة إلا من يعانيها

ثانيا

إدخال العزاء والسلوى على قلوب الفقراء بما يرون من مشاركة الأغنياء، وليس أدخل للسلوى على قلب المعدم البائس من وقوفه مع الأغنياء موقف المساواة ولو ساعة من نهار.

ثالثا

القبض على زمام شهواته النفسانية من الوقوع في الآثام، فإن المرء ربما تاقت نفسه إلى النساء، ولا يجد طولا (أي سعة وغنى على النكاح)، ويخشى العنت (أي: المشقة والمقصود الوقوع في الزنا)، وذلك قوله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

رابعا

تتألم النفس لحبسها عن الطعام فتشعر بذل العبودية، فتسكن إلى ربها خاشعة، وتقف على مقدار ضعفها وعجزها، لأنها ضعفت قواها ووهنت وضاقت بسبب شربة ماء تأخرت عنها، والعبد إذا لم ير ذل نفسه استحال عليه أن يرى عظمة مولاه. وما أجمل هذا الألم يتحمله العبد راضيا في طاعة ربه، راغبا في امتثال أمره، واجتناب نهيه.

خامسا

بالصوم يتعود الإنسان تدريجيا القبض على زمام شهواته النفسية، التي هي سبب المعاصي كلها، والسعادة جميعها في أن يملك الشخص نفسه، والشقاوة كل الشقاوة في أن تمتلكه نفسه. ولذا قيل: إذا جاعت النفس، شبعت جميع الأعضاء.

سادسا

تعويده الصبر والثبات على المكاره، فإن الصائم يكلف نفسه البعد عن كل ما تشتهي.

سابعا

إدراك فوائد الجوع، وأجلها إبقاء الفكر، وإنفاذ البصيرة.

ثامنا

إن الصوم وسيلة إلى شكر النعمة، إذ هو كف النفس عن الأكل والشرب والجماع. وأنها من أجل النعم وأعلاها والامتناع عنها زمانا معتبرا يعرف قدرها إذ النعم مجهولة، فإذا فقدت عرفت. فيحمله ذلك على قضاء حقها بالشكر، وشكر النعم فرض عقلا وشرعا. وإليها أشار الرب في قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(البقرة:١٨٥).

تاسعا

أنه سبيل إلى التقوى، لأنه إذا انقادت نفسه للإمتناع عن الحلال طمعا في مرضات الله تعالى وخوفا من أليم عقابه، فأولى لها أن تنقاد للإمتناع عن الحرام. فكان الصوم سببا للإتقاء عن محارم الله تعالى، وإليه وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

والخلاصة: أن الصوم عبادة وقربة، وهي من أفضل القربات إلى الله تعالى،

وأبعدها عن الرياء، وكفاه فخرا كما جاء في الحديث القدسي (الصوم لي، وأنا أجزي به)، وإنما كان له وإن كانت العبادات كلها له، وذلك لأن الصوم كف وترك، وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد، وجميع الأعمال بمشهد عن الخلق ومرأى، الصوم لا يراه إلا الله تعالى.

أسرار الصوم

غض البصر.
حفظ اللسان.
كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه.
كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره.
أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار.
أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء.

أولا: غض البصر

غض البصر عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره، وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عزوجل.

القرآن يأمر بغض البصر:

لما كان النظر من أهم المنافذ إلى القلب، ولما كان إطلاقه بغير قيد ولا ضابط قد يوقع الهوى في قلب صاحبه، ويجعله يقع في شرك الفواحش والفتن، فقد أمر الله بغض البصر حتى يأمن العبد من عواقب السوء:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾(النور:٣٠).

ونلحظ هنا أن الله تعالى قد جعل الأمر بغض البصر مقدما على حفظ الفرج، لأن كل الحوادث مبدؤها من النظر كما قيل:

كل الحوادث مبدأها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والعبد ما دام ذا عين يقلبها
في أعين الغير موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

ثانيا: حفظ اللسان

حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والخصومة والمراء، وشغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن. فهذا صوم اللسان.

ألا ترى أن اللسان على صغره عظيم الخطر، فلا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، وأما من أطلق عذبة اللسان، وأهمله مرخي العنان، سلك به الشيطان كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار في نار جهنم، وكل يكب الناس على مناخرهم إلا بسبب ألسنتهم؟!

وقالوا: اللسان عضلة، وخلفه كل معضلة، فما أكثر ما نتكلم به، وما أقل ما نتثبت فيه، قال ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[١].

ثالثا: كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه

فكيف إذا كان الإصغاء إلى حرام، ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع وآكل السحت، قال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (المائدة:٤٢).

رابعا: كف بقية الجوارح عن الآثام

سواء كان الإثم من اليد والرجل عن المكاره، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار. قال ﷺ: (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر)[٢].

قيل: هو الذي يفطر على الحرام.
وقيل: هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة.
وقيل: هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام.

خامسا: أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار

معلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى، لتقوى النفس على التقوى. فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم، فأما إذا جمع ما كان ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه.

بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوي فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء.

سادسا: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء

إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أن يرد عليه فهو من الممقوتين؟ وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها.

عن الأحنف بن قيس: أنه قيل له إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك، فقال: إني أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه.

الهوامش

١- أخرجه البخاري ١٠، وأخرجه مسلم ٤٠.
٢ - أخرجه النسائي ٣٢٤٩، وابن ماجه ١٦٩٠.



عصام محمد فهيم جمعة
ماجستير الشريعة والقانون



رمضان شهر الإرادة والتغيير

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾(الرعد:١١).
هذه دعوة صريحة إلى إصلاح النفس أولا، وبصلاحها ينصلح البيت والمجتمع كله، ويحدث التغيير المنشود إلى الأفضل.

ويقول أديب العربية مصطفى صادق الرافعي في كتابه وحي القلم: «وفي ترائي الهلال ووجوب الصوم لرؤيته معنى دقيق آخر، وهو مع إثبات رؤية الهلال وإعلانها، إثبات الإرادة وإعلانها، كأنما انبعث أول الشعاع السماوي في التنبيه الإنساني العام لفروض الرحمة والإنسانية والبر، وهنا حكمة كبيرة من حكم الصوم، وهي عمله في تربية الإرادة وتقويتها بهذا الأسلوب العملي، الذي يدرب الصائم على أن يمتنع باختياره عن شهوته ولذاته، مصرا على الامتناع».

وفي شهر رمضان يتغير كل شيء من حولنا.. برنامج المجتمع اليومي، برنامج الأسرة، والبرنامج الشخصي لكل فرد، تتغير مواعيد النوم والعمل، ومواعيد الزيارات والطعام، تتغير عبادة الإنسان لربه، فيكون أكثر قربا لله، وأكثر قراءة للقرآن، وأكثر صلاة، ويشعر بأنه غدا إنسانا آخر.

وشهر رمضان فرصة عظيمة لتحقيق تغيير حقيقي في جانب العبادة والأخلاق والسلوك، وهذا التغيير يحتاج إلى التكرار، والإنسان كما يقول بعض علماء النفس يحتاج من أسبوع إلى ثلاثة أسابيع تقريبا ليعتاد على سلوك جيد، وفي رمضان يمكن تكرار العادات الحسنة أكثر من أربعة أسابيع، مما يعني أننا نستطيع تكرار العادات الحسنة التي تبقى معنا مدى الحياة.

وشهر رمضان يعلمنا أننا نستطيع أن نتغير لو أننا قررنا ذلك، فمن أهم شروط التغيير الرغبة والإرادة الصاقة والتي تنبع من النفس، لأن الله قد أودع الإنسان طاقة كبرى للتغيير في هذا الشهر، فإذا التقت الرغبة الصادقة مع الإرادة القوية أمكن إحداث نقله في سلوك الإنسان وأخلاقياته، ومن شروط التغيير أيضا معرفة طرق التغيير الصحيحة، بحيث

يعلم من أين يبدأ وإلى أين سينتهي، حتى يحقق الغاية المرجوة من التغيير، وكذلك لابد من التطبيق السليم لطرق التغيير من خلال التدرج فيها، وعدم العجلة في تلمس نتائجها.

رمضان فرصة للتغيير لمن كان مفرطا في صلاته فلا يصليها مطلقا، أو يؤخرها عن وقتها، أو يتخلف عن أدائها في جماعة بالمسجد. رمضان فرصة للمحافظة على هذه الصلاة، وألف المساجد وعمارتها بالذكر والتسبيح وحلق القرآن، فاستعن بالله واعزم من الآن أن يكون هذا الشهر بداية للمحافظة على الصلاة، وتلبية النداء، والصف الأول؛ لتدخل في قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (المعارج:٣٤،٣٥). ولتتصف بصفات المؤمنين ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج:٢٣).

رمضان فرصة للتغيير لمن كان مقصرا في صلاة الفجر وقيام الليل، يقول لهم إنكم تستطيعون المحافظة عليها كل يوم وكل ليلة لو أردتم ذلك، فلماذا الكسل طوال العام؟

رمضان فرصة للتغيير لمن هجر القرآن، قراءة وتدبرا وحفظا وعملا بأحكامه، حتى أصبح القرآن نسيا منسيا، فرمضان هو شهر نزول القرآن، وبداية التغيير يقول لك: تستطيع أن تختمه في كل شهر لو أردت ذلك، فلماذا الهجر طوال العام؟ تصالح مع القرآن، وابدأ صفحة جديدة في رمضان، وحدد لنفسك ختمة وحدك بتدبر، وختمة في مقرأة المسجد، وختمة في الصلاة، فقد كان للإمام الشافعي رحمه الله ستين ختمة في رمضان.

رمضان فرصة لمن ابتلاه الله تعالى بتعاطي الحرام من مخدرات ومسكرات أو دخان، وقد صام عن كل ذلك في نهار رمضان، أن لا يفعل ذلك بعد إفطاره، وأن يستمر على جهاده وعزيمته التي جعلته يمسك طوال ساعات الصيام، يقول للمدمن المدخن: إنك تستطيع بإرادتك أن تمتنع عن تعاطي الحرام، فلماذا لا تقلع عن ذلك إلى الأبد؟!

رمضان فرصة للتغيير لمن تعود على حياة المترفين، ونشأ على حب الدعة واللين، أن يأخذ من رمضان درسا في تربية النفس على المجاهدة والخشونة في أمر الحياة؛ فربما يتغير الحال، فقد جاء في الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم»، فلا يكن همك في هذا الشهر ما تأكل وما تشرب وما تلبس وما تنكح.. ليكن همك رضى ربك عزوجل، وإحسان العبادة له سبحانه وتعالى، والاهتمام بأمر المسلمين وأحوالهم؛ فكن صاحب همة لا ترضى بالدون ولا تقنع بما دون النجوم،ولنربى أنفسنا على معالي الأمور.

رمضان فرصة للتغيير من مساوئ أخلاقنا وفحش أقوالنا؛ فالصوم يدرب المسلم على أن يمتنع باختياره عن الأخلاق السيئة، ويضع له منهجا للتغيير ويعطيه فترة تدريبية من خلال مدرسة الثلاثين يوما، فقد علمنا نبينا ﷺ: «فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم»، وفي رواية قال: «فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين»[١]، وقال أيضا: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٢].

رمضان فرصة لتغير من جُبِل على الشح والبخل والأنانية وحب الذات، وفقدان الشعور بالجسد الواحد والأمة الواحدة، فرمضان شهر تنمية الإحساس، يربى المسلم على الإحساس بالغير، وقد صح في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا...»[٣].

وتذكر أيها الحبيب أن:

في الناس صائم لا يجد كسرة خبز، ولا مذقة لبن ولا تمره.

في الناس صائم لا يجد بيتا يؤويه، ولا ملابس تستره، ولا غطاء يدفئه.

وليكن قدوتك في الإنفاق رسول الله ﷺ فقد كان «أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة»[٤].

رمضان فرصة للتغيير لمن كان قليل الصبر سريع الغضب. يتعلم المسلم من رمضان الصبر والحلم والآناة، فأنت تصبر على الجوع والعطش والتعب والنصب ساعات طويلة، وفي هذا تدريب على الصبر تجاه تصرفات الناس وسوء أخلاقهم، فلا تغضب سريعا. وهذه وصية النبي ﷺ عندما جاءه رجل وقال: أوصني يا رسول الله فرد عليه بكلمة واحدة فقال ﷺ: (لا تغضب)، فردد مرارا (لا تغضب)[٥]، وبين أن المسلم القوى، ليس بالعضلات المفتولة ولا الشارب الطويل ولا البنيان الضخم، فقال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[٦].

فعلى المسلم أن يجعل شهر رمضان شهرا للتخلية عن جميع الصفات السلبية، وأن يجعله شهرا للتحلية بكل الصفات الإيجابية، ولن يحدث ذلك إلا في شهر الإرادة والتغيير.

الهوامش

١- رواه البخاري.
٢- رواه البخاري.
٣- صححه الألباني.
٤- رواه البخاري.
٥- رواه البخاري.
٦- متفق عليه.



د. عبدالغني الهرادي
باحث أكاديمي

استقبال شهر رمضان



الحمد لله الواحد الأحد الفرد، الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، أحمده تعالى وأستهديه وأسترشده وأتوب إليه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا، وقرة أعيننا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدا رسول الله الصادق الوعد الأمين صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطيبين.

وبعد؛ فقد حل شهر مضان شهر مبارك جعل الله صيامه ركنا من أركان الإسلام، روى النسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم»[1]. فهذا شهر مبارك، يجب على كل مسلم أن يستعد له، وأن يتهيأ لفعل كل ما يقربه إلى ربه من أعمال الخير، وأن ينتهي العبد عن كل الشرور والمعاصي والآثام، فالمسلم يستقبل خير الشهور؛ شهر تفتح فيه أبواب الحنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتصفد فيه مردة الشياطين، فهذه الصفات وغيرها كفيلة بدفع المسلم إلى ترك المعاصي والإقبال على الطاعات، ويكون هذا الإقبال والتسارع مع أول ليلة من ليالي رمضان، فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»[2]. وفي رواية أخرى عند النسائي: «وينادي مناد كل ليلة: يا طالب الخير هلم، ويا طالب الشر أمسك»[3]، فشهر رمضان فرصة للمسلم لتقوية إيمانه، والتزود لآخرته، وفي الحديث دعوة إلى ترك كل أنواع المعاصي والإقبال على الطاعات، فالعمر قصير، وكل منا لا يدري هل يعيش إلى العام المقبل، أم لا؟ وهل يدرك رمضان آخر وتسمح له الظروف مع الصحة والقدرة ودوام ما يؤهله للعبادة والطاعة؛ أم يكون له شأن آخر، لذا فالواجب على كل مسلم أن يشمر عن ساعد الجد في التقرب إلى الله بقراءة القرآن وتدبر آياته، والإكثار من ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتكبير والدعاء والنوافل والصدقات وإصلاح القلب واللسان والجوارح، والانخراط في طلب العلم وغير ذلك.

إلا أن إصلاح المرء لنفسه واستقامته ليس هو المطلوب من المؤمن، ولا أن يكون صالحا فقط، بل حقيقة الأمر أن يكون مصلحا لغيره، فيقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس الخير، والدعوة إلى الله، والسعي في نشر سنة نبيه ﷺ، وفي تعليم القرآن الكريم وتعلمه، وفيما ينفع الناس، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف، ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس»[4]، فالخيرية تكون بنفع الآخرين والعمل على هدايتهم وإرشادهم إلى الصلاح والفوز بالجنة يوم الجزاء.

إن دعوة الآخرين للخير وإرشادهم، تستلزم من الداعي أن يكون قدوة، لكي يتأسى به الآخرون، ويعود إلى نفسه ليحاسبها قبل فوات الأوان، ورمضان محطة لمراجعة

النفس ومحاسبتها قال النبي ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[5].

ومعنى قوله: من دان نفسه أي حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا».

ومن الأمور التي ينبغي للمسلم أن يغتنمها في هذا الشهر المبارك التوبة إلى الله؛ وهي الرجوع والتوقف عن المعاصي، والإقبال على الطاعات، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ...﴾ (التحريم:٨)، فشهر رمضان شهر التوبة، والتوبة المطلوبة هي التوبة النصوح الخالصة لله، وهي التي تؤدي إلى مغفرة الذنوب والسيئات والفوز بالجنة، قال عليه الصلاة والسلام: «التائب من الذنب، كمن لا ذنب له»[6].

وفي رواية[7] ابن الجعد ثم تلا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢).

وكرم الله ورحمته بعباده لا تتوقف عند مغفرة الذنوب، بل تتجاوزها بإبدالها حسنات كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (الفرقان:٧٠)، فالله يفرح بتوبة عبده فرحا شديدا، فعن قتادة عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم استيقظ على بعيره قد أضله بأرض فلاة»[8].

وخلاصة القول إن الصيام عبادة لا يطلع على صدق صاحبها إلا الله علام الغيوب الذي يعلم خائنة الأعين، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشرة أمثالها، إلى سبع مئة ضعف، إلى ما شاء الله، يقول الله عزوجل: إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه من أجلي» وللصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، «ولخلوف فيه أطيب عند الله عزوجل من ريح المسك، الصوم جنة الصوم جنة»[9].

فالصائم يدع شهوته وطعامه من أجل الحصول على الثواب من الله تبارك وتعالى، فإن عمر الدنيا قصير، وأيام الآخرة أبدية، ومهما أكثر الإنسان من الحسنات فإنه ينتفع بها في الآخرة الخالدة، فالمسلم مطالب بالتزود بتقوى الله في شهر رمضان شهر التوبة والرحمة والمغفرة، شهر القرآن، شهر الفتوحات والبطولات إلى الخيرات والبركات وأعمال البر والطاعات، ولا يفوتنا أن نتذكر أن النبي ﷺ كان أجود ما يكون في رمضان.

نسأل الله ألا يحرمنا فضل هذا الشهر، وأن يرزقنا من نبيه الشفاعة، وأن يجعل التقوى لنا أربح بضاعة، ونسأله ألا يجعلنا في شهر رمضان لهذا العام من أهل التفريط والإضاعة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لائحة المصادر

- القرآن الكريم.
- الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.
- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبدالمنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبدالله ابن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق.
الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

الهوامش

١- أخرجه النسائي في كتاب الصيام باب ذكر الاختلاف على معمر في هذا الحديث السنن الكبرى للنسائي رقم ٢٤٢٧ (٩٦/٣).
٢- أخرجه الترمذي في سننه في أبواب الصوم باب ما جاء في فضل شهر رمضان رقم ٦٨٢ سنن الترمذي ت بشار (٥٩/٢).
٣- أخرج النسائي في سننه كتاب الصيام باب ذكر الاختلاف على معمر فيه رقم ٢١٠٨ (١٣٠/٤).
٤- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم ٥٧٨٧ (٥٨/٦).
٥- أخرجه الترمذي في سننه رقم ٢٤٥٩ سنن الترمذي ت بشار (٢١٩/٤) هذا حديث حسن.
٦- أخرجه ابن ماجه في سننه باب ذكر التوبة رقم٤٢٥٠ . سنن ابن ماجه (١٤١٩/٢م).
٧- مسند ابن الجعد رقم ١٧٥٩ (ص:٢٦٦).
٨- أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده رقم ٢٨٦٠ (٢٤٤/٥).
٩- أخرجه أحمد في مسنده رقم ١٠١٧٥ وقال المحقق: إسناده صحيح على شرط الشيخين، مسند أحمد ط الرسالة (١٤٥/١٦).



د. عماد عبدالرازق
باحث أكاديمي

حقيقة صوم رمضان بين المفكرين والفلاسفة

للصوم مقاصده العظيمة، وأسراره الكبيرة، والتي تعمل على بناء الفرد والمجتمع بل والأمة بأسرها، على قيم الرشد والتعاليم السامية والفضائل النبيلة، كل هذا يتم بعيدا عن مظاهر الإسراف والتبذير، وفي توازن عجيب بين مطالب الجسد والروح. فالصوم يزكي النفس ويطهر الروح، ويشحذ الهمم والإرادة. ومن أشهر المفكرين الذين سنلقي عليهم الضوء في مقالتنا هذه الكاتب مصطفى صادق الرافعي - والكاتب والمفكر الكبير محمود عباس العقاد - والمفكر الإسلامي الكبير على عزت بيجوفيتش. ثم نعرج لبيان أسرار وحكمة صوم رمضان عند بعض الفلاسفة المسلمين ولعل أشهرهم الإمام أبو حامد الغزالي - والفيلسوف ابن سينا.

الصوم ثورة روحية عند الرافعي

كان حديث الرافعي عن صوم رمضان في أشهر كتبه (وحي القلم) ولقد أطلق تعبيرا يحمل دلالات كثيرة، ومعاني غزيرة؛ إنه تعبير الثورة، بما تحمله من تغيير في السلوك والأخلاق، فالصوم من وجهة نظر الرافعي ثورة روحية لما يتضمنه من تهذيب للنفس، وجعل الناس سواسية ومتساوين، يصبغهم بشعور واحد، ومشاعر واحدة، يصومون في وقت واحد، ويفطرون في وقت واحد، وهذا له دلالة واحدة وهي المساواة والشعور بحالة نفسية واحدة، تتلبس بها النفس في مشارق الأرض ومغاربها، ويطلق في هذه الإنسانية كلها صوت الروح، يعلم الرحمة ويدعو إليها، فيشبع فيها بهذا الجوع فكرة معينة وهي تلك التي بها تحدث مساواة الغني بالفقير. ومن هنا الصوم يحدث الهدوء النفسي، ويهيئ الأرواح لتتخلص من علوقها الأرضي متجهة إلى عالم أقرب وأطهر وأسمى، متخذه لطاقتها معراجا تعرج به نحو السماء[1]، ليس هذا فحسب، بل يصف الرافعي الصوم بتعبير بليغ وبياني رائع يأخذ بالألباب، ويعطي القلب شحنة إيمانية تسري في الوجدان . هذا التعبير هو أن الصوم فقر إجباري: وفي هذا السياق فالصوم فقر إجباري لأن الرافعي يرى أن هذا الحرمان من الطعام والشراب ومن شهوات الجسد ليس المقصود منه تعذيب النفس الإنسانية أو قهرها إنما شرع لغاية اجتماعية أعظم، فهو يجعل المرء يجوع ويترك شهوته لكي يحقق المساواة والوحدة بين أفراد الأمة. إن الصوم فقر إجباري تفرضه الشريعة على الناس فرضا ليتساوى الجميع في بواطنه سواء منهم من ملك الملايين من الدنانير ومن لم يملك شيئا. ليس هذا فحسب بل هو فقر إجباري يراد به إشعار النفس الإنسانية بطريقة عملية واضحة كل الوضوح، إن الحياة الصحيحة هي التي يتساوى فيها الناس في الشعور. وتتعدد فوائد الصوم ولعل من أبرز هذه الفوائد هو وجود ألم في عملية الصوم، والذي يراه الرافعي له سر عظيم، هذا الألم النفسي والجسمي الناتج عن الامتناع عن الطعام والشراب إنما هو منشأ الرحمة؛ ولذا فإن من قواعد النفس أن الرحمة تنشأ عن الألم وهذا بعض السر الاجتماعي العظيم للصوم[2]. ويعرج الرافعي بعد ذلك للحديث عن شهر رمضان المعظم الذي له مكانة كبيرة في قلوب المسلمين، لا ينازعه في هذه المكانة أي شهر آخر، ولم لا وهو الشهر الوحيد الذي ذكر في القرآن، ونزل فيه القرآن، وبه ليلة هي أعظم ليلة من ليالي الدنيا وخير من ألف شهر، وهي ليلة القدر. ويصف الشهر بقوله: إن أيامه قلبية في الزمن، كما أن أيامه هي بمنزلة ثلاثين حبة تؤخذ كل سنة لتقوية المعدة وتصفية الدم وحياطة أنسجة الجسم. ولعل من أبلغ العبارات والوصف الجميل عند الرافعي هو الحديث عن رؤية الهلال وما له من فرحة غامرة تسيطر على النفوس، وتشيع في القلوب الفرحة، وكيف أن رؤية الهلال هي تثبيت للعزيمة وإعلاء من شأنها، واستعداد لبداية الكفاح من أجل صوم هذا الشهر الفضيل.

وفي نهاية الحديث عن الصوم عند الرافعي نرى أنه يقوي العزيمة، ويهذب النفس ويقوي الروح، ويعلم الصبر.

الصوم وتجلياته عند العقاد

لعلنا نشير هنا إلى أن العقاد كتب عن صوم رمضان وهذا الشهر في عدد رمضان من مجلة الهلال عام ١٩٥٥م.

وكتب عدة مقالات عن صوم رمضان في كتابه (الإسلام دعوة عالمية) يشير في هذا الكتاب إلى أن حكمة الصيام في الأديان الكتابية كانت محصورة في أغراض معدودة، وهي تعذيب النفس والتكفير عن الخطايا والسيئات، وتربية الأخلاق على نحو من الأنحاء. أما الدين الإسلامي فهو الدين الكتابي الوحيد الذي فرض كتابه الصيام فترة معروفة من الزمن على نحو معروف من النظام. ولا خلاف بين الأئمة أن الحكمة المقصودة بهذه الفريضة هي تقويم الأخلاق وتربيتها. ومن هنا فإن الخلق الذي يعم الأغنياء والفقراء ويستفاد من فريضة الصوم هو الإرادة، فالإرادة لازمة في كل تكليف وفي كل تبعة وفي كل فضيلة، فلا قوام للفرائض والفضائل جميعا بغير هذه الإرادة. وهي لازمة للفقير لزومها للغني[٣]. ومن هنا يصف العقاد شهر رمضان بالفريضة الاجتماعية، وأن أدبه أدب الإرادة، وحكمته حكمة الإرادة، والخلق في الدين، وأن الخلق يجب أن يكون له تبعات وتكاليف، وأن من ملك الإرادة فإن زمام الخلق بين يديه. ورمزية شهر رمضان هي أنه فريضة اجتماعية على آحاد المكلفين، وهو موعد معلوم من العام لترويض الجماعة على نظام واحد من المعيشة، وعلى نمط واحد من تغيير العادات، وليس أصلح لتربية الأمة من تعويدها على هذا النظام وتغيير العادات شهر في السنة تتلاقى فيه على سنن واحدة في الطعام واليقظة والرقاد.

الصيام التزام اجتماعي عند بيجوفيتش

يشير بيجوفيتش أن المسلمين اعتبروا الصوم خلال شهر رمضان مظهرا لروح الجماعة، ولذلك فأنهم حساسون لأي انتهاك علني لهذا الواجب، فالصيام ليس مجرد إيمان، وليس مجرد مسالة شخصية تخص الفرد وحده، وهذا التفسير للصيام كشعيرة دينية غير مفهوم عند الأديان الأخرى.

إن الصوم في الدين الإسلامي وحدة تجمع بين التنسك والسعادة، إنه مظهر من مظاهر الالتزام الاجتماعي. ويقول عن تجربته الشخصية مع الصوم إنه قضى في سجن فوتشا ذي الجدران العالية مدة ست سنوات، كان يشعر أن حالته تسوء عندما يتغذى جيدا، وأن الجوع كان يساعده على رفع المعنويات بشكل أفضل[٤]. من هنا فالصوم له أسرار عظيمة وفوائد كثيرة لعل من أبرزها هو محاولة سيطرة الروح على الجسد، ومن هنا يدعو بيجوفيتش الأمة إلى أن تتبنى تجربة الصوم في أيام معدودة، في حياتها بأسرها لكي تحقق النظام والمحافظة على الصلاة وتعلم الصبر واليقين.

الغزالي وأسرار الصوم

لعل من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين تحدثوا عن الصوم وأسراره وفضائله هو الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين في الفصل الرابع من الكتاب تحت عنوان أسرار الصوم. يقول الحمد الله الذي جعل الصوم حصنا لأوليائه وجنة، وفتح لهم أبواب الجنة وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة، وأن بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها. وفي هذا السياق يقسم الصوم إلى ثلاثة أقسام:

١- صوم العوام وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوات.

٢- صوم الخصوص: وهو كف السمع والبصر واللسان واليد وسائر الجوارح عن الآثام.

٣- صوم خصوص الخصوص: هو صوم القلب عن الهضم الدنية والأفكار الدنيوية[٥].

من هنا يتضح أن للصوم أقساما لعل أرفعها وأسماها درجة هو صوم خصوص الخصوص؛ لأن به يصوم المرء عن كل شيء ما عدا الله، ويتعلق القلب بالله، وتتطهر النفس من علائق المحسوسات. لذا يرفعه الغزالي على باقي أنواع الصوم.

الصوم دواء عند ابن سينا

ابن سينا من الفلاسفة المسلمين الذين أعطوا للصوم اهتماما كبيرا ووصفه كعلاج ودواء في بعض الحالات المرضية. فهو يرى أن الصوم عبادة بالإضافة إلى كونه علاجا ودواء أيضا، بل كان يفضل الصوم على الدواء ويقول إنه الأرخص ويصفه للغني والفقير. وكان يفرض الصوم ثلاثة أسابيع في كثير من الحالات الطبية والمرضية التي تعرض له. ويرى أن الصوم عامل مهم في علاج الجدري والزهري.

مما سبق نرى أن الصوم يمثل مدرسة روحية تهذيبية، يعمل على سمو الروح والأخلاق، ويغرس الفضائل النبيلة، ويطهر الروح والنفس، ويرتقي بهما إلى معراج أرقى من المحسوسات.

الهوامش

١- مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، دار ابن حزم، ٢٠١٧م، ص٤٤٩.

٢- مصطفى الرافعي: من وحي القلم، ص٤٥٤.

٣- العقاد: الإسلام دعوة عالمية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص١٤٥.

٤- علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، تقديم عبدالوهاب المصيري، ترجمة محمد يوسف عدس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٧٦.

٥- الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج١.



إعداد
عبدالسلام الشبراوي

المراكز الإسلامية ملاذ له

الصائم في غربته

في الغربة يصوم المسلم ليس عن المفطرات من طعام وشراب وغيرهما فقط، بل أيضا عن الأهل والجيران والبيئة التي نشأ فيها بعاداتها وتقاليدها الطيبة.

وعلى الرغم من أن بلادا أجنبية كثيرة تضم مراكز ثقافية إسلامية ومساجد، فإنك لا تستمع إلى صوت الأذان حتى وإن امتلأ المسجد بالمصلين، فتظل أجواء رمضان في الغربة ناقصة في وجدان المغتربين لا تختلف عن الأيام العادية؛ لأن وتيرة الحياة تمضي كما هي دون تغيير، فالحياة العملية للمغترب واحدة: يذهب إلى عمله أو دراسته ويعود وحيدا يعد وجبته للإفطار ويبحث عن مسجد يصلي فيه القيام شبيها بالمسجد الذي كان يصلي فيه عندما كان يعيش في بلاده، حيث لكل مسجد مذاقه الخاص، لاسيما المساجد الأثرية، التي تفوح بعبق التاريخ، ومنها مساجد مثل مسجد عمرو بن العاص في القاهرة ومسجد سلطان أبي أيوب الأنصاري في إسطنبول.

رمضان في بلاد الغرب هادئ لا صوت ولا حركة له بخلاف رمضان في بلاد المسلمين، وفرق التوقيت في أوروبا وأميركا والشرق الأقصى يخلق حياة مختلفة يصعب التكيف معها، ففي بعض البلدان تكون صلاة المغرب في الحادية عشرة مساء أو قبلها أو بعدها. وفوق كل ذلك عليك أن تتحسس ساعتك لتعرف وقت الفجر، حيث لا صوت للأذان، ولا توجد جماعة لصلاة التراويح، وما بين العاملين والمبتعثين تعددت الحكايات المؤثرة من المغتربين، خصوصا في المدن الغربية الصغيرة التي لا توجد فيها مساجد أو محال عربية فتكون أجواء رمضان شبه قاسية بعيدا عن الأسرة.

ومع كل هذا تبقى المراكز الإسلامية وما تقدمه من خدمات اجتماعية في رمضان مع اشتراطات صحية تناسب الوباء العالمي، ملاذا للمغتربين.

ففي أغلب المراكز الإسلامية اهتمام بالإفطار الجماعي وبصلاة التراويح والتهجد أيضا في العشر الأواخر من رمضان ومواصلة الأعمال الخيرية.

ولا تقتصر خدمات هذه المراكز على البرامج الدعوية، بل تتعداها إلى تقديم الوجبات المجانية للإفطار في الشوارع وتقديم الذبائح المعدة على الطريقة الإسلامية. وتتجلى المظاهر الرمضانية في بيوت الله من تكاتف المسلمين فيما بينهم، فيجتمعون على الخير، مستمعين إلى المحاضرات الدينية من خطباء أجلاء.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقـام تـشتمـل علـى اسـم الكـاتب واسـم المـؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي

صناعة الإنسان في رمضان

شهر رمضان ليس شهر عاديا مثل بقية شهور العام، وأيامه ليست كبقية الأيام؛ وإنما هو شهر له خصوصية مستمدة مما فضل الله تعالى به هذا الشهر، وما خصه من عطايا ومنح..

فهو شهر نزل فيه القرآن الكريم، رسالة الله تعالى الأخيرة للبشرية؛ فكان ذلك إيذانا بميلاد الأمة ونشوء الحضارة من بين دفتي هذا الكتاب العزيز.. وفي هذا الشهر أيضا جاءت فريضة الصيام، تلك العبادة الجليلة التي جاءت لتذكر الإنسان بحقيقة جوهره وسر تميزه، أي الروح.

فشهر رمضان شهر القرآن وشهر الصيام وشهر الأمة: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥).

وهذه الآية الكريمة من جوامع الآيات؛ إذ جمعت بين شهر رمضان والقرآن الكريم وعبادة الصيام، كما نبهت على مقصد جليل من مقاصد الإسلام وهو مقصد التيسير، والذي يتجلى في أحكام الصيام ومراعاتها حال الإنسان من حيث المرض والسفر.. كما ختمت الآية بعبادة التكبير، في إشارة إلى الذكر المخصوص بيوم عيد الفطر الذي يجيء بعد رمضان.

فمن فعل ذلك كله، فلعله أن يكون من الشاكرين. قال ابن كثير: «إذا قمتم بما أمركم الله من طاعته بأداء فرائضه، وترك محارمه، وحفظ حدوده؛ فلعلكم أن تكونوا من الشاكرين بذلك»[١].

صناعة الروح

وإذا كان لنا أن نوجز رسالة شهر رمضان، فيمكن القول إنه شهر صناعة الإنسان؛ ذلك الإنسان الذي يعرف أن له وجودا غير وجوده المادي، وأن سر تكريمه وتميزه يعود في الأساس إلى جانبه الروحي؛ أي إلى نفخة الروح، وليس إلى قبضة الطين.

فجاء رمضان أول مرة بالوحي الذي صنع الإنسان على منهج الله تعالى، مستنقذا إياه من تيه الشرك ووحل الكفر.. ثم يجيء رمضان كل عام ليذكر الإنسان بهذه الصناعة الأولى، ولينبهه إلى حقيقة وجوده في الحياة.. حتى لا ينسى الإنسان على مر الأيام وكر الدهور.

فالإنسان كما هو بنيان من طين، هو أيضا بناء من روح، وما بين الطين والروح ينبغي أن يتحقق التوازن، بل أن يسخر الطين لجانب الروح؛ لأن الطين وحده لا يقيم للإنسان بناء، بل قد يكون سببا في طغيانه وشقائه، وفي تمرده على خالقه وظلمه للمخلوقين: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨﴾ (العلق:٦- ٨).

إن الإنسان في تقلبه سائر العام، لتلبية حاجاته ومتطلبات من يعول؛ قد تشغله الحياة بزخرفها البراق، أو يجرفه تيارها بأمواجه المتلاطمة؛ فيجيء شهر رمضان ليكون شاطئ الأمان في حياة المسلم، وطوق النجاة له من المهلكات أو الملهيات.

وكم من فلسفات وأفكار انطلقت من قبضة الطين وحدها، وانشغلت بجانب المادة فقط، وزعمت أن بالخبز وحده يحيا الإنسان؛ فضلت وأضلت، وشقيت وأشقت!

أما الإسلام -وشهر رمضان وعبادة الصيام عنوان له- فيذكر الإنسان بأن الخبز وحده ليس كافيا، وأن الروح لها أشواق ينبغي أن تلبى، والنفس لها غرائز ينبغي أن تهذب: «بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه؛ فإن كان لابد فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث نفس»[٢].

إن الوسيلة ينبغي ألا تتحول لغاية، ومتطلبات الحياة على ضرورتها وأهميتها لا يجوز أن تنقلب إلى أن نقصدها لذاتها، وإنما هي مقصودة لغيرها، ووسيلة لمهمة أعلى وأشرف. وإذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة، فمن الخطأ أن يعتبرها البعض المبدأ والمعاد، أو أن يعطيها أكبر من حجمها.

وفي شهر رمضان ما أكثر نوافذ الخير التي يستمد منها الإنسان نورا لروحه، وضياء لنفسه.. ما بين صيام بالنهار، وقيام بالليل، وتهجد بالقرآن، وفعل للخيرات. إنها نوافذ للنور، ومنابع للبناء، ومحطات للتزود.. حتى يمكن لنا أن نعيد صناعة الإنسان على أوامر الله تعالى، ونوجهه الوجهة الصحيحة نحو رضا مولاه.. وما أنسب شهر رمضان لهذه المهمة الجليلة، وتلك الصناعة الثقيلة!

صناعة الأخلاق

وكما أن شهر رمضان مناسبة للبناء الروحي، وتدعيم النفخة الربانية في كيان الإنسان وحياته؛ فإنه أيضا شهر صناعة الأخلاق؛ تلك الصناعة التي تبدأ من كف الأذى عن الناس، ولا تتوقف عند الجود والسخاء وبذل المال للمحتاجين.

ففي كف الأذى كفضيلة مرتبطة بعبادة الصيام، ورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب؛ فإن سابه أحد أو

قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم»[٣].

وعن أبي هريرة أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[٤].

ذلك أن العبادات في الإسلام قائمة على الارتقاء بالروح، وتهذيب الأخلاق؛ لأن الإسلام ينظر للمرء على أنه كيان واحد، لا انفصال فيه بين النزعة الروحية والجوانب الخلقية.. تماما كما أن عبادة المرء وعلاقته بالله تعالى ينبغي أن تظهر في الأخلاق، سواء مع النفس أو مع الآخرين.. والدوائر التي يتحرك فيها المسلم دوائر متداخلة لا انقطاع بينها، بل يستفيد بعضها من بعض؛ فمن حسنت عبادته حسنت أخلاقه؛ ومن أراد التماس رضا الله تعالى فعليه بتحسين أخلاقه.. كما أن التزام الخلق الحسن سبيل للأجر والثواب، وطريق لرفعة المكانة والدرجة؛ وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار»[٥].

لكن للأسف، يسيء بعضنا لفريضة الصوم ولشهر رمضان حين يجعل منهما مبررا لانفلات أخلاقه، وتهور سلوكياته؛ حتى صار رمضان عند البعض سببا للحساسية الزائدة في التصرف والسلوك.. وما هكذا ينبغي أن نكون!

ولعل مرد ذلك يعود إلى الفهم الخاطئ للعبادة ولتضييق إطارها؛ فقد يظن البعض أن العبادة تعني مجرد التعبد وسكب الدموع، وأن إطارها محصور في المسجد.. ولو أصاب، لعلم أن خشوع القلب لا ينفصل عن استقامة الجوارح، بل إن استقامتها دليل على صدق هذا الخشوع القلبي، وصدوره عن حال نفسي مستقر وليس عن وضع طارئ ولحظات عارضة.. ولعلم أيضا أن الإسلام يوسع إطار العبادة ليشمل كل ميادين الحياة، ولا يحصرها بين جدران أربعة! قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (الأنعام:١٦٢- ١٦٣).

فينبغي أن يكون شهر رمضان بداية لصناعة خلقية تنبني على صناعة الروح وتتكامل معها؛ بحيث لا يتوقف السلوك الحسن بعد شهر رمضان، وإنما يتواصل وتزداد درجته مع رمضان الذي يليه، وهكذا.

ولهذا قال القرطبي في حديث أبي هريرة السابق: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب..»: لا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر؛ وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم»[٦].

أي إن شهر رمضان بداية ليتعود المرء الخلق الحسن، وليس أن نلتزم بالأخلاق الحسنة في رمضان فحسب.

صناعة السلوك الاجتماعي

شهر رمضان فرصة أيضا لصناعة السلوك الحسن في زاويته الاجتماعية، وليس فقط في زاويته الخلقية؛ بحيث يتعود المرء العطاء والجود، ويبذل من ماله كما يبذل من أخلاقه، ويترقى اجتماعيا كما يترقى إيمانيا.. هنا تتكامل جوانب صناعة الإنسان كما يرسي قواعدها شهر رمضان، ويكون هذا الشهر نموذجا عمليا لما ينبغي أن يكون الحال عليه بعد رمضان.

ولهذا، ندب الإسلام في رمضان إلى إطعام الطعام، وشرع زكاة الفطر؛ حتى يتصحح السلوك الاجتماعي على ضوء قيم الصيام ومقاصده. فعن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «من فطر صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا»[٧].

واختلف العلماء في معنى «من فطر صائما»، فقيل: إن المراد من فطره على أدنى ما يفطر به الصائم ولو بتمرة. وقال بعض العلماء: المراد بتفطيره أن يشبعه؛ لأن هذا هو الذي ينفع الصائم طول ليله، وربما يستغني به عن السحور. ولكن ظاهر الحديث أن الإنسان لو فطر صائما ولو بتمرة واحدة فإنه له مثل أجره. ولهذا ينبغي للإنسان أن يحرص على إفطار الصائمين بقدر المستطاع؛ لا سيما مع حاجة الصائمين وفقرهم، أو حاجتهم لكونهم لا يجدون من يقوم بتجهيز الفطور لهم وما أشبه ذلك[٨].

وأما عن السلوك العملي للنبي ﷺ فيخبرنا عنه ابن عباس رضي الله عنهما، بقوله: كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة[٩].

فبمجموع ما ذكر من رمضان ومدارسة القرآن وملاقاة جبريل، يتضاعف جوده؛ لأن الوقت موسم الخيرات، لأن نعم الله على عباده تربو فيه على غيره[١٠].

وما أكثر ما نحتاج لتغييره في سلوكياتنا الاجتماعية.. نحو صلة الرحم، وبذل الخير، وإطعام الطعام، ومساعدة المحتاجين، ونشر السكينة والطمأنينة، وإدخال السرور على الناس، وصدق الحديث، وتجنب الغيبة، وترك التباغض.. إلى غير ذلك من سلوكيات كفيلة -إذا تحققت- بأن تعيد لنا صناعة المجتمع نحو السلوك الأرقى والخلق الأقوم..

وبهذا، يكون رمضان لنا شهر صناعة للروح والأخلاق والسلوك الاجتماعي.. وهذا ما نرجوه من الله تعالى..

الهوامش

١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥٠٥/١.
٢- الآداب للبيهقي، من حديث المقدام بن معد يكرب، ١٨٩/١، (٤٦٣).
٣- رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).
٤- رواه البخاري (١٩٠٣).
٥- رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ١٢٨/١، (١٩٩). وقال: هذا حديث على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وشاهده، صحيح على شرط مسلم.
٦- فتح الباري، ابن حجر، ٤/ ١٠٤.
٧- سنن الترمذي، ١٦٢/٣، (٨٠٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
٨- شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٣٠١٥/٥، دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ.
٩- رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).
١٠- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ٧٢/١.



د.مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

رمضان شهر الرفق والتيسير

رمضان يزخر بصنوف شتى من العبادات المتنوعة، مبناها كلها على الوسطية والاعتدال، من صيام، وقيام، وأعمال البر والإحسان، وهو شهر تهذيب للنفس، وإصلاح للسلوكيات، وتزكية وطهارة للناس ظاهرا وباطنا. ورمضان شهر للتربية على تقوية الإرادة، وتنمية وتزكية الأخلاق الفاضلة وسمو الروح، وهو شهر للتدريب العملي على الرفق والتيسير، ونبذ التكلف والتشدد والغلو، وهذا هو هدي النبي ﷺ، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما (متفق عليه).

ومن قبل أن يدخل شهر رمضان والنفس تتأهب وتستعد للخوض في غمار الصيام والقيام والطاعات، والشيطان يوسوس ويخوف من الصيام وشدته، والحر وقسوته،

والذهاب للعمل أثناء الصيام؛ هواجس شيطانية تحاصر الإنسان كلما جاء رمضان، مع أن المتدبر لآيات الصيام يجد أن آيات الصيام كما أوجبت الصوم، بينت الرخص، وكان التيسير أبرز سمات أحكام الصيام.

فآيات الصيام قررت أن المريض والمسافر يباح لهما الفطر ويجب عليهما القضاء بعد ذلك، قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٤).

وفي الآية التي تليها: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥).

أما من يشق عليهم الصوم فيفدون بإطعام مسكين عن كل يوم: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٤).

لقد رافقت آيات التيسير والرفق والرحمة بالإنسان حال كونه مريضا، أو مسافرا، أو يضعف عن الصوم، آيات إيجاب الصوم وافتراضه، فالتيسير ملازم للتشريع، ورفع الحرج يتزامن مع آيات إنشاء الأحكام، ومراعاة أحوال الإنسان إذا اعتراه الضعف أبرز ما نراه في آيات التشريع، فقد قال الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء:٢٨)، وهو سبحانه يعلم ما يناسبه ويصلحه من أحكام وتشريعات، والله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، قال ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته» (رواه أحمد: ٥٨٣٢).

وهل هناك أفضل من إعلان النبي ﷺ على الملأ من أصحابه: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر». لقيامهم بخدمة إخوانهم وكانوا في سفر، فضربوا الأبنية وسقوا الركاب بينما عجز الصوام عن القيام بذلك، فدل الحديث على أن أجر الخدمة للإخوان في الغزو والسفر أعظم من أجر الصيام، وبذل العون للضعفاء والمحتاجين وخدمتهم من أفضل أعمال البر وأعظمها أجرا، وأن الفطر في السفر أولى من الصيام (فتح الباري: ٤/١٨٤).

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فمنا الصائم ومنا المفطر. قال: فنزلنا منزلا في يوم حار، وأكثرنا ظلا صاحب الكساء، فمنا من يتقي الشمس بيده. قال: فسقط الصوامون وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول الله ﷺ: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر» (صحيح النسائي: ٢٢٨٢).

وكونهم سقوا الركاب (الإبل) ليجلبوا عليها الماء، وقاموا بطبخ الطعام، وهيأوا العلف للإبل وغيرها، فذهبوا بالأجر الأكمل الوافر.

رحمة النبي ﷺ في صلاة التراويح

أما صلاة التراويح التي قال عنها النبي ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري: ٣٧، ومسلم: ٧٥٩) فإن النبي ﷺ صلاها جماعة بأصحابه ثلاث ليل، ثم تركها مخافة أن تفرض، أليس ذلك من الرحمة ورفع الحرج؟! وهو الذي سأل ربه ليلة المعراج مرارا التخفيف عن الأمة في عدد الصلوات حتى أضحت خمسا بدلا من خمسين، فعن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلى فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد، فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها، فتوفي ﷺ والأمر على ذلك (البخاري).

ورحم الله شوقي إذ يقول:

وإذا رحمت فأنت أم وأب
هذان في الدنيا هما الرحماء

من التيسير والرفق الاغتسال في الصوم

وإذا أحس الصائم بالحر أو بشدة الصوم في الحر وأراد الاغتسال فله ذلك من دون أن ينقص من أجره شيء، فعن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ «كان يدركه الفجر جنبا في رمضان من غير حلم، فيغتسل ويصوم». أما من يتشدد ويمنع التبرد بالماء في نهار رمضان زاعما أن ذلك ينقص أجر الصائم، فهو مما لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه، وكيف يقال ذلك وقد فعله النبي ﷺ وشرعه رحمة بالأمة.

ومن مظاهر الرفق والتيسير في الصيام، نهي النبي ﷺ عن الوصال: أي يصل يوما بيوم آخر، ولا يأكل بينهما شيئا. فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تواصلوا. قالوا: إنك تواصل. قال: لست كأحد منكم إني أطعم وأسقى أو إني أبيت أطعم وأسقى» (البخاري: ١٨٦٠).

الأمر بالسحور

كذلك نجد من الرحمة والتيسير عنه ﷺ حثه وأمره للأمة بتناول السحور ليتقوى به على القيام بالطاعات والعبادات من صيام وصلاة، وغير ذلك.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة» (البخاري: ١٩٢٣، ومسلم: ١٠٩٥).

ولا يهمل تناول السحور فيضعف عن الصيام، فالله تعالى يحب المؤمن القوي القادر على أداء العبادات بنشاط وحيوية، والقادر على القيام بما يناط به من أعمال ومسؤوليات، قال ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» (مسلم).

هكذا الصيام يقوم على الرحمة والتيسير والرفق، لا تكلف، لا غلو، ولا تشدد، ولا إيقاع للناس في الحرج.

النهي عن إطالة الصلاة

لقد أمر النبي ﷺ بالتخفيف للصلاة أمرا عاما، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم للناس، فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء» (سنن أبي داود: ٧٩٤).

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا. قال: فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: «يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة» (البخاري: ٧١٥٩، ومسلم: ٤٦٦).

ولما أطال معاذ بن جبل بقومه نهره النبي ﷺ بقوله: «يا معاذ، أفتان أنت. اقرأ والشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى، ونحوها» (متفق عليه، واللفظ للبخاري).

لقد كان للنبي ﷺ موقف واضح قوي أمام التشدد والتكلف والغلو، وإصرار قوي شديد على الوسطية والاعتدال والرفق، حتى لا ترهق الأمة وتقع في الحرج.

فلما جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر. وقال الثالث: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (متفق عليه).

إنه غلو وتكلف وإسراف في العبادة تأباه رسالة الإسلام، فليس الهدف من تشريع العبادات أو إهلاك النفوس، أو تعذيبها، أو حرمانها من طيبات الحياة الدنيا، بل المراد من تشريع العبادات تزكية الأنفس وتهذيبها وإصلاحها والسمو والرقي بها. والوسطية سمة بارزة تميز رسالة الإسلام في العبادات، والمعاملات، والعلاقات الاجتماعية، والعلاقات الدولية، فالوسطية والاعتدال ليستا عنوانا للإسلام فحسب بل أسلوب حياة وأخلاق أمة تميزت بها بين الأمم.

سيأتي رمضان ويمر مر السحاب سهلا هينا ميسورا، فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.



محمد الدسوقي
صحافي وباحث دراسات إسلامية

إنجاز تاريخي للدبلوماسية الإسلامية والعربية

حققت الدبلوماسية العربية والإسلامية إنجازا تاريخيا في أروقة الأمم المتحدة، ونجحت في استصدار قرارين أمميين سيكون لهما أثر كبير في نشر السلم والأمن الدوليين، والقضاء على أسباب الصراعات والكراهية والعنصرية، ودعم مكافحة الإرهاب في العالم.

يقضي القرار الأول بتخصيص يوم الرابع من فبراير من كل عام للاحتفال بالأخوة الإنسانية والعيش المشترك.

ويدين القرار الثاني جميع الاعتداءات على دور العبادة والأماكن والمواقع الدينية، ويدعو إلى تعزيز ثقافة السلام والتسامح من أجل حماية تلك المواقع.

ونحسب أن الفترة المقبلة ستشهد تكثيف الجهود لاستصدار قرار أممي ثالث ومهم يجرم الإساءة إلى الرسل والأنبياء والمقدسات الدينية، ويضمن معاقبة مقترفيها من خلال تشريعات دولية حازمة تقضي على أسباب الفتن، وتمنع ذرائع الإرهابيين والتكفيريين الذين يستغلون بعض الأحداث في ارتكاب جرائم تفسد العلاقات بين الدول، وتشوه صورة الإسلام السمحة.

ولا يماري منصف في أن أهداف تلك القرارات تنبع من سماحة الإسلام وأمنه وأمانه، وتبرز حقيقة أنه دعوة للمحبة والتراحم والتفاهم والتعاون لمصلحة البشرية كلها.

جاء يوم «الأخوة الإنسانية» حصاد تعاون جاد ومكثف استمر عدة أشهر بين البعثات الدبلوماسية العربية لدى الأمم المتحدة؛ انطلاقا من إجماع علماء الأمة الإسلامية ومفكريها ودعاتها في كثير من المؤتمرات والمناسبات على ضرورة التعاون لتخليص البشرية من معاناتها المعاصرة بتقديم الحلول الإسلامية الناجعة لمشكلاتها وقضاياها.

وهو إنجاز تاريخي يفتح صفحة جديدة

أمام العالم؛ لنشر الأمن والسلام والتراحم والتعاون والتكامل بين الناس، والقضاء على العنصرية والعنف والغلو والتطرف والإرهاب والتكفير.

فلأول مرة؛ تتحد إرادات دول العالم في آن واحد بمختلف بقاع الأرض على الاحتفاء بقيمة إسلامية، أقرها ديننا الحنيف قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، ليسبق مواثيق الدنيا كلها في تأكيد «الأخوة الإنسانية»..

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (النساء:١).

انطلاقة حضارية إسلامية

وينبغي النظر إلى يوم «الأخوة الإنسانية» على أنه ليس غاية في ذاته، وإنما بداية انطلاقة حضارية إسلامية جديدة تستند إلى «إستراتيجية» يتوافق المسلمون على أهدافها، وتسعى مؤسسات الأمة لتنفيذها في مختلف المجالات، بما يضمن تعريف العالم بالإسلام دينا وحياة وحضارة وثقافة وسلوكا.

ويضاف إلى ذلك تجديد تقديم المسلمين أنفسهم لغيرهم؛ باعتبارهم شركاء حقيقيين في عمارة الأرض، وقادرين على المشاركة في توجيه النظام العالمي إلى الأمن والسلم والحق والعدل؛ ويمتلكون الكثير مما يحتاج إليه العالم لتحقيق المصالح المشتركة للبشرية.

إن فرص النجاح أمام المسلمين كبيرة، بعد أن أصبح العالم مهيأ أكثر من أي وقت مضى للاستماع إلى صوت الإسلام وأهله؛ للتخلص من كثير من المشكلات التي يعانيها في شتى المجالات، ويبحث لها عن حلول ناجحة

قرارات أممية للأخوة الإنسانية وحماية دور العبادة

تمثل بعض كنوز الإسلام الحضارية.

حماية دور العبادة

وليس قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتعزيز ثقافة السلام والتسامح من أجل حماية دور العبادة والمواقع الدينية ببعيد في أهدافه عن غايات قرار الأخوة الإنسانية؛ فكلاهما يعزز سلام البشرية وأمنها وتعاونها.

يستهدف قرار حماية دور العبادة والأماكن الدينية الحد من تصاعد حالات التعصب الديني والتمييز على أساس العقيدة، والتصدي لدعوات الكراهية القومية أو العنصرية أو الدينية التي تشكل تحريضا على التمييز أو العنف. ويحث القرار دول العالم على اتخاذ تدابير فعالة لمواجهة مخاطر تلك الدعوات.

ولم يكتف القرار بهذا، بل تضمن شقا عمليا مهما يتمثل في تكليف السكرتير العام للأمم المتحدة بعقد مؤتمر عالمي لاتخاذ إجراءات تنفيذ خطة عمل الأمم المتحدة لحماية المواقع الدينية، التي أعدها مكتب الأمم المتحدة لتحالف الحضارات.

مهام عاجلة للأمة

لا شك في أن استجابة العالم، ممثلا في بعثاته الدبلوماسية لدى الأمم المتحدة، لهذه الحقائق الإسلامية، تضع مؤسسات الأمة الدبلوماسية والدعوية والإعلامية والثقافية وغيرها، أمام عدد من المهام العاجلة، تستهدف تصويب نظرة الآخرين إلى الإسلام وأهله ومجتمعاته، وإزالة آثار محاولات تشويه صورته، وتصحيح مسار العلاقات بين المسلمين وغيرهم.

ومن أبرز تلك المهام بيان أن الإسلام جعل المساواة أساس التكريم الإلهي لجميع البشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء:٧٠).

وتوجه الرسول ﷺ في «خطبة الوداع» إلى البشرية كلها داعيا إلى المحافظة على أرواح الجميع ودمائهم وأعراضهم وأموالهم بقوله: «أيها الناس، إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا».

وتضمن تعاليم الإسلام للبشر جميعا حقوق الحياة، والكرامة، والعدل، والحرية، والمساواة، والاعتقاد، والتعليم، والعمل، والسكن، واحترام الخصوصيات الشخصية، وغيرها.

تعزيز التعايش السلمي

وإذا كان هناك أصوات دولية حاضرة تتداعى إلى التعايش السلمي والتقارب؛ فإن للإسلام في هذا الميدان سبقا لا ينكره أحد، ذلك أن تعاليمه تستهدف إحلال السلام الشامل العادل واقعا تعيشه الإنسانية كلها، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة:٢٠٨).

فالمسلمون مطالبون، بمقتضى تعاليم دينهم، بأن يمدوا أيديهم بالسلام والبر والعدل والتعاون على الخير إلى الناس جميعا؛ قريبهم وبعيدهم أبيضهم وأسودهم؛ ما داموا يبادلونهم السلام والعدل والتعاون.

وما أحوجنا إلى «سلوك إسلامي عملي» يدرك معه القاصي والداني

سماحة الإسلام، وأنه يحمي حقوق الناس جميعا، ويحفظ كرامتهم، ويصون أعراضهم وممتلكاتهم في مساواة تامة غير مسبوقة.

ولا يخفى أنه من أبرز نتائج حرص الإسلام على كفالة الحقوق لأصحاب المعتقدات الأخرى أن غير المسلمين عاشوا قرونا طويلة في المجتمعات الإسلامية من دون أن يتعرض أحد لمعتقداتهم، أو يكرهوا على ترك دينهم.

الإسلام يحارب الإرهاب

ومن المهام العاجلة أمام أمتنا العمل على تعظيم التعاون في مواجهة الإرهاب؛ على أن يشمل ذلك إبراز عدة حقائق مهمة:

- أن الإرهاب «جريمة دولية» ولا علاقة له بالدين من قريب أو بعيد، مهما يرفع الإرهابيون من شعارات زائفة خادعة.
- أن الإسلام سبق إلى إقرار عقوبات حازمة لردع كل من تسول له نفسه الإساءة إلى أمن الوطن، والنيل من استقراره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة:٣٣).
- يجب التعاون لوقف أي دعم من أي جهة للحركات الإرهابية بالمال، أو السلاح، أو التخطيط، أو التبرير، أو التعاطف، واعتبار ذلك مشاركة آثمة في العمل الإرهابي تستوجب المساءلة والعقوبة.
- تكثيف التواصل مع مختلف دول العالم لفضح أهداف الإرهابيين، وكشف أكاذيبهم، ومحاصرتهم، وعدم توفير ملاذات آمنة لهم.
- التعاون في تفكيك الفكر الإرهابي والتكفيري، وكشف عمالة وخيانة وضلال معتنقيه، والعمل على حماية المجتمعات كافة من شرورهم.

العالم مهيأ أكثر من أي وقت مضى للاستماع إلى صوت المسلمين

تشجيع الحوار الحضاري

ولا يمكننا قصر مقتضيات وآثار هذا الإنجاز الدبلوماسي التاريخي على تلك القضايا، فآفاق التعاون المشترك بين المسلمين وغيرهم تتسع لتشمل الكثير من الأمور محل الاهتمام المشترك، كالعناية بتكوين الأسرة باعتبارها أساس المجتمع الصالح، ودعم التنشئة الصحيحة للأجيال الجديدة، وتحصينها من محاولات غزوها فكريا وثقافيا؛ سعيا لحمايتها من الوقوع في براثن الغلو والتطرف والتعصب الأعمى، ومحاولات استخدام شعارات منسوبة إلى الأديان في إشعال الصراعات، وترويج أسباب الإرهاب، وزعزعة استقرار الأوطان.

ولا شك في أن هناك حاجة إلى تشجيع الحوار الحضاري بين المسلمين وغيرهم، باعتباره من أبرز السبل لتقريب الأفكار، وتصويب مسار العلاقات، واحتواء الكثير من المشكلات التي يعانيها البشر في الوقت الراهن.

ولا يماري عاقل في أن المسلمين في أشد الحاجة إلى تصحيح المفاهيم المغلوطة عمدا وزورا عن دينهم، وإزالة التشوهات المصطنعة لتحجيم دورهم في المشاركة في بناء النظام العالمي وتوجيهه نحو التعايش في إطار الحق والعدل والسلام والمساواة.

كما لا يخفى أن المسلمين لديهم الكثير من الحلول الناجعة، والمعالجات الشافية المستمدة من تعاليم دينهم؛ لمواجهة العديد من مشكلات الغرب وأوجاعه، الأمر الذي يضمن القضاء على تلك المشكلات، ويسهم في توفير حياة كريمة للجميع.

مستجدات العصر وإنجازاته

ومن المهام العاجلة للمسلمين، من خلال الحوار مع الآخر، تصحيح صورة الإسلام وأهله في مناهج التعليم الغربية، ومحو الصورة البغيضة التي تربط بين الإسلام والإرهاب وهو منه براء.

كما يمكنهم الاستفادة من مستجدات العصر وإنجازاته العلمية والتكنولوجية التي لا تتعارض مع قيمهم ومبادئ دينهم؛ للتخلص من مظاهر التراجع العلمي والتقني والثقافي في بعض المجتمعات.

وستظل القيم الإسلامية بابا مفتوحا أمام قوى الخير والسلام في العالم؛ للتعاون مع المسلمين في تعظيم الإيجابيات، وفي مقدمتها تحقيق المزيد من النهوض بمكانة المرأة ودورها، ورعاية الشباب والطفولة، ومواجهة مروجي أسباب الكراهية العنصرية والفرقة، وصد أطماع تجار الحروب، وتشجيع مبادرات التكافل الاجتماعي؛ للقضاء على مظاهر الفقر والجوع والجهل والأوبئة والأمراض التي انتشرت في كثير من دول العالم نتيجة الصراعات والفتن، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ (المائدة:٢).

وليس أفضل من ترجمة الآمال والطموحات والأفكار إلى خطط وبرامج عملية ذات نتائج ملموسة لمصلحة الجميع.



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد

العلماء الأدباء.. والثقافة الثالثة

نال فن المقال في مصر اهتماما عريضا، وحظا وفيرا إذ إنه في مستهل القرن العشرين قد استوى على عوده، وأخذ يشق طريقه بين الأجناس الأدبية، بعد مراحل متوالية من التطور والنمو، أعقبها النضج والازدهار، فغدا هذا الجنس الأدبي باهرا جذابا، قد استجمع كل سماته التي تميزه عن فنون الأدب الأخرى، وبات وسيلة ناجزة لمجموعة من الأدباء في إبراز ما يعن لهم من أفكار، موشاة بعاطفة متقدة، وصياغة فنية رائعة، وأسلوب أدبي راق، مثلما غدا مطية لطائفة من العلماء؛ لبث زادهم المعرفي لجماهير القراء؛ بغية الاستنارة، والتثقيف، والنهوض، والارتقاء.

وقد قيض الله، سبحانه وتعالى، للعربية من جمع بين العلم والأدب فنبغ بعض العلماء الأدباء الذين حصدوا، في العلوم التجريبية، درجات علمية مرموقة، كما أنهم حازوا نصيبا وافيا من فنون الأدب، وسليقة المبدعين، وأوتوا قسطا كبيرا من فنيات كتابة المقال؛ فعزموا على تبسيط المعارف الطبيعية والتطبيقية بشكل راق، ونشرها بين طالبي الثقافة والعلم، عبر الصحف والمجلات ذائعة الصيت، واسعة الانتشار؛ بأسلوب يجمع في ملامحه وتكوينه بين سمات الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي؛ فسطع نجم ما سمي بالمقال العلمي المتأدب على أيدي أصحاب هذا اللون المقالي؛ فجاسوا خلال الحقول المعرفية والعلمية، متسلحين بخبرة أدبية، وسجية فنية، لا تقل متعة وذوقا عن الأدباء الذين تفرغوا للأدب وفنونه، وبات شغلهم الشاغل تطويع المواد العلمية بغية نقلها إلى المتلقي في صورة مستساغة؛ بإلباسها ثوبا تعبيريا موشى بجماليات الفن الأدبي.

ونجح هؤلاء النفر من الكتاب الأفذاذ في نقل المسائل العلمية المستعصية، من بطون المراجع المتعمقة؛ بلغة سهلة، وعبارات رشيقة، وأسلوب خال من التعقيد والالتواء، وبات لهم نتاج غزير أسبغوا عليه من ذائقتهم الأدبية الخصبة؛ ما أخرجه إلى السواد الأعظم من القراء بلغة أدبية

فريدة، تنأى به عن جمود العلم إلى رقة الفن، الأمر الذي أدى إلى امتلاك هذا اللون المقالي مقومات فنية خصبة؛ تكفل له الحياة الفاعلة في المشهدين الأدبي والثقافي.

الجذور العربية للأسلوب العلمي المتأدب

الأسلوب القائم على الإقناع الفكري، والإمتاع الوجداني، عن طريق الالتحام بين ما هو علمي وما هو أدبي، ليس مُنْبَت الجذور، بل تهيأت له تربة خصبة، في التراث العربي العريق، نما وازدهر وأينع في ظلالها، من خلال جماعة من الكتاب الموهوبين، جمعوا بين الثقافتين العلمية والأدبية؛ فأخرجوا كتبا هي آيات في البلاغة والبيان وحسن الصياغة، مع ما في موضوعاتها من مضامين علمية خالصة، قد يستعصي فهمها لولا السلاسة في الكتابة، والموهبة في التيسير، والبراعة في التعبير، والجاذبية في العرض، لدى هؤلاء الأفذاذ من الكتاب العلماء، الذين يفخر بهم التراث العربي المجيد، ويقول بعض الباحثين مؤكدا هذه الفكرة: «والواقع أن هذا الالتحام بين ما هو أدبي ثقافي، وما هو علمي متخصص، ليس جديدا تماما على العقل العربي، ولعل نظرة متأنية في تراثنا العربي تدل دلالة واضحة على وجود مثل هذا التكامل المعرفي، بحيث لا يجد الراصد فصلا تعسفيا بين الثقافتين العلمية والأدبية، بل سيجد أمثلة رائعة لمزج الثقافتين في بوتقة واحدة؛ ليقطر منها القارئ علما وأدبا في الوقت ذاته... وربما كان كتاب الجاحظ الذي وضعه في بداية القرن الثالث الهجري بعنوان (الحيوان) من أشهر وأوضح هذه الأمثلة، والنماذج بعد ذلك كثيرة في كل المجالات... فهذا القزويني الذي كتب (آثار البلاد وأخبار العباد) في الجغرافيا والتاريخ، هو أيضا الذي ترك لنا (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) وهناك أيضا الشيخ الرئيس ابن سينا الذي ملأ الدنيا فلسفة، وحكمة، وطبا، وعلما؛ كان له إسهام -على نحو ما- في الشعر، ويجري على سنته في ذلك -أيضا- آخر فلاسفة العرب الوليد بن رشد...»[1].

فليس غريبا أن يزخر التراث العربي بالعلماء الأدباء الذين لم يحصروا مجهوداتهم في علم من العلوم لا يتعدونه، وكذلك لم تنحصر تلك الظاهرة الكتابية -الالتحام بين العلم والأدب- عند اسم أو اسمين من هؤلاء الأعلام، وإنما كانت شبه متواترة في تراثنا المجيد، وإن كان طبعيا أن تتباين الأساليب وتختلف بتباين العلماء والكتاب إلا أن «أهم مميزات كتاباتهم الجمع بين العلم والأدب، أو الأدب ونواحي المعرفة الأخرى كالفلسفة والتاريخ، وتجد بين علمائهم من جمع بين روائع الأدب ودقائق العلم؛ كما هو الحال في كتاب الخوارزمي في الجبر مثلا... كما أن كتب البيروني إنما تبين في جلاء ووضوح تعانق الأدب والرياضيات»[2].

هذا وقد ورث فريق من الأدباء العلماء -في مصر- حديثا هذا المنهج الكتابي؛ الذي ينشر الثقافة العلمية بين القراء بلغة رقيقة دقيقة، وأسلوب سلس فياض، يقنع العقل ويمتع الوجدان؛ عندما شرعوا في نشر مقالاتهم التي تعالج القضايا العلمية، وتبسط النظريات الحديثة، بأسلوبهم الذي يمزج بين دقة العلم، وإشراق الأدب، وكانت عدتهم في إنجاز هذه الغاية؛ التسلح بخلفية علمية راسخة؛ بما حازوا من أعلى الدرجات الدراسية التي تؤهلهم للحديث عن دقائق العلم، بالإضافة إلى تمكنهم من لغة أدبية سائغة، وسلاسة في التعبير رائعة، وقدرة على تطعيم المقالات العلمية الصماء بالروح الأدبية التي ترطب جفاف العلم، بما ترسله فيها من رواء وعاطفة، وصور خيالية تثير الوجدان، وتوقظ الحس، وتنير الشعور.

ومما يجدر ذكره أنه في حقبة زمنية سالفة ظهرت دعوات، وسطرت كتابات، تدعو إلى المقارنة بين العلماء والأدباء، أو بين الثقافة العلمية والثقافة الأدبية، وأيهما أكثر نفعا وأجدى لتقدم البشرية -ولعل أول ما أشعل هذه الجذوة صدور كتاب بعنوان «الثقافتان» للكاتب الإنجليزي (س. ب. سنو)- فتعصب بعضهم للعلم، وتشدد بعضهم للأدب، واحتدم الصراع، واتسع التفاوت في الرؤى؛ مما حدا بكل فريق للتشرذم مع عشيرته، والتموضع عند ثقافته، لا يتعداها إلى الأخرى، وكان ذلك دافعا للدعوة الخالصة من قبل عدد من



النقاد، ورواد الثقافة إلى تضييق المسافة -أو جسر الهوة- بين العلم والأدب لصالح البشرية جمعاء، فليس من الخير وجود قبيلتين منفصلتين -في عالم الثقافة- كل منهما تنابذ أختها العداء، وتحقر من شأنها، وتأبى أن تقبس منها؛ ما يقيم عمادها، ويشيد بناءها، ويقوم أداءها، ويصلح من شأنها، وقد بدا أن كلا منهما -العلماء والأدباء- له ثقافته الخاصة وكل فريق يخشى الولوج إلى غريمه؛ يستطلع ما عنده من زاد ومنافع، تعود عليه -وعلى القراء- بالخير العميم «تأديبا للعلم» أو «تعليما للأدب».

الثقافة الثالثة

من أجل ذلك ظهرت طائفة ثالثة تبنت المزاوجة بين الثقافتين، والاغتراف من المحيطين الزاخرين؛ فبرز ما سمي بـ(الثقافة الثالثة)، وهي التي تجمع بين محاسن الثقافتين، وتصهرهما في بوتقة واحدة تقطر علما وأدبا، ويكون من أخص سماتها أنها تمتع وتقنع، وتشبع رغبات العقل المتطلع إلى المعرفة، كما أنها تستثير العاطفة وتحرك الوجدان، وكان أصحاب هذه الثقافة الثالثة هم العلماء الأدباء الذين مزجوا في مقالاتهم بين العلم والأدب، فحملوا عبء نشر هذا اللون المقالي في ربوع القطر المصري، بل وفي أقطار الوطن العربي جميعه[٣].

ومن هذا المنطلق فقد توافرت دعوات كثيرة -ومتكررة- إلى تبني تلك الثقافة الثالثة التي تتولى عبء تقريب المسافة بين أسلوب العلم وأسلوب الأدب، وعلى رأس من دعوا إلى ذلك أحمد أمين حين حث الأدباء على أن يتثقفوا ثقافة علمية، كما لابد أن ينهل العلماء من الثقافة الأدبية، وأوضح ما عسى أن يجني الفريقان -عندما يلبون هذه الدعوة- بقوله: «لو تثقف الأديب بعض الثقافة العلمية الواسعة؛ لامتلأ الأدب بالتشبيهات بالمعاني الحديثة... ولو تثقف العالم بعض الثقافة الأدبية العامة؛ لحسن تعبيره، ووضح مقصده»[٤].

وهذه الثقافة الثالثة هي ما قصدها د.أحمد هيكل بمصطلح (تأديب العلم) أو (تعليم الأدب) حين دعا إلى مزج الأدب بالعلم في أسلوب (علمي متأدب) أو في شكل (أدبي متعلم) وبيَّن علة الدمج بينهما؛ إذ حين يجمع الكاتب بين مادة العلم وإطار الأدب، أو بين دقة التفكير ورونق التعبير؛ فإن ذلك يكون «من أجل تخليص العلم من الجفاف وتوجيهه -كالفن- إلى سعادة الإنسانية، ومن أجل إنقاذ الأدب من الخواء، وتوظيفه -كالعلم- لرفاهية البشرية»[٥].

وقد جعل د. نبيل راغب من خصائص الكتابة العلمية الممزوجة بالعاطفة؛ ما أسماه الوجدان العلمي الذي عناه بقوله: «فإذا كان الوجدان الإنساني هذا المنجم الذي يستخرج منه الأديب مواده الخام، التي يشكلها في أعماقه الأدبية، فإن هذا الوجدان ليس شيئا دخيلا في مجال العلوم، لدرجة أن هناك ما يمكن تسميته بالوجدان العلمي... فالفيلسوف الإنجليزي كولنجوود يؤكد أن صيحة أرشميدس «وجدتها» كانت العاطفة في قمتها، وقد تجسدت في الانتصار العلمي الذي اكتشفه»[٦].

ثم دعا -راغب- بحماسة إلى رأب الصدع، وسد الفجوة المصطنعة في حياتنا الثقافية بين العلم والأدب، عن طريق كتابة رصينة، تجمع بين سمات الكتابة العلمية والكتابة الأدبية؛ لتقدم وجبة علمية أدبية معا.

وهذا المزج بين العلم والأدب الذي ينشئ الأديب العالم، والعالم الأديب، هو ما طالب به د.محمد فتحي عوض الله بقوله: «فنحن

نطالب بمزج الثقافتين؛ لعلنا نخرج بنموذج ثقافي، يشيع ويتلاءم مع حاجيات عصرنا الحديث... الآداب والعلوم هي الروح والجسد، والإنسان السعيد يأخذ من كليهما بنصيب»[٧].

فالدعوة -إذن- إلى (تأديب العلم) ليست دعوة خفيضة الصوت، محصورة في حيز ضيق، أو منزوية في ركن قصي، لا يعبأ بها، ولا سدنة لها، وإنما هي دعوة مدوية الصوت، خفاقة اللواء، ممتدة الروافد، يدعمها كوكبة من النقاد الأفذاذ، ويحمل عبء تنفيذها مجموعة من العلماء الأجلاء يحدون ركبها، ويبشرون بثمارها اليانعة التي يحصدها كل من العلم والأدب.

ومن حسن الحظ أن نشأ جيل من العلماء الأفذاذ، في مناخ ساعدهم على إثراء ثقافتهم العلمية إذ إن العلوم الحديثة قد حظيت بمجلات علمية جادة قامت لا بنقل العلوم من لغاتها إلى اللغة العربية فحسب؛ بل قامت أيضا بتبسيط هذه العلوم تبسيطا سائغا، يعين على الفهم والمتابعة، ومن هذا الجيل الرائد عرفت لغة الضاد أساتذة أجلاء، أمثال يعقوب صروف، وأحمد زكي، وعلي مصطفى مشرفة، ومحمد كامل حسين، عبدالحليم منتصر، وعبدالمحسن صالح، وغيرهم من الذين جمعوا بين الدراسات العلمية العميقة، والقدرة الفائقة على التعبير عن المادة العلمية بأسلوب عربي مشرق الديباجة «فهؤلاء الأساتذة العظام قد أدبوا العلوم، وأغنوا لغة الضاد بمئات من المعاني العربية السائغة للمصطلحات العلمية الحديثة، وبهذا فقد أفادت كثيرا المجامع اللغوية العربية، وسهلت مهمة العاملين بها في وضع الكلمات العلمية المناسبة؛ لمقابلاتها في اللغات الأجنبية، لما استجد بها من مصطلحات علمية»[٨].

وقد حاول هؤلاء -ولعلهم نجحوا- التغلب على مشاق الكتابة العلمية للجماهير بعد أن عدد أحدهم -الدكتور أحمد زكي- علة هذه الصعوبة، وكيفية المنهج الذي اختطه لنفسه سبيلا للكتابة في هذا الميدان؛ حين بين أنه ليس أشق على كاتب علمي من أن يكتب في العلم للجماهير؛ وذلك لأسباب تتعلق بالكاتب، ولأخرى تتعلق بالجمهور، ومن ثم عدد الأسباب التي تتعلق بالكاتب بأنه يجد جهدا كبيرا في التخلص من تفاصيل موضوعه -وهي ثقيلة على القراء- ولكن ضرورية للبحث، ويجد جهدا كبيرا في تخير الباب الذي يدخل منه إلى هذا الموضوع، وفي انتقاء السبل السهلة التي يجري بالقارئ فيها، ويجد جهدا في الدوران وراء المصطلحات العلمية، وهي مصطلحات خاصة؛ يعسر فهمها على السواد في جميع الأمم، ثم أوضح د.زكي الصعوبة التي تتعلق بالجمهور؛ إذ إنه مزيج من طبقات مختلفة الثقافات.

وعلى هذا فالكاتب العلمي يكتب في مواضيع غير مألوفة لقراء غير معروفين، فهو يخشى أن يرتفع فيعسر، أو ينخفض فيبتذل، وفي كلا الحالين ضياع الفائدة؛ ولهذا عزم -الدكتور زكي- أن يسلك بهذه المقالات مسلكا وسطا، بحيث تكون أشتاتا فيما هنا وهناك، وستكون عفو الخاطر، لا تزمت فيها؛ لتكون أقرب إلى تقبل الجمهور[٩].

ومهما يكن من أمر، فإن العلماء الأدباء يتناولون عموم الموضوعات التي يطرقونها -أو النظريات التي يبسطونها- عبر أسلوب ماتع شائق، لا يبعث الملل، أو يجلب الضجر في نفس المتلقي؛ بل يحفزه على التفكير والتحليل؛ لإدراك الحقائق والظواهر العلمية، التي تبرز أثناء المضمون المقالي، بالإضافة إلى مخاطبة الوجدان وإثارة العاطفة لديه، ومن ثم فإن هدفهم يتمحور في الإقناع الفكري، والإمتاع الوجداني.

الهوامش

١- فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص١٨، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٢- مقال: العلوم عند العرب: د. محمد جمال الدين الفندي، مجلة الكتاب العربي، العدد رقم ٢، ١٠ يوليو ١٩٦٤م.

٣- ينظر: الفضاء في خيال الأدباء: د. محمد فتحي عوض الله، ص٧-١١، دار المعارف. وكذلك: فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص١٣-١٧، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

٤- فيض الخاطر: أحمد أمين، ج٩، ص٢٦، مكتبة النهضة، الطبعة: الأولى مارس ١٩٥٥م.

٥- الفضاء في خيال الأدباء: د. محمد فتحي عوض الله، من تقديم الدكتور. أحمد هيكل، ص٨، دار المعارف.

٦- التفسير العلمي للأدب.. نحو نظرية عربية جديدة: د. نبيل راغب، ص٨، المركز الثقافي الجامعي.

٧- الفضاء في خيال الأدباء: د. محمد فتحي عوض الله، ص٦٣.

٨- فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص١٧.

٩- ينظر: مقال: مطالعات أشتات على هامش العلوم (١) القطط: د.أحمد زكي، ص٣٦، مجلة الثقافة، العدد ١، ٣ يناير ١٩٣٩م.



عمرو طه
قاص مصري

ليكن غرضك من القراءة اكتساب قريحة مستقلة، وفكر واسع، وملكة تقوى على الابتكار، فكل كتاب يرمي إلى إحدى هذه الثلاث فاقرأه.

مصطفى صادق الرافعي

أحسن المعرفة معرفتك لنفسك، وأحسن الأدب وقوفك عند حدك.

طه حسين

إن الأدب في لبابه قيمة إنسانية وليس قيمة لفظية.

عباس محمود العقاد

على الإنسان أن يكون رحيما، لأن الرحمة تجمع بين البشر؛ وأن يكون أديبا، لأن الأدب يوحد القلوب المتنافرة.

تولستوي

النمو الفكري والأخلاقي ليس أقل ضرورة من الإصلاح المادي، فالمعرفة زاد، والتفكير من الضرورات الماسة، والحقيقة غذاء كالحنطة نفسها، والعقل، إذا ما صام عن المعرفة والحكمة، يصاب بالهزال. فلنتحسر على العقول التي لا تأكل، كما نتحسر على المعد الفارغة.

وإذا كان ثمة ما هو أشد مضاضة من الجسد المحشرج لفقدان الخبز، فتلك هي النفس التي تموت جوعا إلى الضياء.

فيكتور هيجو

السعادة الحقيقية هي التي لا يحس الإنسان معها بوخز الضمير لأنه اغتصب حق غيره، أو لأنه أقام سعادته على أنقاض سعادة الآخرين، أو لأنه استخدم وسائل غير مشروعة في تحقيقها.

عبدالوهاب مطاوع

أ. د. عبد المنعم عبدالله حسن
الأستاذ في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالمنصورة



رمضان يا خير الشهور

رمضان يا خير الشهور
بقدومك الدنيا سرور
هذا الهلال مبارك
وضياؤه بدر البدور
والصالحات تنوعت
حول التقى فلك يدور
فالذكر يتلى ساطعا
بهداه تنشرح الصدور
والصوم عانقه القيام
وضوعفت فيك الأجور
واليسر نهج شريعة
سمحاء مرحمة ونور
فالناس في خير إذا
ما عجلوا فيك الفطور
والناس في خير إذا
ما أخروا فيك السحور
والله أرحم بالورى
سبحانه رب غفور



أحمد المنزلاوي
عضو اتحاد كتاب مصر

فوضى النقد (٢-٢)

يقول توفيق الحكيم: على النقد الفني أن يفرق دائما بين فنان في أعماله الأولى، يتلمس خطاه نحو شخصيته، وفنان عرف له طريق واتجاه. فقضية النقد للمبتدئ تتلخص في: «كيف صنع هذا؟». وقضية النقد للناضج هي: «لماذا صنع هذا؟».

الأول لم نعرف له شخصية بعد، فعلينا أن نعينه على معرفة طريقه إليها، فنناقشه؛ كيف أنتج ذلك الأثر؟ ما هي حياته؟ وما أدواته؟ وأي خطى يتأثر؟ وفي أي طريق يسير؟ وبأسلوب من تشبع؟ ولأفكار من تشيع؟

أما الثاني، وقد عرفنا شخصيته ووجهته، فواجبنا أن نبحث: لماذا أخرج هذا الأثر الأخير، ليحقق به أي جانب من جوانب شخصيته التي نعرف عنها الكثير؟ لماذا صنع هذا؟ أترى الغرض منه تأكيد فكرة من أفكاره السابقة؟ أو الرجوع عن بعض هذه الأفكار؟ أو الانحراف إلى اتجاه جديد لا نعرفه له؟ أو الخضوع لإحساس بعينه يلاحقه في كل أثر من آثاره؟ فالنقد للأديب الجديد موجه، وللأديب القديم مفسر.. ينبغي للنقد الفني أن يوجه الجديد إلى شخصيته التي لم تظهر، وأن يفسر للقديم شخصيته التي ظهرت.

الوصاية على الأدب

كثير ممن يكتبون في النقد الأدبي يكتبون من منطلق الدفاع والحمية للأدب والوصاية عليه فإذا بهم يتعصبون ويتحجرون ويعادون ويخاصمون من أجل مذاهبهم ورؤاهم، والحقيقة أن الأدب لا يحتاج إلى وصاية، ولا ينبغي التحامي له وكأنه دين، بل هو رقعة واسعة تتسع لمختلف التيارات، وشتى المذاهب، وهو جهد بشري يقبل الخلل والنقص، ولن يبلغ حد الكمال، وإن كانت قواعده حاكمة فهي ليست متحكمة، وهي قابلة للمغايرة والمبادلة، والتمسك والتخلي، والتبني، والمواجهة، والعلاقة بين الناقد والكاتب والنص لا بد أن تتحلى بالمرونة، وكما يقيس الناقد مدى التزام المبدع بالقاعدة، عليه أن يكتشف من إبداعه قاعدة جديدة يقيس عليها، هكذا الأدب يتمدد ويتجدد مع كل إبداع جديد، ويتسع النقد له ويقعد وينظر ظواهره، والكتاب كالأطفال لا يلتزمون بقواعد اللعبة؛ هم في سعي دائم لكسرها، أو الاحتيال عليها، وربما ابتكار قواعد مختلقة تخلق بدورها ألعابا جديدة.

وليس معنى ذلك أن نتخلى عن الأصول والقواعد وألا نتبنى آراء نرتضيها، لكن المقصد ألا نتحجر عليها ونحجر على غيرنا.. كذلك ننصح بالصواب الذي نراه.. لكن لا نحطم الإبداع إن خالفنا! عدم الإلمام بتاريخ الأدب ونظرياته ومدارسه.

ولعل هذا هو سبب فرض الوصاية والجمود، فالبعض ينقد الأثر الفني كما لو كان قد وجد ملقى على الأرض، لقيطا لا يعرف له أب ينتمي إليه، غير مدرك أن الأدب أسرة متحدة، وسلسلة طويلة تتسلم كل حلقة من الأخرى، ثم تسلم التي بعدها.. ومهمة النقد هي أن يربط هذه الحلقات بعضها ببعض؛ ليجعل منها هذه السلسلة الذهبية التي يزدان بها صدر الفن.

لذلك يقول توفيق الحكيم: ظهور الناقد العظيم ليس بالأمر السهل،

فللناقد صفات يجب أن تتوافر فيه، أهمها: أن يكون كفقيه القانون، بحرا عميق الاطلاع في الأدب الذي يدرسه، والآداب الأخرى القائمة، ماضيها وحاضرها، حتى يتيسر له التقدير للقيم والموازنة بين الأنواع، والتشريع للمذاهب. وأن يكون واسع الأفق، ليفهم كل الأغراض، قوي المعدة، ليهضم كل الألوان.

افتقاد روح التشجيع

لقد صار النقد مسالخ ومجازر، وافتقد السمتين الرئيستين وهي التنظيم والتفسير، فالشبان الأدباء يفتقدون تلك اليد الحنون التي تربت على أكتافهم وتشد على أيديهم، فلا ناقد يرشدهم، أو أديب يشجعهم، إننا لم نعرف (يوسف إدريس) إلا بكتابة (طه حسين) عنه، وتنبؤ (سيد قطب) بمستقبل (نجيب محفوظ) شحذ الأنفس له، وثناء (محمد عبده) على (الرافعي) جعل النفوس تشرئب له، كل منهم -غيرهم الكثير- كان يحبو ويستند إلى هؤلاء. وهو حق واجب علينا، يقول طه حسين: «وللجيل الناشئ على الجيل الذي سبقه شيء من الحق، فليفكر شيوخ الأدباء في ذلك وليحتملوا تبعاتهم، وليعلموا أنهم لا يرضون الأدب بما يكتبون فحسب، وإنما يرضونه حين يكتبون وحين يمكنون الشباب من أن يكتبوا ويقرأهم الناس ويخلفوهم على مكانتهم بعد وقت يقصر أو يطول».

فالتشجيع التشجيع، والرفق الرفق، فما الذي سيستفيده الأدب إن فر هؤلاء الشبان أو نفروا فماتت قريحتهم وخمدت جذوتهم؟ وما الذي سيخسره الناقد إن طبطب على ذلك الناشئ برفق وهو يتلمس مواضع ضعفه ويشير إلى مواطن خلله، فما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه!

وليس معنى كلامي أن ننافقه أو نجامله على حساب الأدب، لكن قد يفصل في ذلك الأسلوب، والنقد في حد ذاته ثقيل على النفس البشرية، كما الدواء للأطفال، يحتاج إلى بعض الحيل والتطعيم من أجل أن يستقيه ويشفى.

ابتذال الخطاب النقدي

وهذه ثالثة الأثافي! فكل من هب ودب يكتب في النقد الأدبي، والأولى في الخطاب النقدي أن يتناوله أساتذة الأدب ودارسوه وذوو الخبرة والحذق، هذا على مستوى من يكتب، أما على مستوى نشر المكتوب فلا ينبغي أن يتداول الخطاب النقدي بين العامة ومبتدئي القراء، إن أسوأ ما يكون هو نشر النقد على صفحات التواصل الاجتماعي، وإبرازه لكل عابر، مما يبني الحواجز ويعزز من الانطباعات ويقيم المعارك بين الأتباع، فينبري هذا يدافع عن كاتبه المنتقد، ويحتشد آخرون لمساندة الناقد، أو يعزف آخر لثقته في الناقد ولا يقرأ للكاتب المنقود ويأخذ منه موقفا، فالانطباعات الأولى تدوم كما في علم الاجتماع، طبعا لا أتكلم عن درجة التحذير التي يحتم فيها الضمير أن يكون الخطاب عاما، حتى نرفع عن كواهلنا عبء المسؤولية، لكني أتكلم عن الانطباعات والآراء والتقويمات التي لن تفيد القارئ السطحي وتضر بالكاتب في جمهوره ومستقبله.

الخطاب النقدي -شئنا أم أبينا- خطاب نخبوي، يخاطب بالدرجة الأولى الكتاب والمهتمين بالدرس الأدبي، ولا ينزل إلى مرتبة القارئ الاعتيادي، وكلنا ونحن نبحث في دراساتنا الأكاديمية لم يجد كل المكتبات تطبع النقد الأدبي، بل تميز البعض بذلك، وحتى لو نشرت كل المكتبات نقدا، فإن الخيار بيد القارئ إن شاء قرأ وإن لم يشأ لم يقرأ.. أما في الإنترنت ومواقع التواصل يظهر له قسرا ويجذبه ويستحوذ عليه، بجميع وسائل التشويق والتسويق.

إنني أربأ أن يستهلك الخطاب النقدي هذا الاستهلاك المبتذل، وأن يكون مثل الخمر ضرره أكثر من نفعه. فارتقوا به يرحمكم الله واكتفوا في تداوله على شريحة الكتاب والمبدعين.. ثم ليطلبه القارئ مختارا برغبته إن أراد.

مشاركة الكاتب دور الناقد

ولعل هذا رأيي ولا أجزم بصوابه، لكني أحبذ ألا يصطف الكاتب المبدع مصاف النقاد؛ لأن هذا سيقلل من حيادية النقد وموضوعيته، وسيعظم من الجانب الشخصي لديه، فهو خصم وحكم في الوقت نفسه، لأنه -لا محال- منافس في الساحة الأدبية، هو روائي كما الآخر روائي، وشاعر كما الآخر شاعر، وإن صوب سهما واحدا لزملائه فقد عرض جسده لآلاف السهام! لكن باستطاعته أن يكتفي برأيه ويعلنه إن أراد، فالرأي -كما قلنا- حق للجميع، يبديه الكاتب كما يبديه القارئ.

إنني وأنا أكتب يتمثل أمامي شيخ النقاد محمد مندور، هذا الرجل الذي اكتفى بدوره ناقدا ولم ينشغل بغير ذلك، ولا يحتج البعض بجيل الرواد من أمثال العقاد وطه حسين والمازني والرافعي، فإنهم كانوا يؤسسون للأدب ونقده معا، ويرفدون من كل لون ونوع من أجل أن تتمخض ولادة الأدب المصري، أما الآن وقد تم الفصل، وتمايزت الألوان، وتعددت الأضرب، وتنوعت الاتجاهات، وصار الاختصاص أساس القبول، فمن الأولى ألا يختلط هذا بذاك، وقد يشارك الناقد الكاتب ويكتب أعمالا إبداعية، لكني لا أحب أن يشارك الكاتب الناقد فيحكم على الآخرين ويقومهم.



د. موتمباي رجب
أستاذ اللغة العربية المساعد
في كلية القانون الكويتية العالمية

ظواهر في شعر أبي الطيب المتنبي

لا يفتأ شعر أبي الطيب المتنبي يلهم البحثة (جمع باحث) في القديم والحديث، فكم صنف عنه من مصنفات، وكم دارت حوله من دراسات وأبحاث، وقد صدقت فيه عبارة ابن رشيق القيرواني حينما قال: «ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس»[1]، وقديما تنبأ أبو الطيب بأن شعره سيملأ السمع والبصر، ويسير مسير المثل الشرود[2] في الآفاق، فقال:

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصموا

وتجرنا نبوءته الصادقة تلك إلى سبب تلقيبه بالمتنبي، فقد اضطربت أقوال النقدة[3] فقال بعضهم إن سبب تلقيبه بالمتنبي أنه ادعى النبوة لما كان في بادية السماوة[4] (وهي أرض بحيال الكوفة مما يلي الشام)، وآزره خلق على دعواه تلك، واتبعوه، حتى قبض عليه، وألقي به في غيابة السجن، وخلي سبيله بعد أن تاب.

ورفض طائفة من النقاد هذا الرأي، وأضربوا عنه صفحا، ورأوا أن هذا اللقب سرى إلى أبي الطيب لسبب آخر لا لادعائه النبوة، وساقوا سببا رأوا أنه أقرب للصدق، وأولى بالاعتبار.

وهو أن أبا الطيب كان من أول أمره ورعا في خلقه، لا يخرج عن حدود الوقار، وخالف أكثر الأدباء والشعراء في عصره الذين كانوا أهل لهو وباطل وشرب، حتى عدوه غريبا بينهم.

وكان أبو الطيب في أول شعره يكثر من ذكر الأنبياء، ويردد أسماءهم في شعره، ويشبه نفسه بهم، فمن ذلك قوله في نفسه:

ما مقامي بأرض نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود

وقوله في القصيدة نفسها: (البحر الخفيف)

أنا في أمة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود

فلما وقف الناس على كثرة دوران أسماء الأنبياء في شعره، وتشبيهه نفسه بهم، وما هو عليه من التعفف والتورع، أرادوا له لقبا ينبزونه به، فلقبوه بالمتنبي[5].

ومن الظواهر في شعر المتنبي امتلاؤه بالحكمة والفلسفة[6]، فكأنه يغرفها من بحر، فتجد في القصيدة الواحدة أبياتا زاخرة بمعاني الحكمة والفلسفة.

والحكمة كما يعرفها الشريف الجرجاني في التعريفات: «العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاه»[7].

ويبدو أن أبا الطيب تعلم في صغره علوم المنطق والحكمة والفلسفة، فلما بلغ أشده وظف ما تعلمه في قوالب شعرية راقية رائقة، وهذا أبو علي الحاتمي في رسالته الحاتمية يشير إلى هذا المعنى إذ يقول[8]: «ووجدنا أبا الطيب قد أتى في شعره بأغراض فلسفية ومعان منطقية، فإن كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق في درس العلوم، وإن يك ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالإيجاز والبلاغة والألفاظ الغريبة، وهو في الحالتين على غاية من الفضل وسبيل نهاية من النبل. وقد أوردت من ذلك ما يستدل على فضله في نفسه وفضل علمه وأدبه وإغراقه في طلب الحكمة»[9].

ومن أمثلة الحكمة في شعره قوله:

يـراد مـن الـقـلـب نـسـيـانـكـم

وتـأبـى الـطـبـاع عـلـى الـنـاقـل

لمحها أبو الطيب من قول أرسطوطاليس: «روم نقل الطباع عن ذوي الأطماع شديد الامتناع»[10].

ومن أبيات المتنبي الحكمية السائرة قوله:

يهون علينا أن تصاب جسومنا

وتسلم أعـراض لنا وعقول

وهو في هذا البيت قد عقد ونظم قول أرسطوطاليس: «علل الأفهام أشد من علل الأجسام».

إن الناظر القارئ لشعر أبي الطيب المتنبي يجد فيه ما يشد انتباهه ويأخذ بألبابه، ففيه يجد صورة الفارس العربي الشجاع المغوار، وفيه يلتمس حكمة الفيلسوف المجرب الذي عرك الحياة وعركته، وفيه يجد صبابة العاشق الولهان وأناته وزفراته، وفيه يرى طموح الشباب واتقاد نار حميتهم.

الهوامش

١- ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق د. النبوي شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م، ١/ ١٥٤.

٢- يقال: مثل شرود، أي سائر لا يرد كالجمل الصعب الشارد الذي لا يكاد يعرض له أحد، وينتقل من مكان إلى مكان.

٣- جمع ناقد، ووزن فعلة مطرد في جمع كل اسم فاعل صحيح الآخر، نحو: كاتب كتبة، وحافظ حفظة، وهلم جرا.

٤- انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١/ ١٢٢.

٥- هذا رأي أبي فهر محمود محمد شاكر، وقد سبقه إليه عدد من النقاد كشارحي ديوان المتنبي العكبري والواحدي. انظر تفصيل رأي محمود شاكر في كتابه المتنبي، ص:٢١٨.

٦- قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة (أبو تمام والبحتري والمتنبي) أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري.

٧- الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م، ص:٩١.

٨- الحاتمي، الرسالة الحاتمية فيما ذكره أبو الطيب المتنبي في شعره مجانسا لكلام أرسطو، منشور في مجلة المشرق بتحقيق فؤاد أفرام البستاني، ١٩٣١م، ص:٢٧٥. ومن مظان الاطلاع على الأبيات الحكمية لأبي الطيب المتنبي كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي، فقد أورد فيه جمهرة عظيمة من الأشطار الحكمية والفلسفية في شعر المتنبي، وقبلهما جمع الصاحب بن عباد الأمثال السائرة في شعر المتنبي.

٩- للدكتور إحسان عباس دراسة موسعة عن الحاتمي ورسالته الحاتمية في كتابه تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ٢٤٣ -٢٥١، فانظرها هناك متكرما.

١٠- يبدي الدكتور إحسان شكا ترددا في نسبة الأقوال التي نسبها الحاتمي إلى أرسطو طاليس، لقلة المصادر التي جمعت أقواله، على أنه يسلم أن نسبة من تلك الأقوال ثابتة النسبة إليه، على أني أضيف إلى الشك الذي أبداه الدكتور إحسان أن الحكماء العرب تصرفوا في عبارة أرسطو، وأضافوا إليه مسحة من سجع وجناس وغير ذلك مما هو من خصائص العربية حين ترجمتها، وهذا ظاهر في مثل العبارة التي نقلتها: «روم نقل الطباع عن ذوي الأطماع شديد الامتناع».



د. رمضان فوزي بديني
(دكتوراه في اللغة العربية وعلومها)

ملامح التفسير اللغوي عند ابن جزي الكلبي

عاشت الحضارة الإسلامية فترة ذهبية من تاريخها في بلاد الأندلس؛ حيث روعة الموقع الجغرافي، وسحر الطبيعة الخلابة، وجمال القصور الشاهقة؛ فتفاعل كل هذا مع عقول منفتحة على كل العلوم ونفوس متشبعة بحقائق دينها وقيم إسلامها؛ فأنتجت لنا تراثا علميا وحضارة بلغت من التقدم شأوا قل نظيره في زمانه؛ حتى أضحت قبلة للعلماء والأدباء والمفكرين والفلاسفة، وأصبحت مقصدا لبعض أبناء أوروبا المسيحية لينهلوا من علومها ثم يعودوا لبلادهم لنقل قبس من هذه الحضارة المضيئة لعلهم يمحون به بعض الظلام الذي خيم عليهم.

يقول الدكتور عبدالرحمن الحجي رحمه الله تعالى: «إن مثل هذا الجو العلمي الذي عاشه بلد الأندلس متمتعا بالخير والمعرفة الحقة ينتج شمولا في طلب العلم وكثرة من العلماء ووفرة من المكتبات واهتماما باقتناء الكتب وشغفا للاعتناء بالعلم وسعيا في طلبه».

ثم ذكر رحمه الله ثلاث ظواهر للحضارة العلمية في الأندلس وهي:

- كثرة عدد الكتب والمؤلفين في كل ميدان خلال العصور.

- الإكثار من الإنتاج لكل مؤلف وفي عدة ميادين، مع الاحتفاظ بالأصالة والعمق فهيأ ثراء في الإنتاج العلمي المتنوع الحقول وسيلا من الكتب متدفقا.

- كثرة عدد الأجزاء للكتاب الواحد، مع إنتاج الكتب ذوات

الأجزاء الكثيرة لمؤلف واحد[1].
وكان نتاج هذه البيئة الكثير من العلماء الذي ذاع صيتهم على مدى الأزمان والأماكن، ومنهم الإمام ابن جزي الكلبي، موضوع حديثنا في هذه الحلقة الذي جمع بين العلم والجهاد حيث مات شهيدا قبل الخمسين من عمره.
وفي العلم جمع بين موضوعات شتى وصنوف متنوعة، تفاعلت كلها وخرج رحيقها في تفسيره الماتع «التسهيل لعلوم التنزيل» الذي هو موضوع حديثنا في هذا المقام.

لمحة تعريفية

هو الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم.
ولد في ربيع الثاني عام ٦٩٣هـ بغرناطة حاضرة الأندلس.
وقد شاء الله تعالى له أن تكون فترته من أزهى عصور مملكة غرناطة؛ إحياء للجهاد وبعثا للعلم ورعاية لأهله، بالإضافة إلى أن أباه كان من أهل العلم والفضل، وهو ما كان له تأثيره في تأسيسه خاصة في حياته الأولى.
نقل ابن حجر أنه «كان على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد، مشاركا في فنون من عربية وفقه وأصول وأدب وحديث تقدم خطيبا ببلده على حداثة سنة فاتفقوا على فضله.
وكان قد قرأ على أبي جعفر بن الزبير وأبي الحسن بن سمعون، وقرأ على أبي عبدالله بن العماد، ولازم الحافظ ابن رشيد، وروى أيضا عن أبي عبدالله بن أبي عامر بن ربيع وأبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص»[2].
أما مذهبه الفقهي فكان من أعلام المذهب المالكي، وهو المذهب الذي انتشر في بلاد الأندلس، وله فيه تصانيف مثل كتابه «القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية». وقد ذكره ابن فرحون ضمن فقهاء المالكية في كتابه «الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب» ويقصد به علماء المالكية.

وفاته

توفي رحمه الله تعالى شهيدا، وعمره ٤٨ عاما، في موقعة طريف[3] ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٤١هـ؛ حيث فقد وهو يحرض المؤمنين ويشحذ هممهم على القتال بعد أن أبلى بلاء حسنا[4].

من كتبه

رغم قصر عمر ابن جزي، ورغم انشغاله بالجهاد والقتال مع العلم؛ فإنه ترك تراثا متنوعا في مختلف مجالات العلوم الشرعية؛ فمن مؤلفاته:
- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية.
- تقريب الوصول إلى علم الأصول.
- الفوائد العامة في لحن العامة.
- التسهيل لعلوم التنزيل.
- الأنوار السنية في الألفاظ السنية.
- وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم.
- البارع في قراءة نافع.
- فهرست كبير اشتمل على ذكر كثيرين من علماء المشرق والمغرب.

«التسهيل لعلوم التنزيل»

يعد كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» -كما يوحي عنوانه- موسوعة مسعفة في القرآن وعلومه؛ فهو ليس مجرد تفسير عادي؛ حيث ضمنه مؤلفه مقدمتين منهجيتين رائعتين، وهي طريقة قد يكون تفرد بها؛ حيث جمع بين علوم القرآن وتفسيره في مصنف واحد.
المقدمة الأولى لم تتجاوز خمس عشرة صفحة؛ لكنها حوت اثني عشر بابا في علوم القرآن؛ ففيها -كما وصفها هو- «أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة»؛ حيث عرض فيها لأسباب النزول، والمكي والمدني، والمعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، وفنون العلم التي تتعلق بالقرآن، وأسباب اختلاف المفسرين... إلخ.
أما المقدمة الثانية فهي بعنوان «في تفسير معاني اللغات». وسنشير إليها لاحقا في هذا الموضوع.
يقول ابن جزي عن موضوع كتابه: «ضمنته من كل علم من علوم القرآن اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط».

ملامح التفسير اللغوي

عرف عن المدرسة الأندلسية دورها البارز في تيسير اللغة وتذليل صعوبتها؛ ومن مظاهر ذلك مثلا أنهم تشددوا في إلغاء العلل الثواني والثوالث التي أثقلت النحو؛ حيث رأوا أنها لا تزيده إلا

تعقيدا وصعوبة.
والناظر في كتاب ابن جزي يلاحظ هذا المسلك واضحا جليا؛ حيث اعتمد على اللغة اعتمادا كبيرا في التفسير لكن بالقدر الذي يساعد في توصيل المعنى دون لبس أو تعقيد.
ويمكن تقسيم مظاهر اهتمام ابن جزي باللغة إلى قسمين؛ قسم نظري يحوي ما ذكره في مقدماته عن اللغة وأهميتها كأداة من الأدوات التي لا يسع المفسر تجاهلها، والقسم الآخر وهو القسم التطبيقي الذي انعكس في أثناء تفسيره للآيات.

الجانب التنظيري

يمكن تلخيص الموقف النظري لابن جزي من اللغة من خلال مقدماته فيما يلي:

أولا- تأكيده على أهمية اللغة للمفسر وما ينبغي عليه معرفته منها:

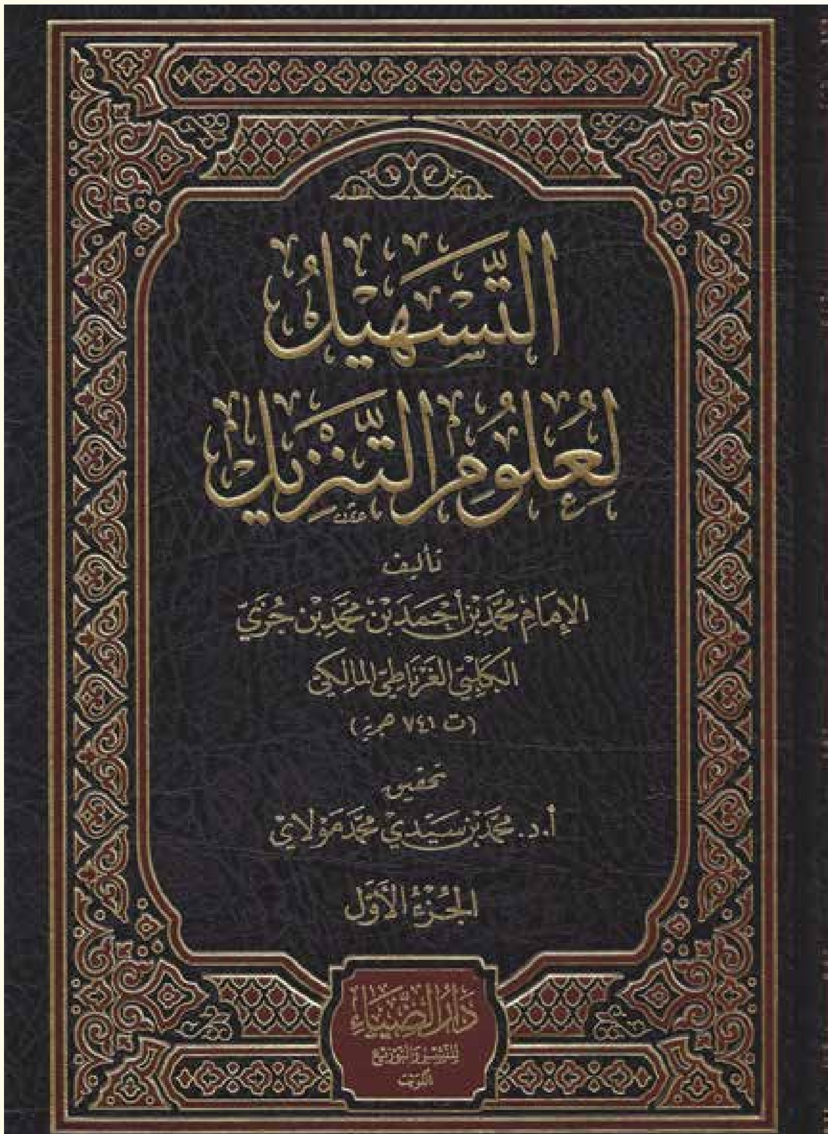
وفي هذا يقول: «وأما اللغة فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها. وهي غريب القرآن وهي من فنون التفسير. وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة»[٥]. ثم يؤكد على أهمية علم النحو بصورة خاصة قائلا: «وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته؛ فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان»[٦].

ثانيا- حديثه عن النحو بقسميه وتوضيح منهجه فيه في التفسير

اهتم ابن جزي في مقدمته بالنحو وتقسيمه حيث يقول: «والنحو ينقسم إلى قسمين:
أحدهما: عوامل الإعراب. وهي أحكام الكلام المركب.
والآخر: التصريف وهي أحكام الكلمات من قبل تركيبها»[٧].
ويوضح المنهج النحوي الذي سلكه هو في تفسيره: «وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل والمختلف، أو ما يفيد فهم المعنى، أو ما يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك يطول بغير فائدة كبيرة»[٨].

ثالثا- تأكيده على أهمية علم البيان للمفسر

بعد حديثه عن علم النحو أشار ابن جزي إلى فرع لغوي آخر لا يكتمل فهم النص القرآني ولا يظهر إعجازه اللغوي بدونه وهو علم البيان؛ حيث يقول: «وأما علم البيان فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن. وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة، ونكات مستحسنة رائقة، وجعلنا



في المقدمات بابا في أدوات البيان ليفهم به ما يرد منها مفرقا في مواضعه من القرآن»[٩].

رابعا- إشارته للغة باعتبارها أحد أهم أسباب الخلاف بين المفسرين

أفرد ابن جزي في مقدمته بابا خاصا بأسباب الخلاف بين المفسرين ووجوه الترجيح بين الآراء، ذكر فيه اثني عشر سببا للخلاف، والمتفحص لهذه الأسباب الاثني عشر، يجد منها تسعة أبواب على صلة وثيقة باللغة وفروعها؛ حيث يقول في أسباب الخلاف: «الثاني: اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات. الثالث: اختلاف اللغويين في معنى الكلمة. الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر. الخامس: احتمال العموم والخصوص. السادس: احتمال الإطلاق أو التقييد. السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز. الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال. التاسع: احتمال الكلمة زائدة. العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير»[١٠].

خامسا- اعتباره اللغة من أهم وجوه الترجيح

بعد أن ذكر ابن جزي أسباب الخلاف بين المفسرين ذكر أيضا اثني عشر وجها للترجيح بين الآراء، جعل منها ثمانية وجوه متعلقة أيضا باللغة وفنونها، وهي «الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق. السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده. السابع: أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه. الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز. فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين. وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة. وقد اختلف العلماء أيهما يقدم: فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة لأنها الأصل ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لرجحانه. وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح. التاسع: تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص. العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد. الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار. الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير»[١١].

سادسا- ربطه بين علم النحو والوقف والابتداء في القرآن

ربط ابن جزي بين أنواع الوقف والإعراب؛ حيث يقول: «الباب التاسع في الوقف، وهو أربعة أنوع: وقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح، وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى، فإن كان الكلام مفتقرا إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرا إليه كذلك لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره...» وهكذا يستطرد في ذكر أبواب من النحو وتأثيرها على الوقف حين يقول: «هذا الذي ذكرنا من رعي الإعراب والمعنى في المواقف: استقر عليه العمل، وأخذ به شيوخ المقرئين، وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات، فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفقر في النثر والقوافي في الشعر...»[١٢].

سابعا- إفراده بابا خاصا عن الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

ذكر فيه شروط الفصاحة، ثم عرف البلاغة، ثم أفرد حديثا عن البيان ومزج بينه وبين البديع؛ حيث عرف أدوات البيان بأنها «صناعة البديع، وهو تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب»، وذكر من هذه الأدوات اثنتي عشرة أداة، وقف عليها -كما ذكر- في كتاب الله تعالى؛ حيث أفرد كلا منها بالتعريف[١٣].

ثامنا- إفراده مقدمة خاصة عن «تفسير معاني اللغات»

مما تفرد ابن جزي أنه أفرد مقدمة في تفسيره تعد بمثابة معجم قرآني، تحت عنوان «في تفسير معاني اللغات»؛ حيث جمع فيها الكلمات التي يكثر دورها في القرآن، أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف، ورتبها ترتيبا ألفبائيا، وقد ذكر المعاني العامة لكل كلمة من هذه الكلمات.

وبين سبب جمعها في هذه المقدمة في ثلاث فوائد:

أولاها- تفسيرها للحفظ؛ فإنها وقعت في القرآن متفرقة فجمعها أسهل لحفظها.

ثانيتها- ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير؛ لما أن تآليف القرآن جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور.
أما الفائدة الثالثة فهي: «الاقتصار فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها».

ثانيا- الجانب التطبيقي

بعد هذه الرحلة التي وقفنا فيها على النهج اللغوي لابن جزي من خلال ما اختطه هو بيده في مقدمتيه البديعتين، نقف وقفات سريعة -حسب ما يسمح به المقام- مع الجانب التطبيقي من خلال استعراض لبعض توظيفاته اللغوية في تفسيره للآيات، ويمكن تلخيص ملامح هذا التوظيف فيما يلي:

أولا- الربط بين الإعراب والمعنى

وهذا واضح جلي في تفسير ابن جزي، ومثال على ذلك عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(البقرة:٩٦)، قال: «﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ فيه وجهان:
أحدهما: أن يكون عطفا على ما قبله فيوصل به، والمعنى أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فحمل على المعنى كأنه قال: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا، وخص الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا.
والآخر أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ما قبله، والمعنى: من الذين أشركوا قوم يود أحدهم لو يعمر ألف سنة فحذف الموصوف...»[١٤].

ثانيا- الإشارة إلى بعض الوجوه الإعرابية المتوهمة الضعيفة والتنبيه عليها

ويتضح هذا عند إعرابه سورة الفاتحة حيث يقول: «إعراب ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ بدل، ويبعد النعت لأن إضافته غير مخصوصة وهو قد جرى عن معرفة»[١٥].

ثالثا- ذكر الأوجه اللغوية الواردة في الآية الواحدة والترجيح بينها بدليل قرآني آخر

ويتضح هذا عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾(البقرة:٢٣)؛ حيث يقول: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ أمر يراد به التعجيز، ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ الضمير عائد على ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ وهو القرآن، و«من» لبيان الجنس.
وقيل يعود على النبي ﷺ؛ فـ«من» على هذا لابتداء الغاية من بشر مثله. والأول أرجح لتعيينه في يونس وهود، وبمعنى مثله في فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة»[١٦].

رابعا- اعتماده السياق لتفسير استخدام أداة أو توجيه لغوي معين

وهذا واضح جلي في قوله: «﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ إن قيل: لم قال في هذه السورة: ولن يتمنوه، وفي سورة الجمعة: ولا يتمنونه فنفى هنا بلن، وفي الجمعة بلا»؟
فقال أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير: الجواب أنه لما كان الشرط في المغفرة مستقبلا وهو قوله ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ (البقرة:٩٤) جاء جوابه بـ«لن» التي تخص الاستقبال، ولما كان الشرط في الجمعة حالا، وهو قوله: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ (الجمعة:٦) جاء جوابه بلا: التي تدخل على الحال، أو تدخل على المستقبل»[١٧].

خامسا- توجيهه للقراءات مع ميله لموقف البصريين في تضعيف بعضها

حرص ابن جزي على توجيه القراءات القرآنية توجيها لغويا، لكن لوحظ تنبيه لموقف البصريين في تضعيف بعض القراءات لمخالفتها منهجهم التقعيدي.
ويتضح هذا جليا في قراءتين تعدان من أبرز أسباب الخلاف بين البصريين والكوفيين، وهما:
الأولى: في قوله تعالى في أول النساء: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ (النساء:١)؛ حيث يقول: «والأرحام بالنصب عطفا على اسم الله أي: اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور. وهو به، لأن موضعه نصب.
وقرئ بالخفض عطف على

الضمير في به، وهو ضعيف عند البصريين، لأن الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض»[١٨].

فهو هنا ذكر تضعيف البصريين دون رد منه.

الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ (الأنعام:١٣٧)؛ حيث يقول: «وقرأ الجمهور بفتح الزاي من «زين» على البناء للفاعل، ونصب قتل على أنه مفعول وخفض أولادهم بالإضافة ورفع «شركاؤهم» على أنه فاعل بزين، والشركاء على هذه القراءة هم الذين زينوا القتل.

وقرأ ابن عباس بضم الزاي على البناء للمفعول، ورفع قتل على أنه مفعول لم يسم فاعله، ونصب أولادهم على أنه مفعول بقتل، وخفض شركائهم على الإضافة إلى قتل إضافة المصدر إلى فاعله، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله: أولادهم».

ثم يعقب قائلا: «وذلك ضعيف في العربية، وقد سمع في الشعر»[١٩].

فهو هنا تبنى رأي البصريين صراحة حتى دون نسبته إليهم.

سادسا: استنباط الأحكام الفقهية بناء على الدليل اللغوي

يعد ابن جزي من فقهاء المذهب المالكي -كما ذكرنا- ولذا فإن استنباط الحكم الفقهي من آيات الأحكام حاضر لديه بوضوح. ومن الأدلة التي اعتمدها لاستنباط بعض الأحكام الفقهية الدليل اللغوي وما تقضيه قواعد اللغة العربية من توجيهات.

ومثل على هذا ترجيحه إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء (منتصرا لمذهبه المالكي)، بناء على معنى «أو» في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء:٤٣)؛ حيث يقول: «﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم﴾ في أو هنا تأويلان»:

أحدهما: أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها.

والآخر: أنها بمعنى الواو.

فعلى القول بأنها على بابها يكون قوله: فلم تجدوا ماء راجعا إلى المريض والمسافر، وإلى من جاء من الغائط، وإلى من لامس، سواء كانا مريضين أو مسافرين، أم حسبما ذكرنا قبل هذا، فيقتضي لك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء وهو مذهب مالك والشافعي فيكون في الآية حجة لهما.

وعلى القول بأنها بمعنى الواو يكون قوله ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ راجعا إلى المريض والمسافر فيقتضي ذلك أنه لا يجوز التيمم إلا في المرض والسفر مع عدم الماء وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر.

والراجح أن تكون «أو» على بابها لوجهين؛ أحدهما أن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها وذلك ضعيف، والآخر إن كانت على بابها كان فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو لم تعط هذه الفائدة».

هذه بعض الفوائد التي سمح المقام والمقال بذكرها عن هذه الموسوعة القرآنية المفيدة، التي يجد فيها أي مسلم بغيته عن كتاب الله تعالى، بله المتخصصين والباحثين:

- اعتماد اللغة أساسا لفهم المعنى.
- المفردات اللغوية.
- موقفه من القراءات.
- التوجيه الفقهي.
- التوجيه العقدي.

الهوامش

١- دراسة الظاهرة العلمية في المجتمع الأندلسي: ٤٤.
٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني: ٥/٨٨.
٣- التقى فيها الجيش الإسلامي بقيادة السلطان أبي الحسن ملك المغرب ومعه السلطان يوسف بن الأحمر وأهل غرناطة بالجيش الصليبي بقيادة ألفونسو الحادي عشر، وانتهت بهزيمة وكارثة مدوية للمسلمين، وكانت أولى الضربات الموجعة والمؤذنة بسقوط الأندلس (موقع قصة الإسلام).
٤- السابق نفسه.
٥- التسهيل لعلوم التنزيل: ١/١٨.
٦- السابق.
٧- السابق.
٨- السابق.
٩- السابق.
١٠- التسهيل: ١/١٨ و١٩.
١١- التسهيل: ١/١٩.
١٢- التسهيل: ١/٢٣، ٢٤.
١٣- التسهيل: ١/٢٤، ٢٥.
١٤- التسهيل: ١/٩١.
١٥- التسهيل: ١/٦٦.
١٦- التسهيل: ١/٧٦.
١٧- التسهيل: ١/٩١.
١٨- التسهيل: ١/١٧٦.
١٩- التسهيل: ١/٢٧٧.

د. صلاح فضل توقة
كاتب وباحث أكاديمي



منهجية الأداء وخطط التغيير

وسائل الإعلام وتشكيل وعي المسلم المعاصر

الوعي هو النقطة الفارقة في بناء الأمم ونهضتها وقيام حضارتها وازدهارها، أو سقوطها في براثن التخلف والانحدار، وذلك لأن أداء الأفـراد ومواقفهم هما انعكاس لدرجة وعيهم، فـإذا ما أحسنت الأمم تشكيل وعي أبنائها ضمنت لنفسها مكانا على درجات السلم الحضاري للأمم.

والوعي على تعدد تعريفاته فإنه لا يخرج عن كونه اتجاها عقليا انعكاسيا يمكن الفرد من إدراك ذاته والبيئة المحيطة به بدرجات متفاوتة من الوضوح والتعقيد. ويتضمن الوعي إذن وعي الفرد بوظائفه العقلية والجسمية، ووعيه بالأشياء وبالعالم الخارجي، وإدراكه لذاته بوصفه فردا أو عضوا في الجماعة[1].

أهمية الوعي في حياة المسلمين

أولى الإسلام عناية فائقة بالوعي لأهميته في تشكيل أفكار المسلمين وتصوراتهم وتحديد الأسس والقواعد التي تنظم جوانب حياتهم وتحدد علاقاتهم بالآخر وبالكون وما فيه؛ فهذه الأفكار هي قواعد

بناء الأمم ونهضتها إذا ما كانت أفكارا صحيحة إيجابية، وقد تكون معاول الهدم ومسببات تردي الأمم وتخلفها إذا ما كانت هذه الأفكار خاطئة سلبية.

فوعي الرعيل الأول من الصحابة، رضوان الله عليهم، هو الذي صد هجمات التشكيك والاستهزاء والازدراء بالإسلام ورسوله ﷺ في بداياته الأولى؛ فالقرآن والسنة المطهرة كانا مصدري تشكيل وعي الصحابة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ (الأنعام:١٠٤)، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية:١٨)، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد:١٠).

وقد تحدث القرآن الكريم في الكثير من آياته عن الوعي والفهم والتدبر والتأمل، وكلها تؤكد على معنى الوعي وأهميته. ويعتبر قوله جل شأنه: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ (الحاقة:١٢)، هو الأقرب إلى موضوعنا هذا، فعند تفسير ابن كثير لهذه الآية نقل عن الضحاك: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ سمعتها أذن ووعت أي: من له سمع صحيح وعقل رجيح، وهذا عام في من فهم ووعى.

وورد في السنة النبوية المطهرة ما يدل على مفهوم الوعي، ففي الحديث: عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» (جزء من حديث، أحمد، الترمذي).

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «اقرأوا القرآن، فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن» (البخاري).

عن عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، ثم يفصم عني وقد وعيته، وأحيانا ملك في مثل صورة الرجل، فأعي ما يقول» (البخاري ومسلم).

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله، إنا لنستحيي، والحمد لله. قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى» (جزء من الحديث، رواه الترمذي قال: غريب)[٢].

وفي الحديث: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه» (البخاري)[٣].

فالوعي من وجهة نظر إسلامية يمثل هوية الأمة وحاضرها ومستقبلها، لأنه يشكل أفكار المسلم وتصوراته، تجاه المجتمع والعالم الذي يعيش فيه، ومثال لذلك: رد الربعي بن عامر رضي الله عنه على رستم قائد الفرس عندما سأله ما جاء بكم إلى هنا؟ فقال له: «لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة».

كما أنه يوجه ويضبط سلوكه وتصرفاته في مختلف المواقف الحياتية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦)،

وفي الحديث: عن عبدالله بن عمرو، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (البخاري).

مصادر تشكيل وعي المسلم

المعتقدات: وتتمثل في الإيمان، وهو التصديق الجازم، والإقرار الكامل، والاعتراف التام بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة، واطمئنان القلب بذلك اطمئنانا ترى آثاره في سلوك الإنسان، والتزامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه. وأن محمد بن عبدالله ﷺ رسول الله، وخاتم النبيين، وقبول جميع ما أخبر به ﷺ عن ربه جل وعلا وعن دين الإسلام؛ من الأمور الغيبية، والأحكام الشرعية، وبجميع مفردات الدين، والانقياد له ﷺ بالطاعة المطلقة فيما أمر به، والكف عما نهى عنه ﷺ وزجر؛ ظاهرا وباطنا، وإظهار الخضوع والطمأنينة لكل ذلك[٤].

القيم: «عبارة عن مجموعة المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها

الإسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكاناته وتتجسد من خلالها الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة»[٥].

الاتجاهات: وهي تمثل موقف المسلم؛ تأييدا أو رفضا، تجاه موقف أو قضية فردية أو جماعية، ويستند في موقفه هذا إلى معتقداته الإيمانية والقيمية التي تكون معيارا ضابطا وموجها لمواقف المسلم تجاه مختلف المواقف والقضايا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩).

وفي الحديث: عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» (أبوداود والترمذي).

وعي المسلم وعي متجدد

ضمنت الشريعة الإسلامية للمسلم وعيا متجددا يستوعب كل ما يدور حوله من أحداث وما يستجد من قضايا ومواقف، وذلك بأن موقفه النابع تجاهها يكون موقفا منضبطا بالضوابط الشرعية؛ تأييدا أو رفضا، إيجابا أو سلبا. ووعي المسلم على هذه الحالة يكون عاصما له من الوقوع في براثن التيارات والأفكار المنحرفة، ووعيا لا يقوم على العاطفة أو المواقف الانفعالية، أو المصالح الشخصية والفئوية، أو النظرة الجزئية المتعجلة، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ (طه:١٢٣).

وسائل الإعلام ووعي المسلم المعاصر

يشمل الإعلام جميع أوجه النشاط الاتصالية التي تعمل على تزويد الإنسان بجميع الحقائق والمعلومات المعرفية، باعتبار أن الاتصال هو قوة محركة للمجتمع بحيث يؤدي إلى حركة المجتمع حركة تفاعلية مؤثرة ومتأثرة، فالاتصال عملية اجتماعية، وتجري في بيئة معينة، تؤثر فيها وتتأثر بها، وهناك تفاعل بين الاتصال والمجتمع[٦].

والمسلمون محط اهتمام وسائل الإعلام بكل أنواعها وأشكالها، ولا نكون مبالغين إذا ما قلنا إن المسلمين؛ عقيدة وأوطانا، محل الاهتمام الأول لهذه الوسائل الإعلامية، ولا يكاد هذا الاهتمام أن يكون له مثيل في الدرجة تجاه أتباع أي ملة أخرى. ومن هنا تأتي أهمية وخطورة وسائل الإعلام في تشكيل وعي المسلم المعاصر، وكونها وسيلة سهلة أصبحت في متناول الجميع بل لا نكون مبالغين إذا ما قلنا إن وسائل الإعلام اليوم تطاردنا في كل مكان في الشارع وفي البيت، في وسائل المواصلات، وأماكن العمل والدراسة، في النوادي والمستشفيات.

فما تبثه وسائل الإعلام من برامج تعبر عن وجهة نظر واضعيها وتخدم مصالحهم في المقام الأول، فالمحتوى الإعلامي لا يقدم بصورة عشوائية أو ارتجالية، وإنما يعد بطريقة علمية مهنية، قد يشترك فيها أكثر من تخصص لتأتي ملائمة للشريحة التي توجه إليها هذه البرامج في عالمنا الإسلامي مثل البرامج الموجهة إلى الطفل أو الشباب أو المرأة....، وهي عملية معقدة للغاية، نظرا لتعدد وتنوع وسائل الإعلام؛ مقروءة ومسموعة ومرئية، فضائية وإلكترونية، وهذا يجعلها تقدم كما كبيرا ومتنوعا من المعلومات التي تثير العديد من القضايا التي تطول الجوانب العقدية والشرعية، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهذه كلها تقدم نماذج معرفية تحتل وعي الإنسان المسلم، وبالتالي يكون لها دور في تحديد مواقف تجاه المواقف والقضايا الواقعة في

حياته، في بما يساهم في إعادة صياغة الوعي وتشكيله، وقد تزيح هذه النماذج المعرفية التي يكونها عقل المسلم المعاصر من خلال ما يتلقاه من معارف ومعلومات تبثها له وسائل الإعلام، ثوابته العقدية والقيمية، مثال ذلك: التعامل مع القرآن الكريم والسنة المطهرة على أنهما من قضايا التراث القابلة للنقد والتمحيص، وتبني خطاب تجديد وتنقية التراث وهي دعوة خبيثة للطعن في القرآن والسنة النبوية المطهرة.

تبني قضايا الشواذ ودعمها على أنها حق من حقوق الإنسان.

تبني قضايا المرأة المسلمة وفقا للتصور الغربي في الوقت الذي يرى فيه أن الإسلام ظلم المرأة.

تبني القضايا السياسية ذات الصبغة الطائفية والعرقية التي تساهم في إذكاء الصراع الداخلي والصدام مع الدولة.

تبني المذاهب الهدامة واعتناقها مثل الإلحاد، واللادينية.

طريقة وسائل الإعلام في إعادة تشكيل الوعي: منهجية الأداء وخطط التغيير

تغيير الوعي لا يحدث فجأة أو بين عشية وضحاها، وإنما تقوم وسائل الإعلام بتقديم جرعات مكثفة من الأفكار عبر برامجها ومنتجاتها الإعلامية، لا سيما أفلام الكارتون، يكون من نتيجتها أن تكون هذه الأفكار هي الإطار المرجعي الأول والأقوى من بين كل مصادر تشكيل الوعي التي ذكرناها من قبل. وبتغيير الإطار المرجعي تتغير بالتبعية معه المعتقدات والقيم والاتجاهات التي تشكل وعي الإنسان المسلم، ولعل هذا يفسر لنا تذبذب وتغير مواقف البعض من قضايا الإسلام والمسلمين بين الماضي والحاضر.

وهنا يطرأ السؤال: هل يقاطع المسلم وسائل الإعلام لحماية وعيه من الغارة الفكرية الممنهجة التي تشنها هذه الوسائل على عقيدته وثوابته؟!

الإجابة بالتأكيد: لا يقاطع؛ لأن المقاطعة تنم عن الضعف وعدم القدرة على المواجهة.

ولكن كما ذكرنا من قبل، إن وعي المسلم وعي متجدد منفتح منضبط بضوابط الشريعة، فينبغي للمسلم ألا يعرض نفسه للشبهات وألا يسترسل في ذلك بدعوى الاطلاع على فكر الآخر، لا سيما إذا كان غير مؤهل شرعيا للرد على ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء:١٤٠).

وفي الحديث: عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني» (أحمد).

ومن جهة أخرى يجب دعم الإعلام الإسلامي بكل أنواعه، ودعم المنتجات الإعلامية، لا سيما الموجهة إلى الأطفال والشباب والمرأة، ليكون إعلامنا هو الأقوى تأثيرا والموجه لوعي المسلمين.

وتشكيل مجموعات علمية لرصد ما يثار من قضايا وما يبث من أفكار في وسائل الإعلام، وتكون بدرجة من الخطورة على وعي المسلمين، وإعداد الردود عليها وإزالة ما يثار من شبهات.

الهوامش

١- أحمد طاهر مسعود، المدخل إلى علم الاجتماع العام، ط١، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١١م، ص:١٠٣.

٢- حسن إسناده النووي في «المجموع»، (١٠٥/٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٤٥٨).

٣- جزء من حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه.

٤- عبدالله بن عبدالحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٤هـ، ص:١٣.

٥- علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢م، ص:٣٤.

٦- طه عبدالعاطي نجم، علم اجتماع المعرفة، ط١، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.

مريم ثروت
كاتبة صحافية





الألعاب الإلكترونية.. بين البناء والهدم

في الآونة الأخيرة انتشرت ألعاب الفيديو بشكل كبير، فأصبحنا نرى الصدى الواسع والترحاب الكبير الذي تلقاه هذه الألعاب ليس فقط من قبل الأطفال بل المراهقين الذين يقضون جل أوقاتهم أمام شاشات الحاسوب بحجة التسلية والترفيه وكأنه لا يكون إلا بهذه الألعاب التي تدمر أكثر مما تعمر وتهدم أكثر مما تبني وتؤثر بشكل سلبي على صحة أبنائنا البدنية والنفسية والعقلية، الأمر الذي جعل من الأهمية أن نتناول هذا الموضوع بشيء من الحذر والحيطة ونجعل أمام أعيننا قول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (رواه البخاري ومسلم).

أما عن ظهور ألعاب الفيديو فقد ظهرت قبل ما يقارب الثلاثين عاما وكانت حينها وسيلة تسلية بسيطة تعتمد على الرسوم المتحركة، حيث كان يلجأ إليها الأطفال بهدف قضاء الوقت فيما يسليهم ويمتعهم ولكن لم تكن بهذه الجاذبية التي نراها عليها الآن فمع تقدم السنوات تطورت هذه الألعاب بشكل سريع على جميع المستويات خاصة على المستوى التقني وأصبحت أقرب الى العالم الحقيقي بسبب المحاكاة والتفاعل وما نراه من التأثير الصوتي والبصري والحركي إضافة الى تنوع الألعاب وتعددها بطريقة جذبت إليها الكثيرين لدرجة الإدمان الذي أثر على صحتهم النفسية والبدنية والعقلية وما زاد الأمر تفاقما هو غياب الرقابة والمسؤولية.

وقد ظهرت دراسات عديدة تحذر من هذه الألعاب الإلكترونية وذلك بسبب الإفراط في استخدامها وكثرة مكوث الطفل أمامها وبينت هذه الدراسات بعضا من أضرارها وهي:

- أضرار صحية: حيث إن كثرة جلوس الطفل أمام شاشات الأجهزة الإلكترونية تؤثر على صحة العين مما يسبب إجهادها والإصابة بقصر النظر، وأيضا يؤدي ذلك إلى إصابة العمود الفقري، فضلا عن آلام الكتفين والرقبة ومفاصل اليدين وكذلك يؤثر على التركيز فيصاب الطفل بضعف الانتباه وقلة التركيز مما يؤثر على التحصيل الدراسي، ليس هذا فحسب بل قد يؤدي إلى إصابة الطفل بالسمنة الناتجة عن قلة الحركة.

- أضرار نفسية وسلوكية:

١- لجوء الطفل إلى ممارسة الألعاب يوميا وبشكل كثيف يؤثر على تفاعله مع الآخرين فيقل اختلاطه بأسرته وأقرانه ويميل إلى العزلة والانطواء.

٢- انشغال الطفل بهذه الألعاب يؤثر على ممارسة الأنشطة الأخرى التي تنمي مهاراته مثل رياضة كرة القدم، السباحة، الرسم،..

٣- تؤدي بعض هذه الألعاب إلى العنف والعصبية الزائدة والتي تجعل الطفل أكثر عدوانية فيصبح خلقه ذميما، وسلوكه عنيفا، وغير محبوب وسط أقرانه.

٤- يصاب الطفل بالتوتر والقلق الدائم مما يؤثر على صحته النفسية وقد



يتطور الأمر إلى إصابته بالاكتئاب.

٥- قد تحتوي العديد من ألعاب الفيديو على عنف مفرط وألفاظ نابية فيقوم الطفل بمحاكاة نفس السلوك والتلفظ بهذه الألفاظ السيئة سواء أمام والديه أو إخوته وأقرانه دون أن يشعر بسوء ما فعله.

وعلى الرغم من ذلك فالألعاب الإلكترونية سلاح ذو حدين فبعض الدراسات أثبتت أن لها فوائد لتنمية العقل وخاصة ألعاب الذكاء حيث تعمل على تحسين مستوى الفهم وتطور المهارة الإدراكية وذلك لأنها تنسق العلاقة بين يده وعينه وتنمي الذاكرة وسرعة التفكير وتساعدهم على اتخاذ قرارات سليمة وسريعة كما تعلمهم كيفية الدفاع عن النفس.

وبناء عليه فهناك بعض النصائح والإرشادات التي ينبغي أن يراعيها كلا الأبوين للمحافظة على أبنائهما من خطورة إدمان هذه الألعاب الإلكترونية، وإليكم بعض منها:

١- تحديد وقت معين خلال اليوم لممارسة الألعاب، حيث إن تخصيص وقت معين للطفل لممارسة ألعابه الإلكترونية يحد من إدمانه لهذه الألعاب ويسمح له بتنظيم وقته بين ممارسة ألعابه واستذكار دروسه.

٢- تشجيع الطفل على ممارسة بعض الأنشطة الأخرى كالرياضة والرسم والقراءة، لأن ذلك يخلق طفلا سليما معافى في بدنه وفكره، مبدعا، ملهما.

٣- جلوس أحد الوالدين مع الطفل أثناء اللعب وتفاعلهم معه بل مشاركته في بعض الألعاب، حيث إن ذلك يساعد في خلق جو من الود بين الطفل ووالديه ويساهم في بنائه تربويا كما أنه لا يكون فريسة سهلة لهذه الألعاب.

فقد أظهرت دراسة حديثة أجراها باحثون بجامعة «واشنطن» الأميركية أن الألعاب الإلكترونية والتطبيقات الرقمية الموجهة للأطفال والتي تشتمل على محتوى مصمم بعناية لدعم التفاعلات بين الوالدين والطفل لها القدرة على تطوير كفاءة الطفل وشخصيته وخياله وتجربته النفسية والتفاعلية.

٤- تنوع الألعاب بين الإلكترونية وغير الإلكترونية للحرص على التواصل الإيجابي بين أفراد الأسرة، وأيضا تزيد ثقافة الطفل وتوسع مداركه.

٥- العمل على اكتشاف مواهب الطفل وتنميتها مثل (الرسم - التمثيل - الإنشاد - الإلقاء - التأليف).

٦- الرقابة على الألعاب حتى تكون مناسبة لأعمارهم وعدم السماح لهم بممارسة الألعاب التي تحمل طابع العنف، حتى يصبح سلوكهم سويا غير عدواني.

وقد أجرى الباحث خيسوس بوجول من مستشفى ديل مار في برشلونة دراسة حديثة تبين أن ممارسة الأطفال لألعاب الفيديو أكثر من ٩ ساعات أسبوعيا تشكل خطرا عليهم، وقد شملت ٢٤٤٢ طفلا تتراوح أعمارهم بين (١١،٧) عاما وكشفت الدراسة وجود علاقة بين المدة التي يقضيها الطفل في ممارسة الألعاب والمشكلات السلوكية لديه وصراعه مع نظرائه وتقليل مهاراته الاجتماعية.

وفي الوقت نفسه كشفت الدراسة أن ممارسة ألعاب الفيديو لمدة ساعة أو ساعتين في الأسبوع ترتبط بتحسين المهارات الحركية وبعض القدرات الإداركية لدى الأطفال، ويقول الدكتور بوجول: «إن ممارسة ألعاب الفيديو ليست جيدة ولا سيئة على الإطلاق وإنما الفترة التي يقضيها الطفل في ممارسة الألعاب هي التي تحدد النتيجة».

وخلاصة.. نقول: إن أطفالنا اليوم هم شباب المستقبل وهم أمل الأمة وعمادها وحصنها الحصين، فإذا وجهنا بعض جهودنا إليهم وكفلناهم بالرعاية والاهتمام من جميع الجوانب كالجانب البدني والديني والترفيهي والنفسي لوجدنا أنفسنا أمام جيل مثقف واع متحضر جيل يعمر ولا يخرب، يبني ولا يهدم، يحرص على أمته أكثر من حرصه على نفسه، وعلى العكس من ذلك فإذا أهملناهم وتركنا لهم الحبل على الغارب أصبحوا وباء على أنفسهم وعلى أمتهم. نسأل الله العافية.

د. مصطفى البعزاوي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
وجدة/ المغرب



إرث المرأة بين الشرائع السابقة والإسلام

من المعلوم أن الإرث ليس مقصورا على المسلمين، بل عرف عند غيرهم قبل الإسلام من اليهود والنصارى، وعرب العصر الجاهلي.

والملاحظ أن مجمل نظام الإرث عند غالبها: حرمان النساء والصغار، وبعضها يحرم الأقارب جميعا، ويجعل أموال الميت لمن أوصى له بها، وهذا ما عليه كثير من النصارى في هذا العصر[١]، وقد يكون الموصى له غير قريب، أو يكون بهيمة ككلب ونحوه.

وبهذا يتضح أن هذه النظم حرمت المرأة من حقها الشرعي، فتقطعت أواصر الصلة بين أفراد الأسرة الواحدة وسائر الأقارب.

ومن المناسب هنا أن نلقي نظرة على ما كان عليه ميراث المرأة قبل الإسلام، ليتبين مدى عظمة الإسلام وعدالته على النحو الآتي:

أولا: إرث المرأة في الثقافة اليهودية

يتميز نظام الميراث عند اليهود بحرمان الإناث من الميراث، سواء كانت أما أو أختا أو بنتا أو غير ذلك إلا عند فقد الذكور، فلا ترث البنت مثلا إلا في حال انعدام الابن، أما الزوجة فلا ترث من زوجها شيئا مطلقا[٢].

ولا غرو في هذا، لأن طبيعة اليهود حب المال حبا جما إلى درجة الحرص على عدم ذهاب شيء من مال الميت منهم إلى غير أسرته بفروعه وأصوله، حتى تحتفظ الأسرة بأموالها فيما بينها، ومن أجل هذا كله ظلموا المرأة من جهة حقها في الميراث.

ثانيا: الرومانية

إن المرأة عند الرومان كانت تساوي الرجل فيما تأخذه من التركة مهما كانت درجتها، أما الزوجة، فلم تكن ترث من زوجها المتوفى، فالزوجية عندهم لم تكن سببا من أسباب الإرث، حتى لا ينتقل الميراث إلى أسرة أخرى[٣].

ثالثا: المسيحية

إن الميراث عند المسيحيين لم يعرض له في الإنجيل، لأن المسيح حينما أرسل قام يدعو إلى جلاء الإيمان الحقيقي والمحبة معلنا أنه لم يجئ لنقض الناموس اليهودي وإنما ليكمله. والديانة المسيحية تعنى بالجانب الروحي والأخلاقي، لذا اتبع المسيحيون القدامى في تنظيم مواريثهم ما كان يجري عليه العمل في شريعة اليهود والنظم السابقة.

رابعا: المرحلة الجاهلية

إن المرأة في العصر الجاهلي لم تكن ترث من قريبها شيئا مهما كانت درجة القرابة، ولا ترث من زوجها شيئا، فهي ممنوعة من الميراث أما أو بنتا أو أختا أو زوجة فضلا عن الصبيان، وحال لسانهم: لا يعطى إلا من لاقى الحروب، وقاتل العدو، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف، وحاز الغنيمة.

ومن سمات فكرهم في الإرث ما يلي:

١- وأد البنات سدا لجلب العار فأولى أن تمنع من الميراث.

٢- التوريث بسبب الحلف والتبني.
فالحلف يتجلى في كون الرجل في الجاهلية يقول لصاحبه: «دمي دمك، وهدمي هدمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك»، فإذا تم هذا ومات أحدهما قبل صاحبه كان للحي ما اشترط من مال صاحبه.

بل أكثر من ذلك كانوا يرثون النساء كرها، بأن يأتي الوارث، ويلقي ثوبه على أرملة أبيه ثم يقول: ورثتها كما ورثت مال أبي. فإذا أراد أن يتزوجها تزوجها بدون مهر، أو زوجها من أراد، فمنعت الشريعة الإسلامية هذا الظلم حين نزل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء:١٩).

وفي حالات قليلة كان منهم من يورث الإناث ويسويهن بالذكور في النصيب كما هو الحال عند قدماء المصريين والرومانيين.

خامسا: نظام الإرث في الإسلام

استمر نظام التبني برهة في صدر الإسلام، فقد أعتق النبي ﷺ زيد بن حارث وتبناه، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِـَٔابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب:٥).

وبعد بيان إرث المرأة في الثقافات ما قبل الإسلام، فما المقارنة بين الدين الإسلامي وباقي الأنظمة السابقة؟

والجواب على هذا السؤال نجده فيما يلي:

إن الذي تولى أمر تقسيم التركات هو الله عزوجل.

إن الإسلام أنصف المرأة ورفع من شأنها، فقد كانت قبل الإسلام لا تنال شيئا من الإرث بل تورث كما يورث المتاع. فلما جاء الإسلام أنصفها ورفع الظلم عنها، وجعلها تزاحم الرجل في الميراث بنصيب مفروض، كما قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء:٧).

إن الإسلام لم يهمل حق القرابة كسبب من أسباب الإرث، لأن المرء يقوى بقرابته، ويأنس بها في حياته.

حقق معنى التكافل العائلي، فلا يحرم ذكرا ولا أنثى، لأنه مع رعايته للمصالح العامة يراعي مبدأ الوحدة في النفس الواحدة، فلا يميز جنسا على جنس إلا بقدر أعبائه.

فهذه الخلاصات تجسدها شهادات مفكري الغرب، نسوق بعضا منها على سبيل التوضيح:

تقول «آني بيزنت» (كاتبة بريطانية توفيت في العام ١٩٣٣م) في كتابها الأديان المنتشرة في الهند: «إن قاعدة الإرث في الإسلام للمرأة، أكثر عدلا وأوسع حرية من ناحية الاستقلال الذي يمنحها إياها القانون المسيحي الإنجليزي وما نسبه الإسلام للمرأة يعتبر قانونا نموذجا إذ تكفل بحمايتها في كل ما تملك من أقاربها وأزواجها..»

فبهذه المقارنة يتبين لنا بجلاء، أن نظام الإرث في الإسلام نظام متكامل شامل لكل القضايا الأسرية، وبشكل أخص المرأة باعتبارها كائنا له دور فعال في الإسهام مع الرجل في بناء المجتمع، مما يوافق حركة السعي والنشاط في الجماعات البشرية، ولا يعوقها عن التقدم الذي تستحقه بسعيها ونشاطها.

فضلا عما سبق، فإن المتأمل في مسألة تشريع الميراث للمرأة يجد لذلك حكما كثيرة نورد منها:

١- التأكيد على إنسانية المرأة وأنها شقيقة الرجل، وأنها أهل للاستحقاق والتملك كالرجل تماما، ولفظ الإنسان عام يشمل الذكر والأنثى على حد سواء.

الهوامش

١- الميراث في الشريعة الإسلامية د. ياسين درادكه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٢٦.

٢- الميراث العادل في الإسلام بين المواريث القديمة والحديثة ومقارنتها مع الشرائع الأخرى لأحمد محيي الدين العجوز، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م، ص:٢٤.

٣- فريضة الله في الميراث للدكتور عبدالعظيم الديب، دار الأنصار للطباعة - الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، ص:٨.



شيماء لطفي
باحثة تربوية

تأصيل مكانة المرأة



جاء الإسلام والمرأة مهدرة الحقوق وضيعة المكانة لا تستشار في أمر ولا يؤخذ برأيها في مسألة حتى ولو كان الأمر يخصها ويتعلق بحياتها ومستقبلها، كان هذا هو المنهج السائد والطريقة المتبعة في التعامل مع المرأة قبل الإسلام، بل ذهب الأمر إلى حد أبعد من ذلك، فبلغت إهانة المرأة أن اعتبروها سقطا من متاع البيت يورث كما يورث المتاع فإن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه، فإذا مات وترك امرأته فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها، وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهم أحق بنفسها. أي مهانة تلك التي تعامل المرأة على هذا الأساس وتحجب عنها حقها بهذه الصورة المستبشعة؟!

جاء الإسلام والحال هذه فرفع مكانة المرأة وجعلها شريكا للرجل، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ (آل عمران:١٩٥)، وقال النبي ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال» (صحيح الجامع)، فالمرأة نظير للرجل ومشاركة له في الأحكام المشتركة بينهما.

إعلاء الإسلام من شأن المرأة

لقد أعلى الإسلام من شأن المرأة ورفع من قدرها وأنزلها المكانة اللائقة بها فرد إليها ما سلبته الجاهلية من حقوقها وأهدرته من كرامتها، فجعل لها نصيبا في الميراث، ورأيا في زواجها وارتباطها برجل تكمل معه مسيرة حياتها، وتبني معه مستقبلها، وتنشئ معه أسرة تكون فيها صاحبة رأي ومشورة، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن أبي زوجني ابن أخيه يرفع بي خسيسته، فجعل الأمر إليها، قالت: فإني قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء» (أخرجه النسائي وأحمد).

فانظر إلى أي حد بلغت الجرأة بهذه الفتاة أن تفعل فعلها هذا وهي التي كانت بالأمس القريب مصدر عار ومدعاة فقر يعد العربي نصرها بكاء وبرها سرقة فيسرع إلى وأدها في الترب وهي على قيد الحياة أو يمسكها على هون وذلة، والقرآن يصور هذا المشهد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل:٥٨)، فإذا بها اليوم بعدما أحدثه الإسلام من تغيير في النفوس تقف هذا الموقف أمام أبيها فترفض أمره وترد قراره وتطعن عليه أمام النبي ﷺ، والغريب أن هذا الأمر منها لم يكن عن رفض تام وإنما أرادت هذه الفتاة التي نضج عقلها في ظل الإسلام وتعاليمه أن توصل رسالة وتوضح حكما عاما للأمة كلها، مطالبة بحقها معلمة للرجال ألا يسلبوا المرأة حقها ويحجروا عليها، وللنساء ألا يدعن حقا شرعه الإسلام لهن أو يتنازلن عنه.

نساء خلد القرآن ذكرهن

وقد حدثنا القرآن عن نماذج من النساء إقرارا بفضلهن، وجعلهن مثلا يحتذى للعالمين، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن

﴿فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ (التحريم:١١-١٢)، فهؤلاء نساء أقام الله بهن دينه ونصر بهن شرعه وجعل منهن نبراسا يضيء للعالمين.

إن المرأة قد تبلغ من رجاحة العقل ما يفوق كثيرا من الرجال ذوي العقول الطائشة، ويحفظ الله برجاحة عقلهن بيوتا من الانهيار، بل أمما وممالك من الضياع والسقوط، وفي قصة ملكة سبأ نبأ ذلك، فالمرأة عملت بمبدأ الشورى وطرحت أمر الرسالة التي وصلتها من نبي الله سليمان عليه السلام على مائدة البحث والتشاور مع قادة دولتها سعيا للوقوف على مدى جاهزيتهم واستعدادهم للمواجهة، ثم تفتق ذهنها عن فكرة كانت عاصمة لدولتها من الانهيار والدخول في حرب غير مأمونة العواقب: ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾ (النمل:٣٤-٣٥)، كان هذا اختبارا منها لمسلك سليمان عليه السلام، هل هو ملك يبحث عن الاستعلاء في الأرض وسلب الناس أمنهم وحقوقهم، أم هو نبي يسعى لدخول الناس في رحاب الهداية والنور الذي جاءه من عند الله؟! فإن كانت الأولى فالمواجهة هي الحل، وإن كانت الثانية فلا سبيل للمواجهة والوقوف في وجه الحق بل الإذعان والرضوخ والاتباع لهذا النبي، وهكذا هداها تفكيرها إلى الدخول في دين الله والإسلام له سبحانه، فعصمت بذلك قومها في الدنيا من الهلاك وفي الآخرة من عذاب الله: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (النمل:٤٤).

وفي صلح الحديبية تعرض المسلمون لشدة رأى بعضهم أنها قد انتقصت من حقوقهم ومنعتهم من توجههم إلى بيت الله الحرام وفرضت عليهم شروطا جائرة من قبل المشركين، قبلوها على مضض وغضاضة، وابتلعوها على ازدراء، ثم كان منهم أمر كاد أن يكون فيه هلاكهم حين تقاعسوا عن تنفيذ أمر الرسول ﷺ حين طلب منهم قبل عودتهم إلى المدينة أن يحلقوا رؤوسهم ويذبحوا الهدي تحللا من الإحرام فلم يفعلوا، فكررها ثلاث مرات، فلم يقم أحد منهم فدخل على «أم سلمة» رضي الله عنها غاضبا قائلا: «هلك المسلمون»، وأخبرها ما حدث، وكأن الله تعالى جعل الحل لهذه الغمة على لسان امرأة، راجحة العقل، هي أم المؤمنين أم سلمة زوج النبي ﷺ؛ حيث ردت قائلة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك.. فخرج رسول الله ﷺ فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بيده ودعا حالقه فحلقه.. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق لبعض حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما[1].

قال ابن إسحاق: فحدثني ابن عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال: حلق رجال يوم الحديبية وقعد آخرون، فقال الرسول ﷺ يرحم الله المحلقين. قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلقين. وكررها ثلاث مرات، وفي الثالثة قال ﷺ والمقصرين.

ثم انصرف رسول الله ﷺ عن وجهه قائلا، حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح وفي هذه السورة البشرى العظيمة: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣﴾ (الفتح:١-٣) ففرح لها قلب النبي ﷺ وأصحابه فرحا شديدا مكافأة لهم على صبرهم الذي كان نتيجة لحسن رأي «أم سلمة»؛ فهي امرأة تربت في أحضان الإسلام فأعطاها الله سبحانه وتعالى الرأي الحكيم والفكر السديد، وأخذ الرسول ﷺ برأي زوجته في أمر من أشق الأمور اعترافا بسداد رأيها وحكمتها ورشدها.

وهكذا حول الإسلام حال المرأة وغير نظرة المجتمع إليها وأنزلها المكانة اللائقة بها ورد إليها حقوقها التي كانت ضائعة من قبل، فهي الأم والزوجة والبنت، وهي المعلمة والطبيبة والمربية والحاضنة، وإذا أعطاها المجتمع حقوقها التي أقرها لها الإسلام فسيعود هذا بالأثر الطيب والنفع على كل الأصعدة التربوية والنفسية والاجتماعية.

الهوامش

١- تفسير ابن كثير- سورة الفتح- الآية ٢٦.



كلثوم باسعيد
باحثة دراسات إسلامية

ذم الظلم وأهله والتحذير منه

نزه الله تعالى نفسه عن الظلم، وحرمه على نفسه، ولا يريده، فقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر:٣١)، وحرمه بين خلقه، فقال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[١].

فهو -سبحانه- جمع صفات الجلال بلا ظلم؛ وهو -سبحانه- المنتقم بعدل، والجبار بلا ظلم، والمتكبر بحق.

ورغم ذلك، فإن ظلم الإنسان لنفسه أو لغيره أمر قار في طبعه، أصيل في خلقته؛ يظلم نفسه بالمعصية وترك شكر النعم[٢]، ويظلم غيره بالتعدي والبغي وهضم الحقوق؛ لذا على كل أسرة أن تربي أبناءها على الابتعاد عن الظلم وألا يكونوا ظلومين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم:٣٤).

قال الماوردي: «إن في طباع الناس من حب المغالبة على ما آثروه، والقهر لمن عاندوه، ما لا ينكفون عنه إلا بمانع قوي، ورادع ملي.

وقد أفصح المتنبي بذلك في قوله:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فإن
تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء: إما عقل زاجر، أو دين حاجر، أو سلطان رادع، أو عجز صاد»[٣].

وقال ابن قيم الجوزية: «من قال: الأصل في الناس العدالة كلام مستدرك، بل العدالة طارئة متجددة، والأصل عدمها؛ فإن خلاف العدالة مستنده جهل الإنسان وظلمه، والإنسان خلق جهولا ظلوما؛ فالمؤمن يكمل بالعلم والعدل، وهما جماع الخير، وغيره يبقى على الأصل، أي: فليس الأصل في الناس العدالة ولا الغالب»[٤].

ويؤكد الفكرة نفسها فيقول: «الإنسان خلق في الأصل ظلوما جهولا، ولا ينفك عن الجهل والظلم إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه، ويلهمه رشده، فمن أراد به الخير علمه ما ينفعه، فخرج به عن الجهل، ونفعه بما علمه فخرج به عن الظلم، ومتى لم يرد به خيرا أبقاه على أصل

الخلقة»[٥].

ونفى الإنسانية عن الظالم الراغب الأصفهاني فقال: «ومن خرج عن تعاطي العدل بالطبع والخلق والتخلق والتصنع والرياء والرغبة والرهبة، فقد انسلخ عن الإنسانية»[٦].

و«الظلم: وضع الشيء في غير موضعه الشرعي»[٧].

والظلم قبيح فعله، مذموم أهله، سيئة عاقبته.

والظلم والاستبداد مفسدان للدنيا والدين؛ قال محمد الغزالي: «إن الاستبداد كان الغول الذى أكل ديننا ودنيانا»[٨].

والظالمون غير محبوبين من الخلق والخالق: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آل عمران:٥٧)، وبتعديهم على الخلق فقدوا نصرة الخالق وتأييده: ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (فاطر:٣٧)، وحرمهم هداية التوفيق والسداد والرشاد: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:٢٥٨)، وأوعدهم بعدم الفلاح: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الأنعام:٢١)، والطرد من رحمة الله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (هود:١٨)، والإهلاك: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ (الحج:٤٥)، وبالعذاب الأليم في الآخرة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (الزخرف:٦٥)، ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الحشر:١٧)، وهم عند سكرات الموت يهانون ويضربون: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام:٩٣)، وهم غير آمنين في الآخرة: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ (الشورى:٢٢)، ودعا ربنا إلى عدم الميل إليهم: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ (هود:١١٣)، وترك مجالستهم: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنعام:٦٨)، ودعا موسى ألا يكون معدودا فيهم وألا يسلك مسلكهم فقال تعالى حاكيا مقولته: ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأعراف:١٥٠)، ودعا سبحانه لأخذ الاعتبار بما وقع لهم: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (يونس:٣٩).

والظلم ظلمات على صاحبه؛ فعن جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»[٩].

وربنا قد يمهل الظالم لعله يعود، لكن إن لم يعد فإنه «إذا أهلكه لم يرفع عنه الهلاك»[١٠]؛ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود:١٠٢)[١١].

وكان النبي ﷺ في أدعيته دائم الاستعاذة بالله من الظلم؛ فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم»[١٢].

وقد أمر المسلمين بذلك؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة وأن تظلم أو تظلم»[١٣].

والظلم على أنواع ذكرها النبي ﷺ حينما قال: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يغفر، وظلم لا يغفر؛ فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم

الذي يغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يتركه فيقص الله بعضهم من بعض»[14].

يقول ابن القيم في تلك الأنواع: «والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئا، وهو الشرك به؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به، وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضا؛ فإن الله تعالى يستوفيه كله، وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل؛ فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوا؛ فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك؛ فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها»[15].

والقضاة ظلمهم متعلق بحقوق العباد، وإن لم يردوها في الدنيا لأصحابها ويستحلوهم منها، فإنهم ينتظرهم الوقوف بين يدي الله مع خصومهم فيأخذوا من حسناتهم حتى يستوفوا حقوقهم منهم، أو يتخففوا من سيئاتهم ويتحملها عنهم القضاة الظلمة.

يقول ابن تيمية: «وظلم الناس بعضهم بعضا لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه، لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها، ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم»[16].

والقاضي الظالم قد فقد معية الله، وأصبح الشيطان ملازما له؛ فعن عبدالله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان»[17].

وكلما كانت كفة العدل عند القاضي راجحة عن كفة الجور والظلم فطريقه إلى الجنة أقرب، والعكس بالعكس؛ فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار»[18].

والقاضي الجائر أو السائر في ركاب الظلمة أو المحب لهم كلهم سواء؛ قال ميمون بن مهران: «الظالم والمعين على الظلم والمحب له سواء»[19].

وبئس العاقبة عاقبة القاضي الظالم وكل من يعدو على العباد؛ قال الشافعي: «بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد»[20].

الهوامش

١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، ١٩٩٤/٤م، برقم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر، عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى.
٢- انظر: معالم التنزيل، البغوي، ٣٥٤/٤، وتفسير البحر المحيط، أبو حيان، ٤٦٨/٥.
٣- أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص:١٣٤.
٤- بدائع الفوائد، ابن القيم، ٧٩٠/٣.
٥- إغاثة اللهفان، ابن القيم، ١٣٦/٢-١٣٧.
٦- الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني، ص:٢٥٤.
٧- فتح الباري، ابن حجر، ٩٥/٥.
٨- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، محمد الغزالي، ص:١٥٧.
٩- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، ١٩٩٦/٤م، برقم (٢٥٧٨).
١٠- فتح الباري، ابن حجر، ٣٥٥/٨.
١١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، ٧٤/٦، برقم (٤٦٨٦).
١٢- أخرجه أحمد في مسنده، ٤١٨/١٣-٤١٩، برقم (٨٠٥٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم.
١٣- أخرجه أحمد في مسنده، ٥٧٠/١٦-٥٧١، برقم (١٠٩٧٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.
١٤- أخرجه الطيالسي في مسنده، ص:٢٨٢، برقم (٢١٠٩)؛ والبزار بنحوه في مسنده، ١١٥/١٣، برقم (٦٤٩٣)، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٦٣٠/١٠: رواه البزار عن شيخه أحمد بن مالك القشيري ولم أعرفه، وبقية رجاله قد وثقوا على ضعفهم، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٥٦٠/٤.
١٥- الوابل الصيب، ابن القيم، ص:٢٤.
١٦- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٧٨/٧.
١٧- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في الإمام العادل، ٦٠٩/٣، برقم (١٣٣٠)، وقال: قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عمران القطان، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٦٦/٢.
١٨- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأقضية، باب: في القاضي يخطئ، ٢٩٩/٣، برقم (٣٥٧٥)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، ص:٢٨٥.
١٩- مساوئ الأخلاق، الخرائطي، ص:٢٧٩.
٢٠- تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٤١١/٥١.



وليد الزواري
باحث قانوني
تونس

التأصيل القانوني والتماسك النصي (٢-٢)

عرضنا في مقال سابق إيجازا لعلم الأصول، وبعد هذا العرض يتجه القول إلى أنه أولى برجل القانون أن يعنى بهذا العلم ويأخذ نفسه بدراسة قواعده استدلالا عليها وتطبيقا لها على نهج من تقدمه من الأئمة، وهي مادة مهمة يجدر أن تدرس بكليات الحقوق لأهميتها في تنمية الملكة القانونية لطالب الحقوق وهذا ما دعا إليه أساتذة أجلاء في تونس أمثال أحمد بن طالب في مقاله الرائع «فقه القانون المدني اليوم» الذي أكد أن منهج مجلة الالتزامات والعقود هو منهج مميز يقوم من مزاوجة بين منهج الشرح على المتون وأصول الفقه والقواعد الفقهية الكلية، «فهو يعتمد أدوات الشرح على المتون من تفريق بين غموض النص وسكوته وشرح لفظي وقصدي وبحث عن مراد واضع القانون (الفصل ٥٣٢ م.ا.ع) وحكمة التشريع (الفصول ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨ م.ا.ع) واستعمال القياس (الفصل ٥٣٥ م.ا.ع) وتمييز المبدأ عن الاستثناء (الفصل ٥٤٠ م.ا.ع) وتمحيص التشريع النافذ من التشريع المنسوخ (الفصل ٥٤٢ م.ا.ع)...

ويكرس بجانب ذلك وفي الآن ذاته قواعد أصولية تستوعب جانبا من المفردات المنهجية المذكورة كالشرح اللغوي والقياس ودوران الحكم مع علته (حكمة التشريع) والنسخ، ويضيف إليها العموم والخصوص (الفصلان ٥٣٣ و٥٣٤ م.ا.ع) والتيسير والترجيح بالاستحسان (الفصل ٥٤١ م.ا.ع) وبطلان المنهي عنه (الفصل ٥٣٩ م.ا.ع) واعتبار العرف والعادة (الفصلان ٥٤٣ و٥٤٤ م.ا.ع) والاستصلاح (الفصل ٥٥٧ م.ا.ع) والاستصحاب (الفصل ٥٦٢ م.ا.ع)... وقائمة طويلة ذكرية من القواعد الكلية للفقه الإسلامي تحت تسمية القواعد العامة للقانون»[١].

وعليه دعا أحمد بن طالب إلى ضرورة إدراج مادة أصول الفقه وشرح القواعد الأصولية في برنامج التدريس في كليات الحقوق والمعهد الأعلى للقضاء[٢].

كما أكد أحمد بن طالب تواتر القواعد العامة للقانون في فقه القضاء واعتماد الكثير من غير المكتوب منها بالرجوع إلى أصول الفقه ومجلة الأحكام العدلية خصوصا[٣].

كما أكد عبدالمنعم العبيدي على ضرورة تدريس علم الأصول؛ لأنه يساهم في تنمية الملكة القانونية «لأن قواعد هذا العلم موازين لفهم العبارة العربية وصحة تفسيرها ومعرفة المراد منها. وما دام القانون ينشر باللغة العربية فهو، بالضرورة، يخضع في تفسيره لهذه القواعد أو للعديد منها على الأقل»[٤].

وأهمية هذه القواعد هي التي جعلت محمد صالح العياري في كتابه «مجلة الالتزامات والعقود في ضوء متغيرات العصر ومستجداته الحضارية» يقترح إدراج العديد منها، حيث يقول إنه «كان مفيدا لو اشتملت الفصول المتعلقة

بالقواعد الكلية على القواعد الكلية التالية:

- تطلق عبارة النص على بنيته اللفظية المكونة من تركيب مفرداته وجمله.
- إذا كان لبعض مفردات النص معنى لغوي ومعنى اصطلاحي يحمل اللفظ على معناه الاصطلاحي ما لم يدل سياق النص على استعمال المشرع للفظ في معناه اللغوي دون معناه الاصطلاحي.
- تطلق كلمة منطوق النص أو حرفية النص على المعنى المتبادر فهمه من عباراته ويكون هو المقصود في مجال سياقه.
- تطلق كلمة دلالة النص على المعنى المستفاد من روحه بطريقة معقولة، سواء أكانت استفادة المعنى من طريق مفهوم الموافقة أو من طريق مفهوم المخالفة أو من طريق إشارة النص أو من طريق إيمائه.
- إذا لم يوجد نص قانوني صريح اعتبر القياس وإلا جرى الحكم بمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية والعرف وقواعد العدل والإنصاف على الترتيب:
- لا قياس في موضع النص.
- لا قياس مع قيام الفارق إلا إذا كان الفارق غير مزيل للتماثل بين الأصل والفرع.
- يجمع في الحكم بين المتماثلين لاتحاد العلة فيهما.
- ويفرق بين المختلفين لتعاكس العلة فيهما...
- تخصيص أمر بالذكر ليس نفيا لما عداه فيما أريد من ذلك التخصيص ما لم يصرح القانون بخلاف ذلك.
- التابع تابع لا يفرد بحكم.
- يجمع بين المختلفين في الحكم لاشتراكهما في سببه.
- العمد والخطأ في أموال الناس سواء.
- إعمال الكلام أولى من إهماله.
- الأصل حمل الكلام على معناه الحقيقي ولا يسار إلى المجاز إلا إذا كان الحمل على المعنى الحقيقي متعذرا.
- إذا احتمل النص معنيين يؤثر ما يجعل النص ذا أثر على ما يتركه عديم الأثر.
- المعروف عرفا كالمشروط شرطا.
- التعيين بالعرف كالتعيين بالنص.
- الممتنع عادة كالممتنع حقيقة.
- الأصل في الأمور العارضة العدم.
- المعدوم حكما كالمعدوم حسا.
- المشقة تجلب التيسير.
- الضرر يزال مهما تقادم حدوثه.
- الاضطرار لا يبطل حق الغير.
- درء المضار أولى من جلب المنافع.
- لا ضرر ولا ضرار.
- الجواز الشرعي ينافي الضمان.
- المطلق من النصوص يحمل على المقيد عند اتحاد الحكم فيهما.
- يرجع في مفهوم النصوص وتفسيرها وتأويلها ودلالتها إلى قواعد أصول الفقه الإسلامي[٥].

كما خصص عبدالمجيد الزروقي كتابا كاملا لأصول الفقه أسماه «أصول الفقه - مسار عملية استنباط القانون الإسلامي (منهجية الفقه) وفلسفته» بين فيه أهمية مادة أصول الفقه[٦].

يساهم أصول الفقه في التأسيس المنهجي للعقلية العلمية لطالب الحقوق التي تبنى على الدليل والبرهان، ولذلك فهو «علم لا يستغني عنه رجال الفقه والقانون، والقضاة ممن يرومون تحاشي السطحية في فهم وتفسير النصوص وتكييف الوقائع واستنباط الأحكام»[٧].

رجل القانون يحتاج إلى هذا العلم، لأن القواعد والأصول التي قررها علم أصول الفقه، مثل مباحث الكتاب والسنة، والإجماع والقياس، وبقية المصادر المختلف فيها، كالاستحسان، وسد الذرائع، والمصالح المرسلة، والعرف، بالإضافة إلى القواعد الأصولية لتفسير النصوص، وطرق دلالة الألفاظ والعبارات على معانيها، ووجود هذه الدلالة، وقواعد الترجيح بين الأدلة، كل ذلك وغيره تلزم الإحاطة به من قبل طلبة الحقوق من أجل الوصول إلى تفسير القوانين ومعرفة ما انطوت عليه من أحكام وطرق استنباط، فهي تكسبه ملكة النقد والتقويم، والمقارنة بين الأدلة والموازنة بينها، كما تعلمه أدوات الترجيح بدليله وشروطه[٨].

فمن الصعب على شراح القانون الوصول إلى عمق النصوص للحصول على قصد المشرع لبيان هذا القصد وإيصاله إلى ذهنية الطالب القانوني، أو تقديم تسهيلات إيضاحية للقضاء قصد تطبيق القانون، ما لم يكن هؤلاء الشراح مسلحين بسلاح قواعد أصول الفقه، وكذلك من الصعب على طلبة القانون في الدراسات العليا التخلص من ظاهرة السطحية المتفشية في معالجة الأمور المتعلقة بموضوع البحث ما لم يستعينوا بقواعد وقوانين أصول الفقه[٩].

لأهمية علم أصول الفقه قامت بعض الدول غير الإسلامية بترجمته وتدريسه في كليات القانون، وهو حاليا يدرس في جامعة هارفرد في أميركا، وقد تمت قبل زمن ترجمة رسالة

الإمام الشافعي في أصول الفقه إلى اللغة الإنجليزية لتدريسها في كليات القانون[10].

وإذا كان أصول الفقه يبين مناهج الوصول وطرق الاستنباط، فإن الفقه يستنبط الأحكام في ضوء المناهج التي يبينها علم الأصول، ويطبق القواعد التي قررها، وكلاهما يساهمان في تكوين المجتهدين، وشحذ ملكات الفهم، والتحليل، والتركيب، والقياس، والنقد والمقارنة والترجيح وتقوية ملكة الاستدلال، والاحتجاج والاستنتاج[11].

كما يساعدان رجال القانون على فهم الوثائق والنصوص القانونية بطرق سليمة، وتفسيرها تفسيرا دقيقا، فيعرفون منطوقها ومفهومها، وعمومها وخصوصها، ومطلقها ومقيدها.

وصفوة القول إنه لا يمكن الحديث عن الإبداع القانوني والتماسك النصي من دون الحديث عن أصول الفقه والفقه وضرورة تمكن رجال القانون من هذه المواد المهمة جدا.

كما أن جهابذة القانون ومدرس القانون الرائع والباحث الجيد هم من لهم القدرة على تنظيم المعلومات التي يريدون نقلها إلى الطالب أو القارئ، تنظيما منطقيا له معناه ومدلوله، مرتبا أفكاره ترتيبا متسلسلا[12] في أسلوب علمي رصين، بعيد عن الغموض والإطالة، «فالعالم بالشيء وحده لا يكون باحثا بالمعنى الحديث... ذلك أن المقدرة على التنظيم أمر لا يستهان به ولا يستغنى عنه، وما كل امرئ يستطيع تبويب المادة، وتوحيد أجزائها ووضع كل منها في مكانه اللائق به بقدره المناسب، بعد طرد ما هو تافه وخارج عن الموضوع.

وإنك الآن تبني، وتكون من موادك الخام عمارة، ولا بد أن تكون مهندسا بارعا ليجيء عملك متناسقا، مترابطا، متكاملا من دون زيادة هنا، أو نقص من هناك ومن دون اضطراب، أو تفكك»[13].

ليس من المبالغة في شيء أن يقال: إن التخطيط لبحث عملية هندسية لتنسيق مباحثه، والتلاؤم بين أجزائه، وإظهار ما يستحق منها الإبراز، والتركيز، فالباحث كمهندس معماري، يهتم بالتركيبات، والقطاعات فيما بينها، كما يهتم بالشكل الخارجي، وإنما يتميز مهندس عن آخر كما يتميز باحث عن آخر بلمساته الفنية، والتلاؤم بين الأجزاء، في صورة متناسبة، وعرض أخاذ[14].

البحث عن التناسق والتلاؤم بين الأفكار هو عنوان كل نص جيد يستطيع إيصال الفكرة بسهولة[15].

هذا بصفة عامة، أما النص القانوني بصفة خاصة فيتطلب اتساقا وتلاؤما أكثر لأن دلالته لا تقتصر في شأن من أصدره وإنما هي دائما تتعدى إلى الغير.

الهوامش

١- أحمد بن طالب، فقه القانون المدني اليوم، مقال منشور بكتاب المسائل في فقه القانون المدني المعاصر، أعمال ملتقى نظمته وحدة البحث «قانون مدني» بكلية الحقوق والعلوم السياسية بتونس، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، ٢٠١٤م، ص:١٩-٢٠.

٢- أحمد بن طالب، المرجع السابق نفسه، هامش ٢٢، ص:٢٠.

٣- انظر: أحمد بن طالب، القواعد العامة للقانون في فقه القضاء محكمة التعقيب، في خمسين عاما من فقه القضاء المدني ١٩٥٩-٢٠٠٩م، مركز النشر الجامعي، ص:١٤٥.

٤- عبدالمنعم العبيدي والحبيب الصياحي، شرح القواعد العامة للقانون، مرجع سابق، ص:٢٩.

٥ - محمد صالح العياري، مجلة الالتزامات والعقود في ضوء متغيرات العصر ومستجداته الحضارية، طبعة أولى، سنة ١٩٩٧م، ص:٧٠ وما بعدها.

٦- عبدالمجيد الزروقي (مدرس بكلية العلوم القانونية والسياسية والاجتماعية في تونس)، أصول الفقه - مسار عملية استنباط القانون الإسلامي (منهجية الفقه) وفلسفته، مجمع الأطرش للكتاب المختص، طبعة ٢٠١٧م.

٧- انظر: مصطفى إبراهيم الزلمي، أصول الفقه في نسيجه الجديد، شركة الخنساء للطباعة المحدودة، العراق، طبعة ٩، ص:٤.

٨- انظر: جمال الديب، أهمية تدريس علمي الفقه وأصول الفقه في كليات الحقوق، حوليات جامعة الجزائر ١، العدد ٣٣، الجزء الأول، مارس ٢٠١٩م، ص:٤٦٦ وما يليها.

٩- المصدر السابق نفسه، ص:٤٧٤.

١٠- مصطفى إبراهيم الزلمي، أصول الفقه في نسيجه الجديد، مرجع سابق، ص:١٣-١٤.

١١- جمال الديب، أهمية تدريس علمي الفقه وأصول الفقه في كليات الحقوق، مقال سابق، ص:٤٨٠.

١٢- انظر: الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، مكتبة الرشد، بيروت، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٥م، ص:٣٧-٣٨.

١٣- الطاهر علي جواد، منهج البحث الأساسي الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م، ص:٤٢-٤٨.

١٤- عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، المرجع السابق، ص:٥٥.

١٥- Produire un texte écrit est défini par jean-paul bronckart comme la capacité a» réaliseer une unité de production véhiculant un message linguistiquement organisé et tendant a produire sur son destinataire un effet de cohérence».



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث







سلسلة الأعلام المتشابهة (٥٥)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الشرقاوي):

١- الشرقاوي (ت: ١٢١٤هـ)

هو أحمد بن إبراهيم بن عبدالله الشرقاوي المصري الشافعي، الفقيه الأديب، من مدرسي الأزهر الشريف بالقاهرة، خلف أباه في ذلك، وتصدى للإفتاء وحل قضايا مراجعيه، وكان جسيما فصيحا، اتهمه الفرنسيون بالتحريض على الثورة بمصر عليهم، وقتلوه في قلعة القاهرة ولم يعرف قبره.

من مصنفاته: (نحور الحور العين المقصورات على شرح الملوي على السمرقندي) في الاستعارات، و(الوسيلة في نظم أسماء الله الحسنى)[1].

٢- الشرقاوي (ت: ١٢٢٧هـ)

هو عبدالله بن حجازي بن إبراهيم







الشرقاوي الأزهري، الفقيه الأصولي المحدث النحوي، من علماء مصر. ولد في الطويلة (من قرى الشرقية بمصر) سنة: (١١٥٠هـ)، وتعلم في الأزهر، وولي مشيخته سنة: (١٢٠٨هـ). من مصنفاته: (التحفة البهية في طبقات الشافعية)، و(تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين)، و(الجواهر السنية على العقائد المشرقية)، و(فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي)، و(فتح القدير الخبير بشرح تيسير التحرير) في فقه الشافعية، وغير ذلك، توفي في القاهرة[٢].

٣- الشرقاوي (ت: ١٢٦٤هـ)

هو عبدالرحمن الصفتي الشرقاوي، أديب وشاعر مصري.

من مصنفاته: نظم جمعه تلميذه محمد عياد الطنطاوي وسماه: (تلاقي الأرب في مراقي الأدب)، توفي شهر رمضان[٣].

٤- الشرقاوي (كان حيا سنة: ١٢٦٧هـ)

هو محمد عكاشة الشرقاوي، الشبراويني.

من مصنفاته: (شرح الدرة السنية في الأدعية النبوية)، و(الصلاة على خير البرية)، كلاهما له فرغ من تأليفه في الخامس من جمادى الآخرة سنة: (١٢٦٧هـ)[٤].

٥- الشرقاوي (ت: ١٣١١هـ)

هو سالم باشا بن سالم الشرقاوي، طبيب مصري، من العلماء الباحثين. ولد في (القنيات) غربي الزقازيق سنة: (١٢٤٨هـ)، ودخل الأزهر، وتعلم الطب في عدة جامعات، وعاد إلى مصر بعد أن غاب نحو ست سنين، فتقلب في مناصب متعددة، وناب عن الحكومة المصرية في المؤتمر الطبي بالقسطنطينية سنة: (١٨٦٦م)، ثم جعل رئيسا للمدرسة الطبية في القاهرة، وطبيبا خاصا للخديوي محمد توفيق.

من مصنفاته: (رسائل الابتهاج في الطب الباطني والعلاج)، و(دليل المحتاج في الطب والعلاج)، و(الينابيع الشفائية والمياه المعدنية)[٥].

٦- الشرقاوي (ت: ١٣١٥هـ)

هو عبدالحميد بن إبراهيم الشرقاوي، خطيب منبري مصري، من العلماء بالنحو.

من مصنفاته: (ديوان الخطب الحميدية)، و(تسهيل الفوائد) حاشية في النحو، و(حساب العرب)، و(القواعد الحميدية لتحصيل المبادئ النحوية)، و(المبادئ النحوية)[٦].

٧- الشرقاوي (ت: ١٣٩١هـ)

هو محمود الشرقاوي، متأدب مصري، تولى إدارة المكتبة الأزهرية مدة، وساعد في وضع بعض فهارسها، من مصنفاته: (المجتمع العربي)، و(رحلة مع ابن بطوطة، من طنجة إلى الصين)، و(الأندلس وإفريقيا)، و(إندونسيا المعاصرة)[٧].

الهوامش

١- انظر حلية البشر (١/١٧١)، والأعلام للزركلي (١/٨٩)، ومعجم المؤلفين (١/١٤٠).
٢- انظر حلية البشر (٢/٣٧٩)، والأعلام للزركلي (٤/٧٨)، ومعجم المؤلفين (٦/٤١).
٣- انظر الأعلام للزركلي (٣/٣٠٩)، معجم المؤلفين (٥/١٤٢).
٤- انظر إيضاح المكنون (١/٤٥٨)، ومعجم المؤلفين (١٠/٢٩٧).
٥- انظر الأعلام للزركلي (٣/٧١)، ومعجم المؤلفين (٤/٢٠٢).
٦- انظر الأعلام للزركلي (٣/٢٨٤).
٧- انظر الأعلام للزركلي (٧/١٧٢).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي



تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالموسوعة

الموسوعة تعني كتاب أو مجموعة من الكتب تشتمل على معلومات عن أشخاص وأماكن وأحداث وأشياء مرتبة ترتيبا ألفبائيا أو موضوعيًا. ويمكن أن تتطرّق الموسوعة إلى كل مجالات المعرفة، أو تختص بمجال معرفي واحد. ومن هنا، فإن الموسوعة التي بين أيدينا، هي موسوعة خاصة بالتاريخ الإسلامي حيث إنها تتضمن معلومات تاريخية تفصيلية متعمقة في مجال التاريخ الإسلامي منذ ميلاد النبي ﷺ إلى وقت صدورها سنة ٢٠٠٥م.

كانت أول طباعة للموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي سنة ٢٠٠٥م، ثم توالت طبعاتها إلى أن وصلت إلى الطبعة السابعة سنة ٢٠٠٧م، نظرا لقيمتها وعظيم نفعها.

قام بإعداد هذه الموسوعة القيمة فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، تحت إشراف ومراجعة قاسم عبدالله إبراهيم، ومحمد عبدالله صالح، وقد قدم لها الدكتور راغب السرجاني.

وقد طبعت في مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة.

أهداف الموسوعة

- السعي إلى تبسيط التاريخ الإسلامي وشرحه من وجهة نظر إسلامية.
- مساعدة المسلمين على فهم الفقه الصحيح لقواعد الدين وأصوله.

الخصائص

- جمع أكثر الأحداث التاريخية دون الدخول في تفصيلاتها.
- اتسمت بالشرح العام للأحداث التاريخية، والتوضيح المبسط لخريطة التاريخ الإسلامي.

المحتوى العام

قسمت مواضيع هذه الموسوعة إلى أبواب مرتبة حسب التسلسل الزمني منذ ميلاد النبي ﷺ إلى تاريخ صدور هذه الموسوعة، فكان أول باب منها هو:

الباب الأول: موجز السيرة النبوية، حيث سرد فيه أحداث السيرة النبوية حيث بدأ بسرد نسب النبي ﷺ، ثم ذكر ولادته ﷺ، ثم ذكر الأحداث المتفرقة بعد ولادته مثل حادثة شق الصدر.. ثم بدأ ذكر أحداث ووقائع من السيرة من مبعثه ﷺ إلى هجرته. وهكذا مواضيع هذه الموسوعة في بابها الأول إلى وفاة النبي ﷺ.

وفي الباب الثاني، جاءت مرحلة جديدة وهي مرحلة الخلفاء الراشدين فتناول هذا الباب الأحداث التاريخية التي ميزت هذه المرحلة المهمة من مراحل التاريخ الإسلامي.

وفي الباب الثالث تناولت الموسوعة الخلافة الأموية، والأحداث التي ميزت هذه المرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، كما تم تدعيم الموسوعة ببعض الرسومات التي تحتوي على خرائط جغرافية من أجل زيادة التوضيح. وهكذا تسلسلت أبواب هذه الموسوعة إلى أن وصلت إلى عصرنا الحديث حيث تناولت أهم الأحداث التاريخية والسياسية التي تمر بها الأمة الإسلامية في عصرها الحديث.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة من هذه الموسوعة التاريخية القيمة، وهي في متناول قرائها الكرام والمهتمين بالتاريخ الإسلامي.

المصادر

الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي.



هشام الصباغ
باحث لغوي

الفقيه المجاهد صاحب «فقه السنة»

السيد سابق



■ حمل همَّ الأمة وهمَّ تربية أبنائها، وفهم دينها فهما صحيحا، وكان درعا واقية لها من الوقوع في الوهم والشطط البعيد عما أراده كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ فكان جديرا بأن يكون أحد كبار من أنجبتهم أمة الإسلام.

■ فقيه أزهري متمكن، ذو علم غزير، وذهن وقاد، وذكاء حاد، وخلق رفيع، وتواضع جم، ولسان عفيف، وبديهة حاضرة، ومنطق حسن، وروح مرحة.

■ اجتهد في الفقه ولاقى اجتهاده قبولا واسعا؛ لبساطته وحيويته ونجاحه في تقريبه إلى جماهير الأمة، بعد أن ظل دهرا مغلقا على فئة المتخصصين، فاستحق أن يكون رائدا في هذا الدرب.

■ لواسع علمه، وعمق فهمه، وسعة أفقه، وجرأته في قول الحق، كان قوله فصلا بين المختلفين في المسائل الشرعية، ومحل ثقة كبار علماء الأزهر الشريف وإجلالهم واحترامهم؛ أشياخه وزملائه وطلابه ومريديه، من أمثال: الشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد أبو زهرة والشيخ محمد الغزالي والشيخ الباقوري.

■ كل من عرفه أو تتلمذ على يديه يعرف له مكانته وفضله، وقد تخرج على يديه الكثير من قناديل الهدى، الذين نشروا أنوار علمه في سماء الخلق من أمثال: الدكتور يوسف القرضاوي والدكتور أحمد العسال والدكتور عبدالستار فتح الله والدكتور صالح بن حميد والدكتور العلياني..

إنه الشيخ الفقيه صاحب «فق السنة» السيد سابق محمد التهامي.

مولده وتعليمه وحياته العملية

■ في قرية «إسطنها»، إحدى قرى مركز الباجور بمحافظة المنوفية، ولد الشيخ السيد سابق في يناير عام ١٩١٥م.. تلقى تعليمه الأولى في «الكُتّاب» فتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب.. وبعد أن أتم حفظ القرآن، وكان عمره لم يتجاوز التاسعة، التحق بالأزهر الشريف في القاهرة، وظل يتلقى العلم ويترقى في تحصيله حتى نال «العالمية» في الشريعة عام ١٩٤٧م، ثم حصل بعدها على الإجازة من «الأزهر».

■ بعد تخرجه من «الأزهر» عمل بالتدريس في المعاهد الأزهرية، ثم بالوعظ في «الأزهر»، ثم انتقل إلى «الأوقاف» في نهاية الخمسينيات، متقلدا إدارات: «المساجد»، ثم «الثقافة»، فـ«الدعوة»، فـ«التدريب»، إلى أن ضُيّق عليه فانتقل إلى مكة المكرمة للعمل أستاذا بجامعة الملك عبدالعزيز، ثم جامعة أم القرى، وأسند إليه فيها رئاسة قسم القضاء بكلية الشريعة، ثم رئاسة قسم الدراسات العليا، ثم عمل أستاذا غير متفرغ.

تربية السبكي للشيخ

■ في بداية حياته، التحق الشيخ بالجمعية الشرعية، التي أسسها الشيخ محمود السبكي، رحمه الله، وتتلمذ على يديه، كما تزامل مع خليفته الشيخ عبداللطيف مشتهري رحمه الله. وكان للسبكي أثر عظيم في شخصيته وتربيته وطريقة تفكيره، ومن ذلك، واقعة تربوية مؤثرة يحكيها سابق: «في بداية حرب فلسطين، وكنا في ريعان شبابنا، أخذني الحماس أمام شيخي في أحد دروسه فقلت له: ما زلت تحدثنا عن الأخلاق والآداب! أين الجهاد، والحث عليه؟! فأمرني الشيخ بالجلوس. فرددت: حتى متى نجلس؟ فقال الشيخ: يا بني، إذا كنت لا تصبر على التأدب أمام العالِم! فكيف تصبر على الجهاد في سبيلِ الله؟ فهزتني الكلمة جدا، وظل أثرها في حياتي حتى يومنا هذا».

السيد سابق مجاهدا

■ تاق إلى الجهاد، ومنى نفسه بالشهادة، فسلك مسلك علماء السلف الذين حملوا القرآن بيد للدعوة، والسلاح بالأخرى للدفاع عن حوزة الإسلام.. ولما سنحت له الفرصة سنة ١٩٤٨م، كان في أول الصف؛ مفتيا ومعلما ومربيا، ومشاركا ومحرضا للمجاهدين للثبات والإثخان في العدو المحتل لأرض الإسراء والمعراج.

منهجه الفقهي

■ شغف الشيخ بالفقه، وشغل تفكيره أكثر من معاصريه من العلماء.. استهل كتاباته الفقهية على شكل مقالات، وبدأ

بفقه الطهارة معتمدا على كتب فقه الحديث، مثل «سبل السلام» للصنعاني، و«نيل الأوطار» للشوكاني، و«المغني» لابن قدامة، و«زاد المعاد» لابن القيم.

■ اعتمد الشيخ في كتاباته الفقهية منهجا يقوم على طرح التعصب للمذاهب مع عدم تجريحها، والاستناد إلى أدلة الكتاب والسنة والإجماع، وتبسيط العبارة للقارئ بعيدا عن تعقيد المصطلحات، وعمق التعليلات، والميل إلى التيسير على الناس، والترخيص لهم فيما يقبل الترخيص، والبعد عن ذكر الخلاف (إلا ما لا بد منه)، وذكر الأقوال في المسألة، واختيار الراجح أو الأرجح في الغالب، وأحيانا ترك الأمر دون ترجيح رأي (لعدم اتضاحه له أو لتكافؤ الأقوال والأدلة عنده، فيرى من الأمانة أن يدع القارئ يتحمل مسؤولية اختياره، أو يسأل عالما آخر).

مؤلفاته

■ أخذ الشيخ بحظ وافر من العلم، وخلف العديد من الآثار المكتوبة، أهمها، إضافة إلى كتابه الشهير «فقه السنة»: «مصادر القوة في الإسلام» - «الربا والبديل» - «رسالة في الحج» - «رسالة في الصيام» - تقاليد وعادات يجب أن تزول في الأفراح والمناسبات» - «تقاليد وعادات يجب أن تزول في المآتم» - «العقائد الإسلامية» - «إسلامنا».. وغيرها من الكتب والمحاضرات والأبحاث والمقالات.

«فقه السنة»

■ تطورت مقاربات الشيخ في كتاباته الفقهية، التي اتخذت عنوان «فقه السنة»، تطورا ذكيا مكنها من استيعاب الفقه كله على مدى سنوات قصيرة، انتهى الشيخ فيها من كتابه ذي الأجزاء الأربعة عشر الصغيرة (بعدها جمعت في مجلدات كبيرة) الذي سماه أيضا «فقه السنة».. وعن هذا الكتاب حصل الشيخ على جائزة الملك فيصل في مجال الدراسات الإسلامية عام ١٩٩٤م، ووسام الامتياز من مصر.

أسباب نجاح «فقه السنة»

■ ذاع كتاب «فقه السنة» وجاب الآفاق، وانتشر بين المسلمين جميعا؛ عربهم وعجمهم، لأسباب ثلاثة: أولها استناده إلى أدلة الكتاب والسنة والإجماع مع خروج ما دوّنه من أحكام على حدود المذهبية، وثانيها أنه نجح في تقديم الفقه للجماهير بعيدا عن المصطلحات العلمية والتعليلات الأصولية، وثالثها مزجه الأحكام بالحكمة اقتداء بالقرآن في تعليل الأحكام.

من أقواله

■ «الأب الشرعي لضعف الأمة وضياعها وذهابها هو تفرقها الذي نهانا الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال:٤٦)».

■ «أمضى سلاح بيد أعداء الأمة هو زرع الخلاف بينها، وينبغي ألا يترك أمر الأمة حتى يستفحل الخلاف، بل لا بد من علاج أسبابه. وقد بين الله هذا العلاج بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (النساء:٥٩)».

■ «لن يكف الباطل عن مناوأة الحق، وبنو الدين الحق يمثلون نبيه في تبليغ رسالة الإسلام. وللوصول إلى هذا المستوى لابد من مجاهدة النقائص، بجانب جهاد النفس، بدءا من الفرد، حتى تصبح الدولة مثلا أعلى لا يصدر عنها إلا الكمال والفضائل. ثم يأتي دور أمة محمد التي يجب أن تبقى حرة مستقلة لأن لها عقائدها ولها مُثُلها ولها القيادة والريادة والسيادة».

مساهمته مع «الوعي»

■ للشيخ، رحمة الله عليه، أربع مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «حجة الوداع» (ع:١٢، ذو الحجة ١٣٨٥هـ/ مارس ١٩٦٦م)، و«كيف نعيش» (ع:٢٢، شوال ١٣٨٦هـ/يناير ١٩٦٧م)، و«التدين» (ع:١١٦، شعبان ١٣٩٤هـ/أغسطس ١٩٧٤م)، و«الدولة الإسلامية» (ع:١٨١، شوال ١٤٠٠هـ/نوفمبر ١٩٧٩م).

أواخر عمره.. ووفاته

■ قبيل موته بثلاث سنوات، فضل الاستقرار في القاهرة، ورغم كبر سنه وضعف صحته وتحذير الأطباء له، فإنه أصر على إكمال مسيرته في نشر العلم والدعوة في مساجدها، وظل مصباح حق ويد خير للناس حتى وافاه الأجل يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٧ فبراير ٢٠٠٠م عن عمر يناهز ٨٥ عاما، تاركا وراءه علما نافعا، وتلاميذ بررة يدعون له بالمغفرة والرحمة، وذكرا طيبا يمثل عمرا آخر له بعد عمره القصير.. وأمّ المصلين على جنازته شيخ الأزهر، ودفن في مسقط رأسه (إسطنها)، بلا مراسم عزاء وفق وصيته بالاكتفاء بالصلاة والتشييع فقط.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- موقع الجزيرة (مقالان للدكتورين: القرضاوي والجوادي).
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤- رابطة أدباء الشام.
٥- مواقع: «الراشدون» - «منارات» - «قصة الإسلام».

إعداد / تركي محمد النصر

معرفة الأخ والصاحب

قال العلامة صالح بن جناح اللخمي الدمشقي رحمه الله تعالى: (إنك لن تعرف أخاك حق المعرفة، ولن تخبره حق المخبرة، ولن تجربه حق التجربة -وإن كنتما في دار واحدة- حتى تسافر معه، أو تعامله بالدينار والدرهم، أو تقع شدة، أو تحتاج إليه في مهمة، فإذا بلوته في هذه الأشياء فرضيته؛ فانظر، فإن كان أكبر منك فاتخذه أبا، وإن كان أصغر منك فاتخذه ابنا، وإن كان مثلك فاتخذه أخا، كن به أوثق منك بنفسك في بعض المواطن).

انظر: الأدب والمروءة للخمي، (ص/١٨)

الإعراض عمن تحب

قال العلامة الشبشيري رحمه الله تعالى: إن الشخص قد يبغض الشخص ولا يعرض عنه، وقد يعرض عنه وهو يحبه خشية تهمة، أو تأديبا له، ونحو ذلك، وفي ذلك قيل:

لا عار في حب من أخشى فأكتمه

لا يكتم الحب إلا خشية التهم

انظر: الجواهر البهية، (ص/١٥٨)

الصبر والشكر

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: (قال بعض السلف: الإيمان نصفه صبر، ونصفه شكر).

انظر: قاعدة في الصبر، (ص/٨٩).

لا تركن إليها

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى معلقا على قوله ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»: (أي: لا تركن إليها، ولا تتخذها وطنا، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله).

انظر: الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام (ص/١٤٥)

الصحيح والحسن والضعيف

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وأما قسمة الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف، فهذا أول ما عرف أنه قسمه إلى هذه القسمة أبو عيسى الترمذي. قال: ولم تعرف هذه القسمة عن أحد قبله...، وأما من كان قبل الترمذي، فما عرف عنهم التقسيم الثلاثي، لكن كانوا يقسمونه إلى صحيح وضعيف).

انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٢/١٨)

مشاركة: يعقوب الجناع

عندما يمدح النبي ﷺ الأب والأم والابن

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم أهل البيت: عبدالله وأبو عبدالله، وأم عبدالله». رواه أحمد.

الأب: هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي.

الأم: رائطة بنت منبه بن الحجاج السهمي.

الابن: عبدالله بن عمرو بن العاص.

رضي الله عنهم، وهنيئا لهم.

المحادثة والممازحة

❖ قال العلامة مرعي الكرمي الحنبلي رحمه الله تعالى: (اعلم أيدك الله.. أن النفس تمل، كما أن البدن يكل، وكما أن البدن إذا كل طلب الراحة، كذلك النفس إذا ملت طلبت الراحة).

❖ وقال بعض السلف: (حادثوا هذه النفوس، فإنها سريعة الدثور).

❖ وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: (إن في المحادثة تلقيحا للعقول، وترويحا للقلب، وتسريحا للهم، وتنقيحا للأدب).

❖ قال عبدالملك بن مروان رحمه الله لبعض جلسائه: (قد قضيت الوطر من كل شيء إلا من محادثة الإخوان في الليالي الزهر على التلال العفر).

❖ قيل لسفيان: المزاح هجنة؟ فقال: (بل سنة... فالعاقل يتوخى بمزحه إحدى حالتين: إما إيناس المصاحبين، أو التودد إلى المخاطبين).

❖ قال سعيد بن العاص لابنه: اقتصد في مزحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ السفهاء؛ وإن التقصير فيه يفض عنك المؤانسين، ويوحش منك المصاحبين، وإما أن يزيل بالمزاح ما طرأ عليه من سأم أو حدث به من هم أو غم.

❖ وقيل للخليل بن أحمد: إنك تمازح الناس! فقال: الناس في سجن ما لم يتمازحوا.

❖ وكان ابن عباس رضي الله عنه إذا أكثروا عليه في مسائل القرآن والحديث، يقول: خذوا في الشعر وأخبار العرب.

❖ وعن عطاء بن السائب، قال: (كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا، وربما لم يقم حتى يضحكنا).

❖ وأقر رجل عند القاضي شريح بشيء، ثم ذهب لينكر، فقال شريح: (قد شهد عليك ابن أخت خالتك).

❖ وقيل للأعمش: ما عوضك الله من ذهاب بصرك؟ قال: ألا أرى به ثقيلا.

❖ وكان إذا رأى ثقيلا شرب الماء وقال: (النظر إلى وجه الثقيل حمى نافض، والحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء).

❖ وحكي أن البهلول دخل على الرشيد وعنده عليان المجنون، فكلمهما الرشيد، فأغلظا عليه في القول، فأمر بالنطع والسيف، فقال عليان: كنا مجنونين، فصرنا ثلاثة! فضحك الرشيد وعفا عنهما.

انظر: غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح، للكرمي (ص/٣٣).



إعداد: التحرير



يحيا العدل

كلمة تخرج من حناجر الناس البسطاء حين تتصفهم عدالة المحكمة، خرجت بعفوية وتلقائية ما أروعها من نغمة ترتج بها جدران المحاكم وفيها من الدلالات ما يعجز اللسان عن وصفه لأن إقامة العدل، وتحقيق الإنصاف يعيد الأمور إلى نصابها ويسكن وجع القلوب المضطربة، والنفوس القلقة والعقول الشاردة...

الحكم العادل يصوب الخطأ، ويقوم العوج، وينصر الشريعة وما نزلت آية الحديد إلا لرمزية استخدام القوة والعدل لأن العدل يحتاج إلى قوة فينضبط الميزان ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ (الحديد:٢٥)، فاذا جار القاضي قصدا أو جهلا فهي داهية الدواهي ورزية الرزايا؛ لأن منصة القضاء بما تحمله من هيبة وقدسية ووقار كانت هي الأمل الباقي والوحيد للمقهورين والمظلوين من الضعفاء والبسطاء، ومن ثم كانت ولاية القضاء في عصور الإسلام الزاهرة تعد من الولايات الخطرة فلا يتولاها إلا ذوو الخبرة والعلم والأمانة وطهارة اليد والقلب والقدرة على الفهم والاستنباط، والذي لا يتحقق بغير حفظ كتاب الله تعالى وفهم مقاصد الشريعة وأصول الأحكام وقد يعجب البعض كيف يظلم القاضي ويرضى لنفسه أن يجور أو يحيد عن الحق وهو في محراب العدالة؟! يجيب ابن حجر عن ذلك بقوله «وانما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب؛ لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر» (١٠٠/٥ فتح الباري).

أوما تدري أيها القاضي أن ثمة مقاصة وخلاص للحقوق في قنطرة بين الجنة والنار كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا» (فتح الباري ٩٦/٥).

د.علي الخطيب



ظاهرة إدمان الأطفال للإنترنت!

ونحن نحتفي ونحتفل باليوم العالمي للاستخدام الآمن للإنترنت حري بنا أن يكون استخدامنا نحن ومن نعول من أطفال وكبار استخداما آمنا؛ بتبصير صغارنا بقواعد الأمان في استخدام الإنترنت، والأهم من ذلك مراعاة آداب وقواعد وأخلاقيات استخدام الإنترنت، والأكثر أهمية من ذلك هو استخدام وسائط التواصل الاجتماعي والألعاب الإلكترونية باعتدال، حيث إنه في ظل التعليم الإلكتروني لوحظ أن بعض الأطفال الذين هم في مراحل التعليم قد يقضي خمس ساعات في الألعاب الإلكترونية بالإضافة إلى الساعات المتعددة في التعلم عبر التعليم عن بعد، وهذا قد يدخل أبناءنا في مرحلة خطيرة ألا وهي ظاهرة إدمان الأطفال للإنترنت، وهو ما يتنافى وقواعد الاستخدام الآمن للإنترنت مما يجعلنا نطلق أدوات الإنذار بالخطر حفاظا على صحة وشخصية أطفالنا، وهو ما يوجب علينا ضرورة الاستخدام الآمن للإنترنت؛ حتى نقي أطفالنا أخطار وسلبيات ظاهرة إدمان الأطفال للإنترنت!

محمد عباس محمد عرابي

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

alwaeiq8@gmail.com







رمضان يلوح في الأفق

يحل علينا ضيف كريم طيب يسعد به المؤمنون الصادقون وينتظره العائدون التائبون ليغتنموا فرص عظيمة ورحمات كبيرة فهنيئا لمن سيستقبل رمضان ويكن مع الصائمين الصالحين، بلغنا الله واياكم، وفور دخول الشهر الكريم تتبدل الأجواء وتتغير وكأن السماء ليست كسماء بقية الأيام وإنما تحلو وتصفو ونسائم الفجر تحمل في طياتها عبيرا رمضانيا مميزا يفصح للعارفين عن قرب حلول الشهر الكريم.. ولكن مما يؤسف له أن مع بداية حلول رمضان وفي خضم السباق الرمضاني الإيماني يظهر سباق من نوع آخر محاولا تعكير صفو الصائمين العابدين.. سباق المسلسلات والبرامج التي هي أقرب للإسفاف والتفاهة، إلا ما رحم ربك، وتعج القنوات الفضائية بما لا يليق عرضه على الشاشات وخاصة في رمضان وتكتب على شاشاتها بالبنط العريض كلمة «حصريا» وفي حقيقة الأمر فإن الحسنات والرحمات مضاعفة «حصريا» في رمضان..

ألم يأن لنا أن نعيش رمضان لما أعد له ولما جاء من أجله.. ولا نقع فريسة للفخ الذي يعد لنا كل عام قاصدا إفساد الأجواء الرمضانية الروحانية؟! وبما أن التلفاز والوسائل التكنولوجية الحديثة أصبحت متوغلة في حياتنا شئنا أم أبينا وأصبح الفرار منها أمرا شبه مستحيل فلابد أن نتخير وبدقة نوعية ما نشاهده فليكن ما نشاهده هادفا وراقيا ويتفق مع تعاليم الإسلام والآداب العامة لرمضان وكذا نتخير الأوقات المناسبة للمشاهدة بحيث لا تطغى على أوقات أداء الفرائض أو النوافل المستحبة، فليس هناك أغلى ولا أثمن من وقت رمضان لاستغلاله بشكل صحيح.

إن في رمضان لجد فرصة عظيمة للطامحين نحو التغيير للأفضل سواء بالقضاء على بعض العادات أو الصفات السيئة: فمثلا فئة «المدخنين».. يمكنهم بسهولة محاولة الإقلاع عن تلك العادة السيئة بشكل أكثر فاعلية وسهولة في رمضان عن غيره من الأوقات وخاصة مع ساعات الصيام والامتناع عن تناول الطعام والشراب.. وكذلك المتكاسلون عن الانتظام في الصلاة تضفي إليهم الأجواء الرمضانية تشجيعا للمواظبة على الصلاة لا يتوافر في غيره من الأوقات.. والنتائج الإيجابية بالطبع لن تتأتي إلا بتوافر العزيمة والنية الصادقة نحو التغيير أو إضافة عادات حسنة: فمثلا الكثير من الناس يتنافسون في رمضان على تلاوة القرآن الكريم بل ويحرصون على ختمه -ربما لدى البعض أكثر من مرة- وهذا بحق شيء جميل ومن الرائع رؤية الناس كبارا وصغارا يحرصون على ذلك ولكن للأسف بمجرد أن ينتهي رمضان نترك مصاحفنا يعلوها التراب انتظارا لموعد رمضان القادم فلماذا لا نخرج من رمضان مستمسكين بمصاحفنا نقرأ فيها يوميا ما تيسر ومع الوقت تصبح عادة جميلة تضيف إلينا تقربا إلى الله عزوجل.

إن رمضان ثلاثون يوما من السعادة والراحة النفسية والبدنية وهو مدرسة نخرج منها بفوائد ومنافع لا حصر لها في كل مرة نعيشه.. فها هو رمضان يلوح في الأفق فهل نحن مستعدون؟!

رفيدة رجاء محمد الخنيني

رمضان.. موسم مضاعفة الأجور والحسنات

يأتي شهر رمضان في كل عام محملا بالرحمة والمغفرة والعتق من النيران. فهذا الشهر المبارك من الشهور المميزة التي تحظى بمكانة خاصة عند المسلمين باعتبار أن رمضان هو شهر الصوم الذي يعد أحد أركان الإسلام. قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣).

ويعتبر رمضان موسم مضاعفة الأجور والحسنات، لما فيه من عبادات متنوعة؛ كالصلاة والصيام وقراءة القرآن وقيام الليل والأذكار والصدقات وعمل الخير، ففي هذا الشهر العظيم نزل القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة:١٨٥).

ليس الهدف من الصيام الامتناع عن الأكل والشرب فقط، إنما هو تهذيب للنفس وابتعاد عن المعاصي والآثام واللغو والرفث.

فضائل رمضان وفوائد الصوم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وعلى كل مسلم أن يستثمرها حتى يفوز بالمغفرة ويكون من عتقاء هذا الشهر الفضيل. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه».

ولا يكون الاستثمار الجيد لهذا الشهر إلا من خلال الإكثار من الصلاة وقراءة القرآن والأذكار والاجتهاد في فعل الخير ومساعدة المحتاجين والتقرب من الله تعالى بالأعمال الصالحة.

ولعل أحد اهم الأمور التي يجب الحرص عليها هو استغلال الوقت وعدم إضاعته في التسلية والأمور التي تبعد الإنسان عن ذكر ربه، فهذا الشهر لا يتكرر إلا مرة في كل عام، وينبغي ألا يُترك من دون الاستفادة منه بالأعمال الصالحة، فقد قال النبي ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وسلسلت الشياطين».

عبدالله الظفيري
باحث وصحافي

العدد (٦٧٤) شوال ١٤٤٢ هـ - مايو/ يونيو ٢٠٢١م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية جامعة

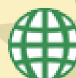
مجانا مع العدد: براعم الإيمان

مَفَاتِيحُ فَهْمِ القُرآنِ الكَرِيمِ



- حتميّةُ الاختلافِ وضرورةُ الإنصافِ
- وماذا بعد رمضان
- الطُفولةُ بناءٌ واستثمارٌ

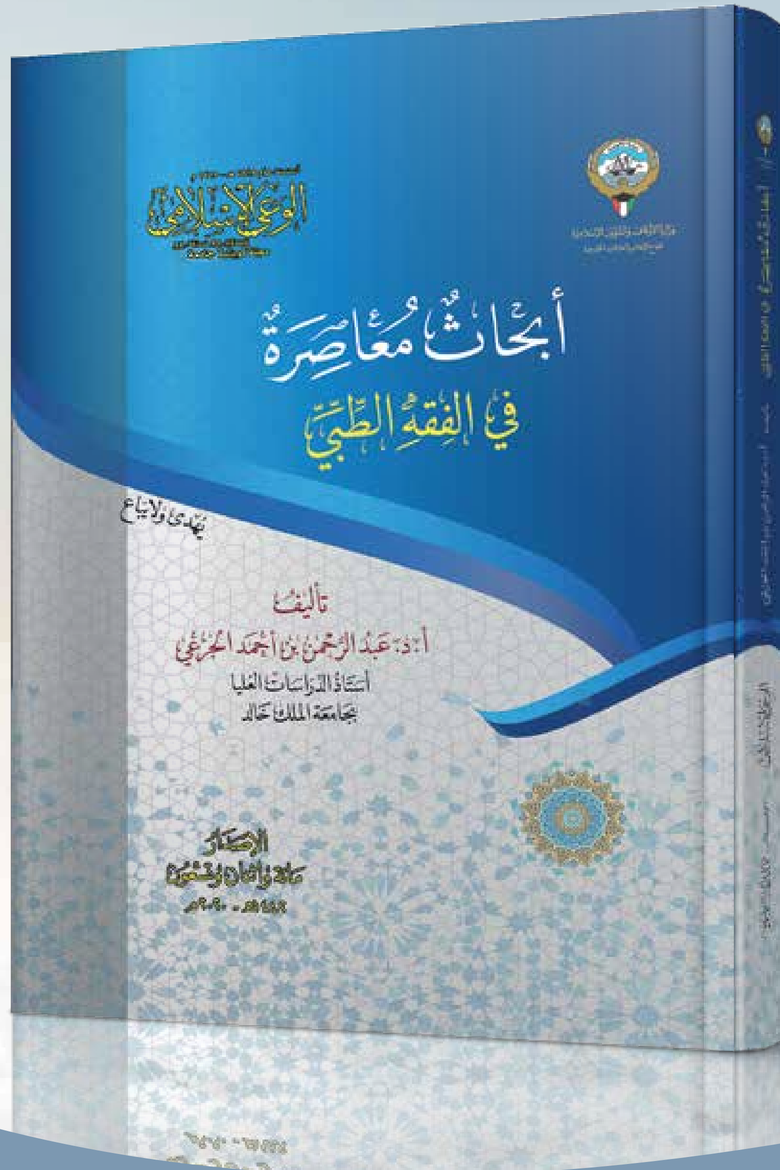

مجلة الوعي الإسلامي


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com


موقع مجلة الوعي الإسلامي

جديدنا



أبحاث مُعاصرة في الفقه الطبي

إصدارٌ علميٌّ فقهيٌّ مقاصِديٌّ يحتوي أبحاثًا مُعاصرةً في الفقهِ الطِّبِّيِّ، أعدَّها وقَرَّبها فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن أحمد الجِرعي حفظه الله؛ لتكون بمتناول الجميع للاستفادة منها.

والكتاب ضمن سلسلة الإصدارات النافقة المفيدة لمجلة الوعي الإسلامي ويحمل الرقم مئة وواحد وتسعين.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

فرحة الطّائعين

لا تزال نِعم الله تترى على عباده ولا سيما في مواسم الطاعات التي يفرح فيها الطائعون ويسر فيها المؤمنون، لما فيها من التّعرّض للنفحات ونزول الرحمات، وعموم البركات، وارتفاع الدرجات، وتكفير الخطايا والسيئات.

هذه المواسم التي جعلها الله سبحانه ميدانا للتنافس في الخيرات، وكثرة البركات ورفعة الدرجات، وتكفير السيئات، ومن هذه المواسم ما شرعه الله لعباده من الأعياد الشرعية، التي تعود عليهم كل عام، وتتكرر عليهم بالخير والفضل والإحسان كل سنة يظهر فيها المسلمون شعائر دينهم، ويتعارفون ويتآلفون وتسود بينهم حياة الصلة والمحبة والوئام، ويجتمعون على ذكر الله سبحانه وتعالى، وتكبيره في مظهر جليل من مظاهر العبودية الحقيقية لله سبحانه وتعالى.

وإنَّ المسلم لا بدَّ أن يحمد ربَّه على ما مَنَّ به عليه من إدراك صيام رمضان وقيامه، واغتنام أوقاته بالدعاء والصلاة والصدقات، ثم توَّج له هذه العبادة بفرحة العيد حيث يتقرب فيه الجميع إلى الله، بأعمال جليلة، وعبادات عظيمة، ومن أبرزها إظهار الفرح والسرور بفضل الله الذي أتم لهم شهرهم وأشهدهم هذه الأوقات المباركة.

إنَّ المسلمَ الواعي يدرك أنَّ سعادة العيد لا تحصر في التحلي بالجديد، إنَّما السعيد حقا مَن جعل الإيمان والتقوى شعاره، وروَّض نفسه على الخير فعلا وإسداء، وقياما بصنائع المعروف التي تضفي على المجتمع طابع الترابط والتآلف والتآخي، وتقيه مصارع السوء، وأوائل الشرور، ليفتش كل مسلم عن جيرانه وأقاربه وإخوانه، فيسأل عن أحوالهم، ويتفقد شؤونهم، ويسد حاجاتهم، ويعينهم في إدخال البهجة والسرور على قلوب أبنائهم، يسعفهم بالكلمة الطيبة، والابتسامة الحانية، والبشاشة المؤثرة، مراعيا بذلك المقصد الشرعي العظيم الذي حثَّ عليه الإسلام وهو التراحم الذي ذكره نبيّنا ﷺ بقوله: «مَثَل الْمُؤْمنِينَ في تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحمِهِمْ وَتَعَاطفِهِمْ مثل الجسد، إذا اشْتَكَى مِنْه عضْوٌ، تَدَاعَى له سَائِر الْجَسَد بالسَّهَر وَالْحمَّى» (رواه مسلم).

وإنَّ مِن أسمى من يمكن أن يقوم به المسلم في يوم العيد –وهو يجتمع بأسرته وأولاده– أن يتذكر أطفالا يتامى، ونساء أيامى، لا يجدون ابتسامة الأب الحنون، وحنان الأم الرؤوم، ليتذكر جموعا من إخوانه المسلمين، في بقاع كثيرة من العالم، يعيشون أوضاعا مؤلمة، يخيم على إشراقة العيد عندهم الحزن والأسى، وأيامه تصطلي بالألم وتفقد طعم الأمن والاستقرار.

كل هذا يدفعنا في هذا البلد الطيب (الكويت) إلى الاجتهاد في شكر المنعم جل جلاله، والعمل على الحفاظ على أمنه واستقراره، والشعور بالمسؤولية الشخصية لدى كل مَن يعيشون على أرضه بأنَّ أمنه واستقراره من أولوياته، سائلا الله عزَّوجل أن يعيد هذه المواسم المباركة على الكويت والأمة الإسلامية وهي ترفل بثوب الصحة والمنعة والأمن والاستقرار، وتقبل الله طاعتكم، وكل عام وأنتم بخير.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

العدد ٦٧٤/ شوال ١٤٤٢ هـ

العام الثامن والخمسون

مايو / يونيو ٢٠٢١م

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧

الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان: ١٨٤٤٠٤٤ داخلي – ٣٠١

البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com

الموقع الإلكتروني:

www.alwaei.gov.kw

مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣

alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان

هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ – ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

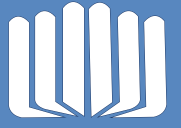
• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ – فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ – فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ – فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ – فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم

• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة

• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

الإنصاف خلق عزيز

جبلت النفوس على الأثرة والشح وحب الذات، قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ (النساء:١٢٨)، وجاء منهج القرآن الكريم ليطهر النفس البشرية من هذه الآفات المهلكة ويروض هذه الخصال بصورة عملية، فالقرآن عندما تناول أهل الكتاب وبيّن صفاتهم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾، ثم قال عقبها: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ (آل عمران:١١٢-١١٣).

والإنصاف خلق عزيز ندر من يتحلى به في هذا الزمان، خاصة مع المخالف في الرأي، فالعادة جرت أن يبحث كل خصم لمخالفه عن ثغرة ينفذ منها إليه في منهجه وطرحه، وهذا لا شيء فيه، أما أن يتجاوز الأمر إلى البحث عن مثالب شخصية أو عيوب ذاتية أو مسائل خارج نطاق البحث والمناقشة، فهذا ما لا تجده إلا عند أصحاب النفوس التي خلت من الإنصاف وانتفخت بحب الذات وإعلائها على قيمه.

وأعظم الشجاعة الإنصاف من النفس، لأن النفس إذا أصبحت ذات سلطان وتحكم، ولم يستطع صاحبها أن يملكها، انطلقت لتتعدى على نفوس الآخرين، والاستطالة عليهم، وإن لم يأخذ بعنانها، ولم يحاسبها وينصفها؛ فإنه مصاب بمرض خطير في التعامل مع النفس ومع الآخرين.

التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



أ.د. مرزوق يوسف الغنيم
الأمين العام المساعد للمركز العربي
لتأليف وترجمة العلوم الصحية

الجن في القرآن الكريم والشعر

توقفت أثناء قراءتي للقرآن الكريم عند الآيات التالية: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ (الأحقاف:٢٩-٣٢).

وأثار ذلك في نفسي سؤالا مهما ألا وهو: لماذا قال الله سبحانه وتعالى على لسان الجن: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؟ لماذا ذكر سيدنا موسى ولم يذكر سيدنا عيسى؟ مما جعلني أفكر في ذلك وأرجع إلى

التفاسير المختلفة للقرآن الكريم، وقد توصلت إلى أن عطاء بن أبي رباح - وهو عالم حديث وفقيه من التابعين - قال إن الجن المذكورين في هذه الآيات كانوا يهودا لذلك جاء في القرآن: ﴿كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾، وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن الجن لم تكن سمعت بأمر سيدنا عيسى، لذلك: أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني ما قبله وهو التوراة، وقال البغوي (الحسين بن مسعود ابن محمد) في تفسيره عن عطاء ابن أبي مسلم الخراساني: كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا سم عنا كتابا أنزل من بعد موسى.

وفتح لي هذا طريقا للاستزادة من هذا الموضوع، ووجدت أن ذكر الجن في القرآن الكريم قد تكرر ستا وعشرين مرة في أربع عشرة سورة مرتبة كالتالي: سورة الأنعام (أربع مرات) في الآيات: ١٠٠ و١١٢ و١٢٨ و١٣٠، وفي سورة الأعراف الآيات: ٣٨ و١٧٩، وفي سورة الإسراء الآية ٨٨، وفي سورة النحل الآية ١٧ والآية ٣٩، وفي سورة السجدة الآية ١٣، وفي سورة سبأ تم ذكرهم في الآيات ١٢ و١٤ و٤١، وفي سورة فصلت الآية ٢٥ والآية ٢٩، وتم ذكرهم في سورة الأحقاف في الآية ٢٩، وفي سورة الصافات تم ذكرهم في الآية ١٥٨، وفي سورة الذاريات الآية ٥٦، وتم ذكرهم

مثلما يوجد في الإنس كفار يوجد أيضا في الجن كفار

في سورة الرحمن في الآيات: ٣٣ و٣٩ و٥٦ و٧٤، وفي سورة الجن تم ذكرهم في الآيات: ١ و٥ و٦، وفي آخر سورة في القرآن الكريم سورة الناس تم ذكرهم مرة واحدة.

وقد أتى ذكر الجن في القرآن الكريم على ثلاثة أشكال: الجن والجنة والجان، الجان مفرد لكلمة الجن، والجنة جمع لطائفة من الجن.

كما أن الجن قبائل مختلفة، فهم كذلك أصحاب ملل ونحل متباينة، وفيهم المؤمن والكافر، والعادل والظالم، يقول سيد سابق: «والجن طوائف فمنهم الكامل في الاستقامة وعمل الخير، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم البله المغفلون، ومنهم الكفرة وهم الكثرة الكاثرة».

قال تعالى إخبارا عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ (الجن:١١)، أي فرق شتى، قال السدي، وقال الضحاك: أديان مختلفة، وقال قتادة: أهواء متباينة. ومنهم جنود لسيدنا سليمان عليه السلام: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ (النمل:١٧)، أي منتظمون، ومنهم العفريت الذي أتي بعرش بلقيس: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ۝٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ (النمل:٣٩-٤٠).

ويتبين من تلك الآيات أن هؤلاء الجن كانوا مسخرين لسيدنا سليمان عليه السلام والدليل على ذلك أن الآية ١٣ من سورة سبأ تقول إن الجن كانوا صناعا لسيدنا سليمان: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾، الجواب جمع جابية وهي الحوض الكبير.

ورغم كل هذه القدرات فإنهم لا يعلمون الغيب، ودليلنا على ذلك الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ (سبأ:١٤)، المنسأة هي العصا التي يتوكأ عليها.

ومثلما يوجد في الإنس كفار يوجد أيضا في الجن كفار، ويبين ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ

شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ (السجدة:١٣).

ومن الجن الكفار من ادعى أن الملائكة بنات الله (جل وعلا) لذلك سيساقون يوم القيامة إلى النار: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ (الصافات:١٥٨).

أما في سورة الرحمن فتقول: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ (الرحمن:٣٣)، أي إنكم أيها الجن لا تستطيعون الهرب من أمر الله وقدره، وهنا يظهر التحدي للجن، والتحدي لمن يعتقد بأن الجن قادرون على كل شيء. كما نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد قدم الإنس على الجن كون الجن من الكائنات التي من الممكن أن تصل إلى محيط معين، أما طبيعة الإنس فليس لها ذلك.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ (الإسراء:٨٨)، نجد أنها قدمت الإنس على الجن كون ذلك أليق بالإنس على الجن.

كما أن الله سبحانه وتعالى قدم الجن على الإنس عند قوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، هنا قدم الله سبحانه وتعالى الجن على الإنس لتقدم وجودهم، وقيل لأن عبادتهم سرية ولا يدخلها الرياء.

وتبين معظم آيات سورة الجن إيمان الجن عندما استمعوا إلى القرآن الكريم، وكيف أنهم أسلموا بعدها: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾ (الجن:٣). وآمنوا بأن الله سبحانه وتعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وهؤلاء خلاف الجن الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ﴾ (الصافات:١٥٨) جل وعلا عن ذلك.

أما آخر سورة في القرآن ذكر فيها الجن فهي سورة الناس، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ (الناس:١-٦)، وفيها يدعونا الله سبحانه وتعالى أن نعتصم به من وساوس الإنس والجن التي تجثم على قلوبنا.

خلق الله سبحانه وتعالى الجن والإنس لهدف في هذه الحياة وهو عبادته ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾، فهم مكلفون بطاعته، وكما تبين آنفا أن من الجن من هو مسلم ومن هو كافر ومنهم الصالح ومنهم الطالح ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾، قددا: أي فرق مختلفة من مسلمين وكافرين.

هذا بعض ما ذكر عن الجن في القرآن الكريم.. ولكن ما هو موقع الجن في الشعر العربي؟

تذكر الروايات أن وادي عبقر في نجد يسكنه شعراء الجن، وتقول الأساطير إن كل شاعر من شعراء الجاهلية كان له قرين من الجن من هذا الوادي، وهذا القرين هو الذي يلقنه الشعر، ومن ينسب إلى هذا الوادي يسمى «عبقري»، وقد اشتهرت أسماء من هؤلاء الجن مقرونة بكل شاعر فمنهم مدرك بن واغم صاحب الكميت ابن زيد يقول:

ولاذ بمدرك رهط الكميت
ملاذا عزيزا ومجدا وجد

ومسحل السكران بن جندل صاحب الأعشى الذي يقول:

وما كنت شاحوذا ولكن حسبتني
إذا مسحل سد لي القول أعلق
شريكان فيما بيننا من هوادة
صفيان: إنسي، وجني موفق
يقول، فلا أعيا لشيء يقوله،
كفاني لا عي، ولا هو أخرق

والشيصبان الذي كان حسان ابن ثابت في جاهليته يعزو إليه

اشتهرت أسماء من هؤلاء الجن مقرونة بكل شاعر

شعره، حيث يقول:

إذا ما ترعرع فينا الغلام

فما إن يقال له من هوه؟

إذا لم يسد قبل شد الإزار

فذلك فينا الذي لا هوه

ولي صاحب من بني الشيصبان

فطورا أقول وطورا هوه

ونختم هنا ببيت لجرير يقول فيه وهو يستشهد بشيطانه الشاعر:

وجدت رقى الشيطان لا تستفزه

وقد كان شيطاني من الجن راقيا

ويقول جرير أيضا:

إني ليلقى علي الشعر مكتهل

من الشياطين إبليس الأباليس

أما الفرزدق وهو معاصر للشاعر جرير فيقول:

لتبلغن لأبي الأشبال مدحتنا

من كان بالغور أو مروي خراسانا

كأنها الذهب العقيان حبرها

لسان أشعر أهل الأرض شيطانا

وهناك مجموعة أخرى ممن يسمون شياطين الشعراء فمنهم هبيد بن الصلادم صاحب عبيد بن الأبرص وبشر بن جازم الأسدي، وهادر بن ماهر صاحب النابغة الذبياني وهو الذي استتبعه، وجالد بن ظل صاحب عنترة بن شداد، ولافظ ابن لاحظ صاحب امرئ القيس، كما أن هناك أسماء أخرى من الشعراء ممن كان يظن بأن لهم قرناء من الشياطين ممن يوحون لهم بالشعر.

ويقال إن هناك شيطانين من الشعراء هما الهوبر والهوجل، وقيل إن الهوبر قد أجاد الشعر

الإنتاج الفني بكل صوره يصدر غالبا عن العقل الباطن للإنسان

أما الهوجل فقد فسد شعره، جاء رجل إلى الفرزدق وقال إني أقول الشعر، فقال أسمعني، فقال:

ومنهم عمرو المحمود نائله

كأنما رأسه طين الخواتيم

فقال له الفرزدق أما الشطر الأول فهو من قول الهوبر وإما الشطر الثاني فهو من قول الهوجل. ويقال إن من شعر الجن البيت التالي:

وقبر حرب بمكان قفر

وليس قرب قبر حرب قبر

والسبب في ذلك أن الشخص لا يستطيع أن يكرر قراءة البيت ثلاث مرات وبسرعة من دون أن يخطئ، وقد تمت تجربة ذلك ووجد أنه كلام سخيف. ويبدو أن هذا البيت من الأبيات التي اصطنعها علماء البلاغة العرب لكي يستدلوا على أن تنافر الكلمات في النثر والشعر مما يفسد بلاغة الكاتب أو الشاعر.

والغريب أن بعض شعراء الغرب يرجعون شعرهم إلى الجن، ومثلما أن كلمة عبقري عند العرب تعني النابغة وهي كلمة منسوبة إلى وادي عبقر الذي تسكنه الجن، فإن كلمة Genius الإنجليزية التي تعني عبقريا من معانيها أيضا الروح الحارسة أو العفريت، وقد قال عدد من شعراء الغرب من أمثال صامويل تايلر كولريدج Colerdge والشاعر جون مانسفيلد Mansefield والشاعر راينر ماريا ريلكه Ralke والشاعر وليم بليك Blake، إن الجن أو الشياطين كانوا يملون عليهم شعرهم.

ويؤكد علم النفس أن كل هذا الكلام يعود إلى العقل الباطن وليس للجن علاقة بذلك، وقد كشفت الدراسات النفسية المختلفة والتحليل النفسي أن الإنتاج الفني بكل صوره يصدر غالبا عن العقل الباطن للإنسان، ويبدو كأنه حلم يقظه.

وفي مجمل القول إن شياطين الشعر والأسماء التي ارتبطت بهؤلاء الشعراء لا دليل عليها في الحقيقة، على الرغم من وجود الجن حقيقة كما انبأنا بذلك القرآن الكريم.

المراجع

- سيد سابق، كتاب العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت.

- تفسير قتادة بن دعامة السدوسي من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف، يوسف محمد الكالي (٢٠١٩م).

- شعر الجن في التراث العربي، د. عبدالله سليم الرشيد، دار المجلة العربية للنشر والترجمة.

د. ناجي عبد الله الخرس
باحث دراسات إسلامية



مفاتيح فهم القرآن الكريم

تمهيد:

«إن هذا القرآن ينبغي أن يقرأ، وأن يتلقى من أجيال الأمة المسلمة بوعي، وينبغي أن يتدبر على أنه توجيهات حية، تتنزل اليوم، لتعالج مسائل اليوم، ولتنير الطريق إلى المستقبل. لا على أنه مجرد كلام جميل يرتل، أو على أنه سجل لحقيقة مضت ولن تعود...»[١].

أنزل القرآن للتعبد بتلاوته وتدبر آياته والانتفاع بعظاته، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(ص:٢٩).

قراءة القرآن بتدبر وتفهم لمعانيه وما أريد به. قال الإمام الزركشي -رحمه الله-: «ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئا»[٢].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا به عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مئة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن»[٣].

وكان هذا من هديه ﷺ. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ ليلة فقرأ بآية حتى أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(المائدة:١١٨)[٤].

النظرة الكلية الشاملة للقرآن

بعض الناظرين إلى القرآن والقارئين له، ينظرون له نظرات جزئية فرعية هامشية ثانوية. فهو كتاب للشفاء والتعاويذ والرقى عند بعضهم، وهو كتاب شامل للعلوم والمعارف والثقافات عند آخرين، وهو كتاب تضمن أرقى أساليب البيان والبلاغة، وهو كتاب حوى من أخبار الماضين وقصص السابقين، وهو كتاب للفقه

والأحكام والفكر والخيال... إلخ.
ونحن لا ننكر وجود هذا كله في القرآن، لكن توفر هذه الأشياء فيه شيء، وأن تقصر نظرتنا له عليها فقط شيء آخر.

الشعور بأن الآية موجهة له

والمقصود أن يقدر أنه المقصود الأول بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعدا أو وعيدا فمثل ذلك، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾(الأنعام:١٩). وقال محمد بن كعب القرظي -رحمه الله -: «من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله».
هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عزوجل، فنتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخطوات، وننفذها في الطاعات.

❖ أمثلة على ذلك

بر الوالدين[٥]، الغيبة[٦]، النصرة[٧].

الثقة المطلقة بالنص القرآني وإخضاع الواقع المخالف له

القرآن كلام الله، ولابد أن ينظر له على أنه كلام الله، ويتم التعامل معه على أنه كلام الله، وهو الحق المطلق والصدق المطلق والخير المطلق، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٧٨).
موقف القارئ من القرآن هو التسليم التام به، والثقة بنصوصه، والتصديق الجازم بمعانيه وحقائقه ودلالاته.
على القارئ البصير أن تكون نظرته لنصوص القرآن، وتعامله معها واقتناعه بها وتسليمه لها محكوما بقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(النساء:٦٥)، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(الأحزاب:٣٦)[٨]، فلا يكون «مزاجيا» في تعامله مع القرآن وثقته بنصوصه، فيفعل فعل اليهود في التوراة، ذلك الفعل الذي يقوم على «المزاجية» والهوى، والذي ذمه الله بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾(البقرة: ٨٥).
أن النص القرآني هو الأساس والقاعدة والأصل، وإن الواقع هو التابع له، فإذا ما تعارضا في ظهر الأمر، فلا بد أن في الأمر شيئا، ولا بد أن الشروط والمواصفات التي قررها القرآن لم تتحقق، والأسباب التي أشار إليها لم توجد.

والأمثلة على ذلك

قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (النساء:١٤١)، هو الأصل والواقع له تبع. وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾(الأنعام:٦)، سنة لا تتخلف، والبصير هو الذي يراها قادمة. وقوله تعالى مهددا آكلي الربا: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(البقرة:٢٧٩)، يعلن الحرب عليهم، والمؤمن هو الذي يراها الآن حربا أعلنها الله على العالم أجمع لأكلة الربا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾(البقرة:٢٧٦).
وقوله تعالى عن اليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾(آل عمران:١١٢)، حكم قاطع دائم يتضمن الاستثناء في الحبال الممدودة إليهم في هذه الأيام، حبل الله بالإمهال، وحبال أمريكا بالمساعدات المالية، وحبال روسيا بالسيل البشري، وحبال عملائهم بالتحالف والتعاهد، وحبال الأمة بالجبن والذل وترك الجهاد.
وقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:٧) تعليل لسر انتصار المسلمين السابقين، وتعليل لسر هزائم المسلمين المعاصرين، وهو يقرر قاعدة عامة وسنة ربانية ثابتة تتضمن شرطا بشرط، وهو المتمثل في فعل الشرط وجوابه. وقوله تعالى عن غزوة أحد: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾(آل عمران:١٦٥).

عالمية القرآن

لقد زعم أعداء الإسلام أن القرآن العظيم كتاب تاريخي، خاطب عصرا محددا فقط ثم انتهت صلاحيته بعد ذلك، ولم يبق له في الواقع المعاصر أدنى تأثير!
ونحن المسلمون نعتقد اعتقادا جازما لا مرية فيه، أن القرآن العظيم هو الكتاب الذي خاطب الله تعالى به جميع البشر

إلى يوم القيامة، فلم يقيده بزمان ولا بمكان، ولا جنس ولا طبقة، بل هو موجه إلى الثقلين، خاطبهم جميعا بما يسعدهم في الدنيا والآخرة من العقائد الصحيحة، والعبادات الحكمية، والأحكام الرفيعة، والأخلاق الفاضلة التي تستقيم بها حياتهم.

ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على عالمية القرآن، ومن الصعوبة بمكان استقصاء جميع الآيات التي تحدثت عن عالمية القرآن[٩]. وقد ذكر بعضهم «أن عدد الآيات الدالة على عالمية القرآن تزيد على ثلاثمائة وخمسين آية»[١٠]. وهناك أربع آيات تعلن بكل وضوح أن القرآن ذكر لجميع العالمين: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٧)، ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (القلم: ٥٢).

وقد استنبط بعض العلماء التفسير من هذه الآيات الآتي:

أولا: أنها جاءت بصيغة الحصر، أي تنفي عن القرآن صفة أنه غير عالمي.

ثانيا: أنه مذكر للعالم أجمع، باعتبار أنه مخاطب به الإنس والجن في قوله تعالى (للعالمين).

ثالثا: العالمين جمع عرفت بـ (ال) فتدل على معنى الاستغراق، فالجمع المعرف بـ (ال) من صيغ العموم في اللغة العربية، فهو أي القرآن ذكر لجميع عقلاء الإنس والجن بلا تقييد من مكان، أو زمان، أو طبقة، أو جنس.

ومن الآيات التي صرحت بعالمية القرآن العظيم:

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾(الإسراء:٨٩).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(الزمر:٢٧).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (الزمر:٤١).



الهوامش

١- في ظلال القرآن (٦١/١).

٢- البرهان (١٥٥/٢).

٣- مفتاح دار السعادة (١٨٧/١).

٤- رواه النسائي (١٠١٠)، وابن ماجه (١٣٥٠)، وأحمد (٢١٥٣٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٩٠٥).

٥- بر الوالدين: قال تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ (الإسراء:٢٣).

٦- الغيبة: قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات:١٢).

٧- النصرة: قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾(الأنفال:٧٢).

٨- يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥)، أي يسلموا لذلك «الحكم» تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، كما ورد في الحديث: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (ج:١٥) وضعفه الألباني بسبب ضعف نعيم بن حماد أحد رواة هذا الحديث، وصححه النووي وتعقبه ابن رجب (جامع العلوم والحكم) (٤٣١/٢).

٩- تأمل نماذج للآيات التي تدل على عالمية القرآن في أرقام آيات السور التالية: البقرة ١٨٥، النساء ١، ٧٩، ١٧٠، ١٧٤، الأعراف ١٥٨، يونس ٥٧، ٩٩، ١٠٤، ١٠٨، يوسف ١٠٤، الإسراء ٨٩، ٩٤، ١٠٥، ١٠٦، الأنبياء ١٠٧، الحج ١، ٥، ٢٧، ٤٩، ٧٣، الفرقان ١، ٥٠، ٥١، ٥٦، الأحزاب ٤٥، ٤٦، سبأ ٢٨، فاطر ٢٤، ص ٨٧، القلم ٥٢، التكوير ٢٧.

١٠- دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري، د. محمد خليل جيجك، ص:١٣٢.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

الوعي الإسلامي

أ. د/ محمد إبراهيم العشماوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه في جامعة الأزهر





التدابير الروحية والمادية.. لمواجهة الوباء في السنة النبوية!

الحفاظ على النفس الإنسانية، ودفع الأخطار عنها، ووقايتها من أسباب الهلاك؛ أحد مقاصد الإسلام الكبرى، وكلياته العظمى، التي من أجلها شرعت الشرائع، وسنت الأحكام.

ومن الأخطار التي تتعرض لها النفس الإنسانية، وتهدد وجودها وبقاءها؛ الأمراض والأوبئة، لا سيما الفتاكة منها؛ إذ هي مظنة الهلاك، وذلك كالوباء العام الذي يجتاح العالم الآن، وهو فيروس كورونا، المصطلح عليه علميا باسم (كوفيد-١٩)، والذي راح ضحيته مئات الآلاف حول العالم، وأصيب به ملايين.

ولأن الإسلام دين جامع شامل لخيري الدنيا والآخرة، صالح

لكل زمان ومكان؛ فإنه وضع منهجا عاما للتعامل مع الوباء، أيا كان نوعه، أو صفته، أو زمانه، أو مكانه!

وهذا ما سجلته شهادات غربية غير إسلامية، لباحثين ومفكرين وكتاب -حسبما نشرته بعض المواقع الإخبارية والدوائر المعرفية- إذ أشادوا في شهادتهم تلك بتعاليم الإسلام الوقائية والعلاجية في مواجهة الوباء، وسبقه في هذا الميدان كل النظم، وبأن العالم كله رجع إلى تلك التعاليم!

ففي تقرير للباحث الأميركي كريج كونسيدين نشر في ٢١ مارس ٢٠٢٠م، بمجلة «نيوزويك»[١]، نقل فيه عن الدكتور أنتوني فوسي عالم المناعة، والدكتور سانجاي جوبتا المراسل الطبي؛ قولهما: «إن التزام النظافة الصحية، والحجر الصحي، أو ممارسة العزل الاجتماعي عن الآخرين؛ أملا في الحيلولة دون انتشار الأمراض المعدية، يعد أكثر التدابير فاعلية لاحتواء تفشي وباء فيروس كورونا المستجد».

وطرح كونسيدين، الذي صدر له مؤلفان تناول فيهما الإسلام، سؤالا حاول الإجابة عنه، قائلا: «هل تعلمون من الذي أوصى بالتزام النظافة والحجر الصحي الجديد في أثناء تفشي الأوبئة؟»، فأجاب قائلا: «نبي الإسلام محمد، قبل ١٤٠٠ عام».

ورأى الكاتب أنه «على الرغم من أن نبي الإسلام ليس بأي حال من الأحوال، خبيرا تقليديا بالمسائل المتعلقة بالأمراض الفتاكة، فإنه كانت لديه نصيحة جيدة لمنع ومكافحة تطور الأوبئة مثل فيروس كورونا المستجد».

ويقول: «إن النبي محمدا قد أوصى بعزل المصابين بالأمراض المعدية عن الأصحاء، وحث البشر على التزام عادات يومية للنظافة قادرة على حمايتهم من العدوى، مستعرضا عددا من الأحاديث النبوية المتعلقة بالنظافة».

وما جاء في هذا التقرير هو تلخيص لمنهج السنة النبوية في مواجهة الوباء، يمكننا شرحه بإيجاز في عدة نقاط.

أولا: أن منهج السنة النبوية في مواجهة الوباء؛ يختلف عن غيره من المناهج؛ لأنه يعتمد على نوعين من التدابير: التدابير الروحية، والتدابير المادية.

ثانيا: أن التدابير الروحية تعني أن هذا الدين -أعني الإسلام- دين يؤمن بأن لهذا العالم مدبرا حكيما يدبر شؤونه، وأن ما يجري في هذا العالم من الأوبئة؛ جزء من تدبيره المحكم، فلا بد من اللجوء إليه، والاعتماد عليه، والتضرع له، والاحتماء به؛ لرفع هذا الوباء، فهو وحده القادر على رفعه، وهو الذي يلهم الإنسان العلم والمعرفة لمواجهته، ومن هنا كان العلم في الإسلام مرتبطا باسم الله، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١).

على أن هذه التدابير الروحية نوع من العلاج؛ إذ العلاج نوعان: مادي وروحي؛ لأن الإنسان شيئان: مادة وروح، بل علاج الروح مقدم على علاج البدن، والمرء أحوج إليه من علاج البدن؛ لتوقف كثير من الأمراض البدنية عليه!

ومن تلك التدابير الروحية التي جاءت بها السنة النبوية، لمواجهة الوباء؛ تقوية الإيمان، واليقين، والصبر، والرضا، والتوكل، والثقة بالله عزوجل، والتضرع إليه بالتوبة، والإنابة، والذكر، والابتهال، والدعاء، والاستغفار، والصلاة، والصدقة، وقراءة القرآن، وسائر أنواع الطاعات، فإنها علاج للروح، وتقوية لها؛ لتصمد في مواجهة الأزمات والشدائد، وإذا قويت الروح؛ قويت مناعة الجسد، فاندفعت عنه الأمراض، وتنحت عنه الأعراض!

يقول الإمام ابن القيم في (الطب النبوي)[٢] عن هذا النوع من العلاج الروحي: إنه «يستنزل بذلك من الأرواح الملكية ما يقهر هذه الأرواح الخبيثة، ويبطل شرها، ويدفع تأثيرها.. وهذا يكون قبل استحكامها وتمكنها، ولا يكاد ينخرم، فمن وفقه الله؛ بادر عند إحساسه بأسباب الشر إلى هذه الأسباب التي تدفعها عنه، وهي له من أنفع الدواء، وإذا أراد الله عزوجل إنفاذ قضائه وقدره، أغفل قلب العبد عن معرفتها وتصورها وإرادتها، فلا يشعر بها ولا يريدها، ليقضي الله فيه أمرا كان مفعولا».

وقد ثبت في (الصحيح)[٣] أن الصحابة رضي الله عنهم رقوا رجلا لدغته حية، بفاتحة الكتاب، فبرئ بإذن الله! فدل ذلك على

أن العلاج الروحي ينفع في إبطال أثر السم، كما ينفع في دفع أثر العين والسحر الذي يبطل منافع بعض الأعضاء!

ومن جملة التدابير الروحية لمواجهة الوباء؛ تسلية النفس بمعرفة أن الوباء من جملة البلاء، وأن في البلاء خيرا للعبد على كل حال، ما دام صابرا محتسبا، فإن عاش فله أجر الصبر على المرض، وإن مات فله أجر الشهادة، وفي الحديث: «الطاعون شهادة لكل مسلم»(٤).

ثالثا: أما التدابير المادية التي جاءت بها السنة النبوية، لمواجهة الوباء؛ فهي نوع آخر من المواجهة، لكنه يسير في خطين متوازيين: خط الوقاية، وخط العلاج.

فأما الوقاية فلا يخفاك أن الطب الوقائي نوع من الطب، وأن توقي الإنسان مما يؤذيه في العاجل والآجل؛ مما أمر الله ورسوله ﷺ به، وقد أرسى القرآن مبدأ الوقاية من أسباب الهلاك في آية محكمة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة:١٩٥)، وأكد النبي ﷺ على هذا المبدأ بقوله: «لا ضرر ولا ضرار»(٥). أي: لا يعرض الإنسان نفسه للضرر، ولا يعرض الآخرين له، وهذا معنى جديد للوقاية، لا يقتصر على وقاية الإنسان نفسه فحسب من الضرر، بل يدعوه إلى وقاية الآخرين أيضا، وعدم الإضرار بهم!

ومن أجل هذا نهت السنة النبوية عن الدخول في أرض الطاعون أو الخروج منها؛ لينحصر المرض، ولا يستشري، فيما يسمى بالحجر الصحي الآن!

ففي الحديث الصحيح: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض؛ فلا تدخلوها، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها، فرارا منه»(٦).

وقد ذكر الإمام ابن القيم، الحكم الطبية من هذا النهي النبوي، والذي ثبت إعجازه في عصر العلم!

يقول ابن القيم في (الطب النبوي)(٧) -وكأنه يتكلم بلسان الأطباء في عصرنا-: «وأما نهيه عن الخروج من بلده، ففيه معنيان:

أحدهما: حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أقضيته، والرضا بها.

والثاني: ما قاله أئمة الطب: أنه يجب على كل محترز من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية، ويقلل الغذاء، ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه، إلا الرياضة والحمام، فإنهما مما يجب أن يحذرا، لأن البدن لا يخلو غالبا من فضل رديء كامن فيه، فتثيره الرياضة والحمام، ويخلطانه بالكيموس الجيد، وذلك يجلب علة عظيمة، بل يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة، وتسكين هيجان الأخلاط، ولا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة، وهي مضرة جدا، هذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين، فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي، وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما.

فإن قيل: ففي قول النبي ﷺ: «لا تخرجوا فرارا منه»؛ ما يبطل أن يكون أراد هذا المعنى الذي ذكرتموه، وأنه لا يمنع الخروج لعارض، ولا يحبس مسافرا عن سفره؟ قيل: لم يقل أحد، طبيب ولا غيره، إن الناس يتركون حركاتهم عند الطواعين، ويصيرون بمنزلة الجمادات، وإنما ينبغي فيه التقلل من الحركة بحسب الإمكان، والفار منه لا موجب لحركته إلا مجرد الفرار منه، ودعته وسكونه أنفع لقلبه وبدنه، وأقرب إلى توكله على الله تعالى، واستسلامه لقضائه.

وأما من لا يستغني عن الحركة، كالصناع، والأجراء، والمسافرين، والبرد، وغيرهم، فلا يقال لهم: اتركوا حركاتكم جملة، وإن أمروا أن يتركوا منها ما لا حاجة لهم إليه، كحركة المسافر فارا منه.

وفي المنع من الدخول إلى الأرض التي قد وقع بها؛ عدة حكم:

أحدها: تجنب الأسباب المؤذية، والبعد منها.

الثاني: الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد.

الثالث: ألا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد، فيمرضون.

الرابع: ألا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك، فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم.

وفي (سنن أبي داود) مرفوعا(٨): «إن من القرف التلف». قال ابن قتيبة: «القرف مداناة الوباء، ومداناة المرضى».

الخامس: حِمية النفوس عن الطيرة -التشاؤم- والعدوى؛ فإنها تتأثر بهما؛ فإن الطيرة على من تطير بها.

وبالجملة: ففي النهي عن الدخول في أرضه؛ الأمر بالحذر والحمية، والنهي عن التعرض لأسباب التلف.

وفي النهي عن الفرار منه؛ الأمر بالتوكل، والتسليم، والتفويض.

فالأول: تأديب وتعليم، والثاني: تفويض وتسليم.

ومن التدابير الوقائية أيضا لمواجهة الوباء؛ ألا يخالط الصحيح المريض؛ لقوله ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»[٩]، وقوله: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»[١٠].

وهذا ما يمكن تسميته بالعزل المنزلي الآن، وينسحب أيضا على التباعد الاجتماعي!

ومنها أيضا العناية بالنظافة العامة والخاصة، وحسبك من هذا الدين أن اعتبر «الطهور شطر الإيمان»، وهو شامل للطهارة الحسية والمعنوية!

وقد حثت السنة النبوية على التزام النظافة الشخصية فيما يسمى بسنن الفطرة، وهي الختان، والاستحداد (حلق العانة)، ونتف الإبط، وقص الشارب، وتقليم الأظافر.

وهذه المناطق من أكثر مناطق الجسم التي تتجمع فيها الميكروبات والجراثيم، وتكون سببا في وقوع الأمراض.

كما دعت السنة النبوية إلى الاهتمام بطهارة البدن، فأوصت بتنظيف الفم والأسنان بالسواك ونحوه، وأمرت بالاستنجاء من الغائط، والاستبراء من البول، والوضوء للصلاة، واستحبته في كل وقت، وأمرت بالاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس -وكل هذا أذى- ودعت إلى نظافة الثوب والمكان، حتى يعيش الإنسان في بيئة نظيفة آمنة، فقد نهى النبي ﷺ عن البول في الماء الراكد، والبراز في موارد الناس وظلهم، وأمر بإماطة الأذى عن طريق الناس.

ومن جملة التدابير الوقائية تحريم بعض أنواع اللحوم التي تسبب بعض الأمراض، كلحم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وحثها على طريقة صحية لذبح الحيوان تستخرج ما فيه من المادة الفاسدة، بإراقة الدم، ودعوتها إلى تغطية أواني الطعام والشراب، وعدم تركها مكشوفة، ونهيها عن الأكل متكئا لما فيه من الضرر، ووصيتها ببعض أنواع الطعام لما فيها من الفوائد الصحية كالتمر وزيت الزيتون، وإرشادها إلى عدم الإسراف في الطعام والشراب.

وأما التدابير العلاجية؛ فقد دعت السنة النبوية إلى التداوي بكل أنواع الدواء المباحة، واستنهضت همم العلماء إلى اختراع الأدوية؛ إذ بينت أنه لا يوجد على وجه الأرض داء إلا خلق الله له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، وهذا مما يفتح أبواب الأمل أمام من ابتلوا بالأمراض المعضلة التي استعصت في يوم من الأيام على العلاج، وإعجاز نبوي في عالم الطب، ففي الحديث: «يا عباد الله، تداووا، فإن الله -عزوجل- لم يضع داء إلا وضع له دواء (شفاء)، غير داء واحد، قالوا: وما هو؟ قال: الهرم»[١١] أي: الشيخوخة وكبر السن.

ومن جملة التدابير العلاجية؛ الحجر الصحي، والعزل المنزلي، وقد سبقت الإشارة إليه، فهو وقاية لقوم، وعلاج لآخرين!

وبعد: فهذه نبذة عن الأسباب الروحية والمادية، لمواجهة الوباء، في السنة النبوية، أرجو أن أكون قد وفقت في عرضها على نحو يسر الخاطر، ويبعث الأمل، وبالله التوفيق.

الهوامش

1- https://ajel.sa/mhQpcg/.

٢- الطب النبوي ص٣١ دار الأرقم بيروت.

٣- رواه البخاري في الطب، باب الرقية بفاتحة الكتاب من حديث أبي سعيد الخدري.

٤- رواه البخاري في الطب، باب ما يذكر في الطاعون، من حديث أنس بن مالك.

٥- رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما بإسناد حسن.

٦- متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد.

٧- الطب النبوي ص٣٣.

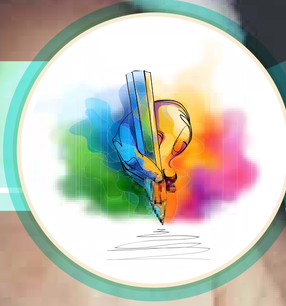
٨- رواه أبو داوود في الطب، من حديث فروة بن مسيك.

٩- رواه مسلم في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة.

١٠- رواه البخاري في الطب، باب الجذام.

١١- رواه أصحاب السنن الأربعة من حديث أسامة بن شريك.

الطيب سيد أحمد الشنهوري
معلم بالتربية وباحث دراسات إسلامية



منهج النبي ﷺ في التربية بالرفق واللين

لم يعهد التاريخ؛ ماضيه وحاضره، دينا علم الدنيا الرفق وغرس اللين والتيسير على الناس في نفوس أتباعه كما فعل الإسلام، ولم ير مرب أرسى أسس التربية بالرفق واللين كمحمد ﷺ، كيف لا وقد علمه ربه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما؟!

فاستقى الرفق في التربية عن وحي السماء، وصبغه بصبغة أخلاقه السمحة، وربى الرعيل الأول من أصحابه بأفعاله قبل أقواله.

مما لا يشك فيه عاقل أن للتربية العملية أثرا أعمق في النفس وأكثر نفعا من القول، فما يراه المتعلم في خلق معلمه ينطبع في ذهنه وقلبه؛ فيتطبع عليه من دون تكلف، قيل للشيخ الشعراوي، رحمه الله، يوما: وجه نصيحة إلى الدعاة إلى الله، فقال كلمة أوجز بها وأنجز، كلمة تختصر المنهج كله، قال: «إياك أن يراك المدعو على غير ما تدعوه إليه».

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبدا وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى
بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

وقد تحققت القدوة العملية في أسمى معانيها في أخلاق محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

فكان الرفق في خلقه منهجا يقتدى به في كل أمر قال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»(١).

كما أوضح ﷺ أن رسالته الخاتمة رسالة رفق وتيسير فقال: «إن الله لم يبعثني معنتا، ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا»[٢].

وهناك مشهد يتجلى فيه رفق النبي ﷺ بالمتعلم رغم أن الخطأ صدر عنه في ركن من أركان الإسلام ركين معلومة تفصيلاته لكل مسلم بالضرورة، وهو الصلاة، فقد تحدث معاوية بن الحكم السلمي في صلاته بكلام خارج عن معنى الصلاة وكرر حديثه.

ونترك صاحب الموقف يروي لنا ما كان منه:

عن معاوية بن الحكم السلمي: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ تنظرون إلى، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني[٣] ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[٤].

قال الإمام النووي معلقا: «فيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته وشفقته عليه، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه».

بل وكان ﷺ رفيقا مع من فعل في المسجد ما هو أكبر من ذلك، فعن أنس بن مالك: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه[٥] دعوه». فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن (أو كما قال رسول الله ﷺ)»، قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه[٦].

ولعل من أبلغ ما كان من رفقه صلوات الله وسلامه عليه أن أتاه رجل فقال: يا رسول الله هلكت.

قال: «وما أهلكك؟».

قال: وقعت على امرأتي في رمضان.

قال: «هل تستطيع أن تعتق رقبة؟».

قال: لا.

قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟».

قال: لا.

قال: «فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟».

قال: لا.

قال: «اجلس».

فأتي النبي ﷺ بعرق فيه تمر (والعرق المكتل الضخم)، وقال: «فتصدق به».

فقال: ما بين لابتيها أحد أفقر منا.

فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه.

قال: «خذه فأطعمه أهلك»[٧].

فهذا الرجل لما جاء معترفا بخطئه، نادما على سوء فعله، باحثا عن المخرج الشرعي لما وقع فيه من خطأ وزلل؛ يسر عليه النبي ﷺ ورفق به ولم يتعنت معه، فأخبره أن عليه كفارة، بدأ فيها بعتق رقبة، ثم صيام شهرين متتابعين، ثم إطعام ستين مسكينا، فلما لم يجد عند الرجل قدرة على شيء من ذلك، أعطاه ما يتصدق به؛ بل إنه سمح له بأخذ هذه الصدقة، وأن يطعمها هو وأهله لما رأى ما عليه الرجل من فاقة وشدة وحاجة[٨].

وهكذا يتجلى لنا في أنوار رفقه ﷺ بره بأصحابه ورحمته إياهم.

قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ (الأحزاب:٦).

وقال ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم»[٩].

فجدير بكل مرب ومعلم أن يتعلم من خير المعلمين ﷺ، فيتخذ الرفق منهجا؛ فإنه أثمر وأقوم.

الهوامش

١- صحيح ابن ماجه، ٢٩٩٠.
٢- صحيح مسلم، ١٤٧٨.
٣- قهرني ونهرني.
٤- رواه مسلم، ٥٣٧.
٥- لا تجعلوه يتضرر بقطع بوله.
٦- صحيح مسلم، ٢٨٥.
٧- صحيح البخاري، ٢٦٠٠.
٨- المعلم الأول، إعداد القسم العلمي بدار الوطن، ص:١٠.
٩- صحيح النسائي، ٤٠.

نادر أبو الفتوح
صحافي وباحث



وماذا بعد رمضان؟

ظاهرة الكسل والتراخي في العبادة بعد رمضان، تعد من أكثر السلبيات التي تحدث بعد نهاية هذا الشهر الكريم، الأمر الذي يتطلب أن يقوم الدعاة والعلماء بدورهم في حث المسلم على الاجتهاد في العبادة والاستمرار في الطاعات، لأن تراجع الهمم بعد رمضان والغياب عن صلاة الجماعة في المساجد، بعد أن كانت بيوت الله تشهد زحاما كبيرا في رمضان، قضية ينبغي أن يركز عليها الخطاب الديني، الذي يجب أن يراعي الواقع وقضايا الناس.

بدورهم وجه علماء شريعة إسلامية في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» نصائح بضرورة مجاهدة النفس، والمداومة على الطاعات، والحفاظ على صلاة الجماعة وحضور دروس العلم، لأن كل هذه الأعمال الصالحة تجعل المسلم يعيش في طمأنينة، وتجعله يبتعد عن المحرمات، وهذه الحالة الإيمانية تنعكس على المسلم في كافة شؤون حياته، لأن عدم الاستمرار في الطاعات وهجر المساجد بعد رمضان ظاهرة مرفوضة، والمسلم عليه أن يستعد لما بعد رمضان، بنفس العزيمة التي كان عليها في رمضان، لأن الاستمرار في الطاعات دليل على قبول الأعمال الصالحة.

الحفاظ على الطاعات

في البداية يقول الدكتور محمد نجيب عوضين أستاذ الشريعة الإسلامية جامعة القاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إن النشاط الدعوي والتسابق في فعل الخيرات والأعمال

علماء شريعة: المداومة على الطاعات والاجتهاد في العبادة ومجاهدة النفس واجب

الصالحة، والحرص على قراءة القرآن والصلاة في جماعة، ينبغي أن يستمر بعد رمضان، فكما كانت المساجد تشهد زحاما من المصلين في رمضان، وكانت هناك الكثير من المظاهر الإيجابية في المجتمع، وتمثل ذلك في التسابق على فعل الخيرات ورعاية الفقراء، وتنظيم موائد لإطعام المحتاجين، فمن الضروري أن تستمر كل هذه الطاعات بعد رمضان، لأنها من القيم النبيلة التي حث عليها الشريعة الإسلامية، وهذا يتطلب أن يقف المسلم مع نفسه، ويدرك أن الأعمال الصالحة ليس لها وقت أو زمن معين، بل يجب أن يكون الإنسان دائما في طاعة وإخلاص، ومن غير المقبول أن يكون هناك تناقض في سلوك الإنسان، يجتهد في العبادة في رمضان وينقطع في غيره من الشهور، ويخرج الصدقات ويصل الأرحام في رمضان فقط.

تراجع الهمم مرفوض

وحذر الدكتور عوضين، من تراجع الهمم بعد رمضان، لأن الطاعات التي فعلها المسلم في رمضان، ينبغي أن تكون دافعا لمزيد من الاجتهاد في العبادة، والاستمرار في الطاعات دليل قبول الأعمال الصالحة، فعندما يشعر المسلم بصفاء القلب بعد رمضان، ورغبة وحرص على صلاة الفجر في المسجد وقراءة القرآن الكريم، فإن هذه بشارة بقبول الأعمال الصالحة، والمسلم عليه أن يتقرب إلى الله عزوجل، ويبتعد عن كل الأمور التي تشغله عن العبادة والطاعة، ويدرك أن صفاء القلب وراحة البال تكون في البعد عن كل ما يغضب الله عزوجل، كما أن الأعمال الصالحة تدفع المسلم لمزيد من الطاعات.

استمرار الأنشطة الدعوية

ومن جانبه يشير الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر في حديثه مع «الوعي الإسلامي» إلى ضرورة أن يقوم العلماء وخطباء المساجد بدورهم في التوعية، وأن يتم تكثيف الأنشطة الدعوية بعد رمضان، بجانب تنظيم الندوات وعقد الدروس الدينية، وتنظيم مسابقات للقرآن الكريم والثقافة الإسلامية، وكل ذلك بهدف التوعية الشاملة وغرس الثقافة الدينية الوسطية، لأن مثل هذه الأنشطة تكون سببا في تعلق الناس بالمساجد، وهذه مسؤولية العلماء والدعاة في رسم خطط دعوية بعد رمضان، كذلك ينبغي أن تتم هذه الأنشطة في ضوء الإجراءات الاحترازية بهدف الحماية من انتشار فيروس كورونا، وضرورة استخدام وسائل التواصل الحديثة في مجال الدعوة الإلكترونية، لأن ذلك يجذب الشباب كما يجسد التنوع في وسائل الدعوة والخطاب الديني.

مجاهدة النفس

كما طالب الشيخ الأطرش، بضرورة مجاهدة النفس، لأن البعض قد يقلع عن العادات السلبية في رمضان، ويكون لديه عزيمة على ترك هذه السلبيات التي تشغله عن الطاعات، ويركز في العبادة وقراءة القرآن الكريم وحضور مجالس العلم، لكن تجده بعد رمضان يعود إلى الأمور التي كانت تشغله عن العبادة، وربما يظل المسلم طوال رمضان لا ينشغل بالفضائيات أو وسائل التواصل الاجتماعي، لكن بعد رمضان يُضيع الوقت ويترك الطاعات، وهذه من السلبيات المرفوضة التي يجب ألا يقع فيها المسلم، ولذلك لابد من مجاهدة النفس والتغلب على الشهوات والبعد عن المحرمات، لأن كل ذلك يؤدي لمزيد من الأعمال الصالحة، والمؤكد أن تنظيم الوقت يعد من أفضل السبل التي تؤدي للاستمرار في الأعمال الصالحة، وهذا يتطلب عزيمة ورغبة في كسب الحسنات والتقرب إلي الله عزوجل كما كان يفعل المسلم في رمضان.

لا تكن رمضانيا

ومن جانبه يوجه الدكتور علوي أمين أستاذ الفقه جامعة الأزهر بالقاهرة في حديثه مع «الوعي الإسلامي» نصائح للمسلم قائلا: لا تكن رمضانيا، تجتهد طوال ليالي رمضان في صلاة القيام وقراءة القرآن ورعاية الفقراء والمحتاجين، وبعد رمضان تتراجع عن الاستمرار في هذه الأعمال الصالحة، لأن النية الصادقة والرغبة في التقرب إلي الله عزوجل ليست في رمضان فقط، والفقراء في حاجة للصدقات في رمضان وغيره من الشهور، وقراءة القرآن الكريم ليست مرتبطة برمضان فقط، والمسلم يجب أن يفرح بتوفيق الله عزوجل له بأن قام رمضان إيمانا واحتسابا، وينبغي أن تتجسد هذه الفرحة في الاستمرار في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بكل الأعمال الصالحة بعد رمضان، كذلك هناك دور كبير يقع على عاتق وسائل الإعلام الديني في حث الناس على الطاعات، وأن يقوم العلماء والدعاة بالتوعية الدينية وتناول تلك القضايا في الدروس الدينية وخطب الجمعة وخلال البرامج الدينية، لأن تراجع الهمم بعد رمضان قضية تتطلب جهد وتوعية.



هانم محمد عبدالحميد
كاتبة وباحثة تربوية

التطور الإسلامي في نظر المفكرين

في الإسلام قوة إلهية سبق بها الزمن وتواكب مع القوافل الحضارية يقودها ويرشدها وتزامن مع الأجيال الدائبة، وتآخى مع المبادئ البناءة وتلاقى مع العقائد النقية، منه العون للحق على أي لسان، وعليه النصر للحرية في أي بلد، وفيه الدعم للمواهب من أي جنس، دين حوى بين دفتيه من السعة والدقة ما رشحه دائما لريادة الأمم في الإسلام، وقيادتها في الحروب، وزعامتها في الخير وسيادتها في الميادين، امتلك أعظم رصيد من التطور الذي أهله للتنافس مع الريح القاصفة في السرعة ومع النسائم العلية في الرقة ومع زبرجد الحديد في الصلابة ومع الجبال الرواسي في الثبات، ومع تيارات المحيط في التدفق.

دين كره الحجر على العقل وأبغض مصادرة الفكرة ولفظ جمود اللب وصارع قوى الإكراه أطلق العقل من أساره وفك أغلاله ودفعه إلى آفاق الثقافات الإنسانية وأعماق المعارف الإسلامية وفتقه على منافذ الفكر البشري ومحاسن الأدب العالمي وأطايب الفن الدولي، تخصص في تمهيد الطريق لسعادة الفرد وهناء الأسرة وراحة الشعوب ورضاء الأمم وتعهد ضبط مسار الحكام وتقويم سلوك الجماعات وإشعال الضوء الأحمر قبل الخطر، وفطم الطغاة عن تكبيل الدعاة وإقامة الدولة في خدمة الدعوة، ادخر في خزائنه من السعادة ما لو قسمه على القارات الخمس عند تطبيقها له لكفاها وفاض بشآبيبه على الجن في خبايا الأرض والملائكة في أعنة السماء والطيور في أجواء الفضاء والوحوش في شعاب الصحراء، خاصم الجمود في كل مجال وشهر سلاحه على التخلف فحوله إلى تقدم، وهرع إلى الشعوب المستضعفة فحطم أغلالها وأسرع إلى الجبابرة فطهر صلفها، وطار إلى الطواغيت في كل مكان على ظهر الأرض وجرعهم كؤوس المر حتى الثمالة، وقطع أيديهم التي كوت الجلود بالسياط، ودق أعناقهم التي استكبرت على الخالق فلم تسجد له مرة، دين من ألد أعدائه التخلف فما أن يرى أشواكه اللاذعة مستغلظة حتى يعمل بسرعة فائقة في اقتلاع جذورها من أعماقها، ويغرس مكانها بذور التقدم ويرويها بدماء المجاهدين حتى تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، يهيئ مناخ الحرية لها إعلاء لأغصانها وتثبيتا لمكانتها، دين من جوهره استثمار جميع الثروات وإعلاء القواعد الحضارية بها وإسعاد الإنسان في بحبوحتها وتطوير الحياة بمقدراتها وإعمار الدنيا



بنفاستها ولقد شاد التطور الحضاري على ركيزتين:

الأولى: الروحية - والثانية المادية، ومن أجل هذا تعامل مع النفس والجسد وتفاعل مع الدنيا والآخرة وتجاوب مع الخلق والخالق ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

مسيرة الإسلام الحضارية

عندما هيمن الإسلام على المسيرة الإنسانية قضى على التخلف الحضاري والجمود الفكري والجدب العقلي وأثرى المدنية بأحكامه الشرعية ودفع عجلتها إلى الأمام ومنع نكوصها على الأعقاب وحول الأثرة إيثارا، والتراب تبرا.

وإن الباحثين في كل عصر عن الحق بدأب عثروا عليه بين ركام الأباطيل فاهتدوا إليه وميزوه منها وعزفوه عن قيثارة العشق ونشروه على أسماع الدهر وأنعشوا به قلوبا مكلومة وصدورا مغيظة وأزاحوا عن وجهه غبار السنين، ومن فضل الله على الحقيقة أنه اصطنع لها غواصين مهمتهم في الحياة استخراجها من سجونها ونثرها على الإنسانية كما ينثر الندى على أكمام الزهر وهذه منة كبرى من الخالق على الخلق، ورغم مرارتها في حلوق الشانئين فإن لها حلاوة في مذاق المفكرين وعبقا في أنوف العباقرة وجمالا في أعين الأفذاذ ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ (فصلت:٥٣).

إن الذي خلق الحقيقة علقما
لم يخل من أهل الحقيقة جيلا

قال الدكتور (بول دي ركلا): (إن الإسلام جاء وبابه مفتوح على مصراعيه وهو واسع الأرجاء لتلقي الرقي الحديث الذي أنتجته الأجيال الطويلة، وليس كما يزعم البعض بمحدود الأطراف وضيق المدخل، لأن تعاليمه الرفيعة وضعت لكرور الدهور، وستبقى خالدة وضاءة الأنوار تكشف كل مدنية تتمخض عنها العصور ويكفيه فخرا أنه قدس الأنساب وعظمها ليرغب الرجل في الزواج ويعرض عن الزنا المحرم، وإن الإسلام قد حل بعقلية عادلة أغلب المسائل الاجتماعية التي لم تزل للآن تشغل بال مشرعي الغرب بتعقيداتها)[1].

وقال (فلكس فالي) المستشرق المجري: (إن دعوى كون الإسلام جامدا لا يتحرك، دعوى لا دليل عليها، والحق أن الإسلام كان في كل عصوره مثالا للحرية الفكرية في التاريخ).

وقال المستشرق (لوسين بوفا): (إن الإسلام يتفق مع مدنية زماننا الحاضر تمام الاتفاق وفي الواقع أن التقدم الذي نشاهده

في الممالك الإسلامية منذ قرن دليل على أن الإسلام يسير مع المدنية جنبا إلى جنب، والإسلام سيظل موجودا دائما)..

وفي المؤتمرات الدولية اعترف أساطين العلماء بعظمة الإسلام المتطور، وجهر جهابذة الباحثين بمرونة شريعته والتقط التاريخ هذه الاعترافات مسجلا إياها على نصاعة صحائفه للأجيال التي تترى إلى أن ينفض سرادق الحياة، وهذه المؤتمرات لا يدعى إليها إلا مشاهير المحققين وأعاظم العلماء لطرح أهم القضايا وأرحب الشرائع، ولقد حظيت شريعة الإسلام بأعمق البحوث وأروع النتائج وشرفت هذه المؤتمرات بكلمة الصدق وإعلان الحق وشنفت آذان الدنيا بنشيد خالد.

الفقه الإسلامي والمبادئ القيمة

في مؤتمر عام (١٩٥١م) (شعبة الحقوق الشرقية في المجمع الدولي للقانون المقارن) المعقود في كلية الحقوق في باريس، وضع المؤتمرون قرارا جاء فيه: (أثبتت الأبحاث بجلاء أن الفقه الإسلامي يقوم على مبادئ ذات قيمة أكيدة لا مرية في نفعها، وأن اختلاف المذاهب الفقهية في هذا الجهاز التشريعي الضخم ينطوي على ثروة من الآراء الفقهية، وعلى مجموعة من الأصول الفنية البديعة التي تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة الحديثة)

وأصدر مؤتمر القانون الدولي المقارن في لاهاي (أغسطس ١٩٣٧م) قرارا هو (أن الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور ومسايرة المدنية الحديثة، وأنها لذلك جديرة بأن تشغل مكانة ممتازة بين مصادر القانون المقارن)[٢].

سبيل تقدم الممالك الإسلامية ليس في اتخاذ الأساليب الغربية

شهادة منصف لشريعة الإسلام

إن الأمة الإسلامية في أجناب الأرض مفتقرة إلى من يفتح بصرها على شريعة الإسلام ويعرفها بما فيها من نفاسة، ويقنعها بما لها من قيمة ويفطمها على ما هو عليه من مر ويستدرجها إلى ما هو أحلى وكفاها من العلقم كؤوسا وما عند عدوها اللدود لها إلا تخريب ذممها العامرة وإفساد أحوالها الصالحة، وكسر جيوشها المنتصرة، وقطع حبالها الموصولة وتكفيرها بالإسلام المتطور، وإبعادها عن الشريعة الغراء وتزهيدها في القرآن المجيد وحجبها عن السنة الهادية ومنعها من الزلفى إلى السلف الصالح وضرب عقولها المخططة وطمس معالمها الوضاءة.

لقد جربت الأمة الإسلامية كل المذاهب البشرية التي باءت بالفشل الذريع في حل مشكلاتها وإنعاش اقتصادها وضبط سياستها وتقويم سلوكها وتدريب جيوشها، ولهذا أصدر الله إليها أمرا تجاهلته فاستعبدت من حثالة العالم، قال تعالى ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:٣).

وهذه شهادة واضحة من منصف أميركي وقعت عينه على عظائم الشريعة الإسلامية فبش لها وأقر بفضلها ودعا قومه إليها في كتابه وهو الدكتور (هوكنج) أستاذ الفلسفة في جامعة هارفارد، قال: (إن سبيل تقدم الممالك الإسلامية ليس في اتخاذ الأساليب الغربية التي تدعي أن الدين ليس له أن يقول شيئا عن حياة الفرد اليومية، وعن القانون والنظم السارية، وإنما يجب أن يجد المرء في الدين مصدرا للنمو والتقدم، وأحيانا يتساءل البعض عما إذا كان نظام الإسلام يستطيع توليد أفكار جديدة وإصدار أحكام مستقلة تتفق مع ما تتطلبه الحياة العصرية؟

والجواب: هو أنه في نظام

الإسلام كل استعداد داخلي للنمو، بل إنه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة، وعندي أن الصعوبة لم تكن في انعدام وسائل النمو والنهضة في الشريعة الإسلامية وإنما في انعدام الميل إلى استخدامها، وإنني أقرر أن الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادئ اللازمة لنهضتها).

هذه شهادة اعتز بها الخلف ولعلها تشحذ فيهم الهمم وتصقل العزائم، وصدق الشاعر:

ومليحة شهدت لها ضراتها
والفضل ما شهدت به الأعداء

الفضل ما شهدت به الأعداء

والعجيب أن الأعداء أثنوا عليها وأبرزوا محاسنها وأعجبوا بجمالها، وحملتها أعرضوا صفحا عنها ووجهوا المطاعن إلى كبدها، ولما غاص المستشرقون في أعماق الإسلام أصابوا تلك الحقيقة المتألقة وسجلوها بمداد من ماء الذهب في مؤلفاتهم العلمية بغية انبثاق شمسها في سماء العالم الإسلامي مرة أخرى.

إنهم كسروا حدة الطاعنين فيه، ورشدوا فكر الضاغنين عليه ولما عرفوا الحقيقة نشروها في ثوب قشيب دون وجل، واعتنقها بعضهم أمام العالم بلا خوف من كل بلد أمثال (اللورد هدلي - وايتان دينيه - وليون روسن - والدكتورة لورا فانيشيا فاليري - وليوبولد فايس - وعبدالله كوليلو - ونشكيتا بارهبابا - وهاري هينكل - وخالد شلدريك، وغيرهم كثير.

ومن فضل الله على هذه الأمة أن قيض لها في كل عصر من يحيي فيها الموات ويجمع بها الشتات ويجدد لها الدين، وهذا التجديد لا يتأتى إلا لعباقرة احمرت عيونهم من الاطلاع ليل نهار وانصهرت نفوسهم في بوتقة العقيدة وانتصرت أفكارهم على الجاهلية ولذلك يفرض المجدد نفسه على مجتمعه وينتصر دينه معه ويفر البلى من وجهه وتشرق الشمس على منهجه فلا يرى إلا تلاء للقرآن أمارا بالمعروف نهاء عن المنكر، بساما بالنهار بكاء بالليل، ولا يشاهد إلا كفرا انتكست معالمه ونفاقا تمرغ جنده وباطلا تهشمت رأسه وجمودا توقف طياره وتشددا جفت روافده.

وما أحوج الإسلام اليوم إلى مجدد يجمع بين الأصالة والحداثة، ويستحوذ على الصلابة والمرونة ويجيد التعامل مع السماء والأرض ويحرص على القديم وينتفع بالجديد ويرشد بمنهج الخالق مدينة الخلق ويحبب الأمة في دينها ويعبدها لربها ويجعل لها طريقها ويربطها بالأسوة الحسنة ويقطعها عن زيف الجبابرة وعنت الطواغيت، وفي هذا المناخ المعطر ترنو الأبصار إلى روعة عقيدتنا وبهجة شريعتنا وفرحة ظفرنا ورفرفة رايتنا[٣].

> **بعد الجدب ينهمر الغيث وفي الظلام يلمع النجم**

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»[٤].

إن آيات الله تترى نصب أعيننا وبين أيدينا، فبعد الجدب ينهمر الغيث وفي الظلام يلمع النجم وبين الأشواك ينبت الورد وبعد الجفاف يتدفق النهر ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ (الروم:٤-٥).

الهوامش

١- مجلة العرفان، صيدا ص١٦٦ م٢٢ (١٩٣١م-١٣).
٢- الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، أنور الجندي ص٩٨.
٣- روح السياسة العلمية.
٤- رواه أبو داود والحاكم والبيهقي بسند صحيح.

السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية



حاجتنا إلى الإنصاف فكرا وسلوكا

الإنصاف قيمة أساسية من القيم التي تقوم عليها الحياة، وتشتد إليها حاجة المجتمعات؛ بجانب أنها تدل على استواء الشخصية، ونزاهة الرأي، والابتعاد عن هوى النفس وإيثار الذات.

والإنصاف كما هو قيمة إسلامية دل عليها القرآن الكريم بالإشارة والمضمون، كما سنبين؛ فإنه أيضا قيمة تدركها الفطرة الصحيحة، ويركن إليها العقل المستقيم؛ بحيث لا يختلف اثنان على أهميتها، ولا يجادل أحد في ضرورتها.

الإنصاف قرين العدل

وإذا حاولنا استجلاء معنى الانصاف من حيث اللغة، فسنجد له معنيين؛ فالنون والصاد والفاء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على شطر الشيء، والأخرى على جنس من الخدمة والاستعمال. فالأول نصف الشيء ونصيفه: شطره. وفي الحديث: «ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه». والإنصاف في المعاملة، كأنه الرضا بالنصف[1].

والإنصاف يعني العدل، وأن تعطي لغيرك مما تعطيه لنفسك. جاء في

(لسان العرب): الإنصاف: إعطاء الحق. وأنصف الرجل صاحبه إنصافا، وقد أعطاه النصفة. والنصفة: اسم الإنصاف، وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف؛ أي تعطيه من الحق كالذي تستحق لنفسك[٢].

وجاء في (التوقيف على مهمات التعاريف): الإنصاف في المعاملة العدل؛ بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله. وقيل هو استيفاء الحقوق لأربابها واستخراجها بالأيدي العادلة والسياسات الفاضلة. وهو والعدل توأمان؛ نتيجتهما علو الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل[٣].

إذن، الإنصاف قرين العدل، وهو من مادة النصف، أي كأنك تقسم الأمر نصفين بينك وبين الطرف الآخر، بما يستلزمه ذلك من التساوي وعدم الجور.

لماذا الإنصاف؟

مما تشير إليه المعاني اللغوية لمصطلح الإنصاف، يتبين لنا أنه يفترض ويستلزم عدة أمور؛ منها:

- وجود طرف ثان: فالإنصاف سلوك بينك وبين الآخرين؛ فهو علاقة في اتجاهين لا اتجاه واحد.
- قسمة الشيء بالعدل مع الآخر: حتى يكون الإنصاف قرين العدل؛ وإلا كانت قسمة جائرة.
- وجود أرضية مشترك بينك وبين الآخرين: وإلا فعلى أي شيء تقع القسمة!

هذه المعاني التي نستلهمها من التعريف اللغوي، تؤيدها دلالات المصطلح من الزاوية الاجتماعية. فالإنسان مدني بالطبع، وكائن اجتماعي؛ ووجوده وسط مجتمع يعني أن اتفاقا قد يقع بينه وبين المحيطين به، ممن يشكلون جميعا نسيج المجتمع، كما قد يعني أن اختلافا أيضا قد يحدث بينهم.

وهذا الاختلاف الوارد -ما دامت طباع الناس متفاوتة، وأخلاقهم شتى، ومصالحهم ليست بالضرورة متلاقية- يستلزم وجود قيمة الإنصاف؛ حتى يمكن حل هذا الاختلاف، أو إدارته، بما يجنب الأطراف كافة ويلات الصراع والشقاق.

إذن، الإنصاف قيمة ضرورية يستدعيها اجتماع الناس وتعايشهم.. ومعناها اللغوي يستبطن التحقق بالعدل وعدم الانسياق وراء الذات وأطماعها.

القرآن يؤسس للإنصاف

ومصطلح الإنصاف مع أنه لم يرد في القرآن الكريم، فإن مضمونه ثابت فيه، بل وفي كثير من آياته وتوجيهاته!

- فالقرآن الكريم ابتداء يقرر أن الله تعالى خلق الناس مختلفين، وأن غاية هذا الاختلاف ينبغي أن تتوجه إلى التعارف والتعاون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣).
- كما أمر القرآن صراحة بألا يكون الاختلاف مدعاة للجور وعدم العدل؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (المائدة:٨).

أي: كونوا قوامين بالحق لله عزوجل، لا لأجل الناس والسمعة. وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور. ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم؛ بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقا كان أو عدوا[٤].

- وفي توجيه آخر يتصل بالأخذ على يد المخطئ، يأتي الحديث عن ضرورة إيقاع العقاب على قدر الجريمة بلا تجاوز، فقال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ (النحل:١٢٦).

ففي هذه الآية يأمر الله تعالى بالعدل في الاقتصاص والمماثلة في استيفاء الحق، إن أخذ منكم رجل شيئا، فخذوا منه مثله. وهذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن، فإنها مشتملة على مشروعية العدل والندب إلى الفضل؛ كما في قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الشورى:٤٠)[٥].

- كما أوضح القرآن الكريم أهمية التمييز في النظر للمخالفين، فلا نعمم الحكم عليهم، ولا نأخذ بعضهم بجريرة بعض؛ فقال عن أهل الكتاب:

﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ (آل عمران:١١٣)، وقال أيضا: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾ (آل عمران:٧٥).

ففي هذه التوجيهات وغيرها نرى الإنصاف يتبدى قيمة وأحكاما وأخلاقا يلتزم بها المسلم في تعاملاته مع الآخرين، حتى عند إيقاع العقوبة وإنفاذها، وحتى عند التعامل مع من يختلفون معه في الاعتقاد؛ فما بالنا بما دون ذلك من درجات الاختلاف!

السيرة تطبيق للإنصاف

وقد جاءت السيرة النبوية تطبيقا عمليا للإنصاف، وعدم الجور على حقوق المخالفين، بالرغم من مخالفتهم.

فحين صدر الأمر للنبي ﷺ بالهجرة، ترك علي بن أبي طالب بمكة ليرد على الناس ودائعهم! رغم مخالفتهم، بل محاربتهم النبي ﷺ.. أليس هذا إنصافا!

وحين قدم النبي ﷺ المدينة، عقد مع سكانها من غير المسلمين عقدا للتعايش، ضمنه «وثيقة المدينة»؛ التي قررت لكل طرف من أطرافها حقوقه وواجباته؛ بحيث قام هذا التعايش على التراضي وإنصاف الآخر.

ومما جاء في «وثيقة المدينة» وبلغ من الإنصاف غايته:

- وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم؛ إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته.
- وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم؛ وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم.
- وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم.
- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.
- وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.
- وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله؛ وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره[٦].

فهل بعد ذلك إنصاف! حقا لقد كانت هذه «الوثيقة» تجربة رائدة لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل، ولم يقترب من فضاءاتها إلا بعد ذلك بقرون متباعدة!

الإنصاف فكرا

والإنصاف كما أشرنا قيمة ضرورية على مستوى الفكر؛ أي إدراك أنه لا مفر من الاختلاف بين الناس، في العقائد والآراء والطباع والعادات. المهم كيف نتعامل مع هذا الاختلاف، ولا نحوله إلى صراع؟ وكيف نجعله لونا من ألوان التعدد والثراء والتكامل، لا التناقض؟

فالإنصاف على مستوى الفكر يعني:

- إدراك أن الاختلاف سنة من سنن الله بين خلقه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ (هود:١١٨). ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (يونس:٩٩).

بـين سبـحـانـه أن الإيمـان وضـده كلاهما بمشيئة الله وتقديره، فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾: بحيث لا يخرج عنهم أحـد. ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين على الإيمان لا يتفرقون فيه ويختلفون، ولكنه لم يشأ ذلك، لكونه مخالفا للمصلحة التي أرادها الله سبحانه.

ولما كان النبي ﷺ حريصا على إيمان جميع الناس، أخبره الله بأن ذلك لا يكون؛ لأن مشيئته الجارية على الحكمة البالغة والمصالح الراجحة لا تقتضي ذلك[٧].

- عند عرض آراء الآخر المختلف معك، لا يجوز أن تعرضها بما يخالف تصوره عن نفسه؛ بل تعرض لرأيه في دقة وأمانة أولا، ثم بعد ذلك تبدي اختلافك معها كما تشاء، بالحجة والبرهان. والقرآن الكريم معلمنا في ذلك؛ فقد بسط حجج المعاندين كما يقولونها بدقة، ثم كر عليها بالهدم والنقض.

- الاختلاف الفكري، حتى في العقائد، ليس مدعاة للتصارع والتقاتل؛ فالقانون في ذلك: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة:٢٥٦). والمسلمون لم يحاربوا غيرهم لأنهم يختلفون معهم في الدين، وإلا ما قبلوا منهم الجزية وأبقوهم على دينهم.

- إذا كان الاختلاف في الاعتقاد أمر مقبولا، من حيث وجوده؛ بمعنى ألا نسعى لإزالته، لأن الإسلام لا يرضى بأن يدخل الناس فيه مكرهين.. فإن الاختلاف فيما دون الاعتقاد، مثل الاختلاف الفكري والمذهبي، ينبغي أن يكون أكثر قبولا. وهذا من الإنصاف؛ لأننا بذلك نعطي لآراء غيرنا الحق في الوجود، كما نعطي لآرائنا، ولا نعمل على تشويهها، فضلا عن إزالتها.

وكم ضاعت جهود وتبددت طاقات، من عدم القبول بالاختلاف والتعدد، حتى مع من يشتركون في أصل الاعتقاد والإيمان؛ بسبب الحرص على إنفاذ وجهة نظر ما، أو الانتصار للرأي الشخصي، والغفلة عن سنة الله تعالى في وجود التعدد والتنوع!

الإنصاف سلوكا

وكما أننا بحاجة للإنصاف على مستوى الفكر، فنحن أيضا بحاجة للإنصاف على مستوى السلوك؛ وهذا الأمر الأخير يتمثل في:

- حفظ حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليها: فدماء الناس وأعراضهم وأموالهم مصونة محفوظة، ولا يجوز الاعتداء عليهم. وهذه الحقوق مما أجمعت عليه الشرائع السماوية، وكانت محل اتفاق بينها، مهما اختلفت في الأحكام والتفاصيل. قال القرافي: «الكليات الخمس: حفظ الدماء والأعراض والأنساب والعقول والأموال، وأنواع الإحسان كإطعام الجوعان وكسوة العريان، وغير ذلك مما لم تختلف فيه الشرائع»[٨].

ولهذا حرم الإسلام السرقة، والرشوة، والاختلاس، والزنا، وسفك الدماء، وغير ذلك من الممارسات التي تعتدي على حقوق الآخرين.

- ترك التباغض والتشاحن: لأن البغضاء والشحناء تعبران عن إيثار الذات، وتدفعان إلى تحقيق المصلحة الشخصية بالوسائل غير المشروعة؛ فضلا عن آثارهما الوخيمة في إضعاف النسيج الاجتماعي. عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة. لا أقول: إنها تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[٩].

ما أحرانا بأن يكون الإنصاف سلوكا لنا، مع من نحب ومع من نخالف؛ فنعطي كل ذي حقه حقه، ونرجو للناس من الخير ما نرجو لأنفسنا؛ لا نظلم ولا نظلم؛ وإنما عدل وقسط، وتعاون على البر والتقوى.

الهوامش

١- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٤٣١، ٤٣٢.
٢- لسان العرب، ابن منظور، ٩/٣٣٢.
٣- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، ص:٦٥.
٤- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/٦٢. بتصرف.
٥- المصدر نفسه، ٤/٦١٣. بتصرف.
٦- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، ٥٩-٦٢.
٧- فتح القدير، الشوكاني، ٢/٥٣٩.
٨- شرح تنقيح الفصول، القرافي، ص:١٦٤.
٩- أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد.



د محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف

قواعد في أدب الحوار

أفرغت يا أبا الوليد

من آثار قدرة الله تعالى ورحمته وحكمته اختلاف ألسنة الناس وألوانهم ومداركهم وعاداتهم وغير ذلك، لكن من الناس من يعجز عن الانتفاع بهذه النعمة كما يعجز عن الانتفاع بغيرها من النعم، فبدلا من التكامل -الذي تقوم به الأمم- يحدث التنازع الذي نهانا رب العزة والجلال عنه ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ (الأنفال:٤٦) التنازع سبب للفشل والفشل سبب لذهاب القوة، والاختلاف الذي يخرج عن الأطر الشرعية يفضي إلى التنازع الذي يسر العدو ويحزن الصديق ويبقى الاختلاف سنة كونية، لكن كيف ندير اختلافاتنا على المستوى العلمي وعلى المستوى الاجتماعي؟ كيف نؤسس لحوار لا يفسد للود قضية ولا يصل بنا إلى القطيعة؟ حوار تعرض فيه وجهات النظر دون أن تتعرض للتشويه أو للانتقاص، فيما يلي مجموعة من القواعد ترشد من الحوار وتحفظ الود بين المتحاورين وإن لم تتفق وجهات نظرهم:

القاعدة الأولى: الرغبة العميقة في الوصول إلى الحق مهما كلف المتحاورين من جهد فإن حب الغلبة يمحق بركة الحوار ويحمل صاحبه على البغي والعدوان قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما ناظرت أحدا قط على الغلبة، وبودي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب -يعني: كتبه- على ألا ينسب إلي منه شيء».

القاعدة الثانية: وجود أسس ثابتة متفق عليها يتحاكم إليها المتحاورون ويعودون إليها عند التنازع.

القاعدة الثالثة: تحرير محل النزاع:

توضيح الأمور المتفق عليها والنقاط التي سيتم النقاش حولها توفيرا للوقت والجهد

القاعدة الرابعة: طرح القضية محل الحوار على بساط البحث وإتاحة الفرصة كاملة لكل طرف ليعرض وجهة نظره مهما بدا عوارها ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فـ «ذات يوم قال عتبة بن ربيعة -وكان سيدا حليما- وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أمورا لعله أن يقبل منها بعضها ويكف عنا؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قال له عتبة، وفيما عرض عليه من المال والملك وغير ذلك، فلما فرغ عتبة قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل. فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ (فصلت:١-٣) «فمضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟» قال: سمعت، قال: فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ.

وروينا هذا في حديث جابر بن عبدالله وفيه من الزيادة فيما حكى عتبة لأصحابه قال: فأجابني بشيء والله ما هو سحر ولا شعر ولا كهانة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ (فصلت:١-٢) حتى بلغ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت:١٣) فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب.

هذا حوار دار بين إمام من أئمة الكفر وبين داعي الهدى محمد ﷺ، عرض فيه عتبة أمورا لا يقبلها مسلم، فكيف يتيح له النبي ﷺ الفرصة الكاملة أن يعرض عليه ترك بلاغ رسالة الله، لكن النبي ﷺ يعلم طبيعة رسالته وطبيعة النفس الإنسانية، فاستمع لكلامه حتى النهاية وبلا مقاطعة، بل سأله إن بقي في نفسه كلام لم يقله، بعد كل هذا الكلام الذي لن يقبله رسول الله ﷺ ولن يقبل بعضه.

وكأن النبي ﷺ يقول له قد استمعت إليك حتى فرغت، فاستمع مني كما استمعت منك، وتلا النبي ﷺ كلام الحق سبحانه، وللحق سلطانه وصولجانه، يصل إلى أعماق القلوب إذا تجردت من الهوى، وتخلصت من العصبية يتلو النبي ﷺ القرآن فيأخذ بعقل عتبة بن ربيعة، وتتفتح آفاق نفسه حتى ينصت ويلقي بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما ويظل النبي ﷺ يتلو الحق الذي نزل إليه من ربه، وعتبة يسمعه ولا يقاطعه، ويتابع باهتمام بالغ، كما تدل على هيئته حتى يفيق عتبة على كلمة النبي ﷺ: سمعت يا أبا الوليد؟ نعم سمع وأخذ القرآن بلبه وقلبه معا، عرض عتبة ما عنده، وعرض النبي ﷺ ما عنده، وترك لعتبة الحرية الكاملة حين قال له: أنت وذاك.

عاد عتبة إلى قومه الذين ينتظرون تغييرا في موقف النبي ﷺ منهم، فالعروض سخية لا يرفضها طالب الدنيا أبدا، لكنهم وجدوا التغير باديا على وجه عتبة، فقال: بعضهم لبعض «نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به» نعم تغير تغيرا كبيرا، بدا على قسمات وجهه، كما بدا في كلامه، بل إن التغير ليصل إلى مداه حين يقتنع بما قاله النبي ﷺ من كلمات الحق، ويبشر بأن هذا الدين -الذي ذهب قبل قليل لكي يسكت صوته- سيصل خبره إلى الآفاق حين قال: «ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ».

هذا الحوار الراقي الذي استقبل كل طرف ما عند الطرف الآخر، وبدأت قوة الحق الذاتية التي لا تحتاج إلى صوت عال يسفه الرأي الآخر، ويتهمه بشتى التهم، دون أي دليل أو شبه دليل.

القاعدة الخامسة: ينبغي أن تبقى الصلة مستمرة بين المتحاورين وإن لم يصلا إلى رأي يتفقان عليه في

المسأله، قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: «يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة»، فكثير من النقاشات الحادة أو الهادئة تنتهي بقطيعة معرفية وعداوة شخصية واتهامات لا تليق، لكن ينبغي للمحاور الرشيد ألا يقطع حبل الود فوجهات النظر تتغير مع مرور الزمان ورؤية أحداث ومعلومات غابت وقت الحوار فلا ينبغي أن نقطع الصلة بين من نحاورهم بكلمة نابية أو اتهام قد تثبت الأيام خطأه، حتى إذا عاد أحد المتحاورين إلى رشده وأدرك ما كان غائبا عنه، لم يستح من كلمة قالها تركت أثرها السيئ في قلب محاوره.

القاعدة السادسة: إذا سادت البغضاء بين المتحاورين ضاقت الدنيا عليهم وانتقلوا من إمكان العيش المشترك إلى التنافر والعداوة والبغضاء وقطع ما أمر الله به أن يوصل قال محمد بن يزيد النحوي: «أتيت الخليل، فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة، فوسع لي، وكرهت أن أضيق عليه. فانقبضت، فأخذ بعضدي وقربني إلى نفسه، وقال: إنه لا يضيق سم الخياط بمتحابين، ولا تسع الدنيا متباغضين). حقا لا تتسع الدنيا لاثنين يبغض أحدهما الآخر مع ضخامة مساحتها وملايين البشر والمخلوقات الذين يعيشون عليها.

القاعدة السابعة: الانصاف الذي يفرض على المسلم أن يقر بالحق لخصمه مهما كان حجم الخصومة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨) ولا يحمل المسلم وجود بعض الخطأ في الكلام أن يصف الكلام بجملته بالخطأ والرأي بالسفاهة، بل يفصل بين الحق والباطل. «جلس لبيد بن ربيعة في مجلس من مجالس قريش وهو ينشدهم، فجلس عثمان معهم فقال: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. فقال عثمان: صدقت.

ثم قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل. فقال عثمان: كذبت؛ نعيم الجنة لا يزول». بيت واحد وصف عثمان رضي الله عنه قائله بالصدق والكذب، ولكل وصف محله.

القاعدة الثامنة: فتح آفاق الحوار يعتمد المحاور الجيد على فتح أبواب الحوار على مصراعيها، ودعوة من يحاوره إلى السعي المشترك، والبحث المخلص عن الحق ليلتزما جميعا به، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ:٢٤).

قال الفخر الرازي «هذا إرشاد من الله لرسوله ﷺ إلى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها، وذلك لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر هذا الذي تقوله خطأ، وأنت فيه مخطئ يغضبه، وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر، وعند اختلاله لا مطمع في الفهم، فيفوت الغرض، وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك في أنه مخطئ والتمادي في الباطل قبيح، والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق، فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز، فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر، ويترك التعصب، وذلك لا يوجب نقصا في المنزلة، لأنه أوهم بأنه في قوله شاك، ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ مع أنه لا يشك في أنه هو الهادي وهو المهتدي وهم الضالون والمضلون».

لعلهم يتواصلون

١- عرض نماذج من حوارات المختلفين في مجال الفكر والفقه من سلف الأمة وخلفها لتتضح الصورة المشرقة لأخلاق المحاور المسلم الذي يسعى إلى الحق ويجليه دون جلبة أو صياح والذي يخضع للحق متى ظهر له.

٢- انتقال آداب الاختلاف وأخلاق الحوار من دائرة التنظير ومن صفحات الكتب إلى ساحات الحوارات الصحفية والإعلامية والمناظرات مع التدريب عليها برعاية من يقتنع بالحوار ويراه الطريق الوحيد للوصول إلى الحق ولجمع الشمل.

٣- تقديم نماذج عملية راقية لحوار يستوفي الشروط اللازمة لإتمام حوار بناء ليس بالضرورة أن يغير أحد الطرفين موقفه، بل يكفي أن يطلع على بينات الطرف الآخر وحججه في جو يسوده الاحترام المتبادل والسعي الحثيث للوصول إلى الحق.



عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

الإنصاف خلق إسلامي

مهما حاول الإنسان أن يكون سهلا وطيبا وعادلا في التعامل مع الآخرين، فإنه سيجد حتما من يختلف معه ولا يتوافق مع أفعاله وأفكاره وتوجهاته؛ لأن الخلاف والاختلاف أمران موجودان ولا يمكن منع حصولهما مهما كانت النية صادقة والفعل حسنا؛ بسبب التباين في توجهات البشر وأفكارهم وأمزجتهم. لذلك، لا ينبغي الضيق والانزعاج من وجود اختلافات مع الآخرين، لكن المهم هو ألا تتسع هوة الخلاف، وأن يتم العمل على محاولة تضييقها للوصول إلى نقطة التقاء مشتركة يمكن من خلالها إيجاد حل من دون أن تتطور الأمور إلى ما لا تحمد عقباه. فمهما كانت الاختلافات مع الآخرين كبيرة، فإنه يمكن تقريب الأفكار وإيجاد الحل المناسب، فالصواب والخطأ موجودان لدى كل البشر، وكلنا معرضون لارتكاب الأخطاء، التي لا يمكن تجاوزها إلا من خلال التركيز على الإيجابيات ومحاسن الأمور والابتعاد عن السلبيات وإظهار المساوئ. ولعل أول أمر يجب القيام به عند التعامل مع المخالفين والخصوم هو عدم تضخيم الأخطاء وإعطائها أكبر من حجمها، بل يجب وضعها في إطارها الحقيقي. وكذلك إدراك أن الناس ليسوا في مستوى واحد في المعرفة والسلوك والأفكار واحترام الآخرين، إنما لكل منهم مزاجه وطبيعته. لكن كلما اعتمد الإنسان منهج الإنصاف في أمور حياته، سيكون أكثر قدرة على معرفة حجم كل خطأ، فلا يحمل الأمور أكبر من طبيعتها، إنما يتعامل معها وفق مقدارها من دون تهويل وتضخيم، وهذا ما يجعله قادرا على وضع الحلول ومعالجة كل حدث. فمن الأسباب المؤدية إلى زيادة الخلافات بين الناس أنه لم يعد يتحمل أحد الخلاف في أي قضية مهما كانت بسيطة وقابلة للحل لعدم وجود رغبة صادقة في إنصاف المخالف والخصم. إنصاف المخالف خلق إسلامي واجب علينا الحرص عليه وتوسيع نطاقه ليشمل جميع الخصوم من دون النظر إلى أي اعتبارات أخرى. فالإنصاف خلق عظيم لأنه مبني على العدل، وقد علمنا القرآن الكريم هذا الخلق الرفيع في التعامل بإنصاف ليس مع الأصدقاء والمقربين بل حتى مع المخالفين، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة:٨).



أحمد عبدالمنعم عيد
كاتب وباحث إسلامي



حتمية الاختلاف وضرورة الإنصاف

الاختلاف أمر طبيعي، فالله سبحانه لم يخلق الناس على نمط وشكل واحد، بل خلقهم مختلفين في اللون واللسان، وجعل ذلك آية من آياته سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ (الروم:٢٢).

وبين سبحانه أن الاختلاف لا مناص منه، فلو شاء الله لجعل الناس على نسق واحد دون اختلاف، ولكن مشيئته سبحانه اقتضت ذلك ليعمر الكون، وتزدهر الحياة: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾ (هود:١١٨-١١٩)

وفي باب الإيمان والهدى خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله مخففا عنه ضيقه من إعراض قومه، وبين له أن اختلاف الناس حتمي، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (الرعد:٣١).

وكما خلق الله الناس مختلفين في أشكالهم وألوانهم وألسنتهم، خلقهم كذلك مختلفين في إدراكهم وفهمهم للأمور واستنباط الحكم والدروس من المواقف أو الأحكام من النصوص، فإلى جانب اختلاف الألسنة والألوان خلق الله الناس بعقول ومدارك مختلفة، وهذه الأمور تقتضي الاختلاف في الآراء وتعددها، وكذلك اختلاف الأحكام باختلاف قائليها، وهذا الاختلاف يعتبر أيضا آية من آيات الله سبحانه وتعالى ودليلا على قدرته سبحانه وتعالى.

وقد حدث الاختلاف على عهد رسول الله ﷺ، ومما اشتهر في هذا الباب هو اختلافهم في تفسير أمر النبي ﷺ لهم بعد الأحزاب لا يصلي أحد العصر إلا في بني قريظة، فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال لنا عند عودتنا من الأحزاب «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ، فلم يعنف واحدا منهم[١].

فبعض الصحابة أخذوا بظاهر النص، وقالوا: إنما أراد ألا نصلي إلا في بني قريظة. وقال الآخرون: إنما أراد منا التعجيل، ولم يعنف النبي ﷺ أحد الفريقين، وإنما قبل منهما اجتهادهما، وأقرهما على ما ذهبا إليه.

واختلف الصحابة مع عمرو بن العاص عندما احتلم في ليلة شديدة البرد وهو في سرية ذات السلاسل فتيمم ولم يغتسل، فشكاه الصحابة إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟». فأخبره بالذي منعه من الاغتسال وقال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩)، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا[٢].

فالصحابة اختلفوا والرسول حي يرزق، ولكن كان من سمات الاختلاف في زمنهم الترفع عن الهوى والتجرد للحق وعودتهم إلى رسول الله ﷺ بعد الاختلاف فيُعلم، ويُفهم، وينتهي الخلاف في حينه.

وكما حدث الاختلاف في عهد النبي ﷺ حدث بعد مماته فقد اختلف الصحابة في مكان دفنه، واختلفوا في اختيار الخليفة من بعده، واختلفوا في قتال مانعي الزكاة.

ولكنهم كانوا يحسمون الخلاف بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإذا جاء الدليل انتهى الاختلاف.

وبعد فترة الصحابة وبعد الناس عن زمن النبوة، كثر الاختلاف في فهم النصوص، وتكونت مذاهب فقهية لكل واحد قانونه وأسلوبه في الأخذ من الحديث والآية وله قدرة بقدر ما على استنباط الحكم.

وأصحاب المذهب الواحد يختلفون فيما بينهم، فالدارس للفقه يعتاد كلمة على أحد قولي الشافعية أو الحنابلة أو المالكية.

فالحاصل أن الاختلاف حتمي ولا مفر منه، وهو محمود إذا كان بعد اجتهاد، وخلصت النية فيه لله، وتوحد الغرض على الوصول إلى الحق، ولم يكن الاختلاف بداعي الهوى.

وإن كان الاختلاف حتميا فلابد عند الاختلاف أن نوقن أن التقدير والإنصاف ضرورة.

والله سبحانه هو من علمنا هذا المبدأ، فقد اختلف داود وسليمان في الحكم بين صاحب الغنم وصاحب الزرع: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (الأنبياء:٧٨-٧٩).

فقد قضى داود أن الغنم لصاحب الزرع فخرج الرعاء ليس معهم إلا الكلاب، فقال سليمان: لا، بل تؤخذ الغنم فيعطاها أهل الكرم فيكون لهم لبنها ونفعها، ويعطى أهل الغنم الكرم، فيعمروه، ويصلحوه، حتى يعود كالذي كان ليلة نفشت فيه الغنم، ثم يعطى أهل الغنم غنمهم وأهل الكرم كرمهم[٣].

وقد أنصف الله تعالى سليمان بتصويب حكمه بقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾، وحفظ لنبي الله داود قدره بقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

فإذا كان الاختلاف حتميا فإن الإنصاف ضروري، حتى يضبط الاختلاف بالقيم، ويصبح الاختلاف فرصة لتلاقي الأفكار، والتعرف على الاحتمالات التي يمكن أن يحملها الدليل.

وقد ضرب الأئمة الأربعة أعظم المثل في الإنصاف وحفظ القدر للمخالف.

فهذا الإمام مالك ينصف أبا حنيفة على الرغم من الاختلاف بينهما، فمالك إمام أهل السنة ويُحسب على أهل الأثر وأبو حنيفة إمام أهل الرأي.

وعلى الرغم من هذا القدر من الاختلاف فإن الإمام مالك كان منصفا له، حافظا له قدره، فعن القاضي عياض قال: قال الليث بن سعد: لقيت مالكا في المدينة فقلت له إني أراك

تمسح العرق عن جبينك. قال: عرقت مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري. قال الليث ثم لقيت أبا حنيفة وقلت له ما أحسن قول هذا الرجل (يقصد مالكا)، فقال أبو حنيفة: ما رأيت أسرع منه بجواب صادق ونقد تام[٤].

إنصاف من العلمين العالمين الراسخين أحدهما للآخر رغم الاختلاف.

وشعبة بن الحجاج كان أميرا للمؤمنين في الحديث، وأبو حنيفة من أهل الرأي، والاختلاف بين المدرستين كبير، وعلى الرغم من هذا الاختلاف أنصف شعبة أبا حنيفة. فيقول عندما علم بموت أبي حنيفة: لقد ذهب علم الكوفة، تفضل الله عليه وعلينا برحمته.

نفس الإنصاف وأكثر كان من الإمام الشافعي للإمام أبي حنيفة فقد سئل الشافعي عن أبي حنيفة فقال: لو جاء إلى أساطينكم هذه (يعني سواري المسجد) ثم قايسكم على أنها خشب لظننتم أنها خشب.

وكان الشافعي يقول كان أبو حنيفة وقوله في الفقه مسلما له فيه قال وسمعت.

وكان يقول أيضا من أراد أن يفتن في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحق ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة[٥].

ولم يكن الإنصاف عند مالك والشافعي فقط، بل كان تاجا يزين الإمام أحمد بن حنبل، فقد كان يكثر الدعاء للشافعي، فسأله ولده عبدالله، أي رجل كان الشافعي فإني أراك تكثر الدعاء له؟ فقال: يا بني، كان الشافعي، رحمه الله، كالشمس للدنيا والعافية للبدن، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟[٦].

وعاب يحيى بن معين على الإمام أحمد أن يأخذ بلجام دابة الشافعي لشافعي راكب، وذكر ذلك لولده صالح فقال له: أما يستحي أبوك مما يفعل؟ فقلت: وما يفعل؟ قال رأيته مع الشافعي والشافعي راكب وهو آخذ بزمام دابته. فقلت لأبي، فال، إن لقيته فقل له إذا لقيته إذا أردت أن تتفقه فتعال فخذ بركابه من الجانب الآخر[٧].

وفي الوقت نفسه كان الشافعي يحدث عن ابن حنبل ويطلب منه إخباره بالحديث إذا صح عنده اعترافا بقدمه الراسخة في الحديث وعلمه به فعن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: كان الشافعي من أفصح الناس. قلت: وكان له سن؟ قال: لم يكن بالكبير. قال عبدالله: وسمعت أبي يقول: قال الشافعي لنا أما أنتم فأعلم بالحديث والرجال مني فإذا كان الحديث صحيحا فأعلموني أن يكون كوفيا أو بصريا أو شاميا أذهب إليه إذا كان صحيحا[٨].

وما سقته هو عبارة عن مثل بسيط من الأدب، ومن الإنصاف وحفظ القدر بين أعلام الفقه عبر التاريخ، ومن غدت مذاهبهم موضع التقدير والتقليد من الأتباع في كل مكان، يختلفون في المنهج وطرق الاستدلال، وتباينت أقوالهم في كثير من المسائل، وحشرت الكتب باختلافاتهم، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يؤثر عنهم إلا الإنصاف بعضهم لبعض والتقدير والاحترام.

لم يكن اختلافهم عن هوى كما يتحكم الهوى في بعض المقلدين في زماننا، وإنما كان الاختلاف محض اجتهاد، فكل واحد منهم بذل الجهد، وأفرغ الوسع ليفتح الله له، فمنهم من أصاب، ومنهم من أخطأ، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يؤثر عن أحدهم كلمة يظهر منها الإجحاف أو التقليل من غيره.

لقد كانوا نجوما تزهر وتنير الدروب، كل نجم له شكله ومداره وموضعه في السماء، وكلهم في النهاية نجوم تنير يهتدي بها الناس في دروب الحياة.

والتراث ممتلئ بالمواقف النبيلة التي أثرت عن علمائنا، عليهم رحمة الله، والتي تدل على إنصافهم وعدم تعصبهم، وما ذكرت ما ذكرت إلا لأنهم هم أصحاب المذاهب التي يقلدها الناس في أرجاء الأرض، والتي يتعصب لها بعض المقلدين، ويصل هذا التعصب إلى حد إهالة التراب على من سواه، حتى بدا الاختلاف في كثير من الأحيان في الرأي عبارة عن حد يعلن من خلاله الولاء والبراء.

رأيت أبا حنيفة كيف قدر مالكا، وكيف أعلن مالك انبهاره بعقل أبي حنيفة، وثناء الشافعي على كليهما، وثناء ابن حنبل على الشافعي، واعتراف الشافعي بقوة ابن حنبل في الحديث ولم يمنعه علمه ومكانته من أن يطلب منه أن يزوده بالحديث إن صح عنده.

هكذا كانوا أقولها لكل متعصب يحمله التعصب على عدم إنصاف المخالف والترفع على عدم الاعتراف بالحق كبرا وأنفة. يختلف الناس والاختلاف أمر ضروري، ولكن يجب أن نتحلى بأدب الاختلاف، وأن نعزز فينا خلق الإنصاف واحترام المختلف معنا، خصوصا أن الإسلام أبقى لكل واحد اجتهد قدره أصاب أم أخطأ.

الهوامش

١- أخرجه البخاري، كتاب: «الصلاة»، باب: «صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء»، رقم ٩٤٦.

٢- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: «الطهارة»، باب: «إذا خاف الجنب البرد أيتيمم»، رقم ٣٣٤.

٣- تفسير ابن كثير، (٣٤٥/٥)، تحقيق: د. حكمت بشير.

٤- موطأ الإمام مالك، ت: الأعظمي، باب: «تأليف الموطأ وتاريخه»، ص:٢٧٢.

٥- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ١٣٦.

٦- المرجع السابق، ص:٧٥.

٧- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، باب: «ذكر ثناء العلماء عليه بسعة العلم»، (١٨٢/٣).

٨- الانتقاء في فضل الأئمة الثلاثة الفقهاء، باب: «في طلبه للعلم وملازمته»، ص:٧٥.



عبدالله الظفيري
صحافي وباحث دراسات إسلامية

قواعد الإنصاف في التعامل

الاختلاف طبع من طبائع البشر وسنة كونية من سنن الخلق يتفق عليها الجميع. فالناس مختلفون في حياتهم وسلوكهم وتصرفاتهم وأفكارهم وطبائعهم. ولا يمكن بأي حال من الأحوال جعل كل الناس متوافقين في القضايا والمواضيع على مر الأزمنة والعصور. بل لا يزال الاختلاف قائما ومستمرا منذ بدأ الخلق وسيستمر إلى قيام الساعة. والاختلاف بين البشر واضح في ألوان الناس وألسنتهم وطبائع حياتهم لحكمة أرادها الخالق سبحانه وتعالى. ليس الاختلاف مشكلة إنما طبيعة التعامل مع المخالف الذي لا يتفق مع رأيك وفكرك وعملك هو أصل الموضوع. يجب أن يكون التعامل مع المخالف بالإنصاف والعدل كما أمر بذلك الدين الإسلامي وذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع. منهجية العمل التي يجب اتباعها مع المخالفين يجب أن تكون مبنية على التعامل معهم بإنصاف وعدل وهذا الأمر لا يعود بالفائدة على المخالف وحسب، إنما على الشخص نفسه من خلال إعادة ضبط التصرفات والانفعالات وقياس الأمور بشكل سليم وصحيح من دون أن يعطيها حجما أكبر من حجمها، أو وزنها الطبيعي. التعامل المخالفين إذا تم وفق منهج الانصاف كما جاء في الشريعة الإسلامية فإن هناك العديد من الإيجابيات التي ستتحقق وتعود على النفس والمجتمع بالفائدة. والإيجابية الأولى من هذه الإيجابيات المتحققة في إنصاف المخالفين تتمثل في اتساع نطاق التفكير وعدم محدوديته وقوقعته في إطار معين، وكذلك مواجهة الانحرافات في الأفكار والأعمال عن طريق المقارعة بالحجة، وتبادل الآراء وهو ما يؤدي إلى إيجاد بيئة مناسبة للعمل والإنتاج. ولا شك أن منشأ الخلافات يعود إلى تضخيم الأحداث وتهويلها من خلال قلب مريض يسعى إلى بث الفرقة والشقاق من دون أن تكون لديه رغبة في إنصاف الخصم والاستماع إليه ومواجهة ما يطرحه بالعقل والحكمة والرأي السديد. هذا الأمر يوجب أن تكون هناك قواعد ينبغي الالتزام بها في التعامل مع المخالفين أهمها التثبت والتبين وعدم الاندفاع نحو إصدار أحكام متسرعة بلا تأكد ويقين من وجود الخطأ. وكذلك يجب الموازنة بين الحسنات والسيئات وعدم الفجور في الخصومة وأخذ الكلام من جوانبه الإيجابية الحسنة وعدم تصنيف الناس في اتجاهات معينة. وإذا كان منهج التعامل مع المخالف مبنيا على العدل والإنصاف فإن من السهل فهم وإدراك كلام المخالف والمقصود منه والرد عليه وإفهامه ما وقع فيه من أخطاء دون ظلم له أو فجور في الخصومة معه. ويجب على كل شخص أن يبدأ في تطبيق قواعد الإنصاف في التعامل مع المخالفين على نفسه أولا من خلال التأني وعدم العجلة في إصدار القرارات والحكم على الناس من دون تبين وتحقق.

بقلم: عبدالرحمن سعد
نائب رئيس التحرير بجريدة الأهرام - كاتب وباحث متخصص



تطبيقات عملية مع اليهود

إنصاف الإسلام للمخالفين..

كثيرة هي الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والقواعد الفقهية، والمأثورات السلفية، التي تؤكد الحق الإسلامي للمخالف؛ فكرا ومعتقدا، في التعبير عن رأيه بكل حرية، وإنصافه إن كان الحق معه.. لكن ما الضمانات التي قدمها الإسلام فعليا كي يتمتع المخالفون بهذا الحق؟ وهل هناك تطبيقات عملية حقيقية شهدها المجتمع الإسلامي تؤكد ذلك؟

من الإنصاف القول - ابتداء - إنه كانت هناك فترات استثنائية في تاريخ المسلمين لم يلتزموا فيها بخلق العدل والقسط مع المخالف، وبالتبعية فيما بينهم، مما أورثهم آثارا مدمرة من التخلف الحضاري، والعداوة الداخلية، وتسلط الأعداء!

ما ذلك إلا لأن المسلمين في تلك الفترات الاستثنائية، نبذوا وراءهم تعاليم دينهم، التي تحثهم على التحلي بروح الإنصاف، وإقامة العدل، حتى لو كان ذلك مع «أشد الناس عداوة لهم»، وفي طليعتهم اليهود.

مصداق ذلك نطالعه في السطور

خمسة مواقف من القرآن والسنة وعمل الصحابة، تؤكد القسط الإسلامي معهم رغم عداوتهم الشديدة

التالية عبر خمسة تطبيقات عملية، من واقع تعاليم القرآن، وأحاديث الرسول، وعمل الصحابة، تظهر مدى العدل والإنصاف، في التعامل الإسلامي، مع هؤلاء القوم، على وجه الخصوص.

البداية من آية تمثل الركن الأعظم لحرية الرأي والاعتقاد في الإسلام، هي قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ (البقرة:٢٥٦).

أي: «لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه» (تفسير ابن كثير).

والسبب المباشر لنزولها يتعلق باليهود؛ فعن ابن عباس، في الحديث الصحيح، قال: «كانت المرأة تكون مقلاة (لا يعيش لها ولد)، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير، كان فيهم أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا (أي: لا ندعهم يعتنقون اليهودية)، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾».

آية أخرى تنهى المسلمين عن أن يحملهم بغضهم لقوم على ألا يعدلوا معهم، هي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ (المائدة:٨).

يدافع القرآن هنا أيضا عن اليهود، برغم تآمرهم لقتل النبي، فقد ورد في أسباب نزول الآية أنه ﷺ «ذهب إلى يهود، يستعينهم في دية، فهموا أن يقتلوه، فنزلت» (الطبري، والسيوطي).

والمعنى: «لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوه في كل أحد، صديقا كان أو عدوا؛ إذ عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه» (تفسير ابن كثير).

والأمر هكذا، كان للمقسطين، مع مخالفيهم، في أحكامهم وولاياتهم، أعظم مكانة عند الله، فهم المقربون إليه، المرتفعون لديه.

روى مسلم في صحيحه، عن عبدالله ابن عمرو، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا».

وفي الحديث التالي يقدم الرسول ﷺ قدوة عملية في اتباع الحق، حتى لو جاء على لسان مخالف.. يهودي.

عن قتيلة بنت صيفي الجهنية، رضي الله عنها: «أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون (أي: تتخذون أندادا)، وإنكم تشركون (بالتسوية بين مشيئة الخالق والرسول) تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة (تقسمون بها)، فأمرهم النبي ﷺ (أصحابه) إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، ويقولون: ما شاء الله ثم شئت» (صحيح النسائي، للألباني).

لم يمنع الرسول ﷺ كون المتحدث يهوديا أن ينهى أصحابه عما يقولون، ما دام قوله يوافق الحق، علما بأن الأمر يتصل بالعقيدة، وقد وردت كراهة النبي ﷺ للفعل المنتقد.

ففي الحديث الصحيح، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله، وشئت. قال: «جعلت لله ندا؟ ما شاء الله وحده».

والأمر هكذا، سار الصحابة والتابعون، رضي الله عنهم، على هذا المنهج القرآني النبوي الكريم في التعامل مع المخالف، فضربوا أروع الأمثلة على الالتزام بالقسط والإنصاف معه. ومن ذلك قصة عمر بن الخطاب، مع الذمي اليهودي.

قال أبو يوسف، صاحب كتاب «الخراج»: «حدثني عمر بن نافع، عن أبي بكر، قال: مر عمر، رضي الله عنه، بباب قوم، وعليه سائل يسأل، وكان شيخا ضرير البصر، فضرب عمر عضده، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية، والحاجة، والسن. فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، وأعطاه مما وجده، ثم أرسل به إلى خازن بيت المال، وقال له: انظر هذا وضرباءه فضع عنهم الجزية، فوالله ما أنصفناه، أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم».

وهذا يهودي أيضا جاء إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه متحديا له: «ما نفضتم أيديكم من تراب نبيكم؛ حتى قلتم: منا أمير، ومنكم أميرا! فرد عليه علي: ما جفت أقدامكم من فلق البحر حتى قلتم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. فانقطع اليهودي، ولم يجد جوابا» (عيون المناظرات، لأبي علي السكوني، تحقيق: سعد غراب، تونس، ١٩٧٦م).

هذه المعاملة النبيلة مع المخالف، بالقبول منه، وعدم رد الحق؛ إن كان معه؛ ظلت ديدن كل مسلم، وجسدها الإمام الشافعي في قوله: «ما ناظرت أحدا قط على الغلبة، وإنما لكي يتبين الحق» (سير أعلام النبلاء).



أحمد عبدالمقصود
باحث تربوي

الإنصاف.. قيمة إسلامية وضرورة إنسانية

إننا نعيش في عالم موّار متسارع الأحداث، لا تكاد تمر ساعة من ساعاته بل دقيقة من دقائقه إلا وافانا بجديد يترك بصماته على الحياة والأحياء، ومن مقررات علم الاجتماع وثوابته أن كثرة الانفتاح وتزايده على هذا النحو، والأخذ بأسباب التحديث والتطور يحمل في أحشائه نذيرا بمزيد من الاختلاف بين أبناء الجماعة البشرية، فما يعرض للناس من نوازل ومشكلات يجعلهم أكثر عرضة للاختلاف ممن لا يمرون بها، نظرا لما يصاحب التحديث والتطور من اشتباك في الرؤى والأفكار.

ولسنا نقول شططا عندما نزعم أن هذا الاختلاف سنة كونية مطردة تحفظ للحياة حيويتها وخصوبتها، وتمسك عليها نضارتها وشبابها، وقد فهم فريق من أهل العلم من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود:١١٨-١١٩) أن المراد بعلة الخلق هي الاختلاف والتنوع، الاختلاف بين غني وفقير، وعالم وجاهل، وضال ومهتد، والمراد هنا كما لا يخفى هو ذلك الاختلاف الذي تستقيم به الحياة وتنتظم مسيرتها في رشد واعتدال، وليس ذلك الخلاف المذموم الذي يأتي على العلاقات الإنسانية فيقطعها، ويصيب الحياة بالعقم والجمود.

معوقات في طريق الإنصاف

وفي ضوء ما قررناه يأتي حديثنا عن الإنصاف كضرورة إنسانية وقيمة إسلامية يتفهم من يتحلون به أسباب الاختلاف ويستثمرونه ويديرونه على نحو لا يصادم سنن الله أو يعارض إرادته الكونية القدرية، وإن مجتمعا إنسانيا يحرم هذا القيمة ويسلب تلك الفضيلة لهو أكثر عرضة من غيره لأن تسري فيه سموم الكراهية وجراثيم البغضاء، مما ينبئ عن انهيار وشيك وسقوط قريب، وكم أفلت حضارات وانهارت أمم افترستها الخصومات عندما ذبل فيها خلق الإنصاف، فأصبحت أثرا بعد عين.

وقبل أن نعرض لمعالم الإنصاف مع المخالف، لابد لنا من وقفة مع تلك المعوقات التي تحول دون انتعاش هذا الخلق النبيل بين الناس، وشيوع ضده من الإجحاف وقلة الإنصاف.

فمن أبرز المعوقات البيئة التي ينشأ فيها، وما يشيع فيها من أعراف وتقاليد تربي المرء على التعصب، وتنظر للإنصاف على أنه ضعف يشين صاحبه، ويجرئ عليه المخالف، وهذا بلا ريب امتداد لأخلاق الجاهلية التي كان شعارها الساري: انصر أخاك ظالما أو مظلوما.

ويأتي اتباع الهوى سببا رئيسيا من أسباب قلة الإنصاف، فالميل مع الهوى يعمي المرء عن رؤية الإيجابيات والمحاسن، ويصمه عن قبول الحق والاعتراف به، وقديما قالوا: حبك الشيء يعمي ويصم، يقول ابن تيمية رحمه الله: «وصاحب الهوى يعميه ويصمه فلا يستحضر ما لله ورسوله، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه لهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، وربما يكون معه شبهة من دين»[1].

وثالث هذه المعوقات هو النظر إلى النفس بعين الكمال، فالمرء عندما ينصب نفسه حكما على آراء الناس وأقوالهم وسلوكياتهم قد يغيب عنه أنه مثل من يحكم عليهم، يجتمع فيه الخطأ والصواب، والغي والرشاد، والحق والباطل، ويطبع أعماله طابع القصور البشري الذي يطبع أعمال الناس جميعا، فيجب عليه ألا يعامل الناس إلا بمثل ما يحب أن يعاملوه به من الإعذار وتفهم الأخطاء، قال ابن حزم رحمه الله: «من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فإنه يلوح له وجه تعسفه»[2].

من قواعد الإنصاف

الإنصاف ثمرة من ثمار دوحة العدل الباسقة، وفرع من فروعه الدانية، وهو يلتقي مع العدل في الأصول والجذور وإن اختلف عنه في

التفاصيل والفروع، ومن أبرز سمات إنصاف المخالف ومفرداته ما يلي:

(أ) التبين والتثبت قبل إصدار الأحكام

وذلك امتثالا لقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦). وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ (النساء:٩٤). والتبين والتثبت من خصائص أهل الإيمان، ومن القواعد المستقرة لدى أهل الأصول: «ما ثبت بيقين لا يزول إلا بيقين»، قال الحسن البصري رحمه الله: «المؤمن وقاف حتى يتبين».

(ب) الحكم على الظاهر وعدم الخوض في النيات

فقد أقر النبي ﷺ -وهو المعصوم المؤيد- قاعدة عظيمة في قوله: (إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس، ولا أشق بطونهم) (البخاري ومسلم)، فكيف بغيره؟! وقد قالوا قديما: «من أبحر في نوايا الناس غرق»، والحكم على ما في النيات نوع من الادعاء المبطن بعلم الغيب.

(ج) إحسان الظن وحمل الكلام على أحسن المحامل

وإحسان الظن بالناس وترك السيئ من الظنون فيهم من علائم الفطرة السليمة والقلب النظيف، وقد روى أبوداود وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنهما: «حسن الظن من حسن العبادة»، وفي رواية: «من حسن عبادة المرء حسن ظنه».

وأقوال السلف والخلف في مدح حسن الظن والحث عليه كثيرة، وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: «من أحب أن يختم له بخير فليحسن الظن بالناس».

(د) الإقرار بما للآخرين من مزايا

وهذا الاعتراف منشؤه الرؤية الموضوعية المحيطة بالحياة التي لا تعتبر النقد ذكر المثالب والعيوب فحسب، بل الكشف أيضا عن الإيجابيات ومكامن الخير، ومن جميل ما ورد في ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن المستورد بن شداد أن النبي ﷺ قال: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس». فقال له عمرو بن العاص: أبصر ما تقول، قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك»، فإن ثناء عمرو على الروم وتعداد محاسنهم لم يكن إلا لما استقر في نفسه من خلق الإنصاف.

(هـ) البعد عن التعميم في إطلاق الأحكام

فالتعميم يحمل في معظمه الكثير من الظلم والبعد عن السوية الفكرية، وقد عرفت البيئة العربية هذا التعميم الذي شاع في هجائهم ومدائحهم، فجاء الإسلام ليشجب هذا النوع من إصدار الأحكام ويعيد الأمر إلى نصابه المعتدل الرشيد، فقال ﷺ: «إن أعظم الناس جرما إنسان شاعر يهجو القبيلة من أسرها، ورجل انتفى من أبيه» (صحيح الأدب المفرد للألباني).

وقد جاء القرآن يضرب المثل ويؤصل قاعدة الإنصاف مع المخالف في صورة باهية مشرقة تظهر بجلاء كيف يعامل الله فريقا من عباده الذين شاعت بينهم الجرأة على مقام الألوهية، في وقاحة سجلتها أسفارهم ونطقت بها أدعيتهم وصلواتهم، وسجل القرآن عنهم قولهم عن الله عز وجل -حاشاه-: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ (المائدة ٦٤)، ومع هذا التطاول الشائن فإن الله أنصف فريقا منهم وأثنى على أمانته وحفظه حقوق الناس مهما كانت كبيرة تغري بالخيانة والإتلاف، فيقول تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾ (آل عمران: ٧٥).

وفي موطن آخر من القرآن يثني الله على فريق من عباد أهل الكتاب الذين يعكفون على الكتاب المنزل عليهم، فيعمرون به لياليهم به قائمين ساجدين فيقول تعالى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ (آل عمران:١١٣).

إنه سبحانه ينصفهم وهو القادر على ألا يفعل، فهم مربوبون تحت قهره وسلطانه، وهو غني عنهم وهم مفتقرون إليه، أليس في هذا إشارة إلى عباده أنهم أولى بالإنصاف فيما بينهم وهم يتعايشون على أرض واحدة، ويحتاج بعضهم إلى بعض؟!

الهوامش

(١) منهاج السنة: ٥/ ١٧٦.

(٢) الأخلاق والسير: ص ٨٠.



د. آندي حجازي
أكاديمية علم النفس التربوي

الأساليب الخمسة في دعوة غير المسلمين

حينما خلق الله الخلق، خلقهم لغاية سامية وقد أوضح ذلك في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ (الذاريات:٥٦-٥٧) فالغاية هي عبادة الخالق وحده لا شريك له ولا معبود سواه، ولابد من التقرب إليه بالطاعات واجتناب النواهي التي أمر باجتنابها. والله تعالى جعل وجود الإنسان في هذه الحياة امتحانا له ليميز الله الخبيث من الطيب، والمؤمن من الضال، والعابد من الجاحد. ولكن الخالق سبحانه وتعالى لم يدع البشر بلا توجيه أو إرشاد أو توضيح للغاية بل أرسل إليهم الرسل والأنبياء ويسر لهم الدعاة على مر الأزمان من أجل دعوة الناس إلى الحق وإلى دين الله تعالى ولتعريف الناس الغاية من هذه الحياة وما بعد هذه الحياة.

وبالرغم من أن الإنسان وعلى مر الزمن دائما تساءل: من الخالق؟ ولماذا خلقنا؟ وما الهدف من وجودنا على سطح الأرض وفي هذه الحياة؟ وماذا بعد الحياة؟ وهل هناك حياة أخرى غير هذه الحياة أم لا؟ ومن خلق الكون؟... وغيرها من الأسئلة إلا أن الكثير من البشر وعلى الرغم من إرسال الله تعالى للرسل والأنبياء للإجابة الواضحة عن كل تلك الأسئلة، إلا أنهم يرفضون دعوة وكلام الرسل والأنبياء ويحاربونهم ويعادونهم ويقتلونهم أحيانا! بل ويرفضون فكرة وجود الله تعالى وفكرة وجود خالق للكون! بالرغم من أن كل شيء في هذا الكون يشير إلى دقة متناهية في الصنع وعظمة وكمال وروعة وتوحد في نظام الكون لدرجة تنبئ عن وجود خالق وصانع



متقن لهذا الكون الذي لا مثيل له.

فانظر مثلا كيف أن كل شيء يدور في الكون في أفلاك وباتجاه عكس عقارب الساعة، من أصغر شيء كما حول النواة إلى أكبر المخلوقات وهي الأفلاك في السماوات. وانظر كيف أن جميع المخلوقات الحية من أصغرها إلى أكبرها تتوحد في فكرة وجود الأنثى والذكر من أجل التكاثر واستمرار الحياة؛ فكيف لكل تلك الكائنات أن تسير على نفس النسق من ضرورة توافر الذكر والأنثى لكي تتوالد أو تتكاثر وحتى في النباتات، فكيف يكون هذا كله بمحض المصادفة! أو جاء من الطبيعة وبلا خالق وحد نظام الكون في دقة متناهية! وكيف لكل هذا الفضاء المترامي الأطراف بهذا الحجم الهائل الذي اكتشفته التلسكوبات الضحمة في اتساعه ومجراته التي قدرت بملايين الملايين أن تكون بلا خالق! والغريب أن كثيرا ممن يلحدون، هم ممن يدرسون تلك الحقائق العلمية ثم ينقلبون على رؤوسهم وينكرون خالقا لها!

الأساليب الخمسة المقترحة في دعوة لغير المسلمين إلى الإسلام:

أولا: الدعوة من خلال آيات الله في الكون

إن من الطرق المفيدة والمقنعة وخاصة مع ذوي الألباب وأهل العلم والعلماء هي دعوتهم إلى الإيمان بالله وحده عن طريق دعوتهم إلى التفكر في عظيم مخلوقات الله في السماء من (أفلاك وأجرام وأقمار ومجرات ونجوم وشهب..) ومخلوقات الله في الأرض والجبال والبحار والكائنات في الأرض والبحور، ومناقشتهم في آيات الله في الكون، ومن خالق هذا الكون. وقد كان هذا دور وأسلوب الرسل والأنبياء في دعوة الناس للتفكر في الكون وقد أوضح الله ذلك في آيات وقصص كثيرة جدا في القرآن الكريم وقصصهم مع أقوامهم وفي دعوتهم إلى التفكر في ملكوت الله وخالق هذا الملكوت.

فمثلا قال تعالى داعيا إلى التفكر في الكون العظيم: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ (الأعراف:١٨٥). وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة العنكبوت:٢٠).وقال تعالى داعيا للتفكر في بعض قدرات الله في مخلوقاته: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية:١٧-٢٠).

وقال تعالى داعيا للتفكر في خلق الإنسان: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون:١٤).

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل على عظمة خلق الله ودقة خلقه كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج:٧٣).

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تثبت عظمة الخالق وأنه هو البارئ للمخلوقات وما أبدع، فمثلا حينما قالت نملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل:١٨)، وسمعها سيدنا سليمان عليه السلام، اكتشف العلماء حديثا أن ظهر النمل بالفعل يتكون من مادة كالزجاج تتحطم ونسمع صوتها عند الضغط بقوة على ظهر النملة وهذا مذكور بالقرآن الكريم.

وحينما تحدث عن النحل وكيف يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه وفيه شفاء للناس، وقد أثبت العلم والباحثون مدى فاعلية العسل في الشفاء من العديد من الأمراض فهو يعمل كمضاد حيوي. وحينما تحدث الله تعالى عن العنكبوت كمثل العنكبوت اتخذت بيتا،

وتحدث عن العنكبوت بصفة المؤنث فاكتشف العلماء حديثا أن العنكبوت الأنثى هي التي تبني بيتا أما الذكر فلا يبني بيتا! وهكذا هي آيات الله في كونه لا تعد ولا تحصى وهي مجال خصب لإقناع الناس بالخالق العظيم وبالإيمان به خاصة مع محاولة البعض اليوم الدعوة للإلحاد فلابد من التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة.

ثانيا: الدعوة من خلال القدوة والأخلاق الحسنة

من المهم جدا أن نعلم أن الخلق الحسن هو أفضل أسلوب في الدعوة لغير المسلمين، فعندما يتعامل غير المسلم مع المسلم ذي الأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة والإخلاص والجد والاجتهاد ومحاسبة النفس والتقوى والصبر والتسامح.. ويرى منه حسن الخلق والتعامل الصادق الحسن فلا يغشه ولا يخدعه ولا يكذب عليه في تعامله ولا يستغيبه ولا يخذله ولا يبهته ولا يظلمه ولا يسرقه حقوقه ولا يتهاون في أداء واجباته، فإنه حتما سيكون قدوة حسنة ونموذجا رائعا يتمنى أن يتبعه في دينه. ويؤكد كلامنا كيف دخل مئات الآلاف من غير المسلمين في الدين الإسلامي أيام الصحابة وقت الفتوحات الإسلامية؛ حيث وجد أهل البلدان المفتوحة في (الشام والعراق ومصر وبلاد الفرس وشمال إفريقية) كيف كانت أخلاق الفاتحين وقارنوها بمن سبقهم، فلو كانت غير ذلك فهل كانوا سيتبعون المسلمين؟!

وهل اتبع الإندونيسيون الدين الإسلامي إلا من أخلاق التجار المسلمين الذين كانوا يتعاملون معهم، فكيف اتبع غالب أهل إندونيسيا الإسلام وهم اليوم أكبر دولة إسلامية من حيث العدد السكاني بحمد الله (٣٦٠ مليونا) فالخلق الحسن والمبادئ الأخلاقية هي التي

كان أسلوب الأنبياء الحوار مع أقوامهم

تجلب السعادة للإنسان وتجلب الراحة والطمأنينة، وهي أساس ديننا.

ومثلا إن كان لديك خادمة في البيت غير مسلمة أو سائق شخصي لك غير مسلم، فلو رأى منك الخلق الحسن والمعاملة المتسامحة والاحترام والتقدير والكرم والعطف والصبر وعدم الغضب كما كان رسول الله ﷺ يفعل مع أنس ابن مالك حينما كان يخدمه، فقال أنس رضي الله عنه: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ما قال لي لما فعلت كذا ولما لم تفعل كذا». مع أنه لابد وأن أنس قد أخطأ يوما خلال هذه العشر سنوات! ولكن رسول الله ﷺ لم يعاتبه حتى عتابا. فلو اقتدينا برسول الله عليه السلام في معاملته للخدم والسائقين وعمال النظافة وغيرهم فإنه حتما سيدخل في ديننا الآلاف منهم، ولكننا مقصرون في هذا الجانب والحق يقال.

ثالثا: الدعوة من خلال الموعظة والجدال الحسن

إن الأسلوب الشائق والحسن واللطيف والذي يتضمن الود والجدال الحسن المقنع في التعامل مع غير المسلمين هو الأسلوب الأفضل في جذبهم نحو الدين وخاصة عند حدوث الحوارات والجدالات والمناظرات بين المسلم وغير المسلم، قال تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥)، ونتذكر هنا رسول الله ﷺ كيف كان يتحاور مع كفار قريش من أجل دخولهم في الدين الإسلامي وكيف يدعوهم لعبادة الله وحده وأن الأصنام لا تنفع ولا تضر وأنه يخاف عليهم عذاب الآخرة، قال عزوجل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران:١٥٩).

وكذلك كل الأنبياء كانوا يتحاورون من أقوامهم بالتي هي أحسن وبالحجج والمنطق وأسلوب الإقناع، فمثلا سيدنا إبراهيم عليه السلام تحاور مع قومه بعدة طرق ليقنعهم أن الأصنام لا تنفع ولا تصلح أن تكون إلها وخالقا ومعبودا، وأثبت لهم ذلك بقصة تحطيم الأصنام علهم يرتجعون عن غيهم وضلالهم، وكذلك تحاور معهم بأن الشمس والقمر لا يصلحان كآلهة لأنها تغيب والإله لا يغيب بل هو حاضر دائما، والشمس لا تطلب منهم عبادة، بينما الخالق الحقيقي يطلب منهم أوامر وينهاهم عن نواه.

وكل الأنبياء كان أسلوبهم الحوار مع أقوامهم، وأعرض مثالا لحوار الأنبياء مع أقوامهم وهم جلهم نماذج في الحوار الراقي الجميل المهذب والمقنع؛ وهو حوار سيدنا شعيب مع قومه حينما دعاهم لعبادة الله وحده وعدم الغش في المكيال وعدم الإفساد في الأرض وأنه يرجو لهم الخير والنجاة وكيف كان موقف قومه منه:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ

﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ
وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ
ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ
لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠
عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ
أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ
ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا
نَشَـٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ
﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ
بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ
وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ
عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ
وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ
أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ (سورة هود:٨٤-٨٨). فما على الرسول إلا البلاغ. وقد ورد في التاريخ الإسلامي نماذج كثيرة لحوارات مقنعة مع غير المسلمين كحوارات (أبي حنيفة) صحاب المذهب الحنفي مع الملحدين. وكمثال (أحمد ديدات) في القرن الماضي في مناظراته مع غير المسلمين وكيف أسلم على يده الآلاف بأسلوبه المقنع.

رابعا: الدعوة من خلال التقدم العلمي والحضاري

عالمنا اليوم يعيش في عصر العلم والتكنولوجيا ويقدر العلم والعلماء والاختراعات والاكتشافات، والعالم في تسارع علمي وتكنولوجي واضح وأصبح العالم لا يقتنع إلا بالأقوى تكنولوجيا وعلميا، ولذلك علينا كمسلمين أن نكون مساهمين في ركب العلم والتطور الحاصل، ولا نبقى مشاهدين أو أتباعا ومستهلكين، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر؛ كيف حينما كان الإسلام هو السائد والدولة الإسلامية واحدة وممتدة ووصلت الأندلس (إسبانيا اليوم) ودخل أهلها الإسلام وحسن إسلامهم، فكان الأوروبيون آنذاك ينظرون إلى المسلمين كنماذج عليا في التقدم العلمي واثقافي والحضاري، فباتوا آنذاك يحاولون تقليد المسلمين في سلوكياتهم ولبسهم وطريقة حياتهم ما جعل الكثير منهم يدخل في الدين الإسلامي وقتها لما وجد في الإسلام من التحضر والتقدم والرقي الأخلاقي والعلمي.

وكذلك كان الأمر أيام الخلافة العثمانية وكمثال أيام السلطان سليمان القانوني الذي حقق العدل والتطور والرفاه واهتم بكل جوانب العلم والتحضر والأمور الدينية والدنيوية وليس فقط الفتوحات؛ فأنشأ المدارس والمستشفيات ودور العلم والمساجد والجسور والطرق ووسائل النقل واهتم بالفنون الراقية.. ما جعل عصره يوصف بالعصر الذهبي للإسلام، ومن خلاله دخل الملايين من البشر في دين الإسلام.

فعندما نكون نماذج في العلم وإعمار الأرض والاكتشاف والاختراع (وليس فقط العبادات) فإن الآخر سوف يقتنع بديننا العظيم الذي يحثنا على العلم والتعلم وعلى إعمار الأرض وسيتبعنا ويتمنى اتباع هذا الدين. وكذلك كان المسلمون في كل عصور الإزدهار للدولة الإسلامية يهتمون بكل نواحي العلم من (هندسة وفلك وطب وصيدلة وصناعة وفنون وتجارة..) فكانوا نماذج رائعة بشتى المجالات، فشجعت الكثير على اتباع هذا الدين العظيم المنتج.

ونحن اليوم بأشد الحاجة إلى أن نعود كما كنا وأن نكون قادة في العالم لا إمعة وأتباعا للعالم الغربي الذي وإن تطور فكريا اليوم لكنه انحل أخلاقيا في الجوانب الإنسانية والاجتماعية والأسرية والأخلاقية. أما نحن فلدينا دين كامل متكامل راق إن اتبعناه كنا أفضل الأمم وأنشأنا أعظم حضارة يشار إليها بالبنان كما كانت، وأوقفنا العالم على قدم واحدة احتراما لنا وتقديرا.

خامسا: استخدام وسائل التواصل الاجتماعية الحديثة

اليوم انتشرت في العالم كله وسائل تواصل اجتماعي كثيره ووسائل تكنولوجية سريعة وتطبيقات كثيرة كالواتساب والماسنجر والتويتر والفيسبوك وغيرها، ويمكننا أيضا اليوم الدخول إلى غرف التحاور والتشاور الإلكترونية، فيمكن الاستفادة من تلك الوسائل لإقناع الآخرين بديننا، فجميع وسائل التواصل الاجتماعي يمكن استخدامها اليوم في دعوة غير المسلمين إلى الله تعالى وهي اليوم منصات رائعة من أجل نشر كلمة الحق ونشر معلومات دينة صحيحة عن ديننا الإسلامي بدلا من تلك التي تنشرها وسائل الإعلام ووسائل التواصل التي تحاول تزوير الحقائق وإبعاد الناس عن الحق.

ونحن كمسلمين محاسبون أمام الله تعالى عن إيصال ديننا الحنيف لغير المسلمين، وإلا فإننا سنكون مقصرين وسيحاسبنا الله تعالى على تقصيرنا في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وفي تعريفهم به، ولابد من جهود مدروسة هادفة منظمة في كيفية إيصال ديننا ومبادئه لغير المسلمين؛ لا أن تكون أفكارا مترامية الأطراف وغير متكاملة وغير منظمة ومشتتة للآخر، فلابد من التسلسل في الطرح والتدريج في إيصال المعلومة وتجهيزها بطريقة مناسبة يتقبلها الطرف الآخر.



الدكتور مصطفى البعزاوي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
وجدة - المغرب



دراسة في النوازل الفقهية

ملوثات الطرق

من خلال التأمل في كتب الفتاوى الفقهية، يتبين أن تلويث الطرق يعد أمرا خطيرا، ومن أهم مظاهر تلويثها كثرة القمامة والقاذورات في الشوارع وما يرتبط بها من مظاهر قلة النظافة العامة، مما يخل بوظيفة هذا المرفق الحيوي، الذي هو محور أساسي من محاور العمران.

وفي هذا السياق، سأذكر قضايا من الفتاوى الفقهية التي يتضح منها تلوث الطرق على النحو الآتي:

أولا: تلوث الطرق بالأزبال

١ - نص الفتوى

سئل اللخمي[١] عن حفرة جعلت لجمع الأزبال والقذرة وتضر المارين إلى المسجد والجيران.

فأجاب: حال هذه الحفرة فيها مضرة عظيمة، وعلى من بسط اللّٰه يده زوالها وأخذ مالكيها ببناء حائط عليها يمنعهم من إلقاء ذلك فيها، وكذا ما ذكر من فتح المرحاض يمنع إحداثه، وعلى من أحدثه سده[٢].

٢ - فقه الفتوى

في هذه الفتوى إشارة إلى ما يلوث الطريق ويضر بالمارين، وذلك من خلال الحفرة التي اتخذت لجمع الأزبال. والحكم الوارد فيها يقضي بزوالها لمن بيده السلطة رفعا للضرر، وممن كان يقوم بهذه المهمة، المحتسب.

ودرءا لهذا التلوث، يؤمر من اتخذ الحفرة ببناء حائط عليها يمنعه من إلقاء ذلك فيها، مما يبين عمق الوقاية.

ومن الأشياء التي تلوث الطرق، ما كان يحدث من اتخاذ الكنف بجوار الطرق، إذا لم توار وتضر بالمارين[٣].

وفي هذا السياق، سئل المحقق السجلماسي، فأجاب: الحمد للّٰه، نقل ابن لب في بعض أجوبته أنه وقع في كتاب ابن حبيب: قلت لمطرف وابن الماجشون: الكنف التي تتخذ في الطريق يحفرها الرجل بلصق جداره ثم يواريها، أيمنع من ذلك؟ قال: لا، إذا واراها وغطاها وسواها بالطريق حتى لا يضر مكانها بأحدهم[٤].

ولحسم مثل هذه المسائل، وضع ابن لب قاعدة مهمة حيث قال:

والقاعدة أن المرافق التي لا ضرر فيها لا يمنع من أراد إحداثها، لأنه ينتفع وغيره.

ومن أجل المحافظة على سلامة السكان، ونظافة المدن، وخططها وشوارعها، والقيم الجمالية فيها، كان المحتسب يأمر بإزالة الطين من الأسواق والطرقات وشوارع المدينة إذا كثر، وإذا تراكمت الأزبال والأتربة ونحوها، كان المحتسب يعين من يقوم بتنظيف الشوارع وبرشها[٥].

ومن الصور التي كان يقوم بها المحتسب، أنه يمنع القصابين من الذبح على أبواب محلاتهم حتى لا يلوثوا الطرق بالدماء والروث، لأن مثل هذا العمل منكر ينبغي المنع منه حتى لا يضيقوا الطريق وإيذاء المارة بسبب ترشيش النجاسة[٦].

ومما يزيد انتباه الفقهاء للحفاظ على حماية البيئة في الطريق، أنهم تطرقوا لمسألة تتعلق بمستعملي الطريق (المارة)، وهي: منع نفض الحصير وغيره إذا كان يضر بالمارة، يقول الخرشي على قول المختصر: «وانذر قبل بيت» ما نصه:

ومن أراد أن ينفض حصره أو غيرها على باب داره وهو يضر غباره بمن يمر بالطريق يمنع من ذلك، ولا حجة له أن يقول: إنما فعلته على باب داري[٧].

ثانيا - تلوث الطرق بالمجاري المائية المتسخة

نص الفتوى:

وفي أحكام ابن حدير: في قناة تجري بالأوساخ على محجة[٨] المسلمين وكانت تجري على قناة مدفونة تحت دور قوم بماء المطر والأوساخ وأن أهل الدور صرفوها إلى غير جريها وثبتت حيازتها. وشهد لأهل الدور أن القناة كانت تجري على دورهم بماء المطر خاصة لا يعلمون فيها وسخا، وثبت ذلك مع الحيازة أيضا[٩].

وأفتى ابن بقي بن مخلد[١٠]: لا يستحق على محجات المسلمين شيء، إذ هي كأحباسهم ولو طالت ولا يلتفت إلى التواريخ، والذي أراه قطع الضرر عن المحجة[١١].

ما يستفاد من الفتوى

يستفاد منها قطع الضرر عن طريق المسلمين، رعاية لمصلحة الطريق، وحفاظا عليه من التلوث، استنادا للقاعدة الفقهية الأم: «لا ضرر ولا ضرار»، وقاعدة: «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، وذلك كله حتى تتوافر السلامة البيئية في الطريق.

وفي رفع الضرر عن استغلال الملك العام. قد ذكر الونشريسي في المعيار تحت قول الرسول ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»، أنه لا يجوز لأحد أن يحدث في طريق المسلمين ما يضر بهم في ممرهم وتصرفهم، وعليه فيه حرج ومشقة، وينهى عنه أشد النهي، ويجب على من بسط الله يده من حكام المسلمين زجره عن ذلك، فإن لم ينته عاقبه عقوبة يرجع بها عن فعله ولا يسامح بمثل هذا[١٢].

ومن القواعد الفقهية التي توظف في هذا السياق قاعدة: «الضرر لا يزال بمثله»، أو معناها يزال الضرر بلا إضرار بالغير إن أمكن وإلا فبأحق منه، والمثال التطبيقي للقاعدة:

من سلط ميزابا على الطريق العام، بحيث يضر بالمارين فإنه يزال، ويضمن المتلف عوض ما أتلف للضرر الذي أحدثه[١٣].

من خلال فتاوى تلوث الطرق، يتبين أن فقهاء الغرب الإسلامي بمختلف المدارس الفقهية التي ينتمون إليها، أبرزوا في فتاواهم، منع كل ما يلوث الطرق، باعتبارها محورا حيويا في الحفاظ على البيئة.

والفتاوى الواردة في الموضوع، تبين مدى عناية الفقه الإسلامي بالمرافق العامة باعتبارها إرثا وحقا مشتركا بين الناس.

وإن من الواجب على المسلم المحافظة على المرافق المحيطة به في جميع المستويات، ومن أجل المحافظة على البيئة والصحة العامة، نجد الرسول الله ﷺ يضع لنا جملة من الضوابط الشرعية لحماية الطرق منها:

أ - إماطة الأذى عن الطريق

يعد دفع الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، ولفاعله ثواب عظيم عند المولى سبحانه وتعالى، وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[١٤].

فكلمة الأذى كلمة عامة، وعليه فكل ما يؤذي الناس في صحتهم يدخل في مفهوم الأذى الذي يؤمر المسلم بإزالته، والتخلص منه، قال الإمام النووي رحمه الله: «هذه الأحاديث

المذكورة في الباب ظاهرة في فضل إزالة الأذى عن الطريق، سواء كان الأذى شجرة تؤذي، أو غصن شوك، أو حجرا يعثر به، أو قذرا، أو جيفة وغير ذلك، وإماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان»[١٥].

ومن صور الأذى في عصرنا الحالي:

- رمي الزجاجات الفارغة في الطريق، وإلقاء المخلفات الاستهلاكية من أوراق وأزبال، وغير ذلك من الأدخنة المتولدة عن الأفران والمصانع بأنواعها المختلفة، وظاهرة استغلال الملك العمومي من المحلات التجارية، كل ذلك يعد نوعا من الأذى.

- ترك الدخان يخرج من السيارة لينفث في وجه المارين.

ب – المحافظة على نظافة الطريق

اهتمت الشريعة الإسلامية بنظافة الطريق، ودعت إلى اجتناب التبول ونحوه في جنباته من خلال عدة توجيهات نبوية، منها:

– ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل»[١٦].

ففي هذه الأحاديث تحذير شديد لما ينتج عن تلوث الطرق، من التبول والبراز.

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: «والحديث يدل على تحريم التخلي في طرق الناس وظلهم لما فيه من أذية المسلمين بتنجيس من يمر به ونتنه واستقذاره»[١٧].

وقد سمى رسول الله ﷺ هذه التصرفات الشنيعة «ملاعن»؛ لأنها تجلب اللعن على فاعلها شرعا وعادة، إذ عادة الناس شتمه ولعنه لشناعة فعله وقبحه[١٨].

ثالثا - النهي عن الجلوس في الطرقات

لقد جاء النهي عن النبي ﷺ، في الذي يتخذ الطريق مجالس للتسلي والتلهي، لما فيه من التعرض للفتن والتضييق على المارة، ولما قد ينتج عن مستعملي الطريق من مخلفات الأزبال، التي غالبا تتحول إلى فضاءات للأوبئة ناتجة عن تراكم الميكروبات.

وفي هذا السياق، يقول النبي ﷺ: «إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا: يا رسول الله، ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها. قال رسول الله ﷺ: فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حقه؟ قال: غض البصر وكف الأذى، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١٩].

دل الحديث على أن الأصل في الجلوس على الطريق الحظر والمنع، وذلك لما فيه من تعرض لحقوق الطريق، التي غالبا ما تضعف النفوس عن القيام بها، فكانت السلامة بترك الجلوس أولى[٢٠].

ولا شك أن الجلوس في المقاهي اليوم على قارعة الطرقات في غياب أي مقصد، أو أدب من الأدبيات، لمن أوجه الأذى.

الهوامش

١ – أبو الحسن علي بن محمد الربعي، المعروف باللخمي القيرواني، الحافظ العمدة، رئيس الفقهاء في وقته، (ت:٤٧٨هـ)؛ الأعلام للزركلي، ١٦١/٦.

٢ – فتاوى البرزلي، ٣٨٩/٤.

٣ – نفسه.

٤ – المعيار الجديد، ١٥٢/٧.

٥ – الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، سهام مصطفى أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص:٢٠١.

٦ – معالم القربة في أحكام الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، نقل وتصحيح: روبين لوى، دار الفنون، كامبردج ١٩٣٧م، ص:٩١.

٧ – المعيار الجديد، ١٥٢/٧.

٨ – المحجة: الطريق الواضح البين.

٩ – فتاوى البرزلي، ٤١٤/٤.

١٠ – أحمد بن يزيد بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن مخلد بن بقي بن مخلد القرطبي أبو القاسم الفقيه الكاتب المحدث الفاضل الحسيب العالم الأوحد قاضي الجماعة، روى عن أبيه وجده وأجازه أبو الحسن شريح وابن قزمان وابن بشكوال والسهيلي في جماعة كثيرة، توفي بقرطبة (٦٢٥هـ)، ينظر: «نيل الابتهاج»، ص:٢٣٢.

١١ – فتاوى البرزلي، ٤١٤/٤.

١٢ – المعيار، ٤١٤/٨.

١٣ – شرح القواعد الفقهية، أحمد محمد الزرقا، تحقيق: عبدالستار أبو غدة، مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٤ – صحيح البخاري، كتاب: «الإيمان»، باب: «أمور الإيمان»، رقم: ٩؛ مسلم، كتاب: «الإيمان»، باب: «بيان عدد شعب الإيمان»، رقم:٥٨.

١٥ – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧١/١٦.

١٦ – سنن أبي داود، كتاب: «الطهارة»، باب: «المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها»، رقم:٢٦.

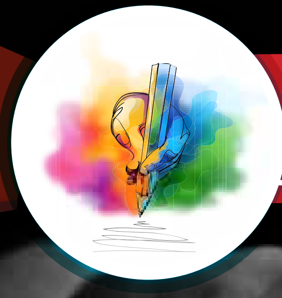
١٧ – نيل الأوطار، ٨٥/١.

١٨ – شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦١/٣.

١٩ – صحيح مسلم، كتاب: «اللباس والزينة»، باب: «النهي عن الجلوس في الطرقات، وإعطاء الطريق حقه»، رقم:٢١٢١.

٢٠ – شرح الزرقاني، ٣٤٥/١.

فاطمة محمد البغدادي
باحثة في القضايا العامة، وخبيرة في التربية والتعليم





الرشوة.. وظاهرة التخلف الاقتصادي

إن الرشوة من أخطر الآفات، التي تفضي إلى تفاقم ظاهرة التخلف الاقتصادي، أكدت على ذلك نتائج دراسات وأبحاث أكاديمية حديثة، وكان تقرير صادر عن الأمم المتحدة، قد حذر من هذه الآفة، وأشار إلى أن برنامج التنمية المستدامة، الذي يستهدف القضاء على الفقر بحلول العام ٢٠٣٠م، لا يمكن أن يكتب له النجاح إلا بالقضاء على الرشوة، أو على الأقل الحد منها إلى أدنى مستوى ممكن، واقترحت الأمم المتحدة آليات تمثل مدخلا لتحقيق ذلك، منها: «التحفيز على التشهير بكل من الراشي والمرتشي، مع ضرورة حماية هوية المشهر»، و«تخصيص وقت وميزانية خاصة بالوصلات الإشهارية، للتوعية بأخطار الرشوة، وعواقب المتعاملين بها»، و«تبني ثقافة استنكار كل الأنشطة الخارجة عن القانون، أو المشكوك فيها»، وتشديد العقوبات على الراشي والمرتشي، في حالة إثبات الدليل عليهما»، و«الاعتماد أكثر على الحكومة الإلكترونية، في التعاملات الروتينية».

لقد سبق ديننا الإسلامي الحنيف، ما توصلت إليه الدراسات والأبحاث الحديثة من نتائج، وما حذرت منه الأمم المتحدة، من خطورة كبيرة للرشوة، ليس فقط على الاقتصاد، بل وأيضا على العدالة الاجتماعية، باعتبارها مدخلا لقوة الاقتصاد، وقدم الحلول العلاجية والوقائية، بعد أن وضع تشخيصا واضحا لهذه الآفة.

لغة.. ومصطلح

الرشوة واحدة الرشا، وتضبط الرشوة مثلثة الراء المشددة، فيقال رشوة، بفتح الراء، ورشوة، بكسر الراء، ورشوة، بضم الراء، ورشا يرشيه رشوا، أي أعطاه الرشوة في محاباة.. وقال الفيروز أبادي في القاموس المحيط: الجمع رشا ورشا، ورشاه أعطاه إياها، وارتشى

أخذها، واسترشى طلبها، وراشاه حاباه وصانعه، وترشاه لاينه[1]، والأصل من الرشاء، أي حبل الدلو، الذي يتوصل به إلى ماء البئر.. ومن الألفاظ المرادفة للرشوة «السحت»، وهو الحرام، أو ما خبث من المكاسب، فلزم عنه العار، قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (المائدة:٤٢)، وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ورد أن الحكم بن عبدالله قال: قال لي أنس بن مالك: إذا انقلبت إلى أبيك فقل له: إياك والرشوة، فإنها سحت، وكان أبوه على شرط المدينة[2].

واصطلاحا، فإن الرشوة هي كل مال يدفع لوالي أو عامل أو قاض أو موظف، من أجل قضاء مصلحة من مصالح الناس، يجب قضاؤها من غير دفعه[3]، وقال الجرجاني: إنها ما يعطى لإبطال حق، أو إحقاق باطل، وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني، هي ما يؤخذ بغير عوض، ويعاب أخذه.. وقيل سميت رشوة، لأنها تلجم المرتشي عن التكلم بالحق، وورد في الأثر، عن الحسن البصري، قال: «إذا دخلت الرشوة من الباب، خرجت الأمانة من الكوة»[4].

وعادة يشارك في الرشوة، ثلاثة أشخاص، هم:

- الراشي: وهو من يقوم بدفع الرشوة، أو هو من يعطي الذي يعينه على الباطل.
- الرائش: إذا لم يقم الراشي بدفع الرشوة يدا بيدا، فإنه يلجأ إلى شخص وسيط، ينوب عنه بالتفاوض والدفع، فيستزيد لهذا، ويستنقص لذاك، وإن لم يأخذ أجرا، فإن أخذ فهو أبلغ.. ويطلق على هذا الوسيط لقب «الرائش».
- المرتشي: وهو الشخص المتحصل على الرشوة، من أجل تقديم مصلحة للراشي، أو تسهيل أمر ما له.

والثلاثة مجرمون ملعونون، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الراشي والمرتشي»[5]، وفي رواية: «والرائش»[6].

أسباب الرشوة

تتعدد الأسباب التي تفضي إلى انتشار الرشوة في مجتمع ما، ويمكن بإيجاز تحديد أهم هذه الأسباب، في النقاط التالية:

الفساد الإداري:

نتيجة وجود قوانين تتسم بالغموض، وتتعدد تفسيراتها، يصاحب ذلك غياب الرقابة والمساءلة، وعدم وجود استقلالية بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، مما يؤدي إلى تكوين طبقة من الشخصيات، ذات المناصب الإدارية، التي ترى في نفسها قوة فوق القانون، ومن ثم يصبح بيدها العطاء أو المنع، خاصة مع وجود الإجراءات الإدارية الروتينية الطويلة الأمد.. وكذا وجود أساليب غير مشروعة في التعيين والتدرج في المناصب، وغياب العدالة في تطبيق مبدأ «الثواب والعقاب».

ضعف الوازع الديني:

حيث إنه بغياب الجانب العقائدي والروحي، يتغلب الجانب المادي، ومن ثم تفسد الأخلاق، أو بعبارة أخرى تتراجع النفس اللوامة، أمام النفس الأمارة بالسوء، ويصبح ثلاثي أركان الرشوة (الراشي، والرائش، والمرتشي)، أسرى لأطماعهم وشهواتهم المادية.

ضعف الانتماء، والوعي الاجتماعي:

يظهر ذلك بشكل أكثر وضوحا، في المجتمعات التي تعاني من التفكك بسبب الخلافات المذهبية، أو الطائفية، واتساع الفجوة بين طبقات المجتمع، وتغليب المصالح الشخصية والانتماء القبلي والعشائري، على الانتماء الوطني.

ضعف النظام التعليمي، والتربية الحسنة:

حيث إن الإنسان بفطرته، يتأثر كثيرا، ومنذ نعومة أظافره، بمن حوله، خصوصا والديه وأساتذته، فهم قدوته، الذين يسعى إلى انتهاج نهجهم، واتباع سلوكهم.. إلى جانب ذلك، افتقار المناهج، وطرق التعليم، إلى بث القيم والأخلاقيات النبيلة، مثل الصدق، والإخلاص، والأمانة، والحياء، والعفاف، والرضا بقضاء الله.

وجود خلل في المنظومة الاقتصادية:

يتركز هذا الخلل، في سوء توزيع الدخل القومي، وتدني الأجور، في وقت تظل الأسعار في ارتفاع، وتضطرب الأحوال المعيشية، ومن ثم تتعدد الأبواب الخلفية للرشوة.

الرشوة.. والتخلف الاقتصادي

والتداعيات التي تفضي إليها الرشوة، متنوعة وخطيرة، حيث إنها تفاقم من الأزمات، وتزيد من التفكك والانحلال الأخلاقي، ويصبح التخلف الاقتصادي ظاهرة، تنخر كالسوس في نسيج المجتمع، وتدفع سريعا نحو اهترائه، حيث تتدنى الإنتاجية كما ونوعا، كون الطاقات تصرف في مصارف غير مشروعة، وأغراض ذاتية.. ويسود الاحتكار في تقديم الخدمات، التي يتم الحصول عليها، نظير دفع الرشوة.. وتصبح المقدرات، التي من المفترض أن توزع بعدالة، وتصل إلى مستحقيها، تحت قبضة حفنة من الراشين والمرتشين والرائشين، من أصحاب النفوذ، يسخرونها لمصالحهم المشتركة.. يصاحب ذلك ظهور ما يعرف بجماعات

الضغط، التي ترتشي وترشي، لتوجيه السياسيات نحو مصالحها، مما يؤثر بالسلب على خطط التنمية، ويختل ميزان توزيع الدخل، ويتولد شعور مجتمعي بالحقد والحسد والبغض، وتتوارى الأسس والمعايير الضابطة للأنشطة الاقتصادية.. ولخطورتها، أنزل المولى تبارك وتعالى قرآنا، ينهانا عن ممارستها، قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٨).

الحلول.. وسبل المواجهة

ولكونها إشكالية تراكمية ومعقدة، فإن الاتجاه نحو إيجاد سبل لمواجهتها، على نحو فاعل، يبدأ من التشخيص الجيد لها، ومعرفة مدى وأبعاد تغلغلها في المجتمع، ومن ثم وضع الحلول المناسبة للقضاء عليها، والتي تتضمن:

- مراجعة القوانين المتعلقة بمحاربة الرشوة والفساد الإداري والاقتصادي، لسد الثغرات، ومنع تعدد التأويلات والتفسيرات، وجعل العقوبات أكثر ردعا، لمن يثبت ارتكابهم لهذه الجريمة.
- الاهتمام والعمل على رفع مرتبات الموظفين، بحيث تكون مناسبة لاحتياجات المعيشة، ومانعة لفتح الأبواب الخلفية.
- ضرورة الفصل بين السلطات، خصوصا السلطتين التشريعية والتنفيذية.
- تفعيل دور الرقابة والمساءلة.. ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه أرسل إلى عامله كعب بن مالك رضي الله عنه، رسالة ورد فيها: «أما بعد، فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك، حتى تمر بأرض السواد كورة كورة (أي قرية قرية)، فتسألهم عن عمالهم، وتنظر في سيرتهم»[٧].
- في الوظائف والمناصب، يجب أن يكون مبدأ التعيين والترقية، هو «الشخص المناسب في المكان المناسب»، لتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص.. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إذا ضيعت الأمانة، انتظر الساعة، قيل يا رسول الله: وما إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة»[٨].
- تنظيف المصارف من شوائب الربا، فهي أحد الأبواب الخلفية للرشوة والفساد الاقتصادي.. وقد حذرنا المولى تبارك وتعالى، من خطر هذه الآفة، وتداعياتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴿٢٧٩﴾﴾ (البقرة:٢٧٨-٢٧٩).
- العمل من خلال وسائط الإعلام المختلفة، على تفشي الأخلاقيات والقيم النبيلة، فلا يمكن أن يقع في دائرة الرشوة، من حسن خلقه، وارتقت سلوكياته، وكان قنوعا بما قسمه الله جل وعلا له، مصداقا لقول النبي ﷺ، لأبي هريرة رضي الله عنه: «وارض بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس»[٩].. وصار قاضيا لحوائج الناس، من دون غرض فاسد، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[١٠]، وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[١١].. ورسخ الإيمان في قلبه، وأيقن أن ما عند الله جل وعلا، خير وأبقى، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (النمل:٣٥-٣٦).. وأدرك بجلاء الفرق الشاسع بين الهدية والرشوة، عن أبي حميد الساعدي، أن رسول الله ﷺ، استعمل رجلا من الأزد، يقال له ابن اللتبية، قال عمرو وابن أبي عمر، على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي لي، قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: «ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم، وهذا أهدي لي! أفلا قعد في بيت أبيه، أو في بيت أمه، حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم شيئا، إلا جاء به يوم القيامة، يحمله على عنقه، بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه، حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال: «اللهم هل بلغت؟» مرتين»[١٢]

الهوامش

١- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط - فصل الراء.
٢- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم - الجزء العاشر - ص٤٠٦.
٣- العجل، فضيلة الشيخ الدكتور بشار بن حسين: رشاوي الموظفين - ص١١٧.
٤- الدولابي: الكنى والأسماء - الجزء الثالث - ص١٩٨.
٥- أخرجها أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.
٦- أخرجها أحمد، في مسنده.
٧- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي - الجزء الأول - ص١٩٨، الصلابي، محمد علي محمد: سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - الجزء الثاني - ص٦٠.
٨- رواه البخاري، في صحيحه.
٩- رواه الإمام أحمد.
١٠- رواه البخاري، ومسلم.
١١- رواه البخاري، ومسلم.
١٢- ورد في الصحيحين.



المرسي محمود شولح
أستاذ الدعوة بجامعة الأزهر



المخاطر النفسية للمشكلة الاقتصادية

=الإيمان علاج للأزمات النفسية والمشكلات التي يشعر الإنسان أنها فوق طاقته، وفوق إمكاناته وقدرطاته، فيتسلح بسلاح الإيمان، ويعيش وفق إمكاناته، ولا يضيع طاقته الفكرية في غير مكانها، ولا يهدر تأمله وتركيزه.

وتدخل المجتمع ضروري لعلاج ظاهرة الشرود الفكري، والأولى بالمحيطين بالإنسان الملمين بظروفه التدخل من أجل المساعدة والمساندة والإسهام في إنجاد الرجل من ورطته.

تدخل أبي بكر رضي الله عنه في بعض المشكلات

تدخل أبي بكر رضي الله عنه بين الرسول ﷺ وأزواجه.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا. قال: فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي ﷺ. فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة». فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده. (صحيح مسلم).

- يتمثل البعد النفسي فيما يأتي:

ظاهرة الشرود التي يعاني منها البعض في الواقع المعاصر لها أسباب كثيرة، منها المشكلات الزوجية، فالبعض يكون موجودا بقالبه في عمله وفي دوائر الحياة المختلفة، ولكنه شارد بفكره وبعيد بخلده؛ بسبب ما يمر به وما يقع له، والسكوت وتقطيب الجبين لهما أبعادهما النفسية وأسبابهما العميقة التي قد يجتهد الناس في معرفتها والوصول إليها، ولكنهم يعجزون ولا يفلحون، ولا يتحقق المراد إلا بتصريح الإنسان بحالته، ونطقه بحقيقة مشكلته.

وفي هذا دليل على مكانة أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، ومنزلتهما عند رسول الله ﷺ، حيث كان الناس جلوسا ببابه ﷺ ولم يكن يأذن إلا لهما، وهذا باعتبار مكانتهما.

وتتضح لنا سرعة بديهة أبي بكر رضي الله عنه، فعندما رأى وجوم النبي ﷺ وسكوته أدرك أن سبب ذلك هو نساؤه، ولم يتوقف أبو بكر رضي الله عنه عند إدراكه وتصوره، بل سعى إلى تغيير حالة رسول الله ﷺ من خلال تفكيره في أن يقول شيئا يكون مضحكا لرسول الله ﷺ، وهو بهذا لا يريد أن يراه ساكتا واجما، وإنما يريد أن يراه ضاحكا، لإدراكه أن الضحك والبسمة يعيدان إلى الإنسان عافيته ويستردان له أريحيته النفسية ويجعلانه يزاول



مهامه ويجدد نشاطه ويتفاعل مع الناس.

ونجح أبو بكر رضي الله عنه في تغيير حالة رسول الله ﷺ، فضحك رسول الله ﷺ من مدخل أبي بكر رضي الله عنه في كلامه معه، وفهم النبي ﷺ مقصد أبي بكر من هذا القول، وإرادته إخراجه ﷺ من حالة السكوت والوجوم.

رد فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

لما علم أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما، سبب غضب رسول الله ﷺ جاء ردهما متمثلا في مبادرتهما إلى بنتيهما، ووجأ عنقيهما، وهما بهذا يعبران عن رفضهما لتصرف بنتيهما، وعدم تصورهما مخالفتهما رسول الله ﷺ، وسؤالهما النفقة، وتكليفه بما لا يطيق، وهذا دليل على حبهما لرسول الله ﷺ، وموافقتهما أمره، وامتثالهما لرغبته ﷺ.

ويؤخذ من هذا أن تطمين الزوج ومساندته في موقفه أمران مهمان، فأبو البنت طالما رأى أن موقف الزوج صحيح فما ينبغي أن ينصر ابنته في الباطل، أو يرفع من صوتها عليه، أو يعالج المسألة ببساطة ويتعامل معها بصورة عادية، أو يهمش منها، أو يقلل من حجم المشكلة، فمثل هذه الأمور لا تتناسب مع حجم المشكلة الزوجية، ولا ترضي الزوج، ولا تشعره بسلامة موقفه وصحة وضعه.

ولم يكتف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بوجأ العنق، وإنما خاطبا البنتين بقول واحد، معاتبين لهما، ومستنكرين فعلهما، وغير راضيين عن سؤالهما رسول الله ﷺ ما ليس عنده.

دور المرأة

المرأة المسلمة الواعية عليها عامل كبير في إبعاد زوجها عن المشكلات النفسية، وعدم تحميله الهموم بتكليفه ما لا يطيق، وإلزامه بما يعجز عنه، وإنما عليها أن تدرك دخل زوجها، وأن تعي طاقته، وأن تسير في حدود هذه الإمكانات، ولا تدمر أسرتها وتفسد علاقاتها بزوجها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل رجل على أهله، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية، فلما رأت امرأته قامت إلى الرحا فوضعتها، وإلى التنور فسجرته، ثم قالت: اللهم ارزقنا، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت. قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئا. قال: فرجع الزوج وقال: أصبتم بعدي شيئا؟ قالت امرأته: نعم، من ربنا، قام إلى الرحا فرفعها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «أما إنه لو لم يرفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة» (أخرجه أحمد والبزار).

وفي هذا بيان لواجب الرجل عند وقوع الضائقة، فعليه أن يخرج ملتمسا الرزق لأهله، وعلى المرأة أن تشارك هذا الهم وألا تكون عبئا عليه، بل تساعد في حل المشكلة وتحافظ على بيتها واستقرار أسرتها.

دور المجتمع

لابد من مشاركة الآخرين في همومهم، وألصق الناس بالإنسان أهله، لابد لهم من مشاركته في همومه، ومواساته في أحواله.

قال ابن القيم رحمه الله: «المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه».

وأولى الناس بالمواساة هم أهل البيت من الزوجة والأولاد، ولا يكون مستساغا أن يواسي الرجل الأصدقاء ولا يواسي أهل بيته، فالمواساة يحتاج إليها الإنسان بحكم الظرف الذي وضع فيه، وبالطابع البشري الذي جبل عليه.

محمد ثابت توفيق
ناقد وروائي مصري



«طبيب أرياف» بين تفرد الشكل الفني وصدمة المضمون و«التطهر الروائي»!





تطرح رواية «طبيب أرياف»، الصادرة عن دار «الشروق» المصرية في النصف الثاني من العام الماضي في ٢٨١ صفحة من القطع المتوسط و ١٢ فصلا، عدة إشكاليات كبرى في مسيرة الرواية العربية المعاصرة على مستوى الشكل والمضمون؛ فهي السادسة للروائي والكاتب المصري محمد المنسي قنديل، رغم عمره المديد وقدراته الفنية المتمكنة، خصوصا مع تراكم خبراته مع تقدمه بالعمر ، إذ ولد عام ١٩٤٩م بمدينة المحلة الكبرى بمديرية الغربية؛ ومدينة المحلة حينها أقرب إلى الريف لولا مصانع الغزل والنسيج التي اشتهرت بها ونضال عمالها المتعاقب في سبيل نيل حقوقهم؛ وهو ما فجر موهبته الروائية للمرة الأولى بـ«انكسار الروح» الصادرة عام ١٩٨٨م. ومن عجب أنه بعد نحو ثلاثة وثلاثين عاما يعود المنسي قنديل ليكمل روايته الأولى بـ«طبيب أرياف»، وبعد تجاوزه السبعين من العمر وإصداره أكثر من عشرين

كتابا وتركه مهنة الطب وتفرغه للكتابة الإبداعية والتاريخية واشتهاره كروائي أكثر منه قاصا أو مبدعا لقصص الأطفال أو حتى كاتبا لسيناريو فيلم، وأحيانا أيضا منتقيا للحظات تاريخية معينة معيدا النظر فيها وكتابتها برؤية شخصية لا تخلو من إنسانية وأيضا نظرة من اتجاه فكري أقرب إلى اليسار، وهو ملمح إن مس تكوين الكاتب الثقافي الخاص إلا أنه مفتتح آخر نراه مفيدا للدخول في عالم تناول الرواية بعد كونها مكملة لروايته الأولى.

يبلغ المنسي قنديل في «طبيب أرياف» قمة تمكنه من «فن الرواية» من حيث الشكل فيبدو متحكما في لغته يديرها بشاعرية ولو كانت مريرة؛ وهو في الوقت نفسه ينتقل بسلاسة وسهولة ويسر من حدث إلى آخر بمنطقية تجعل القارئ في حالة صدمة، سنتفرغ لتوضيحها بعد أسطر قليلة، وأيضا تطلع وشغف بصبر بالغ لما ستسفر عنه النهاية، وفي المنتصف يتناول الكاتب عشرات الأفراد بمشرط ومبضع التشريح النفسي المتجاوز للسطحية والمغرق في الذاتية والحرص على كشف كل ما في خزانته الإبداعية من أسرار تصل إلى حد الفضائح من دون مناورة أو مداراة أو أدنى شعور بالخجل، وقد ترجم الكاتب ذلك إلى أحداث لا نملك إلا الإقرار بأنها بالغة الكشف عن ابتعاد طرف من مجتمعاتنا العربية الإسلامية عن القيم والمثل والأخلاق المستمدة من ديننا الحنيف. والأمر يتجاوز الريف المصري الذي ركز عليه الروائي، حتى أنه أبرزه على الغلاف الخارجي للرواية، خصوصا بقائه على حاله دون تغييرات جوهرية في مبانيه وطقوس وممارسات حياة أهله منذ مئات السنين، كما يراه المنسي قنديل. إلا أن المدقق في الأمر يكتشف أن الأزمة الرئيسية ليست في الريف بالأساس، وإنما تدور الرواية منذ صفحاتها الأولى حول الطبيب القاهري، مثال المثقف صاحب التاريخ النضالي، الذي دفع ثمن حب تغيير بلاده إلى الأفضل في منتصف السبعينيات من حريته غاليا بسجنه والهجوم على بيت خطيبته فاتن حتى استجابت واضطرت للزواج من أحد مضطهدي خطيبها لكي تحيا وأسرتها في سلام، لكن الطبيب الواعي المناضل الفنان لما أتيحت له فرصة تطبيق أفكاره ومبادئه وقيمه المنادية بحق الجميع في حياة كريمة يتعايشون فيها بعضهم مع بعض من دون أن يتظالموا أو يتسبب القوي بنفوذه أو سلطاته في حرمان الضعيف من بعض حقوقه، فشل بجدارة، بل ارتكب من الجرائم ما يوقعه تحت طائلة القانون نفسه الذي ظلم بطل الرواية منذ أشهر قليلة وقيد حريته.

من طرف آخر لا يقل أهمية، فإن هناك مساحة دافئة من الكتابة لا يملك القارئ إلا أن يجزم بأنها تبحر في حقائق متدفقة ومساحة متلألئة من انهمار الحكي لا تكون إلا بنقل الواقع على الورق مع مساحة من التغيير تناسب كل مبدع؛ فإن خلق الله تعالى للإنسان والكون والأحداث لا يستطيع أن يضاهيه أو حتى يقاربه بشر؛ وهذه المساحة في «طبيب أرياف» وإن جاءت سوداوية مكثفة صنعت أحداثها بميلودرامية قلة خبرة علي، أو بطل الرواية، وهو الذي لا يبوح المنسي قنديل باسمه إلا قرب نهايتها، وهو بالمناسبة اسم بطل رواية «انكسار الروح» وجميع روايات المؤلف؛ يعاني علي من حب للنفس مفرط للغاية، وبالتالي فهو يؤثرها بالمتع الحسية تحت دعوى كونه وحيدا في قرية بعيدة حتى إن جاءت أفعاله بالغة الظلم لبعض المرضى من حوله ومنهم عيسى زوج الممرضة فرح.

ومع التخلف عن العصر الذي يلف إحدى قرى المنيا (نحو ٢٥٠ كيلومترا من العاصمة القاهرة)، حيث تجري الرواية، وحيث عمل مؤلفها بالفعل في بدايات حياته الطبية القصيرة مع بداية الثمانينيات من القرن الماضي.. يضطر بطل الرواية للتعامل مع «دسوقي» الممرض الخاص به والفاسد الذي يجنب أغنياء القرية زحام الصباح لكي يكشف الطبيب عليهم في الوحدة الصحية المجانية بعد انتهاء وقت العمل الرسمي بأجر يتقاسمه مع الطبيب؛ وأيضا يصمت على استهتار محروس مساعده المكلف برش الترع للقضاء على «ميكروب البلهاريسيا» فيقوم بالمتاجرة بالأسماك النافقة بدلا من دفع الضرر عن الناس؛ كما يصمت عن تزوير مأمور الناحية لواقعة خطيرة تخص حياة ومستقبل الملايين ليتردى الطبيب علي، المناضل السابق، أكثر بمحاولته التمادي في المحرمات محاولا التقرب من «الجازية» ملكة الغجر

أو مجموعات البشر الرحل وينهي المحاولة تدخل المأمور المفاجئ واحتسابها كورقة ضغط يذعن البطل بناء عليها لطلباته المرهقة التي تخالف ضميره ومهنيته؛ ومع الأيام التي يقضيها علي في القرية، ويعبر عنها بمرارة يواصل ورطاته الصغرى والكبرى، المبررة أحيانا وغير المبررة غالبا، إلى أن يقرض عيسى المال للسفر عبر الحدود في رحلة هروب مميتة فيلقى الأخير مصيره المحتوم في الصحراء، فيما تنتقم فرح من علي في نهاية الرواية بسكب الطين على ملابسه البيضاء ووجهه أمام الجميع، بينما ينصرف المرضى رافضين علاجه لهم رغم شدة حاجتهم إليه في إشارة إلى رفضهم أفعاله.

كتب الناقد والأكاديمي الراحل عبدالقادر القط مقالا في الستينيات من القرن الماضي ذاكرا أن جميع روايات الكاتب المصري الراحل محمد عبدالحليم عبدالله أو «شاعر الرواية» (كما اشتهر)، وهو المتوفى في ٣٠ من يونيو ١٩٧٠م، هي عبارة عن سيرة ذاتية خاصة به؛ مما أدى إلى غضب عبدالحليم عبدالله العارم من القط، بل مقاطعته كما في كتاب «الوتر المشدود» لزغلول عبدالله (ابن شقيق الروائي)، إلا أن المنسي قنديل خالف هذا النسق المعروف لدى روائيين عرب يرفضون تحمل خطايا أبطال أعمالهم تماما.. وسار في اتجاه محير مضاد لما أعلن بوضوح وصراحة بعد صدور روايته الأخيرة إنها تجربة ذاتية خاصة به؛ إلا أن المدقق في وقائع الرواية وأحداثها المريرة وتعبيرها عن واقع بالغ القتامة وخطايا عصية وصعبة التصور وتذكر كاتبها لها بعد نحو أربعين عاما من حدوثها بسهولة وإسهاب واحتفاظه بأدق التفاصيل بوضوح، يكتشف أن المؤلف يريد شيئا غير يسير من التكفير والتطهر من تلك الوقائع.

يعزز من هذا التفسير بوحه واعترافه بأدق الجرائم دون رغبة في إخفاء كثير منها، بل تصريحه الأقسى على نفس كل إنسان - فما بالنا بمبدع فنان - بقذف «فرح» له بالطين الذي غطى وجهه إلا عينيه في نهاية أحداث الرواية؛ واعترافه المشين بالمشاركة في قتل «عيسى» الذي يدل اسمه على التضحية غير المحدودة، وفشل المنسي قنديل المطلق في إسعاد نفسه أو أحد من المحيطين به على الإطلاق واضطراره لمغادرة القرية إلى أخرى جديدة، وكل ذلك يعد - في حد ذاته - انتصارا مطلقا للقيم والروحانيات في نهاية الرواية بعد أن غاصت في كهوف النفوس البشرية طويلا، كما أن شخصيتي الشيخ عبدالبر إمام مسجد القرية وشيخها الأكبر سنا، وعمر معلم أول اللغة العربية بها، جاءتا بالغتا النصاعة والشجاعة والقوة والجرأة في الحق، والأول قاوم القرية كلها لإنقاذ نفس آثمة فيها من القتل لكنه لم يتصدر للحكم عليها وترك أمرها لله، فيما رفض الثاني إلا أن يقول كلمة الحق ودفع ثمنها الغالي بالسجن في وقت تخاذل فيه علي أو كاتب الرواية عن نصرة المبادئ والقيم وآثر السلامة ومجاراة التيار.

رواية «طبيب أرياف» سارت على نسق رائعة الراحل توفيق الحكيم «يوميات نائب في الأرياف» الصادرة عام ١٩٣٧م لتثبت أنه بعد أكثر من ٨٠ عاما ازدادت الصورة قتامة في أنحاء البلاد القصية والبعيدة عن العواصم حتى لتستحيل الحياة بها ويموت مزيد من الناس من دون أن يدري أحد بهم، كما ردد مأمور الناحية التي أقام بطل الرواية بقرية نائية منها بالرواية مرارا وتكرارا، من دون أن يكلف الروائي نفسه بذكر اسم له كما اعتاد اختيار الأسماء وجعلها بالغة الدلالة على نفوس أصحابها أو السخرية منها ومنهم معا، وهو ما أبدع في مساره العام أيضا الروائي بهاء طاهر في «واحة الغروب» عام ٢٠٠٨م؛ ولعل أسلوب كتابة «طبيب أرياف» أكثر إبداعا من غيرها إلا أنه يبقى أنها تعبر عن تجربة مؤلمة لواقعنا المعاصر المعاش بعيدا عن سلطات القوانين ومن قبل ذلك تأثير الدين، وهي في النهاية محاولة للتطهر وللتكفير عن مآس. والرواية في عنفوانها وإن مثلت ذروة من ذرى مآسينا إلا أنها تمسكت بأهداب الفضيلة في لمحات تؤكد رغبة مبدعها في عالم أفضل على الورق؛ إنها رواية مشعة لغة وأسلوبا قصصيا وإن خالفت هذا في طرف كبير من مضمونها إلا أن محاولة كاتبها الاعترافية تشي برغبته في التحلل مما أصاب ثوب حياته الطبية الأبيض في فترة الشباب من أوحال ريف ذهب ليبدد بنور الطب والفن بعضا من ظلامه فأصابه غير قليل منه!



عمرو طه
قاص مصري

في جمال النفس يكون كل شيء جميلا، إذ تلقي النفس عليك من ألوانها، فتنقلب الدار الصغيرة قصرا، فإنها في سعة النفس لا في مساحتها.
مصطفى صادق الرافعي

كن ممتنا لكل ما يمر بحياتك، لأن كل ما يمر بك يحمل إشارة من الله إليك.
(جلال الدين الرومي)

في الشخص، في الأدب، في الأسلوب، في كل شيء، التفوق الأسمى هو البساطة.
(هنري وادزورث)

.. والحق، أن الذي لم ير غير بؤس الرجل لم ير شيئا، يجب أن يرى بؤس المرأة، ومن لم ير غير بؤس المرأة لم ير شيئا؛ يجب أن يرى بؤس الطفل.
(فيكتور هيجو)

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.
(عماد الدين الأصفهاني)

الطريقة الوحيدة لتقبل فكرة أن تكون على قيد الحياة هي أن تفقد ذاتك تماما في الأدب والقراءة، أن تكون منغمسا فيهما بشكل كامل طوال حياتك.
(جوستاف فلوبير)



حوار: خالد بيومي
صحافي مصري

الباحث الأذربيجاني «هيبة هيبتوف» للوعي الإسلامي:

العربية انتقلت من المحلية إلى العالمية

الدكتور هيبة هيبتوف أستاذ اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات الشرقية بجامعة باكو الحكومية في أذربيجان، اشتهر بأنه عاشق للغة العربية والثقافة الإسلامية، وقد أثرى المكتبة الأذربيجانية بأطروحات لغوية عن اللغة العربية منها: دراسات في الفيلولوجيا العربية، ابن منظور صاحب معجم لسان العرب: حياته وشعره، تحقيق مخطوطة «شرح أنموذج في النحو» للعلامة جمال الدين محمد بن عبدالغني الأردبيلي. وقد أجرينا معه حوارا مثمرا عن اللغة العربية أكد فيه أن هناك شغفا من قبل الشعب الأذربيجاني بتعلم اللغة العربية التي تعبر عن الهوية الإسلامية حتى تتمكن الذات الأذرية من خلق جسر تواصل كلامي وسلوكي ووجداني بينها وبين الشعوب العربية؛ ما يسمح لها بمعرفة العرب وثقافتهم بشكل واضح ويقيني.. فإلى الحوار:

● كيف تقدم نفسك للقارئ العربي؟

- أنا باحث عاشق للغة العربية وآدابها بكلية اللغات الشرقية بجامعة باكو، هذه اللغة التي حملت إلينا القيم الإنسانية الجميلة التي جاء بها الإسلام، كما أسهمت اللغة العربية على مر العصور في خروج الإنسان من عزلته، وخروجه من الظلام الذي أقحم نفسه فيه أو أقحمه فيه الآخرون قسرا.

● متى بدأت علاقتك باللغة العربية؟

- لقد نشأت في أسرة مسلمة تدرك مكانة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وكان لقائي الأول بالحروف العربية من خلال القرآن الكريم، وقد علمني أبي وجدتي، رحمهما الله، قراءة القرآن الكريم في مرحلة الطفولة، ونصحني أبي بضرورة تعلم اللغة العربية والتخصص فيها؛ لأنها لغة ديننا الإسلامي، كما أنها إحدى اللغات الرئيسية في الأمم المتحدة. وبعد الانتهاء من المرحلة الثانوية التحقت بقسم اللغة العربية بكلية اللغات الشرقية في جامع باكو، وحصلت على درجة البكالوريوس بتفوق، وأعددت أطروحة الماجستير وكان موضوعها تحقيق مخطوطة «شرح أنموذج في النحو» للعلامة الفارسي جمال الدين محمد بن عبدالغني الأردبيلي، ثم حصلت على درجة الدكتوراه في اللغة العربية عام ٢٠١١م وكان موضوعها «تطور تعليم اللغة العربية في منطقة القوقاز».

العربية في أذربيجان

● ما مدى إقبال الطلاب في أذربيجان على تعلم اللغة العربية؟

- تحتل اللغة العربية المكانة الثانية بعد اللغة الأذرية؛ لأن الغالبية العظمى من الشعب تدين بالدين الإسلامي، وهذا يفسر الإقبال الشديد على تعلم اللغة العربية في أذربيجان، وفي جامعة باكو، على سبيل المثال، يلتحق مائة طالب سنويا بقسم اللغة العربية بكلية اللغات الشرقية.

ومن خلال تعلم العربية تتمكن الذات الأذربيجانية من خلق جسر تواصل كلامي وسلوكي ووجداني بينها وبين الشعوب العربية الإسلامية؛ ما يمكننا من معرفة أحوال الأمة العربية والإسلامية بشكل واضح ويقيني معرفة كلية وشاملة. فوجود اللغة المشتركة يشكل رمزا لوحدة الأشخاص المتكلمين بها؛ فهي تخلق الشعور بالانتماء إلى الأمة الإسلامية؛ نظرا لما تغرسه في أعماق الفرد من إحساس بوحدة الرابطة العقلية والنفسية والوجدانية التي تشد الأفراد بعضهم

البعض.

استهداف العربية

• كيف تفسر حملات تشويه اللغة العربية؟

- اللغة أخطر الظواهر الاجتماعية الإنسانية على الإطلاق، وكل تقدم اجتماعي تحقق له الكمال إنما كان بوجود اللغة؛ بل إن الإنسان قد دخل التاريخ يوم خطت يداه أولى الأبجديات.

واللغة أخطر رابطة تاريخية تربط بين الأجيال المختلفة للشعب الواحد رباطا يجعل وحدة هذه الأجيال حقيقة ملموسة رغم اختلاف العصور؛ وذلك لأن اللغة وعاء التجارب الشعبية والعادات والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال واحدا بعد الآخر. فصفة الاستمرار لكل هذا لا تأتي إلا عن طريق اللغة وتورث معها وتبقى ببقاء ما يدل عليها من المفردات والتراكيب. وإحساس الخلف بجهة شراكة لغوية بينه وبين السلف كفيل بخلق إحساس بالوحدة الشعبية بينهما. فاللسان إذن حلقة ربط بين الماضي والحاضر، فإذا انقطع هذا الرابط انقطعت معه كل أسباب الاشتراك، وكانت النتيجة هي الانفصال بدل الوصال، والقطيعة بدل الالتحام وما يترتب على ذلك من تداعيات خطيرة.

الشعوب العربية مسؤولة عن استعادة قوة لغتها عبر التعليم والإعلام

ويكشف تاريخ الشعوب العربية منذ ابتلائها بالاستعمار وحتى تحررها، ثم ما بعد ذلك أن الوجود الأجنبي لم يكن مجرد ظاهرة ثقافية هامشية، وإنما كان سعيا أعد لإحلال لغة المستعمر محل العربية؛ لتصبح جزءا أساسيا من الثقافة الرسمية في البلاد المحتلة، ثم ينميها ويغذيها تحت تأثير المناخ الاجتماعي والسياسي والفكري وشعارات مواكبة التحديث لانتزاع الشعوب بعيدا عن لغتها القومية، وادعاء أن العربية عاجزة عن مواكبة الحداثة والمعاصرة.

والآن أصبحت مسؤولية الشعوب العربية استعادة قوة لغتها العربية عبر خطط وإستراتيجيات محكمة للتعليم والإعلام العربيين.

لسان العرب

• ما سر ولعكم بالعالم اللغوي ابن منظور؟

- ابن منظور عالم لغوي بارز، كبير الشأن، رفيع الذكر، صاحب أضخم معجم في اللغة العربية حتى الآن والمسمى «لسان العرب»، وقد جمع مفردات العربية منذ الجاهلية الأولى وصولا إلى العصر الذي عاش فيه، في القرن الثالث عشر وبدايات القرن الرابع عشر، وضم معجمه أكثر من ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر وظفها في الشواهد اللغوية، فالمعجم يعد بحق دائرة للمعارف والعلوم.

ويعتبر أول كتاب عني بالتأريخ العلمي الدقيق لتطور اللغة عند العرب ويزخر بالكثير من الأخبار عن الحياة العربية في عصورها المختلفة، كما يعد مصدرا للنقد الأدبي وعلوم اللغة والتقييم الفني.

• كيف تنظر إلى فلسفة النحو في تعلم العربية؟ وما تفسيركم للصراع بين النحويين والمناطقة حول أفضلية أحد العلمين على الآخر؟

- اللغة العربية عماد الحضارة الإسلامية ومحورها الأثير. وقد خرج الإسلام باللغة العربية من سياق المحلية إلى العالمية بوصفها لغة القرآن، والرحم الحاوي لمعانيه وقواعد أحكامه، فتحدث بها العرب وغير العرب ودبّ فيها اللحن وغشيتها الألفاظ واللهجات المختلفة، حيث باتت الحاجة ملحة لوضع قواعد لحفظ اللغة العربية وحمايتها، فكان النحو، وكان علم اللغة.

لم يكن من الغريب أن يصطدم النحو بعلم المنطق بعد ترجمة أعمال أرسطو إلى العربية؛ فالكلمة التي اختارها مترجمو أرسطو للدلالة على هذا العلم أي «المنطق» هي ذاتها التي استخدمت أحيانا للدلالة على الأبحاث والتصنيفات النحوية واللغوية، وقد كان هذا بمفرده كفيلا بإثارة النزاع والجدل بين النحويين من جهة، والمناطقة من جهة أخرى، حول أفضلية أحد العلمين على الآخر، لاسيما في غمار موجة الشك الديني المبكر التي صاحبت نقل النتاج الفكري اليوناني إلى العربية ومدى توافقه مع المبادئ والعقائد الإسلامية.

وكان الفارابي هو المنطقي العربي الأول الذي تناول باهتمام علاقة المنطق الوثيقة بالنحو وعلاقة الفكر باللغة، ففي كتابه «إحصاء العلوم» يوجز الفارابي فكرة المنطق مفهوما كنحو عام، فالنحو يقدم القواعد

اللازمة لمنطوقات لغة ما، والمنطق يقدم القواعد المشتركة لمنطوقات كل اللغات. وفضلا عن ذلك كان الفارابي بارعا في توضيح أشكال الاستدلال الأرسطية بمصطلحات وأمثلة من الفقه العربي الإسلامي، ليسبق بذلك «الغزالي» في طرح الحجج التي أسهمت في حفظ المكانة الثابتة للمنطق الأرسطي في الفكر الإسلامي.

العربية والإرهاب

• الآلة الإعلامية الغربية دائما ما تربط بين الإسلام بالإرهاب، لماذا يحدث ذلك؟

- كلمة الإرهاب تتنافى مع قيم ديننا الإسلامي الحنيف، والحضارة الإسلامية هي أكبر حضارة في الجغرافيا والتاريخ عرفتها البشرية، حيث امتدت حدودها من شمال غرب الصين شرقا حتى المحيط الأطلنطي غربا، ومن جبال القوقاز شمالا حتى وسط أفريقيا جنوبا، واستمر نفوذها السياسي وتأثيرها الحضاري لأكثر من ألف عام.

وكانت الدولة الإسلامية منارة للعلم والحضارة في العصور الوسطى، وكتبت أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها أصالة وأغزرها مادة في تلك العصور باللغة العربية والتي كانت آنذاك لغة العلم، وعندما ترجمت هذه المؤلفات إلى اللغة اللاتينية شكلت الأساس المتين الذي بنت عليه أوروبا نهضتها. وانضم تحت لوائها كل الأعراق والأجناس البشرية وأصحاب الديانات السماوية والفلسفات الوضعية، حتى وصفها المؤرخ الأمريكي برنارد لويس بالحضارة العابرة للقارات، وكانت القوة الاقتصادية الأولى في العالم، وبلغت أعلى مستوى في تاريخ البشرية في فنون وعلوم الحضارة.

وصم الغرب للإسلام بالإرهاب هدفه الهيمنة على المسلمين

وبطبيعة الحال فإن حضارة مثل هذه لا يمكن أن تستقيم أمورها ويستمر بقاؤها وينمو ازدهارها وتقدمها العلمي والحضاري بغير التسامح الديني وقبول الآخر.

وحملات التشويه التي يقودها الإعلام الغربي على الإسلام فيما يعرف بظاهرة «الإسلاموفوبيا» هدفها السيطرة على مقدرات الشرق الإسلامي؛ لتحقيق مكاسب استراتيجية وعوائد اقتصادية ضخمة واستغلال ثروات الشرق، وتفتيت بلدان المنطقة، وتدمير دولها الوطنية؛ من أجل فرض الإرادة الإمبريالية الصهيونية عليها.

الاستشراق

• أين تضع تجربتك.. في خانة المستشرقين أم المستعربين؟

- لا هذا ولا ذاك، أنا باحث في الدراسات الشرقية، والعرب لا يحبون كلمة مستشرق، وأنا رجل شرقي ولدت في بلد لعب دور البوابة الرئيسية بين الشرق والغرب. ولكني أعتقد أننا تجاوزنا مرحلة الاستشراق إلى الاستعراب؛ فأكثر المختصين الغربيين في الدراسات العربية والإسلامية الذين يدرسون ويضطلعون بمشاريع بحثية في هذا المجال يفضلون الاشتراك مع الباحثين والمبدعين العرب في نشاطاتهم بعد

«لسان العرب» أول كتاب أرخ بدقة لتطور لغة الضاد

ازدياد مرموق في مهارات هؤلاء المختصين الغربيين اللغوية يسمح لهم بالإقامة في البلدان العربية والدخول في تعاون علمي مشترك مع نظرائهم العرب.

• ما تقييمك لحركة الاستشراق الغربية؟

- في وقت مبكر بدأ الأوروبيون حركة الاستشراق، وتحت شعار البعثات التنصيرية والمدارس، درسوا عن قرب كل صغيرة وكبيرة في الثقافة العربية والإسلامية، حتى القرآن الكريم نقلوه إلى اللغة اللاتينية في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، وفي المقابل لم تحدث حركة استغراب موازية، لدراسة مدققة للأفكار السائدة في العالم الغربي، تحصن الواقع الثقافي، وتجعل العالم العربي والإسلامي فاعلا في حمل الرسالة الحضارية المنوطة به.

وعلى العكس من ذلك حصلت حركة اغتراب فكري لمجموعات من الشباب العربي والإسلامي، مما ولد انفصام الشخصية الثقافية لديهم، بحيث يعيشون في واقع، وأفكارهم مستعارة من واقع آخر. وهذا الاغتراب هو الذي جعل المصير العربي والإسلامي، في يد المستعمر يتصرف فيه كيفما شاء.



بلال المريسي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

عدسة الحياة

حين يولد الفجر ويتنفس معه الصباح وينبثق الضياء على الأفق، افتح نوافذ قلبك للحياة وتنفس الرضا من أعماقك، وانظر بتلك العدسة إلى جمال الحياة ورونقها من حولك، لتعرف حينها سر تلك السعادة التي تغمرك من وراء تلك العدسة التي نود الحديث عنها في ثنايا السطور القادمة..

عدسة الحياة تجعل القليل كثيرا، والعبد حرا، هي الفقه الأكبر، وزينة الفقير، ورأس الغنى، ومكمن العز، وأصل الورع، وجوهر الحرية، لو لبسها الناس لوجدوا كل ما يحيط بهم هو الجمال الذي ينشدونه، والسعادة المفقودة التي يبحثون عنها طيلة الوقت، ومن هنا جاء الإرشاد النبوي لرؤية الحياة بتلك العدسة فقال ﷺ: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»(١). تلك العدسة هي القناعة: اكتفاء بموجود، وترك التشوق إلى مفقود.

هي القناعة لا تبغي بها بدلا
فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها
هل راح منها بغير القطن والكفن(٢)

القناعة هي كنز السعادة ومفتاحها، بها يكون العيش الرغيد، والغنى الأبدي، من لزمها زال فقره، وطلب الرزق والسعة من أوسع الأبواب، وعاش سليما من منن الناس، عزيزا بينهم، قد أدرك بذلك شرف الدنيا والآخرة.. ولله در الشافعي إذ يقول:

عزيز النفس من لزم القناعة
ولم يكشف لمخلوق قناعه
أنالته القناعة كل عز
وهل عز أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال
وصير بعدها التقوى بضاعة(٣)

إنها تقود إلى العفة، وتطرد غريزة الطمع - تلك الأفة المهلكة والصفة الذميمة - فقد جاء الحث النبوي على القناعة، ففي الحديث عند الترمذي: «طوبى لمن هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافا وقنع»(٤). فتجعل القانع ضيق العين فيما عند الناس، رحب الصدر فيما عنده، لا يقارن نفسه بأحد، ويتساوى عنده المنع والعطاء، ويرى نفسه أثرى الأثرياء، كيف لا وقد أعطي أعظم ثروة وهي القناعة والرضا..

إن القناعة من يحلل بساحتها
لم يلق في دهره شيئا يؤرقه(٥)

ولقد أصيب فئام من الناس في زماننا بداء القلق من المستقبل والحاضر معا، وأصبح الواحد منهم ينظر لكل ما يحيط به بسوداوية، فلم يعد راضيا عن شكله ولا عن وظيفته ولا عن مسكنه ولا عن زوجته ولا أبنائه، وهو مع ذلك يحدوه أمل التحليق في سماء الكمال وهو لا يملك أدنى مقوماته، كل هذا يعود إلى فقدان تلك العدسة الرائعة..

ولو استدرك المرء ما هو فيه من النعم التي تغمره من فوقه ومن تحت قدميه وعن يمينه وعن شماله لعلم حينئذ أنه أغنى الأغنياء، قد حيزت له الدنيا بحذافيرها وهو لا يعلم، وهنا سأضع بعض النقاط السريعة ليدرك كل واحد منا كم من نعمة يرتع فيها وهو لا يعرف لها قدرا، ولا يعطي لها شكرا..

أخي القارئ الكريم: هل زرت يوما المستشفى؟ أخبرني ما رأيت بعينيك وسمعت بأذنيك. لقد أحزناك أنات المرضى ومناظرهم! فهذا قد بترت قدمه، وذاك قد فقأت عينه وذاك وذاك.. وأنت تمشي على قدميك وقد بترت أقدام، وترى بعينيك وقد حرم نعمة البصر الآلاف من البشر، فلم التسخط إذن؟

هل مررت يوما بمقبرة أو ذهبت لتعزية صديق لك فقد أباه أو أمه؟ أترى ما هي أرجى أمنية لذلك الفقيد الراحل؟! إنه يود العودة لسجدة أو ركعة أو توبة أو أوبة، فهلا جعلت نفسك مكانه، وكان لك نعم الواعظ؟ فما زالت الفرصة أمامك، فإن القناعة هي وقود التزود للآخرة وراحة البال في الدنيا الفانية..

تعيش في وطنك بين أهلك ومحبيك وغيرك مغترب بعيد عن أهله يكابد الغربة؛ إذا مرض لا يجد أحدا يواسيه، وإذا حزن لا يجد أحدا يسليه، وإذا فرح لا يجد أحدا يشاطره فرحته، يفقد الأحبة ويرحلون عنه دون لقاء يجمعهم، وأنت لك أسرة تحيط بك وتواسيك وتسليك، ومنزل يؤويك، وفئام من البشر شردوا عن أوطانهم، وفرقتهم الحروب الطاحنة، فلا وطن يجمعهم تحت ظلاله، ولا أسرة تضمهم تحت كنفها، لقد سيقت لك الدنيا وأنت لا تشعر، جعلت الطمع ينهش في عضدك ويوردك المهالك، أفلا تكون قانعا فيما أعطيت؟ فرزقك مقسوم، وقدرك محتوم، وأنت في سفر طويل يبدأ منذ ولادتك وينتهي بلقاء ربك، ويكفيك في هذا السفر مثل زاد الراكب.

إذا ما كنت ذا قلب قنوع
فأنت ومالك الدنيا سواء[٦]

ولله در ابن القيم إذ يقول في فوائده: «ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر إلى الدنيا، وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها، وألم المزاحمة والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقبه من الحسرة والأسف والهم.

والنظر في الآخرة، وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها، وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ (الأعلى:١٧)»[٧].

ومما جعل للقناعة تلك الأهمية والقدر أنها:

❖ السبيل الموصل إلى محبة الله ومحبة الناس، وقد جاء في الحديث: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[٨].

❖ ثلثا الفلاح، ففي الحديث: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه»[٩].

❖ تجعل صاحبها أغنى الناس بغنى نفسه وترفعه عن الرذائل والشهوات، وفي الحديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[١٠].

❖ تمنح صاحبها العز والشرف المرموق، فقد قال جبريل لنبينا محمد ﷺ: «شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس»[١١].

❖ تجعل صاحبها أشكر الناس، وبهذا أوصى النبي ﷺ أبا هريرة فقال: «يا أبا هريرة كن ورعا، تكن أعبد الناس، وكن قنعا، تكن أشكر الناس»[١٢]. ولو لم يكن من القناعة خلة تحمد إلا راحة البال لكفى..

وقد تكون القناعة مذمومة على خلاف ما ذكرنا آنفا، وذلك إذا كانت في أمر الدين، ولا بد للمرء أن يشمر عن ساعد الجد ويكون طامعا فيما عند الله مبادرا إلى كل ما يقربه من الجنان الخالدة والظلال الوارفة، من أعمال البر في كل مجال، لا يقتصر بالفريضة ويترك النوافل، ولا يهجر القرآن طوال العام وينتظر قدوم رمضان ليقرأه ويتلوه، بل ليكن حاله كحال سفيان الثوري فقد كان يتمثل قول الشاعر:

أرى الرجال بدون الدين قد قنعوا
وليس في عيشهم يرضون بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين[١٣]

كما أن القناعة لا تعارض الطموح، بل تغذيه وتذكيه، لا سيما إن كان ذلك الطموح فيه هدف سام، ونفع الناس وخدمتهم، وإنارة الحياة بمصباح العلم، فهذا أبو الطيب المتنبي يشعل وقود الهمة لكل باحث عن الشرف المروم فيقول:

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم[١٤].

ولما كانت القناعة هي الحياة الطيبة التي ذكرها الله في كتابه في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٧)، قال ابن كثير: «والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت، وقد فسرها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالقناعة»[١٥]، وكذلك الحسن وغيره.

تجلى ذلك في حياة النبي ﷺ في مأكله ومشربه وملبسه وفراشه، فكان من دعائه ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»[١٦]، فكان القانع، وحاله:

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد إلى قليل تقنع[١٧].

وقد سطر التاريخ الإسلامي أروع قصص القانعين وأنصع صفحات الراضين بما قسم الله لهم ومن أولئك: الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) فقد رفض أن يكون مؤدبا لولد سليمان بن علي (والي الأهواز)، وأخرج لرسول الوالي خبزا يابسا وقال له: ما دمت أجد هذا فلا حاجة إلى سليمان، ثم أنشد قائلا:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة
وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحا بنفسي أني لا أرى أحدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه
ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال[١٨]

ومن الأسباب المعينة على اكتساب القناعة:

١- الرضا بما قسمه الله لك، وعدم التطلع إلى الآخرين.
٢- التأمل في سيرة السابقين الصالحين ممن زهدوا عن الحياة واكتفوا منها بالبلغة والكفاف.
٣- الاقتصاد في الإنفاق، وعدم الإسراف والتبذير.
٤- النظر إلى من هو دونك، ولا تنظر إلى من هو أعلى منك فتكسر رقبتك.

همسة في الختام: ليت الناس ينظرون إلى الحياة بتلك العدسة، فتصغر بأعينهم، فهي دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا علم له، ترحل عنهم ويرحلون عنها..

آه لو يعلمون أن بتلك العدسة يهنأ الناس برغد العيش، ويسود الحب والوئام، وتصفو النفس من الحظوظ والأطماع، ويكبح جماحها، ويتدثر العز من لا جلباب له، ويذبح الجشع بشفرة كل قانع، فأعرف الناس بالله أرضاهم بما قسم، وأقنعهم بما أعطى..

آه لو تدري أن كلمة: «الحمد لله» تملأ الميزان، وتملأ قلبك بالرضا عن كل شيء في حياتك، وتغمرك بالسعادة وراحة البال، وتجعلك من أغنى الناس وأشكرهم، فهلما ننظر بتلك العدسة إلى الحياة ثم نردد الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه..

أهم المصادر والمراجع

١- صحيح مسلم، رقم (٢٩٦٣).
٢- غذاء الألباب؛ للسفاريني، (٢/٥٣٧).
٣- ديوان الإمام الشافعي.
٤- صحيح الترمذي، رقم (٢٣٤٩)، وصحح المحدث شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند، برقم (٢٣٩٤٤).
٥- ديوان العطوي وهو من شعراء العصر العباسي.
٦- ديوان الإمام الشافعي.
٧- كتاب الفوائد لابن قيم الجوزية، ص:٩٤.
٨- الأربعون النووية، للإمام النووي، رقم (٣١)، والحديث: حسن.
٩- صحيح مسلم، رقم (١٠٥٤).
١٠- صحيح البخاري، برقم (٦٤٤٦)؛ وصحيح مسلم، برقم (١٠٥١).
١١- الجامع الصغير للسيوطي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٢٧٣).
١٢- صحيح ابن ماجه للألباني، برقم (٣٤١٧).
١٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ص:٣٧٦.
١٤- ديوان أبي الطيب المتنبي.
١٥- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.
١٦- رواه البخاري برقم (٦٤٦٠)
١٧- من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي.
١٨- كتاب نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم.



مياسة النخلاني
قاصة وباحثة يمنية

زيارة قصيرة

بعد طول غياب عدت أخيرا إلى الحي الصغير الذي احتضن طفولتي وسنوات من شبابي، بمجرد أن دخلت الحي شعرت بالغربة تتغلغل في أعماقي، ولولا بقاء بعض المنازل على حالها لظننت أني أتجول في حي سكني آخر، خصوصا أن معظم الوجوه التي استقبلتني كانت جديدة علي، وأغلب الظن أنها جديدة على الحي أيضا، لم تكن سنوات غيابي طويلة جدا فهي لا تتجاوز السبع سنوات، لكنها الحرب التي عبثت بحينا الصغير وغيرت معالمه في بضع سنوات وهو الذي ظل صامدا ومقاوما للتغيير لعقود متعاقبة، ففي حين عبثت الحرب بالمنازل التي رسمت أهم معالم الحي، فقد شردت أيضا أغلب أهل حارتي الصغيرة؛ مكرهين تركوا منازلهم التي عمروها وزرعوا حدائقها بأيديهم. لم يمض وقت طويل حتى توافد على الحي سكان جدد، استوطنوا المنازل الخالية وشبه المتهالكة هربا من وضع أكثر سوءا، لنجد أننا - الأسر التي أصرت على البقاء - قد أصبحنا غرباء نحن أيضا؛ فالأحياء الصغيرة تستمد حيويتها بقاطنيها لا بمنازلها.

تطلب مني الأمر وقتا أكثر مما كنت أتوقع لأتجاوز الغربة، وكأني انتقلت للعيش في حي جديد لا يمت إلى الماضي الجميل الذي يعيش في أعماقي بأي صلة، خصوصا بعد أن عجزت عن استحضار تلك الوجوه التي ألفتها في صغري: عم حسن صاحب البقالة على مدخل الحي، وعم أحمد الذي يستحيل أن أمر بجانبه من دون أن يلقي علي التحية ويسألني عن حالي، والسيدة العجوز التي تعيش وحيدة بعد أن مات زوجها والتي لا أعرف اسمها لكنها تعتبرنا جميعا أحفادها، وجارنا المقعد الذي يجلس على كرسيه بجانب بيته ويتطلع إلى الوجوه التي تمر بجانبه لمجرد قتل الوقت... تمنيت أن أصادف أحدهم ولو بشكل خاطف لكنهم رحلوا جميعا تاركين ذكراهم عالقة في الممر الحجري الضيق وجدران المنازل.

حتى صادفتها عصر أحد الأيام، كانت تقف بمنتصف الطريق، ترمق كل ما حولها بنظرات تائهة، بينما كنت أقترب منها شعرت أني أعرفها لكن لم أكلف نفسي محاولة تذكر من تكون.

«هل رأيت زكريا؟» سألتني بنظراتها التائهة، هززت رأسي وأجبت بـ «لا»، مع أني لا أعرف من يكون، لكن في أعماقي تمنيت أن تجده وأنا أخمن أن يكون ولدها، ألقيت تحية سريعة على السيدة الستينية ومضيت إلى حال سبيلي.

بعد أيام خرجت رفقة أختي لزيارة قريبة لنا فصادفناها في المكان نفسه، كانت تقف الوقفة ذاتها وتتلفت حولها، نظرت نحو أختي وسألتها: «هل رأيت زكريا؟»، فهزت أختي رأسها وأجابت أنها لم تره وفي عينيها نظرة شفقة، في تلك اللحظة لمع اسمها في ذاكرتي «مريم» نطقت اسمها، وفي لحظة واحدة انفرط عقد ذكرياتي وتناثرت حباته في كل ركن من أركان مخيلتي، توقفت فجأة ونظرت نحوها. «أليست هذه السيدة مريم؟!» سألت أختي، فأومأت برأسها وفي عينيها نظرة

استغراب أن أكون قد نسيتها بهذه السرعة، لم أنسها أبدا، فقط توارت في نقطة خفية في عقلي، وربما تأخرت في الإفصاح عن نفسها بسبب الشعور بالغربة الذي قبض على قلبي منذ أن عدت.

لكن أين ذهب زكريا؟! سألت بنبرة غاضبة، عجزت عن التخفيف من حدتها.

كيف يعقل أن يتركها وهو الذي لم يكن يسمح لها أن تبتعد خطوات عن باب البيت، أذكر أنهما انتقلا إلى العيش في حينا قبل أكثر من عقد من الزمن، لم يكن حالهما ميسورا لكنهما لم يصلا إلى حد العوز والكفاف، لم يتزوج أي منهما ولم يحدث أن زارهما أو زارا أحدا من عائلتهما يوما ما، وكأنهما مقطوعان من شجرة، كل واحد منهما كان العالم الكامل للآخر وسنده في هذه الحياة، رغم مرضه الدائم، ورغم ضعفها وقلة حيلتها، لكن بدا أن أحدهما يستمد قوته من الآخر، كان يحميها رغم عجزه وتعتني به رغم عدم نضجها وتصرفاتها القريبة من تصرفات الأطفال.

كنت أقابل السيدة مريم في كل مرة أعود فيها من الجامعة ولاحقا العمل، كانت تقف أمام باب بيتهما المكون من غرفة واحدة، تكون قد ارتدت عباءتها وحملت حقيبتها الصغيرة، وتزينت كأبهى ما تستطيع، لكنها لا تبتعد أبدا عن الباب، كطفلة صغيرة تخشى أن تفقد طريق العودة إن هي ابتعدت، تتسمر في مكانها لساعات، لا يخرجها من شرودها إلا صوت أخيها يناديها من الداخل، والذي يتعمد مناداتها باسمها كل بضع دقائق بعد أن أفقده المرض القدرة على الخروج لتفقدها بنفسه.

في مرة من المرات سألتها: «أين ستذهبين يا خالة؟»، نظرت نحو الفراغ وابتسمت لكنها لم تجب، ظلت ملازمة لهذه العادة من دون انقطاع، ما أن تحل الساعة الرابعة عصرا حتى تتجهز وكأنها ذاهبة لمكان ما، تغادر البيت لكنها لا تبتعد عنه إلا بضع خطوات، وإن حاولت إحدى الجارات أن تدعوها لمنزلها كانت ترفض بإصرار، بعد عدة محاولات تركها الجميع لشأنها بعد أن أدركوا خشيتها من الابتعاد دون أخيها.

أخرجتني أختي من ذكرياتي لتخبرني أن زكريا مات منذ أكثر من أربعة أعوام. «ولماذا تبحث عنه؟!» هزت أختي كتفها من دون أن تجيب، لاحقا شعرت بسخافة سؤالي؛ فماذا يفترض بها أن تفعل بعد غياب عالمها الوحيد؟!

حين عدنا من زيارتنا كانت لا تزال واقفة أمام باب بيتها، الوقفة نفسها التي كانت تقفها منذ سنوات، لم تبتعد رغم أن صوت أخيها لن يتعالى كما في السابق بحثا عنها، رغم علمها أنه لم يعد موجودا خلف الباب الموارب لكن يبدو أنه قد أصبح عالقا في مكان ما بين المنازل التي تحيط بها.

أمسكت بيدها، فنظرت نحوي وكأني قد أخرجتها بغتة من عالم آخر، نظرت إلى وجهي للحظات ثم سألتني عن أخيها، أخبرتها أني لم أجده لكني سأذهب برفقتها صباح الغد للبحث عنه، قدتها إلى باب البيت، طلبت منها أن تنام جيدا لأننا سنبحث طويلا في الصباح، غابت من عينيها نظرات الذهول وحلت محلها نظرة شغف طفولي تمنيت أن تلازمها تلك النظرات طوال الليل.

في صباح اليوم التالي، كانت تنتظر أمام بيتها، بدا أنها انتظرتني منذ ساعات الصباح الأولى، حين رأتني تقدمت نحوي وهي تقول: «هل سنبحث عن زكريا؟»، أومأت برأسي أن نعم، أمسكت بيدها ومضينا معا، في البداية تسمرت مكانها ورفضت بإصرار أن تأتي معي. «سنبحث عن زكريا».. أكدت عليها، ترددت قليلا ثم حسمت أمرها وتبعتني.

ذهبنا إلى السوق وتجولنا دون هدى، اشتريت لها بعض الأغراض الصغيرة التي فرحت بها كطفلة صغيرة، وحين تعبنا جلسنا لتناول المثلجات.

بعد استراحة الغداء ذهبنا إلى حديقة الألعاب، رفضت أن تلعب بعض الألعاب لكنها لعبت بالأخرى بشغف كامل.

في المساء عدنا إلى الحي، كانت منهكة القوى لكن سعيدة، وصلت لباب البيت ودعتني ودلفت للداخل، طوال اليوم لم تسأل عن أخيها مرة واحدة، علمت حينها أنها لم تكن تبحث عن زكريا بل عن حضن دافئ يحتويها بعد رحيل الوحيد الذي كان يحتضنها رغم كل عيوبه وعجزه.

صباح اليوم التالي كانت أيضا بانتظاري، أخبرتها أن لدي بعض الخطط فتبدلت نظرات الشغف في عينيها لنظرة خيبة مريرة، مضيت وأنا أعد نفسي أن أعوضها لاحقا، حين عدت في المساء كانت تجلس أمام البيت كالمعتاد، لم تعد تجول حولها بنظرات تائهة أو تسأل المارة عن أخيها، فقط تحدق بمدخل الحي وكأنها تنتظر أحدا ما، بمجرد أن رأتني أسير نحوها تبسمت كطفلة صغيرة، أمسكت بيدها ومشيت معها نحو منزلنا، كانت المرة الأولى منذ انتقلت للحي تدخل منزلا غير منزلها، في البداية ترددت لكن حين سمعت أمي تناديها من الداخل، دخلت على الفور.

انتهت إجازتي وأوشكت على مغادرة الحي، كنت قد ألفت الوجوه الجديدة نوعا ما، وألفت جارتنا القدوم إلى منزلنا بشكل يومي، رغم أنها لم تعترف بعد بموت أخيها الوحيد لكنها لم تعد تبحث عنه، وبدلا من سؤال المارة عن مكانه عقدت بعض الصداقات مع نساء الحي أصبحت تداوم على زيارتهن من وقت لآخر وبشكل خاص والدتي.



صلاح حسن رشيد
أديب وباحث مصري

كيف قعد الرواد الكبار للعربية في مجمع الخالدين؟

درس بليغ للخبراء والمجتمع

إذا أردت أن تعرف كيف كانت الفصحى تحيا أيام النهضة الفكرية والأدبية في مطالع العصر الحديث، ولماذا وكيف صارت متدنية بين أهلها اليوم؛ فما عليك إلا قراءة هذه المناقشة اللغوية العلمية الرصينة بين أساطين الأدب واللغة والفكر والدين والثقافة في مصر والوطن العربي، فساعتها ستعرف بحق: لماذا انحدرت الفصحى بيننا الآن؛ ولماذا ارتفع شأوها أمس عاليا خفاقا؟!

ففي محاضر الدورة العشرين من دورات مجمع الخالدين اللغوي، وفي الجلسة الرابعة التي انعقدت في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٥٣م، اجتمع مؤتمر المجمع القاهري برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم حمروش نائب رئيس المجمع؛ وبحضور الأعضاء: الدكتور طه حسين، والدكتور عبدالحميد بدوي، والدكتور منصور فهمي، والشيخ علي عبدالرازق، والمستشرق لويس ماسينيون، والمستشرق جب، ومصطفى نظيف، والشيخ عبدالوهاب خلاف، والشيخ عبدالقادر المغربي، والشيخ محمود شلتوت، وعبدالحميد العبادي، والدكتور إبراهيم بيومي مدكور، وعباس العقاد، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والدكتور أحمد أمين، وإبراهيم مصطفى، ومحمد كامل حسين، وحسن القاياتي، والدكتور أحمد عمار، ومحمود تيمور، وأحمد حسن الزيات، وزكي المهندس، ومحمد فريد أبو حديد. فألقى الشيخ عبدالقادر المغربي بحثا بعنوان (في اللغة أبناء علات كما في البشر)؛ وقام الأعضاء بمناقشة مستفيضة، فيها الإلمام والموسوعية، وفيها التيسير، وفيها المقارنة بين اللغات، وفيها مراعاة العرف الاجتماعي، وظروف البيئة، وفيها رأينا تعصب طه حسين للعربية، ودفاعه المجيد عنها. وكان لب النقاش الهادف حول مادة (مرج) الواردة في بحث عبدالقادر المغربي:

هل هي عربية أم فارسية؟! وهل جذرها هو(مرج) أم (مرغ)؟!
وكان أول المتداخلين الأستاذ عباس العقاد، فقال: «أشك في أن أصل (مرج) فارسي؛ لأن الكلمة، ومادتها، وما يضاف إليها في أولها أو آخرها أصيلة في اللغة العربية، ويغلب على جميع ما تفرع من هذه المادة معنى واحد؛ وهو التحريك مع الدلك؛ فمثلا؛ مرغ، ومرس، ومرق، ومرن، ومرد، و مرك، ومرط؛ فكلها تحمل معنى الحركة. وإذا تركنا الحرف الأول وجدنا أن ما يتصل بحرف الراء يدل على مثل هذا المعنى أيضا؛ كما في (رج، ورض، ورث، ورك) فالتشابه بين مرج العربية، ومرج الفارسية نوع من التوافق، كما في كلمة صلد العربية، والإنجليزية».
الأستاذ عبدالحميد العبادي: يجب أن ندرس وجود كلمة (المرج) في الفارسية؛ أفي الفارسية الفهلوية هو، أم في الفارسية المحدثة؟ فالمروج معروفة في جزيرة العرب من قديم.
الشيخ علي عبدالرازق: علينا أن نتحقق أي اللغتين آخذة من الأخرى؛ الفارسية من العربية، أم العربية من الفارسية، وبعد ذلك يحق لنا مناقشة هذا الرأي.
الشيخ عبدالقادر المغربي: البحث في أصول الكلمات نقلي، لا عقلي، وابن سيده ينقل فارسية المرج، ففيم الشك؟!
الدكتور طه حسين: لا ننقل عن معاجم مسلمين لما قالوا، فأغلب أصحاب المعاجم أعاجم، وإثبات فارسية المرج يحتاج إلى بحث وتدقيق؛ فقد كان العرب والفرس يختلط بعضهم ببعض، ويأخذ بعضهم عن بعض، وكما يجوز في العربية أن يؤخذ من الفارسية، كذلك يجوز العكس.
الدكتور عبدالحميد بدوي: لاشك، أن كون المرج من صميم الحياة العربية، يرجح أن الكلمة غير مستعارة من لغة أخرى.
الأستاذ عباس العقاد: الكلمة الفارسية (مرغ)، والعرب من مألوفهم أن يقلبوا الغين جيما إذا نقلوا من الفارسية، بل العكس هو المتبع حتى في العصر الحديث، فنحن نقول في (جوتا) (غوتا)، كما قال القدماء في (ججرافي) أي جغرافيا.
الدكتور طه حسين: لم يدقق أصحاب المعاجم فيما تعرضوا له من أصول الكلمات، فهناك ألفاظ كثيرة فارسية أو سريانية يرى المعجميون أنها عربية، أو يرون أنها معربة عن أصول ليست بأصولها.
الشيخ محمود شلتوت: ظاهر الحال في كلمة (المرج) أنها عربية في أصلها، وفي تصرفاتها، فنحن نظل في هذا الجانب إلى أن تظهر حجة جديدة، وليس النقل عن شخص واحد، يجيز لنا أن ننزل عما ورثناه وألفناه، ورواية الآحاد لا تعترض ظاهر الحال ورأي الجماعة.
الشيخ المغربي: إذا ذكرت ابن سيده فمعنى ذلك أنه نقل عن غيره؛ لأنه لا يبتدع، وهو حجة ثقة.
الأستاذ إبراهيم مصطفى: نحن لا نطعن في ثقة ابن سيده، ولكن نقله يحتاج إلى نظر؛ فهل كان عالما بالفارسية؟
الدكتور طه حسين: لأجل أن نقبل فارسية كلمة، فعلينا أن نبحث في أصل لغة الفرس. وهل ترجع أصول كلمة (مرج) ومشتقاتها إلى الفارسية الأثرية؟ وهل أخذها العرب عن الفرس؟ وبحث الأستاذ المغربي مقصور على النقل عن ابن سيده، دون البحث في صميم الفارسية: كيف تصرفت فيها كلمة (مرغ) وإلى أي أصولها ترد؟
الشيخ عبدالقادر المغربي: ما ذكرته معادل لما يجب أن يذكر في المعجم الوسيط، أما البحث والتحقيق في هذه الكلمة، وأمثالها، ومنازعها من اللغات؛ فمجاله المعجم الكبير.
الأستاذ حسن القاياتي: يقول بعض الباحثين إن كلمة (سياسة) تركية، أصلها (سي يسق) أي الترتيبات الثلاثة. وهذا عجيب؛ لأن كلمة السياسة عربية، اشتق منها، وتصرف فيها، وربما كان هذا من توافق اللغات، ولعل الموقف في كلمة (مرج) يشبه الموقف من كلمة سياسة.
الأستاذ عباس العقاد: في تاج العروس ورد: المرغة الروضة، وتمرغ أطال المرغ، ومقلوبها رغم، والرغام التراب؛ ففي هذا ما يبيح الجزم؛ بأن المادة بالجيم أو بالغين أصيلة في اللغة العربية.
الدكتور طه حسين: فيما يتعلق بكلمة (البازيار) أرى أن هناك فرقا بينها وبين البزر. وأرجح أن كلمة البيزرة اشتقت من البازيار، أي من أصل فارسي، والعرب كانوا يأخذون الكلمة الأعجمية ويشتقون منها، ويولدون كما نولد نحن كثيرا من الألفاظ.
الأستاذ زكي المهندس: يحسن أن تبحث هذه الكلمة وأمثالها مع الاستعانة بخبير ممن يعرفون اللغات الشرقية.
وبعد هذه المناقشة الجميلة المتشعبة، الباحثة عن الحق والحقيقة، بين هؤلاء الأعلام الكبار، تقرر إحالة بحث الشيخ المغربي إلى لجنة الأصول لدراسته، مع الاستعانة بخبير، ممن يجيدون اللغة الفارسية. لكن، بقيت قيمة هذا النقاش المثمر، الباحث عن ثراء العربية، وتطويرها، وإمدادها بما يجعلها فتية، لا يشمئز منها الصغار، كما نرى اليوم، لا لضعف فيها، ولكن لهوان أهلها على أنفسهم، وعلى غيرهم!



عثمان إسماعيل محمد حسين
كاتب وباحث

الطفولة.. بناء واستثمار

تمثل الطفولة المقصد الأسمى من الزواج، بل أمل الوالدين كفطرة نحو هوية الأبوة وحلم الأمومة، فالأبناء هم حلية الدنيا وزينتها وإعمار الكون وبقاؤه، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف:٤٦)، وفي سياق آخر بصيغة دعاء عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان:٧٤)، وتكون الطفولة في غايتها تكوين الابن الصالح الذي هو مصدر البر للوالدين والعطف عليهما في الدنيا والدعاء لهما بالرحمة والمغفرة بعد مماتهما، قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم).

والمتأمل لمفهوم الطفولة في المناخ الحياتي يلحظ أن هذا المفهوم قد تطور عبر العصور شأنه شأن سائر الأمور التي تقبل التغيير حسب مقتضى الحال ومعطيات الحياة.. فكانت النظرة إلى الطفولة في عصور مضت هي الذرية والعصبة والقوة وزهو القبيلة وفخر العائلة بغية المكانة والوجاهة... وظل هذا المفهوم التقليدي مسيطرا على العقل والفكر إلى حد كبير فانحسرت الطفولة في ذلك العنصر البشري بعيدا عن ماهيته وغائيته ودوره في الحياة..

وفي تلك الحقبة من أوائل هذا القرن تغيرت النظرة إلى الطفولة إلى مفهوم عصري حديث يعتمد على ركيزة التلاؤم والتناغم مع مرحلة اجتماعية جديدة ذات نمط حياتي له طبيعته الخاصة تجاه الطفولة؛ بناء وتكوينا واستثمارا، إضافة إلى أن الواقع التربوي يشهد مصادر متعددة تكفل طفولة أساسها حسن الإعداد وإتقان التكوين وتحقيق المقصد منه والغاية، لأن التنشئة والتربية صارت «إعدادا» لهذا المنتج البشري مواجهة لهوية الحياة التي نعيشها بل التي فرضت علينا.. ومن هنا أخذت الفطرة

البشرية تظهر إعجازها لتتلاءم مع تحديات هذه الحياة فتلاءمت مع أساليب التعليم المتباينة وما ينبغي أن تكون عليه من سلوكيات تميل إلى النفع وتدفع إلى الخير، ومن أمثلة ذلك:

❖ إقبال الوالدين على إلحاق أطفالهم وهم في سن مبكرة بمدارس تحفيظ القرآن الكريم حتى يتسنى لهم بناء شخصياتهم روحيا ووجدانيا وسلوكيا وما يؤهلهم إلى التمسك بالقيم والمبادئ والفضائل التي دعا إليها الدين الإسلامي وبذلك نضمن سلامة تأسيس هذا البناء الروحي والسلوكي إعدادا لشخصية سوية يكتب لها التوفيق في التفاعل الاجتماعي فكريا وسلوكيا.

❖ محاولة الوالدين توضيح طريق الفضائل للطفل نظرية وتطبيقا، وأهمها على سبيل المثال الالتزام بفضيلة «الصدق» التي هي طريق النجاح والتوفيق فيما يتمناه الطفل في حاضره ومستقبله، كالصدق مع الله ومع النفس والآخرين ممارسة وتفاعلا... وبيان فداحة رذيلة الكذب وعواقبها المدمرة والتي نتاجها الفشل الذريع وآثاره السيئة.

❖ محاولة الوالدين ترسيخ التربية الوجدانية في نفوس وسلوك الأطفال كتنمية مشاعر الحب والإخلاص والانتماء والوفاء، وذلك بغية بناء طفولة ركيزتها الأمن والأمان النفسي وحب الخير للآخر، تجنبا لسلبية الصراعات الداخلية التي هي مضيعة للوقت وطريق إلى إهلاك الذات والإخفاق القاتل الذي لا يجلب معه إلا التحسر والتندم.

❖ محاولة تنمية مهارات الطفل العقلية والمعرفية منذ الصغر لمعرفة ميوله في استيعاب ما يتناسب مع قدراته كالفنون والتكنولوجيا مما يشجعه على الالتحاق بمراكز المواهب وأندية العلوم والمكتبات، وذلك ليسلك طريق الابتكار والإبداع لمسايرة طبيعة الحياة، مما يساهم في بنائه عقليا وثقافيا ومعرفيا، والعمل على تنمية مهارات التعلم بمختلف مجالاتها وأساليبها.

❖ منح الطفل مساحة من الحرية لإبداء الرأي والفرصة لاشتراكه في المسابقات المختلفة ليعيش ويمارس روح المنافسة ومواجهة الآخر والقضاء على آفات التردد والخجل والخوف والعمل على اقتحام مناخ التنافس وإثبات الذات وليرى ذاته من خلال قدراته راضيا عنها مقتنعا بها..

❖ حث الأطفال على استغلال المدرسة كبيئة تربوية تعليمية فعالة للأنشطة المختلفة استغلالا فعليا وجادا ومثمرا نافعا له مردوده الإيجابي، ومحاولة الاستفادة من ذلك في بناء شخصية الطفل وإكسابه فن التعامل مع الآخر.

❖ الإقبال اللافت للنظر على مدارس «اللغات» ومراكز تنميتها وتعليمها وذلك لتعلم ما يروق له من لغة أو اثنتين إعدادا وتحسبا لأي احتمالات يطلبها ما يطلق عليه «سوق العمل» مستقبلا. فتعلم اللغات بات ضرورة عصرية ملحة ولم يعد من باب الوجاهة والمفخرة بقدر ما هو طريق فعال للتكوين الثقافي والأفق المعرفي الجيد لمستقبل تتطلبه الحياة المعاصرة بتحدياتها ومعطياتها ومختلف متطلباتها.

❖ الإقبال على دورات تعلم برامج الحاسب الآلي المختلفة والتي غزت مناحي الحياة، حيث أصبح هذا الجهاز عصب التعامل اللحظي واليومي والحياتي والتعامل عبر شبكة المعلومات (الإنترنت)، وذلك استعدادا لمستقبل التفاعل الحياتي والوظيفي والعملي وتجنبا لأي مواجهة مفاجئة تجاه ما تتطلبه معطيات الحياة الحديثة.

❖ لقد تغيرت فلسفة النظرة إلى الطفولة في العصر الحديث نظرا لأهمية هذا النوع البشري وعلاقته بنمط الحياة التي أوجدت مصادر وروافد عدة للإعداد والتكوين والتربية الإيجابية ابتغاء منتج بشري يتواكب وهوية ما يتعايش معه من تقدم وتطور مستمرين، وبذلك نالت الطفولة نصيبها الأوفر من وسائل وفرص التفكير والتثقيف والابتكار والتطلع ولكن شريطة أن يتوافر عنصر الاستعداد لدى الأسرة والطفل.

ومن هنا وضحت مكونات الطفولة التي تتلاءم وفق ما تكون عليه طبيعة الحياة الحديثة، فهذا الطفل ينتظره الغد شابا ورجلا سويا قادرا على خوض غمار الحياة واثقا من ذاته ونجاحه وتفوقه، لا يعرف هيبة ولا ترددا ولا تخاذلا اعتمادا على سلامة البناء واتقان الإعداد وهذا ما يتمناه الوالدان من السعي في طريق استثمار الطفولة لصناعة الابناء وضمان جيل لمستقبل أفضل..

فالطفولة -تكرارا ومرارا- لم تعد حلم الإنجاب وزهو العصبة وأمل العائلة؛ عددا وحصانة وقوة، بل أصبحت استثمارا لتلك الثروة البشرية التي حظيت بما يؤهلها للتكيف الفكري والمعرفي والمجتمعي لتقف على أرض صلبة ونرى فيها -حاضرا ومستقبلا- ثمرة إعدادها وتكون بحق زينة الحياة الدنيا أخلاقا وثمارا وآثارا...

فهل آن الأوان أن تتغير النظرة التقليدية والمفهوم الموروث تجاه الطفولة إلى ذلك المفهوم العصري الذي نضمن به أجيالا نرى فيهم الحياة والوطن بوجه آخر؟!



جميلة محمد المحمد
كاتبة وباحثة أدبية

مفهومه وأهميته.. ومبادئه

الحوار مع الطفل..

يعد الحوار، بصفة عامة، أسلوبا مهما من الأساليب التي تعتمدها المجتمعات المتحضرة، بهدف تبادل المفاهيم والأفكار والآراء، واكتساب المعارف والخبرات والمهارات، وفتح قنوات الاتصال والتواصل فيما بيننا، بل يعد -بذاته- مهارة من أرقى المهارات التي تتطلبها طبيعة الحياة الإنسانية، وأرضية مناسبة لإيجاد صيغ التقارب بين الأطراف المتحاورة، وتنمية قدراتها على التفكير المشترك.

والحوار اصطلاحا يعني التحاور والتجاوب، أو الأخذ والرد في الحديث، لذلك كان لا بد في الحوار من وجود طرفين أو أكثر، يتبادلان الدور حول موضوع معين، وفي أجواء من الألفة والتفاهم، للوصول إلى الأهداف المحددة.

يقول الباحث عبدالعزيز الخضراء في تعريف الحوار: «هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما عن الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة. والحوار هو أفضل طريقة للتفاهم بين الأطراف المتباينة التي تربطها مصالح مشتركة، ليتمكن كل طرف من فهم سلوك وتصرف الطرف الآخر». وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المبدأ السامي في مواضع عدة، كقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (النحل:١٢٥).

مفهوم الحوار في الحياة الأسرية

الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى في تكوين شخصيات الأطفال، وتوسيع آفاق مداركهم، وتزويدهم بالمفاهيم والاتجاهات الأساسية، والمعين الأول الذي يستقون منه قيمهم واتجاهاتهم وعاداتهم، ويطورون من خلالها لغتهم وقدراتهم ومهاراتهم. فإذا كانت هذه مهام الأسرة بشكل عام، فإن من الأولى بها أن تغرس ثقافة الحوار في نفوس أطفالها، وتتخذها مرتكزا أساسيا في تعاملاتها معهم، بوصفها حاجة إنسانية ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها.

ومفهوم الحوار الأسري يدل على التفاعل الإيجابي في محيط الأسرة، عن طريق المناقشة وتبادل الآراء، وبما يوصل إلى حلول مناسبة للمشكلات المحتملة بين أفرادها. وتتجلى أهمية الحوار مع الأطفال بصورة أوضح في ردم الفجوة بينهم وبين الآباء، الفجوة التي اتسعت كثيرا نتيجة غزو بعض المفاهيم الوافدة إلينا في عصر المتغيرات المتسارعة الذي نعيشه، وشعور الأبناء أن الآباء باتوا في انشغال دائم عنهم.

يتضمن هذا الأسلوب التربوي الناجح السماح للأطفال بتقديم أفكارهم وآرائهم، وإتاحة الفرصة لهم للحديث عن مشكلاتهم، وتقبل أسئلتهم، والإجابة عليها إجابات صادقة وبسيطة، وتجنب التهرب منها، أو من خلال إعطائهم إجابات غامضة، خصوصا عندما تتعلق بمسائل الخلق والتكوين والولادة، كي لا تكبح جماح رغباتهم في الوصول إلى المعرفة. والجدير ذكره تأكيد الدراسات العلمية المتخصصة أن الأطفال الأكثر ذكاء، واستقرارا من الناحية العاطفية، والأكثر قدرة على التواصل الاجتماعي، هم الذين يعيشون في أسر تمارس الحوار مع أطفالها بشكل سليم ومنتظم.

إن على الوالدين خاصة تعليمهما أسلوب الحوار وإشاعة ثقافته في سن مبكرة، لأنه عادة مكتسبة يمكن تنميتها بالأساليب السليمة. حتى إنه يمكن محاورة الطفل رضيعا، فالنظرة أو الحركة أو الإيماءة هي حوار بحد ذاتها. وتلعب الأم هنا الدور الأبرز باعتبارها مصدرا لراحة الطفل، ومنبعا للأمان الذي ينشده، وهي التي تملك القدرة أكثر من غيرها على أن تمنحه هذه الحاجة التي تشعره بكينونته.

أهمية الحوار مع الطفل وأهدافه

عن أهمية الحوار مع الطفل، وأهم الأهداف المتوخاة منه، يمكننا القول: تنمية العلاقات الأسرية، وتعزيز الألفة والتواصل والحميمية بين أفرادها.

- تنمية مفاهيم التفاهم والتعايش والتسامح داخل المؤسسة الأسرية.
- تعزيز مبدأ الاحترام المتبادل للفكر الآخر، وإشاعة أجواء التقبل بين الأفراد.
- تعميق ثقة الأطفال بأنفسهم، وتنمية قدراتهم على التعامل الإيجابي ضمن المحيط الاجتماعي.
- إتاحة الفرصة ليعيشوا الخبرات والتجارب المختلفة، ضمن أطر تلائم أفكارهم وقدراتهم.
- تنمية الجوانب المعرفية والإدراكية، وبخاصة قدراتهم على التفكير المنطقي والنقد البناء، والقدرة على المحاكمة.
- تنمية القدرات التعبيرية عن الأفكار والمشاعر.
- تنمية القدرات الإبداعية والابتكارية، وروح المبادرة والمنافسة والاستكشاف.
- إثراء لغة الأطفال والارتقاء بأساليبها، والإسهام في زيادة حصيلتهم من الألفاظ.
- معالجة بعض المشكلات النفسية،

كالخوف والانطواء والعدوانية.
والتخفيف من مشاعر الكبت والإحباط.

- تنمية صفات شخصية، كالتعويد على الجرأة، وتحمل المسؤولية، واتخاذ القرارات.

- منحهم الشعور بالراحة النفسية، وتجديد نشاطهم.

- الكشف -للآباء والمعلمين والمربين- عن بعض مشكلاتهم، وفهم أفكارهم ومشاعرهم والتعرف على احتياجاتهم، بما يساعد في اختيار الأساليب التربوية التي تناسبهم.

مبادئ الحوار مع الطفل

لا يختلف اثنان على أهمية الحوار وفوائده، ووصفه باللغة التربوية الواضحة في بناء شخصية الطفل، وتنمية مكوناتها تنمية متوازنة من النواحي كافة. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف يمكن إشاعة هذه الثقافة في أسرنا ومدارسنا ومؤسساتنا المجتمعية الأخرى؟ وما هي المبادئ والقواعد التي يجب أن نعتمدها لتحقيق هذه الغاية:

- بناء الحوار على أسس الاحترام والمودة والثقة المتبادلة.

- الإيمان بضرورة تقبل الاختلاف، كحالة إنسانية صحيحة.

- الاستماع جيدا لما يبديه الأطفال من الآراء والأفكار والملاحظات.

- إبداء أكثر قدر من المرونة، وأكبر مساحة من الحريات.

- الحذر من استخدام أسلوب الاستهزاء، أو الاستخفاف، أو التقليل من قدراتهم.

- التنويع في المواضيع التي يتم الحوار حولها، بحيث تمس جوانب حياتهم.

- التركيز على نظر الطفل أثناء التحاور معه، حيث تظهر هذه الحاجة الملحة عندما يحاول الأطفال أنفسهم توجيه بصر الكبار نحوهم، إذا تحولت عنهم هنا أو هناك.

يقدم الباحث بدر الحسين في كتابه القيم «الحوار مع الطفل»، مجموعة من المبادئ، يحسن الالتزام بها من أجل إتمام الحوار مع الطفل بنجاح، وأبرز هذه المبادئ:

أولا- المرونة: ينبغي أن يكون الحوار مع الطفل مرنا؛ بمعنى أن نتحلى باللطف والابتسامة، ونتجنب التشنج والعصبية، وأن نغير اتجاه حوارنا معه عندما يشعر بالملل. ومن متطلبات المرونة: البساطة في الطرح، العفوية وعدم التكلف؛ لأن الأطفال ينجذبون ويتفاعلون مع الحوار البسيط والعفوي والتلقائي الذي يترك هامشا للأريحية والدعابة.

ثانيا - الصبر: من المعلوم أن الصبر مبدأ مهم من مبادئ الحوار مع الأطفال، لأنهم لا يملكون القدرة الكبيرة على التركيز مع المتحدث إلى أن ينهي حواره، لذا ينبغي على من يحاورهم مراعاة ذلك. ويقتضي الصبر في الحوار مع الطفل الاستمرار والمتابعة، ولا ينبغي أن يكون الحوار متقطعا.

ثالثا - التنوع: يحسن بالآباء والأمهات والمعلمين أن ينوعوا في حواراتهم، وألا يعكفوا على محاورة أبنائهم في موضوع واحد ولمدة طويلة. ومن حسنات التنويع في الأحاديث التي يتم تناولها مع الأبناء ضمان تفاعلهم وحماستهم.

رابعا - الإيجابية: الأطفال يستأنسون بابتسامة المتحدث ودعابته. فإذا أراد الآباء والمعلمون أن تؤتي حواراتهم أكلها فلا بد من أن يحرصوا على أن يكونوا مرحين بسامين غير متجهمين أو مقطبي الحواجب.. وتقتضي الإيجابية في الحوار مع الطفل مدح إنجازاته، مهما كانت صغيرة.. وتقبله كما هو، وعدم إشعاره بالنقص أو مقارنته بأقرانه.

خامسا - الوضوح: بمعنى أن يكون موضوع الحوار وفكرته واضحين ومفهومين لدى الطفل، بعيدا عن أي لبس أو غموض، وهذا يتأتى من خلال طرح الأحاديث المرتبطة بعالم الأطفال، واهتماماتهم، وتجنب الموضوعات التي تحير ذهن الطفل، ولا ترسو به على بر.

سادسا - القبول: يعد تقبل الطفل كما هو عليه من حيث الخلقة والسلوك والمهارات والقدرات الذهنية، مبدأ أساسيا لإنجاح عملية التواصل، إذ عندما يشعر الطفل أنه مقبول ومرحب به عند والديه ومعلميه وأقرانه، فإن نفسه ستفيض بالمرح والتفاعل الإيجابي، وكلما كان الحوار محاطا بالمشاعر الصادقة والنصائح الحانية كانت نتائجه أفضل.

تجدر الإشارة هنا إلى الدور التربوي الذي يمكن أن تمارسه المؤسسات التربوية والثقافية الأخرى في التأسيس لهذا النوع من الثقافة، ونشرها على نطاق واسع في مجتمعاتنا.. إذ إنها مطالبة باتباع أسلوب الحوار والاستماع الإيجابي، وتأصيله في نفوس الأطفال، ليصبح جزءا من عاداتهم وسلوكياتهم. فالمدرسة ومناخها التربوي العام، هي أهم هذه المؤسسات. ثم تأتي وسائل الإعلام باختلافها، وعلى رأسها الإنترنت، وما يمكن أن تعززه هذه الوسيلة من مفاهيم الحوار وتقبل الآخر.

إن اتباع أساليب التعامل القائمة على الحوار والثقة والاحترام مع الأطفال، ومد جسور التواصل معهم، من شأنه أن يسهم في إنماء شخصياتهم بشكل سليم، ويهيئها لخوض غمار الحياة بكل ثقة وكل اقتدار على إثبات ذواتهم، والتعبير عنها بحرية وجرأة وثبات.



ترجمة وإعداد: محمد زين العابدين*
شاعر وكاتب ومترجم مصري



كيف تقاوم السمنة وتتمتع بحياة صحية؟
وأين تكمن المشكلة في أنظمة الحمية المختلفة؟

علم مقاومة السمنة

تعتبر السمنة من المشكلات المزعجة التي تؤرق الملايين حول العالم، وتسبب لهم مشكلات صحية خطيرة، وهي الحديث الدائم لوسائل الإعلام، والشغل الشاغل للأطباء، وأخصائيي التغذية، والباب الذهبي لشركات الأدوية والأعشاب، لجني الأرباح من اللاهثين وراء البحث عن علاج لمشكلة السمنة. فما هي حقيقة ما يقوله الخبراء حول فقدان الوزن؟ كيف نقاوم السمنة؟ وما هي أهم النصائح للتمتع بقوام رشيق وصحة سليمة؟ هذا المقال يحاول البحث عن إجابات مقنعة دون تلاعب بالعقول.

مشكلة السمنة وعواقبها

أن نكون بدناء فذلك يجعلنا عرضة لاعتلال صحتنا؛ حيث توضح دراسة جديدة نشرت في هيئة «لانسيت» البريطانية للصحة العامة (Lancet public health) وجود علاقة واضحة بين زيادة الوزن والإصابة بالأمراض. ولكن ما يعنينا كذلك في هذه الدراسة، أنها تشير إلى أن زيادة الوزن تجعل العديد من الأشخاص غير سعداء. وقد أظهر مسح أجريفي بريطانيا، حول الاتجاهات الاجتماعية؛ أن الأشخاص البدناء يعانون من الإحساس بالخزي. العلم يظهر أن هناك مسارات واضحة للغاية في الدماغ، تكافئ الطعام الذي يتناوله الشخص؛ وبالتالي إذا كان

هناك شيء مغر، ومتوفر باستمرار؛ فلماذا لا؟ تشرح الفكرة البروفيسيرة سوزان جيب، عالمة التغذية بجامعة (أوكسفورد)، وتستطرد: «في أنماط الحياة المليئة بالانشغال، والضغوط؛ يجب على الشخص أن يبذل مجهودا واعيا باستمرار، ليقول لا للإفراط في الطعام».

الحلول العلمية لمشكلة السمنة

لحسن الحظ، يزودنا العلم حاليا ببعض الإجابات حول التحكم في الوزن، منذ عقد مضى فقط لم يكن هناك ما يكفي من تجارب علمية على الحمية لتسمح للأطباء وأخصائيي التغذية بتقديم نصائح مدعومة بالأدلة. أما الآن؛ فهناك مؤشرات علمية واضحة، عن كيفية مقاومة السمنة. وما أظهرته الدراسات ربما يدهش القراء!

ما أفضل نظام غذائي من وجهة النظر العلمية؟

عندما يتعلق الأمر بذلك؛ فإن علم الحمية الغذائية بسيط، فقط ينصحك بأن تأكل أقل. تستطيع أن تفعل ذلك باتباع نظام غذائي منخفض الدهون (مثل النظام الغذائي لتناول الأطعمة الخام)، أو منخفض الكربوهيدرات (والمثال على ذلك، ما عرف بحمية أتكينز Atkins diet).

ما هي حمية «أتكينز»؟

هذا النوع من الحمية هو حمية منخفضة الكربوهيدرات، يدعي أنصارها، أنه يمكنك إنقاص الوزن من خلال تناول أكبر قدر ممكن من البروتينات، والدهون؛ طالما أنك تتجنب الأطعمة التي تحتوي على الكربوهيدرات. وفي السنوات الماضية، أظهرت أكثر من ٢٠ دراسة أن الوجبات المنخفضة الكربوهيدرات، دون الحاجة إلى حساب السعرات الحرارية؛ تكون فعالة في إنقاص الوزن، ويمكن أن تؤدي إلى تحسنات صحية مختلفة. وتم الترويج لـ«حمية أتكينز» في الأصل، من قبل الطبيب الذي ابتكرها، وسميت باسمه (د.روبرت أتكينز)، وقد ألف عنها كتابا، حقق أعلى المبيعات، في عام ١٩٧٢م. ومنذ ذلك الحين، أصبح نظام (أتكينز) الغذائي مشهورا في جميع أنحاء العالم، وصدرت العديد من الكتب حوله. بينما تم اعتباره غير صحي-بل وشيطاني- من قبل الهيئات الطبية؛ ويرجع ذلك غالبا إلى ارتفاع نسبة الدهون المشبعة فيه. ومع ذلك، تشير الدراسات الجديدة إلى أن الدهون المشبعة فيه تكون غير ضارة[1]. لكن تمت دراسة هذا النظام الغذائي بشكل كامل، وأظهر أنه يؤدي إلى المزيد من فقدان الوزن، وتحسينات أكبر في نسبة السكر في الدم، والكوليسترول الحميد، والدهون الثلاثية، وغيرها من العلامات الصحية، مقارنة بالوجبات الغذائية القليلة الدسم[2]. فبالرغم من ارتفاع نسبة الدهون فيه، إلا أنه لا يرفع نسبة الكوليسترول الضار، رغم أن هذا يحدث في مجموعة فرعية من الأفراد. والسبب الرئيسي وراء فعالية النظم الغذائية المنخفضة الكربوهيدرات في إنقاص الوزن؛ أن انخفاض الكربوهيدرات، وزيادة تناول البروتين يؤديان إلى انخفاض الشهية، مما يجعلك تتناول سعرات حرارية أقل[3].

أين تكمن المشكلة في برامج الحمية؟

المشكلة بالنسبة لنظم الحمية ليست في الفقد المفرط للوزن، ولكن في إيجاد وسيلة لتطبيقها تكون فعالة، وآمنة، وتناسب أسلوب حياتك، وتكون مستدامة؛ حتى لا يرتفع وزنك مرة أخرى. وعلى عكس مروجي المنتجات الغذائية، يتجنب الأكاديميون المتخصصون في الحمية تقديم النصائح الإرشادية، لأن النظم الغذائية المختلفة توضع لتلائم أنماط الحياة المختلفة للأشخاص المختلفين بطبيعتهم. لكن الأبحاث الحديثة تشير إلى أن مجموعة محددة من النظم الغذائية هي الأكثر كفاءة للغالبية العظمى من الناس.

هناك برامج للحمية خاضعة لإشراف جهات علمية، مثل خطة الحمية الموضوعة من قبل باحثي جامعة «كامبريدج» البريطانية؛ وتعتمد على الصيام حتى المغرب، وتتكون من ألواح الوجبات الخفيفة المعدة مسبقا، وشرائح البروتين، ووجبات أخرى. ربما تعتقد أن هذه الوجبات ستتهم بأنها قاسية، وغير صحية، ودخيلة، ومع ذلك توصلت الأبحاث إلى أن هذه الأنظمة المنخفضة السعرات الحرارية، والمعروفة أيضا باسم «الوجبات البديلة»؛ فعالة، وآمنة، إذا طبقت بشكل صحيح.

في عام ٢٠١٦م، قام فريق بحثي بإجراء تحليلات موسعة، تحت إشراف مركز جامعة «برمنجهام» البريطانية لأبحاث البدانة، وأظهرت

النتائج أن هذه النظم الغذائية؛ حققت انخفاضا في الوزن بمعدل ١٠ كجم في المتوسط، بعد سنة من تطبيقها. وهذا شيء جيد بالمقارنة مع برامج تغيير السلوك الغذائي، التي تركز على تغيير العادات الغذائية، وممارسة الرياضة؛ والتي أوضحت الأبحاث أنها حققت خفضا في الوزن بمقدار ٤ كجم فقط بعد سنة أيضا من تطبيقها. وتوضح «جيب» أنه بالرغم من أن الأبحاث تشير إلى أن كل مطبقي نظم الحمية يكتسبون زيادة في الوزن بعد ذلك (بصرف النظر عن النظام الذي اتبعوه)؛ فإنه كلما خسرت مقدارا أكبر من الوزن، ستظل لفترة أطول تحت حد البدانة، وبعيدا عن تأثيراتها غير الصحية. وأظهرت الأبحاث أن برامج الاستبدال الغذائي، التي تتضمن دعما سلوكيا؛ يرتبط نجاحها بتطبيقها على مدى طويل. وبالرغم من أن الوجبات البديلة قد تبدو متطرفة؛ إلا أنها تحتوي على نفس توازن العناصر الغذائية التي تحققها بعض وجباتك الغذائية العادية (على سبيل المثال حمية الحليب، أو حمية عصير الليمون)؛ فتطبيقها سهل إذن، إذا كنتم ترغبون في تخفيض الوزن. لكن يفضل للتخلص من الوزن الزائد، تطبيق برامج الحمية تحت إشراف المتخصصين.

هل تحقق برامج الحمية القاسية المطلوب؟

يعتمد الأمر على مفهومك للحمية القاسية، فهناك دليل على أن أنظمة الحمية الغذائية المعتمدة على استبدال نوعية المأكولات؛ تعمل بشكل جيد جدا بالنسبة للعديد من الناس. ولكن ماذا عن نظم الحمية الأقسى، التي يتم التأكيد على أنها تحقق انخفاضا في الوزن؟ أنظمة مثل (حمية حساء الكرنب)، و(حمية الجريب فروت)؟

الدليل على فعالية مثل هذه الأنظمة ما يزال ضعيفا. ومع ذلك؛ فهناك القليل من المعارضة العلمية لفكرة خسارة الوزن بشكل أسرع من المعتاد. ويمكن أن يؤدي الفقد السريع للوزن إلى تحفيز الأشخاص للالتزام ببرامج معينة للحمية. ولكن الحفاظ على التوازن الغذائي الصحي خلال هذه البرامج؛ يمكن أن يمثل مشكلة؛ فما تزال النصائح الموجهة من الهيئة البريطانية للخدمات الصحية، تؤكد على أن «برامج الحمية القاسية تجعل من يطبقها يشعر بالتوعك، وعدم القدرة على أداء وظائف الجسم بشكل سليم، وتؤدي لاعتلال الصحة على المدى الطويل». والحقيقة أن كلا من بيولوجيتنا، وأساليب حياتنا ربما تدين أن العديد من أنظمة الحمية القاسية بتهمة الفشل، وفقا لما يشير إليه «د. جيلز يو»، الباحث الرئيسي بمعهد كامبريدج للعلوم الأيضية، ويضيف: «إذا أردت الحفاظ على إنقاص وزنك؛ فإن أسوأ شيء يمكنك القيام به هو محاولة تجويع نفسك لثلاثة أسابيع، والوصول بأرجحة البندول -على حد قوله- إلى مدى واسع؛ تصبح معه العودة إلى الاتجاه الآخر مستحيلة. يجب على الناس أن يجدوا نوعا من التوازن، لإنقاص وزنهم على مدى طويل». ويجب علينا التعامل مع حقيقة أن الحميات القاسية عموما، تجعلنا نشعر بالجوع. وقد ركزت أبحاث «يو» على اختبار كيفية استجابة المخ للهرمونات، والعناصر الغذائية التي يتم ضخها من القناة الهضمية إلى الدم؛ فهي تعكس الحالة الغذائية للجسم، أما المخ فيحولها إلى ما يشعرنا إما بالامتلاء، أو الجوع. وهناك نصائح يمكن اتباعها للشعور بالشبع لمدة طويلة. ويضيف «يو»: «إن إحدى الحقائق الكونية حول إنقاص الوزن؛ أنك إذا أردت أن تأكل أقل، عندئذ يجب أن يكون لديك خطة تجعلك تشعر بمزيد من الشبع والامتلاء. ما نعرفه الآن أنه كلما طالت المدة اللازمة لهضم الطعام، طال شعورك بالشبع؛ لأنه أثناء مرور الطعام إلى الأمعاء، يتواصل إفراز هرمونات مختلفة، معظمها يعطينا الإحساس بالامتلاء. وذلك يفسر لماذا يمكن أن تؤدي برامج الحمية العالية في محتواها البروتيني الغرض المطلوب في هذا السياق؛ لأن البروتين أكثر تعقيدا من الدهون، والكربوهيدرات، ويستغرق فترة أطول في القناة الهضمية قبل تحطمه إلى عناصره الأساسية».

هل نستطيع هزيمة الدهون والتمتع باللياقة؟

منذ عقود احتدمت النقاشات حول دور التمرينات الرياضية في تدعيم حمية إنقاص الوزن. أما الآن، فهناك إجماع كبير على أن تنظيم تناول الطعام هو الأكثر أهمية بالنسبة لإنقاص الوزن. ولكن الجدل يستمر حول ما إذا كانت تمرينات اللياقة تخفف من المخاطر الصحية لزيادة الوزن. ويكمن جوهر هذا الجدل في

البحث الذي أجراه معهد كوبر للطب الوقائي في دالاس؛ والذي يظهر أن الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن ٦٠ عاما، والذين يمارسون الرياضة؛ يعانون من وفيات أقل بغض النظر عن مقدار وزن الجسم الذي يحملونه. الأخصائية النفسية الأمريكية د.تريسي مان، من جامعة (مينيسوتا)، هي حاليا أبرز شخصية طبية تؤكد على أن الأشخاص ذوي الوزن الزائد يستطيعون التمتع بالعمر الطويل، طالما استمروا في ممارسة الرياضة. ولتقليل مخاطر الإصابة بأمراض القلب والسكر؛ فلا يلزم أن تكون نحيفا، بل أن تمارس الرياضة. ولكن تلقت هذه النظرية انتكاسة، من خلال دراسة حديثة، تم من خلالها متابعة، وتسجيل ٣,٥ ملايين حالة بواسطة الأطباء الممارسون في جامعة «برمنجهام» البريطانية؛ وأظهرت أن البدناء الأصحاء، ممن كانوا يتمتعون بمستويات عادية لضغط الدم، والكوليسترول؛ كانوا لا يزالون معرضين للإصابة بالأمراض الخطيرة، بدرجة أكبر من الأصحاء ذوي الوزن المثالي، فالبدناء كانوا معرضين لخطر الإصابة بأمراض القلب التاجية، بنسبة تزيد بمقدار ٤٩ في المئة، وللإصابة بالسكتة الدماغية بنسبة تزيد بمقدار ٧ في المئة، وللإصابة بالسكتة القلبية بنسبة تزيد بمقدار ٩٦ في المئة.

هل تفيد نظم الوجبات السريعة المتقطعة؟

تدور فكرة «الوجبات المتقطعة السريعة» حول أن يتناول الفرد كل ما يشتهيه في بعض أيام الأسبوع، وبعدئذ يأكل كميات قليلة جدا في الأيام الأخرى. وقد غدت رائجة على امتداد الخمس سنوات الماضية. ولكن هل هي فعلا أكثر فعالية من أنظمة الحمية الأخرى؟. تنفي الأبحاث الحديثة هذا الظن. في دراسة نشرت سنة ٢٠١٧م بمجلة الجمعية الطبية الأمريكية؛ اتضح أنه بعد مرور عام على تطبيق هذا النظام أنه لم يحدث أي اختلاف جوهري في انخفاض الوزن عن الأنظمة الأخرى للحمية العنيفة، والتي يتم فيها إنقاص السعرات الحرارية بشكل يومي، بينما يؤكد المؤيدون لها، أن لها فوائد صحية بالإضافة لإنقاص الوزن. في الواقع أشارت الدراسات التي أجريت على الحيوانات، إلى أن الصيام يطيل العمر، ويقلل خطر الإصابة بأمراض السكر، والسرطان، والقلب، والزهايمر. ولكن الدراسات على الإنسان نادرة ومتناقضة. في دراسة حديثة بجامعة «كاليفورنيا» الجنوبية، أجريت على ٧١ شخصا بالغا، أظهرت أن «حمية الصيام المتقطع» أدى تطبيقها إلى تقليل ضغط الدم، وعوامل الخطر بالنسبة لأمراض القلب، والسرطان، والسكر، فضلا عن إنقاص الوزن. ولكن دراسة جديدة أخرى، أجريت بجامعة «إلينوي»، ترجح أنها تقلل من مخاطر أمراض القلب، ولكن ليس بدرجة أعلى من أي نظام حمية آخر. ومما لاشك في مصداقيته؛ أن «حمية الصيام المتقطع» تناسب العديد من الناس، حيث إنها لا يؤدي تطبيقها إلى تدمير أنماط حياتهم، أو نظام وجباتهم العائلية بدرجة كبيرة.

هل تفيد أقراص حرق الدهون؟

هناك العشرات من العناصر الغذائية المطلوبة، لتحفيز عمليات التحويل الغذائي، المؤدية لتوليد الطاقة في الجسم، وزيادة معدل حرق السعرات الحرارية. وهناك مواد مدعمة لهذا، وتشمل (الكافيين، والكابسيسين، وخلاصة الشاي الأخضر). ولكن هناك أدلة قليلة على أن هذه المواد تؤدي الغرض المطلوب منها؛ حيث إنها مصنفة كمكملات غذائية، وليس كأدوية. وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن الناس يحرقون عددا أكبر من السعرات، عندما يتناولون الكافيين؛ ولكن وفقا لمستشفى «مايو كلينيك» البريطانية، فإن هذا يبدو بدون تأثير جوهري على إنقاص الوزن. وهناك القليل من البيانات عن معظم المكونات الأخرى لأقراص حرق الدهون. ومع ذلك فهناك بعض الأدلة، المستمدة من بعض الدراسات؛ على أن مادة «الكابسيسين»، والتي توجد بشكل طبيعي في الفلفل، من الممكن أن تشجع على فقدان دهون البطن، وتجعل الشخص يشعر بالامتلاء، والشبع. هناك تدفق متصل للقصص الإخبارية، حول أنماط الغذاء التي يمكن -كما يتم تصويرها- أن تقدم الحل المختصر لمشكلة زيادة الوزن، عن طريق تعزيز عمليات التمثيل الغذائي، وخفض مستويات الدهون، وتشجيع نشاط البكتيريا النافعة بالأمعاء. كما أدرج ضمن المواد المشجعة لخفض الدهون، كل من الفلفل الحريف، والتفاح، وخل التفاح، والقرفة. ربما يحالفها شيء من الصواب، ولكن لايزال الوقت مبكرا للبت في جدواها.

نصائح لمقاومة السمنة

١- تناول طعامك ببطء: في بحث تم تقديمه خلال مؤتمر، عقدته مؤخرا الجمعية الأمريكية للقلب؛ أوضح أن الأكل بسرعة يؤدي إلى اتساع محيط الخصر، ويزيد مخاطر الإصابة بأمراض القلب. ووفقا لخبير السمنة (د.جيلز يو)؛ فإن الأكل بسرعة كبيرة، يعني أنك لا تترك وقتا كافيا لجهازك الهضمي لإطلاق الإشارات العصبية المحفزة لإفراز الهرمونات اللازمة للمخ؛ والتي تخطر المخ بأنه حدثت لك حالة شبع وامتلاء. لذا تستمر لديك حالة الجوع، وتستمر في الأكل!

٢- تجنب الأطعمة التي يكتب عليها عبارة «خال من السعرات الحرارية»: فمثل هذه الأطعمة والمشروبات، هي أغذية محتوية على السكر؛ تزيد من وزنك في الواقع، ولكنها لا تشعرك بالامتلاء. فالمشروبات الغازية، وعصائر الفاكهة تضخ في قناتك الهضمية تركيزات كبيرة من السكر بمنتهى السرعة والسهولة؛ حيث إن أمعاءك ترسل بالكاد الإشارات العصبية التي تفيد بهضمها. أما البروتينات، والكربوهيدرات المعقدة؛ مثل الفاصوليا، والحبوب الكاملة، والجوز، والخضروات الورقية؛ فتأخذ وقتا أطول في هضمها؛ وبالتالي تبقى في أمعائك فترة أطول، مما يؤدي للشعور الدائم بالامتلاء.

٣- لا تأكل بمفردك: أوضح بحث حديث نشر بمجلة رائدة في علوم السمنة؛ أن الرجال الذين يأكلون بمفردهم، مرتين في اليوم على الأقل؛ يزيدون من مخاطر تزايد البدانة عندهم. بينما يبدو الارتباط بين زيادة البدانة، وتناول الأكل على انفراد أقل ظهورا لدى السيدات. ويتبع هذا البحث دراسات أخرى؛ تشير إلى أن الوحدة يمكن أن تزيد من احتمالية اختيار الشخص لتناول أطعمة غير صحية.

٤- ضع الأطباق في اعتبارك: أشارت بعض الدراسات ذات الجاذبية بالنسبة لعناوين الصحف؛ إلى أن حجم الطبق، وشكله، ولونه، وكذا حجم السكاكين، وثقلها، كل هذا يمكن أن يؤثر في كمية الطعام الذي تتناوله. ويواصل الخبراء الصحيون الجدل حول أهمية هذه الاكتشافات. لكن لاشك أن تناول حصص كبيرة من الطعام يساهم في زيادة الوزن، وينصح بحث نشر بالمجلة الطبية البريطانية باستخدام أدوات مائدة أصغر لتقليل حصص الطعام.

٥- اقتنص بعض النوم: تركزت أكثر من ٥٠ دراسة على احتمال وجود علاقة بين النوم، وزيادة الوزن. واستنتجت المراجعات الحديثة لأدلة وجود هذه العلاقة، أن هناك علاقة بالفعل بين النوم، وزيادة الوزن، في كل من البالغين، والأطفال. فقلة النوم يبدو أنها تقطع الطريق على تنظيم عمل الهرمونات، والتمثيل الغذائي لسكر الجلوكوز؛ وبالتالي يمكن أن تسبب زيادات في إفراز هرمون «الجريلين»؛ والذي يحفز الشهية للأكل.

هل المضادات الحيوية تجعلنا بدناء؟

لوحظ في السنوات الخمس الأخيرة؛ وجود اهتمام بفكرة أن بكتيريا الأمعاء تلعب دورا حيويا في تنظيم وزن الجسم، وأن قتل هذه البكتيريا بواسطة المضادات الحيوية، يزيد البدانة. ومعظم الأدلة الحديثة على صحة هذا الرأي جذابة، ولكنها ليست حاسمة. ومع ذلك؛ فهناك بحث حديث، يشير لوجود علاقة بين بكتيريا الأمعاء، ومؤشر كتلة الجسم. فالأشخاص الذين توجد بأمعائهم مستويات عالية من بكتيريا «Chistensenellaceae»، هناك علاقة بينها، وبين زيادة الوزن عندهم. وتوصل العلماء بكلية «كينجز كوليدج» الملكية البريطانية بلندن؛ إلى أن مستويات هذه البكتيريا تحددها العوامل الوراثية بشكل جزئي. والخلاصة أن الأمر يحتاج لمزيد من البحث، ولكن بكتيريا الأمعاء يحتمل بنسبة كبيرة أنها تؤثر في زيادة الوزن.

المصادر

❖مجلة (vey inteesting) الإنجليزية - عدد ٢٠١٨/٥/٢٥م.

١- دراستان عن تقييم مدى ارتباط الدهون المشبعة بأمراض القلب والأوعية الدموية- المركز القومي البريطاني لعلوم المعلوماتية الحيوية المتقدمة، والتقنية البيولوجية، والصحة.

المصدر على الإنترنت

https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/20071648

https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/25166256

٢- مراجعة منهجية لتجارب عشوائية، للمقارنة بين الوجبات منخفضة الكربوهيدرات، والحمية المنخفضة الدسم، والسعرات الحرارية، بالنسبة للتحكم في السمنة وأمراضها المصاحبة - المجلة العلمية للرابطة الدولية لأمراض السمنة.

٣- دراسة عن تأثير اتباع نظام غذائي منخفض الكربوهيدرات والدهون،على الحالة المزاجية،والجوع-المركز القومي البريطاني لعلوم المعلوماتية الحيوية المتقدمة،والتقنية البيولوجية،والصحة.

المصدر على الإنترنت:

https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/17228046

د. بديع السيد اللحام
أستاذ الحديث بكلية الشريعة
جامعة دمشق



سيف الحياء

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فقد شاع على ألسنة الناس قولهم: «ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام» أو: «فالنار أولى به» ناسبين هذه المقولة إلى النبي ﷺ. وهذا الكلام بهذه الألفاظ لم يوجد في أي من كتب الحديث الموضوع فضلا عن سائر المصادر الحديثية، بل لم أجد أحدا ممن صنف في الأحاديث المشتهرة قد أتى على ذكره، مما يدل على أن شهرة هذا الكلام على أنه حديث لم تعرف إلا في وقت قريب.

قلت: إننا نجد في نصوص الشريعة ما يدل على صحة هذا الكلام من حيث المعنى، أما أن ينسب بهذه الألفاظ إلى النبي عليه الصلاة والسلام فلا، ويغني عنه ما ورد في معناه من أحاديث صحاح أو حسان.

منها: قول النبي ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»[1].

ومنها: حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرئ أن يأخذ مال أخيه بغير حقه» وذلك لما حرم الله مال المسلم على المسلم، وفي رواية: «لا يحل للرجل أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفسه»[2].

وخص العصا بالذكر لكونها من الشيء الحقير الذي يتساهل فيه، ومع ذلك فقد حظر الشارع أخذها بغير طيب نفس، وعلل التحريم بقوله: «وذلك لشدة ما حرم رسول الله ﷺ ... إلخ»[3].

وهذا الحكم في حرمة أخذ مال المسلم إلا عن طيب نفس منه لا يختص بالمسلمين فيما بينهم، بل جاءت نصوص التشريع محرمة الاعتداء على حقوق غير المسلمين أو أخذ شيء من أموالهم دون وجه حق، يروي صفوان بن سليم أنه أخبره ثلاثون من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ، عن آبائهم، عن رسول الله ﷺ قال: «ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»[4].

فلا يحل أخذ شيء من مال الغير -أيا كان- بدون رضاه، ولو كان ما أخذه تافها، فإن أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فهو غاصب تجري عليه أحكام الغصب التي ذكرها الفقهاء في كتابهم.

قال بعض شراح الحديث في قوله عليه الصلاة والسلام «لا يحل مال امرئ إلا عن طيب نفس»: وهو يتناول القليل والكثير، إذ لا قائل بحل القليل دون الكثير.

ومن الصور التي حذر كتاب الله تعالى من الوقوع فيها أن يأخذ الرجل من مال زوجه بدون رضاها، قال الله تعالى: ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ (النساء:٤)، قال الإمام ابن شهاب الزهري: إن كانت أعطته عن طيب نفس، ليس في شيء من أمره خديعة، جاز (أي أن يأخذ) قال الله تعالى ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾[5].

ومن الصور التي تكاد تكون شائعة في بعض بيئات مجتمعاتنا المعاصرة ما يمارس من أساليب ملتوية تدفع الأنثى للتنازل عن حقها في الميراث، فهذا -ولا شك- من الكبائر التي يأثم فاعلها عند الله تعالى وإن كان ظاهر الأمر أنها تنازلت عن حقها بمحض رضاها.

والسؤال: من أين تسرب إلى عامة الناس مقولة: «ما أخذ بسيف الحياء...»؟

وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول إن ما يشير إلى هذه المقولة وقع في كلام الإمام ابن حجر الهيتمي الآتي: «ألا ترى إلى حكاية الإجماع على أن من أخذ منه شيء على سبيل الحياء من غير رضا منه بذلك لا يملكه الآخذ، وعللوه بأن فيه إكراها بسيف الحياء فهو كالإكراه بالسيف الحسي، بل كثيرون ممن يقابلون هذا السيف -أي: السيف الحسي- يتحملون مرار جرحه، ولا يقابلون الأول -أي: سيف الحياء- خوفا على مروءتهم ووجاهتهم التي يؤثرها العقلاء ويخافون عليها أتم الخوف...»[6].

فهذا فيما يبدو هو ما جرى على ألسنة الفقهاء وطلاب العلم المعاصرين ابتداء، ثم تداوله العامة متوهمين أنه من كلام النبي ﷺ.

ولا بد هنا من التأكيد على أن هذا الكلام إن حمل على معنى أنه لا ينبغي لأحدنا أن يستغل وداعة الآخرين وغلبة الحياء عليهم فيقتطع شيئا من حقوقهم المادية أو المعنوية؛ فهو صحيح.

أما إن حمل على معنى ذم الحياء نفسه وأنه لا ينبغي للإنسان أن يكون حييا خشية من الوقوع في محذور استلاب حق من حقوقه، فلا، وذلك أن الحياء خلق إسلامي أصيل، بل هو الشعبة التي خصها النبي ﷺ بالذكر في حديث شعب الإيمان المشهور، الذي أخرجه صاحبا الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»[7]، وفي رواية: «الحياء من الإيمان»، وفي أخرى: «الحياء خير كله أو كله خير».

وإنما جعل الحياء من الإيمان -وإن

كان غريزة- لأن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وعلم.
وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الحياء لا يأتي إلا بخير» فقد يشكل، وذلك فيما لو حمل الحياء صاحبه على الإخلال ببعض الحقوق؟
وجواب هذا الإشكال: أن المراد بالحياء في الأحاديث ما يكون شرعيا.
وأما الحياء الذي ينشأ عنه إخلال بالحقوق فليس بحياء شرعا، بل هو عجز ومهانة، وإنما يطلق عليه حياء لمشابهته للحياء الشرعي.
فمن الحياء المذموم -على سبيل المثال- الحياء الذي يمنع من تعلم أحكام الدين، ورضي الله عن السيدة عائشة رضي الله عنها، فقد أثنت على نساء الأنصار خيرا إذ لم يمنعهن الحياء من التعلم، فقالت: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[٨].
وقد كان هذا الخلق خلق النبي ﷺ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ «أشد حياء من العذراء في خدرها»[٩].
وقد أثبت المولى سبحانه بنص كتابه الكريم للنبي ﷺ أنه كان يستحي من أصحابه إذا كانوا بحضرته، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ (الأحزاب:٥٣) وسبب نزول هذه الآية ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام، قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل... وأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ...﴾ (الأحزاب:٥٣)[١٠].
ولكن تحلي الرسول المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بهذا القدر العالي من الحياء لم يكن يمنعه ﷺ من أن يصدع بالحق إذا تعدى أي أحد على حرمة من حرمات الله.
عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «...ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم بها لله»[١١].
والخلاصة فإن الحياء الشرعي: (هو خلق يبعث على ترك القبيح).
لذلك قيل: إن من علامات المستحي (ألا يرى بموضع يستحيا منه).
وقال ابن أبي الدنيا: قيل لبعض الحكماء: ما أنفع الحياء؟ قال: أن تستحي أن تسأله ما تحب وتأتي ما يكره[١٢].
ومن أقوالهم في الحياء:
- (من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه) عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١٣].
- (خمس من علامات الشقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل). الفضيل بن عياض[١٤].
- (الحياء والتكرم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبد إلا رفعه الله عز وجل بهما). الحسن البصري[١٥].
وأخيرا يقول الجريري: «تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدين، حتى رق الدين.. ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة»[١٦].

الهوامش

١- مروي من طرق كثيرة عن عدد من الصحابة. ينظر البدر المنير (٦٩٣/٦).
٢- أخرجه أحمد في مسنده (٢٣٠٠٦)، وابن حبان في صحيحه (٥٩٧٨).
٣- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٤١/١٥).
٤- أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات (٣٠٥٢).
٥- ينظر صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها.
٦- في الفتاوى الفقهية الكبرى (٣٠/٣).
وابن حجر المقصود هنا هو: شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الهيتمي، الشافعي، منسوب إلى محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر، كان إمام الشافعية في عصره، واشتهر بكتابه (تحفة المحتاج لشرح المنهاج) أحد الكتب المعتمدة للفتوى، جاور بمكة وتوفي فيها (٩٧٣هـ).
٧- أخرجه البخاري: في الإيمان، باب أمور الإيمان (٩) ومسلم في الإيمان، باب شعب الإيمان (٧٥).
٨- أورده البخاري في كتاب العلم معلقا (٣٨/١)، وأخرجه مسلم رقم (٥٢٦).
٩- البخاري في المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٣٩٠) ومسلم في الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ (٤٣٨٦).
١٠- البخاري في تفسير القرآن (سورة البقرة) باب قوله: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ (الأحزاب:٥٣)(٤٥١٧)، ومسلم في كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش (٢٦٤٨).
١١- البخاري في المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٣٨٨) ومسلم في الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح (٤٣٩٧).
١٢- التوبة لابن أبي الدنيا: (٩٤)، وأورده أبو نعيم من كلام أحمد بن عاصم الأنطاكي، حلية الأولياء (٢٨٢/٩).
١٣- المعجم الأوسط للطبراني: رقم (٢٢٩٩)، وشعب الإيمان للبيهقي، فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، (٥٩/٧).
١٤- الزهد لابن أبي الدنيا رقم (٢٠٨) وشعب الإيمان: (١٨٢/١٠).
١٥- مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، رقم (١٠٥)، الكرم والجود للبرجلاني، رقم (٣٣).
١٦- آداب الصحبة لأبي عبدالرحمن السلمي (ص:٧٣)، وقال: كنت أستحسن هذه الحكاية لأبي محمد الجريري، فوجدت مثلها للشعبي فزادها حسنا.

بقلم: غانم عودة



البنان: عين الكفيف وأذن الأصم

ذكر البنان في القرآن الكريم في موضعين هما: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال:١٢).

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة:٤).

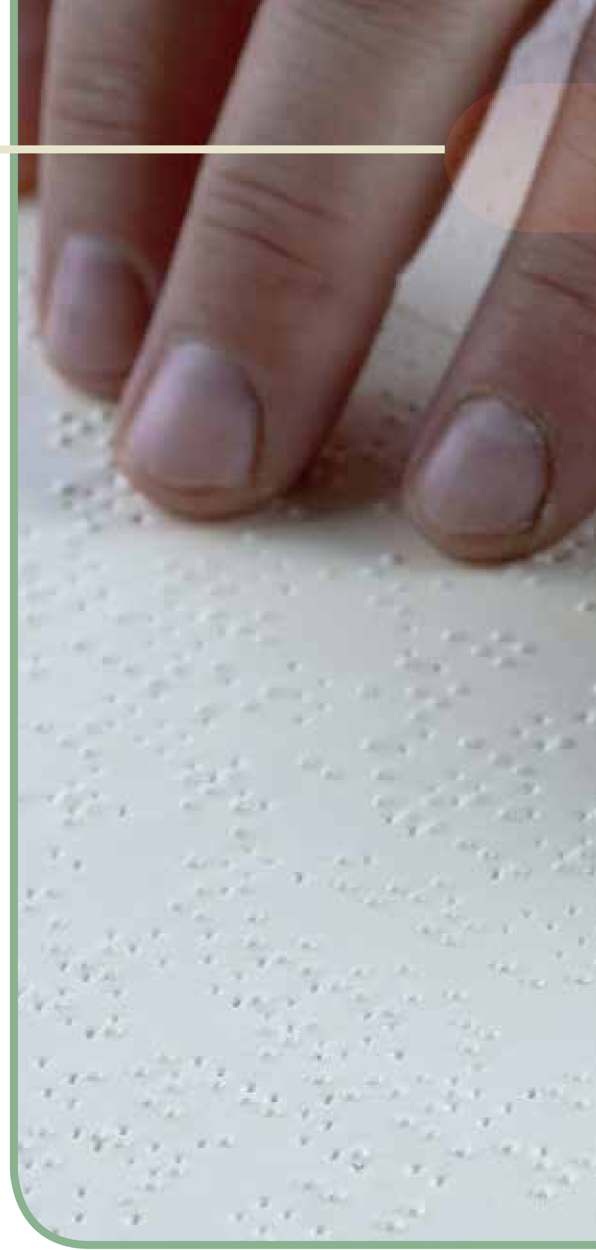
وعلى الرغم من قلة ذكر البنان في القرآن مقارنة مع بقية أعضاء الجسم أو الجوارح التي تكرر ذكرها كثيرا مثل: السمع، البصر، الفؤاد، والعقل، ومشتقاتها، فإن ذلك لا يقلل من أهمية البنان وعظم إعجاز خلقه.

فالبنان هو: الأصبع، وفي «لسان العرب» البنان: الأصابع، وواحدتها بنانة. وقيل: أطراف الأصابع (انظر معجم الطب إصدار: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، مادة بنان).

وتتمثل قدرة الله العظيمة المبدعة وإعجازه الجليل في خلق البنان؛ فالبنان معجزة عظيمة من عدة وجوه، فهو صانع الحضارة وبانيها، فخلافة الإنسان في الأرض وتعميرها تكون بالبنان الذي يحصد ويزرع، ويصنع ويمارس الحرف، ويشيد المباني والمنشآت، بل إن البعض يرى أن البنان مشتق من قولهم: «أبن بالمكان» أي: «أقام فيه»، والإقامة والاستقرار ينتج عنهما بالضرورة البناء والإعمار.

البنان هو المنفذ والمدافع والخادم المطيع للقيادة المتمثلة في العقل والقلب، وهما مصدر التفكير والتخطيط وإصدار الأوامر، بينما السمع والبصر مجرد قنوات ومسالك للتوصيل، فالعين مجرد كاميرا، والأذن مجرد جهاز تسجيل أو سماعة، ولكن هذه المنظومة المتكاملة المتناسقة تبقى سلبية ما لم يتعاون ويتآزر معها البنان بالتنفيذ والعمل باعتباره الطاقة والقوة الفاعلة والمنفذة.

وإذا كان الله تعالى قد خلق الإنسان وجعله في أحسن تقويم، وهذا التقويم الحسن لا شك أنه من إحدى المعجزات، وخلق البنان يدخل ضمن هذا التقويم



الحسن، فتركيب الأصابع بنظام معين باليد وموقعها، خصوصا الإبهام وما يتميز به من مرونة ومفاصل، وقدرة على الحركة والانبساط والانقباض، وحرية في الحركة، وقبض وإمساك الأشياء، والقيام بالمهارات الإبداعية والدقيقة جدا، كالكتابة والنقش والرسم، واستخدام الأدوات الدقيقة وغيرها، لا شك أنه تقويم حسن ومعجزة عظيمة، ولم تتوقف تلك المعجزة عند كونها مظهرا جماليا، بل هي مظهر من مظاهر عجيب قدرة الله، إذ يبين الله أنه قادر على خلق كبير الأشياء وصغيرها، بل إن بعض الأشياء الكبيرة كالجسد لا يكتمل إتمامه إلا بأشياء صغيرة كالبنان (ذلك أنه إذا وجدت الأنامل والبنان فقد تمت خلقة الجسد) (انظر تيسير الكريم المنان في تفسير آيات القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار السلام، ط٢، ٢٠٠٢م، ص:١٠٦٠).

ربما يكون الإنسان بسبب اعتياده على استخدام اليد والبنان بشكل تلقائي طوال الوقت لا يشعر بأهمية وعظم خلق البنان، لا سيما أن البنان مجرد عضو صغير جدا في جسمه، لكن في عصرنا الحديث بدأ الناس يتنبهون لمعجزة البنان المتمثلة في «البصمات»، والتي تختلف من إنسان إلى آخر، بل وتختلف من أصبع إلى أصبع في اليد الواحدة، وتعتبر فتحا كبيرا في مجال الأدلة الجنائية والطب الشرعي، ولكن هناك أعضاء أخرى تشارك البنان في التعرف على الهوية مثل: الحمض النووي (DNA) وبصمة العين وغيرهما.

وعلاوة على ما سبق من معجزات للبنان، يعتبر البنان حلا بديلا لغياب بعض الحواس، وهي المعجزة التي لم يتنبه إليها أحد، ولم تكن موجودة من قبل، فهو السبيل الذي يمكن الكفيف من القراءة المعروفة بخط "برايل"، والمعتمدة اعتمادا كليا على حاسة اللمس، ليحل البنان محل العين في القراءة، حيث إن عملية القراءة لا يمكن ممارستها إلى من خلال حاسة البصر بالنسبة إلى الشخص المبصر، وبعد البحث والاكتشاف ظهرت طريقة «برايل» التي فتحت مجال القراءة للكفيف من خلال البنان، في طاقة بنانية عجيبة لم تتح لباقي الحواس، وكذلك الحال بالنسبة إلى غياب حاسة السمع، فقد استخدم البنان كتعويض عن غياب هذه الحاسة من خلال الاعتماد عليه في عملية التواصل بين ذوي الإعاقة السمعية والمجتمع، من خلال اعتمادهم على لغة الإشارة في التعامل. وهكذا يتضح ما أشار إليه القرآن، وهو أن الجلد قد يشهد على صاحبه تماما كالسمع والبصر، وذلك لأنه قادر على القيام بدورهما في بعض الأحيان، كما أسلفنا من خلال القراءة والتواصل الاجتماعي، إذ يقول جل من قائل:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ (فصلت:٢٠-٢١)، فالجلد أحد مكونات البنان، وشاهد على صاحبه إضافة إلى السمع والبصر ذلك لأنه مكمل لأعمالهما بل قد يحل عنهما إن استلزم الأمر، فقد يسجل اعترافات الكفيف مكتوبة بواسطته دون الحاجة للسان والنطق، وقد يسجل اعترافات الأصم دون الحاجة للسان الذي هو مفقود عنده من الأساس.

وهكذا تتجلى معجزة الله الكبرى في البنان، فهو وسيلة أساسية للعمل والتشييد الكوني من خلال قيامه بعملية البناء، ومصدر جمالي من خلال حسن تنسيق الأصابع وتنظيمها، وشاهد على إعجاز الله من خلال صغر حجمه وتعدد مهامه، ومصدر تغذية فكرية من خلال قيامه بعملية القراءة للمكفوفين، ومصدر تواصل اجتماعي من خلال قيامه بعملية التعبير عند ذوي الإعاقة السمعية، فسبحان من وضع سره في أضعف خلقه.

إعداد
علاء عبدالفتاح



مقتنيات إسلامية من القرن الأول الهجري وحتى العصر الحديث

متحف طارق رجب.. بيت الحضارات

في منطقة سكنية لا توحي بأنها تمتلك هذا الكنز الثقافي الرفيع تقبع مقتنيات متحف من أروع ما يمكن أن تقع عليها عيناك.

يمكنك أن تسميه بيت الفن الإسلامي العريق ويمكنك أن تطلق عليه بيت الحضارات.

هنا في الكويت أحياء صاخبة ممتلئة بالأنشطة الاستثمارية وأحياء هادئة نادرا ما تسمع فيها بوق سيارة عابرة ومتحف طارق رجب يقع في الصنف الأخير من الأحياء وهو ما يسمى الجابرية نسبة إلى الشيخ جابر بن عبدالله الصباح.

في قطعة رقم ١٢ وبداية شارع رقم واحد ثمة تذكرة للدخول وهي تعادل ستة دولارات أميركية وما أن تدخل حتى تفاجأ بكم هائل من المقتنيات تسلمك الواحدة إلى أخرى صعودا وهبوطا في طوابق الفيلا التي حوتها. ثمة مبنى آخر في شارع رقم ٥ يمكنك زيارته أيضا للتأمل في مزيد من المقتنيات.



يضم المتحف الذي افتتح للجمهور عام ١٩٨٠م، نسخة من القرآن الكريم تعود إلى القرن الرابع الهجري، وكرسيا خشبيا مزخرفا يعود للقرن التاسع عشر الميلادي، وسوارا ذهبيا من العصر الفاطمي، ومجمرة البخور (مبخرة) من









العصر السلجوقي والعديد من المخطوطات العربية والفخاريات الإسلامية والأدوات الموسيقية والأثاث العربي والإسلامي القديم، بالإضافة إلى المشغولات الذهبية والفضية، فضلا عن الأزياء التراثية التي تعود إلى كثير من البلدان العربية والإسلامية وغيرها الكثير والكثير.

كذلك هناك مجموعة فنية تنتمي إلى حضارات شتى، تعكس بدورها ألوانا متنوعة عبر مقتنيات من القرن الأول الهجري وحتى العصر الحديث.

والمدهش أن شخصا فردا هو الراحل الوطني الأصيل طارق رجب يخلف وراءه كل هذا الإرث وقد جمع مقتنياته بمعاونة زوجته البريطانية جيهان المتخصصة في دراسة المجتمعات الإنسانية، بعد أن جمعهما اهتمامهما بالفنون.

وبحسب المعلومات الشائعة فقد استغرق جمع القطع نحو نصف قرن تخللته رحلات ثقافية قام بها الزوجان بين عواصم ومدن العالم وهي تقدر بملايين الدولارات.

٣٠ ألف قطعة

يضم متحف طارق رجب مجموعة من أكثر من ثلاثين ألف قطعة تم جمعها على مدى السنوات الخمسين الماضية، منها حوالي عشرة آلاف في المعرض الدائم. وكان طارق سيد رجب أول كويتي يرسل إلى الخارج لدراسة الفن والآثار. وقد درس طالب في المملكة المتحدة، والتقى زوجته المستقبلية، جيهان ويلبورن، وكانت منذ طفولتها مهتمة بالتاريخ والفنون.



مكرم الحداد
باحث في تاريخ الفن والعمارة الإسلامية

المقرنسات.. أيقونة الفن الإسلامي

المقرنس أو المقرنص أو المقربص أو الدلايات، أو غيرها من الأسماء التي تعددت بتعدد أشكال وأحجام وتوظيفات هذا العنصر المعماري الزخرفي، هو شكل من أشكال الإبداع الإسلامي الذي لا تجده عند أي حضارة إنسانية أخرى، إلا تقليدا، يتطبع بطابع الجغرافيا فتتغير أشكاله وطرق بنائه بتغير الخصائص المكانية، ويتأثر بعامل اللغة فتتغير أسماء مفرداته ووحداته بتغير لسان صناعه، تختلف توظيفاته من المساحات المغلقة إلى الزوايا والحنايا الركنية وليس انتهاء بالمآذن والمحاريب والقباب، فتتعدد مادته وتتنوع بتنوع تلك الوظائف، منه الحجري والجصي والخشبي والرخامي والخزفي.

لا تكاد تخلو بقعة من البقاع التي طالها المسلمون إلا وكان للمقرنس حضور في عمارتها. من طشقند وبخارى وتيم وأصفهان وأذربيجان، مرورا ببغداد ودمشق وحلب وقونيا وإسطنبول، فمصر وإفريقية وتلمسان وصقلية النورمندية، فمكناس وفاس ومراكش والأندلس. وغيرها كثير من حواضر الفن والعمارة التي سطعت فيها لدهر نجوم المعرفة والعلوم والحكمة فأنارت الدنيا بما علت.

كثير من الباحثين حاولوا التشكيك في عروبة تسمية «المقرنس» فنسبها بعضهم إلى اليونانية والتركية القديمة وغيرها من اللغات. لكن في نصوص اللغة شواهد لا تقوى أمامها تلك المزاعم، فالاسم موغل

في العروبة حد اليقين. ولعل أقدم ذكر معجمي للمقرنس هو ذلك الذي ذكره رضي الدين الصاغاني الذي عاش في القرن السابع للهجرة حيث عرفه بقوله: «وسقف مقرنس: عمل على هيئة السلم». ومن أقدم الاستعمالات لهذا اللفظ، ما ذكره كتاب «ترصيع الأخبار وتنويع الآثار» لأحمد بن عمر العذري ابن الدلائي الأندلسي (٣٩٣ -٤٧٨هـ). حيث أطلق الكاتب لفظ المقرنس في معرض وصفه للقصر الذي بناه محمد بن معن والي المرية (٤٤٦-٤٧٧هـ)[١]. كما أن العالم الفلكي وعالم الرياضيات المسلم غياث الدين الكاشي (توفي سنة ٨٣٩هـ) ذكر في كتابه مفتاح الحساب تعريفا للمقرنس وأنواعه، وهو أقدم تعريف وصل إلينا. وإلى جانب ذلك أيضا، نجد أن استعمال لفظ المقربص المنتشر في المغرب العربي والأندلس يعود إلى القرن الثامن الهجري على الأقل. حيث استعمل علي بن أبي زرع الفاسي (توفي في ٧٢٦هـ) هذا اللفظ في كتابه المسمى «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس»[٢] عند حديثه عن بناء قبة في مسجد القرويين بفاس.

بالرغم من أن أقدم أشكال المقرنس المعروفة اليوم توجد في آسيا الوسطى ومنطقة ما وراء النهر إلا أن أول النماذج التي تجسد فيها كمال هذا العنصر هو القباب المخروطية البديعة في بغداد، ومنها انتشر استعماله في بلاد المسلمين حتى وصل في أقل من قرن إلى بلاد المغرب وصقلية والأندلس. فانتشر استعماله بدمشق وحلب منذ العهد الأيوبي، وفي مصر تزينت به واجهة مسجد الأقمر ومئذنة مسجد الجيوشي وقبة ضريح الإمام الشافعي وغيرها كثير. أما في المغرب فقد تأثر شكله بجغرافية المكان فاتخذ شكلا محليا وتغيرت أشكال وحداته، بل تغير اسمه أيضا فأصبح «مقربصا». ثم تزينت به السقوف والأقبية في جامعة القرويين ومدارس المرينيين بفاس ومسجد الكتبية بمراكش وكثير من المساجد السعدية وغيرها. وفي صقلية ازدان به بهو المصلى الملكي بباليرمو النورمندية ليعرض أجمل نموذج خشبي منه على الإطلاق. وعلى مقربة منه في قصر العزيزة تجلت مهارة الفنان المغربي في تطويع الحجارة ليقدم أجمل النماذج الحجرية لهذا العنصر البديع. أما الأندلس ففيها أبهى النماذج على الإطلاق.

كما شهدت أشكال المقرنسات تغيرات بنيوية ووظيفية كبيرة خلال رحلتها التاريخية، فأدى ذلك إلى ظهور نماذج فريدة يعكس كل منها طبيعة بيئته وخصائص زمانه. وإذا نظرنا بشكل بانورامي إلى الخط الزمني الذي سارت فيه المقرنسات خلال رحلتها لوجدنا أن المرحلة النصرية بغرناطة هي بمنزلة الذروة منه. وبالتحديد القباب والأفاريز وتيجان الأعمدة المقرنسة التي يحويها قصر الحمراء. فمع هذه النماذج توقف تطور هذا الشكل المعماري وأصبحت تصميمات المقرنس اللاحقة تعتمد في بنائها على نفس الوحدات التي استقر شكلها على ما انتهى إليه تطورها في عصر بني الأحمر. والغريب في الأمر أن المقرنس العثماني أيضا توقف عن التطور في هذه المرحلة تقريبا، بعد أن شهد مسيرة تطور عن سلفه السلجوقي، وأصبحت نماذجه اللاحقة كلها عالة على الأشكال التي استقرت عندها وحداته. وكذلك الأمر بالنسبة للمقرنس الإيراني، حيث استقرت أشكاله ولم يعد للإبداع نصيب منه إلا في تغيير التصاميم والأحجام والاستخدامات. وكأن عجلة تطور المقرنس وانتشاره أخذت في التباطؤ مجاراة لبداية مرحلة الضمور الشامل التي شهدتها الحضارة الإسلامية منذ ذلك العصر.

الهوامش

١- «ويليه في قبلته مجلس عظيم أيضا على أبواب مفتحة ودفف على حكاية دفف المشرق، بل أغرب في النقش والإتقان، مفروش ذلك المجلس بالرخام الأبيض سطحه وأرزه، ويليه في القبلة منه دار كبيرة قد أتقنت بأنواع التذهيب وغرائبه تحار فيه الأبصار ويليه في قبلته مجلس عظيم مقرنس بالرفوف المزوقة المنقوشة المنزول فيها الذهب الطيب مفروش بالرخام الأبيض وقد أزر بالرخام المنقوش». انظر: أحمد بن عمر العذري ابن الدلائي الأندلسي، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبدالعزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ١٩٨٨م، ص٨٥.

٢- أبو الحسن علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ١٩٧٢م، ص٦٧.

د. صبري أحمد نصره
كاتب وطبيب أسنان



«تخلخل الأسنان»

تخلخل الأسنان يعني أن يقل ثبات الأسنان وتبدأ في التحرك، ويعزى ذلك إلى تآكل العظام المحيطة بها وتمزق النسيج الذي يربط هذه الأسنان بعظام الفك، وهو قد يكون عرضا لأمراض شتى: منها ما هو عام يخضع لمؤثرات خارج نطاق الفم (عامة)، ومنها ما يكون الفم نطاقه الأوحد (موضعية).

وتتفاوت درجة تخلخل الأسنان تبعا للسبب الذي أدى إليه وتبعا لتفاقمه، فقد يصل إلى درجة لا ينفع معها العلاج سوى القلع.

وهذه بعض من الأسباب -عامة وموضعية- التي تؤدي إلى إمكان حدوث التخلخل.

الأسباب العامة ومنها:

مرض الأسقربوط

والذي ينجم عن نقص فيتامين (C)، ومن المعروف أن هذا الفيتامين يذوب في الماء وأن أية كمية فائضة عن حاجة الجسم تنزل مع البول ولا تختزن، وبالتالي تفقد معدلها الطبيعي، مما يلزم الجسم الاستعاضة عنها بالأطعمة الغنية بفيتامين (C) كالموالح. ولنقصه تأثير مباشر على الفم والأسنان، حيث تتضخم اللثة وتأخذ الشكل الإسفنجي وتتلون باللون الأحمر مع النزف اللثوي لأبسط ملامسة، كما تظهر رائحة كريهة في الفم.. وتكون النتيجة تخلخل الأسنان وربما فقدانها نهائيا.

مرض البول السكري

هذا المرض الذي يترك بصماته على أجزاء مختلفة من الجسم ومنها الفم والأسنان، حيث يؤدي إلى تخلخل الأسنان نتيجة لفقدان الأنسجة المثبتة لها.

اختلال توازن الغدة الجار درقية

وهي التي تفرز هرمون الباراثورمون الذي يوازن نسبة عنصر الكالسيوم في الجسم دون زيادة أون نقصان، أما إذا حدثت الزيادة فإن من نتائجها أن تؤدي إلى تخلخل الأسنان.

الأسباب الموضعية ومنها:

مرض البيوريا أو الرعال الذي يصيب رباط الأسنان وعظم الفك المثبتة به الأسنان واللثة.

بعض العادات الفموية السيئة مثل: عض الشفاه، عض الخد، قضم الأظافر بواسطة الأسنان، الدفع المستمر من اللسان إلى الأسنان الأمامية، مص الأصابع، وغيرها.

ازدياد قوة أطباق الأسنان.

وجود جيوب عميقة في غشاء ما حول الجذر.

وجود خراريج في أغشية ما حول الجذر.

خلع الأسنان وإهمال البدائل الصناعية لها، مما يفقد الأسنان المجاورة تماسكها.





ذوبان عظام الفك

بعض الحشوات غير الصحيحة والتي تؤدي إلى زيادة قوة أطباق الأسنان.
بعض عمليات اللثة غير المتقنة كنتيجة لذوبان العظم الساند لها.

الوقــاية

هنـاك بعـض المقـترحـات التـي من شـأنـها أن تحـد مـن إمـكـان حـدوث تخلخل الأسنان، ومنها:
الحفاظ على صحة باقي الجسم لأنه بينها وبين صحة الأسنان علاقة قوية.
تناول الأطعمة الحلوية على فيتامين (C).
الإقلاع عن العادات الفموية السيئة كعض الشفاه وغيرها.
البدائل الصناعية للسن أو الأسنان التي يتم قلعها.
الحفاظ على اللثة صحيحة سليمة.

العـــلاج

التحري عن السبب الـذي أدى إلى تخلخل الأسنان سـواء أكان عاما أم موضعيا، فيمكن بذلك الوصول إلى أصل الداء ومعالجته.. فمثلا إذا كان السبب عاما ناجما عن نقص فيتامين (C)، فإن العلاج يكون بواسطة تناول كميات منه بطريق الفم أو الحقن. وهـذا الفيـتامين يـوجد بـكثـرة في الحمضيات مثل الليمون والبرتقال، كما يوجد في الخضراوات كالسبانخ والجزر والجرجير.
أما إذا كان السبب موضعيا كوجود بعض الحشوات غير المتقنة، فتجب إزالـة هـذه الحـشـوات واستبدالها بـأخـرى صـحيـحة، كـذلـك إذا كـان السبب خلع عدد من الأسنان، فيتم عمل التعويضات الصناعية كبدائل عن الأسنان التي تم قلعها.. وهكذا.
وبعض الحالات غير الشديدة، سواء أكان السبب عاما أو موضعيا، يكون بالإمكان تثبيت هذه الأسنان بواسطة سواند معدنية أو شرائط من الألياف الزجاجية الرقيقة تربطها بالأسنان القوية المجـاورة، أو تثبت في نظام الفك.
وفي حالة تفاقم درجة التخلخل، فإن العلاج يكون قلع السن أو الأسنان المصابة.
ونجدر بالإشارة إلى أن الوقاية تظل دائما أهم من العلاج، إذ يجب على الـفـرد -مـريـضا كـان أم صحيحا- القيام بزيارات دورية لطبيب الأسنان لعلاج أي أمر قد يصبح مستفحلا إذ ما أهمل علاجه.

المراجع والمصادر

١- Notes in Peiodontology، By D. Zubeida M. Nou.
٢- كل أمـراض اللـثة والأسـنـان: د.مـاجد نجـم، كـتاب الـيوم الطبي العدد ٥٧، ١٥ ديسمبر ١٩٨٦م.
٣- أسنانك وكيفية الوقاية منها: د.فاروق مرشد، كتاب اقرأ، رقم ٣١٨.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث









سلسلة الأعلام المتشابهة (٥٦)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «الجوزية»

١- شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) (الأب):

هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن قيم الجوزية، أحد كبار العلماء.

ولد بدمشق سنة ٦٩١هـ، تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وأطلق سراحه بعد موت ابن تيمية.

من أشهر مصنفاته: «تحفة المودود بأحكام المولود»، و«زاد المعاد في هدي خير العباد»، و«مدارج السالكين»، و«الوابل الصيب من الكلم الطيب»، و«روضة المحبين ونزهة



المشتاقين»، و«حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» في ذكر الجنة، و«التبيان في أقسام القرآن»، و«طريق الهجرتين»، و«عدة الصابرين».. وغيرها من المصنفات. توفي بدمشق[1].

٢- برهان الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٦٧هـ) (الابن):

هو برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي، عالم في النحو، والفقه. ولد سنة ٧١٩هـ، من مصنفاته: «إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك»، و«تحقيق القول في سنة الجمعة»، و«اختلاف المذهبين»، و«اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية النميري»، مات في شهر صفر بالمزة، ودفن بدمشق[2].

المتفق والمفترق في اسم «الباجوري»

١- الباجوري (ت:١٢٧٧هـ):

هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، شيخ الجامع الأزهر، من فقهاء الشافعية. ولد في الباجور من قرى المنوفية، بمصر، سنة ١١٩٨هـ، ونشأ فيها، وتعلم في الأزهر، وتقلد مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣هـ، واستمر إلى أن توفي، من مصنفاته: «حاشية على مختصر السنوسي» في المنطق، و«التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية» في الفرائض، و«تحفة المريد على جوهرة التوحيد»، و«تحقيق المقام حاشية على كفاية العوام للفضالي» في علم الكلام، و«حاشية على أم البراهين والعقائد للسنوسي» و«المواهب اللدنية» حاشية على شمائل الترمذي، و«فتح الخبير اللطيف» في الصرف، و«الدرر الحسان فيما يحصل به الإسلام والإيمان»، و«تحفة البشر على مولد ابن حجر» وغير ذلك.

توفي بالقاهرة في شهر رمضان[3].

٢- المتفق والمفترق في اسم (الباجوري):

١- الباجوري (ت:٨٩٠هـ):

هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن الباجوري الشافعي المصري. ولد سنة ٨٢٠هـ، من تصانيفه: «أسنان المفتاح في اختصار فتح الجامع»، و«فتح الجامع ومفتاح ما أغلق على المطامع شرح جامع المختصرات للدلجى» في الفروع.

٢- الباجوري (ت:١٢٧٧هـ):

هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، شيخ الجامع الأزهر، من فقهاء الشافعية. ولد في الباجور من قرى المنوفية، بمصر، سنة ١١٩٨هـ، ونشأ فيها، وتعلم في الأزهر، تقلد مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣هـ، واستمر إلى أن توفي، من مصنفاته: «حاشية على مختصر السنوسي» في المنطق، و«التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية» في الفرائض، و«تحفة المريد على جوهرة التوحيد»، و«تحقيق المقام حاشية على كفاية العوام للفضالي»، في علم الكلام، و«حاشية على أم البراهين والعقائد للسنوسي» و«المواهب اللدنية» حاشية على شمائل الترمذي، و«فتح الخبير اللطيف» في الصرف، و«الدرر الحسان فيما يحصل به الإسلام والإيمان»، و«تحفة البشر على مولد ابن حجر» وغير ذلك.

توفي بالقاهرة في شهر رمضان[4].

٣- الباجوري (كان حيا سنة:١٣٢٣هـ):

هو محمود بن عمر بن أحمد الباجوري، من أسرة انتقل أصلها من جزيرة العرب وسكنوا الباجور بالمنوفية.

تخرج في دار العلوم بالقاهرة، وصار فيها مدرسا للحساب والهندسة والجغرافية وتاريخ الإسلام والبلاغة والنحو، وفي مدرسة الهندسة: التوحيد والفقه الحنفي، وكان من أعضاء الوفد المصري في المؤتمر العلمي الشرقي ببلاد السويد والنرويج سنة ١٨٨٩م، وقدم للمؤتمر رسالته «أمثال المتكلمين من عوام المصريين»، ثم حضر مؤتمر اللغات الشرقية في لندن سنة ١٨٩١م، وتولى إدارة مجلة «التربية» في مصر.

من مصنفاته: «أدب الناشئ»، و«التذكرة في تخطيط الكرة» في الجغرافيا، و«تنوير الأذهان في الصرف والنحو والبيان»، و«الفصول البديعة في أصول الشريعة»، و«القول الحق في تاريخ الشرق»، و«المنتخبات الأدبية»[5].

الهوامش

١- انظر: الدرر الكامنة (٤٠٠/٣)، والأعلام للزركلي (٥٦/٦)، ومعجم المؤلفين (١٠٦/٩).
٢-انظر: الدرر الكامنة (٥٨/١)، الوفيات لابن رافع (٣٠٣/٢)، والأعلام للزركلي (٧٨/٤).
٣-انظر: حلية البشر (٥/١)، والأعلام للزركلي (٧١/١)، معجم المؤلفين (٨٤/١).
٤- انظر: معجم المؤلفين (٧٧/١١).
٥- انظر: إيضاح المكنون (١٢٥/١-٣٣٢)، الأعلام للزركلي (١٧٩/٧)، ومعجم المؤلفين (١٨٤/١٢).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

الموسوعة الكونية الكبرى

آيات العلوم الكونية وفق أحدث الدراسات الفلكية والنظريات العلمية

الموسوعة الكونية الكبرى
آيات العلوم الكونية
وفق أحدث الدراسات الفلكية
والنظريات العلمية
د. ماهر أحمد الصّوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة
٢٦٩ عالماً وباحثاً شاركوا بآرائهم في هذه الموسوعة
قدم للموسوعة
د. محمد سعيد رمضان البوطي
د. محمد جمعة سالم
د. عكرمة سليم صبري
د. عبد المعطي البيومي
د. فاروق حمادة
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «الموسوعة الكونية الكبرى» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالموسوعة الكونية الكبرى

الموسوعة تعني كتابا أو مجموعة من الكتب تشتمل على معلومات عن أشخاص وأماكن وأحداث وأشياء مرتبة ترتيبا ألفبائيا أو موضوعيا. ويمكن أن تتطرق الموسوعة إلى كل مجالات المعرفة، أو تختص بمجال معرفي واحد. ومن هنا، فإن الموسوعة التي بين أيدينا هي موسوعة خاصة، تحدثت عن خلق الكون والأرض ونشأة الحياة، وخلق الإنسان والحيوان والطير والحشرات والنبات، والنوم والرؤى والأحلام، كما تحدثت عن الإعجاز في الأرض والجبال والبحار والفضاء، وكذلك تحدثت عن الإعجاز التشريعي والغيبي والرقمي واللغوي، وتحدثت عن آيات الله في الرياح والمطر والبراكين. وقد تناولت موضوع نهاية الكون والحياة والموت وقيام الساعة والحشر وتبديل السماوات والأرض. وقد صدرت هذه الموسوعة الرائعة سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م في بيروت.

ألف هذه الموسوعة الرائدة الدكتور ماهر أحمد الصوفي، عالم ومفكر معاصر وباحث في علوم الأديان، وقد شارك بآرائه في هذه الموسوعة ٢٦٩ باحثا وعالما في شتى العلوم والمعارف الإنسانية، كما قدم لهذه الموسوعة ثلة من العلماء الأفاضل، نذكر منهم: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، والدكتور عكرمة سليم صبري (خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس)، والدكتور فاروق حمادة (أستاذ السنة وعلومها بجامعة الملك محمد الخامس بالرباط - المغرب).

المصادر العلمية لهذه الموسوعة

لكل كتاب ولكل علم مصادره العلمية التي يعتمد عليها، وبما أن موضوع هذه الموسوعة آيات الله في الكون كانت مصادرها كالآتي:

كتاب الله تعالى.

سنة النبي ﷺ.

كتب التفاسير المتنوعة لكتاب الله تعالى.

العلوم والمعارف الإنسانية وفق أحدث النظريات العلمية الحديثة.

الموسوعات العالمية والعربية والإسلامية.

الموسوعات الشخصية لكبار الكتاب والمؤلفين المعاصرين.

كبار المفسرين والعلماء والباحثين.

محتوى الموسوعة العام

تتألف هذه الموسوعة الرائعة من ٢٠ جزءا، وقد اختص كل جزء منها بعنوان وتناول موضوعا مختلفا عن باقي الأجزاء، فقد حمل أول جزء منها عنوان: «آيات العلوم الكونية وفق أحدث الدراسات الفلكية».

الجزء الثاني: «آيات العلوم الكونية وفق أحدث النظريات العلمية».

الجزء الثالث: «آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة».

الجزء الرابع: «آيات الله في السماء الدنيا والسماوات السبع»...

وهكذا باقي أجزاء الموسوعة كل جزء يحمل عنوانا وموضوعا.

نسخة مجلة الوعي

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة من هذه الموسوعة القيمة، وهي في متناول قرائها الكرام.

المصادر

الموسوعة الكونية الكبرى.

هشام الصباغ
باحث لغوي



الوزير.. والنائب الشعبي

أحمد مظهر العظمة

■ رجل دعوة من طراز خاص، كتلة من الحيوية والنشاط، مليء بالشهامة والاستقامة والغيرة، جم التهذيب، ناشر للفضائل، يحترم الكبير ويعطف على الصغير، جواد، عف اللسان، راجح العقل، صائب الرأي، ملجأ للناس في حل خلافاتهم، قوي الإرادة.

■ أسلوبه في الكتابة علمي رقيق، جزل، موجز، مع صناعة محمودة لا إسراف فيها ولا تكلف، وكتاباته رشيقة الألفاظ، وجمله لينة، وعباراته سهلة، ومعانيه مشرقة، يبعد عن المحسنات اللفظية، إلا ما سقط منها عفوا في مواضعه؛ يبدو ذلك في كثير مما يصفه مجملا في مقدمات مجلة «التمدن الإسلامي»، التي رئس تحريرها لمدة نيف وأربعين عاما وفي غيرها من المجلات والصحف العديدة.

■ أديب كبير، وقانوني، وإداري، وفقيه، ومفسر للقرآن، وشارح للحديث، وخطيب، وناثر، وشاعر، ومفن قدير.. منذ أول عهده بالتأليف سخر قلمه للعلم والإصلاح؛ فكتب في: التفسير، والسنة، والعقيدة، والعبادة، والمعاملة، والأخلاق، والتشريع، والتربية، والحضارة، والمدنية، والعلم، والثقافة، والمجتمع، والتراجم، والخطابة، وقرض الشعر.. إنه الأستاذ الوزير أحمد مظهر العظمة.

العظمة.. النشأة والتعليم

■ من أسرة عريقة، معروفة بأصالتها ووطنيتها؛ ولا غرو فهي التي قدمت الشهيد يوسف العظمة قربانا لحرية الوطن (شهيد ميسلون).. نسبها يرجع إلى «التركمان»، استوطنت دمشق واستعربت منذ ٤ قرون، وأول من عرف منها حسن بك تركمان (ت:١٠٤٠هـ)، الذي اشتهر بلقبه التركي «كميكلي» (أي العظمي).

■ ولد العظمة في حي سويقة ساروجا بدمشق في ١٧ مايو ١٩٠٩م، لوالد كان يعمل بالتجارة والزراعة، ما لبث أن توفي وخلفه يتيما وله ٨ أعوام.

■ في دمشق تلقى علومه كلها، بدءا بالمكتب (الكتاب)، وفيه قرأ القرآن ودرس مبادئ العلوم والحساب، ثم أنهى دراسته الابتدائية في مدرسة حي البحصة (الرشدية سابقا).. وفي عام ١٩٣٢م، حصل على شهادة «البكالوريا الثانية» (شعبة فلسفة) من مدرسة التجهيز (مكتب عنبر)، بعدها انتسب إلى معهد الحقوق وإلى مدرسة الأدب العليا (كلية الآداب) في الجامعة السورية وتخرج فيها عام ١٩٣٥م.

■ لم يكتف العظمة بدراسته الرسمية، فكان إلى جانبها يحضر حلقات العلم الشرعي عند كبار علماء عصره أمثال: الشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ صالح الحمصي، والشيخ أبي الخير الميداني، والشيخ خالد النقشبندي الحفيد.

حياته العملية

■ لمدة يسيرة من حياته مارس العمل بالمحاماة.. وفي عام ١٩٣٦م، سافر للتدريس بالعراق، وهناك امتد نشاطه إلى الإعلام والصحافة، ثم عاد إلى حلب والمدرسة الخسروية والفاروقية مدرسا في تجهيز البنين.

■ إلى دمشق نقل رئيسا لكتاب الضبط في ديوان المحاسبات، ما لبث أن استقال منه ليرشح نفسه للانتخابات، وفاز، لكن تلاعبا بالنتائج حدث؛ فاحتج لدى رئيس الجمهورية، وذاعت ظلامته بين الناس وأطلقوا عليه وقتها «النائب الشعبي»؛ فترضاه الرئيس وعينه عضوا بالوكالة في لجنة التربية بوزارة المعارف، ثم اختير عضوا أصيلا بعد سنة، ثم عين بلجنة تأديب الموظفين، فمفتشا للدولة، فرئيسا لمكتب تفتيش الدولة.

■ لم يغب عن واقعه المعيش، وكان يؤرقه ما يعانيه وطنه، فلما أتيحت له فرص المساعدة واتخاذ القرار عام ١٩٦٢م، باختياره وزيرا للزراعة (ثم أضيفت إليه وزارة التموين)، استشار أهل الاختصاص في فكرة تراوده لحل مشاكل الفلاحين والمزارعين التي أهمته وشغلت باله، فكانت الثمرة: الجمعيات التعاونية في المدن والقرى.. غير أنه أعيد سريعا إلى رئاسة تفتيش الدولة بعد عام ١٩٦٣م، وبقي فيها حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٩٦٩م.

عمله الفكري ورؤيته

■ حمل على أدب المتعة واللهو، ونادى بأدب الإصلاح؛ لحاجة الأمة الإسلامية الماسة إليه.. ورأى أن حضارة الإسلام شملت نواحي الحضارة جميعا، خلافا لما هي عليه حضارات الأمم؛ فحضارة اليونانيين الأثليين فلسفية فنية، والإسبارطيين مدنية جندية، والرومان

اشتراكية وحربية، والفرس صناعية وفنية، والهند فلسفية روحية.. أما الحضارة الإسلامية فهي روحية وخلقية واشتراكية وأدبية وفلسفية وعلمية وعملية.

«التمدن الإسلامي» ومنهجها

■ بدعوة من العظمة تم تأسيس جمعية «التمدن الإسلامي» عام ١٩٣٢م، التي ضمت صفوة علماء الشام وقتذاك مثل: حمدي السفرجلاني، عبدالفتاح الإمام ، محمد كمال الخطيب، سعيد الأفغاني.. وغيرهم كثير.

■ تولى رئاستها في البداية الشيخ السفرجلاني وحمل العظمة أمانة سرها، ثم تولى عام ١٩٦٢م رئاستها، غير أن رئاسة تحرير مجلتها منذ تأسيسها (١٩٣٣م) وإلى وفاته كانت إليه، وكان (كما يروي الشيخ علي الطنطاوي): «يحرر مجلتها، ويكتب فيها، ويقوم على ناديها، ويدعو المحاضرين إليه، ويحاضر هو فيه، وكان يدون بنفسه أسماء المشتركين في المجلة ويكتب هو عناوينهم بيده، ويلصق الطابع بذاته، ليوفر على الجمعية أجرة موظف يتولى هذا العمل، وظل على ذلك حتى وفاته عام ١٩٨٢م».

■ أُسست الجمعية في منهجها على اتباع الدليل من الكتاب والسنة، مع إدراك عميق لمقاصد الشريعة، وانفتاح وتعاون مع كل التيارات الإسلامية، دون انغلاق ولا تعصب، مع اهتمام بالغ بأحوال الأمة، وسد ثغراتها على كل صعيد.

إسلامية شعر العظمة

■ العظمة أديب كبير وشاعر فحل، لم ينسج بيتا واحدا فيما لا يؤمن به، ولا فيما لا غناء للمجتمع به؛ فهو ليس شاعر مناسبات وحوليات، بل مرآة تتجلى فيها المرئيات، وشعره يتميز بصدق العاطفة ونبل الغاية، غير مغرق ولا مسرف؛ لا في خيال يجعله كالأساطير، ولا في تزيين يجعله كدمى الأطفال.

■ الإسلام كان الدم الذي يسري في أوصال قريضه، الذي فاض به وبرسالته، متناولا جوانب طاقتها المشعة التي تبعث الحياة في الرقود، وتحيي الآمال، وتحيل الضعف قوة، وتغذي النفس عزيمة:

لله آيات الكتاب فإنها
تحيي الرميم وتبعث الأمالا
وتسابق الأجيال تجديدا فما
هرمت وإن شاخ الزمان وطالا
كالشمس في كل العصور مضيئة
تهدي الحياة الحسن والإفضالا

■ روى العظمة في شعره قصة مجد الأمة المخلد التي ما زادتها خطوب الزمان إلا قوة، فكانت بنهجها مؤثلة لحضارة فريدة ترفرف فوقها أعلام الهداية في ظل الشورى والأمان والعدل:

في شاطئ الأبد الرهيب مآذن
تلقى جنود المصطفى أشبالا
ساروا على النهج الرفيع فأصبحوا
للمجد أهلا والسيادة آلا

■ ولأن من «أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، لم يغب عن شعر العظمة التكافل الذي يملي الإخاء والمشاطرة والعون بين المسلمين:

أدركوا الخير والمروءة والإخلاص
والجود والإبا في حماها

مؤلفاته

■ تأثرت ثقافة العظمة بالأدب الفرنسي وبرحلاته شرقا وغربا، وكان نتاج ذلك العديد من المؤلفات، نذكر منها: في التفسير: «جزء عم»، «تبارك»، «قد سمع»، «الذاريات».. وبعض السور، وفي الحديث: «من الهدي النبوي الشريف»، وفي الثقافة الإسلامية والتوجيه الإذاعي والمنبري والمدرسي: «مذاعات سبل الإسلام»، وفي التاريخ والحضارة: «علي بن أبي طالب» (من سلسلة عظماؤنا للصغار)، وفي الأدب والشعر: «خواطر في الأدب ودراسة نصوصه ونقدها»، وأصدر ديوانه الشعري الأول «دعوة المجد» (إسلامي) عام ١٩٤٨م، بينما أصدر ديوانه الثاني «نفحات» (إسلامي) عام ١٩٧٢م.. وكانت له كتابات ومقالات كثيرة في كثير من المجلات والدوريات العربية الرصينة.

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الشاعر الأديب أحمد مظهر العظمة، رحمة الله عليه، تسع مساهمات مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «العالم الإسلامي، ع١٠»، و«العالم العربي والإسلامي، ع٨»، و«العالم العربي في ماضيه وحاضره، ع١٨»، و«الإمام الأوزاعي، ع٢٠»، و«طغيان ووئام (قصيدة)، ع٢٦»، و«ذكريات في الحج، ع٥٦»، و«صلاح الدين الأيوبي (قصيدة)، ع٥٨»، «عقائدنا الراسخة، ع٥٩»، و«شعبان وليلة النصف، ع١١٦».

وفاته

■ في آخر حياته أصابه مرض باركنسون، وتوفي، رحمة الله عليه، في مدينة دمشق بحي المالكي يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٠٣هـ، الموافق ٢٧ ديسمبر ١٩٨٢م.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- رابطة أدباء الشام.
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤- موقع: دربنا.نت (أ.حسان بدر الدين الكاتب).
٥- موقع دار الفكر.

❖ إعداد / تركي محمد النصر

من أمثال العرب

❖ «يطين عين الشمس»: يضرب لمن يستر الحق الجلي الواضح.
❖ «يسقي من كل يد بكأس»: يضرب للكثير التلون.
❖ «يمسي على حر ويصبح على بارد»: يضرب لمن يجد في أمر ثم يفتر عنه.
❖ «تطلب أثرا بعد عين»: يضرب لمن ترك شيئا يراه ثم تبع أثره بعد فوت عينه.
❖ «اترك الشر؛ يتركك»: أي: إنما يصيب الشر من تعرض له.

(انظر: مجمع الأمثال: ١/ ٣٢)

معرفة الأخ والصاحب

قال العلامة صالح بن جناح اللخمي الدمشقي رحمه اللّه تعالى: «كن مع الكريم على حذر إن أهنته، ومن اللئيم إن أكرمته، ومن العاقل إن أحوجته، ومن الأحمق إن مازحته، ومن الفاجر إن عاشرته، ولا تدل على من لا يحتمله إدلالك، ولا تقبل على من لا يحب إقبالك، وكن حذرا كأنك غر، وكن ذاكرا كأنك ناس، والزم الصمت.. فما أكثر من يندم إذا نطق، وأقل من يندم إذا لم ينطق».

انظر: الأدب والمروءة للخمي، (ص/ ١٩).

واو الثمانية

قال العلامة الشبشيري رحمه اللّه تعالى: «إن العرب تنتهي في التكثير من عدد الآحاد إلى سبعة، ولذلك إذا أتوا بالثمانية عطفوا عليها بالواو، ويعنون أنه قد انتهى عدد القلة، وخرج إلى عدد الكثرة، كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف:٢٢).

وتسمى (واو الثمانية)، وهي من خصائص كلام العرب، فيقولون: (واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، وثمانية) إشعارا بأن السبعة عندهم عدد كامل.

انظر: الجواهر البهية، (ص/ ١٩٦)

الخطأ في إفتاء الناس بمجرد المنقول

قال العلامة ابن القيم رحمه اللّه تعالى: «من أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب من كتب الطب على أبدانهم، بل هذا الطبيب الجاهل وهذا المفتي الجاهل أضر على أديان الناس وأبدانهم، واللّه المستعان».

(انظر: اعلام الموقعين: ١/ ٥٢).

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

إذا أردت درجة الأولياء

قال العلامة الزاهد ابن شيخ الحزاميين رحمه الله تعالى: «أيها الأخ إن أردت أن تنال درجة الأولياء أهل التقوى والخشية، فعليك بالحياء من الله عزوجل في الخلوات، واعلم أنه سبحانه يراك من فوق عرشه، وفوق سبع سماواته، وأنه يرى ما تتحرك به جوارحك، قال الله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ (النساء:١٠٨)، وكذلك يعلم ما توسوس به نفسك ويجول في صدرك؛ فعود نفسك أيها الأخ بالحياء من الله عزوجل ولو ساعة من نهار».

(انظر: مفاتيح طريق الأولياء وأهل الكمال من العلماء: ص/٣٣)

حكم ونفائس من أقوال العلماء

- ❖ من لم يحسن صهيلا نهق.
- ❖ من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه.
- ❖ من أيقن بالخلف جاد بالعطية.
- ❖ من خوفك حتى تلقى الأمن، خير لك ممن أمنك حتى تلقى الخوف.
- ❖ من كان عبدا للحق فهو حر.
- ❖ إعلان الشماتة كيد العدو العاجز.
- ❖ أخلق بمن غدر ألا يوفى له.
- ❖ لأن تبتلى بمجنون كامل خير لك من نصف مجنون.

(انظر: الحديقة لمحب الدين الخطيب: ١٥٨٥/٣)

عامر بن عبد الله.. راهب الأمة

أبو عمرو، عامر بن عبدالله، ويعرف بابن عبد قيس التميمي.

❖ قال مالك بن دينار: بلغنا أن كعبا رأى عامر بن عبد قيس، فقال: من هذا؟

فقالوا: هذا عامر.

فقال: هذا راهب هذه الأمة.

❖ ولما احتضر -رحمه الله- بكى فقيل له: أتجزع من الموت وتبكي؟ فقال: ما لي لا أبكي ومن أحق بذلك مني؟ والله ما أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على دنياكم، ولكني أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء.

❖ وكان يقول: اللهم في الدنيا الهموم والأحزان، وفي الآخرة العذاب والحساب، فأين الروح والفرح.

(انظر: صفة الصفوة: ١١٦/٢)

الأربعون النووية

أملى الإمام الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح مجلسا سماه (الأحاديث الكلية) جمع فيه الأحاديث الجوامع التي يقال إن مدار الإسلام عليها، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة، فاشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثا، ثم إن الفقيه الإمام الزاهد القدوة أبا زكريا يحيى النووي رحمه الله تعالى أخذ هذه الأحاديث التي أملاها ابن الصلاح وزاد عليها تمام اثنين وأربعين حديثا، وسمى كتابه: (الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام)، واشتهرت هذه الأربعون التي جمعها، وكثر حفظ الناس لها، ونفع الله بها ببركة جامعها، وحسن قصده رحمه الله.

(انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لابن رجب ٥٣/١)



إعداد: التحرير



صيام ستة أيام من شوال

المسلم مطالب بالمداومة على الطاعات، والاستمرار في الحرص على تزكية النفس.

ومن أجل هذه التزكية شُرعت العبادات والطاعات، وبقدر نصيب العبد من الطاعات تكون تزكيته لنفسه، وبقدر تفريطه يكون بُعده عن التزكية.

لذا كان أهل الطاعات أرق قلوبا، وأكثر صلاحا، وأهل المعاصي أغلظ قلوبا، وأشد فسادا.

والصوم من تلك العبادات التي تطهِّر القلوب من أدرانها، وتشفيها من أمراضها.. لذلك فإن شهر رمضان موسما للمراجعة، وأيامه طهارة للقلوب.

وتلك فائدة عظيمة يجنيها الصائم من صومه، ليخرج من صومه بقلب جديد، وحالة أخرى.

وصيام ستة أيام من شوال بعد رمضان، فرصة من تلك الفرص الغالية، بحيث يقف الصائم على أعتاب طاعة أخرى، بعد أن فرغ من صيام رمضان.

وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى فضل الست من شوال، وحثهم بأسلوب يرغب في صيام هذه الأيام..

قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر» (رواه مسلم وغيره).

قال الإمام النووي -رحمه الله-: قال العلماء: (وإنما كان كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشرة أمثالها، فرمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين).

محمد عبدالله



القلوب أربعة

يصوم قلب المؤمن عن الكبر فلا يسكن الكبر قلب المؤمن، فإذا سكن الكبر في القلب أصبح صاحب هذا القلب مريضا سفيها، كما يصوم قلب المؤمن عن العجب، والعجب هو أن يتصور الإنسان كمال نفسه، وأنه أفضل من غيره، وأن عنده من المحاسن ما ليس عند الآخرين، وهذا هو الهلاك بعينه.

ودواء هذا العجب النظر إلى عيب النفس، وكثرة التقصير، وآلاف السيئات والخطايا التي فعلها العبد، واقترفها ثم نسيها، وعلمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

كما يصوم قلب المؤمن أيضا عن الحسد، لأن الحسد يحبط الأعمال الصالحة ويطفئ نور القلب، ويعطل سيره إلى الله تعالى، ويزداد قلب المؤمن من سماع الآيات إيمانا، ومن التفكير يقينا، ومن الاعتبار هداية.

فالقلوب أربعة: قلب أغلق فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح وذلك قلب المنافق، وقلب أجرد في سراب، وقلب فيه نفاق وإيمان: إن هذا كمثل الإيمان، فيه شجرة يمدها ماء طيب، أما النفاق فهو مثل القرحة يمدها قيح ودم.

د. محمد محمود العطار



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com



من عدل الرسول ﷺ

الرسول ﷺ هو القدوة الحسنة التي يجب أن نقتدي بها في أقوالنا وفي أفعالنا وفي كل أمور حياتنا، وكان ﷺ مثالا في أخلاقه وفي معاملاته وفي صدقه وأمانته وعدله وفي كل شئون حياته، والعدل من الأخلاق النبوية التي حرص عليها رسول الله ﷺ، وكان يطبقه في حق نفسه قبل أن يطبقه في حق الآخرين.

وقد سئلت السيدة عائشة عن أخلاق الرسول ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» (أخرجه أحمد)؛ لأن القرآن مصدر لكل الأخلاق الكريمة، والقرآن يأمر بالعدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (النحل:٩٠) والرسول ﷺ يأتمر بما أمر به القرآن وينتهي عما نهى عنه.

وهذا موقف من مواقف عديدة تجلت فيها عدالة الرسول ﷺ ورحمته وعظمته، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ يقسم شيئا، أقبل رجل فأكب عليه، فطعنه رسول الله ﷺ بعرجون وهو عود النخل كان معه، فخرج الرجل، فقال له رسول الله ﷺ: «تعال فاستقد» أي اقتص مني أو افعل بي مثل ما فعلت بك، فقال الرجل: قد عفوت يا رسول الله (رواه النسائي).

فالرسول ﷺ حريص على تحقيق العدل فلا يجد حرجا في أن يقتص منه رجل من عامة الناس ومن فقرائهم.

ونستخلص من الحديث السابق:

- بيان عظمة أخلاق الرسول ﷺ.
- ضرورة الاقتداء بالرسول ﷺ.
- الدولة التي أنشأها الرسول ﷺ كان أساسها العدل، فالعدل أساس الملك، وبالعدل قامت السماوات والأرض.
- لا تظلم أحدا بأي شكل من أشكال الظلم.
- لا تتكبر على أحد ولو كان أقل منك في أي أمر من أمور الدنيا.
- لا تؤذ أحدا لا بالقول ولا بالفعل.
- عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.
- تواضع من أجل الله؛ فمن تواضع لله رفعه الله.
- العفو عن الناس فضيلة كبرى.

حسن عثمان حسن



الحكم على سلوكيات الأطفال

يتسرع كثير من الآباء والأمهات في الحكم على سلوكيات وتصرفات أبنائهم الأطفال، وخاصة حينما يصدر من هؤلاء الأطفال كثرة حركة وفرط نشاط، ويرون أنه لابد من معاقبة الأطفال على ذلك، وزجرهم ومنعهم من كثرة الحركة وفرط النشاط.

ومن الناحية التربوية: قد تكون كثرة الحركة وفرط النشاط الصادرة من بعض الأطفال لاشعورية يجب معرفة أسبابها للتعامل معها بالشكل السليم، وهذا يفرض على الآباء والأمهات تثقيف أنفسهم بخصائص نمو أطفالهم واستشارة المختصين في هذا حتى نتعامل مع أطفالنا بالشكل السليم.

د. محمد عباس محمد عرابي

مسك الختام

التماس الأعذار

من مسلمات علم الاجتماع البشري أن الإنسان مدني بطبعه، فلا تتحقق مصالح الفرد إلا في إطار من الجماعة، ومن خلال الاحتكاك اليومي في دروب الحياة يتعرض الإنسان لمواقف متعددة فيها قدر من التجاوزات من قبل الآخرين تقل أو تكثر، فإذا تعامل معها المرء بانفعال وغضب واستجاب لنوازع الانتقام والانفعال وردود الأفعال لما استراح قلبه ولا اطمأنت نفسه ولا استقام له عمل في الحياة، وصار مهموما مغموما متوترا أغلب الأوقات وسيضطر إلى عزلة الناس جميعا في نهاية المطاف، أما إذا التمس الإنسان الأعذار للناس تمتع بالسلام النفسي وراحة القلب وحب الناس.

إن قيمة التماس الأعذار للناس من القيم الشريفة، والحق تبارك تعالى يحب هذه الصفة ففي الحديث الصحيح: «ولا شخص أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين». وفي وصف المؤمن في السنة النبوية: وهي من أوصاف الذين تحرم عليهم النار حيث يقول ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل». ولذلك قال أمير الشعراء أحمد شوقي في نهج البردة:

رزقت أسمح ما في الناس من خلق ... إذا رزقت التماس العذر في الشيم

مما لاشك فيه أن قيمة التماس الأعذار تدخل في باب التراحم بين الناس، فما أحوج الإنسان إلى اكتساب صفة التماس الأعذار للناس في مستواها الإيجابي، لكن السؤال المحوري الذي يحاول هذا المقال الإجابة عنه: ما هو مفهوم التماس الأعذار للناس؟ وما هي العوامل المشجعة على التخلق بهذه الصفة الحميدة؟ وما هو الظرف الذي يستحب فيه التماس الأعذار؟ وما هي المواقف التي لا يقبل فيها التماس الأعذار للناس؟ وبالإجابة على هذه الأسئلة نكون قد وفقنا بفضل الله تعالى في تجلية مفهوم التماس الإعذار للناس وتوضيح مجالاته وأبعاده المعرفية والتطبيقية.

بمعنى أنك تجعل للمسيء حاجزا في قلبك يمنع من إيصال العقوبة أو العتاب إلى ساحته، فتقوية الدافع الذي يمنع من مجازاة المسيء بإساءته صفة راسخة في الإنسان المتصف بصفة الحلم والعفو والرفق والسماحة وهي من أخص صفات المسلم، فإن العنف والقسوة والفظاظة ليست من أخلاق المؤمنين.

د. محمد نور مبارك
باحث أكاديمي

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .

- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .

- تابعوا أحدث الإصدارات .



alwaeiq8@gmail.com



@Alwaei_Alislami



مجلة الوعي الإسلامي



موقع مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٧٥) ذو القعدة ١٤٤٢ هـ - يونيو/يوليو ٢٠٢١م

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

نحو بناء الأمن الفكري

- مفاتيح فهم القرآن الكريم
- من عناية العلماء بأبنائهم
- خير الناس أنفعهم للناس

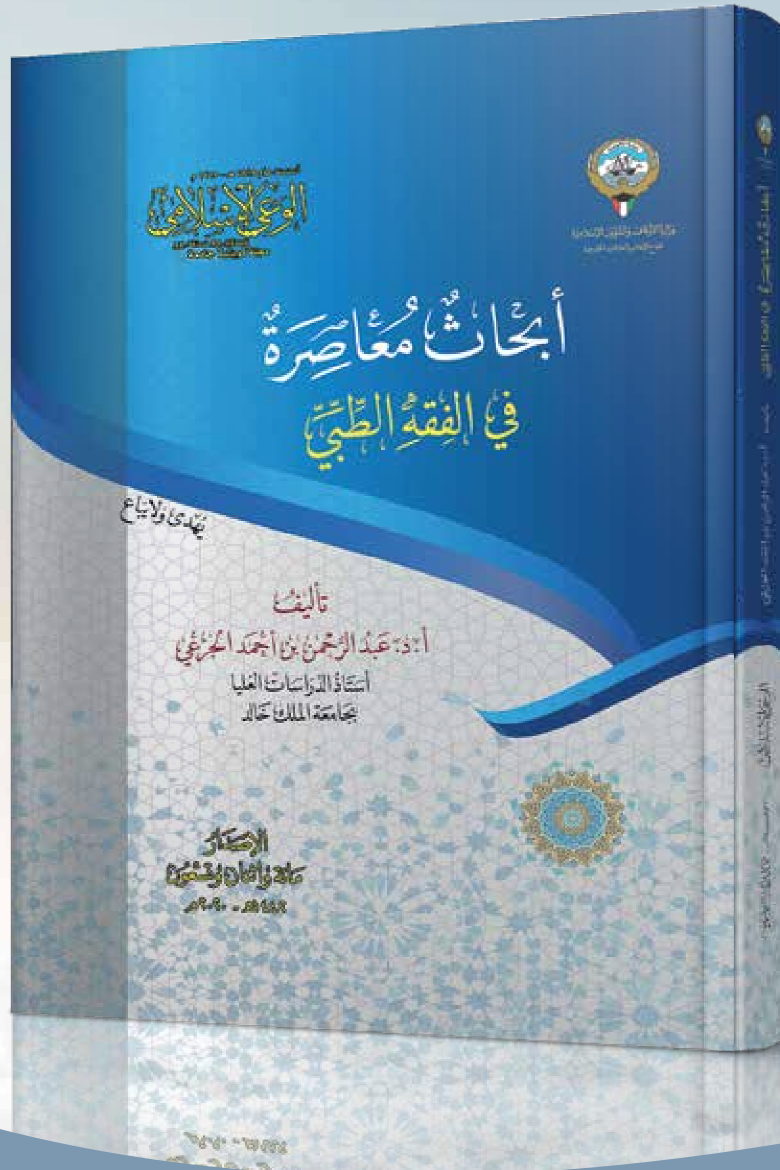

مجلة الوعي الإسلامي


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي


جديدنا



أبحاث مُعاصرة في الفقه الطبي

إصدارٌ علميٌّ فقهيٌّ مقاصِديٌّ يحتوي أبحاثًا مُعاصرةً في الفقهِ الطِّبِّيِّ، أعدَّها وقَرَّبها فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن أحمد الجِرعي حفظه الله؛ لتكون بمتناول الجميع للاستفادة منها.

والكتاب ضمن سلسلة الإصدارات النافقة المفيدة لمجلة الوعي الإسلامي ويحمل الرقم مئة وواحد وتسعين.



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

التفاؤل والأمل

التفاؤل هو توقع حصول الخير في المستقبل، وهو من الصفات المحببة في ديننا الحنيف، وكان يحبه نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهو أثر حميد من آثار حسن الظن بالله تعالى، وله قيمة اجتماعية متميزة، لا سيما في وقت الأزمات، حيث يرغب الناس في سماع الأحاديث المتفائلة أكثر من المتشائمة؛ بل كثيرا ما يوصي الناس بعضهم بعضا بالتحلي بصفة التفاؤل، والابتعاد عن التفكير التشاؤمي.

وقد حث كثير من النصوص الشرعية على التفاؤل وبث الأمل في نفوس الناس، ومنها قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١٦)؛ وقوله ﷺ: «لا طيرة، وخيرها الفأل». قالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» (رواه البخاري). وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الفأل من طريق حسن الظن بالله».

لا شك بأن أعلى درجات التفاؤل هي في هذه الأوقات العصيبة التي تعيشها الأمة والعالم، فينبغي للمسلم أن يتوقع الشفاء عند المرض، والنجاح عند الفشل، والنصر عند الهزيمة، وأن يتوقع تفريج الكروب ودفع المصائب عند وقوعها، فالتفاؤل في هذه المواقف يولد مشاعر الرضا والثقة والأمل، فهو مزيج بين حسن الظن بالخالق المدبر سبحانه، والتوكل عليه في جميع الأحوال.

المتفائل شخصية إيجابية تنشر الخير والأمل في المجتمع؛ فهو مبتسم الثغر، منبسط الأسارير، مشرق الوجه، واسع الصدر، ولا غرابة في ذلك لأنه استمد الأمل من كتاب الله العزيز الذي يقول فيه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣). وهو القائل سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ (البقرة:١٥٦-١٥٧). فتلك البشرى للمتفائلين الواثقين برحمة الله.

ويكفي المتفائلين من العز والكرامة أنهم تحلوا بصفة الأنبياء والمرسلين؛ فالأنبياء هم سادات المتفائلين، والباحث في سيرة نبينا محمد ﷺ يجدها ممتلئة بالتوكل على الله، وحسن الظن به سبحانه – وهما أساسا التفاؤل، فلا عجب فهو إمام المتفائلين وسيدهم، ولما جاء سهيل بن عمرو يفاوض النبي عن قريش في الحديبية؛ تفاءل رسول الله ﷺ باسمه (سهيل)، وقال: «لقد سهل لكم من أمركم» (رواه البخاري). فهذا تفاؤل مستوحى من المقام.

هذا، ولا بد للتفاؤل أن يقترن بالعمل الدؤوب والسعي والاجتهاد، وإلا فإنه سيفقد قيمته ويعد غرقا في الأمنيات والأحلام، فالإغراق في التفاؤل من دون عمل؛ يعتبر هروبا من الواقع، وقراءة خاطئة له.

وختاما: فإن المتفائلين قد حصلوا على وسام التوكل على الله تعالى، وأحسنوا الظن به سبحانه، وبعث التفاؤل في نفوسهم الرجاء، وقوى عزائمهم، وجدد لديهم الأمل بحياة أفضل ومستقبل مشرق، ومنحهم القدرة على مواجهة المواقف الصعبة، وجعلهم أكثر مرونة في علاقاتهم الاجتماعية، ومنحهم السعادة.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٧٥/ ذوالقعدة ١٤٤٢ هـ
العام الثامن والخمسون
يونيو / يوليو ٢٠٢١م

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي – ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية–٤٣ شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



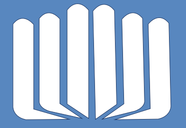
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ – ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣– فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ – فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ – فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ – فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

تعزيز الأمن الفكري

إذا سلمت عقيدة الإنسان وخلصت من الشوائب صح منهجه الفكري وعاش في توافق وتناغم مع مجتمعه، آمنا على نفسه وأمن مجتمعه جانبه، وإذا حدث خلل في المعتقد وشابته الشوائب وتعلق بالأفكار المنحرفة الوافدة على المجتمع المسلم عانى وعانى معه المجتمع خللا في الفكر والسلوك والتصرفات والأخلاق، والواقع يشهد على ذلك.

وهنا يأتي دور الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي في تعزيز التحصين الفكري لدى أفراد المجتمع، خاصة الشباب والناشئة، من خلال إبراز النماذج التي تحمل الفكر المعتدل وتحصن العقول وتحميها من الوقوع في شرك الأفكار المنحرفة البعيدة عن التصور الإسلامي الصحيح. وكذلك يأتي دور المؤسسات التعليمية في تعزيز الأمن الفكري والتصدي للأفكار الغريبة والشاذة، فالمناهج التعليمية يلزم أن تحتوي على مادة علمية تأصيلية، تعتني بالأمن الفكري وتتعامل مع التحديات والمستجدات الفكرية التي قد تواجه الدول، وتتضمن خطورة الأفكار المتطرفة والدخيلة، وعوامل التصدي لها، وكيفية المحافظة على النسيج الاجتماعي، واللُّحمة الوطنية، والوحدة الإسلامية بين شعوب العالم.

وقبل ذلك لابد من التأكيد على أهمية دور الأسرة ورعايتها أبناءها، وملاحظة ما يطرأ على سلوكياتهم في ظل هذا العالم المفتوح الذي نعيش فيه، فالطفل الآن يحمل العالم بين يديه من خلال الجهاز الذي يقضي عليه كثيرا من وقته، فإذا غابت الرقابة الأسرية قاده هذا العالم المفتوح إلى المجهول، فيكون وبالا على أسرته ومجتمعه وأمته.

التحرير

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

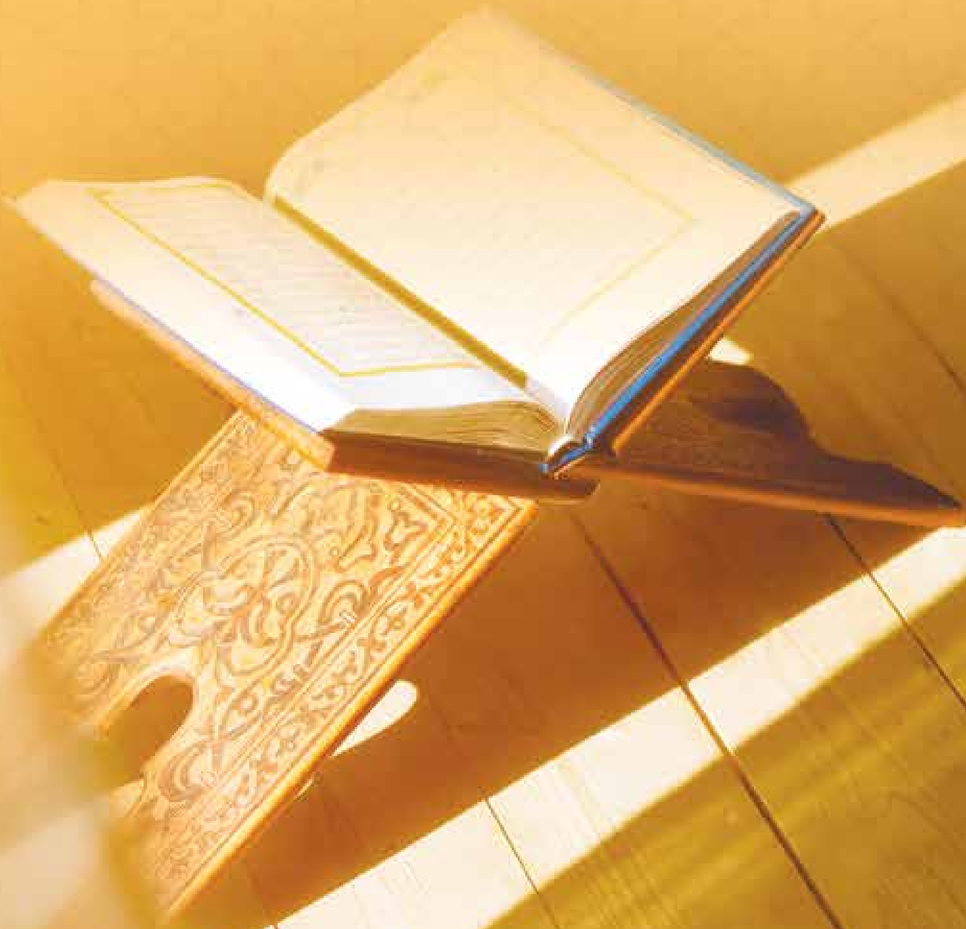


أ.د. مرزوق يوسف الغنيم
الأمين العام المساعد للمركز العربي
لتأليف وترجمة العلوم الصحية

الجن في القرآن الكريم والشعر

توقفت أثناء قراءتي للقرآن الكريم عند الآيات التالية: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ (الأحقاف:٢٩-٣٢).

وأثار ذلك في نفسي سؤالا مهما ألا وهو: لماذا قال الله سبحانه وتعالى على لسان الجن: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؟ لماذا ذكر سيدنا موسى ولم يذكر سيدنا عيسى؟ مما جعلني أفكر في ذلك وأرجع



إلى التفاسير المختلفة للقرآن الكريم، وقد توصلت إلى أن عطاء بن أبي رباح - وهو عالم حديث وفقيه من التابعين - قال إن الجن المذكورين في هذه الآيات كانوا يهودا لذلك جاء في القرآن: ﴿كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾، وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن الجن لم تكن سمعت بأمر سيدنا عيسى، لذلك: أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني ما قبله وهو التوراة، وقال البغوي (الحسين بن مسعود ابن محمد في تفسيره عن عطاء ابن أبي مسلم الخراساني: كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى.

وفتح لي هذا طريقا للاستزادة من هذا الموضوع، ووجدت أن ذكر الجن في القرآن الكريم قد تكرر ستا وعشرين مرة في أربع عشرة سورة مرتبة كالتالي: سورة الأنعام (أربع مرات) في الآيات: ١٠٠ و١١٢ و١٢٨ و١٣٠، وفي سورة الأعراف الآيات: ٣٨ و١٧٩، وفي سورة الإسراء الآية ٨٨، وفي سورة النحل الآية ١٧ والآية ٣٩، وفي سورة السجدة الآية ١٣، وفي سورة سبأ تم ذكرهم في الآيات ١٢ و١٤ و٤١، وفي سورة فصلت الآية ٢٥ والآية ٢٩، وتم ذكرهم في سورة الأحقاف في الآية ٢٩، وفي سورة الصافات تم ذكرهم في الآية ١٥٨، وفي سورة الذاريات الآية ٥٦، وتم ذكرهم في سورة الرحمن في الآيات: ٣٣ و٣٩ و٥٦ و٧٤، وفي سورة الجن تم ذكرهم في الآيات: ١ و٥ و٦، وفي آخر سورة في القرآن الكريم سورة الناس تم ذكرهم مرة واحدة.

مثلما يوجد في الإنس كفار يوجد أيضا في الجن كفار

وقد أتى ذكر الجن في القرآن الكريم على ثلاثة أشكال: الجن والجنة والجان، الجان مفرد لكلمة الجن، والجنة جمع لطائفة من الجن.

كما أن الجن قبائل مختلفة، فهم كذلك أصحاب ملل ونحل متباينة، وفيهم المؤمن والكافر، والعادل والظالم، يقول سيد سابق: «والجن طوائف فمنهم الكامل في الاستقامة وعمل الخير، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم البله المغفلون، ومنهم الكفرة وهم الكثرة الكاثرة».

قال تعالى إخبارا عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ (الجن:١١)، أي فرق شتى، قال السدي، وقال الضحاك: أديان مختلفة، وقال قتادة: أهواء متباينة. ومنهم جنود لسيدنا سليمان عليه السلام: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ (النمل:١٧)، أي منتظمون، ومنهم العفريت الذي أتي بعرش بلقيس: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ (النمل:٣٩-٤٠).

ويتبين من تلك الآيات أن هؤلاء الجن كانوا مسخرين لسيدنا سليمان عليه السلام والدليل على ذلك أن الآية ١٣ من سورة سبأ تقول إن الجن كانوا صناعا لسيدنا سليمان: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾، الجواب جمع جابية وهي الحوض الكبير.

ورغم كل هذه القدرات فإنهم لا يعلمون الغيب، ودليلنا على ذلك الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ (سبأ:١٤)، المنسأة هي العصا التي يتوكأ عليها.

ومثلما يوجد في الإنس كفار يوجد أيضا في الجن كفار، ويبين ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ

شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ (السجدة:١٣).

ومن الجن الكفار من ادعى أن الملائكة بنات الله (جل وعلا) لذلك سيساقون يوم القيامة إلى النار: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ (الصافات:١٥٨).

أما في سورة الرحمن فتقول: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ (الرحمن:٣٣)، أي إنكم أيها الجن لا تستطيعون الهرب من أمر الله وقدره، وهنا يظهر التحدي للجن، والتحدي لمن يعتقد بأن الجن قادرون على كل شيء. كما نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد قدم الإنس على الجن كون الجن من الكائنات التي من الممكن أن تصل إلى محيط معين، أما طبيعة الإنس فليس لها ذلك.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ (الإسراء:٨٨)، نجد أنها قدمت الإنس على الجن كون ذلك أليق بالإنس على الجن.

كما أن الله سبحانه وتعالى قدم الجن على الإنس عند قوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، هنا قدم الله سبحانه وتعالى الجن على الإنس لتقدم وجودهم، وقيل لأن عبادتهم سرية ولا يدخلها الرياء.

وتبين معظم آيات سورة الجن إيمان الجن عندما استمعوا إلى القرآن الكريم، وكيف أنهم أسلموا بعدها: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾ (الجن:٣). وآمنوا بأن الله سبحانه وتعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وهؤلاء خلاف الجن الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ﴾ (الصافات:١٥٨) جل وعلا عن ذلك.

أما آخر سورة في القرآن ذكر فيها الجن فهي سورة الناس، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ (الناس:١-٦)، وفيها يدعونا الله سبحانه وتعالى أن نعتصم به من وساوس الإنس والجن التي تجثم على قلوبنا.

خلق الله سبحانه وتعالى الجن والإنس لهدف في هذه الحياة وهو عبادته ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾، فهم مكلفون بطاعته، وكما تبين آنفا أن من الجن من هو مسلم ومن هو كافر ومنهم الصالح ومنهم الطالح ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا﴾، قددا: أي فرق مختلفة من مسلمين وكافرين.

اشتهرت أسماء من هؤلاء الجن مقرونة بكل شاعر

هذا بعض ما ذكر عن الجن في القرآن الكريم.. ولكن ما هو موقع الجن في الشعر العربي؟

تذكر الروايات أن وادي عبقر في نجد يسكنه شعراء الجن، وتقول الأساطير إن كل شاعر من شعراء الجاهلية كان له قرين من الجن من هذا الوادي، وهذا القرين هو الذي يلقنه الشعر، ومن ينسب إلى هذا الوادي يسمى «عبقري»، وقد اشتهرت أسماء من هؤلاء الجن مقرونة بكل شاعر فمنهم مدرك بن واغم صاحب الكميت ابن زيد يقول:

ولاذ بمدرك رهط الكميت
ملاذا عزيزا ومجدا وجد

ومسحل السكران بن جندل صاحب الأعشى الذي يقول:

وما كنت شاحوذا ولكن حسبتني
إذا مسحل سد لي القول أعلق
شريكان فيما بيننا من هوادة
صفيان: إنسي، وجني موفق
يقول، فلا أعيا لشيء يقوله،
كفاني لا عي، ولا هو أخرق

والشيصبان الذي كان حسان ابن ثابت في جاهليته يعزو إليه

شعره، حيث يقول:

إذا ما ترعرع فينا الغلام
فما إن يقال له من هوه؟
إذا لم يسد قبل شد الإزار
فذلك فينا الذي لا هوه
ولي صاحب من بني الشيصبان
فطورا أقول وطورا هوه

ونختم هنا ببيت لجرير يقول فيه وهو يستشهد بشيطانه الشاعر:

وجدت رقى الشيطان لا تستفزه
وقد كان شيطاني من الجن راقيا

ويقول جرير أيضا:

إني ليلقى علي الشعر مكتهل
من الشياطين إبليس الأباليس

أما الفرزدق وهو معاصر للشاعر جرير فيقول:

لتبلغن لأبي الأشبال مدحتنا
من كان بالغور أو مروي خراسانا
كأنها الذهب العقيان حبرها
لسان أشعر أهل الأرض شيطانا

وهناك مجموعة أخرى ممن يسمون شياطين الشعراء فمنهم هبيد بن الصلادم صاحب عبيد بن الأبرص وبشر بن جازم الأسدي، وهادر بن ماهر صاحب النابغة الذبياني وهو الذي استتبغه، وجالد بن ظل صاحب عنترة بن شداد، ولافظ ابن لاحظ صاحب امرئ القيس، كما أن هناك أسماء أخرى من الشعراء ممن كان يظن بأن لهم قرناء من الشياطين ممن يوحون لهم بالشعر.

ويقال إن هناك شيطانين من الشعراء هما الهوبر والهوجل، وقيل إن الهوبر قد أجاد الشعر

الإنتاج الفني بكل صوره يصدر غالبا عن العقل الباطن للإنسان

أما الهوجل فقد فسد شعره، جاء رجل إلى الفرزدق وقال إني أقول الشعر، فقال أسمعني، فقال:

ومنهم عمرو المحمود نائله
كأنما رأسه طين الخواتيم

فقال له الفرزدق أما الشطر الأول فهو من قول الهوبر وإما الشطر الثاني فهو من قول الهوجل. ويقال إن من شعر الجن البيت التالي:

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

والسبب في ذلك أن الشخص لا يستطيع أن يكرر قراءة البيت ثلاث مرات وبسرعة من دون أن يخطئ، وقد تمت تجربة ذلك ووجد أنه كلام سخيف. ويبدو أن هذا البيت من الأبيات التي اصطنعها علماء البلاغة العرب لكي يستدلوا على أن تنافر الكلمات في النثر والشعر مما يفسد بلاغة الكاتب أو الشاعر. والغريب أن بعض شعراء الغرب يرجعون شعرهم إلى الجن، ومثلما أن كلمة عبقري عند العرب تعني النابغة وهي كلمة منسوبة إلى وادي عبقر الذي تسكنه الجن، فإن كلمة Genius الإنجليزية التي تعني عبقريا من معانيها أيضا الروح الحارسة أو العفريت، وقد قال عدد من شعراء الغرب من أمثال صامويل تايلر كولريدج Colerdge والشاعر جون مانسفيلد Mansefield والشاعر راينر ماريا ريلكه Ralke والشاعر وليم بليك Blake، إن الجن أو الشياطين كانوا يملون عليهم شعرهم.

ويؤكد علم النفس أن كل هذا الكلام يعود إلى العقل الباطن وليس للجن علاقة بذلك، وقد كشفت الدراسات النفسية المختلفة والتحليل النفسي أن الإنتاج الفني بكل صوره يصدر غالبا عن العقل الباطن للإنسان، ويبدو كأنه حلم يقظه.

وفي مجمل القول إن شياطين الشعر والأسماء التي ارتبطت بهؤلاء الشعراء لا دليل عليها في الحقيقة، على الرغم من وجود الجن حقيقة كما انبأنا بذلك القرآن الكريم.

المراجع

- سيد سابق، كتاب العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تفسير قتادة بن دعامة السدوسي من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف، يوسف محمد الكالي (٢٠١٩م).
- شعر الجن في التراث العربي، د. عبدالله سليم الرشيد، دار المجلة العربية للنشر والترجمة.

د. ناجي عبد الله الخرس
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف



مفاتيح فهم القرآن الكريم

تمهيد:

«إن هذا القرآن ينبغي أن يقرأ، وأن يتلقى من أجيال الأمة المسلمة بوعي، وينبغي أن يتدبر على أنه توجيهات حية، تتنزل اليوم، لتعالج مسائل اليوم، ولتنير الطريق إلى المستقبل. لا على أنه مجرد كلام جميل يرتل، أو على أنه سجل لحقيقة مضت ولن تعود...»[١].

أنزل القرآن للتعبد بتلاوته وتدبر آياته والانتفاع بعظاته، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(ص:٢٩).

قراءة القرآن بتدبر وتفهم لمعانيه وما أريد به. قال الإمام الزركشي -رحمه الله-: «ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئا»[٢].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا به عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مئة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن»[٣].

وكان هذا من هديه ﷺ. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ ليلة فقرأ بآية حتى أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(المائدة:١١٨)[٤].

النظرة الكلية الشاملة للقرآن

بعض الناظرين إلى القرآن والقارئين له، ينظرون له نظرات جزئية فرعية هامشية ثانوية. فهو كتاب للشفاء والتعاويذ والرقى عند بعضهم، وهو كتاب شامل للعلوم والمعارف والثقافات عند آخرين، وهو كتاب تضمن أرقى أساليب البيان والبلاغة، وهو كتاب حوى من أخبار الماضين وقصص السابقين، وهو كتاب للفقه

والأحكام والفكر والخيال... إلخ.
ونحن لا ننكر وجود هذا كله في القرآن، لكن توفر هذه الأشياء فيه شيء، وأن تقصر نظرتنا له عليها فقط شيء آخر.

الشعور بأن الآية موجهة له

والمقصود أن يقدر أنه المقصود الأول بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعدا أو وعيدا فمثل ذلك، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾(الأنعام:١٩). وقال محمد بن كعب القرظي -رحمه الله-: «من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله».
هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عزوجل، فنتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخطوات، وننفذها في الطاعات.

❖ أمثلة على ذلك

بر الوالدين[٥]، الغيبة[٦]، النصرة[٧].

الثقة المطلقة بالنص القرآني وإخضاع الواقع المخالف له

القرآن كلام الله، ولابد أن ينظر له على أنه كلام الله، ويتم التعامل معه على أنه كلام الله، وهو الحق المطلق والصدق المطلق والخير المطلق، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٧٨).
موقف القارئ من القرآن هو التسليم التام به، والثقة بنصوصه، والتصديق الجازم بمعانيه وحقائقه ودلالاته.
على القارئ البصير أن تكون نظرته لنصوص القرآن، وتعامله معها واقتناعه بها وتسليمه لها محكوما بقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(النساء:٦٥)، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(الأحزاب:٣٦)[٨]، فلا يكون «مزاجيا» في تعامله مع القرآن وثقته بنصوصه، فيفعل فعل اليهود في التوراة، ذلك الفعل الذي يقوم على «المزاجية» والهوى، والذي ذمه الله بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾(البقرة: ٨٥).
إن النص القرآني هو الأساس والقاعدة والأصل، وإن الواقع هو التابع له، فإذا ما تعارضا في ظهر الأمر، فلا بد أن في الأمر شيئا، ولا بد أن الشروط والمواصفات التي قررها القرآن لم تتحقق، والأسباب التي أشار إليها لم توجد.

والأمثلة على ذلك

قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء:١٤١)، هو الأصل والواقع له تبع. وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾(الأنعام:٦)، سنة لا تتخلف، والبصير هو الذي يراها قادمة. وقوله تعالى مهددا آكلي الربا: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(البقرة:٢٧٩)، يعلن الحرب عليهم، والمؤمن هو الذي يراها الآن حربا أعلنها الله على العالم أجمع لأكلة الربا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(البقرة:٢٧٦).
وقوله تعالى عن اليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾(آل عمران:١١٢)، حكم قاطع دائم يتضمن الاستثناء في الحبال الممدودة إليهم في هذه الأيام، حبل الله بالإمهال، وحبال أمريكا بالمساعدات المالية، وحبال روسيا بالسيل البشري، وحبال عملائهم بالتحالف والتعاهد، وحبال الأمة بالجبن والذل وترك الجهاد.
وقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:٧) تعليل لسر انتصار المسلمين السابقين، وتعليل لسر هزائم المسلمين المعاصرين، وهو يقرر قاعدة عامة وسنة ربانية ثابتة تتضمن شرطا بشرط، وهو المتمثل في فعل الشرط وجوابه. وقوله تعالى عن غزوة أحد: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾(آل عمران:١٦٥).

عالمية القرآن

لقد زعم أعداء الإسلام أن القرآن العظيم كتاب تاريخي، خاطب عصرا محددا فقط ثم انتهت صلاحيته بعد ذلك، ولم يبق له في الواقع المعاصر أدنى تأثير!
ونحن المسلمون نعتقد اعتقادا جازما لا مرية فيه، أن القرآن العظيم هو الكتاب الذي خاطب الله تعالى به جميع البشر

إلى يوم القيامة، فلم يقيده بزمان ولا بمكان، ولا جنس ولا طبقة، بل هو موجه إلى الثقلين، خاطبهم جميعا بما يسعدهم في الدنيا والآخرة من العقائد الصحيحة، والعبادات الحكمية، والأحكام الرفيعة، والأخلاق الفاضلة التي تستقيم بها حياتهم.

ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة على عالمية القرآن، ومن الصعوبة بمكان استقصاء جميع الآيات التي تحدثت عن عالمية القرآن[٩]. وقد ذكر بعضهم «أن عدد الآيات الدالة على عالمية القرآن تزيد على ثلاثمائة وخمسين آية»[١٠]. وهناك أربع آيات تعلن بكل وضوح أن القرآن ذكر لجميع العالمين: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (التكوير: ٢٧)، ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (القلم: ٥٢).

وقد استنبط بعض العلماء التفسير من هذه الآيات الآتي:

أولا: أنها جاءت بصيغة الحصر، أي تنفي عن القرآن صفة أنه غير عالمي.

ثانيا: أنه مذكر للعالم أجمع، باعتبار أنه مخاطب به الإنس والجن في قوله تعالى (للعالمين).

ثالثا: العالمين جمع عرفت بـ (ال) فتدل على معنى الاستغراق، فالجمع المعرف بـ (ال) من صيغ العموم في اللغة العربية، فهو أي القرآن ذكر لجميع عقلاء الإنس والجن بلا تقييد من مكان، أو زمان، أو طبقة، أو جنس.

ومن الآيات التي صرحت بعالمية القرآن العظيم:

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾(الإسراء:٨٩).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(الزمر:٢٧).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (الزمر:٤١).



الهوامش

١- في ظلال القرآن (٦١/١).

٢- البرهان (١٥٥/٢).

٣- مفتاح دار السعادة (١٨٧/١).

٤- رواه النسائي (١٠١٠)، وابن ماجه (١٣٥٠)، وأحمد (٢١٥٣٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤٩٠٥).

٥- بر الوالدين: قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء:٢٣).

٦- الغيبة: قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (الحجرات:١٢).

٧- النصرة: قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾(الأنفال:٧٢).

٨- يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥)، أي يسلموا لذلك «الحكم» تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، كما ورد في الحديث: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (ج:١٥) وضعفه الألباني بسبب ضعف نعيم ابن حماد أحد رواة هذا الحديث، وصححه النووي وتعقبه ابن رجب (جامع العلوم والحكم) (٤٣١/٢).

٩- تأمل نماذج للآيات التي تدل على عالمية القرآن في أرقام آيات السور التالية: البقرة ١٨٥، النساء ١، ٧٩، ١٧٠، ١٧٤، الأعراف ١٥٨، يونس ٥٧، ٩٩، ١٠٤، ١٠٨، يوسف ١٠٤، الإسراء ٨٩، ٩٤، ١٠٥، ١٠٦، الأنبياء ١٠٧، الحج ١، ٥، ٢٧، ٤٩، ٧٣، القرقان ١، ٥٠، ٥١، ٥٦، الأحزاب ٤٥، ٤٦، سبأ ٢٨، فاطر ٢٤، ص ٨٧، القلم ٥٢، التكوير ٢٧.

١٠- دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري، د. محمد خليل جيجك، ص:١٣٢.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقـام تـشتمـل علـى اسـم الكـاتب واسـم المـؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com



أ. د/ محمد إبراهيم العشماوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه
جامعة الأزهر



مواجهة الوباء في السنة النبوية!

الحفاظ على النفس الإنسانية، ودفع الأخطار عنها، ووقايتها من أسباب الهلاك؛ أحد مقاصد الإسلام الكبرى، وكلياته العظمى، التي من أجلها شرعت الشرائع، وسنت الأحكام.

ومن الأخطار التي تتعرض لها النفس الإنسانية، وتهدد وجودها وبقاءها؛ الأمراض والأوبئة، لاسيما الفتاكة منها؛ إذ هي مظنة الهلاك، وذلك كالوباء العام الذي يجتاح العالم الآن، وهو فيروس كورونا، المصطلح عليه علميا باسم (كوفيد-١٩)، والذي راح ضحيته مئات الآلاف حول العالم، وأصيب به ملايين.

ولأن الإسلام دين جامع شامل لخيري الدنيا والآخرة، صالح

لكل زمان ومكان؛ فإنه وضع منهجا عاما للتعامل مع الوباء، أيا كان نوعه، أو صفته، أو زمانه، أو مكانه!

وهذا ما سجلته شهادات غربية غير إسلامية، لباحثين ومفكرين وكتاب -حسبما نشرته بعض المواقع الإخبارية والدوائر المعرفية- إذ أشادوا في شهادتهم تلك بتعاليم الإسلام الوقائية والعلاجية في مواجهة الوباء، وسبقه في هذا الميدان كل النظم، وبأن العالم كله رجع إلى تلك التعاليم!

ففي تقرير للباحث الأميركي كريج كونسيدين نشر في ٢١ مارس ٢٠٢٠م، بمجلة «نيوزويك»[١]، نقل فيه عن الدكتور أنتوني فوسي عالم المناعة، والدكتور سانجاي جوبتا المراسل الطبي؛ قولهما: «إن التزام النظافة الصحية، والحجر الصحي، أو ممارسة العزل الاجتماعي عن الآخرين؛ أملا في الحيلولة دون انتشار الأمراض المعدية، يعد أكثر التدابير فاعلية لاحتواء تفشي وباء فيروس كورونا المستجد».

وطرح كونسيدين، الذي صدر له مؤلفان تناول فيهما الإسلام، سؤالا حاول الإجابة عنه، قائلا: «هل تعلمون من الذي أوصى بالتزام النظافة والحجر الصحي الجديد في أثناء تفشي الأوبئة؟»، فأجاب قائلا: «نبي الإسلام محمد، قبل ١٤٠٠ عام».

ورأى الكاتب أنه «على الرغم من أن نبي الإسلام ليس بأي حال من الأحوال، خبيرا تقليديا بالمسائل المتعلقة بالأمراض الفتاكة، فإنه كانت لديه نصيحة جيدة لمنع ومكافحة تطور الأوبئة مثل فيروس كورونا المستجد».

ويقول: «إن النبي محمدا قد أوصى بعزل المصابين بالأمراض المعدية عن الأصحاء، وحث البشر على التزام عادات يومية للنظافة قادرة على حمايتهم من العدوى، مستعرضا عددا من الأحاديث النبوية المتعلقة بالنظافة».

وما جاء في هذا التقرير هو تلخيص لمنهج السنة النبوية في مواجهة الوباء، يمكننا شرحه بإيجاز في عدة نقاط.

أولا: أن منهج السنة النبوية في مواجهة الوباء؛ يختلف عن غيره من المناهج؛ لأنه يعتمد على نوعين من التدابير: التدابير الروحية، والتدابير المادية.

ثانيا: أن التدابير الروحية تعني أن هذا الدين -أعني الإسلام- دين يؤمن بأن لهذا العالم مدبرا حكيما يدبر شؤونه، وأن ما يجري في هذا العالم من الأوبئة؛ جزء من تدبيره المحكم، فلا بد من اللجوء إليه، والاعتماد عليه، والتضرع له، والاحتماء به؛ لرفع هذا الوباء، فهو وحده القادر على رفعه، وهو الذي يلهم الإنسان العلم والمعرفة لمواجهته، ومن هنا كان العلم في الإسلام مرتبطا باسم الله، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق:١).

على أن هذه التدابير الروحية نوع من العلاج؛ إذ العلاج نوعان: مادي وروحي؛ لأن الإنسان شيئان: مادة وروح، بل علاج الروح مقدم على علاج البدن، والمرء أحوج إليه من علاج البدن؛ لتوقف كثير من الأمراض البدنية عليه!

ومن تلك التدابير الروحية التي جاءت بها السنة النبوية، لمواجهة الوباء؛ تقوية الإيمان، واليقين، والصبر، والرضا، والتوكل، والثقة بالله عزوجل، والتضرع إليه بالتوبة، والإنابة، والذكر، والابتهال، والدعاء، والاستغفار، والصلاة، والصدقة، وقراءة القرآن، وسائر أنواع الطاعات، فإنها علاج للروح، وتقوية لها؛ لتصمد في مواجهة الأزمات والشدائد، وإذا قويت الروح؛ قويت مناعة الجسد، فاندفعت عنه الأمراض، وتنحت عنه الأعراض!

يقول الإمام ابن القيم في (الطب النبوي)[٢] عن هذا النوع من العلاج الروحي: إنه «يستنزل بذلك من الأرواح الملكية ما يقهر هذه الأرواح الخبيثة، ويبطل شرها، ويدفع تأثيرها.. وهذا يكون قبل استحكامها وتمكنها، ولا يكاد ينخرم، فمن وفقه الله؛ بادر عند إحساسه بأسباب الشر إلى هذه الأسباب التي تدفعها عنه، وهي له من أنفع الدواء، وإذا أراد الله عزوجل إنفاذ قضائه وقدره، أغفل قلب العبد عن معرفتها وتصورها وإرادتها، فلا يشعر بها ولا يريدها، ليقضي الله فيه أمرا كان مفعولا».

وقد ثبت في (الصحيح)[٣] أن الصحابة رضي الله عنهم رقوا رجلا لدغته حية، بفاتحة الكتاب، فبرئ بإذن الله! فدل ذلك على

أن العلاج الروحي ينفع في إبطال أثر السم، كما ينفع في دفع أثر العين والسحر الذي يبطل منافع بعض الأعضاء!

ومن جملة التدابير الروحية لمواجهة الوباء؛ تسلية النفس بمعرفة أن الوباء من جملة البلاء، وأن في البلاء خيرا للعبد على كل حال، ما دام صابرا محتسبا، فإن عاش فله أجر الصبر على المرض، وإن مات فله أجر الشهادة، وفي الحديث: «الطاعون شهادة لكل مسلم»[٤].

ثالثا: أما التدابير المادية التي جاءت بها السنة النبوية، لمواجهة الوباء؛ فهي نوع آخر من المواجهة، لكنه يسير في خطين متوازيين: خط الوقاية، وخط العلاج.

فأما الوقاية فلا يخفاك أن الطب الوقائي نوع من الطب، وأن توقي الإنسان مما يؤذيه في العاجل والآجل؛ مما أمر الله ورسوله ﷺ به، وقد أرسى القرآن مبدأ الوقاية من أسباب الهلاك في آية محكمة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة:١٩٥)، وأكد النبي ﷺ على هذا المبدأ بقوله: «لا ضرر ولا ضرار»[٥]. أي: لا يعرض الإنسان نفسه للضرر، ولا يعرض الآخرين له، وهذا معنى جديد للوقاية، لا يقتصر على وقاية الإنسان نفسه فحسب من الضرر، بل يدعوه إلى وقاية الآخرين أيضا، وعدم الإضرار بهم!

ومن أجل هذا نهت السنة النبوية عن الدخول في أرض الطاعون أو الخروج منها؛ لينحصر المرض، ولا يستشري، فيما يسمى بالحجر الصحي الآن!

ففي الحديث الصحيح: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض؛ فلا تدخلوها، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها، فرارا منه»[٦].

وقد ذكر الإمام ابن القيم، الحكم الطبية من هذا النهي النبوي، والذي ثبت إعجازه في عصر العلم!

يقول ابن القيم في (الطب النبوي)[٧] -وكأنه يتكلم بلسان الأطباء في عصرنا-: «وأما نهيه عن الخروج من بلده، ففيه معنيان:

أحدهما: حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أقضيته، والرضا بها.

والثاني: ما قاله أئمة الطب: أنه يجب على كل محترز من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية، ويقلل الغذاء، ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه، إلا الرياضة والحمام، فإنهما مما يجب أن يحذرا، لأن البدن لا يخلو غالبا من فضل رديء كامن فيه، فتثيره الرياضة والحمام، ويخلطانه بالكيموس الجيد، وذلك يجلب علة عظيمة، بل يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة، وتسكين هيجان الأخلاط، ولا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة، وهي مضرة جدا، هذا كلام أفضل الأطباء المتأخرين، فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي، وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما.

فإن قيل: ففي قول النبي ﷺ: «لا تخرجوا فرارا منه»؛ ما يبطل أن يكون أراد هذا المعنى الذي ذكرتموه، وأنه لا يمنع الخروج لعارض، ولا يحبس مسافرا عن سفره؟ قيل: لم يقل أحد، طبيب ولا غيره، إن الناس يتركون حركاتهم عند الطواعين، ويصيرون بمنزلة الجمادات، وإنما ينبغي فيه التقلل من الحركة بحسب الإمكان، والفار منه لا موجب لحركته إلا مجرد الفرار منه، ودعته وسكونه أنفع لقلبه وبدنه، وأقرب إلى توكله على الله تعالى، واستسلامه لقضائه.

وأما من لا يستغني عن الحركة، كالصناع، والأجراء، والمسافرين، والبرد، وغيرهم، فلا يقال لهم: اتركوا حركاتكم جملة، وإن أمروا أن يتركوا منها ما لا حاجة لهم إليه، كحركة المسافر فارا منه.

وفي المنع من الدخول إلى الأرض التي قد وقع بها؛ عدة حكم:

أحدها: تجنب الأسباب المؤذية، والبعد منها.

الثاني: الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد.

الثالث: ألا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد، فيمرضون.

الرابع: ألا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك، فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم.

وفي (سنن أبي داود) مرفوعا[٨]: «إن من القرف التلف». قال ابن قتيبة: «القرف مداناة الوباء، ومداناة المرضى».

الخامس: حِمية النفوس عن الطيرة -التشاؤم- والعدوى؛ فإنها تتأثر بهما؛ فإن الطيرة على من تطير بها.

وبالجملة: ففي النهي عن الدخول في أرضه؛ الأمر بالحذر والحمية، والنهي عن التعرض لأسباب التلف.

وفي النهي عن الفرار منه؛ الأمر بالتوكل، والتسليم، والتفويض.

فالأول: تأديب وتعليم، والثاني: تفويض وتسليم.

ومن التدابير الوقائية أيضا لمواجهة الوباء؛ ألا يخالط الصحيح المريض؛ لقوله ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح»(٩)، وقوله: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»(١٠).

وهذا ما يمكن تسميته بالعزل المنزلي الآن، وينسحب أيضا على التباعد الاجتماعي!

ومنها أيضا العناية بالنظافة العامة والخاصة، وحسبك من هذا الدين أن اعتبر «الطهور شطر الإيمان»، وهو شامل للطهارة الحسية والمعنوية!

وقد حثت السنة النبوية على التزام النظافة الشخصية فيما يسمى بسنن الفطرة، وهي الختان، والاستحداد (حلق العانة)، ونتف الإبط، وقص الشارب، وتقليم الأظافر.

وهذه المناطق من أكثر مناطق الجسم التي تتجمع فيها الميكروبات والجراثيم، وتكون سببا في وقوع الأمراض.

كما دعت السنة النبوية إلى الاهتمام بطهارة البدن، فأوصت بتنظيف الفم والأسنان بالسواك ونحوه، وأمرت بالاستنجاء من الغائط، والاستبراء من البول، والوضوء للصلاة، واستحبته في كل وقت، وأمرت بالاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس -وكل هذا أذى- ودعت إلى نظافة الثوب والمكان، حتى يعيش الإنسان في بيئة نظيفة آمنة، فقد نهى النبي ﷺ عن البول في الماء الراكد، والبراز في موارد الناس وظلهم، وأمر بإماطة الأذى عن طريق الناس.

ومن جملة التدابير الوقائية تحريم بعض أنواع اللحوم التي تسبب بعض الأمراض، كلحم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وحثها على طريقة صحية لذبح الحيوان تستخرج ما فيه من المادة الفاسدة، بإراقة الدم، ودعوتها إلى تغطية أواني الطعام والشراب، وعدم تركها مكشوفة، ونهيها عن الأكل متكئا لما فيه من الضرر، ووصيتها ببعض أنواع الطعام لما فيها من الفوائد الصحية كالتمر وزيت الزيتون، وإرشادها إلى عدم الإسراف في الطعام والشراب.

وأما التدابير العلاجية؛ فقد دعت السنة النبوية إلى التداوي بكل أنواع الدواء المباحة، واستنهضت همم العلماء إلى اختراع الأدوية؛ إذ بينت أنه لا يوجد على وجه الأرض داء إلا خلق الله له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، وهذا مما يفتح أبواب الأمل أمام من ابتلوا بالأمراض المعضلة التي استعصت في يوم من الأيام على العلاج، وإعجاز نبوي في عالم الطب، ففي الحديث: «يا عباد الله، تداووا، فإن الله -عزوجل- لم يضع داء إلا وضع له دواء (شفاء)، غير داء واحد، قالوا: وما هو؟ قال: الهرم»(١١) أي: الشيخوخة وكبر السن.

ومن جملة التدابير العلاجية؛ الحجر الصحي، والعزل المنزلي، وقد سبقت الإشارة إليه، فهو وقاية لقوم، وعلاج لآخرين!

وبعد: فهذه نبذة عن الأسباب الروحية والمادية، لمواجهة الوباء، في السنة النبوية، أرجو أن أكون قد وفقت في عرضها على نحو يسر الخاطر، ويبعث الأمل، وبالله التوفيق.

الهوامش

1- https://ajel.sa/mhQpcg/.

٢- الطب النبوي ص٣١ دار الأرقم بيروت.

٣- رواه البخاري في الطب، باب الرقية بفاتحة الكتاب من حديث أبي سعيد الخدري.

٤- رواه البخاري في الطب، باب ما يذكر في الطاعون، من حديث أنس بن مالك.

٥- رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما بإسناد حسن.

٦- متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد.

٧- الطب النبوي ص٣٣.

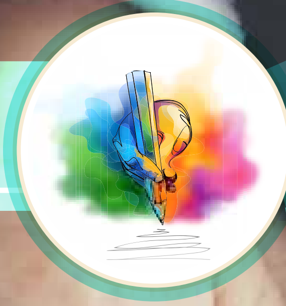
٨- رواه أبو داوود في الطب، من حديث فروة بن مسيك.

٩- رواه مسلم في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة.

١٠- رواه البخاري في الطب، باب الجذام.

١١- رواه أصحاب السنن الأربعة من حديث أسامة بن شريك.

الطبيب سيد أحمد الشنهوري
باحث دراسات إسلامية



منهج النبي ﷺ في التربية

لم يعهد التاريخ؛ ماضيه وحاضره، دينا علم الدنيا الرفق وغرس اللين والتيسير على الناس في نفوس أتباعه كما فعل الإسلام، ولم ير مرب أرسى أسس التربية بالرفق واللين كمحمد ﷺ، كيف لا وقد علمه ربه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما؟!

فاستقى الرفق في التربية عن وحي السماء، وصبغه بصبغة أخلاقه السمحة، وربى الرعيل الأول من أصحابه بأفعاله قبل أقواله.

مما لا يشك فيه عاقل أن للتربية العملية أثرا أعمق في النفس وأكثر نفعا من القول، فما يراه المتعلم في خلق معلمه ينطبع في ذهنه وقلبه؛ فيتطبع عليه من دون تكلف، قيل للشيخ الشعراوي، رحمه الله، يوما: وجه نصيحة إلى الدعاة إلى الله، فقال كلمة أوجز بها وأنجز، كلمة تختصر المنهج كله، قال: «إياك أن يراك المدعو على غير ما تدعوه إليه».

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبدا وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى
بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

وقد تحققت القدوة العملية في أسمى معانيها في أخلاق محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

فكان الرفق في خلقه منهجا يقتدى به في كل أمر قال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[1].

كما أوضح ﷺ أن رسالته الخاتمة رسالة رفق وتيسير فقال: «إن الله لم يبعثني معنتا، ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا»[٢].

وهاك مشهد يتجلى فيه رفق النبي ﷺ بالمتعلم رغم أن الخطأ صدر عنه في ركن من أركان الإسلام ركين معلومة تفصيلاته لكل مسلم بالضرورة، وهو الصلاة، فقد تحدث معاوية بن الحكم السلمي في صلاته بكلام خارج عن معنى الصلاة وكرر حديثه.

ونترك صاحب الموقف يروي لنا ما كان منه:

عن معاوية بن الحكم السلمي: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ تنظرون إلى، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني[٣] ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[٤].

قال الإمام النووي معلقا: «فيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته وشفقته عليه، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه».

بل وكان ﷺ رفيقا مع من فعل في المسجد ما هو أكبر من ذلك، فعن أنس بن مالك: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه[٥] دعوه». فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن (أو كما قال رسول الله ﷺ)»، قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه[٦].

ولعل من أبلغ ما كان من رفقه صلوات الله وسلامه عليه أن أتاه رجل فقال: يا رسول الله هلكت.

قال: «وما أهلكك؟».

قال: وقعت على امرأتي في رمضان.

قال: «هل تستطيع أن تعتق رقبة؟».

قال: لا.

قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟».

قال: لا.

قال: «فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟».

قال: لا.

قال: «اجلس».

فأتي النبي ﷺ بعرق فيه تمر (والعرق المكتل الضخم)، وقال: «فتصدق به».

فقال: ما بين لابتيها أحد أفقر منا.

فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه.

قال: «خذه فأطعمه أهلك»[٧].

فهذا الرجل لما جاء معترفا بخطئه، نادما على سوء فعله، باحثا عن المخرج الشرعي لما وقع فيه من خطأ وزلل؛ يسر عليه النبي ﷺ ورفق به ولم يتعنت معه، فأخبره أن عليه كفارة، بدأ فيها بعتق رقبة، ثم صيام شهرين متتابعين، ثم إطعام ستين مسكينا، فلما لم يجد عند الرجل قدرة على شيء من ذلك، أعطاه ما يتصدق به؛ بل إنه سمح له بأخذ هذه الصدقة، وأن يطعمها هو وأهله لما رأى ما عليه الرجل من فاقة وشدة وحاجة[٨].

وهكذا يتجلى لنا في أنوار رفقه ﷺ بره بأصحابه ورحمته إياهم.

قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ (الأحزاب:٦).

وقال ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم»[٩].

فجدير بكل مرب ومعلم أن يتعلم من خير المعلمين ﷺ، فيتخذ الرفق منهجا؛ فإنه أثمر وأقوم.

الهوامش

١- صحيح ابن ماجه، ٢٩٩٠.
٢- صحيح مسلم، ١٤٧٨.
٣- قهرني ونهرني.
٤- رواه مسلم، ٥٣٧.
٥- لا تجعلوه يتضرر بقطع بوله.
٦- صحيح مسلم، ٢٨٥.
٧- صحيح البخاري، ٢٦٠٠.
٨- المعلم الأول، إعداد القسم العلمي بدار الوطن، ص:١٠.
٩- صحيح النسائي، ٤٠.



هانم محمد عبدالحميد
كاتبة وباحثة تربوية

التطور الإسلامي في نظر المفكرين

في الإسلام قوة إلهية سبق بها الزمن وتواكب مع القوافل الحضارية يقودها ويرشدها وتزامن مع الأجيال الدائبة، وتآخى مع المبادئ البناءة وتلاقى مع العقائد النقية، منه العون للحق على أي لسان، وعليه النصر للحرية في أي بلد، وفيه الدعم للمواهب من أي جنس، دين حوى بين دفتيه من السعة والدقة ما رشحه دائما لريادة الأمم في الإسلام، وقيادتها في الحروب، وزعامتها في الخير وسيادتها في الميادين، امتلك أعظم رصيد من التطور الذي أهله للتنافس مع الريح القاصفة في السرعة ومع النسائم العلية في الرقة ومع زبرجد الحديد في الصلابة ومع الجبال الرواسي في الثبات، ومع تيارات المحيط في التدفق.

دين كره الحجر على العقل وأبغض مصادرة الفكرة ولفظ جمود اللب وصارع قوى الإكراه أطلق العقل من أساره وفك أغلاله ودفعه إلى آفاق الثقافات الإنسانية وأعماق المعارف الإسلامية وفتقه على منافذ الفكر البشري ومحاسن الأدب العالمي وأطايب الفن الدولي، تخصص في تمهيد الطريق لسعادة الفرد وهناء الأسرة وراحة الشعوب ورضاء الأمم وتعهد ضبط مسار الحكام وتقويم سلوك الجماعات وإشعال الضوء الأحمر قبل الخطر، وفطم الطغاة عن تكبيل الدعاة وإقامة الدولة في خدمة الدعوة، ادخر في خزائنه من السعادة ما لو قسمه على القارات الخمس عند تطبيقها له لكفاها وفاض بشآبيبه على الجن في خبايا الأرض والملائكة في أعنة السماء والطيور في أجواء الفضاء والوحوش في شعاب الصحراء، خاصم الجمود في كل مجال وشهر سلاحه على التخلف فحوله إلى تقدم، وهرع إلى الشعوب المستضعفة فحطم أغلالها وأسرع إلى الجبابرة فطهر صلفها، وطار إلى الطواغيت في كل مكان على ظهر الأرض وجرعهم كؤوس المر حتى الثمالة، وقطع أيديهم التي كوت الجلود بالسياط، ودق أعناقهم التي استكبرت على الخالق فلم تسجد له مرة، دين من ألد أعدائه التخلف فما أن يرى أشواكه اللاذعة مستغلظة حتى يعمل بسرعة فائقة في اقتلاع جذورها من أعماقها، ويغرس مكانها بذور التقدم ويرويها بدماء المجاهدين حتى تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، يهيئ مناخ الحرية لها إعلاء لأغصانها وتثبيتا لمكانتها، دين من جوهره استثمار جميع الثروات وإعلاء القواعد الحضارية بها وإسعاد الإنسان في بحبوحتها وتطوير الحياة بمقدراتها وإعمار الدنيا



بنفاستها ولقد شاد التطور الحضاري على ركيزتين:
الأولى: الروحية - والثانية المادية، ومن أجل هذا تعامل مع النفس والجسد وتفاعل مع الدنيا والآخرة وتجاوب مع الخلق والخالق ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

مسيرة الإسلام الحضارية

عندما هيمن الإسلام على المسيرة الإنسانية قضى على التخلف الحضاري والجمود الفكري والجدب العقلي وأثرى المدنية بأحكامه الشرعية ودفع عجلتها إلى الأمام ومنع نكوصها على الأعقاب وحول الأثرة إيثارا، والتراب تبرا.
وإن الباحثين في كل عصر عن الحق بدأب عثروا عليه بين ركام الأباطيل فاهتدوا إليه وميزوه منها وعزفوه عن قيثارة العشق ونشروه على أسماع الدهر وأنعشوا به قلوبا مكلومة وصدورا مغيظة وأزاحوا عن وجهه غبار السنين، ومن فضل الله على الحقيقة أنه اصطنع لها غواصين مهمتهم في الحياة استخراجها من سجونها ونثرها على الإنسانية كما ينثر الندى على أكمام الزهر وهذه منة كبرى من الخالق على الخلق، ورغم مرارتها في حلوق الشانئين فإن لها حلاوة في مذاق المفكرين وعبقا في أنوف العباقرة وجمالا في أعين الأفذاذ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾ (فصلت:٥٣).

إن الذي خلق الحقيقة علقما
لم يخل من أهل الحقيقة جيلا

قال الدكتور (بول دي ركلا): (إن الإسلام جاء وبابه مفتوح على مصراعيه وهو واسع الأرجاء لتلقي الرقي الحديث الذي أنتجته الأجيال الطويلة، وليس كما يزعم البعض بمحدود الأطراف وضيق المدخل، لأن تعاليمه الرفيعة وضعت لكرور الدهور، وستبقى خالدة وضاءة الأنوار تكشف كل مدنية تتمخض عنها العصور ويكفيه فخرا أنه قدس الأنساب وعظمها ليرغب الرجل في الزواج ويعرض عن الزنا المحرم، وإن الإسلام قد حل بعقلية عادلة أغلب المسائل الاجتماعية التي لم تزل للآن تشغل بال مشرعي الغرب بتعقيداتها)[1].
وقال (فلكس فالي) المستشرق المجري: (إن دعوى كون الإسلام جامدا لا يتحرك، دعوى لا دليل عليها، والحق أن الإسلام كان في كل عصوره مثالا للحرية الفكرية في التاريخ).
وقال المستشرق (لوسين بوفا): (إن الإسلام يتفق مع مدنية زماننا الحاضر تمام الاتفاق وفي الواقع أن التقدم الذي نشاهده

في الممالك الإسلامية منذ قرن دليل على أن الإسلام يسير مع المدنية جنبا إلى جنب، والإسلام سيظل موجودا دائما)..

وفي المؤتمرات الدولية اعترف أساطين العلماء بعظمة الإسلام المتطور، وجهر جهابذة الباحثين بمرونة شريعته والتقط التاريخ هذه الاعترافات مسجلا إياها على نصاعة صحائفه للأجيال التي تترى إلى أن ينفض سرادق الحياة، وهذه المؤتمرات لا يدعى إليها إلا مشاهير المحققين وأعاظم العلماء لطرح أهم القضايا وأرحب الشرائع، ولقد حظيت شريعة الإسلام بأعمق البحوث وأروع النتائج وشرفت هذه المؤتمرات بكلمة الصدق وإعلان الحق وشنفت آذان الدنيا بنشيد خالد.

الفقه الإسلامي والمبادئ القيمة

في مؤتمر عام (١٩٥١م) (شعبة الحقوق الشرقية في المجمع الدولي للقانون المقارن) المعقود في كلية الحقوق في باريس، وضع المؤتمرون قرارا جاء فيه: (أثبتت الأبحاث بجلاء أن الفقه الإسلامي يقوم على مبادئ ذات قيمة أكيدة لا مرية في نفعها، وأن اختلاف المذاهب الفقهية في هذا الجهاز التشريعي الضخم ينطوي على ثروة من الآراء الفقهية، وعلى مجموعة من الأصول الفنية البديعة التي تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة الحديثة)

وأصدر مؤتمر القانون الدولي المقارن في لاهاي (أغسطس ١٩٣٧م) قرارا هو (أن الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور ومسايرة المدنية الحديثة، وأنها لذلك جديرة بأن تشغل مكانة ممتازة بين مصادر القانون المقارن)[٢].

سبيل تقدم الممالك الإسلامية ليس في اتخاذ الأساليب الغربية

شهادة منصف لشريعة الإسلام

إن الأمة الإسلامية في أجناب الأرض مفتقرة إلى من يفتح بصرها على شريعة الإسلام ويعرفها بما فيها من نفاسة، ويقنعها بما لها من قيمة ويفطمها على ما هو عليه من مر ويستدرجها إلى ما هو أحلى وكفاها من العلقم كؤوسا وما عند عدوها اللدود لها إلا تخريب ذممها العامرة وإفساد أحوالها الصالحة، وكسر جيوشها المنتصرة، وقطع حبالها الموصولة وتكفيرها بالإسلام المتطور، وإبعادها عن الشريعة الغراء وتزهيدها في القرآن المجيد وحجبها عن السنة الهادية ومنعها من الزلفى إلى السلف الصالح وضرب عقولها المخططة وطمس معالمها الوضاءة.

لقد جربت الأمة الإسلامية كل المذاهب البشرية التي باءت بالفشل الذريع في حل مشكلاتها وإنعاش اقتصادها وضبط سياستها وتقويم سلوكها وتدريب جيوشها، ولهذا أصدر الله إليها أمرا تجاهلته فاستعبدت من حثالة العالم، قال تعالى ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف:٣).

وهذه شهادة واضحة من منصف أميركي وقعت عينه على عظائم الشريعة الإسلامية فبش لها وأقر بفضلها ودعا قومه إليها في كتابه وهو الدكتور (هوكنج) أستاذ الفلسفة في جامعة هارفارد، قال: (إن سبيل تقدم الممالك الإسلامية ليس في اتخاذ الأساليب الغربية التي تدعي أن الدين ليس له أن يقول شيئا عن حياة الفرد اليومية، وعن القانون والنظم السارية، وإنما يجب أن يجد المرء في الدين مصدرا للنمو والتقدم، وأحيانا يتساءل البعض عما إذا كان نظام الإسلام يستطيع توليد أفكار جديدة وإصدار أحكام مستقلة تتفق مع ما تتطلبه الحياة العصرية؟

والجواب: هو أنه في نظام

الإســلام كل اســتعداد داخلـي للنمو، بل إنه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة، وعنـدي أن الصعوبة لـم تـكن فـي انـعـدام وسـائل النـمو والنـهضة فـي الشريعة الإسلامية وإنما في انعدام الميل إلـى استـخدامـها، وإنـنـي أقـرر أن الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادئ اللازمة لنهضتها).

هـذه شـهـادة اعتـز بـها الخلف ولعلها تشحذ فيهم الهمم وتصقل العزائم، وصدق الشاعر:

ومليحة شهدت لها ضراتها
والفضل ما شهدت به الأعداء

الفضل ما شهدت به الأعداء

والعجيب أن الأعداء أثنوا عليها وأبــرزوا مـحـاسنـها وأعـجـبوا بـجـمـالـها، وحملتها أعـرضـوا صفحا عنها ووجهوا المطاعن إلى كبدها، ولما غـاص المستشرقون في أعماق الإسلام أصابوا تلك الحقيقة المتألقة وسجلوها بمداد من مـاء الـذهـب فـي مؤلفاتهم العلمية بغية انـبـثـاق شمسها في سماء العالم الإسلامي مرة أخرى.

إنهم كسروا حدة الطاعنين فيه، ورشـدوا فكر الضاغنين عليه ولما عرفوا الحقيقة نشروها في ثوب قشيب دون وجل، واعتنقها بعضهم أمـام العالم بـلا خوف من كل بلد أمثال (اللورد هدلي - وايتان دينيه - وليون روسن - والدكتورة لورا فانيشيا فاليري - وليوبولد فايس - وعبدالله كوليام - ونشكيتا بارهبابا - وهـاري هينكل - وخالـد شـلـدريك)، وغيرهم كثير.

بـعـد الجـدب يـنـهـمـر الغيث وفـي الـظـلام يـلـمـع الـنجم

ومن فضل الله على هذه الأمة أن قيض لها في كل عصر من يحيي فيها الموات ويجمع بها الشتات ويجدد لها الدين، وهذا التجديد لا يـتأتـى إلا لـعـبـاقرة احـمـرت عيونهم مـن الاطـلاع ليل نهار وانـصـهـرت نفوسهم فـي بوتقة العقيدة وانتصرت أفكارهم على الجاهلية ولذلك يفرض المجدد نفسه على مجتمعه وينتصر دينه معه ويفر البلى من وجهه وتشرق الشمس على منهجه فـلا يرى إلا تلاء للقرآن أمـرا بالمعروف نهاء عن المنكر، بساما بالنهار بكاء بالليل، ولا يشاهد إلا كفرا انتكست معالمه ونفاقا تمرغ جنده وباطلا تهشمت رأسـه وجمودا تـوقـف طـيـاره وتـشـددا جفت روافده.

ومـا أحـوج الإسـلام الـيـوم إلـى مـجـدد يـجـمـع بـين الأصـالـة والـحـداثـة، ويـسـتـحـوذ على الصلابة والمرونة ويجيد التعامل مع السماء والأرض ويحرص على القديم وينتفع بالجديد ويرشد بمنهج الخـالـق مدينـة الخلق ويحبب الأمة في دينها ويعبدها لربها ويجعل لها طريقها ويربطها بـالأسـوة الحسنة ويقطعها عن زيف الجبابرة وعنت الطواغيت، وفـي هـذا المـنـاخ المعطر ترنو الأبـصـار إلـى روعـة عقيدتنا وبهجة شريعتنا وفرحة ظفرنا ورفرفة رايتنا[٣].

عن أبـي هريرة عن النبي ﷺ قـال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»[٤].

إن آيات الله تترى نصب أعيننا وبين أيدينا، فبعد الجدب ينهمر الغيث وفي الظلام يلمع النجم وبين الأشواك ينبت الورد وبعد الجفاف يتدفق النهر ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥﴾ (الروم:٤-٥).

الهوامش

١- مجلة العرفان، صيدا ص١٦٦ م٢٢ (١٩٣١م-١٣).
٢- الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، أنور الجندي ص٩٨.
٣- روح السياسة العلمية.
٤- رواه أبو داود والحاكم والبيهقي بسند صحيح.



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

في مفهوم «الأمن الفكري» ومقتضياته

لا تزال حاجات المجتمعات تنمو وتتنوع، وتكشف عن ضرورة العناية بما يطرأ عليها من ظواهر، وما يستجد فيها من أمور؛ سواء على مستوى الفكر أو الممارسة؛ حتى نكون على وعي وبصيرة بما يحدث؛ فنصحح الخطوات، ونعالج الأخطاء، ونوجه الطاقات.

ومن ذلك مفهوم «الأمن الفكري»، الذي يبرز باعتباره أحد هذه المفاهيم الجديدة -في صياغتها ومعالجتها أكثر من المضمون- ويحتاج لوقفة تدبر وتأمل.

السياق والمفهوم

وقبل أن نتطرق لما يشير إليه هذا المفهوم، نوضح ما يمكن أن نتصوره من سياق قد استدعاه وأحاط به. وهذا السياق يتمثل فيما تواجهه مجتمعاتنا من بلبلة أو اضطراب فكري، بما أحدث خللا في الفهم، نتجت عنه ممارسات خاطئة؛ مثل ظواهر التطرف والمغالاة، واتجاهات التغريب والذوبان.. مما أوجد

الشعور لما يمكن تسميته بـ«الأمن الفكري».

إذن، مفهوم «الأمن الفكري»، والحاجة إلى استتباب هذا النوع من الأمن، قد ظهر إثر تغيرات شعرنا معها بوجود خلل ناشئ من الفكر.. تماما كما أن الخلل في جوانب الحياة الاقتصادية مثلا، أو الاجتماعية، أو السياسية، يستدعي الشعور بالحاجة إلى شيء ما يعالج هذا الخلل.

أما «الأمن الفكري» فهو مصطلح مركب من كلمتي الأمن والفكر؛ و«الأمن» ضد الخوف، ويراد به السلامة والاطمئنان[1]؛ وأما «الفكر» فيراد به «إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول، ويقال: لي في الأمر فكر: نظر وروية»[2].

وعلى هذا، يمكن تعريف «الأمن الفكري» بأنه: حالة من الاطمئنان تتصل بالفكر، وما يقوم عليه من مرتكزات ومفاهيم؛ بحيث تتوافر لهذا الفكر مقومات السلامة والاستقامة.

وإذا أخذنا في الاعتبار ما يمثله الإسلام لمجتمعاتنا من مرتكز أساسي للأفكار والمفاهيم؛ فيمكن القول بأن «الأمن الفكري» هنا ليس بعيدا عما يواجهه الإسلام من مفاهيم خاطئة تبناها بعض المنتسبين إليه، أو ما يواجهه من مشاريع تغريبية تستهدف التأثير في الفكر الإسلامي وإلحاقه بغيره من الأفكار والثقافات.

إذن، «الأمن الفكري» فيما يتصل بمجتمعاتنا الإسلامية يتحرك على هذين المسارين، ويواجه ما ينتج عنهما من تحديات؛ بجانب اهتمامه عموما بما يؤثر سلبا على الفكر، من عادات وموروثات خاطئة وغير ذلك.

مقتضيات «الأمن الفكري»

واستبقاء «الأمن الفكري» في حالة من العافية والاستقامة والاطمئنان، يتطلب عدة أمور؛ أهمها:

- الحفاظ على الهوية

لكل مجتمع من المجتمعات «هوية» تمثل حقيقته، وتصنع تميزه عن غيره من المجتمعات. فالهوية هي: حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره[3]. ومجتمعاتنا الإسلامية تقوم حقيقتها وعوامل تميزها على الإسلام؛ فهو الذي صاغها فكرا وسلوكا، وأوجد لها شخصيتها الحضارية وكيانها الثقافي والاجتماعي والسياسي، بعد أن كانت مجرد قبائل متفرقة لا وجود مؤثرا لها في الميزان الحضاري.

ولهذا فإن أي اعتداء على الهوية الإسلامية يستتبع خللا في «الأمن الفكري» لمجتمعاتنا؛ لأن هذا الاعتداء يضعف مكانة مرجعية الأمة، ويصيب المجتمع بحالة من الشك والارتياب في ثوابته ومسلماته. وإذا أصيب مجتمع ما في هويته بهذه الحالة من الضعف والشك والارتياب، فإنه لن يكون قادرا على الانطلاق من قاعدة راسخة نحو النهوض الحضاري.

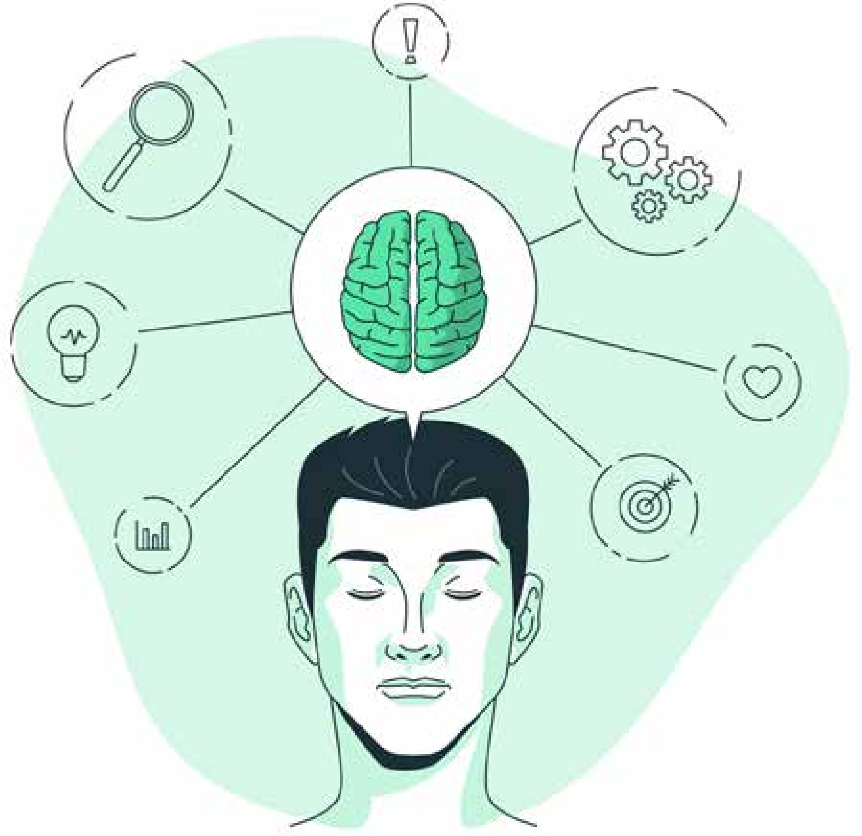
الإسلام بالنسبة لنا نحن المنتسبين إليه هوية عقدية وحضارية؛ بمعنى أننا نستمد منه تصورنا عن الإله الحق وهو الله سبحانه وتعالى، وعن الكون والحياة والإنسان؛ فنعلم أن الله تعالى واحد أحد لا شريك له، منزه عن الصاحبة والولد، يتصف بكل كمال ويتنزه عن أي نقص.. وأن الكون مسخر للإنسان ليستعين به على أداء المهمة التي أوكلت له من العبادة والعمارة.. وأن الحياة الدنيا دار اختبار تعقبها دار جزاء، جنة أو نارا، وليست الدنيا مرحلة نهائية بعدها العدم.. وأن الإنسان مخلوق لله تعالى، مكرم من بين خلقه، له وظيفة ومهمة، لم يخلق عبثا ولن يترك سدى، وبالتالي فهو محكوم بما شرع الله تعالى من أوامر ونواه.

فهذه الرؤية الكلية، التي نستمدها من الإسلام، تشكل لنا هوية يقوم علينا بناؤنا الثقافي والاجتماعي والسياسي والحضاري؛ كما أنها تميزنا عن غيرنا من الأمم والحضارات.

وإذا كانت هذه الهوية غير آمنة من الاعتداء أو السخرية، وغير موفورة الحق والجانب؛ فإننا نفقد الأسس التي تقوم عليها حياتنا والتي تصنع لنا شخصيتنا وذاتيتنا.

ولهذا، نرى في الهويات المغايرة تعاملا مختلفا مع أسس هويتنا الإسلامية، لأنهم لا ينطلقون من الأسس التي ننطلق نحن منها؛ فتصورهم عن الإله غير تصورنا، بل قد لا يؤمنون بوجود إله أصلا.. واعتقادهم عن الكون غير اعتقادنا، وقد تقوم علاقتهم معه على الصراع والاستنزاف، لا التسخير والإفادة منه والمحافظة عليه.. ونظرتهم للإنسان غير نظرتنا، لأنهم لا يرونه مخلوقا لله مكلفا بالعبادة، وإنما يرونه سيد نفسه وغير مرتبط بأية أوامر أو نواه، كما يرون عقله يمثل مرجعية له، لا يحتاج معها لهداية من الخارج، أي ما نسميه نحن: الوحي.

فالحافظ على هويتنا، وعلى الأسس التي تقوم عليها والثوابت التي تنبع منها؛ هو حفاظ على



«الأمن الفكري».

- التفرقة بين الثوابت والمتغيرات

لكل نموذج معرفي أو فكري أو حضاري مساحة من الثوابت لها صفة الدوام والاستمرارية، ولا يجوز التفريط فيها؛ ومساحة من المتغيرات لها صفة المرونة لأنها تتصل بالفرعيات لا الأصول والكليات.

والإسلام بنموذجه المعرفي المتميز له ثوابت وفيه متغيرات، ومن المهم أن نفرق بين هاتين المساحتين، بحيث لا نخلط بينهما، ولا نتعامل مع إحداهما بما لا ينبغي لها؛ لأن الخلط بين الثوابت والمتغيرات يؤدي إلى الجمود، وإلى الانشغال بمعارك كان يمكن تجنبها؛ إذ المرء حينئذ ينبري للدفاع عن أمر يظنه ثابتا من الثوابت بينما هو مما يجوز فيه الاختلاف والتغيير.

فمثلا، في النظام السياسي في الإسلام، نجد قيما ومعايير تمثل الثوابت في هذا النظام، مثل قيم العدل والشورى والحرية واحترام الحقوق.. بينما لا نجد وسيلة محددة في تطبيق هذه القيم والمعايير؛ لأن الإسلام ترك الوسائل للمتغيرات والمستجدات التي تحدث في الأزمنة والأمكنة. ولهذا نجد في عصر الراشدين، أن كل خليفة من الخلفاء الأربعة قد تولى الحكم بطريقة مغايرة عن الآخر! وهذا في زمان متقارب جدا، ولم يبعد عن عصر النبوة؛ فما بالنا بقرون متطاولة بعد ذلك.

وهذه التفرقة بين الثوابت والمتغيرات، وبين المقاصد والوسائل، هي مما يمنح الإسلام قدرة على العطاء على امتداد الزمان والمكان وعلى اختلاف الأحوال والبيئات.. فلو ألزم الإسلام أتباعه بوسيلة محددة في تطبيق ما جاء به من قيم، لكان في ذلك عسر ومشقة؛ لأن الوسائل حتما متغيرة متطورة.

يقول ابن القيم: «الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة؛ كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك؛ فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه. والنوع الثاني ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا؛ كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة»[٤].

إذن، الحفاظ على «الأمن الفكري» يقتضي تمييزا بين الثوابت والمتغيرات، والمقاصد والوسائل؛ حتى لا نصاب بالجمود؛ وبالتالي يكون هذا الجمود مبررا للبعض لانتقاده والخروج عليه، بما يسيء للقيم والمقاصد ذاتها، وليس فقط للوسائل التي نظنها ثابتة.

- عدم الإلزام في المختلف فيه

مما يتميز به الإسلام أن أحكامه ليست على درجة واحدة، وإنما منها ما جاء بصورة قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، سواء في العقائد أو التشريع أو الأخلاق.. وما جاء بصورة ظنية الثبوت أو الدلالة أو بهما معا.

وعلى هذا، فما جاء بصورة قطعية الثبوت وقطعية الدلالة ينبغي أن تكون محلا للاتفاق ووحدة الرأي والكلمة؛ أما غير ذلك فينبغي أن يتسع الأمر فيها لاختلاف الرأي المعتبر، ولتعدد وجهات النظر المقدرة شرعا. وعلينا أن نعتبر هذا الاختلاف أمرا موافقا للشرع نفسه من ناحية؛ إذ لو أراد الله سبحانه عدم تعدد الرأي لجعل الأحكام كلها قطعية الثبوت والدالة.. وأمرا مناسبا لاختلاف الأحوال

والأزمان؛ لأن تطور الحياة واسع جدا، واختلاف البيئات مشاهد وملحوظ؛ فناسب ذلك أن تكون مساحة التعدد واسعة لاستيعاب ذلك.

ولهذا، عرف تراثنا التعدد في الأحكام، من خلال المذاهب الفقهية الأربعة وغيرها مما اندثر لعدم توافر تلاميذ يحملون المذهب جيلا بعد جيل.. وهذا التعدد يمثل ثراء معرفيا يستوعب العقول، ويقيها شر الجمود والتعصب اللذين ينتجان عن حمل الناس على رأي واحد في المسائل والأحكام، دون تفرقة بين ما يجوز فيه التعدد وما لا يجوز!

فالأمن الفكري يقتضي التمييز بين ما هو محل للاتفاق والإلزام، وما هو محل للتعدد والسعة.. ولهذا، كان من القواعد المقررة في تراثنا، والتي تمثل خلاصة فكرية وأخلاقية معا، أنه لا إنكار في المختلف فيه[٥]؛ بما يعني أن الإنكار يجب أن يتوجه فقط لما هو محل للاتفاق؛ لأن تضييق مساحة التعدد يؤثر سلبا على «الأمن الفكري».

- امتلاك معيار للتعامل مع الآخر

أحد أهم مقتضيات «الأمن الفكري» هو امتلاك معيار للتعامل مع الآخر؛ أي هل يتحدد موقفنا منه بناء على القبول المطلق، أم الرفض المطلق، أم الفرز ومعرفة النافع من الضار.. لأننا في حالة عدم امتلاك هذا المعيار، سنجد البعض يجنح إلى القبول المطلق؛ بما يعني الالتحاق بالآخر والذوبان فيه، وعدم الحفاظ على الهوية التي هي من شرائط «الأمن الفكري».. والبعض الآخر يجنح إلى الرفض المطلق؛ أي الجمود على الذات، بما ينتج عنه من ظواهر التعصب والانغلاق.

بينما الموقف الصحيح هو التعامل مع الآخر انطلاقا من معيار محدد يقوم على إدراك سنة الله تعالى في جعل الناس مختلفين متنوعين في الأفكار واللغات والأعراق، وأن هناك مساحة للمشترك الإنساني يمكن فيها تبادل المنافع والخبرات، في مقابل مساحة للخصوصية تشكل هوية كل مجتمع وكل حضارة، وأن هذه المساحة الثانية لا تلغي الأولى، وإنما لكل منهما ضرورته وفائدته.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات:١٣).

والتاريخ شاهد على أن جميع الحضارات استفادت بعضها من بعض، وانبنى اللاحق منها على السابق؛ دون أن تفقد كل حضارة شخصيتها وذاتيها، وإلا ما كان هناك فرق بين حضارة وأخرى!

- الاهتمام بتحصين الشباب فكريا

الشباب هم عماد المجتمع، وهم الحاضر الذي يتشكل منه المستقبل، وهم أيضا أكثر عرضة من غيرهم لمحاولات التأثير والاستتباع؛ نتيجة عدم تمكنهم الكافي من هويتهم الذاتية وشخصيتهم الحضارية، ونتيجة كذلك لأنهم يتصفون بالشغف والتطلع، مما يسهل وقوعهم في مخاطر لم يستعدوا لها.. أي بما يهدد «الأمن الفكري»، الذي يستلزم انسجاما فكريا في المجتمع، كما سبقت الإشارة.

ولهذا ينبغي أن تتوجه الجهود في الحفاظ على «الأمن الفكري» إلى الشباب بصورة كبيرة؛ بما يعني تثقيفهم وتنشئتهم على حب هويتهم والاعتزاز بها والانتماء لها، وعلى التفاعل مع الغير من موقع الندية، ومن منطلق البحث عن الحكمة؛ دون جمود على الذات ولا ذوبان في الآخر.

وبقدر عنايتنا بالشباب، نحافظ على شريحة مهمة جدا، كبيرة العدد ولها دور أساسي في تحقيق «الأمن الفكري» والمحافظة عليه.

هذه أهم مقتضيات الحفاظ على «الأمن الفكري» واستبقائه سليما معافى يؤدي دوره في حماية المجتمع، وفي إكسابه القدرة على التعامل مع المتغيرات بما يثريه ويعدد من خبراته، لا بما يضعف هويته وذاتيته الحضارية.

الهوامش

١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص:٢٧، باختصار.

٢- المصدر نفسه، ص:٧٢٣.

٣- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص:٢٠٨.

٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، ١/ ٣٣٠.

٥- وردت هذه القاعدة بألفاظ: «لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المجمع عليه»، «لا ينكر إلا ما أجمع على منعه». والمختلف فيه هو ما يقع بين المذاهب لاختلاف الأدلة، فلا يجب إنكار المختلف فيه؛ لأنه يقوم على دليل، وإنما يجب إنكار فعل يخالف المجمع عليه، لأنه لا دليل عليه، وإن الإنكار المنفي في القاعدة مراد به: الإنكار الواجب فقط، وهو لا يكون إلا لما أجمع على تحريمه، وأما ما اختلف في تحريمه فلا يجب إنكاره على الفاعل. انظر: القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د. محمد مصطفى الزحيلي، ٢/ ٧٥٧، باختصار.



القاهرة - الطيب حسين
دار الإعلام العربية

نحو بناء الأمن الفكري

يمثل الدفاع عن الأمن الفكري أحد المجالات المهمة التي يجب أن يعنى بها أبناء الأمة، نظرا لثورة المعلومات المعاصرة، وسهولة تمرير الأفكار الهدامة التي تهدد أمن الدول والمجتمعات.

ويمتلك الإسلام معالجة متفردة في هذا الجانب، فضلا عن تاريخ ناصع أولى هذه الإشكالية اهتماما واضحا، بدأ منذ صدر الإسلام، عن طريق التعرض لها، وبيان وسائل التصدي والمواجهة، فضلا عن التركيز على وسائل التحصين، لاكتساب أتباعه مناعة قوية حيال هذه التحديات.

ويكشف علماء ومتخصصون لـ«الوعي الإسلامي» دور الوعي في هذه المعركة الدائرة، باعتباره حجر الأساس، والركن الركين الذي يجب أن تنتبه لأهميته الحكومات والشعوب على حد سواء، حفاظا ليس على أمنها الفكري فقط، لكن حتى على أمنها القومي.

في هذا الصدد، يقول الدكتور أحمد كريمة، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، إن الأمن الفكري من الموضوعات التي أولاها علماء الإسلام عناية فائقة، استنادا إلى آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، مشيرا إلى أن من ذلك قول الله عزوجل في سورة سبأ ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (سبأ:٢٤).

وأوضح أن هذه الآية على وجازتها، دلت على عدم احتكار الحق، بحيث إنه قد يكون معك أو عليك، مضيفا أنه لذلك قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «كلامي صواب يحتمل الخطأ، وكلام المخالف خطأ يحتمل الصواب»، مشيرا إلى أن الإمام علي رضي الله عنه ربما استفاد وأفاد من هذه الآية القرآنية الفريدة التي سبقت جلسات السينمار المعاصر في الجامعات والمراكز البحثية.

د. كريمة: التجديد في فهم الدين وحسن عرضه من أهم وسائل الأمن الفكري

أعظم وسائل ومقاصد الأمن الفكري

أضاف د.كريمة أن الفقهاء يرددون دائما: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها»، وهي تروى حديثا مرفوعا عن النبي ﷺ، لكن لا يصح إسناده.

وتابع أن المقصود، أن الحكمة ليست مقصورة على لغة أو جنسية أو بيئة، بل هي مما جعله الله تعالى متاحا للناس على السواء، لكن لا يعرف القيمة في ذلك إلا من رزقه الله تعالى التوفيق.

وأكمل «فإذا كان في المأثور الناس شركاء في ثلاثة الماء والنار والعشب»، فالحكمة هي ضالة متاحة لكل أحد إذا أحسن استخدام الوسائل للوصول إليها.

وكشف «كريمة» أنه من هنا يأتي شأن المناظرة ليعطي البعد في الأمان الفكري، موضحا أن المناظرة هي مقارعة بالحجج والبراهين ليس لتغليب رأي للتشهي أو الباطل، لكن تغليب رأي، لقوة الدليل وتحقيقه مصلحة ودفعه مفسدة.

الأصور: البيت والمدرسة والمسجد أهم وسائل التحصين الفكري

وأكمل أن من المناظرات التي يشار إليها بالبنان، ما كان في صدر الإسلام بين الإمام علي رضي الله عنه وبين الخوارج، وأيضا بين الإمام عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما وبين الخوارج أيضا.

وتابع أنه حتى في السجال الفقهي بين أفذاذ العلماء، مثل واقعة الفقيه المصري الليث بن سعد رضي الله عنه، عندما عتب على الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، في أن الأخير يجعل عمل أهل المدينة من المصادر أو الأدلة عنده.

وذكر أنه درات بينهما مناظرات مثالية، تكشف عن أدب رفيع، وعن سلوك حميد، وعن تطلع إلى الحق لذاته، موضحا أنه من هنا يتفرد التاريخ الإسلامي في أن الأمن الفكري عنده وفيه، إنما يستند إلى نصوص وقواعد وخبرات من أهل العلم، ولا أدل على ذلك من أن النبي ﷺ، لم يجعل الدين في قوالب جامدة، لكنه قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»، موضحا أن التجديد في فهم الدين، وفي حسن فهمه وحسن عرضه، من أعظم ظواهر ووسائل ومقاصد الأمن الفكري.

التحصين الفكري

وفي السياق ذاته، قال الكاتب والباحث خالد الأصور: إن مفهوم الحرب تغير في العصر الحديث، موضحا أنه لم يعد قاصرا على استعمال القوة العسكرية الخشنة على الأرض، بل أصبح يدخل في مفهوم الحرب غزو المجتمعات فكريا بالأفكار الهدامة أو المتطرفة.

وذكر أن هذا يتم باستخدام الفضاء الواسع في عصر المعلومات عبر حروب الإفك والفتن وبث الشائعات، لافتا إلى أن هذه الوسائل الناعمة نعومة فحيح الثعبان وسمومه الناقعات، أصبحت تؤتي ثمارها المرة أحيانا بطريقة أكثر فعالية من الوسائل الخشنة.

وتابع أنه في عالمنا المعاصر، أضحت وسائل الإعلام والاتصال، تكاد تفرض حصارا على مستقبل الرسالة الإعلامية في كل مكان يذهب إليه، مما يقرأ أو يسمع أو يشاهد، وما تتدفق أمامه من معلومات مختلفة المشارب والدوافع والتوجهات، تقوده أحيانا إلى التعرض لما يوصف بعمليات غسيل المخ.

وقال إن كلنا يعرف أن رسول الله ﷺ، هو أكثر الأنبياء تعرضا للشائعات، مشيرا إلى أن المشركين روجوا حوله شائعات تارة أنه ساحر، وتارة أنه كاهن، وتارة أنه كاذب، وتارة أنه مجنون، مضيفا «ألا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، وكلنا يعرف حادثة الإفك التي روج لها المغرضون للنيل من بيت رسول الله ﷺ».

وحول الأسلوب الأمثل لمواجهة الغزو الفكري على المنهج التكاملي في علم الاجتماع بشكل عام، يؤكد «الأصور» أن الرأي العام الناضج القادر على الحركة بسرعة وفاعلية، يمكنه أن يقضي بسرعة أيضا على أي سموم يمكن أن تجتاح البناء الفكري والاجتماعي.

وأوضح أن البيت هو المجال الحيوي الذي تبدأ فيه أول خطوة للتحصين الفكري، مضيفا أنه يمكن كذلك للمسرح المدرسي أن يقوم بدور مهم في هذا السياق، من خلال مسرحيات تثري الرصيد المعرفي عند الطلاب لتعريفهم وتوعيتهم بخطورة الأفكار الهدامة والمتطرفة، فضلا عن الجامعة التي يقع على عاتقها تخصيص قدر من برامجها وأنشطتها ودراساتها للتحصين الفكري لطلابها.

د. مكاوي: ٣ مستويات من الوعي لبناء حائط صد ضد أي استهداف للأمن الفكري

كما تطرق إلى العامل الديني الذي أكد أنه ولا شك، له دور مهم في تشكيل وصياغة ثقافتنا وتوجهاتنا.

وأكمل أنه يمكن للمسجد عبر الدروس وخطب الجمعة أن يساهم في الحد من مخاطر الغزو الفكري، عبر الحث على قيم الصدق وكراهة اللغط ولغو الحديث وبث الشائعات، مضيفا أن من كثر لغطه كثر غلطه.

وتابع أنه من صفات المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ (المؤمنون:٣)، منبها على إشارة مهمة لهذا الحديث النبوي القائد في مواجهة الشائعات: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»، موضحا أن ما تستمع إليه قد يكون فيه بعض الحق وكثير من الباطل، فالثرثرة وكثرة الحديث حول كل ما تسمع دون رؤية أو روية يجعلك آثما، وقد يجعلك فاسقا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦).

معركة الوعي

وفي الإطار ذاته، قال الدكتور حسن عماد مكاوي أستاذ الإذاعة والتليفزيون وعميد كلية الإعلام جامعة القاهرة سابقا، إن هذه المعركة تسمى معركة الوعي، موضحا أنه لابد من إيقاظ الوعي لدى أكبر عدد ممكن من الناس، بحيث يمتلكون القدرة على إدراك المخاطر التي تحدث في الداخل والخارج.

كما أكد أن الوعي سيمكن الأفراد أيضا من امتلاك مقاومة ذاتية لأي ادعاءات وافدة من الخارج، أو أفعال منحرفة تضر الأمن الفكري.

وتابع أن هذا يحدث من خلال عملية إيقاظ الوعي، إلا أنه لفت إلى أن هذا الأمر يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، وإلى استنفار نخبة المجتمع بأن يفكروا ويركزوا على القيم والعادات والتقاليد التي هي من المفترض أن تسود في المجتمع.

وأضاف: يجب كذلك التشديد على ترسيخ كيفية الوقاية من الأخطار الخارجية بالذات، خاصة فيما يتعلق بالأفكار المنحرفة الوافدة من الخارج والتي تهدف في النهاية إلى استهداف الدول أو تأليب بعض الفئات على بعضها البعض داخل المجتمع، موضحا أنه من غير الوعي سيكون من الصعب مقاومة مثل هذه الأفكار الهدامة.

كما لفت الخبير الإعلامي، إلى أن الوعي يتكون كذلك من امتلاك المجتمع فرصة للتنوع، وإتاحة طرح كل الأفكار ومناقشتها، بحيث تواجه الحجة بحجة والرأي يواجه برأي مادام أن هذا يتم تحت مظلة

الالتزام بمقتضيات الأمن الفكري والقومي بصفة عامة.

ولفت «مكاوي» في هذا الإطار أيضا إلى تنوع المسؤوليات حيال القيام بهذا الدور.

وأوضح أن المسؤولية هنا متعددة، بحيث إن الحكومات عليها دور، فضلا عن مؤسسات المجتمع المدني، بالإضافة إلى نخبة المجتمع.

وتابع أن دور الحكومات يتمثل في إتاحة المعلومات، وعدم حجبها، مشددا على أن حجب المعلومات يؤدي بالتأكيد إلى انتشار الشائعات والأخبار الكاذبة والمغلوطة، خاصة إذا كان المناخ السائد هو عملية الحجب أو منع المعلومات الصحيحة.

وذكر «مكاوي» أن مؤسسات المجتمع المدني أيضا عليها دور من خلال عقد الندوات والمؤتمرات والبرامج التثقيفية، وتعريف المواطنين بالمخاطر التي تحدث بالداخل والخارج، مشددا على الدور التوعوي المهم الذي يقع على كاهل هذه المؤسسات.

وأضاف أن الأمر الثالث متعلق بالنخبة الموجودة في المجتمع، بحيث يجب ألا تكون سلبية، ويجب أن يكون لها دور فعال.

وأوضح أن الوعي يأتي من مجموعة من الأفراد المستنيرين، الذين يحاولون نقل أفكارهم لباقي فئات الجمهور، بحيث يقتنعون بها، ويقتدون بها حال حدوث أي مخاطر أو أي تهديدات.

من أجلّ النعم

بدوره، قال الدكتور مصطفى السواحلي الأستاذ بكلية اللغة العربية، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، إن نعمة الأمن من أجل نعم الله على عباده، حيث امتن الله بها على أهل مكة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش:٤)، مشيرا إلى أنه في الحديث أيضا يقول الرسول ﷺ: «من أصبح معافى في بدنه، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

السواحلي: توظيف وسائل مبتكرة تخاطب الشباب وتربطهم بالعلماء وقادة الفكر

وأضاف أن مفهوم الأمن توسع في العصر الحديث ليمتد إلى مجالات عديدة قد تكون أخطر من مجال الحرب، موضحا أنه لم تعد الحروب بالسلاح وحده، بل اتخذت وسائل أكثر فتكا على المدى البعيد، وهي في الوقت نفسه قليلة الكلفة، وخفية المسلك حيث لا تكاد تشعر بعدوك الذي يسعى إلى هزيمتك بل يهدد وجودك، ومن ثم ظهرت مصطلحات: أمن المعلومات، والأمن اللغوي، والأمن الفكري، والأمن الاجتماعي وغيرها.

وتابع أنه لعل المقصود بالأمن الفكري أن يعيش المرء مطمئنا على فكره وثقافته وسائر مكونات هويته وعلى رأسها الدين واللغة والثقافة.

وأكد أن تحقيق الأمن الفكري يحتاج إلى منظومة تتبناها الدول وتجعلها في قمة أولوياتها، وعليها أن تستقطب الخبراء من رواد الفكر وحملة مشاعل الوعي والاستنارة لرسم سياسة واضحة للأمن الفكري تتبناها الدولة، وتجند كافة مواردها لتحقيقها.

وأكمل أن التعليم على سبيل المثال ينبغي أن يسخر المناهج لتحصين الهوية بكل مكوناتها، مضيفا «قس على ذلك وزارات الإعلام بكل أجهزتها، ووزارات الأوقاف والشؤون الدينية لتوجيه إمكاناتها الدعوية وبخاصة خطبة الجمعة لدعم منظومة الأمن الفكري، كذلك وزارة الشباب والرياضة لتوجيه أنشطتها الثقافية بل أنشطتها الرياضية بطريقة ذكية لترسيخ مفاهيم الهوية الفكرية للأمة.

وأضاف أنه «من ثم نستطيع حماية الشباب من غوائل التطرف بشقيه: التطرف الديني بمعنى الغلو والتشدد الديني الذي قد يصل بالشباب إلى الانخراط ضمن جماعة العنف والتطرف والإرهاب. والتطرف اللاديني بمعنى انسياق الشباب وراء دعاة الإلحاد والشذوذ وسائر الموبقات التي يتوالى سيلها المنتن ولا يتولى».

وأكد أنه «لن يتم هذا إلا من خلال توظيف وسائل مبتكرة توظف فيها التقنيات الحديثة في سبيل مخاطبة الشباب بلغة العصر، فهذا داخل ضمن عموم قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم:٤)، مع العمل على ربط الشباب بالعلماء وقادة الفكر؛ لأنهم القاطرة التي ستأخذهم إلى شاطئ الأمان، والحضن الدافئ الذي سيحميهم من غوائل التطرف يمينا أو يسارا».

د. مسعود صبري
أستاذ مشارك الفقه والأصول



الأمن الفكري من مقاصد الشريعة



يتعدى مفهوم الأمن إلى مجالات عدة، وحين يطلق الأمن، فتنصرف الأذهان إلى أمن الناس على أنفسهم وأرواحهم، وهو ما يتعلق بمقصد حفظ النفس الذي هو أحد مقاصد الشريعة الكبرى الخمسة، وهو ما ذكره الله تعالى في معرض الامتنان على قريش في قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش:٤).

على أن الأمن الفكري هو أيضا من مقاصد الشريعة، حيث يندرج تحت حفظ العقل، وهو المقصد الرابع من مقاصد الشريعة الكبرى الخمسة، مع حفظ الدين والنفس والنسل والمال.

ولعل غالب حديث الفقهاء عن حفظ العقل ما يتجه نحو تحريم المخدرات والمسكرات، وهو حفظ العقل من جانب العدم، أي تحريم الوسائل التي قد تضر بالعقل، على أن حفظ العقل أوسع دلالة من الوقوف على تحريم الخمر والمخدرات والمسكرات، ومن أهمه، خصوصا في واقعنا، هو ما يطلق عليه «الأمن الفكري».

وقد عرفه مفتي المملكة العربية السعودية بقوله: «المقصود بالأمن الفكري الذي تريده الأمة الإسلامية، وكل مسلم غيور على دينه، أن تكون شريعتنا، وعقيدتنا، وثقافتنا الإسلامية، وأخلاقنا وعادتنا الأصيلة محفوظة مصونة ومستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأن تطبق الشريعة الإسلامية ويمتثلها الجميع عن قناعة وإخلاص لله تعالى، وأن يكون الناس آمنين على دينهم، وعقولهم، وأفكارهم من التهديدات الخارجية، والأفكار الهدامة والمبادئ الوافدة، والثقافات المستوردة، وبذلك يتحقق الأمن الفكري في أعلى مقاماته ويعيش الناس عيشة مطمئنة وحياة سعيدة مستقرة قائمة على المثل العليا، والسلوك السوي المستقيم، ويأمن الناس على أنفسهم، ودينهم، وعقولهم، وأعراضهم، وأموالهم»[1].

وعرف أيضا بأنه: «تحقيق الاستقرار العقدي والأخلاقي والسلوكي والاجتماعي وإيجاد الوسائل للوقاية من غزوها، والسبل المناسبة للعلاج من الغزو إن وقع»[2].

تأصيل الأمن الفكري

الأمن الفكري فريضة شرعية، وضرورة واقعية، ومسلمة عقلية، وحتمية اجتماعية، فلو لم تشهد له الشرائع بالوجوب، لكان من مستلزمات الفطر السليمة، ذلك أن سلامة الفكر يترتب عليها سلامة الجسد والنفس والعقل والروح؛ فالفكر هو الموجه للإنسان في كل حياته، وصناعة الفكر من أخطر الصناعات التي يجب العناية بها.

الأمن الفكري في القرآن

ولعل مما يشير إلى وجوب الأمن الفكري ويشهد له من النصوص الشرعية ما يلي:

ما ذكره الله تعالى من كون القرآن مصدر المعرفة الحقيقية، وأنه المرجع الذي يجب الوثوق به لما فيه من الهدى والرشاد، فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء:٩).

فالقرآن فيه بيان كل شيء، والعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة، لا يعوزه منها شيء، فهو يهدي للتي هي أقوم؛ يعني الطريقة المستقيمة، ولو لم يكمل فيه جميع معانيها - أي الشريعة - لما صح إطلاق هذا المعنى عليه حقيقة[3].

ولعل من أدل الآيات القرآنية على الأمن الفكري فيما يتعلق بالتوحيد والشرك، قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ

﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (الأنعام:٨٠-٨١).

فبعد المحاجة بين إبراهيم، عليه السلام، وقومه، ولما لم يجدوا ما يردون به عليه من الحجة القوية؛ خوفوه من آلهتهم، فذكر لهم أنهم أحق بالخوف بسبب إشراكهم لا هو، قال الشيخ المراغي في تفسيره: «أي وكيف أخاف ما أشركتموه بربكم من خلقه فجعلتموه ندا له ينفع ويضر، ولا تخافون إشراككم بالله خالقكم ما لم ينزل به حجة بينة بوحي ولا نظر عقل تثبت لكم جعله شريكا في الخلق والتدبير أو في الوساطة والشفاعة، فافتياتكم على خالقكم بهذه الدعوى هو الذي يجب أن يخاف ويتقى»[٤].

ومن ذلك أيضا قوله الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة:٢٠٨).

فمن الأمن الفكري اتباع كل ما جاء به الدين من دون انتقاء، إن وافق هوى الإنسان اتبعه، وإن خالف هواه تركه، بل يجب عليه ترك هواه إلى ما جاء به الدين كاملا.

ومن لوازم ذلك ترك اتباع الشيطان وخطواته في العمل بمعاصي الله، فواجب على المسلم مخالفة هواه، واتباع الدين بكل ما جاء به، وفعل ما يقدر عليه، وما عجز عنه؛ نواه فعله، فإنه يؤجر على نيته[٥].

ومنه: ما قصه الله تعالى من قصة بني إسرائيل واتخاذهم العجل بعد توحيدهم لله وإيمانهم بالله، ثم أصابهم الخلل الفكري الذي أبعدهم عن ذلك التوحيد، فعقب الله تعالى على فعلهم بقوله: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ (طه:٨٩)، فخاطبهم بخطاب العقل، وردهم إلى الأمن الفكري الذي سيكون سياجا حاميا للتوحيد والاستقامة.

ومن ذلك أن الله تعالى عاب على من يأمر الناس بالبر والخير والطاعة ولا يفعله، وردهم إلى الصيانة العقلية والأمن الفكري؛ كي يتفكروا فيما يفعلون، فقال: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:٤٤).

ومن ذلك ما عابه الله تعالى على أقوام لا يتدبرون القرآن، ولم يعملوا عقولهم في ذلك، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:٨٢).

وفي مقام اتهام النبي ﷺ بعدم نبوته والاعتراض على رسالته، لقن الله رسوله أن يحرك فيهم مواطن التعقل والتفكر، مع كونه ﷺ لم يعرف عنه أنه كان كاتبا أو شاعرا، فقال سبحانه: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس:١٦).

وفي معرض الحديث عن الإيمان بالله وأنه المستحق للعبادة لأنه الخالق دون غيره، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:١٧).

الأمن الفكري في السنة النبوية

ومن شواهد الأمن الفكري في السنة النبوية، ما ورد من قراءة عمر بن الخطاب بعضا من التوراة في حضرة النبي ﷺ، فغضب النبي لذلك؛ لما في قراءة التوراة المحرفة من عبث بالأمن الفكري.

ففي مسند البزار عن مجالد، عن عامر هو الشعبي، عن جابر قال: نسخ عمر كتابا من التوراة بالعربية، فجاء به النبي ﷺ، فجعل يقرأه، ووجه النبي ﷺ يتغير، فقال رجل من الأنصار: ويحك يا ابن الخطاب أما ترى وجه رسول الله ﷺ، فقال النبي: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، والله أن لو كان موسى بين أظهرهم ما حل له إلا أن يتبعني».

وفي بعض ألفاظ هذا الحديث: «لقد أتيتكم بها بيضاء نقية، لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني»[٦].

ومما يستشهد له في الأمن الفكري من السنة ما ورد من تصحيح المفاهيم والموازين عند الصحابة، كما حصل لأبي ذر حين قال لرجل عند النبي ﷺ: «يا ابن السوداء»، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، وبين له أن الميزان بالأعمال، لا بالسواد ولا بالبياض. فقد ورد عن أبي ذر قوله: قاولت رجلا عند النبي ﷺ فقلت: له يا ابن السوداء فقال النبي ﷺ: «يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل»

ولأحمد من حديثه أن النبي ﷺ قال له انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الحديث وفي الحديث وفي الصحيحين أنه

ساب رجلا فعيره بأمه وفيه فقال له النبي ﷺ إنك امرؤ فيك جاهلية[٧].

وليس أدل على أهمية الأمن الفكري وخطر الخلل فيه مما ورد عن النبي ﷺ في وصف الخوارج، فمع كونهم يأتون من العبادة أكثر من غيرهم، لكنها لم تنفعهم لما حصل لهم من الخلل الفكري والعقدي. فعن سويد ابن غفلة قال: قال علي رضي الله عنه:.. وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يقرأون القرآن، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» (أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود).

ومن عناية السنة بالأمن الفكري تحذير النبي ﷺ من الابتداع في الدين، كما ورد عند أصحاب السنن من قوله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

ومن مظاهر الأمن الفكري في السنة محاربة الغلو في الفكر والسلوك، كما ورد في حديث الرهط الثلاثة في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، قالوا: فأين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله، إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

الأمن الفكري عند الصحابة والعلماء

وقد أدرك العلماء قديما وحديثا خطر الفكر وأهميته، فدلت كلماتهم على عظيم شأنه، وخطير شأوه، وعالي أمره، ومن ذلك:

قال الإمام الغزالي: «وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم»[٨].

ومن معالم الأمن الفكري معرفة الناس حق المعرفة بمعايير الصدق والجوهر، لا معايير المظهر والمخبر. ومن ذلك ما ورد أنه: «شهد رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشهادة فقال: ائتني بمن يعرفك، فأتاه رجل فأثنى عليه خيرا. فقال له عمر رضي الله عنه: أنت جاره الأدنى الذي تعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: فكنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: فعاملته بالدينار والدرهم الذي يتبين به ورع الرجل؟ قال: لا. قال: أظنك رأيته قائما في المسجد يصلي يخفض رأسه طورا ويرفعه له زمرة بالقرآن؟ قال: نعم. قال: اذهب فلست تعرفه»[٩].

ومن معالم الأمن الفكري عند العلماء الفهم عند الله حق الفهم؛ وهي منزلة علية لا يتحصلها إلا أولو الألباب. قال ابن عطاء رحمه الله: ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك. متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء. وقال أيضا: «ربما أعطاك فأشهدك بره، وربما منعك فأشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرف إليك، ومقبل بجميل فضله عليك».

وسائل الأمن الفكري

ولعل وسائل تحقيق الأمن الفكري كثيرة متعددة، منها الالتزام بالكتاب والسنة، وأن ما كان مجاله الاتباع؛ فلا يصح فيه الابتداع، وما كان مجاله المصلحة؛ فالإبداع فيه مشروع، ومنه لم الشمل وتوحد الأمة وعدم تفرقها، ومنه التربية الصالحة، والإعلام الهادف، والتعليم الصحيح، وإفساح المجال للدعوة إلى الله تعالى، وتنوع وسائلها، خصوصا المعاصرة، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم وبلسان حالهم، وتقدير العلماء وإنزالهم منزلتهم، والرجوع إليهم فيما يستشكل على الناس من أمور، وأن يفرق بين أهل العلم وغيرهم ممن يتلبسون بزي الفكر على غير هدي الكتاب والسنة، ونشر الاعتدال، ومحاربة الغلو الفكري بالفكر الصحيح، وملء فراغ الشباب بالأعمال النافعة، والأخذ عن المصادر الأصيلة، وقبول التنوع الفكري والاختلاف بين الناس، والتفرقة بين الثوابت والمتغيرات، والقطعيات والظنيات، وإدراك مقاصد الأمور والأحكام، والتفرقة بين الوسائل والغايات، والتبشير في الدعوة، والتيسير في الدعوة، والأخذ بالأحوط في العقائد، ونشر الأخلاق الفاضلة في المجتمعات المسلمة.

الهوامش

١- مجلة البحوث الإسلامية (٩/٩١).
٢- وسائل القرآن الكريم في تحقيق الأمن الفكري، د. هانم محمد عبده عوض، مجلة البحوث الإسلامية، (٧٩/٩٤).
٣- راجع: تفسير المنار (١٣١/٦).
٤- تفسير المراغي (١٧٧/٧).
٥- راجع: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، (ص:٩٤).
٦- رواه البزار (١٢٤ كشف الأستار)، ورواه أيضا أحمد (٣٨٧/٣)، والدارمي (٤٤١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٧/٩).
٧- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للعراقي (٢٠٤١/٥).
٨- إحياء علوم الدين (٤٢٣/٤).
٩- قوت القلوب (٤٤٧/٢).



أحمد عبدالمنعم عيد
كاتب وباحث إسلامي

الأمن الفكري وسبل تحقيقه

قديما كان الحفاظ على الهوية والعادات والتقاليد ليس بالأمر الصعب، فالمؤثرات التي قد تتهدد هذه الأمور لم تكن بالكثيرة أو المؤثرة، بل على العكس، فالمؤثر في شخصية الفرد الأسرة وهي المحضن الأساسي، والشارع وهو المجتمع المحيط، والمسجد والمدرسة، ومن بين هؤلاء يخرج مجموعة الأصدقاء.

وكل هذه الوسائل كانت مراقبة من المجتمع ككل، وكانت تمثل سياجا يحمي أبناء ذلك المجتمع، فيتحرك الفرد في ساحته، ومهما شط، أو ند عن مجتمعه فلن يكون له تأثير، ناهيك عن أن هذا السياج سيرده، ويقف عنده لا يتخطاه، فالمجتمع كان محميا وآمنا فكريا، لا يخاف على هويته أو تقاليده أو عاداته، بخلاف هذا العصر فقد أصبح المجتمع فيه عبارة عن ساحة مفتوحة يدخلها كل فكر، وينفذ إلى أفراده دون قدرة على منعه، وأصبحت عادة الآخرين مفروضة علينا، بالإضافة إلى المعتقدات وهذا هو الخطر بعينه.

ومما يزيد من خطورة هذا الأمر حالة الانبهار التي يشعر بها بعض الناس في الشرق تجاه الغرب، مما يجعله مهيأ لأن يقبل هذه الأفكار الوافدة على خطورتها.

مجتمع الأمس لم يعد هو نفسه مجتمع اليوم، فمجتمع الأمس كان مجتمعا دافئا محاطا بعناية أفراده لبعضهم، ومحميا برقابتهم على بعضهم البعض، الرقابة التي لا تقيد حرية ولا تفرض وصاية، وإنما الرقابة التي تقوم أو تعزز على حسب الفعل.

أما اليوم فهو المجتمع المنفتح على سماوات مفتوحة، تكثر ريحها،

وينتشر غبارها، والذي لا مفر من تغييره لمجتمعنا بدرجة أو بأخرى، مما يجعل كل عناصر الهوية في خطر.

وأعطيك مثالا: ففي العقيدة الحلال بين والحرام بين، وسمى الله لنا كل شيء باسمه ففعل قوم لوط سماه تعالى فاحشة ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ (الأعراف: ٨٠ - ٨١).

ووصفهم في فعلهم هذا بأنهم مسرفون، وفي آية أخرى نعتهم بالجهل، وثالثة بالاعتداء، وهذا يدل على النكير الشديد على فاعلي هذه الفاحشة، أما في الثقافات الأخرى في هذه الأزمنة فيسمونها بالمثلية تخفيفا لها، وتهوينا من جرمها.

والعلاقة بين الرجل والمرأة من غير زواج سماها الإسلام زنا، أما في الثقافات العابرة الغازية يسمونها صداقة أو مساكنة، حتى الإلحاد الذي هو كفر بالكلية، ونكران لرب البرية يهون من أمره، ولا ينكر على فاعله لأنه مبرر تحت دعوى الحرية، وقس على ذلك العادات والتقاليد، حتى اللغة والتي هي أحد أهم مكونات الهوية أصبحت مشوهة عند البعض بما يحشرونه فيها من عبارات أجنبية عند الحديث بدعوى التقدم، واستسلاما لحالة الانبهار بالإنسان الغربي بكل ما لديه.

كل هذا استدعى الأمة وتنادى أصحاب الفكر فيها من أجل أن يكون هناك عمل مضاد مواجه لهذه الحالة حفاظا على الهوية بكل مكوناتها، وحفاظا على الأجيال من أن ينجرفوا نحو فكر لا تحمد غوائله، هذا العمل أطلق عليه حديثا الأمن الفكري.

تعريف الأمن الفكري

الأمن الفكري كمصطلح جديد اختلف في تعريفه، والخلاصة أنه يقصد به تحقيق الأمن والطمأنينة لأفراد المجتمع على عقيدتهم وعاداتهم والحفاظ على أصالتهم.

وهذا المصطلح وإن كان حديثا إلا أنه كفعل قديم، وواجب كلف الله به الجميع أفرادا وجماعات.

مسؤولية الأفراد

فمع أول كلمة ينطق بها العبد معلنا الدخول في الإسلام يبدأ التكليف، ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ (محمد: ١٩)

فهذا أمر بالعلم بالكلمة التي بها يتم الفصل بين عهدين واعتقادين بين كفر وإيمان وشرك وإخلاص، والأمر بالعلم بالكلمة ومعناها ومقتضاها وشروطها وكذلك نواقضها، هو تحصين للعبد ولهويته حتى لا يؤثر عليها أي طارئ، وهذا الأمر هو في حد ذاته أمن فكري وإن لم يذكر بالحرف.

والصحابة ومن تبعهم كانوا يعون ذلك فيبدؤون بتحصين أبنائهم فكريا من الصغر من خلال التربية مثل زرع الاعتزاز بالتاريخ ومجد الآباء واستذكار عزة الإسلام واستلهام الدروس التي تساعد في بنائه وتحصينه فكريا.

يقول سعد ابن أبي وقاص: كنا نعلم أبناءنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن [1]

والأمر في القرآن بتعليم الأبناء الصلاة لسبع، وتأديبهم عليها لعشر، وتعويدهم الصيام تدريبا لهم على تحمل المسؤولية، وتعليمهم القرآن الكريم وعلومه ما كان إلا لبناء قلعة حصينة تتحطم عليها جيوش الشبهات، وتخور أمامها زواحف الشهوات.

وهذا العمل كان عمل الجميع في بيوتهم ومهمة الوالدين مع أبنائهم، فيروى أن الفضل بن زياد رأى فتى فأعجبه، فنظر فسأل أمه عنه فقالت: إذا أتم خمس سنوات أسلمته للمؤدب فحفظ القرآن فتلاه، وعلمته الشعر فرواه، ورغب في مفاخر قومه ولقن مآثر آبائه وأجداده فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل، فتمرس، وتفرس، ولبس

السلاح، ومشي بين بيوت الحي، وأصغى إلى صوت الصارخ.

إن المرأة لخصت ما يسمى بالأمن الفكري بأنه تربية صحيحة، وقيام الأسرة بواجبها حتى توجد في نفس الابن المناعة التي يواجه بها كل عدو، وهو بهذا الإعداد يصبح الشاب الجلد الذي يقف بالسلاح، ينتظر الصارخ، فهو إعداد ثم استعداد لكل شيء.

وقد جعل الله هذا الأمر مسؤولية يحاسب عليها الفرد أو العائل ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾(محمد: ١٩).

وأخبر رسول الله ﷺ عن مسؤولية كل شخص عما وكل إليه، ومن هؤلاء الأب والأم، عبدالله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته» قال: - وحسبت أن قد قال - «والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[٢]

وأعظم الإثم أن تهمل ولدك حتى يصبح ريشة تحركه كل ريح سامة، وتأسره كل فكرة ضالة.

عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت»[٣].

مسؤولية المجتمع

ولم يترك الإسلام عملية تحقيق الأمن الفكري على الأفراد وحسب، بل جعلها مسؤولية مجتمعية من خلال فرض النصيحة وتلخيص الدين فيها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكما قلنا لا يقصد من وراء ذلك فرض وصاية طائفة على أخرى، ولا تقييد لحرية الآخرين، وإنما هي أمور تعزز القيم، وترسخ الهوية، وتكون سدا منيعا في مواجهة كل انحراف أو توجه وافد يهدد قيم المجتمع وأصالته.

مسؤولية الدول

وقد جعل الله عز وجل هذا العمل أيضا مسؤولية الدول والأنظمة، فكما ينتدبون من يدافع عن الدولة بالسلاح، من مسؤوليتها أن ينتدبوا من يدافع عن فكرهم ومعتقداتهم ومن يعزز فيهم مكونات هويتهم، فيتحقق بذلك الأمن الفكري المنشود: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

إن تحقيق الأمن الفكري عمل عام على كل فرد في الأمة مسؤولية ما، يجب عليه أن يقوم بها،كل في موقعه، وكل على قدر مسؤوليته، والأمة أحوج ما تكون إلى هذا الأمن خاصة في هذا العصر الذي تعددت فيه وسائل المعرفة والتي جعلت كل شيء متاحا للفرد وهو في مكانه، مع ضعف الرقابة على هذه الوسائل، أو عدم القدرة على ضبطها ضبطا كاملا، ولن نستطيع في نفس الوقت أن نقاطع تلك الوسائل خوفا من أثرها، فذلك أشبه بمن اعتلى جبلا وبنى كوخا وعاش فيه خوفا من هوام السهل فاختطفته مخالب الطير، فلا أمن من هوام السهل ولا من صقور ونسور الطير.

فالعملية تحتاج مواكبة العصر فلا مفر من ذلك، ولكن مع تحصين المجتمع بما يؤمن أفراده من كل شيء يؤدي إلى انحرافهم أو التأثير على أصالتهم.

الهوامش

١ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ج١ ص٣.

٢ - أخرجه البخاري كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن ٨٩٣.

٣ - أخرجه أبو داود في سننه كتاب الزكاة باب في صلة الرحم رقم ١٦٩٢ وحسنه الألباني.



محمد عبدالحميد توفيق
شاعر وناقد مصري

خطاب الكراهية وأثره في زعزعة الأمن الفكري

يشير مصطلح خطاب الكراهية إلى كل أشكال التعبير عن فكرة أو رأي أو موقف أمام الجمهور العام على نحو مكتوب أو لفظي أو مرئي، بصورة تكرس العنصرية ورفض الآخر المختلف، ومن ثم ينحى هذا الخطاب إلى التحريض على العنف وتهميش الشريحة المستهدفة بالكراهية، وتكوين صورة نفسية سلبية عنها، ويتطور هذا الخطاب السلبي إلى ممارسات يومية تصب في خانة النفي والافتراء وشحن الرأي العام ضد الآخر «المكروه»، فضلا عن خلق حالة من التوتر المجتمعي والبيئة المشحونة بأنماط الأذى والحقد والتداعيات السلبية.

وتتعدد معاني الكراهية في قواميس اللغة العربية، ففي لسان العرب جاء الفعل كره بمعنى رفض وهو خلاف المحبة والرضا، وكره الشيء كرها وكراهة وكراهية نقيض أحبه وألفه، فالشيء هنا «كريه ومكروه وقبيح»، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة «يكره كراهة وكراهية بمعنى: البغض والاشمئزاز والمقت والرفض، وقام الشخص بالفعل وهو مكره عليه أي فعله على غير إرادته لكونه غير محبب إلى قلبه. وفي القرآن الكريم ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ﴾ (الأحقاف:١٥)، أي عن مشقة وتعب وعنت، وقوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ (الحجرات:٧)، أي جعل كل هذه الأفعال شاقة وكريهة وممقوتة.

هدم التآلف

وفي الوقت الذي انتشرت فيه وسائل التواصل الاجتماعي وتضاعفت أعداد مستخدميها وتزايد تأثيرها؛ استغل البعض هذه الوسائل في نشر خطاب الكراهية بصورة ملحوظة ضد شرائح مجتمعية بعينها، لأسباب واضحة أحيانا وخفية أحيانا أخرى، حتى استهدفت آلاف التدوينات والتغريدات عبر موقعي تويتر وفيسبوك.. وغيرهما، نشر البغضاء وتشويه صورة الآخرين وهدم التآلف والتقارب، حتى أصبحت بعض الحسابات بمنزلة السم القاتل للهدوء المجتمعي والأمن الفكري.

لا للعنصرية

ومن المؤسف أن الكثير من المجتمعات العربية والإسلامية تشهد إثارة للعنصرية

البعض يستغل وسائل التواصل في نشر البغضاء والفتنة وتكوين صورة سلبية عن الآخر المختلف

والتمييز ونشر البغضاء والتحريض على العنف عبر الفضاء الإلكتروني، بما يتنافى مع القيم الإسلامية التي تحض على التآلف والتراحم وقبول الآخر المختلف، فالقرآن الكريم يحض على المحبة الإنسانية الشاملة، وليس أدل على ذلك من قول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

ولقد أرسى الله سبحانه وتعالى أسس التعامل بين الناس جميعا على اختلاف أديانهم ومشاربهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣). وفي هذه الآية القرآنية تأكيد على المساواة بين البشر جميعا فكل الناس خلقوا من أصل واحد ومن ذكر وأنثى، وما جعل الله الناس شعوبا وقبائل ليتبادلوا الكراهية والشحناء والصراع والعنف بل ليتعارفوا على الخير وتبادل المنفعة وتحقيق المصلحة العامة، وليس من أفضلية للمرء إلا بالتقوى والعمل الصالح، فأكرم الناس عند الخالق العظيم هو الأتقى عملا والأنقى سلوكا والأصفى نفسا والأكثر قربا من الناس بفعل الخيرات وترك المنكرات، ولا يتحقق ذلك إلا بنبذ الكراهية وتنقية النفس من العنصرية، والابتعاد عن العنف والقسوة والاعتداء على الآخرين بالقول أو الفعل، وعن ذلك يقول النبي ﷺ: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم».

زعزعة الأمن الفكري

يتسبب خطاب الكراهية عبر وسائل الإعلام الحديثة في زعزعة الأمن الفكري، فالإعلام بصفة عامة ووسائل التواصل بصفة خاصة من أهم قنوات الاتصال بين الناس، وإذا حسن استخدامها لعبت دورا كبيرا في نشر الوعي المجتمعي وثقافة التسامح والمحبة الإنسانية ومحاربة التطرف وتكريس قبول الآخر، وعلى النقيض من ذلك فإن استغلال هذه الوسائل في نشر التطرف والكراهية ونبذ الآخر يؤدي إلى شيوع الفتنة وخلق بيئة خصبة للعنف والعداء وإثارة البلبلة، ومن ثم يتحول المجتمع من التماسك إلى التفكك، ومن المحبة إلى البغضاء، وبدلا من التفرغ للعمل والإنتاج والإبداع يصبح جل الوقت مكرسا للتنابذ والكراهية والشحناء، ومن ثم يصبح الأمن الفكري في خطر كبير، حيث يتحول خطاب الكراهية مع مرور الوقت إلى سلوك عنيف وتطرف في الأقوال والأفعال.

خطر الكلمة

ومما لا شك فيه أن خطاب الكراهية ينبع من نفوس مظلمة وعقول غافلة عن خطورة الكلمة التي تزعزع الأمن الفكري وتنشر الفتنة وتثير البلبلة، وتتغافل عن تأثير الكلام في حياة الناس وأفكارهم ورؤاهم وعلاقتهم بالآخرين ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٥).

ومن هذا التوجيه الرباني يتبين أن كلمة الخير والمحبة والصدق والنور أشبه بالشجرة الراسخة الجذور

القيم الإسلامية تحض على التآلف والتراحم وقبول الآخر والمحبة الإنسانية



بعض المواقع الإلكترونية بمنزلة السم القاتل للهدوء المجتمعي والأمن الفكري

وأغصانها في السماء دلالة على العلو والشموخ لكونها ترمز للديمومة والنفع والصلاح، وعلى النقيض من ذلك، تشبه الكلمة الخبيثة الهادفة إلى نشر الكراهية والفتنة وزعزعة الأمن شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

وإذا كان خطاب الكراهية يتنافى مع التعقل، فإن الأمن الفكري يتحقق بالحكمة والتحرك الإيجابي الهادف إلى مواجهة هذا الخطاب الاستعلائي الذي يهدم ولا يبني، ويؤجج العنصرية. ويتحقق التآلف المجتمعي والتقارب الإنساني بالرجوع إلى القرآن الكريم الذي يأمر بالحسنى ويحض على الوسطية والاعتدال والمحبة والقول اللين، والرحمة والتراحم، كما يأمر بالبر والإحسان، وترك دعاوى الجاهلية المتمثلة في التعالي على الناس ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ (الفرقان:٦٣)، ويقول النبي الكريم ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا». فالأخلاق الحسنة أساس متين للعلاقات بين الناس، ورباط قوي لتماسك المجتمعات وأمنها واستقرارها.

وحين يسود خطاب الكراهية، ينعدم الأمن الفكري لأسباب عدة أبرزها: تضاؤل مساحة المحبة، واضمحلال التقارب المنشود بين الناس، وشيوع البلبلة والفتنة التي تقود بدورها إلى انتشار الحقد والتباغض والأفكار السلبية تجاه الآخر بسبب لونه أو عرقه أو دينه أو انتمائه.

المحبة الإنسانية والأمن الفكري

إن المجتمعات الإسلامية بحاجة إلى تطبيق التعاليم الإسلامية الداعية إلى المحبة الإنسانية باعتبارها ركيزة للأمن الفكري ووسيلة للبناء والإبداع الهادف إلى النهضة والتنمية وهما لا يتحققان إلا بالاستقرار القائم على التعايش السلمي وقبول الآخر ونبذ التطرف والتشاحن.

وتحتاج وسائل التواصل الاجتماعي إلى قوانين لضبط ما ينشر فيها في إطار الحرية المسؤولة التي تهدف إلى التعبير الصائب والنقد البناء وتكوين رأي عام إيجابي ينطلق من سماحة الإسلام وتعاليمه التي تنطوي على الرحمة والمودة وكل ما من شأنه تحقيق أمن المجتمعات واستقرارها.

المصادر

١ - كتاب «معا ضد الاستعلاء والكراهية» د. محمد عبدالحكيم، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢ - لسان العرب لابن منظور، مطبعة بولاق، مصر، ١٩٩٠م.

٣ - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٤ - فقه السنة، السيد سابق، طبعة دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.



عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

الأمن الفكري.. والتقنيات الحديثة

حولت ثورة الاتصالات والتقنيات الحديثة العالم إلى قرية صغيرة تتدفق فيها الأفكار والمعلومات بشكل هائل وسريع من دون أية قيود مرتبطة في زمان أو مكان أو حتى حدود.

وفي ظل استمرار التسابق نحو تطوير أدوات التقنية ووسائل الاتصالات وسهولة انتقال المعلومات، فإن آفاقا جديدة تتفتح نحو تبادل الأفكار والآراء والبيانات عبر وسائل متعددة ومتطورة في مجال التواصل والاتصال مع الآخرين، لتضع هذا الأمر في دائرة الاهتمام والبحث.

ورغم أن التطور التقني يمثل أحد المنجزات الحضارية المهمة في عالمنا المعاصر، إلا أن ثمة سلبيات عدة جاءت من وراء هذا التطور غير المسبوق في قطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات نتيجة الانفتاح على الآخر، وانتقال الثقافات وتبادل المعلومات وما له من تأثيرات فكرية خطيرة قد تؤدي إلى تهديد المجتمعات وزعزعة أمنها واستقرارها.

ورغم أن قضية الأمن الفكري من القضايا التي تحتل أهمية بالغة لارتباطها في أمن المجتمعات واستقرارها، فإن الاهتمام في هذه القضية ازداد في السنوات الأخيرة بشكل كبيرة مع تنامي التطور التقني وسهولة انتقال الأفكار والمعلومات بهدف التصدي للأفكار المنحرفة والشاذة لدورها الخطير في تهديد الأمن الاجتماعي.

ومهما كانت الرقابة المفروضة على وسائل الاتصال والتواصل قوية وصارمة، فإنها لن تكون ذات جدوى وتأثير بالغ، إذا لم يكن هناك وعي فكري وإدراك حقيقي بمخاطر الثقافات الخارجية غير المتناسبة مع الدين الإسلامي والأخلاق وقيم المجتمع خصوصا مع استمرار تطور تقنيات الاتصالات بصورة تصعب أمامها أية رقابة مهما كانت قوية وفاعلة.

ولعل أول وسائل الدفاع عن الأمن الفكري توظيف التقنية الحديثة واستخدامها بشكل إيجابي لمواجهة الفكر المتطرف بغية تحقيق الحماية الفكرية، ومثلما استغل الكثيرون وسائل التقنية الحديثة لمصلحة أهدافهم ونشر أفكارهم الشاذة والمنحرفة، فإنه يجب أيضا توظيف ذات الوسائل الإعلامية والإلكترونية نحو تعزيز الوسطية وقيم التسامح والتحذير من الانحرافات الفكرية.

ولمواجهة هذا الواقع الجديد يجب تطوير الآليات والأدوات ووضع استراتيجيات عمل ترتكز على تحقيق مفهوم الأمن الفكري باعتباره يمثل أهمية بالغة كونه مرتبطا في أمن المجتمعات واستقرار البلدان.

ولن تتحقق الحماية الفكرية من دون تعاون كل قطاعات الدولة المختلفة من خلال وضع رؤية تعتمد أساليب ووسائل مختلفة تهدف إلى الوصول لكل شرائح وفئات المجتمع لنشر التسامح والاعتدال والتحذير من الغلو والتطرف.

فمحاربة الأفكار المتطرفة والشاذة الناتجة عن تأثير انتقال الثقافات في فضاء الإنترنت لا تتحملها جهة لوحدها إنما هي مسؤولية يشترك فيها الجميع، بدءا من الأسرة والمدرسة والمجتمع وجميع الجهات المختلفة لتحقيق التكامل المنشود والتصدي للمؤثرات والانحرافات الفكرية وتعزيز مفهوم الأمن الفكري.



عبدالله الظفيري
صحافي وباحث

الاعتدال.. يعزز الأمن الفكري

تنامى الاهتمام في قضية الأمن الفكري بصورة كبيرة في السنوات الأخيرة، مع تزايد الظواهر الفكرية والتحولات الثقافية التي يشهدها العالم بسبب التطور الهائل في تكنولوجيا الاتصالات والتي أدت إلى سهولة انتقال المعلومات والثقافات، وأثارت المخاوف من التأثير السلبي لتبادل الأفكار فيما بينها.

وباتت البلدان والمجتمعات تحت وطأة التهديد والخوف من الأفكار المنحرفة والشاذة لما لها من تأثير بالغ على أمن واستقرار الأوطان، في ظل سهولة تغلغلها في أوساط المجتمع، خصوصا بين الناشئة والشباب لتوافر الأجهزة الحديثة والتطورات التقنية التي فتحت مجالات واسعة نحو التبادل الفكري والثقافي.

وأصبحت معالجة المخاطر الفكرية ومواجهة انحرافات الأفكار أولوية رئيسية لدى الكثير من بلدان العالم من أجل تحقيق الأمن الفكري وبث الطمأنينة في أوساط المجتمع من خلال وضع استراتيجيات وخطط عمل تخاطب كل الفئات المختلفة بغية إيصال رسالة بشأن خطورة الفكر المتطرف.

وهذا الأمر لن يتحقق إلا من خلال تعاون مشترك بين الجميع، فتعزيز الأمن الفكري لا تتحمله جهة دون أخرى، إنما هو واجب على الكل سواء كانوا أفرادا أو مؤسسات خاصة أو حكومية.

وأولى خطوات الإصلاح تكون بتقويم سلوك الإنسان وتحصينه من الأفكار المنحرفة والشاذة، فإذا صلح فكر الإنسان صلح سلوكه، ويكون ذلك من خلال معالجة أفكاره وثقافته، والتصدي للعوامل المؤدية لتغذية التطرف والأفكار المتشددة.

ولاشك أن الحل في معالجة الانحرافات الفكرية والآراء الشاذة والهدامة يكون عبر التمسك بالدين الإسلامي والعقيدة الصحيحة.

لقد وضع الإسلام حلولا لكل نوع من أنواع الجرائم بما فيها جرائم الأفكار والطرح الشاذ لخطورتها الشديدة لما تمثله من تأثير بالغ على استقرار وأمن البلدان. ويأتي في مقدمة الحلول المطروحة لمعالجة الانحرافات الفكرية وكل ما يؤدي إلى الإخلال في الأمن الفكري اعتماد سياسة الوسطية والاعتدال في مواجهة التطرف والتشدد، وهي استراتيجية مستمدة من الدين الإسلامي الذي تعد الوسطية أبرز سماته، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:١٤٣).

لا ينبغي التوقف عن تعزيز الأمن الفكري لتحقيق الطمأنينة على سلامة الأفكار والمعتقدات ومواجهة التحديات المستقبلية والمشكلات الحياتية، فالأفكار المنحرفة حتى وإن غابت لفترة معينة فإنها لا تنقطع، إنما ستعود مرة أخرى، والواجب الاستعداد لمواجهتها والتصدي لها، فتبقى تصرفات الإنسان وأفعاله انعكاسا لأفكاره وتوجهاته ومعتقداته.



عبدالرحمن سعد
صحافي وباحث إعلامي

عشرات المصطلحات الخاطئة.. في الصراع العربي الصهيوني

من أكبر أدوات الصراع بين المسلمين وأعدائهم حاليا؛ قضية استخدام المصطلحات، التي تشير إلى المواجهة بين الفريقين، إذ يعبئها العدو بأفكار خبيثة، ومعان مغلوطة، ومسميات مزورة، تستهدف، بشكل منهجي، تشويه الواقع، وتزييف الحقيقة، عبر استلاب حقوق العرب والمسلمين، واحتلال أراضيهم، ونهب أموالهم، فضلا عن الإساءة إليهم، والتقليل من شأنهم، وغمطهم تاريخهم المشرف، وحضارتهم السامقة، في فلسطين المحتلة وغيرها.

إن مصطلحات أي قوم حاملة فكرهم، ووعاء ثقافتهم، ومرآة حقائقهم، بل هي القناة المعبرة عن رسالتهم الحضارية، وأدوارهم الوجودية، ومعتقداتهم الفكرية.

والأمر هكذا، يستقصي هذا المقال عشرات المصطلحات التي شاع استعمالها في لغة الخطاب السياسي، والتناول الإعلامي المعاصر، فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، التي تعتبر أخطر قضية، في القرنين: العشرين والحادي والعشرين؛ تمس وجود العرب والمسلمين، كما تعد مرتكزا رئيسيا في الدفاع عن هوية الأمة وفلسطين، الثقافية والحضارية، ومكانة كل منهما المتقدمة، التي تستحقها بين الأمم.

والأمر هكذا، تتناول السطور المقبلة عشرات المصطلحات الخاطئة المتداولة، وتبين وجه الخطأ فيها، محددة المصطلح الصائب، الذي يمثل البديل السليم، الواجب استخدامه، لكل نظير خاطئ له، في خطابنا السياسي والإعلامي والشعبي، والأهم: بيننا عربا ومسلمين، من الناحيتين: الشرعية (اللغوية)، والواقعية السياسية (الحقوقية).

ولا يخفى على أحد ضرورة تنقية خطابنا الإعلامي - الثقافي العربي الراهن، مما تسرب إليه من مصطلحات دخيلة، وذلك تثبيتا لحقوقنا المغتصبة، في مواجهة الحرب الدعائية الصهيونية الشاملة، التي تتعرض لها الأمة، واستعانة عدوها الصهيوني بسلاح «قلب الحقائق»، وبالتالي تفويت الفرصة عليه في محاولاته الحثيثة لتزوير الحقائق، وتلبيس المعاني، وخلط الأمور، ودس الأغاليط.

على المستوى الفلسطيني

بداية يجب على المستوى الفلسطيني تعميم مصطلح «الشعب الفلسطيني» بدلا من تعبيرات مثل: الطرف الفلسطيني، أو الفلسطينيين، أو «سكان الأرض»؛ لأن تلك التسميات، وما شابهها، تنزع عنهم صفة الشعب، وهو ما يتسق مع الرواية الصهيونية والغربية الخبيثة التي تزعم أن فلسطين «أرض بلا شعب».

كذلك يجب عدم استخدام مصطلح «العنف الفلسطيني»، أو «الشغب الفلسطيني»، بل الصواب أن يقال «المقاومة الفلسطينية»، أو «النضال الفلسطيني»، أو «الكفاح الفلسطيني».

أما القضية الفلسطينية فهي لا تسمى

«نـزاع الشـرق الأوسـط»، أو «قضية الشـرق الأوسـط»، بل هـي «القضية الفلسطينية»، أو «قضية فلسطين المحتلـة»، التـي هـي قضية المسلمين المركزية الأولى في العقود الأخيرة.

وعلى ذكر «منطقة الشرق الأوسـط»، فهذه التسمية تنزع الصفة العربية الإسلامية التي تغلب على المنطقة، فالأولى أن يقال «المنطقة العربية»، أو «المنطقة الإسلامية»؛ ذلك أن التسمية الأولى غربية استعمارية جغرافية تنزع عن المنطقة رداءها ورابطتها وكينونتها الحضارية: العربية والإسلامية.

في هذا الصدد يرد أيضا تعبير «مسيرة السلام أو عملية السلام أو المسيرة السلمية»، بينما الصـواب أن يقال: مسيرة التسوية أو مسيرة التسوية السلمية؛ لأن اختزال السلام في هذه المسيرة أو التسوية هو زعم كاذب بوجود سلام من قبل المحتل الصهيوني، وهذا غير حاصل، بينما الصواب أنها عملية للتسوية السياسية، وليست «سلاما» يتبناه الاحتلال الغاشم، إذ دون ذلك شروط كثيرة، أبسطها زوال الاحتلال نفسه، إذ لا سلام في وجوده أصلا.

ولا يقـال كذلك تعبير «مـواجهـة» أو «مواجهات»، أو «اشتباكات فلسطينية - إسرائيلية»؛ بل يجب أن يقال «عدوان أو اعـتـداء صهيوني» على الشعب الفلسطيني الأعزل؛ لأن كلمة «مواجهة أو اشتباك» تشي بالتكافؤ (الكاذب) بين الطرفين.

كذلك لا يقال «نزاع عربي - إسرائيلي»، أو خلاف «فلسطيني - إسرائيلي».. إلـخ؛ لأن كلمة «الـنـزاع» أو «الخـلاف» تقتضي الـتـكـافـؤ، وتـسـاوي المنطق الحقوقي، وكونها تستخدم على المستوى القطري الداخلي، بينما الصراع هنا بين طرفين: الأول فلسطيني «أعـزل» تمـامـا مـن الـسـلاح، بينـمـا الـثـانـي صهيوني، (وليس الإسرائيلي)؛ مدجج بأفتك الأسلحة في العالم.

ولا يقال كذلك «المطالب الفلسطينية» بل «الحقوق الفلسطينية»؛ لأن التسليم بأنها «مطالب» ينفي عنها كونها حقوقا في الأسـاس، ويضع تلك الحقوق في مهب الريح، تحت احتمال الرفض أو التأييد.

كذلك لا يقال «معتقل أو محتجز أو مـوقـوف» أو «مـسـجـون» أو «سجين» فلسطيني، بل يقال «أسير» فلسطيني لأن الأسر إنما يكون من عدو مقاتل، وهـو الحـاصـل حاليا مـن قبل المحتل الـصـهـيـونـي، بـيـنـمـا «الاعـتـقـال» أو «الاحتجاز» أو «السجن» أو التوقيف».. إلخ؛ كلها تعبيرات مخففة، تعني أمرا داخـل الـدولـة نفسها، وليس من قبل دولـة بحق شعب آخر أو دولـة أخرى، كما هو الحـال حاليا، من قبل العدو الصهيوني، في إجـراءاتـه التعسفية، وانـتـهـاكـاتـه الـصـارخـة، بحق الشعب الفلسطيني، ومقاوميه الشرفاء.

وأحيانا يتم إطـلاق لقب «مناطق» أو «المناطق»، هكذا، مختزلة؛ للإشارة إلى الضفة الغربية وقطاع غـزة والقدس المحـتـلـة، بينما الـصـواب أن يـقـال: «الأراضي الفلسطينية المحتلة».

ويقال أحيانا أيضا «إعـطـاء أراض»، والصواب: «إعادة الأراضي الفلسطينية المحـتـلـة»، أو يـقـال «إعـــادة انـتـشـار»، والمـقـصـود «إعـــادة تمـوضـع قـوات الاحتلال».

كذلك يقال «أعمال عنف أو شغب»، أو «عنف فلسطيني»؛ إشارة إلى المقاومة الفلسطينية أو مناهضة الاحتلال، بينما المصطلح الـذي يجب استعماله هنا: «مقاومة» أو «المقاومة الفلسطينية»، ذلك أن تلك المقاومة تكفلها القوانين والأعـراف الدولية، بينما العنف في الواقع هو عنف الاحتلال، وإجرامه.

كذلك شاعت عـبـارة : «قتل المدنيين الإسرائيليين»، فـي الإعـلام الـدولـي، والـصـواب أن يقال: «قتل المحتلين أو الصهاينة المغتصبين».

فـي هـذا الـصـدد شـاع كذلك تعبير «المـخـربـون» أو «الإرهــابـيـين»، أو «المسلحون الفلسطينيين»؛ للإيحاء بأن أولئك مسلحون خارجون عن القانون، أو الإطـار الشرعي، أو أنهم يحملون السلاح بطريقة غير مشروعة، وهذا مجانب للحقيقة، بل الصواب أن يقال: «رجال أو عناصر المقاومة الفلسطينية».

وعند الإشـارة إلى القتلى من الجانب الفلسطيني يجب إطلاق وصف شهيد أو شهداء بـإذن الله، عليه أو عليهم، وذلك حتى لا يتساوى في الدلالة مع قتيل أو قتلى الصهاينة، وهنا لا يقال «سـقـوط» الشهيد أو الـشـهـداء، كما درجت صحف ووسائل إعلامية عربية على القول بكل أسـف؛ بل الصواب: تعبير «ارتقاء الشهيد أو الشهداء»؛ لأن الشهيد لا يسقط بل يرتقي، ويرتفع، بإذن الله، إلى الجنة.

كما يطلق الإعــلام الـدولـي، متأثرا بـالإعــلام الـغـربـي والـصـهـيـونـي»؛ تعبير «عـرب إسـرائيل» لـلإشـارة إلى الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م، بحيث تجعل صاحب الأرض دخيلا على محتلها، أو منسوبا إليه باعتباره أقلية، بينما المفروض نسبته إلى أرضه المحتلة نفسها، وهو ما يتحقق بـالـقـول: «الفلسطينييون في الأراضـي الفسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م».

فـإذا وقعت عملية فدائية قد توصف في الإعـلام المناوئ بأنها «انتحارية» بينما هـي فـي الأصـل «استشهادية»، ذلـك أن منطلقها عند القائم بها لم يكن قتل النفس أو الانتحار؛ بل هو «فـداء الوطن» أو «طلب الشهادة» في سبيل الله، وليس التخلص من النفس، اعتراضا -لا قدر الله- على قدر الله، أو تبرما أو يأسا منه، كما يشي بذلك

تعبير «عملية انتحارية».
كذلك شاع، بكل أسف، في الإعلام الصهيوني، والغربي، وحتى العربي؛ إطلاق مسمى «حائط المبكى» على «حائط البراق»، وهذا اسمه التاريخي، الأصلي، ذلك أنه -على مدار التاريخ- كان يسمى بهذا الاسم، إشارة إلى ارتباطه بحادثة الإسراء والمعراج، وتوقف البراق برسول الله، ﷺ، عنده، ثم انطلاقه منه مرة أخرى، في حين شاعت التسمية الأولى «حائط المبكى»، بعد استيلاء الصهاينة عليه، عقب اغتصابهم للقدس المحتلة.

على الجانب الصهيوني

شاع في هذا الجانب استخدام عدد كبير من المصطلحات الخاطئة للإشارة (المزيفة) إلى المحتل الصهيوني الغاصب، أو سلوكه الوحشي في مواجهة الشعب الفلسطيني الأعزل.
وبداية فهو «الكيان الصهيوني»، أو «الاحتلال الصهيوني»، وليس «الدولة اليهودية»، أو «الدولة العبرية»، أو «إسرائيل»، لأن هذا الاسم علم على دولة لا يعترف الكثيرون بها؛ لأنها قامت على أساس احتلال أراض عربية وإسلامية.
وكذلك: «صهيوني» و«صهاينة»، وليس «إسرائيليا» و«إسرائيليين»؛ لأن الصهيونية مذهب استعماري عنصري قائم على احتلال فلسطين، والتوسع منها في سائر الأراضي العربية، وهذا واقع الحال حتى لو كانت هناك دولة يعترف بها البعض، أو يحاول فرضها على العرب تسمى «إسرائيل».
كما أنها ليست «قوات الأمن الإسرائيلية»، أو «قوات حرس الحدود الإسرائيلية»، بل هي «قوات الاحتلال الصهيونية»؛ لأن التسمية الأولى فيها تسليم بالاحتلال الصهيوني لفلسطين المحتلة.
وأيضا هو «جيش الاحتلال الصهيوني»، وليس «جيش الدفاع»، كما تشيع الدوائر الصهيونية دوما.
وكذلك هي ليست «الإجراءات الأمنية الإسرائيلية» بل هي «الإجراءات الصهيونية القمعية»، ذلك أن التعبير الأول يشي بالأمن، بينما الثاني يشير إلى جرائم المحتل المتواصلة.
ولا يقال «الخط الأخضر» بل يقال «خط الهدنة لعام ١٩٤٨م»، إذ إنه لا يجوز استخدام التعبير الأول لأن الكيان الصهيوني يريد للعالم أن ينسى بتعبير «الخط الأخضر» خط الهدنة الذي نص عليه قرار التقسيم الظالم الصادر عن الأمم المتحدة في ذلك العام.

أسماء المعالم الجغرافية الفلسطينية

أخيرا، على مستوى أسماء أماكن المدن والبلدات الفلسطينية المختلفة الواقعة تحت نير الاحتلال الصهيوني، فقد أطلق هذا الاحتلال مسميات مختلفة على تلك البلدات والأماكن الفلسطينية، في محاولات حثيثة منه لتهويدها، وتكريس احتلالها، ونزع الصبغة العربية والإسلامية عنها.
وكمثال يطلق اسم «يهودا والسامرة» على الضفة الغربية، ويهدف الاحتلال الصهيوني من ورائه إلى ترسيخ هذا الاسم الصهيوني للضفة بشمالها وجنوبها.
أو إطلاق اسم «أور شاليم أو «يروشالايم» على مدينة القدس المحتلة، وهي التسمية العبرية للقدس المحتلة، التي وردت في التوراة، بينما «القدس»، أو «بيت المقدس»، هو اسمها العربي والإسلامي الأصلي.
ومن الأخطاء الشائعة بوسائل الإعلام إطلاق اسم «حارة أو حي اليهود» على «حارة أو حي المغاربة»، وقد كان اسمها (حارة المغاربة) إلى أن اغتصبها الصهاينة، وقاموا بتغيير هذه التسمية.
كذلك لابد أن يقال «مستعمرات» و«مستعمرون»، عوضا عن «مستوطنات» و«مستوطنين»، ذلك أن الاستيطان يكون لأراض تخلو من السكان، بينما الاستعمار يقوم على مبدأ الاحتلال بالقوة.
وعلى ذكر بقية الأسماء في فلسطين المحتلة فتل أبيب هي قرية الشيخ مؤنس في يافا، وكذلك ليس اسمها «بير شيفاع» بل «بئر السبع»، وليست «عكو» بل «عكا»، وكذلك ليست «أشكلون» بل «عسقلان»، وليست نتانيا بل أم خالد، وليست كريات شمونة بل الخالصة، ولا تسريفين بل صرفند، ولا «يزرعيل» بل «زرعين»، ولا تسيبوري بل صفورية، ولا أحيهود بل البروة، ولا مفترق شوكت بل «المسمية»، ولا «كريات جات» بل «عراق المنشية، الخليل».
كما أنها: ليست «كيرم شالوم» بل كرم أبو سالم، ولا تل كفار كرنايم بل قرية أبو فرج، بيسان، وليست اللود بل اللد، ولا هي بيت شيمش بل بيت الشمس بقضاء القدس، ولا بيت جيمل بل دير الجمال، ولا زخاريا بل «قرية زكريا»، ولا غازيت بل الطيرة، ولا معيان باروخ بل الصنوبرية، ولا بتاح تكفا بل ملبس، ولا نير عكيفا بل الكوفخة، ولا بيت داجون بل بيت دجن، ولا مطار بن جوريون بل مطار مدينة اللد، وأخيرا: ليست «بحيرة الجليل» بل اسمها العربي الفلسطيني «بحيرة طبرية».

المراجع

- حرب المصطلحات، دراسة تصحيحية للمفاهيم والمصطلحات المتداولة في الإعلام العربي حول الصراع العربي الصهيوني، مطبوعات اتحاد الصحفيين العرب، القاهرة، ط،٢٠٠٢م.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د: عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.



د. حسين الجرادي
دكتوراه في اللسانيات

دور الخلافة العثمانية في الحفاظ على أرض فلسطين (١)

نشر محام يسمى هنري فيتش عام ١٦١٦م، كتابا أسماه «نداء إلى اليهود»، دعا فيه إلى إعادة إنشاء وطن مؤقت لليهود تمهيدا لتأمين إمبراطورية عالمية واسعة الأرجاء بواسطتهم. وقد سبق هذه الدعوة دعوة دافيد روبيني في القرن السادس عشر الميلادي، حيث دعا زعماء اليهود لغزو فلسطين وتأسيس دولة يهودية في أراضيها. وفي عام ١٧٩٩م، أصدر نابليون بونابرت أثناء حصاره لمدينة عكا بيانا ليهود العالم مطلقا عليهم اسم: «الورثة الشرعيين» لفلسطين للاستيلاء على فلسطين. وقد قابل سمسار إيطالي اسمه حاييم مونتيفور محمد علي باشا، بعد استيلائه على فلسطين، وعرض عليه إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، لكن محمد علي رفض طلبه. واستطاع هذا الرجل أن يحصل من لورد بالرمستون (القنصل الإنجليزي في مصر) على وعد بأن يعد القناصل الإنجليز في الشرق أنفسهم حماة لليهود في الأقطار التركية. وفي عام ١٨٤٥م، نجح هذا الرجل في الحصول على أرض في فلسطين عهد باستغلالها إلى ٤٥ أسرة يهودية.

وفي عام ١٨٩٥م، صدر كتاب «البحث عن صهيون» للحاخام كالشيار قال فيه: «على اليهود أن يبادروا إلى استعمار فلسطين فورا بلا تردد». وردد الكلام نفسه موسى هينس، اليهودي الألماني، في كتابه «روما والقدس» عام ١٨٧٩م، دعا فيه إلى دولة يهودية في فلسطين والبدء عمليا في إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين. وحاول اليهود التسلل إلى بلاد الشام، خصوصا فلسطين والطور (سيناء) عن طريق الهجرة وشراء الأراضي، لكن سلاطين آل عثمان كانوا يدركون خطورة هذه الحركة، فأصدروا أوامر مشددة إلى رجال الإدارة ببلاد الشام تحرم على اليهود سكنى أرض فلسطين أو سيناء.

● ماذا فعل سلاطين آل عثمان والخلافة العثمانية من أجل حماية فلسطين من الخطر اليهودي؟

- أصدر السلطان العثماني سليم الأول عام ٩٢٤هـ/١٥١٨م، فرمانا بمنع اليهود من الهجرة إلى سيناء (واضح من هذا الفرمان أن اليهود كانوا يبغون الهجرة إلى الإقليم المصري لاستيطانيه والانطلاق منه لأرض الميعاد كما تزعم توراتهم المحرفة، وقد سد هذا الفرمان الطريق في وجه أطماع اليهود). وسار السلطان سليمان بن سليم الأول (٩٢٧ - ٩٧٣هـ / ١٥٢٠- ١٥٦٥م) على الطريق نفسه الذي كان عليه والده فأصدر فرمانا أكد فيه ما جاء في الفرمان الذي أصدره والده.

لم يتوقف اليهود عن محاولات تحقيق هدفهم، فنجحوا بقيادة إبراهام اليهودي في الوصول على هجرات متقطعة إلى سيناء بداية بالطور نظرا لوقوعها على البحر ولأن لها ميناء يصلح لرسو السفن. وقد اكتشف رهبان دير سانت كاترين ذلك بشكايات إلى الدولة العثمانية، حيث كانوا يتعرضون للأذى على يد هؤلاء اليهود والمهاجرين. لهذا السبب أصدر الوالي العثماني على مصر من قبل السلطان العثماني مراد الثالث ثلاثة فرمانات متتالية أعوام (١٥٨١-١٥٨٣-١٥٨٥م) تأمر المسؤول في الطور بإخراج إبراهيم اليهودي وزوجه وأولاده وسائر اليهود من سيناء ومنعهم في قابل الأيام من العودة إليها بما في ذلك مدينة الطور أو الإقامة أو السكن فيها. نبهت الفرمانات الثلاثة على أرباب الوظائف بضرورة تنفيذ الأوامر تنفيذا فوريا وألا يتأخروا يوما واحدا.

وفي عام ١٨٥٦م، أسس اليهود في روسيا الحلف الإسرائيلي العالمي، وأسسوا المراكز الثقافية والمدارس اليهودية، وبدأوا بإحياء اللغة العبرية.

وفي أثناء حكم السلطان عبدالحميد الثاني أراد يهود روسيا النزوح إلى فلسطين، وتدخل بعض كبار اليهود لدى القنصل العثماني العام في ثغر «أوديسيا» ببلاد اليونان كي يمنح اليهود تصريحا بدخول فلسطين والاستقرار فيها. اتصل القنصل العثماني بحكومته فتلقى منها ردا علق صورة منه على شكل إعلان على دار القنصلية في ٢٨ أبريل عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م جاء فيه: «إن الحكومة العثمانية تبلغ جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة بأنه ممنوع عليهم الاستقرار في فلسطين وأن الدولة تسمح لهم بالإقامة في أي إقليم آخر من أقاليم الدولة بشرط أن يكونوا رعايا عثمانيين ويخضعوا لقوانين الدولة».

تدخل السفير الأميركي في الأستانة لدى وزير الخارجية العثماني في شأن منع هجرة اليهود إلى فلسطين، فتلقى السفير تأكيدا بمنع هذه الهجرة في ضوء القرار الذي أبلغ إلى القنصل العثماني العام في أوديسيا.

وإمعانا من الباب العالي السلطان عبدالحميد الثاني في سياسة منع الهجرة اليهودية:

- أرسلت الأستانة عام ١٨٨٢م، برقيات إلى متصرف القدس وإلى السلطات العثمانية في بيروت واللاذقية وحيفا بمنع أي يهودي من روسيا أو رومانيا أو بلغاريا من أن تطأ قدمه أرض فلسطين.

أبلغ السلطان عبدالحميد الثاني في ٢٢ يناير ١٨٨٣م، رؤساء البعثات الدبلوماسية في الأستانة رسميا بقرار مجلس الوزراء العثماني بمنع استيطان أو استقرار اليهود الروس في فلسطين.

أصدر الباب العالي عام ١٨٨٤م، قرارا بألا تزيد على ثلاثين يوما إقامة اليهود الراغبين في زيارة فلسطين، واحتجت الدول الأوروبية على قيد المدة بثلاثين يوما بحجة أنها قصيرة فأصدر الباب العالي في ١٨٨٧م، قرارا بجعلها ٣ أشهر يغادرون بعدها فلسطين.



وقد استطاع بعض اليهود التسلل إلى فلسطين بمساعدة بعض القناصل الأوروبيين في فلسطين وقبول بعض الموظفين العثمانيين الرشاوى. وفطن عرب فلسطين إلى هذا التسلل، فأرسل أعيان القدس في ٢٤ يونيو ١٨٩١م، التماسا إلى الباب العالي لاتخاذ إجراءات فعالة كفيلة بمنع نزوح اليهود الأجانب إلى فلسطين وشرائهم الأراضي، حيث كانت القيود المفروضة على اليهود قد خفت بعد أن ترك محمد شريف رؤوف باشا، الذي كان يتولى متصرفية القدس منصبه عام ١٨٨٩م، حيث كان ينفذ سياسة السلطان عبدالحميد الثاني تنفيذا صارما.

استجاب الباب العالي لالتماس أعيان القدس فجدد القيود المفروضة على اليهود وعلى بيع الأراضي لهم.

في عام ١٨٩٢م، صدر قانون يحرم بيع أراضي الحكومة إلى جميع اليهود بمن فيهم رعايا الدولة العثمانية اليهود.

في عام ١٨٩٦م، وصلت البجاحة بصحافي نمساوي يهودي، هو تيودورهيرتزل، إلى إصدار كتاب: «الدولة اليهودية»، ذكر فيه: «أن قيام دولة يهودية من شأنه أن يقلل من حدة اللاسامية المعادية لليهود».

طلب هيرتزل من السلطان عبدالحميد الثاني أن يتنازل لليهود عن فلسطين لكي يؤسسوا فيها دولة، وأغرى هيرتزل السلطان عبدالحميد الثاني بالمعونات المالية السخية ثمنا لذلك، لكن السلطان عبدالحميد الثاني رفض طلبه وكتب إليه قائلا:

«أنصح دكتور هيرتزل بألا يتخذ

خطوات أخرى في هذا الطريق فإني لا أستطيع أن أتنازل عن قدم مربعة واحدة من هذه الأرض (أي فلسطين)؛ لأنها ليست أرضي، وإنما أرض شعبي الذي حارب في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه. دع اليهود يحتفظون بملايينهم، فإذا تفككت إمبراطوريتي فإن اليهود قد يحصلون على فلسطين من دون مقابل، لكنهم لن يصلوا إليها إلا على أشلاء أجسادنا بعد تمزيق أوصالها. إنني لا أستطيع أن أوافق على إجراء هذه التجارب الجراحية على أجسام أبناء شعبي».

مؤتمر بال ١٨٩٧م

لم ييأس اليهود وعقدوا مؤتمرا في مدينة بال بسويسرا يوم ٢٩ أغسطس ١٨٩٧م، لوضع الحجر الأساس للمأوى الذي سيقيم فيه اليهود، حضره ٣٠٠ من كبار حاخامات وحكماء وزعماء اليهود، وقرر المتآمرون في نهاية المؤتمر:

«تأسيس وطن للشعب اليهودي على حد زعمهم في فلسطين يضمنه القانون العام؛ بمعنى أن يضمن ذلك قانون المجتمع الدولي».

واصل اليهود سعيهم وحاولوا أن يتسللوا إلى فلسطين تحت ستار المشروعات التي تقوم بها أوروبا في العالم العربي (نفس مسار الشركات المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات)، فاتصل هيرتزل بغليوم الثاني (قيصر ألمانيا) لإقناعه بأن اليهود يستطيعون مساعدة ألمانيا على تدعيم نفوذها في المنطقة من خلال المشاركة في تنفيذ مشروع سكة حديد «برلين -بغداد»، وبعرض الأمر على السلطان عبدالحميد الثاني عام ١٨٩٨م، أثناء زيارة غليوم الثاني للقسطنطينية رفض الاقتراح. ثم أرسل هيرتزل رسالة إلى يوسف ضياء الدين الخالدي (كبير نواب العرب في مجلس المبعوث العثماني) محاولا تضليله وبيان الفوائد التي ستعود على العرب إن هم أعطوا اليهود وطنا في فلسطين بالقول:

«إن هذه الحركة لا تضمر أي روح عدائية للحكومة العثمانية، وإن استيطان عدد من اليهود بما فطروا عليه من ذكاء وروح عالية وبما لهم من إمكانات من شأنه أن يزيد من رخاء البلاد».

انتهت الاتصالات بين هيرتزل والسلطان عبدالحميد عام ١٩٠٢م، بعرض من الحكومة العثمانية اشترطت فيه أن يتجنس المهاجرون اليهود بالجنسية العثمانية، وأن يوزعوا على جميع الولايات العثمانية في آسيا عدا فلسطين بمعدل ٥ أسر في كل ولاية.

رفض الصهاينة العرض؛ لأنهم يريدون فلسطين كلها لتكون وطنا لهم ومنطلقا للتوسع وفرض السيطرة، فاتصل اليهود بعد ذلك بخديوي مصر للتنازل لهم عن العريش فرفض مجرد المفاوضة في هذا الشأن.

اهتم حاييم وايزمان بالحصول على تأييد الشعوب غير اليهودية لأهداف الصهيونية وعبر عن ذلك عام ١٩٠٧م، قائلا: إن الصهيونية السياسية تعني الآتي: أن تجعل من المسألة اليهودية مسألة دولة.. إنها تعني أن نتوجه إلى الأمم المختلفة ونقول لها: إننا في حاجة لمساعدتكم لكي نحقق أهدافنا.

مؤتمر ١٩٠٧م لأساتذة الجامعات في أوروبا

استغلت الصهيونية العالمية مؤتمرا عام ١٩٠٧م برعاية رئيس الوزراء البريطاني هنري كامبل، عقده ممثلون عن: «بريطانيا - فرنسا - هولندا - بلجيكا - إسبانيا - البرتغال - إيطاليا» في لندن على مستوى أساتذة الجامعات والخبراء في جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحربية، حيث استغل اليهود ذلك المؤتمر وتسلطوا على مسير جلساته ووجهوه لتصدر قراراته متفقة مع الأماني الصهيونية.

وقد هدف هذا المؤتمر إلى:

إجراء دراسات وأبحاث تحفظ للدول الاستعمارية سيطرتها على مستعمراتها وتمنع انهيار إمبراطوريتها، حيث قال هنري كامبل رئيس وزراء بريطانيا في بداية المؤتمر: «إن أوروبا في طريقها إلى الانهيار والسقوط، وإنها قد استنفدت مواردها وفي طريقها إلى الشيخوخة، وإن ديار الإسلام لا تزال في مرحلة الشباب بالنسبة إلى الثروات» جاءت قرارات المؤتمر متفقة تماما مع ما كانت تحلم به الصهيونية العالمية، حيث تضمنت:

أهمية السيطرة على البحر المتوسط شريان الحياة بين الشرق والغرب.

استبعاد أي خطر على الاستعمار في أي من المستعمرات عدا منطقة

البحر الأبيض المتوسط التي يكمن فيها الخطر الحقيقي على الاستعمار لأنها مهد الحضارات ويسكنها شعب له مقومات الوحدة، فإذا تجمعت هذه المقومات مع نزعة هذا الشعب للتحرر فسيكون في ذلك الضربة القاضية على الاستعمار، لذلك فإن على الدول الاستعمارية ذات المصلحة المشتركة أن تبقي وضع هذه المنطقة على ما هو عليه مجزأة متأخرة وأن تبقي شعبها على ما هو فيه من تفكك وجهل.

لمواجهة هذا الخطر يجب فصل هذا الجزء الأفريقي عن الجزء الآسيوي من هذه المنطقة وذلك بإقامة حاجز بشري قوي وغريب في منطقة الجزء البري الذي يربط آسيا وأفريقيا على مقربة من قناة السويس ليكون قوة صديقة للاستعمار وعدوا لسكان المنطقة.

هكذا وجد الاستعمار في الصهيونية ضالته المنشودة لإقامة ذلك الجدار البشري، ووجدت الصهيونية العالمية في الاستعمار خير صديق يعاونها على تحقيق أهدافها الإجرامية ضد شعب فلسطين والأمة العربية.

حينما حاول المتآمرون اليهود وبمعاونة أبناء أوروبا تنفيذ مخططهم صادفتهم عقبات عدة منها: وجود الخلافة العثمانية، ووحدة العالم الإسلامي، قوة عقيدة الإيمان. لهذا رأى المتآمرون أنه لا سبيل لتحقيق أهدافهم إلا بإسقاط الخلافة العثمانية وتمزيق العالم الإسلامي وإفساد الإيمان في القلوب وذلك لا يتحقق إلا بـ:

تقويض الإيمان من الداخل وبأيدي من ينتسبون إلى الإسلام من خلال انقلاب عسكري يقوم فيه العسكر الذين ينتسبون إلى الأمة بالدور الأكبر في تنفيذ مخطط الأعداء.

يقترن ذلك بـ: غزوة فكرية تعمل على تقويض الإيمان بالله في القلوب حتى تنزاح العقبة الكؤود التي يمكن أن تتحطم عليها أطماع الأعداء ومؤامراتهم.

لتحقيق ذلك وقع انقلاب عسكري داخل الدولة العثمانية خططت له وقامت به جمعية سرية تسمى جمعية الاتحاد والترقي من خلال تنظيم بدا كأنه تنظيم تركي وطني وهو في الأصل تنظيم ماسوني من يهود الدولة يهدف إلى تدمير بنية الأمة من الداخل، وكان من أقطابه الظاهرين مصطفى كمال أتاتورك الذي قام بخلع السلطان عبدالحميد الثاني في ١٣ مارس ١٩٠٩م.

ندبوا لإبلاغه وفدا مكونا من أربعة أشخاص لم يكن من بينهم تركي ولا عربي، كان على رأس الوفد اليهودي إيمانويل قراسو، وهو يهودي إسباني الأصل، وقد سبق للسلطان عبدالحميد الثاني أن طرده من مجلسه في «يلدز» حين حاول التأثير عليه لإسكان اليهود في فلسطين، وكان له دور مشؤوم في الاحتلال الإيطالي لليبيا.

نفي السلطان عبدالحميد الثاني إلى سالونيك، وهي مدينة يغلب عليها الطابع اليهودي، وحبس في بيت أحد اليهود اسمه «آلاتيني» إمعانا في إذلاله.

في ١٠ فبراير ١٩١٨م، توفي السلطان عبدالحميد الثاني واشترك في جنازته كل شعب إستانبول وبخلعه انتهت السياسة الإسلامية في الدولة العثمانية وبرزت العصبية القومية الطورانية. قبل وفاته وجه السلطان عبدالحميد الثاني رسالة سرية إلى شيخه شيخ الإسلام مصطفى صبري، حكى فيها خبر عزله، وجاء فيها:

«إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية بل أجبرت على ترك الخلافة، إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة فلسطين، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف ورفضت وأجبتهم بهذا الجواب القطعي:

إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا فضلا عن ١٥٠ مليون ليرة إنكليزية ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ٣٠ سنة فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين لهذا:

فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى «سالونيك» فقبلت هذا التكليف الأخير. هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل أن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم لي بإقامة دولة يهودية في الأرض المقدسة فلسطين.

وقد كان بعد ذلك ما كان.

وهكذا عزل السلطان عبدالحميد على يد يهود الدونمة.



د. آندي حجازي
أكاديمية في علم النفس التربوي

الأساليب الخمسة في دعوة غير المسلمين

حينما خلق الله الخلق، خلقهم لغاية سامية وقد أوضح ذلك في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ٥٧﴾ (الذاريات:٥٦-٥٧) فالغاية هي عبادة الخالق وحده لا شريك له ولا معبود سواه، ولابد من التقرب إليه بالطاعات واجتناب النواهي التي أمر باجتنابها. والله تعالى جعل وجود الإنسان في هذه الحياة امتحانا له ليميز الله الخبيث من الطيب، والمؤمن من الضال، والعابد من الجاحد. ولكن الخالق سبحانه وتعالى لم يدع البشر بلا توجيه أو إرشاد أو توضيح للغاية بل أرسل إليهم الرسل والأنبياء ويسر لهم الدعاة على مر الأزمان من أجل دعوة الناس إلى الحق وإلى دين الله تعالى ولتعريف الناس الغاية من هذه الحياة وما بعد هذه الحياة.

وبالرغم من أن الإنسان وعلى مر الزمن دائما تساءل: من الخالق؟ ولماذا خلقنا؟ وما الهدف من وجودنا على سطح الأرض وفي هذه الحياة؟ وماذا بعد الحياة؟ وهل هناك حياة أخرى غير هذه الحياة أم لا؟ ومن خلق الكون؟... وغيرها من الأسئلة إلا أن الكثير من البشر وعلى الرغم من إرسال الله تعالى للرسل والأنبياء للإجابة الواضحة عن كل تلك الأسئلة، إلا أنهم يرفضون دعوة وكلام الرسل والأنبياء ويحاربونهم ويعادونهم ويقتلونهم أحيانا! بل ويرفضون فكرة وجود الله تعالى وفكرة وجود خالق للكون! بالرغم من أن كل شيء في هذا الكون يشير إلى دقة متناهية في الصنع وعظمة وكمال وروعة وتوحد في نظام الكون لدرجة تنبئ عن وجود خالق وصانع



متقن لهذا الكون الذي لا مثيل له.
فانظر مثلا كيف أن كل شيء يدور في الكون في أفلاك وباتجاه عكس عقارب الساعة، من أصغر شيء كما حول النواة إلى أكبر المخلوقات وهي الأفلاك في السماوات. وانظر كيف أن جميع المخلوقات الحية من أصغرها إلى أكبرها تتوحد في فكرة وجود الأنثى والذكر من أجل التكاثر واستمرار الحياة؛ فكيف لكل تلك الكائنات أن تسير على نفس النسق من ضرورة توافر الذكر والأنثى لكي تتوالد أو تتكاثر وحتى في النباتات، فكيف يكون هذا كله بمحض المصادفة! أو جاء من الطبيعة وبلا خالق وحد نظام الكون في دقة متناهية! وكيف لكل هذا الفضاء المترامي الأطراف بهذا الحجم الهائل الذي اكتشفته التلسكوبات الضخمة في اتساعه ومجراته التي قدرت بملايين الملايين أن تكون بلا خالق! والغريب أن كثيرا ممن يلحدون، هم ممن يدرسون تلك الحقائق العلمية ثم ينقلبون على رؤوسهم وينكرون خالقا لها!

الأساليب الخمسة المقترحة في دعوة لغير المسلمين إلى الإسلام

أولا: الدعوة من خلال آيات الله في الكون

إن من الطرق المفيدة والمقنعة وخاصة مع ذوي الألباب وأهل العلم والعلماء هي دعوتهم إلى الإيمان بالله وحده عن طريق دعوتهم إلى التفكر في عظيم مخلوقات الله في السماء من (أفلاك وأجرام وأقمار ومجرات ونجوم وشهب..) ومخلوقات الله في الأرض والجبال والبحار والكائنات في الأرض والبحور، ومناقشتهم في آيات الله في الكون، ومن خالق هذا الكون. وقد كان هذا دور وأسلوب الرسل والأنبياء في دعوة الناس للتفكر في الكون وقد أوضح الله ذلك في آيات وقصص كثيرة جدا في القرآن الكريم وقصصهم مع أقوامهم وفي دعوتهم إلى التفكر في ملكوت الله وخالق هذا الملكوت.
فمثلا قال تعالى داعيا إلى التفكر في الكون العظيم: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأعراف:١٨٥). وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت:٢٠). وقال تعالى داعيا للتفكر في بعض قدرات الله في مخلوقاته: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية:١٧-٢٠).
وقال تعالى داعيا للتفكر في خلق الإنسان: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون:١٤).
وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل على عظمة خلق الله ودقة خلقه كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج:٧٣).
وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تثبت عظمة الخالق وأنه هو البارئ للمخلوقات وما أبدع، فمثلا حينما قالت نملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل:١٨)، وسمعها سيدنا سليمان عليه السلام، اكتشف العلماء حديثا أن ظهر النمل بالفعل يتكون من مادة كالزجاج تتحطم ونسمع صوتها عند الضغط بقوة على ظهر النملة وهذا مذكور بالقرآن الكريم. وحينما تحدث عن النحل وكيف يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه وفيه شفاء للناس، وقد أثبت العلم والباحثون مدى فاعلية العسل في الشفاء من العديد من الأمراض فهو يعمل كمضاد حيوي. وحينما تحدث الله تعالى عن العنكبوت كمثل العنكبوت اتخذت بيتا،

وتحدث عن العنكبوت بصفة المؤنث فاكتشف العلماء حديثا أن العنكبوت الأنثى هي التي تبني بيتا أما الذكر فلا يبني بيتا! وهكذا هي آيات الله في كونه لا تعد ولا تحصى وهي مجال خصب لإقناع الناس بالخالق العظيم وبالإيمان به خاصة مع محاولة البعض اليوم الدعوة للإلحاد فلابد من التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة.

ثانيا: الدعوة من خلال القدوة والأخلاق الحسنة

من المهم جدا أن نعلم أن الخلق الحسن هو أفضل أسلوب في الدعوة لغير المسلمين، فعندما يتعامل غير المسلم مع المسلم ذي الأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة والإخلاص والجد والاجتهاد ومحاسبة النفس والتقوى والصبر والتسامح.. ويرى منه حسن الخلق والتعامل الصادق الحسن فلا يغشه ولا يخدعه ولا يكذب عليه في تعامله ولا يستغيبه ولا يخذله ولا يبهته ولا يظلمه ولا يسرقه حقوقه ولا يتهاون في أداء واجباته، فإنه حتما سيكون قدوة حسنة ونموذجا رائعا يتمنى أن يتبعه في دينه. ويؤكد كلامنا كيف دخل مئات الآلاف من غير المسلمين في الدين الإسلامي أيام الصحابة وقت الفتوحات الإسلامية؛ حيث وجد أهل البلدان المفتوحة في (الشام والعراق ومصر وبلاد الفرس وشمال إفريقية) كيف كانت أخلاق الفاتحين وقارنوها بمن سبقهم، فلو كانت غير ذلك فهل كانوا سيتبعون المسلمين؟!

وهل اتبع الإندونيسيون الدين الإسلامي إلا من أخلاق التجار المسلمين الذين كانوا يتعاملون معهم، فكيف اتبع غالب أهل إندونيسيا الإسلام وهم اليوم أكبر دولة إسلامية من حيث العدد السكاني بحمد الله (٣٦٠ مليونا) فالخلق الحسن والمبادئ الأخلاقية هي التي

كان أسلوب الأنبياء الحوار مع أقوامهم

تجلب السعادة للإنسان وتجلب الراحة والطمأنينة، وهي أساس ديننا.

ومثلا إن كان لديك خادمة في البيت غير مسلمة أو سائق شخصي لك غير مسلم، فلو رأى منك الخلق الحسن والمعاملة المتسامحة والاحترام والتقدير والكرم والعطف والصبر وعدم الغضب كما كان رسول الله ﷺ يفعل مع أنس ابن مالك حينما كان يخدمه، فقال أنس رضي الله عنه: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ما قال لي لما فعلت كذا ولما لم تفعل كذا». مع أنه لابد وأن أنس قد أخطأ يوما خلال هذه العشر سنوات! ولكن رسول الله ﷺ لم يعاتبه حتى عتابا. فلو اقتدينا برسول الله عليه السلام في معاملتنا للخدم والسائقين وعمال النظافة وغيرهم فإنه حتما سيدخل في ديننا الآلاف منهم، ولكننا مقصرون في هذا الجانب والحق يقال.

ثالثا: الدعوة من خلال الموعظة والجدال الحسن

إن الأسلوب الشائق والحسن واللطيف والذي يتضمن الود والجدال الحسن المقنع في التعامل مع غير المسلمين هو الأسلوب الأفضل في جذبهم نحو الدين وخاصة عند حدوث الحوارات والجدالات والمناظرات بين المسلم وغير المسلم، قال تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥)، ونتذكر هنا رسول الله ﷺ كيف كان يتحاور مع كفار قريش من أجل دخولهم في الدين الإسلامي وكيف يدعوهم لعبادة الله وحده وأن الأصنام لا تنفع ولا تضر وأنه يخاف عليهم عذاب الآخرة، قال عزوجل: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ (آل عمران:١٥٩).

وكذلك كل الأنبياء كانوا يتحاورون مع أقوامهم بالتي هي أحسن وبالحجج والمنطق وأسلوب الإقناع، فمثلا سيدنا إبراهيم عليه السلام تحاور مع قومه بعدة طرق ليقنعهم أن الأصنام لا تنفع ولا تصلح أن تكون إلها وخالقا ومعبودا، وأثبت لهم ذلك بقصة تحطيم الأصنام علهم يرتجعون عن غيهم وضلالهم، وكذلك تحاور معهم بأن الشمس والقمر لا يصلح التعبد بهما كآلهة لانهما يغيبان والإله لا يغيب بل هو حاضر دائما، والشمس لا تطلب منهم عبادة، بينما الخالق الحقيقي يطلب منهم أوامر وينهاهم عن نواه.

وكل الأنبياء كان أسلوبهم الحوار مع أقوامهم، وأعرض مثالا لحوار الأنبياء مع أقوامهم وهم جلهم نماذج في الحوار الراقي الجميل المهذب والمقنع؛ وهو حوار سيدنا شعيب مع قومه حينما دعاهم لعبادة الله وحده وعدم الغش في المكيال وعدم الإفساد في الأرض وأنه يرجو لهم الخير والنجاة وكيف كان موقف قومه منه:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ

﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ
وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ
ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ
لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠
عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ
أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ
ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا
نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ
﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ
بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ
وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ
عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ
وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ
أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ (سورة هود:٨٤-٨٨). فما
على الرسول إلا البلاغ. وقد ورد في التاريخ الإسلامي نماذج كثيرة لحوارات مقنعة مع غير المسلمين كحوارات (أبي حنيفة) صحاب المذهب الحنفي مع الملحدين. وكمثال (أحمد ديدات) في القرن الماضي في مناظراته مع غير المسلمين وكيف أسلم على يده الآلاف بأسلوبه المقنع.

رابعا: الدعوة من خلال التقدم العلمي والحضاري

عالمنا اليوم يعيش في عصر العلم والتكنولوجيا ويقدر العلم والعلماء والاختراعات والاكتشافات، والعالم في تسارع علمي وتكنولوجي واضح وأصبح العالم لا يقتنع إلا بالأقوى تكنولوجيا وعلميا، ولذلك علينا كمسلمين أن نكون مساهمين في ركب العلم والتطور الحاصل، ولا نبقى مشاهدين أو أتباعا ومستهلكين، ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر؛ كيف حينما كان الإسلام هو السائد والدولة الإسلامية واحدة وممتدة ووصلت الأندلس (إسبانيا اليوم) ودخل أهلها الإسلام وحسن إسلامهم، فكان الأوروبيون آنذاك ينظرون إلى المسلمين كنماذج عليا في التقدم العلمي والثقافي والحضاري، فباتوا آنذاك يحاولون تقليد المسلمين في سلوكياتهم ولبسهم وطريقة حياتهم ما جعل الكثير منهم يدخل في الدين الإسلامي وقتها لما وجد في الإسلام من التحضر والتقدم والرقي الأخلاقي والعلمي.

وكذلك كان الأمر أيام الخلافة العثمانية وكمثال أيام السلطان سليمان القانوني الذي حقق العدل والتطور والرفاه واهتم بكل جوانب العلم والتحضر والأمور الدينية والدنيوية وليس فقط الفتوحات؛ فأنشأ المدارس والمستشفيات ودور العلم والمساجد والجسور والطرق ووسائل النقل واهتم بالفنون الراقية.. ما جعل عصره يوصف بالعصر الذهبي للإسلام، ومن خلاله دخل الملايين من البشر في دين الإسلام.

فعندما نكون نماذج في العلم وإعمار الأرض والاكتشاف والاختراع (وليس فقط العبادات) فإن الآخر سوف يقتنع بديننا العظيم الذي يحثنا على العلم والتعلم وعلى إعمار الأرض وسيتبعنا ويتمنى اتباع هذا الدين. وكذلك كان المسلمون في كل عصور الا زدهار للدولة الإسلامية يهتمون بكل نواحي العلم من (هندسة وفلك وطب وصيدلة وصناعة وفنون وتجارة..) فكانوا نماذج رائعة بشتى المجالات، فشجعت الكثير على اتباع هذا الدين العظيم المنتج.

ونحن اليوم بأشد الحاجة إلى أن نعود كما كنا وأن نكون قادة في العالم لا إمعة وأتباعا للعالم الغربي الذي وإن تطور فكريا اليوم لكنه انحل أخلاقيا في الجوانب الإنسانية والاجتماعية والأسرية والأخلاقية. أما نحن فلدينا دين كامل متكامل راق إن اتبعناه كنا أفضل الأمم وأنشأنا أعظم حضارة يشار إليها بالبنان كما كانت، وأوقفنا العالم على قدم واحدة احتراما لنا وتقديرا.

خامسا: استخدام وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة

اليوم انتشرت في العالم كله وسائل تواصل اجتماعي كثيرة ووسائل تكنولوجية سريعة وتطبيقات كثيرة كالواتساب والماسنجر والتويتر والفيسبوك وغيرها، ويمكننا أيضا اليوم الدخول إلى غرف التحاور والتشاور الإلكترونية، فيمكن الاستفادة من تلك الوسائل لإقناع الآخرين بديننا، فجميع وسائل التواصل الاجتماعي يمكن استخدامها اليوم في دعوة غير المسلمين إلى الله تعالى وهي اليوم منصات رائعة من أجل نشر كلمة الحق ونشر معلومات دينية صحيحة عن ديننا الإسلامي بدلا من تلك التي تنشرها وسائل الإعلام ووسائل التواصل التي تحاول تزوير الحقائق وإبعاد الناس عن الحق.

ونحن كمسلمين محاسبون أمام الله تعالى عن إيصال ديننا الحنيف لغير المسلمين، وإلا فإننا سنكون مقصرين وسيحاسبنا الله تعالى على تقصيرنا في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وفي تعريفهم به، ولابد من جهود مدروسة هادفة منظمة في كيفية إيصال ديننا ومبادئه لغير المسلمين؛ لا أن تكون أفكارا مترامية الأطراف وغير متكاملة وغير منظمة ومشتتة للآخر، فلابد من التسلسل في الطرح والتدريج في إيصال المعلومة وتجهيزها بطريقة مناسبة يتقبلها الطرف الآخر.

د. رمضان فوزي بديني
دكتوراه في اللغة العربية



إلماحات لغوية من تفسير «اللباب» لابن عادل

هـذا كـتـاب لـو يـبـاع بـوزنـه
ذهـبـا لـكـان الـبـائـع المـغـبـونـا
أومـا مـن الخـسـران أنـك آخـذ
ذهـبـا وتـعـطـي جـوهـرا مـكـنـونـا

بهذين البيتين وصف أحد النساخ كتاب «اللباب في علوم الكتاب» لمؤلفه ابن عادل الحنبلي.

والمطلع على هذا الكتاب، الذي يعد موسوعة في تفسير القرآن الكريم، يدرك جيدا قيمة هذا الوصف؛ فدونك كتاب جمع من علوم اللغة والشريعة خلاصتها ولبابها، ثم سبك كل هذا تفسيرا وشرحا وتوضيحا لكلمات القرآن ومعانيه، كلمة كلمة، ومعنى معنى؛ حتى اقتضت طباعته أن يأتي في عشرين مجلدا، كل مجلد مكون من نحو ٦٠٠ صفحة[١].

لقد ضم الكتاب الكثير من أقوال العلماء في علوم القرآن؛ حيث عرض لبيان معاني المفردات والقضايا النحوية ووجوه الإعراب، منطلقا من تمكن كبير من أصول النحو السماعية والقياسية؛ حيث انتشرت هذه الأصول في ثنايا التفسير انتشارا كبيرا حتى تخاله أحد مصنفات علم النحو؛ فتجده يتكئ في ترجيحاته على السماع (قرآنا وحديثا نبويا ومأثورات العرب الشعرية والنثرية)، ثم تجد فيه تخريجات كثيرة تراعي القياس والاستصحاب، كما يلجأ إلى التعليل والتأويل[٢] في كثير من مباحث الكتاب.

ولعل العنوان الذي اختاره الشيخ ابن عادل وهو «اللباب في علوم الكتاب» ذو دلالة مهمة؛ فاللباب في اللغة هو الخالص من كل شيء[٣]؛ فالكتاب أراده مؤلفه أن يكون خالصا في علوم القرآن متضمنا آراء المفسرين واللغويين والفقهاء والأصوليين.

والمطالع للتفسير يلاحظ أن مؤلفه اعتمد كثيرا على تفسير الرازي والسمين الحلبي، والبغوي والقرطبي.

وعلى الرغم من ضخامة حجم الكتاب، فإن مؤلفه بدأه بمقدمة مقتضبة جدا، لا تتجاوز عدة أسطر، هي البسملة وخطبة الحاجة، ثم قال: «وبعد، فهذا كتاب جمعته من أقوال العلماء في علوم القرآن وسميته: اللباب في علوم الكتاب. ومن الله أسأل العون، وبلوغ الأمل، والعصمة من الخطأ والزلل»[٤].

ترجمة المؤلف

هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي الحنبلي النعماني. لم تذكر كتب السير والأعلام والتراجم تاريخا لمولده أو وفاته، لكن من خلال ما ورد عنه من معلومات من خلال أساتذته وتلاميذه يستنبط أنه عاش بين القرنين السابع والثامن الهجريين.

تتلمذ ابن عادل على بعض علماء عصره مثل: محمد بن علي بن ساعد (٧١٤هـ)، ووزيرة بنت عمر بن المنجا (٧١٦هـ) وابن الشحنة النجار (٧٣٠هـ).

ومن تلاميذه علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، والقاضي جمال الدين البساطي المالكي (٨٢٨هـ).

مؤلفاته

يبدو أن ابن عادل وقف حياته على تأليف سفره العظيم «اللباب» الذي جمع فيه خلاصة علمه، ويبدو أنه أنفق فيه كثيرا من وقته؛ حيث لم تعرف له مؤلفات إلا «اللباب»، وذكر أن له حاشية على كتاب «المحرر» في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لأبي البركات عبدالسلام ابن تيمية.

وقد أصبح ابن عادل مضرب المثل في جودة التفسير؛ ففي قصيدة لمدح أبي الوفا الشافعي، يقول صاحبها:

له الباع في التفسير ضاهى ابن عادل
وحيث روى الأخبار تدعوه يحصب

كما أن هناك قصيدة لابن شهاب يضرب فيها المثل في التفسير بابن عادل، قال فيها:

إذا فسروا والتفت الساق بينهم
ودارت رحاهم في دقيق التشاغب

فـمـا عــدلــوا مــنـه بمــثـل ابـــن عـــادل
ولا فـخـروا بـالـفـخـر عـنـد الـثـعـالـبـي(٥)

إشارات لغوية من «اللباب»

إن تفسيرا بحجم اللباب وثرائه اللغوي لتقصر دون الإحاطة بالجوانب اللغوية فيه المجلدات؛ فما بالك بهذه الصفحات المعدودات؟!

ولذا فسأكتفي ببعض الإشارات اللغوية من هذا السفر العظيم، لعلها تكون فاتحات شهية للاغتراف منه والإقبال عليه بحثا ودراسة وتدبرا لكلام الله تعالى.

إن المطالع لـ«اللباب» سيجد نفسه أمام نحوي متخصص له منهجه في التقعيد؛ حيث يشير للقاعدة وتطبيقاتها المختلفة حسب ورودها في كتاب الله تعالى؛ فنجده يقول مثلا: «وللاستثناء أحكام كثيرة تأتي مفصلة في مواضعها إن شاء الله تعالى»(٦).

وابن عادل في مجال التقعيد ليس مجرد ناقل أو مطبق لما قاله النحاة على القرآن الكريم؛ بل له اختياراته الخاصة التي قد يخالف فيها النحاة؛ فنجده مثلا يتحدث عن الجمل التي لا محل لها من الإعراب فيقول: «والجمل التي لا محل لها من الإعراب أربع لا تزيد على ذلك -وإن توهم بعضهم ذلك- وهي: المبتدأ والصلة والمعترضة والمفسرة، وسيأتي تفسيرها في مواضعها»(٧).

فهو هنا اختار مذهبا قد يكون تفرد به في عدد الجمل التي لا محل لها من الإعراب؛ حيث قصرها على أربع فقط في حين نجد من النحاة من أوصلها إلى اثنتي عشرة جملة مثل أبي حيان في «ارتشاف الضرب»، ومنهم من جعلها سبع جمل كابن هشام في «مغني اللبيب»، والسيوطي في «همع الهوامع»، ومنهم من جعلها تسع جمل كابن أم قاسم في «توضيح المقاصد والمسالك».

كما أننا نجد أنفسنا أمام نحوي يهتم بعلل الإعراب والبناء، وهو ما لا يراعيه إلا نحوي أصولي؛ فعند تفسيره قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ (البقرة:٧١)، قال:

«واختلف في علة بنائه (الآن)؛ فقال الزجاج: لأنه تضمن معنى الإشارة؛ لأن معنى أفعل الآن، أي: هذا الوقت.

وقيل: لأنه أشبه الحرف في لزوم لفظ واحد، من حيث إنه لا يثنى ولا يجمع ولا يصغر.

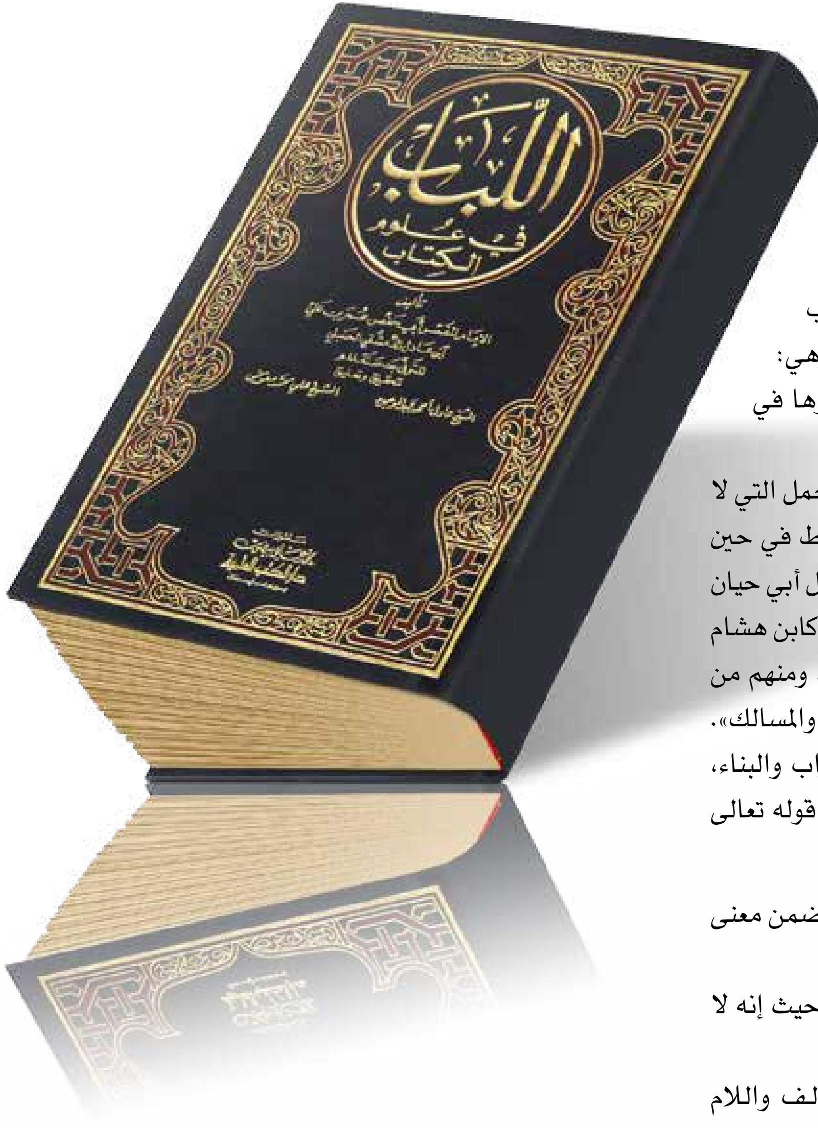
وقيل: لأنه تضمن معنى حرف التعريف، وهو الألف واللام كـ«أمس»، وهذه الألف واللام زائدة فيه بدليل بنائه، ولم يعهد معرف بـ«أل» إلا معربا، ولزمت فيه الألف واللام كما لزمت في «الذي والتي» وبابهما، ويعزى هذا للفارسي، وهو مردود بأن التضمين اختصار، فكيف يختصر الشيء، ثم يؤتى بمثل لفظه...»(٨).

وفيما يلي بعض التطبيقات اللغوية في تفسير «اللباب»:

اهتمامه باشتقاق الكلمة ووزنها وعلاقتهما بمعناها

يلاحظ عند ابن عادل أنه يحرص على تتبع اشتقاقات الكلمة وتصريفاتها وأوزانها الصرفية وعلاقة كل هذا بالمعنى، ويتضح هذا مثلا في حديثه عن الاستعاذة؛ حيث تتبع تصريفات كلمة «الشيطان» فقال:

«واختلف أهل اللغة في اشتقاقه:



فقال جمهورهم: هو مشتق من: «شطن - يشطن» أي: بعد؛ لأنه بعيد من رحمة الله تعالى؛ وأنشد:

نأت بسعاد عنك نوى شطون
فبانت والفؤاد بها رهين

وقال آخر:

أيما شاطن عصاه عكاه
ثم يلقى في السجن والأكبال

وحكى سيبويه -رحمه الله: «تشيطن» أي: فعل فعل الشياطين؛ فهذا كله يدل على أنه من «شطن»؛ لثبوت النون، وسقوط الألف في تصاريف الكلمة، ووزنه على هذا: «فيعال».

وقيل: هو مشتق من «شاط - يشيط» أي: هاج، واحترق، ولا شك أن هذا المعنى موجود فيه، فأخذوا بذلك أنه مشتق من هذه المادة، لكن لم يسمع في تصاريفه إلا ثابت النون، محذوف الألف؛ كما تقدم، ووزنه على هذا «فعلان».

ويترتب على القولين: صرفه وعدم صرفه، إذا سمي به، وأما إذا لم يسم به، فإنه متصرف ألبتة؛ لأن من شرط امتناع «فعلان» الصفة ألا يؤنث بالتاء، وهذا يؤنث بها؛ قالوا: «شيطانة».

قال ابن الخطيب: و«الشيطان» مبالغة في الشيطنة؛ كما أن «الرحمن» مبالغة في الرحمة. و«الرجيم» في حق الشيطان «فعيل» بمعنى «فاعل».

إذا عرفت هذا، فهذه الكلمة تقتضي الفرار من الشيطان الرجيم إلى الرحمن الرحيم»[٩].

تتبع الأوجه النحوية الكثيرة للمسألة الواحدة

حرص ابن عادل على تتبع الأوجه الكثيرة الواردة في المسألة النحوية تتبعا يدل على كثرة اطلاعه وتنوعه، وهو في هذا لا يكتفي بمجرد النقل؛ بل يحلل كل وجه؛ فيقبل هذا ويرد هذا، ويحشد الأدلة على صحة هذا، وهكذا؛ فهو ناقل بصير.

ومن الأمثلة على ذلك تتبعه للأقوال الواردة في الاستثناء في قول الله تعالى عند الحديث عن خلود أهل الجنة وأهل النار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ﴾ (هود:١٠٧)؛ حيث ذكر فيه ستة عشر وجها وردت عن النحاة، معزيا كلا منها لصاحبه، وهو ما يضيق المقام عن ذكرها هنا[١٠].

اعتداد ابن عادل بالسماع

يعد السماع عما ورد عن العرب في عصور الاحتجاج أحد أهم المصادر التي اعتمد عليها النحاة في تقعيدهم. وقد اعتمد ابن عادل على السماع في كثير من توجيهاته النحوية للآيات، وإذا تعارض السماع مع القياس؛ فإنه يقدم السماع وينتصر له؛ فنجده عند توجيهه لقراءة حمزة بجر «والأرحام» في قوله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ (النساء:١)، بالعطف على الضمير دون إعادة حرف الجر (وهي من أشهر قضايا الخلاف بين البصريين والكوفيين) يقول مدافعا عن هذه اللغة: «وذلك يوجب القطع بصحة اللغة، ولا التفات إلى أقيسة النحاة عند وجود السماع»[١١].

ويرجح السماع في موضع آخر فيقول: «والمصير: اسم مصدر من صار يصير: أي: رجع، وقد تقدم في قوله: ﴿ٱلْمَحِيضِ﴾ (البقرة:٢٢٢) أن في المفعل من الفعل المعتل العين بالياء ثلاثة مذاهب، وهي: جريانه مجرى الصحيح، فيبنى اسم المصدر منه على مفعل بالفتح، والزمان والمكان بالكسر، نحو: ضرب يضرب مضربا، أو يكسر مطلقا، أو يقتصر فيه على السماع، فلا يتعدى، وهو أعدلها»[١٢].

موقفه من القراءات القرآنية

يعد القرآن الكريم وقراءاته هو المصدر الأول من مصادر أدلة النحو الإجمالية؛ حيث هو أفصح اللغات وأصحها على الإطلاق، لكن رغم ذلك نجد بعض البصريين لهم موقف مخالف من بعض القراءات المتواترة التي تعارضت مع أقيستهم وقواعدهم، وهو ما لا يسمح المقام باستقصائه هنا.

أما ابن عادل فموقفه من القراءات موقف أثير، متوافق مع نظرته للسماع بصورة عامة التي عرضنا لها منذ قليل؛ فالمطلع على تفسيره يجد له اهتماما كبيرا بالقراءات تخريجا وتوجيها ودفاعا حتى عن بعض الشواذ منها، وإقرارا في أكثر من موضع بأن «القراءة سنة متبعة»، ودفاعا عن أئمة القراءات.

ومن مواقفه تجاه القراءات

- الحرص على تخريج القراءة

حرص ابن عادل على تخريج القراءة القرآنية على أحسن الوجوه النحوية، ومن ذلك توجيهه القراءة الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ (البقرة:١٧٣)؛ حيث يقول: «قوله: «إنما حرم»: الجمهور قرأوا «حرم» مشددا مبنيا للفاعل «الميتة» نصبا على أن «ما» كافة مهيئة لـ«إن» في الدخول على هذه الجملة الفعلية، وفاعل «حرم» ضمير الله تعالى، و«الميتة»: مفعول به.

وابن أبي عبلة برفع «الميتة»، وما بعدها، وتخريج هذه القراءة سهل،

وهو أن تكون «ما» موصولة، و«حرم» صلتها، والفاعل ضمير الله تعالى والعائد محذوف؛ لاستكمال الشروط، تقديره: «حرمه»، والموصول وصلته في محل نصب اسم «إن»، و«الميتة» خبرها»[13]. ويكون معنى الآية الكريمة على هذا التقدير: إن الذي حرمه الله عليكم هو الميتة والدم ولحم الخنزير.

- ترجيح القراءة على أقيسة النحاة عند التعارض

إذا تعارضت أقيسة النحاة -خاصة البصريين- مع القراءة المتواترة؛ فيكون التقديم والانتصار للقراءة عند ابن عادل، ويتضح هذا من موقفه من قراءة حمزة -التي مرت بنا منذ قليل- جر «الأرحام» في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ (النساء:١)؛ حيث يقول: «فحمزة أحد القراءة السبعة، الظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله ﷺ، وذلك يوجب القطع بصحة اللغة، ولا التفات إلى أقيسة النحاة عند وجود السماع، وأيضا فلهذه القراءة وجهان:

أحدهما: ما تقدم من تقدير تكرير الجر، وإن لم يجزه البصريون فقد أجازه غيرهم.

والثاني: فقد ورد في الشعر وأنشد سيبويه:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا
فما بك والأيام من عجب»[14].

واستطرد في ذكر شواهد شعرية أخرى على صحة هذه اللغة التي وردت بها القراءة.

- عدم ترجيح قراءة على أخرى بناء على التوجيه اللغوي

إذا ورد في الآية قراءتان متواترتان فإن منهج ابن عادل عدم ترجيح إحداهما على الأخرى بناء على التوجيه اللغوي، وقد نص على هذا أكثر من مرة، خاصة مع القراءات السبعية.

من ذلك قوله عند عرضه للقراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة:٤): «وقد رجح كل فريق إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقط القراءات الأخرى، وهذا غير مرضي؛ لأن كلتيهما متواترة، ويدل على ذلك ما روي عن ثعلب -رحمه الله تعالى- أنه قال: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة، لم أفضل إعرابا على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى كلام الناس، فضلت الأقوى»[15].

بين الإعراب والمعنى

حرص ابن عادل على مراعاة العلائق بين الإعراب والمعنى؛ فيجعل الإعراب متوقفا على المعنى؛ فالمعنى عنده هو الأصل الذي يتبعه الإعراب؛ فعند إعراب «عند ربهم» في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (آل عمران:١٥)، ذكر لها أربعة أوجه إعرابية وردت فيها إلا أنه ضعف أحدها اعتمادا على المعنى؛ حيث يقول:

أحدها: أنه في محل نصب على الحال من «جنات»؛ لأنه -في الأصل- صفة لها، فلما قدم نصب حالا.

الثاني: أنه متعلق بما تعلق به «للذين» من الاستقرار، إذا جعلناه خبرا، أو رافعا «جنات» بالفاعلية، أما إذا علقته ب «خير» أو «أؤنبئكم» فلا؛ لعدم تضمينه الاستقرار.

الثالث: أن يكون معمولا لـ«تجري»، وهذا لا يساعد عليه المعنى»[16]. فهو رد الوجه الثالث لعدم قبوله من حيث المعنى.

وعند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ (النساء:١٢) يقول: «اضطربت أقوال العلماء في هذه، ولا بد قبل التعرض للإعراب من ذكر معنى (الكلالة) واشتقاقها؛ فإن الإعراب متوقف على ذلك»[17].

وهكذا يجعل الإعراب فرعا عن المعنى، حسب ما هو مستقر عن كثير من النحاة.

كانت هذه رحلة سريعة في أعماق بحر عميق الأغوار، مترامي الأجراف، غني باللآلئ التي تنتظر غواصين مهرة في مختلف مجالات الغوص في علوم الشريعة والعربية للكشف عن نفائسها، والاغتراف من معين كتاب الله تعالى الذي لا يخلق على كثرة الرد.

الهوامش

١- طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق كل من عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، شارك في تحقيقه برسائل علمية كل من الدكتور محمد سعد رمضان حسن، والدكتور محمد المتولي الدسوقي.
٢- هناك رسالة دكتوراه كلية اللغات والآداب بالجزائر بعنوان «التأويل النحوي عند ابن عادل في تفسيره «اللباب في علوم الكتاب».
٣- لسان العرب، مادة «لبب».
٤- اللباب في علوم الكتاب: ٧٩/١.
٥- تنظر ترجمته في: كشف الظنون: ١٥٤٣/٢، هدية العارفين: ٧٩٤/١، والأعلام: ٥٨/٥. وكذلك مقدمة المحققين لتفسيره: اللباب: ٢٠/١ وما بعدها.
٦ - اللباب في علوم الكتاب: ٣٣٩/١.
٧ - اللباب في علوم الكتاب: ٣٣٦/١.
٨ - اللباب في علوم الكتاب: ١٧٢/٢.
٩ - اللباب في علوم الكتاب: ٩٧/١، ٩٨.
١٠ - انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٥٧٠/١٠.
١١ - اللباب في علوم الكتاب: ١٤٦/٦.
١٢ - اللباب في علوم الكتاب: ٥٣٠/٤.
١٣ - اللباب في علوم الكتاب: ١٧٠/٣.
١٤ - اللباب في علوم الكتاب: ١٤٦/٦.
١٥ - اللباب في علوم الكتاب: ١٤٦/٦.
١٦ - اللباب في علوم الكتاب: ٨٥/٥.
١٧ - اللباب في علوم الكتاب: ٢٢٣/٦.



محمد قنبر
شاعر سوري

عثمان ذو النورين

من بطن مكة نور للهدى بانا
والحق حطم حول البيت أوثانا

والصبح أشرق في قلب الألى صدقوا
حبا ورفقا وأخلاقا وإيمانا

عثمان منهم حيي من أوائلهم
من ذا ينافسه فضلا وإحسانا

عن كفه بايعت كف النبي بما
لاقى بأرض قريش نال رضوانا

زوج ابنتيه وذو النورين شهرته
ذو هجرتين لعهد الله ما خانا

في بئر رومة زادت فيه منقبة
ما كان يترك بين الخلق ظمآنا

جاءته قافلة في ذات مسغبة
لله قد باعها يرجوه غفرانا

قد جهز الجيش يوم العسر حاجته
ما ضر ما مس بعد اليوم عثمانا

سدت خلافته ما كان من فتن
أقدامهم وطأت فتحا خراسانا

بشرى له جنة أكرم بها نزلا
نال الشهادة في عزم وما لانا



عمرو طه
قاص مصري

ما من لذة يتمتع بها الإنسان إلا ويشوبها الكدر، أو يعقبها الألم؛ إلا لذة البر والإحسان.
مصطفى لطفي المنفلوطي

في الأرض ما يكفي لحاجات كل الناس، ولكن ليس فيها ما يكفي أطماعهم.
مصطفى محمود

لا أعلم لك منصفا إلا عملك.. إذا أحسنته جملك.. وإذا أتقنته كملك.
أحمد شوقي

الإيمان أن ترى النور داخل قلبك، حتى لو كانت عيناك لا ترى إلا الظلام.
جلال الدين الرومي

ورب كلمة تخرج منك لا تلقي لها بالا.. تنير بها روحا كانت على وشك الانطفاء.
شمس التبريزي

هناك من هو أعلى من الألماني والبلجيكي والإيطالي والإنجليزي والفرنسي، إنه المواطن.. وهناك من هو أسمى من المواطن؛ إنه الإنسان.
فيكتور هيجو

فمن عرف حقيقة الحياة عرف أنه فيها ليهيئ لنفسه ما يحسن أن يأخذه، ويعد للناس ما يحسن أن يتركه.
مصطفى صادق الرافعي



د. خالد برادة
كاتب وباحث

عز الدين علي السيد.. الأديب المفكر

كثير هم الرجال الأفذاذ الذين قدموا إسهامات فكرية وأدبية لأمتهم؛ وتركوا تراثا نافعا لا يطويه تعاقب الأيام؛ أو تنال منه عوادي الزمن؛ ولكن لم يحفل الإعلام بهم، ولم يهتم النقد بأعمالهم؛ ونسيهم الناس وهم ما زالوا بين ظهرانيهم؛ حتى إذا اختطفتهم يد المنون، تنبه الإعلام إلى مصيبة الموت، ثم عرض موجزا عن سيرة الراحل -إن اهتدى إلى ذلك- بما لا يفيه قدره؛ ثم تطوى صفحته؛ وقد لا تعلم عنه الأجيال اللاحقة شيئا.



هكذا كان الحال مع المفكر الأديب الأستاذ الدكتور عز الدين علي السيد؛ الذي ملأ الحياة حوله فكرا وشعرا ينبع من نفس أبية تتطلع إلى النهل من وحي ربها؛ فكان فكره حصيفا، وأدبه سديدا؛ ولا غرو فهو المفكر والأديب الإسلامي.

نشأته وتعليمه

شاء الله تبارك وتعالى أن تشهد القرى الصغيرة، ولادة أكبر المفكرين والأدباء؛ فقد شهدت قرية سنتريس بمحافظة المنوفية بمصر -شمال العاصمة القاهرة- سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م؛ ولادة عز الدين علي السيد؛ وقد حبا في آطامها، وبها حفظ القرآن الكريم وهو في أثواب الصبا ومعاهد الطفولة؛ ثم تلقى تعليمه الابتدائي فالثانوي بمعهد القاهرة الديني -وقد شب إذاك عن الطوق- ثم بعد ذلك درس التعليم الجامعي بالأزهر الشريف في قسم اللغة العربية، وتخرج فيها سنة ١٩٤٥م، ولم يقعد به المسير العلمي عند هذا الحد، بل إنه أتم دراساته العليا، فحصل على دبلوم معهد التربية العالي، ثم الماجستير، إلى أن حصل على الدكتوراه عام ١٩٦٤م.

رحلاته العملية

وقد انتفع بعلمه الغزير طلاب شرقا وغربا؛ فقد عمل مدرسا بالمعهد الديني بمدينة قنا[1]؛ ثم بالمعهد الديني بالقاهرة؛ وبوزارة الأوقاف المصرية؛ ثم سافر إلى لبنان للتدريس في المعاهد الدينية والمدارس الثانوية؛ ومن ثم إلى الكويت والجزائر؛ والمملكة العربية السعودية التي عمل فيها أستاذا للبلاغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

مؤلفاته

كان للدكتور عز الدين علي السيد إسهام وافر فيما كتبه عن البلاغة العربية؛ ومن ذلك رسالته للدكتوراه؛ التي كانت بعنوان: «التوجيه البلاغي للحديث النبوي الشريف»؛ وله كتاب بعنوان: «التكرير بين المثير والتأثير»؛ وفي الدراسات القرآنية اهتم ببيان الإعجاز في أسلوب تعبير الله تبارك وتعالى عن ذاته العلية؛ وتتبع الطرق المختلفة التي وردت في القرآن الكريم؛ فاشتغل بهذا الموضوع؛ وكانت ثمرات بحثه تأليف كتاب وسمه بعنوان: «من روائع الإعجاز: تعبير الحق عن ذاته».

فضلا عن أنه ترك مقالات غير قليلة؛ منشورة هنا وهناك في المجلات؛ وتفصح مقالاته الضافية عن ثقافته الواسعة، ومعرفته الغزيرة، ورؤيته السديدة للقضايا التي طرقها في كتاباته.

وقد رحبت مجلة «الوعي الإسلامي» الغراء بمقالات وقصائد الدكتور عز الدين علي السيد؛ فرأينا قلمه السيال لا ينثوي عن نشر أريج الفكر وعبق الشعر على صفحاتها المضيئة؛ وقل مثل ذلك عما نشره في مجلة الأمة القطرية، ومجلة منار الإسلام الإماراتية، ومجلة الفيصل السعودية، وسواها من المجلات الثقافية.

وقد عني فضيلته بالأدب الإسلامي؛ فقد كان مرهف الحس والوجدان، فما لبث أن صاغ دررا شعرية؛ وملاحم أدبية؛ وقد كان عضوا في ندوة شعراء العروبة؛ وعضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.

ونذكر من بين دواوينه الشعرية: دوحة النور، وسيرة للخلود، وسبائك الشجن، وكلمات على الأثير، والنيل والفرات؛ وكلها من إصدارات عالم الكتب بلبنان. وقد جمعت دواوينه الشعرية في أعمال كاملة بعنوان: ديوان الدكتور عز الدين علي السيد؛ وصدر أيضا عن عالم الكتب ببيروت عام ١٩٨٩م.

نظرة إلى بعض مقالاته وقصائده

كان الأستاذ الدكتور عز الدين علي السيد لا يصدر إلا عن فهم وروية؛ فحينما استعرض هزائم المسلمين وضياع مجدهم التليد، عزا ذلك إلى أن «راية الله لا تظل الهالكين، الذين لا تقربهم إليها غيرتهم»[٢]؛ هذه الغيرة التي خصها بمقال أصل فيه لمشروعية الغيرة، وما ينبغي أن يغار عليه، كما بين فضيلته الجانب المذموم من الغيرة؛ الذي لا يرضاه الله ورسوله ﷺ؛ كحمية الجاهلية، وغيرة العشق.. وقد عد الغيرة في إطارها المحمود مرتبطة «ارتباطا وثيقا بالصحة النفسية والحياة الوجدانية، التي تحفظ بنموها واعتدالها صحة حياة الفرد وصحة حياة المجموع»[٣].

وقد تغنى برجال الإسلام الأفذاذ من صحابة رسول الله ﷺ؛ وقد وقفت على قصيدته التي تغنى فيها بمواقف البطولة للصحابي الجليل خالد بن الوليد؛ في قصيدته (سيف الله)؛ مصورا فيها ملامح البطولة وإقدام الفارس المغوار خالد بن الوليد رضي الله عنه على تخليد ملحمات البطولة؛ فإليك بعضا مما جاء في القصيدة:

خالد بن الوليد أي جريء
كان ظلا للكافرين ظليلا
محضته الأقدار للدين نارا
لا يرى الكفر من لظاها مقيلا
إيه يا ابن الوليد تدهش ذكرا
ك قلوب الرجال جيلا فجيلا
لو رأوا خالدا يدك حصون الر
وم دكا ويقذف التنكيلا
لو رأوا خالدا يدير الير
موك كأسا ترى العنيد قتيلا
لو رأوا خالدا يعود لماتوا
قبل أن يبرح الزئير الغيلا[٤]

وهو يخاطب المسلم ليذكره بما كان عليه من مجد شامخ؛ وسؤدد باذخ؛ وما ذلك إلا ليذكي فيه الهمة للعودة إلى مجده التليد:

أيها المسلم قد كنت أعز الناس مجدا[٥]

ويشكو إلى سيدنا رسول الله ﷺ ما آل بالمسلمين بعد عزة ورفعة، فيناجيه قائلا:

يا رسول الله صرنا كالحصى ذلا وعدا
فعليك الله يا خير الورى صلى وسلم[٦]

وهو يذكر المسلمين بوحدتهم؛ وما كانوا عليه من نصرة بعضهم بعضا؛ وهذا ما يجعل أخوتهم قوية الوشائج؛ فأين هم اليوم من ذلك؟

المسلمون عرى الإسلام تجعلهم
كالجسم روحا وإحساسا ووجدانا
إذا اشتكى منه عضو نال سائره
سهد وحمى تبيت الجسم سهرانا
فما له اليوم مشلولا إذا بترت
أعضاؤه لا يبالي أيها كانا؟
إلا حديثا معادا زاده غصصا
أو عبرة لوحت لم تشف حرانا
غثاء سيل غدونا رغم كثرتنا
يجري بنا السيل صخابا لمردانا[٧]

وقد أحسن توظيف لغة النبوة ولغة الشعر معا؛ ولا غرو فالشاعر عز الدين علي السيد يمتح من معين السنة الغراء، فإليك ما رواه النعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٨]؛ وفي البيت الأخير[٩] توظيف لمعنى الحديث النبوي، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل»[١٠].

ولا يتوانى الشاعر في تذكير المسلمين

بمآثرهم العريقة؛ وأمجادهم التليدة الضائعة؛ فيقول:

ماضيك في دنيا الجهاد مقدس

يا أمتي فوق السها والفرقد

يا أمتي قد كان صوتك شامخا

هد العروش الكثر غير مهدد[11]

ويختم قصيدته بانتظار الغد الباسم -الذي ننتظره جميعا- المؤذن بانبثاق فجر المجد بإذن الله تعالى فيقول:

لكنني ما زلت أطمع في غدي

فلعل فجر المجد يسطع في غدي[12]

وقد دق ناقوس الخطر، لأن المسلمين ليسوا بخير؛ فقد شخص حالهم فوصفهم بأنهم تنكبوا طريق الهداية؛ وهو «الطريق المفتوح لعودة المجد الغارب؛ ولأنهم صموا عن نداء النور..»[13]؛ ويصف البلسم الشافي بدعوة المسلمين إلى التمسك بكتاب الله المبين، والاقتداء بخير المرسلين سيدنا محمد ﷺ فهو المثل الأعلى لنحيا حياة أفضل؛ ولذا دعا إلى الاهتداء به[14]؛ وذاك هو المثل الأعلى الذي نفتقده في حياتنا؛ قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب:٢١).

وقد ألفيته يحترم قراءه، فلا يعرض لكل ما كثر الحديث عنه؛ ولا يخوض في موضوعات مطروقة؛ اللهم إلا إذا دعته الضرورة الملحة لذلك؛ فيتناول الموضوع من زاوية غير مطروقة؛ ويقلب النظر فيه على وجوهه؛ ومن ثم يعرضه على قرائه الكرام في أقرب الصور إلى الكمال؛ ويعلل نفسه إذا طرق موضوعا أحس أن غيره أشبعه بحثا؛ بأنه أثاره -من جانب غير معهود كما أسلفنا- لينتفع به أولا وحتى يعم نفعه القراء؛ ليقينه أن «الفكرة مع تكرارها منسية كالمجهول؛ يعوزها أن تظل تذكر حتى تحيا وتشتد»[15]، وليعود الجميع إلى حظيرة الدين؛ فالغاية عنده أن يرد -بمثل حروفه التي دبجها- نفسه إلى كتاب الله تعالى، وأنفس أمثاله ممن نأوا عنه[16]؛ ولا غرو فالدكتور عز الدين علي السيد يهدف من وراء الكتابة إلى أن يقوم السلوك المعوج، ويهذب الشعور، ويقوي الوجدان، ليتصل المسلم بجلال الرحمن.

ولم تفتر همته عن تتبع قضايا أمته، ولم يقعد عن الاضطلاع بالدعوة الإسلامية عن طريق ما دبجه من مقالات رصينة؛ فقد كان يتوخى غرس بذور الإصلاح والعودة بالمسلمين إلى المنابع الأصيلة للثقافة الإسلامية؛ ومن ذلك أنه يرى سنة الله الكونية مفتاحا لفهم قضية المسلمين؛ فما لم يعودوا لإعلاء راية الله تعالى، والاحتماء تحت لوائها كالصحابة الجلة الكرام؛ فلن تظل العناية الإلهية تحميهم؛ ولن يتحقق لهم النصر الموعود؛ وفي ذلك يقول: «هؤلاء الذين امتدحهم الله -يقصد الصحابة الكرام- كانوا تحت راية الله تعالى، فليحذ المسلمون حذوهم إن شاءوا أن تعود مظلة الله تحميهم»[17].

هذه لمحة خاطفة عن حياة الدكتور عز الدين علي السيد؛ ورسالته الإيمانية؛ وقد رأيناه في مقالاته مفكرا حصيفا؛ ناصحا أمينا؛ كما رأيناه في شعره يزفر زفرات حرى، مخلصا في قريضه لرسالته؛ وقضية أمته؛ ونختم بضراعته إلى الله تعالى فهو المجيب من دعاه:

رب هذي عبرتي حارقة

كم لها في الطرس من عيني انسكاب

عاتبا أو غاضبا يسعدني

أن يهز القوم للمجد العتاب[18]

والنزعة الغالبة في شعره هي إذكاء روح الحماس لإنهاض الهمم في نفوس المسلمين؛ للعودة بهم إلى الريادة والهيمنة على الأمم كما كانوا في سالف عهدهم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١١٠)؛ ومعانيه الشعرية تسمو بالنفس الإنسانية إلى مواطن الجمال؛ وتمتع الأرواح بالسحر الحلال.

وفاته

وقد ظل حاملا مشعل الدعوة الإسلامية إلى أن أسلم الروح إلى بارئها في المدينة المنورة إثر حادث اعتراه سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م؛ ووارى جثمانه ثرى البقيع؛ فرحمات الله تترى عليه.

الهوامش

١- من المدن المصرية الواقعة في الصعيد المصري؛ وبالتحديد في الجهة الشرقية لنهر النيل.

٢- انظر: راية الفتح، د. عز الدين علي السيد، مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد ٢٢٨، ذو الحجة ١٤٠٣هـ/ سبتمبر ١٩٨٣م، ص٥٧.

٣- انظر: الغيرة بين المشروع والممنوع، د. عز الدين علي السيد، مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد ٢٢٠، ربيع الآخر ١٤٠٣هـ/ يناير- فبراير ١٩٨٣م، ص٧٧.

٤- انظر: سيف الله (قصيدة شعرية)، د. عز الدين علي السيد، مجلة منار الإسلام، السنة ٢، العدد ٢، صفر ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص٦٤. وأنبه إلى أن ما ذكرته في متن المقال من أبيات شعرية هو مختارات من القصيدة على غير ترتيب.

٥- السراج المنير (قصيدة شعرية)، د. عز الدين علي السيد، مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد ٢٤٣، ربيع الأول ١٤٠٥هـ/ ديسمبر ١٩٨٤م، ص٧١.

٦- نفسه.

٧- أين نحن؟ (قصيدة شعرية)، د. عز الدين علي السيد، مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد ٢٢٣، رجب ١٤٠٣هـ/ أبريل- مايو ١٩٨٣م، ص٧٨.

٨- صحيح الإمام مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، (٤/ ١٩٩٩م)، برقم: (٢٥٨٦).

٩- هو البيت العاشر من قصيدة طويلة بلغ عدد أبياتها: واحدا وثمانين بيتا. انظر: أين نحن؟، د. عز الدين علي السيد، المرجع السابق.

١٠- أخرجه أبو داود في سننه، ج ٢، ٢١٠.

١١- ما زلت أطمع في غدي (قصيدة شعرية)، د. عز الدين علي السيد، مجلة منار الإسلام، العدد ١١، السنة ٨، ذو القعدة ١٤٠٣هـ/ أغسطس- سبتمبر ١٩٨٣م، ص١٢٢، ١٢٣.

١٢- نفسه، ص١٢٣.

١٣- انظر: المثل الذي نفتقده، د. عز الدين علي السيد، مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد ١٩٨، جمادى الآخرة ١٤٠١هـ/ أبريل ١٩٨١م، ص٥٣.

١٤- المرجع نفسه، ص٥٤، ٥٥. (بتصرف يسير).

١٥- انظر: الترقي الروحي في المنهج الإلهي، د. عز الدين علي السيد، مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد ٢١٨، صفر ١٤٠٣هـ/ نوفمبر-ديسمبر ١٩٨٢م، ص١٤.

١٦- المرجع نفسه، ص١٨. (بتصرف يسير).

١٧- انظر: راية الفتح، د. عز الدين علي السيد، ص٥٨.

١٨- عبرة وعتاب (قصيدة شعرية)، د. عز الدين علي السيد، مجلة الأمة، العدد ١٢، السنة ١، ذو الحجة ١٤٠١هـ/ أكتوبر ١٩٨١م، ص١٣.



سبأ محمد عباد
اليمن

أيا وطنا

أيا وطنا أحن به إليه
وأحلم بالوصول فأعتليه
أيا وطنا تبخره المآسي
وتجمعه القلوب وتصطفيه
بسطت يدي وحلمي في عراه
فهل من شمس آمال تقيه
على خديك كم أفنى دموعا
سفيني غارق فارحم ذويه
وقلبي مسرف بهواك حتى
هدمت قلاعه ورسمت تيهي
أسافر نجمة وأعود ظلا
من الآمال والحلم النزيه
أعِره بعض أنفاس ليحيا
وجرب في الصبابة ما يريه
فقد يلقى المضيع فجر أمس
وقد يصحو النهار ويقتفيه
وقلبك قد يحن عليه يوما
وينتفض الذي قد مات فيه
أيا وطنا زرعت به فؤادي
يزايد في الغرام ويشتريه
سأختم بالدعاء فصول قلبي
وأعلم أنني لا لن أفيه
وأقتات الحنين سنين عمري
لعلي دون علم ألتقيه



صلاح حسن رشيد
أديب وباحث مصري

كيف قعد الرواد الكبار للعربية في مجمع الخالدين؟

درس بليغ للخبراء والمجتمع

إذا أردت أن تعرف كيف كانت الفصحى تحيا أيام النهضة الفكرية والأدبية في مطالع العصر الحديث، ولماذا وكيف صارت متدنية بين أهلها اليوم؛ فما عليك إلا قراءة هذه المناقشة اللغوية العلمية الرصينة بين أساطين الأدب واللغة والفكر والدين والثقافة في مصر والوطن العربي، فساعتها ستعرف بحق: لماذا انحدرت الفصحى بيننا الآن؛ ولماذا ارتفع شأوها أمس عاليا خفاقا؟!

ففي محاضر الدورة العشرين من دورات مجمع الخالدين اللغوي، وفي الجلسة الرابعة التي انعقدت في ٢٤ ديسمبر عام ١٩٥٣م، اجتمع مؤتمر المجمع القاهري برئاسة فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم حمروش نائب رئيس المجمع؛ وبحضور الأعضاء: الدكتور طه حسين، والدكتور عبدالحميد بدوي، والدكتور منصور فهمي، والشيخ علي عبدالرازق، والمستشرق لويس ماسينيون، والمستشرق جب، ومصطفى نظيف، والشيخ عبدالوهاب خلاف، والشيخ عبدالقادر المغربي، والشيخ محمود شلتوت، وعبدالحميد العبادي، والدكتور إبراهيم بيومي مدكور، وعباس العقاد، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والدكتور أحمد أمين، وإبراهيم مصطفى، ومحمد كامل حسين، وحسن القاياتي، والدكتور أحمد عمار، ومحمود تيمور، وأحمد حسن الزيات، وزكي المهندس، ومحمد فريد أبو حديد. فألقى الشيخ عبدالقادر المغربي بحثا بعنوان (في اللغة أبناء علات كما في البشر)؛ وقام الأعضاء بمناقشة مستفيضة، فيها الإلمام والموسوعية، وفيها التيسير، وفيها المقارنة بين اللغات، وفيها مراعاة العرف الاجتماعي، وظروف البيئة، وفيها رأينا تعصب طه حسين للعربية، ودفاعه المجيد عنها. وكان لب النقاش الهادف حول مادة (مرج) الواردة في بحث عبدالقادر المغربي:

هل هي عربية أم فارسية؟! وهل جذرها هو(مرج) أم (مرغ)؟!
وكان أول المتداخلين الأستاذ عباس العقاد، فقال: «أشك في أن أصل (مرج) فارسي؛ لأن الكلمة، ومادتها، وما يضاف إليها في أولها أو آخرها أصيلة في اللغة العربية، ويغلب على جميع ما تفرع من هذه المادة معنى واحد؛ وهو التحريك مع الدلك؛ فمثلا؛ مرغ، ومرس، ومرق، ومرن، ومرد، و مرك، ومرط؛ فكلها تحمل معنى الحركة. وإذا تركنا الحرف الأول وجدنا أن ما يتصل بحرف الراء يدل على مثل هذا المعنى أيضا؛ كما في (رج، ورض، ورث، ورك) فالتشابه بين مرج العربية، ومرج الفارسية نوع من التوافق، كما في كلمة صلد العربية، والإنجليزية».
الأستاذ عبدالحميد العبادي: يجب أن ندرس وجود كلمة (المرج) في الفارسية؛ أفي الفارسية الفهلوية هو، أم في الفارسية المحدثة؟ فالمروج معروفة في جزيرة العرب من قديم.
الشيخ علي عبدالرازق: علينا أن نتحقق أي اللغتين آخذة من الأخرى؛ الفارسية من العربية، أم العربية من الفارسية، وبعد ذلك يحق لنا مناقشة هذا الرأي.
الشيخ عبدالقادر المغربي: البحث في أصول الكلمات نقلي، لا عقلي، وابن سيده ينقل فارسية المرج، ففيم الشك؟!
الدكتور طه حسين: لا ننقل عن معاجم مسلمين لما قالوا، فأغلب أصحاب المعاجم أعاجم، وإثبات فارسية المرج يحتاج إلى بحث وتدقيق؛ فقد كان العرب والفرس يختلط بعضهم ببعض، ويأخذ بعضهم عن بعض، وكما يجوز في العربية أن يؤخذ من الفارسية، كذلك يجوز العكس.
الدكتور عبدالحميد بدوي: لاشك، أن كون المرج من صميم الحياة العربية، يرجح أن الكلمة غير مستعارة من لغة أخرى.
الأستاذ عباس العقاد: الكلمة الفارسية (مرغ)، والعرب من مألوفهم أن يقلبوا الغين جيما إذا نقلوا من الفارسية، بل العكس هو المتبع حتى في العصر الحديث، فنحن نقول في (جوتا) (غوتا)، كما قال القدماء في (ججرافي) أي جغرافيا.
الدكتور طه حسين: لم يدقق أصحاب المعاجم فيما تعرضوا له من أصول الكلمات، فهناك ألفاظ كثيرة فارسية أو سريانية يرى المعجميون أنها عربية، أو يرون أنها معربة عن أصول ليست بأصولها.
الشيخ محمود شلتوت: ظاهر الحال في كلمة (المرج) أنها عربية في أصلها، وفي تصرفاتها، فنحن نظل في هذا الجانب إلى أن تظهر حجة جديدة، وليس النقل عن شخص واحد، يجيز لنا أن ننزل عما ورثناه وألفناه، ورواية الآحاد لا تعترض ظاهر الحال ورأي الجماعة.
الشيخ المغربي: إذا ذكرت ابن سيده فمعنى ذلك أنه نقل عن غيره؛ لأنه لا يبتدع، وهو حجة ثقة.
الأستاذ إبراهيم مصطفى: نحن لا نطعن في ثقة ابن سيده، ولكن نقله يحتاج إلى نظر؛ فهل كان عالما بالفارسية؟
الدكتور طه حسين: لأجل أن نقبل فارسية كلمة، فعلينا أن نبحث في أصل لغة الفرس. وهل ترجع أصول كلمة (مرج) ومشتقاتها إلى الفارسية الأثرية؟ وهل أخذها العرب عن الفرس؟ وبحث الأستاذ المغربي مقصور على النقل عن ابن سيده، دون البحث في صميم الفارسية: كيف تصرفت فيها كلمة (مرغ) وإلى أي أصولها ترد؟
الشيخ عبدالقادر المغربي: ما ذكرته معادل لما يجب أن يذكر في المعجم الوسيط، أما البحث والتحقيق في هذه الكلمة، وأمثالها، ومنازعها من اللغات؛ فمجاله المعجم الكبير.
الأستاذ حسن القاياتي: يقول بعض الباحثين إن كلمة (سياسة) تركية، أصلها (سي يسق) أي الترتيبات الثلاثة. وهذا عجيب؛ لأن كلمة السياسة عربية، اشتق منها، وتصرف فيها، وربما كان هذا من توافق اللغات، ولعل الموقف في كلمة (مرج) يشبه الموقف من كلمة سياسة.
الأستاذ عباس العقاد: في تاج العروس ورد: المرغة الروضة، وتمرغ أطال المرغ، ومقلوبها رغم، والرغام التراب؛ ففي هذا ما يبيح الجزم؛ بأن المادة بالجيم أو بالغين أصيلة في اللغة العربية.
الدكتور طه حسين: فيما يتعلق بكلمة (البازيار) أرى أن هناك فرقا بينها وبين البزر. وأرجح أن كلمة البيزرة اشتقت من البازيار، أي من أصل فارسي، والعرب كانوا يأخذون الكلمة الأعجمية ويشتقون منها، ويولدون كما نولد نحن كثيرا من الألفاظ.
الأستاذ زكي المهندس: يحسن أن تبحث هذه الكلمة وأمثالها مع الاستعانة بخبير ممن يعرفون اللغات الشرقية.
وبعد هذه المناقشة الجميلة المتشعبة، الباحثة عن الحق والحقيقة، بين هؤلاء الأعلام الكبار، تقرر إحالة بحث الشيخ المغربي إلى لجنة الأصول لدراسته، مع الاستعانة بخبير، ممن يجيدون اللغة الفارسية. لكن، بقيت قيمة هذا النقاش المثمر، الباحث عن ثراء العربية، وتطويرها، وإمدادها بما يجعلها فتية، لا يشمئز منها الصغار، كما نرى اليوم، لا لضعف فيها، ولكن لهوان أهلها على أنفسهم، وعلى غيرهم!



د. بديع السيد اللحام
أستاذ الحديث بكلية الشريعة
جامعة دمشق

خير الناس .. أنفعهم للناس

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.
وبعد: فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف على ناس جلوس، فقال: «ألا أخبركم بخيركم من شركم؟» قال: فسكتوا. فقال ذلك ثلاث مرات، فقال رجل: بلى، يا رسول الله، أخبرنا بخيرنا من شرنا. فقال: «خيركم من يرجى خيره، ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره»[١].

ولعل سائلا يسأل: لم سكت الصحابة الكرام عندما خاطبهم الرسول عليه الصلاة والسلام؟ يقول الإمام شرف الدين الطيبي مجيبا عن ذلك: «لما توهموا معنى التمييز وتخوفوا من الفضيحة سكتوا، حتى كرر ثلاثا، ثم أبرز البيان في معرض العموم لئلا يفضحوا، فقال: خيركم ... إلخ»[٢].
لقد بين رسول الله صلى الله عليه سلم في هذا الحديث أن خير الخلق من يأمل الناس نواله وفضله، ولا يتخوفون منه نقيصة لما يتمتع به من حسن خلق وسماحة نفس، وهذا شأن المسلم الصادق في إسلامه الكامل في إيمانه، فـ «المؤمن مألف، ولا خير فيمن لا يألف، ولا يؤلف»[٣]، وألف عباد الله لا يكون إلا بالاضطلاع بحوائجهم، والتخفيف من معاناتهم صروف الحياة، والانشغال بمصالحهم،

والبذل في سبيل إدخال السعادة على قلوبهم، وقد بين لنا النبي ﷺ ثواب من كان على هذه الشاكلة، فقال: «إن لله خلقا خلقهم لحوائج الناس، تفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله»[٤].

وليحذر من جعل الله عز وجل حوائج الخلق إليه من التقصير في أداء هذه الأمانة، وليحذر كل الحذر من التأفف بالخلق أو التململ منهم، وليكثر من شكر الله على هذه المنزلة التي أنزله إياها، فإنها نعمة من أعظم النعم وفضل ما بعده فضل أن جعلت حوائج الخلق إليك وليس العكس، بل يجب عليك أيها الموفق لنفع الناس وخدمتهم أن تعتقد أن المنة والفضل لهم عليك، فإن من لم يستشعر هذا المعنى ويدرك تلكم النعمة، ويخلص لله تعالى في أدائها عرضها للزوال، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه، ثم جعل من حوائج الناس إليه، فتبرم، فقد عرض تلك النعمة للزوال»[٥].

لقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن السعي في حاجة المحتاج خير من الاعتكاف على ما للاعتكاف من ثواب جليل، واستمع إليه ﷺ وهو يقول: «من مشى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله، جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين»[٦]، وسبب رواية ابن عباس رضي الله عنهما لهذا الحديث – فيما رواه البيهقي في



الشعب[٧] –، أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله ﷺ، فأتاه رجل فسلم عليه، ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك كئيبا حزينا؟ قال: نعم يا ابن عم رسول الله، لفلان علي حق، لا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه ... قال ابن عباس رضي الله عنهما: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت، قال: فانتقل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ – والعهد به قريب فدمعت عيناه –، وهو يقول: (فذكر الحديث المتقدم).

والسؤال الآن: أليس من كان سببا في وصول مثل هذا الأجر العظيم أحق بالشكر ممن قدم المساعدة نفسه، فما أعظم منة المحتاج على الباذل.

إن مفهوم العبادة في الإسلام واسع، حتى يشمل كل عمل ابتغي فيه وجه الله تعالى، وأي عمل كان بهذه الصفة ما هو إلا مظهر من مظاهر الإيمان بالله تعالى، فإننا لو استعرضنا شعب الإيمان لوجدنا أن غالب تلك الشعب يدور في فلك النفع المتعدي إلى الغير، وقد قرر العلماء – أخذا بنصوص الكتاب والسنة – أن النفع المتعدي إلى الآخرين هو عبادة مقدمة على النوافل من صلاة وصيام وحج وغيرها من العبادات المحضة، بل هو أرقى منها.

قيل لبشر الحافي رحمه الله تعالى: إن فلانا كثير الصوم والصلاة؟! فقال: المسكين ترك حاله، ودخل في حال غيره، وإنما حال هذا إطعام الطعام للجائع، والإنفاق على المساكين، فهو أفضل له من تجويع نفسه، ومن صلاته، مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء.

وقد عد حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله تعالى – أمثال هذا من المغرورين فقال:

– فرقة من أرباب الأموال، يحفظون

الأموال، ويمسكونها بحكم البخل، ويشتغلون بالعبادات الدينية التي لا يحتاجون فيها إلى نفقة، كصيام النهار، وقيام الليل، وختم القرآن، وهؤلاء مغرورون.

- ثم قال: وفرقة أخرى من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء، اغتروا بحضور مجالس الذكر، واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم، فاتخذوا ذلك عادة، ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ - دون العمل، ودون الاتعاظ - أجرا، وهم مغرورون؛ لأن فضل مجالس الذكر لكونها مرغبة بالخير، وإذا لم تهج الرغبة فلا خير فيها، والرغبة محمودة، لأنها تبعث على العمل، وإن لم تبعث على العمل فلا خير فيها، ...

- ثم ضرب رحمه الله تعالى لذلك مثلا، فقال: ومثاله مثال المريض الذي يحضر إلى مجالس الأطباء ويسمع ما يصفونه من الأدوية ولا يعقلها ولا يشتغل بها، ويظن أنه يجد الراحة بذلك ...[8].

ويكفيك أخي الحبيب أن تستعرض ما ورد - في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف - من بيان لثواب وفضل الحياء، وحسن الخلق، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والتجاوز عن الإساءة، والعشرة بالمعروف، والإحسان إلى الضعفاء، ومودة أهل الخير، وعيادة المريض، وإكرام الجار، فضلا عن الجود والسخاء، ورحمة الصغير، وتوقير الكبير، وأن يحب المرء لغيره ما يحبه لنفسه، وإماطة الأذى عن الطريق، ... وغيرها من ألوان العبادة التي تقربك من الله زلفا، وتكون سببا من أسباب ارتقاء الدرجات العلى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس:

- يعدل بين الاثنين صدقة.

- ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة.

- والكلمة الطيبة صدقة.

- وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة.

- ويميط الأذى عن الطريق صدقة»[9].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله، وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ:

«أحب الناس إلى الله عز وجل أنفعهم للناس.

وأحب الأعمال إلى الله:

- سرور تدخله على مسلم.

- أو تكشف عنه كربة.

- أو تقضي عنه دينا.

- أو تطرد عنه جوعا.

ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا (في مسجد المدينة).

- ومن كف غضبه ستر الله عورته.

- ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة.

- ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام»[10].

فاللهم وفقنا للخيرات، وثبتنا على الصراط، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- أخرجه الترمذي في الفتن، باب: ما جاء في النهي عن سب الريح (٢٢٦٣) وقال: حديث حسن صحيح.

٢- الكاشف عن حقائق السنن (٣١٩٤/١٠).

٣- أخرجه أحمد في مسنده (٩١٩٨) والحاكم في المستدرك (٢٣/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٤- رواه الطبراني في الكبير (١٣١١٠) وفي مكارم الأخلاق (٨٢) وأبو نعيم في الحلية (ترجمة زيد بن أسلم) (٢٢٥/٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

٥- رواه الطبراني في الأوسط (٧٦٧٠)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٦٠٧) وجود الهيثمي إسناده. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ١٩٢)

٦- رواه الطبراني في الأوسط (٧٤٦٥) وجود الهيثمي إسناده. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ١٩٢).

٧- شعب الإيمان للبيهقي في الصيام، فصل: من فطر صائما (٣٦٧٩).

٨- الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين: (٦٣ - ٦٤ و٦٥).

٩- أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب: من أخذ بالركاب ونحوه (٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٩).

١٠- رواه الطبراني في الكبير (١٣٤٢٥) والأوسط (٦١٣٥) وأبو نعيم في الحلية (ترجمة مالك بن أنس) (٣٤٨/٦).



د. حميد مسرار
باحث في الفكر الإسلامي

تربية اليتيم على القيم هي عملية تنشئته وتعهد لشخصيته في أبعادها العقلية والوجدانية والمهارية، حيث يتم بناء القيمة على مستوى البعد العقلي بإدراك موضوع القيمة وتمييزه عن طريق العقل أو التفكير، ومن حيث الوعي بما هو جدير بالرغبة والتقدير، ويمثل معتقدات الفرد وأحكامه وأفكاره ومعلوماته عن القيمة، وعلى المستوى الوجداني بجعل الفرد يميل إلى قيمة معينة، ويقدرها ويعتز بها، فيسعد بها ويتمسك بها، وعلى المستوى السلوكي: بترجمة القيمة إلى سلوك ظاهري، ويتصل هذا الجانب بممارسة القيمة أو السلوك الفعلي.



تربية اليتيم على القيم

إن تجليات تربية اليتيم على القيم تظهر في جميع مستويات بناء الشخصية؛ النفسية والعقلية والاجتماعية:

على المستوى النفسي

تتجلى تربية اليتيم على القيم على المستوى النفسي فيما يلي:

التحصين النفسي

وذلك بتكوين شخصيته وتوجيه أفكاره بطريقة إيجابية ليكون قادرا على الاندماج السليم في متطلبات الحياة، ومواكبا في الوقت ذاته لكل جديد مثمر، مع الاحتفاظ بروح الأصالة والثبات على المبادئ وقيم المواطنة، كما يراد بالتحصين من حيث برامج العمل مجموعة الإجراءات والترتيبات التي يعدها المسؤولون والتربويون ويوجهونها إلى الناشئة لتعزيز ثباتهم أمام التيارات والظواهر التي قد تزعزع قيمهم وتفقدهم ثقتهم في أنفسهم وتجعلهم أقوياء ضد مسالك الآخرين.

تقوية الشخصية

وذلك بجعل اليتيم يعتز بقيمه وهويته ولا ينساق وراء كل جديد إلا بعد التمحيص والدراسة، فالقيم هي مكونات نسبية مكتسبة لتوجيه الفكر والسلوك لدى الفرد، وهي تنبع من التجربة الاجتماعية وتتوحد بها الشخصية، وهي عنصر مشترك في تكوين البناء الاجتماعي والشخصية الفردية، تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته، وتحدد له السلوك المقبول والمرفوض، لذلك فتقوية الشخصية الإيجابية ترتكز أساسا على رد الاعتبار للتربية الأخلاقية والقيم.

تقدير الذات[1]

يعتبر تقدير الذات دعامة أساسية للشخصية على مستوى رصيدها المعرفي والوجداني ونشاطها السلوكي، فقد يؤثر التقدير الإيجابي أو السلبي للذات على حاضرها ومستقبلها

وعلى اختياراتها وقراراتها، فتقدير الذات مصطلح يشير إلى نظرة الفرد الإيجابية إلى نفسه، بمعنى أن ينظر إلى ذاته نظرة تتضمن الثقة بالنفس بدرجة كافية كما تتضمن إحساس الفرد بكفاءته وجدارته واستعداده.

فارتفاع مستواه يعني أن يمضي الإنسان بطاقاته الخلاقة إلى الأمام، وانخفاض مستواه يعني انحصار الإمكانية والطاقة داخل الذات وظهور الأعراض المرضية.

ولذلك فقد احتل مفهوم تقدير الذات مكانة محورية لدى علماء النفس والصحة النفسية، فهو يكشف عن السواء و اللاسواء، وعن الطاقات الكامنة وعن الاحباطات أيضا.

كما أن تقدير الذات هو النتيجة المباشرة للعلاقة بين إنجازاتنا وانتظاراتنا أو بتعبير آخر بين من نكون وما نريد أن نكون، وكلما كانت الهوة كبيرة بين الذات الواقعية والذات المثالية تكون نسبة تقدير الذات ضعيفة.

إن تقدير الذات هو تعبير عن القيمة أو الحب وكلها عناصر أساسية لتحقيق التوازن النفسي والشعور بالرضا، والإحساس بقيمة ما داخل الوجود وهو الذي يحدد مدى التوازن النفسي الذي يحققه، فإذا كان إيجابيا فهذا يتيح للفرد إمكانية القيام بردود أفعال مناسبة والشعور بالتوافق والسعادة، وهذا ولاشك يمنح الذات القدرة على مواجهة صعوبات الحياة والأزمات والمشاكل والأحداث غير المتوقعة، لكن إذا كان سلبيا فسيفضي إلى الإحساس بالتشاؤم وفقدان الثقة بالنفس والشعور بالمعاناة مما يعيق التواصل مع الأشخاص والتكيف مع الواقع فيؤثر على صحتنا النفسية.

ويمكن إبراز أهمية تقدير الذات من خلال العناصر الآتية:

العلاقة مع الجسد

من خلال تصحيح الصورة حيث إن تصحيح الصورة هو السبيل إلى تحقيق التوازن النفسي كما أن تكوين فكرة إيجابية حول الجسد من شأنه إعادة التوازن الوجداني للشخص.

العلاقة مع الآخرين

من أجل التغلب على الخوف والقلق وتعزيز الشعور بالقوة والانتماء إلى الجماعة، لذلك فهو يسعى إلى البحث عن طرق وآليات الحوار وربط العلاقات الاجتماعية، لأن الخلل في ذلك هو الشعور بالإحباط والفشل.

العلاقة مع الفعل أو الإنجاز

والمقصود بها تكوين الثقة بالذات إزاء الأفعال والأنشطة التي ينجزها والتي تمنحه القوة والقدرة والإرادة، وذلك بأخذ المبادرة والرغبة في النجاح واتخاذ القرارات المناسبة لأن التقدير الإيجابي يدفعنا إلى العمل والابتكار والإبداع والاستقلالية في مقابل أن التقدير السلبي يحكم علينا بالفشل والإحباط والضعف والتبعية.

الدافعية

فهي تقضي على العجز الإرادي الذي يرجع على الشخصية بالذبول والموت، وتوجه إرادته نحو أفعال مجدية ومفيدة وبناءة للآخرين، لا إلى وجهات عابثة فيكون أداة للهدم والضرر.

على المستوى العقلي

يتجلى ذلك من خلال ما يلي:

التفكير الإيجابي

وهو أن تستخدم قدرة عقلك الباطن للتأثير على حياتك العامة بطريقة تساعدك على بلوغ آمالك وتحقيق أحلامك(٢).

ويقول سكوت دبليو: هو قدرتنا الفطرية الوصول إلى نتائج أفضل عبر أفكار إيجابية(٣).

التفكير الإيجابي يفضي إلى حل فاعل وناجع للمشاكل التي تعترض الفرد، حيث إن التفكير السلبي يجعل التعامل مع المشكلات بأساليب سطحية وخاطئة، فالمعرفة لم تعد غاية بحد ذاتها، وإنما أصبح التركيز على المفهوم الوظيفي لتلك المعرفة، وذلك بإعداد أجيال قادرة على البحث والتقصي والابتكار وممارسة التفكير الناجح والفعال.

إن التفكير الإيجابي هو تمكين اليتيم من حل المشكلات التي تعترضه بحيث يستطيع بواسطة استعمال معارفه وتجاربه ومهارته المكتسبة للتوصل إلى حل مرتقب تتطلبه وضعية جديدة. وتتكون هذه العمليات من العناصر التالية: الإجابة عن المشكل، الإجراءات والمناهج والاستراتيجيات المستعملة لإيجاد حل.

التشجيع على الإبداع

يعتبر الإبداع قمة الإيجابية بوصفه فعلا يرى الحياة بكيفية تنظر إلى التقدم والازدهار، فهو نشاط إنساني ذهني راق ومتميز ناتج من تفاعل عوامل عقلية وشخصية واجتماعية لدى الفرد بحيث يؤدي هذا التفاعل إلى انتاجات: أو حلول جديدة للمشكلات النظرية أو التطبيقية في أي مجال من المجالات العلمية أو الحياتية، وتتصف هذه الإنتاجات بالحداثة والأصالة والمرونة والقيمة الاجتماعية، وعليه فالإبداع في

صميمه تجسيد للمستقبل، لأنه توجه نحو المستقبل، ومن ثم فإنه ينطوي على مواجهة ما هو كائن لبلوغ ما ينبغي أن يكون، مواجهة تنطوي على المخاطرة والبحث عن الجديد، ومن ثم كان الإبداع هو تنمية الشخصية في جميع أبعادها.

على المستوى الاجتماعي

يظهر أثر القيم على المستوى الاجتماعي من خلال ما يلي:

التواصل

هو كل أشكال وسيرورات ومظاهر العلاقة التواصلية، إنه يتضمن نمط الإرسال اللفظي وغير اللفظي، كما يتضمن الوسائل التواصلية والمجال والزمان، وهو يهدف إلى تبادل أو تبليغ ونقل الخبرات والتجارب والمواقف مثلما يهدف إلى التأثير على سلوك المتلقي[٤].

العمل الجماعي

هو العمل في جماعة باعتبارها وحدة اجتماعية تتكون من شخصين فأكثر يلتقون حول أهداف ودافع ووعي مشترك بوجود الجماعة، وتنطوي على درجة عالية من التفاعل والاتصال المباشر وقابلية التأثر والتأثير وتنظيم البناء ووضوح الأدوار التي يقوم بها الأعضاء[٥].

التعاون

التعاون في اللغة من أعان يعين معاونة، والمعوان الحسن المعونة للناس أو كثيرها[٦]، وفي الاصطلاح معناه: مساعدة الإنسان غيره بجلب المصالح له ودفع المفاسد عنه، وهذه المساعدة قد تكون فردية فتسمى تعاونا فرديا أو مساعدة جماعية فتسمى تعاونا جماعيا، وهذا التعاون الجماعي قد يكون منظما أو منسقا ومؤطرا مثل المساعدات التي يقوم بها مجموعة



من الأفراد من أنفسهم لأجل خدمة المجتمع، وهو بلاشك ينطلق من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة:٣).

إذن هذه بعض تجليات القيم على مستوى شخصية اليتيم والتي قد يكون لها انعكاس على مستوى علاج مشكلاته، حيث أظهرت كثير من الدراسات أن اليتامى يعانون من اضطرابات نفسية كالقلق والاكتئاب والشعور بالنقص وسلوكية كعدم التعاون والمخادعة والعدوان، فقد أكد تقرير اليونيسيف حول وضع الأطفال في العالم، ٢٠٠٦م، ص٤٠ أن «الأطفال الأيتام أكثر عرضة من الأطفال الآخرين لمخاطر انتهاكات الحماية. فوفاة أحد الوالدين في ظروف لا توجد أنظمة رعاية بديلة وملائمة يفتح ثغرة في مجال الحماية»، لذلك نقول: إن القيم لها موقع مهم في تلبية حاجات اليتيم وفي علاج مشكلاته.

الهوامش

١- المنهاج المندمج، محمد الدريج، ص٨٢.
٢- حقق أحلامك بقوة التفكير الإيجابي، وفاء محمد مصطفى، بيروت: دار ابن حزم، ط ١٤٢٤هـ، ص٢٩.
٣- قوة التفكير الإيجابي في الأعمال، سكوت دبليو الرياض: مكتبة العبيكان، طبعة ١٤٢٤هـ، ص٤٩.
٤- معجم علوم التربية عبداللطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك. سلسلة علوم التربية، عدد ٩ و١٠. مطبعة النجاح الجديدة، طبعة ١٩٩٤م. ص٦٨.
٥- علم نفس الجماعة، عدنان يوسف العتوم، دار المسيرة، ط١، ٢٠١٥م، ص٣١.
٦- تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي دار التراث ١٩٦٩/١٩٨٥م. ج٣٥، ص٤٣٠.



الزبير مهداد
باحث تربوي

من ملامح النظام التربوي الإسلامي

إن المضمون الواضح والبارز للخطاب الرسمي الإصلاحي في وقتنا الراهن يولي أهمية كبرى لقضية انفتاح المؤسسة على مجتمعها المحلي، واستعادتها ثقة المجتمع، تصحيحا لوضع خاطئ عارض، فالتعليم في البلاد الإسلامية كان يتم في الماضي عن طريق المشاركة الفعلية في شؤون الحياة المدرسية، وكان المعلم الساهر على تعليم الأطفال يخضع في وظيفته لمراقبة الجماعة، فهي التي تتعاقد معه عن طريق الشرط، كما كان المنهاج المدرسي ترجمة عملية لأهداف التربية واتجاهاتها في المجتمع، ومنبثقا عن حاجات البيئة التي يعيش فيها الأفراد ومن متطلبات تنميتهم. وفي المقال التالي سرد لبعض ملامح النظام التربوي الإسلامي التي جعلت هذا التعليم موضع تقدير وإعجاب الباحثين من المسلمين وغيرهم.

الملامح المالية: الوقف العلمي

الوقف الإسلامي من أسمى الأنظمة الاقتصادية التي ساهمت في بناء

المجتمعات الإسلامية على مر العصور، وكان الوقف من أهم وسائل التقدم العلمي والفكري والثقافي للبلاد الإسلامية؛ حيث أسهم في بناء صروح العلم ونشرها عن طريق المساجد والكتاتيب والمدارس والمعاهد، وتخرج من هذه المؤسسات العلمية الموقوفة عدد من العلماء في شتى فروع المعرفة البشرية. فارتبط ازدهار الحركة العلمية وانتشار التعليم بتعيين أوقاف يخصص مردودها للإنفاق على هذه المؤسسات وأداء مرتبات هيئة التدريس وجرايات لطلاب المعرفة.

أسهم الوقف في توسيع العرض المدرسي

اعتبرت المكاتب أو الكتاتيب بمنزلة مؤسسات للتعليم الابتدائي في عصرنا، يتعلم فيها النشء القرآن الكريم واللغة العربية ثم الحساب والخط، وبالنظر لأهميتها وكثرة الطلب عليها، فقد تولى الأمراء أمر إنشاء المكاتب، لتعليم الأيتام من الفقراء والأطفال، وكانوا يحبسون عليها الأوقاف للإنفاق عليها؛ وسميت مكاتب السبيل أو مكاتب الأيتام[١].

والوقف على تعليم الصبيان لم يكن قاصرا على هذه المؤسسات، بل كان يتعداها إلى أماكن تعليم الصبيان الأخرى، كالمساجد، فالصبيان المتعلمون فيها أيضا كانوا يستفيدون من ريع الأوقاف، ففي جامع دمشق كانت تخصص جرايات معلومة للذين يقرأون منهم القرآن كان يأخذها بعض الآباء ويتخلى عنها غيرهم من أهل الجد، وهذا من المفاخر الإسلامية على حد تعبير ابن جبير[٢].

وحين أنشأ الوزير نظام الملك المدرسة النظامية أعلن أن التعليم فيها حق للجميع وبالمجان، بل وزاد على المجانية بأن عين مرتبا للطلاب الفقراء. فتعلم في هذه المدرسة أبناء الأغنياء جنبا إلى جنب مع اليتامى وأبناء الفقراء، وقد دخلها الإمام الغزالي يتيما فقيرا اجتذبه المرتب الذي كان يقيم به أوده فتعلم فأصبح حجة الإسلام.

وتواصلت عملية إنشاء المراكز التعليمية الوقفية، من طرف الأمراء والأعيان في المدن والعواصم الكبرى، ما كان يؤشر لحركة علمية زاهرة، من أمثلة ذلك ما ذكره الرحالة الشهير ابن بطوطة حين زار مصر التي عرفت انتشارا كبيرا للمؤسسات التعليمية، وعند الحديث عن مؤسساتها التعليمية قال إنه لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها[٣]، وقد بني منها بالقاهرة وحدها «ما ملأ الأخطاط (الأحياء) وشحنها» على حد قول القلقشندي[٤].

الوقف على الكراسي العلمية لتنويع العرض التربوي

الكراسي العلمية من المناصب والوظائف التربوية التعليمية العليا، التي تميزت بها الجوامع والمدارس في المغرب. اشتهرت بالمغرب في الحواضر منذ عدة قرون، حيث عين فيها جهابذة العلماء، وخصصت لهم الأرزاق الوافرة مع ارتفاع مكانتهم عند الخاصة والعامة.

وكانت أجور هؤلاء العلماء وغيرهم ممن اعتلوا الكراسي العلمية، تؤدى من مال الوقف.

إلى جانب السلاطين، أسهم عدد من الأعيان والموسرين في إنشاء الكراسي العلمية ببعض المدارس والجوامع الكبرى.

الوقف وفر الدعم الاجتماعي للمتعلمين

كان توسع عدد طلبة العلم ناتجا عما كانوا يلقونه من ترحيب وعناية من طرف الفقهاء وشيوخ العلم ومن طرف المجتمع الإسلامي الذي كان يكن لطالب العلم احتراما زائدا، وكذلك بفضل الأوقاف التي عينها الأمراء والقادة وذوي اليسار من المسلمين الغيورين على العلم، فكانوا يبنون المدارس ويعينون لها الأوقاف المهمة والجرايات التي توزع على طلبة العلم، تكفيهم مؤونة العيش وتضمن استقرارهم وتفرغهم للدراسة. فكانت تلحق بهذه المؤسسات مرافق اجتماعية كمقرات الإقامة وخزانات الكتب، بل وبلغ من عناية السلطان بهؤلاء الذين يفدون للاستفادة العلمية، أن أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها، وخصص لهم مستشفى لعلاج من مرض منهم، وعين لهم أطباء يزورونهم وهم في مجالسهم العلمية، وخصص لهم الخدم لقضاء حاجاتهم».

كان الوقف الإسلامي من أسمى الأنظمة الاقتصادية التي ساهمت تقدم المجتمعات الإسلامية وحماية هويتها على مر العصور. وأبان الأمراء والأعيان الذين تبرعوا بأملاكهم وأوقفوها في سبيل نشر العلم، عن قدرة هائلة على استقطاب المتعلمين والعلماء، ودخول غمار المنافسة العلمية، وجعل مؤسساتهم قادرة على منافسة غيرها من المؤسسات واستجلاب



الطلبة والعلماء المرموقين المجتهدين، واستيعاب أكبر عدد منهم.

الملامح التربوية
الوظيفة تعليمية وتربوية

المكتب مؤسسة لها وظيفتان اثنتان، وهما وظيفة التنشئة الاجتماعية، ووظيفة علمية، بنشر المعرفة وتعليم النشء. وهذا ما تنص عليه كثير من حجج الوقف التي تحدد هوية المؤسسة والمستهدفين من إنشائها، ووظائف العاملين بها، ومصادر النفقات ومجالاتها، إلى جانب ما ينبغي أن يتلقى التلميذ فيها من دروس. حيث تحدد بعض حجج الوقف من عصر المماليك مهام ووظائف معلم المكتب في رعاية أخلاق الصبي وتعهدها بالإصلاح والتقويم، ورعاية النمو النفسي والاجتماعي للطفل، إلى جانب تلقينه المعرفة الدينية واللغوية العامة(٥)، يأمرهم ببر الوالدين، والانقياد لأوامرهما بالسمع والطاعة، والسلام عليهما، وتقبيل أياديهما عند الدخول إليهما، ويضربهم على إساءة الأدب والفحش من الكلام، وغير ذلك من الأفعال الخارجة عن قانون الشرع(٦).

تنوع العرض التربوي

المنهاج التعليمي في المدارس كان يتألف من مواد ضرورية كالقرآن والعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها، يتعين على الجميع إتقانها وتعميق تكوينه فيها، وهي مشتركة بين جميع المؤسسات، وهناك مواد أخرى تكميلية اختيارية، كانت تدرسها بعض المدارس دون غيرها كالحساب والطب والهندسة والتوقيت والاسطرلاب، وأحيانا الفلسفة والموسيقى على الرغم من كراهة ذلك(٧). ومن رغب في تعلمها قصد مؤسساتها، ولمن لم يشأ فلينهمك في تعلم ما يميل إليه أو يلائمه. فالعرض التربوي الذي تقدمه المدارس لم يكن موحدا، بل كان متنوعا يسمح لكل واحد بتحقيق طموحاته وتلبية رغباته.

التلميذ مشروع الأستاذ

تميز المربون المسلمون بلطافتهم وتلطفهم مع تلاميذهم، وحرصهم على رعايتهم الأبوية الشاملة لتلاميذهم وجدانيا وأخلاقيا، وتأسيس علاقتهم بهم على المودة والحوار والاحترام المتبادل.

ومن أمثلة ذلك علاقة أبي حنيفة بتلاميذه، فهي تجسد التفاعل الإنساني الوجداني، فداخل الفضاء التربوي، تتأسس علاقات دينامية بين المدرس والتلاميذ تتخذ شكل انخراط في عملية تواصل عاطفي وتبادل وجداني، تجسده بدقة وصدق مضامين الرسائل والنصائح التي كان يوجهها أبو حنيفة لتلاميذه. تترجم العطف الأبوي، والفهم الدقيق لنفسية التلميذ ما يدل على عمق وسعة التفاعل والتبادل. حيث كان أبو حنيف لا ينظر إلى تلاميذه نظرة متعلمين فقط، بل كان يعتبرهم مشاريع نخب، تحتاج الرعاية والتتبع حتى بعد انتهاء علاقة التلقي المباشر منه، فالعلاقة التربوية لا تتوقف عند التلقي. بل تستمر طيلة الحياة.

استدعاء التلاميذ النجباء

قسم العلماء طلبة العلم إلى طالب ومستدعى. فالطالب هو الذي يطلب العلم تلقاء نفسه، أما المستدعى فهو الذي استدعاه العالم لتدريسه بعدما توسم فيه جودة الذكاء وقوة الخاطر وتفتح الذهن. وقد حكى الإمام أبو يوسف القاضي عن نفسه فقال (كنت أطلب الحديث وأنا مقل رث الحال، فجاءني أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه، فقال يا بني لا تمد رجلك مع أبي حنيفة. فإن أبا حنيفة خبزه مشوي وأنت تحتاج إلى المعاش.

فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة رضي الله عنه وسأل عني، فعدت إلى مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي ما شغلك عنا، قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي، فجلست، فلما انصرف الناس دفع إلى صرة وقال: استمتع بها، فنظرت فإذا فيها مئة درهم، وقال لي الزم الحلقة، وإذا فرغت هذه فأعلمني، فكان يتعهدني حتى استغنيت وتمولت)[8].

الاحتفاء بالدروس الافتتاحية

كانت المراكز التعليمية تعرف أجواء احتفالية في مناسبتين اثنتين: الأولى يوم افتتاحها أول مرة بعد إنهاء أشغال بنائها، وتسجل كتب التاريخ وصفا دقيقا لمظاهر الاحتفال الكبرى التي رافقت تدشين بعض هذه المدارس، ومن ذلك ما دونه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية، حيث يروي أنه لما تكامل بناء المدرسة الشرابية ببغداد، وكان يوما مشهودا، حضر بانيها، واجتمع جميع المدرسين والمفتين ببغداد، وعمل بصحنها قباب الحلوى، فحمل منها إلى جميع المدارس والربط، ورتب فيها خمسة وعشرين فقيها لهم الجوامك الدارة في كل يوم، والحلوى في أوقات المواسم، والفواكه في زمانها، وخلع على المدرسين والمعيدين والفقهاء في ذلك اليوم. وكان وقتا حسنا تقبل الله تعالى منه).

كما كانت المدارس الكبرى تعيش أجواء خاصة بمناسبة إلقاء دروس افتتاحية والتي كان يلقيها المدرسون المعينون للتدريس بها أول مرة، فيدعى لحضورها العلماء الأعلام والقضاة والأعيان، وتكون في الغالب تفسيرا لبعض الآيات من القرآن الكريم التي يتولون اختيارها بعناية شديدة لتناسب في غالب الأحيان الظروف الخاصة التي تولى في المدرس الوظيفة، وتيمنا بدرس القرآن لشرفه، وأحيانا تقام مآدب احتفاء بالدرس وتكريما للحضور؛ وقد جرت العادة أن يخلع على المدرس خلعة التدريس في دار الوزير بعد صدور قرار الخليفة بالتعيين في المنصب، ومنها يتوجه الموكب الذي يتشكل من صاحب الديوان والولاة والحجاب والأكابر وأرباب المناصب إلى المدرسة، حيث يجلس المدرس على سدة التدريس ويلقي درسه الافتتاحي في احتفالية نادرة لا تخلو من مظاهر الأبهة والفرجة، تنتهي غالبا بمأدبة أو شراب حلو وحلوى يستمتع بأكلها الطلبة وسائر الحاضرين[9]. وكان يحظر الدروس الحكام والأمراء والأعيان والقضاة وغيرهم، ويجلسون وفق ترتيب معين بحسب مكانتهم الاجتماعية[10].

الاحتفال بختم المتعلم للقرآن

كان الصبيان في المكتب يحتفلون بالختمة؛ التي تقام بمناسبة إتمام أحد الصبية حفظ القرآن الكريم كله أو بعضه، والذي ظل تقليدا متوارثا قائما في البلاد العربية إلى عصر متأخر. وتسمى في بلاد الخليج العربي (التحميدة) وتتعطل الدراسة بالمكتب، يطوف صبيان المكتب بالحي رفقة معلمهم يجمعون الأعطيات التي تغطي نفقات الحفل، ويرددون أبياتا من الشعر تتغنى بحمد الله على نعمة الإسلام وتمتدح حافظ القرآن وشيخه وتستحث همم الناس على البذل والعطاء إكراما للطلبة ولخاتم القرآن، ويردد الصبيان والناس لفظ آمين بعد كل شطر منها، لذلك يطلق عليها أيضا لفظ (التومينة).

في بلاد أخرى كان يحتفى بالطفل حافظ القرآن، فتقام له زفة تشبه زفة العرس وتسمى زفة الختم. ومن لطيف ما ذكره بعض المؤرخين أن عامل مدينة فاس في عصر بني مرين هو الذي كان يتكلف بتوفير الحصان واللباس للصبيان الذين ختموا القرآن، إذ يعيره لهم خلال احتفالهم بختم القرآن تخفيفا عنهم من عناء الشراء.

الهوامش

١- عبدالعال، حسن إبراهيم: فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة. الرياض. مكتب التربية العربي لدول الخليج. ١٩٨٥م، ص٧٠.
٢- ابن جبير: الرحلة، دار صادر، بيروت (دت) ص٢٤٥.
٣- ابن بطوطة: تحفة النظار،(تحقيق: العريان) دار إحياء العلوم، بيروت١٩٨٧م، ص٥٦.
٤- القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة ١٩١٤م، ج٣ ص٣٦٨.
٥- عاشور، سعيد عبدالفتاح: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك؛ دار النهضة العربة ١٩٩٢م، ص١٦٨.
٦- عاشور، مرجع سابق ص١٦٨،
٧- عبدالعال، ص٦٢.
٨- شلبي أحمد: تاريخ التربية الإسلامية. بيروت، دار الكشاف ١٩٥٤م، ص٢٨٠.
٩- ابن كثير: البداية والنهاية، طبعة مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨م، جزء ١٣ ص٩٨.
١٠- ابن كثير، المرجع نفسه.

كلثوم باسعيد
ماجستير في العلوم الإسلامية



بين تولية الأكفاء وعجز الضعفاء وإيثار ذوي المودات



الوظائف

إن أقدار الناس متفاوتة، ومواهبهم متفاوتة، وكفاءاتهم متفاوتة؛ فقد يصلح إنسان لطلب العلم، ولا يصلح لقيادة الجيوش.

فأبو هريرة -مثلا- ممن وعى حديث رسول الله ﷺ وأداه على أكمل وجه، على خلاف الفاروق وسيف الله المسلول اللذين برعا في القيادة السياسية والحربية.

فموهبته في الحفظ قد لا تؤهله للقيادة والولاية.

فوضع كل واحد فيما يحسن ويصلح يستفيد منه المجتمع، «فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة؛ قدم أنفعهما لتلك الولاية وأقلهما ضررا فيها؛ فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع -وإن كان فيه فجور- على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا»[١].

«وإذا كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد قدم الأمين: مثل حفظ الأموال ونحوها، فأما استخراجها وحفظها فلا بد فيه من قوة وأمانة، فيولى عليها شاد قوي يستخرجها بقوته، وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته.

وهكذا في سائر الولايات إذا لم تتم المصلحة برجل واحد جمع بين عدد؛ فلا بد من ترجيح الأصلح أو تعدد المولى إذا لم تقع الكفاية بواحد تام»[٢].

لكن إذا اختلت الأوضاع فهذا نذير شؤم على الجميع؛ وضياع للدين والدنيا؛ فعن ابن عباس -رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «من استعمل عاملا من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين»[٣].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «من استعمل رجلا من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين»[٤].

وقد قيل: «من استعان في عمله بغير كفؤ أضاعه، ومن فوض أمره إلى عاجز عنه فقد أفسد أوضاعه»[٥].

وعليه فـ«ليحذر كل الحذر من أن يولي أحد الخلق أمرا دينيا أو دنيويا بشفاعة أو رعاية لحرمة أو لقضاء الحق إذا لم يكن أهلا للولاية، ولا ناهضا تحصل بتقليده الكفاية، فإن أحب مكافأة من هذه صفته كافأه بالمال والصلات،

وقطع طمعه عما لا يصلح له من الولايات، ليكون قاضيا لحقه بماله لا بمملكته، قائما بما لا بد منه من حقوق ولايته»[٦].

فـ«المناصب العامة أمانات مسؤولة، وهي من بين أعلى مراتب الأمانة، والتفريط فيها بتسليمها لغير المؤهلين لها يعد خيانة عظيمة»[٧].

ومن العدل استخدام أهل الكفاءة، أما أهل الثقة والرضا والمحبة فلهم من العواطف والأموال متسع وكفاية؛ قيل لخليفة عباسي: «إن لفلان حقا، فإن رأيت أن تقضيه فتوليه ناحية!

فقال: إن لاتصاله بنا حقا في أموالنا لا في أعراض المسلمين ولا أموالهم؛ إنا لا نولي للحرمة والرعاية، بل للاستحقاق والكفاية، ولا نؤثر ذا النسب والقرابة على ذي الدراية والكتابة، فمن كان منكم كما وصفنا شاركناه في أعمالنا، ومن كان عطلا لم يكن لنا عذر عند الناس في توليتنا إياه، وكان العذر في تركنا له وفي خاص أموالنا ما يسعه»[٨].

وهذا الخليفة قد وعى حديث النبي ﷺ عن الأمانة وعدم تضييعها أو التفريط فيها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟

فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع.

حتى إذا قضى حديثه قال: «أين -أراه- السائل عن الساعة؟»

قال: ها أنا يا رسول الله.

قال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة».

قال: كيف إضاعتها؟

قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[٩].

وقد وعى هذا الأمر الخلفاء الراشدون؛ فكانت خلافتهم غاية في العدل وتولية أهل الكفاية حتى ولو كانوا من الأباعد والموالي والعبيد والحذر من تولية المناصب لأهل القرابة دون نظر في الكفاءة؛ فعن يزيد بن أبي سفيان قال: قال أبو بكر رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيد، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكثر ما أخاف عليك؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحدا حمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئا بغير حقه، فعليه لعنة الله، أو قال: تبرأت منه ذمة الله»[١٠].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمسلمين»[١١].

قال ابن تيمية عن ولي الأمر وما يناط به: «فيجب على كل من ولي شيئا من أمر المسلمين أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه»[١٢].

فصاحب الأمر ينتقي ويختار بعد علم واستشارة، ويختار الأكفأ والأصلح، ثم يتابع ويحاسب؛ فالثقة المطلقة مفسدة، والنفوس متقلبة؛ لذا وجود الرقيب والمتابع والمحاسب يجعل الأمور دائما في نصابها، وفي المكان الذي يجب أن تكون فيه وعليه، «فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره؛ لأجل قرابة بينهما أو ولاء عتاقة، أو صداقة، أو مرافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نهي عنه»[١٣].

الهوامش

١- السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص١٥.

٢- السابق، ص١٧ باختصار.

٣- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ١١٨/١٠.

٤- أخرجه الحاكم في المستدرك، ١٠٤/٤، برقم (٧٠٢٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، حذفه الذهبي من التلخيص، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، ٤٠/٢، برقم (١٣٣٩).

٥- تحرير السلوك في تدبير الملوك، للأعرج، ص٣٦.

٦- تحفة الترك فيما يجب أن يكون عليه الملك، للطرسوسي، ص٥.

٧- تولية المناصب وخيانة الأمانة (مقالة)، لمحمد أبو بكر المصلح، موقع إسلام أون لاين، https://islamonline.net/11382

٨- نثر الدر، للآبي، ٦٢/٣.

٩- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، ٢١/١، برقم (٥٩).

١٠- أخرجه أحمد في مسنده، ٢٠٢/١، برقم (٢١)، وقد ضعف شعيب الأرنؤوط إسناده.

١١- السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص٧.

١٢- السابق، ص٨ باختصار.

١٣- السابق، ص٨ باختصار.

علي مدني الخطيب
باحث شرعي



ثمة ضوابط أو قيود لابد من ذكرها ترسم صورة الفن الملتزم والمقبول لتكون معيارا منضبطا يصلح للتقييم والنظر، ومن جملة هذه الضوابط وتلك الخصائص:

أولا - أن يحافظ الفن على ثوابت الأمة

ذلك أن لكل أمة من الأمم جملة من الثوابت التي يتعين البقاء عليها والدفاع عنها، بل حراستها، لما تمثله من التراث الثابت الذي لا ينفك عنها غالبا، بل يعد ذلك قيمة من القيم الحضارية التي تتباهى أو تتبارى بها على غيرها لما تمثله تلك العناصر من الهوية اللازمة لها بما تحمله من خصائص ذاتية. ونأخذ مثالا على ذلك: «اللغة العربية» تمثل خصيصة من الخصائص التي تبرز الأمة الإسلامية؛ لأنها لغة «الوحي والتنزيل»، فإن حدث أن تعرض أحد الفنون لإسقاط أو إهانة هذه اللغة سهوا أو قصدا عد ذلك قدحا في مضمون الفن، وخرقا لثوابت الأمة، وهو ما يهدم العملية الفنية من أساسها.

الوظيفة الاجتماعية للفن الإسلامي

ثانيا - تزكية الأخلاق

الفن الهادف لابد أن يكون متناغما مع الأخلاق؛ يحمي نفسه بها، ويدندن حولها، ويشتد نحوها، ويقوى بها، ويهش عليها؛ ليكون خادما لها بأن يحسن عرضها ويشوقها أيما تشويق، ويتعلق بها أيما تعلق، وهو في ذلك كله يرتبط بالله الواحد الذي يسبح له الكون كله حتى لا يكون نشازا بعيدا عن قوله تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ (النور:٤١). وما قيمة الفن إذا لم يحسن الحسن ويقبح القبيح؟! وهل من الفن في شيء أن تحاصر الفضيلة وأن يقع الغمز واللمز صوب القمم لينال من عزمات كبار؟!

ولابد للفن كذلك أن يهذب الطبع، وما أكثر الطباع العليلة، فالفن يملك القدرة لأن يجعل من البخيل كريما ومن الجبان مناضلا جسورا.

والفن الراقي هو الفن الذي يرتقي بذوق الإنسان إلى أفضل ما يكون الذوق، وفوق ذلك كله لابد أن يضيف الفن جديدا إلى الإنسان فيقدم له من لذيذ العلوم وشهي الآداب فتتحرك فيه جيوش الإبداع وطلائع المعرفة.

ثالثا - شمولية الفن

شمولية الفن تعني أول ما تعني أن يتوجه هذا الفن إلى كل قطاعات الأمة، فلا يهتم بطبقة دون أخرى، وإنما يقدم الجديد والمفيد لجميع طبقات المجتمع من العمال والفلاحين والجنود والطلاب والأطفال وربات البيوت، وأما من الناحية الموضوعية فلابد أن يخدم الفن كل جوانب الحياة المختلفة طالما كان ذلك في إطار المشروعية «والأدب الإسلامي بإمكانه تناول أي موضوع في الحياة الإنسانية دونما تحديد أو تقييد لكن له منهجه الخاص في تناول كل موضوعاته، فهو لا ينظر إلى الظاهرة مقطوعة عن سياقها الحضاري ولا مبتورة عن حقيقتها الكونية، ولا مبتورة عن خلفيتها النفسية والاجتماعية والاقتصادية». ثم إن فقه الشمولية يحتل مساحة كبيرة في الدين الإسلامي ومن هنا صار فريضة دينية بالنص على ذلك

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ (البقرة:٢٠٨)؛ أي ادخلوا في شرائع الإسلام جميعا». وتراث الحضارة الإسلامية العربية هو نتاج النظرة للحياة كمنظومة واحدة تشمل الجانبين المادي والروحي بما لهما من أصول وفروع، وإذا ما كانت أصول العقيدة والشعائر والأخلاقيات لا تمس فإن الفروع (أي ممارساتنا ومعاملاتنا اليومية دائمة التغيير في عالم متغير)[١].

رابعا - أن يكون للفن غاية

وهذا عنصر في غاية الأهمية أن يكون للفن رسالة معينة محددة يسعى للوصول إليها وإبلاغها للآخرين، وإذا ما كانت للفن غاية مشروعة يصبح وقد حقق رسالته التي ينبغي أن تكون، وتبعا للغاية فلابد أن تكون الوسائل مشروعة أيضا، فمثلا قد نجد القصة الجيدة التي تعالج غاية نبيلة لكن الوسائل المستخدمة بداية من السيناريو حتى الأداء تمضي في مسارات ملتوية ومنعطفات ضيقة من الحوارات المكشوفة والشبق والتهالك على المرأة وذلك كله باسم الواقعية «وهذه الغاية التي ننشدها حتما ستصل بالإنسان إلى حالة النشوة الذهنية التي هي في قمتها سكينة وأمن تخلص الإنسان من الإحساس بالضياع أو العبث لأنها غاية قائمة على العدل والحكمة»[٢].

خامسا - الارتقاء بالإنسان

فما الفضل لحضارة لا تحترم عقل الإنسان، فلا تزين له المحروم ولا تزيف له الواقع؟ وما قيمة الحضارة التي تدفع الإنسان في سعار حيواني يقضي وطره ويسكن غلمته فوق كل اعتبار؟ وما قيمة الفن الذي يتساوى فيه الإنسان والأنعام؟! إن الفن الجيد هو الذي يرتقي بالإنسان ارتقاء لازما صوب التراث الإسلامي الشامخ وإبراز أهله بصورة الفاتحين النبلاء.

سادسا - إيقاظ الهمم

أمة يتربص بها أعداؤها من كل ناحية، ويحاولون نهب ثرواتها وهدم حضارتها وتزييف تاريخها، لجديرة بأن تتغنى بالجهاد وتربي شبابها وفتيانها عليه والترغيب في الشجاعة والإقدام طلبا لمرضاة الله تعالى، ورغبة في الخير والمثوبة، واستعلاء على كل رغائب النفس... تربيهم بالكلمة الهادفة الصادقة والواعية، وبالقصة الهادفة التي تنقلك من مكانك فكأنك في أرض العسكر واحد منهم، وبالشعر والقوافي تلهب الحماس وتفجر الطاقات، وبالخطب المنبرية التي تدفع الشباب إلى أن يسارع إلى ساحة الشرف.. وقد كان عليه السلام يفعل ذلك في «حفر الخندق» مع أصحابه فيرتجل الشعر الحماسي ويردد أصحابه خلفه يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

وهو عليه السلام الذي يقول لحسان بن ثابت: «اهجوهم وروح القدس معك».

سابعا - حراسة الخواطر

الفن الملتزم هو فن يرتقي بالإنسان إلى درجة تجعل منه حارسا قيما على نفسه يحاسبها حتى عن خطرات النفس وهواجس الفكر، فيحمله ذلك على اليقظة الدائمة وحسن الالتفات، ووقع ذلك عنده موقعا حسنا، فلا يشيد بالمختلس ولا بالمزور ولا بالذين يسرقون القوت والراحة والفرح من غيرهم، فهؤلاء جميعا يعوقون الركب ويوقفون المسيرة.

ثامنا - منهجية الفن

ومع ذلك أن يكون للفن قواعد وأطر واضحة ومحددة بل ومنضبطة يمكن الرجوع إليها، وأن يتفق عليها سلفا؛ هذه القواعد ليست قيدا على حرية الإبداع الفني، ولا تمثل أدنى إعاقة للنشاط الذهني، بل ذلك أشبه بوضع إشارات عامة للتوضيح والبيان وفق قواعد كلية عامة يتعامل الفنان والأديب في إطارها.. ومثل ذلك كقائد السيارة الماهر يقود سيارته ملتزما إشارات المرور وقواعده، فييسر ذلك له مهمة كبيرة.. وبهذا الشرط لا تكون العملية الفنية الإبداعية عملية فوضوية متروك حبلها لكل قاصد، والإنسان عندما يرغب في إقامة مشروع ما نجده يقوم بعمل دراسات الجدوى، ويسأل المتخصصين حتى يأتي مشروعه على نحو مرض، فكذلك ومن باب أولى الفن، لأنه قضية عامة تحتاج إلى رسم سياسات عامة ودقيقة لها، وإعداد دراسات فنية جادة بما يتوافق ومطالب المرحلة التي تعيشها الأمة حتى لا تكون رسالة الفن في واد وقضايا الأمة ومطالبها في واد آخر، يقول الدكتور عماد الدين خليل: «نحن نعرف اليوم كم يؤدي المنهج دورا خطيرا في حركة الإنسان الفكرية والحضارة عموما ونعرف أنه دون منهج فليس ثمة طريق توصل إلى الأهداف مهما بذل من جهد وقدم من عطاء»[٣].

تاسعا - عالمية الفن

بمعنى ألا يبحث في آفاق ضيقة محددة تحد من إبداعه وإفادة البشرية منه، ولن يصل الفن أو الأدب إلى العالمية إلا إذا كان أصيلا متميزا ومتفردا يحمل في كياناته إشعاعات ينفذ بها إلى غيره عن طريق علوم الترجمة الحديثة، خصوصا أن العالم اليوم يمثل لحمة واحدة بفضل وسائل التكنولوجيا المتقدمة «وهذه العالمية تأتي من جهة القدرة على الانطلاق بالخصوصية الفنية ملتحمة بنسقها الحضاري إلى الآفاق الإنسانية المجردة، وذلك يستدعي القدرة على النفاذ إلى «المرجعية الشعورية» بحيث يمكننا إحداث التوافق والتناغم بين المكتسب والفطري فيها، وأيضا «بلورة» المتحرك من خلال الجذر الثابت وهذا هو مدار العبقرية التي تسمح للأدب أن يكون عالميا»[٤].

الهوامش

١- زهير منصور، «مقدمة في منهج الإبداع»، ص:٢٠، دار الوفاء، المنصورة.
٢- نحو نظرية للأدب الإسلامي، د. محمد أحمد حمدون، «دائرة المنهل»، ١٩٨٦م، جدة.
٣- مقدمة في منهج الإبداع، زهير منصور المزيني، ص:٢٩.
٤- جمال سلطان، «الأدب الإسلامي المعاصر»، مجلة المسلم المعاصر، ص:١١٦.

د. أحمد راشد إبراهيم
دكتوراه في اللغة والأدب





الدعائم الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي

الإسلام دين شامل، يجمع بين ما يقيم حياة سعيدة في الدنيا، ويضمن للإنسان إذا التزم بقواعده وأصوله أن يعيش حياة سعيدة في الآخرة.

هذه الصورة لا يراها بعين البصيرة إلا من عرف الإسلام حقا، وفهم المراد منه، واجتهد قدر استطاعته في الإلمام بما يتعلق بالإسلام من عقيدة وعمل.

وإذا كنا نتكلم عن شمولية الإسلام، وعن كونه دينا يجلب الخير للبشرية، على الرغم من اختلاف أنواعها وألسنتها وعقائدها وتوجهاتها، فإننا نبين أن الإسلام بوصفه دينا شاملا لكل نواحي الحياة قد بين ووضح وأقر طبيعة التعامل بين المخلوق وخالقه سبحانه وتعالى، وكذلك بين الضوابط التي تضمن حسن المعاملة بين المخلوقين بعضهم بعضا، أفرادا وشعوبا وقبائل.

وهنا نوضح أن الإسلام دين المعاملة الحسنة في شتى مجالات الحياة، ومن بين هذه المجالات (الاقتصاد) وهو الأمر المتعلق بالمعاملات بين المسلمين بعضهم مع بعض، والمسلمين وغيرهم.

والكلام عن الاقتصاد الإسلامي ومتعلقاته لا ينحصر في مقال واحد، إنما هو باب عظيم من أعظم الأبواب، فقد ورد في القرآن الكريم ما يبين الأحكام المتعلقة بالبيع والشراء والعقود وغيرها، والآيات من القرآن كثيرة ودالة على هذا، وفيها الجمع بين ما يتعلق بمعاملة العبد مع ربه، ومعاملة العبد مع غيره، ويكفينا هنا أن نشير إلى قوله تعالى في بداية سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ (المائدة:١) ولبيان ما في الآية الكريمة من جمال ننظر في تفسيرها، ففي الآية أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود، أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم

نقضها ونقصها. وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئا، والتي بينه وبين الرسول ﷺ بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم.

والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠) بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع.

فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها.

والأحاديث النبوية في باب المعاملات كثيرة أيضا، والآداب فيها ظاهرة تماما، ومنها قول النبي ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه»[١]. وكذلك سئل النبي ﷺ: أي الكسب أطيب أو أفضل؟ قال ﷺ: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»[٢].

والناظر في كتاب الله وسنة النبي ﷺ يعلم أن الاقتصاد في الإسلام له آدابه وضوابطه وأخلاقياته التي تجعله نموذجا يحتذى لمن أراد اقتصادا ناميا راقيا يحفظ للإنسان وللعالم بأسره إنسانيته وآدميته.

وإذا كنا قد بينا فيما مضى بإشارة سريعة بعض ما يتعلق بالمعاملة في سياق الاقتصاد الإسلامي، فإننا هنا نبين بشيء من التفصيل بعض الدعائم والأخلاقيات التي يتحلى بها الاقتصاد الإسلامي[٣]:

أولا: التقوى

من المعلوم لعامة المسلمين وخاصتهم أن التقوى من أعظم أسباب الفلاح الدنيوي والأخروي، وإذا كان الأمر هكذا فالتقوى عليها عماد كل شيء في حياة الإنسان، ومن بين هذه الأشياء معاملاته مع غيره، لا سيما ما يتعلق منها بالتعاملات الخاصة بالبيع والشراء، فإذا نجح الإنسان في تحقيق التقوى في هذا الباب نال من الخير حظا وافرا. وكذلك إذا قامت المؤسسات الاقتصادية على تقوى الله فإنها ستحقق ما يتسبب في تقدمها وازدهارها.

والتقوى في باب المعاملات مرتبطة بأمور عدة منها:

- التقوى في الوفاء بالعقود، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة:١)، وقد مر بنا تفسير هذه الآية وما بها من أحكام، فلا حاجة إلى التكرار هنا.
- التقوى في المعاملة والمداينة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٨٣)، قيل في تفسيرها: أي: إن كنتم مسافرين (ولم تجدوا كاتبا) يكتب بينكم ويحصل به التوثق (فرهان معترضة) أي: يقبضها صاحب الحق وتكون وثيقة عنده حتى يأتيه حقه، ودل هذا على أن الرهان غير المقبوضة لا يحصل منها التوثق، ودل أيضا على أن الراهن والمرتهن لو اختلفا في قدر ما رهنت به، كان القول قول المرتهن، ووجه ذلك أن الله جعل الرهن عوضا عن الكتابة في توثق صاحب الحق، فلولا أن قول المرتهن مقبول في قدر الذي رهنت به لم يحصل المعنى المقصود، ولما كان المقصود بالرهن التوثق جاز حضرا وسفرا، وإنما نص الله على السفر، لأنه في مظنة الحاجة إليه لعدم الكاتب فيه، هذا كله إذا كان صاحب الحق يحب أن يتوثق لحقه، فإذا كان صاحب الحق آمنا من غريمه وأحب أن يعامله من دون رهن فعلى من عليه الحق أن يؤديه إليه كاملا غير ظالم له ولا باخس حقه (وليتق الله ربه) في أداء الحق ويجازي من أحسن به الظن بالإحسان (ولا تكتموا الشهادة) لأن الحق مبني عليها لا يثبت بدونها، فكتمها من أعظم الذنوب، لأنه يترك ما وجب عليه من الخبر الصدق ويخبر بضده وهو الكذب، ويترتب على ذلك فوات حق من له الحق، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ وقد اشتملت هذه الأحكام الحسنة التي أرشد الله عباده إليها على حكم عظيمة ومصالح عميمة دلت على أن الخلق لو اهتدوا بإرشاد الله لصلحت دنياهم مع صلاح دينهم، لاشتمالها على العدل والمصلحة، وحفظ الحقوق وقطع المشاجرات والمنازعات، وانتظام أمر المعاش، فلله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لا نحصي ثناء عليه[٤].

ثانيا: النصيحة

والنصح أمر من أعظم الأمور التي دعا إليها الإسلام، وليس النصح مقصورا على شخص بعينه، وإنما النصح للجميع، فعن تميم الداري أن النبي ﷺ، قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله

ولأئمة المسلمين وعامتهم» (أخرجه مسلم)، وقد جاء في شرح الحديث ما نصه: «قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله ﷺ: «الحج عرفة» أي عماده ومعظمه عرفة «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرف إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصح نفسه فالله سبحانه وتعالى غني عن نصح الناصح، وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة والإيمان بجميع ما جاء به وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به والمراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمور فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم»[5].

والمتدبر في الشرح يعلم أن النصح لكل من ورد ذكره في الحديث يشمل كل ما يقيم حياة الأفراد والمجتمعات، ومن بينها النواحي الاقتصادية، وذلك من خلال الالتزام بما أمر الله تعالى به في كتابه وما أمر به النبي ﷺ في سنته، في المعاملات، وكذلك من خلال بيان ما يفيد الدول واقتصادها وذلك بالنصح والتبيين لولاة الأمر والمسؤولين، وكذلك بتقديم النصيحة لعامة المسلمين وغيرهم بنصحهم وبيان ما ينفعه في معاملاتهم، وعدم غشهم وأكل أموالهم بالباطل.

ثالثا: العــــدل

والعدل في الإسلام غير مقصور على المسلمين وحدهم، إنما هو العدل مع الجميع مسلمين وغير مسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (النحل:٩٠)، وقيل في تفسير العدل أنه يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي».

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحبة وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره...»[6].

رابعا: الأمانة

والأمانة من أعظم الأخلاق الإسلامية، ودليل عظمتها ورفعة شأنها وقدرها أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ (الأحزاب:٧٢). والأمانة تشمل جميع أمور الحياة الدنيا من عقيدة وعمل ومعاملة بين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان وغيره، ومما يوضح هذا ما جاء في تفسير الآية الكريمة، فقد قيل في تفسيرها: «يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن الله عليها المكلفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السر والخفية، كحال العلانية، فإنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحتيم، وإنك إن قمت بها وأديتها على وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقم بها، (ولم تؤديها) فعليك العقاب.

﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: «خوفا ألا يقمن بما حملن، لا عصيانا لربهن، ولا زهدا في ثوابه، وعرضها الله على الإنسان، على ذلك الشرط المذكور، فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل»[7].

وقد وردت الأمانة في مواضع عدة من القرآن، لكنا نبهنا هنا إلى أنها تشمل كل شيء، ومن بينها المعاملات التي يعد الاقتصاد الإسلامي جزءا من أجزائها، وبابا من أبوابها.

هذا، وقيام الاقتصاد الإسلامي على هذه الدعائم، مع الأخذ بأسباب التقدم في مجال الاقتصاد، يجعله في صدارة اقتصاد العالم بأسره.

الهوامش

١- أخرجه الإمام أحمد، والحديث برقم (٢٠٧١٤). وله شواهد.

٢- أخرجه أحمد، والحديث برقم (١٧٢٦٥).

٣- ينظر: الضوابط الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي، د. محمود بابللي، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثامن.

٤- تفسير السعدي، ص١١٩.

٥- الإمام الخطابي وآثاره الحديثة ومنهجه فيها.

٦- تفسير السعدي، ص٤٤٧.

٧- تفسير السعدي، ص٦٧٣.



فاطمة محمد البغدادي
باحثة في القضايا العامة وخبيرة في التربية والتعليم



الرشوة.. وظاهرة التخلف الاقتصادي

إن الرشوة من أخطر الآفات، التي تفضي إلى تفاقم ظاهرة التخلف الاقتصادي، أكدت على ذلك نتائج دراسات وأبحاث أكاديمية حديثة، وكان تقرير صادر عن الأمم المتحدة، قد حذر من هذه الآفة، وأشار إلى أن برنامج التنمية المستدامة، الذي يستهدف القضاء على الفقر بحلول العام ٢٠٣٠م، لا يمكن أن يكتب له النجاح إلا بالقضاء على الرشوة، أو على الأقل الحد منها إلى أدنى مستوى ممكن، واقترحت الأمم المتحدة آليات تمثل مدخلا لتحقيق ذلك، منها: «التحفيز على التشهير بكل من الراشي والمرتشي، مع ضرورة حماية هوية المشهر»، و«تخصيص وقت وميزانية خاصة بالوصلات الإشهارية، للتوعية بأخطار الرشوة، وعواقب المتعاملين بها»، و«تبني ثقافة استنكار كل الأنشطة الخارجة عن القانون، أو المشكوك فيها»، وتشديد العقوبات على الراشي والمرتشي، في حالة إثبات الدليل عليهما»، و«الاعتماد أكثر على الحكومة الإلكترونية، في التعاملات الروتينية».

لقد سبق ديننا الإسلامي الحنيف، ما توصلت إليه الدراسات والأبحاث الحديثة من نتائج، وما حذرت منه الأمم المتحدة، من خطورة كبيرة للرشوة، ليس فقط على الاقتصاد، بل وأيضا على العدالة الاجتماعية، باعتبارها مدخلا لقوة الاقتصاد، وقدم الحلول العلاجية والوقائية، بعد أن وضع تشخيصا واضحا لهذه الآفة.

لغة.. ومصطلح

الرشوة واحدة الرشا، وتضبط الرشوة مثلثة الراء المشددة، فيقال رشوة، بفتح الراء، ورشوة، بكسر الراء، ورشوة، بضم الراء، ورشا يرشيه رشوا، أي أعطاه الرشوة في محاباة.. وقال الفيروزأبادي في القاموس المحيط: الجمع رشا ورشا، ورشاه أعطاه إياها، وارتشى أخذها،

واسترشى طلبها، وراشاه حاباه وصانعه، وترشاه لاينه[1]، والأصل من الرشاء، أي حبل الدلو، الذي يتوصل به إلى ماء البئر.. ومن الألفاظ المرادفة للرشوة «السحت»، وهو الحرام، أو ما خبث من المكاسب، فلزم عنه العار، قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (المائدة:٤٢)، وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ورد أن الحكم بن عبدالله قال: قال لي أنس بن مالك: إذا انقلبت إلى أبيك فقل له: إياك والرشوة، فإنها سحت، وكان أبوه على شرط المدينة[2].

واصطلاحا، فإن الرشوة هي كل مال يدفع لوالي أو عامل أو قاض أو موظف، من أجل قضاء مصلحة من مصالح الناس، يجب قضاؤها من غير دفعه[3]، وقال الجرجاني: إنها ما يعطى لإبطال حق، أو إحقاق باطل، وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني، هي ما يؤخذ بغير عوض، ويعاب أخذه.. وقيل سميت رشوة، لأنها تلجم المرتشي عن التكلم بالحق، وورد في الأثر، عن الحسن البصري، قال: «إذا دخلت الرشوة من الباب، خرجت الأمانة من الكوة»[4].

وعادة يشارك في الرشوة، ثلاثة أشخاص، هم:

- الراشي: وهو من يقوم بدفع الرشوة، أو هو من يعطي الذي يعينه على الباطل.
- الرائش: إذا لم يقم الراشي بدفع الرشوة يدا بيدا، فإنه يلجأ إلى شخص وسيط، ينوب عنه بالتفاوض والدفع، فيستزيد لهذا، ويستنقص لذاك، وإن لم يأخذ أجرا، فإن أخذ فهو أبلغ.. ويطلق على هذا الوسيط لقب «الرائش».
- المرتشي: وهو الشخص المتحصل على الرشوة، من أجل تقديم مصلحة للراشي، أو تسهيل أمر ما له.

والثلاثة مجرمون ملعونون، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الراشي والمرتشي»[5]، وفي رواية: «والرائش»[6].

أسباب الرشوة

تتعدد الأسباب التي تفضي إلى انتشار الرشوة في مجتمع ما، ويمكن بإيجاز تحديد أهم هذه الأسباب، في النقاط التالية:

الفساد الإداري

نتيجة وجود قوانين تتسم بالغموض، وتتعدد تفسيراتها، يصاحب ذلك غياب الرقابة والمساءلة، وعدم وجود استقلالية بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، مما يؤدي إلى تكوين طبقة من الشخصيات، ذات المناصب الإدارية، التي ترى في نفسها قوة فوق القانون، ومن ثم يصبح بيدها العطاء أو المنع، خاصة مع وجود الإجراءات الإدارية الروتينية الطويلة الأمد.. وكذا وجود أساليب غير مشروعة في التعيين والتدرج في المناصب، وغياب العدالة في تطبيق مبدأ «الثواب والعقاب».

ضعف الوازع الديني

حيث إنه بغياب الجانب العقائدي والروحي، يتغلب الجانب المادي، ومن ثم تفسد الأخلاق، أو بعبارة أخرى تتراجع النفس اللوامة، أمام النفس الأمارة بالسوء، ويصبح ثلاثي أركان الرشوة (الراشي، والرائش، والمرتشي)، أسرى لأطماعهم وشهواتهم المادية.

ضعف الانتماء، والوعي الاجتماعي

يظهر ذلك بشكل أكثر وضوحا، في المجتمعات التي تعاني من التفكك بسبب الخلافات المذهبية، أو الطائفية، واتساع الفجوة بين طبقات المجتمع، وتغليب المصالح الشخصية والانتماء القبلي والعشائري، على الانتماء الوطني.

ضعف النظام التعليمي والتربية الحسنة

حيث إن الإنسان بفطرته، يتأثر كثيرا، ومنذ نعومة أظافره، بمن حوله، خصوصا والديه وأساتذته، فهم قدوته، الذين يسعى إلى انتهاج نهجهم، واتباع سلوكهم.. إلى جانب ذلك، افتقار المناهج، وطرق التعليم، إلى بث القيم والأخلاقيات النبيلة، مثل الصدق، والإخلاص، والأمانة، والحياء، والعفاف، والرضا بقضاء الله.

وجود خلل في المنظومة الاقتصادية

يتركز هذا الخلل، في سوء توزيع الدخل القومي، وتدني الأجور، في وقت تظل الأسعار في ارتفاع، وتضطرب الأحوال المعيشية، ومن ثم تتعدد الأبواب الخلفية للرشوة.

الرشوة.. والتخلف الاقتصادي

والتداعيات التي تفضي إليها الرشوة، متنوعة وخطيرة، حيث إنها تفاقم من الأزمات، وتزيد من التفكك والانحلال الأخلاقي، ويصبح التخلف الاقتصادي ظاهرة، تنخر كالسوس في نسيج المجتمع، وتدفع سريعا نحو اهترائه، حيث تتدنى الإنتاجية كما ونوعا، كون الطاقات تصرف في مصارف غير مشروعة، وأغراض ذاتية.. ويسود الاحتكار في تقديم الخدمات، التي يتم الحصول عليها، نظير دفع الرشوة.. وتصبح المقدرات، التي من المفترض أن توزع بعدالة، وتصل إلى مستحقيها، تحت قبضة حفنة من الراشين والمرتشين والرائشين، من أصحاب النفوذ، يسخرونها لمصالحهم المشتركة.. يصاحب ذلك ظهور ما يعرف بجماعات

الضغط، التي ترتشي وترشي، لتوجيه السياساتِ نحو مصالحها، مما يؤثر بالسلب على خطط التنمية، ويختل ميزان توزيع الدخل، ويتولد شعور مجتمعي بالحقد والحسد والبغض، وتتوارى الأسس والمعايير الضابطة للأنشطة الاقتصادية.. ولخطورتها، أنزل المولى تبارك وتعالى قرآنا، ينهانا عن ممارستها، قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٨).

الحلول.. وسبل المواجهة

ولكونها إشكالية تراكمية ومعقدة، فإن الاتجاه نحو إيجاد سبل لمواجهتها، على نحو فاعل، يبدأ من التشخيص الجيد لها، ومعرفة مدى وأبعاد تغلغلها في المجتمع، ومن ثم وضع الحلول المناسبة للقضاء عليها، والتي تتضمن:

- مراجعة القوانين المتعلقة بمحاربة الرشوة والفساد الإداري والاقتصادي، لسد الثغرات، ومنع تعدد التأويلات والتفسيرات، وجعل العقوبات أكثر ردعا، لمن يثبت ارتكابهم لهذه الجريمة.
- الاهتمام والعمل على رفع مرتبات الموظفين، بحيث تكون مناسبة لاحتياجات المعيشة، ومانعة لفتح الأبواب الخلفية.
- ضرورة الفصل بين السلطات، خصوصا السلطتين التشريعية والتنفيذية.
- تفعيل دور الرقابة والمساءلة.. ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه أرسل إلى عامله كعب بن مالك رضي الله عنه، رسالة ورد فيها: «أما بعد، فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك، حتى تمر بأرض السواد كورة كورة (أي قرية قرية)، فتسألهم عن عمالهم، وتنظر في سيرتهم»[٧].
- في الوظائف والمناصب، يجب أن يكون مبدأ التعيين والترقية، هو «الشخص المناسب في المكان المناسب»، لتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص.. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إذا ضيعت الأمانة، انتظر الساعة، قيل يا رسول الله: وما إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة»[٨].
- تنظيف المصارف من شوائب الربا، فهي أحد الأبواب الخلفية للرشوة والفساد الاقتصادي.. وقد حذرنا المولى تبارك وتعالى، من خطر هذه الآفة، وتداعياتها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۝٢٧٩﴾ (البقرة:٢٧٨-٢٧٩).
- العمل من خلال وسائط الإعلام المختلفة، على تفشي الأخلاقيات والقيم النبيلة، فلا يمكن أن يقع في دائرة الرشوة، من حسن خلقه، وارتقت سلوكياته، وكان قنوعا بما قسمه الله جل وعلا له، مصداقا لقول النبي ﷺ، لأبي هريرة رضي الله عنه: «وارض بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس»[٩].. وصار قاضيا لحوائج الناس، من دون غرض فاسد، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[١٠]، وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[١١].. ورسخ الإيمان في قلبه، وأيقن أن ما عند الله جل وعلا، خير وأبقى، قال تعالى: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣٥ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝٣٦﴾ (النمل:٣٥-٣٦).. وأدرك بجلاء الفرق الشاسع بين الهدية والرشوة، عن أبي حميد الساعدي، أن رسول الله ﷺ، استعمل رجلا من الأزد، يقال له ابن اللتبية، قال عمرو وابن أبي عمر، على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي لي، قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: «ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم، وهذا أهدي لي! أفلا قعد في بيت أبيه، أو في بيت أمه، حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم شيئا، إلا جاء به يوم القيامة، يحمله على عنقه، بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه، حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال: «اللهم هل بلغت؟» مرتين»[١٢]

الهوامش

١- الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط - فصل الراء.
٢- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم - الجزء العاشر - ص٤٠٦.
٣- العجل، فضيلة الشيخ الدكتور بشار بن حسين: رشاوي الموظفين - ص١١٧.
٤- الدولابي: الكنى والأسماء - الجزء الثالث - ص١٩٨.
٥- أخرجها أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.
٦- أخرجها أحمد، في مسنده.
٧- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي - الجزء الأول - ص١٩٨، الصلابي، محمد علي محمد: سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - الجزء الثاني - ص٦٠.
٨- رواه البخاري، في صحيحه.
٩- رواه الإمام أحمد.
١٠- رواه البخاري، ومسلم.
١١- رواه البخاري، ومسلم.
١٢- ورد في الصحيحين.





١٠٠ تطبيق للقرآن والحديث في دليل التطبيقات القرآنية والحديثية

أكثر من ١٠ آلاف مشارك ومشاركة من أنحاء العالم

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية عيسى الكندري، أقيم المؤتمر الافتراضي للتطبيقات القرآنية والحديثية يومي ١٨ و١٩ رمضان الماضي. مجلة «الوعي الإسلامي» تابعت المؤتمر، الذي يعد الحدث الأول من نوعه من حيث التطلع إلى ممارسات مستقبلية تفيد المختصين والمهتمين بالتطوير من خلال مناقشة رسائل وأفكار التطبيقات القرآنية والحديثية مع العديد من صناع القرار وأصحاب الرؤى.

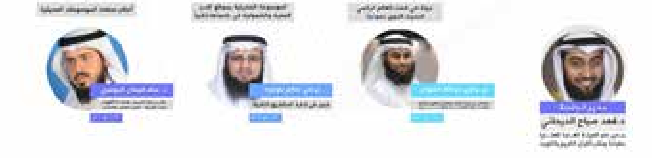
تضمن المؤتمر عددا من الفعاليات تشمل كل فعالية مجموعة مشوقة ومتنوعة من المواضيع من ممارسات وأوراق علمية وورش عمل، فضلا عن معرض افتراضي وجلسات استشارية ومداخلات متنوعة. وقد استهدف الملتقى أكثر من ١٠ آلاف مشارك ومشاركة من أنحاء العالم كافة وتضمن ١٨ ممارسة عملية/ ورقة علمية.

١٠ ورش عمل وكذلك أكثر من ١٠٠ ركن مشارك في المعرض الافتراضي وأكثر من ١٠٠ جلسة استشارية

وجاءت الأهداف المعلنة للملتقى تحت عناوين: استكشاف أبرز التطبيقات القرآنية والحديثية على مستوى العالم وتعزيز إمكانات الربط بين مختلف القطاعات بما يحقق استدامة التطبيقات. وخلق فرص جديدة لتنفيذ أفكار إبداعية ونوعية لخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية وتمكين التطبيقات من مواكبة التطورات التقنية وتذليل

«الأوقاف» ترعى المؤتمر الافتراضي للتطبيقات القرآنية والحديثية







الصعاب. مع ضمان عدم وجود العوائق أمام التطبيقات للتكيف مع الطلبات المتزايدة للتحول الرقمي.

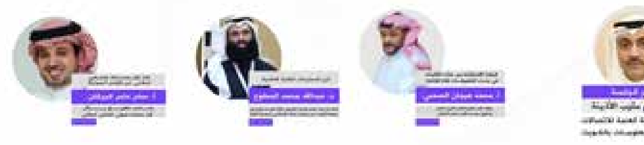
وتضمن المؤتمر مجموعة من الورش منها «تجربة إقراء القرآن عبر برنامج زوم» للدكتور معاذ صفوت، و«مشروع تبيان القرآن» للمدرب يوسف صبحي يوسف، وقدم المدرب إبراهيم عبدالرحيم حسين ورشة بعنوان «تطبيق مصحف القيام»، وشارك الدكتور شبير أحمد في تقديم ورشة بعنوان «تنطلق الآن الورشة الخامسة بعنوان: التكامل في التطبيقات القرآنية: تطبيق مصحف مكة نموذجا».

وشارك المهندس ناهض الحربي في تقديم ورشة بعنوان «الذكاء الاصطناعي في خدمة القرآن الكريم»، وأثرى جلسات المؤتمر المهندس مصعب عزيزي في ورشة بعنوان «بناء المواقع والتطبيقات الإلكترونية من دون برمجة».

أما الدكتورة منى الرزقان، فقدمت ورشة بعنوان «موقع كتابا متشابها»، وطرح المهندس مشعل الهرساني تجربة المصحف الإلكتروني للمكفوفين في ورشته، حيث سلط الضوء على الخدمات التي تقدمها التطبيقات الإلكترونية المتخصصة في العلوم الشرعية لهذه الشريحة في العالم الإسلامي.

أما المحاور: فشملت تطبيقات القرآن الكريم والتقنية. وتطبيقات الحديث النبوي الشريف والتقنية. وتكامل الجهود لبناء التطبيقات القرآنية والحديثية. ثم التطبيقات والذكاء الاصطناعي وتقنيات تعلم الآلة. وأخيرا التطبيقات والبيانات (تخزينها - إدارتها - حمايتها) والتطبيقات والاستدامة المالية.

واختتم المؤتمر الافتراضي للتطبيقات القرآنية والحديثية أعماله التي استمرت لمدة يومين ببيان شارك فيه مجموعة من المدربين في قطاع التقنية وصناعة المحتوى والباحثين في العلوم الشرعية. وأعلن القائمون على المؤتمر عن وجود أكثر من ١٠٠ تطبيق للقرآن والحديث في دليل التطبيقات القرآنية.









د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٥٦)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الزبيدي)

١- أبو بكر الزبيدي (ت: ٣٧٩هـ)

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيدالله الزبيدي الأندلسي الاشبيلي، عالم باللغة والأدب، شاعر.

ولد ونشأ في إشبيلية سنة (٣١٦هـ)، وطلبه الحكم (المستنصر بالله) إلى قرطبة، فأدب فيها ولي عهده هشاما (المؤيد بالله)، ثم ولي قضاء إشبيلية، فاستقر بها.

من تصانيفه: (الواضح) في النحو، و(طبقات النحويين واللغويين بالشرق والأندلس)، و(ما يلحن فيه عوام الأندلس)، و(مختصر العين في اللغة، و(الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية) وغيرها، توفي بإشبيلية[1].

٢- سراج الدين الزبيدي (ت: ٦٣١هـ)

هو سراج الدين أبو عبدالله الحسين



ابن المبارك بن محمد الربعي، الزبيدي البغدادي، الحنبلي، فقيه، محدث، أديب، لغوي، مقرئ.
ولد سنة (٥٤٦هـ)، تفقه، وأفتى، ودرس، وحدث ببغداد ودمشق وحلب وغيرها.
توفي ببغداد في صفر.
من تصانيفه: (البلغة في الفقه)، و(منظومات في اللغة والقراءات)[٢].

٣- سراج الدين الزبيدي (ت: ٨٠٢هـ)

هو سراج الدين أبو عبدالله عبد اللطيف ابن أبي بكر بن أحمد الشرجي اليماني الزبيدي، فقيه، من العلماء بالعربية.
ولد بالشرجة سنة (٧٤٧هـ)، وسكن زبيدا، من مصنفاته: (شرح ملحة الإعراب للحريري)، و(الإعلام بمواضع السلام في الكلام)، و(مقدمة في علم النحو)، و(نظم مقدمة ابن بابشاذ) أرجوزة في ألف بيت، وتوفي بزبيد[٣].

٤- شهاب الدين الزبيدي (كان حيا سنة: ٨٢٢هـ)

هو شهاب الدين أحمد بن عمر بن أحمد الزبيدي، اليماني، فقيه، نحوي مشارك في علوم كثيرة.
من تصانيفه: (شرح على الظاهرية)، و(شرح مقدمة طاهر) في النحو، و(درر الأخبار وجواهر الآثار في الآداب والحكايات)[٤].

٥- رضي الدين الزبيدي (ت: ٨٤٣هـ)

هو رضي الدين أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر الزبيدي اليمني، عالم بالأنساب.
من مصنفاته: (الدر النضيد في أنساب بني أسيد)[٥].

٦- شهاب الدين الزبيدي (ت: ٨٩٣هـ)

هو شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي اليمني الحنفي، المعروف بالزبيدي، محدث البلاد اليمنية في عصره.
ولد سنة (٨١٢هـ)، من مصنفاته: (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) وهو مختصر صحيح البخاري ويعرف بمختصر الزبيدي، و(طبقات الخواص) في سير أولياء اليمن، و(الفوائد)، و(نزهة الأحباب) أدب، توفي بزبيد[٦].

٧- عبد الخالق الزبيدي (ت: ١١٨١هـ)

هو عبدالخالق بن علي بن محمد باقي المزجاجي الزبيدي اليمني الأشعري النقشبندي الحنفي، مقرئ، مشارك في بعض العلوم.
ولد بزبيد سنة (١١٠٠هـ)، من تصانيفه: (إتحاف البشر في القراءات الأربع عشرة)، و(نصائح الجنان ورائح الجنان من مواهب المنان على صلاة شيخنا القطب السمان)، و(ثبت) له، توفي بمكة [٧].

٨- مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)

هو أبو الفيض مرتضى محمد بن محمد ابن محمد الحسيني الزبيدي، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين.
ولد بالهند في مدينة بلجرام سنة (١١٤٥هـ)، ونشأه في زبيد باليمن، ثم رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله وانهالت عليه الهدايا والتحف، وكاتبه ملوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب الأقصى والترك والسودان والجزائر.
من مصنفاته: (تاج العروس في شرح القاموس)، و(إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين للغزالي)، و(بلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب)، و(عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة)، و(كشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام)، و(رفع الشكوى وترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب)، و(ألفية السند) في الحديث، و(مختصر العين) في اللغة، وتوفي بالطاعون في مصر(٨).

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (٨٢/٦)، ومعجم المؤلفين (١٩٨/٩).
٢- انظر: شذرات الذهب (١٤٤/٥)، ومعجم المؤلفين (٤٢/٤).
٣- انظر: الضوء اللامع (٣٢٥/٤)، والأعلام للزركلي (٥٨/٤)، ومعجم المؤلفين (٨/٦).
٤- انظر: الضوء اللامع (٤٩/٢)، ومعجم المؤلفين (٢٨/٢).
٥- انظر: كشف الظنون (١١٥١/١)، ومعجم المؤلفين (٥٦/٣).
٦- انظر: الضوء اللامع (٢١٤/١)، والأعلام للزركلي (٩١/١)، ومعجم المؤلفين (١٥٠/١).
٧- انظر: هدية العارفين (٥١٠/١)، ومعجم المؤلفين (١١٠/٥).
٨- انظر: الأعلام للزركلي (٧٠/٧)، ومعجم المؤلفين (٨٤/١)، ومعجم المؤلفين (٢٨٢/١١).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

كتاب الإصابة في تمييز الصحابة

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

ويـأتـي كـتـاب «الإصـابـة فـي تمييز الصحابة» ليشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بكتاب الإصابة في تمييز الصحابة

كتاب عظيم النفع ألفه العلامة ابن حجر العسقلاني، سعى فيه لاستقصاء جميع الصحابة رضي الله عنهم، فترجم لهم، وعرف بهم، ويعد هذا الكتاب من أهم وأوسع ما ألف عن الصحابة رضي الله عنهم على الإطلاق.

وموضوعه الرئيس كان التمييز بين الصحابة: أي من صحت صحبته لرسول الله ﷺ ومن لم تصح، وبلغ مجموع تراجمه ١٢٤٤٦ ترجمة، وقد استغرق تأليفه أربعين عاما.

تعريف ابن حجر العسقلاني

هو الإمام الحافظ المتقن قاضي القضاة بمصر، واسمه الكامل: شهاب الدين أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني الشافعي المصري، ولقب العسقلاني نسبة إلى مدينة عسقلان في فلسطين حيث يتحدر منها أجداده.

ولد سنة ٧٧٣هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ، نشأ يتيما فحفظ القرآن صغيرا وتعلم على يد علماء كثر وأهمهم زين الدين العراقي، وسراج الدين البلقيني، وابن الملقن.

له تصانيف ومؤلفات كثيرة بلغت ١٥٠ عنوانا، أشهرها: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، والإصابة في تمييز الصحابة، وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب.

سبب تأليف هذا الكتاب

ذكر الحافظ ابن حجر سبب تأليفه لهذا الكتاب، حيث إنه كثيرا ما وقع بالتتبع على أسماء صحابة لم ترد أسماؤهم في المصنفات الكثيرة التي صنفت في التعريف بالصحابة، وكذلك الكثير من الخطاء وقع فيها من سبقه في الترجمة للصحابة والتعريف بهم، ففكر أن يصنف كتابا جديدا في علم الصحابة يكون أشمل وأوسع من غيره في مجال تمييز الصحابة عن غيرهم، فبدأ بذلك سنة ٨٠٩هـ، وانتهى منه سنة ٨٤٧هـ.

وصف الكتاب ومنهج تأليفه

يقول عبدالفتاح أبو سنة في تقريظ كتاب الإصابة: «كتاب الإصابة من خير الكتب التي ألفت في تاريخ الصحابة رضوان الله عليهم»، فهو كتاب يحتوي على أكبر عدد من تراجم الصحابة، حيث ميز الأشخاص الذين قد يوصفون خطأ بأنهم صحابة، كما وضع ضوابطا للتمييز بين الصحابي وغيره، واستدرك على المؤلفات السابقة المشابهة. وقد امتاز هذا الكتاب بالسعة الزمنية التي يغطيها، فهو يمتد من فترة ما قبل الإسلام إلى مرحلة وفاة آخر صحابي معروف.

ومن ميزات كتاب الإصابة أنه يعتبر كتاب حديث أيضا، حيث يذكر فيه ابن حجر الحديث ويناقش طرق نقله ويحكم على درجة صحته. ومما يميز هذا الكتاب أيضا أنه ينقل عن كتب فقدت ولا يوجد لها نسخ الآن، كما أنه سجل تفاصيل تاريخية وحضارية عن حياة الصحابة وكتابتهم وعلمهم وعن تدوين السنة.

جمع ابن حجر في كتابه هذا ما كتبه من سبقه في علم الصحابة، وأعاد البحث والتنقيب في المراجع القديمة الأولى التي تم تأليفها وتصنيفها فيما يتعلق بسير الصحابة، وتاريخ الرواة، والسير والمغازي، وبذلك جمع عددا من أسماء الصحابة الذين لم يذكروا في مصنفات غيره، واعتمد في منهجية تأليفه للكتاب على ترتيب أسماء الصحابة وفق أحرف المعجم، فيبدأ بحرف الألف أولا، ثم الباء ثم التاء وهكذا، وقسم كل حرف منهم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول خاص بتراجم الذين وردت صحبتهم بطريق الرواية عنهم أو عن غيرهم، مهما كانت الطريق صحيحة أم حسنة أم ضعيفة من الإشارة إلى ذلك.

القسم الثاني ترجمة الصحابة من الأطفال الذين ولدو في عهد النبي لبعض الصحابة وقد مات النبي وهم دون سن التمييز.

القسم الثالث عن أولئك المخضرمين الذين شهدوا الجاهلية والإسلام ولم يرد خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي ولا رأوه.

القسم الرابع والذي تفرد فيه المؤلف عن كل من كان قبله ترجم به أولئك الذين ذكروا في الكتب على سبيل الوهم والغلط وبيان ذلك بالأدلة.

نسخة مجلة «الوعي»

تتزين رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة من هذا الكتاب العظيم النفع، وهو في متناول قرائها الكرام والمهتمين بتراجم الصحابة وسيرهم، وللمهتمين بعلم الرجال والحديث.

المصادر

كتاب الإصابة في تمييز الصحابة.

سير أعلام النبلاء للذهبي.

الأعلام للزركلي.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.



هشام الصباغ
باحث لغوي

المفكر الإسلامي والداعية المربي
البهي الخولي

■ داعية كبير، للمعاني الربانية ذواقة، وللحاسة الروحية متعمق.. كما أنه موجه فاضل، ومربٍّ عظيم؛ يسهر على غرسه وزرعه بتوجيه ديني وإشراق روحي.. وهو في ذلك صافي الذهن، دقيق الفهم، مشرق النفس، قوي الإيمان، عميق اليقين.

■ أُعجب بفكره ورؤاه العلامة أبو الحسن الندوي، وصارا صديقين، وأخذا يتلاقحان الأفكار، لا سيما بعدما عرفه عن قرب حين التقاه عام ١٩٥١م، فوصفه قائلا: «والقلب يمتلئ قوة وحرارة بتأثيره وبتأثير روحه القوية وقلبه الفياض بالحب والإيمان حتى شعرت بنشاط جديد».

■ وهبه الله قوة الفراسة؛ فقد رأى في أحد الشباب قوة في التحصيل، ونباهة في الفهم، وذكاء متقدا، فراسل أحد أصحاب العلم والفضل (وزير الأوقاف المصري سابقا) الشيخ عبدالمنعم النمر، رحمه الله، حين كان مديرا لتحرير مجلة «الوعي الإسلامي»، يوصيه بهذا الشاب قائلا: «وهو شاب متواضع، فارع العلم باهر، إن لم يبذّ شيوخ العلم وفحوله في الأزهر، فلن يقصر عن شأن أعلامهم شأنا».. فكان حدسه صاقا، وفراسته به في محلها.. إذ أصبح هذا الشاب بعد ذلك هو المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر وأول رئيس للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

■ كما حباه الله بمواهب وصفات جعلته في الذروة العليا من العلماء والدعاة؛ فهو عفيف نزيه غير هياب في قولة الحق والصدق.. فإن حاد أحد عن جادة الصواب، سارع بإبداء رأيه بقوة وشجاعة؛ لكنهما مغلفتان بأدب جم، وتواضع، وهضم للنفس، لا يرده في ذلك ذوو سلطان أو أقرب مقربيه وأصدقائه.. ويؤثر عنه، رحمه الله، قوله: «إني أخاف الحديث عن النفس مخافة الخطر الداهم، لأن الله عودني أنه آفة الخذلان والحجاب».. إنه المفكر الإسلامي والداعية الرباني والمربي المجاهد الشيخ البهي الخولي.

النشأة والتعليم

■ من أبناء الريف المصري، فقد ولد الشيخ البهي بن نجا بن إبراهيم الخولي عام ١٣١٧هـ/١٩٠١م، في قرية القرشية، إحدى قرى مركز «السنطة» في محافظة الغربية، لأب من ذوي النعمة واليسار، ولأسرة متدينة محبة للعلم وأهله.

■ وكعادة أهل زمانه تلقى البهي الخولي تعليمه الأولي: ألحقه أبوه بكتّاب القرية ليدرس القرآن وليتعلم الكتابة ومبادئ القراءة والحساب، وبعد أن أتم حفظ القرآن وبلوغ دور الصبا دفع به والده إلى المعهد الأحمدي بمدينة طنطا.

■ بعد أن أنهى دراسته في المعهد، يمم وجهه شطر القاهرة، قاصدا «دار العلوم»، التي تتلمذ فيها على يد نخبة من علماء الدين واللغة أمثال: محمد عبدالمطلب، وعبدالوهاب النجار، وطنطاوي جوهري.

■ وفي «دار العلوم» شغفت كتب العلامة ابن قيم الجوزية، البهي الخولي، وأسرته كتاباته وأفكاره ورؤاه في تزكية النفس وتهذيب الأخلاق وفهم الدين الصافي العميق، فتفتحت مداركه ونضجت مواهبه وتحدد هدفه.

حياته العملية

■ بعد تخرجه في «دار العلوم» عين مدرسا في المعاهد الأزهرية: في طنطا، ثم انتقل إلى أسيوط، ثم إلى القاهرة، ثم عاد مرة أخرى إلى طنطا.

■ بعد عام ١٩٥٢م، عمل مديرا عاما للمساجد بوزارة الأوقاف، ومديرا لتحرير مجلة «منبر الإسلام»، ثم عين مراقبا عاما للشؤون الدينية في وزارة الأوقاف، ثم اختير عضوا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.. كما انتدب للتدريس في الأزهر (كلية أصول الدين) وفي «دار العلوم» وكلية العلوم الاجتماعية.. وغيرها.

تربية الشباب

■ عاش الأستاذ البهي حياته داعية ومربيا ومجاهدا في سبيل الله

تعالى، وكانت تربية أجيال تحمل هم الدين، وإكسابهم أدوات حمل رايته، والذب عن حياضه، والنهوض بالأمة الإسلامية من كبوتها وإيقاظها من سباتها، وإحياء الروح الجهادية في نفوس أبنائها، هاجسه ومشروعه الذي عمل عليه طيلة حياته، فكان أثناء عمله مدرسا، وبما حباه الله من فراسة ونباهة، يصطفي من طلابه ومريديه خيرتهم؛ يدنيهم منه، ويربيهم في مدرسته، ويلقنهم ذوقه وفكره الإسلامي المعتدل، ويأخذهم بعزائم السلوك..

■ يلتقيهم قبيل فجر كل يوم اثنين، في بيته، يصلون الفجر معا، ثم يلتفون في جلسات تربية روحية، يحلقون فيها إلى أجواء ربانية عالية.. فكان من خريجي مدرسته الروحية تلك مربون أفاضل وموجهون مجاهدون وعلماء ربانيون.

إرثه العلمي

■ ترك الأستاذ البهي العديد من المؤلفات؛ دعوية وفكرية وشرعية واجتماعية وترجمات تاريخية، من أبرزها: في الدعوة: «تذكرة الدعاة» و«منهج القرآن في المعرفة» و«الخالقية»، وفي الاقتصاد الإسلامي: «الثروة في ظل الإسلام» و«الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية»، وفي السيرة والتراجم: «من أسرار الفتح» (فتح مكة) و«يوم الفرقان» (غزوة بدر) و«الإمام الممتحن أحمد بن حنبل» و«هدى الإسلام» (بالاشتراك مع آخرين، وقد قررته وزارة التربية والتعليم بمدارسها الابتدائية والإعدادية سنة ١٩٥٦م) و«دراسات فقهية» و«الصيام» و«الحج والعمرة» و«رفيق الحاج»، وفي الاجتماع: «منهاج الإسلام في الزواج والطلاق» و«دراسات حول قضايا المجتمع»، وفي المرأة وشؤونها: «المرأة بين البيت والمجتمع» و«الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة».. وغيرها كثير، فضلا عن مئات المقالات والأبحاث والمحاضرات.

«تذكرة الدعاة»

■ الأستاذ البهي ممن تنبهوا باكرا إلى الكتابة في مفهوم الدعوة وغاياتها وأساليبها، وما يجب أن يكون عليه الداعية، فكتب كتابه الأول «ذكرة الدعاة»؛ باكورة إنتاجه العلمي، وأشهر كتبه، بأسلوب أدبي رائع، ورؤية لم يسبق أحد إلى مثلها في التأصيل والتفصيل والتدليل، مع عمق الفكرة ووضوحها.. وقد طبع الكتاب عدة طبعات.

قضايا المجتمع

■ لم يترك البهي قضية تؤثر سلبا في المجتمع إلا وحاربها وتكلم عنها وكتب حول كيفية معالجتها واجتثاثها من جذورها، ومن ذلك تناوله لقضية الفساد: «إن الفساد حين يكون عاما ترعاه رياسة المجتمع، وتنشط له رغبات أفراده، إنما يعالج بعلاج أسبابه، لا بعلاج ظواهره التي تطفو هنا وهناك، وقد كان محمد النبي ﷺ إبان رسالته يتعبد ليلا عند الكعبة، والأصنام تطل عليه من فوقها بعيونها المنطفئة الكريهة ووجوهها الجامدة وهو قد بُعث بإزالتها، فلم تحدثه نفسه ليلة - وهو خال بها - أن يكسرها أو يزيلها من مكانها، لأنها ظاهرة علّة وليست هي العلّة نفسها، ولذلك جعل وسيلة مواجهة المسؤولين بالبرهان والإقناع، حتى إذا أذعنت النفوس لحكمته والقلوب لحجته تولى ذووها كسرها بأنفسهم».

مساهمته مع «الوعي»

■ للأستاذ الفاضل البهي الخولي، رحمة الله عليه، تسع عشرة مساهمة مع المجلة، جاءت تحت عناوين: «العروبة بين الجاهلية والإسلام، ع٢»، و« الوعي الإسلامي، ع٣»، و«الصيام، ع٩»، و«من عبر الهجرة، ع١٣»، و«من حقائق الدعاء، ع١٧»، و«من أسس قضية المرأة (٨)، ع٢٢ و٢٧ و٣٠ و٣٤ و٣٦ و٣٩ و٤٣ و٥٢»، و«الهجرة بين التفسير المادي والروحي، ع٢٥»، «مثل من شبابنا الأول، ع٤٩»، و«ما هي السماء؟، ع٥٧»، و«في معنى الحضارة، ع٦٥»، و«الإسلام ومنهج المعرفة، ع٦٦». و«القرآن ومنهج المعرفة: النظرة والتكوين، ع٧٠».

وفاته

■ بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال في الدعوة إلى الله، وتربية الأجيال، والإنتاج العلمي، وافاه الأجل المحتوم في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٧م، عن ست وسبعين عاما، وقد أوصى أولاده ألا ينشروا نعيه، فمضى إلى ربه دون أن يعلم كثير من عارفيه بوفاته.

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- رابطة أدباء الشام.
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٤- موقع: عيون.
٥- الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين (منتدى العلماء).

إعداد / تركي محمد النصر

طبعت على كدر

قال العلامة الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي رحمه الله: «إن هذه الحياة بصنوف الشقاء، وأنواع الآلام، والتي لا يفيق المرء فيها من غمرة إلا إلى غمرة، ولا يئل من عثرة إلا إلى عثرة؛ لا يعين عليها إلا عقيدة راسخة، يلوذ بها الحائر كلما عثرت خطواته، وتداركت عثراته، ويستروح من أعطافها رائحة الجنة، كلما ضاق ذرعه باحتمال جحيم العذاب».

(انظر: الحديقة لمحب الدين الخطيب: ٣/١٥٤١)

غيبة صاحب الهوى

قال العلامة ابن حزم رحمه الله: «لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون».

(انظر: الأخلاق والسير: ص/٢٢)

من عجائب الرؤى

ذكر الخطيب البغدادي رحمه الله في تاريخه: «أن أبا حنيفة رأى في المنام كأنه ينبش قبر النبي ﷺ، فبعث من سأل له محمد بن سيرين، فقال محمد بن سيرين: من صاحب هذه الرؤيا؟ ولم يجبه عنها.. فقال: صاحب هذه الرؤيا يثور علما لم يسبقه إليه أحد قبله».

(انظر: تاريخ بغداد: ١٥/٤٥٩)

من خير الدعاء

قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني، عود لسانك: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلا».

(انظر: كلام الليالي لابن أبي الدنيا: ص/١٦)

لا تأخذ العلم نتفا

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «احرص على التركيز والثبات بحيث لا تأخذ العلم نتفا: من هذا شيئا ومن هذا شيئا؛ لأن هذا يضيع وقتك ويشتت ذهنك».

(انظر: العلم لابن عثيمين: ١/٩٠)

نصيحة لقارئ القرآن

قال العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى: «وأنصح لك أيها التالي للقرآن في الصلاة وفي غير الصلاة، أن تقرأه على مكث وتمهل، بخشوع وتدبر، وأن تقف على رؤوس الآيات، وتعطي القراءة حقها من التجويد والنغمات، مع اجتناب التكلف والتطريب، واتقاء الاشتغال بالألفاظ عن المعاني، فإن قراءة آية واحدة مع التدبر والخشوع، خير لك من قراءة ختمة مع الغفلة».

(انظر: تفسير المنار: ١/٨٧)

مشاركة: يعقوب الجناع

الرؤيا الحسنة

قال العلامة ابن رجب رحمه الله تعالى: «إن رأى رؤيا تسره فإنه يقصها على أصحابه وإخوانه والمحبين له، ولا سيما إن تضمنت رؤياه بشارة لهم، وتعليما لما ينفعهم، وقد كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر يقول لأصحابه: من رأى منكم الليلة رؤيا؟».

(انظر: شرح حديث اختصام الملأ الأعلى: ١/ ٣٩)

جانب أهل المنكر والفواحش

قال العلامة الزاهد ابن شيخ الحزاميين رحمه الله تعالى: «عليك بمفارقة الإخوان والبطالين الذين يخوضون كثيرا في قيل وقال، وجانب أهل المنكر والفواحش الذين لا همة لهم في التقوى، ولا يظهر عليهم أثر مخافة الله تعالى، واهرب من هؤلاء كفرارك من الأسد، وحاسنهم في السلام والكلام، كما قال تعالى: ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ (المزمل:١٠)، وعليك بصحبة أهل التقوى والورع في الكلام، والمأكل والملبس، وأهل الأخلاق المرضية.. وقليل ما هم».

(انظر: مفاتيح طريق الأولياء وأهل الكمال من العلماء: ص/ ٣٤)

من درر العلامة الزاهد يحيى بن معاذ رحمه الله

من درر العلامة العابد الزاهد يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي النيسابوري المتوفى سنة: (٢٥٨هـ) رحمه الله تعالى:

❖ الكلام حسن، وأحسن من الحسن معناه، وأحسن من معناه استعماله، وأحسن من استعماله ثوابه، وأحسن من ثوابه رضا من يعمل له.

❖ إلهي: حجتي حاجتي، وعدتي فاقتي، وسيلتي إليك نعمتك علي، وشفيعي إليك إحسانك إلي.

❖ علامة التائب إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همة.

❖ اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان ويهرب منك بالقلوب، يا أكرم الأشياء علينا لا تجعلنا أهون الأشياء عليك.

(انظر: صفة الصفوة: ٢/ ٢٩٢)

خطورة استسهال الذنوب

قال العلامة ابن حزم رحمه الله تعالى: «لا تمثل بين نفسك وبين من هو أكثر عيوبا منها؛ فتستسهل الرذائل وتكون مقلدا لأهل الشر، وقد ذم تقليد أهل الخير، فكيف تقليد أهل الشر!».

(انظر: رسائل ابن حزم: ١/ ٣٨٧)

من أحوال الصالحين

كان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول: «إن خطيئة تغم قلب صاحبها لمباركة، إنما البلاء من يعصي ولا يغتم، وما عمل داود قط عملا كان أنفع له من خطيئته، ما زال خائفا منها هاربا حتى لحق بربه!».

(انظر: ربيع الأبرار: ٢/ ١١٥)



إعداد: التحرير



لا للتأخير!!

من الظواهر المتفشية في أوساط كثير من الناس، الصغار والكبار على حد سواء، التأخر في الوصول إلى الأماكن المطلوب الوصول إليها في أوقات محددة كالتأخر في الوصول إلى المدرسة والجامعة وقاعات الامتحانات وصالة السفر، وأماكن العمل، مما يترتب على ذلك أضرار لا يمكن تعويضها، كفوات امتحان أو سفر، الأمر الذي يفرض علينا الاستعداد مسبقا وأخذ الأهبة والاستعداد وحساب الوقت بدقة لنصل إلى الأماكن المطلوب الوصول إليها في الأوقات المحددة، خاصة وأن ديننا الحنيف يعلمنا ذلك، فكثير من العبادات تؤدى في أوقات محددة، فالصلوات الخمسة لها أوقاتها المحددة، والصوم يكون من آذان الفجر حتى آذان المغرب، والزكاة تجب وفقا لشروطها كل عام هجري، وكذلك مناسك الحج، فيوم عرفة يوم التاسع من ذي الحجة، والمبيت بمزدلفة، وأيام التشريق، وكذلك العيدان لهما موعد محدد، وهكذا كله، أن نؤدي الأعمال في أوقاتها المحددة دون تأخير حفاظا على الوقت والالتزام، ومنعا للأضرار التي قد تترتب على التأخير أليس كذلك؟!.

د. محمد عباس عرابي



أول غزوة في الإسلام

هي غزوة الأبواء، ويقال لها غزوة ودان أيضا، والأبواء وودان موضعان بين مكة والمدينة، وخرج فيها الرسول ﷺ في شهر صفر بعد اثني عشر شهرا من الهجرة إلى المدينة على رأس ستين راكبا من المهاجرين يريد عيرا لقريش وبني ضمرة، ولما وصل إلى ديار بني ضمرة وادعته هذه القبيلة أي عقدت معه صلحا، وكانت المصالحة بينه وبين سيدهم مخشي بن عمرو الضمري على أنهم لا يغيرون ولا يعينون عليه عدوا، وأن لهم النصر على من رماهم بسوء، وأنه إذا دعاهم لنصر أجابوه، وكتب بذلك كتابا، ولم يلق الرسول ﷺ عير قريش، ولم يحدث قتال، ورجع إلى المدينة. وكان لواء الرسول ﷺ أبيض وكان يحمله عمه حمزة بن عبدالمطلب، وعندما خرج الرسول ﷺ من المدينة كان قد استخلف عليها سعد بن عبادة. قال ابن هشام صاحب كتاب السيرة النبوية: وهي أول غزوة غزاها.

حسن عثمان حسن



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com



الإنسان بين الخير والشر

اقتضت حكمة الله عزوجل وجود الزوجية والثنائية في الكون وفي المخلوقات، فهناك الصغير والكبير، والذرة والمجرة، والموت والحياة، والليل والنهار، والجنة والنار، وهذه الحكمة متجسدة في خلق الإنسان، فهناك المؤمن والكافر، والطائع والعاصي، واللين والقاسي.

والله عزوجل أودع في نفس الإنسان نوازع الخير والشر، وهذا هو أصل الاختبار والابتلاء في الدنيا، يقول الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس:٧-١٠).

ويقول الله عز وجل: ﴿وهديناه النجدين﴾. (البلد:١٠).

ووجود نوازع الخير والشر في الإنسان نراه في التدافع بين الناس أفرادا وجماعات، ولولا هذا التدافع لفسدت الأرض، يقول الله عزوجل: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. (البقرة:٢٥١).

ويقول الله عزوجل: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء:٧٩).

إذن فوجود نوازع الخير والشر في نفس الإنسان والاستعداد الفطري للميل لأحدهما هو جوهر الابتلاء والاختبار للإنسان في هذه الحياة، والتقوى تتحقق من خلال سعي الإنسان وجهاده لإظهار جوانب الخير في النفس الإنسانية وكبح جماح النوازع الشريرة فيها، وهو ما يسمى بجهاد النفس الذي يبلغ به العبد المراتب والدرجات العليا عند الله عزوجل.

محمد إبراهيم خاطر



ذو القعدة من الأشهر الحرم

شهر ذي القعدة من الأشهر الحرم التي تضاعف فيها الأجور ويعظم فيها الثواب، وكما تضاعف الأجور في الشهر الحرام كذلك تغلظ فيه الآثام، فعن قتادة قال: إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم في سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، ولكن الله يعظم في أمره ما يشاء.

وقال القرطبي رحمه الله: لا تظلموا فيهن أنفسكم بارتكاب الذنوب، لأن الله سبحانه إذا عظم شيئاً من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظمه من جهتين أو جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيء، كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح.

باسم محمد خليفة

مسك الختام

الأخلاق وتجديد الخطاب الديني

المتأمل في فحوى الرسالة الإسلامية وغايتها يجدها قامت على أمرين اثنين، وجعلتهما أساس قبول العبد عند الله؛ وهما لدين العبد كجناحي الطائر الذي لا يطير بواحد دون الآخر والأمر الأول: عبادة الله تعالى وحده بما شرع. والثاني: الإحسان إلى خلق الله عزوجل.

والجناح الأول الخاص بدين العبد المسلم؛ هو أن يعبد الله وحده دون شرك أو رياء بما شرعه على لسان رسول الله ﷺ دون ابتداع زيادة أو نقصان، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ (الكهف:١١٠)، فالشطر الأول لهذا الجناح هو الإخلاص في العبادة، وقد روي في سبب نزول هذه الآية أن «رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله! إني أحب الجهاد في سبيل الله، وأحب أن يرى موطني، ويرى مكاني، فأنزل الله هذه الآية» (رواه الحاكم)، وروى أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، يرويه عن ربه عزوجل، أنه قال: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك»، فمن دخل الشرك الخفي في نيته وقصده فلا أثر لعمله، ولا قبول له. أما الشطر الثاني لهذا الجناح؛ فهو أن يكون العمل موافقا لما جاء به الشرع من قرآن وسنة، وهذا ما دل عليه قوله عزوجل: (فليعمل عملا صالحا)، ولا يكون العمل صالحا إلا إذا كان متبعا لمنهج نبينا ﷺ من واجب ومستحب، فعن السيدة عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (متفق عليه).

أما الجناح الثاني لدين العبد فهو الإحسان لخلق الله تعالى؛ بأن تقوم بحقوقهم الواجبة عليك تجاههم، قال ابن رجب: «والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك كله»، فهو للوالدين ببرهما بالمعروف، وطاعتهما في غير معصية الله، والدعاء والاستغفار لهما، وهو للأقارب ببرهم، وفعل ما يجمل معهم، وترك ما يسيء إليهم، وهو لليتامى بصيانة حقوقهم، وتربيتهم بالحسنى، وهو للمساكين بسد جوعهم، وإيصال النفع إليهم بما يستطيع، وهو لابن السبيل بقضاء حاجته، ورعاية ماله، وصيانة كرامته، وهو للخادم بإتيانه أجره، وبعدم تكليفه بما لا يطيق، وهو لعموم الناس بإيصال النفع إليهم، وكف الأذى عنهم، وهو للحيوان بإطعامه إن جاع، ومداواته إن مرض، وبعدم تكليفه ما لا يطيق. وأما المستحب منه فهو القدر الزائد على الواجب من بذل نفع بدني، أو مالي، أو علمي، أو توجيه لخير ديني، أو مصلحة دنيوية، فكل معروف صدقة، وكل ما أدخل السرور على الخلق صدقة، وكل ما أزال عنهم ما يكرهون، ودفع عنهم ما لا يرتضون من قليل أو كثير، فهو صدقة.

د. عمرو الكمار
باحث في أصول الدين

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي



مصارفنا الوقفية

عموم الخيرات

المساجد

رعاية القرآن الكريم والسنة النبوية

الرعاية الصحية

رعاية العلم والمبدعين

الكسوة

الأفراد

الحج والعمرة

تسبيل المياه

الإطعام

التنمية المجتمعية

الصدقات

التعاون الإسلامي

كفالة اليتيم

الدعوة والإغاثة

رعاية ذوي الإحتياجات الخاصة

الأمانة العامة للأوقاف - الدسمة - قطعة 6 - شارع حمود الرقبة

مباشر: 22532673 - بدالة: 1804777- داخلي: 7777 - 7771 99250992

بدالة استقبال الواقفين: 22583822 q8apf www.awqaf.org.kw

العدد (٦٧٦) ذو الحجة ١٤٤٢ هـ - يوليو/أغسطس ٢٠٢١م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية جامعة

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

الحجُّ في زمن كورونا

البيئة الآمنة رُقِيٌّ والتزام

الإسلام دِينُ التكامل

مجلة الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي










الجمعُ بين وقفي هلال والخصَّاف

إصدارٌ علميٌّ نفيسٌ، يتناولُ بابًا مُهمًا من أبواب الفقه الإسلاميِّ، وهو باب (الوقف)، وتأتي أهميته من كونه يجمعُ بين كتابين أصيلين في مجال الوقف، وهو من إصدارات إدارة المعلومات والتوثيق في الأمانة العامة للأوقاف، ضمن مشروعها الرائد في تحقيق المخطوطات الوقفيَّة، أحد مشاريع الدول المنسِّقة لجهود الدول الإسلاميَّة في مجال العمل الوقفي، والإصدار بدراسة وتحقيق الدكتور تركي محمد حامد النصر، باحث الدراسات الإسلامية بمجلة «الوعي الإسلامي».



فهد محمد الخزي
رئيس التحرير

الحج في زمن الأوبئة

ما زالت أفئدة المحبين تهوي إلى البيت العتيق في مكة المكرمة، تهوي إلى البيت الشامخ الراسخ، البيت الذي تظهر من بين جنباته معان عظيمة، فالشرع عندما منع الحاج والمعتمر عما حرمه الله عليه حال النسك، إنما كان هذا الأمر ليرسخ في أفئدتهم مبدأ الوقوف عند حدود الله، والسمع والطاعة له فيما أباح وفيما حرم أثناء النسك وقبلها وبعدها، لا يجادلون في حرمة ذلك، ويتلقونه بعين الرضا، والتعبد للواحد القهار الذي منعهم من مزاولة وملابسة ما نهاهم عنه، فيدركون أن الحكم لله وحده، والأمر لله وحده، وأنه لا معبود بحق إلا الله، وبمثل هذا تصقل النفوس المؤمنة، وتجدد الولاء لربها؛ فتصفو العقيدة ويخلص التوحيد، وتجتنب الكبائر، وتكفر الذنوب.

إن الأصل الأصيل الذي شرع من أجله هذا الركن العظيم من أركان الإسلام هو توحيد الله جل وعلا، وإفراده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فأصوات الحجيج لا تنقطع بالتلبية، لها هدير يسر السامعين بعجه وثجه، فهو دائم في القيام والقعود والمشي والركوب، والاضطجاع والنزول والسير، وفي أدبار الصلوات، في الليل والنهار، وعند الأسحار.

أما في السنتين الأخيرتين، وبعد أن شهد العالم كله تغيرا في نمط الحياة، وباتت الدنيا بأسرها تلبس ثوبا غير الثوب الذي اعتادته عيون الناس، وتعيش نمطا غير النمط الذي ألفته النفوس، بسبب انتشار وباء كورونا الذي تغيرت بسببه عادات الناس وحتى طريقة عبادتهم، فأغلب المسلمين كانوا ينتظرون شد الرحال إلى البيت العتيق في هذا العام، ولكن قدر الله وما شاء فعل، فالظروف الصحية للبلاد والعباد ما زالت غير مستقرة، وإنا إن شاء الله على العهد مع رب البيت ماضون، فإن المسلم وإن كان لا يستطيع أن يشد الرحال إلى بلد البيت العتيق، فإنه لا محالة قادر على القيام بالأعمال الصالحات التي يسمو بها إلى درجة الأنبياء والصالحين، وهو لا محالة قادر على هجر المحرمات والمنكرات التي تغضب رب البيت العتيق.

لاشك بأن الشوق إلى تلكم الديار الطاهرة لا ينقطع، فالأفئدة ما زالت تهوي إليها، وإلى الطمأنينة التي تجدها النفس في رحاب المسجد النبوي، لا غرو فإن الأولى حرمها نبي الله إبراهيم عليه السلام، والثانية حرمها نبينا ﷺ، كما صح عند البخاري: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة».

وختاما، ونحن نعيش في إجازة نهاية العام، فإنه يجب علينا أن نقيم شعائر الله حيث ما كنا، فالمسلم صالح مصلح في كل حالاته، يدعو إلى دين ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، لا يفرغ من عمل نافع إلا ويعد العدة لعمل غيره، متمثلا بذلك قول الله عزوجل في خطابه لنبيه ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ (الشرح:٧-٨).

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت
العدد ٦٧٦/ ذو الحجة ١٤٤٢ هـ
العام الثامن والخمسون
يوليو / أغسطس ٢٠٢١م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد



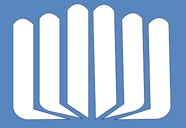
التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٥ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: ٢دينار تونسي، فلسطين: دينار أردني ، CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND



المحتويات



كلمة العدد

الحج فريضة العمر

تهفو القلوب إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الله في مثل هذا الوقت من كل عام، استجابة لأمر الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧)، وتلبية لنداء الخليل إبراهيم، عليه السلام، حين أمره الله أن ينادي في الناس بالحج: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٧).

واليوم وقد حال الوباء والظروف الصحية بين الناس وبين أداء هذه الفريضة وإقامة هذه الشعيرة وري القلوب الظمآنة والنفوس العطشى من معين هذه الأماكن المقدسة، فهل من بديل يقوم به المسلم ليلحق بركب السابقين ممن أدوا الفريضة ويحصل له من الأجر والثواب مثل ما حصلوا.

إن المسلم بنيته الصادقة يدرك أجر ما يحال بينه وبين إقامته، فمن جهز نفسه وماله وأعد عدته للحج في هذا العام ولم يستطع، فليدفع هذا المال إلى من يحتاج إليه، وليسد به أفواها جائعة، وليملأ به بطونا خاوية، فهذا خير له من حج النافلة، فقد قصد عبدالله بن المبارك الحج فمر على أهل بيت قتلهم الجوع وألجأهم إلى أكل الميتة فدفع إليهم نفقة الحج، وقال: هذا أفضل من حجنا في هذا العام.

إن أبواب الخير كثيرة فإذا أغلق منها باب فغيره موجود، وصاحب النية الصادقة والعزيمة القوية لا يحول بينه وبين فعل الخير حائل، ولا يمنعه من ذلك مانع.

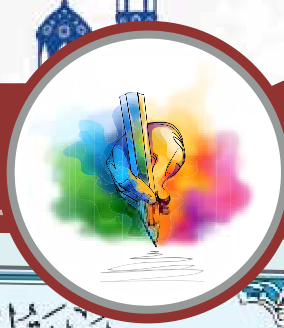
التحرير

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

• باقي دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك بإسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عنوان مجلة الوعي الإسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



د. عبدالناصر سلامة
باحث دراسات إسلامية

سُورَةُ المُدَّثِّر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤
وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧ فَإِذَا نُقِرَ
فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠
ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ
شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ
كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨

آداب الدعوة إلى الله من خلال سورة المدثر

يقول الله تعالى في مطلع سورة المدثر مخاطبا النبي الكريم ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ (المدثر: ١-٧).

تكاد تجمع كلمة العلماء أن هذه الآيات من صدر سورة المدثر هي ثاني ما نزل على النبي ﷺ بعد آيات سورة اقرأ (العلق)، وأنها نزلت تأمره ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى بعدما أعلمته آيات اقرأ بنبوته.

وكون هذه الآيات نزلت لهذا الغرض يجعلنا نترقب أن تكون متضمنة لجماع آداب الدعوة إلى الله تعالى؛ باعتبار أنها موجهة لإعداد شخصية أعظم داعية لله على الإطلاق، والذي سيكون الأسوة والمرجع في هذا الشأن لمن معه، ثم لمن بعده

إلى قيام الساعة.

وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن نستخلص من هذه الآيات بعض ما تجلى فيها من تلك الآداب الموصى بها، مع التنبيه على عبارة «بعض»؛ إذ لو رام المتأمل استخلاص غيرها لتحقق له قصده، وحسبنا في هذا المقام ما سنذكره:

التزود بالعلم والفقه

وهذا المعنى نستفيده من ترتيب نزول هذه الآيات على رسول الله ﷺ؛ إذ إن نزولها كان عقب نزول آيات ﴿اقرأ﴾ كما قدمنا ذكره، وهي آيات آمرة بالعلم كما لا يخفى، مما يدل دلالة قوية على ضرورة العلم والفقه قبل ممارسة الدعوة، وهو ما يؤكده قول الله تعالى أيضا: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢)، حيث إن الله تعالى حث في هذه الآية على التفقه في الدين قبل القيام بأمر الإنذار والتبيين.

كما أن العلماء قد وضعوا قاعدة تقول: إن العلم قبل القول والعمل، كما بوب بذلك البخاري في صحيحه في كتاب العلم منه، ومعلوم أن الدعوة جزء من العمل الذي لا يقوم بدون علم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦).

الرحمة والليونة

وهذا المعنى نستمده من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، حيث يقول الإمام القرطبي في تفسير الآية: «وفي الآية ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد، ويا فلان، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه، ومثله قول النبي ﷺ لعلي إذ نام في المسجد: «قم أبا تراب»..

وقوله ﷺ لحذيفة بن اليمان ليلة الخندق: قم يا نومان»[١]. ففي هذه الآية الجليلة إرشاد النبي ﷺ إلى أن إظهار الرحمة والشفقة، والبعد عن الغلظة والفظاظة، هو من أهم ما تفتح به القلوب المغلقة.

وهذا الأدب من أهم مستلزمات الدعوة الناجحة، ولذلك أوصى الله تعالى به كليمه موسى وأخاه هارون عليهما السلام حين أرسلهما إلى فرعون فقال لهما: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه: ٤٣-٤٤)، إذ من شأن الملاينة والملاطفة استمالة القلوب ولو كانت قاسية.

ويكفي لمعرفة صدق هذا المعنى الذي ذكرناه أن نقرأ قول الله تعالى في آل عمران واصفا خلق النبي الكريم ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾، فهذه الآية تكشف لنا أن السبب وراء الحب العجيب الذي لقيه ﷺ من صحابته الكرام، والذي لم يعرف له نظير في يوم من الأيام، هو ليونته ﷺ معهم ورحمته بهم، وأنه لولا ذلك لنفروا منه وانفضوا عنه رغم نبوته.

العزم والجد والتصميم

وهذا المعنى نستفيده من قوله تعالى: ﴿قُمْ﴾، في قوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾، قال أبوحيان في تفسير الآية: «أي قم قيام تصميم وجد»[٢]. والمعنى أن الأمر بالقيام هنا هو أمر بترك الراحة والنوم والهناء بنعيم الدنيا إلى الحزم والعزم والجد في الدعوة إلى الله تعالى؛ فطريق الدعوة طريق شاق، ومسالكه صعبة، ولا يقدر عليه إلا صاحب عزيمة وإرادة صلبة، ولذلك وجدنا رسول الله ﷺ دائم التعوذ من العجز والكسل، كما هو ثابت عنه في صحيح النقل.

الاستعانة بالله وتعظيمه واستصحاب ذكره

وهذا المعنى نستفيده من قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، وهو أمر صريح من الله لرسوله ﷺ بأن يعظمه وينزهه، ويكثر من ذكره، ويستصحب ذلك في كل أوقاته، وذلك حتى ينال عونه وتوفيقه، كما قال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة:١٥٢)، وكما في الحديث الصحيح: «أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه»[٣]، أي أنا معه معية حفظ ورعاية.

ويؤكد على ضرورة استصحاب ذكر الله عند الدعوة إليه قوله تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ (طه:٤٢)، فطلب منهما أن

يلزما ذكره سبحانه ولا يضعفا عن ذلك، خاصة أنهما مقبلان على دعوة طاغية شقي لا يتوانى في إيذاء من يخالفه ويعصيه، ولذلك: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ (طه:٤٥)، وكذلك هي طريق الدعوة إلى الله مليئة بأسباب الخوف والأذى، ولا سبيل للنجاة من ذلك وإراحة القلوب منه إلا بإدامة ذكره سبحانه تعالى، مصداقا لقوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨).

الدعوة دون مداهنة في الحق

وهذا المعنى نستفيده كذلك من الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾، إذ إنها مشتملة على التكبير الاعتقادي، إلى جانب التكبير القولي الظاهر، ومعنى ذلك أن يعتقد أن الله أعظم وأجل وأكبر مما سواه كائنا من كان. وفي هذا يقول صاحب صفوة التفاسير: «وإنما ذكرت هذه الجملة بعد الأمر بالإنذار تنبيها للنبي ﷺ على عدم الاكتراث بالكفار، فإن نواصي الخلائق بيد الجبار، فلا ينبغي أن يبالي الرسول ﷺ بأحد من الخلق ولا أن يرهب سوى الله، فإن كل كبير مقهور تحت عظمته تعالى وكبريائه»[٤].

ويؤيد هذا المعنى أيضا ما جاء في الحديث الشريف: «إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٥].

طهارة القلب وتزكية النفس

وهذا المعنى نستفيده من قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾، فقد ذكر الإمام القرطبي في تفسيره أن في هذه الآية ثمانية أقوال، ذكر منها أن المراد بالثياب القلب، أي: طهر قلبك ونيتك من الصفات الذميمة، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير. وقريب منه أيضا أن المراد طهارة النفس من الذنوب والمعاصي، وهو قول مجاهد[٦]. والقولان معا يفيدان أن الرسول ﷺ قد أمر بتطهير باطنه وتزكية نفسه من كل الصفات الذميمة التي قد تعلق بالقلب، كالرياء والحسد، والكبر، والعجب، والبغض في غير الله عزوجل.

ومما لا شك فيه أن الإنسان مأمور بإصلاح نفسه وتزكيتها قبل إصلاح غيره، كما يدل عليه قول الله تعالى مخاطبا بني إسرائيل: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (البقرة:٤٤)، فدل على أن من صفات الرشد وتمام العقل أن يبدأ الإنسان بإصلاح نفسه أولا، وما أحسن قول أبي العتاهية:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبدا وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى
بالعلم منك وينفع التعليم

طهارة الثياب والبدن والظاهر

وهذا المعنى نستفيده كذلك من الآية السابقة، إذ من معانيها الظاهرة الحث على تطهير الثياب والملابس من النجاسات والمستقذرات. قال ابن زيد: «كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر، وأن يطهر ثيابه»[٧].

التخلق بالأخلاق الرفيعة

وهذا المعنى يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾، فالرجز هنا، وإن حمله جمهور المفسرين على الأوثان والأصنام، إلا أنه يشمل أيضا كل فعل قبيح مستقذر، كما قال الفخر الرازي: «وقوله: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ كلام جامع لمكارم الأخلاق، كأنه قيل له: اهجر الجفاء، والسفه، وكل قبيح، ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين»[٨].

الأدب التاسع: التواضع وترك العجب:

وهذا المعنى نستمده من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾، فقد ذكر الإمام القرطبي أن في الآية أحد عشر تأويلا، من أظهرها أن المراد: لا تمنن على الله بأعمالك، فتستكثرها عليه، ولكن اعلم أن ما حصل لك من توفيق وسداد إنما هو منة من الله عليك ليس لك فيه شيء[٩].

ففي الآية إرشاد للنبي ﷺ وأمته بلزوم التواضع وهضم حق النفس وإرجاع كل نجاح وتوفيق إلى الله تعالى، لاسيما إذا كثر الأتباع، وبلغت الشهرة الأسماع.

عدم التوسل بالدعوة لطلب الدنيا

وهذا المعنى نستفيده كذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾، حيث ذهب جماعة من المفسرين إلى أن المراد النهي عن استعمال النبوة والقرآن وسيلة للحصول على الأجر والمقابل من الناس[١٠]. فمقام الدعوة إلى الله تعالى أرفع من أن يطلب به متاع زائل، ولذلك جعل الله تعالى من علامات صدق المرسلين في دعوتهم لأقوامهم، تجردهم من هذا العمل الخسيس، كما يفهم ذلك من قوله تعالى على لسان الرجل الصالح من قوم موسى عليه السلام: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ (يس:٢٠-٢١)، حيث جعل من عدم سؤال المرسلين قومهم أجر دعوتهم دليلا كافيا على صدقهم وإخلاصهم في ذلك.

الصبر على تحمل المشاق

وهذا المعنى نستفيده من قوله تعالى ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾، حيث أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر، وعدم الجزع والسخط؛ فبدون الصبر لا يتحقق نصر، ولا يظفر بمطلوب، كما يدل عليه قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٢٥٠)، حيث سألوا الله تعالى الصبر والثبات قبل أن يسألوه النصر، لأنه لا يتحقق إلا بهما. ولذلك كرر الله تعالى مطالبة نبيه ﷺ بالصبر على أذى الناس في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف:٣٥)، وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ (ق:٣٩)، وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

فإن كان هناك من خلق يتأكد على الداعي الاهتمام به فهو الصبر بلا شك.

الإخلاص لله

وهذا المعنى نستمده من الآية السابقة أيضا، حيث قدم الله تعالى الجار والمجرور ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ على فعل الأمر ﴿فَٱصْبِرْ﴾ ليفيد الاختصاص؛ أي ليكن صبرك على مشاق الدعوة خالصا لوجه الله تعالى، كما قال الإمام مجاهد[١١].

ولا شك أن الإخلاص مأمور به في جميع الأعمال والطاعات لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (البينة:٥)، والدعوة إلى الله تعالى من أجل الأعمال التي يتأكد فيها الإخلاص، فعلى قدر وجوده يكون التوفيق من الله.

فهذه جملة آداب تجلت في هذه الآيات السبع من سورة المدثر، وهي تمثل سرا من أسرار نجاح الدعوة النبوية؛ بحكم أن النبي ﷺ قد امتثل ما فيها قطعا، وأنزلها في حياته خير تنزيل، كما يدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن»[١٢]، كما أن سنته وسيرته ﷺ شاهدتان على هذه المعاني كلها.

وبالتالي يمكن القول: إن هذه الآيات تعد منهجا ربانيا موضوعا للدعاة إلى الله تعالى، من أجل أن يستنيروا بأنوارها وهم يسيرون في هذا السبيل الشاق الطويل، محققين قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف:١٠٨). والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢١ ص٣٥٧.
٢- ينظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج٨ ص٣٦٢.
٣- صحيح البخاري معلقا بصيغة الجزم، ومسند أحمد برقم: ١٠٩٦٨.
٤- صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني، ج٣ ص٤٥٣.
٥- سنن أبي داود برقم: ٤٣٤٤، والترمذي برقم: ٢١٧٤ وحسنه، وصححه الشيخ الألباني.
٦- ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢١ ص٣٥٩.
٧- ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٨ ص٢٦٣.
٨- ينظر صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني، ج٣ ص٤٥٤.
٩- ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢١ ص٣٦٦.
١٠- ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢١ ص٣٦٧.
١١- ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٨ ص٢٦٤.
١٢- صحيح مسلم برقم: ٧٤٦.



د. بديع السيد اللحام
أستاذ الحديث بكلية الشريعة
جامعة دمشق

تدوين الحديث النبوي في عصره الذهبي

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (الحشر:٧)، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد ﷺ القائل: «ما نهيتكم عنه، فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم».

وبعد:

فلا يخفى على المتتبع للحركة العلمية في تاريخنا الإسلامي تلك الجهود العظيمة التي قام بها الصحابة رضوان الله عليهم بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فقد أدوا الأمانة بتبليغ الرسالة على خير وجه امتثالا لأمره ﷺ: «بلغوا عني...»، فقد توزع أولئك الكرام في الأمصار يدعون إلى الدين القويم على بصيرة فهاهو معاذ بن جبل في الشام، وعبدالله بن مسعود في الكوفة، وعبدالله بن عمرو في مصر، وأنس بن مالك في البصرة... وغيرهم المئات من الصحب الكرام دخلوا هذه البلاد وغيرها من الأمصار معلمين لكتاب الله تعالى وراوين لحديث رسول الله ﷺ.

ولقد وفق الله تعالى سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى جمع القرآن الكريم بين دفتي المصحف، وجاء من بعده سيدنا عثمان بن عفان فنسخ نسخا متعددة لكتاب الله تعالى وزعها على الأمصار، لتكون المرجع عند الاختلاف.

أما بالنسبة للحديث النبوي الشريف فقد اعتمد الصحابة على روايته شفاها في الأعم الأغلب إلا ما ورد عن بعضهم أنه كانت لديه صحف قد كتبها يحدث منها، واشتهر من بين تلك الصحف على سبيل المثال (الصحيفة الصادقة) لعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وقد روى مجاهد، عن عبدالله ابن عمرو أنه قال: «ما آسى على شيء إلا على الصادقة والوهط» وكانت الصادقة صحيفة إذا سمع من النبي شيئا كتبه فيها، والوهط أرض كان جعلها صدقة. وكان لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه صحيفة يحتفظ بها في قراب سيفه، تتضمن بعض الأحكام عن رسول الله ﷺ، روى البخاري عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر»[١].

ومثلها صحيفة جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، كما جمع سيدنا سعد بن عبادة رضي الله عنه صحيفة رواها عنه ابنه[٢].

كما قام عدد من التابعين بجمع صحف ونسخ حديثية، منها (الصحيفة الصحيحة) التي جمع فيها همام ابن منبه[٣] مروياته عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه[٤]. وغير ذلك من النسخ والصحف[٥].

التدوين الرسمي للحديث

على الرغم مما تقدم من وجود تلك الصحف والنسخ الحديثية إلا أن السمة الشائعة لتلك المرحلة هي

الرواية الشفاهية -كما تقدم- إلى أن أفضت الخلافة إلى عمر بن عبدالعزيز (مجدد المئة الثانية) إذ رأى أن يطلب من علماء الأمة وحفاظ الحديث جمع أحاديث النبي ﷺ، فأرسل إلى عماله على الأمصار كتبا يأمر كل عامل منهم بجمع ما يرويه حفاظ الحديث في مصره، وأذكر في هذا السياق أنموذجا من تلك الرسائل، وهي رسالته إلى أبي بكر بن حزم الحزمي -عامله على المدينة المنورة- فقد جاء فيها: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عمرة[٦] فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء»[٧]، وهكذا بدأ تدوين الحديث يشيع ويتسع. قال الحافظ ابن حجر في مقدمة (فتح الباري): «إن آثار النبي ﷺ لم تكن في عصر الصحابة وكبار التابعين مدونة في الجوامع، ولا مرتبة لأمرين:

أحدهما: أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم[٨] خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم.

وثانيهما: لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم؛ ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار».

وقد كان من أوائل من جمع الحديث في هذا العصر من الأئمة -امتثالا لطلب الخليفة عمر بن عبدالعزيز- ابن شهاب الزهري (ت:١٢٤هـ) فقد روي عنه أنه قال: «أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترا دفترا، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا»[٩]. وممن جمع الحديث في صحف أيضا ابن جريج (ت:١٥٠هـ) الذي كان يقول: «ما دون العلم تدويني أحد»[١٠]، وهو أول من صنف الحديث بمكة[١١]. ومن أولئك الذين سبقوا في هذا المضمار أيضا ابن إسحاق صاحب المغازي (ت:١٥١هـ)، وكان بحرا في العلم حبرا في معرفة أيام النبي ﷺ، كما قال الإمام الذهبي.

وتبع هؤلاء أتباع التابعين الذين تصدروا لجمع الحديث مرتبا على الأبواب، وفي مقدمتهم الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت:١٧٩هـ)، إمام دار الهجرة، الذي صنف (الموطأ) بإشارة من الخليفة العباسي، والإمام عبدالله بن المبارك (ت:١٨١هـ) وهو أول من صنف الحديث بخراسان، وفي اليمن صنف معمر بن راشد الصنعاني (ت:١٥٤هـ). وفي الشام إمام أهلها الإمام الأوزاعي (ت:١٥٨هـ)، وفي الكوفة الإمام سفيان بن سعيد الثوري (ت:١٦١هـ)، وحماد بن سلمة (ت:١٦٧هـ) في البصرة، هشيم بن بشير (ت:١٧٣هـ) في واسط، والإمام الليث بن سعد (ت:١٧٥هـ) في مصر، وجرير بن عبدالحميد (ت:١٨٨هـ) في الري.

وكثر تدوين العلم، وكان النهج السائد عند هؤلاء ومن في طبقتهم أن يجمعوا حديث رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة وفتاوى التابعين بأسانيدها، مع ضم الأبواب بعضها إلى بعض في كتاب واحد[١٢].

التدوين في القرنين الثالث والرابع

حتى إذا ما طلع علينا القرن الثالث الهجري شاع التصنيف وأخذت عبقرية الحفاظ والمحدثين تتفتق عن طرق ومناهج جديدة في تصنيف الحديث وترتيبه، بما يظهر التمكن من الحفظ وعمق الفهم من خلال التبويب والتراجم (العناوين)، ومن ثم فإن هذا العصر يعد أزهى عصور السنة والحديث وأسعدها بأئمة هذا الشأن، فقد ظهر فيه تصنيف الحديث على المسانيد -وهو جمع ما يروى عن الصحابي في موضع واحد- فكان ممن صنف مسندا الحافظ أسد بن موسى الأموي (ت:٢١٢هـ)، وعبيدالله بن موسى العبسي (ت:٢١٣هـ)، والحميدي (ت:٢١٩هـ) وهو من شيوخ الإمام البخاري، وإسحاق بن راهويه (ت:٢٣٨هـ)، وأبو يعلى الموصلي (ت:٣٠٧هـ) وقد قيل في مسنده الكبير: (المسانيد كالأنهار ومسند أبي يعلى كالبحر).

وقل إمام حافظ إلا وصنف مسندا، وكان قصب السبق في حسن التصنيف والجمع والفائدة الذي جمع أزمة ذلك كله هو الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) في (مسنده) الذي يقدم على المسانيد كلها، إذ هو أعظمها شأنا، وأكثرها قبولا، حتى إنه ألحق بالكتب الستة الأصول وخص بالذكر في كثير من كتب مصطلح الحديث عند الكلام على مظان الحديث الحسن. وقد افتتح الإمام أحمد هذا السفر العظيم بمسانيد العشرة المبشرين بالجنة -مقدما الراشدين الأربعة على ترتيبهم في الخلافة- وانتقل بعد ذلك إلى مسانيد الصحابة من أهل البيت، وأتبعهم بمسند المكثرين من رواية الحديث من الصحابة[١٣]، ووزع سائر المسانيد على الأمصار (مسند المكيين، فالمدنيين، فالشاميين، فالكوفيين، فالبصريين) ثم أتى على ذكر مسند الأنصار، ومن بعده مسند النساء، واختتمه بمسند القبائل. وقد زاد عدد الصحابة الذين أخرج لهم أحمد في المسند على التسعمئة صحابي

وصحابية، وزاد عدد الأحاديث على (٢٧٠٠٠) بالمكرر.

وقد ترسم حافظ الأندلس بقي بن مخلد (ت:٢٧٦هـ) خطى الإمام أحمد في جمع المسند، إلا أنه لم يكتب لمسنده العظيم الانتشار والذيوع، فلم يصل إلينا منه إلا مقدمته، وفيها قائمة بأسماء الصحابة الذين خرج حديثهم في كتابه[١٤].

وكان من طريقة هؤلاء في جمع الحديث إفراد حديث رسول الله ﷺ وحده بالجمع، فلم يدخلوا في مسانيدهم أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، ولكنهم مزجوا بين صحيح الحديث وضعيفه، سواء صلح الحديث للاحتجاج أم لا، مكتفين بذكر الأسانيد على قاعدة (من أسند لك فقد حملك) يقول الحافظ ابن حجر: «أكثر المحدثين في الأعصار الماضية من سنة مئتين وهلم جرا إذا ساقوا الحديث بإسناده اعتقدوا أنهم برؤا من عهدته والله أعلم»[١٥].

لذلك نرى أن منهج جمع الحديث وتصنيفه كان له منحا آخر على يد إمام المحدثين -الموصوف بأنه (جبل الحفظ)- الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ) إذ اقتصر على جمع الأحاديث الصحيحة، في صحيحه المشهور بـ(صحيح البخاري) وتمام عنوانه (الجامع[١٦] المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، وتبعه على ذلك تلميذه الإمام الحافظ الحجة مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت:٢٦١هـ) في كتابه (الجامع الصحيح). فقد سلك الشيخان في صحيحيهما طريقة الجمع على الأبواب، وامتاز البخاري بتراجم (عناوين) الأبواب التي تعبر عن عمق الفهم ودقة الاستنباط، حتى شاع عند العلماء مقولة (فقه البخاري في تراجمه)، ومن ثم فقد أفرد العلماء كتبا خاصة للكلام على تلك التراجم التي حيرت ألباب العلماء، فأذعنوا له بالفهم والفقه بعد أن اعترفوا له بالمعرفة وحيازة قصب السبق في الحديث وعلله، حتى لقب بـ(أستاذ الأستاذين).

وقد تبع البخاري ومسلما في جمع الأحاديث الصحيحة مبوبة عدد من الأئمة، منهم الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (ت:٤٠٥هـ) وكتابه المعروف بـ(المستدرك على كتاب الصحيحين) مما لم يذكراه وهو على شرطهما أو شرط أحدهما أو لا على شرط واحد منهما. ومنهم إمام الأئمة أبو بكر ابن خزيمة (ت:٣١١ هـ)، والحافظ ابن الجارود (ت:٣٠٦ هـ)، وعنوان كتابه (المنتقى) وهو كالمستخرج على صحيح ابن خزيمة، والحافظ أبو حامد ابن الشرقي (ت:٣٢٥هـ) وهو من تلاميذ مسلم، والحافظ قاسم بن أصبغ القرطبي (ت:٣٤٠هـ) وكتابه على نحو كتاب (المنتقى) لابن الجارود، والحافظ أبو علي ابن السكن، نزيل مصر (ت:٣٥٣هـ)، وسمى كتابه (الصحيح المنتقى).

وأما الإمام الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي (ت:٣٥٤هـ)، فقد ألهم طريقة فذة وعجيبة في التبويب والترتيب لم يسبق إليها ولم يسر أحد من بعده على سننها، فقد جمع صحيحا اشتهر بـ(صحيح ابن حبان) وأما عنوانه الأصلي فهو (التقاسيم والأنواع)، حيث قسمه على خمسة أقسام، بينها في مقدمته بقوله: «تدبرت الصحاح لأسهل حفظها على المتعلمين، وأمعنت الفكر فيها لئلا يصعب وعيها على المقتبسين، فرأيتها تنقسم خمسة أقسام متساوية متفقة التقسيم غير متنافية: فأولها الأوامر التي أمر الله عباده بها، والثاني النواهي التي نهى الله عباده عنها، والثالث إخباره عما احتيج إلى معرفتها، والرابع الإباحات التي أبيح ارتكابها، والخامس أفعال النبي ﷺ التي انفرد بفعلها) ثم إنه نوع كل قسم منها إلى أنواع، وعبر عنها بقوله: «ثم رأيت كل قسم منها يتنوع أنواعا كثيرة ومن كل نوع تتنوع علوم خطيرة ليس يعقلها إلا العالمون الذين هم في العلم راسخون»[١٧].

كما تابع البخاري تلامذته -ومن في طبقتهم- في التدوين المرتب على الأبواب -وإن لم يتابعوه في الاقتصار على الصحيح بل ذكروا في مصنفاتهم الصحيح والحسن وفيها أحاديث ضعيفة- وفي مقدمتهم أصحاب السنن الأربعة: الإمام أبو داود السجستاني (ت:٢٧٥هـ)، والإمام أبو عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، والإمام ابن ماجه القزويني (ت:٢٧٣هـ)، والإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ).

وقد عدد السيد الكتاني خمسة وعشرين كتابا من كتب السنن، ثم قال: (هذه هي مشاهير كتب السنن وبعضها أشهر من بعض)[١٨].

وفي هذا العصر أيضا صنف شيخ حفاظ الشام ومسند الدنيا الإمام الطبراني (نسبة إلى طبرية) (ت:٣٦٠هـ) معاجمه[١٩] الثلاثة التي طار ذكرها في الأمصار وسارت بها الركبان:

- المعجم الكبير: وهو مؤلف في أسماء الصحابة على حروف المعجم -عدا مسند أبي هريرة فإنه أفرده في مصنف- وإذا أطلق في كلام المحدثين (المعجم) فهو المراد، وإذا أريد غيره قيد.

- المعجم الأوسط: وألفه في أسماء شيوخه، وهم أكثر من ألف، جمع فيه

غرائب حديث شيوخه، قال الذهبي: (بين فيه فضيلته وسعة روايته، وكان يقول: هذا الكتاب روحي، فإنه تعب عليه، وفيه كل نفيس وعزيز ومنكر)[٢٠].

- المعجم الصغير: على أسماء شيوخه أيضا، خرج فيه عن ألف شيخ، يقتصر فيه على حديث أو حديثين عن كل واحد من شيوخه.

استمر العطاء على هذه الوتيرة إلى نهاية القرن الرابع الهجري، وكان نتيجة ذلك أن ضمت المصنفات الحديثية المصنفة في هذا العصر الذهبي جميع ما في المدونات التي دونها المتقدمون، وزادوا عليها ما تلقوه شفاها من شيوخهم مما لم يقيده السابقون في صحفهم وكتبهم. لقد انتهى في هذا العصر تقريبا جمع السنن والأحاديث من أفواه الرواة ومن الصحف والنسخ، كما تم النظر في أحوال الرواة ومراتبهم، واجتهد الحفاظ في التمييز بين الصحيح وغيره من أنواع الحديث، وجاء الخلف فيما بعد فجهدوا على إظهار تلك الأحاديث المجموعة في المصنفات الحديثية -التي أفنى من سبقهم نفوسهم وأعمارهم في تتبعها ورصفها عقود جواهر تخلب الألباب وتشرح الصدور- جهدوا على إظهارها وإعادة رصفها بطرائق جديدة ومناهج مستحدثة، تحتاج إلى إفرادها بالبحث والبيان.

وخلاصة القول: فإنه مع مطلع القرن الخامس الهجري كان مجموع الأحاديث المروية عن النبي ﷺ قد دونت في مجموع الكتب التي صنفت في هذا العصر.

وبذلك يتبين لنا أن تلك الجهود في الجمع والترتيب والتصنيف لم تظهر فجأة بل مرت بمراحل ابتدأت في حياة النبي ﷺ واستمرت إلى أن نضجت في عصر السنة الذهبي من خلال مناهج واضحة المعالم في طرائق الجمع والترتيب.

ويعرف مما تقدم عوار دعوى القائلين «إن جمع السنة النبوية قد تأخر إلى القرن الثالث» وتهافت الشبهات التي بنوها على هذه الدعوى.

وبعد: فهذا عرض موجز لبعض ما ناله الحديث النبوي من عناية وجهد في سبيل صيانته والحفاظ عليه من انتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وهو غيض من فيض لجهود مستمرة لن تتوقف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مصداقا لوعده في كتابه الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

الهوامش

١- أخرجه البخاري في العلم، باب في كتابة العلم (رقم:١١١). (العقل) الدية.

٢- ينظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٧٢/١).

٣- ابن كامل الصنعاني، من ثقات التابعين، لازم أبا هريرة، وعاش طويلا وتوفي بصنعاء (ت:١٣١هـ).

٤- وقد وصلتنا هذه الصحيفة كاملة، وقد قام بتحقيقها د. محمد حميد الله رحمه الله، وبلغ عدد أحاديثها (١٤٠ حديثا).

٥- ينظر في ذلك كتاب الدكتور امتياز أحمد: دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث.

٦- عمرة بنت عبدالرحمن: تابعية جليلة أكثرت من الرواية عن الصديقة بنت الصديق السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، كانت عمرة حافظة للحديث وراوية له، وفي توجيه عمر ابن عبدالعزيز إلى الأخذ عنها إشارة إلى الدور العظيم الذي قامت به المرأة في حفظ السنة النبوية منذ وقت مبكر من تاريخنا العلمي.

٧- تقييد العلم للخطيب البغدادي (ص:١٠٥). وقد أورده البخاري معلقا (باب: كيف يقبض العلم) قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ: «ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا».

٨- عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني، ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» أخرجه مسلم في الزهد، باب التثبت في الحديث (٣٠٠٤).

٩- أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم، باب ذكر الرخصة في كتاب العلم، (٣٣٦).

١٠- أخرجه الخطيب في الجامع، باب البيان والتعريف لفضل الجمع والتصنيف (١٨٦٩).

١١- الرسالة المستطرفة (٧).

١٢- اصطلح أهل الفن على تسمية الحديث المضاف إلى النبي ﷺ (الحديث المرفوع) فإذا أضيف إلى أحد الصحابة سمي (الحديث الموقوف) وأما إذا أضيف إلى أحد التابعين فهو (الحديث المقطوع) وبعضهم يطلق على الموقوف والمقطوع (الأثر).

١٣- وقد أتى بهم على الترتيب الآتي: (ابن مسعود، ابن عمر، ابن عمرو، أبو هريرة، أبو سعيد الخدري، أنس بن مالك، جابر بن عبدالله) رضي الله عنهم جميعا.

١٤- لكن الكثير ممن خرج لهم بقي مختلف في صحبتهم، وبعضهم نص الحافظ ابن حجر على أنهم من التابعين. ينظر بقية بن مخلد ومقدمة مسند للدكتور العمري (ص:٢٠).

١٥- لسان الميزان (٧٥/٣).

١٦- يقصد بـ(الجامع) عند المحدثين الكتاب الذي يجمع أنواع الحديث المحتاج إليها في مختلف أبواب الدين من العقائد والأحكام والرقاق والآداب وما يتعلق بالتفسير والمغازي والسير والفتن والمناقب وغير ذلك. ينظر الرسالة المستطرفة: (٤٢).

١٧- صحيح ابن حبان: (١٠٣/١).

١٨- الرسالة المستطرفة (٣٧)، وكتب السنن هذه تقتصر على الأبواب الفقهية من الطهارة والصلاة والزكاة... إلى العتق. إلا ما كان من كتاب الترمذي فهو كتاب جامع على غرار الصحيحين من حيث الجمع. ينظر الرسالة المستطرفة (٣٢).

١٩- المعجم في اصطلاح المحدثين: ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان، مرتبين على حروف الهجاء. ينظر الرسالة المستطرفة (١٣٥).

٢٠- تذكرة الحفاظ للذهبي (٨٥/٣).



د. أبو زيد بيومي
عضو اتحاد كتاب مصر

الروابط الاجتماعية بين الحق ودعوى الجاهلية



شيء جميل أن تكون لك أسرة وعائلة وأصدقاء، تستظل بظلهم، وتكتنف بكنفهم. وجميل أن ترتبط بمن حولك بروابط المودة والرحمة، وأن تشاركهم في مسراتهم ومضراتهم. وأن يكونوا بجوارك في مواقف حياتك بأفراحها وأحزانها. ولكن الأجمل أن تجري هذه العلاقات وفق ضوابط ومعايير، فلا يكون لها سلطان فوق سلطان الحق والعدل، وألا تتعدى حدودها حدود الله؛ فلا يضيع بدعواها حق، ولا ينتصر بسببها باطل. يقول تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة:٢٢).

والله عزوجل، جعل الناس شعوبا وقبائل للتعارف، وجعل التعارف أساسا لبناء المجتمع، على أن يكون هذا الأساس قائما على التقوى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

ولذا أنزل الله إلى هذه الشعوب وتلك القبائل شرائع تحمل الضوابط والمعايير التي يكون بها البناء الاجتماعي قويا؛ قوة من شأنها عمارة الأرض، وجلب المنفعة ودفع المضرة. فيكون الالتزام بها ممثلا للجانب العملي من العبادة. ولهذا حرم الله الغش والتدليس، والزور والكذب، والزنا والقتل، وأكل أموال الناس بالباطل، وغيرها من صور الاعتداء على حقوق الآخرين. وأمر بالعدل والإحسان جنبا إلى جنب مع الصلاة والصيام والزكاة والحج. وجعل لمن ينصر الحق درجات، ولمن يعين الباطل دركات.

والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر واجبان على كل فرد من أفراد المجتمع، كل على قدر طاقته واستطاعته. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠). فهما

شرطان من شروط الإيمان السليم.

وليس على «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» سلطان من القرابة أو الصداقة، وإنما لهما جوهر ثابت في ذاتهما، لا يتغير ولا يتلون، تبعا لمنزلة أحد من الناس.

ربما تختلف الطريقة التي نصل بها إلى إحقاق الحق أو إبطال الباطل، لكن يبقى الحق جوهرا في ذاته، ويبقى الباطل جوهرا في ذاته.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:١٥٢).

وفي الحديث: «عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: انصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره» رواه البخاري.

ولذا؛ فإن من يضع اعتبارات أخرى غير الاعتبارات الجوهرية في الحق والباطل، هو بذلك ينحرف عن جادة الطريق القويم. فقد يدعي البعض أن أمر أولي القربى بحق، أو نهيهم عن منكر، قد يضر بصلة الرحم، بل ويجعل من هذا الادعاء مبررا لترك قريبه أو صاحبه على ما هو عليه من الإثم والعدوان، ظنا منه أنه يحافظ على القربى التي بينهما.

ولكنه إن أمعن النظر قليلا لوجد أنه وإن حافظ على العلاقة التي بينهما من جهة، فهو من جهة أخرى قد يضر بعلاقة قريبه أو صاحبه بالله، إن ظل صاحبه قائما على معصيته دون زاجر يزجره أو ناصح ينصحه، وهنا تكون في الترك مخالفة عظيمة، حيث يجعل المرء لنفسه مقاما فوق مقام الله جل وعلا، إذ راعى ما يخصه فوق رعايته لأوامر الله ونواهيه. كما قد يتسبب الترك في الإضرار بعلاقة هذا المعتدي بآخرين ممن اعتدى على حقوقهم، فتنقطع بينهم العلاقات والأواصر، وقد يقطع هؤلاء علاقتهم بالتارك لما رأوا منه من نصرة الباطل أو السكوت عليه، فهو في نظرهم شريك لهذا المعتدي في عدوانه. وحينها تكون المضرة أكبر فلا الحقوق ردت إلى أصحابها، ولا العلاقات بقيت على حالها.

ولا تتوقف آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند حد تفكك العلاقات بين أبناء المجتمع سواء أكانوا من أولي القربى أو من غيرهم، بل يمتد الأمر إلى انتشار الفساد، وعلو شأن الفسدة، حيث يجدون من ينصرهم تحت أي دعوى؛ والتي غالبا ما تكون دعوى الجاهلية، تلك الدعوى التي تراعي القبلية والعائلية والقرابة، أكثر من مراعاتها لحدود الله. وهو ما يؤدي إلى هلاك وشيك يوقعه الله بأصحابها سواء من دعا بها، أو من أعان عليها ولو بالسكوت، مع قدرته على المنع قولا أو فعلا. وجاء في هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ (المائدة: ٧٨-٨١). وفي الحديث يقول ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» (رواه الترمذي).

كما حذر النبي ﷺ في حديث آخر من أن يحل بأمته هلاك كالذي حل بالأمم السابقة التي أخذت في الاعتبار معايير فوق معايير الحق والعدل. جاء ذلك في الحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها: «أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ. فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟!»، ثم قام فاختطب، ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (رواه البخاري).



فموالاة أصحاب المنكرات تحت اعتبارات القرابة أو الصداقة أو المنفعة أو غيرها من الاعتبارات، لا وصف لها إلا أنها من دعوى الجاهلية، التي لا تؤدي فقط إلى فساد المجتمعات، بل تؤدي حتما إلى هلاكها.



محمد إبراهيم خاطر
كاتب ومدرب تنمية بشرية

القيادة والوجدان

يتعلق كثير من الناس بالشخصيات القيادية، ويعلقون آمالهم في التغيير على أشخاص يمتلكون مهارات القيادة. وهناك اهتمام متزايد من قبل كثير من الآباء والأمهات بتعليم أولادهم هذه المهارات، والعديد من الكتابات والدورات التدريبية تدور حول طرق اكتساب مهارات القيادة والقدرة على التأثير في الناس، ويغفل هؤلاء مكونا مهما من مكونات القائد الناجح.. وهو الوجدان الأصيل.

وجدان الإنسان يعرف بأنه نفسه وقواه الداخلية، وكل ما يتفاعل معه ويتأثر به من عواطف وانفعالات وأحاسيس واتجاهات ورغبات. والتربية الوجدانية، كما يقول الدكتور محمد سعيد حسب النبي، هي: «التربية التي تغرس الاتجاهات، والقيم، والمشاعر، وتعلم الأطفال فهم الآخرين والتفاعل معهم بنجاح».

والوجدان مصطلح عام، يشمل: الانفعال، والمزاج، والمشاعر، والعاطفة. ويأتي في مقدمة العوامل التي تشكل الوجدان العقيدة الراسخة، وجملة القيم والمبادئ التي يؤمن بها الإنسان ويدافع عنها ولديه استعداد لأن يموت من أجلها.

والقيادة المنفصلة عن الوجدان والمهملة للجوانب النفسية للإنسان أوردت الأمم المهالك. والقوة الحقيقية ليست في التمتع بالصفات القيادية، ولكنها تكمن في الوجدان المتمثل في القيم والثبات على المبدأ، والتاريخ القديم والحديث والمعاصر يحدثنا عن الكثير من القادة الذين دمروا دولهم ودمروا مناطق واسعة من العالم.

وتمتع القائد بوجدان أصيل هو الذي يجمع الناس حوله، والقرآن الكريم أشار إلى الجانب الوجداني في شخصية الرسول ﷺ، يقول الله عزوجل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٩).

والوجدان القائم على مبدأ، والمستند إلى إيمان راسخ، هو الذي يصنع التغيير ويغير وجه التاريخ، وتشهد على ذلك مواقف النبي ﷺ من الإغراءات التي قدمتها قريش له للتخلي عن الدعوة، والتهديدات التي وصلت إلى محاولة قتله ﷺ، وما زاده ذلك إلا تمسكا بالدعوة وسعيا لنشرها في أصقاع الأرض.

والمواقف الوجدانية في السيرة النبوية كثيرة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: لن تراعوا لن تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: لقد وجدته بحرا. أو: إنه لبحر» (صحيح البخاري).

وانشغال الرسول ﷺ بقيادة الأمة ونشر الرسالة ومجاهدة الكفار، لم يمنعه من الحوار مع الأطفال ومواساتهم والتلطف معهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، فكان إذا جاء رسول الله فرآه قال: «أبا عمير، ما فعل النغير؟» (صحيح مسلم). والنغير: طائر صغير مثل العصفور.

والرسول ﷺ بين أن القوة الحقيقية تكمن في قوة الوجدان والقدرة على ضبط النفس والتحكم في الغضب وإدارته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (صحيح البخاري).

والجوانب الوجدانية تجلت في حياة الصحابة، رضي الله عنهم، في مناسبات كثيرة، ومنها ثبات ياسر بن عامر وزوجته سمية بنت خياط على الإسلام على الرغم من تعذيب المشركين لهما واستشهاد سمية رضي الله عنها، وثبات خبيب بن عدي رضي الله عنه على الإسلام حتى قتل شهيدا، وثبات الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه على



التوحيد، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: «كان بلال لجارية من بني جمح وكانوا يعذبونه برمضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك فيقول: أحد أحد» (الإصابة: ٣/٦٣٤).

وقوة وجدان أبي بكر الصديق رضي الله عنه تجلت عند وفاة النبي ﷺ، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ، مات وأبو بكر بالسنح، - قال: إسماعيل يعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر:٣٠)، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤)» (صحيح البخاري).

وفي حروب الردة ظهرت أمارات قوة الوجدان عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله، ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله، ما هو إلا أن رأيت الله عزوجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق» (صحيح مسلم).

وقوة الوجدان أظهرها الصحابة، رضي الله عنهم، في مواقف كثيرة، ومن أشهرها الموقف الذي خاطب فيه الصحابي ربعي بن عامر رضي الله عنه، رستم قائد جيش الفرس قائلا له: «نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

والجوانب الوجدانية في الشخصية القيادية تتضح معالمها من خلال الثبات على الحق وعلى المبادئ، يقول الله عزوجل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣).

وقوة الوجدان تتجلى في الدعوة إلى الله عزوجل، والصبر على الأذى الذي يصيب الدعاة والمصلحين، يقول الله عزوجل: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ (العصر:١-٣).

وقوة الوجدان تظهر في الحلم والعفو عند المقدرة، يحكى أن جارية كانت تصب الماء لعلي بن الحسين، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه، فقالت له: إن الله يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فقال: كظمت غيظي. قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال: قد عفوت عنك. قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.

وقوة الوجدان نجدها لدى المربي الذي يصبر على تربية أولاده في هذا الزمن الصعب، ويعالج أخطاءهم بروية وحكمة، ولا يتعجل في توبيخ أو معاقبة المخطئ منهم، ويدعو لهم بالهداية.

وما أحوجنا اليوم للتربية الوجدانية التي تغرس الإيمان والقيم والفضائل في نفوس الأولاد، وتجعلهم قادرين على مواجهة التحديات، ومواجهة الحملات التي تستهدف عقيدتهم وقيمهم وأخلاقهم، وتجعل المسلم متمسكا بدينه وفخورا بانتمائه للإسلام.



عبدالحميد محمد الراوي
كبير أئمة بوزارة الأوقاف المصرية

الجانب الحضاري في فريضة الحج

الحج خامس أركان الإسلام، والفريضة الجامعة لمعنى العبادة الحقة، وبهذا يجتمع فيه خصائص الأركان، فهو يشارك الصلاة في الإعراض عن الدنيا والانسلاخ منها والتجرد لله عزوجل من كل لغو وعبث، والإكثار من الذكر والصلة بالله سبحانه وتعالى.
ويشارك الصوم في الخشية والتقوى والمساواة، ويأخذ من الزكاة البذل والتضحية والإنفاق، فهو بهذا عبادة روحية ومالية وبدنية، وهو مع هذا مؤتمر عام ومعسكر سنوي، ورياضة للبدن والروح معا، وبهما كان فيه من الأسرار والحكم ما لا يذوق طعمه ويلمس أثره إلا من أدى مناسكه على الكيفية التي أداه بها رسول الله ﷺ شأن كل عبادة لا تؤدي غرضها، ولا تحدث في النفوس أثرها، إلا إذا جاءت على المنهج النبوي من حيث المظهر والجوهر، وهو القائل عليه السلام «خذوا عني مناسككم»، والقائل «صلوا كما رأيتموني أصلي» (رواه البخاري).

إن العبادات من حيث هي والحج على وجه الخصوص فيها من الكمالات النفسية والمنافع الاجتماعية ما لو أدركه المسلمون لانعكس على حياتهم خيرا وبركة ورشادا، وهذه الكمالات والمعاني لا تدرك ولا تحصل، إلا بإتقان العبادة وتجويدها وأدائها على الوجه الأكمل وإدراك أسرارها وحقائقها ليتحقق المسلم بها ويحقق الغاية منها.

ولهذا ترتبط العبادات بها ارتباطا وثيقا بالفرد والأمة والمجتمع، ويكون المسلم عنوانا على إسلامه من كل جوانب حياته، فلا تنفصل حياته

ومعاملاته عن صلاته وصومه وزكاته وحجه، ولا ينفصل تفكيره وتصوراته عن عقيدته وإيمانه، وبالتالي تنقرض الشخصيات الملتوية والمتلونة التي تسيء إلى الإسلام وتلقي عليه عبئا هو منه براء.

وبأسلوب آخر أقول: إن من أخطر ما أضر بنا أننا أمة نؤدي عباداتنا صورة لا حقيقة، وفرق كبير بين الصورة والحقيقة لا يخرج عن الفرق بين الحي والميت، فكم هو الفرق الواضح بين حقيقة الإنسان وهو يتحرك ويفكر ويعطي وينتج، وبين الصورة المعلقة على جدار البيت للذكرى فلا تقدم نفعا ولا تحرك ساكنا.

ولا يكاد يخرج هذا الفرق الكبير بين الجيل الأول أصحاب رسول الله ﷺ، وبين أجيال هذا العصر عن هذه الحقيقة وهذا المعنى، وما نال أصحاب رسول الله رضي الله عنهم ومن يتبعهم بإحسان ما نالوه من العزة والمهابة إلا لأنهم كانوا يؤدون عباداتهم على حقيقتها المبينة في الشرع النبوي تعمقا في مدلولاتها التربوية وسيرا لأسرارها التشريعية، والتماسا لفوائدها الاجتماعية، فلا عجب أن كانوا أعز الأمم وأقواها وأعظم الشعوب وأرقاها.

وإذا أردنا أن نلتمس حكم العبادات وأسرارها وآثارها على النفس والمجتمع، وجدناها مجملة في كتاب الله عزوجل واضحة في سنة نبيه ﷺ، حقيقة في حياة السلف الصالح رضوان الله عليهم، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ (العنكبوت:٤٥).

والفواحش والمنكرات من أقوى أسباب الضعف التي تقود المجتمع إلى المرض والهلاك، ولا يحتاج العاقل إلى نظرة المقارنة بين ذلك الرعيل، وهذا الجيل فالفرق أوضح من الشمس في كبد السماء.

كذا الحال في فريضة الزكاة يقول الله عزوجل: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة:١٠٣)، فهي طهرة للنفوس من البخل والشح والأنانية وحب الذات وكفى بالمجتمع تراحما وتعاطفا وقوة وسعادة أن يخلو من هذه الأمراض الخطيرة التي تهد قواه وتزعزع أمنه وتصدع وحدته.

أما الصوم فهو الذي يقول الله فيه: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)، فأي غاية أنبل وأكرم من التقوى أن تتحقق في حياة الفرد والأمة في القول والتفكير والإحساس.

وأما عن الحج فحسبك قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ (البقرة:١٩٧) فهو تربية على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، وسمو الكمال النفسي والروحي.

تعاون العبادات

وهكذا تتعاون هذه العبادات على بناء الإنسان وتهذيب أخلاقه وتزكية نفسه وطهارة روحه، والمجتمع الفاضل المتراحم المتآخي المتعاون المتآزر أمنية أقضت مضاجع المصلحين وأسهرت ليل المفكرين فماتوا ولما يتحقق منها شيء، حتى جاء رسول الله ﷺ بمنهج الله فإذا المجتمع الذي كان أمنية في عالم الخيال حقيقة دنت من الناس، ورمت إليهم بخيراتها وثمراتها وملأت عيونهم بجمالها، وقلوبهم بجلالها، فإذا هم في مجتمع العدل والأمن والقوة، والأخوة والمحبة والعزة.

روى التاريخ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تولى قضاء المدينة على عهد أبي بكر رضي الله عنه مكث عاما كاملا لم ترفع إليه قضية واحدة فطلب من الخليفة إعفاءه، فلما سأله عن السبب قال «إن قوما يوقر صغيرهم كبيرهم، ويرحم كبيرهم صغيرهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، القوي منهم ضعيف حتى يؤخذ الحق منه، والضعيف فيهم قوي حتى يؤخذ الحق له، إذا مرض أحدهم عادوه، وإذا مات شيعوه واتبعوه واستغفروا له، قوم هذا شأنهم لا حاجة لهم بقضاء عمر (رواه الطبراني في تاريخه ٦/٤٢٦).

والحج من أخص العبادات التي تساهم في بناء الفرد والمجتمع، والأمة فأي مجتمع أنظف وأي أمة أطهر وأي فرد أزكى وأتقى ممن انسلخ وابتعد وتجرد عن ألصق صفاته وأخص خصائصه ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ (البقرة:١٩٧). فهو سمو وعلو وتجرد وارتقاء عن الرفث والغريزة المتمكنة من الإنسان والمسيطرة عليه كثيرا، ثم التخلي والترك للجدال الذي يقول الله فيه: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ (الكهف:٥٤) أي إن أكثر صفات الإنسان قوة «الجدل» كما في بعض الآراء، فإذا تخليت وأدركت إنسانا

أو مجتمعا تجرد عن الرفث الذي يشبع به غريزته ويسعد ذاته، ثم الجدل الذي يدفع به عن الذات نقصها ليظهر كمالها وجمالها فأي رقي وسمو بعد ذلك أعظم وأنبل؟ ولابد من الإشارة «والحكم للغالب» لا يتمكن المسلم من تحقيق هذا المقام، إلا من بعد مروره بمقام المراقبة لله تعالى، يتحقق فيه من خلال صلاته وصومه وزكاته، أي من بعد ما يتخلى عن الفحشاء والمنكر بمداومته على صلاته وخشوعه فيها وتزكية لنفسه من الشح والبخل بإخراج الزكاة والإكثار من الصدقات وتحليه بالتقوى بصيام رمضان وقيام ليله، فإذا ما عزم على الحج بعد ذلك هان عليه أن ينسلخ من الرفث والفسوق والجدال، وبهذا يتجرد من غريزته ومقوماتها والدنيا وزينتها واللغو ولهو الحديث.

وهو عن المشاحنة والبغضاء والحقد والحسد أبعد، وللغيبة والنميمة وإفساد ذات البين أترك، ومن تجرد وانسلخ من الرذائل تحلى وتجمل بالفضائل، ومن ابتعد عن النقص اقترب من الكمال.

وتلكم هي بعض انفعالات الفطرة ومتطلباتها، روي أن أكثم بن صيفي خطيب العرب المشهور وحكيمهم في الجاهلية قال حين علم ما يدعو إليه رسول الله ﷺ «إن الذي يدعو إليه محمد لو لم يكن دينا لكان في أخلاق الناس حسنا» (حياة وأخلاق الأنبياء، محمد الفحام).

مشكلات مجتمعاتنا

والواقع أن المشكلة التي يعاني منها مجتمعنا في انهياره وتفكك أواصره وتخلفه الحضاري ليست مشكلة سياسية ولا هي اقتصادية، إنما هي مشكلة أخلاق والتزام وانفصال العقيدة في مضمونها وآثارها عن حياة الفرد والأمة، فنحن في زمن كثر فيه الشر وحاملوه، وقل فيه الخير وفاعلوه، وماتت الضمائر وخربت الذمم وتفشت الأنانية مما كان له أثر سيئ على المجتمع، فضعف وانهار وتفكك، فكف بذله وخف بين الأمم وزنه فإذا ما حلت هذه المشكلة تداعت كل المشكلات أو معظمها.

وفي الحج تروض نفس المسلم في هذا المؤتمر العالمي الفريد، فإذا هي الأخلاق قد تأصلت في نفسه ونزلت منها منزلة الطبع والتطبع، فيعود إلى بلاده مدرعا بها داعيا إليها متفاعلا مع مقتضياتها ونبل غايتها برشاقة وارتياح دونما تعب يثقل كاهله، وخاصة أنه إن نال الحج المبرور خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وفي الحج يقترب المسلم على كمال الطاعة لله عزوجل واتباع رسوله ﷺ، لأنه يؤدي بعض الشعائر، وقد لا يدري ما وراءها من حكمة وهذا أدخل في باب الطاعة لله تعالى، والاقتداء برسوله ﷺ وبه كمال التسليم لله عزوجل دون أن يكون لقناعته العقلية أثر أو ضرورة.

لأن الإسلام في معناه الأساسي هو الاستسلام والتسليم المطلق في كل شأن وعلى أي حال لله عزوجل سواء أظهرت الحكمة أو غابت وعلى قدر إيمان المسلم تكون الطاعة وبالتالي يكون الثواب والأجر العظيم.



وفي الحج تدريب على حياة الجندية وتحمل المشاق وترك المألوف من الحياة والطعام، كل نسك له زمنه وكيفيته فلا يقدم نسكا على زمانه ولا يغير نسكا عن مكانه، فالوقوف لابد أن يكون في عرفة والطواف لن يكون إلا حول البيت، والسعي لا يؤدى إلا بين الصفا والمروة وهكذا الحال في بقية المناسك والأركان فالإفاضة من عرفات والمبيت بالمزدلفة، والنحر يوم العيد ثم التهليل والتكبير، كل ذلك برضى نفس ولذة عيش، جهاد للنفس والبدن، وتضحية بالمال والجهد وصبر على الزحام والتجاوزات فهو في جهاد مادام محرما ولعل ذلك هو المقصود بقوله ﷺ: «الحج جهاد لا قتال فيه» (أخرجه ابن ماجه ٣٧٦/١).

حكم وأسرار الحج

ثم إذا نظرت إلى الإحرام وجدت فيه من الحكم والأسرار والفوائد ما يجعله منهجا تربويا فريدا في بابه عظيما في آثاره، فهو نية في القلب قبل أن يكون تجردا من المحيط والمخيط، وهو إقبال على الله قبل أن يكون قدوما للبيت الحرام، وهناك تلازم بين الظاهر والباطن، وترابط بين المادة والروح، وهذا ما يميز الإسلام عن النصرانية الروحانية واليهودية المادية، فهو دين الكمال وهو دين الفطرة.

وتظهر روعة التربية في أن المحرم يحرم عليه الطيب ولبس المخيط وإزالة الشعر من جميع بدنه وتغطية رأسه وتقليم أظافره والجماع والمباشرة وعقد النكاح، وقتل الصيد ما دام محرما، وهي فترة يتدرب فيها المسلم على حبس النفس عن شهواتها، وصرع سلطان الهوى ليكسب في النهاية قوة العزيمة وشدة الشكيمة وصلابة الإرادة والخروج عن مألوف العادة.

صدق الولاء

وفي التلبية إعلان صريح لصدق الولاء لله وحده، وكلما كررها ورفع الصوت بها كانت الدلالة أمكن وأصدق في أنه يجيب داعي الله تعالى في كل الأوقات وعلى مختلف الحالات، فلا يمنعه عنها بيع ولا شراء ولا شغل ولا دنيا، فهو يجيب على الدوام منادي الصلاة وداعي الجهاد، ويبادر إلى كل عمل فيه صلاح لدينه ودنياه، لأنه منسلخ من كل شيء حتى من نفسه وغرائزها والدنيا وزينتها، ويرتفع المسلم من مقام المراقبة إلى مقام المشاهدة، فيرى ربه أكبر كل شيء، ويراه في كل شيء، ويرى كل ما عداه هباء فتقوى بذلك عزته بربه ويتأصل انتماؤه لدينه ويخلص لمولاه فيصير بعد ذلك ربانيا أدرك وجوده وحقيقة عبوديته لله تعالى.

رمز الالتزام

أما الطواف بالبيت فأمره عجيب فهو رمز إلى التزام شرع الله، والعمل به وترك ما عداه من أفكار ومذاهب ونظم أرضية، فهو يلتزم بمنهج الله تعالى التزامه الطواف حول بيته الحرام عملا ودعوة إليه. والسعي تردد بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة تذكير بيوم القيامة، فهو فرصة للوقوف مع النفس لمحاسبتها فإن وجد خيرا حمد الله وسأله المزيد منه والثبات عليه وإن وجد غير ذلك بادر بالتوبة والعزم على عدم العود، ورمي الجمرات بعد ذلك هو رمي للشيطان، وما يزينه من شهوات وأباطيل، وكل ما يخالف الله وشرعه القويم، وأما الذبح فله معناه الخاص فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم.

ولابد أن يكون الحاج قد أدرك في نفسه الآثار الطيبة للرفقة الصالحة التي صحبها في سفره وأدى معها مناسك حجه، وتعلم منها الكثير من المزايا السامية والصفات العالية للقيام بواجب الدعوة إلى الله عزوجل.

فالحج من أعظم المناسبات التي يجب على المسلمين استغلالها بما يعود عليهم بالتميز والعز والنصر والقوة، والسؤدد فها هم قد تلاقوا في هذه الأرض التي باركها رب السماء، ويتلاقون كل عام وذلك أتقى للشتات والفرقة والتمزيق وأدعى للوحدة والوئام وأحمل لهم على أن يتباحثوا ويبرموا الاتفاقيات ويتبادلوا المنتوجات، ويتدارسوا المشكلات التي تشغل بال شعوبهم.

وعلى المسلمين عامة وولاة الأمر على وجه الخصوص أن يتخذوا من هذا المؤتمر وحدة لشعوبهم بعدما اتحدت عقيدتهم وعباداتهم، وأن يكون ذلك من مضمون كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ وهو القائل «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي»، (أخرجه مالك مرسلا، والحاكم مسندا وصححه).

والله تعالى نسأل أن يعيننا على ما يرضيه قولا وعملا إنه نعم المجيب.

أ.د. محمد إبراهيم العشماوي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه
بجامعة الأزهر



الحج في زمن «كورونا»

لعل أكبر فاجعة نزلت بالمسلمين في عصرنا الحاضر؛ يوم أن أغلقت المساجد، ونودي على مآذنها: «ألا صلوا في بيوتكم! ألا صلوا في رحالكم!».

وأعظم من تلك الفاجعة يوم أغلق المسجد الحرام في وجوه الحجاج والمعتمرين، والمسجد النبوي في وجوه الزائرين، وخلت الكعبة لأول مرة من وفود الطائفين.

وكيف لا والمساجد بيوت الله، وعمارها زواره فيها، وحق على المزور أن يكرم زائره.

كيف لا وأفضل البقاع في الأرض المساجد، فيها تكفر السيئات، وتضاعف الحسنات، وترفع الدرجات، وتستجاب الدعوات، وتستمطر الرحمات، وتتنزل البركات، وتشرق الوجوه، وتطمئن القلوب، وتصفو النفوس، وتتحد الصفوف، وتجتمع الكلمة.

فأي مصيبة نزلت بالمسلمين، بهذا البلاء؟! وأي نائبة حلت بهم، بهذا الوباء؟!

أما المسجد الحرام فهو مهوى أفئدة المسلمين، ومحط قلوب المؤمنين، يتعلقون به تعلق المحب بحبيبه، والمريض بطبيبه، ينظرون إليه عبر شاشات التلفاز بشوق ولهفة، ويرجون من الله أن ييسر لهم طريق

الحج والعمرة، ليتنعموا بمشاهدة الكعبة، والطواف حولها، والسعي بين الصفا والمروة، والشرب من ماء زمزم، والوقوف بعرفة، والمبيت بمنى والمزدلفة، ورمي الجمار، فهي لحظات لا تنسى، وذكريات لا تمحى، لا يمل المرء من تكرارها، ولا يفتر من تذكارها.

وأما المسجد النبوي الشريف فهو مهوى أفئدة العاشقين، ومحط قلوب المحبين، وكيف لا وفيه سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، ورحمة الله للإنس والجن والخلق أجمعين.

فلا تسل عن حزن المحرومين، ولا عن غم المنقطعين، إذ حيل بينهم وبين دواء قلوبهم، وجلاء همومهم.

إن المسلم يعلم يقينا أن الأمور تجري بالمقادير، وأنه لا يقع في ملك الله إلا ما أراد الله، وقد أراد الله وقدر أن ينزل الوباء العام بالبشرية، وهو المسمى «كوفيد ١٩»، فحصد أرواحا، وأعل أجسادا، وأغلق أبوابا، وقطع أسبابا؛ فكان من الحكمة مواجهة هذا الوباء بما شرع الله لنا من أسباب الوقاية، كالتقليل من التزاحم، والتزام المسافات الآمنة، وارتداء الأقنعة الواقية؛ منعا لانتشار الوباء عن طريق العدوى، وعملا بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ (النساء:٧١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ (البقرة:١٩٥)، وقوله ﷺ: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»، وهو شامل لكل مرض معد.

وكان من ضرورة ذلك تقليل أعداد الحجاج والمعتمرين؛ حرصا على سلامتهم، وهذا موافق لقواعد الشريعة ومقاصدها؛ إذ حرمة المسلم أعظم عند الله من حرمة الكعبة، والساجد قبل المساجد، والإنسان قبل البنيان، وهذا مما أحزن كثيرا من المسلمين، كانوا قد عزموا على أداء الحج والعمرة.

وإذا كان لنا من تعليق على هذا الظرف الراهن؛ فإننا نقول:

أولا: إن هذا درس بليغ لكل من يتراخى عن أداء فريضة افترضها الله عليه وقد تمكن منها، كما يشير إليه ما روي في الحديث: «حجوا قبل ألا تحجوا»، أي: حجوا وأنتم متمكنون، قبل أن يعرض لكم ما يمنعكم من الحج.

ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾ (القلم:٤٢-٤٣)، أي: يدعون إلى السجود يوم القيامة فلا يستطيعون لما نزل بهم من الأهوال، وقد كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا وهم أصحاء.

وفي الحديث أيضا: «من أراد الحج فليتعجل، فقد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة».

فما أعظم هذا البيان النبوي! ولعله مما يعد من دلائل نبوته ﷺ؛ لأنه قد وقع كما أخبر.

ثانيا: مما يواسى به من حرم من أداء الحج والعمرة في زمن الوباء؛ أن يعلم أن الإسلام دين عظيم، أقام النية مقام العمل إذا عجز المسلم عن العمل لظروف خارجة عن إرادته، كهذه الظروف التي نعيشها الآن، ومن الدليل على ذلك قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، وهذا الحديث أصل في هذا الباب، لا يرتاب فيه مرتاب.

ومما يشهد له في القرآن قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (التوبة:٩١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ (الحج:٧٨)، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ٱضۡطُرِرۡتُمۡ إِلَيۡهِ﴾ (الأنعام:١١٩).

ومما يدل على أن النية تقوم مقام العمل عند وجود الموانع؛ قوله ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق؛ بلغه الله منازل الشهداء وإن مات في فراشه»، وقوله ﷺ عن المتخلفين بعذر في غزوة تبوك: «إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا؛ إلا كانوا معكم فيه، شركوكم في الأجر، حبسهم العذر»، وقوله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر؛ كتب الله له مثل ما كان يعمله صحيحا مقيما»، وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على أن المسلم إذا منعه من العبادة عذر قاهر؛ فإنه يؤجر عليها بنيته، ومن ثم روي: «نية المؤمن خير من عمله»، وقد قيل في تعليله: لأن النية لا يدخلها الرياء، والعمل يدخله الرياء.

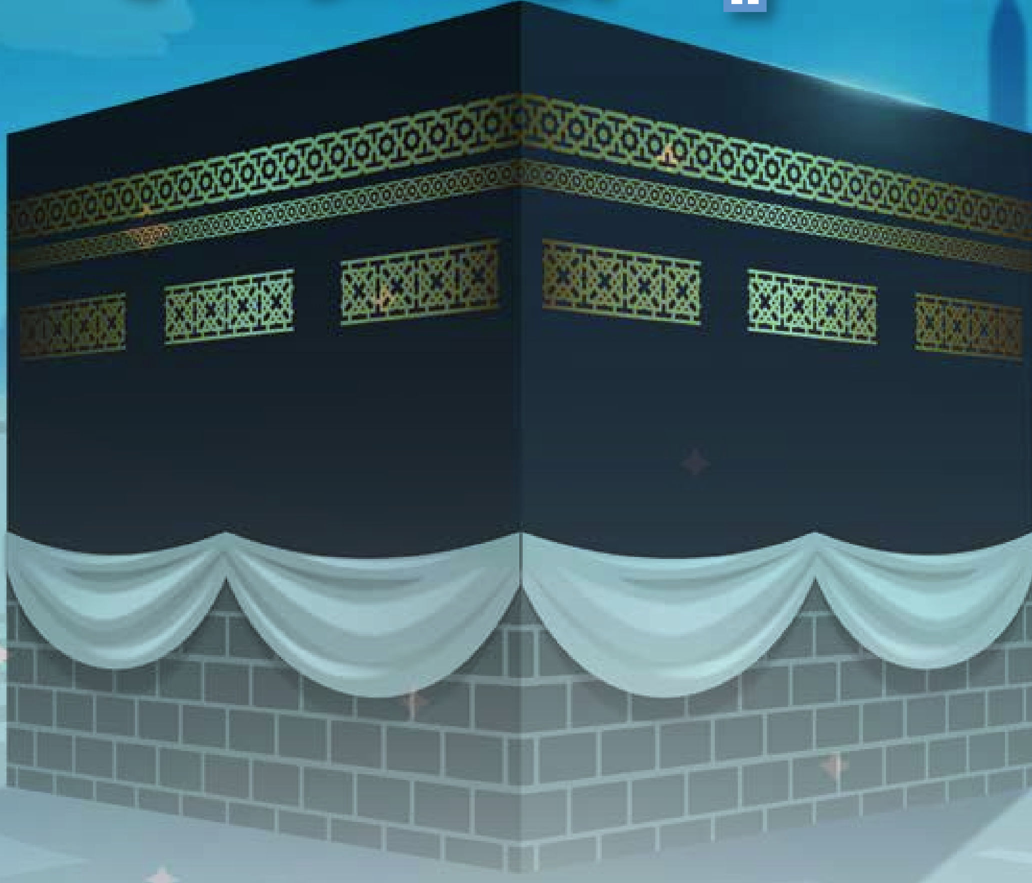
فما أعظم هذا الدين! وما أوسع رحمة الله بعباده المؤمنين!



خلف أحمد أبوزيد
باحث تربوي

قسطا بن لوقا البعلبكي

الرسالة في تدبير سفر الحج



تعد الرسالة في تدبير الحج، التي وضعها قسطا بن لوقا البعلبكي، أول دليل صحي للحجاج إلى بيت الله الحرام، كما تعد أيضا صورة رائعة من صور التعايش المشترك بين أتباع الإسلام وأتباع المسيحية، ونموذجا فريدا في العلاقات الإسلامية المسيحية التي تميز بها العصر العباسي، وصفها الباحثون بأنها أول دليل صحي، وربما الوحيد للحج إلى مكة المكرمة، وفيه بليغ الدلالة على اتساع شهرتها في العالم الإسلامي، وقد قام بوضع هذه الرسالة قسطا بن لوقا البعلبكي، وهو طبيب من مواليد بعلبك، استدعاه الخليفة المستعين بالله إلى بغداد، حيث قام بأعمال الترجمة لعدد من الكتب الطبية، وإعادة النظر في ترجمات قديمة، وفي بغداد التقى قسطا الفيلسوف الكندي، والمترجم الشهير حنين بن إسحق، والعالم ثابت بن قرة، حيث بلغت شهرته الآفاق في علوم الطب، حتى إن ابن النديم وضعه في مكانة تعلو مكانة حنين ابن إسحق بسبب

سعة اطلاعه في العلوم والمعارف الطبية.

سبب تأليف الرسالة

وقد كتب قسطا بن لوقا البعلبكي هذه الرسالة إلى ابن مخلد وهو «الحسن بن مخلد الجراح» ويكنى أبا محمد، وقد عرف عنه أنه كان كثير الاحتفاء بأهل العلم والأطباء، وكان لقسطا مكانة خاصة عنده، وقد خدم ابن مخلد في بلاط المتوكل، ثم وزر للمعتمد مرتين، وقد نشرت الرسالة مع ترجمتها وحواشيها في ليدن سنة ١٩٩٢م، وسبب كتابة هذه الرسالة أن الحسن بن مخلد، كان اعتزم أداء فريضة الحج، وقد كان قسطا يرغب في مرافقته لكن ذلك لم يتم له، فآثر أن يكتب هذه الرسالة في تدبير سفر الحج، ويبعث بها إلى الأمير، حيث يقول في أول رسالته «بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي، التأهب، أعزك الله، لما لا يؤمن حلوله، والاستعداد لكل ما نحتاج إليه، من قبل وقت الحاجة إليه من الحزم وقوة الفكر وصحة التمييز، وقد اعتزمت، أعزك الله، من هذا السفر، على ما أسأل الله أن يعظم بركته عليك وأن يرزقك فيه السلامة ومحمود العافية، ويجزل لك الثواب ويحسن صحابتك فيه، فتحتاج، أعزك الله، إلى الاستظهار باتخاذ ما يحتاج إليه مثلك من آلة العلاج، إن كان مسيرك في بلد لا يحضره طبيب، ولا يوجد فيه كل ما تحتاج من الأدوية، والله يعلم صدقي فيها، لولا صبية إغراء لا يمكن التغرب عنهم، وملازمتي لحضرة هذا السيد، أعني «أبا الحسن عبدالله» مولى أمير المؤمنين وعلمي، أيدك الله، أنه سيخرج معك أطباء يفوز بجميع ما تحتاج إليه من مثله، لآثرت الخروج معك على أي الأحوال كانت، والقيام بخدمتك والسعي في حوائجك وأمورك، بما يظهر ما يكنه ضميري وتحتوي عليه النية مني، وإذ لم أجد لي إلى ذلك سبيلا، رأيت أن أكتب ما تحتاج إليه من ذلك في كتاب ينوب عن حضوري بعض النيابة».

أهمية الرسالة

وهذه الرسالة التي وجهها قسطا بن لوقا البعلبكي، إلى الحسن بن مخلد، تعد نصا فريدا من نوعه، وذلك يعود إلى أمرين، الأول: أنها الوصية الوحيدة فيما يعرف التي قصد بها إرشاد الحاج إلى مكة في الشؤون الصحية والنظافة والنظام الغذائي للحجاج، والثاني: أنها ترشدنا إلى العمق والدقة اللتين عرف بهما مؤلفها، من الناحيتين النظرية والعملية، فالناحية النظرية تتضح في إحاطته لا بما جاء عند بقراط وجالينوس فحسب، بل والذي جاء عند بولس الأيجيني العالم البيزنطي، أما الناحية العملية فواضحة من خلال تنظيم الرسالة، بما حوت من وضوح الأسلوب ودقة المعنى، على نحو لم يترك زيادة لمستزيد، ذلك أنها تعطي قارئها المعلومات الأساسية لخير السبل التي يحتاجها الحاج للحفاظ على صحته، وعلاج ما قد ينتابه من علل وأسقام، أثناء هذه الرحلة العظيمة.



أبواب الرسالة

وصف قسطا بن لوقا رسالته هذه، بأنها تحتوي أمرين أساسيين، الأول: التدبير الذي يحتاج إليه في السفر بالجملة، والثاني: ما يحتاج إليه من التدبير في السفر للحج خاصة، حيث كتب يقول: «الأشياء التي تحتاج إلى علمها من أمر تدبير الأبدان في الأسفار بالجملة هي أربعة معان: الأول منها: العلم بالتدبير في وقت الراحة والطعام والشراب والنوم والباه، والثاني: العلم بأصناف الأعياء والشيء الذي يذهب بكل صنف منه، والثالث: العلم بالعلل التي تعرض من هبوب الرياح المختلفة وعلاجها،



والرابع: العلم بالتحرز من الهوام وعلاج آفاتها إذا وقعت، فهذه الأشياء التي يحتاج إلى علمها والعمل بها في الأسفار كلها»، ثم تطرق إلى سفر الحج فيقول: «فأما سفر الحج فمع الحاجة فيه إلى هذه المعاني قد تخصه أربعة كذا معان أخر، الأول منها العلم باختلاف المياه وإصلاح الفاسد منها، والثاني الاحتيال في عدم الماء وقلته وما يقطع العطش، والثالث العلم بالتحرز من الأشياء التي يتولد منها العرق المدني وهيجان البواسير، والرابع التحرز من الحيات والعلاج من أفاتها»، ثم يذكر مخاطبه بأنه يقدم له، كل ما يحتاج إليه من العلم بهذه المعاني على ما قال الأوائل في ذلك، ويبدو لنا هنا، لماذا بدأ قسطا بن لوقا، حديثه لابن مخلد، بأن أشار إلى نوعين من العناية الصحية الواحد العام، والثاني المتعلق بتدابير متصلة بالحج، ولعل الجواب هنا، هو أن الأمور العامة التي أشار إليها كانت صالحة بكل سفر، بغض النظر عن وجهته، إذ إن المرء يكون له شيء من الحرية في اختيار الطريق وانتقاء الوقت المناسب للسفر، أما فيما يتعلق بالحج فالطريق معين، والوقت محدد، ومن هنا كانت الأخطار والمشكلات التي يتعرض لها الحجاج تختلف عما يلاقيه المسافرون الآخرون، وقد قسم قسطا رسالته في أربع عشرة بابا، جاءت على النحو التالي:

الباب الأول: تناول فيه طبيعة السير والأوقات التي يطيب فيها، وحالة الجسم والطريقة التي يتبعها كي يمنع البدن من الاهتزاز في أوقات الحركة الدائمة، والأوقات الصالحة لتناول الطعام والشراب والمبادرة إلى الراحة والنوم ساعات النزول.

الباب الثاني: عرف الأعياء وذكر أنواعه كما أوردها جالينوس وهي (المثقل، والمدد، والمسخن، والمؤلم)، وشرح أسبابها ثم تناول علاجها بالتغميز وطريقته وأوقاته.

الباب الثالث: عد أصناف التغميز، وذلك القدم (الرقيق، والشديد والضغط والكبس على الأعضاء)، وذكر في أي الأحوال يحتاج إلى كل صنف من أصناف الغمز، وفي أيها تحتاج إلى ذلك القدم في الأسفار.

الباب الرابع: تناول فيه العلل التي تتولد من هبوب الرياح المختلفة، المفرطة البرد أو الحر أو الغبار الكثير، وكيف ينبغي أن يحتال لإصلاحها.

الباب الخامس: في وجع الأذن الذي يعرض كثيرا من هبوب الرياح الشديدة الحرة والبرد، وكيف ينبغي أن يحتال لإصلاحها.

الباب السادس: في الزكام والنوازل والسعال، وما شابه ذلك من الأشياء التي تعرض من اختلاف الأجواء، وذكر كيفية التوقي منها وعلاجها.

الباب السابع: في علل العين التي تحدث من اختلاف الهواء والغبار والرياح وغير ذلك مع ذكر علاجها.

الباب الثامن: في امتحان المياه المختلفة ومياه الينابيع والأمطار، مياه الثلج الذائب والمياه الراكدة، ليعلم أيها أصلح بدليل بقراط، أن يبرد سريعا ودليل خفة الوزن، فضلا عن الدلائل المحمودة، طيب الرائحة وعذوبة الطعم وصفاء اللون، مع تعريف أجود المياه، ما كان لا طعم له ولا رائحة ولا لون.

الباب التاسع: تناول كيفية إصلاح المياه الفاسدة، وهي أن يغلى على النار، وأن يمزج مع ما يغير طعمه، وأن يصفى مرارا بالأسوقة، وذكر تفاصيلها.

الباب العاشر: في العطش فقد عرفه بأنه جفاف في الفم، أو فناء الرطوبة وأسبابه عدم المياه وقلته أو علة حادثة أو شرب نبيذ أو أكل مالح، مع ذكر طريقة العلاج، كما أورد منافع شرب الماء على الجسم، والاحتيال لما يقطع العطش.

الباب الحادي عشر: في جملة الهوام والتحرز منها بواسطة رش الأرض بالسوائل والتبخير أو يقاد نارا، وتوقي السكنى في أمكنة تكاثرها وحفظ الأواني بعيدا عنها.

الباب الثاني عشر: في علاج عام من لسع الهوام بواسطة، مص الموضع بالفم، أو بالحجم من خروج دم صالح، ثم يضمد بالأدوية، ويسقى الملسوع أنواعا من الشراب ذكرها في الرسالة.

الباب الثالث عشر: في تولد العرق المديني، وبماذا يتحرز من تولده، وذكر سبب تسميته، لأنه يتولد كثيرا في المدينة، وأرجع أسباب تولده إلى الأجواء، وأنواع الغذاء كالتمور وقلة غسل الجسم، وبما يتحرز من تولده.

الباب الرابع عشر: وهو الباب الأخير في الرسالة، وقد وصف فيه علاج العرق المديني، وتناول تاريخ المرض ومعرفة الأطباء به فقال، «لم يذكره جالينوس وبقراط، بل ذكره سورانوس،

وليونيداس، وهما إمامان من أئمة الطب، وذكر طريقة علاجهما لهذا المرض».

مقتطفات من الرسالة

وبعد أن تعرفنا على محتوى فصول وأبواب الرسالة، نعرض هنا نماذج لما ورد في بعض فصولها، فالنسبة لتناول الغذاء عند السفر، كتب قائلا «وإن يتوقى المسافر تناول الغذاء في أوائل المسير، أو في وسطه، وليتوق المسافر أن لا يكون أكله في المسير، فإن اتصل وطال صير ما يتغذى به في السفر سويق السلث أو كعكا وسكرا يشربه بماء باردا، أو شراب الخوخ أو شراب الأجاص» أما عند شرب الماء، فإلى جانب الاهتمام بتنظيفه أو تنقية الماء للشرب، فصل يتعلق بتخفيف العطش أو الحيلولة دون استحكامه، فهو ينصح بتقليل الغذاء، واعتماد الأغذية التي هي بطبيعتها باردة رطبة، كالبقول والفواكه الباردة الرطبة، ويضيف في ذلك: «وأقوى ما يستعمل في ذهاب العطش أن يلان بزر الخس الأسود وأصل السوس وبزر القثا مقشرا»، ويبدو أن الغبار كان مصدر انزعاج للأطباء والعاملين في حقل الطب، لأنه قد يؤدي إلى السعال والزكام وما إليها، كما أنه يؤذي العين والأذن، وبالنسبة لأثر الغبار على العين يقول: «فأما العين التي فيها علة من رمد أو من مرض آخر، فإن الغبار لها رديء، لأنه لا يؤمن أن يحدث فيها حادث من حرارة أو حدة أو غير ذلك من الآفات، ولذلك ينبغي أن يتوقى منه الأعين التي فيها علة غاية التوقي»، وفي رسالة قسطا بن لوقا أمور حرية بالعناية والتوقف عندها، لا من حيث وضعها التراثي والتاريخي، فحسب بل من حيث إنها أمور تبدو كأنها تعالج المشكلة في يوم الناس هذا، ومن هذه الموضوعات، الفصل الخاص في الأعياء فيقول: «إن الأعياء هو حال يحدث للبدن حس ألم يولد من حركة مفرطة، وذلك أن حركات البدن جميعا، إنما تكون بالعضل والعصب المنبث فيه الذي منشؤه وأصله الدماغ، فإذا تحرك البدن حركة مفرطة نال العضل المحرك له أذى بالاحتكاك والتصادم الذي يكون بالحركة السريعة، والحال الحادثة عن ذلك تسمى أعياء» ومن المسائل التي تعرض إليها في الرسالة اختلاف المياه وفسادها، حيث يقول في امتحان المياه المختلفة ليعلم أيها أصلح: «أجود المياه وأحمدها ما كان لا طعم له ولا رائحة ولا لون، وهذا الجنس من المياه يكون صافيا سليما، من مخالطة سائر الأجسام إياه، وذلك أن كل ماء، يحس له طعم أو لون أو رائحة، فإنما يحس ذلك فيه من جوهر آخر قد خالطه، فيظهر ذلك الجوهر في طعمه ولونه ورائحته، ولذلك ينسب ذلك الماء إلى ذلك الجوهر الذي خالطه فيسمى ماء كبريتي أو بورقي أو قفري أو نطروني أو بغير ذلك من الأسماء، فما كان سليما من مخالطة شيء من هذه الجواهر، فإنه لا محالة صافيا في لونه، لذيذا في ذوقه طيبا في رائحته، ينفذ عن المعدة إلى الأعضاء نفوذا سهلا، فأما ما غلبت عليه رائحة كريهة أو طعم رديء أو لون كدر فينبغي أن يجتنب»، وبالنسبة لمعالجة المياه، أو إصلاح الفاسد، يتناول في ذلك الطرق التي تتبع، فإنه بعد أن يقرر فساد المياه يقول: «فإن اضطر مضطر إلى أن يشرب شيئا من هذه المياه الفاسدة، فينبغي أن يحتال لإصلاحها، بما أصف، ينبغي أولا أن يطبخ طبخا صالحا، أعني أن يغلى على النار، وأن يمزج بعد الطبخ ببعض الأنبذة أو الافشرجانات، وأن يكون ما يمزج به من الأنبذة في ضد طعم الماء» (الافشرجانات: هي أنواع من العصير الذي له ما يصفى هذا الماء الكدر)، أما الماء الكدر والملح فيجب أن يصفى مرارا حتى يصفو وتذهب عنه كدورته، ويضيف أن الشعير يصلح لتصفية الماء الكدر.

والذي نريد أن نقوله هنا، إن رسالة قسطا بن لوقا البعلبكي، في تدبير السفر في الحج، تمثل ما توصل إليه الطب العملي في دنيا العرب في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي.

المصادر

١- رسالة في تدبير سفر الحج، قسطا ابن لوقا البعلبكي، مكتبة قطر الرقمية.

٢- قسطا بن لوقا البعلبكي، د. نقولا زيادة، مجلة العربي، الكويت، عدد يوليو، عام ١٩٩٤م.

٣- قسطا بن لوقا المسيحي صاحب الدليل الصحي الأول للحج إلى مكة، عماد توماس، المجلة العربية، العدد ٥١١، إبريل ٢٠١٩م.





تحقيق- نادر أبو الفتوح
صحافي مصري

الجوائح والنوازل

أكد علماء فقه أن الحفاظ على النفس من مقاصد الشريعة الإسلامية، وأن للنوازل أحكامها ولأزمنة الجوائح في شريعة الإسلام تفقها يناسبها، وأن المستجدات التي يعاني منها العالم أجمع وتمثلت في أوبئة وأمراض، اقتضت قصر الحج هذا العام على عدد محدود من المقيمين داخل المملكة العربية السعودية، للعام الثاني على التوالي، فإن ذلك يعد من المستجدات التي تتطلب مراعاة الواقع، لأن الشريعة الإسلامية تتميز باليسر والمرونة، وأن الحفاظ على النفس البشرية من الهلاك يعد أولوية في الشريعة، وذلك في ظل مخاوف العالم أجمع من تفشي فيروس كورونا المستجد أو مرض الفطر الأسود.

وشدد العلماء في حديثهم مع «الوعي الإسلامي» على أن كل إنسان كان ينوي أداء فريضة الحج هذا العام، عليه أن يبادر بالتبرع بجزء من هذه الأموال لعلاج المرضى، وقضاء حاجة الفقراء، ورعاية الأسر التي تضررت نتيجة الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعاني منها العالم أجمع، وأن من يفعل ذلك فإن أجره على الله عزوجل، لأنه قد أدى صدقة من أعظم الصدقات، كما أكد العلماء أن الأمر ليس قاصرا على من كان ينوي الحج فقط، بل على الأغنياء مضاعفة الصدقات والتعجيل بإخراج زكاة المال، لأن الفقراء والمرضى في حاجة ماسة لمن يمد لهم يد العون والمساعدة.

الاستطاعة في الحج

في البداية يقول الدكتور صبري عبدالرؤوف أستاذ الفقه جامعة الأزهر بالقاهرة، إن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧)، وهذا معناه أن الحج واجب على المستطيع، أما غير المستطيع فلا يجب عليه الحج، والاستطاعة كما تكون بالمال تكون بالبدن، والإسلام أمر بالحفاظ على النفس البشرية وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة:١٩٥)، وأنه في أزمنة الجوائح والأمراض إذا رأى الأطباء ضرورة الابتعاد عن التجمعات خوفا من انتشار الأوبئة، في هذه الحالة

لا يكون الإنسان مستطيعا، والواجب أن يحافظ الإنسان على نفسه، وأن يلتزم بالضوابط والقواعد التي تنظم أداء الفريضة، لأن الشريعة الإسلامية تقوم على قاعدة «لا ضرر ولا ضرار»، والشريعة تتميز باليسر في مراعاة أحوال الناس، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، كما يقول الله عزوجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق:٧).

حماية النفس واجبة

ومن جانبه يؤكد الدكتور علوي خليل أستاذ الفقه في جامعة الأزهر بالقاهرة، في حديثه مع «الوعي الإسلامي» أن الشريعة الإسلامية تهدف لتحقيق مصالح البلاد والعباد، وأن ما يشهده العالم في الفترة الأخيرة من انتشار الأوبئة والأمراض، يتطلب الأخذ برأي الأطباء والعلماء المتخصصين، لأن الله عزوجل يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤٣)، وطالما أن الأطباء أكدوا أن الزحام والتجمعات تؤدي لانتشار فيروس كورونا ومرض الفطر الأسود، فيجب الأخذ برأي أهل التخصص، وقد اجتهد الفقهاء قديما وحديثا حول هذه القضايا وأكدوا أن الشريعة الإسلامية أوجبت الحفاظ على النفس، باعتبارها من الكليات الخمس التي أوجبت الشريعة الحفاظ عليها وهي: حفظ النفس والدين والمال والعقل والعرض.

ويوضح أنه ونظرا لأن فريضة الحج تجمع المسلمين من مختلف دول العالم، فإن ذلك قد يكون خطرا على الحجاج نتيجة الزحام، وقد يؤدي لانتشار

التبرع بأموال الحج لعلاج المرضى ورعاية الفقراء.. ضرورة

الأمراض والأوبئة وهلاك النفس ويضر بمصالح العباد والبلاد، ولذلك وجب مراعاة الواقع وقصر الحج على أعداد محدودة من المقيمين والمواطنين داخل المملكة العربية السعودية، وضرورة الالتزام بهذه الضوابط لأن الشريعة الإسلامية تقوم على مراعاة مصالح البلاد والعباد، مشيرا إلى أن الأمر يتطلب الاجتهاد في الدعاء بأن يرفع الله عزوجل الوباء والبلاء عن العالم أجمع، وضرورة أن يصاحب ذلك الأخذ بالأسباب والعلاج، وتطبيق الإجراءات الاحترازية التي تساعد على الحماية من انتشار الأمراض والأوبئة.

علاج المرضى ورعاية الفقراء

ويوضح الدكتور نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع في جامعة الأزهر بالقاهرة، أن التكافل الاجتماعي من سمات المجتمع المسلم، وأن الصدقة في زمن الأوبئة والجوائح من أعظم الصدقات، وهناك أسر عديدة فقدت مصدر دخلها، وأصبحت في

علماء فقه: الحفاظ على النفس واجب.. والشريعة تراعي تحقيق مصالح البلاد والعباد

حاجة ماسة لمن يقدم لها يد العون والمساعدة، ولذلك فإنه على كل من كان ينوي الحج هذا العام وحبسته الظروف الحالية، عليه أن يتصدق بجزء من أموال الحج للمستشفيات لعلاج المرضى غير القادرين، أو أن يقوم بشراء أجهزة ومستلزمات طبية للمستشفيات، بجانب العمل على رعاية الأسر التي تضررت نتيجة انتشار فيروس كورونا، لأن أعداد الفقراء والمحتاجين قد تضاعفت في ظل انتشار فيروس كورونا والأزمات الاقتصادية الراهنة.

رسالة للأغنياء والقادرين

ووجه رسالة للأغنياء والقادرين طالبهم بضرورة مضاعفة الصدقات في هذه الأوقات الصعبة، وليس الأمر قاصرا على من كان ينوي الحج فقط، لأن المرضى يحتاجون للعلاج والأدوية والطعام، والفقراء يحتاجون للمال للإنفاق على أسرهم ورعاية أطفالهم، وهذا يتطلب أن يضاعف الأغنياء من الصدقات ابتغاء وجه الله عزوجل، وأن يقوم كل إنسان قادر بمساعدة أقرب الناس له، وتقديم يد العون والمساعدة للمحتاجين والمرضى، فهذا نوع من التكافل الاجتماعي الذي حثت عليه تعاليم الشريعة الإسلامية، والصدقة وقت الوباء والمرض من أعظم الصدقات، كذلك على الأغنياء أن يبادروا بإخراج زكاة المال، وإن التعجيل بزكاة المال تجارة مع الله عزوجل، وكل إنسان عليه أن يؤدي حق الفقراء والمحتاجين، والمؤكد أن كافة أشكال الصدقات مطلوبة في هذا الوقت، سواء كانت مساعدات مادية أو عينية أو سلعا غذائية، فكل ذلك يخفف عن المحتاجين ويدخل السعادة على الفقراء.

أحمد علي صالح
باحث دراسات إسلامية





الحج عبادة العمر

الحج عبادة العمر، تلك الفريضة الدينية والركيزة الأساسية لبناء المجتمع المسلم، فهو رحلة روحية اجتماعية سياسية عالمية، ومنفعة اقتصادية للحجيج، والمنفعة تكون بالمشاهدة، قال تعالى: ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾ (الحج:٢٨).

الفريضة الخامسة

فالحج هو الفريضة الخامسة لفرائض الإسلام مشروطة بالاستطاعة، والحج لمن استطاع إليه سبيلا، والسبيل معناه الطريق الذي يساعد المسلم على أداء هذه الفريضة، حيث يكون «آمنا» على نفسه وبيته وماله، و«مستطيعا» أي يملك الزاد والراحلة، فائضا عن حوائجه الأصلية، على أن تكون نفقة الحج حلالا طيبا، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا.

إيمان وعزيمة

وتحل الفريضة متى توافر ذلك على الفور، والفور لا يقبل التأجيل، وهي -أي فريضة الحج- تزكية للنفس وتطهير لها، ورفع لروحها المعنوية، حيث إن الإنسان يزداد قوة في إيمانه، وعزيمة على عزيمته.

ولقد فرضت هذه الفريضة على سيدنا إبراهيم، عليه السلام، عندما أشار الله تعالى إليه بهذا المكان الطاهر، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ (الحج:٢٦).

بناء البيت

حتى إذا انتهى إبراهيم من بناء البيت بهذا المكان القفر، الذي لا زرع فيه ولا نبات، ولا جان ولا أنس، ناداه ربه بقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾ (الحج:٢٧).

وهنا نسأل كيف لسيدنا إبراهيم في هذا المكان أن ينادي البشرية وتسمعه بهذا الأذان المأمور به من قبل الله تعالى، فأمره ربه بأن يؤذن، فسمعت الأجنة في بطون أمهاتها، والخليقة في أصلابها إلى أن تقوم الساعة ولبت وقالت «لبيك اللهم لبيك»، فاعتلى إبراهيم صخرة بجوار البيت الحرام وشرع في الأذان، مناديا الناس جميعا بالحج[1] إلى هذا البيت العتيق الذي هو أول بيت وضع للناس ببكة، قال

تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦).

منافع الحج

من توجه إليه نالته البركة والرضوان، لأن الله تعالى كريم، يكرم ضيفه، وهم ضيوف الرحمن في بيت الله الحرام، لاذوا به واتجهوا إليه بقلوبهم وأجسادهم وأموالهم، راجين عفوه، وآملين أن يعودوا وقد فازوا بالمنافع الجمة روحيا واقتصاديا وسياسيا ودينيا.

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى جعل البركة في هذا البيت والهداية فيه إلى أن تقوم الساعة، فطوبى لمن أحل تكلفته، وطاب مطعمه، وأخلص نيته، واتجه بقلبه إلى ربه، مصداقا لما رواه البخاري عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»[٢].

الدرس الهادف

إن فريضة الحج، مدرسة للخير، تؤكد ضرورة الاقتداء بالقدوة والتأسي بالأسوة كما روى مسلم عن جابر بن عبدالله، رضي الله عنه، قال: «رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[٣].

وبالتالي فإننا نجد هذا الدرس العملي الهادف حيث دعا فيما دعا إليه إلى التدريب على لون من المثالية حيث تتم «التخلية» من الرذائل، كما تتم «التحلية» بالفضائل والكمالات وأعمال البر[٤].

يقول تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:١٩٧).

التخلي عن الرذائل

يقول ابن كثير في تفسيره موضحا مفهوم «التخلية» فيقول: «فلا رفث أي من أحرم بالحج أو العمرة فليتجنب الرفث وهو الجماع وما دونه من قول الفحش كما قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ (البقرة:١٨٧)، وكذلك يحرم تعاطي دواعيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك».

وقوله «ولا فسوق» وهي المعاصي والتنابز بالألقاب والسباب، لما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (متفق عليه)[٥].

أما قوله «ولا جدال في الحج» أي لا مجادلة في وقت الحج ولا تنازع في مناسكه ولا مراء ولا مخاصمة ولا إتيان القبح قولا وعملا.

التحلي بالفضائل

أما «التحلية» فقد حثهم الله عزوجل على فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالم به، وسيجزيهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة، وهذا هو معنى: وما تفعلوا من خير يعلمه الله[٦].

يقول ابن عباس في قوله ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾: «كان أناس يخرجون من أهلهم ليست معهم أزودة ويقولون نحج بيت الله ولا يطعمنا» فقال الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ ما يكف وجوهكم عن الناس».

وقد أخرج البخاري عن ابن عباس -أيضا- قال: «كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون، فأنزل الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ فنهوا عن ذلك وأمروا أن يتزودوا الدقيق والكعك»[٧].

اللباس الحسي والمعنوي

أما قوله ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ لما أمرهم بالسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها، كما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف:٢٦).

ولما ذكر اللباس الحسي، نبه مرشدا إلى اللباس المعنوي، وهو الخشوع والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا وأنفع.

قال عطاء الخرساني في قوله «فإن خير الزاد التقوى»: يعني زاد الآخرة، فعن جرير، عن النبي ﷺ قال: «من تزود في الدنيا ينفعه في الآخرة» رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح[٨].

وقوله «واتقون يا أولي الألباب» يقول: واتقون واتقوا عقابي وعذابي لمن خالفني، ولم يأتمر بأمري يا ذوي العقول والأفهام.

رسالة تربوية

إن أخلص ما نسجله لمدرسة فريضة الحج أنها صاحبة الرسالة التربوية الهادفة والبناءة، وأنها تستظل بظلال «قوة الإرادة» في مجال التربية القومية، وظلال التحمل بكل من «الصبر الوقور» من جهة، واستمرار «التكيف والاستقامة من المجتمع» كغرض تربوي أصيل من جهة أخرى.

المؤتمر الإسلامي الأعظم

وأكبر عيد يجب أن تبدو فيه الأمة المؤمنة مجتمعة هو «عيد الحج الأكبر» الذي يمثل المؤتمر الإسلامي الأعظم حيث تخرج الملايين من مشارق الأرض ومغاربها ساعين إلى ربهم ليشهدوا منافع لهم، وليذكروا اسم الله في أيام معدودات، وليوفوا نذورهم، وليطوفوا بالبيت العتيق، الذي يحتاج في زيارته إلى طهارة المظهر والمخبر، والإقبال على الله بالحس والنفس، والعمل والقول، والذكر والفكر، وبالتالي فإن شعار المسلم منذ إحرامه هو نداؤه ودعاؤه: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

الهوامش

١- حافظ محمد حافظ، الحج رحلة روحية ودينية، ص٧، ط دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٦م.
٢- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ص٤٤٧.
٣- عمر بن على ابن الملقن، غاية مأمول الراغب في معرفة أحاديث ابن الحاجب، ط جامعة الكويت، كلية الشريعة، وحدة البحوث الشرعية.
٤- عبدالحليم رفاعي حجازي، فريضة الحج.. عبادة العمر ومدرسة الخير، ص٨، ط دار الإيمان، المنصورة ٢٠٠٦م.
٥- الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يدري، رقم (٤٨).
٦- عبدالحليم رفاعي حجازي، ص٨.
٧- الإمام البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (البقرة:١٩٧)، رقم (١٤٦٣).
٨- الإمام الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الزهد، باب التزود من الدنيا للآخرة، ص٣١١.



د. هانئ محمد
كاتب وباحث أكاديمي من مصر

حفظ النفس من مقاصد الشريعة

أوجب الله عز وجل حج بيت الله الحرام على المسلم القادر عليه، المستطيع لأداء أركان مناسكه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران:٩٧). وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان» (صحيح البخاري). وقد ورد أن ثواب الحج يعدل ثواب الجهاد في سبيل الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل وأي الأعمال خير؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم أي شيء؟ قال: الجهاد سنام العمل. قيل: ثم أي شيء يا رسول الله؟ قال: ثم حج مبرور» (صحيح البخاري). كما أن من ثواب حج البيت الحرام أنه يكفر الذنوب، ففي الصحيحين: «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه» (صحيح البخاري). والحج يجب مرة واحدة: فقد أجمع العلماء المسلمون على أن الحج لا يتكرر، وأنه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة -إلا أن ينذره فيجب الوفاء بالنذر- وما زاد فهو تطوع.

الاستطاعة في الحج

يقول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ وهذا تأكيد وجوب الحج، لكن بشروط، ومن شروط وجوب الحج «الاستطاعة»، وإذا فقدت، فقد سقطت فريضة الحج عن المكلف: إما حقيقة، أو حكما، كما هو الحال والشأن في زمن الوباء (جائحة كورونا) التي يشهد العالم الآن تداعياتها، حيث إن الاستطاعة من شروط وجوب الحج، وهي غير متحققة في زمن الوباء، ولذلك اتفق علماء المسلمين على تعليق أداء شعيرة الحج أو العمرة، أو تقنين الحج بأعداد قليلة محدودة، يسمح لها بأداء الفريضة بشروط وضوابط مع الأخذ بالتدابير الاحترازية، منعا من انتشار الوباء. ولما كان حفظ الدين والنفس من المقاصد الضرورية للشريعة الإسلامية الغراء، وأن رفع الضرر عن الناس واجب شرعي، خصوصا أن مناسك الحج مدرسة كبيرة تؤدى بصورة جماعية يجتمع فيها ملايين المسلمين من شتى مشارق الأرض ومغاربها، ويحدث أثناء أداء تلك المشاعر الاختلاط والازدحام والاقتراب الشديد مع الاحتكاك والتلاصق غالبا، خصوصا في الطواف حول الكعبة، وفي السعي بين الصفا والمروة، وفي السكن في نزل الحجاج، وفي منى عند ركوب الحافلات، وفي المرافق العامة، وفي المولات والأسواق لحصول الحجاج على ضرورياتهم أثناء فترة الحج.

مريض كورونا والحج

أجمع علماء المسلمين على أنه لا يجوز لمريض كورونا أداء شعائر الحج أو العمرة قياسا على حديث



النبي ﷺ للمجذوم في وفد ثقيف: «إنا قد بايعناك فارجع» (صحيح مسلم). وهذا يؤكد إسراع الرسول ﷺ إلى إبعاد المجذوم عن الناس خشية العدوى، وتوجيه الناس إلى الأخذ بأسباب الوقاية والاحتراز من الإصابة بالعدوى. وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه: «مر بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت فقال لها: يا أمة الله لا تؤذي الناس لو جلست في بيتك. فجلست. فمر بها رجل بعد ذلك، فقال لها: إن الذي كان قد نهاك قد مات، فاخرجي. فقالت: ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا». ومن ثم فقد كان الحفاظ على النفس الإنسانية من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية، وتلي في الرتبة ضرورة حفظ الدين «فمن أهم ضرورات الجسد المحافظة على ذات صاحبه، وعدم تعريض نفسه للهلاك، لأن النفس المريضة لا تصنع لصاحبها نفعا، ولا تجلب له إلا الأذى والألم، وإن هلكت النفس انقطعت الحياة وانعدم الإنسان نفسه. ولذا يجب منع المريض بمرض من الأمراض المعدية، مثل: وباء كورونا، من مخالطة الناس. ومن هنا ندرك أن الدين الإسلامي الحنيف، قد أمر أتباعه بالمحافظة على حياة النفس الإنسانية، وأحاطها بسياج من الحماية، وحافظ عليها سليمة من الأمراض والآفات، وأرشدها إلى كل من شأنه أن يحفظ عليها صحتها في جميع مراحل حياتها، كما حرم الاعتداء عليها بأي شكل من الأشكال، وغلظ العقوبة على من أزهق روحها بغير حق، وإتلافها بالقتل، فأمر بالقصاص العادل، وجعل من فعل ذلك بمنزلة من قتل الناس جميعا».

ولا شك أن هذه التوجيهات تنطبق في ظروف الحياة العادية حال الصحة والسلامة والعافية، أما في زمن الوباء، فتتأكد الحاجة إليها دفعا للمضرة وجلبا للمنفعة. وللإسلام منهج فريد في التدابير الوقائية الصحية في زمن الوباء، ومنها: فرض الحجر الصحي العام لمنع انتشار الوباء احترازا من انتشاره، ويكون ذلك عن طريق منع المرضى من مخالطة الأصحاء، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «لا يوردن ممرض على مصح» (صحيح البخاري)، إذ إن هذا الحديث النبوي الشريف يعتبر من القواعد الشرعية في الطب الوقائي، حيث إنه يجعل من الحجر الصحي العام ومنع اختلاط المرضى بالأصحاء واجبا شرعيا في زمن الوباء.

المراجع

١- تفسير ابن كثير.
٢- صحيح البخاري.
٣- صحيح مسلم.
٤- «المغني» لابن قدامة.
٥- «فقه السنة» للسيد سابق.
٦- أحمد محمد غلوش، الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، دار الكتاب المصري.
٧- نبيه عرار محمد شماخي، مسائل حول تأثير فيروس كورونا على العبادات الثلاث «الصلاة - الصوم - الحج»، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر بالزقازيق.

د. خالد برادة
باحث في الدراسات الإسلامية



في رحاب الحج

الحج بلسم للنفوس، وصفاء للقلوب، ونبراس للعقول، ومعراج للأرواح، وهو من أفضل الطاعات، وأجل القربات، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»[1].

لقد فرض الله تعالى الحج على من استطاع إليه سبيلا، فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧)، فكان الحج محور العبادات، الذي يفصح عن الخضوع المطلق لله عز وجل، فتسبح الروح في أنوار طاعة الله ومحبته جل في علاه، فالحج رحلة للذكر والفكر، ذكرا لله وتفكرا في آياته، وإني أعد الذكر سناء القلب، والفكر بهاء العقل. إن الحج ركن الإسلام الأكبر، وهو مؤتمر سنوي يفد إليه المسلمون من كل فج عميق، فيجتمعون في صعيد واحد، ملبين ذاكرين الله على ما هداهم، فيغمر الإيمان قلوبهم، وتخالط بشاشته نفوسهم، وقد تخلصوا من متاع الدنيا، وانطلقوا في رحاب الروح، وذلك من أشرف الغايات لبناء الإنسان، وإعداده لحمل راية الإسلام.

والحج إيلاف وائتلاف، للتنائي عن التنافر والخلاف، فهو يزخر بمنافع جليلة، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (الحج:٢٧-٢٨)، ومـا أجل منفعة التعارف وتبادل الآراء والتجارب، وتوطيد أواصر الأخوة، لعودة الوحدة الإسلامية الجامعة، وبذلك تتجلى في الحج أسمى الغايات الحضارية، وهي اجتماع كلمة المسلمين، تحقيقا لمقصد وحدة الأمة، وإعدادها لتكون مهيمنة على الأمم، ذات رسالة إصلاحية، يعود نفعها بالخير العميم على الإنسانية المنكودة الحائرة.

وإن لعبادة الحج دلالاتها الإيجابية في الفاعلية الحضارية، وأثرها في البناء الشامل للإنسان، فتلبية المسلم لنداء إبراهيم الخليل، عليه السلام، لحج البيت المعمور تتيح له تحصيل المنافع المرجوة من الحج، فيشهد في تأدية المناسك، خصوصا على صعيد عرفات، آيات الله البينات، فتصوغ سلوكه وفق المنهج التربوي الإسلامي.

ولنا أن نتأمل مشهد حجاج بيت الله العتيق، وقد تجردوا من المخيط والمحيط، وابتعدوا عن الأهل والمال والوطن، وأقبلوا على الله في بيته الحرام، الذي جعله مثابة للناس وأمنا، واختاره ليكون رمزا لوحدة الأمة.. إن ذلك التجرد من زخارف الدنيا إعلان عن التحرر من سلطان الشهوات، والتنائي عن الركون إلى الملذات، فهو انعتاق من أسر الهوى، للانطلاق في عالم الهدى.

لقد ترك الحجاج أهلهم وديارهم وأموالهم، وهرعوا إلى ربهم، تضحية في سبيله لتحقيق العبودية له جل في علاه، يرجون رحمته، ويبتغون مرضاته، فكان الحج من أوثق الصلات الروحية بالله تعالى.

وسيظل الحج مدرسة كبرى، ومنارة عظمى، يحمل في أعطافه دروسا وعبرا -ما أكثرها وأنفعها- وأولى بالمسلمين أن يتأملوا دلالاتها، ويفقهوا آياتها، ليحققوا مقصد الإسلام من فريضة الحج.

الهوامش

١- صحيح الإمام البخاري، كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، حديث رقم ٢٦.

شذرات

عمرو طه
قاص مصري

أول العلم الصمت، والثاني حسن الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العمل به، والخامس نشره.
مصطفى لطفي المنفلوطي

وهكذا فالبطالة أم.
إن لها ولدًا هو اللصوصية، وابنة هي الجوع..
فيكتور هيجو

ومن يُطْعِم النَّفس ما تشتهي
كمن يُطعِم النار جزل الحطب
مصطفى صادق الرافعي

بالأمس كنت ذكياً فأردت أن أغير العالم.. اليوم أنا حكيم ولذلك سأغير نفسي.
جلال الدين الرومي

إن مُفكرًا معتزلًا عن العالم قد ندب حظ البشر فقال: أصبحت الإنسانية مسرفة في الجلبة والضوضاء، مفرطة في الصناعة، على حطام الهدوء النفسي والغبطة الروحية.
دوستويفسكي

أقوى المحاربين الوقت والصبر.
تولستوي

عندما كنت صغيرا كنت أتأفف حين تزرّر لي أمي أزرار قميصي أو تسرّح لي شعري كنت أريد أن أخرج بسرعة إلى الدنيا. الآن أبيع الدنيا لتعقد لي زراً واحداً..
أدهم الشرقاوي



صابر علي عبد الحليم
إمام وخطيب

إصلاح ذات البين

إذا كانت عبادة الصلاة والصيام والصدقة فضل ومنزلة في نفس المسلم وبها يتقرب إلى الله عزوجل سواء أكانت فرضا، أم نفلا، فإصلاح ذات البين عبادة يتقرب بها إلى الله سبحانه، ثوابها كثواب الصلاة والصيام والصدقة، بل أفضل؛ لأنه يترتب على إصلاح ذات البين عودة الحياة إلى طبيعتها بين الناس من الأهل والأقارب والأرحام والجيران، وبإصلاح ذات البين تحفظ للشريعة مقاصدها، من حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، ويعيش الناس في أمن وسلام، ويعبدون ربهم كما أمرهم، وبفساد ذات البين يتهدد أمن الإنسان واستقراره؛ لذا قرن ربنا عزوجل تقواه بإصلاح ذات بيننا، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال:١).

يقول ابن كثير رحمه الله: «اتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا، ولا تخاصموا، ولا تشاجروا، فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه»[١]، وقد نهى النبي ﷺ عن الفرقة والتخاصم، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»[٢].

فكما أمرنا ربنا عزوجل بالصلاة والزكاة والصيام والحج، أمرنا بالإصلاح بين الناس، والناس كل الناس، بين الرجل وزوجته، والجار وجاره، والقريب وقريبه والصديق وصديقه، قربة إلى الله تعالى، وذلك بإزالة أسباب العداوة والشحناء والكراهية.

والسعي في قضاء حوائج الناس والإصلاح بينهم له فضله ومنزلته، عن أم الدرداء، قالت: قال ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة»، قالوا: بلى، قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[٣].

فالبقاء على إصلاح ذات البين يعني البقاء على الدين، وفساد ذات البين يعني فساد الحياة، فهي الحالقة التي تحلق الدين، كالموسى الذي يستأصل الشعر فلا يترك شيئا.

ولفضل إصلاح ذات البين أيضا: ففي الحديث عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ، قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»[٤].

إصلاح ذات البين يكون بالقول والفعل، بالكلمة الطيبة، وبالنفس، والمال، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، تعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة»، قال: «والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»(٥).

والمصلح له أن يرغب في الصلح ويرهب من تركه لأجل المتخاصمين أن يصطلحا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة الإثنين والخميس، فيغفر لمن لا يشرك بالله شيئا إلا المهتجرين، يقال: ردوا هذين حتى يصطلحا، وفي بعض الحديث: ذروا هذين حتى يصطلحا»(٦)، وفي هذا يقول الحسن بن علي رضي الله عنهما: لو أن رجلا شتمني في أذني هذه واعتذر إلي في أذني الأخرى لقبلت عذره»(٧).

وجانب الإصلاح يشمل قضاء حوائج الناس ومساعدتهم، ففي الحديث عن ابن عمر، أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله، وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد -يعني مسجد المدينة- شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كف غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه أمنا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له أثبت الله عزوجل قدمه على الصراط يوم تزل الأقدام»(٨)، فالمصلح بين الناس له أجر عظيم ما دام نيته الإصلاح، قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:١١٤).

النصوص النبوية العظيمة يستحضرها المقبل على الإصلاح بين الناس تدفعه وتقويه حتى يتم الصلح بين المتنازعين والمتخاصمين، كما عليه أن يذكر بها لتكون دافعة إلى الصلح والتسامح والعفو، فإن كان التخاصم مثلا بين الزوجين، فإنه يستحضر الآيات التي تدعوا إلى حسن العشرة ومنها، قول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء:١٩)، وقول الله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ (الطلاق:٦).

وقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١)، موعظة تدفع وتنفع الزوج إلى التصالح، ومن جانب الزوجة في حق زوجها عليها، قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء:٣٤).

كما يذكر جانبا من التوجيهات النبوية، منها حديث رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت باتت تلعنها الملائكة حتى تصبح»(٩)، وهو بهذا يرغب في طاعة الزوجة لزوجها، فيذكر حديث رسول الله ﷺ، والذي قال فيه: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»(١٠).

ويذكر أيضا ترغيبا وترهيبا حديث رسول الله ﷺ: «أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»(١١)، وإذا كان التخاصم والتنازع بين الجار وجاره نذكر الآيات والأحاديث التي تدفع إلى الصلح والتحابب، وعودة الحياة إلى ما كانت عليه من التوافق والتواصل، فمن الآيات قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ (النساء:٣٦).

ومن الأحاديث أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن «قيل: من يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»[١٢]، وقوله ﷺ: «ما آمن بي من بات وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم»[١٣]، وغيرها من النصوص التي تدفع وتنفع في ترقيق القلوب وعودة الحياة إلى طبيعتها، وإذا كان التخاصم بين الأقارب والأرحام يرغب أيضا ويرهب فيذكر حديث رسول الله ﷺ ترغيبا، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه»[١٤]، ويرهب من قطعية الرحم وفساد ذات البين، بقول الله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ (محمد:٢٢).

ينبغي لمن يتصدى لمهمة الإصلاح بين الناس أن يحثهم على التنازل عن بعض الحقوق التي على الآخر، ابتغاء وجه الله واتباعا لسنة النبي ﷺ.

والمصلح بهذا الحال وتلك الصفة له في رسول الله الأسوة والقدوة الحسنة، فكم مرة أصلح رسول الله ﷺ بين متخاصمين، أو متنازعين، ومن الأمثلة على ذلك: التنازع والتخاصم حول الحجر الأسود واختلاف القبائل من هو أولى بوضع الحجر في مكانه العتيق، ومنه أيضا: صلحه ﷺ بين أهل قباء. وما كان من صلح الحديبية في تنازله عن بعض حقوقه ﷺ.

وفي الإصلاح بين المتخاصمين والمتنازعين يجوز الكذب؛ لأن الهدف والغاية هو الصلح، وفساد ذات البين داء فيقتل الداء بالداء، فكان جائزا عند الحاجة إليه، ففي الحديث قال ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا، أو يقول خيرا»[١٥].

ولأجل إنهاء المنازعات قبل أن تمتلئ القلوب بالقسوة والكراهية يجب الإسراع بالصلح بين المتنازعين مع إعطائهم وقتا للتنازل والتسامح والعفو، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي أبا موسى الأشعري قائلا: «رد الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن»[١٦].

والمصلح يتكلف جهدا بدنيا ونفقة مالية، فقد يترك أعماله سعيا للصلح، بأن يكون في حاجة إلى المال، كما أنه يعود إلى بيته مرهقا ومتعبا، بسبب ما بذله من جهد لأجل الصلح بين المتخاصمين، ما يفعل ذلك إلا ابتغاء وجه الله ومرضاته.

فالمصلح يمتلك من العلم الشرعي ما يعينه على إتمام الصلح، كما يتصف بالخلق الحسن وبالصبر، وعليه سمة الوقار والاحترام.

الهوامش

١- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ، ص٨.

٢- أخرجه البخاري، ج٨، كتاب الأدب، حديث رقم (٦,٧٦)، ص٢١.

٣- أخرجه الترمذي، ج٤، حديث رقم (٢٥,٩)، ص٦٦٣.

٤- أخرجه مسلم ج٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم (٢٥٨)، ص١٩٩٦.

٥- أخرجه في صحيحه، ج٢، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، حديث رقم (٩,١).

٦- أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في المتهاجرين، ج٤، ص٢٧٣. حديث رقم (٢,٢٣).

٧- ابن مفلح الآداب الشرعية، ج١، ص٣,٢.

٨- أخرجه الطبراني: المعجم الأوسط، ج٦، حديث رقم (٦,٢٦)، ص١٣٩.

٩- أخرجه البخاري، ج ٧، كتاب النكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، حديث رقم (٥١٩٤)، ص٣.

١٠- أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، ج٢، حديث رقم (١١٥٩)، ص٤٥٧.

١١- أخرجه الترمذي في سننه، ج٢، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، حديث رقم (١١٦١)، ص٤٥٨.

١٢- أخرجه البخاري، ج٨، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، حديث رقم (٦,١٦)، ص١٠.

١٣- أخرجه أحمد في مسنده، ج٨، ص٨٤٦.

١٤- أخرجه البخاري، ج٣، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، حديث رقم (٢,٦٧)، ص٦.

١٥- أخرجه البخاري، ج٣، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، حديث رقم (٢٦٩٢)، ص١٨٣.

١٦- الصنعاني: مصنف عبد الرازق، ج٨، باب هل يرد القاضي الخصوم حتى يصطلحوا؟، حديث رقم (١٥٣,٤)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، الطبعة: الثانية، ١٤,٣، ص٣.



د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

تحديات «كورونا».. بين مرارة الواقع وسباق الإبداع

يا ترى هل في هذا الحصار الخانق، وهذه الأجواء المحيرة، وهذه الضوضاء الإعلامية، وهذا الصخب الإخباري حول جائحة كورونا... وعينا الدرس؟ هل أدركنا حجم المصائب؟ هل وصلت الرسالة إلى العقول؟

من كان يظن أن هذا الفيروس الضعيف الذي أرسل على البلاد والعباد في أرجاء المعمورة سيكون سببا في تغيرات جذرية في حياتنا بكل آفاقها؛ توقف يصيب سائر الأنشطة الاقتصادية، والرياضية، والعلمية، مصانع تتوقف، شركات تنفض، أسواق تغلق، أعمال تؤجل، آثار سلبية اجتماعية، ونفسية، وعاطفية!

قيد في الحركة، تقييد في الترحال، حصار يضيق الخناق على الناس، فالدنيا كلها في حصار خانق، مقيدين، مكبلين، محددين الإقامة، فالحياة شبه متوقفة إكلينيكيا، آفات وعلل بعضها دون بعض، ازداد الناس حيرة مع هذه الجائحة، لاسيما بعدما طال عليهم الأمد.

وقد تنوعت الآثار السلبية لجائحة كورونا، فمنها الآثار الاقتصادية.

فقد وجهت كورونا ضربة موجعة إلى اقتصاد العالم الذي يعاني بالفعل من الهشاشة، وسيتعرض إلى اضطرابات وتداعيات طويلة الأمد، وأثر ذلك تأثيرا كبيرا على النشاط التجاري في العالم، وتقلبات في أسواق المال، وتراجع في أسعار النفط والمعادن الصناعية[1].

«كورونا» وزيادة حالات الطلاق!

أدت هذه الجائحة إلى زيادة حالات الطلاق، بسبب كثرة المشاكل، والضغوط المختلفة، مما أدى إلى ازدياد التوتر في العلاقات الزوجية، وقد سجلت شركة محاماة بريطانية زيادة بنسبة ١٢٢ في المئة في الاستشارات بهذا الخصوص، وسجل الموقع الإلكتروني للمركز المجاني لإرشاد المواطنين في بريطانيا ارتفاعا حادا في طلب المشورة عبر الإنترنت بخصوص إنهاء العلاقات الزوجية.

وفي الولايات المتحدة أعلن أحد المواقع الرئيسية لإعداد العقود

القانونية مؤخرا زيادة بنسبة ٣٤ في المئة في طلبات الطلاق[٢]، ويشكل المتزوجون حديثا ٢٠ في المئة من مجموع من قدموا طلبات للطلاق!

ورحم الله من قال:

ما ضاقت أرض بأهلها

ولكن أخلاق الرجال تضيق

حرم الناس حسن العشرة وهم أحوج ما يكونون إليها تخلوا عن شيم الكرام، من المروءة والعفو والتسامح، وغض الطرف عن الهفوات والأخطاء غير المتعمدة، والعلاج بحكمة لهذه الأمور.

«كورونا» والاكتئاب

بسبب ما تفرضه هذه الجائحة من عزل وحجر وتباعد اجتماعي، وعدم الاختلاط لمسافات قريبة أدى إلى إحداث حالات اكتئاب، وقلق واضطرابات نفسية، قد تمتد حتى بعد الشفاء من الجائحة[٣].

أين نحن من هذه الآثار؟

لا شك أن طبيعة حياتنا كمسلمين من المفترض أن تنأى بنا عن هذه الآثار، فديننا بما فيه من عقيدة وأركان الإيمان وأخلاق مستمدة من القرآن وهدي النبي ﷺ، يجعلنا نصبر ونحتسب، ونعيش لحظات حياة ممتعة ومنعشة برغم وجود الجائحة. فنحن أمة لا يعرف اليأس إليها سبيلا، أمة تؤمن أن اليأس من رحمة الله كفر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧).

فالمسلم مطالب بعدم الركون إلى الدنيا، ويعلم أن الأحوال فيها لا تدوم، والنفس معرضة للابتلاء في أي لحظة، فتلك سنة الله في الخلق، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٥).

وطبيعة حياة المسلم تأخذ بيده إلى النجاة فهو يعيش مع الله تعالى، متقلبا بين أوامره ووصاياه، يتنقل من عبادة إلى عبادة، ومن طاعة إلى طاعة، ففي كل يوم هو في صلاة تملأ أركان يومه، حتى إن منع عن الصلاة في المسجد بسبب الجائحة كما حدث، فإن الله تعالى جعل الأرض كلها مسجدا لهذه الأمة، كما قال ﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»[٤].

وذكر الله الذي ينير قلبه وجوارحه يبتديه بالاستغفار بالأسحار، ومع بواكير الفجر يلزم أذكار الصباح، وعلى مشارف الآصال يتممها بأذكار المساء، وما بينهما من أذكار في مواطن مختلفة، ومن تلاوة للقرآن الكريم، أو استماع له، أو استظهار له عن ظهر قلب. فكيف يتسرب اليأس أو القنوط إلى ألسنة تلهج بذكر الله، وقلوب لا تغفل عن الله، وأبدان تتحرك في طاعة الله تستنير بالذكر، وتأنس بالمناجاة وتتنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة، ويذكرهم الله فيمن عنده؟!

طاعات تدفع عن المسلم البلاء، وترفع عنه المقت، وتؤنس وحدته، فهو في معية الله تعالى ملازم لطاعته، في النعمة شاكر، وفي البلاء صابر، فكل أموره إلى خير، يصبر على الضيق والمحن والأمراض، ويأخذ بوصفة هذا الدواء الناجع الذي يجب أن يتنبه إليه الناس، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ (البقرة:٤٥).

لنعش الحياة في ظل التقلبات، فالحياة تدور ولا تتوقف عجلاتها، والوقت محسوب علينا، ولنعلم أن الحياة ليست في تحقيق مآرب الجسد من طعام وشراب ونكاح وأخذ للزينة فحسب، بل أكبر متاع الدنيا وأعظمها مع طاعة الله وعبادته، مع القرآن تلاوة وحفظا وسماعا، والذكر والسماع للعلم، وتعلم السنة النبوية الشريفة، هذه هي الحياة الحقيقية، ذلك أن الوحي الذي حمل لنا هذه الشعائر هو الروح الحقيقي الذي نحيا به، لنملأ أوقاتنا بالطاعة، فنفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى:٥٢).

وقال سبحانه: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ (النحل:٢).

هذه هي حياتنا نحن المسلمين.

أما غير المسلمين فيتقلبون في البلاد، يعلو وجوههم العبوس؛ بسبب ما هم فيه من فراغ إيماني، خلت منه القلوب، أخطأ طريقه وضل مقصده وهدفه، مصاب باليأس والقنوط، يمشي على غير هدى ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف:١٠٤).

بوارق الأمل

إننا نعيش في ظل محنة قاسية حقا، ومع هذه القسوة والشدة تتفجر ينابيع الأمل في نفوس المؤمنين، فأطفال فلسطين وغزة حفظوا القرآن في ستة أشهر، وحولوا محنة كورونا إلى منحة[٥].

وفي دولة الكويت أتم خمسون ألف طالب وطالبة حفظ القرآن الكريم في أوقات الحظر، بعد زيادة الإقبال على التسجيل في مراكز التحفيظ كما صرح بذلك الدكتور الجنفاوي وكيل الوزارة المساعد لشؤون القرآن والدراسات الإسلامية[٦].

وهناك من تعلموا اللغة الألمانية كلغة ثالثة بعد العربية والإنجليزية، وتدرجوا فيها لأعلى المستويات، ثم مارسوا تدريسها عبر الإنترنت.

إنها همم عالية، وعزائم لا تلين ولا تستكين، ولهم قدوة في شيوخ الإسلام وعلمائه عندما سجن بعضهم ولم يدع أوقاته تذهب سدى من غير فائدة، فأبدعوا وابتكروا وألفوا وصنفوا، وهذه بعض نماذج لتكون نبراسا لشبابنا ترتقي بهم إلى مدارج المجد.

الإمام أبو سهيل السرخسي أملى كتابه المبسوط (نحو خمسة عشر مجلدا)، وهو في السجن، وكان يملي من خاطره، من غير مطالعة كتب! وهو في الجب وأصحابه في أعلى الجب، وقال عند فراغه من شرح العبادات: هذا آخر شرح العبادات بأوضح المعاني وأوجز العبارات، أملاه المحبوس عن الجمع والجماعات، مصليا على سيد السادات محمد المبعوث بالرسالات وعلى أهله من المؤمنين والمؤمنات، تم كتاب المناسك ولله المنة، وله الحمد الدائم الذي لا يفنى أمده ولا ينقضي عدده[٧].

وكذلك ابن تيمية شيخ الإسلام، له المصنفات والرسائل فاق بها من سبقه، ولا يلحق به من بعده مع أن أكثرها أملاها من حفظه، وكثير منها صنفه بالحبس، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب، وهو القائل: ماذا عسى أن يفعل أعدائي بي، نفيي سياحة، وسجني خلوة، وقتلي شهادة في سبيل الله، فأنا على خير في كل حال[٨].

وهذا الشيخ الألباني دخل السجن ثم نفي بعد ذلك إلى الجزيرة، وقد قدر الله ألا يكون معه إلا كتابه المحبب صحيح الإمام مسلم، وقلم رصاص، وممحاة، فعكف على تحقيق أمنيته في اختصاره وتهذيبه، وفرغ منه في ثلاثة أشهر كان يعمل فيها ليل نهار دون كلل أو ملل[٩].

وأما الدكتور مصطفى محمود فعندما كان طالبا في كلية الطب مرض وهو في السنة الثالثة، وأصبح طريح الفراش طيلة ثلاث سنوات في غرفة مغلقة، حتى سبقه زملاؤه وتخرجوا في كلية الطب وهو لا يزال مريضا طريح الفراش، في بداية الأمر تصور أنها محنة، لكنه في هذا الظرف الاستثنائي الذي ألزمه البيت وأقعده في الفراش، بدأ بقراءة الأدب العالمي كله: الأدب الروسي، والأدب الفرنسي، والأدب الإنجليزي، والأدب الأميركي، فقرأ لكل البارزين في الرواية والقصة القصيرة والمسرح، لازم القراءة باستمرار وهو في فراش المرض، ثلاث سنوات صنعوا دكتور مصطفى محمود، فالذي صنعه العزلة داخل محضن المرض، الذي خرج منه شخصا مختلفا، متأملا، مفكرا بطبيعته، ومارس الكتابة وتقابل مع كبار الكتاب، وبعد انجلاء هذه المحنة، كان يسترجع ذكرياته وقتها، وأحس أن الله الرب المربي يستخرج منه أحسن ما فيه، كالبذرة تدفن في الأرض حتى تخرج ثمرا يانعا، وهذا مثال من الحكمة الإلهية من تولي الله لمخلوقاته بالتربية، فيستخرج منهم أحسن ما فيهم، أحيانا بالمرض، أحيانا بالألم، المهم أن ما يبدو أنه شر هو في حقيقته خير، بعد ذلك أصبح يرحب بأي مكروه لعلمه أنه توجد حكمة لله سيعرفها فيما بعد، وعاد يكمل دراسته بالطب وهو شخص آخر، عقلية تتزاحم فيها الآداب العالمية بلغاتها المختلفة ليستأنف من جديد رحلته في كلية الطب[١٠].

أيها القارئ الكريم، لا يأس مع الحياة، لا قنوط، لا كسل، لا تراخي، فالمسلم يعمل ويجتهد ولو تغيرت الظروف وضاقت الأحوال، ضيق المكان في السجن أو الحجر الصحي يقابل بسعة في الأفق والفكر، وسباحة في كتب العلم المختلفة التي تأخذ بيده إلى امتداد الزمان والمكان ورحابته.

علينا أن نتذكر دائما هذه الآية: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١٦)، أثناء «كورونا»، وبعد انجلائها، وفي كل حياتنا.

الهوامش

١- blogs.worldbank.orgvoicescovi
٢- www.bbc.com
٣- www.scientificamerican.com
٤- أخرجه البخاري، ٤٣٨؛ ومسلم، ٥٢١.
٥- www.elwatannews.com
www.aljazeera.net
٦- www.alraimedia.com
٧- www.alukah.net
٨- www.alukah.net
٩- ar.islamway.net
١٠- حوار نادر مع د. مصطفى محمود برفقة الشيخ الغزالي (يوتيوب).



أ. د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة
أستاذ جامعي

صناعة الأسلحة عند العرب وأثرها في أوروبا



كانت حروب العرب في الجاهلية تمتاز بطابع الكر والفر، ولعل هذا يتجلى في وصف امرئ القيس لحركات جواده حين يقول:

مكر مفر مقبل مدبر معا

كجلمود صخر حطه السيل من عل

إن هذا الضرب من القتال لم يخل من أغراض تبرر اعتناق العرب إياه، فإنهم كانوا إذا هموا بالقتال وكروا على عدوهم، فإذا ما أحسوا بضعف يتراجعون، هذا الضرب من أساليب القتال.

على أن العرب ما لبثوا أن عرفوا أنواعا أخرى من فنون القتال، فنراهم بعد ظهور الإسلام يمتثلون لأوامر هذا الدين الجديد ويقفون في القتال صفا واحدا كأنهم البنيان المرصوص، مما أضفى القوة على المحاربين، حيث جعل من زحفهم على العدو سيلا يجرف كل ما يعترض سبيله، وكان الجند يقفون صفين أو ثلاثة تبعا لعددهم، ثم سرعان ما نظمت الصفوف تبعا لنوع السلاح، ويتجلى هذا في خطب علي بن أبي طالب يوم واقعة صفين عام ٣٧هـ: فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدراع وأخروا الحاسر، وعضوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام، والتووا على أطراف الرماح، فإنه أصون للأسنة، وغضوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب، واخفتوا الأصوات، فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار، وأقيموا راياتكم لا تميلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعائكم واستعينوا بالصدق والصبر، فإنه بقدر الصبر ينزل النصر، على أنه مما يجدر بالملاحظة في هذا الصدد اهتمام علي بحامل الراية أثناء القتال. ولا غرو في ذلك، فالراية رمز الجيش وتعتبر دليلا على بقاء الجيش.

تأثرت فنون القتال عند العرب حينما اشتبكوا مع الفرس والروم في حروب عدة إذ وجدوا أنفسهم في حاجة إلى ممارسة بعض أنواع جديدة، في تنظيم الجند، وعدل عن نظام الصفوف بنظام الكراتيس، وهذه الكلمة مقتبسة من اليونانية ومعناها الكتيبة، فكانت الكتيبة الرئيسية توضع في الوسط تحت قيادة القائد ومعه حاشيته وأعلامه، وتسمى الكتيبة بالقلب، يتقدمها كتيبة أخرى من الفرسان تسمى المقدمة، ثم يوضع على جانبي كتيبة القلب

كتيبتان تسميان بالميمنة والميسرة، ثم كتيبة أخرى توضع وراء القلب وتسمى ساقة الجيش، وكان الفرس يستعملون الفيلة في مؤخرة الجيش، ويضعون عليها أبراجا من الخشب مشحونة بالمقاتلين والسلاح فتبدو كأنها الحصون، واستعمل العرب نظام أو الكتائب منذ زمن مبكر حيث نظم خالد بن الوليد جيشه في واقعة اليرموك عام ١٣هـ من ٣٦ إلى ٤٠ كتيبة، وأعطى قيادة القلب إلى أبي عبيدة وأقام على الميمنة عمرو بن العاص، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان، وهكذا كفل النظام الجديد لخالد نصرا باهرا جعل اسمه من الأعلام الخالدة لأشهر قواد العالم.

الواقع أن العرب كانوا قوما عمليين أقبلوا على اقتباس أساليب من شأنها تحسين الأوضاع التي يمارسونها، وأخذت فنون القتال عندهم تأخذ صبغة أكاديمية، فبدأوا يترجمون الفرس واليونان، وأقبلوا على دراستها، ثم ظهر من بين العرب قواد عظام أخذوا بدورهم يضعون المؤلفات المحلاة بالرسوم لتوضيح خططهم وأساليب قتالهم، وآخر ما وصلت إليه فنونهم هو نظام الهلال في القتال، فكانت تعبئة الجيش على سبعة أنواع لم تستعمل حسب إملاء المقتضيات الحربية، فالتعبئة الأولى هي هلال منفرد والتعبئة الثانية أن يكون إلى جانب الهلال الأصلي هلالان كأنهما جناحان، والتعبئة الثالثة المربع المقلوب والتعبئة الخامسة على شكل المعين، والسادسة على هيئة المثلث، والسابعة هي الدائرة المزدوجة، وهما دائرتان أحدهما داخل الأخرى.

وكيفما كان الأمر فإن دراسة فنون القتال في العصور الوسطى ومقارنتها بالأساليب الحديثة كفيلة بأن تزيح لنا الستار عن أصول فنون القتال العصور الوسطى، ومن الثابت

حياة الجندي في العصور الوسطى كانت ذات قواعد مرسومة

أن لدراسة التاريخ الحربي أهمية كبرى في الكليات الحربية في عصرنا الحديث، فإن المواقع المشهورة في كتب التاريخ كثيرا ما يتردد ذكرها في بعض العمليات الحربية في عصرنا هذا، ومهما تعددت أو اختلفت أنواع الأسلحة التي تستعمل في القتال، فإن فن القتال التكتيكي الذي يمارسه الطرفان المتحاربان لا يتغير.

استعمل العرب بعض الأسلحة ومهروا فيها ومن أشهر آلات القتال عندهم المنجنيقات والعرادات، والمنجنيق عبارة عن آلة من الخشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التي توضع فيها الحجارة ثم يجذب حتى ترتفع أسافله في أعاليه ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر أو النفط منه، فما أصاب شيئا إلا أهلكه، ويلحق بالمنجنيق اللولب والحبال التي يجذب بها المنجنيق، واقتبس العرب المنجنيق من الفرس، أما العرادات فكانت أصغر من المنجنيقات ترمي سهاما عظيمة أو ترمس ببندق حديد ثقيل الوزن، كذلك استعمل العرب السهام والأقواس في القتال، وكتب العرب التاريخية تفيض بالتعليمات التي يجب أن يتبعها المحاربون. كذلك تحوي أوصافا في غاية من الدقة عن فن صناعة الأقواس.

كان الخلفاء يهتمون بزيارة مصانع الأسلحة ليتفقدوا الصناعة ويشاهدوا مباريات لرمي السهام ويذكر المقريزي أن صناعة الأقواس بلغت حدا من الكمال حتى أن الرامي لا يشعر بالسهم إلا وفارق القوس، ونبغ العرب كذلك في حماية حصونهم من منجنيقات أعدائهم، فكان يمد من أعلى سور الحصن أخشابا طوالا كالجناح ويدلى منها البسط والأكسية والشباك من الحبال الغلاظ فيجيء الحجر وضعف فعله وكذلك السهام لا تتجاوز الستائر.

ومن الطريف أن نذكر أن الجند كانوا يدربون على أساليب القتال، وكان يجرى عليهم اختبار دقيق قبل أن يسمح لهم بالالتحاق بالجيش، وذكر هلال بن الصابئ في كتابه تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء: «ويقف القواد والغلمان بين يدي الخليفة المعتضد في الميدان ويجلس كتاب العطاء أسفل بحيث لا يراهم أحد، ويتقدم القائد ومعه كشف بأسماء أصحابه فيأخذها خادم منه، ويصعد بها إلى المعتضد بالله. ويدعو عبيد الله بن سليمان بواحد ممن فيها فيدخل الميدان، يمتحن الهدف فإن كان يرمي رميا جيدا وهو متمكن من نفسه ومستقر في سرجه ومصيب في رميه، علم على اسمه (ج) وهي علامة الجيد، ومن كان دون ذلك علم على اسمه (ط) وهي علامة المتوسط، ومن كان لا يحسن أن يركب فرسه أو يرمي هدفه علم على اسمه (د) وهي علامة الدون، ثم يجمل بعد العرض والامتحان إلى كتاب الجيش ليتأملوا النتائج.

هذا النص يكشف الستار عن الكثير من النظم التي كانت تجرى في العصور الوسطى، وهي كلها نظم يستشف المرء منها أفكارا صحيحة أن حياة الجند ونظم الجندية في العصور الوسطى لم تكن تجري دون قواعد مرسومة، بل كانت هناك نظم



وتقاليد يحترمها الجميع وتطبق على جميع الأفراد دون تحيز.

تطور صناعة البارود وفنون القتال في العهد الأيوبي

تعتبر الأسلحة النارية أكبر تحد واجه الجيوش التقليدية في العصور الوسطى، ولعل تطور السلاح من المواد المتفجرة لاسيما البارود إلى المدفعية إلى البندقية في أواخر تلك العصور كان أوضح شاهد على انتقال فن القتال والحرب إلى العصور الحديثة، وما رافق ذلك من تسارع مذهل في تطوير أسلحة الفتك والدمار.

كانت النار الإغريقية تأتي في مقدمة وسائل القتال التي اقتبسها العرب عن الروم وطوروها، ومن ثم مهدت لظهور البارود، ولعب هذا السلاح الإغريقي دورا مهما في الحروب مع الحملات الصليبية، وهو يتكون من مزيج من مواد حارقة، أساسها النفط والكبريت وبعض الصموغ والدهون. وكانت تنطلق من أسطوانات نحاسية، يقذف منها السائل مشتعلا، أو يطلق على هيئة كرات مشتعلة، أسماها العرب بالزراقات التي كانت تنبعث منها نار، فتحرق السفن.

لكن العرب أدخلوا تحسينات على النار الإغريقية، في عهد صلاح الدين الأيوبي، وأحرقوا بها أبراج العدو أثناء حصاره لمدينة عكا، في أواخر القرن الـ١٢ الميلادي واستخدم العرب في الحروب الصليبية مخاليط سريعة الاحتراق، الكبريت والنفط وغيرها من المواد التي تحرق بسرعة البرق، كما استخدم العرب النار الإغريقية في ذلك من أسلحة نحاسية، يقذفون فيها السائل النفطي على هيئة كرات مشتعلة واستخدموها في معارك شتى، وكان رامي البارود والنفط يسمى نفاطا حيث يلبس ثوبا خاصا اسمه لباس النفاطين لكيلا يصاب بأذى والنفاطة تقذف بالكبريت والنفط.

وقد شهدت الآلات القاذفة تطورا ملحوظا باكتشاف البارود الذي عرف في آسيا قبل الحروب الصليبية، وربما كان الصينيون هم الذين اكتشفوه، لكنهم لم يستخدموه كسلاح حربي، بدليل أن المغول الذين فتحوا الصين لم يقتبسوه عنهم، كما أنهم لم يستعملوه في حروبهم، بل اقتصر استعماله في الصين مثلا على إطلاق صواريخ الألعاب النارية في الأعياد والاحتفالات.

يستدل من كتاب «الفروسية والمناصب الحربية»، لحسن الرماح على أن البارود كان معروفا في مصر منذ زمن مبكر، وأورد مؤلف الكتاب الحديث عنه ذاكرا تركيبه من الملح والكبريت المسحوق، ورماد الفحم والبرادة والنشادر والزرنيخ الأحمر والنيلة الزرقاء والفتائل، وذكر النسب بين هذه المواد، كما تحدث عن مدافع النفط الطيار الذي يصعد منه لهب النار.

الأيوبيون استخدموا المدافع والصواريخ

تؤكد المراجع أن القوات الأيوبية استخدمت آلات الحرب والحصار كالمجانيق والدبابات والأبراج في تصديها للغزاة، وأن العرب استخدموا في أثناء القتال آلة لم يستعملوها من قبل، يقذفون منها بشيء ملأ قلوبنا بالدهشة والرعب، نار مستقيمة،

كأنها أسطوانة كبيرة، وذيلها من خلفها مثل الحراب الطويلة، ودويها يشبه الرعد، وكأنها طائر جارح يشق الهواء، لها نور ساطع جيد، من جراء انتشار اللهب العظيم الذي يحدث هذا الضوء، حتى أنك ترى كل ما في المعسكر، كما لو كان في وضح النهار، وأكد بعض المتخصصين في تطور الأسلحة أن هذه الأوصاف تنطبق على المدافع التي أطلق عليها في عدة أسماء مثل: مكاحل البارود، ومدافع النفط، وصواعق النفط، وهندام النفط، وصواريخ النفط، وقوارير النفط التي تقتلع القلاع، ويذهب بعض الباحثين أيضا إلى أن المماليك استخدموا هذا السلاح في موقعة عين جالوت ضد المغول.

ويتوالى ذكر هذه الأنواع من الأسلحة النارية في المؤلفات التي ظهرت في عصر المماليك، مثل «التعريف بالمصطلح الشريف» لابن فضل الله العمري، «والسلوك لمعرفة دول الملوك» للمقريزي، «وبدائع الزهور» لابن أياس، ومع ذلك فإن المدافع التي كان يمتلكها المماليك ظلت تستخدم في الأغراض الدفاعية، في حين بقي فرسان المماليك بوجه عام بعيدين عن هذه الأسلحة، ويلتزمون بنظام الفروسية التقليدي في القتال، مما سهل على العثمانيين الانتصار عليهم.

انتقال الأسلحة النارية إلى المغرب والأندلس

انتقلت تقنية صنع الأسلحة النارية بعد ذلك إلى العرب في المغرب والأندلس، حيث كانوا يواجهون أخطارا كبيرة على المستويين الداخلي والخارجي.

تذكر المصادر والمراجع أن العرب في المغرب استخدموا الأسلحة النارية في هجومهم على سرقوسة بصقلية في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي وأن الموحدين قد استخدموها في مهاجمتهم لمدن وهران والمهدية ومراكش، وأنهم استولوا على قلاع أندلسية كثيرة بفضل آلات حصارهم العنيفة التي كانت تقذف كتلا هائلة من الحجارة وكرات ملتهبة من الحديد.

ويؤكد الدكتور/ العبادي أن مسلمي المغرب والأندلس توصلوا في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي إلى اكتشاف خاصية أخرى للنفط كمادة هادمة متفجرة، وذلك إذا خلط بملح البارود أو النشادر وحصى الحديد، تحت درجة حرارة عالية، مما أدى إلى تطوير جديد في وقود المدافع والأسلحة النارية.

أورد ابن خلدون في مقدمته شيئا عن هذا التطور خلال وصفه لمهاجمة سلطان المغرب يعقوب المريني مدينة سجلماسة عام ٦٧٢هـ، حيث «نصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد، ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود، بطبيعة غريبة، ترد الأفعال إلى قدرة باريها».

ويتضح مما سبق أن الأسلحة النارية قد عرفت واستخدمت لدى العرب قبل الأوروبيين بحوالي نصف قرن على الأقل، وأن الإسبان والأوروبيين صفوفهم هم الذين اقتبسوا هذه الأسلحة عن المسلمين، فنقلوها إلى أوروبا، وطوروها خلال حرب المئة سنة بين إنجلترا وفرنسا والحروب الإيطالية في الفترة التالية، وفي وقت كانت فيه القارة الأوروبية على أبواب نهضة علمية شاملة، فلم تلبث أن تلقفت السلاح الجديد، وعكفت على تجربته وتطويره.

أوروبا وتطوير الأسلحة النارية

أدى إقبال الأوروبيين على تطوير الأسلحة النارية إلى تفوقهم في هذه الصناعة، وبخاصة في استعمار كثير من الشعوب في آسيا وإفريقيا، وإبادة شعوب أخرى، كالهنود الحمر في القارتين الأميركيتين، بل إن هذا التفوق ظهر بشكل جلي أيضا عندما عجزت الدولة العثمانية عن مجاراة التقنية العسكرية للدول الأوروبية، وهو أمر أثبتته ميادين القتال البرية والبحرية، حيث بدأ العجز العسكري العثماني واضحا في أوروبا الشرقية منذ القرن السادس عشر الميلادي، كما أدى إلى تراجع قوات المماليك والعثمانيين البحرية عن التصدي للقوات البرتغالية والأوروبية في المحيط الهندي، واستمر التراجع العسكري العثماني في القرون التالية، حتى انتهى بسقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

وليس من شك في أن استمرار التفوق الأوروبي على العرب في صنع الأسلحة النارية المتطورة يأتي في مقدمة الأسباب التي تكمن وراء عدم انتصار العرب على أعدائهم في معظم المعارك البرية والبحرية التي خاضوها، والتي وصفها القائد العثماني البحري «بأنها معارك المدفعية والبنادق، وفطن كثير من دعاة الإصلاح السياسي والعسكري الإسلامي إلى هذه الحقيقة».

وضع المؤرخ التركي يده على السبب الحقيقي المباشر لتراجع العثمانيين في أوروبا الشرقية، ونعني به التفوق الأوروبي في الأسلحة الحديثة، وهو أمر يكاد ينطبق على جميع ميادين المواجهة العسكرية غير المتكافئة التي اضطر العرب وغيرهم من الشعوب إلى خوضها مع أعدائهم منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا.

أحمد راشد
باحث دراسات إسلامية



الإسلام دين التكافل

جعل الله تعالى دينه دينا شاملا يرعى مصالح البلاد والعباد، وجعله قائما على التكافل بينهم في شتى مجالات الحياة.

ويقوم التكافل في القرآن الكريم على مبدأين اثنين:

أحدهما: مبدأ الإخاء الذي هو حجر الأساس في بناء العلاقات البشرية، وقد أشار إليه القرآن في أكثر من موضع للدلالة على أهمية مشاركة الأفراد بعضهم بعضا في الشعور الإنساني.

والثاني: صفاء نفس المسلم، ومحبته الخير، وبذله الإحسان للبشر جميعا، فلا يبخل بما عنده ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

المفهوم الحقيقي للتكافل في الإسلام

لا يقوم التكافل في الإسلام على تقديم المساعدة بشتى صورها لمن يحتاج إليها، لكنه يقوم على تقديم الخير المطلق للبشر جميعا، وهذا هو الإحسان في حقيقته، فالإحسان في حقيقته ليس هو أداء الواجب فحسب، لكنه زيادة عن الواجب.

والتكافل في ضوء الإسلام يمتاز بشموليته للنواحي السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية.. وغيرها من النواحي، فهو شامل لكل الناس مع اختلاف عقائدهم، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)، وقد بين لنا الكتاب العزيز صورا عديدة من صور التكافل التي ترقى بالإنسانية إلى ما يريحها ويجعلها تحيا حياة سعيدة، لا يشوبها كدر ولا أذى.

وتتعدد صور التكافل في الإسلام، وسنبينها على النحو التالي:

أولا - التكافل الأخلاقي

لقد حث الشرع الحنيف ودعا إلى نشر الأخلاق الحميدة والدعوة إليها بصورها المختلفة، كذلك دعا الدين

الإسلامي إلى حماية الأخلاق بعد وجودها وتوافرها في المجتمعات، وذلك صيانة للأنفس والأموال والأعراض؛ لأن في حماية الأخلاق والمحافظة عليها حفاظا على المجتمعات واستقرارها ونمائها، وفي عدم حماية الأخلاق تضييع للمجتمعات، وإشاعة للفساد فيها، وفي عدم الأخذ على أيدي العابثين ضياع وانهيار للأمم، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الأنفال:٢٥)، والفتنة المقصودة هنا هي عدم النهي عن المنكر بكل أنواعه، قال السعدي في تفسير هذه الآية عن الفتنة: «بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، تقوى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وألا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن. ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ لمن تعرض لمساخطه، وجانب رضاه»[1].

ثانيا - التكافل العلمي

ورد الحث في كتاب الله تعالى على العلم كثيرا. والمقصود بالعلم هنا العلم النافع الذي يخدم البشرية ويسعى إلى تحقيق الخير لها. والتكافل العلمي هنا يتمثل في تقديم العلم النافع للناس في أمور حياتهم باختلاف مشاربها، وذلك بهدف نشر المنفعة بين المجتمعات وإنقاذها من الهلاك والمجاعات والكوارث، ومثال هذا ما ورد ذكره في قصة يوسف، عليه الصلاة والسلام، عندما فسر رؤيا الملك، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴾ (يوسف:٤٧).

من ناحية أخرى، نهى الشرع الحنيف عن كتمان العلم وعدم بيانه للناس، وتوعد الله تعالى ونبيه ﷺ من يكتم العلم بوعيد شديد، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (البقرة:١٥٩)، والحقيقة أن «هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله ﴿مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدالات على الحق المظهرات له، وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا الناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك ﴿يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته. ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتي به يوم القيامة ملجما بلجام من النار» (سنن ابن ماجه).

ثالثا - التكافل السياسي

والمقصود به تقديم النصح لولاة الأمر بما ينفع الناس ويعود على شعوبهم بالخير، وهذا النصح له ضوابط لابد من الالتزام بها، فالنصح لولي أمر المسلمين يكون سرا لا جهرا، ويكون باللين والرفق لا بالعنف والفوضى، وهذا هو ما وردت به النصوص الشرعية القويمة في الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة.

وهذا النصح المستند إلى الأدلة الشرعية يكون فيه مراعاة مصالح البلاد والعباد، والتآلف بين الحاكم وشعبه، كذلك فيه حماية الشعوب من الأخطار التي قد تتعرض لها وتضرها، ولعلنا نلحظ هذا في قصة ذي القرنين، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴾ (الكهف:٩٤).

ومن أمثلة هذا النوع من التكافل أيضا ما كان من تعاون بين هارون وموسى، عليهما الصلاة والسلام، فقد كان هارون، عليه السلام، يعين أخاه موسى، عليه السلام، في حضوره، ويخلفه في قومه إذا غاب عنهم، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي

﴿وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (الأعراف:١٤٢).

رابعا - التكافل الاقتصادي

وهذا النوع من التكافل واضح في دعوة الإسلام إلى وضع الزكاة في مصارفها الشرعية، وكذلك في دعوة الإسلام إلى خدمة المصلحة العامة للمجتمع، وتحريم احتكار الأموال وكنزها ومنع الناس من الانتفاع بها، وفي هذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ (التوبة:٣٤-٣٥).

وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾؛ أي: يمسكونها ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: طرق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت، ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾؛ ثم فسره بقوله: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا﴾؛ أي: على أموالهم، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فيحمى كل دينار أو درهم على حدته، ﴿فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡ﴾ في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخا: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز.

وذكر الله في هاتين الآيتين، انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين: إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي له نفعا، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله. وإما أن يمسك ماله عن إخراجه في الواجبات، و«النهي عن الشيء، أمر بضده»[٣].

خامسا - التكافل بين الإنسانية عامة

وهذا النوع من التكافل هو الذي يوضحه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ (الحجرات:١٣)، ففي هذه الآية أخبر الله تعالى «أنه خلق بني آدم من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالا كثيرا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوبا وقبائل؛ أي: قبائل صغارا وكبارا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحقوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوما، ولا أشرفهم نسبا، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرا وباطنا، ممن يقوم بذلك، ظاهرا لا باطنا، فيجازي كلا بما يستحق.

وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبا وقبائل، لأجل ذلك»[٤].

سادسا - التكافل الاجتماعي

وهذا النوع من التكافل يشمل كثيرا من الفئات التي يتكون منها المجتمع، فمن التكافل الاجتماعي مثلا التكافل الأسري، والتكافل بين ذوي الأرحام، كفالة الأيتام، وأصحاب الاحتياجات الخاصة، والفقراء والمساكين، والإحسان إلى الجيران، وكفالة اللقطاء، والناظر في كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ يرى كثيرا من النصوص التي تدعو إلى كل ما سبق، ولعلنا نقرأها كلها في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (البقرة:١٩٥).

الهوامش

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص:٣١٨.

٢- السابق، ص:٧٧.

٣- تفسير السعدي، ص:٣٣٥.

٤- تفسير السعدي، ص:٨٠٢.



السنوسي محمد السنوسي
ماجستير الآداب في الدراسات الإسلامية

البيئة.. مقياس حضاري ولغة مشتركة

من المهم أن يكون الخطاب الإسلامي مشتبكا مع هموم الناس وآمالهم؛ ليس ليدلي بدلوه فيما يتصل بالحل والحرمة، كما هو الشائع؛ وإنما ليقدم منظورا حضاريا وتفاعلا مثمرا في أن الإسلام لا ينفصل عن الحياة، وأن توجيهاته وتشريعاته تمتد مظلتها لتشمل مناحي الحياة كافة؛ سواء بالتفصيل في بعض الجوانب، أو بتقرير المبادئ العامة والأصول الحاكمة في جوانب أخرى.

و«البيئة» تمثل مجالا مهما من مجالات الفكر المعاصر؛ لأنها مرتبطة بحياة الإنسان ومستقبله.. ومن ثم، كان من الضروري أن نتفاعل مع هذا الملف الحيوي، وأن ننظر فيما يمكن أن تقدمه الرؤية الإسلامية في هذا الصدد.

البيئة منزلنا الكبير!

والبيئة هي مجموع العناصر الطبيعية والاصطناعية التي تحيط بالإنسان والحيوان والنبات، وتشكل محيطه الطبيعي. وعوامل البيئة هي العوامل التي تسيطر على أحوال الكائنات الحية وتوزيعها في محيطات الطبيعة المختلفة[1].

وثمة لفتة مهمة يتضمنها المعنى اللغوي لمصطلح البيئة؛ حيث جاء في (المعجم الوسيط) أن من معاني البيئة: المنزل[2]؛ فكأن البيئة هي منزلنا الكبير، بل هي كذلك بالفعل؛ فنحن البشر يسكن كل منا منزلا صغيرا يضم أسرته الصغيرة من الآباء والأبناء؛ بينما نسكن جميعا في هذا الكوكب الذي يمثل بكل ما فيه: منزلنا الكبير!

ولهذا فالمحافظة على البيئة -هذا المنزل الكبير- تمثل واجبا على كل ساكنيها، وإن تفاوتت المسؤولية طبقا لإمكانات كل ساكن وكل مجموعة من مجموعات السكان.

الإسلام والبيئة

تقوم الرؤية الإسلامية في التعامل مع البيئة على أسس ومقاصد تشكل «نموذجا معرفيا» متميزا؛ ومن أهم هذه الأسس والمقاصد أن الله تعالى

قد خلق الإنسان وكلفه بعبادته، وسخر له ما في السماوات والأرض ليستعين به على العبادة؛ فالإنسان مأمور باتباع الهدى وإقامة المنهج، وبإعمار هذا الفضاء الرحب، بما يشتمل عليه هذا الإعمار من الإصلاح والإنماء، ومن كف الأذى وعدم الإفساد..

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:١٣)، وقال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود:٦١). وقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف:٥٦).

وإذا كانت الأرض -وهي مجال الإعمار- قد جعلت لنا مسجدا وطهورا؛ كما في الحديث الشريف: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي»، ومنها: «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»[٣]؛ فإن هذا يعني أن الأرض أصبحت مجالا للعبادة والإعمار في آن واحد؛ فالعبادة إعمار، والإعمار عبادة!

كما قرر الإسلام أن ما يظهر من فساد في الكون إنما هو بما اجترحت يد الإنسان؛ أي إن الكون قبل تدخل الإنسان هو في حالة من الصلاح والتوازن! قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:٤١).

هذا فضلا عن أحكام متعددة مفصلة في كتب الفقه، مثل ما يتصل بالمحافظة على الماء وعدم الإسراف فيه، وبالنهي عن التبول في الماء الراكد، وعدم قتل الطيور للعبث، وعدم قتل صغارها، حتى نتيح لها فرصة التوالد.. مما يجعل المسلم يستشعر أن الكون كله يسبح لله تعالى، وأن كل شيء له وظيفة؛ وعلينا جميعا أن نتعاون في أداء وظائفنا، دون بغي ولا إسراف[٤].

إذن، «النموذج المعرفي الإسلامي» ينظم علاقة الإنسان بالطبيعة على قاعدتي التسخير والإعمار؛ فالكون مسخر للإنسان بأمر الله تعالى، والإنسان مطالب بإعمار الكون عبادة لله.. بينما «النموذج المعرفي المادي» يقيم تلك العلاقة على الصراع والاستنزاف!

لماذا نهتم بالبيئة؟

هذا سؤال مهم في التأسيس لمنطلقات وقيم تتصل بما يجب علينا تجاه البيئة. وهنا نقول إضافة لما سبق: نحن نهتم بالبيئة لأنها تمثل:

■ حاضرنا: فنحن نتعامل مع مفردات البيئة كل لحظة، وأي خلل في ذلك يتهدد حاضرنا الذي نحياه. ولسنا في ترف الاهتمام أو عدمه؛ وإنما هذا واجب تفرضه ضرورات الحياة!

■ مستقبلنا: فالاهتمام بالبيئة ليس فقط أمرا يتصل بالحاضر، وإنما له تأثيرات بالغة على المستقبل، وعلى الأجيال القادمة؛ ولهذا التفت الفكر العالمي إلى أمرين مهمين: ضرورة التنمية القائمة على العناية بالبيئة، وضرورة التنمية المستدامة التي تحفظ للأجيال اللاحقة حقها، ولا تستنفد كل الثروات الطبيعية في اللحظة الحاضرة.. أما إذا انفصلت «التنمية» عن «البيئة» أو عن «الاستدامة»، فهذا يشكل عدوانا على حاضر الإنسان ومستقبله، بل وعلى إنسانيته أيضا.

البيئة اهتمام عالمي

ثمة اهتمام عالمي بالبيئة ومشكلاتها، وبأهمية الحفاظ عليها لاسيما مع تطورات التكنولوجيا المتسارعة، التي باتت في أوقات كثيرة تشكل تهديدا للبيئة، وتعكس رغبة عارمة في النمو بغض النظر عن أي آثار جانبية خطيرة!

وفي هذا الصدد نرصد أنشطة مهمة للأمم المتحدة في ميدان البيئة، وهي: مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة البشرية (١٩٧٢م)، اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية (١٩٨٧م)، مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية (١٩٩٢م)، دورة الجمعية العامة الاستثنائية المكرسة للبيئة (١٩٩٧م)، مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة (٢٠٠٢م)، مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة (٢٠١٢م)[٥].

وكان مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية الذي عقد في استوكولهم في يونيو من عام ١٩٧٢م -وهو المناسبة التي دخلت فيها (البيئة) ضمن الأجندة الدولية- قد بادرت باقتراحه السويد التي كانت مهمومة بالمطر الحمضي والتلوث في بحر البلطيق ومستويات المبيدات البشرية والمعادن الثقيلة في الأسماك والطيور. واكتشفت

الدول المختلفة أنها ليست واحدات مستقلة بذاتها، بل ترتبط بما يقوم به الآخرون من أعمال. وهكذا ظهرت فئة جديدة من المشاكل هي (القضايا العالمية)[٦].

وفي مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة، المنعقد في جوهانسبرغ بجنوب إفريقية، في سبتمبر ٢٠٠٢م، تم تجديد التأكيد على أن حماية البيئة والتنمية الاجتماعية والاقتصادية أمور لا بد منها للتنمية المستدامة، وأن القضاء على الفقر وتغيير أنماط الإنتاج والاستهلاك غير المستدامة وحماية قاعدة الموارد الطبيعية وإدارتها من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية هي أهداف شاملة ومتطلبات أساسية للتنمية المستدامة.

ولفت المؤتمر إلى أن البيئة العالمية لا تزال تعاني من التدهور؛ فتناقص التنوع البيولوجي مستمر، وكذلك استنفاذ الأرصدة السمكية، والتصحر يتلف مساحات متزايدة من الأراضي الخصبة، والآثار الضارة لتغير المناخ باتت واضحة، وتزايد حدوث الكوارث الطبيعية وما يترتب عليها من دمار، وأضحت البلدان النامية أضعف حالا، ولا يزال تلوث الهواء والمياه والبحار يحرم ملايين الأشخاص من العيش الكريم.. ودعا المؤتمر إلى تعزيز تكامل عناصر «التنمية المستدامة» الثلاثة: التنمية الاقتصادية، والتنمية الاجتماعية، وحماية البيئة[٧].

إذن، «حماية البيئة» أصحبت هما عالميا، وصار التعامل معها باعتبارها واحدة من المكونات الثلاثة لـ «التنمية المستدامة».

الخطاب البيئي حضاريا

إذا كانت «الحضارة» درجة من التطور والرقي في الجوانب المعنوية «الثقافة»، والجوانب المادية «المدنية»، بحيث لا ينفصل هذان الجانبان عن بعضهما البعض؛ فإن الخطاب البيئي يصلح أن يكون مقياسا حضاريا؛ لأن التطور المادي المنفصل عن القيم التي تراعي الإنسان وتتصالح مع البيئة، بل وتحافظ عليها وتنميها، بما يستبقي «التوازن» المطلوب في الكون، ويعكس إحساسا راقيا بكل ما فيه من موجودات مع بني الإنسان.. هذا التطور المادي المنفصل عن كل ما سبق، ليس تطورا حضاريا، وإن دل على زيادة كمية!

أما التطور المادي الذي يرتكز على قيم وأسس تأخذ البيئة ضمن أولوياتها، وتراعي حاجات الإنسان المتعددة لا المادية فحسب، وتحفظ للأجيال التالية حقوقها ولا تجور عليها.. فهو التطور الحضاري المنشود.

ولهذا، كان الاهتمام بالبيئة مقياسا مهما من المقاييس الحضارية، التي يجب أن نلتزم بها ولا نغفل عنها.

الخطاب البيئي لغة مشتركة

ثمة مشتركات إنسانية كثيرة، يحاول العقلاء في مختلف الثقافات والحضارات لفت النظر إليها؛ بما يخفف من حدة الصراعات القائمة في عالمنا، ويقطع الطريق أمام من يحاول تأجيجها وزيادة مساحتها الملتهبة!

و«الخطاب البيئي» هو أحد هذه المشتركات الإنسانية التي يمكن الاجتماع عليها، والتعاون لتعزيزها؛ بما يمثل هما عالميا واحدا، ولغة مشتركة للتخاطب والتفاهم؛ لأن رعاية البيئة تعود ثمارها على الجميع، وأضرارها أيضا تصيب الجميع؛ كما أن العقول المستقيمة، أيا كان ما تعتنق من مذاهب وأفكار، لا بد أنها تبدي حرصا على البيئة، وتمد يد التعاون لمن يدخل إليها من هذا المدخل.

لهذا، كان الاهتمام بالبيئة مقياسا حضاريا، وقاسما إنسانيا، ولغة مشتركة، في عالم مليء بالصراعات!

الهوامش

١- انظر: قاموس المعاني، نسخة إلكترونية.

٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص:٧٧، الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٨م.

٣- متفق عليه، من حديث جابر بن عبدالله.

٤- راجع المزيد في: صحة البيئة في ميزان الإسلام، د. محمد هيثم الخياط، ص:٢١ وما بعدها، منظمة الصحة العالمية- المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ١٩٩٥م.

٥- راجع المزيد عن المؤتمرات والتقارير المتعلقة بالبيئة على الرابط: https://research.un.org/ar/docs/environment/conferences

٦- قاموس التنمية، تحرير: فولفجانج ساكس، ص:٥٨، ترجمة: أحمد محمود، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٨م.

٧- راجع تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة، على الرابط: https://undocs.org/ar/A/20/199.CONF



عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

الاهتمام بقضايا البيئة

يتزايد الاهتمام في قضايا البيئة بصورة كبيرة على مستوى العالم، مع تنامي المخاطر البيئية التي باتت تشكل تهديدا بالغا للصحة العامة، وسط استمرار استنزاف الموارد الطبيعية من دون وضع أي اعتبارات للتأثيرات السلبية الناجمة عن مشاكل التلوث البيئي.

وفرضت عملية التطور الاقتصادي والنمو السكاني والتوسع العمراني التي تشهدها كل دول العالم واقعا جديدا يجب التعاطي معه بصورة مغايرة لمواجهة ما ينتج عن هذه المتغيرات من تأثيرات بيئية كبيرة.

هذا التزايد الملحوظ في أعداد السكان والمباني والمنشآت العمرانية وحالة النهوض الاقتصادي والصناعي أدى إلى بروز تحديات بيئية جديدة يجب على دول العالم مواجهتها وحسن التعامل معها لتحقيق التوازن بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية المنشودة والمحافظة على البيئة وموارد الطبيعة المختلفة.

ولعل أول التحديات التي ينبغي العمل على مواجهتها هو البحث عن كيفية المحافظة على الحياة الفطرية والبرية والبيئات الطبيعية المختلفة من خلال إيجاد وسائل وطرق جديدة ومبتكرة لتحقيق أقصى استفادة ممكنة من الموارد الطبيعية من دون أن يؤدي ذلك إلى التأثير على ديمومتها أو خلق مشاكل بيئية خطيرة وغير متوقعة.

استمرار الحاجة المتزايدة إلى الموارد الطبيعية يحتم علينا الاهتمام في البيئة والمحافظة عليها وعدم استنفاد مصادرها من خلال حسن استغلالها بصورة تضمن بقاءها موردا طبيعيا لأطول فترة ممكنة بغية تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

الوصول إلى النهضة الاقتصادية والاجتماعية وتحقيق رفاهية المعيشة أمر مهم ومن الأولويات الرئيسية لكل دول العالم، لكن يجب ألا يكون على حساب البيئة والحياة الطبيعية، فمثلما نرغب في التنمية الاقتصادية يجب أن تقابل ذلك تنمية بيئية وحفاظ على الموارد الطبيعية وحماية من مشاكل التلوث.

عملية الاهتمام في البيئة وحمايتها من التلوث لن تكون إلا عبر اتباع وسائل النشر والتوعية بأهمية الحفاظ على البيئة وخطورة الملوثات لما لها من آثار صحية بالغة الخطورة، إضافة إلى التعريف بعناصر البيئة وطرق التعامل معها وضرورة عدم استنزاف مواردها.

لم تعد عملية التوعية بالبيئة أمرا صعبا في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي وتقنيات الاتصال الحديث التي حولت العالم إلى قرية صغيرة، وهو ما يمكن استثماره في نشر التوعية بأهمية رعاية البيئة والاهتمام بها وتطويرها والحفاظ عليها من كل ما يلحق بها الضرر والتلوث.

واتباعا لمقولة «الوقاية خير من العلاج»، التي تعودنا على سماعها منذ الصغر، لحض الإنسان على المحافظة على صحته، فإن المحافظة على البيئة وحمايتها من التلوث واستنزاف مواردها أمر مهم وضروري، وسيكون أقل كلفة من إصلاح خرابها وتدميرها فيما بعد.



عبدالله الظفيري
صحافي وكاتب



رعاية إسلامية للبيئة

لا تعكس قضية الاهتمام بالبيئة سلوكا حضاريا وتصرفا إنسانيا وحسب، إنما هي واجب ديني يفرضه علينا الدين الإسلامي الحنيف، لذلك يجب علينا المبادرة إلى العناية بالبيئة والعمل على الحفاظ عليها باعتبار أن هذا الأمر جانب مهم من جوانب الإسلام. وإذا كان العالم بدأ يولي قضية البيئة اهتماما متزايدا منذ بداية القرن العشرين وإلى يومنا هذا مع تنامي مشكلات التلوث والمخاطر البيئية الناجمة عن استنزاف الموارد الطبيعية، فإن الدين الإسلامي كان له السبق قبل قرون عدة في الدعوة إلى الاهتمام بالبيئة والتحذير من الإضرار بها. لقد اهتم الإسلام بالبيئة اهتماما كبيرا وأكد على أهمية رعايتها والحفاظ عليها وعدم الإضرار بها من خلال ما جاء في الكثير من النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة. قال الله تعالى: ﴿.. كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة:٦٠).

ولا تقتصر نظرة الإسلام للبيئة على قضية المحافظة عليها وعدم الإضرار بها بتصرفات تؤدي إلى استنزاف موارد الطبيعة، وما ينتج عنها من تأثيرات سلبية تهدد سلامة الحياة البشرية، إنما يدعو الإسلام أيضا إلى تطوير البيئة وتنميتها والاهتمام بها والمحافظة عليها. ومثلما حرص الإسلام على غرس الأشجار والحفاظ على النباتات والحياة الطبيعية كمثال على الاهتمام بالبيئة حرص أيضا على التحذير من السلوكيات والتصرفات الخاطئة التي تشكل خطرا على البيئة ومواردها من قطع الأشجار والإسراف وغيرها من تصرفات مضرة. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها».

لا يمكن اغفال أو تجاهل ما تتعرض له البيئة من استنزاف ومخاطر كبيرة وما ينتج عنها من تأثيرات سلبية ومشاكل صحية لذلك أصبحت البيئة أكبر مشكلات العصر وحديث العالم، خصوصا أن آثار الملوثات البيئة لا تنحصر في مكان واحد إنما تمتد لتشمل الأفراد والمجتمعات والكون بأسره. ولا تتوقف تأثيرات مشكلة البيئة على الجوانب الصحية فقط إنما تتوسع وتشمل كل جوانب الحياة الأخرى سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية؛ لذلك أصبحت قضية رعاية البيئة وتطويرها وحمايتها من كل ما يعود عليها بالضرر أولوية رئيسية في كل بلدان العالم، التي زاد اهتمامها بقضايا البيئة ومواجهة ما تتعرض له من مخاطر عن طريق إنشاء المؤسسات والهيئات الحكومية المعنية بموضوع البيئة أو من خلال الندوات والمؤتمرات العلمية التي تناقش قضايا التلوث أو عبر حملات التوعية الهادفة لتعزيز الوعي البيئي بين أفراد المجتمع أو بإشراك مؤسسات المجتمع المدني لتبني مبادرات المحافظة على البيئة وتجنب أسباب التلوث.



القاهرة - الطيب حسين
دار الإعلام العربية

البيئة الآمنة.. رقي والتزام

تمثل البيئة إحدى الركائز المهمة في حياة الإنسان عامة، والمسلم على وجه الخصوص. وحث الإسلام على الاعتناء بها، لما يترتب على الإضرار بها من آثار سلبية على الفرد وعلى المجتمع، وفي المقابل ما يمثله الاهتمام بها وحمايتها من مقياس ديني وحضاري.. وتزخر الشريعة الإسلامية بتوجيهات واضحة في هذا الملف، بداية من الاهتمام بالنظافة الشخصية، وليس انتهاء بالنهي المتكرر عن صور الإفساد في الأرض، وما يقع بينهما من أنماط سلوكية تجعل إزالة ما يؤذي الناس من الطريق من أسباب دخول الجنة.

نبدأ مع الدكتور شوقي عبداللطيف، نائب وزير الأوقاف المصري الأسبق، الذي أكد أن الإسلام دين حضاري، يتواكب مع الزمان والمكان، ويعمل دائما على حماية الفرد والأسرة والمجتمع، ويزيل ما يفسد على الناس حياتهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس».

دين حضاري

وأشار د. شوقي عبداللطيف إلى أن هناك عدة تشريعات في الإسلام تحمل دلالات واضحة في الاعتناء بالبيئة وحمايتها، لا سيما فيما يتعلق في السلوك الشخصي وما يترتب عليه من آثار.

وأوضح أنه تكفي الإشارة إلى قيمة النظافة وتعضيدها بسلوكيات

متكررة، مثل الوضوء في اليوم خمس مرات، موضحا أنه من مظاهر الحفاظ على الكيان الإنساني.

ولفت إلى دعوة الإسلام لاستمرارية الحياة، ووقوفه أمام المياه كعنصر ترتد إليه الحياة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء:٣٠)، لافتا إلى الربط بين التنمية البشرية وغيرها من السلوكيات المتعلقة بالحفاظ على البيئة.

ولفت نائب وزير الأوقاف المصري الأسبق إلى نهي الإسلام عن الإفساد في الأرض، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف:٥٦)، منبها إلى الربط القرآني الواضح بين التوجيهات التعبدية والسلوك المرتكز على الحفاظ على الأرض وعدم الإفساد بعد الإصلاح.

وأكد أن من القيم الإسلامية الرفيعة إماطة الأذى عن الطريق، على ما يشمله من تصرف بسيط، إلا أنه يحمل إشارات تبين أن الإسلام اعتنى بملف البيئة بشكل واضح.

وقال عبداللطيف إن الإسلام يربي أتباعه على التطهر والنزاهة والبعد عن الخبائث التي تضر بالإنسان والحيوان.

وحول تحذيرات الشارع بشأن إيذاء الغير، قال إن الإسلام نهى عن الإيذاء بكل أشكاله وأنواعه، لافتا إلى القاعدة الشرعية «لا ضرر ولا ضرار».

كما حذر من حدوث خلل في نظام

عبداللطيف: الإسلام أمر بالحفاظ على البيئة وعدم الإفساد في الأرض

التنوع البيئي، نظرا للممارسات الخاطئة التي ذكر منها تلويث المياه والهواء، إلقاء القاذورات بالشوارع، مخلفات المصانع، الإسراف في المياه، لما لها من تأثيرات مباشرة على حياة الإنسان والحيوان والنبات.

وأشار إلى أن هناك أيضا عنوان «النظافة من الإيمان» الذي يربط بين النظافة كقيمة معتبرة والإيمان.

كذلك تعد معايير حماية البيئة معايير صحية لحماية الكون كله وليس الإنسان فقط، لحاجته إلى الحفاظ على جميع الكائنات الحية، ومجابهة انتهاك التنوع الحيوي بكل صوره.

كما أن هناك مسؤولية كبيرة تقع على الإعلام في التثقيف والتوعية، وحمل الناس على تبني السلوكيات المحمودة في هذا الجانب. وهذه المسؤولية لا تقل عن المسؤولية في تربية النشء على صيانة البيئة، وتربيتهم على إيلائها اهتماما

د. عزب: انبعاثات مصنع واحد تنعكس سلبا على كل ما في البيئة المحيطة

أكيدا، عن طريق تبني منهجيات تعليمية تعتمد على طرق التعليم الحديث.

حماية الكون كله

وفي الإطار ذاته، قال الدكتور صالح عزب، استشاري التنمية المستدامة، إن المعايير الموضوعة لحماية البيئة هي بالأساس معايير لحماية صحة الكون كله.

وأوضح أن المقصود بحماية الكون هو حمايته كله، بما فيه من مخلوقات وكائنات حية، سواء النباتات أو الحيوانات أو ديدان أو حشرات.

وأشار إلى أن هذه الكائنات تحدث توازنا في النظام البيئي، وكل كائن يتغذى على كائن آخر، فعند حدوث خلل أو انقراض بعض الحيوانات جراء الممارسات الخاطئة، فإن التنوع الحيوي أو التنوع البيولوجي سيتأثر بشكل واضح.

وذكر استشاري التنمية المستدامة أن هذا يعني أن الحيوانات التي تعيش حولنا يجب أن نحميها من الانقراض، لافتا إلى أن صيانة البيئة أمر بالغ الأهمية في هذه النقطة.

وأكد عزب أن التلوث البيئي يضر الحيوان كما يضر الإنسان، ويتسبب في انقراض العديد من الحيوانات، خصوصا التي لا ترى بالعين المجردة.

وتابع أن «هذه الحيوانات هي المسؤولة عن حياتنا، من غيرها لا حياة لنا، الإنسان يعج بالكائنات الحية بداخله، أنواع مختلفة من البكتيريا تحدث التوازن في الصحة، لو حدث تلوث فإن هذه الكائنات الدقيقة جدا تموت، فنكتشف ظهور أمراض لم نكن نعرفها من قبل».



وشدد عزب على أن عدم حماية الكائنات الدقيقة من التلوث سيتسبب في إيذاء الإنسان والحيوان والنبات.

وأشار إلى نمط منتشر من السلوكيات السلبية، وهو تلويث المصانع لمياه الشرب، خصوصا في تدفقاتها التي تحوي مواد سامة لا تذوب في المياه.

وذكر استشاري التنمية المستدامة أن هذه المواد السامة تصل إلى المياه الجوفية وتصب في الأنهار، مشيرا إلى أن المعادن الثقيلة السامة لا تذوب في المياه، كما أن الأسماك تتغذى منها قبل أن يتناولها الإنسان حينما تصل إليه، ومن ثم فإن كل هذه السموم وكل هذه الملوثات تصل لنا بطريقة ما، مباشرة أو غير مباشرة، مبيدات الآفات، الأسمدة الكيماوية.

كيفية حماية البيئة

وشدد على أن حماية البيئة من الأمور المكلفة، لذلك فإن معظم الدول النامية تضعها في أولوية متأخرة، لكن نجد في المقابل أنه يتم دفع أموال طائلة لعلاج ضحايا التلوث من دون حل المشكلة نفسها، وسببها وهي المخلفات التي تضر البيئة بمختلف صورها.

وأوضح أن مصنعا يخرج غازات ملوثة للبيئة على سبيل المثال، فإنه يسبب تحجرا رئويا لغالبية السكان بمحيطه.. ويتطلب الأمر تركيب فلاتر لهذه المصانع، حتى لو كانت مرتفعة الثمن إلا أن فوائدها في منع التلوث أثمن من أي مبالغ تدفع.

د. مكاوي: على الإعلام أن يغرس حماية البيئة كجزء من ثقافة المجتمع

وأكد عزب أن وظيفة الدولة إلزام الجهات التي تنبعث منها نفايات سامة بالتخلص منها بطريقة صحية.

دور الإعلام في حماية البيئة

في سياق متصل، تحدث الدكتور حسن عماد مكاوي، عميد كلية الإعلام السابق بجامعة القاهرة، عن دور الإعلام في حماية البيئة وغرسها كجزء من الثقافة العامة للمجتمعات، مؤكدا أن الحفاظ على البيئة يحتاج إلى تعليم وتوعية، ما يتطلب إعداد برامج إذاعية وتلفزيونية موجهة إلى الأماكن والقطاعات التي تهدر البيئة.

وأوضح أن هذه البرامج تتبنى نشر السلوكيات الرامية إلى حماية البيئة مثل كيفية الحفاظ على المياه، وترشيد استهلاك الكهرباء، والتصدي للانبعاثات الحرارية، وتلوث الهواء إلى غيرها من الملفات

الأخرى.

وربط مكاوي بين وجود التوعية والردع، مؤكدا أن هناك من لا يرتدع إلا بوجود عقوبات على العادات السلبية المتكررة على نطاق واسع كوضع النفايات في غير الأماكن المخصصة.

وأكد أستاذ الإذاعة والتلفزيون على أهمية دور الدولة في مقاومة هذه التصرفات، مشددا على أنه يجب أن تكون المقاومة أقوى، سواء من ناحية التغطية والمتابعة أو من ناحية الردع.

ولفت إلى دور الجهات المعنية ميدانيا، عن طريق تنظيم حملات دورية تعمل على صيانة البيئة بناء على التوعية بالتصرفات الخاطئة فيما يتعلق بتلوث الهواء، والماء، والتربة، والمحاصيل الزراعية وما يحدث بها من ترسيبات صحية خطيرة تجد طريقها مباشرة إلى معدة الإنسان، والتي تستخدم لمقاومة الآفات بشكل مبالغ فيه، وتتضمن استخدام مواد سامة وضارة بشكل كبير.

وذكر مكاوي أهمية الاهتمام بتوعية النشء من أجل غرس قيمة حماية البيئة في المجتمع، عن طريق تمريرها في شكل حكايات مبسطة للأطفال في مراحل الروضة والحضانة والمرحلة الابتدائية.. ويتصل بذلك أيضا دور المؤسسات الدينية والتعليمية كالمسجد والمدرسة لغرس قيم حماية البيئة.

التعليم بالقدوة

وقال الدكتور محمد عبدالعزيز، أستاذ التربية بجامعة عين شمس، إن الإسلام حرص على الاعتناء بالبيئة، ويتضح ذلك في جملة مختصرة وهي «النظافة من الإيمان» والتي تعكس حرص الإسلام واهتمامه بالإنسان ونظافته سواء الشخصية أو المجتمعية.

وحول تنشئة الأطفال على ضرورة صيانة البيئة، لفت إلى أن أكثر ما يغرس في النشء الاهتمام بالبيئة، هو التعليم بالمثل والقدوة، ويمكن لذلك وضع منهج دراسي للتنشئة البيئية، أو التربية البيئية، على أن تتوافق السلوكيات التي يدرسها الطفل مع ما يراه على أرض الواقع، ما يعني أن الآباء ينبغي أن يكونوا قدوة لأبنائهم في المحافظة على البيئة والنظافة العامة.

وأضاف أن تفعيل السلوكيات الصحيحة، يبدأ بالذات في مرحلة الطفولة المبكرة التي تبدأ من الصف الأول بالمرحلة الابتدائية إلى الصف الرابع، وهذه هي الفترة التي تتيح غرس أي قيمة نبيلة في نفوس الأطفال بها، أو أي قيمة صحيحة لأي طفل.

وتابع أن «غرس القيم يتم من خلال القدوة، ومن خلال مشاركة الطفل في أعمال بيئية صحيحة، بما يعني وجود منهج دراسي بيئي سلوكي على أرض الواقع».

د. عبدالعزيز: تفعيل حماية البيئة لدى النشء يكون بالقدوة الإيجابية

كما لفت عبدالعزيز إلى أن جزءا من التدريب السلوكي هو مشاركة الطفل في الأنشطة البيئية وتحفيزه وتشجيعه حال تفاعله مع هذه الفعاليات.

وأكد ضرورة احتساب حماية البيئة مادة أساسية وليس حصة تلقين وحفظ.

كما حذر من مناقضة الحديث للطفل في المدرسة مع سلوكيات المعلمين خارج أسوار المدرسة.

ومن المهم أيضا وضع لوحات إرشادية في المدارس، أو نستخدم الأفلام التعليمية في الإعلام، مع التنبيه إلى أن التربية البيئية غير مقتصرة على جميع البيئات، لأن النشء في العاصمة على سبيل المثال غير النشء في المحافظات، ما يستدعي مراعاة هذا التنوع عند وضع الخطط والمناهج.

وأكد عبدالعزيز أن الخطة الممنهجة يجب أن تكون مبنية على محاور تشمل النقاط التي تم استعراضها.

وحول المسؤولية في غرس قيمة حماية البيئة يرى أنها متنوعة بين الدولة والمجتمع المدني.. وأن دور الدولة يقوم بالأساس على وضع الخطط وما إلى ذلك، لكن التنفيذ على أرض الواقع يحتاج إلى مشاركة المجتمع المدني، وهذا يحدث في كل دول العالم.

وقال عبدالعزيز إنه في فترة كورونا شهدنا تبرعات من المجتمع المدني، فما المانع أن يتولى هذه الإجراءات أيضا.. وأن تصبح حماية البيئة قناعة شخصية وقيمة دينية واجتماعية لدى كل إنسان في المجتمع.



د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

ما أفسده البشر!

البيئة خلق الله، خلقها بكل ما فيها من مخلوقات وكائنات لتكون مقرا وسكنا للبشرية إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ (الرعد:٢-٣).

وخلال العقود الأخيرة بات من الملاحظ أن الحديث عن البيئة وقضاياها تخطى أروقة البحث العلمي، ليحتل مساحة كبيرة من العقل الجمعي العالمي، فتكونت الجماعات المدافعة عن البيئة، وصارت حركة عالمية تتواجد في كل دول العالم تحت مسميات وكيانات انصهرت في بوتقة مؤسسات المجتمع المدني، الذي أصبح الاهتمام بالبيئة وقضاياها واحدا من مجالات عملها الأساسية، كما أصبحت البيئة وقضاياها رافدا من روافد العمل الاعلامي، ومحط اهتمام وكالات الأنباء العالمية، بل أصبح الإعلام البيئي فرعا مستقلا بذاته له قواعده واستراتيجياته.

العالم يتحرك من أجل إنقاذ البيئة

لا تقتصر مشكلات البيئة على بلد بعينه، فمخاطر التلوث البيئي لا تعرف الحدود ولا الحواجز بين الدول، وإنما تؤثر في العالم بأسره بغض النظر عن مكان حدوثه. وأمام تزايد معدلات التلوث البيئي، أدرك العالم أن مشكلات البيئة تحتاج إلى تضافر الجهود والتعاون من أجل الحد منها والحفاظ على بيئة نظيفة لكل البشر، ونلمح بدايات هذا الاهتمام في المواثيق والمعاهدات الدولية التي أشارت في موادها وبنودها إلى أهمية وسبل الحفاظ على البيئة؛ فقد جاء ميثاق الأمم المتحدة متضمنا في مادته الخامسة والخمسين ما يشير ضمنا إلى قضايا البيئة، حيث تضمنت المادة المذكورة الدعوة إلى تحقيق الرفاهية لكل الشعوب والتعاون في حل المشكلات التي تحول دون ذلك، والميثاق العالمي لحقوق الإنسان في مادته الخامسة والعشرين، كما تمت الإشارة أيضا إلى قضايا البيئة في العهد الدولي الخاص بحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

كما رأت الأمم المتحدة ضرورة الالتقاء العالمي المباشر للتباحث حول قضايا البيئة ووضع الحلول والبرامج الرامية إلى الحد من



التلوث والحفاظ على البيئة، وبالفعل قامت الأمم المتحدة منذ عام ١٩٧٢م وحتى زماننا المعاصر بعقد العديد من المؤتمرات التي كان لها الأثر الواضح في توجيه سياسات الدول والحكومات نحو اتخاذ التدابير اللازمة للحفاظ على البيئة والحد من تلوثها، وذلك على النحو التالي:

● مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة البشرية (استوكهولم- يونيو ١٩٧٢م) وكانت أهم توصياته: إنشاء برنامج الأمم المتحدة للبيئة.

● اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية (١٩٨٧م).

قدمت اللجنة تقريرها العلمي إلى الجمعية العامة في عام ١٩٨٧م، بعنوان «مستقبلنا المشترك»، ويعرف أيضا باسم تقرير «برونتلاند» وقد تضمن هذا التقرير تطويرا لموضوع التنمية المستدامة.

● مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية (في ريو دي جانيرو- يونيو ١٩٩٢م).

ويعد الأشهر بين مؤتمرات الأمم المتحدة المتعلقة بالبيئة، وأطلق عليه «قمة الأرض».

وخلال المؤتمر تم اعتماد ثلاثة اتفاقات هي:

● إعلان ريو المتعلق بالبيئة والتنمية؛ وهو سلسلة من المبادئ التي تعرف حقوق الدول ومسؤولياتها.

● جدول أعمال القرن ٢١؛ وهو خطة عمل عالمية لتعزيز التنمية المستدامة.

● بيان مبادئ الغابات؛ وهو مجموعة من المبادئ التي تقوم عليها الإدارة المستدامة للغابات في أنحاء العالم.

كما تم فتح باب التوقيع على معاهدتين متعددتي الأطراف هما: اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ، واتفاقية التنوع البيولوجي. كما دعا المؤتمرون في قمة الأرض إلى عدة مبادرات تتعلق بالتنمية المستدامة.

● دورة الجمعية العامة الاستثنائية التاسعة عشرة – المكرسة للبيئة (قمة الأرض + ٥) (يونيو ١٩٩٧م).

وجاء في توصياتها: قرار الجمعية العامة ببرنامج مواصلة تنفيذ جدول أعمال القرن ٢١.

● مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة «ريو+ ١٠» (جوهانسبرغ – سبتمبر ٢٠٠٢م).

وفيه تم استعراض التقدم المحرز في تنفيذ جدول أعمال القرن ٢١ منذ اعتماده عام ١٩٩٢م، وقد تمخضت نتائجه عن: «إعلان جوهانسبرغ بشأن التنمية المستدامة وخطة التنفيذ».

● مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة «ريو + ٢٠» (ريو دي جانيرو- يونيو ٢٠١٢م).

وجاءت الوثيقة الختامية بعنوان: «المستقبل الذي نصبو إليه» الذي يتضمن وضع خطة عمل لتنفيذ أهداف التنمية المستدامة في كل بلدان العالم.

● العجز العالمي عن مواجهة التلوث البيئي:

وعلى الرغم من كل ما صدر عن هذه المؤتمرات من اتفاقيات ومعاهدات، فإنها لم تستطع السيطرة على معدلات التلوث البيئي والحد منها، بل إن معدلات التلوث تزداد كما وكيفا وتزداد خطورتها وتهدد حياة الإنسان وصحته والحياة بكل أنواعها وأشكالها في كوكب الأرض، فعلى سبيل المثال في تزايد معدلات تلوث الهواء أعلنت منظمة الصحة العالمية أن تلوث الهواء يتسبب في ٢٥ في المئة من وفيات البالغين بأمراض القلب، و٢٥ في المئة من السكتة الدماغية، و٤٣ في المئة من مرض الانسداد الرئوي المزمن، و٢٩ في المئة من سرطان الرئة.

● البيئة مسؤولية شرعية في الإسلام

جاءت الشريعة الإسلامية لتعبيد العباد لرب العباد وحده لا شريك له، وبالتالي إصلاح حياتهم وتيسير سبل ذلك الصلاح، للقيام بما خلقهم الله من أجله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، ولذلك كفلت الشريعة الإسلامية للمسلم كل ما يحقق له أمر العبودية لله تعالى، فصلها العلماء في مقاصدها وكلياتها الخمس وهي حفظ: (الدين، النفس، النسل، العقل، المال).

ولا شك أن صلاح البيئة والحفاظ عليها لا ينفكان عن مقاصد الشريعة الإسلامية بل ويعدان من مقتضيات تحقيق هذه المقاصد، فالقاعدة الأصولية تقول: «ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب» وإذا ما طبقنا هذه القاعدة الأصولية على الحفاظ على البيئة وحمايتها فسنجد على سبيل المثال:

● طهارة المكان من شروط صحة الصلاة.

● سلامة الهواء والغذاء من أسباب صحة البدن وقوة النسل وسلامة العقل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾(الأعراف:١٥٧).

● الحفاظ على المال؛ فالشريعة الإسلامية حرمت التكسب أو الإتجار في الأشياء المحرمة شرعا، ولا شك في أن كل ما يضر البيئة من منتجات أو مشروعات يعتبر من الكسب الحرام شرعا.

كما جاء النهي عاما عن كل أشكال الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ (الأعراف:٥٦).

● القواعد الضابطة لتعامل المسلم مع البيئة التي يعيش فيها

أولا: التنمية المستدامة للموارد البيئية:

التنمية المستدامة وحق الأجيال القادمة في الاستفادة من الموارد، من القواعد الضابطة لسلوك المسلم في تعامله واستخدامه للموارد البيئية، سبق إليها الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠).

فالاستخلاف يعني أن الإنسان وصي على هذه البيئة وليس مالكا لها وأنه مستخلف في إدارتها وإعمارها، وبناء على ذلك فليس لأحد أن يدعي أنه يملك منها شيئا ملكا حقيقيا فيكون له حق التصرف المطلق ولو بالإفساد والإتلاف، بل هي بمقتضى ملكية الله الملكية الحقيقية تشبه أن تكون ملكا استخلافيا للناس جميعا عبر الأجيال المتتابعة[1].

ثانيا: الحث على الزراعة

الزراعة هي أساس الإعمار والحضارة ولذلك دعا الإسلام المسلمين إلى الزرع والاهتمام به، وأفرد الفقهاء بابا في كتبهم للحديث عن مسائل وأحكام الزراعة وما يتعلق بها، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ (عبس:٢٤-٣٢)، وفي الحديث: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة» (مسلم).

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها، فليمنحها أخاه المسلم، ولا يؤجرها، فإن لم يفعل، فليمسك أرضه» (مسلم).

ثالثا: حرمة الاعتداء على الموارد البيئية وإهدارها مهما كانت الظروف

نهي النبي ﷺ عن قطع الأشجار وغلظ في عقوبة المتعمدين قطعها،

فعن عائشة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يقطعون السدر يصبون في النار على رؤوسهم صبا» (البيهقي).
وحتى في أوقات الحروب والاضطرابات التي قد يجد فيها الكثيرون المبرر للتخريب والدمار، لاسيما إذا كان ذلك في أرض عدوه، حرم الإسلام الاعتداء على الموارد البيئية، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: «اخرجوا بسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع» (أحمد والبيهقي).
وعلى النهج نفسه سار الصحابة، رضوان الله عليهم، فقد أوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه جيوشا بعثها للشام بقوله: «لا تقتلن امرأة، ولا صبيا، ولا كبيرا هرما، ولا تقطعن شجرا مثمرا، ولا تخربن عامرا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلا، ولا تغرقنه، ولا تغلل ولا تجبن» (البيهقي).

رابعا: ضبط السلوكيات الشخصية للمسلمين

يعد قضاء الحاجة في الأماكن العامة من مصادر تلوث البيئة التي باتت تؤرق دول العالم، ولذلك تم تدشين المنظمة العالمية للمراحيض في ١٩ نوفمبر ٢٠٠١م، للفت الانتباه إلى قضايا الصحة العامة في العالم. وبناء على تقارير وأبحاث هذه المنظمة التي أشارت فيها إلى تفاقم وخطورة قضاء الحاجة في الأماكن العامة وآثارها السلبية على الموارد البيئية، أصدرت الأمم المتحدة عام ٢٠١٣م، قرارا يعترف باليوم العالمي للمرحاض، وهو يوم تطلق فيه حملة لتوعية الناس في جميع أنحاء العالم بقضايا الصرف الصحي، ويوافق ١٩ نوفمبر من كل عام، ورغم حملات التوعية للحث على استخدام المراحيض، فإن إحصائيات الأمم المتحدة تشير إلى أن حوالي ٦٧٣ مليون شخص يقضون حاجتهم في المناطق العامة.
وفي المقابل، فقد بلغ من حرص الإسلام على نظافة البيئة التي يعيش أو يتواجد فيها المسلم، أن وضع له قواعد وآدابا أوجب عليه أن يلتزمها ولا يخالفها، لتبقى البيئة نظيفة خالية من كل ما يلوثها، لا سيما إذا كانت موارد البيئة ينتفع بها الجميع مثل: الأنهار والبحار والحدائق والمتنزهات، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا اللعانين، قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم» (مسلم).
وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «أنه نهى أن يبال في الماء الراكد» (مسلم).

خامسا: تحريم الغش

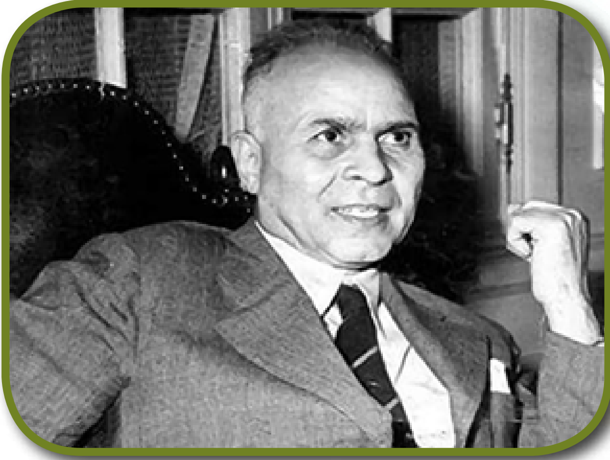
المنتجات المعدلة وراثيا، والمستخدم فيها الهرمونات والمواد الكيمائية، سواء كانت زراعية أو حيوانية، تغري الكثيرين بالإقبال عليها، سواء من المنتجين لها أو المتاجرين فيها، نظرا لما يجنيه من ربح سريع ومضاعف، وهذه المنتجات ضررها أكثر من نفعها، ولها تأثير ضار على البيئة، مما دفع بالكثير من الدول إلى التوقف عن إنتاجها وبيعها، والمسلم مطالب بتحري الرزق الحلال، وبالتالي يحرم عليه الإتجار في المحرمات والغش في البضائع والتي قد تكون منها المنتجات المعدلة وراثيا، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ (الأحزاب:٥٨).
وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني» (مسلم).
وعلى هذا فموقف المسلم حيال هذه المنتجات المعدلة وراثيا؛ منتجا كان أو تاجرا، في ظل ما تؤكده الأبحاث العلمية من ضرر هذه المنتجات، أن يتوقف عن إنتاجها أو بيعها أو شرائها، ويعد هذا الموقف الإيجابي حفاظا على الموارد البيئية من الإهدار والتلوث.
وهذه القواعد محاولة اجتهادية لتأصيل المنهج الإسلامي في التعامل مع البيئة كسلوك تعبدي، ومن جهة أخرى فإننا وإزاء ما يمكن أن تفرزه مشكلات البيئة من قضايا ومشكلات ومواقف مستجدة قد تؤثر على عبادات المسلم وعلاقته بربه فإننا في حاجة ماسة إلى جهود بحثية فقهية تبين كيفية تعامل المسلم مع هذه المستجدات، وبيان الحكم الشرعي فيها.

الهوامش

١- فريدة زوزو، مقصد حفظ البيئة وأثره في عملية الاستخلاف (إسلامية المعرفة، السنة الثانية عشرة، العدد ٤٨، ربيع ١٤٢٨هـ، ص:٨٥).
٢- معلومات المؤتمرات الواردة في هذا المقال مستمدة من الموقع الرسمي للأمم المتحدة على شبكة الإنترنت بتصرف من الكاتب.



د. محمود صالح البيلي
دكتوراه في الأدب والنقد



من العلماء الأدباء

الدكتور أحمد زكي وتأديب العلم

قيض الله سبحانه وتعالى للعربية من الكتاب من جمع بين العلم والأدب، فنبغ بعض العلماء الأدباء في تبسيط المعارف الطبيعية والتطبيقية بشكل راق، ونشروها بين طالبي الثقافة والعلم عبر الصحف والمجلات الذائعة الصيت الواسعة الانتشار بأسلوب يجمع في ملامحه وتكوينه بين سمات الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي.. وما ذاك إلا لأن هذه الكوكبة من الكتاب حصدوا في العلوم التجريبية درجات علمية مرموقة، كما أنهم حازوا نصيبا وافيا من فنون الأدب وسليقة المبدعين، وأوتوا قسطا كبيرا من فنيات كتابة المقال.. ومن هؤلاء الأفذاذ د. أحمد زكي، الذي سنعرض له في هذا المقال بشيء من التفصيل.

أحمد زكي سيرة ومسيرة

ولد أحمد زكي عاكف في ٨ شوال ١٣١٢هـ الموافق ٥ أبريل ١٨٩٤م بمحافظة السويس، التحق بمدرسة السويس الابتدائية، وحينما انتقل والده إلى القاهرة التحق بمدرسة أم عباس الابتدائية، وظل بها حتى أتم الابتدائية عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، والتحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية، ومنها نال الشهادة الثانوية ١٣٣٠هـ/١٩١١م، وكان ترتيبه الثالث عشر على القطر المصري، التحق أحمد زكي بمدرسة المعلمين العليا، وبعد التخرج عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م عمل مدرسا بالسعيدية الثانوية، ثم رشح للسفر في بعثة إلى إنجلترا لاستكمال تعليمه، لكن حرم منها بسبب عدم اجتيازه الكشف الطبي.

عمل في ميدان التدريس؛ فاشتغل مدرسا بالمدرسة الإعدادية الثانوية، ثم اختير ناظرا لمدرسة وادي النيل الثانوية بباب اللوق في القاهرة، وفي عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م استقال من وظيفته، وتوجه إلى إنجلترا على نفقته الخاصة؛ طلبا للتخصص في الكيمياء، ونجحت مساعيه في أن تلحقه الدولة ببعثتها الرسمية، ثم حصل على شهادة بكالوريوس العلوم من ليفربول عام ١٩٢٣م، ثم دكتوراه الفلسفة في الكيمياء ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، ثم انتقل إلى جامعة مانشستر لمواصلة البحث العلمي، فأمضى بها عامين، ثم التحق بجامعة لندن، وحصل على درجة الدكتوراه في العلوم عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م، وهي أرفع الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعات، وكان ثالث مصري يحصل عليها بعد علي مصطفى مشرفة وعبدالعزيز أحمد.

بعد عودته من إنجلترا عين أستاذا مساعدا للكيمياء العضوية في كلية العلوم، ثم أستاذا عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، ليكون أول أستاذ مصري في الكيمياء، ثم شغل منصب مدير مصلحة الكيمياء عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، ثم أسس المركز القومي للبحوث عام ١٩٤٧م، واختير وزيرا للشؤون الاجتماعية عام ١٩٥٢م.

أهم أعماله

- تأسيس الجمعية الكيميائية المصرية عام ١٩٣٨م.
- تأسيس المركز القومي للبحوث عام ١٩٤٧م.
- كان أول رئيس تحرير لمجلة «العربي» الثقافية الكويتية منذ عام ١٩٥٨م ولمدة سبعة عشر عاما إلى أن توفي.

- كان عضوا في مجامع اللغة العربية في: القاهرة ودمشق وبغداد.

من مؤلفاته

حظيت المكتبة العربية بعدد من كتبه ومؤلفاته فمن أشهر كتبه موسوعته الشهيرة «في سبيل موسوعة علمية»، التي جمع فيها مقالاته العلمية التي نشرها في مجلة «العربي» الكويتية: مع الله في السماء - مع الله في الأرض - سلطة علمية. كما ترجم من الكتب العلمية: قصة الميكروب - قصة الكيمياء. ومن الكتب الأدبية: غادة الكاميليا - جان دارك.

توفي الدكتور أحمد زكي، رحمه الله، في ١٣٩٥هـ/١٣ أكتوبر عام ١٩٧٥م[١].

أسلوبه العلمي المتأدب

يعد د. أحمد زكي عالما أديبا وأديبا عالما، فهو من النماذج الثقافية الفذة والشخصيات اللامعة علميا وأدبيا وصحافيا، التي عرفتها الأوساط المهتمة بالعلم والفن والأدب خلال القرن الماضي في مصر والوطن العربي بأكمله، بل كل من يثقف قريحته من خلال لغة الضاد في سائر البلدان[٢].

كما يعد د. أحمد زكي من أوائل من نادوا بإدخال الثقافة العلمية كي تصبح جزءا من نسيج الثقافة العربية، وأرسى بالفعل قواعد تناول العلوم ومعالجة الثقافة العلمية وتبسيط العلوم وتقديمها وجبة سائغة للجماهير.

ويقول أحمد زكي موضحا رسالته ورأيه في العلاقة بين العلم والأدب: «الفارق بين العلم والأدب مفتعل، وهو أكثر افتعالا في الشرق، فكل كاتب في الشرق مفروض أن يكون أديبا ولو كان عالما... ومن غرائب الشرق أن يستغرب أن يكون العالم أديبا»[٣].

الحياة معركة شاملة قاسية ضارية.. مثالا

وعلى سبيل الاستشهاد والتدليل على هذه الموهبة الفذة في تأديب العلم نعرض لأحد مقالات د. زكي مقال: «الحياة معركة شاملة قاسية ضارية»[٤] بشكل مجمل ليستبين أسلوب الرجل في كتاباته العلمية المتأدبة والمنهج الذي ارتضاه لنفسه في هذا الميدان.

عند إمعان النظر في هذا المقال يبدو جليا أنه يجري فيه على أسلوبه الشائق الذي يجعل القارئ منتبها دائما، ومستمتعا بكل ما يقرأ؛ فهو يتناول ظاهرة من ظواهر الوجود الكبرى، وقانونا من قوانين الطبيعة ليس إلى إنكاره من سبيل، وهو الصراع بين الكائنات الحية لتلبية حاجة فطرية لا غناء للمخلوقات عنها، وهي البحث عن الغذاء الذي يسد الرمق، ويقضي على الجوع، ويطرد شبح الموت؛ ولذا فلا عجب من وجود قاتل ومقتول، وآكل ومأكول.

ولإرساء هذا المعنى عرض الكاتب مقاله في سلسلة أفكار متتابعة؛ فتراه يبدأ بمقدمة قصصية استأثر فيها بالمتلقي عقلا وشعورا ووجدانا، منتقلا منها إلى تقرير حكم من أحكام الحياة، يشف عن أنها تحتوي ظواهر كبرى خرجت عن نطاق الأحكام، فليس فيها ما يسمى حقا أو ما يسمى باطلا، وضرب أمثلة لهذه الأمور الكونية، وجعل منها الجوع، وما يترتب عليه من بحث عن الغذاء، وعندئذ ينتج في عالم الأحياء قاتل ومقتول، أو آكل ومأكول، وعد الكاتب ذلك قانونا من قوانين الحياة ليس إلى إنكاره من سبيل؛ لأنه لو تعطل تعطلت معه الحياة.

ثم انتقل بعد تقرير هذه الحقيقة إلى بيان الشبكة الغذائية؛ فرآها سلسلة تتألف من ثلاث حلقات: أولاها العشب؛ وهو لا يأكل وإنما يؤكل، وآخرها السبع؛ وهو يأكل وغالبا لا يؤكل حيا، وبينهما ذو الحافر؛ وهو آكل ومأكول.

ثم عرض لأصل العشب وكيفية تكوينه، مؤكدا أنه غذاء الحياة جميعا، ثم عقد مقارنة بينه وبين الحيوان؛ فوجد النبات لا يمنع آكله أن يأكل، على النقيض من الحيوان الذي يمنع آكله؛ فيدفع عن نفسه؛ فتنشب معارك دامية؛ حيث تغير آكلات اللحم على آكلات العشب، أو على آكلات اللحم الأضعف، والتمس الكاتب لها عذرا؛ فهي لن تستمر على قيد الحياة من غير أن تأكل اللحم.

ثم بين الكاتب أن في اللحم طاقة فوق طاقة النبات، وهذا له أثره البارز في توزيع سلسلة الغذاء الثلاثية على ظهر هذا الكوكب؛ فالنبات أوسعها انتشارا، يليه آكلات النبات من الحيوان، ويليها في الانتشار آكلات اللحوم، فطعامها أكثر الأطعمة تركزا للطاقة.

ثم أكد أنه ليس أحد بناج من أن يكون طعاما مأكولا، ولا حتى الضخام من آكلات اللحوم؛ فإنها تموت ثم لا تلبث أصغر الكائنات الحية (كائنات التحليل والتفكيك) أن تجعل من جسمها مائدة فاخرة عظيمة، في دلالة واضحة على أن الطبيعة لا تبالي أن يخلد الفرد، ولكن همها أن يتصل النسل ويستمر؛ فالفرد فان، والجنس باق؛ حتى إن أفراد البكتيريا التي تتغذى على ضخام الحيوانات، لا تلبث أن تستهلك طعاما

لغيرها؛ فمعركة الحياة قائمة، ودورة الوجود مستمرة.

وأوضح الكاتب أن «اللاحمات» من الحيوان تخوض معارك لتحصل على غذائها، مستعينة بالظفر أو الناب، مما يضطر «العاشبات» إلى اللجوء إلى حيل وأدوات دفاعية؛ طلبا للنجاة، عدد منها: العيش في القطيع، وإشهار القرون، واستخدام الدروع، والهرب، والاختفاء والتخفي.

ثم أشار إلى أن عالم الحشرات أكثر سكان هذه الأرض عددا، ومنها ما يتغذى على النبات، ولو ترك له المجال لتكاثر حتى يأتي على أكثر نباتات الأرض، ولهذا كانت مأدبة لغيرها من بعض أنواع الحشرات والحيوانات والطيور؛ ولأنها كذلك في الدرك الأسفل من ضعف الحيلة؛ كان لا بد لها من أدوات للتخفي؛ ذكر الكاتب منها: التمويه بالامتزاج بفرع الشجرة، واللون، والسم، ومن التخفي التماوات، وضرب أمثلة لذلك.

ثم ختم مقاله مذكرا بما جاء في استهلاله من أنه لا لوم على أحد في أن يخضع لظواهر الوجود ونواميسه الدائمة التي من دونها تتعطل الحياة لأنها من إرادة الله العلي الحكيم.

كل ذلك أتى من الكاتب بأسلوب سلس رائق؛ حيث مزج الرؤية العلمية بالسليقة الأدبية من غير كلفة؛ فأبدع في تناول هذا الموضوع العميق، وقربه إلى الأفهام في وضوح عذب جياش.

فأول ما يلفت القارئ من المقال العنوان، الذي سيجد بنيته متوسطة الطول على هيئة جملة اسمية؛ فالكاتب على بينة من أنها تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء، بيد أنها قد تخرج عن هذا الأصل، فتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن كما هو الحال هنا والقرينة في هذا العنوان تستقى من فكرة المقال العامة المهيمنة عليه، ومن تتبع جزئياته وتفاصيله التي توثق تلك الفكرة؛ فالمعركة في الحياة مستمرة دائمة من أجل توفير القوت اليومي لدى طوائف الكائنات عامة، فهي معركة اضطرارية لا اختيار لأحد فيها؛ لأنها نابعة من إرضاء غريزة لدى عوالم الأحياء قاطبة، وإشباع رغبة باقية معهم؛ من دونها تسلب حياتهم، ويكشف ذلك العنوان النابض أيضا عن محتوى المقال بشكل مباشر، في دلالة واضحة على مضمونه؛ فهو يقرر أن الطبيعة الحياتية للأنواع الحيوانية في تحصيل رزقها قائمة على الضراوة، والقسوة الظاهرة في قضاء حاجة فطرية، لا بديل لهم عنها، فالغذاء يكفل لهم البقاء، إلى أن يشاء الله لهم الفناء.

ولأجل الاستئثار بالمتلقي حسا وشعورا، وجذب انتباهه منذ الوهلة الأولى أتت المقدمة قصصية مثيرة، تعد بمنزلة تمهيد طويل مشوق يغري المتلقي بالاستمرار في مطالعة المقال، فكانت على هذا النحو: «منذ سنوات، رأيت على شاشة التلفاز رحلة جماعة من العلماء، خرجوا إلى براري إفريقية الوسطى، وأدغالها، يدرسون ما بها من صنوف الحيوانات، واتخذوا لهذه الرحلة الطائرة التي تسير في بطء على مقربة من الأرض، تلك التي سموها الهليكوبتر... ومن هذه الطائرة رأى راكبوها ما يجري في تلك البراري والأدغال من أحداث صغار، وأحداث كبار... وكان مما رأوا ورأيت معهم بعد ذلك على الشاشة مناظر قطعان مئات أحيانا من ذوات الحافر، قابعة على سطح الأرض، وسائرة حينا، ترود في أرض الله الواسعة المعشبة ما لا بد منه من طعام، ورأيت من هذه القطعان قطيعا كبيرا كأنه البقر، وقد انتفض من مراقده على حين بغتة، وأطلق للريح سيقانه، وما لبث أن رأيت جماعة من الذئاب تجري وراءه تطلب منه صيدا، ولحقت الذئاب بأطراف القطيع، وأخذت تفصل عنه البقر الصغير الرضيع وتفترسه افتراسا... وأخذت العاطفة أحد رجال الطائرة أخذا؛ فهم بأن يطلق على ذئب من الذئاب الرصاص، وقد هم أن ينال فريسته الصغيرة الثائرة الجائعة المرتاعة، فقال له آخر: بالله لا تحرم الذئب من غذائه؛ فلعله قد مضى عليه أيام؛ أهلكه فيها الجوع. نعم: لا تحرم الذئب من غذائه! قاتل من الحيوان ومقتول؛ توزعت بينهما عاطفة الرجلين، وتعطلت بينهما لغة الآداب، فلم تدر ما تقول».

بعد تلك المقدمة التي أخذت بمجامع القلوب، وأغرت القارئ على المتابعة؛ انطلق الكاتب في عرض تفاصيل موضوعه، معتمدا على الأسلوب الوصفي المباشر.

وكذلك تجد المفاكهة اللطيفة عندما يبين الكاتب سبب استخدام الوعل الذكر قرونه في أهل جنسه: «فهو بها يدفع عن حريمه، ضد كل زير نساء من الوعل، لا سيما وفصل الحب قائم».

ولم يخل العرض في المقال من توظيف اجتماعي لنظرية التخفي وربطها بالإنسان، فبعد ذكر بعض أدواتها في عالم الحيوان، علق قائلا: «والتخفي



والتمويه والتعمية بكل صنوفها أسلحة يمارسها الإنسان؛ فالتخفي في حرب الكامفلاج[٥]، والسم في حرب وفي سلم، والتمارض على الصحة، كلها بعض حيلة الإنسان».

وكذلك يوجد بالمقال توظيف سياسي لا تخطئه العين، فبعد أن بين الكاتب أن الحشرات أكثر سكان هذه الأرض عددا، ولو ترك المجال لآكلات النبات منها لتكاثرت، وأبادت أكثر نباتات الأرض، ولهذا كان من الحشر أنواع أخرى تأكل هذا الحشر النباتي، ثم جاءت حيوانات تأكل الحشر آكل الحشر، ثم أردف قائلا: «ميزان الطبيعة الشهير الذي لا يأذن لصنف من الحيوان جملة أن يطغى جملة، فهو كالميزان السياسي بين أمم الأرض؛ لا بد للقوة الغاشمة أن تقابلها في الكفة الأخرى قوة تكافئها، وإلا انقلب الميزان، وافترست سباع بني الإنسان خرافها والنعاج».

ولإضفاء لون من الإيقاع على المقال؛ تجده زخر باستعمال الألوان البديعية -تلك التي تمتع السمع، وتسعد الوجدان- التي أتت عفوا لا تصنع فيها، ومنها ما وظف فيه الكاتب الطباق بشكل دقيق؛ فعندما تحدث عن القوانين الثابتة في الكون وما فيها من عموم قال: «لا تعي جوامد الأرض والسماء ما معنى الفجيعة فيها شيئا، ولا من معنى العدل والظلم، ولا من معنى الذم والحمد».



وقد جمع في المقال بين أكثر من محسن بديعي؛ كما يبدو من المزج بين الجناس والطباق السجع؛ كقوله عن الإنسان الذي لا ناب له ولا ظفر؛ ولذا فهو يفترس بحيلته: «أكبر سلاحه العقل، وبالعقل ابتدع السلاح مصنوعا لا مطبوعا».

وغص المقال بالصورة الفنية متمثلة في التشبيه والاستعارة ممتزجين في موضع واحد، نحو ما ورد: «والنبات أول أشكال الحياة بل هو غذاء الحياة جميعا... ومن وراء النبات تقبع الشمس تمد بطاقتها إلى الأرض في صمت هو أجدر شيء بالمختبرات الأولى التي تجري فيها عمليات الخلق».

وقد بدا في المقال التأثر بالقرآن الكريم على سبيل الاقتباس الضمني، عندما وصف بعض معارك الغابات، التي تحتدم من أجل الغذاء، وسد الرمق، ثم عقب بقوله: «وكانت ساعة ذهلت فيها كل مرضعة من البقر عما أرضعت، فلم تتريث الأمهات لتحميها، ومضت لا تلوي على شيء»[٦].

واهتم الكاتب بالدقة في استعمال اللفظة، ومن ذلك ما ميز به الكاتب بين كلمتين قريبتين في المعنى، قد تحدثان لبسا على القارئ؛ حينما بين أن الحيوان يلجأ إلى الاختفاء والتخفي: «ومن طرائق النجاة للضعيف الاختفاء في الجحور؛ فكذلك يفعل الفأر والأرنب... والتخفي غير الاختفاء، إن التخفي هو التمويه والتعمية على الناظر، وفي هذا تشد الطبيعة فيه أزر الضعيف من الحيوان شدا».

وقد يأتي التركيب إنشائيا كأن يكون استفهاما غرضه التقرير، ومن هذا القبيل: «إن الكلب البري أول ما ينال من الوعل رقبته، فمن يا ترى أدراه؟». فهنا يلح الكاتب على القارئ بأن يقر بما بينه له في أول الفقرة، من أن الغريزة لها دور رئيسي في تعليم الأسد أن يجرح ليقتل، وهي التي علمت الفهد والنمر كذلك كيف يرتزقان، وحتى الكلب أرشدته إلى طريقة الصيد، فالإجابة والحال هذه غير خفية ولكنه يطلب إقرارها من قبل القارئ؛ لتتأكد لديه، وترسخ في روعه.

وهكذا فقد استعان د. أحمد زكي بحشد هائل من السمات المميزة للمقال العلمي المتأدب، ونسجها ببراعة لا تصنع فيها؛ فأثمرت هذا النص الذي تمتزج فيه الرؤية العلمية الكاشفة بالبيان الأدبي الخلاب، وتنصهر فيه عصارة الفكر مع إشعاعات الوجدان، كما ظهرت بوضوح القدرة الفائقة له في تيسير مادته العلمية المتعلقة بموضوعه؛ حتى بدا وكأنه يكتب عن ظاهرة اجتماعية عامة ميسورة المعالجة، قريبة المأخذ، وليس تناولا لحقيقة علمية يقوم عليها ناموس من أصدق، وأحكم نواميس الحياة.

الهوامش

١ - بتصرف عن كتاب: أحمد زكي حياته وفكره وأدبه، د. محمد محمد الجوادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

٢ - فرسان الثقافتين: د. محمد فتحي فرج، ص:٣٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣ - حديث الزمان، د. أحمد زكي، ص:١٧.

٤ - ينظر: في سبيل موسوعة علمية، مقال: الحياة معركة شاملة قاسية ضارية، د. أحمد زكي، ص:٧-١٣، ونشر في مجلة العربي، ص:٣٠-٤٢، عدد ٩٨، ١ يناير ١٩٦٧م.

٥ - كلمة إنجليزية (camouflage) بمعنى: إخفاء والتمويه والخداع.

٦ - والتضمين هنا من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ (الحج:٢).



محمود زويل
كاتب وباحث



في حواره مع «الوعي الإسلامي»

حلمي القاعود: الأدب الإسلامي أدب الأمة

في بيته الهادئ على النيل، بلدته المتواضعة قرية المجد مركز الرحمانية محافظة البحيرة المصرية المولود بها عام ١٩٤٦م، حيث يعيش هناك منذ حياته ولا يزال حتى الآن مفضلا العيش والجو الريفي الهادئ والأشجار المتنوعة والخضرة الوافرة على ضفاف النيل على صخب وضوضاء المدن الكبرى وازدحاماتها وإمكاناتها وإغراءاتها ومتاهاتها، إنه سعادة الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود - أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد الأسبق بكلية الآداب جامعة طنطا، والناقد المتميز والروائي المبدع والكاتب المشهور، صاحب المؤلفات الكثيرة المتنوعة، أدبية ولغوية وإسلامية وسياسية، والمقالات الغزيرة المتنوعة أيضا، خاصة في الحقل الأدبي عموما والنقد منه خصوصا، والنشط في العديد من المؤتمرات والفعاليات الثقافية والأدبية بمصر وخارجها طوال سنوات عديدة، والعضو الفعال بالعديد من المؤسسات والهيئات والاتحادات والروابط الثقافية والأدبية الحكومية منها والخاصة وكذلك الإلكترونية بمصر والعالم الإسلامي، والمربي الكبير للعديد من الأجيال فيما يقرب من نصف قرن مضى منذ عمله بمدارس التعليم العام قبل الجامعي عقب تخرجه من مدرسة المعلمين وحتى التعليم الجامعي وإلى الآن أستاذا متفرغا في الجامعة، وصاحب الإسهامات العديدة المتنوعة والمتميزة في الثقافة والفكر الإسلامي والأدب والنقد والاجتماعيات منذ فترات بعيدة وإلى الآن بمجلة المسلمين الغراء «الوعي الإسلامي»، والمشرف على عشرات الرسائل العلمية الجامعية للماجستير والدكتوراه والمناقش النابه والمحكم الخبير في الكثير من المسابقات الأدبية والذي أعدت عن سيادته العديد من المؤلفات والأطروحات الجامعية التي تناولت معاليه من الناحيتين الأدبية والنقدية، والحاصل على العديد من الجوائز الكبرى والتكريمات الرفيعة مصريا وعالميا، والفائز مؤخرا بجائزة التميز في النقد الأدبي من اتحاد الكتاب المصري وهي أعلى وأرقى جوائز الاتحاد التي يمنحها فقط للرواد المتميزين في مجال تخصصهم المؤثرين في الأجيال حيث التقته «الوعي الإسلامي» بمنزله العامر وكانت لها مع فضيلته هذا الحوار:

● كيف ترى حال النقد الأدبي الآن؟

- النقد الأدبي تفسير وتقويم للنص، والناقد يقرأ النص وفق القواعد والتقاليد الأدبية ويفسره من منظور النظريات والأفكار النقدية التي يقتنع بها ويقدم للقارئ رؤية تضيء العمل الأدبي وتنقله من لدن الكاتب إلى ذهن المتلقي، وحينئذ يتفاعل الطرفان للاتفاق الكامل أو الجزئي، وهو ما يعني حيوية النص بصورة ما والإضافة إلى الكاتب أو الشاعر والمتلقي، وكلما اقترب الناقد من روح النص نجح في قراءته وتفسيره، وفي العقود الأخيرة سادت تيارات نقدية أكثرها يعقد النص ويزيده غموضا بدلا من إضاءته كما يسعى إلى تطبيق نظريات أجنبية لا تتسق مع طبيعة اللغة العربية فضلا عن جفاف بعضها ودخولها متاهة الجداول والدوائر والرسوم التي لا يخرج منها القارئ بزاد، وبعض النقاد يصر على استخدام المصطلحات الأجنبية بكثافة دون مسوغ فتزداد المتاهة غموضا وتعتيما، وهذا يمثل حالة سلبية، وللأسف فقد امتدت هذه الحالة إلى المجال الأكاديمي أو الجامعي، يضاف إليها تناول أعمال أدبية ضعيفة أو دون المستوى الأدبي الجيد.. النقد العربي المعاصر ليس بخير!

● من هو الناقد في رأيكم؟ ومن هم النقاد الذين ترون أصالتهم قديما وحديثا؟

- الناقد من يملك أدوات النقد العلمية ويقدر على التحليل الأدبي، والصياغة الفنية والأصالة تقوم على هذا المبدأ ولعل النقاد القدماء من أمثال الأصمعي وابن قتيبة وعبد القاهر كانوا يهيمنون على اللغة ويملكون الوعي بالنصوص والقدرة على الدخول إلى أعماقها من مواضعات متفق عليها وآراء يصلون إليها بالفقة والتأمل ومعرفة الوعي الأدبي وهضم نصوصه، وفي عصرنا نقاد ممتازون بلا ريب، ولكن الأكثرية للأسف بضاعتها غير جيدة لدرجة أن بعضهم لا يحسن اللغة صرفا ونحوا وتركيبا، فأنَّى لهم أن يحكموا على أعمال غيرهم ويقيموها؟

● ما هي النصائح التي توجهونها للنقاد من جيل الشباب؟

- لست في مقام الناصح، وتعلم أن كثيرا من شباب هذه الأيام لا يحبون الناصحين، بيد أنه يجب على من يدخل إلى مجال النقد يجب أن يدرس ما يسمى بالنظرية النقدية بعد أن يتسلح بأساسيات اللغة، فضلا عن تحصيل قدر كبير من الثقافة العربية في قديمها وحاضرها، وخاصة ما كتبه النقاد الراسخون.

● هل يمكن أن نسمع رأيكم في الحال الذي وصل إليه الأدب الآن؟

- ما ينطبق على حال النقد الأدبي الآن تراه في الأدب عموما، هناك تراجع وضعف في ظل سيطرة تيار بعينه على الحياة الثقافية تفتقد التنوع الخلاق والنصوص المتميزة، فضلا عن اللغة البيانية، بل اللغة السليمة! ومن المفارقات المضحكة أن تفتقد الحد الأدنى من القدرة التعبيرية الصحيحة فيما يسمى بالأقسام الثقافية أو الأدبية في الصحف والمجلات التي يفترض فيمن يعلمون بها أو يرأسونها استيعاب أوليات اللغة والأساليب الصحيحة. إني أطالع ما يسوغونه من أخبار أو موضوعات أو مقالات وأضحك على الأخطاء التي يقعون فيها، وتشير إلى أنهم لا يملكون مبادئ التعبير إن صح القول.


محمود زويل يحاور حلمي القاعود

● ما مستقبل الأدب الإسلامي؟

- الأدب الإسلامي هو أدب الأمة العربية والأمة الإسلامية منذ بدأ الوحي. بمجرد تغيير التصور الجاهلي صار التصور إسلاميا. رؤية المسلم للحياة والكون والتاريخ والحاضر تنبع فيما يفترض من المفاهيم الإسلامية، قد يكون هناك بعض الخلل في رؤية بعض الأفراد من الأدباء والكتاب، ولكنه استثناء يثبت القاعدة التي ينبغي أن تنطلق من تصورات إسلامية. في القرنين الأخيرين تغبشت الرؤية، وزاد الخلل في التصور، بحكم ما فرضه الآخرون على ثقافتنا من تغريب وأوربة، وهو ما صادف عند بعض الكتاب والأدباء ميلا وهوى خرج عن التصور الإسلامي. كان من الطبيعي أن يحدث تجديدا وتصحيحا لمسيرة الأدب العربي الإسلامي من خلال تصويب التصور والرؤية.

التصور الإسلامي يحكم الحضارة الإسلامية ومن يعيشون في ظلالها من غير المسلمين، وقد أصابه عطب بدعاوى التجديد والحداثة، وهذا العطب كان نجاحا للرؤية الغربية المادية بتجلياتها السلبية والمسرفة إلى حد كبير. الأمة تقاوم منذ عقود كي تستعيد هويتها الإسلامية، وللأسف فإن مقاومتها ضعيفة والخصوم يملكون أسلحة أقوى، ويحظون بدعم كبير داخليا وخارجيا من قوى عديدة. ولكن قد يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، ينصفون الأمة ويضعونها على المحجة البيضاء.

● هناك سؤال مهم يخص النقد لم نسأله وتدون الإجابة عنه.. ما هو؟

- لعلي كنت أتوقع سؤالا حول أسباب تراجع النقد المعاصر في بلادنا العربية والأسباب عديدة منها ما يرجع إلى التعليم وما يعود إلى أحوال الثقافة ووسائط التعبير من صحافة وإذاعة وتلفزة وغيرها، قبل أن تنشأ وزارات للثقافة وتصدر صحف كثيرة ومجلات فخمة كان النقد بل الأدب عموما في حال أفضل لأن الحياة بصفة عامة كانت تنعم بقدر غير قليل من الحرية، وقدر كبير من التسامح الذي جعل الأفكار المختلفة تتحاور وتتكاثر، ولم يكن هناك ما يمكن أن نسمية بالتعتيم على الآخر المخالف وتهميشه، بل استئصاله في معظم الأحيان، واسأل عن مجلات الرسالة والرواية والثقافة والمقتطف والسياسة والجهاد والمصري وغيرها، وتأمل كيف كان يدور الحوار والتفاعل فيما عرف من معارك أدبية أو نقدية، أما اليوم فإن من يسيطر على منصة أدبية مملوكة للشعب لا يسمح لمخالفه أن يقترب منها ولو بنشر خبر أدبي في سطرين! ضيق الأفق أو رغبة الاستئصال للآخر لا تصنع تطورا أو ازدهارا.



مياسة النخلاني
قاصة يمنية



خطوات

لو كان بوسع المرء أن يختار شكله الخارجي وتفاصيل جسده لبذل المستحيل ليفعل ذلك ولو دفع نصف عمره، وكل ما يتمتع به من ذكاء ومهارات.. هذا ما فكر به وهو يحاول تجنب الكتل البشرية التي تتدافع حوله غير عابئة به وبالحمل الذي يثقل كاهله المنحني.

تفحص العيون التي لا تكاد تلاحظه وتمنى أن يحصل هو أيضا على هذه النظرات غير المبالية بمن حولها، سار لبعض الوقت وهو يجر قدمين لا تتناسقان مع جسده وتجبراه على الانحناء للأمام مع كل خطوة يخطوها، ليجد نفسه مجبرا على الابتعاد عن الجموع المتدافعة بعد أن شعر أنه يفسد التناغم الذي تخلقه الطريقة التي يسيرون بها، حيث الخطوة تتلوها خطوة أخرى، ثابتة متناسقة ومنسجمة مع بعضها ومع من حولها، حيث الجسد ثابت، مستقيم وشامخ مهما تعددت الخطوات وتتالت، ومهما اشتد الزحام، لا حاجة لأن ينحني بنصف جسده لمجرد أن يأخذ خطوة إضافية، لا حاجة لأن ينتبه أكثر للطريقة التي يثني بها ساقه، لا ينحني عوده لمجرد خطوة إضافية، ليس مجبرا على الابتعاد كلما ازدحم الطريق، خوفا من أن يسقط أو يزعج المارة بخطواته المتثاقلة.

ضحك بمرارة وهو يجر جسده بعيدا عن الضجيج، فلم يتوقع أن تأتي عليه لحظة تصبح أقصى أمانيه ما يعتبره الآخرون أمرا مسلما به، مجرد خطوات متوازنة وهو الذي بلغ طموحه يوما عنان السماء وحارب سنوات طويلة ليحقق ذاته التي كان يعتز بها كثيرا.

غير مبال بالأسفلت الساخن الذي يلسع أطرافه، جلس وهو يحتضن قدميه بنظرات هي مزيج من الشفقة والقهر، متحسرا على نفسه التي أصبح عاجزا عن مد يد العون لها أو حتى مواساتها.

أسند جذعه على الجدار وهو يتأمل المارة قبل أن يشيح ببصره نحو السماء، تأمل زرقتها ثم أغمض عينيه «أنت لست معاقا..

أنت فقط مختلف»، رددها بصوت خافت في محاولة منه لمنع نفسه من البكاء.

في صغره لم يتوقف لحظة عن لوم والدته التي أنجبته بهذا الحال، بل لطالما أفرغ في وجهها عبارات التنمر والسخرية التي كان يتلقاها من زملائه في المدرسة دون توقف، لم تكن المدرسة بالنسبة له إلا شكلا جديدا من أشكال التعذيب التي عجز عن ابتلاع المزيد منها مهما حاول جاهدا.

لطالما تركته والدته يفرغ كل ما بداخله من ألم ودموع، وحين ينتهي تحتضنه بقوة تمتص من خلالها كل ما يمكن أن يبقى عالقا في داخله «لست معاقا.. أنت فقط مختلف»، ترددها على مسامعه بصوتها الباكي حتى يهدأ.

أخبرته مرارا أنه طفل مميز، وأنه مختلف عمن حوله بتكوين جسده اختلافا بسيطا لا يؤثر بتاتا على إنسانيته وتفكيره.. «أريد أن أكون طفلا عاديا كالآخرين» يخبرها متذمرا، فترد عليه: هذا غير ممكن وعليك أن تتقبل ذاتك. لم يكن يقتنع بكلامها مهما حاول، لكن مع الوقت بدأ بالتعايش مع شكله الغريب، حاول تعويض النقص الذي لديه، فاندفع بكل ما يملك من قوة وقدرة نحو الدراسة حتى أصبح الأول على فصله، ثم الأول على مدرسته ليحصل أخيرا وبعد سنوات من الاجتهاد والكفاح على التقدير ونظرات التشجيع ممن حوله، في محيطه لم يعد أحد يسخر منه أو يناديه بالمعاق، بل صار الجميع يتقرب منه ويتودد إليه ويسعى للحصول على صداقته، يطير قلبه فرحا حين يسمع إشادة المعلمين به، حتى بدأ ينسى أنه طفل مختلف.

بمجرد خروجه من المدرسة الصغيرة للعالم الواسع شعر أن دفاعاته بدأت بالتصدع، وأن الانتصارات التي حققها فقدت رونقها، وأن عليه أن يخوض حربا أخرى قد تفوق قدرته على التحمل. ببساطة لم يعد يشعر أنه طفل مميز أمام نظرات الشفقة التي يرمقه بها من يمر بجانبه مهما حاول، لكنه عجز عن تجنب النظرات التي تشعره بالعجز، وحين تمتزج نظرة الشفقة بالاشمئزاز يتصدع جدار الثقة الذي عمل على تشييده في داخله على مدى أعوام طويلة.

وقبل أن يدرك بدأت الأحلام العريضة بالتلاشي لتصبح أقصى أمانيه أن يكون شخصا عاديا قادرا على السير بشكل سوي، أن يندفع وسط الزحام دون مبالاة، أن يخطو الخطوة تلو الأخرى دون قلق أو خوف، أن ينظر في عيون الآخرين بكل ثقة دون خوف من أن تصدمه نظرة الشفقة أو التعاطف، أن يذهب للعمل حاملا حقيبته بيديه، رافعا رأسه، غير متكئ على عصاه وروحه المنهكة.

أيقظه من أفكاره صوت رنين هاتفه، وضع الهاتف على أذنه دون أن يجيب «هل أنت بخير؟» أتاه صوت والدته كطوق نجاة يمتد نحوه ليحول دون انزلاقه أكثر في هاوية أفكاره المظلمة «نعم ...» أجاب بصوت واه.

- كيف كانت مقابلة العمل؟ سألته بحذر.

- لم يقبلوني لأني مختلف..

رن الصمت بينهما للحظات قبل أن تقول له بصوتها الحازم: «لا تتأخر بالعودة، جهزت لك طبقك الذي تحبه» انتظر لحظات قبل أن يقفل، أخبره صمتها بالكلمات التي يفترض أن تقولها في هذا الموقف، لم يعد بحاجة لتفريغ غضبه عليها، ولم تعد بحاجة لأن تعطيه كلمات مشجعة، يكفي أن يسمع صوت تنفسها عبر الهاتف ليدرك أنه ليس وحيدا في حربه التي يخوضها لتحقيق انتصار آخر في واقع يرى كل اختلاف إعاقة ويأبى أن يتقبله.

استند إلى الجدار ليساعده على الوقوف، شد قامته لأقصى حد يمكنه الوصول إليه، تأمل المارة للحظات قبل أن يغادر بخطوات حاول قدر الإمكان أن يجعلها متوازنة وثابتة.



محمد قنبر
شاعر سوري

هجر الأحبة

النجم يذكرهم والليل والسمر
والدمع يغلبني قهرا فينهمر
حنت لضحكتهم أرواحنا وبكت
من شوقها العين والأطيار والبشر
والعندليب رآه الغصن مرتحلا
عن كل عندلة للفجر يعتذر
والأقحوان بدا في غير بهجته
لا دفء يحضنه إن بله المطر
صار الجدار يتيما يشتكي ألما
يوما على صدره قد علقت صور
والباب يسأل كل الطارقين عسى
يأتي البشير بهم والعلم والخبر
فالدار من بعدهم صحراء قاحلة
مصفرة ما بها ظل ولا شجر



د. يحيى عثمان
مستشار أسري



التودد العاطفي بين الزوجين

لا يمكن إهمال القدرات النفسية في التعايش مع زوج يحرم زوجته من حقها في الارتواء العاطفي، وأن هذه القدرات تتفاوت من زوجة وأخرى، بل إن احتياجات الزوجة للاحتواء العاطفي قد تتباين من فترة لأخرى خلال حياتها الزوجية. فإن وجدت أنه لا يمكن لها الاستمرار مع العوز العاطفي، -وخافت على نفسها الانزلاق- بعد أن تحاول أن تشغل نفسها بأولادها، أو الاهتمام بالقراءة والاطلاع والتزود المعرفي، أو بدراسة أحد التخصصات العلمية أو الفنية أو الإنسانية، أو الاشتراك في إحدى الجمعيات الخيرية والنفع العام، أو دراسة وحفظ القرآن الكريم والتفقه في أحد تخصصات العلوم الشرعية أو.... فإن لم يملأ فراغها ذلك، فعليها الشروع في إجراءات الطلاق، وهذا حقها.

لماذا هذه المقدمة المباشرة التي تنفذ إلى قلب مشكلة من المشكلات الأسرية المتكررة في العقد الأخير؟ لأن هناك أزواجا يظلمون زوجاتهم ويضيعون الأمانة وللزوج منهم أقول: اتق الله فيما ائتمنك الله عليه، «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..» الحديث. إن شعور الزوجة بالأمان النفسي هو من أهم ما يسعد الزوجة، وهو لا يتحقق بكم العطاء المادي أو العلاقة الحميمية فقط ولكن الأمان النفسي هو إحساسها بأن زوجها يحتويها ويشبع مشاعرها عاطفيا بكل وسائل التعبير، بل ويفيض عليها من نبع دائم التجديد لعاطفة جياشة. إن العلاقة الحميمية بالنسبة للزوجة هي إشباع عاطفي قبل أن تكون تلبية للرغبة الجنسية، كما أنه يجب التأكيد على أنه مهما وفر الزوج من المتطلبات المادية للزوجة، دون الارتواء العاطفي فلا قيمة له. لذا قد تصبر الزوجة على عدم تلبية احتياجاتها المادية

والحميمية، سواء لبخله أو تقديرا منها لقدراته، إذا ما تمكن من إشباع احتياجاتها العاطفية. طبعا لا أقصد بالعاطفة فقط التعبير عن مشاعره من خلال كلمات الحب فقط، ولكن الارتواء العاطفي يتضمن التقدير والاحترام وأن يشعرها بقيمتها في حياته وأنها الأولى من عمله وتكوين ثروته، لأن ذلك وسيلة وليست غاية.

ولا وجه هنا للاستدلال بقول الفاروق عمر «وهل كل البيوت بنيت على الحب» لأسباب منها: التباين بين البيئة النفسية البدوية، والبيئة النفسية الآن وأثر ذلك على الاحتياج العاطفي. كما أن ما نعيشه الآن من الانفتاح والفتن التي تحيط بنا، تجعلنا نقع في فخ المقارنة، وإن لم يكن في العقل الواعي فعلى الأقل في العقل الباطن. ثم إن قول الفاروق عمر كان لرجل وليس لامرأة، وكذلك فإن القدرة على التحمل تختلف من إنسان لآخر، فيجب عدم التعميم ولا التقليل من أي معاناة يبديها أي إنسان.

من المهم بمكان أن يبذل الزوج الجهد المناسب لتوفير أسباب الحياة الطيبة لزوجه، ولكن ليس على حسابها، كما لا يحق له أن يتركها للعمل في مكان بعيدا عنها -حتى ولو كان في نفس البلد- إلا بإذن منها وطبقا للضوابط الشرعية، ولا يمكن التعليل ببناء مستقبل للأولاد. كم من المآسي تصلني من جراء الفهم الخاطئ واضطراب الأولويات واختلاط الوسيلة بالغاية، فتكون الثروة هي

كم من زوجة غابت وبررت ذلك بقصور زوجها في حقوقها

الغاية ويضيع أهله، وقد يقع ذلك للأسف حتى وهو -شكلا- مقيم معهم.

كم من زوجة غابت وبررت ذلك بقصور زوجها في حقوقها، وكم من الأولاد ضاعوا لغياب والدهم، وقد يكون مقيما ولكنه قد ضيع الأمانات التي كلفه الله بها. وقد حذرنا الله من اتباع خطوات الشيطان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ...﴾ (النور:٢١).

لقد اشتكت إحدى الزوجات إلى مكتب استشارات زوجية وهنا أنقل نص شكوها للتوضيح والدقة فقالت: أنا في ضياع نفسي، وكم تمنيت أن تنشق بي الأرض ولا أصل إلى ما وصلت إليه. أنا سيدة في منتصف الأربعينيات من عمري نشأت في أسرة متدينة أحفظ أكثر من نصف القرآن، تزوجت بعد تخرجي في الجامعة من مهندس يكبرني بسبع سنوات، طموح وكان يشغل منصب مهندس أول رغم صغر سنه. عشنا حياتنا الزوجية في قمة السعادة ورزقنا الله بثلاثة أولاد، هم الآن بالجامعة. بدأت مأساتي بعد خمس سنوات من زواجنا عندما أخبرني زوجي بأنه سيعمل على تأثيث شركته الخاصة بعد استقالته، وكم كانت فرحتي ودعوت الله بالتوفيق، وعرض علي أن نذهب في رحلة لمدة أسبوع قبل بدء إجراءات الشركة لأن ذلك قد يشغله، سافرنا في رحلة ممتعة. عدنا وبدأت ألاحظ تأخره لأوقات متأخرة من الليل، ويعود مجهدا خائر القوى، وعندما أطلب منه الاهتمام بنفسه وصحته، يكون رده أنا في مرحلة التأسيس وكله من أجلكم، واستمر الحال على اهتمامه بعمله وإهمالنا، مما أدى إلى تدهور علاقتنا. نعم انتقلنا إلى فيلا فاخرة في مكان راق، أغير سيارتي كل عام، ألحقنا الأولاد بمدارس لغات متميزة، كل ما يمكن أن تتخيله الزوجة لها وللأولاد متوافر وتحت أمري. ولكن علاقتنا فترت ثم تيبست فانقطعت!

ولعلك تتساءل! ماذا ينقصني؟ ينقصني أهم شيء تحتاجه الزوجة الحب، الاحتواء، الإشباع العاطفي، الكلمة الرقيقة، الاهتمام ومشاركة الحياة. لم يعد هناك شيء يجمعنا.. تحول زوجي إلى شيك على بياض أصرف منه كما أريد، قلما نتناول وجبة معا، أنا وأنا فقط المسؤولة عن متابعة الأولاد والمدرسين الخصوصيين والشيخ الذي يعلمهم القرآن، وذهابهم إلى النادي حتى حفلات تخرجهم.

انكفأت على ذاتي وشغلني الأولاد، ولكن قلت مسؤوليات الأولاد بدخولهم الجامعة وازدادت معاناتي وشعوري بالوحدة. وجدت في وسائل التواصل الاجتماعي ملهاتي،

بـدأت الـكـارثـة منذ حـوالـي ستة أشهـر، مـن خـلال منشور نشرته إحدى الصديقات، يتحدث المنشور عن قيمة وأهمية العلاقة العاطفية بين الزوجين، ورغم تناوله الاحتياج والإشـبـاع الـتـبـادلـي بينهما إلا أن حـرص الـزوجـة على الإشـبـاع العاطفي التبادلي في العلاقات الـزوجـيـة أكثر مـن الـزوج، بـل إن الإشـبـاع الـعـاطـفـي لـلـمـرأة سـواء أكانت أما أو ابنة أو أختا أو زوجة أهم من الإشباع المادي. كم كانت الكلمات تعبر عني، كم كانت هذه المعاني تخالجني وأكتمها خجلا، أعـدت قـراءة المنشور عدة مرات، وتلقائيا وضعت علامة إعجاب، ولم أهتم بمن الكاتب. بعد يومين وجدت منشورا آخر لنفس الحساب ووجـدتـنـي مـشـدودة لـقـراءتـه، وكـان موضوعه عن أثر العاطفة بـين الـزوجـين على وئـام العلاقة الزوجية، وأبديت إعجابي أيضا به، وظللت طوال الليل استعيد المعاني الجميلة التي تناولها، وظللت أتابع ما ينشره الحساب، بل أنتظر ما ينشره بلهفة وكأنني أنا التي أكتب وأبدي إعجابي بما ينشر.

بعد عدة مقالات وإعجابات مني فوجئت برسالة على الخاص من صاحب الحساب نصها: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شكرا لمتابعتكم وإعـجـابـكـم) ثـم تطور الأمر بتبادل الرسائل مع صاحب الحساب وأخشى من ذلك).

انتهى حديث السيدة الفاضلة، وأعلق عليها بالقول: إنه من المؤكد أنـه فـي أي عـلاقـة خـطـأ أحـد الأطـراف لا يمكن أن يكون مبررا أو مسوغا لخطأ الطرف الآخر، فقصور الزوج في أي من واجباته ليس مـبـررا للزوجة أن تتجاوب -وهــي زوجــة- مـع رجـل غريب فعليها الإصـلاح والصبر أو طلب الطلاق، ثم بعد استيفاء عدتها لها كل الحرية أن تبحث عن زوج آخر وهذا حقها.

جاء الوعيد الشديد في حق من يفسد الزوجة على زوجها ويـخـبـبـهـا عليه

وقد جاء الوعيد الشديد في حق مـن يفسد الـزوجـة عـلـى زوجـهـا ويـخـبـبـهـا عـلـيـه، فـقـد جـاء في الـحـديـث: «لـيـس مـنـا مـن خـبـب امرأة على زوجها»؛ ومعناه: أفسد أخلاقها عليه وتسبب في نشوزها عنه، وقـد لا يكـون ذلـك بصريح العبارة ولكن أن يستعرض قدراته على العطاء، واستثارة عوزها، بما يوقعها في فخ المقارنة، مما يعظم آلامها، ثم يزداد إثما بأن يلمح أو يصرح بالزواج منها إن طلقت... جاء في الموسوعة الفقهية: «فمن أفـسـد زوجـة امـرئ، أي: أغـراهـا بطلب الـطـلاق، أو التسبب فيه، فقد أتـى بابا عظيما من أبـواب الـكـبـائـر». كـانـت أختنا الـحـائـرة منكفئة عـلـى ذاتـهـا سـاكـنـة على أمل أن ينصلح حال زوجها، إلى أن أثار عوزها العاطفي أحدهم، وهذا بسبب عدم الالتزام الشرعي بآداب الشرع الحنيف.

والحل المقترح في رأيـي أنه يجب عـلـى أخـتـنـا الـحـائـرة الاستغفار والتوبة، والتوقف عن أي حديث مع هذا الغريب.

يجب الفصل الكامل بين مشكلتها مع زوجها الظالم، وقـرار الطلاق منه وقبول عـرض الـزواج بغيره. فمن حقها طلب الطلاق للضرر، وعليها أن تثبت للقاضي ذلـك، فإن اقتنع طلقها ولها كل حقوقها، كما أنه من حقها أن تخلعه وترد لـه المهر وتسقط حقوقها المالية لديه. ولكن قبل ذلـك، هل بذلت كل الجهد لإصلاحه، وبينت الآثار السلبية لظلمه لها ولأولادهـمـا، واستعانت بـالله وحكمت من تثق في حكمتهم من أهله وأهلها؟ فإن فعلت ولـم يتعظ، فعليها المقارنة بين إيجابيات وسلبيات الاستمرار والانفصال -دون عقد مقارنة بين زوجها والـذي طلبها للزواج وهي مـا زالـت زوجـة- وطبعا أثـر كلا القرارين على الأولاد. والذي أؤكد عليه هو إلغاء أي أثر لعرض الزواج الذي تلقته على قرار الاستمرار أو الانفصال، ولكن التركيز فقط.. على الإجـابـة عن التساؤل الأهم والأخـطـر وهـو: هـل يمكنني أن أستمر دون الوقوع في أي شبهات ودون مضاعفات سلبية علي، ودون الربط بين قرار الطلاق من شحيح العاطفة، وقرار الزواج بآخر؟!



د. نهى الفخراني
كاتبة وباحثة مصرية



أسئلة حائرة!

سعدت وتشرفت بمعرفتك.. لكني لم أكن أسألك عن اسمك!.. أنا أسألك وأسأل نفسي من أنا في هذا الكون الفسيح؟ من أنت في هذا الوجود الذي يسير في دقة بالغة؟ ألا ترى أن عناصر الطبيعة ومفرداتها كلها تدور في إحكام بالغ.. ولا حائر فيها سواك أنت؟

ألست الكائن الوحيد الذي يجمع بين كل المتناقضات؟ فأنت الضعيف والقوي.. المتجبر والذليل.. المفسد والمصلح.. والجاهل والفيلسوف؟!

هل الإنسان موجود في هذه الحياة ليعمل ويتزوج ويتكاثر ويشبع غرائزه؟ لو كان الأمر كذلك فستكون الحيوانات أوفر حظا منه! فهي تتناسل وتنمو ولها وظيفة تؤديها.. لكن لا يصيبها ما يصيبه جزع أو قلق أو تيه!

ولماذا يعاني كثير من الأثرياء أصحاب سلطة وجاه من التعاسة.. في حين قد يسعد ويطمئن فقير لم يؤت ما أوتي الثري؟

بصراحة ووضوح.. هل تساءلت من أنت؟! أم أنك فضلت أن تعيش فيها غريبا حائرا؟! فلم تبحث يوما عن إجابة لهذه الأسئلة: من أنا؟ ومن أين جئت؟ ولماذا خلقت في هذه الدنيا؟ وما رسالتي؟ وما مصيري؟!

.. سيحاول هذا المقال التفكير معك بصوت عال عزيزي القارئ.. بقلب المحب لله.. وبعقل الباحث عنه.. وبعقيدة المجتهد الذي قد يخطئ.. في محاولة لتقديم استنتاج عام لهذه الأسئلة.. مستعينة بالعديد من الكتب الفلسفية والأبحاث العلمية التي ستتم الإشارة إليها في الهوامش.. لعلنا نجد إجابة عن أسئلة باتت حائرة في عقولنا.

لقد ظلت العديد من الفلسفات القديمة حائرة عند تعريف (الإنسان).. حيث ظلت تبحث عن تعريف له هل هو مجرد عقل؟.. أم هو كائن اجتماعي أو تاريخي؟.. أم هو كائن منتج؟ أم أنه مجرد حيوان متطور؟!..

ألا ترى أن هذه التعريفات تعتمد على تعريف الإنسان باعتباره (مادة)؟!

هل تراها منطقية؟

يشير علماء النفس إلى أن الإنسانية درجات بل والعقل أيضا درجات، ولعل أدنى درجات العقل هو العقل المادي، البحث الذي لا يعترف إلا بالواقع المحدود الذي يراه ويعيشه، وينكر تماما ما وراء هذا الواقع الملموس المحسوس.

فلو تأملت ستجد أن الماء (عنصر) لكنه لم يغرق موسى عليه السلام، والنار (مادة حارقة) لكنها لم تحرق سيدنا إبراهيم! فلماذا لم تقم هذه المواد (المادية) بنتيجة منطقية لصفاتها.. ألا يجعلك ذلك تفكر؟!

يقول أ.د. مصطفى محمود: «إن احتكمت في سلوكك لهذا العقل (المادي) فأنت مجرد حيوان متطور تستخدم طلقة المسدس بدلا من المخالب، وتتآمر بالعقول الإلكترونية بدلا من الانطلاق وراء غضب عشوائي غير محسوب»!

وإذا كانت أدوات العلم الحديث لم تستطع أن تعطي أحكاما قاطعة في كل القضايا الحسية المحسوسة.. فكيف يتم الاحتكام للمادية فقط؟

فهل بالمادة نحيا فقط؟ أم أن هناك

قوة أخرى لا نستطيع أن نفصلها عن حياتنا؟

إن مرحلة (الاستشعار الروحي) (المحسوس) والبعد عن التفكير المادي (الملموس) لا يصل إليه الإنسان إلا إذا ارتقى بفكره شيئا فشيئا حتى يصل لهذه المرحلة.. التي تجعلك توقن بأنك لست وحدك.. وإنما كان الله دائما معك وأنت تسمي هذه القوة باسمها الديني.. «الله»، وتسند إليها العناية والخلق والوحي.

هل بدأت تستشعر من أنت؟

أنت من منحت الحركة والحياة.. أنت من أمدك الله بروح منه.. أنت من أضفى عليك الله بعضا من صفاته.. فأنت سميع.. والله هو السميع.. أنت مبصر.. والله هو البصير.. أنت تستمتع بالحياة والله هو الحي.. إذن فصفات الله العظمى وغير المحدودة هي صفات ثابتة لله ومتغيرة عند الإنسان.

أنت من أرسل الله لك رسله منذرين ومبشرين.. فبهم تتعرف على الطريق الصحيح فلا تضل ولا تشقى.

أنت خليفة الله في أرضه.. أنت من سخرت الدنيا كلها لخدمتك.. أنت من يصلي عليه الله وملائكته، يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب:٤٣).

أنا خليفة لله في أرضه!

هل كل إنسان منا يستحق هذا الشرف؟ وهل من سبيل إليه؟

يرى علماء النفس أنه كي تنسجم مع البشر والكون من حولك.. فعليك أن تحب ذاتك أولا.. لكن كيف أحب ذاتي وأنا لا أفهما جيدا.. من أنا؟

يقول الأستاذ الدكتور راتب النابلسي عن حقيقة الإنسان: إنه في الأصل (نفس وروح وجسد)، نفسه ذاته هي المكلفة في المعاتبة، هي التي ترقى، هي التي تسمو، هي التي تسقط، هي التي تكفر، هي التي تعتدي، هي التي تحسن، نفسك هي ذاتك. والنفس لا تموت، لكنها تذوق الموت، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (آل عمران:١٥٨).

.. وهذا الجسم وعاء الإنسان، تماما كالمركبة، سائقها هو كل شيء، صاحب المركبة إما أن يسرع، أو يخفض السرعة.. فإن رأيتها أنيقة ونظيفة فسبب نظافتها صاحبها.. وإن رأيتها رعناء في قيادتها فمن رعونة قائدها، فهي تعبر عن صاحبها، بينما تعد الروح فهي القوة المحركة للإنسان، فإذا انتهى أجل الإنسان، توقف الإمداد الروحي، فتعطل الجسد فتخلعه النفس، فتصعد النفس إلى باريها.

لكن ما الروح؟

وما علاقة نفس كل منا بروحه؟

تذكر الروح في القرآن دائما بدرجة عالية من التقديس والتنزيه والتشريف، والروح دائما تنسب إلى الله.. ولا تنسب إلى الإنسان.. وهي دائما في حركة من الله وإلى الله ولا تجري عليها الأحوال الإنسانية ولا الصفات البشرية.. ولا يمكن أن تكون محلا لشهوة أو هوى أو شوق أو عذاب.

فالروح لا توسوس، ولا تشتهي ولا تهوى، ولا تمل ولا تتعذب، والروح لا تدرك ولكن تدرك آثارها في الجسد، والجسد مادة من هذه الأرض؛ لذلك عند الموت تعود الروح لمصدرها ويعود الجسد لمصدره يعود إلى الأرض..

ولا تعاني (الروح) هبوطا ولا انتكاسا. إنما تلك كلها من أحوال النفس وليس الروح، بينما النفس قابلة للخير والشر، وطبيعتها أنها ترتفع وتنخفض، وتعلو وتهبط، وتسمو وتتدنى، وعلى صاحبها أن يختار لها وأن يهتم بتربيتها وتأديبها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان.

قبل أن ترتدي الروح ثوب الجسد!

هل تعلم أن نفسك موجودة قبل ميلادك، وأن عمر الإنسان يمتد إلى ما قبل مرحلة التخليق في رحم الأم؟!

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٧٢).

إذن فوجود الإنسان هو امتداد لوجوده السابق في عالم الأرواح.. قبل أن ترتدي الروح ثوب هذا الجسد المادي المحسوس.. فليس لأحد عذر.. فقد كان لكل نفس مشهد مستقل طالعت فيه الربوبية.. وبهذا استقرت حقيقة الربوبية في فطرتنا جميعا.. هل تشعر الآن أنك قد بدأت تتعرف على نفسك؟

لماذا خلقت في هذه الدنيا؟

إن وجود الإنسان في هذه الدنيا مرتبط برسالة مهمة يتحمل وحده مسؤولية أدائها، حتى تتحقق خلافة الإنسان في الأرض.

يقول الإمام الرازي: إن الله جعل آدم خليفة له.. ومعلوم أن أعلى الناس منصبا عند الملك من كان قائما مقامه في الولاية والتصرف وكان خليفة له.. فبلغ آدم في منصب الخلافة أعلى الدرجات، فالدنيا خلقت متعة لبقائه، والآخرة مملكة لجزائه، وصارت الشياطين ملعونين بسبب التكبر عليه، والجن رعيته، والملائكة في طاعته وسجوده والتواضع له، ثم صار بعضهم حافظين له ولذريته، وبعضهم منزلين لرزقه، وبعضهم مستغفرين له.

يا لها من منزلة عظيمة وشرف كبير من رب عظيم.. لكن هل يستوعب كل إنسان معنى الخلافة في الأرض؟



أحمد عبدالمقصود
باحث تربوي



الصمود على أرض الإسراء

معركتنا مع اليهود عميقة الجذور، طويلة الأمد، ليست وليدة عدوانهم الأخير على أرض فلسطين، وإنما مفتتحها من فجر التاريخ عندما وقفوا أمام دعوات الأنبياء بالكيد والمكر، فجحدوا رسالاتهم، وناصبوهم العداء، فريقا كذبوا وفريقا يقتلون، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة ٨٧)، وجاء الإسلام في نسخته الأخيرة على يد نبيه محمد ﷺ؛ فأظهروا من عداوتهم وخبث نواياهم، وتآمرهم على الإسلام وأهله ما سجله القرآن وحفظته لنا كتب التاريخ والسير.

واستمرت هذا السلسلة الموصولة من عدائهم الخبيث وكيدهم المشؤوم حتى كانت حلقته الأخيرة عدوانهم على أرض الإسراء، وقيام كيانهم الغاصب الذي عربد في فجور، وأفسد في إجرام، وفجع المسلمين في أعز ما يملكون؛ فاغتصب مسجدهم الأقصى أولى القبلتين وثالث المسجدين، وغدا الكيان اللقيط من شذاذ الآفاق خنجرا مسموما غرسته قوى الاستعمار العالمي في قلب العروبة، فعاثوا في أرض فلسطين فسادا يقتلون أهلها، ويشردون سكانها، ويغتصبون أرضها، ولم يسلم من

إيذائهم حرثها ونسلها، وحجرها وشجرها.
لقد خسر العرب والمسلمون بوجودهم خسائر فادحة، ولكن إخواننا في فلسطين كانت خسارتهم أفدح، ونصيبهم من الإيذاء أوفى، فاصطلوا بنار الصهيونية الآثمة، ودفعوا من دمائهم وأموالهم واستقرارهم ما لم يدفعه غيرهم، وسطروا من صفحات الصمود والتضحية ما كان مثار العجب والإشادة من شرفاء العالم وأحراره.
وجاءت الحرب الأخيرة على غزة (سيف القدس) لتعيد صور البذل والفداء براقة قشيبة، ورسم أبناء فلسطين لوحة معجبة رفيعة لم يكن العطاء فيها مقصورا على الرجال، بل ضرب كل أبناء الشعب المناضل فيها بسهم، الرجال والنساء، الشباب والشيوخ، على اختلاف مشاربهم الحزبية، وانتماءاتهم الفصائلية، وقناعاتهم السياسية.
وجدير بنا ونحن نتملى هذه اللوحة من النضال المجيد ألا نتجاوزها دون أن نسأل في لهفة صادقة، كيف استطاع أبناء فلسطين أن يرسموا هذه الصورة المشرفة من الكفاح الموصول والبذل السخي؟
وكيف أمكنهم أن يستعلوا على ضرورات الطبيعة البشرية المؤثرة للسلامة، والمحبة للحياة؟
وما الروافد التي اجتمعت لصياغة شخصية المقاوم الفلسطيني على هذا النحو المتفرد الذي استطاع أن يقدم كل هذه التضحيات دون أن تلين له قناة أو يعطي الدنية في دينه ووطنه؟
وسأكشف في السطور القادمة اللثام -ولو قليلا- عن إجابة هذا السؤال عسى أن يكون فيها عبرة لقوم وإلهاما لآخرين!

غراس الخنساوات

دأبت أدبيات النضال الفلسطيني أن تطلق لقب (خنساء فلسطين) على كل أم صابرة فقدت أولادها على أيدي الاحتلال في معارك المقاومة، وهم في ذلك يشبهونها بالشاعرة المخضرمة الخنساء تماضر بنت عمرو التي استقبلت خبر استشهاد أبنائها الأربعة يوم القادسية بالحمد والتسليم، ولم تملأ الدنيا رثاء وعويلا كما فعلت في جاهليتها حزنا على أخويها، وإن كانت خنساء الماضي قد فقدت أبناءها في معركة واحدة؛ فإن خنساء فلسطين تخوض كل يوم معركة تقطع أيامها في جهاد مضن وكفاح موصول، معركة تبدأ من ظروف تنشئة الأبناء في مناخ قاس شديد الوطأة، يزيد في قسوته أن يكون الأب شهيدا أو أسيرا، فتكون الأم لأبنائها الأم والأب معا، وتجمع في تربيتها بين شدة الأب الحازم ولين الأم الحانية، وترضع أولادها من أول يوم مع قطرات اللبن مفاهيم غير تلك التي تعارف عليها الناس، وتغذوه مع الطعام قيم البطولة والمضاء، وتسقيه مع الشراب شعارات العزة والإباء، ولسان حالها يقول لطفلها وهي تراه يدرج بين يديها: «إن الله اصطفاك للعيش فوق هذه الأرض لتحمل قضية القدس، وترفع راية الكرامة».
فيتفتح وعي الوليد على هذه المعاني الكبار فيقطع المراحل وثبا إلى مصاف الرجال، ويلتحق بأصحاب الهموم الكبيرة وهو ما زال بعد في حداثة السن وغضارة الطفولة، وهذا ما يفسر لنا شيئا من تلك الطلاقة التي نلحظها لدى الطفل الفلسطيني، وهذا الرصيد من الجرأة والشجاعة وحضور البديهة عندما يجري معه مذيع لقاء في الطريق من غير سابق اتفاق، ولا فرق في هذه الجرأة بين الأطفال في أزقة غزة، أو باحات الأقصى، أو شوارع الخليل، السمت واحد والخصائص نفسها.
ولا أبلغ في إيضاح هذه المعاني من هذه القصة التي تطل علينا من جنين، حيث تعيش إحدى الأسر الفلسطينية الصامدة حكم على عائلها بالمؤبد (٩) مرات وزيادة (٢٠) عاما، لتقف زوجته وهي أسيرة محررة تتحمل صنوف الابتلاء في نفسها وزوجها وأبنائها، فهي زوجة الأسير وأم الشهيد والأسرى، تروي ابنتها -التي اعتقلت فيما بعد- أن أمها دأبت على إعداد أبنائها إعدادا خاصا، وغرست فيهم العزة والكرامة منذ طفولتهم، وادخرتهم لليوم الحاسم الذي يحتاجهم فيه وطنهم، وتذكر أن أخاها الشهيد -عندما كان مطاردا من الاحتلال- تسلل يوما للمنزل وأخبر أمه أنه

يتوق للشهادة، فردت عليه في ثبات: «هذه طريقك وأنت من اختارها»، واستقبلت فيما بعد خبر استشهاده بنفس راضية ولسان شاكر.

ولم تكن هذه السيدة بدعا من نساء فلسطين وهي تؤز ولدها على سلوك طريق الشهادة غير هيابة عليه من الموت، فها هي خنساء غزة (أم أحمد) تحتسب ثلاثة من أبنائها شهداء في حروب مختلفة كان آخرها ابنها مصطفى الذي ارتقى شهيدا في حرب سيف القدس.

لقد كانت أم أحمد ككل الأمهات تحب أبناءها كأشد ما يكون الحب، وتعلق عليهم كبير الآمال، وترتجي لهم عظيم الأمنيات، لكنها مع هذا لم تقف يوما في طريق أبنائها وهم يغذون السير نحو الشهادة، وكانت تقول لمن يأتين لعزائها: «ما دام الموت في سبيل الله فكل شيء يهون... قطعة مني سبقتي إلى الجنة».

في ظلال المسجد

وبعد أن يتلقى مناضل المستقبل أبجديات قضيته الخالدة على يد أمه، وتتكون خيوط شخصيته المقاومة يستكمل المسجد الحلقة الثانية من تكوين شخصيته، والمسجد في فلسطين منارة تربوية عريقة، تضرب جذوره في أعماق التاريخ، فقد بدأ رسالته عقب الفتح الإسلامي مباشرة، وأضاء إشعاعه من قيسارية وسبسطية ونابلس واللد ويافا وأجنادين وبيسان، وظلت هذه المساجد تقوم بدور جليل في حفظ اللغة العربية وعلوم الثقافة الإسلامية، وتخرج العلماء والعباد.

فلا عجب أن يشن الاحتلال على المساجد حربا ضروسا لا هوادة فيها، فمن تهويد معالمها وطمس ملامحها، وانتهاء بحرقها وهدمها وتدميرها، ويكفي أن تعرف أن هناك جماعة صهيونية إرهابية قد وقفت جهودها على هذه الأعمال الشائنة الجبانة.

ولم يكن الهجوم المنظم على المساجد إلا لما لمسه المحتل من دورها الفعال في صناعة البطل الفلسطيني وصياغة وعيه الديني والوطني، ووقوفه حجر عثرة أمام محاولات التجريف المستميتة التي يبذلها الاحتلال لطمس ملامح القضية الفلسطينية، ونزعها من سياقها العقائدي الإسلامي لتكون قضية تحرر وطني فحسب يمكن التفاوض حولها عبر مشاريع التسوية والمساومات؛ فتخسر القضية بذلك عمقها الإسلامي والعربي، وتفقد مئات الملايين من أنصارها والمنافحين عنها والمستعدين للتضحية في سبيلها من أبناء الأمة الإسلامية جمعاء.

ولا يؤكد ما أسلفته من دور المسجد وحلقاته التعليمية والتربوية، إلا استدعاء لغة الأرقام التي لا تحتمل المجاملة أوالتهويل، فعدد دور التحفيظ وحلقات المساجد بفلسطين في تزايد ملحوظ، وأعداد الخريجين من حفاظ القرآن تتصاعد بشكل لافت.

وفي وثبة من وثبات الهمم العالية قرر أبناء الحلقات القرآنية المسجدية أن يحفظوا القرآن عن ظهر غيب خلال فترة الحجر المنزلي التي امتدت خمسة أشهر، فتم هذا الأمر للعشرات منهم وأجيز بعضهم بالسند المتصل.

الماضون على خطى سالم

إن المسجد والقرآن لم يغيبا عن المعركة ضد العدو منذ اندلاعها، بل كانا حاضرين بقوة يشدان الهمة ويسددان الوعي ويشحذان العزم، وإن الناشيء الفلسطيني لمن أسعد الناس حظا وهو يرى قدواته من محفظيه وشيوخه يتسابقون للدفاع عن بلادهم، ويرتقون شهداء وهم يدافعون عن كرامتهم ومقدساتهم، بعدما صنعت منهم المساجد قرآنا يمشي على الأرض؛ فترجموا تعاليمه بسلوكهم، ونشروا مبادئه بأخلاقهم، وأفشوا قيمه بأعمالهم.

وإننا لنذكر حملة القرآن في فلسطين وهم يقفون أمام الكيان الغاصب فتهيج لنا ذكرى قراء الصحابة، وهم يخوضون يوم اليمامة في حرب بني حنيفة -قوم مسيلمة الكذاب- وكان من اشد أيام حروب الردة، وكانت راية المهاجرين مع عبد الله بن حفص القرشي (القارئ) فثبت معها حتى قتل فأعطيت الراية لسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه،

فقال لهم: ما أعلمني لأي شيء أعطيتمونيها، قلتم صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صلحبه حتى مات؟! ، قالوا: أجل، أتخشى أن نؤتى من قبلك؟، قال: بئس حامل القرآن أنا إذن إن أوتيتم من قبلي!!، وتناول سالم الراية وصدق ما عاهد الله عليه، وجرى على سنة إخوانه من حملة القرآن من قبله، فأمسكها بيمينه حتى قطعت يمينه، فأخذها بيساره حتى قطعت يساره، فاعتنقها حتى صرع.

فعلى نهج سالم يمضي أبناء فلسطين، وعلى أيديهم يأتي النصر إن شاء الله.

دفتر أحوال المقاومة

إن معايشة معاني المقاومة والتفاعل المباشر معها تجعل عالم الغيب في حق من يعايشه عالم شهادة، فإن من يقرأ تاريخ الشخصية اليهودية، وما طبعت عليه من مكر وغدر، فاستحالت قاعا صفصفا، إن من يقرأ تاريخ هذه الشخصية قراءة نظرية ليس كمن يصطلي بنارها ويعاني ما يعاني في مواجهتها والاشتباك معها، فالمعايش سيكون أقدر على استكشاف مداخل التعامل معها، وأكثر وعيا بأدوات الصراع وخطة العمل.

كما أن التفاصيل اليومية والمعاناة المتجددة التي يتجشمها الفلسطيني في فرص العمل والتعليم والإسكان وتوفير الكهرباء والوقود وغيرها من مفردات تفرض عليه أن يعيش متيقظا دائم الحذر واسع الحيلة، وفي الوقت نفسه عزيزا لا مستخذيا، صلبا لا هشا، فالعدو الذي يناجزه لا يزيده الحلم إلا جهلا، ولا يزيده الرفق إلا قسوة، والملاينة إلا طغيانا وتجبرا، لذا كان الصمود في أرض الإسراء باهرا في كل تجلياته، فريد في كل تفاصيله، لا تكاد تتطابق معه أي تجربة أخرى من تجارب التحرر الوطني، إذ إنه يقاوم عدوا التقت فيه رذائل كل المشاريع الاستيطانية والاستعمارية، وصور الفصل العنصري، والتمييز الديني والعرقي.

القناديل المسرجة

إن هذه المواقف لتكشف عما آلت إليه مفاهيم الشهادة والأسر في الوجدان الفلسطيني داخل الوطن وخارجه، وكيف أمسى عملا يستحق الفخر والاحتفاء، وقنديلا يضيء للسائرين على الدرب، ويصرخ في كل متردد: الطريق من هنا!

وتبددت تلك الأوهام المضحكة والجهل العريض لأولئك الذين يرون في أعمال المقاومة نوعا من التهور والاندفاع، وإضاعة للعمر في غير فائدة، وأصبح من يطالع قوائم الشهداء والأسرى يقف مشدوها لا ينقضي عجبه من الفسيفساء التي يشترك في تأليف أجزائها الشعب الفلسطيني بكل أطيافه وشرائحه: الرجل والمرأة، الشاب والشيخ، الفتاة والعجوز، العزب والمتزوج، الموظف والحرفي، العامي وصاحب الشهادات العليا، هكذا في اندماج تغيب فيه الفروق، وتتلاشي الحدود، لتقف كشجرة باسقة الأفنان ضاربة الجذور، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وتنادي الداني والقصي بأن هناك شعبا قرر أن يعيش على أرضه موفور الكرامة مهيب الجانب، لقد أسرج الشهداء والأسرى القناديل، وراحت تغمر الدنيا بسناها الوهاج الذي أصبح منارة تعلم الناس كيف تستعاد الحقوق وتسترد الأوطان!

فإلى كل من يسأل: ما سر الصمود على أرض الإسراء، وعلام يدفع القوم هذه الثمن الباهظ، ها قد عرفنا طرفا من سر هذا الصمود الفريد، الذي تؤكد الأحداث تفرده عاما بعد عام، فالصمود على أرض الإسراء شجرة غرست فسيلتها الأم الفلسطينية وسقتها بدمها ودمعها، وحاطتها بصبرها ونضالها.

ونمت أفنانها واستطالت في باحات المساجد الطاهرة...

وشذبها القرآن ونفخ فيها من روحه، وسرى في نفوسهم رحيقه...

وهبت عليها نسائم الأجواء الساخنة الصادقة...

وسطعت عليها قناديل الشهداء والأسرى...

وإن صمودا تمده تلك الروافد الخمسة لخالدة باق ما بقي على أرض الإسراء محتل، أو دنس مقدساتها غاصب... فلا نامت أعين الجبناء.



د. رمضان فوزي بديني
دكتوراه في اللغة العربية

الاختلاف في أقل الجمع.. وأثره الفقهي

شاء الله -عزوجل- أن يختار اللغة العربية بما اختصت من مرونة وسعة ورحابة في الألفاظ والاشتقاقات والدلالات؛ لتكون وعاء لدينه؛ فحفظه بها وحفظها به.. يقول الأستاذ محمود محمد شاكر: «وإذا كانت اللغة هي خزانة الفكر الإنساني؛ فإن خزائن العربية قد ادخرت من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الإنساني، وعن النفوس الإنسانية ما يعجز سائر اللغات؛ لأنها صفيت منذ الجاهلية الأولى المغرقة في القدم من نفوس مختارة بريئة من الخسائس المزرية، ومن العلل الغالبة، حتى إذا جاء إسماعيل نبي الله، ابن إبراهيم خليل الله -عليهما الصلاة والسلام- أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرما، وأسلمها إلى أبنائه من العرب، وهم على الحنيفية السمحة دين أبيهم إبراهيم.

فظلت تتحدر على ألسنتهم مختارة مصفاة مبرأة، حتى أطل زمان نبي، لا ينطق عن الهوى ﷺ، فأنزل الله بها كتابه بلسان عربي مبين، بلا رمز مبني على الخرافات والأوهام، ولا ادعاء لما لم يكن، ولا نسبة كذب إلى الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا»(١).

ونتيجة لذلك عني الفقهاء عناية كبيرة باللغة وعلومها؛ إدراكا منهم لأهميتها في مساعدتهم على القيام برسالتهم السامية كموقعين عن رب العالمين؛ ذلك أن جزءا كبيرا من الفقه وتخريجاته مبني النصوص القرآنية والنبوية، وكلما تعددت توجيهات تلك النصوص تعددت في المقابل التخريجات الفقهية المستنبطة منها؛ ولذلك ربط الشاطبي -الإمام الأصولي- بين فهم اللغة وفهم الشريعة، وجعل العلاقة بينهما طردية؛ حيث يقول: «وإذا كانت -أي الشريعة- عربية؛ فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم؛ لأنهما سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز»(٢).

والمطلع على كتب أصول الفقه يجد فيها أبوابا نحوية مبثوثة، تمثل الحد الأدنى مما لا يسع الفقيه جهله من علوم العربية، بالإضافة إلى بعض القضايا اللغوية الأخرى التي تعرض في أثناء الاحتجاج لبعض القضايا الفقهية، خاصة المبني منها على دليل من قرآن أو سنة.

ومن القضايا اللغوية التي كان للاختلاف فيها تأثير في استنباط بعض الأحكام الفقهية قضية «أقل الجمع»؛ حيث اختلف النحاة والفقهاء في أقل الجمع؛ فمنهم من يرى أن أقله ثلاثة وهو المشهور عند جمهورهم، ومنهم من يرى أنه اثنان، ومنهم من ذهب إلى أنه اثنان وجزء من الواحد، ومنهم من ذهب -وهم قلة- إلى أنه ربما

يطلق على الواحد لفظ الجمع، بالإضافة إلى آراء أخرى خرجت بالأمر إلى المجاز.

تحرير مناط الخلاف:

قبل الخوض في تفاصيل آراء النحاة والأصوليين في أقل الجمع ينبغي تحرير محل النزاع والخلاف، الذي يتمثل في أن لفظ الجمع في اللغة له معنيان:

الأول: الجمع من حيث الفعل المشتق منه الذي هو مصدر: جمع يجمع جمعا.

والمعنى الثاني: الجمع المعروف نحويا بأنه اسم العدد.

فعلى المعنى الأول إذا أضيف الواحد إلى الواحد فقد جمع بينهما؛ فوجب أن يكون جمعا، بل قد يقع على الواحد كما يقال: «جمعت الثوب بعضه على بعض».

ويبقى الخلاف في المعنى الثاني وهو اسم العدد: هل أقله اثنان أم أكثر من ذلك؟

فقد نقل عن أبي إسحاق الإسفراييني قوله: «وبعض من لم يهتد إلى هذا الفرق خلط الباب؛ فظن أن الجمع الذي هو بمعنى اللقب من جملة الجمع الذي بمعنى الفعل، فقال: إذا كان الجمع من الضم؛ فالواحد إذا أضيف إلى الواحد فقد جمع بينهما؛ فوجب أن يكون جمعا، وثبت أن الاثنين أقل الجمع». ثم قال: «وخالف بهذا القول جميع أهل اللغة وسائر من كان مثله من أهل العلم»[٣].

وفيما يلي سأشير لرأيين فقط من الآراء التي وردت في القول بأقل الجمع؛ نظرا لتأثيرهما في الحكم الفقهي، وهما:

الرأي الأول: القول بأن أقل الجمع ثلاثة:

وهو المشهور عند جمهور النحاة والأصوليين، كما ذكر الشوكاني؛ حيث يقول «هذا هو القول الحق الذي عليه أهل اللغة، والشرع، وهو السابق إلى الفهم عند إطلاق الجمع»[٤].

وذكر الإسنوي في التمهيد أن القول بأن أقل الجمع ثلاثة هو الصحيح عند جمهور الأصوليين، كما هو الصحيح عند النحاة والفقهاء[٥].

ونقل الماوردي عن الشافعي قوله: «وسواء قال له: علي دراهم كثيرة، أو عظيمة، أو لم يقلها فهي ثلاثة»[٦].

وحجج هؤلاء مشهورة ومعروفة ومبثوثة في كتب النحو بما لا يسع المقام سردها هنا.

الرأي الثاني: القول بأن أقل الجمع اثنان:

ذكرت كتب أصول الفقه أن القول بأن الاثنين أقل الجمع مروي عن عمر، وزيد بن ثابت، وحكاه عبدالوهاب عن الأشعري، وابن الماجشون، كما ورد أيضا في أحد نقولات سيبويه عن الخليل.

قال الباجي: «وهو قول القاضي أبي بكر بن العربي، وحكاه ابن خويز منداد، عن مالك، واختاره الباجي، ونقله صاحب المصادر عن القاضي أبي يوسف، وحكاه الأستاذ أبو منصور عن أهل الظاهر[٧]، وحكاه ابن الدهان النحوي عن محمد بن داود، وأبي يوسف، والخليل، ونفطويه. وعن ثعلب أن التثنية جمع عند أهل اللغة، واختاره الغزالي.

وذكر القرافي أن مذهب مالك -رحمه الله- أن أقل الجمع اثنان، ووافقه القاضي على ذلك، والأستاذ أبو إسحاق وعبدالملك ابن الماجشون من أصحابه[٨].

ويجدر بنا أن نشير إلى الحجج التي استند إليها هذا الفريق، وهي:

- أن خبر الاثنين عن نفسيهما كخبر الجماعة، فالاثنان يقولان: «فعلنا»، والثلاثة أيضا يقولون: «فعلنا»، ومن ذلك ما نقله سيبويه عن الخليل في تعليقه على قول الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم:٤)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ (المائدة:٣٨)؛ إذ يقول: «وقال الخليل: نظيره قولك: (فعلنا)، وأنتما اثنان، فتكلم به كما تكلم به وأنتم ثلاثة، وقد قالت العرب في الشيئين اللذين كل واحد منهما اسم على حدة وليس واحد منهما بعض شيء كما قالوا في ذا لأن التثنية جمع»[٩].

- احتج بعضهم بالمعنى المعجمي للمصطلح، وهو الضم وليس المعنى النحوي، من ذلك ما ذكره المبرد من قوله: «واعلم أنك إذا ذكرت الواحد فقلت: رجل أو فرس أو نحو ذلك، فقد اجتمع لك فيه معرفة العدد ومعرفة النوع...

ولو أراد مريد في التثنية ما يريده في الجمع لجاز ذلك في الشعر؛ لأنه كان الأصل، لأن التثنية جمع. وإنما معنى قولك: جمع: أنه ضم شيء إلى شيء»[١٠].

وقد نقل هذا الرأي السيوطي عن الجويني؛ إذ يقول: «الظاهر أن التثنية وضع لفظها بعد الجمع لمسيس الحاجة إلى الجمع كثيرا؛ ولهذا لم يوجد في سائر اللغات تثنية، والجمع موجود في كل لغة،

ومن ثم قال بعضهم: أقل الجمع اثنان كأن الواضع قال: الشيء إما واحد وإما كثير لا غير؛ فجعل الاثنين في حد الكثرة»[١١].

- الحجة الثالثة جمعت بين الحجتين السابقتين، وممن قال بها أبو الحسن الوراق إذ يقول: «فأما المتكلم إذا انضم إليه غيره -واحدا كان أو جمعا مؤنثا، أو جمعا مذكرا- فلفظه (نحن)، وإنما لم يثن على لفظه؛ لأن شرط التثنية إذا تصلت أن تكون على لفظ الواحد، والمتكلم لا يقترن إليه متكلم، وإنما يقترن إليه غائب أو مخاطب، ألا ترى أنك إذا قلت: نحن فعلنا وفعلت ذلك، كان تقديره: أنا وزيد وأنت فعلنا ذلك، ولم يكن تقديره: أنا وأنا، فإذا كان المنضم إليه من غير جنس المتكلم لم يجز أن يثنى على لفظه، وإنما كان الأمر على ما ذكرنا وجب أن يبطل لفظ الواحد، ويستأنف للتثنية اسم؛ لأن التثنية أول الجموع؛ لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء، فلما فات لفظ التثنية المحققة، وجب أن يستأنف لفظ يدل على الاثنين فما فوقه، فلذلك قالوا: نحن»[١٢].

التطبيق الفقهي

أثر الخلاف السابق في استنباط بعض الأحكام الفقهية في المسائل التي انبنت على دليل قرآني أو من السنة، وكان الحكم يخص الجمع، فاكتفى النص فيه على اسم الجمع دون تحديد عدد معين.

وفيما يلي أكتفي بالإشارة إلى قضيتين فقهيتين فقط كان للاختلاف في أقل الجمع أثر في استنباط الحكم الفقهي فيهما؛ إحداهما كان الخلاف فيها حول أقل الجمع هل هو اثنان أم ثلاثة، والأخرى هل هو ثلاثة أم اثنان وبعض الثالث، وهما:

المسألة الأولى: حجب الأم في الميراث من الثلث إلى السدس باثنين أم ثلاثة من الإخوة:

رغم أن الموقف النظري لجمهور الفقهاء أن أقل الجمع ثلاثة؛ فإن موقفهم التطبيقي في هذه المسألة مخالف لهذا؛ فجمهورهم يرون أن الأم ترد من الثلث إلى السدس في الميراث؛ إعمالا لـ«أقل الجمع اثنان» في قول الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ (النساء:١١)؛ وهو مذهب عثمان رضي الله عنه وقول عمرو وعلي وزيد بن مسعود -رضي الله عنهم- والشافعي ومالك وأبي حنيفة وجماعة الفقهاء[١٣].

لكن عبدالله بن عباس لم ير ردها إلا بثلاثة من الإخوة والأخوات فصاعدا، وهي إحدى مسائله الأربعة التي خالف فيها جميع الصحابة، كما ذكر الماوردي[١٤].

وقد تبع ابن عباس في هذا الرأي ابن حزم الظاهري مخالفا أيضا أصحابه من الظاهرية.

ومرجع الخلاف كما سبق هو القول بأقل الجمع؛ فابن عباس وابن حزم متمسكان بالدليل اللغوي أن أقل الجمع المطلق في اللغة ثلاثة.

أما جمهور الفقهاء فقد استند بعضهم إلى أن أقل الجمع اثنان[١٥]، وجعل بعضهم للعدد في الفرض خصوصية عن العدد اللغوي؛ فجعل الاثنين يقومان مقام الجمع؛ حيث يقول الماوردي: «والدليل على صحة ما ذهب إليه إجماع من حجبها بالاثنين من الإخوة والأخوات هو أن كل عدد روعي في تغيير الفرض فالاثنان منهم يقومان مقام الجمع؛ كالأختين في الثلثين، وكالأخوين من الأم في الثلث؛ فكذلك في الحجب»[١٦].

ومنهم من ذهب إلى أن جعل الاثنين هنا كالجماعة على سبيل المجاز للإجماع على أنهما كالثلاثة هنا، ولأنه حجب يتعلق بعدد؛ فكان الاثنان فيه كالثلاثة، كما في حجب البنات لبنات الابن[١٧].

المسألة الثانية: الخلاف في دخول ذي الحجة كاملا في أشهر الحج:

من المسائل التي كان للخلاف حول أقل الجمع أثر في استنباط الحكم الفقهي فيها أيضا مسألة تحديد أشهر الحج؛ حيث ذهب بعض الفقهاء إلى أنها ثلاثة الأشهر (شوال وذو القعدة وذو الحجة) كاملة؛ استنادا إلى أن أقل الجمع ثلاثة في قول الله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ (البقرة:١٩٧).

وذهب آخرون إلى أن أشهر الحج هي شوال وذو القعدة وبعض ذي الحجة على خلاف في عدد أيام ذي الحجة؛ فمنهم من قال بأنها تسعة أيام من ذي الحجة، وهو قول الشافعي[١٨]. وقال بعضهم بأنها عشرة أيام من ذي الحجة، وهو قول ابن عباس وابن عمر والشعبي والسدي وأبو حنيفة وهو رواية ابن

حبيب عن مالك، ورجحه السرخسي في المبسوط[١٩]. وقال آخرون بأنها ثلاثة عشر يوما، وهو قول في مذهب مالك ذكره ابن الحاجب[٢٠].

ومما احتج به هؤلاء:

ما ذهب إليه الفراء من أنه إنما جاز أن يقال له (أشهر) وإنما هما شهران وعشر من ثالث؛ لأن العرب إذا كان الوقت لشيء يكون فيه الحج وشبهه جعلوه في التسمية للثلاثة والاثنين، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ (البقرة:٢٠٣)، وإنما يتعجل في يوم ونصف، وكذلك هو في اليوم الثالث من أيام التشريق وليس منها شيء تام، وكذلك تقول العرب: له اليوم يومان منذ لم أره، وإنما هو يوم وبعض آخر.

خرج الزمخشري هذا الوجه على القول بأن اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد[٢١]، مستشهدا بقول الله تعالى ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم:٤)، ووافقه عليه ابن نجيم المصري[٢٢].

ذهب الكفوي إلى أن الجمع إذا أطلق على ما هو أزيد من اثنين بأقل من واحد كان مجازا[٢٣].

ذكر ابن سالم النفراوي أن الجمع يطلق على ما زاد على الاثنين، ولو كان الزائد بعض واحد[٢٤].

الآثار الشرعية المترتبة على الخلاف في هذه المسألة:

يترتب على الخلاف في هذه المسألة أمور فقهية مثل:

ما ذكره ابن عطية أنه من قال: «إن ذا الحجة كله من أشهر الحج» لم ير دما فيما يقع من الأعمال بعد يوم النحر؛ لأنها في أشهر الحج، وعلى القول الآخر ينقضي الحج بيوم النحر، ويلزم الدم فيما عمل بعد ذلك[٢٥].

ومنه ما ذكره ابن نجيم المصري: «وفائدة التوقيت بهذه الأشهر أن شيئا من أفعال الحج لا يجوز إلا فيها، حتى إذا صام المتمتع أو القارن ثلاثة أيام قبل أشهر الحج لا يجوز، وكذا السعي بين الصفا والمروة عقب طواف القدوم لا يجوز إلا في أشهر الحج، وأنه لا يكره الإحرام بالحج فيه مع أنه يكره الإحرام بالحج في غير أشهر الحج، وأنه لو أحرم بعمرة يوم النحر فأتى بأفعالها ثم أحرم من يومه ذلك بالحج وبقي محرما إلى قابل فحج كان متمتعا»[٢٦].

وفي النهاية:

ما سبق -بغض النظر عن الرأي الراجح في كل مسألة- يدل على رحابة هذه اللغة وعظمتها بما يعطي النص القرآني مجالا واسعا للاستنباط الفقهي منه، وبما يجد فيه أصحاب المذاهب الفقهية المختلفة بغيتهم فيه، محققين الرحمة المقصودة من اختلافهم؛ حيث يتحقق التيسير على الناس، وهو ما عناه ابن تيمية في مجموعة فتاواه بقوله: «والنزاع في الأحكام قد يكون رحمة إذا لم يفض إلى شر عظيم من خفاء الحكم... وإن الحق في نفس الأمر واحد، وقد يكون من رحمة الله ببعض الناس خفاؤه لما في ظهوره من الشدة عليه، ويكون من باب قوله تعالى: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ (المائدة:١٠١).

الهوامش

١- أباطيل وأسمار: ٣٤٦ - محمود محمد شاكر.
٢ - الموافقات: ٣٥/٥.
٣ - ينظر: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول: ٣١٦، ٣١٧، والإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي: ١٢٧/٢، والبحر المحيط في أصول الفقه: ٢٩٣/٢، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: ٣١٠/١.
٤ - إرشاد الفحول: ٣١٢/١.
٥ - التمهيد في تخريج الفروع على الأصول: ٣١٦.
٦ - الحاوي الكبير: ٢٩/٧، ٣٠.
٧ - يستثنى منهم في هذه القضية ابن حزم كما ذكر ذلك هو عن نفسه.
٨ - الإحكام في أصول الأحكام: ٢٤٣/٢، والبحر المحيط في أصول الفقه: ٢٩٣/٢، ٢٩٤، وإرشاد الفحول: ٣١٠/١، ٣١١.
٩ - الكتاب : ٦٢٢/٣.
١٠ - المقتضب: ١٣٥/٢- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد.
١١ - المزهر: ٣٩/١.
١٢ - علل النحو: ٤١٤، ٤١٥ - أبو الحسن محمد بن عبدالله الوراق.
١٣ - الحاوي الكبير: ٢٧٤/٨-٢٧٦، والمبسوط: ٢٨١/٣٢، ٢٨٢، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني: ٣١٧/٧، ٣١٨.
١٤ - الحاوي الكبير: ٢٧٤/٨.
١٥ - حاشية العدوي: ٣١٨/٧، وكفاية الطالب الرباني: ٤٩٣/٢، وأسنى المطالب: ٧/٣.
١٦ - الحاوي الكبير: ٢٧٤/٨.
١٧ - أسنى المطالب: ٧/٣.
١٨ - الحاوي الكبير: ٥٧/٤، والتحرير والتنوير: ٢٣٢/٢.
١٩ - المبسوط: ٧٥/٢، ٧٦، والبحر الرائق: ١١٤/٧، وأحكام القرآن للهراسي: ٨٦/١، والمحرر الوجيز: ٢٥٧/١، والتحرير والتنوير: ٢٣٢/٢.
٢٠ - التحرير والتنوير: ٢٣٢/٢.
٢١ - الكشاف: ٢٧٠/١.
٢٢ - البحر الرائق: ١١٤/٧.
٢٣ - الكليات: ١٦٦٣.
٢٤ - الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: ١٠٠٨/٣.
٢٥ - المحرر الوجيز: ٢٥٧/١.
٢٦ - البحر الرائق: ١١٤/٧.

إعداد: علاء عبدالفتاح



مشروعاته الخيرية المستدامة تتحدث في ذكرى وفاته

السميط (رحمه الله).. قدوة المتطوعين





أسلم على يديه أكثر من أحد عشر مليون شخص لم يعرفوا عن الإسلام شيئا قبل وصوله إليهم وإقامته بين ظهرانيهم في إفريقية.. حفر للمحتاجين تسعة آلاف وخمسمئة بئر بفضل الله، ثم تبرعات أهل الخير من الكويت، كذلك مئات المدارس والمساجد وأسس كليات وجامعات.. الدكتور عبدالرحمن السميط (١٣٦٦هـ/١٥ أكتوبر ١٩٤٧م- ٨ شوال ١٤٣٤هـ/ ١٥ أغسطس ٢٠١٣م) -رحمه الله بفضله- كان رجلا بأمة. و«الوعي الإسلامي» تستذكر محطات في حياته في ذكرى وفاته، لعلها تكون نبراسا للأجيال المقبلة من الصالحين المصلحين في أمتنا.

الدكتور عبدالرحمن السميط في سطور

خريج جامعة بغداد - كلية الطب - يوليو ١٩٧٢م M.B.CH.B.
دبلوم أمراض مناطق حارة - جامعة ليفربول - أبريل ١٩٧٤م.
تخصص في جامعة ماكجل مستشفى مونتريال العام في الأمراض الباطنية ثم في أمراض الجهاز الهضمي يوليو ١٩٧٤م، ديسمبر ١٩٧٨م.
لديه أبحاث علمية عديدة
ومن مؤلفاته: كتاب لبيك إفريقية.
كتاب دمعة إفريقية (مع آخرين).
كتاب رحلة خير في إفريقية «رسالة إلى ولدي».
كتاب قبائل الأنتيمور في مدغشقر.
كتاب ملامح من التنصير دراسة علمية.
إدارة الأزمات للعاملين في المنظمات الإسلامية
السلامة والإخلاء في مناطق النزاعات.
كتاب قبائل البوران.
قبائل الدينكا.
دليل إدارة مراكز الإغاثة.
كتاب قبائل الغبراء كتاب قبيلة الميجيكندا فى شرق كينيا
كتاب حقيبة مسافر
ومن مشاركاته: دور الإعلام في العمل الخيري بحث ألقي في ماليزيا ١٩٨٩م.
الإدارة الحديثة في العمل الخيري محاضرة ألقيت في مؤتمر الإدارة العربية بالقاهرة ١٩٨٩م.
الإسقاطات الأمنية للعمل الخيري محاضرة ألقيت في أكاديمية الأمير نايف ١٩٩٩م.
بحث التنمية البشرية «تجربة جمعية العون المباشر» غرفة التجارة والصناعة في الدمام.
مئات المقالات الإسلامية في صحف ومطبوعات مختلفة.
دور الإعلام في العمل الخيري بحث ألقي في ماليزيا ١٩٨٩م.
الإدارة الحديثة في العمل الخيري محاضرة ألقيت في مؤتمر الإدارة العربية بالقاهرة ١٩٨٩م.
فضلا عن مئات المقالات الإسلامية في صحف ومطبوعات مختلفة.
وكان رحمه الله رغم انشغاله الشديد: عضوا مؤسسا ورئيس فرع لجمعية الأطباء المسلمين في الولايات المتحدة وكندا ١٩٧٦م فرع شرق كندا.
عضو مؤسس لفروع جمعية الطلبة المسلمين في مونتريال وشيربروك وكويبك وغيرها ١٩٧٤م - ١٩٧٦م.
عضو مؤسس في لجنة مسلمي مالاوي في الكويت ١٩٨٠م.
عضو مؤسس في لجنة الإغاثة الكويتية.
عضو مؤسس في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويت.
عضو مؤسس في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة جمهورية مصر العربية.
عضو في جمعية النجاة الخيرية الكويت.
الأمين العام للجنة مسلمي إفريقية منذ ١٩٨١م حتى ١٩٩٩م.
رئيس مجلس إدارة جمعية العون المباشر منذ ١٩٩٩م حتى ٢٠٠٨م.



عضو في جمعية الهلال الأحمر الكويتي - الكويت.
رئيس تحرير مجلة الكوثر منذ عام ١٩٨٤م وحتى تاريخ وفاته (يرحمه الله).
عضو مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية - السودان.
عضو مجلس الأمناء جامعة العلوم والتكنولوجيا - اليمن.
رئيس مجلس إدارة كلية التربية زنجبار.
رئيس مجلس إدارة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - كينيا.
رئيس مركز دراسات العمل الخيري - الكويت.

يحكي السميط في لقاء بديوانية الحمدان عن إحدى رحلاته من مدغشقر إلى قرية فيقول: إنه ركب طائرة لمدة ساعتين مع رفاقه ثم سيارة بلا أبواب أو مقاعد أو نوافذ أو حتى مفتاح لتشغيلها ثم استقل زورقا بدائيا مصنوعا من جذع شجرة بالحفر فيها ليعبر مع رفاقه بحيرة مليئة بالتماسيح ثم سار في مستنقعات خطرة إلى أن وصل إلى القرية التي استهدفها. كل هذا ليبلغ الإسلام لأناس لم يسمعوا به إلا النذر القليل.

وهذه الواقعة إنما تدل على اجتهاد الرجل وضربه لنا المثال في الإخلاص والبذل من أجل نشر الدعوة بكل ما أوتي الإنسان من طاقة مالية وصحية وذهنية أيضا. وما سمعناه هنا ليس بغريب على رجل بدأ حياته العملية في خدمة الإسلام والدعوة والتطوع بشراء سيارة مستعملة بالاشتراك مع رفاق له ليدور في شوارع الكويت بها ينقل العمال من محطات الباص إلى وجهاتهم رفقا بهم من حر الصيف الشديد في الكويت!

إن ما تركه الرجل خلفه ليس مجرد إنجازات باقية بإذن الله كمشروعات مستدامة وإنما سيرة حسنة وقدوة ربما تحتاج كل حين إلى التذكير بها، ليس فقط عن طريق إطلاق اسمه على معهد ديني أو شارع، وإنما بصنع محتوى إعلامي دوري يحث من لم يعاصره ومن لم يسمع به لسبب أو لآخر، على فعل الخير بمنهج وإصرار وعزيمة.

استمر يعمل في الدعوة بعد أن ثقلت حركته وأقدامه ورغم إصابته بالسكر وبآلام في قدمه وظهره، وتدهورت حالته الصحية وأصبحت غير مستقرة في أواخر سنواته، وأخذ يعاني من توقف في وظائف الكلى وخضع لعناية مركزة في مستشفى مبارك الكبير، واستمر على تلك الحال حتى توفي في يوم الخميس ١٥ أغسطس ٢٠١٣م.



الجوائز والشهادات

حصل د. عبدالرحمن السميط رحمه الله على جوائز وشهادات عدة منها وسام رؤساء دول مجلس التعاون الخليجي المنعقد في مسقط عن العمل الخيري عام ١٩٨٦م.
جائزة الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله لخدمة الإسلام والمسلمين عام ١٩٩٦م.
وسام مجلس التعاون الخليجي لخدمة الحركة الكشفية عام ١٩٩٩م.
وسام النيلين من الدرجة الأولى من جمهورية السودان عام ١٩٩٩م.
جائزة الشيخ راشد النعيمي حاكم إمارة عجمان عام ٢٠٠١م.
الدكتوراه الفخرية في مجال العمل الدعوي من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان في مارس ٢٠٠٣م.
وسام فارس من رئيس جمهورية بنين ٢٠٠٤م.
جائزة الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم للعلوم الطبية والإنسانية دبي الإمارات ديسمبر ٢٠٠٦م.
جائزة الشارقة للعمل التطوعي والإنساني عام ٢٠٠٩م.
وسام فارس العمل الخيري من إمارة الشارقة عام ٢٠١٠م.
جائزة العمل الخيري من مؤسسة قطر - دار الإنماء عام ٢٠١٠م.
شهادة تقديرية من مجلس المنظمات التطوعية في جمهورية مصر العربية - القاهرة.
جائزة العمل الخيري من الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حاكم دبي - للعمل الخيري والإنساني.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث









سلسلة الأعلام المتشابهة (٥٨)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الدسوقي):

١- الدسوقي (ت:٦٧٦هـ):

هو إبراهيم بن أبي المجد بن قريش الدسوقي الشافعي، من كبار المتصوفين، كثير الأخبار.

ولد بدسوق بغربية مصر سنة: (٦٣٣هـ)، وأورد الشيخ عبدالوهاب الشعراني من كلامه مجموعة كبيرة، وأورد له شعرا ينحو فيه منحى ابن الفارض، تفقه على مذهب الشافعي ثم اقتفى آثار الصوفية وكثر مريدوه، من مصنفاته: (الجواهر)[1].

٢- برهان الدين الدسوقي (ت:٩١٩هـ):

هو برهان الدين أبو إسحاق، إبراهيم ابن محمد بن عبدالرحمن الدسوقي



الشافعي، صوفي، من أهل دمشق.
ولد بدمشق سنة: (٨٣٣هـ)، وقال ابن طولون: «كان شديد الإنكار على صوفية هذا العصر، ولم تر عيناي متصوفا من أهل دمشق أمثل منه».
من مصنفاته: (رسائل في التصوف)، و(الحزب الكبير)، توفي بدمشق[٢].

٣- الدسوقي (ت بعد:١١٦٧هـ):

هو محمد بن مصطفى الحسيني، الشهاوي الدسوقي، الأزهري، النقشبندي، عالم مشارك في عدة علوم.
من مصنفاته: (الألطاف الخفية في أخذ الزكاة الهاشمية)، و(امتنان الرحمن فيما يلزم لقارئ القرآن)، و(انفراج الشدة بتعريف فضل أصحاب الكتب الستة)، و(بهجة التحديث ببيان أصول الحديث)، و(الدرة البيضاء في صور الحكماء)[٣].

٤- الدسوقي (ت:١٢٣٠هـ):

هو محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، من علماء الفقه والكلام واللغة العربية.
ولد بدسوق وتعلم بها وأقام، وكان من المدرسين في الأزهر.
من مصنفاته: (الحدود الفقهية في فقه الإمام مالك، و(حاشية على مغني اللبيب)، و(حاشية على شرح السعد التفتازاني على التلخيص في البلاغة، و(حاشية على الشرح الكبير على مختصر خليل) فقه، و(حاشية على شرح السنوسي لمقدمته أم البراهين)، توفي بالقاهرة[٤].

٥- صالح الدسوقي (ت:١٢٤٦هـ):

هو صالح بن محمد بن محمد الدسوقي الحسيني الشافعي، من أهل دمشق، مشارك في بعض العلوم.
ولد بدمشق سنة: (١٢٠٠هـ)، من مصنفاته: (ديوان خطب)، و(كشف الغمة في الرد على من حرم التهاليل على الأمة) ناقش بها رفيقه في الطلب ابن عابدين صاحب الحاشية.
توفي بمكة حاجا، وهو آخر بيت الدسوقي بدمشق، وبه انقرضوا[٥].

٦- الدسوقي (ت:١٣٠١هـ):

هو إبراهيم عبدالغفار الدسوقي الأزهري، من أعوان المترجمين في أيام محمد علي وعباس، بمصر.
ولد بدسوق سنة: (١٢٢٦هـ)، وتعلم بالأزهر، صحح كثيرا من الكتب، وشارك في أوقات مختلفة في تحرير (الوقائع المصرية)، ومجلة (اليعسوب) الطبية، وهو من كبار المساعدين على الترجمة في عهد الإقبال على نقل الكتب الإفرنجية إلى العربية، بمصر.
من مصنفاته: (فضائل الخيل وصفة الجياد منها وذكر السوابق والرهان)، و(المقالة الشكرية للحضرة الإسماعيلية على إنشاء دار الوراقة المصرية)، و(حسن البراعة في علم الزراعة)، و(الحجج البينات في علم الحيوانات)، توفي بالقاهرة[٦].

٧- الدسوقي (ت:١٣٥٧هـ):

هو محمد علي الدسوقي، مدرس مصري.
ولد سنة: (١٢٨٩هـ)، وتخرج في دار العلوم وعمل في التدريس بالمنصورة وبور سعيد وبنها، وأخيرا بمدرسة عبدالعزيز للمعلمين، في القاهرة، من مصنفاته: (تهذيب الألفاظ العامية في جزأين)[٧].

الهوامش

١- انظر: الأعلام للزركلي (١/٥٩) ومعجم المؤلفين (١/٧٩).
٢- انظر: الأعلام للزركلي (١/٦٦) ومعجم المؤلفين (١/٩٨).
٣- انظر: هدية العارفين (٢/٣٣٠) ومعجم المؤلفين (١٢/٢٧).
٤- انظر: حلية البشر (٣/٨٤) والأعلام للزركلي (٦/١٧) ومعجم المؤلفين (٨/٢٩٢).
٥- انظر: حلية البشر (٢/٨٨) والأعلام للزركلي (٣/١٩٥) ومعجم المؤلفين (٥/١٢).
٦- انظر: هدية العارفين (١/٤٥) والأعلام للزركلي (١/٤٧) ومعجم المؤلفين (١/٤٨).
٧- انظر: الأعلام للزركلي (٦/٣٠٤).



هشام الصباغ
باحث لغوي

شهيد الكلمة والقلم

محمد حسين الذهبي

■ عفيف اللسان والقلم، ذو أدب رفيع، وفقه في الدين.. أوتي نصيبا موفورا من الحكمة التي أثْرت إنتاجه وأذاعت فضله وأضاءت أفقه وشهرت سيرته وباعدت بينه وبين شطط الأقوال وزلل الآراء وخطل الأفكار.

■ لجدتها وإتقانها وإحاطتها ودقتها ونقدها.. سارت تآليفه مسير الشمس؛ لأن باعثها هو الذود عن كتاب الله، ودراسة علومه، وتتبع مناهج المفسرين، وتنقية كتب التفسير والحديث مما علق بها من خرافات وبدع وإسرائيليات.

■ من أشهر كتبه «التفسير والمفسرون»، وهو أسبق مؤلف في مناهج التفسير والمفسرين وأحد المراجع الرئيسية في علم التفسير، وكذلك كتاب «الإسرائيليات في التفسير والحديث» وهو كتاب يعرف القارئ كيف دخلت الخرافات في بعض كتب التفسير والحديث والسيرة وغيرها والرد عليها.. إنه الشيخ الدكتور شهيد القلم والكلمة محمد حسين الذهبي.

المولد والنشأة

■ ابن من أبناء الريف المصري، ولد في قرية «مطوبس» بمحافظة كفر الشيخ شمال مصر، في التاسع عشر من أكتوبر عام ١٩١٥م.

■ توفي أبوه وتركه صغيرا، فقام على أمره أخوه الأكبر، فعني بتربيته وتعليمه، وألحقه بكتاب القرية (إحدى حواضن تعليم النشء في ذاك الزمان)، فحفظ القرآن الكريم وأتقنه، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة والحساب في قريته.

■ بعدما أتم حفظ القرآن دفع به أخوه إلى معهد دسوق الديني حتى يستكمل دراسته، ومنه حصل على شهادة الثانوية بتفوق.. بعدها رحل إلى القاهرة بغية استكمال دراسته الجامعية، فقصد الأزهر الشريف، والتحق بكلية الشريعة.

■ في الأزهر الشريف تتلمذ الذهبي، رحمة الله عليه، على يد نخبة من علماء عصره أمثال: الشيخ محمد مصطفى المراغي وعيسى منون ومحمد زاهد الكوثري ومحمد حبيب الله الشنقيطي ومحمد الخضر حسين ومأمون الشناوي.. وغيرهم.

■ في عام ١٩٣٦م، حصل الشيخ الذهبي على الشهادة العالية من كلية الشريعة، وكان أول الناجحين، ثم تقدم برسالته، التي أصبحت بعد نشرها أحد المراجع الرئيسية في علم التفسير، تحت عنوان «التفسير والمفسرون» وحصل بها على الدرجة العالمية (الدكتوراه)، في ١٥ فبراير عام ١٩٤٧م، بكلية أصول الدين.

حياته العملية

■ سافر الذهبي، رحمة الله عليه، في كوكبة من علماء الأزهر في أول بعثة إلى مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية للتدريس في دار التوحيد، التي كان يديرها آنذاك الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع - رحمه الله - وصحبه في تلك الفترة (١٩٤٨-١٩٥١م) خيرة الشيوخ أمثال: الشيخ عبدالرزاق عفيفي والشيخ محمد نايل (عميد كلية اللغة العربية) والشيخ محمد عبدالوهاب بحيري (صاحب كتاب الحيل في الشريعة الإسلامية) والشيخ محمد أبو زهو (صاحب كتاب الحديث والمحدثون)، ثم ندب إلى التدريس في المدينة المنورة لمدة عام وذلك سنة ١٩٥١م.

■ في عام ١٩٥٢م، عاد إلى القاهرة للعمل بالمعاهد الأزهرية لمدة ثلاثة أعوام، بعدها وفي عام ١٩٥٥م انتقل إلى التدريس بكلية الشريعة.. وفي العام نفسه انتدب - رحمه الله - للتدريس في العراق في كليتي الحقوق ١٩٥٥م والشريعة ببغداد (١٩٦١ - ١٩٦٣م) وصارت إليه رئاسة قسم الشريعة فيها.

■ وفي العراق تصدر - رحمه الله - للخطابة مرات عديدة في مسجد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وكانت له صداقات مع كبار علماء العراق أمثال: الشيخ كمال الطائي (خطيب مسجد المرادية) والشيخ عبدالله القاضي (قاضي بغداد فيما بعد).

■ وفي عام ١٩٦٣م، عاد إلى مصر، وأسهم في إنشاء كلية البنات الإسلامية والتدريس بها، ثم أُعير في

عام ١٩٦٦م، إلى جامعة الكويت ليعمل فيها أستاذا للتفسير والحديث حتى عام ١٩٧١م.. وفي ١٦ يناير ١٩٧٢م، عاد إلى مصر مجددا واختير أمينا مساعدا لمجمع البحوث الإسلامية، ثم عميدا لكلية أصول الدين في ١٧ سبتمبر ١٩٧٣م، ثم أمينا عاما للمجمع في ١ يونيو ١٩٧٤م.

حقيبة الأوقاف

■ في ١٦ أبريل ١٩٧٥م، وأثناء رحلته إلى العراق لحضور أحد المؤتمرات، فوجئ - رحمه الله - كما فوجئ الجميع، من وسائل الإعلام بنبأ اختياره وزيرا للأوقاف وشؤون الأزهر، فصار مشرفا على شؤون الدعوة الإسلامية في أعز جبهاتها وأفسح ميادينها وأبر أجنادها الذين تقر بإخلاصهم عين الملة السمحة.

■ كان له - رحمه الله - في وزارة الأوقاف كلمات صدق وتوجيهات حق وحسن اختيار للدعاة والعمل على أن يكونوا مُثلا عالية وألسنة صادقة وهداة إلى الحق وأعوانا على البر والتقوى ومغاليق للشرور والآثام ونماذج لسماحة الإسلام وعزة الإيمان.

■ وخرج الذهبي من الوزارة في ٩ نوفمبر ١٩٧٦م وظفرت به كلية أصول الدين مرة أخرى أستاذا للتفسير وعلوم القرآن.

مؤلفاته

■ أثرى الشيخ الذهبي المكتبة الإسلامية بعدد من المؤلفات النافعة نذكر منها: «التفسير والمفسرون»، و«الوحي والقرآن الكريم»، و«تفسير ابن عربي للقرآن.. حقيقته وخطره»، و«الإسرائيليات في التفسير والحديث»، و«أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع»، و«الشريعة الإسلامية.. دراسة مقارنة بين مذاهب أهل السنة والشيعة»، و«مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث وكيفية التغلب عليها»، و«إعجاز القرآن الكريم»، و«علم التفسير»، و«بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة».. وغيرها.

الفكر يواجه بالفكر

■ تولى الذهبي - رحمه الله - وزارة الأوقاف في فترة وجدت فيها بعض الأفكار المنحرفة مساحة للنمو.. لكن الشيخ رفض التدخل الأمني في هذا الملف الملتهب، مبررا رفضه بالقول: «إنها مهمة رجال الدعوة» وحمل على عاتقه مواجهة تلك الجماعات بالفكر، إذ إن «الفكر يواجه بالفكر وإن هؤلاء شباب حديثو السن وقليلو المعرفة والخبرة، لا يجوز أن نحاربهم، وإنما يتعين أن نهديهم وأن نعلمهم حقيقة الإسلام» (وفق قوله).

خطف الذهبي وقتله.. وجنازته

■ في الثانية من صباح الأحد ٢ يوليو ١٩٧٧م، انقلبت حالة الصمت والهدوء التي كانت تحيط بمنزل الشيخ في حدائق حلوان فجأة إلى صخب وتوتر، إذ توقفت فجأة سيارتان ونزل منهما ستة شباب مدججين بالأسلحة يرتدي أحدهم زيا أمنيا، واندفع خمسة منهم نحو منزل الشيخ بينما بقي سادسهم يستبدل إطارا تالفا لإحدى السيارتين.. طرق المسلحون الخمسة باب الشيخ واقتادوه بالقوة وفروا هاربين تاركين سادسهم مع سيارته المعطلة فاحتجزه جيران الشيخ وسلموه إلى الأمن.

■ ومع ظهر اليوم التالي لعملية الاختطاف، أعلنت إحدى الجماعات المتطرفة مسؤوليتها وحددت مطالب عدة لكي تفرج عن الشيخ، وعندما لم تتم الاستجابة لمطالبهم قتلوه.. ألقي القبض عليهم بعد ذلك وأعدم خمسة منهم.

■ ٦٢ عاما قضاها الذهبي مع العلم والإصلاح والتعليم والدعوة، حتى لقي ربه شهيدا مظلوما - نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله - شهيد العلم والعلماء شهيد الكلمة والقلم رحمه الله تعالى.. وبعد مقتله أم صلاة الجنازة عليه في الأزهر الشيخ صالح الجعفري (إمام الجامع وخطيبه آنذاك)، وحضر الصلاة عليه الآلاف، وشيعت جنازته في مشهد مهيب، ووري جثمانه الثرى في مدافن الأسرة بالإمام الشافعي.

مساهمته مع «الوعي»

■ للذهبي ١١ مساهمة مع مجلة «الوعي الإسلامي»، جاءت تحت عناوين: «الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم.. دوافعها ودفعها» (ع٧٦)، «القرآن والعلم ١ و٢ و٣» (ع: ٨٨ و٨٩ و٩٠)، «إعجاز القرآن الكريم» (ع٩٤)، «مباحث قرآنية ١ و٢ و٣ و٤» (ع: ١٠١ و١٠٢ و١٠٤ و١٠٥)، «مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث وكيفية التغلب عليها ١ و٢» (ع: ١٥٨ و١٥٩).

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٢- موقع إسلام ويب.
٣- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

المدونة الكبرى

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «المدونة الكبرى» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمدونة الكبرى: هي مؤلف فقهي يحوي مجموعة من الأسئلة والأجوبة في مسائل الفقه طرحت على الإمام مالك بن أنس رحمه الله وأجاب عنها، رواها عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون (٢٤٠هـ / ٨٥٤م)، الذي جمعها وصنفها، عن عبد الرحمن بن القاسم العتقي (١٩١هـ / ٨٠٦م) عن الإمام مالك بن أنس، وتنسب أحيانا إلى سحنون، لأنه رواها، فيقال: مدونة سحنون.

وقد بلغ ما تحويه هذه المدونة من أسئلة وأجوبة في مسائل الفقه: (٦٢٠٠) مسألة، وهي مرتبة على أبواب الفقه، وبهذا أصبحت المدونة أصل الفقه المالكي، وما عداها لا يعتمد عليه، وهي مقدمة لغيرها، وتأتي في الدرجة الثانية بعد الموطأ، وأكثر علماء المالكية يتلقون ما جاء في المدونة بالقبول، وهي أصدق رواية، وأعلى درجة من حيث سماعها ورواياتها، وعليها الاعتماد في الفتوى عند علماء القيروان وبلاد المغرب عموما.

سبب تسميتها بالمدونة الكبرى

المدونة هو الاسم الذي رافق العمل الذي قام به الإمام سحنون منذ البداية، ثم اصطلح المالكية على تسميتها بالمدونة الكبرى، والكتاب والأم، وكانت هذه التسمية تمييزا لها عن تهذيب المدونة للبراذعي الذي أطلق عليه البعض: اسم المدونة.

نسبة المدونة الكبرى

تنسب المدونة للإمام مالك – بالنظر إلى أن أغلب الأقوال والاجتهادات التي تضمنتها هي من كلامه رضي الله عنه. وتنسب كذلك لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي، أشهر تلاميذ الإمام مالك، وذلك لأنه الراوي لتلك السماعات والأجوبة عن الإمام مالك، ولتضمنها الكثير من آرائه واجتهاداته الخاصة. وتنسب أيضا لأبي سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، وهو الأشهر، لأنه من صحح مسائلها عن ابن القاسم، ثم قام بتهذيبها، وترتيبها، وتذييلها بالآثار... بقيت نسبة رابعة : لأبي عبدالله أسد بن الفرات بن سنان، توفي بصقلية مجاهدا (٢١٣ هـ) وهذه نسبة قد اندثرت، ولا تذكر إلا عند الحديث عن أصل المدونة.

التعريف بالإمام سحنون:

هو أبو سعيد عبدالسلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي من مواليد القيروان بتونس، من أشهر فقهاء المالكية بالمغرب العربي ولد بمدينة القيروان سنة: (١٦٠هـ) وتتلمذ لأكبر علمائها. رحل إلى المشرق طالبا للعلم سنة: (١٨٨هـ)، فزار مصر والشام والحجاز، ثم عاد إلى القيروان سنة: (١٩١هـ)، وعمل على نشر المذهب المالكي ليصبح بذلك المذهب الأكثر انتشارا في إفريقية والأندلس، تولى القضاء سنة: (٢٣٤ه) حتى وفاته رحمه الله في رجب سنة: (٢٤٠هـ)، ودفن بالقيروان.

من أشهر مؤلفاته: المدونة الكبرى، التي جمع فيها مسائل الفقه على مذهب مالك بن أنس.

نسخة مجلة الوعي:

تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه الموسوعة القيمة، والتي تتألف من خمسة أجزاء، وهي في متناول قرائها الكرام.

المصادر

المدونة الكبرى.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

إعداد / تركي محمد النصر

حال الصادق مع الله

قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

❖ قال إبراهيم الخواص رحمه الله: الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه، أو فضل يعمل فيه.

❖ وقال الجنيد رحمه الله: حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب.

❖ وقال سهل بن عبدالله: أول خيانة الصديقين: حديثهم مع أنفسهم.

❖ وقال يوسف بن أسباط: لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إلي من أن أضرب بسيفي في سبيل الله.

❖ وقال الحارثي المحاسبي: الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه.

(انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ٢/٢٥٦)

المتوكل على الله قوي القلب

قال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله: فالمتوكل على الله قوي القلب.. لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث.

(انظر: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة: ١/٢٧)

الأدب ميراث الأشراف

تخطى رجل من بني هاشم رقاب الناس في مجلس أحمد بن أبي دواد، فقال له أحمد: يا بني، الأدب ميراث الأشراف، ولست أرى عندك من سلفك ميراثا. فاستحسن كلامه من حضر.

(انظر: البصائر والذخائر، للتوحيدي: ٥/٧٦)

قتله علمه

قال العلامة المزي رحمه الله تعالى: «إن طالب العلم إذا حمل من العلم ما لا يطيقه قتله علمه كما تقتل الأفعى حاطب ليل».

(انظر: تهذيب الكمال: ٢٣/٥١٠)

آفة الدخلاء

قال العلامة ابن حزم رحمه الله: «لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون».

(انظر: الأخلاق والسير: ص/٢٢)

لا يحزنك قول الناس فيك

قال العلامة ابن مفلح الحنبلي رحمه الله: قال عيسى عليه السلام: لا يحزنك قول الناس فيك، فإن كان كاذبا كانت حسنة لم تعملها، وإن كان صادقا كانت سيئة عجلت عقوبتها.

(انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية: ١/٨)

مشاركة: يعقوب الجناع

النفس متقلبة

قال إسماعيل بن غزوان عن الكندي رحمهما اللّه: اصبروا عن الرطب عند ابتدائه وأوائله، وعن باكورات الفاكهة؛ فإن للنفس عند كل طارف نزوة، وعند كل هاجم بدوة، وللقادم حلاوة وفرحة، وللجديد بشاشة وغرة. فإنك متى رددتها ارتدت، ومتى ردعتها ارتدعت، والنفس عزوف عروف، ونفور ألوف، وما حملتها احتملت، وإن أهملتها فسدت.

(انظر: البخلاء، للجاحظ: ١/١٢٦)

الطبع والتطبع

قال العلامة محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي الكتبي، المعروف بالوطواط، المتوفى سنة (٧١٨هـ): «والفرق بين الطبع والتطبع: أن الطبع جاذب منفعل، والتطبع مجذوب مفتعل، تتفق نتائجهما مع التكلف، ويفترق تأثيرهما مع الاسترسال.

وقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادة الحسنة، ولا الأخلاق الجميلة، ونفسه مع ذلك تتشوف إلى المنقبة، وتتأفف من المثلبة، لكن سلطان طبعه بإبائه عليه، واستعصائه عن تكلف ما ندب إليه؛ يختار العطل منها على التخلي، ويستبدل الحزن على فواتها بالتسلي، فلا ينفعه التأنيب، ولا يردعه التأديب.

وسبب ذلك ما قرره المتكلمون في الأخلاق: أن طبع المطبوع أملك للنفس التي هي محله لاستيطانه إياها، وكثرة إعانته لها، والأدب طار على المحل غريب فيه».

(انظر: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة: ١/١٢)

من درر العلامة الزاهد يحيى بن معاذ رحمه اللّه

❖ عمل كالسراب، وقلب من التقوى خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب؟! هيهات! أنت سكران بغير شراب، ما أكملك لو بادرت أملك، ما أجلك لو بادرت أجلك، وما أقواك لو خالفت هواك.

❖ كيف أمتنع بالذنب من الدعاء ولا أراك تمتنع بذنبي من العطاء؟!

❖ إلهي: كيف أفرح وقد عصيتك! وكيف لا أفرح وقد عرفتك! وكيف أدعوك وأنا خاطئ! وكيف لا أدعوك وأنت كريم!

❖ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما في ماله عند موته. قيل: ما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله.

(انظر: صفة الصفوة، لابن الجوزي: ٢/٢٩٢)

الدعوة على جهل

قال العلامة ابن باز رحمه اللّه: الدعوة على جهل لا تجوز أبدا، لأن الداعية إلى اللّه عن جهل يضر ولا ينفع، ويخرب ولا يعمر، ويضل ولا يهدي، فالواجب على الدعاة إلى اللّه سبحانه وتعالى التأسي بالرسل بالصبر والعلم والنشاط في الدعوة.

(انظر: مجموع الفتاوى: ٣/١٠٧)

نصيحة شيخ لتلميذه

قال الإمام الشافعي لتلميذه المزي رحمهما اللّه:

❖ اتق اللّه، ومثل الآخرة في قلبك.

❖ واجعل الموت نصب عينك.

❖ ولا تنس موقفك بين يدي اللّه.

❖ وكن من اللّه على وجل.

❖ واجتنب محارمه.

❖ وأد فرائضه.

❖ وكن مع الحق حيث كان.

(انظر: مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور الأنصاري: ١/٣١٥)

إعداد: التحرير



عجوز وعجوزة

لما بشرت سارة بإسحاق ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ (هـود:٧٢)، فجعلت وصف العجوز خاصا بها، أما زوجها إبراهيم عليه السلام فقد وصفته بأنه شيخ، فدل ذلك على أن الرجل لا يوصف بأنه عجوز، والقاعدة الصرفية أن ما كان على وزن فعول إذا قصد به معنى اسم الفاعل استوى فيه المذكر والمؤنث، فيقال رجل صبور وامرأة صبور، لأن لفظ صبور هنا بمعنى صابر، ومثله رجل طهور وامـرأة طهـور، لأن طهور هنا بمعنى طاهر، وبما أن عجوز بمعنى عاجز فإنه يصح أن يقال رجل عجوز وامرأة عجوز، أورد الفيروزآبادي في القاموس المحيط سبعة وسبعين معنى لكلمة عجوز فذكر منها الشيخ والشيخة، وقال ابن منظور في لسان العرب: «ويقال للرجل عجوز وللمرأة عجوز».

واستعمال لفظ «عجـوزة» في وصف المـرأة إذا هرمت، أنكره بعض أهل اللغة، قال صاحب القاموس: «ولا تقل عجوزة أو هي لغية أو لغة رديئة»، وقال صاحب اللسان: «والعجوز والعجوزة من النساء الشيخة الهرمة، والأخرى قليلة»، ومحل ذلك حالة ألا يذكر الموصوف؛ فإن المذكور في كتب الصرف أن صيغة فعول إذا كانت بمعنى اسم الفاعل ولم يذكر الموصوف فإنه تلحقها التاء للدلالة على التأنيث منعا للاشتباه، فتقول رأيت صبورا للمذكر، ورأيت صبورة للمؤنث، أما إذا ذكر الموصوف فإن التاء لا تلحقها فتقول رجل صبور وامـرأة صبور، فعلى ذلك تقول رأيت عجوزا للمذكر، ورأيت عجوزة للمؤنث؛ لأنك لم تذكر الموصوف، أما إذا ذكرت الموصوف فإنك تقول رجل عجوز وامرأة عجوز.

حسن محمد مختار



وصية لقمان لابنه

تعد وصية لقمان لابنه من أبرز وصايا الآبـاء للأبناء، وهي من أعظم الوصايا وأشملها، فقد بين الأب الحكيم فيها لابنه سبل النجاح في الدنيا والآخرة، واشتمل على وصايا من أعظم الوصايا: في مقدمتها الإيمان بأن الله تعالى يعلم كل شيء مهما كان صغيرا، وضرورة المحافظة على الصلاة وأدائها في أوقاتها بخشوع. وإخـلاص، والمسارعة إلـى فعل الخيـرات، من الدعوة للمعروف، والنهي عن المنكر والشر، والصبر على ما يصيبه في سبيل ذلك، والتحلي بالتواضع في معاملة الناس، وعدم التكبر عليهم، والتخلي بآداب الحوار عند محاورة الناس والتحدث معهم.

قال تعالى: ﴿يبني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموت أو في الأرض يأت بها اللّه إن اللّه لطيف خبير، يبني أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن اللّه لا يحب كل مختال فخور، واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوت لصوت الحمير﴾ (لقمان:١٦-١٩).

د. محمد عباس عرابي



القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

alwaeiq8@gmail.com





فضل يوم عرفة

يوم عرفة من أيام الله تعالى شرفه الله وفضله بفضائل كثيرة نذكر منها:

أولا: أنه أفضل الأيام: لحديث جابر عن النبي ﷺ قال: «أفضل الأيام يوم عرفة» رواه ابن حبان.

وروى ابن حبان من حديث جابر عن النبي ﷺ قال: «ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء»، وفي رواية: «إن الله يباهي بأهل عرفة ملائكته، فيقول: يا ملائكتي، انظروا إلى عبادي، قد أتوني شعثا غبرا ضاحين».

ثانيا: أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة:

روى البخاري بسنده: قالت اليهود لعمر إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت وأين كان رسول الله ﷺ حين أنزلت: نزلت يوم عرفة إنا والله بعرفة قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ ﴾ (المائدة:٣).

وإكمال الدين في ذلك اليوم حصل لأن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام من قبل فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها، ولأن الله أعاد الحج على قواعد إبراهيم عليه السلام، ونفى الشرك وأهله فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد.

وأمام إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة فلا تتم النعمة بدونها كما قال الله تعالى لنبيه ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ (الفتح:٢).

ثالثا: أنه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار:

عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء؟» قال ابن عبدالبر: «وهو يدل على أنهم مغفور لهم لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب إلا بعد التوبة والغفران».

ومما يستحب في يوم عرفة كثرة الدعاء فإن موقف عرفة من المواقف التي ينبغي للمسلم أن يعتني بالدعاء فيها بجد وإخلاص، فيدعو بالمأثور عن النبي ﷺ وبغيره، فقد ورد عن النبي ﷺ أن أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». (رواه الترمذي).

محمد علي صالح

مسك الختام

روابط السفينة

لا أتذكر الزمن الذي سيطرت فيه على قلبي، وصارت هي الهدف الأعظم، والحقيقة المدهشة التي لا أرى لها أثرا، حتي مع البحث المتواصل والأمل القريب في الوصول.
أعظم الأمنيات التي تسيطر على القلب، وتستشفها الروح المجندة هي: التعرف على رفيق! العثور على صديق حقيقي، صديق يكون الكف الأخرى، المرآة، الشهيق، والماء البارد على الظمأ، ويكون الرفيق في الأمنيات والرؤى، إذا رأى الحسنة مني فرح بها وإذا رأى السيئة أخفاها وربت على كتفي: لا تفعل مرة أخرى، نهرني بالمحبة وهددني بالمحبة..... وأكون له كل ذلك وأكثر.
السفينة تتكون من عدة طوابق، سفينة الصداقة تختلف في الصناعة ولا ترتبط بالماء، بين الحين والحين يحدث أكثر الركاب خرقا بها، لكنها لا تغرق، لأن قاعدتها الرئيسية: استبدال الرواد. القاعدة الثانية للسفينة: الروابط؛ فالسكان في طوابقها المختلفة يجب أن تربطهم الروابط. الروابط الصغيرة في الطوابق الدنيا تبدأ بين الزملاء في السفر، الفراغ، المسكن، وفي العمل.... وهذه الرابطة تطورها المواقف الطارئة والمحن الناشئة؛ فتنمو أو تظل كما هي أو تخفت. رابطة الرحم تمثل الطابق الأوسط من السفينة، وهي الرابطة التي تشمل الآباء والأمهات والأزواج والذرية، وهدفها الأعظم صناعة الأهل! إنها دائرة الحركة الأولى، وهي الرابطة التي تستقبل أغلب الأوامر والتحذيرات: الصدق، الأمانة، عدم البغي بين الخلطاء، الإيثار، صلة الرحم.
الرابطة الأعظم في السفينة تظهر في الطابق العلوي فقط، وهو الطابق الأقل كثافة للسكان، والأعظم كثافة في الارتباط! إنه الطابق الذي لا يصل له إلا الأفذاذ، لأنه يحتمي برابطة المحبة؛ الرابطة التي تتصل مباشرة بأصل المحبة ومفتتح المحبة وعنوان المحبة وتستظل بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» (البخاري) رابطة النقاء والعطاء والإيثار، رابطة التكاتف التي لا تتكئ على مصلحة ولا تخضع لمسميات الناس.

سيد الطيب
كاتب وشاعر مصري

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw



مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

 alwaeiq8@gmail.com

 @Alwaei_Alislami

 مجلة الوعي الإسلامي

 موقع مجلة الوعي الإسلامي



مصرف رعاية المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة

وقف على رعاية المعاقين والفئات الخاصة،وتأهيلهم،وتلبية احتياجاتهم

العدد ٦٧٦ - السنة ٥٨ - ذو الحجة ١٤٤٢ هـ - يوليو/أغسطس ٢٠٢١م